انطوني كوين
في دور
عمر المختار

هدية العدد **القدس** بريشة الرسامين العالميين

جزء خاص عن: الثمانينات

الكتاب والخبراء والعلماء يجيبون على توقعات السنوات العشر المقبلة

[illegible]

نقول لك كل سنة كل عام وانت بخير

ونقول لك هذه السنة كل عشرة اعوام وانت بخير !

وسوف تجد في العدد ما تعودت ان تجده في العربي ولكنك ستجد شيئا اخر جزءا خاصا عن الشهابيات حولنا فيه عشرات الدوسيهات الى مادة مركزة مبسطة في صفحات قليلة

والسنوات لا تفصل تسلسل الحياة فصلا حادا

ولكنها كأعياد الميلاد . تكون احيانا فرصة لكي يراجع المرء سنة أدبرت وسنة أقبلت فهو يشكر ، ويندم ، ولا يأسف ، وهو يتمنى ، ويتخوف ، و يتوقع

كل هذه المشاعر تخامره في وقت واحد ، مختلطة ، متصارعة ، متداخلة

وقد حاولنا في هذا العدد أن نترجم هذا . بالنسبة لانفسنا ، ولأمتنا ، وللعالم الذي نعيش فيه !

والتنبوء عادة غرور وهو في هذا العصر الحول القلب ، اكثر غرورا وادعاء

ولذلك لن تجد في العدد نبوءة واحدة !

انما ستجد إعمالا للفكر واستخداما للعقل والقلب والاحساس معا

وهذا جهدنا . لا نقدمه اليك « جاهزا » ولكن نشركك فيه

اما الباقي فنتركه لعالم الغيب !

« المحـــرر »

صورة الغلاف

● يحاول غلاف هذا العدد الممتاز ان ينقل قدر الامكان بعضا من ملامح العدد ، المتعددة القسمات عمقا وعرضا فمن رحلة داخل مجتمع المسلمين في الاتحاد السوفيتي تتم لاول مرة ، الى رحلة فريدة اخرى في عقل الفنان العالمي انطوني كوين ، الذي تحول الى عشق الصحراء والشخصيات التاريخية العربية ، الى رحلة في اعماق المستقبل في الثمانينات هذا غير جولات اخرى عديدة في عوالم الثقافة والعلوم والفنون .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين

مدير التحرير: فهمي هويدي

ثمن النسخة : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريا[illegible] قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلس[illegible] سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس[illegible] السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع [illegible] قرش ، تونس [illegible] مليما ، الجزائر ٢.٥ دينار ، المغرب ٢.٥ دره[illegible] اليمن ٢.٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يرجى طلب الاشتراك ،
[illegible] الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨ بيروت/لبنان .
[illegible] مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شار[illegible] الصحافة/القاهرة/مصر .
للمشتركين في جمهورية مصر العربية
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »

ALARABI — No. 254 — January 1980

P.O. Box 748 — KUWAIT

الاحداث التي رأيناها وعشناها خلال السبعينات ، اكثر من أن تعد وتحصى ، حتى لو اكتفينا بالقليل البارز منها ...

فهي أحداث فيها من التقدم العلمي أقصاه ، كولادة طفل أنابيب الاختبار ، ومن التخلف الانساني أبشعه كمجازر فيتنام ، ومجاعات كمبوديا

وهي أحداث ، لو أراد أحد تسجيلها لا ستغرقت من الصفحات ما كان يكفي لتغطية احداث الف سنة من تاريخ العالم قبل ذلك ، وليس عشر سنوات ..

ومنها أحداث تهم العالم كله ، ونحن معه بالطبع .. وأحداث تهمنا نحن العرب أساسا والعالم كله معنا كذلك ، وهو ما سوف نركز عليه

وحديثنا عن الثمانينات . ولكن اذا أشرنا الى السبعينات ، فما لشيء الا لأن فيها بذور ما يجب أن نتوقعه في الثمانينات ..

العالم من السياسة الى الاخلاق

على المستوى العالمي ، كانت ثمة أحداث كبرى سياسية ، عسكرية ومعنوية وأخلاقية !

فهناك انتهاء حرب فيتنام بهزيمة أمريكية ، وهناك رحلة نيكسون الى الصين ، والجسر الجديد بين أفريقيا والصين ، ثم توقيع الاتفاقية الأولى للحد من الأسلحة النووية (سالت ١) وتعثر توقيع الاتفاقية الثانية بين روسيا وأمريكا (سالت ٢) في الكونجرس حتى الآن وهناك حرب الهند وباكستان التي اسفرت عن استقلال بنجلاديش وهناك سقوط فرانكو في اسبانيا وسالا زار في البرتغال والكولونيلات في اليونان . وهناك استقلال باقي أفريقيا ، خصوصا أنجولا وموزمبيق ، فلم يبق سوى روديسيا ، ثم رحلة تنج هسياو بنج الى أمريكا ورحلة هوا كوفنج الى شرق أوروبا ، ومحاولة تغير التحالفات الكبرى بين مراكز القوة الاربعة روسيا والصين وامريكا وغرب اوروبا ، على أسس غير مذهبية ، ولكن على أسس جغرافية قومية بحتة . ثم موت ماوتس تونج وسقوط

خلفائه واستيلاء تيار سياسي آخر على الصين ، وسقوط حكومة العمال في انجلترا ومحاولة الحكومة الجديدة ، برئاسة مرجريت تاتشر ، تفكيك دولة الرفاهية « الشبه اشتراكية في انجلترا اى تحـرك البندول الدولى » بصفة عامة الى اليمين في البلاد القومية والتقدمية وبروز ظاهرة اقتصادية لم يسبق لها مثيل في العالم الرأسمالي وهى التضخم الهائل والانفاق العام الضخم ، والبطالة .. معا وفي نفس الوقت ، في حين كان العالم الرأسمالي قبل ذلك يعاني من كل مشكلة من هذه المشاكل على انفراد ، على اساس انها نقائض لا تلتقي تحت سقف واحد ابدا

وعلى المستوى المعنوى ، نجد ان السبعينات قد حفلت بتحولات اخرى خطيرة ..

فقد اتسعت المسافة بين الشعوب والحكام مهما كانت النظم ، اتساعا هائلا وساد جو من عدم الثقة في الحكام لم يسبق له مثيل وذلك بانكشاف درجة عالية من الفساد بين الحكام . فضيحة ووترجيت في واشنطن وما اسفرت عنه من حروج اول رئيس أمريكي من منصبه . استقالة نائب رئيس جمهورية امريكا ـ سبيرو اجنيو متهمة تلقي الرشوة في مكتبه في البيت الابيض ، فضائح رشاوى الشركات الكبرى ـ لوكهيد واى . ت ت وغيرها ـ لحكام كبار مثل تناكا رئيس وزراء اليابان ، والامير برنارد زوج ملكة هولندا وعدد من وزراء الحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا ، وانتحار وزير فرنسي من حزب جيسكار ديستان رئيس الدولة

الامر الثاني بين الحكام والمحكومين ـ فقد الثقة وعدم التصديق نتيجة خداعات نيكسون وكيسنجر في فيتنام وكمبوديا ، وتدخل السي آى ايه في اسقاط حكومة الليندى في تشيلي وفي تمويل أحزاب سياسية في ايطاليا ، وانكشاف محاولاتها لاغتيال سوكارنو وكاسترو وغيرهما .

ولاول مرة ، تتعرض الشركات العملاقـة المتعـددة الجنسيات لهجمات هائلـة على تخطيهـا لسيادات الدول وتلاعبها بالقوانين وافسادها الذمم على اعلى مستوى ، بعد ان كانت هذه الشركات ال MULTI NATIONAL في حالة تعاظم دائم منذ نهاية الحرب العالمية الاولى وقـد وقف العالم مبهورا امامها وكأنها أداة التقدم الجديدة ..

وأدت هذه الظروف التي حفرت اخاديد وآبارا من الشكوك وسوء الظن الى ظهور الحركات المتطرفة ، وحركات العنف وما سمي « بحرب عصابات المدن » ... وقد رأينا مظاهرها في ايطاليا حيث يقتل القضاة ورجال الدين وألدومورو رئيس الوزراء . وفي فرنسا وفي المانيا الغربية وفي اسبانيا ، وفي الولايات المتحدة بدءا من الجمعيات المسلحة التي خطفت قضاة « انجيلا ديفيز » الى العصابات التي اشتركت فيها باتريشيا هيرست . الى خطف الطائرات ، وقتل السفراء واغتيال القضاة

وانتشر في خط مواز .. سرقات البنوك الكبرى ، واختطاف اصحاب الملايين في مقابل فدية هائلة

ومع هذا كله . انتشار موجات تعتبر أن الفضائل القديمة صارت بالية فصارت حياة الرجل والمرأة حياة معاشرة دون زواج أمرا عاديا ، اعترفت به بعض المحاكم والاطفال غير الشرعيين تتباهي بهم الأمهات والآباء من كبار الفنانين على صفحات الصحف ، وصار لاهل الشذوذ الجسي نشاط وجمعيات ومظاهرات وصحف ومرشحون في الانتخابات ، وصارت الاميرة مرجريت اخت ملكة انجلترا تظهر في الصحف مع عشاقها واحدا بعد الآخر ،

وتأكد لكل الحراء أن العالم منقسم الى غني وفقير وأن الجزء الغني يزداد غنى وأن الفقير يزداد فقرا ، وأن البحث عن نظام عالمي جديد صعب كالامساك بالسراب وأن حلول الكارثة ربما كان أسرع من العثور على الحل

وفقد الانسان ثقته في آخر ما يتصل بأمنه الشخصي ، وهو عملة دولته وادخاره الخاص فأسعار العملات ترتفع وتهوى كما تتفجر الصواريخ الملونة وهي تتساقط واكتسحت المضاربة كل شيء حتى زعزعت أعمق أسس الاستقرار العالمي وعاد الانسان مهرولا الى أقدم ضمان كان يطمئن اليه وهو اقتناء الذهب

وبعد رحلة الانسان خلال قرون عبر النظريات والفلسفات ، عاد الى اقدم مطالبه وابسطها وهي حقوق الانسان .

العرب في البحار الهائجة . :

اما على المستوى العربي ، فقد كانت اهم احداث (السبعينات) ، التي تركت وستترك آثارا عميقة في حياة العرب . هي بدون ترتيب

١ - حرب اكتوبر ١٩٧٣

- استخدام سلاح النفط لأول مرة في معركة سياسية وبالتالي بروز الطابع السياسي للنفط .

- معاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية ، وما تلاها من تغيير في الخريطة

التلفريون   يتحكم في مواليد الثمانينات

الاستراتيجية للمنطقة وما طرحته من سؤال هائل عن العلاقات العربية المقبلة .

- ثورة الخميني في ايران ..
- تعاظم التضخم المالي في العالم
- تعاظم قيمة عائدات النفط على الدول العربية ، وما جلبه من مزايا ضخمة ، ومن مخاطر كبيرة على السواء .
- الحرب الاهلية في لبنان .
- التواجد السوفيتي في القرن الافريقي أو في اثيوبيا بالذات ... عند مدخل باب المندب الى البحر الاحمر ...
- التواجد الامريكي المسلح عند مدخل بحر العرب عند مضيق هرمز المؤدى الى الخليج .
- قرار ايران سحب ارصدتها من امريكا ، ورد امريكا بتجميد كل ما لايران من ارصدة في امريكا في البنوك الامريكية في اى مكان من العالم .

ـ الصراع المسلح غير المباشر بين الجزائر والمغرب ، من خلال « البوليساريو » في صحراء التي انسحبت منها اسبانيا ، والمطلة على المحيط الاطلسي ...

ـ دخول منظمة التحرير الفلسطينية الى الساحات الدولية التي كانت مغلقة دونها الذات دول غرب اوروبا ، ومحاولات امريكا للاتصال سرا بمنظمة التحرير ، مخالفة لك تعهدها لاسرائيل .

ـ الانقلاب الماركسي في افغانستان ، والثورة المضادة له ، المستمرة حتى الآن .

عشر سنوات من الاسئلة ..

عشر سنوات من الاجابات ؟

والواقع أنه من المألوف بوجه عام أن نجد كل عصر من العصور ، يجيب على أسئلة سابقة ، ويطرح اسئلة جديدة ... وتبقى في العادة أسئلة تستمر أزمنة متوالية دون جواب ...

.. ولكن هذا يظهر بوجه خاص ، في حالتنا نحن العرب ...

● ربما لأن الامة العربية بوجه عام أمة نامية ، فهي تجرب طريقها بعد سبات طويل ، وسط عالم خطر جديد .

● ولأنها ، في نفس الوقت أمة ذات حضارة عريقة وتراث تليد .. . فهي لا تبدأ من نقطة الصفر كبعض دول العالم الثالث الأخرى في أفريقيا وامريكا اللاتينية فليس لديها سوى التقليد ولكنها تنظر الى الأمام والى الخلف معا وتحاول أن تتقدم من خلال مزيج من الاصالة والتجديد الأمر الذى يجعل الاسئلة والاختبارات التي تواجهها أكثر عمقا وتعقيدا ...

● ولأنها فوق هذا وذاك مشغولة ـ فوق قضايا الهوية والوجود والتنمية ـ بقضيتين أساسيتين ، صار العالم كله شريكا فيهما : قضية فلسطين .. وقضية البترول ... الامر الذى جعل لها وضعا خاصا ، وجعل اجاباتها ليست متوقفة عليها وحدها ، ولا هي من شئونها الداخلية الخاصة فحسب ، بل هي جزء ملتهب وحساس من شئون العالم وشجونه !

لماذا اخترنا هذه الاحداث ؟

على هذا الضوء كان اختيار القضايا السابقة بالذات ، أو الاحداث التي اخترناها من صفحات السبعينات ...

مثلا ....
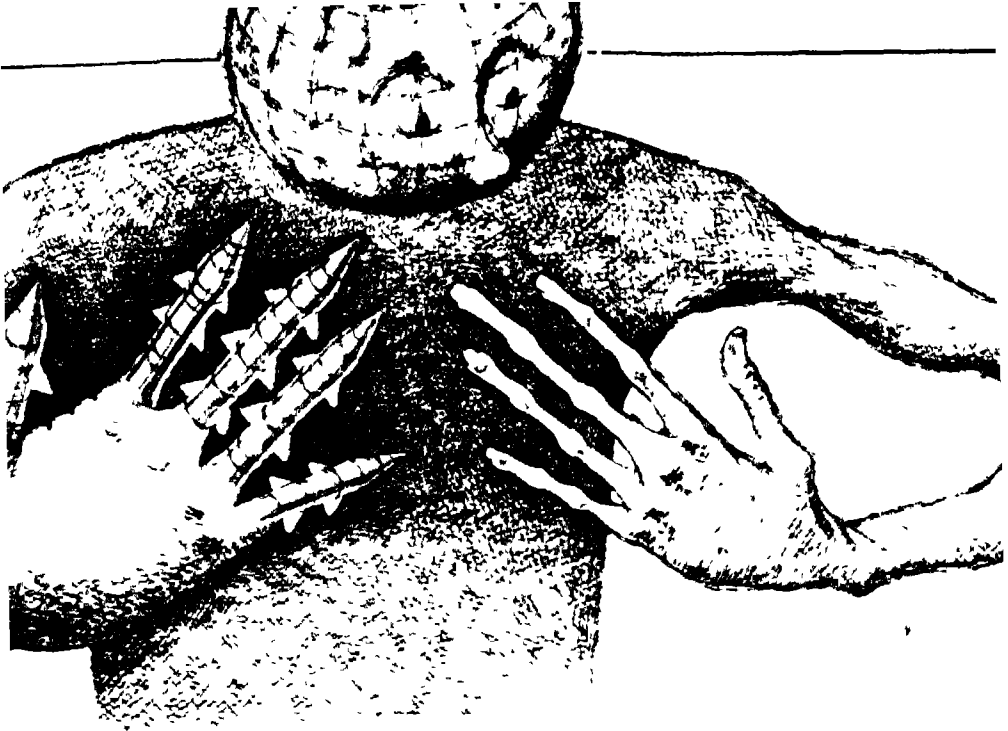
العالم   يد تكتظ بالسلاح   ويد تموت من الفقر

للرسام الفرنسى « تيـ

● في خلال السبعينات جربت بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر ، سلاح الحرب مع اسرائيل في سنة ١٩٧٣ ... ثم جربت دولة عربية هي مصر ، سلاح الصلح مع اسرائيل في سنة ١٩٧٧ . وقد تلا ذلك انقسام العرب انقساما استقطابيا حادا ، في مجال البحث عن الرد المناسب ازاء التحدى الاسرائيلي الحاد ، وها قد دخلنا الثمانينات والسؤال مطروح : هل الاجابة في أحدهما دون الآخر أم في كليهما معا ، وهو أحد أخطر الاسئلة التي أعتقد أن الثمانينات لابد وان تحسمها ، مهما تعددت الآراء ...

الثورة الفلسطينية

ان الثورة الفلسطينية خاضت الكفاح المسلح كأعنف ما يكون الكفاح ، من حروب المواجهة الى حروب التسلل الى العمليات الخارجية ... وهي الآن ـ الى جانب ذلك ـ تجتاز عتبات المحافل الدولية التي كانت محرمة عليها .. من وقفة ياسر عرفات في الامم المتحدة الى لقائه مع أقطاب « الدولية الثالثة » في فيينا .. فهل سيتكامل السلاحان .. او البندقية وغصن الزيتون كما قال ابو عمار في خطابه في الامم المتحدة ، أم سوف يتعذر الجمع بينهما ، ولا يكون هناك مفر من الاستمرار في اعتماد سلاح واحد منهما ؟

ثورة ايران

إن ايران ليست دوله عربية ، ولا هي من العالم العربي حين نستخدم هذا الاصطلاح ..

ولكن ايران دولة اسلامية ، والاسلام أهم عناصر روح العروبة وأقوى وجوه تراثها ، واكثر ما يشكل تكوينها النفسي ...

وهناك محاولات عدة لاقامة دول اسلامية تجمع بين القديم والجديد : من ضياء الحق في باكستان الذى يبدو انه لا يفعل اكثر من محاولة الباس نظامه العسكرى ثوبا اسلاميا مشكوكا فيه . الى الرئيس القذافي الذى يقدم تجربة من نوع آخر .

والخميني ، لأنه في دولة تعدادها خمسة وثلاثون مليون نسمة ، متعددة الهويات والجنسيات لا يربطها الا الاسلام ، يحاول محاولة ، تعطيها هذه الظروف أهمية خاصة ...

وهو يحاول أكثر التجارب « سلفية » ، ويريد أن يثبت امكانية ادارة دولة حديثة ، منطلقا من النقطة التي ترك عندها الامام على بن ابي طالب المسلمين ، وبالتالي فنجاح المحاولة أو فشلها امر سوف يترك آثارا عميقة في دنيا العرب وفي مستقبل التيارات الدينية فيها .

سلاح البترول

لقد كان العرب هم أول من استخدم سلاح البترول . ومنذ رفع الاسعار سنة ١٩٧٣ تغيرت صورة الدنيا كلها الى غير رجعة . ومنذ ذلك الوقت صار البترول سياسيا ، بعد محاولات لابعاده عن السياسة دامت منذ اكتشافه تقريبا .

الان استخدمت ايران ، بطريقة اخرى سلاحين من اسلحة العرب ؛

- سلاح البترول ، بقرار من نوع آخر هو قطعه تماما عن احدى الدول الكبرى المستهلكة ، وهي أمريكا ...

- وسلاح سحب الودائع والأرصدة . وهو سلاح موجود في ترسانة العرب ولكنه لم يجرب بعد . وقد ردت عليه امريكا بتجميد هذه الودائع والأرصدة كلها . ولم نعرف حتى ساعة كتابة هذه السطور ، من الفائز ومن الخاسر في هذه الساحة .

وسيكون لهذا أثره على التفكير العربي فاما أن يعتبره سلاحا ما زالت له فعاليته ، واما أن يعتبره العرب سلاحا قد فقد فعاليته ، فيطرحوه من قائمة ما في ترساناتهم . وفي كلا الحالين سوف يكون للحدث تأثير على توجيه المال العربي واستثماراته ، الأمر الذى يطرح أسئلة حيوية خطيرة ، تهم العرب وتهم العالم .

الحروب كلها من أجل الذهب والثراء !

لوحة رسمها بيتر بروجل سنة ١٥٦٤ معروضة حاليا في المتحف البريطاني

● اقتراب الوجود العسكرى السوفيتي من اطراف الكتلة العربية عند باب المندب ، واقتراب الوجود العسكرى الامريكي المباشر من اطراف الكتلة العربية عند بوابات الخليج ... هل يترك العرب ـ وهم متفرقون ـ الدول الكبرى تواصل لعبتها أم يتمكنوا ـ مجتمعين ـ من ابعاد هذه اللعبة الجهنمية عن حياضهم ، وان يحتفظوا لانفسهم باليد العليا في تصريف مقدراتهم ؟ ...

هل يتقهقرون كما حدث للعثمانيين شرقا والاندلسيين غربا أمام مد خارجي جديد ؟

ام يثبتون ويصمدون ، كما فعلوا عندما دمروا امبراطوريات كسرى وبيزنطة وروما ، بشباتهم الداخلي ومثلهم العليا الجديدة ، اكثر مما فعلوا بقوة السلاح ، الذى كان اكثر وفرة في ايدى خصومهم واقل كمية في ايديهم ؟

● واخيرا ، وهو في الواقع أولا في سياق هذه الامثلة ، هل يعثر العرب على انفسهم ، ويكتشفون هويتهم ، وبالتالي يسهل تكاملهم لا تناحرهم ... ام تتهاوى صفوفهم ازاء الغزو المعنوى الاجنبي ؟

[illegible]

١ ـ [illegible]	[illegible]
٢ ـ [illegible]	اغتيال
٣ ـ شاه ايران	ثورة
٤ ـ [illegible]	ثورة
٥ ـ سوموزا (نيكاراجوا)	ثورة
٦ ـ الملك فيصل	اغتيال
٧ ـ الليندي (تشيلي)	انقلاب
٨ ـ فان ثيو (فيتنام)	هزيمة عسكرية
٩ ـ اليمن الشمالية : ابراهيم الحمدي	اغتيال
١٠ ـ احمد حسن الغشمي	اغتيال
١١ ـ اليمن الجنوبية : سالم ربيع علي	ثورة
١٢ ـ ذو الفقار بوتو (باكستان)	اعدام
١٣ ـ مجيب الرحمن (بنجلاديش)	اغتيال
١٤ ـ [illegible]	انقلاب
١٥ ـ [illegible] (اوغندا)	غزو
١٦ ـ بوكاسا (افريقيا الوسطى)	غزو
١٧ ـ بارك (كوريا الجنوبية)	اغتيال

ان نسبة الأمية في بلادنا كاسحة ...

وللخرافات من القدرة ما تنافس به العقل . .

والعالم الخارجي ، في عصر الكتب والصحف والاذاعة والتلفزيون ، وشتى وسائل الاعلام ، أقوى منا في نشر آرائه ومعتقداته وأمراضه ، وكمالياته وتقاليده وأنماط أخلاقياته ؟

ان الثمانينيات سوف تكون حاسمة !
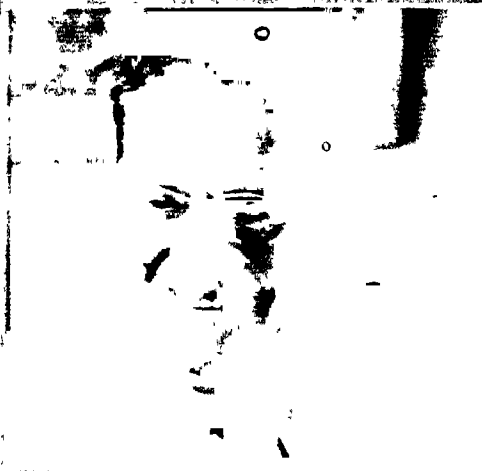
ويليه في الاقدمية الماريشال تيتو، الذي حكم يوغسلافيا منذ سنة ١٩٤٣، أي منذ حوالى خمسة وثلاثين عاما .

أما الثالث في الترتيب فهو الحبيب بورقيبة الذي تولى السلطة في تونس منذ استقلالها سنة ١٩٥٠، أي منذ حوالى الخمسة والعشرين عاما .
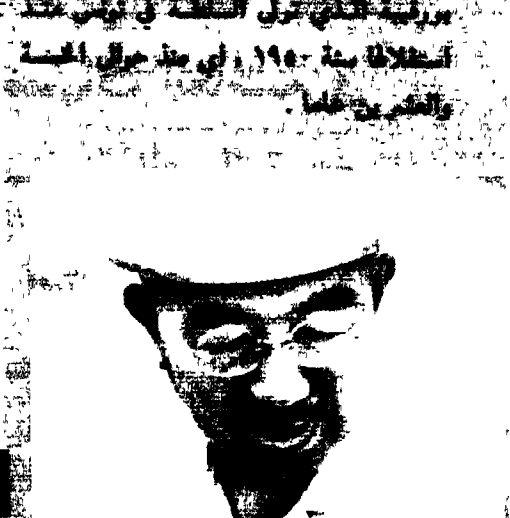
لان تشابكنا مع سائر العالـم سياسيا واقتصـاديا وبشريا واجتماعيا سيصـل الى أقصاه . كالمتصارعين حين يحتضنان بعضهما من شدة الصراع ، وحتى يجد احدهما في غريمه مقتلا ...

وأول ضمان لنا أن نفكر في هذه الأمور بجدية وأن نسمح بمناقشتها علنا .. دون تعصب .

ودون قيد على الحرية !

■■

احمد بهـاء الدين

«العربي» تسأل وقادة الرأي العام

دولة فلسطينية ؟ وحدة عربية ؟

وجهت مجلة « العربي » عدة اسئلة الى عدد من الشخصيات العامة في الحياة العربية الاسئلة التالية عن توقعات الثمانينات :

■ هل تقوم الدولة الفلسطينية في الثمانينات ؟

■ هل تقوم وحدة او وحدات عربية ما ؟

■ هل تقوم حرب عربية اسرائيلية جديدة ؟

■ هل تنشب حرب عالمية ثالثة ؟

يجيبون عن توقعات الثمانينات :

حرب اسرائيلية ؟ حرب عالمية ؟

الدكتور مراد غالب
وزير خارجية مصر السابق

● الدولة فلسطينية .

تتعاظم الفرص أمام الشعب العربي الفلسطيني لتحقيق آماله في قيام دولته يوما بعد يوم ، ويكتسب أرضا جديدة بكفاحه ومثابرته ووعيه التام بحجم المعركة التي يخوضها وتعقيداتها وعلاقات القوى العربية والمحلية والدولية .ولقد استطاع في السنة الاخيرة ان يحرز انتصارات واسعة بين الرأى العام الاوربي دعمت من قضيته وقربته الى تحقيق آماله وأهدافه .

بل ان الشعب الفلسطيني نجح اخيرا في فرض قضيته على الرأى العام الامريكي ووجد في قطاعات هامة من المجتمع الامريكي من يعطف على هذه القضية ويتبنى حلا عادلا لها ، ويقف امام مراكز الضغط اليهودية ، التى انفردت بالتواجد حتى هذه المرحلة ويكفى انها وصلت الى ان تأخذ مكانا بارزا في معركة الرئاسة الامريكية .

ولكن ذلك لايزال يتطلب الحشد العسكرى والاقتصادى والسياسى للجبهة العربية ومهارة التمييز بين التكتيك والاستراتيجية . والتحليل الواقعى الصحيح لعلاقات القوى وتكثيف الجهود في المجتمع الأوربي والامريكي .

واعتقد أن الثمانينيات ستشهد قيام دولة فلسطينية حديثة

● الحرب المحلية في الشرق الاوسط ؟؟

يحتاج الامر الى استعراض عدة ملابسات . ذلك ان منطقة الشرق الاوسط تعتبر من أكثرالمناطق اهمية استراتيجية في العالم لموقعها في الجغرافيا السياسية ، وما تحويه في باطن أرضها من مصادر الطاقة والبترول ، في زمن تعد فيه الحضارة الحديثة حضارة بترولية

● لكننا نحن العرب مازلنا غير قادرين على ان ن في مستوى الموقع سياسيا ، ولا أن نكون في سوى ثروات هذا الموقع علميا وتكنولوجيا

● واذا أضفنا الى ذلك ان من يسيطر على هذه طقة قد يخل بالتوازن بين القوى العظمى تراتيجيا ،

وان اسرائيل مازالت تسير في سياستها معتقداتها ، وفي مقدمتها

محاولة عزل مصر عن العالم العربي ، وهي بذلك تحاول عزل اقوى قوة ضاربة في المنطقة واتها لازالت تحتفظ بتسليح خطط له لكي يكون متفوقا تفوقا تاما على جميع التسليح العربي ، بل واحتمالات تدخل قوى جنبية بجانب العرب

رغم معاهدة الصلح بينها وبين مصر فلازالت تحتفظ بكل امكانياتها العسكرية المتفوقة وهذا يطرح تساؤلا عن الهدف وراء هذا التسلح

العلاقة الخاصة بينها وبين النظام العنصري في جنوب افريقيا وما نشر عند قيام هذا النظام بتفجير ذري وهذا معناه ان اسرائيل هي التي قامت بهذا التفجير ، ومن العجيب ان يسدل ستار كثيف على هذا الخبر من اجهزة الاعلام العالمية

اصرارها على املاء السلام الذي تراه هي وحدها ويتفق مع مصالحها

استمرارها في دورها التاريخي « كسوط » يؤدب كل من تسول له نفسه مقاومة سيطرتها وتحدي سطوتها وتنصيب نفسها حامية للمصالح البترولية والحضارة الغربية في المنطقة

استمرارها واصرارها على ان تكون القاعدة الام للحركة الصهيونية واعتمادها على حركة دولية لاتمت بصلة الى منطقة الشرق الاوسط

ثم ينبغي ان نضع في الاعتبار بعد ذلك الصراع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بين العرب انفسهم وفي داخل كل بلد عربي ـ مصير الثورة الايرانية ومسارها ـ مصير الثورة الافغانية ومسارها ـ القوى العظمى والقوتين الاعظم وعلاقاتهم بالمنطقة ـ المشاكل القومية ومستقبلها

كل هذه العناصر او بعضها تجعل الانسان اكثر ميلا الى ترجيح استمرار الصراعات في المنطقة والتي قد تتخذ شكل حرب محدودة

● الحرب العالمية الثالثة

ان قيام حرب عالمية ثالثة ـ وهي بالطبع ستكون حربا نووية ـ تعني في واقع الامر فناء عالمنا هذا وتحطيم حضارة الانسان ودفع عجلة التاريخ الى ما قبل التاريخ وهذا يجعل احتمالات وقوعها مرفوضة من مشاعر البشر ووجدانهم ، ومسودة من تفكير الانسان وخياله

ولاول مرة في تاريخ البشرية ـ وبفضل الاكتشافات العلميه الهائلة اذا كان في هذا فضل ـ تتحول الحرب العالمية من حرب تجمعات ضخمة من البشر الى حرب فناء للبشرية كلها والكوكب الذي نعيش فيه

ولكن هل نستطيع ان نقول بأن الحرب العالمية الثالثة مستبعدة تماما وهل يضمن احد عدم وقوعها ؟ ؟

هناك ظواهر صحية في العلاقات الدولية والانسانية ، ومن أبرزها ادراك البشرية جمعاء ووعيها التام لمخاطر هذه الحرب وما تعنيه من انتحار جماعي للبشر

كذلك يستمر الحوار بين القوتين الاعظم للوصول الى اتفاقيات الحد من الاسلحة الاستراتيجية وما تعكسه من ادراك ورغبة في تجنيب العالم ويلات حرب عالمية ثالثة ثم الاتجاه الى حل المشاكل بالطرق السلمية والسياسية الخ

ولكن هل توقفت اسباب الصراع بين القوتين الاعظم وبين المعسكرات المتنازعة في عالمنا المعاصر . أم انها تتخذ اشكالا جديدة يحتمها التطور في اسلحة الدمار الحديثة والعلاقات الاقتصادية الجديدة وازمات

الطاقة والطالة والتعبير الذى طرأ فى تراكم رؤوس الاموال العالمية والتخلف ومشكلة العداء والانفجار السكانى الخ هذه المشاكل ؟

وهل اوقف العلماء حياتهم عن اكتشافات علمية تهز البشرية وتضع فى ايديهم اسلحة جديدة اشد فتكا وتدميرا ؟ ؟

وهل تلاشى حلم العلماء الابدى فى الوصول الى السلاح المطلق ال absolute وال break through وسلاح السيطرة التامة والاخضاع الذى لا قيامة من بعده ؟ ؟

ثم ان العلاقات الانسانية حركة حية والتغيير المستمر ظاهرة وواقع اساسى وتاريخى . فمن الذى يمنع من أن يقع تغيير فى منطقة ما تعتبرها احدى القوتين انقلابا فى موازين القوى وتهديدا استراتيجيا لكيانها بل وبقائها ؟

ثم ما هى احتمالات حرب درية تكتيكية محدودة وما ضمان احتجازها فى هذا الحيز المحدود وعدم تحولها الى حرب عالمية

من الصعب تغطية احتمالات الحرب العالمية الثالثة والدوافع التى تستند فيها الى استبعاد وقوعها او تأكيده فى هذه المساحة الضيقة

ولكنى مع ذلك ارجح عدم وقوعها . فيما زلت أومن بحكمة القادة والعلماء والرأى العام العالمى ورغبتهم جميعا فى عدم الانتحار الجماعى ونجاحهم حتى الان فى استبعادها والسيطرة على احتمالاتها ولا اتصورهم اقل حكمة وتعقلا فى الثمانينيات عنهم فى السبعينيات

● لكنى أشدد على أن أخطر ما يواجه العلاقات الدولية من أزمات سيظل كامنا فى شعور احدى القوتين والمعسكرين بان ميزان القوى قد اختل نتيجة لتغير موازين القوى فى منطقة حيوية لا تحتمل هذا التغيير . وعلينا مراقبة علاقات الثالوث الاكبر الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى والصين ■■

ميشيل جوبير

وزير خارجية فرنسا السابق

لست من الذين يرجمون بالغيب عندما أتناول احتمال قيام الدولة الفلسطينية ، ولكن هناك مجموعة من الحقائق تلقى الضوء على المستقبل . وأول هذه الحقائق أنه منذ سنوات والشرق الاوسط يخضع للعبة المنافسة « المحكومة » بين كل من الامبراطورية الروسية والامبراطورية الامريكية . واستغلت هذه المنافسة القضية الفلسطينية فى جانبها الظاهر ، من جانب هذا الطرف أو ذاك ، واستفاد منها الواحد تلو الآخر . وبقيت احتمالات تدخلها قائمة بشكل دائم

وخلف هذه الصورة بقيت عدة عوامل فاعلة فى الموقف . القوى الكبرى والحقائق الجغرافية والحقائق التاريخية ، والجانب الاساسى فى الصراع . وجميعها تفرض على المجتمع الدولى ثلاثة أمور الوضوح والاختيار ، واتخاذ القرار والكل يعرف أنه فى حالة عدم تسوية القضية الفلسطينية ، لن يوجد الاستقرار لا فى الشرق الاوسط ككل . ولا فى أى من دولة على حدة

وهذا الموقف يمكن معالجته باحدى وسيلتين ، اما على أساس العدل والمساواة ، أو عن طريق القوة ، وواضح أن الاحداث أثبتت حتى الآن ، أن طريق القوة كان هو الاختيار دائما

نتيجة لذلك أصبح الصراع العربي الاسرائيلي لذي لم يتوقف عن الحركة ـ يمثل حالة من الصراع ائم الذي يرتدي لكل ظرف ووقت ثوبه الخاص

وهكذا فاما أن يعالج الصراع بتركه على اعتبار أنه الة من الصراع الدائم ، وأنـا أعـارض ذلك ، أو أن رض تسوية دولية تكرس واقعا أفضل يقوم على أساس ق الوجـود الاسرائيلي المتمثـل في دولـة ، والواقـع لفلسطيني وأمانية المشروعـة التـي تقـود الى الدولـة لفلسطينية .

اما بالنسبة لاحتمال تشـوب حرب عربية اسرائيلية جديدة ، فهو تساؤل يدهشني في الواقع ، لانه يتعلق بمواجهة لم تنته منذ عام ١٩٥٦ وقد احذت عام ١٩٥٦ لكي لا أذهب بعيدا ، فالمواجهة لم تتوقف سواء اتخذت شكلا ظاهرا عنيفا او مرت بحالة من الهدوء وفي عام ١٩٧٣ انفجرت اعمال العنف واشتعل القتال بين مصر مؤيدة من حانب دول عربية وأخرى أجنبية ، واسرائيل المؤيدة من حانب الولايات المتحدة الامريكية ، وفي النهاية أقول ببساطة انني أرى ان شيئا لم يسو

ولكن حدث بعض التغير في عام ١٩٧٤ ، فمنذ هذا التاريخ ، التزمت الولايات المتحدة بدور الحكم فيا بين المصالح المختلفة لدولتين تربطهما بها علاقات ود ، وهما مصر واسرائيل ، مما حول المسألة العـربية الاسرائيلية بحكم الامر الواقـع الى مسألـة امـريكية ـ وبـدت الولايات المتحدة منذ تلك اللحظـة وبشـكل ملمـوس توازن بين المصالح المختلفة لكل من مصر واسرائيل

اما احتمالات قيام الوحدة العربية فهي قضية تتعلق بأمر تتشابك اطرافه بصـورة متعاكسة ، سواء على أساس شخصي أو بالنسبة للممارسات التي تتعلق بالمصالـح الشرعية ، ومن حانب آخر توجد اماس جماعية ومشاعر عامة منها اللغة والدين والتي تعود الى قرون بعيدة ، ولهذا ظهرت الى الوجود فكرة الأمة العربية الواحدة ، وقد تحققت الوحدة العربية في التاريخ القـديم ، وستستمـر الفكرة مع استمرار هذه العوامل

وفيا يتعلق باحتمالات نشوب حرب عالمية جديدة ، فانه منذ عام ١٩٤٥ لم تتوقف الصراعات على هامش كل من الامبراطوريتين الروسية والامريكية . وبقيت المشكلة الراهنة تدور حول ما اذا كانت القوتان الكبيرتان ستستمران في العمل معا من اجل الوصول الى تسوية النزاعات التي لا تؤثر بشكل جوهري على علاقـاتهما الثنائية المتبادلة ؟ ؟

كما أن هناك قضية أخرى تهدد السلام العـالمي ، فمن الواضح أن الولايات المتحدة الامريكية تقع على عاتقها مسئولية الفوضى النقدية العالمية الحالية ، وهي المستفيد الأساسي منها ، وهذه الفوضى بطبيعتهـا تخـل بتوازن رئيسي يمكن أن يمس ان آجلا أو عاجلا العلاقات السوفيتية الامريكية القائمة ، رغم الرغبـة الواضحـة لكل منهما على تجميد الوضع الراهن خدمة لمصالحهما ولكن العالم بطبيعته متحرك وليس ساكنا ، وهناك أمور كثيرة ستتحرك وتتفاعل تحت سطح النظام الحالي وتعلى لكي تطفو على سطح هذا النظام الـذي ينطـوي على الاستغلال والذي يمس الدول المنتجة والمستهلكة على السواء فحتى اذا لم نتحدث عن بسط نفوذ الدولتين الكبيرتين روسيا وامريكا على كوكبنا ، الذي تحقق لهما وخدم مصالحهما من خلال الاتفاقيات التي عقدت بينهما ابتداء من اتفاقية يالتا في فبراير عام ١٩٤٥ وقبـل ان تصمت مدافع الحرب العالمية الثانية

يبقى السؤال الجوهري وهو هل يسمح هذا الوضع بالتعجيل بتسوية الخلافات في العلاقـات السـوفييتية الامريكية أو في تعطيل هذه التسوية . ؟ ؟ ■■

الدكتور جورج طعمة

مندوب سوريا السابق في الامم المتحدة

لا اتوقع قيام دولة فلسطينية حددت من قبل منظمة التحرير الفلسطينية والدول المساندة لها بقيام هذه الدولة في اصغر صورها على الضفة الغربية وغزة وذلك للاسباب التالية

١ ـ كشفت المنظمة اوراقها فيا تريد ، وهو الحد الادنى التي طالبت به ، ورفضته اسرائيل وامريكا ، وصرح الرئيس الامريكي بان ما يهمه بالدرجة الاولى في هذه المرحلة المقبلة المباشرة انما هو « امن اسرائيل » ، وانه غير مستعد باي شكل ان يضغط على اسرائيل في اتجاه يعاكس مطالبها

٢ ـ تزايد الحديث عن « فتوحات » فلسطينية في عواصم الغرب ومع زنوج امريكا ، واثيرت ضجة حول لقاء عرفات ـ كرايسكي ، لما الذي طرحه كرايسكي على عرفات . ؟ قال اوافق على الحكم الذاتي الذي تقترحه اسرائيل ، يتم بعده الوصول الى صيغة « كنفدرالية » بين اسرائيل والدولة الفلسطينية العتيدة

وهذا دون المطلب العربي في حدوده الدنيا

اما موقف زنوج امريكا ، فتتكشف في جولة اندرو يونغ في سبع دول افريقية طالب خلالها باعادة العلاقات بين هذه الدول واسرائيل ، ومن ناحية اخرى طالب القس جاكسون الدول العربية النفطية بتمويل المشروعات الزنجية في امريكا ثمنا لتأييد الأمريكان السود للقضية الفلسطينية .

ومن هذا يتبين ان المكاسب التي تحققت كانت مجرد تمنيات او رغبات . !

٣ ـ اذا اعتبرنا « اللعبة الدولية » هي لعبة قوى تتصارع بعضها مع بعض في حساب دقيق . وانتقلنا الى تقييم قوانا مقارنة بالقوى الاخرى ، فسنجد اننا تخلينا عن ما لدينا من قوى سياسية او استراتيجية او نفطية او اقتصادية ، الذي كان يمكن المطالبة بتحقيق مطالبنا مقابلها .

هذا رغم قبولنا بالحد الادنى ، الا ان هذا الحد الادنى لا تقبل به اسرائيل ، ومع الاسف نحن نعيش بدون ذاكرة تاريخية ، فاسرائيل رفضت خلال الثلاثين عاما الماضية كافة المشروعات التي تقدمت بها المنظمة الدولية او الوسطاء .

ولا اعتقد ان العقيدة الصهيونية ، التي انتقد تعنتها احد كبار قادة الصهيونية ومؤسس اسرائيل ناحوم جولدمان ، والتي لم تتحول او تتغير باي شكل ..

لكل هذا لا اعتقد ان اسرائيل تقبل قيام دولة فلسطينية ... !

اما احتمالات قيام الوحدة العربية خلال الثمانينات ، فمعذرة اذا بدأت حديثي بتجربة شخصية وعاطفية ، فقد عايشت تجربة قيام الجمهورية العربية المتحدة عندما كان لي شرف ان اكون بين اول الممثلين الذين مثلو دولة الوحدة في نيويورك في المنظمة الدولية خلال فترة الوحدة بكاملها واختبرت كقومي عربي مرارة الفشل ، وما رافق تلك التجربة التي كانت حلم الاجيال العربية من احباط واسى .

وماذا عن المستقبل . ؟

ان الوحدة وليدة تفاعلين ، احدهما داخلي والثاني خارجي ، اما الداخلي ، فهناك آمال الامة ورغبتها وطموحها في الوحدة ، وتطلعات الشعب العربي الى تحقيقها ، وهذه الآمال في أيدي الحكومات العربية

وتقول تجارب الماضي ، ان الحكومات لا تتحرك نحو

تحقيقها ، سواء لعجز ذاتي ، او لانها تقول مالا تفعل وتفعل مالا تقول ، وربما لانها سجينة الاقليمية التي ورثتها عن الاستعمار ..

وهذه الاسباب الذاتية ولدت عجزا عربيا داخليا جعل تحقيق الوحدة مطلبا شبه مستحيل ..

وبما اننا نعيش في مجتمع دولي يلعب العامل الخارجي دورا فيه فالقوى العظمى لا تريد للعملاق العربي ان يقف على قدميه

وللاسف لا توجد انظمة حكم تتيح للمواطن العربي أن يتمكن بواسطة مؤسساته من تحقيق الحد الادنى من مطالبه الوحدوية

وبالتالي لن تقوم وحدة عربية ضمن هذه الظروف

ولا ارى امكانية وقوع حرب عالمية ثالثة فـ « ميزان الرعب » الذي قامت عليه موازين القوى في العالم بعد الحرب العالمية الثانية وقيام الامم المتحدة لا يسمح بقيام هذه الحرب التي تعني فناء البشرية جميعها

والدولتان « الاعظم » تعرفان وتسلكان في علاقاتهما الدولية على اساس ادراك عميق لهذه الحقيقة ، فالوفاق الدولي الذي تحقق ، ليس صدفة ، بل وليد حسابات دقيقة وتتفاهم الدولتان الكبيرتان في جميع المناطق الحساسة ، في اوروبا الغربية والشرق الاوسط والخليج العربي وجنوب غرب آسيا ، وقد يصلان الى حافة الهاوية ، ولكنهما سريعا ما يتراجعان .

اما العنصر الجديد والخاص بتدهور الاقتصاد العالمي ، فهو بالدرجة الاولى مشكلة امريكية غربية فلا ترغب امريكا وغرب اوروبا واليابان في تغيير نمط حياتهم ومعدل استهلاكهم ، فاستهلاك الطاقة يزيد ولا ينقص ، مما يعني المزيد من التضخم والكساد والبطالة

والمطلوب ان يقدم العربي من موارده النفطية القابلة للنضوب وقودا لهذه الحضارة الصناعية الجشعة !

اما موقف الاتحاد السوفيتي ، فانه يشتري غاز ايران ، والارقام تقول انه سوف يصبح مستوردا للنفط ، وأمامه النفط العربي ، مما يعني ـ في تقديري ـ مزيدا من التفاهم والتوافق بين الدولتين « الاعظم » في منطقتنا العربية ذلك التوافق الذي يكون استمرارا للوفاق القائم بالفعل ، ودلائله تواجد الاتحاد السوفيتي في اليمن الجنوبية وسكوت امريكا ، واتخاذ الاتحاد السوفيتي موقفا مؤيدا لموقف امريكا في ازمة ايران ورفض السوفيت طلب ايران عقد جلسة لمجلس الامن ، فالوفاق قائم في مناطق الازمات القائمة بالفعل او المحتملة الوقوع .

ويلاحظ ايضا إقتسام الدولتين الاعظم لمناطق النفوذ في الشرق الاوسط ، اما بصورة واضحة ، اي لا تتدخل احدى الدولتين الاعظم بمنطقة الدولة الاخرى ، او بالسماح بامتداد هذا النفوذ الى الحد الذي لا يمكن ان يضر بمصالح الدولة الاخرى

ولكن هذا الانقسام ينبغي ان ينبه الشعوب الصغيرة امثالنا الى قواعد هذه اللعبة ، او بالاصح الى ذلك الارهاب الدولي الذي يمارس علينا ، ونرفض ان نكون فرس رهان بين الدولتين الاعظم ، نسعى ان نجعله وفاقا لنا وليس علينا ، لا ان نقف الى جانب احد الدولتين التي هي امريكا ، ونترك في بنوكها الودائع العربية التي تدفع عليها فائدة تصل الى ٤ او ٥٪ في الوقت التي تصل الفوائد فيه الى معدل من ١٤ الى ١٦٪ ، ويصل مقدار التضخم الثابت في امريكا الى ١٢٪ ، فيقوم العرب بسد قسم من العجز المالي في امريكا والغرب ، في الوقت الذي توجد فيه بعض الاقطار العربية في امس الحاجة الى سد عجزها

ومع كل هذا نتحدث عن الحياد .

فاين هو هذا الحياد في تلك المجابهات التاريخية الكبرى ؟

واين هذا الدور الذي يجب ان نؤديه خدمة لقضايانا القومية ، وان نعرف مصلحتنا البعيدة عن صراع الجبارين

واين هذا الذي يقع من النظرة المستقبلية التي تطرحها مجلة العربي ؟ ! ■■

ميشيل ابو جودة

رئيس تحرير جريدة النهار

١ ـ الدولة الفلسطينية

ليس هناك من امكانية للتكهن بموعد محدد لتحقيق الدولة الفلسطينية ، لكن المتتبع للاحداث يمكن ان يقرأ فيها ، ويستنتج ان الدولة الفلسطينية تبدو الحل الذي لا بد منه للوصول الى انهاء الصراع العربي الاسرائيلي عبر التصدي لأصعب حلقات النزاع ، اى الموضوع الفلسطيني . طبعا هناك احتمال في مثل هذا النوع من المتوقعات ان تحدث مفاجآت ، او تغييرات سياسية او احداث عسكرية تتأثر بتغيرات دولية معينة ، فتؤدي الى حرف مسار الاحداث ، او تأجيل حدوث ما كان متوقعا ، لكن هناك جملة مؤشرات تدفعنا الى الاعتقاد بان الثمانينات ستشهد قيام دولة فلسطينية .

على رغم المخاوف التي يمكن ان يسببها قيام مثل هذه الدولة لكثيرين

طبعا قيام مثل هذه الدولة سيسبقه مخاض طويل ، لكن قيامها يبدو المخرج الوحيد الممكن

٢ ـ وحدة او وحدات عربية

بالنسبة لقيام وحدة او وحدات عربية وعلى الرغم من انتكاس معظم التجارب التي قامت ، او على رغم ما عاشته المحاولات التي تمت في هذا الاتجاه ، فان الدول العربية تجد نفسها مضطرة الى اشكال من التنسيق اقوى من مجرد الانتماء الى الجامعة العربية

كل الارقام تشير الى ان المنطقة العربية بثرواتها وبمراتها ، وباهميتها الجغرافية والسياسية ، ستكون محط انظار واطماع الكبار ، يجب ان لا ننسى ان هذه المنطقة تنام على النفط وهو مفتاح الاستقرار في العالم الصناعي ، واذا كان من مصلحة الكبار ان تظل الدول العربية مفككة فان حكام المنطقة وشعوبها يشعرون باستحالة مواجهة التحديات دون ارساء اشكال من اللقاء والتنسيق قد لا تكون على غرار تجارب الدمج السابقة ، ولعل التجربة التي قيل انها ستبدأ في الخليج ، مهمة ، فهي تشير الى توجهات وحدوية ، تحترم ظروف وخصوصيات كل بلد ، وتهتم بأمن المنطقة والسياسة الخارجية ، والمسائل القومية

٣ ـ حرب عربية اسرائيلية ..

بعد المعاهدة المصرية من حق المرء ان لا يتوقع قيام حرب عربية اسرائيلية لاسباب منها ان مثل هذه الحرب صعبة القيام من الجانب العربي نظرا للخلل الاستراتيجي الذي احدثه خروج مصر ، ثم ان اعادة التوازن تستدعي لقاء سوريا عراقيا فلسطينيا يدعمه النفط العربي ، من جانب اسرائيل فان حربا تقوم بها ستهدد السلام المصري الاسرائيلي فضلا عن انها ستعقد اوضاع المنطقة ـ ولكن اكثر من ذي قبل ـ وسياسة ومصالح الولايات المتحدة في المنطقة

هذا مع الاخذ في الاعتبار ان حرية الفرقاء المحليين في الذهاب الى الحرب مشروطة بالعلاقات السائدة بين الدولتين الكبيرتين ، وما اذا كان الشرق الاوسط ، صالحا لتجرى فيه اختبارات قوة محدودة

٤ ـ حرب عالمية ثالثة ..

بعد ازمة النفط ، وجنون الذهب ، وتصاعد موجة التضخم والبطالة ، واستمرار سياسة التسلح ، واستمرار

لصراع العربي الاسرائيلي ، والاختراقات السوفيتية لكوبية في افريقيا وما عاشته جنوب شرق آسيا ، والتحذيرات السوفيتية لاوروبا من تركيز صواريخ معينة فيها ، وخروج الصين في حلها على الهيمنة ، كل هذا دفع البعض الى توقع قيام حرب عالمية ثالثة ، الا ان الاعتقاد الاقوى ، يظل يدور حول استمرار تصارع العملاقين تحت مظلة الوفاق ، طبقا مع استمرار الحروب المحدودة والتفجيرات المحلية

فخيار الحرب العالمية اليوم مختلف عنه سابقا ■■

مايكل آدمز

رئيس تحرير مجلة الشرق الاوسط الانجليزية

الدولة الفلسطينية ...

ازدادت المساندة لحق تقرير المصير بالنسبة للفلسطينيين وتأثير دولة فلسطين مستقلة عام ١٩٧٩ ، فبتأييد كرايسكي مستشار النمسا ، وزيارة ياسر عرفات لاسبانيا ، ومساندة اغلبية اعضاء الامم المتحدة ، كل هذا قد زاد من الضغط على الدول الغربية للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولمساندة حق الفلسطينين في تأسيس دولة لهم

ان صدور بيانات متتالية من الدول التسع اعضاء المجموعة الاوروبية ، والتي كان آخرها واقواها ذلك الذي اصدره وزير الخارجية الايرلندية والذي تحدث باسم المجموعة كلها في الجمعية العامة في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٧٩ ، قد أكد حق الفلسطينيين في اقامة وطن لهم ، « وحقهم في تحديد مستقبلهم كشعب »

ويستمر الموقف الامريكي متأثرا بشكله التقليدي بمساندة الولايات المتحدة لاسرائيل ولكن هذا الموقف تغير بشكل ملحوظ عندما أدى عناد « بيجن » الى تنفير الرأي العام الامريكي .

فعي هذه الظروف لا مفر من ان ينحر الفلسطينيون اقامة دولة مستقلة في العقد القادم

حرب عربية اسرائيلية جديدة ...

يمكن توقع ان تحاول اسرائيل افشال التحرك نحو الاستقلال الفلسطيني بكل الطرق ويشكل الاضطراب المستمر في لبنان نقطة حطرة ، قد تستغلها اسرائيل كمبرر لشن حرب تلقي بالشرق الاوسط الى الفوضى

ان مثل هذا التحرك قد يبدو غير محتمل الوقوع ، لان من المتوقع انه حتى الولايات المتحدة ستدين اي عمل قد يزيد من تعريض مصالح امريكا في الشرق الاوسط للخطر

ان الشيء الوحيد الذي قد يرود الاسرائيليين بمبرر لشن حرب ، لن يكون الا باستنفزاز خطير من جانب العرب مثل عودة « الارهاب » الفلسطيني على مستوى دولي والا فانه اذا كان من المستحيل التحكم في خطر تجدد الحرب ، في منطقة بها الان مثل هذه الكميات من الاسلحة الحديثة فهناك عاملان يجعلان من انفجارها شيئا غير محتمل

ان قلق العالم على الامدادات البترولية من الشرق الاوسط ، يعني ان القوى الخارجية ستحاول حقيقة فرض القيود في لحظات الازمة وقد فرضت « مبادرة السلام » الحجة القائلة بانه ليس لدي اسرائيل اي خيار سوى ان تحارب ضد العداء العربي الذي لا يلين ، هذا رغم كل التأثيرات الاخرى للمبادرة

اذن لن تلقى حرب جديدة القبول ، وستنقسم اسرائيل حولها

وحدة أو وحدات عربية ...

ان فشل العرب في تكوين جبهة متحدة يسبب خيبة أمل دائمة لاصدقائها ، فعلى ضوء قوتهم الحالية ، وهي قوة لا يمكن الا ان تزداد في السنوات القليلة القادمة بسبب نقص الطاقة ، فمن المؤلم ان نرى هذه القوة تتبدد في وقت يمكن ان تنجز مثل هذه النتائج الهائلة « الوحدة » ، اذا ما اقامتها الانظمة العربية القائمة بالتنسيق فيما بينها

ولكن ليس هناك مانع للاندفاع للتفكير المنطلق وراء الآمال فالمنطق قد يقول ان الوحدة العربية يجب ان تكون قريبة المنال لكن كل السوابق تؤكد انها ليست هكذا

والقراء العرب ليسوا في حاجة الى كاتب بريطاني ليحدثهم عن ضرورة الوحدة ، ويبقى علي أن اقول انه يمكنني رؤية الوحدة العربية - وحدة حقيقية - وعلى نطاق واسع وقد تحققت ان هذا يمكن ان يحدث ، اذا ما اظهرت الانظمة الحالية درجة اكبر من الامن الذاتي ، وافضل دليل على ان نظاما قد حقق هذه الدرجة من أمنه الذاتي ، هو استعداده لمنح الصحافة حريتها كاملة ، ونحن لا نرى مثل هذه الحرية كثيرا في العالم العربي اليوم .

وانني لاقول مسبقا اننا سنشاهد وحدات اقليمية بين دولتين عربيتين أو عدة دول عربية كما شاهدنا في الماضي ، لكنني اعتقد ايضا انها ستكون على الاغلب كما كانت عليه في الماضي .

وحدة سريعة الزوال ، تتقوض بسهولة بسبب الظروف التي لا يسيطر عليها العرب الا قليلا

حرب عالمية ثالثة

اذا كانت الشئون البشرية يحكمها المنطق لقلنا ان حربا عالمية جديدة مستحيلة استحالة واضحة ، فنتائج مثل هذه الحرب ستكون كارثة لا يستطيع احد ان يدرك مداها

ولسوء الحظ فان تأثر السياسين بالمنطق يكون بدرجة اقل من تأثرهم برغبات وأهواء مكوناتهم الداخلية

لذا فلا يمكن ان نستبعد امكانية قيام حرب عالمية اخرى رغم كل الجهود التي تبذلها كل الاطراف لتجنب وقوعها

وانا اعتقد انه اذا ما وقعت فستكون نتيجة حادث ، او خطأ بشري في الحسابات ، ولسوء الحظ فان هذا ممكن في عصر يصل فيه زعماء الدول الى السلطة ، لأنهم غالبا ما يكونون شطارا في التلاعب بالرأي العام اكثر مما لو كانوا حادي الذكاء بشكل خاص أو لأنهم مستقيمين اخلاقيا .

فاذا ما وقع مثل هذا الخطأ او سوء التقدير في الحسابات فانه لن يكون على الغالب الاعم الا في الشرق ، حيث المصالح المحلية القومية والخارجية تتشابك وبشكل مباشر اكثر من اي مكان آخر في العالم

ان تشابك الصراع العربي الاسرائيلي ، مع السباق بين القوى العظمى مع النضال من اجل المساواة بين الدول المتقدمة والدول النامية ؛ يجعل من الشرق الاوسط نقطة الاشتعال في العالم

وهذا هو السبب ، لماذا اصبح انجاز تسوية في الشرق الاوسط أمرا حيويا من وجهة نظر الجميع .■■

منح الصلح

الكاتب والمفكر اللبناني

الدولة الفلسطينية ...

كما تكمن السبلة في حبة القمح الواحدة تكمن الدولة الفلسطينية ـ المؤلفة من الصفة العربية وعزة ـ في العصبية والارادة العامة التي خلقتها منظمة التحرير، وفي مؤسساتها واطاراتها ، فهي صورة عن دولة المستقبل . والدولة هي مجرد حالة عن الوضع القائم وليست مولودا يخرج من العدم . والذي يقف في وجه هذه القلة ويجعل صعبه بل مستعصيه ان اسرائيل تفهمها ـ ربما على حقيقتها التاريخية ـ خطوة منها في اتجاه القر بعكس مسار التقدم المستمر الذي سلكته الحركة الصهيونية منذ مائة عام وحتى اليوم ، وقد يؤازر المجتمع الدولي مبدأ وجود دولة فلسطينية ولكن سيرهق الموافقة على هذا المبدأ باصراره على تحقيق ضمانات فلسطينية وعربية ودولية لاسرائيل مما سيعمل على تأجيل قيام الدولة الى اواخر الثمانينات . لان الضمانات ستكون من النوع الثقيل على العرب ، ولن تكون ضمانا بقدر ما تكون قيودا على التطور الفلسطيني والعربي »

الحرب العربية الاسرائيلية

انفق الصليبيون مائة وخمسين عاما حتى اقاموا دولة القدس الفرنجية وانفق العرب والمسلمون مائة وخمسين عاما حتى ازالوا العدوان الصليبي ، وتخلل ذلك حروب وهدنات كثيرة وامكانية الحرب قائمة الآن بين العرب والصهاينة والحرب هي السياسة نفسها ـ كما قيل ـ بوسائل اخرى وبجانبها عقدة واحدة ، هي الجبهة السورية ولتذليل هذه العقدة ستقوم حرب محدودة ، يأتي بعدها فرض السلام على اسرائيل والعرب ، وقد لا تبلغ هذه (الحرب) حجم الحرب بالمعنى الدقيق

الوحدة العربية

قد تقوم في السنوات العشر القادمة وحدة او وحدات بين قطرين عربيين او اكثر ولكن الوحدة العربية شيء آخر . ثمة فارق بين الوحدة التي اذا قامت شعر كل عربي انه موجود فيها وانها من اجله قامت وبين وحدة ما ، لهذا او ذاك من الاقطار . (وفي تقديري ان اي وحدة ، لا تكون الوحدة الا اذا ضمت مصر وبلدا شرقيا ، واعتقد ان هذه الوحدة موضوع مقاربة عالمية ولن تقوم في السنوات العشر القادمة

وان نشأت وحدات ستشكل تقدما على الوضع القائم ، فالخليج في رأيي سيصبح وحدة ، وستقوم وحدة في المغرب ، ووحدة سورية عراقية ، وربما غيرها ايضا

ولكن يبقى ان العرب قد عجزوا عن ان يغفروا من الجامعة العربية الى الوحدة العربية كما نجحوا مرة عام ١٩٥٨ في الوحدة المصرية السورية

الحرب العالمية الجديدة !!

الحرب العالمية ظاهرة من الماضي ولن تتكرر ، فالمصالح الدولية التي كانت في الماضي سبب الحروب ، هي اليوم سبب الخوف من الحرب ، ولقد اصبح للدولة الكبيرة الواحدة ـ ايا كانت ـ ما تفقده في كل مكان في العالم ، للولايات المتحدة مصالح لا تريد ان تفرط فيها في الاتحاد السوفييتي نفسه وللاتحاد السوفييتي مصالح يراهن عليها في الحاضر والمستقبل داخل الولايات المتحدة وهذا ما ينطبق على الجميع ، لذلك فالحرب مستبعدة ، بل مستحيلة ، الا اذا احدث صورا غير شاملة وغير عسكرية

فالعالم اليوم تاريخ واحد بينما كان له في الماضي تواريخ بعدد امه ومناطقه ، وما يحدث في مكان يؤثر في كل مكان ، فقد أصبح من المتعذر ان تقوم حرب عامة لانه لم يعد للدول تواريخ مستقلة بعضها عن بعض ■■

بقلم :الدكتور أحمد كمال ابو المجد

بين ملاحظي التاريخ فريق يرى أن الحضارات ـ كالشعوب ـ تعيش دورات عضوية تبدأ بالنشوء والميلاد ، وتأخذ في النمو التدريجي الذى تبلغ قمته في لحظة من لحظات العمر ، ثم تنتهي شيئا فشيئا الى الشيخوخة والذبول . لتبدأ بعد ذلك في كيانها الكلي المستمر ، دورة عضوية جديدة

وأيا كان مبلغ الصحة أو الدقة في هذه النظرية فان من الثابت أن حضارات الشعوب تتعرض في مسيرتها التاريخية لموجات متعاقبة من المد والجزر ، والارتفاع والهبوط ، وأن حضارة المسلمين ليست مستثناة من هذه الظاهرة التاريخية العامة . ويطول بنا الحديث لو مضينا نستعرض ما طرأ على الحضارة الاسلامية من هذه الموجات ، التي ارتفع مدها أحيانا فجعل من الاسلام دين العصر وفلسفته ، وجعل من ثقافته ثقافة النخبة الممتازة والكثرة المتطلعة الى الامتياز على السواء . كما جعل من المسلمين قوة سياسية كبرى ترتفع أعلامها على أمصار متعددة اللغات والثقافات . ثم دار الزمن دورته ، فانحسر هذا المد ، وانكفأ المسلمون على ذواتهم في صراعات داخلية مذهبية وسياسية وأزمات معيشية واجتماعية . وتضاءلت بسبب ذلك كله وبالاضافة اليه أكثر الابداعات الفكرية والاجتماعية . وساد نوع من الرتابة الحضارية التي يكرر الوجود الثقافي فيها نفسه أو يكتفي بتقليد غيره ، وكأنما استنامت روح الحضارة من جسمها ، وغابت عنها نضارة الحياة ، ورقة الشباب

والذي نريد أن نصل اليه دون أن نضرب في أعماق التاريخ أن سقوط الدول العربية ـ وهي قلب الأمة الاسلامية ، تحت النفوذ العثماني ثم سقوطها بين يدى الغزو الاوروبي قد مثل حلقة من حلقات الجزر والانكماش في أكثر مظاهر الحضارة الاسلامية . ولكن الثلاثين سنة الاخيرة قد احدثت تشهد مدا اسلاميا جديدا ، بدأت خطواته بطيئة متثاقلة أول الامر ، ثم تسارعت وازدادت مظاهرها وضوحا خلال السنوات العشر

الاخيرة وتمثل هذا المد في ظهور حركات ثقافية وسياسية ترفع « شعارات الاسلام » وتنادي بالعودة اليه وتطالب بتطبيق شرائعه بعضها فردي تتعالى به صيحات كتاب أونداءات مصلحين ، وبعضها جماعي تنتظمه « حركات » ذات قيادات وبرامج واتباع وتحركات

كما تمثل هذا المد في تجاوب العديد من قلوب المسلمين مع هذه النداءات ايمانا بها ، أو سعيا لاحتوائها أو تأثرا بضغوطها ، فعدلت بعض الدساتير والقوانين تعديلا يجعل من الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع وشكلت لجان عديدة لمراجعة القوانين العامة ، وتعديلها بما يضمن اتفاقها مع « الشريعة الاسلامية » وتم في عدد غير قليل من الدول العربية والاسلامية وضع تشريعات مفصلة تعالج العديد من أمور المعاملات والعقوبات معالجة مستمدة من « الفقه الاسلامي »

ـ وعلى قمة هذه الموجة المتعاظمة وعلى غير توقع من أحد ـ استطاع رجال الدين في ايران أن يزلزلوا عرش واحد من أعتى الحكام المعاصرين ، رغم أنه أحاط نفسه بجيش من أقوى ما عرفته المنطقة في تاريخها الحديث ، وملأ خزائنه باحدث الاسلحة واشدها فتكا ، كما بث في مملكته جهازا للأمن لا تزال اساليبه وفنونه في التنكيل بالمعارضين والخصوم موضع أحاديث تشبه الاساطير واستطاع رجل واحد من رجال الدين ودعاته ، أعزل من السلاح طاعن في السن ، مبعد من أرضه وشعبه ، أن يسقط نظام الشاه بكلمات يرسلها الى الناس من بعيد ، وتعليمات يصدرها لأتباعه وأعوانه وراء البحار وكان بعد ذلك ما كان واختلف الناس ـ ولا يزالون مختلفين ـ في تقييم ما وقع وما يقع في ايران ولكنه على اى حال قد تم ونفذ باسم الاسلام ، ولذلك رأى فيه المعلقون جميعا ، مظهرا جديدا من مظاهر المد الاسلامي أحدث اصداؤه تمتد وتتردد في العالم الاسلامي كله وفتحت أعين الباحثين ورجال السياسة على السواء على أمر هذا المد الاسلامي ، وزادت من اهتمامهم جميعا بدراسة الاسلام وحضارته ومستقبل أهله

بحث عن الاسباب

والسؤال الذي يشغلنا هنا سؤال ذو شعبتين أولا البحث عن أسباب هذا المد ، ومحركاته . والثاني ، البحث عن جوهره ومحتواه واحتمالات نموه واستمراره

١ ـ ان هذا المد الاسلامي المعاصر ـ في جانب منه على الاقل ـ جزء من ظاهرة عالمية نعيشها هي ظاهرة المد الديني بوجه عام ولقد كان المؤرخون في الخمسينات وأوائل الستينات من هذا القرن يتحدثون عما اطلقوا عليه « أزمة الدين في عصر علماني » وكانوا يشيرون بذلك الى ما ولدته قفزات العلوم الطبيعية والتجريبية التي حققت الثورة الصناعية الثانية من عبادة جديدة للعقل وثقة مفرطة به ، واعراض عن كل ما عداه ، واستشراف لمستقبل تكون فيه للعلماء التجريبيين سيادة على عقول الناس ومعتقداتهم لا يشاركهم فيها أحد ويفقد الدين معها سلطانه التقليدي على النفوس والعقول ، ويصيبه الشك في جوانبه الاعتقادية والعلمية على السواء

وبرغم أن هذه الظاهرة قد وقعت أساسا خارج حدود العالم الاسلامي فان انهيار الحواجز بين الشعوب والحضارات نتيجة الثورة في وسائل النقل والاتصال ، قد نقل الى المجتمعات الاسلامية بعض آثار تيار المادية التي لا تكاد تترك في عقول الناس موضعا للايمان بالغيب ولكن لله حكمة هو بالغها فكما حملت الثورة الصناعية مع بشائرها الأولى بذور الثقة المطلقة في العقل ، فانها حملت بعد ذلك ـ ومع استيعاب آثارها العملية على حياة الفرد والأسرة والمجتمع ـ بذور قلق لا حدود له أصاب العقول والنفوس لذلك بدأت تلوح في الأفق بشائر حنين جديد الى السكينة الضائعة ، والرضا المفقود ، والسلام الذي زلزلته عبادة الدرهم والدينار

واذا كان التمرد على القلق والعنف والقهر والمادية الجامحة قد اتخذ ـ في جانبه السلبي ـ صورة الرفض لكل رموز هذه الحياة المادية وللمؤسسات التي تمثلها فان بركان هذا الرفض الذي بلغ ذروته عند الشباب في منتصف الستينات ـ لم يلبث أن هدأ وبدأ يتجه البحث عن الفردوس المفقود ، حنينا عميقا الى المطلق والتماسا للسكينة في رحابه ، وطلبا للامن حيث لا ظل الا ظله وامتلأ الغرب بموجات الشباب اللاهث بحثا عن

اليقين ، اللائذ بكل ما يصادفه من ألوان العقائد والمذاهب والأديان السماوي فيها وغير السماوي وبقيت السنوات العشر الأخيرة سنوات عودة الى الدين وحدت بذورها سبيلها الى المسلمين ، كما وجدت بذور الشك من قبلها السبيل نفسه

على أن للمد الاسلامي المعاصر اسبابا اخرى خاصة بالمسلمين ، ذلك أن تعاظم القوة الاقتصادية ، للدول العربية وغالبيتها العظمى من المسلمين ، قد فجر احساسا بامكان الاستغناء عن الغرب ، الذى احتلت حضارته وثقافته مكانا عاليا في نفوس العرب والمسلمين ولذلك أصبحت عملية البحث النشيط عن الهوية الحضارية تكون أساسا نفسيا وعقليا للاستقلال السياسي والاقتصادى ، الذى بدأت تنعم به اكثر الدول العربية الاسلامية . وكان طبيعيا ومنطقيا ان يتخذ هذا البحث صورة « العودة الى الاصول » وأن يدخل الاسلام وحضارته موجة مد جديد

أول التحفظات

٢ ـ اما السؤال الثاني الذى يتعلق بجوهر هذا المد ومحتواه وتصور مستقبله ، فلعله أصعب السؤالين وأخشى ألا أكون في هذه القضية بالذات من المتفائلين وذلك أن مشكلة المسلمين لم تكن أبدا في قلة عددهم ، وأزمة الحضارة الاسلامية ليست انحسارها عن اقاليم وشعوب وأن المشكلة كانت ولا تزال مشكلة « صياغة » نموذج واسلوب للحياة تتأكد به قيم الاسلام العليا ومبادئه المميزة ، وينطلق المسلمون ـ في ظله ـ الى ممارسة حياتهم العصرية بلا عقد ولا أزمات ولا فصام في الشخصية كالذى يكابده ويشقى به اليوم كثير من المسلمين

وسر التحفظ الذى يحول بيني وبين التفاؤل السريع بمظاهر المد الاسلامي الجديد أن الحركات العديدة التي تجمعها موجة هذا المد الجديد لا يزال اكثرها يعاني آفات أربع ، لا بد من الاشارة اليها ، وان كان كل منها يحتاج الى حديث طويل

(١) وأول هذه الآفات العجز عن إقامة علاقات من المودة والحوار مع سائر عناصر المجتمع وتياراته ان منهج « من ليس منا فهو من أعدائنا » يحصر دعاة الاسلام في دائرة ضيقة مغلقة وقد يتطور عند اصحابه من مجرد تقصير في الاتصال بالآخرين الى نوع من الخصومة العامة مع المجتمع ، وهذا مدخل من أخطر مداخل الانحراف في فهم الاسلام والدعوة اليه ومن أخطر ثمراتها ان يتصور اصحابها انهم وحدهم « جماعة المسلمين » وأن الخارج عليهم خارج على المسلمين إننا لا نريد أن نفتح باب الحديث الطويل في هذه الآفة وانما نقول في كلمات موجزة أنه لم يعد من حق أحد أن ينصب نفسه مسيطرا على الناس باسم الاسلام يقضي فيهم بالطرد من رحمة الله . ولهذا لا نشجع أبدا وصف مجتمع معاصر بأنه « مجتمع جاهلي » اذ الناس من حولنا بشر يصيبون ويخطئون وحسابهم على الله والجاهلية وصف يتحرأ في الافراد والمجتمعات ، كما ورد في قول النبي (ص) لابي ذر « انك امرؤ فيك جاهلية » والمؤمن المطلق والكافر المطلق ، وصفان لا يجوز اطلاقهما على مقر بالشهادتين وانما الناس من حولنا يخلطون عملا صالحا وآخر سيئا وليذكر المسارعون الى تكفير الناس والمغالون في ذلك ، أن حسن نيتهم وحماسهم لدينهم لم يعد عذرا مقبولا ولا حجة مسموعة ، وانه تعالى يقول « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا »

(٢) والآفة الثانية ، أن أكثر القضايا الفكرية والاجتماعية التي كانت معلقة في سائر الفكر الاسلامي والحياة الاسلامية لا تزال على حالها لم يتقدم البحث فيها كثيرا فالعلماء مترددون في الاجتهاد واكثر المفتين يؤثرون السلامة بالوقوف عند السوابق العديدة ويدورون في كتب الفقه لا يريدون ان يتجاوزوها والمسافة بين العالم الذى تصوره وتعالج مشاكله اكثر هذه الكتب ، وبين الواقع الحي الذى يعيشه الناس بكل ما فيه من تطلعات ومشاكل وهموم ـ تتسع يوما بعد يوم والقضايا المعلقة هي . هي المرأة ومكانها في المجتمع . وحدود حقها في العمل والاختلاط بالرجال المؤسسات الاقتصادية والمصرفية . التأمين حدود الاستمتاع المشروع بالموسيقي والغناء . واكبر من ذلك واخطر معالم التنظيم الاقتصادى والسياسي للجميع وما يتطلبه في شأنها الاسلام

ان المظهر الحقيقي للتقدم في هذا الميدان ، أن يقدم علماء الاسلام البدائل لكل ما ينهون عنه أو يدعون الناس الى تركه. فعلى هذا المنهج قام الاسلام ، وبه ارتفع الحرج عن الناس. اما ان توسع دائرة الحرام وتظل دائرة الحلال على ضيقها ، باسم ، « ترك الشبهات » او « رفض البدع » ، « التزام مسلك السلف » ـ فهو ظلم للاسلام ، نتيجة عجز علمائه ودعاته عن الاجتهاد بما ينفع الناس .

ولهذا فاننا نلمح وسط هذه الشكوى من الجمود بشائر منهج جديد ، يتمثل في العديد من المؤسسات الاقتصادية والمصرفية التي أحلت المشاركة في المخاطر محل الربا والغرر. واقامة أنظمة للادخار والاستثمار لا يدخلها الربا باثمه وشروره. ولسنا غافلين عما يحيط بها من عقبات وصعوبات في تخريج البدائل أحيانا وفي ممارستها أحيانا اخرى. ولكنها ـ في يقيننا ـ احدى الومضات القليلة التي تبعث على التفاؤل ، وتجيز لنا ان نسمي « المد الاسلامي » من حولنا « بداية صحوة حقيقية » للمسلمين

والخلل في ترتيب الأولويات

٣ ـ الآفة الثالثة ، تتمثل في الخلل في ترتيب الأولويات عند عرض الاسلام والدعوة اليه. ونحن هنا لا نشكك بحال في تكامل بناء الاسلام ولا نتجاهل هذا التكامل. فالعقيدة اساس الاسلام والاخلاق صمامه ، والشريعة ترجمته العملية. والواجبات فيه كلها مطلوبة والمحرمات كلها واجب تركها. ولكن دعوة الناس والتوصل الى اقناعهم وكسب ولائهم ، تقتضي مراعاة تدرج خاص وترتيب معين فيما يبدأ به ، وما يمكن ان يتراخى طلبه والتشديد في امره. وكثير من الناس يقفزون قفزا من كتب الفقه الى منابر الدعوة دون أن يتوقفوا قليلا ليعرفوا واقع الناس وما هم فيه

ان الامر هنا ليس أمر فتوى ولا امر تشريع ، وانما هو أمر ترتيب في البيان ، وتدرج في معاملة النفوس واقتراب من واقع الناس طلبا لهدايتهم . إن الدعاة الى الاسلام يقعون في خطأ فادح اذا هم خرجوا على الناس في جميع المجتمعات بقائمة موحدة من الاوامر والنواهي ومطالب الاصلاح والتغيير ، متجاهلين خصائص تلك المجتمعات ومشاكلها التي تتفاوت في أهميتها والحاحها من زمن الى زمن ومن بلد الى بلد

أليس غريبا على سبيل المثال أن يطيل كثير من الدعاة الحديث في النهي عن شرب الدخان وعن سماع الموسيقى والغناء أو الدعوة الى ارسال اللحية ، وفرض الحجاب على النساء ، والا نرى منهم نفس الاهتمام والحماس حين يتصل الامر بقضايا الحرية والشورى والعدل في توزيع الثروات

ومن هذه الامثلة كذلك المبالغة في الاهتمام بقضية الحدود عند المناداة بتطبيق الشريعة وتقنينها. ان أحدا لا يملك أن يهون من قيمة الحدود أو يجادل في ضرورة اقامتها ، ولكن وضعها على رأس القائمة هو محل النظر والاختلاف. فالحدود تتصل أساسا بظاهرة الجريمة وعقاب « المجرمين » ، والشريعة إنما وضعت أساسا للأسوياء الحافظين لحدود الله. فلماذا لا تذكر الشريعة الاسلامية الا مقترنة بالحدود من قتل وقطع وتغريب ان باب الجنايات كان ولا يزال بابا واحدا من ابواب كتب الفقه ، كما ان الجريمة بانواعها ليست الا وجها واحدا سلبيا من وجوه حياة الناس في الجماعات تحت لواء الاسلام او غيره من الشرائع

ان هذا الخلل في ترتيب الأولويات يزداد خطورة حين يتحول الدعاة الى أولي أمر وحكام ، وحين يشرع المتحدثون باسم الاسلام في احد الناس به واقامة أحكامه بينهم

ان اخطر ما يفعله أولئك الحكام أن يتصوروا أنهم ملزمون ـ باسم تكامل الاسلام وشموله بتطبيق احكامه في شئون الناس جملة واحدة. ان ذلك على التحقيق غير متيسر ، وهو التزام بما لا يلزم ، وتوريط لاسم الاسلام ودعوته بما لا ضرورة له .. وحسب أولئك الدعاة الذين صاروا حكاما ان يبدأوا بكبريات المسائل وأساسيات الحكم العادل. حسبهم أن يوفروا للناس قدرا من الحرية وقدرا من كرامة الفرد وقدرا من العدل ، وأن يعلنوا عزمهم على تنفيذ برنامج اصلاحي تتعاقب مراحله في اناة

روية ـ لتوحه الجماعة كلها الى اقامة احكام الاسلام رحلة بعد مرحلة وحكما بعد حكم

٤ ـ أما الآفة الرابعة فهي التشتت الغريب الذى يط بالجماعات والزعامات الداعية الى الاسلام فهم ن شقاق وخصومة وتبادل للاتهام ، وتباين غير قليل في ساليب العمل وتصور الأولويات والأخطر من ذلك أن ثيرا من هذه الجماعات لا ترضى بالقاعدة الحكيمة لاعدة ان « نتعاون فيا اتفقنا فيه ، وأن يعذر بعضنا عضا فيا اختلفنا فيه » وفي غيبة منهج للاختلاف تحول التعدد الى تشتيت للجهود ، وحرمان للمد لاسلامي من الثراء الذى يوفره اختلاف الآراء وتعدد لاجتهادات

شرط استمرار الحياة

ان مستقبل المد الاسلامي الذى نعيش موجة عالية ن موجاته رهن بتدارك هذه الآفات وهو تدارك لا يحتمل الانتظار ، فان العمل الحضارى لا يتم في فراغ وكثيرون هم الحريصون على افراغ هذا المد من محتواه ، وتوجيهه الى حيث يتبدد ويضيع

وانما يفتح ابواب الامل عندنا في مستقبل هذا المد الاسلامي ، ما نراه من بعض مظاهر القدرة على « النقد الذاتي » ، ونمو القدرة على التصويب والتصحيح الداخلي . وهذه القدرة هي شرط استمرار الحياة في الكائنات العضوية والمؤسسات الاجتماعية على السواء

وما أحوج هذا المد الاسلامي الى قيادات وزعامات تلح في اصرار على ضرورة تدارك هذه الآفات وتعين ـ بذلك ـ هذا المد على أن يصير صحوة حقيقية تأخذ بيد الناس على هدى وبصيرة الى حيث المزيد من العدل ، ومن الحرية ومن الاستمتاع بالطيبات ، ومن حرارة علاقات المودة بين الناس وهل الاسلام الا ذلك كله « ولكن اكثر الناس لايعلمون » ■■

د احمد كمال ابو المجد

اللمسة الرقيقة

● بعد ان انفض الاجتماع في دار المجلس البلدى باحدى مدن امريكا الوسطى ، رات سيدة الكاتب الكسندر ولكوت واقفا وحده في الردهة ، فاندفعت نحوه لتعرب له عن اغتباطها بمحاضرته . ثم قالت ، وهي حدة في السبعين « وقد شجعني ان اتقدم اليك فاحادثك انك قلت انك تحب العجائز » .

فقال ولكوت « احبهن ، ولكني احبهن ايضا وهن في مثل عمرك »

فائدة مزدوجة

● سئلت الفتاة عن سبب عدم وضع عويناتها على عينيها عندما تخرج مع صديقها الشاب .. فاجابت

ـ انني ابدو اجمل في عينيه بدونها كما انه يبدو اجمل في عيني !

خطر استمرار الضغط على النفط العربي

الدكتور علي عتيقة
الامين العام للمنظمة العربية المصدرة للنفط

مع التسليم بصعوبة التنبؤ حول مستقبل بدائل واحتياطيات واسعار النفط ، الا ان التكهنات العامة تؤكد ان الشح النفطي سيستمر حتى انتهاء النفط مالم تحدث اكتشافات ضخمة مثل تلك التي وقعت في الخمسينات والستينات ، واذا كان هذا احتمالا واردا الا انه غير متوقع ، فنضوب النفط مسألة مؤكدة مثل « الموت » آت لا ريب فيه ، ولكن لا احد يستطيع ان يحدد زمانه .

يتردد الحديث بين وقت وآخر عن امكانية ظهور بدائل للنفط ، وحتى الآن لم تتوفر هذه البدائل لذا يفضل البعض أن يطلقوا وصف « مكملات » الطاقة بدلا من بدائل النفط ، فالطاقة النووية والطاقة الشمسية والطاقة الكهربائية ، يمكن ان تكون بدائل للنفط كوقود ، ولكنها لا يمكن أن تكون بدائل في مجالات النقل البري والجوي والبحري ، ولا يمكن أن تكون بدائل في مجالات الصناعات البتروكيماوية التي تعتمد على المشتقات النفطية والغازية

وسواء اطلقنا عليها بدائل او مكملات فلا شك انها ستشهد تطورا محسوسا خلال الثمانينات ولكنها لن تتطور بالمعدل المطلوب ، نتيجة حاجتها الماسة للابحاث والاستثمارات الكبيرة التي لم تتوفر بالقدر اللازم ، وبالتالي سيستمر النفط كمصدر رئيسي للطاقة

وتواجه الدول العربية المصدرة للبترول خطر استمرار الضغط على النفط العربي اكثر من سواه ، فسياسة الدول الصناعية الراهنة ، وخاصة المنتجة للنفط مثل الولايات المتحدة الامريكية والنرويج وبريطانيا وكندا ، تقوم على السعي للتقليل من انتاج النفط والغاز وتعويض هذا الانتاج بالاعتماد على النفط العربي ، طالما بقيت السياسات الحالية ، وتستفيد الدول الصناعية من النفط وتحتفظ بعائده ، اما في مقابل صادراتها ، أو في شكل ودائع ترقد في مصارفها أو في صور بيع بالاجل او في شكل سندات ، وجميعها تحصل الدول الصناعية بمقتضاها على النفط وتحتفظ بالثمن ، وبالتالي لا يؤثر عليها ارتفاع الاسعار في كل من المدى المتوسط والطويل !

وبالطبع يقتصر الحديث هنا على الدول الصناعية ، ولا ينطبق على الدول النامية التي تستورد النفط وتدفع ثمنه وليس لديها سوى القليل الذي يمكن ان تصدره في مقابل النفط .

والمؤكد ان الاحتياطي الحالي اقل بكثير من احتياجات العالم ، ومن احتياجات الدول النفطية المصدرة ، والحل هو تكثيف التنقيب في الثمانينات من جانب وترشيد عمليات الانتاج من جانب آخر ، حتى لا يكون النفط العربي هو الذي ينضب اولا .. ! فاذا كانت نهاية النفط تعني مصاعب كبيرة للدول الصناعية ، فهي تعني اجهاض امكانيات النمو والتطور للدول العربية المصدرة للنفط ، ولا يمكن أن يسرع « انسان » نحو نهايته ، والمتوقع أن تستمر

الضغوط على العالم العربي لكي ينفق اكثر ويضطر بالتالي الى زيادة انتاج النفط .

فمثلا تلك النزاعات والاشتباكات التي تشهدها بعض دوله علاوة على اهدار الارواح والاموال ، فهي تؤدي الى زيادة انتاج النفط واهدار الثروة القومية ..

وفيما يتعلق بانتاج النفط فان اجماع الخبراء الى الآن متجه الى أن كل ما يمكن ان يكتشف منه في العقد القادم وما بعده سيكون في الدول المصدرة للنفط وكما أن ثلثي الاحتياطي في العالم العربي فثلثا المتوقع اكتشافه ايضا في العالم العربي ولا يخفي ما يترتب على ذلك من مسئولية وما يتيحه من فرصة للعالم العربي

اما بالنسبة للاسعار والمرتبطة عضويا بكل من البدائل والاحتياطيات فيتوقع ان تستمر في التصاعد خلال الثمانينات ، كما يتنظر أن يشهد سوق النفط بعض التذبذبات في مطلع العام الحالي

وقد يحدث تغيرات في اسعار النفط نتيجة سياسات الدول النفطية اذا استمرت ذات السياسة التي تتبعها وتزيد من بيع نفطها عندما ترتفع الاسعار ، وتقلل انتاجها عندما تنخفض الاسعار ، وعندما يزيد الانتاج تقوم الدول المستوردة بشراء النفط وتخزينه ، والمخزون الحالي من النفط لدي هذه الدول كبير جدا ، واذا بقي الانتاج على مستواه فقد تجد الدول المشترية للنفط نفسها في مركز قوي ، وتصبح قادرة على تخفيض مشترياتها بينما لا يزال المنتجون مستمرين في معدلات الانتاج الحالي مما يصيب السوق بالركود كما حدث في عام ١٩٧٥ ، عندما كانت الاسعار الفعلية في السوق الآني spotmarket أقل من الاسعار المعلنة ، وحاليا المسألة عكس ما كانت !

كما يجب أن ترتفع الاسعار ليست فقط من الناحية النقدية ولكن ايضا من ناحية قوتها الشرائية الحقيقية وهناك مطلب عادل بارتفاع الاسعار الفعلية سنويا ، أي بعد حسم عامل التضخم بنسبة ٥٪ ، وهذا وحده الكفيل بتطوير البدائل وزيادة الاستثمار في عمليات التنقيب الجديدة خاصة في دول العالم الثالث التي هي في أمس الحاجة الى مصادر محلية ، وارتفاع اسعار النفط يشجعها على المزيد من التنقيب .

وهناك دراسة قدمها الخبير الجزائري آية الله حسني الى اجتماع الأوبك الاخير في فينا ، ولم يجد ممثلو الدول الصناعية ما يردون به على الأرقام التي جاءت في هذه الدراسة والتي بينت ان المعدل التضخمي وانخفاض القيمة التبادلية للدولار يرفع الاسعار ارتفاعا غير حقيقي

فاذا اخذنا السعر الحالي للنفط والذي يبلغ ٢٠ دولارا للبرميل ، فسنجد أنه هو ذاته السعر الذي كان عليه برميل النفط عام ١٩٧٤ ، بعد استبعاد عامل التضخم وانخفاض سعر الدولار ، وسنجد أيضا أن السعر الحقيقي للبرميل قبل الارتفاع الاخير وعندما بلغ ١٤ دولارا ، نجد أن هذا السعر يعادل ٧ دولارات مقارنا بالقيمة الشرائية لسنة الاساس عام ١٩٧٣ !!

وهذا يؤثر في الوقت ذاته على القيم الشرائية للودائع - والتي تسمى خطأ بالفائض المالي - والتي تآكلت بسبب عامل التضخم وانخفاض قيمة الدولار ، حتى وصل ما خسرته الدول النفطية بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٩ الى ٧٠ بليون دولار ، أي ما يعادل عدة ملايين من براميل النفط التي ضاعت هباء منثورا !

ويلاحظ القاريء ان الدول النفطية التي تنتج اكثر من احتياجاتها تتآكل ودائعها وهي مضطرة لمسايرة السوق

واتوقع اخيرا ان ترى النور خلال الثمانينات مشروعات هامة تنتظر القرار السياسي ، تسعى لاستخدام وسيلة جديدة لتسعير النفط ، غير تلك المعمول بها وأمام الدول المنتجة للنفط عدة بدائل أهمها استخدام وحدة حسابية غير الدولار - اتفاق الاقطار المصدرة للنفط او بعضها لقبول عملتها كوسيلة للدفع وتتحول عملتها في الخارج وامام هذا البديل صعوبات سياسية وفنية ، والبعض لا يريد ان يتحمل الاعباء السياسية والفنية الناتجة عنه

وتبقي من اهم الافكار المطروحة والقابلة للتحقيق ذات الآثار الاقتصادية الهامة ■■

مستقبل النظام النقدي العالمي

بقلم : الدكتور ابراهيم سعد الدين
مدر معهد التحطط

تميزت السبعيات بعدد من الازمات الاقتصادية التي واجهها العالم الرأسمالي المتقدم انهت مرحلة من الاستقرار والتقدم استمرت اكثر من ربع قرن تضاعف خلالها انتاج العالم المتقدم اكثر من ثلاث مرات مستفيدا بشكل خاص من توفر مواد خام وطاقة رخيصة وفرتها بلاد العالم الثالث التي كانت مضطرة لان تبيع منتجاتها بالاسعار التي حددتها لها الاسواق الدولية التي تعمل لصالح الدول الصناعية المستوردة .

ان رخص المواد الخام التي مكنت من تحقيق النمو السريع للعالم الصناعي شجعت في نفس الوقت الاسراف والتبديد في الموارد بحيث بدأ العالم مع بداية السبعيات يواجه أزمات متعددة كان من أهمها ما بدا من احتمال النفاد السريع لبعض الموارد الطبيعية غير القابلة للتجديد . وما ترتب على ذلك من ارتفاعات في عديد من اسعار المواد الاولية وقد تم ذلك في فترة انهار فيها نظام النقد الدولي الذي اقيم على أساس من اتفاقية بريتون وودز في عام ١٩٤٦ وبدأت مرحلة من التضخم المتسارع شملت دول العالم الصناعي وانتقلت منها الى العديد من دول العالم الثالث واشتدت ازمات موازين المدفوعات التي واجهتها عدة دول نتيجة لاضطراب التجارة الدولية وقد سارع من التضخم الزيادات في الاجور التي تحققت في الدول الصناعية والتي فاقت في العديد من الاحوال الزيادات في انتاجية العاملين واذا كانت الفترة حتى السبعيات هي فترة النمو السريع للدول الصناعية فقد كانت هي فترة التحرر السياسي لاغلب دول العالم الثالث التي وجدت نفسها بعد تحررها تعاني من استمرار السيطرة الاقتصادية للدول المتقدمة والتبعية الاقتصادية والمالية والتكنيكية لها وهي تبعية تمتد جذورها وتدعمها مؤسسات النظام الاقتصادي الدولي الذي أنشأته الدول الصناعية ليعالج مشاكلها بصفة اساسية والتي لا يوجد لدول العالم الثالث فيه صوت مسموع وقد أدى هذا الوضع الى فشل جهود التنمية والى شعور بالاحباط ساد دول العالم الثالث

وقد استطاعت مجموعة من الدول الاخيرة التي انتظمت في الاوبك ان تنتهز عددا من الظروف المواتية في عام ١٩٧٣ لتتخذ قرارا تاريخيا بتحديد اسعار النفط تحديدا مستقلا واستطاعت بذلك ان تحول لصالحها ٢٪ من دخل البلاد الصناعية المتقدمة . وبينما عمق هذا القرار من الازمة التي كانت قد بدأت في العالم الصناعي المتقدم فقد ادى الى تعاظم ضغوط دول العالم الثالث لتحقيق تحرر اقتصادي كامل وتام واستعادة السيطرة على مواردها الطبيعية وثرواتها وعلى وسائل التنمية الاقتصادية

لقد حاولت الدول الصناعية الرأسمالية التكتل لمواجهة الأوبك والدخول في مفاوضات مباشرة مع دوله للوصول الى اسعار متفاوض عليها بالنسبة للنفط الا ان دول الاوبك ودول العالم الثالث الاخرى ضغطت من اجل مفاوضات شاملة بين الدول المتقدمة والنامية تطرح فيها كل القضايا ويحاول عن طريقها احراء تغييرات اساسية في نظام تقسيم العمل الدولي القائم واعادة تشكيل النظام الاقتصادي العالمي عن طريق المساومة الجماعية والمشاركة وكنتيجة لتعاون الدول النامية عقدت عدة مؤتمرات . وصدرت عدة قرارات من الجمعية العامة للامم المتحدة تضمنت اعلانا بشأن اقامة نظام اقتصادي دولي حديد وبرنامج عمل من اجل وضعه موضع التنفيذ . وميثاقا لحقوق الدول وواجباتها الاقتصادية وطبقا لهذه الاعلانات فان تحقيق مطالب دول العالم الثالث يتم خلال مفاوضات بين الشمال والجنوب تستهدف بصورة أساسية رفعا دائما وجوهريا لاسعار الموارد الاولية والحد من تقلباتها . وخفضا للديون القائمة على الدول الافقر وتحسين شروطها . وايجاد وسائل افضل لتحويل مرحلة حديدة من التصنيع في العالم الثالث . وتحقيق شروط افضل لنقل التكنولوجيا وشروط افضل لتسويق المنتجات الصناعية للبلاد النامية في اسواق البلاد الصناعية المتقدمة

وقد بدأ الحوار بشكل رسمي عندما عقد مؤتمر الشمال والجنوب في باريس في ديسمبر ١٩٧٥ ورغم المفاوضات المطولة التي عقدها المؤتمر فقد عجز الحوار ان يؤدي الى اي نتائج عملية ملموسة يقبلها الطرفان المتفاوضان

ان تغييرا اساسيا في النظام الاقتصادي الدولي على اسس متفاوض عليها يعني قبول الدول المتقدمة الاختياري لبعض التضحيات . وهي تضحيات يصعب قبولها دون قوة ضغط او اغراءات في يد الطرف الآخر للمفاوضات وبينما يبدو ان دول العالم الثالث تملك بالفعل قدرا من عناصر القوة يمكنهم من تحقيق كل ما يريدون من حوار الشمال والجنوب اذا عبأوا لذلك كل قواهم

فان السلوك الفعلي لهذه الدول يبرز ان العديد منها يتخذ في العلاقات الثنائية مع الدول المتقدمة مواقف تختلف مع تلك التي تعلنها وتدافع عنها في المؤتمرات الدولية .

لقد كان مؤتمر قمة عدم الانحياز في هافانا هو آخر المؤتمرات للحوه الاكبر من دول العالم الثالث وقد اقر المؤتمر دليلا للسياسات التي يمكن ان تؤدي الى زيادة الاعتماد الجماعي على النفس والمؤدية لحل المشاكل القائمة بين دول العالم الثالث ولدعم التضامن لبعض دول الجنوب من احل مفاوضات حديدة مع الشمال

وقد تضمنت توجيهاته ان تعطي دول عدم الانحياز لبعضها البعض الاولوية في الامداد باحتياجاتها من المواد الاولية المصدرة وان يتم ذلك باتصالات مباشرة بين الحكومات وتجاوز الشركات دولية النشاط . كما أوصى بقيام دول عدم الانحياز ودول العالم الثالث مشروعات مشتركة في مجالات البتروكيماويات والاسمدة والانتاج الزراعي والمواصلات والاتصالات والنقل والتأمين دون مشاركة الشركات الدولية . والقيام بنشاط مشترك في مجال البحوث والتطوير . واستخدام الموارد المالية المتوفرة لدول العالم الثالث في تمويل مشروعات نفس المجموعة مع اعطاء اولوية للدول الاقل نموا وتوجيه الموارد القابلة للاستثمار في دول العالم الثالث للاستثمار في اطار نفس المجموعة مع اعطاء هذه الاموال ضمانات ومعاملة تفاضلية كما أقر العمل على بدء دورة احرى من المفاوضات مع الدول المتقدمة في اطار الامم المتحدة بشرط ان تتجه المفاوضات الى طرح حلول محددة وان تكون شاملة ومتكاملة تشمل مجالات المواد الخام والطاقة والتجارة والتنمية والنقد والتحويل

ان الجديد في قرارات هافانا هو تركيزها على العمل المشترك بين دول العالم الثالث كنقطة بدء اساسية لاية مفاوضات حديدة وهو اتجاه سليم على أن النجاح في اقامة نظام اقتصادي دولي جديد يتوقف في النهاية على التنفيذ الفعلي لهذه المقررات والتزام دول العالم الثالث بنفس المواقف والسلوك في المؤتمرات الدولية وفي العلاقات الثنائية بين الدول وبدون ذلك يبقى النظام الاقتصادي الجديد مطلبا تكرره الاجتماعات الدولية دون فرصة للتحقيق الفعلي سواء خلال الثمانينات أو بعد ذلك ■■

الخليج فى الثمانينات :

تحولات كبيرة

ينظر الى الخليج العربي في الدراسات السياسية الحديثة اليوم على أنه اقليمي حاسي (Reginal Subsystem) . فهذا الممر المائي الحيوي عما عليه من أرض غنية بالمادة التي اصبحت عنصرا حيويا لا غنى عنه م الصناعي (النفط) ، أصبح محط أنظار هذا العالم ومجالا لدراساته وثه . ولقد تعاظم هذا الاهتمام في السبعينات حتى غدا اسم « الخليج » كاد تخلو منه صحيفة او مجلة تصدر في أي من أركان العالم الاربعة .

بقلم : الدكتور ـ محمد الرميحي

لذا فإن القاء نظرة ولو سريعة على صورة هذا الخليج جانبيات قد تعيننا في فهم ماذا يمكن أن يكون عليه بل هذه المنطقة

كي نتعرف على صورة المستقبل لابد من القاء نظرة لماضي والماضي بالنسبة للخليج ليس هو التاريخ يل خلال القرن التاسع عشر او العشرين على ه بل هو الماضي القريب والقريب جدا .

مة أهم التطورات في السنوات العشر الماضية تتيح سم صورة للمستقبل ، فقد ظهر الخليج الى العالم في ينات نتيجة حدثين هامين ـ الأول هو خروج بقية ه الصغيرة من الهيمنة الاستعمارية البريطانية والتي أمتدت في شكلها الرسمي لمدة قرن ونصف قرن تقريبا (أي منذ توقيع المعاهدة العامة بين السلطات البريطانية وشيوخ الخليج في ١٨٢٠) . وكان هذا الخروج من هذه السيطرة قد تلازم ـ ثانيا ـ مع الارتفاع الكبير في أسعار النفط ، الذي يحتفظ الخليج تحت أرضه بكميات ضخمة منه

مشكلة القوى الكبرى

هذان الحدثان في الحقبة الماضية كانا اكثر ما ميز الخليج العربي في طوره التاريخي الجديد . وهذه الحقبة رغم قصرها الزمني شهدت تحولات كبيرة سواء في البنية

الاقتصادية أو الأجتماعية الداخلية في أقطار الخليج وكذلك تحولا « ضخما » في علاقة الخليج كأقطار منفردة ، او كمجموعة اقطار مع العالم بدوله المتقدمة أو النامية

ذلك أنه لفترة طويلة ، امتدت حتى السبعينات كان الخليج مسيطرا عليه - بشكل أو بآخر نظام « استعماري » مباشر أو غير مباشر ، وكان حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية عبارة عن بحيرة بريطانية . - هذه الفترة الطويلة - لا تقارن بالفترة القصيرة التي انقضت فيما بين السبعينات وبداية الثمانينات من هذا القرن . لأن التغييرات الناتجة عن الانسحاب البريطاني على وضع الخليج الاقليمي بقيت في طور التفاعل خلال العقد الأخير فالخليج في أقطاره الصغيرة (إمارات الخليج الاربع - وهي الكويت ، البحرين ، قطر ، دولة الامارات) أو أقطاره الاكبر كعمان - السعودية والعراق ، ايران - شهد خلال فترة السبعينات تفاعلات ضخمة بدءا من ظهور دولة الامارات العربية المتحدة - والثورة الايرانية ، مرورا بالتحولات الاجتماعية الجارية في العراق نتيجة السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتخذة - وكذلك التحولات الاقتصادية الضخمة التي شهدتها السعودية خلال ذلك العقد الاخير

لقد أجبرت فترة السيطرة البريطانية الطويلة معظم اقطار الخليج على التعامل مع طرف عالمي واحد هو بريطانيا . الا أنه بعيد الاستقلال وجدت هذه الاقطار ، وخاصة الصغيرة منها ، نفسها أمام مشكلة التعامل مع العالم أجمع . وهنا تكمن خطورة التعددية في الاجتهادات السياسية بالنسبة لاقطار الخليج وعلاقتها بالقوى الكبرى لان تعدد هذه الاجتهادات وغياب التنسيق بينها يعرض المنطقة للوقوع في اطار الصراع العالمي وقد كانت الفترة السابقة - الفترة القصيرة التي تمتد فيما بين السبعينات والثمانينات لا تمكننا من الحكم على الاتجاهات المستقبلية لهذه العلاقات

ومع ذلك ، فمن الواضح حتى الآن أن هناك تيارين رئيسين في المنطقة الأول يدعو بوضوح للالتصاق بالغرب بشكل أو بآخر والابتعاد عن اقامة أية علاقات مع الدول الاشتراكية . أما التيار الثاني فيدعو الى الاعتدال واتخاذ موقف وسط بين القوى العالمية - لكن الى أي حد يمكن لهذا التيار الاخير أن ينتصر ؟ ذلك يتوقف بالطبع على نجاح التعاون في أطار اقطار الخليج نفسها .

لقد كان الخليج حتى الثورة الايرانية في مرحلة توازن نسبي الا أنه بعد هذه الثورة دخل في مرحلة اللاتوازن الشديدة التذبذب وبالتالي أصبح الوصول الى تعاون ناجح بين الاطراف المطلة عليه اكثر الحاحا منه في أي وقت مضى

لذا فأن المشكلة الاولى التي تواجه الخليج كأقليم في الثمانينات هي تحديد علاقاته بالقوى الكبرى أبالتعاون مع تلك القوة أم هذه أم تقوم أقطاره منفردة او بمجموعات أصغر للتعاون مع أطراف متعددة من القوى الكبرى ؟

ولا شك أن جلب الصراع العالمي للساحة الخليجية بشكل من الأشكال يؤجج من الصراع الاقليمي ، ويجعل المنطقة ساحة تنافس شديدة لكونها ممرا مائيا حيويا - ولكون أرضها تحتفظ بثروة هائلة واذا حدث هذا الصراع فأنه لا شك منسحب الى الساحات الداخلية والاجتهادات المتعددة في هذه الساحة تتجه بعد ذلك الى تفتيت الكيانات السياسية أو تغيير أشكالها الحالية ومن الواضح أن حالة الاستقطاب هي التي تظهر لنا من سير الاحداث كما نراها اليوم وبالتالي فأن عوامل الاتجاه الى الصراع في الاقليم أكثر من عوامل الاتجاه الى التعاون لذا فأن الخليج في الثمانينات من هذا المنظور سوف يقع في فترة عدم توازن شديدة بين أستقطابات عالمية وأقليمية متنافسة في بداية الفترة الا أنه لن تلبث هذه الاقطار الى أن تصل الى قناعة بالتعاون نتيجة الحاح الظروف الاقتصادية والموضوعية .

الثورة الصامتة

والصراع لن يميز الساحة الخليجية الخارجية فقط أي سوف ينسحب على الساحات الداخلية وذلك لأسباب موضوعية . فتتميز اليوم أقطار الخليج العربي الصغرى (امارات الخليج) بأنها تمر في العشرين سنة الماضية بما

يمكن تسميته بالثورة الصامتة ، ونعني به هنا بالتحديد العدد الهائل من المتدفقين على التعليم العام والعالي ، فالمدارس تفتح بالعشرات والجامعات تفتح ابوابها في أقطار الخليج الصغيرة ، ويقبل السكان على التعليم حيث تتوفر لهم الكثير من التسهيلات الاقتصادية والفنية ولقد قفز عدد الخريجين من بضع عشرات فقط في الخمسينات الى الالاف في نهاية السبعينات ، ومن المتوقع أن تزداد هذه الاعداد في العقد القادم هذا التدفق البشري من معاهد التعليم المختلفة في أقطار الخليج الصغرى تواكبه ايضا خطط تعليمية ضخمة في كل من السعودية والعراق وايران ان هذا العدد الكبير والأخذ في التزايد من المتعلمين بتخصصاتهم الكثيرة والمتعددة سوف تشكل في الثمانينات القوى الضاغطة للتغير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وسوف تظهر فاعليتها اكثر في الاقطار الصغيرة من الخليج ـ حيث سوف تجرى مقارنة وضعهم بأوضاع أمثالهم في الاقطار الخليجية الاكبر ، والتي لا شك سوف تتقدم لاعطاء التنازلات والامتيازات الاقتصادية والسياسية لهذه الفئة المتعلمة

لذا فأن الصراع الصامت سوف يدور في الخليج على الساحة الداخلية بين الفئات الاجتماعية الجديدة الطبقة الوسطى التي تكبر والمتعلمة ـ وبين الفئات الاجتماعية القديمة ـ الفئة التي كانت تسيطر تقليديا على الحكم ـ هذا الصراع الصامت سوف يحل لمصلحة الفئات الجديدة في الثمانينات حيث ستحصل على الكثير من التنازلات الاقتصادية والسياسية . قد يجري هذا التنازل من خلال حلول سلمية وسياسية في تلك الاقطار التي تتميز نخبتها السياسية بالانفتاح ومعرفة قوانين العصر ، اما تلك الاقطار التي تحاول نخبتها السياسية تجاوز الواقع او التأخير القسري في تقديم التنازلات فقد تجد نفسها في أطار صراع ساخن تحصل فيه الفئات الجديدة على ما تعتبر أنه من حقوقها .

لذلك فأنه من خلال الساحة الداخلية ـ نجد أن الخليج سوف يشهد تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية لصالح الفئات الاوسع من مجتمعه وهذه بالطبع مرتبطة بالصراع الاكبر حول الخليج . وسوف يشهد الخليج في هذه الفترة ـ الثمانينات ـ تحولات ثقافية بالمعنى الواسع وجذرية في نفس الوقت . حيث أن جيل الثمانينات سوف لن يكون مرتبطا بالشكل العام ـ خاصة في أقطار الخليج الصغرى بجيل ما قبل النفط ـ حيث يكاد يكون هذا الجيل قد أنتهى تقريبا في تلك الفترة

لذا فأننا سنشهد تحولا في البنية والمعايير الاجتماعية ـ قد تكون في معظمها حادة لن يرضى عنها حتى الجيل المخضرم ممن شهد بداية النفط

استيراد التقنية والخبرة

من استقراء المعطيات الاقتصادية التي حدثت في السبعينات وكذلك من دراسة خطط التصنيع والتنمية الاقتصادية المتوفرة حاليا يمكن لنا أن نقول ان الخليج بمفهومه الاوسع ـ سوف يشهد خططا تنموية صناعية طموحة في أكثر من قطر من اقطاره في الثمانينات

هذه الخطط الاقتصادية الطموحة سوف تجبر أقطار الخليج على استيراد الكثير من عناصر الانتاج من الخارج سواء كانت تكنولوجية ام بشرية وهذا سوف يشكل عبئا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا خاصة على اقطاره الصغيرة لذلك فأنه من الممكن أن يحدث شكل من اشكال التكتل الاقتصادي وتنسيق الخطط الصناعية بشكل اوضح وأرشد في الثمانينات خاصة في اقطار الخليج الصغرى ، من حيث استيراد التكنولوجيا او استيراد اليد العاملة او التوسع في الاسواق المختلفة

وبالتالي سوف يكون هناك تعاون اقتصادي اوثق بصرف النظر حتى عن الاجتهادات السياسية والاجتماعية في بعض الاحيان ـ هذا التعاون سوف ينسحب على التعاون من اجل الوصول الى نظام متكامل في الخليج ككل ، مثل التعاون الصحي والثقافي كذلك وفي اطار المواصلات والاتصالات وفي الشئون المالية وكلما توحدت الاجتهادات السياسية على الاقل كلما أصبح هذا التعاون الاقتصادي مثمرا أكثر

وفيما يتعلق بالنفط الذي يعد عصب الحياة الاقتصادية لمنطقة اقطار الخليج ، فانه سيكون عامل

ربط اقتصادي أكبر ـ ونعتقد أنه سوف يلعب في الثمانينات دور المنسق الاكبر بين اقطار الخليج من جهة وبينها وبين اقطار العالم الاخرى من جهة أخرى

فالقضية الاساسية في موضوع النفط في الثمانينات لن تصبح ثمن النفط انما سوف تصبح كمية انتاجه ـ وبدون تعاون اقطار الخليج أساسا وكذلك تعاونها ككتلة مع بقية الاقطار المنتجة للنفط ، لا يمكن الوصول الى سياسات مشتركة في هذا الاطار لذا فأن الاتجاه في الثمانينات سيكون تقييد كمية الانتاج النفطي وهذا سيدفع اقطار الخليج الى التعاون في هذا المجال

المشكلات الحياتية

ستكون مشكلة الخليج الحياتية الاولى في الثمانينات خاصة في أقطاره الصغرى هي مشكلة المياه ومشكلة الغذاء في الدرجة الاولى فالتضخم العمراني والحضري في هذه الاقطار سيركز اعدادا كبيرة في « دول مدنية » على الساحل العربي وستحتاج هذه المدن الى خدمات كثيرة يمكن أن تحل تكنولوجيا ، الا أن مشكلة المياه ومشكلة الغذاء هي التي سوف تصبح المشكلة الرئيسة

فالمياه التي يحتاج لها للشرب والزراعة والنظافة وشؤون الحياة الاخرى تحتاج لانتاجها بكميات وفيرة الى استثمار رأس مال ضخم لم يعد له في الكثير من اقطار الخليج الصغرى حتى الآن كما أن الغذاء سوف يكون الحصول عليه من اقطار العالم المختلفة اكثر مشقة مما هو في السابق .

ففي الثمانينات ـ ونتيجة للتراكم الحضري في المدن ـ وهجرة الريفيين الى المدينة وانخفاض انتاجية المزارعين ـ حتى في البلدان التي تتميز بأن بها أرضا زراعية سوف ينخفض الانتاج الغذائي المحلي ، وتعتمد أقطار الخليج في غذائها على الاستيراد في هذا المجال ، والذي سوف تتحكم فيه (احتكارات) تشبه احتكار (الاوبك) في النفط ، خاصة في المواد الرئيسية مثل القمح والسكر والارز واللحوم لذلك فأن أقطار الخليج سوف تكون مجبرة على التعامل بمقايضة منتجاتها النفطية بالمنتجات الزراعية والحيوانية في الثمانينات وفي غياب خطط جماعية وعلمية لانتاج الغذاء بشكل منظم في البلاد التي تتوفر فيها الارض الزراعية ، ستعتمد أقطار الخليج على الاستيراد الغذائي في مجمله من الخارج ، مما سيعرضها لأزمات نقص في الغداء دورية في الثمانينات

ولا شك أن مجمل التغييرات التي حدثت في السبعينات وخاصة في النظام الاقتصادي والثقافي ، سوف تؤثر على الاوضاع الاجتماعية في الخليج في الثمانينات وسوف تلعب المرأة دورا ابرز في الشؤون العامة والتعليم والخدمات الصحية ـ كما ستتراكم المشكلات الاجتماعية نتيجة لهذا التطور ، فيتأخر سن الزواج بين البنين والبنات في العقد القادم ، وربما تنتشر البطالة في قطاعات معينة من المتعلمين ونتيجة للتراكم الحضري سوف تبرز وتنتشر امراض مدنية لم تكن معروفة في الوقت السابق كارتفاع نسبة الطلاق والادمان ونسبة الاطفال غير الشرعيين او المشوهين . الخ من هذه المشكلات الاجتماعية المصاحبة للتحضير والتصنيع ونمو المدن

وكلما ابتعد الناس عن المشاركة في شؤون حياتهم العامة في مدينة خليجية أو أخرى سوف يكون تفاقم هذه المشكلات بشكل أوسع ■■

عالمه الخاص

● شوهد جندي في مطار سيداليا بولاية ميسوري يشت على منامته اشرطة شاويش ، فسئل عن ذلك فقال « الا يحق لي ان احلم ؟ » .

ماذا يتوقع ا ٢ ! م

١ آفاق مخيفة للتلاعب بالهندسة البشرية

الدكتور حسان حتحوت

لن تبدأ الثمانينات من فراغ ولكن كشوف السبعينات ستشيع وتذيع وتخرج من دائرة التجارب المحدودة الى دائرة التطبيق العام

وما زال الرعب من الانفجار السكاني حافزا قويا على التفنن في وسائل منع الحمل وهنا ستشهد اوائل الثمانينات شيوع طريقتين جديدتين الاولى منع الحمل بابرة تأخذها السيدة كل عام هي لقاح مضاد للحمل والثانية حبوب منع الحمل للرجال ، يأخذها الرجل فتمنع تكوين الحيوانات المنوية وبذلك تمنع خصوبته دون أن تؤثر على فحولته ، ورغم أن اختصار عدد ابنا الاسرة سيصبح اتجاها عاما في معظم المجتمعات الا أ دعواه لن تلقى صدى لدى مجتمعات خاصة وستكو لذلك آثار سياسية . ومن الامثلة على ذلك الشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة ، فان الارتفا الكبير في معدل التكاثر فيه يعتبره اليهود الخطر الا على دولتهم ، لانه سيفضي بعد أجيال قليلة الى أن يكو الاسرائيليون أقلية في دولتهم التي ارادها من البدا دولة يهودية نقية .

اما على صعيد علاج العقم فمن المنتظر ان تنت طريقة الدكتور « ستبتو » باستخلاص بويضة الزو وتلقيحها بمني الزوج خارج الجسم ثم زرع الجنين ال داخل رحم الزوجة . على أننا لا نتوقع ان تكون

...ـاء في الثمانينات؟

الطريقة هي خاتمة المطاف لعلاج الزوجة ذات العطب المستعصي للقناتين الرحميتين مما يمنع لقاء البويضة بالمني . فان التقدم في زراعة الاعضاء كالقلب والكلوة يبشر بالتغلب على مشكلة رفض الجسم للعضو المزروع . وسيكون ذلك اما بعقاقير جديدة واما باختبارات تفصيلية دقيقة تضمن التماثل الحيوي التام بين المعطي والمتلقي . فلا تثير الزرعة رفضا من الجسم المتلقي

ومتى تم ذلك كان من السهل زرع الأنابيب والارحام وليس القلوب والكلى فحسب . وانما ارتادت تلك الاخيرة الطريق لانها عمليات انقاذ حياة ، فكان لا بد فيها من قبول المخاطرة ، أما الارحام والأنابيب فلجلب الذرية ، لا لانقاذ الحياة ، فكان عليها أن تنتظر امان الطريق من المخاطر والمضاعفات على ان هناك نوعا من العقم سببه أن خصيتي الزوج لا تفرزان منويات أو تفرزاها ميتة وقد احتالوا عليه في كثير من دول اوروبا وامريكا بالتلقيح الصناعي لا بمني الزوج ولكن بمني متطوعين او بائعين يحصلونه ثم يخزنونه فيما يدعي بنوك المني ، ثم يودعونه ارحام الزوجات برضاء ازواجهن العقماء

ولكن هذه الطريقة ما زالت حراما لدى الكثير من أهل الغرب المسيحيين ، فضلا عن حرمتها لدى المسلمين ويبدو أن العلم لن يعجز في أواخر الثمانينات أن يجد وسيلة تحمل بها هاته السيدات ، فان اية خلية من جسم السيدة أو من جسم زوجها اذا اخذت نواتها ، فان الخلية الجديدة تنقسم لا لتعطي خلايا متشابهة متكررة ، ولكنها تنقسم لتعطي جنينا لو كفلنا له النماء لصار نسخة حيوية مماثلة تماما لصاحب النواة ومن الممكن كفالة هذا النماء بزرع الجنين الباكر في رحم الزوجة بعد تحضيرها هرمونيا ، ليولد في نهاية الحمل

ويكون نسخة طبق الاصل منها أو من زوجـ[...] مصدر النواة الاولى منها او منه وهذه هي [...] التي تندرج في نطاق العلم الجديد « [...] البشرية » . والتي يتنادون بانها تمكن من [...] مئات من عباقرة الناس واذكيائهم والموهوبين مـ[...] المواهب الذهنية او الجسمية . وهي طريقة نفـ[...] بنجاح في التجارب الحيوانية فهل يمتد التطبيـ[...] الانسان ؟

وما دمنا نذكر « الزراعة والهندسة لا في [...] والبنيان ولكن في صميم الاساس ، فلا بد [...] بالرضا نجاح زراعة الخلايا (زراعة الاعضاء [...] تودع الجسم فتفرز فيه هرمونا ناقصا مثلا كالا[...] مرضى السكر .. ولا يرفضها الجسم كما يرفضـ[...] بكامله . وفي الامكان تعويضها بوجبة اخـ[...] اوشكت على نفاد

ولكننا نرقب بحذر الاحتمالات البعيدة قبل لعمليات التدخل بالتغيير في عوامل الوراثة مشرقة الصورة في محاولة استئصال الامراض تحكمها عوامل وراثية كالسكر والسرطان و ولكنها تفتح آفاقا مخيفة من امكان تغيير طبيعة نفسه كما نعرفها الآن وكما عرفناها على التاريخ يدرك العلم الطبي بعد فوات الاوان انه وقع عليه ، ولكن لات حين مناص تماما كما حدث امر السياسيون بالقاء القنابل الذرية على اليابان علماء الطبيعة انهم عن غير قصد قد وقعوا في الـ[...]

ولهذا فان العقد القادم حاسم في تاريخ الا[...] وربما حصل فيه من العلم قدر ما حصل في [...] كله . وسيتضح لنا « أشرّ أريد بمن في الارض [...] بهم ربهم رشدا »

دراسات البيئة تكشف أسرار السرطان

الدكتور يوسف عمر

في السبعينات ، توقع كثيرون أن تحدث طفرة في عالم السرطان ، لكن سنواتها مرت دون أن يتحقق هذا الأمل وبشكل عام ، فأن ابحاث السرطان تمضي في ثلاثة اتجاهات : الوقاية من المرض ـ واكتشافه في مرحلة مبكرة ـ وتطوير علاجه ليصبح اكثر فاعلية

● فيما يتعلق بالوقاية من السرطان . لقد ثبت أن ٨٠٪ من السرطان التي تصيب الانسان يمكن تجنبها عن طريق تغييرات في الظروف البيئية التي تحيط به . وعلى ذلك فان اهتمام العلماء منصب الى حد كبير على امكانية تفادي أسباب الاصابة بالسرطان ـ لقد بدأت هذه الابحاث في السبعينات ، وقد تتطور نتائجها في الثمانينات ، عن طريق مقارنة وبيانات الاصابة بالسرطان في المجتمعات المختلفة

لقد ثبت مثلا أن نمط حياة الانسان الغربي ، نمط غذائه على وجه أدق من أهم أسباب اصابته بسرطان القولون . ذلك ان الغذاء الذي يتعاطونه في الغرب من تلك الانواع التي تتحلل في المعدة وتمتص كلها ، ولا تتبقى منه أية فضلات أو نفايات ، الأمر الذي يصيب الأمعاء بكسل يرتب مجموعة من النتائج تؤدي في النهاية الى الاصابة بسرطان القولون .

كذلك فان عناصر أخرى مثل التدخين ، والمواد الكيماوية التي تدخل جسم الانسان ، وعاداته الصحية ، والاجتماعية ، هذه كلها لها علاقة بالاصابة بالسرطان .

والمهم الآن هو حصر هذه الاسباب ، أو أهمها على الاقل ، لتجنيب الانسان الاصابة بالمرض قدر الامكان .

● فيما يتعلق باكتشاف المرض في مرحلة مبكرة ، يرتبط نجاح العلاج بمرحلة اكتشاف السرطان ، فاذا كان الأمل في الشفاء يصل الى ٨٠٪ في حالات الاكتشاف المبكر ، فان هذه النسبة تتضاءل الى النصف اذا ما وصل المرض الى الغدد الليمفاوية ، وتتضاءل اكثر اذا وصل الى الأوعية الدموية وانتشر في الجسم

ومن أهم المجالات التي يعول الكثير على التقدم فيها خلال الثمانينات ، هو امكانية اكتشاف المواد الكيماوية التي تتواجد في الجسم بمجرد الاصابة بالسرطان لأن السرطان يعد شيئا غريبا على الجسم ، وبمجرد حدوثه لا بد ان يفرز الجسم مضادات حيوية لهذه الخلايا السرطانية الوافدة . والسؤال الذي يشغل علماء كثيرين الآن هو : كيف يمكن اكتشاف هذه المضادات في جسم المريض ؟ ثم في حالة الكشف عنها ، هل يمكن أن يؤدي ذلك الى تحديد نوع السرطان ؟ .

● اما فيما يتعلق بتطوير العلاج ، فالمتوقع أن تشهد مجالات العلاج تطورات كبيرة في الثمانينات . ذلك أن علاج المرض الآن أصبح يتقرر من خلال عمل فريق خصوصا في معاهد ومراكز السرطان . وهو فريق يسهم فيه الجراحي والاشعاعي والكيماوي ، وانضم الى الطاولة مؤخرا العلاج المناعي .

فبالنسبة للجراحة ، سيؤدي تطوير نجاح زراعة الاعضاء الى افساح المجال أمامنا لكي نستفيد اكثر من هذه النجاحات في استبدال الاجزاء التي تبتر من الجسم نتيجة الاصابة بالمرض . ثم ان التطور المنتظر في الجراحات الدقيقة سيسمح لنا بربط الأعصاب والأوعية بعد استئصال أجزائها المصابة بالورم ، وذلك سيمكننا من اعادة الوظيفة للعضو الذي كان مهددا بالتعطيل

نتيجة قطع هذه الاورام .

اما بالنسبة لمجال الاشعاع ، فلا أظن أننا سنشهد تطورات كبيرة فيه ، لأن ما تحقق خلال السبعينات في هذا المجال حقق إنجازات ضخمة

ولكن التطورات الأبعد اثرا كانت وستظل في مجال العلاج الكياوي ، اذ أن هذا العلاج غير الصورة بالكامل ، حتى في الاصابات المتقدمة ، واصبح الشفاء الكامل ممكنا في بعض الحالات السرطانية ، ومرجحا في حالات أخرى ، بفضل هذا العلاج الكياوي . يكفي أن المريض بسرطان الدم الذي كان يموت خلال شهرين أو ثلاثة ، أصبحت أمكانية شفائه الآن قائمة بفضل تقدم العلاج الكياوي والأبحاث الآن تتواصل بشكل مستمر من أجل زيادة فاعلية هذا النوع من العلاج

اما في ميدان العلاج المناعي وهو ميدان جديد نسبيا ، فالا رجع أن يشهد أيضا تطورا كبيرا حصوصا أنه ثبت علميا أن مناعة الجسم يمكن أن تقضي على عدد محدود من الخلايا السرطانية التي لا يقضي عليها الاشعاع او الكياوي

والاتجاه الآن الى زيادة قدرة الجسم على المناعة ، سواء بواسطه تطعيم السل العادي ، الذي يريد المناعة العامة للجسم ، أو العلاج المناعي الخاص بالسرطان ، حيث تؤخذ خلايا مصابة من المريض يتم اضعافها ثم تعاد زراعتها في جسم المريض لتزيد من حصانته وهذا العلاج المناعي له دور كبير في معالجة سرطان الدم ، ومعترف به في سرطانات القولون والثدي ■■

---

٣ انتظروا المذنّب العظيم "هالى" !

الدكتور امرى جوك

استاذ الفيرياء بجامعة الكويت

لقد شهد العقدان الأخيران بداية قصة الانسان كمستكشف للكون . فها هو نحن قد زرنا القمر مرات وصورنا جانبه المظلم ، وبحثت صواريخنا عن الحياة فوق المريخ القاحل المجدب ، وتوغلت الصواريخ وسط الضباب المحمل بالأبخرة في كوكب الزهرة ونقلت الينا عدسات الكاميرا صورا قريبة لفوهات البراكين في عطارد ، والبقعة الحمراء في كوكب المشترى الهائل ، ولكن العقد القادم سوف يحمل لنا استكشافا للفضاء على أسس روتينية ، ففي أوائل الثمانينات سوف يعمل « المكوك الفضائي » بصورة منتظمة وهو يتكون أساسا من صاروخ مزود بقوة دافعة يحمل فوق ظهره جسما مداريا . اما الصاروخ ، وهو أقوى ما صنع من الصواريخ حتى الآن ، فسوف يحمل القمر الصناعى الى مداره ، ثم لا يلبث أن يهبط بالباراشوت الى الأرض ، حيث يتم استعادته واستخدامه من جديد وأما الجسم المدارى الذى حمله وهو يماثل في الشكل والحجم تقريبا ، الطائرة النفاثة ، فسوف يصبح قمرا صناعيا لفترة تتراوح بين اسبوع وثلاثة اسابيع ، وعندما ينجز مهمته سوف يعود الى الارض ، بنفس الطريقة التي تهبط بها الطائرة العادية .

وبعد مضي أسبوعين من اعادة تجهيزه ، سوف يصبح معدا للقيام بالرحلة القادمة ، وهذا من شأنه ان يجعل عملية اطلاق الاقمار الصناعية أقل تكلفة وقد تم الاعداد لحوالي اربعمائة رحلة من هذا النوع خلال العقد القادم ، وفي نصف عدد هذه الرحلات سوف يحمل « المكوك الفضائي معملا مزودا بكامل المعدات ، قابل للاستعمال مرات عديدة ، يديره أربعة من العلماء الذين سوف يتمكنون من التحرك داخله دون الحاجة الى ارتداء « بدلات » الفضاء ، أثناء قيامهم بتجاربهم العلمية وسيكون في مقدور هذا المكوك ايضا بناء مركبات معقدة مثل محطات توليد الكهرباء الدائرة في الفضاء . وفي امكانه ايضا اصلاح وصيانة الاقمار الصناعية الفضائية ، او اطلاق اقمار صناعية الى مدار بواسطة صواريخ اضافية

ومن هذا « المكوك الفضائي » سوف تنطلق الصواريخ ، لاستكشاف الكواكب الاخرى ومن المتوقع ان يجد العلماء الحلول للمشاكل العديدة التي تصادفهم ، كما ستظهر في الوقت ذاته مشاكل أخرى كثيرة محيرة

فنحن نجد على سبيل المثال ان « جيراننا » المريخ والزهرة يثيران اهتماما ، لأن في كل منهما هواء مثل هواء الارض وسيوفر ذلك لعلماء الارصاد الجوية ، ثلاث بيئات كوكبية مختلفة للدراسة وستتيح لنا هذه الدراسة بصفة خاصة التوصل الى معرفة التغيرات الجوية على المدى البعيد ترى هل الارض في تحول مستمر الى صحراء بحيث تصبح في النهاية كالمريخ ؟ أم أن ثاني اوكسيد الكربون الذى يطلق في الجو سيحولنا الى « بيت ساخن » مثل الزهرة ؟

خارج المجموعة الشمسية ، سوف تتفتح لنا آفاق جديدة عندما يوضع « التلسكوب » الفضائي في مداره في عام ١٩٨٤ أو نحو ذلك . هذه الآلة التي لن يعوق استخدامها اى طبقة من الهواء ، سوف تتيح لنا النظر الى مساحة من الفضاء يبلغ حجمها خمسين ضعفا لما كنا نراه ، ومن أولى المشاكل التي سيحلها هذا التلسكوب الجديد ، التحديد الدقيق للمسافات الهائلة التي تفصل بيننا وبين المجرات الاخرى وسوف يتمكن من التطلع الى النجوم التي تنبض بضعف ، ونعرف العلاقة بين فترة ظهورها ولمعانها . فاذا حصلنا على المسافات التي تفصل بيننا وبينها ، فاننا بذلك سنتمكن من قياس حجم الكون كله من حولنا ، واذا توصلنا الى معرفة حجم الكون فسوف نتمكن من معرفة عمر هذا الكون منذ أن خلقه الله

وستوفر لنا هذه المعلومات معرفة الاطار الاساسي ، ولكن تبقى بعد ذلك أجسام غريبة كثيرة موجودة في السماء فهناك أجرام غاية في اللمعان ، وأخرى تضيء ثم تنطفيء بسرعة ، ثم هناك مصادر « لاشعة اكس » تعطي دفعات من الطاقة لا تدوم لاكثر من ثوان أو دقائق معدودة ، ولكنها مع ذلك توازى ما تعطيه لنا الشمس من طاقة خلال شهر كامل ثم هناك ذلك الغموض الذى يحيط بالثقوب السوداء ، بقايا النجوم التي بلغت من الكثافة حدا جعل الزمن والفضاء نفسه ينحني من حولها وخلال هذا العقد الجديد سوف تتاح للعلماء دراسة هذه الظواهر ، وفهمها بصورة أفضل في النهاية

ان العلماء سوف يستكشفون النجوم بواسطة الصواريخ والتلسكوبات ، ولكن ربما يكون اكثر هذه الاحداث اثارة للدهشة والعجب هو ما سوف يراه كل انسان على الارض ، وذلك عندما يقوم المذنب العظيم « هالي » بزيارة لهذا القسم من المجموعة الشمسية ، كما هو متوقع في عام ١٩٨٦ وسوف تحمله رحلته الطويلة

الى ما وراء مدار « ستون » ، السيار الثامن من حيث البعد عن الشمس ثم يظهر بعد ذلك ، بانتظام في سماء الأرض بمعدل مرة كل ٧٦ عاما وهو على النقيض من بقية المذنبين ، يكون مرئيا في ضوء النهار ايضا ومنذ عام ٢٤٠ قبل الميلاد ظل الانسان يرى ويسجل كل زيارة يقوم بها هذا المذنب وكانت هذه الزيارات في العادة تثير المخاوف الخرافية فعندما زار المذنب « هالى » سماء الارض آخر مرة عام ١٩١٠ تصور الكثيرون ان نهاية العالم قد جاءت ■■

٤ الطريق مفتوح للتحكم في سلوك الإنسان

الدكتور عادل دمرداش
احصائي الطب النفسي

كان التفاؤل يسود الأوساط الطبية النفسية خلال أواخر الخمسينات وأوائل الستينات عندما اكتشفت الأدوية النفسية التي تعالج الاكتئاب الداخلي ومرض الفصام وكان في رأي الكثير من العلماء أن التوصل الى أسباب الأمراض العقلية بات وشيكا ، وأن نقص أو احتلال الموصلات الكيميائية في المخ ، هو الاجابة العلمية على أسئلة ظلت لمدة قرون دون جواب الا أن هذه النتائج لم تتحقق بالشكل المطلوب ، بالرغم من النجاح الذي حققته هذه الأدوية في تهدئة المرضى ، ومساعدتهم على أن يعيشوا حياة قريبة من الحياة العادية في المجتمع

ويتوقع في خلال الثمانينات أن تتطور أساليب البحث وأن يتوصل الطب النفسي الى تفسير جزئي لهذه الأمراض

لقد ظهر خلال الستينات والسبعينات اتجاه الطب النفسي المضاد الذي يرفض تصنيف الأمراض التقليدي ويرى في الأمراض عادات أو لغة خاصة بالشخص

كما لعبت وسائل دراسة وظائف الجهاز العصبي دورا هاما في توضيح وتصحيح مفاهيم خاطئة سابقة فتبين مثلا أن النوم مكون من شقين وتبين أيضا أن الأدوية الفعالة تؤثر بشكل خاص على نوع معين من أنواع النوم بالاضافة لذلك توصل العلماء الى تحديد مراكز في المخ تختص بالانفعال والسلوك العدواني والذاكرة ومن هنا نجد أن الاتجاه نحو التأثير النوعي على هذه المراكز لتغيير سلوك الانسان المريض هو المتوقع في العقد القادم

ومن ناحية أخرى ، أثبتت الدراسات الفسيولوجية العامة ، ان الانسان يستطيع تعلم التحكم في الوظائف اللاارادية مثل سرعة نبضات القلب ، وموجات المخ الكهربائية ودرجة حرارة الجسم وقام العلماء باقتباس اصطلاح التغذية المرتدة من علم السيطرة والتحكم (Cybernetics) لتدريب الاشخاص بواسطة اجهزة خاصة على تخفيض ضغط الدم او التحكم في عصارة المعدة وسنشهد في خلال السنوات القادمة تطورا في هذه الأساليب ، بحيث يتمكن المصابون ببعض الأمراض النفسية الجسمية من التحسن عن طريق السيطرة على استجابات جهازهم العصبي الذاتي وبدون استخدام الأدوية

ومن المتوقع أيضا خلال الثمانينات مع تطور جراحة المخ النفسية الدقيقة أن يتم التوصل الى وسيلة مفيدة وذات آثار جانبية ضئيلة لعلاج حالات مرضية لا تستجيب للوسائل الحالية وقد يأتي اليوم الذي يستطيع فيه الأطباء عن طريق أقطاب دقيقة معروسة في اجزاء من المخ ، علاج المريض ومتابعة التغيرات الدقيقة التي تطرأ عليهم من بعيد ، وعلى شاشة خاصة في غرفة تشبه برج المراقبة الموجود في المطارات الحالية

وسيؤدي ذلك التطور بطبيعة الحال الى تضاؤل دور مستشفيات الطب النفسي وعلاج المرضى بشكل متزايد في بيئتهم ، وبواسطة أصحاب اختصاصات مختلفة بالاضافة الى الطبيب غير ان العلاج النفسي لم يتغير بشكل كبير في خلال السنوات العشر السابقة ، وان كانت بعض البلدان تتجه نحو ممارسة بعض انواع غريبة

العلاج النفسي بواسطة العوام

أما الامر الحادث الآن والمتوقع تزايده ، فهو مساهمة اد الهيئة التمريضية في العلاج النفسي بالاضافة الى طباء والاخصائيين النفسيين ولقد بحثت هذه حربة في بريطانيا فيما يتعلق بالعلاج النفسي سلكي ، الذي يسعى الى تصحيح السلوك العصابي مرضى في بعض الحالات بدون التطرق الى الأسباب والتعمق فيها وقد لقى هذا الاتجاه استحسانا كبيرا في العالم ، الامر الذي شجع بلدانا أخرى للمضي على الطريق ذاته

نخلص من ذلك ان تطور الطب النفسي في الثمانينات سيتبع خطا شبيها بنمط العقد الحالي ، بمعنى أننا لن نتوصل الى فتح جديد في هذا التخصص ، مثل اكتشاف الأدوية النفسية في أواخر الخمسينات وما صاحبه من تفاؤل شديد ، أثبتت الايام بطلانه ■■

---

٥ التلوث يجتاح الدول النامية

الدكتور كمال القيسي
الاستاذ بكلية العلوم ـ جامعة الكويت

ليست هناك فرصة للتفاؤل في معالجة موضوع لتلوث واحتمالاته في الثمانينات ، ما لم تحدث تغيرات ساسية في السياسات البيئية القائمة في العالم ونظرة لاساس للحياة ومقومات الحضارة فهناك مؤشرات مطيرة شهدتها السنوات الأخيرة وبالذات السبعينات دل دلالة واضحة على تفاقم مشكلة التلوث وتعقدها وما بعد يوم ، على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها لحكومات والمنظمات والهيئات العالمية والمراكز العلمية .

ذلك يرجع الى أسباب عديدة يصعب تفصيلها في هذا لمقام ، ولكن يمكن حصرها في ذلك التسارع الشديد لحاصل في طرق المعيشة للانسان وأنماط الحياة العصرية لمحيطة به ومستحدثاته في مجال العلم والتكنولوجيا ، التي يضمها ما يصطلح عليه اليوم « بالتكنوسفير » طبيعي أن هذه الانشطة وأمثالها والتطلع الدائم الى لتغيير المستمر في صور الحياة وميادينها قد أدى وسيؤدي الى الاستنزاف المتزايد لمصادر الطاقة والاستخدام الشرس للموارد الطبيعية مما عرّض وسيعرض أنظمة التوازن البيئي وعناصر ومقومات المحيط الحيوي « البيوسفير » الى الاهتزاز والتخلخل

وعلى الرغم من ادراك الاقطار المتقدمة وحتى النامية منها لهذه الحقيقة الا اننا نجد المنافسة آخذة بالظهور بين الاقطار المتقدمة النامية في مجال استنزاف الموارد الطبيعية والتنكر للبيئة الطبيعية ، حتى صرنا نجد على سبيل المثال عدم التورع في مواصلة انشاء المزيد من المفاعلات النووية على الرغم من مخاطرها المعروفة والمحاذير التي تحيط باستخداماتها ، وذلك من أجل الحصول على مصادر جديدة للطاقة لدفع عجلة التصنيع والتقدم التكنولوجي والاستجابة لمتطلبات برامج الفضاء وسياسات السلم والحرب هذا بالاضافة الى ملايين الملايين من الاطنان من الوقود النفطي وغيره

ولعل في ظهور بوادر انعدام الثقة فيما بين الاقطار
النامية والمتقدمة ما يزيد من خطورة مشكلة التلوث
ری أن الثمانينات ستزيد من هذا المعنى الى ما شهدناه
السبعينات من ملامح الريبة وعدم الاطمئنان الذي
ساد الطرفين في اللقاءات والمؤتمرات العالمية التي عقدت
خلال هذه الفترة، ونخص منها المؤتمر العالمي الاول
للبيئة الانسانية والذي عقد في صيف عام ١٩٧٢ بمدينة
ستكهولم في السويد حيث أظهرت المناقشات التي
جرت في ذلك المؤتمر البون الشاسع في وجهات النظر بين
كل من الاقطار المتقدمة والاقطار النامية فيما يتعلق
بقضية التصنيع ومكافحة التلوث والعمل المشترك من
أجل سلامة البيئة الانسانية هذا اذا أضفنا أيضا بأن
الأعوام الاخيرة من السبعينات قد أعطتنا بعض
المؤشرات الواضحة الى أن مشكلة التلوث في الاقطار
المتقدمة قد أحدث بعدا سياسيا جديدا، وذلك بانتقالها
الى الشارع وهو ما تمثل بقيام المظاهرات الجماهيرية
الصاخبة والاضطرابات وأعمال العنف، خصوصا بعد
وقوع بعض الحوادث الخطيرة من التسربات الاشعاعية
في مراكز بعض المفاعلات النووية كالذي حصل في
مدينة هاريسبرغ (محطة ثرى مايل ايزلاند) في ولاية
بنسلفانيا الامريكية وحالات التسمم العنيفة التي وقعت
في بعض المدن اليابانية والتي راح ضحيتها عدد من
المواطنين، وذلك بسبب حالات التلوث التي أصابت
الأسماك بمواد ملوثة تؤثر على الجهاز العصبي للانسان

ومن هنا نستطيع القول بأن انتقال مشكلة التلوث
الى هذا النوع من التصور سيضطر حكومات الاقطار
المتقدمة وسيعطيها فرصة أكبر لايجاد الحلول الايجابية
للحد من التلوث وتخفيف آثاره في هذه الاقطار

وسيؤدي هذا بطبيعة الحال الى تفاقم مشكلة التلوث
في الاقطار النامية وتعاظمها، اللهم الا اذا أدركت هذه
الاقطار فداحة الخطر الذي يتهددها بتبني هذه السياسة
وانتفعت من الاخطاء التي وقعت بها الاقطار التي
سبقتها في هذا المضمار.

وعلى العموم لابد من الاشارة الى أن الاتجاه في
سياسات التخطيط والتنمية التي تتبناها الاقطار النامية
حاليا يدل دلالة واضحة على أن التصنيع ونقل
التكنولوجيا هما من أبرز المعالم التي تتجه نحوها هذه
الاقطار خلال نهضتها وما لم تضع لمشكلة التلوث
التي تتعرض لها الاحياء وعناصر البيئة الطبيعية حلا
معقولا، وذلك بتقصي الاسباب الحقيقة التي أدت الى
الخلل والتصدع الذي أصاب البيئة الطبيعة والانسانية
في الاقطار المتقدمة ثم القيام بحملات التوعية
الواسعة لشعوبها وتعريفها بأخطار التلوث وايجاد
التشريعات الخاصة بحماية البيئة ومكافحة التلوث
وتشجيع البحث العلمي وخطط الدراسة القريبة والبعيدة
المدى على مشكلات البيئة الانسانية والطبيعية، ما لم
يحدث ذلك، فان خطر التلوث الذي يتهدد الاقطار
النامية سيكون أعنف بكثير من ذاك الذي حلّ في
الاقطار المتقدمة ولعل بوادر هذا التلوث تبدو بصورة
واضحة حاليا في البيئة البحرية وأجواء الاقطار
الخليجية وذلك بسبب الملوثات المتدفقة من المصانع
ووسائط النقل والمجاري وناقلات النفط

والذي أتمناه وأرجوه أن تدرك حكومات وشعوب
الاقطار المتقدمة والنامية على السواء بأن قضية التلوث
مسألة حضارية قد تعرض الجنس البشري الى الانهيار
والفناء، ولا بد من اعطائها مقام الصدارة في كل الخطط
والسياسات الانمائية خلال الثمانينات ولعل من المفيد
أن نذكر لورد مادوكس فورد في قوله « اذا أردنا الانقاذ
لحضارتنا فهناك طريق واحد لذلك هو تغيير جذري في
قلوب جميع البشر الذي يعيشون فوق سطح الكرة
الارضية وليس بتصحيح يجري في المكائن التي اخترعها
الانسان أو بالشعوذات أو الخدع التي يقدمها لنا
الاقتصاديون لابد أن نمتلك القلوب المتحضرة أولا إن
أردنا أن نمتلك الحضارة الحية النامة» ولذلك أرى أن
الثمانينات وما بعدها ستعاني الكثير والكثير من مشكلة
التلوث والاستنزاف اللامسئول للطاقة والمصادر
الطبيعية ما لم يعمل الانسان من أجل تحكم القيم والمثل
الانسانية ومعاني الالتزام في كل السياسات الاقتصادية
والانمائية وبذل كل الجهود لازالة الهوة السحيقة الحاصلة
بين التكنوسفير والبيوسفير ■■

أستاذنا الجليل الدكتور زكي نجيب محمود يكتب للعربي
ابتداء من هذا العدد ، هذا الباب الثابت فيه كل عصارة
فكره وتجربته ، في كلمات قليلة

يكتب الدكتور زكي نجيب محمود

ديمقراطية الثقافة

الغموض في حياتنا الثقافية ضارب سحبه الدكناء ، فالرؤية مبهمة وشعاب الطريق أمامنا يختلط بعضها ببعض ، ولا غرابة ان تتعثر الخطى و يتلكأ السير ، وحتى الافكار الرئيسية الكبرى ، التى على هداها ترسم مخططات التنفيذ ، قلما نظفر منها ولو بقليل من تحديد معانيها وتمييز معالمها ، ونسوق في هذه الكلمة مثلا مما تجرى به الالسنة بين قادة الحركة الثقافية في الوطن العربي عن « ديمقراطية الثقافة » ووجوبها

فالغموض هنا غموض مركب ، فلا « الديمقراطية » موحدة المعنى بين من يستعملون هذه الكلمة في مجالات الحياة المختلفة ، ولا « الثقافة » محدودة التعريف في جميع استعمالاتها ، فينتج عن ذلك أن تجيء عبارة « ديمقراطية الثقافة » في درجة غموضها حاصلا لضرب الغموضين ، ومع هذا الغموض كله ـ لم نجد احدا ممن يعنون فينا بالتخطيط للثقافة العربية ، يتردد ولو للحظة قصيرة ، حتى تتبين له معالم المعنى

ولهذا نقع في مغارقات كثيرة ، اقل ما يقال فيها ، انها تحد من سرعة السير ، فنحن نخلط هنا خلطا خطيرا بين معنيين احدهما هو الديمقراطية بمعنى المساواة الكاملة بين الافراد ، والثاني هو الديمقراطية بمعنى المساواة في « الفرص » المتاحة للجميع ، فاذا أخذنا بالمعنى الاول في دنيا الثقافة ، نتج لنا الرأى العجيب الذى يأخذ به كثيرون مضللون مع الأسف العميق ، وهو أن يراعى في الانتاج الثقافي أن يكون « للشعب » ، ومؤدى ذلك الا يبدع المبدعون شيئا في الأدب أو في الفن ، الا إذا كان في متناول أفهام الجماهير ، أو ـ على الاقل ـ في مقدور العدد الاكبر ممن نسميهم بالمثقفين ، والخلط هنا واضح وفاضح ، لكنه برغم ذلك خلط شائع

وأما اذا أخذنا بالمعنى الثاني ، الذى هو أن تكون المساواة المطلوبة مساواة في الفرص المتاحة ، نتج عن ذلك ـ في نهاية الامر ـ أن تكون لكل درجة من درجات السلم الثقافي في أبناء الشعب ثقافتها التي تلائمها فلابد أن نقدم للشريحة العليا طعامها الفكرى والفني ، بنفس الضرورة التى نقدم بها للقاعدة العريضة من أبناء الشعب طعامها ، لا ، بل إني لأجازف فأقول انه لو كان لاحدى المجموعتين أولوية

منطقية على الاخرى . لكانت الاولوية لأفراد الذروة العليا في الحياة الثقافية . لأنهم هم الذين يعودون فينقلون تحصيلهم الى من هم دونهم درجة أو درجات . والا فمن الذى يكتب الكتب . أو يذيع في الراديو والتلفزيون . موجها كتابته أو اذاعته لعامة الشعب . أو للاطفال أو لربات البيوت . ولغير هؤلاء وأولئك . إلا من هم أقدر على العطاء الفكرى ؟

لقد كان من الاحكام النقدية التى اشاعها « تولستوى » فانتشرت بعد ذلك انتشارا واسعا . قوله بأن مقياس الأدب أو الفن هو أن يستطيع تذوقه أقل الناس تحصيلا واكثرهم تحصيلا على حد سواء . وهو رأى . حتى إن أصاب . فصوابه مرهون بقيود تحدده . والا فقد يستطيع الانسان من عامة الناس والانسان من صفوة المثقفين على السواء أن يتذوقوا قطعة موسيقية او لوحة . أو نغمة قصيدة من الشعر أو قصة أو مسرحية . لكن الرجل من الصفوة وحده هو الذى يعرف بعد ذلك كيف يحلل الناتج الادبي والفنى ليقع على اسباب الارتفاع وذلك أمر له أهميته . لانه اذا عرف العلة . كان موفقا الى الصواب في احكامه النقدية . وعلى هذا التوفيق يتوقف التمييز بين الجيد والرديء

اني كثيرا ما لحظت عند المناقشة في اهداف الحركة الثقافية (وخصوصا في اللجان التى تعقد لمثل هذا) خلطا بين نوعين من الانتاج انتاج يراد به التسرية عن انفس القارئين والمشاهدين . وانتاج آخر يدعه مدعوه ليدوم على الزمن . وواضح أن ما يتطلبه النوع الأول من موهبة وقدرة يختلف اختلافا بعيدا عما يتطلبه النوع الثاني وواجب الدولة (متمثلة في اللجان الثقافية التي اشرت اليها) هو أن تعنى بالنوعين معا لأن كليهما مطلوب

ونقول واجب « الدولة » . لأنه قد أصبح أمرا محتوما على الدولة أن تعين الموهوبين على انتاج المستوى الرفيع من الادب والفن . وذلك بعد أن ذهب عهد رعاة هذا المستوى من خلفاء وامراء ووزراء . وبعد أن أدت ظروف عصرنا الى التبسيط والتسطيح (وبخاصة في وسائل الاعلام الثقافي) فلم يعد أمام اصحاب الموهبة الرفيعة إلا أن يعانوا بأموال الشعب عن طريق الدولة ولجانها ■■

بين الاشراق والتحدي

• استمرار الجدل • فظائع الطليان

• عزام فارس العروبة • وفاة شوقي

لم تكد خطابات مكرم عبيد ومحمد علي علوبة في بلاد الشام تذاع في مصر حتى جاء تأثيرها بالغا . وحدث - حين عاد علوبة من رحلته تلك - ان استقبل في محطة سكة حديد القاهرة استقبالا حارا اشترك فيه حملة الفكرة العربية ودعاتها . وقد أدلى فور وصوله الى المحطة بتصريح أكد فيه دعوته العربية وأعلن انه نذر نفسه لها . وهذا اثار حنق الذين يناوئون الفكرة لأسباب لا تخلو من جهل بها ، او تتصل بمفهومهم الخاص لمعنى

الوطنية التي تحتم تمجيد « الفرعونية » وحدها . واذكر من أضراب هذا النفر كاتبا اسمه « راشد سيفين » من اسيوط كتب في جريدة « المقطم » في اغسطس ١٩٣٠ مقالا عنوانه « مصر فرعونية لحما ودما » عرض فيه بدعوة علوبة باشا وخلاصة معزوفته « مصر التي كان لها من الحيوية ما مكنها من هضم العرب الذين استوطنوها ستهزأ بكل محاولة من هذا القبيل وستظل الى الابد فرعونية لحما ودما » وضرب على هذا الوتر كتاب

آخرون اختلفت لهجتهم حدة او ليانا . فثم كاتب جعل توقيعه احمد محمود حسن (خريج ادب من الصوربون) قال « لا يمكن ان تكون مصر الا فرعونية نحن مصريون كرمسيس وتوت عنخ آمون »

وبرع الى هذا المذهب كاتب تكنى بتوقيع « احمس » الفرعوني وقد علم فيما بعد انه « احمد حسين » الذي غدا بعد سنوات من أقوى دعاة الفكرة العربية ، كما رأينا وسنرى فيما بعد . ومثل هذا قد يقال عن زميله في الجامعة ، ثم رصيفه بعد ذلك في « مصر الفتاة » وهو السيد « فتحي رضوان » الذي كتب قبل تسع واربعين سنة « ان مصر ارض انسانية . لانها لم تكن مصرية ولا اغريقية ولا رومانية ولا عثمانية ولا عربية لانها ارض انسانية ولعله يصح عليها لفظ كوزموبوليتان »

وما كنت لاستشهد بقول قديم للصديق الاستاذ فتحي رضوان يوم كان طالبا . وانا اعلم دوره القومي فيما بعد ، الا لتبيان مدى التطور في النظرة الى القضية

استشهاد عمر المختار • الظهير البربري

بقلم اكرم زعيتر

وهناك كاتب أخر كتب بتوقيع « حسن محمود » منكرا على علوبة باشا قوله بضرورة الوحدة العربية « لان المصريين ليسوا عربا ، والعمل في ساحة اوسع من وادى النيل والاندماج مع الامم العربية يثير بعض العقبات التي قامت بين الترك والعرب ، ولان المدنية الاسلامية شاخت وتعبت ونحن نقتبس في مبدأ نهضتنا عن غيرنا »

هذه الاصداء السلبية لصرختي علوبة ومكرم حفزت انصار الفكرة من المصريين الى اقتحام الميدان دفاعا عنها واذكر منهم الاساتذة فهمي نجيب ، ومحمد فريد (الخبير لدى المحاكم الاهلية) ، واحمد الحفني ، واحمد سعيد ديب الذى تولى الرد على احمد محمود حسن من ناحية بيولوجية ثم اذكر ممن دافعوا عنها ، ولنا بهم معرفة ولهم شهرة الاستاذ محمد العنيمي التفتازاني الذى قال « اما ان مصر الحاضرة هي مصر الفرعونية لحما ودما وثقافة فهو ما لا يقول به عاقل ، فان ثلاثة عشر قرنا تعاقبت على العرب في مصر لا اظن انها خافية الأسارير ، او مستورة الكيان ، اذن فلنترك الفرعونية جانبا فليس لدينا عنها الا الصوامت من الحجر او النوادر من الطرف » ، وافاض في هذا ثم قال « لو حدث استفتاء عام في انحاء القطر المصري ما تجرأ على المجاهرة بالفكرة الفرعونية حتى الذين يعتقدونها ويقولون بها اذ ان مصر عربية منذ الفتح الاسلامي بكل معنى العروبة »

وقد كنا ونحن في الحداثة نتتبع أنباء الحركة الوطنية المصرية في اعقاب ثورة ١٩١٩ وكان من اعلامها خطيب ومحام قبطي اسمه رياض الحمل وقد حكم عليه بالموت ، وتبدل الحكم الى السجن المؤبد ، وكم سرنا ان يدعو رياض الحمل الى خطوات وحدوية عربية كانشاء دائرة معارف عربية على غرار دائرة المعارف البريطانية (لم تكن كلمة « موسوعة » دارجة يومئذ) يضعها مجمع علمي ، كما دعا الى عقد مؤتمر عربي عام رشح لرئاسته

الامير عمر طوسون الذى كانت له في مصر والبلاد العربية مكانة مرموقة

وراح الاديب السورى تيسير ظبيان ـ اللاجيء الى القاهرة من العسف الفرنسي ـ يستنطق بعض الاعلام رايهم في الفكرة العربية ونشرها على الملأ . ومن هؤلاء الاستاذ المحامي « صالح جودت بك » [1] الذى هتف بالرابطة العربية ، ودعا الى مؤتمر يبحث في الوسائل العلمية لتحقيقها وأما الدكتور « منصور فهمي » فقد انكر على الكتاب ان يتحدثوا عن الفوارق دون ان يذكروا مواضع التشابه والتواصل » ، فالمصرى يعلم انه مصرى والسورى لا يجهل انه سورى ، والعراقي لا ينكر عراقيته وليس كل منهم في حاجة الى من يذكره بنسبه الضيق ، ولكنه في حاجة الى من يذكرهم فيما بينهم من روابط ليتعاونوا فيما هو مشترك بينهم » وتحدث عن ضرورة خدمة اللغة والثقافة العربية والتعاون الاقتصادى داعيا الى عقد مؤتمر عربي لهذه الغايات ، وقد ظل الدكتور منصور فهمي داعية وحدة عربية ، واذكر انه زار فلسطين وحاضر في مدنها وقرر مجلس بلدية نابلس اعتباره مواطن شرف لمدينة نابلس وكنت من شهود الاحتفال بذلك

وممن تحمس تلك السنة في الدعوة الى الفكرة العربية الحقوقي المصرى « حسن عارف » ومن اقواله « اذا كانت الوحدة غير ممكنة اليوم فهي ممكنة غدا ، ولنودع اليأس فهاهم أولاء غيرنا ينادون بوحدات أغرب من هذه ، وما عهدنا بمشروع الولايات المتحدة الاوروبية ببعيد ، فلنوجه انظارنا شطر هذا الامل » ودعا الى ولايات عربية من مصر والسودان وفلسطين والشام والعراق والحجاز ونجد مع احتفاظ كل قطر باستقلاله الداخلي وقد انتهى الجدل تلك السنة اى ١٩٣٠ برجحان الفكرة العربية

ولم يستمر النقاش في السنة التالية ١٩٣١ ، وقد تلاشى الصدى السلبي لدعوة علوبة ومكرم ، ولكنها في النشاط العربي القومي قد عرفت غضبة مصرية ونقمة عارمة من الطليان يوم صلبوا المجاهد الثائر البطل « عمر المختار » وامتلأت الصحف باستنكار طغيان الطليان وحمل الامير شكيب ارسلان في اثارة حملة شعواء لا هوادة فيها على ايطاليا في عدة جرائد « الجهاد » و « الفتح » و « كوكب الشرق » ، وصدرت الاهرام مقالا لعبد الرحمن عزام عنوانه « كيف قتل عمر المختار وبأى ذنب قتل ؟ » ووقف محمد علي الطاهر جريدة الشورى على التنديد بايطاليا ، وتألفت لجنة للاحتفال بتمجيد الثائر الشهيد ، وأعد امير الشعراء احمد شوقي رائعته لتتلى في الحفلة ، ولكن وزارة اسماعيل صدقي منعت اقامة الحفلة ابتغاء رضوان ايطاليا التي ثارت ثائرتها سخطا على الحملة ضد فظائعها ، على ان الحفلة اقيمت على رغم هوى السلطة في بيت آل الباسل الذين اشتهر منهم حينئذ حمد الباسل باشا وكيل الوفد المصرى وعبد الستار الباسل بك عضو الشيوخ ، وتليت فيها قصيدة شوقي وربح العالم العربي بقوله

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم ! نصبوا منارا من دم
توحي الى جيل الغد البغضاء

وفيها يصف البطل مقبلا على المشنقة

وأتى الاسير يجر ثقل حديده
أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ
ومشت بهيكله السنون فناء
تسعون لو ركبت مناكب شاهق
لترجلت هضباته ، إعياء

وينهي قصيدته ذات الاربعين بيتا مخاطبا ، الشعب الطرابلسي

يا ايها الشعب القريب أسامع
فأصوغ في عمر الشهيد رثاء

---

(١) هو غير الاديب الشاعر الصحفي « صالح جودت » (العربي)

أم ألحمـــ فاك الحطـــوب ، وحرمت
ادبيك حـــس تخاطـــــ الاصعاء
دهــــ الرعيـــم واســـ ناى حالد
فانهـــد رحـــالك ، واحتـــر الرعماء
وأرح سيوحـــك من تكـــاليف الوعي
واحمـــل على فتيـــاسك الأعباء

واثيرت في العام داته قصية الظهير البربرى « اى المرسوم » الذى ارادت به فرنسا تنصير البربر في الجزائر عن طريق احياء تقاليد بربرية على حساب الشعائر الاسلامية ، فكانت لصحافة مصر في مقاومته جولات وكانت « الفتح » و « الجهاد » و « الهداية » و « الشورى » و « كوكب الشرق » منابر لحملات الامير شكيب ارسلان يمتد صداها من مصر الى سائر انحاء العالم العربي ، ولم تأل جمعيات الشبان المسلمين جهدا في استنطاع الظهير وادكر اسي كنت في الثانية والعشرين من عمرى حين كتبت للامير شكيب ـ وكنت اتابع مقالاته في الصحف المصرية التي يرسلها من لوزان ـ احدره غدر الطليان والفرنسيين ، وارجوه اتقاء محاولة اغتيالهم اياه باحتراسه لنفسه ، فاجابني بكتاب فياض ، ومما قاله « ياولدى ان الذى نحن فيه هو جهاد ، والجهاد هو الحرب فهل رأيت جنديا يذهب الى الحرب لاجل القتال ويقول لعلها جاءتني رصاصة ، ان الذاهب الى الحرب وطن نفسه من قبل على الرصاصة وغيرها » وفيها « ثم اعلم ياولدى ان من خاف من شيء سلطه الله عليه ، فانا لا اخاف ولا احب ان اخاف « وموسوليني » و « مصطفى كمال » وامثالهما ـ عندما يقرأون ترجمة كلامي او ما اكتبه بالفرنسية ـ يعلمون انه ليس بكلام من يحسب لهم حسابا والله خير حافظا » « واما الحركة البربرية فيقول الامير في رسالته عنها « الحركة البربرية كانت اول نتائجها نشاط المغاربة واندفاع شبابهم للعمل ، وهذه بذاتها نتيجة كافية والحركة الآن عمت عندهم جميع الطبقات وجريدة « الطان » اضطرت ان تعترف ان المغرب بدأ يسير على خطة مصر وسورية »

أردت بما أسلفت القول ان مصر اصبحت منطلق الحركات التحررية ، وحق للقاضي الشيخ « محمد سليمان » ، الذى كان يكتب في « رسائل سائر » والتي يبعث بها من البلاد التي ساح فيها ، ان ينذر في احداها بخطر تخلف مصر عن تقمص الروح العربي مؤكدا « ان مجد مصر في ان تظل قلب العرب ، وروح الشرق ما دامت رافعة يدها بمصباح العربية »

وفي السنة التالية ١٩٣٢ تتالت في مصر اشراقات عربية ، ومن حق « عبد الرحمن عزام » ـ فارس القضية العربية يومئذ ـ ان نذكر ان هذه السنة كانت سنة عبد الرحمن عزام الوحدوية ودونك بعض الآيات على ذلك « وقعت في مطلع هذا العام في سورية اصطدامات بين الوطنيين والفرنسيين ، فبادرت الصحف المصرية الى مظاهرة سورية ، وكان مكرم عبيد في زيارته دمشق قبل سنتين قد عقد صلات بين الكتلة الوطنية والوفد المصرى ، واعلن هذا الموثق في مهرجان اقيم لتكريمه في بيت القطب الكتلوى « فخرى البارودى » ، فلا عجب اذا رفع الوفد المصرى عقيرته انتصارا لسورية ، وفي صدر « الجهاد » الجريدة الوفدية الكبرى ارسل عبد الرحمن عزام صرخته « هنا وهناك امة واحدة شاركونا من اول نهضتنا في بأساتنا وضراتنا ، فما يقع هنا نسمع صداه هنالك ، وما من سوء اصاب القاهرة الاوسرى الى جيراننا فغمرهم نحن نعيش في بيئة واحدة تحت تأثير عوامل واحدة ، وما الشام ومصر وبقية البلاد العربية الا أمة واحدة في هذا الشرق الادنى غلبت على امرها وتسلط الاجنبي عليها فهي تكافح مستبسلة في سبيل الحرية والكرامة نحن بيننا صلة الالم المشترك في سبيل غاية ندين بها جميعا ، ولكن ما بيننا وبين الشام هو اعظم من هذه المشاركة في الالم والغاية ، بيننا القربى بيننا الصلة العنصرية . واذا ظن احد ان اهل العنصر الواحد قد يتخاذلون فان بيننا فوق صلات النسب والدماء صلة العقيدة التي تصدر عن تفكير سليم صادر عن مزاج متحد اذن فنحن بيننا وبين الشام قربى تزيد المصائب في اواصرها حتى نكاد نكون روحا واحدة في ابدان متفرقة » وندد بالفرنسيين الذين « لايسيئون الى الشام وحده وانما يسيئون الى اهل العربية ، أينما كانوا ، ويسيئون الى قلب الامة العربية مصر لان هذه البلاد تعتبر نفسها في مقام القلب من الامة العظيمة التي تحتل هذا الشرق العربي » وحمل على الامم اللاتينية التي تحيط بالجانب الاخر من البحر الابيض المتوسط « ففي طرابلس الغرب ضربت امثال

من منكر الاعمال لا تزال الامة العربية تتململ من ذكرها ، وفي الريف لا يزال بطل من ابطال العرب (محمد بن عبد الكريم) في ذل الاسر بعد ان قُضي على من حوله من انصار الحرية . وقبل سنتين ضربت دمشق بالمدافع ولم ترع لقدسيتها حرمة .. واليوم ها هي ذي الحوادث تتتابع بالاسى والاذى في اهل سورية » ودعا العرب الى الكفاح عن الحرية .) وليعلموا ان الايام والسنين التي سيقضونها في هذا الكفاح هي الفترة اللازمة لتهيىء أمة عربية لحمل الرسالة البشرية التي نهضت في الماضي وستنهض بهامرة احرى في المستقبل القريب » .

كان عزام عضوا في المؤتمر الاسلامي العالمي الذى انعقد في القدس اواخر السنة المنصرمة (١٩٣١) ممثلا للوفد المصرى وقد شن حملة شعواء على الاستعمار الايطالي لطرابلس الغرب وندد باعدام الزعيم الشهيد عمر المختار مما اثار السلطات الايطالية وجعل السلطة البريطانية في فلسطين تخرجه من فلسطين بالقوة فأضفى ذلك التصرف على عزام مزيدا من تقدير حملة الفكرة العربية في بلاد العرب ثم نشر في هذه السنة مقالين شرقا وغربا نقلتها صحف عربية عديدة ، واذكر انني جعلتها مما يدرج في كتب المطالعة العراقية حين كنت اعمل في التوجيه القومي في معارفها أما اولها فعنوانه « العرب امة المستقبل » نشره في العدد الاول لمجلة « العرب » المقدسية التي اصدرها الاستاذ « عجاج نويهض » منبرا قوميا استقلاليا ، وكانت المقالة هدية عزام الى دعاة العربية في كل قطر ، هذه المقالة النفيسة التي تناقلتها الصحف العربية قبل سبع واربعين سنة اري من تمام واجبي القومي ومن بوادر الاحتفال بذكرى عبد الرحمن عزام ان أرفقها بمقالي هذا ، وتركية أمير البيان شكيب ارسلان لها في رسالة قال فيها « طالعت ما كتبه تحت عنوان « العرب أمة المستقبل » ، الاخ عبد الرحمن عزام ، أحد مفاخر مصر بلا نزاع فأول خاطر خطر لي بعد مطالعة هذه المقالة هو أن ينتدب احد ذوى الحمية العربية فيطبع منها مائة الف نسخة ويوزعها على جميع اقطار العالم العربي ويقترح تعليمها وتحفيظها غيبا لطلبة المدارس ، فاني لم اجد مقالة ألزم لهذا الوقت من هذه المقالة ، كما اني لم اعهد مقالة قصيرة يتفتق منها (انسيكلوبيديا) برمتها مثل هذه المقالة وما وجدت الكيفية تغلبت على الكمية مثل هذه المرة ، لن أقدر أن أشرح كل ما شرح صدرى من كلمة عبد الرحمن عزام هذه ، وقصاراى ان أقول أحياك الله حياة طويلة مديدة ياعبد الرحمن اذ بحياة مثلك حياة لمصر وحياة العرب ! »

ومن الذكريات الجاهبية هنا انني كنت أزور عزاما في السنوات الاخيرة قبل وفاته حين اعتكف في بيروت لدواع صحية وكنت آتيه بصور من مقالات له قديمة بارعة لم تكن لديه نظائر لها . ومنها ما سي هو مناسبتها ولما جئته بصورة رسالة الامير شكيب ولم يكن يذكرها كثيرا ، واستدفع بحلد ملحوظ عبرات كادت تنبجس من عينيه وهتف « رضي الله عن الأمير شكيب واحسن عني جزاءه الأمير شكيب لا يجود الزمان بمثله »

وارسل في خريف السنة ذاتها مقالا آخر لا يقل روعة ونفاسة عن الاول وجعل عنوانه « الوحدة العربية ضرورة للعرب وسعادة للبشر » ، تصلح ان تكون دستور العرب القومي ، وقد اثبتت هاتان المقالتان لعزام مقاما كريما لدى حملة الفكرة العربية ، ولم يكن اختياره الامين العام لجامعة الدول العربية يوم تأسيسها الدليل الوحيد على منزلته لديهم ، ففي سنة ١٩٣٩ حين تقرر عقد المائدة المستديرة في لندن لاجل قضية فلسطين انتدبت الحكومة المصرية لتمثيلها فيه الامير عبد المنعم ، وعلي ماهر رئيس الديوان الملكي ، وحسن نشأت سفير مصر في لندن ، واستدعى رئيس الوزراء محمد محمود باشا عبد الرحمن عزام الوزير المفوض لدى العراق ليكون مستشارا للوفد ، لا عضوا ، فامتنع عن الاشتراك في الوفد ، ولكن الوفود العربية اجمعت على ان يكون المستشار العام لها واتصلت برئيس الوزراء الذى استجاب لرغبة الوفود وابرق بتعيين عزام عضوا في الوفد المصرى وظل في الحين ذاته المستشار الاثير لدى وفود العرب ومما يذكر انه حين رشحت الحكومة المصرية عبد الرحمن عزام سنة ١٩٣٦ ليكون وزيرا مفوضا في بغداد ارسلت حسب الاصول « تستمزج » الحكومة العراقية في الترشيح فكان جواب ياسين الهاشمي ، رئيس الوزارة العراقية ، والمرجى لقيادة الحركة الوحدوية . « لا

لقد سبقتنا مصر .. لاننا نود لو رشحنا نحن العراقيين عبد الرحمن عزام سفيرا للعراق في مصر . »

اما المقال الثاني فقد كان مفاضا برهن فيه على انه ليس ثمة تناقض بين المساعي المحلية (القطرية) والسعي العام للوحدة ، وانه مهما اصاب اى قطر عربي من قوة فانه لن يستطيع ان يتنحى عن نسبته للعنصر العربي .. وكلما تحررت ناحية في الوطن العربي دنا يوم التحرير للوطن كله .. » وتحدث عن الالم المشترك . ولكن الامل اقوى من الالم وفي سبيل الامال يلقى الناس الآلام بصبر وبشر » « والوحدة العربية اسمى المطالب وأليق بالمهمة العالية وأجدر بمعنى العزة من مطالب الحرية المحلية » وتحدث عن ضرورة الوحدة « فبغير الوحدة تبقى الاقطار المنعزلة ضعيفة لا تستطيع ضمان استقلالها بغير حلفاء او حماة خارج الجنس العربي ، يتقاضون منها ثمن التحالف والحماية عاليا ، وذلك خضوعا لسياسة قد تكون موجهة ضد بعض العرب او المسلمين او تكون موجهة ضد امم اخرى لا مصلحة للعرب في منازعتها » واسترسل في هذا المعنى وقال « وقد تضطر بعض الاقطار العربية وهي في حالة العزلة او الحاجة الى سند من غير العرب الى التزام انظمة داخلية لا تطمئن حلفاؤها بغير وجودها من حيث تكون هذه الانظمة عائقا للقطر عن نشوئه وتطوره الطبيعي » ويصل عزام الى البرهنة على ان الوحدة العربية ستبقى غاية ضرورية لاستكمال الدفاع عن النفس وعن الحرية نفسها ، وضرورة اقتصادية ثم برهن على انه في مصلحة العالم ان يبعث العرب متحدين لان ذلك معناه وحدة بشرية متحضرة منتجة ، ويسهب عزام في الحديث عن حاجة العالم الشديدة لبعث العرب مرة اخرى لا لتغذية الحضارة القائمة وزيادة الانتاج العالمي ولكن لانقاذ الحضارة وبالتالي البشرية « وسبب اتجاه آمالي على هذا النحو لم يأت من عربيتي وانما من تجربتي » واشار الى ظهور النهضة الاولى بزعامة محمد (ﷺ) . « في ذلك الوقت كان في ركن مجهول من الارض قوم لم يصابوا بسموم الحضارة البائدة ، جاءتهم رسالة محمد فانقذوا العالم ووهبوه الروح مكان المادة ، والنظام محل الفوضى ، والمساواة بين الطبقات وبين العناصر » وقد انهى مقاله الماتع بالروعة التالية : « فنحن اذن ندعو للوحدة العربية لابدافع من بغض الاجانب ولا لرغبة الانتقام منهم ، ولا تتملكنا الانانية في هذا ، لايماننا بان بعث امتنا فيه نجاتنا واسعاد البشرية كافة ، نحن ندعو للوحدة العربية مؤمنين بحسب استعداد العرب اليوم لحمل الرسالة والذين لا يؤمنون ايماننا ويظنوننا نحلم غير مقدرين للحقائق الراهنة هم اولئك الذين لا ينظرون الى اكثر مما بين ايديهم ، اما ما تلده الحقائق الراهنة فهو مالم يدركه كسرى ولا قيصر وقت ان عمر الحفاة العراة نصف الكرة الارضية »

ومن اشراقة الفكرة هذه السنة ان تنشر « السياسة » رسالة من رئيس تحريرها الدكتور « محمد حسين هيكل » بعث بها من لبنان الى صديقه الكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني انهاها قائلا « ان مصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق وبلاد العرب وبلاد المغرب كلها وطن واحد لابنائها جميعا وان دول الغرب المستعمرة الباغية قد قسمتنا وجزأتنا وجعلت النضال بيننا في مختلف الميادين »

ولا يجوز لي ـ قبل الانتقال الى الاشراقات والتحديات سنة ١٩٣٣ ان اغفل عن موجة الاسى العارمة التي اجتاحت العالم العربي بوفاة امير الشعراء احمد شوقي في تشرين الاول (اكتوبر) من هذه السنة فاقيمت له مآتم في البلاد العربية ورثاه جميع شعراء العربية وكبار ادبائها ولم يشمل الحزن بلاد العرب منذ وفاة الزعيم المصرى العظيم سعد زغلول شموله يوم نعي احمد شوقي ، واذا كان قد لبى الدعوة الى التأبين في القاهرة شعراء كبار فقد آثر آخرون ان يؤبنوه في اقطارهم ، اجتنابا لشبهة رضائهم عن اسماعيل صدقي باشا الذى كان يترأس الوزارة المصرية يومئذ ، وسمعنا اديب العربية وصديق شوقي الحميم اسعاف النشاشيبي يقول في شرح تأبينه الرائع الذى القى في نابلس وحيفا والقدس « وليعلم جميع العقلاء في الاقاليم العربية كافة ان روح شوقي هربت من القاهرة في اليوم الرابع واليوم الخامس من شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢ مضطربة متألمة لافراط القوم في الاساءة اليها » . ■■

اكرم زعيتر

• قصة قصيرة •

من أنت؟

بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

فلتتجاهلني

لتأمر خدمها ان يقذفوا بي الى الشارع

لتهمس الى زوجها فيلقي بي في السجن . وهو قادر على ذلك

انا لا يمكنني ابدا ان انسى رقتها

لعله الفرح العام الذى فاض على الوجوه في تلك الليلة كانت الدارة كلها مرقص احلام تلألأ النور ، سال الهواء ، تمرمرت الثياب وشمت الاجساد ، امترجت العناصر كلها واصبح المستحيل ممكنا ، ونسي الحاضرون - في اشراق وجهها الملائكي روحها الذى ينصب المشانق ويضيع الابرياء في السجون

في تلك الليلة اقتربت منها ، اقتربت منها جدا حتى احسست انفاسها اللطيفة على وجهي وعندما اراد طفلها ان يسر اليها شيئا ، رفعته بيدى هاتين حتى اصبح فمه ملاصقا لأذنها . فمست اطراف اناملي ظهرها العارى حركت انامل قليلا قليلا . بخفة . بنعومة . بلطف . بنشوة اين منها نشوة العناق ابدا لن تنسى اطراف اناملي ملمس بشرتها ، ستظل تعشقها حتى حين يرع الجلادون اظافرى ، وسيظل في فمي طعم القبلة الاولى كفاكهة من ثمار الجنة

عندما اتم الصغير سراره ، بين القبل الطفلية الناعمة ، والتفت الى ايذانا بانتهاء مهمتي ، وقد اشرق وجهه بابتسامة الرضى لاجابة ما طلب ، كان قلبي يذوب شوقا وحنينا ، فلم اتمالك - وانا انزله - ان قربت شفتي من ظهرها ، وقبلته ، هناك عند سن رقم ٧ الذى يكون فتحة الثوب

لم يتغير لون الابتسامة على وجهها ، الذى كنت اراه من زاوية مائة وعشرين درجة لم تلتفت الى حيل الى انها لم تشعر بقبلتي . كانت خفيفة جدا ! ولكن الموضع من الجلد حساس جدا تمنيت ان اكرر القبلة لاادرى كيف وجدتني واياها بين اشجار الحديقة القت نفسها بين ذراعي امترجت دموعها ودموعي

قلت لها سيدتي انا لست الا صعلوكا ،

همست وخدها يتمسح بخدى لايهمني ، قل لي فقط انك تحبني

قلت بل اعبدك روحي ملك يمينك ، مريني اهبك عمرى قبلتني بلطف ظلت ممسكة بيدى همست مرة ثانية

- اردت فقط ان اعرف إن كنت تحبني

خفت ان تتركي ، هتفت جزعا .

- كيف اراك ؟

انفلتت عائدة الى الدارة بقيت وحدى بين الاشجار اذهلتني المعجزة روعني الفقد . افزعني المستقبل كيف يمكنني ان اعيش بدونها ؟

***

فلتتجاهلني

انا لا زلت املك اشياء منها .

عندما المسس وجهي ، اشعر ان ثمة ـ تحت طبقة الجلد الظاهرة ـ نداوة تسربت من دموعها عندما المس شفتي باصابعي ، اشعر ان ثمة شيئا بين اصابعي وشفتي ، هو قبلتها .

وفي اطراف اناملي ذكرى لا تنمحي ، صورة ارتسمت على تلك الاعصاب الدقيقة ، صورة بشرتها الرقيقة الناعمة

اذن فلتتجاهلني .

لو امرت خدمها ان يقذفوا بي الى الشارع لتلوث جمالها الملائكي باوحاله

لو اوحت الى زوجها ان يرميني في السجن ، لدخل السجن معي شيء منها

لم يبق الا ان تأمر باعدامي ، لتعدم جزءا من ماضيها

سألت نفسي وانا واقف بين الاشجار كيف السبيل اليها ؟ دهمني خاطر شل حواسي كلها ما حدث لايمكن ان يتكرر في اهنأ احلامك لم تنل مثل هذه السعادة ، المعجزة لا تحدث مرتين من يرى ليلة القدر ينعقد لسانه ، ويبقى عمره مذهولا ينتظر بلا جدوى انطلقت نحو الدار كالمجنون ظلام وسكون كسكون الموت .

* * *

بين الفجر والشروق ، لحظة تكون السماء فيها بلون الورد لون بشرتها .

حين مست شفتاي تلك البشرة الرقيقة الناعمة ، هل قبلت السماء ؟

ومن ذا الذي يطير الى الملأ الاعلى ولا يحترق ؟

اما انا فقد عدت سالما الى الارض ولكن جناحي احترقا

كيف اراها ثانية ؟ يقول لي جناحاي المحترقان ماعدنا نطمع في عناق ولا قبل . ما عاد في مآقينا دموع ولكننا ربما استطعنا ان نراها ولو لمحة من بعيد .

* * *

بيتها ، بالنهار ، بيت كسائر البيوت .

لابد ان تقترب من الباب لكي ترى اشباح الحراس وهم يتجولون بين اشجار الحديقة . ولكنني كنت يائسا . لم اخش الموت . شيء واحد كنت اخشاه : الا اراها ثانية .

عندما احاطت بي عيون الحرس ، اندفع نحوي طفلها صائحا في فرح ، طأطأوا رؤوسهم وانا احمله بين احضاني وذراعاه الصغيرتان متعلقتان بعنقي . وما لبثوا ان اختفوا واصبحت الحديقة لنا وحدنا

* * *

كان يحب لعبة المطاردة ، وكنت اطارده حتى الهث واسقط من الاعياء كنت اضحك بقلب ميت واقول له لا استطيع ابدا ان أمسكك انت اسرع مني . كان ذلك حقا لم يكن طفلا كسائر الاطفال كنت كلما اقتربت منه شعرت ان ساقي تثقلان ، اني اقتلعهما اقتلاعا

وكان هو يجري ويضحك ضحكته الشفافة الصافية ، وعندما اسقط من الاعياء يركع بجانبي ويقبل على بوجهه فأنظر اليه من خلال أهدابي وأرى وجه محبوبتي ويعتصرني الشوق والحنين ، ويلمس يدي الملقاة على صدري ويقول مبتسما ـ عروقك بارزة

وقبل ان استريح ، يأمرني ان انهض ثانية لنعاود اللعب فاقول له

ـ سأحكي لك حكاية .

اجهدت خيالي في اختراع حكايات سخيفة عن اوزة صغيرة تعاركت مع اخوتها ، وعنزة ضلت طريقها في الجبل ، وسرعان ما كان يسأم ويهز ذراعي ويأمرني بحنق ان انهض لنبدأ المطاردة من جديد .

ولما نضب خيالي وعجزت عن اختراع حكايات الاوز والمعيز والقطط والارانب تذكرت حكاية الامير الذي استيقظ ذات صباح بعد ان بات ليلة مع اميرة لم ير مثلها في الحسن ، وكان واثقا انه لم يكن يحلم . ولكن عندما حكي قصته لابيه وامه خافا ان يكون قد جن ، وحاولا ان يزوجاه فابى وعندما أشرف على الهلاك جاءه

ني طريف واعترف له انه هو الذى حمله في تلك الليلة
ى قصر الاميرة الجميلة واعتذر له بانه لم يرد الا خيرا ،
د طاف بارجاء الارض فلم يجد من يصلح للاميرة
لجميلة سواه . ثم حمله فطار به فوق جبل قاف (سألني
صغير عن جبل قاف فقلت له انه جبل عال يأخذ عرض
لافق ، لا يعرف من دونه شيئا عمن وراءه) ، وهناك
جتمع بمحبوبته مرة ثانية ، وكانت قد وجدت من
عذاب لبعده مثل ما وجد لبعدها ، وحسبها ابواها مجنونة
ما حسبه ابواه مجنونا فلم تكد تراه حتى اقتادته من يده
ى ابيها الملك فلما سمع قصته العجيبة حمد الله ،
قيمت الافراح اربعين ليلة لزفاف الاميرين الجميلين

كان الصغير يصغي وعيناه لاتطرفان ، واصبح
ستعيدني الحكاية كلما جلست لاستريح . ثم عزفت
سه عن لعبة المطاردة ، واصبح يجلس معي في ظل
شجرة ، ويسألني بصوت خافت ، اسئلة كثيرة عن
لاميرة والامير والجني ، وطلب مني مرة ان احضر له
لك الجني ليحمله كما حمل الامير الجميل . فقلت له ان
لجني لا يتلقى اوامر من احد ، ولا يحضر الا اذا رغب هو
ى ذلك

قال - لعله لا يعرف انني اريده هل يمكنك ان
خبره ؟ فكرت مليا ثم قلت له : عندي فكرة : انا وانت
صنع طيارة ملونة لها ذيل طويل ، نطلقها في السماء ،
ربما رآها الجني وهو يتجول بين السماء والارض ، فيعرف
ننا نريده . قال : وهل يفهم الرسالة ؟ قلت . بكل
تأكيد ، اذا رآها .

كانت حماستي لصناعة الطائرة الورقية مثل حماسة
لصغير او اشد ، كانني صدقت حكاية الجني ، كأنني
وهمت انه سيحملني انا الى قصر محبوبتي . كأنني
وهمت ان الرسالة ستبلغه . وطوال ذلك الوقت لم افكر
قط ان أسأل الصغير عن ابيه وامه . لعلي كنت اخاف ان
سأله ولكن ماذا يعرف هو عن امه وابيه ؟ انه لايعرف
عنهما بعض ما اعرف . ولو سألني هو لروعني سؤاله .
خير له ان يبقى جاهلا ، كيف يكون حال الصغير لو
عرف ان اباه شيطان وامه ملاك ؟ ولكني كنت اداعب
املا حلوا اخفيه عن نفسي : ان تظهر حبيبتي يوما ، ولو
في تلك الشرفة البعيدة ، ان اسمع صوتها الملائكي مرة

اخرى وهي تنادي الصغير

« لا يهمني . قل لي فقط انك تحبني اردت فقط ان
اعرف انك تحبني » . احقا قالت هذه الكلمات عددتها
كلمة كلمة . تمليتها طويلا طويلا حفظت انغامها
انغامها تبهظني ! ما اقساها ! كأني احمل كنوز العالم
على ظهري . لماذا لا اموت الآن ؟ نعم ، اود ان اموت ،
ولكني اتمنى على الله ان انظر اليها نظرة واحدة قبل ان
اموت

سألني الصغير . وكيف يعرف الجني مكاننا ؟

قلت له . لا تخش شيئا ، حين تبلغه الرسالة يمسك
بطرف الخيط وينحدر عليه فيكون عندنا

لا ادرى لماذا كنت مطمئنا .

صاح الصغير فجأة .

انظر ! الخيط شبك في اعلى الشجرة ، لابد ان الجني
يهبط الان

ارتعش قلبي ولكني تماسكت . قلت له .

لا ، الجني كبير الجسم ولكنه اخف من الريشة .
سأتسلق الشجرة وافك الخيط .

***

رباه ! ماذا حدث ؟ عندما هبطت لم اجد الصغير .
اين ذهب ؟ لم اسمع احدا يناديه جريت حول الحديقة
كالمجنون ، لم ار احدا ، اقتحمت الدار نسيت الحراس .
نسيت السجون والمشانق وقفت امامها ، نظرت الى نظرة
باردة قاسية . تمتمت بكلمة واحدة :

ـ الصغير ...

نظرت الى بشبه غضب . سألت وكأنها لم تفهم عمن
الحدث :

ـ من ؟

ثم باحتقار :

ـ من انت ؟

د . شكري محمد عياد

الإسلام والعروبة .. أو الطوفان !

بقلم : فهمي هويـــدي

لو أجرينا استفتاء بين أطفال العرب ، أيهما يختارون « الكاوبوي » أم طارق بن زياد ، فسوف تكو النتيجة لصالح « الكاوبوي » بكل تأكيد ولو سألنا شابا عربيا عن شعر حسان بن ثابت ، وأغاني حو تراقولتا ، فأغلب الظن أنه سوف يتلعثم في ذكر اسم حسان بن ثابت ، وينطلق كما السيل مرددا أغاني ترافولتا !

ولو سألنا اي جامعي عربي ، عما يعرفه عن ابن سينا وأبو قراط في الطب ، عن العزالي وديكارت ا الفلسفة ، عن هيرودوت والطرطوشي بين الرحالة اذا مضينا في هذه المقابلة حتى آخر الشوط ، بين الحضو العربي والحضور الغربي في اذهاننا ، فسوف نكتشف ان ثمة تفوقا ساحقا لصالح الحضور الغربي عنـ الجميع من طفل الروضة الى استاذ الجامعة !

وهكذا ، في كل اختبار في اي اتجاه تتأكد تلك الحقيقة المرة أننا أسرى النموذج الغربي فكرا وة وعادات وتقاليد وذوقا وزيا الى آخر القائمة التي تعكس أزمة زمن الرق الثاني من ناحية ، والهو الضائعة من ناحية أخرى وهما الموضوعان اللذان كانا موضع مناقشتنا في العددين السابقين

وفي مواجهة تحد من هذا النوع يهدد الذات ويضرب في الجذور ، يصبح التسليم كارثة ، ولا يجد الرفض ، ويتعذر الصمود ، ولا بد من التصدي ـ بلغة المرحلة ـ بنموذج بديل يستلهم تلك الجذور ويعبر ء الذات المهدورة

ذلك أنه لكل مجتمع نموذج خاص ، مشروعه الخاص ، الذي يبلور تراثه ومعتقداته وتطلعاته وأحلامه ويعرض قيمه المتميزة ويؤثر في سلوك افراده وعاداتهم

العالم الغربي له نموذجه ومشروعه بل في داخل الغرب ذاته تتعدد النماذج بقدر الامريكي والانجليز والفرنسي والايطالي والالماني الى آخره والسوفييت لهم مشروعهم المختلف والمتميز والآخرون الاسرائيليون مثلا لهم مشروعهم الصهيوني الذي تربى عليه الاجيال وهكذا

ويبقى السؤال ما هو مشروعنا نحن ؟

ذلك سؤال متأخر في الحقيقة ، لأن الذين أجابوا عليه لم يبلغوا هذه المرحلة الا بعدما قطعوا شوطا بعيدا عن طريق تأكيد الذات ، بينما نحن ما زلنا في مرحلة البحث عن الذات واذا كان أي مشروع يعبر عن هوية محددة ، فلا بد أن تعرف هذه الهوية أولا ومشكلتنا ، وموضوع مناقشتنا من البداية ، هو هذه الهوية الضائعة او الممسوخة ، وليس المشروع المعبر عنها

اذا كان مسخ هذه الهوية قد بدأ مع الشعور العميق بالهزيمة الذي تمكن من اعماقنا ، كما سبق وقلت ، الا أننا نتعرض في المرحلة الراهنة لعملية تمزيق متعمدة للهوية ، ليس على مستوى ثقافي أو اجتماعي فقط ، ولكن على مستوى سياسي واقليمي أيضا فبعد أن تمت تجزئة الأمة الواحدة وقسمت تركة الرجل المريض ـ الامبراطورية العثمانية ـ بعد الحرب العالمية الاولى في العشرينات ، ثم احتلت بلادنا جحافل الاستعمار الغربي ، تجمعت الاسباب في السبعينات لتحول التجزئة الى تفتيت ، لعب النفط دورا فيه ، ولعبت الضغوط والمؤامرات الخارجية الدور الاكبر ، حتى شهدت المنطقة في السنوات الاخيرة رياحا غريبة ومريبة حملت في طياتها بذور الفرقة الطائفية والمذهبية والعشائرية ، وسمعنا عن دعوات تردد ما اندثر من شعارات ومسميات ، وتحيي عصبيات عصور الجاهلية والانحطاط

ولا أريد أن أزيد ، فالجميع يعيشون هذه المأساة ، فضلا عن أنه لم يعد في الامر سر ، فدعاة التفتيت الذين كانوا يتوارون في الماضي ويعملون تحت الارض ، أصبحوا الآن زعماء ونجوما سياسيين ، لهم صحف واذاعات وربما جيوش !

وصارت قضية الهوية مسألة خلافية ، تتعدد فيها الاجتهادات ، حتى بات مقبولا في هذا الزمن الرديء ان تخضع الذات لوجهات النظر من ناحية ، او تمنح وتمنع بقرارات من ناحية اخرى

واقترنت مرحلة ـ أو مؤامرة ـ التفتيت بظاهرة أخرى ، تمثلت في دعوات المثقفين الى ضرورة مراجعة التيارات الفكرية المتداولة في الساحة العربية ، على اعتبار انها عجزت عن أن تقدم الحل أو النموذج أو المشروع الذي يلهم الواقع العربي ويحرره

وقد تابعت ندوة أقامتها مجلة « الاحياء العربي » (العدد ٣) التي تصدر في باريس ـ واشترك فيها ثمانية من المثقفين العرب البارزين ـ وكانت دعوة « المراجعة » هذه هي جوهر ما جرى فيها من مناقشات وهو ما عبر عنه الاستاذ صلاح الدين البيطار في الندوة بقوله . ان العرب لم يبدعوا شيئا منذ قرنين من الزمان ، وقد حبسنا أنفسنا في عملية النقل . الليبراليون نقلوا ليبرالية أوروبا الغربية ، والماركسيون نقلوا ماركسية أوروبا الشرقية ، والاشتراكيون، والقوميون نقلوا من هنا ومن هناك ، وكانوا « انتقائيين » وعلى هذا ـ يضيف الاستاذ البيطار ـ فكل التجارب كانت مستنسخة ولا يعني ذلك أنه كان علينا الا نواجه هذ التيارات ، على العكس كان يجب أن ننفتح على كل التجارب الموجودة في العالم ، لكن انطلاقا من وضعنا نحن ، وبمنهج يسمح لنا بأن نضعها في مكانها وهذه نقطة لم يصل اليها العرب بعد

ورغم ظروف الاحباط التي تطبق علينا من كل اتجاه ، الا أن ما هو ايجابي وجدير بالرصد في مثل هذه الاصوات الداعية الى المراجعة ، أنها تنطلق من مبدأ رفض المسلمات والنماذج المستوردة من الخارج وأيضا رفض أسلوب الزرع والترقيع ، مؤكدة أن المخرج والحل هو الانطلاق من الجذور هو العودة الى الذات

ان عدم النجاح الذي أصاب محاولات النقل والاستنساخ ، لم يكن سببه فقط أن النقل كان بمثابة

« استيراد » لافكار غريبة علينا ، ولكن أيضا لأن أكثر هذه المحاولات سعت الى الالتفاف من حول الاسلام ، وبعضها حاول أن يقفز من فوق العروبة .

لقد قتلت في المهد دعوات بعض المثقفين المستغربين في مصر ، الى جر البلاد خارج العروبة فيا سمي في الثلاثينات باسم مجموعة دول البحر المتوسط ، وهي امتداد لدعوة الخديوي اسماعيل في أواخر القرن الماضي لجعل مصر قطعة من أوروبا . ولم تلق دعوة القوميين السوريين استجابة تذكر منذ الأربعينات الى الآن ، ولولا الدعم الخارجي ـ الاسرائيلي الامريكي ـ لما قدر لأصوات الانسلاخ من العروبة أن تقوى وتخوض حربا لمدة خمس سنوات في لبنان .

على أن محاولات الالتفاف من حول الاسلام لم تتوقف في العالم العربي منذ الحرب العالمية الاولى ، منذ حمل الاسلام بمساوىء الخلافة العثمانية في سنوات احتضارها الاخيرة ، واقترن رفض الهيمنة العثمانية ، برفض مبطن للاسلام أيضا . الامر الذي دفع البعض في ذلك الوقت الى رفع لواء القومية العربية باعتباره سلاحا لمقاومة العثمانيين عند فريق ، وسلاحا لمقاومة الاسلام عند آخرين

●

والآن وبعد ممارسات أكثر من ستين عاما في الساحة العربية تتأكد هذه الحقيقة الناصعة : أن ذاتنا ليس لها سوى دعامتين اثنتين فقط هما الاسلام والعروبة . وأي « مشروع » لا يقوم على هاتين الدعامتين محكوم عليه مقدما بالعجز والفشل

ان الالتصاق بين الاسلام والعروبة على مدى ١٤ قرنا ليس بالأمر الهين ، اذ بلغ مدى صار الاثنان يشكلان جسدا واحدا ، وحقيقة واحدة لا تقبل الانفصام ، ولا بد أن يتعامل معها كل الطامحين الى التحرر الحقيقي والتقدم ، رضوا أم كرهوا !

ان الاسلام دين عالمي ، والرسول ﷺ بعث للناس كافة لكن ذلك لا يتناقض مع حقيقة (لتكن تاريخية) مؤداها أن الاسلام دين عربي في الأساس ، وقرآنه نزل « بلسان عربي مبين » ، ونبيه عربي من بني ها شم .

وبسبب من هذا التلازم بين الاسلام والعروبة ، فانه عندما دخل الاسلام « بلاد العجم » جاء محملا بالعروبة ، وفرضت اللغة العربية نفسها على تلك المجتمعات ، حتى أصبحت تشكل الآن نسبة ما بين ٣٠ و ٥٠٪ في اللغات الفارسية والتركية والأردية في شبه القارة الهندية وقتذاك ، ولغة الباشتو في بلاد الافغان . فضلا عن أن المسلم في الصين لا يعد مسلما ـ حتى الآن ـ إلا اذا حمل اسما عربيا أولا ، يأتي بعده الاسم الصيني

ولنفس السبب فان الاغلبية الساحقة من علماء المسلمين من غير العرب ، كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية ، من ابن سينا الى البيروني والفارابي والفرغاني الى الجاحظ وابن المقفع وغيرهم ، حتى تفوق بعضهم في العربية على أبنائها ، وصاروا في صدارة فقهاء اللغة ومراجعها مثل سيبويه وابن جني وابن خالويه .

بل ان هذا الالتصاق بلغ حدا اصبحت معه كلمة الاسلام تعني العروبة ، والعروبة تعني الاسلام .

ليس عندنا فقط ، بل عند كبار الباحثين والمستشرقين في الغرب ، فعندما كتب جوستاف لوبون عن « حضارة العرب » ، والألماني يوسف هل عن « ثقافة العرب » ، وعندما أصدر فريق من الباحثين الانجليز والامريكان مؤخرا كتاب « عبقرية الحضارة العربية » ، فانهم عالجوا نفس الموضوع الذي تناوله كل من برنارد لويس في « عالم الاسلام » ، وتوماس ارنولد في « تراث الاسلام » ، وسافوري في « مقدمة الحضارة الاسلامية » .

هم يخاطبوننا باعتبارنا مسلمين وعربا ، ونحن مازلنا نناقش ونحاور ونسأل : من نحن ؟ !

لقد كانت الذات الاسلامية العربية ، هي التي هبت في الجزائر لمقاومة الاحتلال الفرنسي . كان القتال جهادا في سبيل الله ، والمقاتلون مجاهدين ، والصحيفة الناطقة باسم الثورة هي « المجاهد » .

ولم يدرك المستعمرون هذه الحقيقة ، الا عندما فوجئوا بأن الجزائريين يرفضون الجنسية الفرنسية ، التي ظنها البعض في فرنسا « شرفا » يتمناه أي جزائري . لكن الجزائري بذاته الاسلامية العربية ، كان على قناعة بأنه أكثر تفوقا وأرفع من كل ما تمثله فرنسا !

وكانت الذات الاسلامية العربية ممثلة في السنوسية هي السلاح الذي حارب به « المجاهدون » الليبيون الاستعمار الايطالي ، وكانت الذات الاسلامية العربية ممثلة في المهدية . هي السلاح الذي حارب به المجاهدون السودانيون الاحتلال البريطاني ...

●

وتظل أزمة دعاة القومية ـ الذين خلصت نواياهم على الأقل ـ أنهم أهملوا دور الاسلام ، وبنفس القدر فان جانبا من أزمة الاسلاميين أنهم أعلنوها حربا على القومية . وكانت النتيجة أن طالبنا كل فريق بأن نركض على طريق التقدم بساق واحدة ، ثم ـ وهذا هو الأهم ـ بقي كل منهما عاجزا عن أن يعبر عن « الذات » الحقيقية لهذه الامة .

واذا كان الضياع والتشتت قد أصابا مجتمعات اسلامية غير عربية مثل تركيا وايران لأن كلا منهما دفع الى التخلي عن الاسلام ، بزعم أنه في حكم « الوافد » على هذه المجتمعات ، فكيف يمكن ان نتخيل مصير أي مجتمع عربي ، يسقط من حسابه الاسلام ؟ بل كيف يكون مقبولا ، حتى من الناحية المنطقية البحتة أن تطرح صيغة كهذه ، لا يمكن أن تتحقق الا بالتلاع الاثنين معا ، اذ يتعذر عضويا فصل أحدهما عن الآخر ؟!

ثم إنه من وجهة نظر عملية ـ وأكاد أقول مصلحية ـ كيف يكون مقبولا أن يفرط دعاة القومية في قيمة الاسلام فيلحقوا بنا خسائر فادحة على جبهتين جبهة تمتد في عمق التاريخ ، تسفر عن اسقاط علماء فطاحل من غير العرب صنعوا حضارة الاسلام ، وأثروا حضارة الانسان . وجبهة تمتد في عرض العالم الراهن ، اذ نفقد بهذا الطرح عمقا اسلاميا لا حدود له ـ بشريا واقتصاديا ـ يمتد من أندونيسيا الى قلب افريقيا أو من « غانة الى فرغانة » في وسط آسيا ، بتعبير الرحالة العرب .

وعلى الجانب المتعلق بالاسلاميين ، فان رفضهم تيار القومية العربية متأثر في الحقيقة برصيد من الخلفيات التاريخية والممارسات العملية التي يصعب تجاهلها .

وأول هذه الشكوك ترسب نتيجة مواقف بعض دعاة القومية العربية ، التي خلطت بين الخلافة العثمانية

والاسلام ، ورفضت الاثنين معا منذ العشرينات ، ثم الدور البارز الذي لعبه غير المسلمين في قيادة الحركة القومية وآخر هذه الشكوك ترسب في أعقاب « المحنة » التي تعرضت لها الحركة الاسلامية على أيدي الأنظمة التي تبنت الدعوة القومية في الخمسينات والستينات

وعلى الرغم من أن مثل هذه الشكوك والممارسات تبرر موقف الاسلاميين الرافضين لفكرة القومية الا أن القضية المدثية هنا تتمثل في السؤال التالي منذ متى يمكن أن تعد التطبيقات حكما مطلقا وليس سببا ، على مدى سلامة المبادىء والقيم ؟ وكما ينبغي ألا ندين الاسلام بتصرفات الناطقين باسمه او المحتمين به ، ينبغي أن نطبق المعيار ذاته على غيره من الدعوات ، وبينها القومية

واذا انكرنا على دعاة القومية تحميلهم مساوىء الخلافة العثمانية على الاسلام ، فاننا ننكر بنفس القدر على الدعاة الاسلاميين تحميلهم مواقف بعض الكارهين للاسلام ، أو ممارسات بعض الانظمة على فكرة القومية

ان الاسلام الذي حارب العصبية العرقية ، مؤكدا أن كل المؤمنين اخوة ، وأنه لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، هو ذاته الاسلام الذي اعترف بالانتماءات القومية ، والنص القرآني « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » هو بمثابة تقرير لهذه الحقيقة ، والصحابة الأول لم يجدوا حرجا في التعامل مع ذلك الواقع ، حتى ظل صهيب « الرومي » ، و« سلمان » الفارسي » ، وبلال « الحبشي » ، في طليعة هذا الجيل ولم يخل ذلك على أي نحو لا بمكانتهم ولا بصدق ايمانهم بل ان كلا منهم بقي رمزا لامكانية التفاعل بين الدين والقومية

●

إن الهوية الاسلامية العربية ، لا يعبر عنها سوى « مشروع » اسلامي عربي وكما قلت فان أي مشروع لا يقوم على هاتين الدعامتين محكوم عليه مقدما بالعجز والفشل وستظل حيرتنا قائمة وسيظل تمزقنا مستمرا ، طالما ظللنا نتسوق ـ ولا أقول نتسول ـ هوية ومشروعا من عند الآخرين ، خارج الاطار الاسلامي والعربي

حقا ، إن « المشروع » الاسلامي العربي الذي ندعو اليه ليس جاهزا ، ولكن « خاماته » فقط المتوفرة بين أيدينا ، وسوف يحتاج اعداد هذا المشروع وصياغته الى سنوات من العمل الجاد والدؤوب ، والى مشاركة العديد من العقول الخيرة والمؤمنة ، والى نضال لا يكل ، من أجل أن يعبر هذا المشروع عن طموحات هذه الامة ، وحلمها في التقدم والانتصار

أعلم أن تلك معركة شاقة ومضنية ، وجبهتها عريضة تتوزع بين الأعداء والادعياء ، ولكن الهدف العظيم لا يمكن بلوغه الا بثمن عظيم وهل هناك أثمن وأعظم من أن يتحرر الانسان من العتق ، ويسترد ذاته السليبة لينطلق بغير أصفاد نحو بناء يومه وغده

ويوم يكون لنا مشروعنا الاسلامي والعربي ، لن تخجلنا إجابة طفل عربي حول ماهية مثله الاعلى سيكون طارق بن زياد هو البطل بغير منازع ، وسيوضع « الكاوبوي » في مكانه الطبيعي « كومبارس » بالكاد ، هذا اذا بقي له دور !

■■

مقتل كليب

شعر · أمل دنقل

أقوال اليمامة

« فعند دلك قصدتْ الى اليمامة أمُها الجليلة ، ومن حضر معها من نساء سادات القبيلة ، فدخلن جميعا اليها ، وسلمن عليها ، وقبّلت الجليلة بنتها وقالت أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا ، وقتلت فرساننا وأبطالنا ، وساءت أحوالنا فأجابتها اليمامة أنا لا أصالح ، حتى لا يبقى منا أحد يقدر أن يكافح ! »

قصة الزير سالم الكبير

(١)

أبي لا مزيد !
أريد أبي ، عند بوابة القصر ،
فوق حصان الحقيقة ،
منتصبا من جديد
... ...

ولا اطلب المستحيل ، ولكنه العدل !
هل يرث الارض الا بنوها ؟
وهل تتناسى البساتين من سكنوها ؟
وهل تتنكر أغصانها للجذور
(لأن الجذور تهاجر في الاتجاه المعاكس)
هل تترنم قيثارة الصمت
الا اذا مست القوس أوتارها العصبية ؟
والصدر ؟ حتى متى يتحمل أن يحبس القلب

قلبي الذي يشبه الطائر الدموي الشريد ؟!

٥ ٥ ٥

هي الشمس تلك التي تطلع الآن ؟
أم أنها العين ـ عين القتيل ـ التي تتأمل شاخصة
دمه يترسب شيئا فشيئا
ويخضر شيئا فشيئا
فتطلع من كل بقعة دم فم قرمزي
وزهرة شر
وكفان قابضتان على منجل من حديد ؟!

٥ ٥ ٥

هي الشمس ؟ أم انها التاج
هذا الذي يتنقل فوق الرؤوس الى ان يعود
الى مفرق الفارس العربي الشهيد ؟!

٥ ٥ ٥

اقول لكم أيها الناس كونوا أناسا

هي النار ، وهي اللسان الذي يتكلم بالحق ،
ان الجروح يطهرها الكي ،
والسيف يصقله الكير ،
والجمر يصحبه الوهج ،
لا تدخلوا معمدانية الماء ،
بل معمدانية النار
كونوا لها الحطب المشتهي
والقلوب الحجارة
كونوا
الى أن تعود السماوات زرقاء
والصحراء بتولا
تسير عليها النجوم محملة سلال الورد
ه ه ه

اقول لكم لا نهاية للدم ؛
هل في المدينة من يضرب بالبوق
ثم يظل الجنود على سرر النوم ؟
هل يرفع القمح من ساحة الحقل
كي تطمئن العصافير ؟
ان الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين
حتى يسود السلام
فكيف أقدم رأس أبي ثمنا ؟
من يطالبني ان أقدم رأس أبي ثمنا
لتمر القوافل امنة ،
وتبيع بسوق « دمشق » حريرا من الهند
أسلحة من « بخارى »
وتبتاع من « بيت حالا » العبيد ؟!

(مراثي اليمامة)

صار ميراثنا في يد الغرباء ✻ وصارت سيوف العدو سقوف منازلنا ✻ نحن عاد شمس يشير بأوراقه نحو أروقة الظل ✻ ان التويج الذى يتطاول يحرق هامته السقف ،
يخرط قامته السيف ،
ان التويج الذى يتطاول يسقط في دمه المسكب ؛
... ...

سنتقي ـ بعد جيل الاحباب ـ من ماء آبارنا ✻ صوف جلابنا ليس يلتف الا على مغزل الحرية ✻ النار لا تتوهج من مصارينا ✻ بالعيون الخفيضة ستقبل الصيف ✻ أبكارنا ثيبات . واولادنا للفراش ✻ دراهمنا فوقها صورة الملك المغتصب
... ...

أيادي الصبايا الحنائن
تضم على صدره نصف ثوب
وتبقى عيون « كليب »
مسمرة في شواشي الجنائن
... ...

أسائل :

من للصغار الذين يطيرون كالنحل فوق التلال ؟
ومن للصبايا اللواتي جعلن القلوب قوارير
تحفظ رائحة البرتقال ؟
ومن سيروض مهر الخيال ؟
ومن سيصمد - في آخر الصيد - جرح الغزال ؟
ومن للرحال
اذا قيل « مات سيد القوم »
فانحدرت في حدود الرمال دموع السؤال ؟ !

... ...

بنات ابي - الزهرات الصغيرات - يسألنني لم ابكي ابي !
و يبكين مثلي ، ويجلسن للنوم حين اقص لهن الحكايا
عن الرحل السمر والرحل الثعلب
فان نمن ، جاء ابي ليهز الاراجيح يلمس وجناتهن
و يعطي لهن اللعب
ويمضي وعيناه مسبلتان ،
وساقاه تشتكيان التعب

.. .. .

ابي ظامىء يارجال
اريقوا له الدم كي يرتوي
وصبوا له جرعة جرعة في الفؤاد الذي يكتوي
عسى دمه المتسرب بين عروق الساقات بين الرمال
يعود له قطرة قطرة
فيعود له الزمن المنطوي !

٥ ٥ ٥

(٢)

خصومة قلبي مع الله ، ليس سواه

... ...

ابي اخذ الملك سيفا لسيف ، فهل يؤخذ الملك منه اغتيالا ؟
وقد كللته يدا الله بالتاج ، هل تنزع التاج الا اليدان المباركتان ،
وهل هان ناموسه في البرية حتى تتوج لص
بما سرقته يداه ؟

❊

خصومة قلبي مع الله ابي أمره سهم منيته أن يجيء من الخلف ،
ان الذي يطلق السهم ليس هو القوس بل قلب صاحبه ،
والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية بل واهبه ،
ابي ارفض الموت غدرا ، فهل نزل الله عن سهمه الذهبي

لمن يستهين به ؟

هل تكون مكان أصابعه بصمات الخطاة ؟

❋

خصومة قلبي مع الله ـ ليس سواه

كليب يموت ككلب تصادفه في الفلاة

اذن فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟

هل كرم الله انسانه ؟

مات من مات كلبا

فأين اذن ذهب الآدمي الذي قد براه ؟

❋

خصومة قلبي مع الله ـ قلبي صغير كفستقة الحزن ، لكنه في الموازين

أثقل من كفة الموت !

هل عرف الموت فقد أبيه ؟

هل اعترف الماء من حدول الدمع ؟

هل لبس الموت ثوب الحداد الذي حاكه ورماه ؟

❋

خصومة قلبي مع الله ـ أين ورث أبي ؟

ذهب الملك ، لكن لاسم أبي الحق أن يتناقله الناس عنه ،

لماذا يموت أبي مرتين ؟

فأيتها الأنجم المتلونة الوجه قولي له قد أحدث حياتين

أنق حياة

ورد حياة !

❋

خصومة قلبي مع الله ـ هذا الكمال الذي خلق الله هيأته ،

فكسا العظم باللحم ، ها هو حسبا ـ يعود له ـ دون رأس !

فهل تتقبل بوابة الغيب ماشيب بالعيب ؟

أم أن وجه العدالة ان يرجع الشلو للاصل

ان يرجع البعد للقبل

ان ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل

حتى يعود الى الله متحدا في بهاه ! ؟

(٣)

يجيء أخي !

هل عباءته الريح ؟

هل سيفه البرق ؟

هل يتمنطق فوق جواد السحاب ؟

يجيء اخي ، عافلا عن كتاب المواريث ،

عن دمه الملكي ،

عن الصولجان الذى صار مقبضه العاج رأس غراب
يجيء أخي !
(كان يعرفه القلب)
اقذف تفاحة يتصدى لها وهو يشطرها بالركاب
(هي الخطأ البشرى
الذى حرم النفس
فردوسها الاول المستطاب)
اثني ، فأقذف تفاحة تستقر على رأس حربته !
(ايها الوطن المستدير
الذى تثقب الحرب عذرته
بالحراب)
وتفاحة تتلقفها يده !
(هي جوهرة الملك
جوهرة العدل
جوهرة الحب
فالحب اب)

❊ ❊ ❊

قلوب ثلاثية شارة الزمن القادم المستجاب
قفوا يا شباب !
لمن جاء من رحم الغيب
خاض ساقيه فى بركة الدم
لم يتطاير عليه الرشاش
ولم تبد شائبة في الثياب
قفوا للهلال الذى يستدير
ليصبح هالات نور على كل وجه وباب
قفوا يا شباب !
كليب يعود كعنقاء قد احرقت ريشها
لتظل الحقيقة أبهى
وترجع حلتها - فى سنا الشمس - أزهى
وتفرش أجنحة العد
فوق مدائن
تنهض
من ذكريات الخراب
قفوا ياشباب !

أمل دنقل

الشريط الوراثي

سيد جزيئات هذا الكوكب

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

ما من شيء في الخلق الا وله بداية وهدف ونهاية ، من نظام ظهر ، صغر شأنه أو كبر ، الا وله رسالة ة ، من خلال سنن مقدرة ، وشرائع مقننة وكل أو غيره مدون تدوينا أمينا في كتاب الكون وح ، لكن أسراره ومعلوماته لا تتجلى الا لكل من ي الى المعرفة سبيلها ، وسار منقبا وباحثا ومدققا في ات خلق الأشياء ، وعندئذ سيتفتح عقله على دات أو الحروف أو الكلمات التي « كتب » بها الله ب الحياة المجسد . فكانت ملايين فوق ملايين من ع النبات والحيوان ـ بما في ذلك الانسان ؛

وطبيعي أن نظرة العلماء الى بداية الخلق أو أصوله لف الآن اختلافا جذريا عن نظرة الناس له قديما .يثا فلقد شاب الفكر القديم الكثير من الأساطير بدء الخلق فمن قائل أن حواء قد جاءت من ضلع ، ومن قائل أن الخالق قد أمسك بقطعة من أديم رض ، وسواها على هيئة الانسان ، ثم نفخ فيه من حه ، فقام لتوه انسانا يسعى بكل أجهزته وخلاياه رابيبه وأعضائه وغدده وهرموناته وبروتيناته الخ ، أي كأنما الله سبحانه وتعالى قد « طبخه » ، ليحيل ترابه الى عظام وشحم ولحم ودم ومخ وأعصاب ؛

ولا أحد يستطيع ان ينكر أننا وكل المخلوقات قد نشأنا من أديم هذا الكوكب ومائه او بمعنى أدق من عناصر هذه الأرض ومركباتها فمنها نخرج ، واليها نعود لنتحلل الى أصولها أو عناصرها ، وهذه سنة الله في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ؛

وطبيعي ان لكل عصر فكره الذى يتلاءم مع مستوى ادراكه ، كما أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يحمل العقول ما هو فوق طاقتها صحيح أنه أشار الى قصة الخلق اشارة تناسب مستوى الناس في زمانهم ، لكنه ـ مع ذلك ـ قد ترك الباب مفتوحا » « قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق »

فالخلق العظيم لا بد له من فكرة عظيمة يقوم عليها ويتأسس ، ثم يشق بعد ذلك طريقه في ميكروب ودودة وحشرة ونبات وحيوان وانسان ، فتموت أجيال ، وتجيء أخرى على نفس المنوال ؛

والخلق العظيم بفكرته البديعة لا يتجلى الا لرحال

لكل خليه في الكائنات الحية مرافق عديدة تشهد آلاف العمليات الكيميائية الحيويه التي تجرى فيها وبها ايضا « ادارة تخطيط » توجه بها حياتها ، وتتمثل في نواتها الحافظة لبروجرامها والصورة توضح المرافق الاساسية التي تحتويها اية خلية ، يتوسطها نواه ذات « سور » رقيق به « ابواب كثيره تخرج منها الاوامر او تصب فيها المركبات الكيميائية (الصورة منقولة عن مجله نيوزويك الامريكيه)
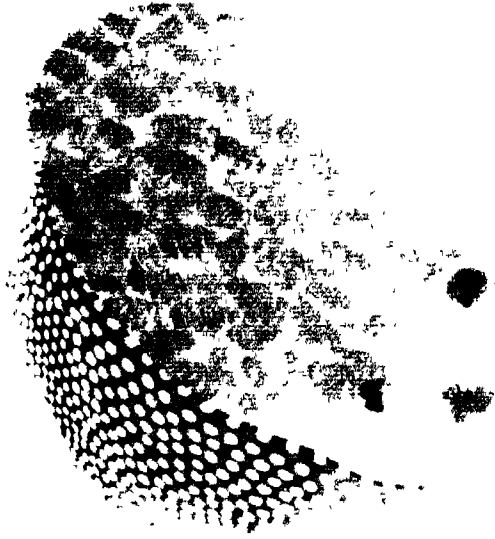
، توصيحي لنواه الخليه وقد شقفناها الى نصفين ، وفيها تتكدس اشرطه ورانيه مسجل عليها كل صغيره وكبيرة من
ب الكائن الحي   لكن مادا يحوى كل شريط من هذه الشرائط ؟   انظر الصوره التاليه لمزيد من التفاصيل
(١) غشاء النواة (٢) ثقوب في غشاء النواه (٣) النوية (تصغير نواة) (٤) اشرطة ورانيه ملفوفة

أنفسهم للبحث العميق في طبائع الأشياء ، وما
ت عليه من نظم دقيقة أعظم اتقان ، وربما كان
هم المقصودون بقوله تعالى « قل سيروا في الأرض
.روا كيف بدأ الخلق »   وعندما نقبوا ونظروا تجلى

لهم الجوهر البديع الذي لم يتجل لكل الأجيال السابقة ،
وبه عرفوا الباطن ، وتركوا للناس الظاهر ، ليتخيلوا ما
شاء لهم خيالهم من أساطير لا تستقيم مع عقل راجح ،
وفكر صائب

الجوهر في جزيء مخطوط !

ماذا وجد العلماء اذن ؟

لقد وقعت أيديهم على صيد ثمين على جزيء كيميائي وحيد وموحد بين جميع المخلوقات وفي الجزيء تكمن فكرة الخلق كله، من أوله الى آخره، وشكل صوره واشكاله وأنماطه

وجزيئنا هذا بمثابة « آدم » الجزيئات الحية التي لا تخلو منها أية خلية في نبات وميكروب وحيوان وانسان، وعندما ظهر هذا الجزيء العظيم أول ما ظهر منذ أكثر من ٢٥٠٠ مليون عام، جاءت كل الجزيئات الأخرى من « صلبه »، وعلى شاكلته، تماما على نفس الوتيرة التي جئنا بها جميعا من صلب الانسان الأول الذي نطلق عليه « ادم » البشر هذا رغم أن آدم ايضا قد جاء ونشأ من « آدم » الجزيئات الذي ظهر قبله بزمن في عمر الكون سحيق

« آدم » الجزيئات الذي نحن بصدده ليس الا شريطا كيميائيا مسجلا أدق تسجيل بجزيئات كيميائية، او قل انه الكتاب المكتوب، أو « اللوح المحفوظ » الذي يطوى كل صغيرة وكبيرة من صفات الكائنات الحية، وتحتفظ به كل الخلايا في قرار مكين، أو هو مطوى وملفوف داخل صندوق دقيق غاية الدقة، ولهذا لا يظهر الا من خلال الميكروسكوبات !

هذا الصندوق العجيب والدقيق نعرفه جميعا باسم النواة، والنواة بدورها هي « مخ » الخلية المفكر، أو عقلها المدبر، أو الذاكرة الحافظة المهيمنة على توريث المخلوقات صفاتها التي تجيء بها عليها، لأن هذه الصفات مسجلة على أشرطة وراثية يتوه العلماء في أسرارها أعظم تيه

ورغم المتاهات الضخمة التي ما زالت الحياة تدثر بها أسرارها، رغم ذلك فلقد اكتشفنا قليلا من كثير، وفي هذا القليل المكتشف وضحت امامنا روعة الفكرة، وجمال التنسيق، وعظمة الابداع الذي أرسى الله به القواعد أو الشرائع في خلقه، ليسري الطوفان الحي الى مداه العظيم، وطبيعي أننا كلما اكتشفنا من أسرار هذه الجزيئات اكثر، ورأينا أعمق، تجلت لنا كنوز من المعرفة التي قد تصل على عقول الرجال

لكن ما هي مواصفات هذا الجزيء الوراثي الوحيد الذي يورثنا بدوره صفاتنا وصفات كل كائن حي آخر ؟ وما هي طبيعته ؟ وكيف سجلت عليه كل كبيرة وصغيرة لتترجم في النهاية الى مخلوق قد يعجبك شكله أولا يعجبك ؟ !

لغة معقدة جديدة

سبق أن ذكرنا في مقالتين سابقتين أن الكون ذاته بمثابة كتاب ضخم غاية الضخامة، والعلماء وحدهم هم الذين يستطيعون قراءة مفرداته فالذرة مثلا قد نشأت من مفردات ثلاثة، هي البروتون والنيوترون والاليكترون، ومن الذرات المختلفة نشأت كل مادة الكون ممثلة في جزيئاتها الكيميائية لتصبح بدورها مفردات لغة جزيئية اكثر حجما، وأعظم تعقيدا وعندما تنتظم هذه الجزيئات في شريط بطريقة فذة، يصبح الشريط بدوره لغة خاصة محددة، أو هو بمثابة شفرة محددة يترجمها الخالق على هيئة مخلوقات حية لا نحصيها عددا

خذ ـ بعد ذلك ـ أية خلية تشاء، من أي مخلوق تريد، تجد في داخل الخلية شريطها أو أشرطتها الكيميائية التي تراصت عليها الشفرات الوراثية، وهذا ينبئك أن الخلق جميعه قد قام على أساس فكرة واحدة، تدلك على وحدانية الخالق الذي « خلق فسوى والذي قدر فهدى » خلقها حسبات، سواها في ذرات، قدرها في جزيئات، هداها في مخلوقات، وكأنما كل نظام من هذه النظم قد أوحى الله فيها أمره، كما أوحى في كل سماء أمرها وكأنما الأمر هنا أمر نظام بديع في المقام الأول

خذ على سبيل المثال أية خلية من خلايا الانسان، وافحصها بالوسائل العلمية فحصا دقيقا، تجد للخلية نواة، وفي داخل النواة كروموسومات أو صبغيات، وفي داخل الصبغيات أشرطة مجدولة، وفي داخل الأشرطة جزيئات تنتظم وتتبادل على حسب فكرة مقدرة، وخطة

محكمة وهذا التبادل المنظم على الشريط او الأشرطة هو قدرك المكتوب « عداد » كيميائي . فاذا اشتغلت الأشرطة ، وترجمت معلوماتها السرية ، أعطتك كل صفاتك الآدمية التي لا تتشابه بين مخلوق ومخلوق

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الانسان أو الحيوان أو النبات قد نشأ في البداية من خلية واحدة ملقحة والتلقيح او الاخصاب يعني خلط الأشرطة الوراثية بين خليتين جنسيتين للذكر والأنثى ، ومن هذا الخلط والتبادل بين المعلومات الضخمة المسجلة على الاشرطة لا يمكن أن تتشابه المخلوقات تشابها مطلقا ، حتى على مستوى النوع نفسه ، اذ لا يمكن مثلا ان يتشابه اثنان من البشر في تقاطيع الوجه والصفات والصوت والبروتينات الخ . وهذا ينبئك بعظمة الفكرة التي اودعها الله تلك الأشرطة !

مقاييس تصغر على التصور

ولكي يكون لهذا الكلام معنى في العقول ، دعنا نلقي نظرة فاحصة على هذه الأشرطة وما حوت ، فلو أننا أخذنا الأشرطة الوراثية في نواة البويضة الملقحة لانسان ووزناها ، لما زاد وزنها عن ٦ بيكوجرام . والبيكوجرام وحدة من وحدات الوزن التي يستخدمها العلماء في تقدير اوزان تلك العوالم الدقيقة . هذا والبيكوجرام يساوي جزءا واحدا من مليون مليون جزء من الجرام (٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠١ جرام) وهذا يعني أن كمية المادة الوراثية التي سجلت بها كل صفات الانسان لا تكفي لاظهار نقطة واحدة من تلك النقط التي نضعها فوق الحروف او تحتها !

ومع هذه الضآلة الخيالية في الوزن ، فان هذه الأشرطة تنطوي على ضخامة هائلة في المعلومات المسجلة ، ففي البويضة الملقحة للانسان توجد ما بين ستة وثمانية آلاف مليون معلومة او شفرة وراثية مسجلة على اشرطتها الدقيقة غاية الدقة . ثم انا لو اردنا أن نترجم هذه الشفرات الوراثية بلغة مكتوبة ومقروءة ، فان ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة تنوء بحملها ظهور البعير او الخيل اذا تأتى لك ذلك هذا ويقدر العلماء ان تسجيل هذه اللغة السرية بحروف لغتنا ، قد لا تكفيه عشرون مجموعة من دائرة المعارف البريطانية مثلا (هذا والمجموعة الواحدة تحتوى على ٢٤ مجلدا كبيرا وكل مجلد يحتوى على حوالى الف صفحة ، في كل صفحة حوالى ٥٠٠ كلمة ، كل كلمة في المتوسط خمسة حروف قدرها بالحساب تجدها ملايين فوق ملايين !)

ثم انا لو تصورنا أننا جمعنا هذه الأشرطة الموجودة في خلية واحدة من خلايا الانسان ، ثم اوصلناها في شريط واحد متصل ، فان طول هذا الشريط لا يتجاوز المترين الا ربعا ، ومع ذلك ، فعليه مخطوطات وراثية تساوى بحرا من المعلومات كما سبق أن ألمحنا !

لكن سمك هذا الشريط دقيق غاية الدقة ، ونحن لا نستطيع ان نراه الا اذا كبرناه بالميكروسكوبات الاليكترونية عشرات الالوف من المرات ، وعندئذ نراه كخيط او كشعرة رفيعة ، والى هنا لا تستطيع الميكروسكوبات الاليكترونية ان توضح لنا ما يمكن ان تحويه هذه الشعرة الضئيلة - رغم هذا التكبير الفائق - من نظم ادق فأدق !

وعند هذا الحد يتدخل العلماء بوسائلهم الكيميائية والفيزيائية المعقدة علهم يعرفون السر العظيم الذي يورث المخلوقات صفاتها ، وينكشف السر البديع في بداية النصف الثاني من القرن العشرين على يدي عالمين هما كريك وواطسون (أحدهما بيولوجي والآخر فيزيائي) ، فلقد قدما لنا النموذج الذي يمكن أن يكون عليه الشريط الوراثي ، واستحقا على ذلك جائزة نوبل

سلالم حلزونية كيميائية !

وقبل اكتشاف كريك وواطسون ، كان العلماء يعرفون ان المادة الوراثية التي تحتويها اشرطتنا الكيميائية تتكون من اربع قواعد اساسية وكل قاعدة منها عبارة مركب كيميائي محدد ، عرفناها باسم الأدينين **adenine** والثايمين **thymine** ، والجوانين **guanine** ، والسيتوزين **cytosine** لكن دعنا نبسط الأمر ، ونأخذ الحرف الأول من كل مركب كيميائي ، عندئذ ستصبح لغة الشريط الوراثي هي أ ، ث ، ج ،

ليس هذه حبالا مجدوله بل سجلات الحياة الوراثية مسجله على اشرطه كيميائية كما يعتقد العلماء في وجودها داخل نوى الخلايا الحية . لاحظ ان كل شريط مجدول كسلم حلزوني . والنموذج مكرر هنا ملايين المرات ، ومع ذلك لا نستطيع ان نرى الشفرة الوراثية على حقيقتها . ولكي نراها ، فعليك ان تتمعن في الصورة التالية

لقد وضع لقد من سلمنا الحلزوني الوراثي ، وكأنما هو شريط مجدول . هذا والكور الصغيرة الملونة بمثابة ذرات ايدروجين واكسجين وكربون ونيتروجين وفوسفور

س ، وهذه هي الشفرة الاساسية التي « كتب » بها الخالق كل صفات الكائنات الحية ، ولا يختلف في ذلك الانسان عن الشمبانزي عن الثعبان والدودة والحصان والميكروب وسائر انواع المخلوقات !

لكن السؤال الذي كان يحير العلماء دائما : ماذا تعني هذه الشفرة حقا ؟ وكيف تنتظم في اشرطتها الوراثية ؟ وبأية وسيلة تترجم معلوماتها الى خلايا مخ يفكر ، وقلب ينبض ، وأمعاء تتلوى ، وأعصاب تحس ، وعين ترى . الى آخر هذه الصفات التي نراها رؤية العين في الكائنات الحية . نراها ظاهرا ، ولا نعرفها باطنا ؟!

ولا شك ان هذه اسئلة عويصة تدخل مباشرة الى جوهر الخلق ، وتطرق الفكرة الجليلة التي اودعها الله في كل مخلوقاته ، ولكي تبوح الحياة باسرارها ، فان ذلك يستلزم عقولا على درجة كبيرة من الذكاء والالهام والمعرفة العميقة

وانكشف السر العظيم . اول سر في قائمة من الاسرار البديعة . فاتضح أن الشريط الوراثي ليس شريطا عاديا كما كانت توضحه لنا الميكروسكوبات الاليكترونية ، بل هو في الحقيقة شريط مجدول ، أو قل انه بمثابة سلم حلزوني طويل ودقيق ، وللسلم درجات ، ولكي تتماسك هذه الدرجات في سلمها ، كان لابد من « درابزين » او هيكل يمسكها من اطرافها !

هذه هي الصورة الظاهرية للأشرطة الوراثية ، لكنها في الحقيقة مشيدة على نظم كيميائية دقيقة غاية الدقة . فدرجات سلمنا الكيميائي الحلزوني تتكون من الحروف او الشفرات الأربعة أ ، ث ، ج ، س ، والدرابزين الكيميائي يتكون بدوره من سكر اسمه ريبوز ، ومن ملح اسمه فوسفات . وسكر مرتبط بفوسفات مرتبط بسكر مرتبط بفوسفات . الخ . الخ ، يعطيك « درابزينا » الى اليمين ، والى اليسار مثيل ، لكن هذا أو ذاك لا يدخلان في تحديد الشفرة ، بل جاءا

هيكلا حلزونيا ترتبط بها شفرات الوراثة ... ربعة
ات متتابعة كل درجة يفصلها ... حرى
ر ٤ر٣ أنجستروم ، هذا والانجسترو ... حدة
دقيقة تناسب هذه السايات ... سانية
مع فيما وراء حدود عالمنا او عالم المتكرسكوبات
روبية ، وهو يساوي جزءا من عشرة ملايين جزء
للمتر (١ر٠٠٠٠ر٠ ر مللميتر ... او لو
ا بطريقة اخرى أننا أخذنا مللمترا واحدا من هذا
له الدقيق ، لوجدناه ينطوي على حوالي ثلاثة
درجة متراصة فوق بعضها البعض ... اضف الى
ـ سمك هذا الشريط ... اثنين من
جزء من الملل ... لو تصورنا انا
ما الانسان ... في بويضة ملقحة لانسان ،
لها ... كرة دقيقة ، ووضعناها على راس
قطره مللميتر واحد لاغير ، فانك لا تستطيع أن
لانها تحتل من رأس الدبوس جزءا واحدا من
جزء من مساحة رأسه ، ومع ذلك فهي تحتوي على
ت او شفرات او درجات كيميائية تكفي لتكوين
قائمة بذاتها ، وهذا يسبك بعظمة من قدر فسوى

السر العظيم يتكشف !

كن ذلك كله لا يوضح لنا كيف تتحول هذه
ـ الوراثية التي خطها الخالق في جريناتنا او
ـا الدقيق الى انسان سوى بعينين سوداوين ،
مجعد او ناعم ، وأنف محدد ولسان ناطق ، وصوت
، اخر هذه الصفات التي لا نحصيها عدا !

.. ن السر كله يكمن في تنظيم الشفرة الرباعية
ـن في درجاتها على سلمنا الحلزوني
درجة كيميائية تتكون من حرفين او
ن « أ » مرتبطة دائما مع « ث »
« ح » مع « س » لتكون درجة
، ثم ... ات ملايين وملايين المرات في
الدقيقة ، وبربط بروابط اليكترونية سكر
ـ الذي يكون مع الفوسفات الهيكل او درابزين

السلم على الجانبين وتلك بساطة هي شفرة الحياة التي
نشأت منها جميع المخلوقات دون تفرقة بين انسان ونبات
وحيوان وميكروب ، ثم هي في الوقت ذاته تعطيك من
الصور البشرية المختلفة مالا يتكرر مطلقا منذ ان ظهر
الانسان على هذا الكوكب ، حتى يومنا هذا ، او بعده
بملايين الأعوام

الفكرة لا شك بسيطة ، لكن من بساطتها يسع كل
ما هو عظيم وبديع ومبتكر ، وما عليك الا أن تتأمل في
طوفان المخلوقات التي يزخر بها هذا الكوكب ، لتعرف
ان من وراء ذلك كله حروف لغة جديدة خط بها الله
« قاموس » المخلوقات لتصبح فصلا قائما بذاته ـ في
كتاب الكون المفتوح !

ولكي نبسط سر هذه اللغة الجديدة ، كان علينا ان
نشير الى الفكرة القديمة نسبيا التي اخترعها الانسان في
ارسال البرقية مستخدما في ذلك نقطة وشرطة لاغير
(أي . ـ) وبتبادل النقط مع الشرط في نظم معروفة
يمكن ان تكتب ما تشاء من معلومات يقرأها مرسل
التلغراف او مستقبله ، كما تقرأ انت مثلا صفحات هذه
المجلة لكن شتان طبعا بين فكرة وفكرة ، لأن شفرة
الحياة قد تمخضت عن أعظم تجسيد ، لأعظم خلق تشهده
الأرض والسماوات !

لكن كيف يترجم « ادم » الجرينات » وسيدها
« لغته الكيميائية تلك الى مخلوق ايا كان نوعه
وشكله ؟

الواقع أن المكتوب في الجرينات الوراثية هو الخطة
او الخريطة الكيميائية الكاملة للمخلوق ، ولا بد من
ترجمة خطة العمل هذه الى لغة اخرى ، ثم ترسل بها رسلا
حاملة لتعليمات جديدة ، وتدخل التعليمات الى مطابع ،
فتحولها المطابع الى أوامر ، والأوامر تدير شئون الخلية ،
وتوجهها الوجهة التي فطرها الله عليها ، ولهذا وغيره
دراسة قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم من كتاب الكون
المفتوح ، ويحق القول الفصل « وما أوتيتم من العلم الا
قليلا » ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

أول مرة « العربي » يذهب الى

عالم المسلمين السوفييت

٤٠ مليوناً يتكاثرون بمعدل ٥ أضعاف تزايد الروس

٣ طرق صوفية عادت للعمل : نقشبندية وشاذلية وقادر

في الإحصاء اكتشفوا عرباً لا يزالون في قرية "عر.

يحتفلون بميلاد الطفل وتسميته وختانه .. وببلوغه ٦٣ عاماً

هي الحقيقة في مسألة الحريات الدينية

طشقند من · فهمي هويدي
تصوير . اوسكار متري

الاوزبكيون في صلاة الجمعة (يمين) . والمفتي ضياء الدين بابا خان بالعمامة ذات الالوان المطلمة بالازرق والاصفر وخلفه نائبه عبد الله عبد الغني بعمامته ذات الخطوط الحمراء (فوق) ثم مدخل الادارة الدينية في طشقند (تحت)
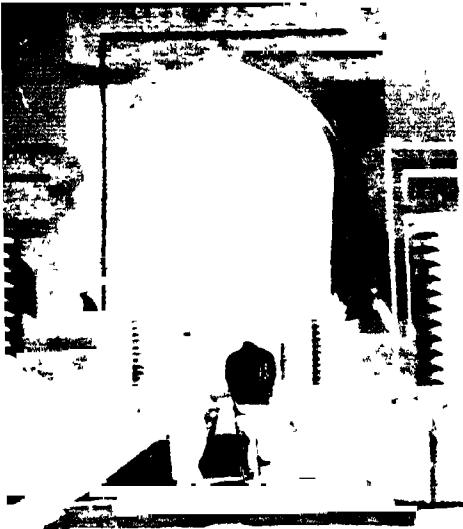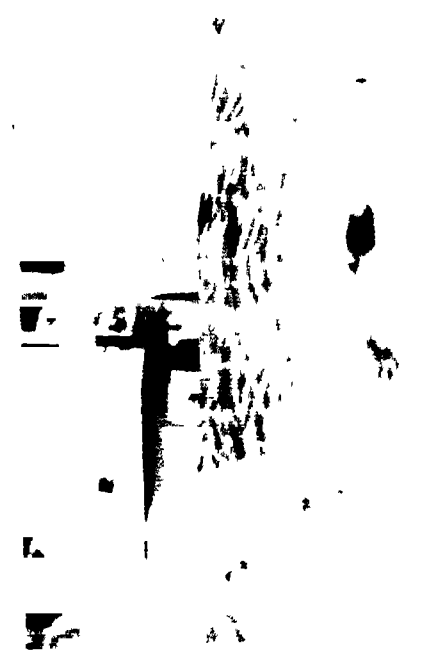
من حقي أن أسجل باسمي « اكتشافين » عثرت عليهما أثناء عملية « تنقيب » قمت بها بين المسلمين السوفييت. الاكتشاف الأول يتمثل في ثلاث طرق صوفية دبت فيها الحياة وعادت لتقيم حلقات الذكر ـ نقشبندية وسادلية وقادرية ـ فيما يمكن ان نسميه « الاسلام الاستحبابي » والاكتشاف الثاني يتمثل في جيل نبت وسط الصخر، يتداول كتاب الاستاذ سيد قطب « معالم على الطريق » فيما يمكن ان نسميه « الاسلام الانقلابي » "

ولم أتردد في استخدام كلمة « اكتشاف »، لأن عالم المسلمين السوفييت لا يزال محاطا بكثير من الغموض وثمة مساحات ليست قليلة من هذا العالم لا تزال في حكم المجاهل، التي تتضارب في شأنها الاقوال، وتروى عنها حكايات كالاساطير وفيما هو مرئي، فقليلون هم الذين استطاعوا أن يطلوا على هذا العالم البعيد، غير متأثرين بدعايات القائلين بان المسلمين السوفييت يعيشون في الجحيم، او أولئك الذين يصرون على أنهم يعيشون في جنة النعيم، حتى صار متعذرا في كثير من الاحيان ان يرى وجه مسلمي الاتحاد السوفييتي على طبيعته، بغير ترويق أو تشويه، او مغالطة رؤية أمينة لوجه الله والحقيقة، وليست لحساب احد!

حقا، هناك اهتمام ظاهر بالمسلمين السوفييت من جانب الاوروبيين والامريكان بوجه خاص ـ لا نذكر العرب وبقية المسلمين ـ خلال السنوات العشر الاخيرة، خصوصا منذ بدات تلوح في الافق مؤشرات الزيادة الملحوظة في اعدادهم (خمسة اضعاف معدلات زيادة الروس)، حتى اصبحوا يمثلون ثقلا سكانيا مؤثرا في [illegible] وخطرا سكانيا محتملا في المستقبل، ومنذ اض[illegible] « المشقين » الى قاموس الحياة السوفييتية الجد[illegible] [illegible]ـر هذا الاهتمام الظاهر بالمسلمين السوفيـ[illegible] المرحلة التي نعيشها، والتي انطفأ فيها بريق [illegible] [illegible]ـره، وحدث تحول في اتجاه العودة الى الدين بشكل عا[illegible]

لكن هذا الاهتمام تضاعف قدره منذ قيام الثورة الاسلامية في ايران، ووراء ظهر الاتحاد السوفييتي مباشرة، ثم ـ وهذا هو الاهم ـ خلف جدران الجمهوريات الاسلامية في الجنوب السوفييتي وتحديدا، على مشارف تركمانستان التي تتحدث لغة نصف فارسية، واذربيجان التي لا يتكلم اهلها سوى الفارسية!

منذ أحداث ايران، سلطت الاعين من كل صوب على المسلمين السوفييت، وتنبه من كان غافلا ـ باستثناء العرب والمسلمين ايضا ـ الى ملف مسلمي بلاد « ما وراء النهر »، الذين ظلوا حتى بداية القرن التاسع عشر جزءا لا يتجزأ من « دار الاسلام »، ، له بصمات لا تزال باقية في الضمير الاسلامي، بل له اضافاته التي لا تنكر الى التراث الانساني بوجه عام الى أن انتزعها الروس واصبحت مستعمرات تابعة للقيصرية، ثم صارت بعد ثورة اكتوبر جمهوريات داخلة في الاسرة السوفييتية

هكذا، دفعت بهم الاحداث الى دائرة الضوء الكاشف، ملاحقين بأسئلة لا حصر لها من هم؟ كم هم؟ هل يذكرون الله؟ كيف واين؟ هل هم مضطهدون حقا؟ هل دمرت مساجدهم؟ وهل وهل

وتلك اسئلة ليست جديدة في الواقع، فهي مثارة منذ اكثر من ستين عاما، عندما وصل الشيوعيون الى الحكم في اعقاب ثورة اكتوبر، لكنها تطفو على السطح وتختفي في الاعماق حسب ملابسات كل مرحلة والمشكلة في الاجابة عليها تلك الاجابات التي غالبا ما تكون ناقصة او غائمة

ورغم أن هذه هي زيارتي الثانية لمسلمي الاتحاد سوفيتي ، ورغم ما حققته من « اكتشافات » ، فقد بدت شعور الخارج من امتحان دون أن يستوفي جابته ، حتى تواضعت احلامه فلم يعد يطمح في اكثر من اجتياز الامتحان قانعا بدرجة مقبول !

عقد على الطريق

سلفا ، كنت اعلم ان الطريق ليس سهلا ، بل يعترضه الكثير من الاشواك والعقد ، اذ لم يكن الامر مقصورا على حقائق تائهة أو ناقصة أو شائهة ، بل هناك ما هو اكثر هناك شك السوفيت وحذرهم من كل أجنبي ، خصوصا اذا كان فضوليا ولحوحا بطبعه او بحكم مهنته ـ صحفي مثلا ـ وهناك أيضا عقدة المسلمين من السوفيت وكل ما هو سوفيتي وهذه نتائج رتبتها الى حد كبير تلك الحملات الضارية التي شنتها الدعايات المضادة منذ سنوات الحرب الباردة ، والتي استهدفت تشويه السوفيت نظاما وشعبا ، وتسميم علاقتهم بالمسلمين ، مستغلين في ذلك مسألة الشيوعية والالحاد ومعاناة المسلمين السوفيت بعد ثورة اكتوبر

وما جرى في اثيوبيا خلال العام الاخير ، يجسد المدى الذي بلغته الدعايات المضادة في خلق مزاج عام موال للامريكان ، ومعاد تماما للسوفيت بصرف النظر عن اية حقائق موضوعية ذلك انه طوال سنوات حكم الامبراطور هيلا سلاسي ، المدعوم بالقواعد والسلاح الامريكي ، لم يرتفع في بلادنا صوت واحد يدافع عن المسلمين الاحباش ، بينما كانت ملايينهم الستة عشر تعاني من اضطهاد يعادل تماما اضطهاد القياصرة لمسلمي تركستان فلا حق لهم في الامتلاك ، ولا حق لهم في شغل اية وظائف لها قيمة ، ولا حق لهم في بناء المساجد او ممارسة اية شعائر علنية وكما اعتبر القياصرة الارثوذكسية « ديانة سائدة » ، والاسلام مجرد ديانة « مسموح بها » فقط ، كذلك كان الحال في اثيوبيا ، مع اختلاف بسيط هو ان الديانة السائدة كانت الارثوذكسية وليست الكاثوليكية

وهكذا عاش المسلمون مواطنين من الدرجة الثانية طوال ثلاثين عاما ، ولكن لان النظام الحاكم موال للامريكان ، فقد سكتت الاصوات واعتبر الاسلام في امان !

وعندما نجحت الثورة ضد نظام هيلا سلاسي ، واعلنت في الاسبوع الاول ان المسلمين سيعاملون معاملة أي مواطن عادي ، ولهم الحق في التملك والتوظف ، ورغم أن مظاهرة ضمت ٣٠٠ الف مسلم خرجت في اديس ابابا مؤيدة للقرار محتفلة به قبل ان يشن النظام حربه ضد مسلمي ارتيريا اقول رغم هذا كله ، فان خطباء الجمعة وما يسمى بالصحافة الاسلامية تخرج علينا كل اسبوع داعين الى استنفارنا لانقاذ مسلمي اثيوبيا من محنتهم ! ، فقط لان النظام موال للسوفييت !

ولا أريد أن استرسل في سرد نجاحات الدعاية الساحقة ضد السوفيت التي كنا مسرحا لها لكن فقط أشير الى واحدة فقط من المغالطات التي ترسبت في أذهاننا ، وهي هذا الخلط بين ما هو شيوعي وكل ما هو سوفيتي فرغم أن الاتحاد السوفيتي يضم ٢٦٢ مليون نسمة ، وأعضاء الحزب الشيوعي لا يتجاوزون ١٦ مليونا ، (ارقام احصاء ٧٩) ، فان كثيرين منا يعتبرون كل سوفيتي شيوعيا بصورة تلقائية ، ويحددون آراءهم ومواقفهم في ضوء هذه « المسلمة » المغلوطة !

هكذا ، فان مثل هذه الاشواك والعقد والمغالطات لا بد تعترض طريق المسافر الى موسكو أو طشقند من أي بلد عربي او اسلامي البعض يتعثر فيها ، والبعض يقع في حبائلها ، وربما يفلح البعض في تجنبها

على أنك إذا تجاوزت هذا كله ووصلت الى موسكو متخففا من تلك الرواسب والخلفيات ، فانك تواجه ظلال الشك والحذر تلاحقك حيثما ذهبت ، وتلك مهمة يتكفل بها المرافقون ، الذين لا يغفرون لك ان تغيب عن أعينهم لحظة ، وبعضهم يتقبل على مضض فكرة دخولك دورة المياه وحدك !

سوفييت وعرب !

نزلنا في فندق « بكين » بالعاصمة السوفيتية ، المخصص فيما يبدو لضيوف الادارة الدينية ، وهو ذاته

الذى مررت به قبل عشر سنوات ، قبل أن نطير الى طشقند بوابة اسيا الوسطى ، والمعبر الطبيعي الى عالم المسلمين السوفييت وخلال بضع ساعات قصيرة كنت قد تعاملت مع أربعة شعوب ، تتكلم لغات مختلفة ، ولا شيء مشترك بينها سوى أنهم مسلمون ، وأنهم يتكلمون الروسية بجانب لغاتهم مندوب الادارة الدينية الذي استقبلنا كان اوزبكيا من أصل مغولي ، والمرافق الذي عين حارسا علينا كان داغستانيا من اصل تركي ، وسائق السيارة كان مسلما من طاجكستان ، أصوله هندو افغانية ، والرجل الذى تولى شئون حقائبنا كان ادربيجانيا من أصول فارسية حتى اذا دخلنا مطعم الفندق عند الظهيرة ، كانت اللوحة البشرية قد اتسعت دائرتها ، وكاد المطعم يتحول الى قاعة اجتماعات مثلت فيها كل شعوب وقبائل اسيا الكبرى والصغرى ، بل اقرب الى قاعة اجتماعات الامم المتحدة ، اذا اضفنا بعض الضيوف !

لقد كانت مشاهد اليوم الأول استعراضا مصغرا لاحدى الحقائق الهامة في تركيبة المجتمع السوفييتي ، ومجتمع المسلمين ـ الذى يعنينا ـ بالتالي

والكتابات السوفييتية تذكر هذه الظاهرة بوضوح ، والكتابات غير السوفييتية تهتم بها بقدر اكبر ، وتعلق على نموها واحتمالاتها « آمالا » أوسع

ولا يتردد السوفييت في أن يضعوا الحقائق الأساسية الظاهرة امام زائريهم اذا ما طلبوا ذلك رسميا يقولون مثلا انه رغم ان الجمهوريات السوفييتية الاتحادية عددها ١٥ ، الا ان الشعوب والقوميات في داخل الاتحاد السوفييتي عددها مائة على الاقل ، وهؤلاء يتكلمون مائة [illegible]

[illegible] ايضا ان في الاتحاد السوفييتي ٤٠ [illegible] عقيد [illegible] ان الاسلام يحتل الترتيب الثاني بين الاد[illegible] [illegible] الارثوذكسية

ورغم انه [illegible] رسمي بعدد المسلمين ، لانه منذ ثورة اكتوبر [illegible] الدين من بيانات الاحصاء وبقيت خانة « القومية » ، الا ان الرقم الذي تلتقي عنده الكتابات السوفييتية وتقديرات مجلس شئون الاديان ، هو ٤٠ مليونا

وقد افادت عملية حصر القوميات هذه في حالة واحدة ، اذ اكتشف السوفييت من بيانات الاحصاء أنه في جمهورية أوزبكستان جماعة من السكان سجلوا انفسهم في خانة القومية باعتبارهم « عربا » ! ولا تزال قريتهم القريبة من بخارى تحمل اسم « عربخانة » ، ولا يزال شيوخهم يذكرون أن قبائلهم التي اندثرت كانت تحمل أسماء عربية مثل القريشيين والشيبانيين والعليين غير أن سكان القرية البالغ عددهم ٢٨ ألفا نسوا اللغة العربية تماما ، باستثناء كلمات قليلة جدا ، وصاروا يتكلمون الاوزبكية والروسية ومن مفارقات القدر ان القرية في التصنيف الاقتصادي للمنطقة تحمل اسم « مزرعة موسكو » !

تتحلل هذا الاطار العام تفاصيل كثيرة ، ترسم في مجموعها صورة « الموزاييك » البشري المتداخل في مناطق المسلمين بوجه أخص ، التي هي منذ الزمن القديم موطن قبائل تركية في الاساس ، اضيفت اليها عناصر مغولية ، واخرى هندو ـ افغانية وايرانية

واكثر هذه التفاصيل تذكره ايضا الكتابات السوفييتية ، وليس فيه سر

فالجمهوريات ذات الاغلبية الاسلامية اكثر من ٨٠٪ من السكان ، ست هي اوزبكستان ، كازاخستان ، ادربيجان ، طاجستان ، تركمانيا ، قرغيريا وهذه جمهوريات اتحادية ، يفترض أن لها سلطة مستقلة ـ رئيس ومجلس وزراء وبرلمان ـ وداخلة ضمن الاتحاد الفيدرالي الذي يضم بقية الجمهوريات السوفييتية

يضاف الى ذلك ٤ جمهوريات غير اتحادية ، تابعة مباشرة للسلطة المركزية في موسكو ، وسكانها المسلمون بين ٥٠ ، ٧٠٪ ، هي بشكيريا وتتاريا وداغستان واجاريا ، وهناك عشرات الالوف من المسلمين منتشرون في بقية الجمهوريات السوفييتية

الاوزبك هم الاكثر عددا (١١ مليون) يليهم التتاريون (حوالي سبعة ملايين) ثم الكازاك ـ القرسان ـ (حوالي ستة ملايين) ، ثم الأزيريين في جمهورية ادربيجان (خمسة ملايين) . الى آخر القائمة التي يضاف اليها التركمان والقرغير

حريطه لوريع المسلمس في حمهوريات ومناطق الاتحاد السوفيتي (الحريطه منقوله عن مجله النهار العربي والدولي)

والباشكيريون والقوقار والداعستانيون وتصم كل من هده الشعوب ما بين مليون وثلاثة ملايين نسمة

لكن تفاصيل الاعراق والاجناس لا تنتهي ، فداخل كل جمهورية « موزاييك » بشري آخر متداخل بصورة مصغرة ودقيقة جمهورية داغستان ، مثلا ، تضم اكثر من عشرة شعوب ، لها عشر لغات مختلفة ، الافاريون ، والـدارغينيون ، واللـزغينيون ، والـكرميكيون ، واللاكيون وغيرهم [1]

وهؤلاء المسلمون جميعا موزعون على اربع ادارات دينية ، تابعـة لكتب شئـون الاديان الملحـق بمجلس الـوزراء السوفيتـي في موسـكو ولـكل ادارة رئيس يفترض انـه منتخـب من رجـال الـدين ، او « القـادة الروحيين » بالتعبير المفضـل سوفيتيا وهـذه الادارات الدينية هي واحدة في طشقند لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ـ وهي اكبـر الادارات وعلى رأسهـا اشهـر « القادة الروحيين » المفتي ضياء الدين بابا خان ، الذي يشغل منصبه منذ ٣٥ عاما ، أي منذ عهد ستالين والى الآن ـ والثانية في مدينة أوفا عاصمة بشكيريا لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحـاد السوفيتـي وسيبيـريا ـ والثالثة مقرها مدينة بويناسـك بجمهـورية داغستـان لمسلمي شمال القفقاس او القوقاز ـ والرابعة مقرها مدينة باكو الصناعية ، وعاصمة اذربيجان ، لمسلمي ما وراء القفقاس

المقاومة بالانجاب !

لكن البناء السكاني للمسلمين السوفيت له وجه آخر لا تخفـى دلالتـه ، رغـم أن الكتابـات والتصريحـات السـوفيتية الرسمية تبدي عدم الاكتراث به . وأعني به معدلات النمو في مجتمعات هؤلاء المسلمين

واحدث الشهادات السوفيتية في هذا الموضـوع هو تصريح نشرته مجلة « ابناء موسكو » في يونيو الماضي ـ العدد ٢٤ ـ لمدير دائرة احصاء السكان يسويوف ، الذي

حىب دهىا كان المسلمون
يحرحـون لاسـتقبالنـا
اكثرهم طاعنون فى السن
وهولاء هم المواجـدون فى
كل مناسبه اسلاميه

الصغار يمضون فتره لهو فى
حديقه عامة يطبقـد
يلعبون تعـاليم الحـرب من
الـبدايه ويحيونـك دائما
السلام عليكم

و وسط آسيا يتميرون ـ رحالا وساء ـ باعطيه رووسهم ، والوان بيابهم الراهية اما النساء فيفردن بحمال السعر والصفائر التي ٤
الى ٤٠ صفيره تندلى على اكتاف الفتاه

ذكر فيه أن إحصاء ٧٩ يشير الى أن سكان الاتحاد السوفيتي أصبحوا ٢٦٢ مليون و ٤٤٢ الف بزيادة ٢١ مليونا عن إحصاء عام ٧٠ ، ثم اوضح أن اثار الحرب العالمية الثانية على النمو السكاني لا زالت قائمة ، اذ أن عدد الاناث في المجتمع السوفيتي يتجاوز عدد الذكور بـ ١٧٫٦ مليون نسمة (السوفييت فقدوا ٢٠ مليونا في الحرب)

ثم انتقل مدير الاحصاء الى موضوع النمو السكاني فقال إن عدد سكان روسيا الاتحادية زادوا بنسبة ٦٪ في الفترة ما بين عامي ٧٠ و ٧٩ ، بينما زادت نسبة السكان (المسلمين) في جمهورية طاجيكستان ـ في الفترة ذاتها ـ بنسبة ٣١٪ ، وكانت الزيادة في اوزبكستان بنسبة ٣٠٪ . وتركمانيا بنسبة ٢٨٪ (اي ان نسبة زيادة السكان المسلمين كانت خمسة اضعاف الزيادة بين الروس)

واضاف يوسوبوف قائلا إن الدعاية البورجوازية الغربية تقول أن هذه الزيادة تقلق موسكو ، وتشغل بال القادة السوفييت وهذا افتراء متعمد ، ورد عليه الرفيق ليونيد بريجنيف في حديث نشرته صحيفة « لوموند » الفرنسية عام ١٩٧٧ بقوله هذه الظاهرة لا تقلقنا بأي حال ، بل على العكس فهي تسرنا إذ أنها تعكس النهوض في المستوى الاقتصادي لجمهورياتنا ، بما في ذلك النمو الهائل في مستوى معيشة سكان ما كان يسمى بأطراف روسيا القيصرية ، والتقدم الكبير الذي أحرزوه في ظل النظام الجديد

أي ان النمو غير الطبيعي لمجتمعات المسلمين ظاهرة مسلم بها سوفيتيا ورسميا

وهي ظاهرة يؤكدها الواقع بشدة فأسرة الخمسة ... والعشرين ولدا وبنتا لا زالت موجودة ... وقد قال لي نائب رئيس الادارة الدينية في طشقند ... عبد الغني ـ ان هناك أسرا تضم ٢٥ فردا ، الز... (التعدد محظور) والباقون اولاد وبنات وحدثني ... صديق له اسمه ميرزات عطا جاروف (٧٣ سنة) بمنطقة سرداريا بأوزبكستان ، أنجب من زوجة واحدة ١٣ ولدا و ٧ بنات وقال لي « كريم » سكرتير الادارة الدينية انه يحمد الله ـ أنه أنجب ١٧ ولدا وبنتا

وتشجيعا للروس على الانجاب ، فان القانون السوفيتي يمنح مكافأة مالية للاسرة بعد الطفل الرابع ، ويقرر مجموعة من الامتيازات للاسرة التي تنجب ١٠ أطفال فاكثر ، مثل استخدام المواصلات العامة مجانا ، لكن المسلمين هم اكثر الناس استفادة من هذا القانون حتى قال لي القاضي عبد الله خان خالانوف ، ممثل الادارة الدينية في طاجيكستان (٣ ملايين نسمة) ان ١٥ الف امرأة في جمهوريتهم يستفدن من تلك الامتيازات ، اذ أنجبت كل واحدة اكثر من عشرة اطفال وانهم يزيدون نصف مليون نسمة كل عام ، الامر الذي يؤدي الى زيادة سكان طاجيكستان بنسبة ٥٠٪ كل ١٠ سنوات

وليس الأمر مقصورا على زيادة ملحوظة في جانب المسلمين ، ونمو بطيء في جانب الروس لأن عنصرا آخر مؤثرا أضيف الى الموقف ، هو اضطراب الاسرة الروسية ، الذي يتحدث عنه علماء الاجتماع السوفييت ، ولا تكف وسائل الاعلام عن الاشارة اليه والدعوة الى معالجته بتركيز خاص على محاربة الادمان على السكر ، الذي اعتبر واحدا من أسباب تفكك الأسرة فنسبة الطلاق بين الروسيات في حدود ٣٠٪ ، أي أنه بين كل ثلاث روسيات متزوجات واحدة مطلقة وهي نفس المعدلات الشائعة في اوروبا وامريكا وقد أدى ذلك الى أن أصبح متوسط الانجاب في الاسرة الروسية ٣ افراد فقط ، في مقابل ١٢ او ١٥ وهو المتوسط العام في مجتمعات المسلمين

لكن الآراء تختلف في تفسير هذه الظاهرة

فالخط الرسمي لموسكو يعتبرها نقطة ايجابية لصالح النظام ، وهذا مضمون تصريح بريجنيف ولكن غير السوفييت يرون لها دلالات اخرى فالكتابات الغربية تفسرها باعتبارها تعبيرا عن « المقاومة » في مواجهة العنصر الروسي الحاكم ، والمد السكاني الروسي الزاحف الى مناطق المسلمين . وتشبهها بالنمو الزائد في أعداد الفلسطينيين ، الذين يرون أن الرد العملي ـ وربما اللاشعوري ـ على محاولات إبادتهم هو استمرارهم في الانجاب وأن الأمل في « العودة » سيظل باقيا ما بقي الفلسطينيون يتناسلون ويتكاثرون

ولم تسقط الكتابات عبر السوفيتية عنصر حث المسلمين للانجاب ، وحرصهم على الاستجابة الى دعوة الرسول عليه السلام « تناسلوا تكاثروا ، فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة »

تصيف تلك الكتابات أيضا أن تقاليد المجتمع الرعوي الذي هو أصل سكان آسيا الوسطى ، تعتبر الانجاب « قيمة » اقتصادية واجتماعية فرعاية آلاف رؤوس الماشية والأغنام ، وسقيها وحلبها ، تحتاج الى أيد كثيرة وكلما كانت الاسرة أكبر ، أي كلما زاد عدد الأبناء ، زادت ثروة الاسرة من القطعان وارتفعت مكانة الاسرة بين جيرانها

سألت شابا يدرس في المعهد الديني ببخاري ، وهو رقم ١٤ بين ١٣ شقيقا وشقيقة ماذا تفسر هذا التضخم في أسر المسلمين في بلادكم ؟

سكت صاحبنا لحظة حتى « يجمع » مفردات جملة عربية مفيدة ، ثم قال حتى نحارب أعداء الاسلام ، ولم تسعفه لغته بالمزيد !

إسماعيليون .. وصوفيون ؟

في الشكل أيضا ، تتحلل لوحة الموزاييك في مجتمع المسلمين السوفيت قسمات اخرى ، لها طابع مذهبي هذه المرة

فالغالبية العظمى من المسلمين السوفيت من أهل السنة ، أحناف اولا ، وهؤلاء يتركزون في أوزبكستان ، منطقة الثقل السكاني الاكبر بين المسلمين ، وفي سيبيريا وتاريخيا ، فان الامام أبو حنيفة النعمان ، ينحدر من أصول تنتمي الى آسيا الوسطى ، وأكثر أركان المذهب الحنفي من هذه المنطقة

ويأتي الشافعية بعد الأحناف في الترتيب المذهبي السني ، وأكثر هؤلاء في مناطق القفقاس في جمهوريتي داغستان وشاشانيا

بعد ذلك هناك الشيعة الجعفرية ، الذين يتركزون في جمهورية اذربيجان ولان مسلمي هذه الجمهورية غالبيتهم مقسمون مناصفة بين السنة والشيعة ، فقد اتفق على أن يكون رئيس الادارة الدينية شيعيا يحمل « لقب شيخ الاسلام » ، ونائبه سنيا ، يحمل لقب « مفتي الاسلام »

وللمذهب الاسماعيلي (من فرق الشيعة) وجوده المحدود في جبال البامير البعيدة ، في اطراف جمهورية طاجيكستان وهؤلاء الاسماعيليون لا يتجاوز عددهم نصف مليون شخص

وكما تتعدد المذاهب ، تتعدد « الطرق » ايضا !

وقد كانت مفاجأة ـ لي على الأقل ـ أن أكتشف أن الطرق الصوفية ما زالت على قيد الحياة في داخل الاتحاد السوفيتي ، وان كانت نشاطاتها اصبحت مقصورة على إقامة حلقات الذكر ، وحفظ الأدعية والمأثورات

وقد قادني الى هذا الاكتشاف المفتي ضياء الدين بابا خان ، عندما كنا نستعرض اسماء اعلام المسلمين الذين برزوا من أواسط آسيا ، اذ كانت ملاحظتي أن الكتابات السوفيتية لا تذكر في الاغلب « فقهاء » المسلمين ، وتكتفي بذكر الذين برزوا فقط في مجالات العلوم مثل الطب والفلك والرياضة والكيمياء ، ومن امثال الفارابي وابن سينا والخوارزمي والفرغاني واذا كان من بين هؤلاء من له باع في الفقه ، فانه يوصف بأنه كان « فيلسوفا » « مفكرا » أو « مؤرخا »

عندئذ قال المفتي ضياء الدين ان الادارة الدينية احتفلت بذكرى مرور ١٢٠٠ عام على ميلاد الامام البخاري قبل عامين ، ثم مضى يعدد أسماء بقية الفقهاء ، الترمذي ويعقوب الشرجي وقفال الشاشي ، ثم اضاف والنقشبندي

سألت ، هل هو النقشبندي صاحب الطريقة الصوفية التي نسمع بها ؟

اجاب بالعربية وبحماس ظاهر نعم ، هو « شيخنا المكرم » محمد خواجه بهاء الدين النقشبندي ، المولود في قرية قصر عرفان التي كانت قريبة من مدينة بخاري في عصرها الذهبي ، عندما كانت تعج بالعلماء والفقهاء وقد كان الرجل عليه رحمة الله فقيها جليلاً وحرفيا ، ولذلك سمي طريقته « نقشي ـ بندي » ، نسبة الى حرفة تطريز الأطلس (الحرير)

مجموعة من النساء المسلمات في فرغانة ، لا تختلف في مظهرهن عن نساء العالم العربي . أغطية الرؤوس واحدة ، والعيون

اثناء صلاه الجمعة في سمرقند وكانت مفاجاه لنا ان نجد اعدادا من النساء خرجن للصلاه ايضا في حديقه محيطه بالمسجد (فوق) وفي الصورة السفلى لقطه تجمع انماطا من الأجيال القديمه ، والجديده ، والوليده

وعدت أسأله هل ترك الشيخ النقشبندي أتباعا لطريقته هنا ؟

وبحماس أكبر قال نعم نعم الطريقة النقشبندية موجودة ، وأتباعها عشرات الألوف في بخاري وخوارزم وتمتحن بوادي فرغانة (اوزبكستان) وهي اكبر الطرق الصوفية في اسيا الوسطى

قلت وقد فاجأتني الاجابة هل تعنى أن في هذه المناطق « طرقا » اخرى ؟

قال نعم ، عندنا اتباع الطريقة الشاذلية المنتشرة مع النقشبندية في داغستان ، والطريقة القادرية المنتشرة في جمهورية شاشانيا ، شمالي القفقاس

ثم اضاف المفتي ضياء الدين بابا خان لقد احتفت البدع من ممارسات أتباع هذه الطرق ، وبقيت تؤدي دورها في توثيق الصلة بالله وتطهير نفوس المؤمنين سألته ، بالمناسبة ، وما المقصود بهذه البدع ؟

قال التعلق بالاضرحة الكثيرة المنتشرة في بلادنا ، والتوسل بالاولياء ، وغير ذلك من العادات اليومية الصغيرة ، التي يحاربها رجال الدين بكل وسيلة

ثم أضاف قائلا ، والنقشبندية لها دورها البارز في محاربة تلك البدع

وعندئذ لاحظ احد الجالسين حيرتي في فهم الملاحظة ، فمال على أذني وقال يبدو أنك لا تعرف أن المفتي ايشان بابا خان ، أبا المفتي ضياء الدين كان من شيوخ النقشبندية وان المفتي ذاته « نقشبندي » أيضا ، ولكنه غير متفرغ للطريقة ، بسبب شواغله الاخرى !

الوجه الذي تغير

والغالبية العظمى من هؤلاء المسلمين يتمركزون في مناطق آسيا الوسطى يتحركون على « مسرح » مترامي الاطراف ، او كما يقول الجغرافيون ، حوض هائل قطره يزيد على ١٤٠٠ كم ، ومساحته تتجاوز المليون كيلو متر مربع قاعدته تتكون من كتلة قديمة صلبة ، وتطوقه حلقة دائرية من المرتفعات والجبال الشاهقة ، حدوده فيما عدا بحر قزوين ، ترسمها سلسلة الجبال العملاقة والشهيرة في آسيا الوسطى الهندوكوش ، والبامير ، والاورال ، والكاراك تتخلل هذا الحوض الصلب انهار بلا حصر حفرتها المياه المندفعة على مدار العام من القمم الثلجية لسلسلة الجبال العتيدة ، وتوزعت نهاياتها على بحيرة بلكاش ، وبحيرى الأورال وقزوين

وهذا المسرح الهائل ذو الطبيعة الجغرافية الفريدة ، تجتمع فيه اغنى الموارد الطبيعية في الاتحاد السوفيتي أي أن مجتمع المسلمين ليس « كما » كبيرا ومتزايدا فقط ، ولكنه ثروة عظيمة ايضا

وطبقا للبيانات السوفيتية ، فان الجمهوريات الاسلامية تنتج ٧٠٪ من قطن الاتحاد السوفيتي و ٧٠٪ من الفاكهة ، واربعة اخماس فراء الاستراكان

ومناجم الفحم في كازاكستان تنتج ٨ أضعاف ما تنتجه انجلترا وايطاليا واليونان ومناجم الحديد بالجمهورية ذاتها تنتج اكثر من مجموع ما تنتجه المانيا العربية وايطاليا واليابان

ولا يزال الاتحاد السوفيتي يعتمد أساسا على النفط المستخرج من جمهوريتي أذربيجان وتتاريا الاسلاميتين وحسب الاحصاءات المتاحة ، فقد كان انتاج تتاريا من النفط ١٠٠ مليون طن عام ١٩٧٠

هذا بالنسبة للثروات الطبيعية الاساسية اما الصناعات العديدة التي اقامتها « السلطة السوفيتية » ، فقد غيرت وجه المناطق الاسلامية تماما ونقلتها من عصر الى عصر بل من قرن الى قرن

وتلك كلمة حق يجب أن تقال كما أنها حقيقة يسلم بها المسلمون ، حتى أن أحدهم قال لي رغم ان هناك الكثير مما يمكن أن يقال محسوبا على السوفيت في المناطق الاسلامية ، الا أن اهم ما يجب أن يحسب للسوفيت « أنهم احدثوا هذه النقلة الاقتصادية الهائلة لمجتمعات المسلمين ونحن ندرك أهمية هذه النقلة كلما نظرنا الى جيراننا في أفغانستان وايران ، وبغير العون السوفيتي سنظل صورة من هذه المجتمعات التي لا تزال تعاني من بقايا عصور التخلف ، ولا تزال تخوض المعارك ضد الامية والفقر والجوع »

الى الشغيلة المسلمين

على أنه إذا كان شكل مجتمع المسلمين السوفيت له اهميتـه ساسـه وأرصـه ، فان المصمـون ـ أعـي الممارسات ـ يظل هو الأكثر اهمية ، وهو منطقة الغموص والمجاهل التي لم تستكشف بعد وهو المجال الحقيقي لكافة صور وأساليب الدعاية والدعاية المصادة ، الأمر الذي يتطلب قدرا كبيرا من الحذر والانتباه

وقد حاولت أن أقترب من هذه المنطقة الملغومة خطوة خطوة .

سألت في البداية ما هي طبيعة علاقـة الدولـة بالمسلمين وموقفها من قضية الحريات الدينية ؟

سمعت اجابة واحدة من الجميع من المفتي صياء الدين ، الى أئمة المساجد الذين لقيتهـم ، الى المرافـق الذى ظل يردد الاجابة ذاتها أمامي في كل مناسبة لا شان للدولة بالدين او المتدينين ونحن نمـارس حقوقنـا ونشاطاتنا وشعائرنا بحرية مطلقة . وتلك ضمانات كفلها الدستور والقانون

وهذا المعنى ذاته كررته كل الكتابات السـوفيتية التي أتيح لي الاطلاع عليها بل إن كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفتي » ، الذي يوزع على كل الضيوف العرب والمسلمين ، لا تكاد تخلو صفحة فيه من اشارة الى ذلك

وفصلا عن رائحة الدعاية التي كانت تفوح من الاجابات . فقد شككني في صدقها أن ممارسة النشاطات الاسلامية بالصورة التي عبروا عنها ، ليست مكفولـة حتى في اكثر البلاد « الاسلامية » ذاتها !!

وعندما يئست من العثـور على إجابـة موضـوعية سوالي ، ممن لقيتهم ، حاولت ان اطرق بابا آخر ، هو الوثائق والمراجع السوفيتية ، التـي تلقـي اضـواء على موقف الدوله من المسلمين منذ ثورة اكتوبر .

وجدت كتابة مبكرة للينين ـ القائد والمؤسس ـ انتقد فيها قوانين التمييز الديني في روسيا القيصـرية ـ قبل الثورة ـ قال فيها ما نصه « هذه القوانين تمنع صراحة هذا الدين او ذاك ، او تمنع نشره ، أو أنها تحرم من بعض الحقوق أولئك الذين ينتمون الى هذا الدين او ذاك ان هذه القوانين هي أشد القوانين ظلما وتعنتا وخزيا » ثم يضيف « ينبغي أن تكون لكل امريء الحرية التامة لاعتناق الدين الـذي يريد ، كما ينبغـي ان تكون له الحرية التامة لنشره او اعتناق دين آخر * »

وكان هذا موقفا مثـاليا يرضي عنـه كل المتدينـين العقلاء

وقبل أقل من شهر على قيام ثورة اكتوبر ـ في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ ـ نشرت الحكومة السـوفيتية التـي ترأسها لينين نداءها الشهير الى « جميع الشغيلة المسلمين في روسيا والشرق » ، الذي قالـت فيه ان الحكومـة السوفيتية تقف الى جانب الكادحين المسلمـين ، الـذين كانت تهـدم مساجدهـم وامـاكن عبادتهـم (في عهـد القيصرية) والذين كانت تستباح عقائدهم وعاداتهم ، قد اعلنـت بصـورة رسـمية ما يلي تعتبـر من الان فصاعدا ، عقائـدكم وعاداتـكم ، ومؤسسـاتـكم القـومية والثقافية ، حرة وذات حرمة وحصانة نظمـوا حياتـكم القومية بصورة حرة ، ودون عوائـق أو موانـع انـكم تملكون الحق في ذلك *

وسواء كان ذلك إجراء فرضتـه اعتبـارات تأمـين الثورة وقتئذ ، أو موقفا حقيقيا عبر عن مثاليات واحلام الثوار في البداية ، فانه ـ في النهاية ـ كان موقفا مرضيا ومشجعا للمسلمين

وفي العام الأول للثورة ، حاول لينين ان يعبر عن وده وتقديره لمشاعر المسلمين ، فأصدر أمرا بأن يرد اليهم مصحف سيدنا عثمان ، ذو القيمة التاريخية العظيمة ، والذي يقال أن بعض صفحاته لا زالت تحمل آثار دم الخليفة الثالث منذ قتل وهو يتلو فيه . وكان احـد

---

* لينين ـ الى الفلاحين الفقراء (الطبعة العربية)

* مراسيم السلطة السوفيتية ـ الجزء الأول

دفعهن حياء الى محاوله الاحتماء من المصور (اليمين) ثم عروسان توجها الى المسجد بعد تسجيل الزواج فى مكتب السجل المدني . وهناك احرى المفتي صياء الدين بابا خان المراسم الشرعيه لاتمام الزواج انهم لا يزالون يكرون ان تم الزواج مدنيا (تحت)

جرالات القيصر قد استولى على المصحف من احد مساجد سمرقند (دفع ١٠٠ روبل ثمنا له) بعد احتلال الروس لمنطقة تركستان الاسلامية ، ونقله في عام ١٨٦٩ الى مقر القيصر في بطرسبورج *

وسواء كانت هذه مبادرة من لينين ، او استجابة لمساعي احمد بك صاليحوف ، احد كبار التجار المسلمين ـ كما ذكرت الصحف وقتئذ ـ فان موقف لينين كان ـ ايضا ـ مشجعا ومرضيا

لينين يتراجع

ولكن هذه المبادرات والمشاعر التي صدرت عن « الثورة » لم تنعكس تماما في موقف الحزب والدولة بعد ذلك بسنوات محدودة فعندما صدر الدستور السوفيتي في عام ١٩٢١ ، نص في المادة ٥٢منه على ما يلي تضمن ـ الدولة ـ لمواطني الاتحاد السوفيتي حرية الاعتقاد ، اي الحق في اتباع اى دين ، او عدم اتباع اي دين ثم ـ وهذا هو الأهم ـ « حق اداء الشعائر الدينية مكفول وكذلك حق القيام بالدعاية الالحادية » ويحظر استخدام الدين في التحريض على العداء والكراهية »

وتنص المادة ذاتها في النهاية على ان الدين في الاتحاد السوفيتي منفصل عن الدولة ، والمدرسة منفصلة عن الدين »

كان الجديد في هذه المادة التي مازالت باقية الى الان هو ان الدستور يكفل للمتدينين حق الاعتقاد وأداء الشعائر الدينية فقط بينما يكفل لغير المتدينين حق القيام بالدعاية الالحادية أي أن الدستور لا يكفل للمتدينين حق الدعوة الى دينهم ، اذ انه اعطى هذا الحق صراحة لطرف وسكت عنه بالنسبة للطرف الآخر

بتفصيل اكثر ، فان الطرف المستفيد من حق الدعاية الالحادية هو الحزب الحاكم ، الذي يسيطر على الدولة بكافة وسائلها الاعلامية ومؤسساتها الثقافية ومعاهدها العلمية وجيوشها وأساطيلها وأجهزتها الأمنية ، وموارده‍ا المالية

اما الطرف الآخر ـ المسلمون في حالتنا هذه ـ فلا حيلة لهم امام هذه الامكانيات الهائلة التي تتسم موقف الدعاية الالحادية لهم فقط ان يتعبدوا كما يشاؤون ، وان يحصروا « نشاطهم » في هذا الاطار المتواضع !

والصورة بهذا الشكل تعني في الواقع أنه ليس هناك تكافؤ على الاطلاق بين الحريات الممنوحة لغير المتدينين ، وتلك الممنوحة للمتدينين فطرف يملك كل شيء ، وآخر لا يملك الا عقيدته ودينه ، الامر الذي يكاد يحسم الموقف تماما لصالح الطرف الاول ثم إن هذا الربط بين الدين والتحريض على العداء والكراهية ، يشكل موقفا غير ودي من المتدينين ، ويوحي ضمنا بأن الدعاية الدينية هي بمثابة تحريض على العداء والكراهية

أي أن الاتجاه الذي برز في نص الدستور ، كان مناقضا لما وعد به لينين ، عندما كان ينتقد قوانين التمييز القيصرية ، داعيا الى حرية اعتناق اي دين ، « والحرية التامة لنشره »

واذا قرأنا المادة ٥٢ من الدستور في ضوء المادة ٢٥ التي تسبقها فقد تتضح الصورة اكثر ذلك ان المادة ٢٥ تنص على ما يلي « التعليم العام والتدريب او التأهيل المهني يخدم المبادىء الشيوعية ، والتنمية الثقافية والجسمانية للشباب »

أي اننا اذا ما وصلنا بين الحمل في المادتين ، سنحصل على معادلة بالشكل التالي الدين منفصل عن الدولة ـ والمدرسة منفصلة عن الدين ـ والمدرسة تابعة للدولة ـ والدولة تقرر الشيوعية هدفا للتعليم في المدارس !

وقد ترتب على هذا الموقف الجديد أن ألغي القضاء الشرعي ، وألغيت مدارس المسلمين ، وصودرت

---

* لمزيد من التفاصيل راجع « تاريخ المصحف العثماني في طشقند » ، للشيخ اسماعيل مخدوم

حرفيان من مسلمي الاوزبك والصناعات الحرفيه تغطي قطاعات عريضة من انتاج عامة الناس بايديهم ومطارقهم ينحتون اجمل القطع في النسيج والاخشاب والنحاس

الاوقاف وهي خطوات تمهيدية تنسجم مع الخط العقائدي الذي تبنته الدولة ، والنتيجة المنطقية لسياسة فصل الدين عن الدولة وقد فعل كمال اتاتورك بعد الغاء الخلافة الاسلامية شيئا شبيها بذلك في تركيا

شهادة من اهلهم

ومضي الوقت ظلت علاقة الدولة بالمسلمين تتردى اكثر واكثر خصوصا في عهد ستالين والكتابات عبر السوفيتية تفيض بالمعلومات التي تتناول هذه المرحلة ، والتي قد لا يخلو بعضها من مبالغات

من هذا القبيل مثلا ، ما نشرته مجلة يو اس نيوز من أن دراسة قدمت الى الكونجرس الامريكي في عام ٥٨ حول اوضاع المسلمين السوفيت في الثلاثينيات ، أشارت الى أن واحدا من كل ثلاثة مزارعين مسلمين في مناطق الكاراك ، مات في تلك الفترة ، أثناء تطبيق نظام المزارع الجماعية وأن اكثر من نصف مليون من المثقفين المسلمين ـ بينهم فقهاء وعلماء ـ إما اعدموا او هاجروا خارج البلاد

ومن الارقام المتداولة في الكتابات غير السوفيتية أن ٢٤ الف مسجد كانت مقامة في مناطق المسلمين حتى قيام ثورة اكتوبر، وأن اعداد هذه المساجد ظلت تتقلص حتى وصلت الى ١٢٠٠ مسجد سنة ١٩٦٠، ثم ٣٠٠ فقط الآن

ولا تذكر المصادر السوفيتية اي تفصيلات عما جرى للمسلمين في تلك الفترة ولكن كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» * يسجل اشارات محدودة في هذا الصدد ففي فصل بعنوان «القانون السوفيتي حول الدين» ـ ص ٦٠ ـ وردت الفقرة التالية في تصنيف البناء الاشتراكي، لا سيما في السنوات الأولى من السلطة السوفيتية، وقعت حوادث، ولو كانت متفرقة ارتكب فيها بعض القادة المحليين للسلطات الاجتماعية، أو هيئات السلطة، أخطاء شأن بعض المؤمنين او الطوائف الاسلامية وقد صححت مثل هذه الاخطاء بسرعة، وتعرض منتهكو القانون للمسئولية الجنائية

وفي فصل آخر بعنوان «حقائق فقط» ـ ص ٧٠ ـ اشارة مماثلة تقول في بداية العشرينات حاولت السلطات المحلية في بعض المناطق، تحت شعارات «اليسارية» ان تقوم بالدعاية الالحادية «بفظاظة» و «بطريقة مهينة» وقد أدانت الحكومة السوفيتية هذه الاعمال الفظة بحزم ووقع خارقو القانون السوفيتي تحت طائلة المسئولية الصارمة».

واذا وضعنا في الاعتبار أن هذه الاشارات لابد وان تكون مخففة الى حد كبير لاسباب مفهومة، وحتى اذا ما قبلناها كما هي، فانها تعني في الواقع ان المسلمين عاشوا مرحلة صعبة ـ والوصف مخفف أيضا ـ في العشرينات والثلاثينات على الاقل، وان احلام «شعيلة مسلمي الشرق» تبددت واحدا تلو الآخر،

الضارة النافعة

غير ان الاربعينات جاءت بانفراج محدود، كانت فيه الحرب العالمية الثانية هي «الضارة النافعة»، سببا،

يذكر كتاب «الامبراطورية المتفجرة» للكاتبة الفرنسية هيلين كارير داسكوس، خبيرة الشئون السوفيتية، أنه بينما كان ستالين يواصل قمعه للمسلمين حتى ألغى استخدام الحروف العربية في جمهورياتهم، خصوصا بعدما تصاعد الحس القومي بينهم، وشكلوا فرقا للمقاومة في أواسط آسيا، في هذه الظروف نشبت الحرب الثانية، واجتاحت القوات الالمانية الاراضي السوفيتية واتجه الالمان الى اللعب بورقة القوميات، واضعين خطة لاعادة الاستقلال الى الجمهوريات غير الروسية وبدأوا تنفيذ الخطة بانشاء دولة مستقلة في القفقاس سلمت السلطة فيها للزعماء المسلمين، ودولة اخرى في كاراتشاي تولى قيادتها زعيم مسلم اسمه القاضي ابارهيموف ربما «ابراهيموف»

ولكن الألمان لم يتمكنوا من مواصلة خطتهم، بعدما تغير ميزان الحرب لصالح السوفيت من ناحية اخرى، وخلال سنوات الحرب، نقلت كل مصانع الذخيرة والانتاج من أنحاء الاتحاد السوفييتي الى مناطق المسلمين في الجنوب وادرك ستالين ان استمرار سياسة القمع قد تؤدي الى نتائج عكسية في المدى البعيد، الامر الذي دفعه الى تخفيف حدة هذه السياسة، ففتحت بعض المساجد، ورفعت بعض القيود التي كانت مفروضة على المسلمين، وخفت نسبيا الدعاية المضادة للاسلام

ولم يكن مصادفة أن تنشأ في اعقاب الحرب العالمية الثانية (سنة ٤٦) الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى، وان تفتح من جديد في العام ذاته مدرسة «مير عرب» في مدينة بخاري، لتقوم بمهمة التعليم الديني لابناء المسلمين

وتقول الكتابات غير السوفيتية أن معاناة المسلمين تجددت في عهد خروشوف ـ في الستينات ـ ثم خفت بعد ذهابه، وانتهى الوضع الى ما هو عليه الآن

* اصدار قسم العلاقات الدولية للمنظمات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ـ موسكو

حرية مطلقة في « الختان » !

ما هي انعكاسات هذه الخلفية القاسية على ممارسات المسلمين ؟

كان من الطبيعي أن تنحصر الممارسات في المساجد والبيوت ، وأن ينحصر فهم الاسلام على اداء ما يسمى بالشعائر الدينية أو على الاقل ، فهذا هو الاطار المحدد طبقا لنص الدستور

وقد عبر عن هذا الفهم القاضي شاكر خيال الديبوف ، مفتي القسم الاوروبي من روسيا وسيبيريا ، اذ كتب في مجلة « الاسلام في الاتحاد السوفيتي » يقول نحن نقيم شعائرنا الدينية العامة دون عراقيل مكثيرا ما يدعى أئمة المساجد الى بيوت المؤمنين لتأدية الدعاء الخاص بمولد طفل ، وابرام عقود القران ثم إن المسلمين يقومون بالختان بحرية وفي عدد من المدن ، بما في ذلك موسكو ، توجد مقبرة خاصة للمسلمين ، يدفن فيها المسلمون فقط » .

وفي هذا المعنى ذاته اشار كتاب « المسلمون في الشرق السوفيتي » ، في تلخيصه لنشاطات المسلمين ، الى انهم يحلون بأنفسهم مسائل اعداد كوادر رجال الدين ، وطبع الكتب الدينية وصنع المواد اللازمة للعبادة وهلمجرا (!) وتستخدم « الاتحادات » الاسلامية الجوامع والمساجد مجانا حيث تؤدي فيها فريضة الصلاة يوميا ، وتقام الاحتفالات الدينية بمناسبة عيد الاضحى وعيد رمضان ، والمولد النبوي ※

وكان طبيعيا أن تلتصق الممارسات العامة - خارج هذا الاطار - وتوظف ، بحيث تخدم الخط العام للدولة ويسجل كتاب عبد الله وهابوف الذي يحمل نفس عنوان « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » - عن غير قصد طبعا - الكثير مما يؤكد هذه الحقيقة اذ يذكر أن المسلمين اشتركوا في مناقشة الدستور السوفيتي الجديد ، وأن الحاج أتاخان عبد اللايف ، إمام مسجد « تلخطان بابا » في تركمانيا ، وقف مؤيدا للدستور في اجتماع جماهيري للمسلمين ، وقال « إن المشروع يحقق حماية وتثبيت حرية جميع شعوب بلادنا وحقوقها المتكافئة وثمة بنود كثيرة فيه تنسجم مع آيات القرآن الكريم واحاديث نبينا محمد ونحن جميعا نؤيد ، وبصورة كاملة هذا المشروع »

وفي الكتاب ذاته ، ينقل عبد اللايف ، نموذجا من خطبة لعيد الاضحى ألقاها الشيخ احمد قدري عزيز خايف ، في مسجد مخدوم ايشان ، بلدة نامنجس الأوزبكية ، وقال فيها

« اننا نحتفل بهذا العيد الاسلامي الكبير اليوم ، ونحن في وضع ملائم وجيد فقد نفذت جمهوريتنا (اوزبكستان) خطتها الخمسية للتطور الاقتصادي والثقافي قبل الأوان فارتفع الانتاج الصناعي عندنا بنسبة ٥١٪ ، واستصلح اكثر من ٥٠٠ الف هكتار من الاراضي الجديدة واعطى مزارعونا للوطن في العام الحالي وحده أكثر من خمسة ملايين طن من « الذهب الابيض » وارتفع الى حد كبير الرفاه المادي لجميع الناس السوفييت (هكذا هي في الترجمة) واننا نشكر الله على هذا كله ، ونصلي له ونتعبده

واننا نشارك الفرحة بصدد اتفاق ٣٥ دولة في هلسنكي على تأمين السلام والامن المشترك في أوروبا ونرجوا الله ان تنتصر في قارتنا الآسيوية روح السلام والصداقة والتعاون

بهذه الخطبة استفتح المسلمون احتفالهم بعيد الاضحى المبارك .

وبهذا الاتجاه أيضا تأثرت « الفتاوي » التي تصدر عن رجال الدين ، وان كان ذلك قد ساهم أحيانا وبغير قصد في تخليص الاسلام من بعض الشوائب التي علقت به أي لم تخل هذه الفتاوي من ايجابيات على أي حال

فيذكر كتاب « المسلمون في الشرق السوفيتي » ، ان المفتي ضياء الدين بابا خان اصدر فتوى بشأن ارتداء النساء « للبراقع » - وتحدثت الفتوى بالتفصيل عن أن

※ من مطبوعات الجمعية الاوزبكية للصداقة والتعاون مع البلدان الاجنبية

هذه العادة لم يرد حولها اي توجيه مباشر في القرآن ولم تذكر في الكتب الدينية الاخرى ودعت الفتوى المسلمات الى عدم ارتداء البراقع التي تحد من حركة المرأة » وجاء في فتوى اخرى « أنه ليس من الواجب نحر الحيوانات في عيد الاضحى »

وكتب المفتي محمد حاج قرباسوف ، رئيس الادارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس ، في « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » ، بعد ان اشار الى « عادات المولود الجديد وإعطاء الاسم والختان والزفاف ، والأعياد الاسلامية المختلفة . هذه العادات الدينية مقدسة ومصونة »

بعد هذه الاشارة ، قال المفتي أن عادة الاخذ بالثار التي تمكنت من الناس في مناطق القفقاس الجبلية اعتبرت تقليدا دينيا وأن التفاوت الاقتصادي بين الاغنياء والفقراء هو الذي تسبب فيها . « وعندما نقلت كل الأراضي في بلادنا الى الذين يعملون فيها ، وعندما منع القانون السوفيتي استثمار أي إنسان لآخر ، اختفت هذه العادة والحمد لله »

ويضيف المفتي قرباسوف في فتوى اخرى ان « المهر » ، كان مبررا في الزمن الاول للاسلام بالرغبة في خلق عائلة غنية ، قادرة على أن تبدأ حياتها المستقرة باطمئنان » ، ولكنه أصبح بعد ذلك وسيلة ضغط على الفقراء ، وقسرا للارادة ، وهو ما يخالف الاسلام وهذه العادة التي صورت بشكل مشوه حرص النبي على اسعاد الناس ، اختفت عندنا تقريبا ، ويعيش الناس في غنى وحلت محل هذه العادة المشوهة عادة جديدة ، هي ان والدي الخطيب والخطيبة والاقارب يقدمون الهدايا للشابين وكثيرا ما تسهم في هذه الهدايا المؤسسات التي يعمل فيها هذان الشابان ، والكولخوزات والمنظمات الاجتماعية

وفي المجلد ذاته ، كتب « شيخ الاسلام » علي آغا سليمان زادة ، رئيس الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس (الذي يمثل الشيعة) انه « طرأت في العقود الاخيرة بعض التغييرات على الشعائر المخصصة لاحياء ذكرى عاشوراء خلال ايام الحداد الثلاثة في شهر محرم « وأن رجال الدين الشيعة في أذربيجان ، توجهوا بنداء الى المؤمنين بالكف عن تعذيب النفس وقد اعتبروا ، مستشهدين بالشريعة ، ان القيام بشعائر محرم على هذا النحو لا يتفق مع العقيدة ، وإثم كبير للمسلمين »

ثم اضاف المفتي علي آغا « ان تغيير شعائر عاشوراء لم يقلل من اهمية هذا التاريخ العظيم المشهود عند المسلمين ، بل بالعكس ، إن المؤمنين الآن في وضع مطمئن ، تعمهم وهم يستمعون الى الأدعية مشاعر دينية اكثر عمقا »

احتفالات لا تتوقف

اي أنه في اطار العادات والشعائر والتقاليد ، التي لا تتصادم مع الخط العام للدولة ، فباب الممارسة مفتوح على مصراعيه ، وبغير قيود اساسية

على أن الملاحظة الجديرة بالانتباه ، هي أن مجتمعات المسلمين أصبحت تحول كل ما هو مرتبط بالدين من شعائر وتقاليد ، أيا كانت ، الى مناسبات يحتفل بها ويتم الاحتفال عن طريق تلاوة القرآن ، واستقدام رجال الدين للحديث واعطاء الموعظة ، وإقامة المآدب التي يلتقي حولها افراد الأسرة والعائلات القريبة

ويمكن ان يفسر ذلك بأنه نوع من التشبث بالعقيدة والحفاظ على الشخصية ـ نوع من المقاومة اللاشعورية لاحتالات الذوبان وسط التيارات الفكرية والعرقية المحدقة

وربما بهذا التفسير يفهم سر احتفال الاسرة المسلمة بوصول المولود مرة ، ثم بتسميته مرة ثانية وفي المرتين يدعى إمام المسجد ، ليقرأ القرآن ويعظ الحاضرين ثم يتم بعد ذلك ـ في المرة الثالثة ـ ختان الطفل وسط احتفال أكبر اذ يفتح بيت الأسرة لامام المسجد وغيره على مدى يومين يتم خلالها ختم القرآن ، اي يقرأ القرآن الكريم كله خلال هذين اليومين ، وفي اليوم الثالث يتم ختان الولد وسط التهليل والتكبير ، وبعد الوعظ ومأدبة العشاء الممتدة حتى يكاد ختان الطفل يصنف ضمن « الاعياد الاسلامية » !

وأيضا بدافع التعلق بما تبقى لهم من الاسلام ، تقام احتفالات على نطاق واسع بذكرى المولد النبوي احتفالات تبدأ في المساجد ، ثم تنتقل بعد ذلك الى البيوت حيث يتلى القرآن مرة أخرى وتلقى المواعظ وتقام المآدب بل إن المسلمين في داغستان وتتاريا وشكيريا وادمورتيا ، يحتفلون بذكرى المولد على مدى شهر كامل

وفي الزواج لا يكتفون بالقيد في السجل المدني طبقا للقانون ، ولكن العريس والعروس وأسرتيهما يخرجون من كتب السجل المدني الى المسجد ، يتلقون الموعظة من الامام وبعد ثلاثة ايام يقام حفل الزفاف ، الذي يتلى فيه القران ، وتلقى خطبة النكاح ، وتقام الوليمة التي يدعى اليها الجميع ، ويسهم الجميع في نفقاتها

وعندما يبلغ الرجل سن الثالثة بعد الستين ، يقيم احتفالا مشهودا في بيته ، تتخلله تلاوة القرآن والاذكار ـ ولابد من الوليمة ـ والمناسبة فريدة في نوعها اذ أنها هذه هي السن التي بلغها النبي عليه الصلاة والسلام

والحج له قصة اخرى تعلن في المساجد ، بعد صلاة الجمعة أسماء الذين فازوا بهذه الجائزة ، وسط التهاني والتكبير ! عددهم يتراوح بين ٢٥ و ٥٠ كل عام) ويسافر الحجاج من بلادهم النائية الى موسكو في مواكب يشارك فيها الاقارب والاصدقاء ، ويودعهم رجال الدين بملابسهم الزاهية وما ان يعودوا حتى تقام لهم المادب والاحتفالات ، والمسابح وسجاجيد الصلاة القادمة من مكة والمدينة (السجاجيد الجيدة مصنعة في ألمانيا الغربية !!) هدايا ثمينة تذكر طول العمر ومياه زمزم يتقاتل عليها الناس

أما في العيدين ، فاحتفالات المسلمين بهما تأخذ طابعا أكبر وأعظم اذ يخرج الجميع ، رجالا ونساء ، الى صلاة العيد وكثيرا ما تنحر الذبائح ـ في عيد الأضحى ـ قرب المساجد وتقام في البيوت الحفلات التي يقرأ فيها القرآن وتردد الاذكار ، وتقدم فيها الاطعمة والفواكه

وفي المآتم يتلى القرآن على عادة المسلمين جميعا الا ان ما يثير الانتباه حقا ـ كما قال لي رؤساء الادارات الدينية ـ أن ٩٠٪ على الأقل من الشيوعيين الذين ينتمون الى أسر مسلمة ، يطلبون في وصاياهم أن يقرأ القرآن على ارواحهم ! وهم يذكرون أن من بين الدين أوصوا بذلك احد وزراء جمهورية اوزبكستان ـ وكان عضوا بارزا في الحزب ـ وعضوا اخر في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي

وأثار انتباهي ايضا ـ عندما زرت منطقة للمقابر كانت قرب مسجد صليبا فيه بمدينة دوشنبة عاصمة طاجيكستان ـ أن القبور وضعت عليها علامات مميزة قبور المسلمين رسمت عليها صورة الهلال ، وقبور المسيحيين نقش عليها الصليب ، وقبور أعضاء الحزب الشيوعي وضعت عليها « نجمة » حمراء !

عقيدة ام تقاليد ؟

على أن هذا التعلق بالشعائر والتقاليد المرتبطة بالاسلام ، حول الدين لدى قطاعات من المسلمين الى تقاليد فقط أي نوع من العادات التي توارثها الناس ، المرتبطة بالسلوك ، والمنفصلة عن الاعتقاد حتى صارت كلمة « مسلم » لدى هؤلاء ، لا تعني اكثر من « صفة » ، مثل أوزبكي او طاجيكي او قرغيزي ولانها كذلك ، فلم يعد مستغربا ان يحدثك احدهم قائلا انه ملحد ، ثم يضيف انه مسلم ولا يرى في ذلك اي تناقض ، فهذه نقرة وتلك نقرة !

وبمنطق تحول الدين الى عادات وتقاليد أصبح من الممكن أن يجلس الرجل في مقهى أو حانة ، يتعاطى الفودكا الروسية ـ مثلا ـ وبعد أن تفرغ الزجاجة يمسح وجهه بكفيه ويقول آمين !

وهذه الصورة أكثر وضوحا في مجتمعات الشباب ، الذين يلقنون منذ دخولهم روضة الأطفال مناهج تعليمية مبنية على إنكار الله ، تطبيقا لنص الدستور ، حتى إذا ماوصلوا الى المرحلة الجامعية فإنهم يدرسون تاريخ الحزب الشيوعي بعمق وتفصيل ، ويختمون تعليمهم في السنة الرابعة بدراسة علم الالحاد « أتيزم » ، المبني أساسا على نقض الاديان وإنكار فكرة وجود الله

ولابد أن يؤدي استمرار هذا المنهج ، على مدى ستين عاما ، مدعوما بكافة وسائل الاعلام والتثقيف ، إلى إحداث تغيير شامل في البناء الفكري والنفسي لدى اجيال الشباب في مجتمعات المسلمين

وقد تحقق ذلك بقدر لا ينكر ، بتأثير هذه المناهج أولا ، ثم نتيجة للاغراءات والامتيازات التي يحصل عليها الطلاب إذا ما انخرطوا في سلك الحزب فأعضاء « الكومسومول » - منظمة الشبيبة الشيوعية - لهم الأولوية في الالتحاق بالجامعات والمعاهد والوظائف الرفيعة فيما بعد وغير الاعضاء الذين يدخلون الجامعات والمعاهد ، ليس لهم الحق في الاشتراك في النشاطات الطلابية المختلفة ولا مجال أمامهم بعد التخرج الا في نطاق الوظائف العادية

ولذلك كان طبيعيا أن يكون اكثر رواد المساجد من الشيوخ وكبار السن من الموظفين والعمال الذين أحيلوا الى المعاش ، ومن هؤلاء المسنين من حارب في صفوف جيش الدولة العثمانية !

والى جانب الذين تحول الدين عندهم الى عادات وتقاليد ، والذين تركوا دينهم - ولو مؤقتا - فثمة قطاع اخر من المسلمين لا يزال أشد حرصا على دينه ، معتصم به في مواجهة كافة العواصف والاهواء ، وهؤلاء هم الذين يصدق فيهم الوصف الذى ورد في الحديث الشريف القابضون على الجمر !

هؤلاء هم الذين يرسلون أبناءهم الى بلدة نمانجس الأوزبكية ، ليقيموا عند حفظة القرآن هناك ، يحفظون عنهم ويتلقون منهم القدر الممكن من الثقافة الدينية وأمثالهم هم الذين نذروا أنفسهم لهذه الرسالة ، أن يظل القران الكريم ، على الاقل ، محفوظا في قلوب المسلمين وعلى ألسنتهم وليس فقط في المصاحف المخطوطة التي تحتفظ بها الاسر القديمة ، تقديسا وتبركا

وهؤلاء هم الذين يوفدون أبناءهم الى معهد بخارى الديني بعد مرحلة التعليم الابتدائي ، ليقضوا هناك ٧ سنوات ، ينتقلون بعده الى معهد طشقند العالي في دراسة ٤ سنوات اخرى وليتخرجوا بعد ذلك خطباء ووعاظا وقراء وهم صابرون على ذلك ، رغم انه من غير المعقول أن يكون عدد المسلمين ٤٠ مليونا ، وأن تخصص لتعليم الدين لأبنائهم مدرستان فقط ، لا تستوعبان اكثر من ١٠٠ طالب في كل صفوف الدراسة !

وهؤلاء هم الذين يمولون كافة صور النشاط الديني ، التي لا تقدم لها الحكومة اي عون مالي ، رغم أنها وضعت يدها على الاوقاف التي كانت تؤدي هذه المهمة ، هؤلاء يقدمون تبرعاتهم - يعتبرونها زكاة - الى المساجد ، وتجمع حصيلة التبرعات ثم توزع على خمسة مصارف نفقات المسجد ، الصيانة ورواتب الامام - نفقات الادارة الدينية بموظفيها ونشاطاتها المحلية ، مثل ادارة المعهدين الدينيين ودفع رواتب شهرية لطلابهما - العلاقات الخارجية للمسلمين السوفييت ، المؤتمرات والوفود وغيرها - ثم يقتطع من هذه التبرعات ايضا « سهم » يرسل الى الحكومة يضم الى ميزانية صيانة الآثار القديمة ، وسهم خامس واخير تحصل عليه الحكومة يوضع تحت بند أمن وسلام العالم !

وهؤلاء هم الذين افرزوا هذا الجيل المدهش ، الذي أفلت من كل الشباك ، وصم اذنيه عن كل ما يتردد حوله ، وتحصن ضد كل المغريات ، ومضى يبحث عن حقيقة دينه ، ويلملم أشتاته المبعثرة هؤلاء ، على قلتهم ، تمردوا على أسلوب توظيف الاسلام واستخدام شيوخ الاسلام ، وكرسوا انفسهم من أجل فهم الاسلام الحق وهم أيضا الذين يتخاطفون النسخة الوحيدة لكتاب « معالم على الطريق » الذي اعتبر دستورا لدعاة الاسلام الحركي والانقلابي ، حتى كان تداوله « تهمة » في بعض بلادنا العربية في الستينات ، ولا يعرف أحد كيف وصل الى مكتبة الادارة الدينية في طشقند ، وقد فوجئت بهؤلاء الشبان يتحاورون فيما تضمنه كتاب« شبهات حول الاسلام » ويسألون عن مؤلفه محمد قطب ، هل هو ابن سيد قطب ام شقيقه ؟!

حكاية « النالوج »

وكان قد قيل لي همسا ، اثناء الحديث عن الشبان الذين يتجهون الى دراسة الدين في معهدي بخارى وطشقند ، انهم مصرون على مواصلة الدراسة ، رغم

م يدفعون من رواتبهم « ضرائب » للدولة ، يسمونها
الوح » أي عقوبة أو جريمة بالروسية وبواقع راتب
رين في السنة وقال محدثي الذي استحلفني بالله
ظيم ألا أذكر اسمه أن المنطق الذي فرضت به هذه
ضريبة هو أن كل فرد في المجتمع السوفيتي لابد وأن
ى عملا منتجا ، لانه في مقابل ذلك يتلقى خدمات
ـة في التعليم والعلاج ، ويدفع أجرا رمزيا للسكن
ين يتعاطون مهنة الدين ، طالما كانوا ام خطباء
عاظا ، هؤلاء يصنفون باعتبارهم أعضاء غير منتجين
المجتمع ، وعليهم أن يدفعوا للدولة ما يشبه
عويض ، لأنهم باختيارهم هذا أصبحوا يستفيدون ولا
ـدون

وبنفس المقياس تحاسب المساجد على استهلاك المياه
كهرباء ، فالمصانع باعتبارها وحدات انتاجية لها سعر
ص جدا ، والادارات الحكومية والمنازل لها سعر آخر
المساجد ، فلانها مؤسسات غير انتاجية ، فهي تدفع
ـة اضعاف القيمة التي تدفعها المصانع عن استهلاك
اه والكهرباء ، وضعفين ونصف ضعف اجهزة الحكومة
نازل

وقد حاولت ان اتثبت من المعلومة الأولى فقال لي
ي ضياء الدين بابا خان ان نظام « البالوج » كان
ولا به حتى سنتين مضتا ، ولكن خطباء المساجد
وا بالاضراب اذا لم يلغ ، وتدخل هو لدى السلطات
ـ العمل به ، على اعتبار انه يشكل اهانة وتعسفا مع
ل الدين ، وقد تم الالغاء فعلا منذ ذلك التاريخ

وقال لي نائبه الشيخ عبد الله عبد الغني أن البالوج
ـ غرامة ولا عقوبة ، ولكنها نسبة من الدخل يدفعها
ل الدين كغيرهم ، كتأمينات تحسب في معاشاتهم
التقاعد

وقال لي القاضي عبد الله خان ممثل الادارة الدينية في
جيكستان أن البالوج نظام مطبق فعلا الى الآن ،
رى تفصيلا السبب الذي من اجله فرضت الدولة
سبيل هذه الغرامة ، وفي تقديره انه سبب منطقي
نقول

وفي حين نفى الثلاثة مسألة تخصيص المساجد سعر
خاص في استهلاك الكهرباء والمياه ، فان أحد خطباء
المساجد قال لي أنه يدفع بالفعل ، لقاء عملية الاستهلاك
هذه سعرا اعلا من اي قيمة تدفع عن مؤسسة اخرى ،
كما أنه يسدد البالوج للحكومة باستمرار

ولأنني لم أتمكن من معرفة الحقيقة في هاتين
المسألتين ، فقد آثرت أن أسجل وجهات النظر التي
سمعتها من أطراف عديدة ، باعتبارها نموذجا
« للمساحات » المجهولة والغامضة في حياة المسلمين
السوفيت ، والتي يتعذر التعرف على حقيقتها بسهولة

ثمة سؤال أخير بعد هذه الرحلة الطويلة هو ما هو
الموقف من المسلمين الآن ؟

مذكرا بأني لم أر الصورة كاملة ، وأني لم أتجاوز
الحدود التي رسمت لي الا في مرات محدودة للغاية ، سببت
لي مشاكل جمة ، ومستأذنا مرافقي الذي لازمني الى حد
أشعرني انه التصق بي الى الابد في اليقظة والمنام ـ بل
وربما لاحق ذريتي ايضا ـ فان ردي على السؤال هو أن
هناك خطا أساسيا للدولة حدده الدستور بوضوح لا
يزال الالتزام به قائما فالاسلام التعبدي مرحب به ، ولا
حرج في استمرار « التقاليد الاسلامية » ، من الاحتفال
بتسمية المولود وختانه ورسم الهلال على مقابر المسلمين
حتى القيد على الدعوة الدينية يمكن غض النظر عنه ،
طالما انه في حدود الموعظة وخطبة العيد او خطبة
النكاح

وللانفراج النسبي وجه آخر ، تمثل في السماح ببناء
عدد من المساجد الجديدة ، وصلت الى عشرة مساجد في
عام ٧٩ كما قيل لي وقد رأيت واحدا من هذه المساجد
في مدينة باكو عاصمة أذربيجان

باختصار شديد ، فلا اعتراض أساسي على ما يمكن
ان نسميه « الاسلام الطيع والمستأنس »

والأمر كذلك ، فباستثناء مسألة الدعوة الى الالحاد ،
اليس هذا الاسلام الطيع والمستأنس هو وحده المسموح
به في أكثر بلدان العالم الاسلامي ؟

الا يحتاج هذا السؤال الى قدر من التأمل
والمصارحة ؟ ؟ ■■

صفوة الملك زمرد خاتون

بقلم الدكتور شاكر مصطفى

في التاريخ الاسلامي نسوة كثيرات مشهورات كتب كثيرة كتبت عنهن ومعاجم صنفت واحاديث من الاحاديث صيغت فهل سمعت بينهن باسم صفوة الملك زمرد خاتون ؟ أغلب الظن انك لم تسمع ولقد تعجب أن عرفت بعد هذا انها ملكة وابنة ملك وأخت ملك وزوجة ملكين وأم ملكين وجدة ملك !! وأين هؤلاء جميعا ؟ واين عرشها وعروشهم ؟ في دمشق ! بلى ! في دمشق ! ومنذ حوالي سبعة قرون ومع ذلك فقد لفها النسيان ونسيها حتى قبل أن تموت هل احدثك الخبر القديم ؟

نحن في غمرة الحروب الصليبية وعلى التحديد في الفترة الأولى منها ، حوالي الثلاثينات من القرن الثاني عشر الميلادي (حوالي سنة ٥٣٠ هـ)

كان قد مضى على احتلال الفرنجة للقدس قرابة الاربعين سنة وكانوا قد انشأوا الامارات العربية على طول الساحل الشامي ، يحسبون انهم قد تملكوه الى الابد فملك منهم في القدس وامير في طرابلس وآخر في انطاكية وثالث في الرها بأقصى الشمال وجاء وقت كان السلام فيه في ايديهم وكانت الحرب ايضا ، وفرص الهدنات والاتاوات والتحكم بالتجارة والقوافل ، وفرص الغزوات المدمرة على القرى والناس كل ما بقي من الشام خارج أيديهم هو ذلك الخطر الداخلي من المدن ماهيين حلب وحمص ودمشق كل حركات المقاومة الاسلامية كانت تفشل أمام فرسانهم ذوي السيوف الحديدية الثقيلة ، ومدد الرجال والمال الذي كان يأتيهم عبر البحر من الغرب

أما أمراء الشام فكانوا شيئا من القوى « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » كل متسلط فرح بالمدينة التي تحت يديه أقصى أمانيه أن يزول ملك أخيه ليتخلص منه ولقد يتفق مع الفرنجة ضده ويهادن الفرنجة ليتفرغ له

فاذا رضي الله عليهم واتفقت كلمة اثنين منهم على الجهاد معا ، لم يلبثا بعد المعركة الأولى أن يتفرقا ويعود أحدهم الى هدنة الكفار والآخر الى الحسد والانتظار

ماض في الملكية

وظهر في أفق المقاومة ، بعد خمس وثلاثين سنة من الاحتلال الصليبي ... جديد احتذب الانظار انه عماد الدين زنكي ، صاحب الموصل وحلب وضع الرجل في همه أمرا واحدا هو توحيد القوى الاسلامية بأي ثمن ونجح في الخطوة الاولى حين وحد الموصل مع حلب تحت قيادته وبأمره ثم أضاف الى ذلك حماه ثم حمص وبقيت أمامه دمشق ولكن دمشق كانت يومذاك في شغل آخر عن هذا الهدف البعيد

كان يحكمها منذ مطلع الحروب الصليبية وحتى يوم ظهور زنكي قائد تركي من مماليك السلاجقة الأشداء اسمه ظهير الدين طغتكين واسمه يعني النار المحارب ولقد حارب طغتكين الفرنجة ولكن على طريقته في المبادرة الفردية وفي الحرب تارة والهدنة اخرى لكنه اطفأ انطفاءة الموت بعد شهرين فقط من بروز اسم زنكي في الشمال ، في حلب ، تاركا الحكم لابنه بوري (اي الذئب) الذي لم يكن ذئبا بالفعل ، ولابقي في الدست سوى سنوات اربع وجاء من بعده اولاده

اين مكان صفوة الملك زمرد من هذا الحديث التاريخي الطويل ؟ صفوة الملك كانت زوجة بوري هذا وقبل الزواج منه كان لها ماض في الملكية طويل فأبوها هو الامير جاولي صاحب القدس * وعمها اتسز كان ملك دمشق كما كان الملك تتش بن الب ارسلان زوج امها وصاحب دمشق من بعد وكان اخوها لأمها دقاق ملك هذا البلد يوم وصل الصليبيون (سنة ٤٩٣/١٠٩٩) بلاد الشام ثم تزوجت من بوري ابن طغتكين وملكت معه مملكة دمشق سنوات . فلما مات تسلم الحكم ابنها الاول اسماعيل

يوم نصب زنكي شباكه لاحد دمشق (قبل سنة ٥٣٠ هـ/١١٣٥م) يحاصرها تارة ويهادنها أخرى ويغير على اطرافها الشمالية تارات ، يومذاك كان اسماعيل فيها هو الملك شأنه كان جرأة تبلغ حد التهور وغروره كان يصل حد الحمق " ومع أنه صار من التعسف والوسواس وسوء الظن والسيرة بحيث كان الحاكم البغيض الكريه ، الا أن القواد والحاشية وكبار اهل البلد كانوا من قصر النظر ومن الخوف على ما بأيديهم من المصالح ومن انتهاب الناس بحيث فضلوه على زنكي وظلوا وقوفا وراءه

الابن القتيل

المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي كان أحد كتاب هذا الملك وقد كتب عنه يقول « تناهيه في ارتكاب القبائح والمنكرات وايغاله في اكتساب المآثم المحظورات الدالة على فساد التصور والعقل وظهور الجهل وحب الظلم وعدوله عن ما عرف عنه (من قبل) يمن مضاء العزيمة في مصالح الدين والمسارعة الى الجهاد في الاعداء وشرع في مصادرات المتصرفة والعمال والمستخدمين في الاعمال واستخدم بين يديه (رجلا) يعرف بندرا الكافر لا يرقب في مؤمن ولاء ولا ذمة ونصبه لاستخراج مال المصادرين من المتصرفين والاخيار المستورين بفنون قبيحة اخترعها في العقوبات وأنواع مستشنعة في التهديد لهم والمخاطبات » مع كل ذلك فان قواد الملك اسماعيل واعوانه كانوا مشغولين بالتناهب وبالدسائس الداخلية عن الوحدة وعن الجهاد وخطر الكفار ولم يستطع زنكي ان يجد معينا له في دمشق من اجل الوحدة ، الى ان تطورت الامور في دمشق التطور المفاجيء !

وجاء الى الملكة ـ الام صفوة الملك ساع يسعى ، همس في اذنها ان ابنها اسماعيل يستريب في سيرتها ويتهمها بعض القواد "

---

* جاولي صاحب القدس هذا كان سقمان بن ارتق التركماني الذي اسس لنفسه مملكة في الشام الجنوبي كله تقريبا وعاصمتها دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م حتى قطعها منه الملك السلجوقي تتش بن الب ارسلان سنة ٤٧١/١٠٧٨ وقتله غدرا وتزوج من امرأة جاولي والدة زمرد حتى ولدت له ابنه دقاق الذي كان ملك دمشق ايام الحملة الصليبية الاولى على الشام

وحين حوت العحور التي كانت تقارب الستين كانت السعاية مقصودة وإنما حاكها علية القوم من الامراء والمقدمين ووجوه العسكر ومقدمي الصياع ، حين علموا ان اسماعيل نفسه قد كاتب زنكي ليسلمه البلد واذا تسلمها ضاعوا وضاعت مصالحهم واموالهم !

وبعد ايام شهدت قلعة دمشق مشهدا فريدا لم تعرفه من قبل ولا من بعد الملكة ـ الام صفوة الملك واقفة في صدر قاعة العرش ومماليكها يمزقون ابنها الملك بالسيوف وهو يستغيث

ـ زنهار ، زنهار ، (أمان ، امان)

وهي وجه كالصخرة قد خمدت عليه كل العواطف ،

وحين همدت الاشلاء استدعت الناس ليروا الجثة ثم نصبت للملك ابنها الآخر شهاب الدين محمود ، ولكنها منذ تلك اللحظة صارت معه صاحبة الامر والنهي ووقفت تدافع زنكي وتدافعه عن البلد ،

اغلقوا باب دمشق

وخطرت للأتابك زنكي خاطرة سياسية شيطانية لماذا لا يتزوجها ويكسب دمشق ؟ كان الزواج السياسي بعض اساليبه ، وارسل يخطبها بالفعل وترددت المراسلات سرا اول الامر ثم صح البلد بالخبر وبات العحور لا تمانع ، حتى كبار قواد المملكة وجدوا في ذلك الخلاص من يدها القوية فباركوا قبولها وبدت من دمشق وفد قصد مخيم الاتابك زنكي عند حمص ليتولى العقد ولكنهم ما أن جهزوا الملكة واخرجوها لعريسها المنتظر هناك حتى اغلقوا ابواب دمشق دونه ودونها ،

ورأى زنكي انه لم يظفر من هذه الصفقة ـ المناورة بغير العحور فارسلها الى حلب تنتظر وهناك بدأت الغرق في هوة النسيان

بعد سنة من ذلك قتل ابنها محمود في فراشه بقلعة دمشق ، في مؤامرة من اخيه غير الشقيق محمد فتقطعت حر اسبابها مع دمشق ومع انها حرضت زوجها زنكي على أخذ البلد ومع أنه اراد انتهاز هذه الفرصة ، الا ان نتيجة المحاولة لم تكن اكثر من احتلال بعلبك من أعمال دمشق

خير من الانساب

ولم يعد احد بعد ذلك يهتم بصفوة الملك التي قضت بعد ذلك ثماني سنوات من الوحدة والاهمال في حلب ، لا يهتم بها احد حتى ولا الزوج زنكي ، فلما قتل في حصاره لبعض قلاع الفرات لم يبق لها مقام حتى في حلب فانطلقت الى دمشق ولكن الدنيا كانت قد تغيرت والناس فقررت الحج عن طريق بغداد لعل ولعل ولكنها لم تلق في العاصمة العباسية الترحاب الذي كانت ترجو ، فلما انقضى الحج بقيت في المدينة المنورة لعلها تجد في جوار القبر النبوي بعض العزاء والسلوان

ومضت الايام مضت السنون وعفا النسيان على كل خبر لهذه المرأة واولئك الرجال المعدودين الذين شيعوا الى مقبرة البقيع ذات يوم من سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م جثمان العجوز الفقيرة التي عرفوها تغربل القمح للناس كي تعيش ، وتخدم الناس كي تأكل مع أنها في جوار التسعين سوها سرعة قلائل من اولئك المشيعين المعدودين كانوا يعرفون انها هي نفسها الملكة زمرد خاتون صفوة الملك ، ملكة دمشق ،

يبقى أن تعلم بعد هذا كله أمرا آخر هو الذي ابقى على ذكر هذه المرأة في التاريخ وخلق كل الاعذار لجريمتها السوية بل اتى لها بالثناء والدعاء عدة قرون بعد ان غمرها النسيان المطلق لم يكن ذاك علمها ولو أنها سمعت الحديث واستنسخت الكتب وقرأت القرآن وبنت مسجدا كبيرا غربي دمشق عرف بمسجد الاصحاب ، ولكنه كان عملا آخر اجل وابقى لقد بنت في دمشق مدرسة للفقه كانت اكبر مدارس الحنفية واكثرها اوقافا واجودها رزقا اجيال بعد اجيال من العلماء والطلاب ظلوا ينعمون بآلاء هذه المرأة عدة قرون ويدعون لها بالخير

وكان هذا خيرا لها من كل انسابها الملكية ، ■■

د شاكر مصطفى

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

كنا ولا نزال ، نقول ليس حتما ان يكون اى تطور في شيء من مجالات الفكر او الحياة ، صعودا نحو الافضل . ذلك لان عملية التطور وسيلة الى غاية ، وليست بحد ذاتها درب غاية تكمن في اسفل منحدر ، واخرى تستقر في اعلى القمم وخليق بالطريق الى الغاية ان يتكون بلونها وان يأخذ لنفسه من قيمتها

ولو لم يصح ان التطور انما يتكون بلون نتائجه وغاياته ، لما صح لنا القول بان الحضارات تشيخ وتهرم ، ثم تذبل وتموت .

هذا ، عندما نعرض ان تكون بواعث التطوير تطلعا مخلصا نحو الافضل والاكمل ، اذ رب خطأ يدخل في التخطيط او الاجتهاد ، فيرتد المجتهد او الباحث ، بسبب ذلك الى الانحدار والنقصان فكيف عندما نتطر، فجد ان بواعث التطور كثيرا ما تتمثل في نزوة مر نزوات النفس او مصلحة شخصية لفرد او لفئة قليلة مر الناس ، او ضرر مما قد يدعو اليه حقد دفين ، او استجاب لرغبة الاندماج والتقليد ، او عبث يستنفد الطاق

والجهد ؟ !

ولقد تحدث الناس ذات يوم عن التطـور العلمـي الذي حظيت به الدراسات التاريخية وتكلموا طويلا عن الفـرق بـين ماض ، كان المؤرخ فيه مجـرد راو أو « وصاف » يصف للناس الحادثة والخبر ثم ينفصل بعيدا ليعود اليهم بمثله ، في وضع حيادى ، لا يسمـح له ان يكون اكثر من مرآة حاكية وحاضر ، عدا المؤرخ فيه محللا لبواعث الاحداث ، مستنطقا لنفوس اصحابهـا ، مترجمـا لاهدافهـا الصامتـة ، شارحـا لالغـاز الوقائـع الغامضـة ، كاشفـا عن اخلافهـا التـي يمضي عليهـا الزمن !

وحسب اكثر الناس ان الدراسـات التـاريخية ، قد دخلت ، بفضل هذا التطور ، في وضع اكمـل وتهيأت لتقديم ثمار افضل وما عرفـوا الا اخـيرا ، ان هذا التطور انما كان بمثابة سكين تمكن من يشاء ، من تمزيق كل ما يحتفـظ به الماضي ، من وثائـق الاحـداث ، وصحائف الوقائع والاخبار ، ليعود فيحول التاريخ بعد ذلك الى مجرد مسرح ، يملؤه من يشـاء ، بمـا يشـاء من الصور والفصول

احل فمنذ ان جاءنا فرويد واشياعـه ، بالمذهـب الذاتي في كتابة التاريخ ، وجد الناس انفسهم من هذا المذهب ، امام ما يشبه قدرا كبيرة على نار حامية ، تتبخر فيها احداث الزمن العابر لتتصاعد اطيافا قابلة للتلون بای لون يشـاؤه خيال الكاتـب ، او قل المخـرج او الممثل

في ظل هذا المذهب العجيب ، اصبح المؤرخ في حل من التقيد بقواعد الرواية والسند ليصبـح متهيئـا لان يدحل ، بخياله وافكاره ووجدانه ، في معترك الاحداث الخالية التي انقطعت عنها معظم الدوافـع والبواعـث النفسية والبيئية التي حامت على اعقابها فلو كان هذا الكاتب او المؤرخ ، ملكا من ملائـكة الله تعـالي ، في صفاء قصده ، وسمو نفسه ، لما استطاع الا ان يصطبغ بلون البيئة التي هو فيها ، وان يخضع لمقتضيات الثقافة التي غذى بها ، وان ينحرف في تيار التربية التي نشىء عليها ، ثم لما وجد مناصا من ان ينظر الى تلك الاحداث الغابرة ، بمنظار هذه الموازين الجديدة !

فكيف ونحن نرى ان اكثر من يدرسون التـاريخ بهذه الطريقة اليوم ، يحرصـون الحرص كله على أن يجعلوا من التاريخ مرآة صافية تجلـو عليهـا مذاهبهـم الفكرية ، او آراؤهم السياسية ، او اغراضهم النفسية ! يحاول كل منهم ، ان يجعل من عبر الماضي ، الشاهد الامين الوقور على صدق ما يجلو له من مذهب ورأى !

هل هو هدف اقتصادى ؟

وها أنذا اضع امام القارىء نماذج من التفسـيرات الحديثة لبعض صفحات التاريخ ، فلسوف يجد كيف انها تفسيرات منفصلة عن احداثها ، بل مناقضة لها !

وعلى الرغم من انني لا استطيع في هذا المقال الموجز ان اضع بين يدى القارىء اكثر من نماذج ابدأ بها من صدر التاريخ الاسلامي فما بعد ـ الا انني اعتقد انه لا يعفي المؤرخ الانساني المنصف شيء عن وجوب النهوض باعادة النظر في سائر الكتابـات الحديثـة عن تاريخنـا العربي والاسلامي ، لتصفيته من العبث الـذى دخـل عليه ، ولتطهيره من الافتراءات التي التصقـت به ثم لتنشيطه من عقال الاثقال المتناقضة التي حملها ، ابتغاء ان ينطق للناس بافواه متعددة ، فيؤيدهم جميعا في آرائهم ومذاهبهم المتخالفة ، بقطع النظر عن وجود او فقد ، اى مؤيدات لذلك

من ابرز هذه التفسـيرات ، تحليل عجيب يلصقـه اصحـاب اتجـاه معـين بصـور التـاريخ الاسلامـي ، يتلخص في القول بان الفتح الاسلامي الذى قاده النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ، انما كان ثمرة معركة قامت بين يسـار اقتصـادى تمثـل في الطبقة الفقيرة الكادحة وبين رأسمالي تمثل في اثرياء مكة واصحاب رؤوس الاموال فيها وعلى هذا فان بواعث ذلك الفتح لم تكن سوى مطامع اقتصادية ، او كانت

هذه المطامح ، على الاقل ، هي الباعث الـسري فيها [1]

ترى اين تقف احداث السيرة النبوية والفتح الاسلامي من هذا التفسير ؟

سؤال طبيعي لا بد ان يطمح لمعرفة الجواب عليه ، كل متطلع الى معرفة الحقائق ، لا يقود عقله سلفا نحو قرارات سابقة او احكام درائعية معينة

وبنظر فنجد ان احداث الفتح الاسلامي والسيرة النبوية ، تناقض هذا التفسير مناقضة حادة وتقف منه موقف الند من الند ، فضلا عن انك لا تجد ـ مهما تلمست ـ اى صلة ايجابية بينهما

لقد عرضت قريش ، مما هو ثابت ومعروف من احداث السيرة ، على محمد صلى الله عليه وسلم الزعامة والملك ، والثروة الطائلة ، على ان يتخلى عن الدعوة الى الدين الذى جاءهم به ، وقدموا له (وهم العرب الاوفياء) بين يدى عروضهم المواثيق ، حملها اليه شيخ وقور فيهم هو عتبة بن ربيعة ، فاعرض عن ذلك كله

فلما استيأسوا منه ، وايقنوا انه لا يبغي عن الدعوة التي جاءهم بها بديلا ، ضربوا عليه ، وعلى جميع المسلمين من اصحابه ، حصارا اقتصاديا مهلكا دام ثلاث سنوات تقريبا ، لم يسمع التاريخ بمثله ، قوطع المسلمون خلالها عن سائر انواع التواصل والتعامل ، فلم يكن يبعد اليهم من السوق درهم ، ولم يكونوا قادرين على ان يستحلوا بدرهم مما معهم كسرة خبز او قوت يوم ، حتى اصبحوا ياكلون من ورق الشجر وشيع الطعام ، وتعرضوا مع اهليهم واولادهم لاقسى مظاهر البؤس والضنك ، وهم مع ذلك كله صابرون محتسبون ، يقينا منهم بان هذه الدنيا عرض زائل وانهم مقبلون على الله ، وان ما عنده خير وابقى ، افتلك هي حال من يثور بدافع اقتصادى ويغامر في سبيل ابتزاز الاموال والثروات ؟

وعندما هاجر النبي صلى الله علية وسلم الى المدينة ، وهاجر اليها من قبله ومن بعده اصحابه تركوا المال والارض والممتلكات المختلفة ، واستقبلوا بوجوههم شطر يثرب ، وقد تجرد اكثرهم عن كل ما يتعلق به الطامعون في المال ، لا يبغون عن ايمانهم بالله بديلا ، ولا يقيمون وزنا لدنيا فاتتهم او لملك ادبر عنهم ، افهذا هو الدليل على انها ثورة يسارية قامت من اجل لقمة طعام ؟!

عن العرب والعجم

ولنترك الان صدر التاريخ الاسلامي ، لنقف قليلا عند الخلافة الراشدة ، ثم عند العصر الاموى ولنصل الى خلاصة التحليل الذى انتهت اليه طائفة من المورخين ، وفي مقدمتهم بعض المستشرقين من امثال كريمر وفان فلوتين

لقد تحول الفتح الاسلامي في هذا العهد ـ في نظر هولاء الكاتبين ـ الى تسلط عربي ضد الشعوب الاعجمية ، فان الفتح الاسلامي ماكاد يستقر ويمد حدوره الى المناطق الشاسعة التي بلغها ، حتى استحال الى عمل سياسي ، انشق بسببه المجتمع الاسلامي الى طبقتين السادة والولاة وقسم كبير من الرعية العربية ثم طبقة الموالى ، وهم ذلك الخليط من الشعوب الاعجمية المغلوبة فاما العرب فانما خلقوا ليسودوا ، واما غيرهم فانما خلقوا لكنس الطرق وحرز الخفاف ورفو الثياب ، كما زعموا بان المولى كان محتقرا في المجتمع فلا يخاطبه العربي بالكنية ، ولا يتبوأ اى منصب في الدولة ، وان الناس كانوا يتساءلون فيما بينهم عن امر غريب ، هو هل يستطيع الصالحون من غير العرب الزواج من العربيات في الجنة ؟ [2]

---

(١) من احدث الكتابات التى تبنى هذا التحليل كتاب النزعة المادية في الفلسفة العربية والاسلامية لحسين مروه

(٢) من ابرز من رسم هذه الصورة للعهد الاموى بل لعصر الخلافة الراشدة ايضا فان فلوتن في كتابه السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بنى امية ولقد جد جدوه وبالاسف اولئك الذين يطيب لهم ان ينقلوا الامور من هولاء المستشرقين على عواهنها دون اى بحث او تمحيص

تلك هي ادن الصـورة التـي آل اليهـا الفتـح
لامي لقد عدا مجرد تعبير ثورى عن العنصرية
ـية ، بل العصبية العربية ، استهدف العمـل على
السيادة من الاعاجم الى العرب ولئن لم تظهر هذه
اف في سعي قادته بادىء الامر ، فانه ـ في تصور
، الكاتبين ـ كان قصـدا مستكنـا ، وهدفـا ينتظر
ن السانحة

تلك هي الصـورة فاين اصلهـا ؟ اين هي
ذات المؤيدة لها ، بل نقـول اين تقف الاحـداث
يخية منها ؟

اننا مضطرون ان نؤكد مرة اخرى ، بان هذه الصورة
ـيل لها فان اعوزك الدليل على ذلك ، فحسـبك
، الاحداث التاريخية ذاتها

على اننا نذكر بما هو معـروف ، من ان اسنـاد اى
ـة او باعث الى امة من الامم ، لا يصدق بالاعتماد
ـيات من الاحداث او الوثائق المتعلقة بتلك الامة
، او بالغالبية العظمـى منهـا فلا حرج ان تصيد
ـات الشاذة او النادرة ، لانتصر الا ضمـن دائرتهـا
ـة او النادرة وحدها واليك الان بيانـا موجـزا لمدى
اقض القائـم بيـن هذا التفسـير الـذى اوضحنـا
ـسته ، والاحداث التاريخية التي يفرض ان تكون
له

اولا ـ لم يثبت ان كلمة « المولى في هذا العهد كانت
ـة بالاعاجم من دون العرب ، بل كانت تطلق على
من العـرب كما تطلـق على الاعاجـم ، سـواء على
ـن لا شان لها بالعجمة او العروبة فلقد كان عبد
ـن اسحـاق ، مثـلا مولى للحضرميين ، وكان
ـرميون انفسهم موالى لبنـي عبـد شمس بن عبـد
ـب والى ذلك يشير الفرزدق بقوله

فلو كان عبـد الله مولى هجوته
ولـكن عبـد الله مولى مواليا

ثانيا ـ لم نجـد في شيء من الوقائـع التـاريخية ،
ـة الى عصر الخلافة الراشدة او العصر الاموى ، ما
على ان العرب عموما ، او ان غالبيتهم العظمى ، او

اى فئة كبيرة منهم ، كانت تحتقر العنصر الاعجمي ، او
تسعى لابعاد الاعاجم عن الوظائف النبيلة التي يجب ان
لايتبوأها الا العرب بل الذى رايناه في هذا الصدد يقرر
العكس تماما

ـ لقى عمر بن الخطاب نافعا ، وقـد قدم للحـج ،
وكان قد استعمله على مكة فقال من استعملت على اهل
الـوادى ؟ فقـال عبـد الرحمن بن ابـزى ، مولى من
موالينا فساله عن حاله فقال انه قارىء لكتـاب
الله ، عالم بالفقه والفرائض فسر عمر ، وقال اما ان
نبيكم قال ان الله يرفع بهذا الكتـاب قومـا ويضـع
اخرين

ـ كان عطاء بن ابي رباح مولى لبنى فهـر ، تولى
افتاء مكة ، وكان ينادى منادى الخليفة الاموى في موسم
الحج لا يفتي الناس الا عطاء بن ابي رباح !

وكان على دمامته وسواد شكله يتصدر ارفع مركز
شعبي بين العرب

ـ كان طاووس بن كيسان ـ وهو فارسي ـ لا يبالى
ان يوبخ الخلفاء في مجال التـذكير والارشـاد وكانـوا
يتنـسون الى رضاه ، وكانـت قلوبهم تفيض هيبـة له
واجلالا وسارت جنازته يوم مات فوق رؤوس عربية
مطاطئة تفوق العد والحصر

ـ وكان واصـل بن عطـاء المعتـزلى ، مولى لبنـى
ضبة ، وكان صدرا في الادب واللغة والعلوم . لم ينازعه
الصدارة فيها منـازع ، ولـم ينـكر فضلـه وسمـوه اى
انسان

اصل الحكاية

هؤلاء نماذج ، من عشرات ، بل من مئات الموالى ،
كلهم كانوا يتمتعون بين العرب بالجاه والمكانة في العصر
الاموى ، ولم يثبت ان العرب تأففوا قائلين ان الموالى
انما خلقوا لعزر الخفاف وكسح الطرق !

ومن الحقائق التي لا تقبل الريب ، انهم جميعا كانوا
يقفون من هذا التآزر والتقدير المتبادل ، تحت مظلة من
الوصية النبوية القائلة « كلكم لآدم ، وادم من تراب ،

لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا لابيض على اسود ، الا بالتقوى والعمل الصالح »[٣]

ثالثا ـ نرى من هم الناس الذين حشوا في ذلك الحكم « الفقهي » الخطير ؟ الا وهو هل يجوز للصالحين من الاعاجم ان ينكحوا نساء العرب في الجنة ؟

ان الذي يقرا مثل هذا الكلام في كتاب مثل كتاب السيادة العربية لفان فلوتن او في اي مصدر منقول عنه على سبيل الثقة والتسليم ! وما اكثر هذه المصادر مع الاسف ، ـ لا بد ان يتصور ان هؤلاء الناس هم جمهره العرب بل لا بد ان يتصور انهم من الفقهاء الذين لا يتكلمون الا باسم الدين وشرائعه !

ولكنا اذا مضينا نغوص ، في بطون الاحداث التاريخية في العهد الاموي ، بحثا عن جذور هذه المسالة لن نعود الا بالخبر التالي

روى الاصمعي انه سمع اعرابيا في البادية يسال صاحبه اترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة ؟ فاجابه قائلا ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة

هكذا نقل المبرد في كتابه الكامل هذه القصة ، مضعفا ثبوتها عن رجل من اعراب البادية وقد رايت كيف ان الجواب جاء من صاحبه في القصة ذاتها دليلا على نقض هذا التحليل المزعوم

فانظر كيف ساغ ان ينشر الاعرابي الواحد من جفاة البادية بالناس كلهم ثم انظر كيف نشر الخبر عن مصدره وقطع عن سببه ، لياخذ مظهر البحث الفقهي الذي من شانه ان يحظى باهتمام الفقهاء وهم صفوة الناس في ذلك الوقت !

كل ذلك ، من اجل ان ينشر القول بان الفتح الاسلامي سرعان ما تحول الى سياسة عنصرية ، استهدفت بسط السيادة العربية على سائر الشعوب الاخرى لعل ذلك يساهم في تفتيت الوحدة الاسلامية ، ويبعث من جديد تلك الفوارق العنصرية التي حطمها الوازع الاسلامي في صدور المسلمين

ثم انظر كيف يسخر التاريخ للاغراض النفسية والبواعث العصبية في نفوس هؤلاء الباحثين

الرشيد المفترى عليه

اما الان ، فلنتجاوز العصر الاموي ، الى الخلافة العباسية ، ولنصغ الى شيء من الكلام الكثير الذي يقال حياة الرشيد واخلاقه الشخصية ان احدنا ليتصور وهو يسمع هذا الكلام ، ان هارون الرشيد لم يكن اكثر من انسان كان يتطوح بين دنان الخمر ، وان معظم لياليه كانت وقفا على اللهو والمجون

تلك هي الصورة التي رسمت له في كثير من كتبنا المدرسية ، وهي التي رسمت من قبل في كتب اكثر المستشرقين ثم في كتب كثير ممن يسيرون وراءهم تحملا وتقليدا

ولعلي لا انسى تلك الكلمة التي ظلت مثبتة ، الى عهد قريب في بعض الكتب المدرسية لاحدى سنوات المرحلة الاعدادية ، عن ترجمة هارون الرشيد ، وما انتهى اليه حاله من البذخ والترف وخلاصتها انه قد بلغ من بذخ هارون الرشيد انه كان ينفق على اعداد طبق خاص صغير على مائدته ما يزيد على الف درهم !

تلك هي الصورة التي كانت ولا تزال تحشى بها اخيلة اطفالنا الصغار ، عن تاريخنا العربي والاسلامي وعن كثير من قادة هذا التاريخ واساطينه ! ولا ريب ان هذا هو اقرب السبل الى اثارة اهم اسباب التقزز في نفوس هؤلاء الصغار تجاه تاريخهم الذي هو مصدر فخارهم وارومة عزهم

ومع ذلك ، فليس المهم ان يتقزز هؤلاء الفتية او ، يفخروا انما المهم ان تكون الصورة صحيحة ، و نجد في احداث التاريخ ما يؤيدها و يبعث الحياة فيها

ولنطلق فنغوص مرة اخرى في اغوار التاريخ العباسي ، وفيما اثبتته امهات كتب التاريخ عن ترجمة

---

٣ ـ [illegible]

هارون الرشيد ، بحثا عن اى جذور لهده الصورة فلا نجد الا ما يلي

روى الطبري في ترجمة هارون الرشيد انه كان يحج عاما ويغزو عاما ، وانه كان يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة ، مالم يعتل بعلة او يكن مشغولا بغزو وانه لم يكن يقطع في امر من امور المسلمين الا بعد الرجوع الى الصالحين من اهل العلم

وهده الترجمة ، لا تعني ان الرجل كان معصوما عن الاخطاء والآثام بل لا ريب انه كان على الرغم من هده الصفات التي نعته بها الطبري وغيره ، واحدا من البشر ، يجوز عليه الزلل والعصيان ، قد يجتهد فيخطيء وقد يغضب فيزل وقد تجمح به نفسه فيقع في عصيان ولكن تلك هي ترجمته في الجملة على كل حال ، والمهم اننا لم نجد في شيء من امهات الكتب التاريخية ان الرجل كان كما يقول هولاء يعيش حياته متطوحا بين دنان الخمر ، يقضي لياليه غارقا في اللهو المجون بل الحق اننا لم نجد له هده الصورة الا عند بليبل حتى وجرجي زيدان وامثالها

اما قصة الطبق الدى كلف الف درهم ، فمرد دلك الى ما رواه المسعودي في كتابه « مروج الذهب » وهو خبر يريدنا اعجابنا بسيرة هارون الرشيد ومدى خوفه من الله عز وجل

وها انا لك انقل خلاصة ما رواه المسعودى في دلك

حدث ابراهيم بن المهدى ، قال زارني الرشيد بالرقة ، فوجد مرة بين ما قرب اليه من الطعام جاما فيه ما يشبه سمكا مقطعا فاستصغر القطع ، وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك ؟ فقلت يا امير المؤمنين هده لسنة اسماك ، قال فيشبه ان يكون في هدا الجام مائة لسان فقال خادمه يا امير المؤمنين فيها اكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فاخبره انه قام باكثر من الف درهم ، فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئا حتى يحضره الف درهم فلما حضر المال امر ان يتصدق به وقال ارجو ان يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك الف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال اخرج من دار اخي ، ثم انظر اول سائل تراه فادفعه اليه . قال ابراهيم وكان الجام يساوى مائتين وسبعين دينارا ، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه ، ففطن الرشيد فقال له يا غلام اذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك امير المؤمنين احذر ان تبيعه باقل من مائتي دينار ، فانه خير منها [4]

تلك هي الصورة السنة المشينة ، وهدا هو اصلها الرائع العظيم !

فيا للعجب من كاتبين ومورخين ، ينكسون الوقائع تنكيسا ، ويكرهونها بعملية (مونتاج) مجحلة ، ليجعلوا منها شاهد زور ضد ابطالها ، مما يقدمون هده الافتراءات مادة تربية وعلم الى الاطفال البراء !

أاريدك يا اخي القاريء امثلة ونماذج ؟ ان في الجعبة امثلة كثيرة اخرى ولكن مساحة هدا البحث لا تتسع لكل دلك ، وان في بعض القول لغناء عن الاسترسال ؟[5]

والمهم ان اعود فاقول ان المذهب الداتي في كتابة التاريخ ، لم يكن في حقيقته سوى اجازة مرور شرعية الى العبث بالتاريخ وابطاله ، ليتحول التاريخ بعد دلك الى مجرد خادم صغير صغير ، يهيء لكل فرقة مسرحها الدي تهواه والمناظر المسجمة معه وما دامت الفرق المسرحية شتى ، ومصالح الناس متفرقة ، فمرحبا بالاختلافات والاخيلة المتناقضة يزرح تحتها جميعا منكب التاريخ ! ■■

دمشق _ د محمد سعيد رمضان البوطي

(4) مروج الذهب للمسعودى ٣٦٣/٣

(5) اعلى انني امل ان يلهم الله بعض الاخوة المتخصصين في هدا المجال للقيام بجهد يشكرهم عليه الله والعباد ، برفعون به للثاء عن حقيقة تاريخنا العربي والاسلامي الاصيل وتطهرونه من الافتراءات الملصقة به

البحث العلمى فى الكويت

استـــــثمار على المدى الطويــــــل !

استطلاع : منير نصيف   تصوير : عبد الناصر شقرة

مجمع شمسي لتوليد الكهرباء مس الطاقة الشمسية   ويقول الدكتور صفوت مصطفى رئيس قسم الطاقة انه الاول من نوعه في العالم ، وقد تم اختباره سجاح تحت ظروف الكويت تمهيدا لانشاء محطة تضم ٥٦ وحدة مس هذه المجمعات لتوليد الكهرباء في منطقة الصليبية .

حقل البيت الزجاجي في مزرعه التجارب الزراعيه حيث تجرى التجارب على استنباط شتلات من النباتات الرعويه
نباتات المحليه والسيده سميره احمد سيد عمر ماجستير في اداره المراعي من جامعه بركلي بولاية كليفورنيا تعمل
بالمعهد منذ سبع سنوات

■ بلد منتج للطاقة يبحث عن بديل هذه الطاقة ! كيف ؟ ولماذا البحث عن الطاقة . والكويت دولة مصدرة للطاقة . تسبح فوق بحيرة هائلة من النفط ؟

« لأن الكويت لا تستطيع ان تعتمد على النفط كمصدر اساسي للدخل القومي في البلاد الى ما لا نهاية لابد لنا ان نحاول من الآن ان نرسم صورة جديدة للحياة في « كويت ما بعد النفط » . فالارض الطيبة لن تجود علينا بهذا الخير الذي نقلنا من مجتمع بسيط فقير الى دولة غنية من أغنى دول العالم . الى مالا نهاية مرة اخرى لابد لنا من اليوم ان نعمل على تنويع مصادر الدخل القومي في بلدنا . اذا اردنا ان نضمن مستقبلا أفضل واكثر اشراقا للاجيال القادمة من بعدنا »

هكذا أجاب المسئولون على تساؤلنا بعد ان التقينا بالقائمين على العمل الكبير الذي يجرى منذ بضع سنوات في معهد الكويت للأبحاث العلمية هنا على شاطيء الخليج العربي في منطقة الشويخ . قام المعهد في شكله الجديد . ومضت الابحاث الجادة منذ بضع سنوات لتطوير وتنويع استخدامات الطاقة الشمسية طاقة طبيعية موجودة بوفرة في الكويت . ثم هي . باقية ما بقيت الشمس تشرق على هذا الكون الواسع

ومع أبحاث الطاقة . كانت هناك أبحاث أخرى في مجالات الحياة الاساسية ابحاث في الغذاء . صيحة هذا النصف الثاني من القرن العشرين في عالم تزداد الافواه الجائعة فوق ارضه جنوبا وشرقا . بصورة مخيفة . بلغت طبقا لآخر احصاء أجرته منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة اكثر من نصف مليون جائع

ثم ابحاث في البيئة وكيف نحافظ على نقائها وكيف نحملها ونحسنها . ونحميها من التلوث الذي أصبح يهدد اليوم البر والبحر والجو في مناطق كثيرة من العالم مع التقدم الهائل مع الآلة ودخان المصانع وابحاث أخرى في مجالات اخرى

الهوة تضيق !

ولكن قبل ان نمضي في جولتنا مع هذه الابحاث في المعهد . نتوقف قليلا عند الهوة السحيقة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية فهذه هي ظاهرة النظام الاقتصادي العالمي انقسام بين مجموعتين المجموعة الاولى تضم الدول المتقدمة التي تملك معظم الامكانات التي تمكنها من تطوير وتنمية قدراتها وتضمن لشعوبها استمرارية تحسين احوالها المعيشية . والمجموعة الثانية من الدول النامية التي تفتقد الى اهم متطلبات عملية التنمية وهو انقسام نجم اساسا نتيجة للتباين في القدرات العلمية والتكنولوجية لدول العالم المختلفة

وقد أدى هذا الوضع الى مطالبة الدول النامية في منظمة الامم المتحدة بضرورة تغيير النظام الاقتصادي العالمي الحالي الى نظام جديد يكفل ازالة هذه الهوة الاقتصادية القائمة . بين الدول المتقدمة والدول النامية ويضمن تعاون شعوب العالم كلها في المساهمة بصورة فعالة في النشاط الاقتصادي العالمي على اسس عادلة

علماء عرب خارج بلادهم

ولكننا . للحقيقة نجد لزاما علينا ان نسجل هنا ان الدول النامية ومن بينها الكويت وبعض الدول العربية الشقيقة الأخرى وهي التي تعنينا اكثر في هذا المجال . كانت قد بدأت تدرك مدى الخطر الناجم عن الاعتماد على الابحاث التي تجري في الدول التي سبقتها في الميادين العلمية والصناعية والاقتصادية.

لماذا لا يكون لديها هي معاهد خاصة بها للبحث العلمي ؟ ان الامكانات لا تنقصها فلديها العقول . وهي في هجرة مستمرة الى حيث تجد لها منطلقا ومجالا في هذه الدول ذاتها التي تستورد منها العلم والتكنولوجيا وفي احصاء قريب اتضح ان اكثر من عشرة في المائة من العلماء في معاهد او مراكز البحوث في الدول المتقدمة . من أصل عربي ! ثم هي لا تنقصها بعد ذلك الامكانات المادية فالدول الغنية المنتجة للبترول بصفة خاصة قادرة على ان تنفق بسخاء على اي بحث علمي جاد يسهم في حل مشكلات العصر . من خلال الاحتياجات والمتطلبات الاقليمية ثم الاقطار العربية كلها

في عام ٦٧ كانت البداية

وبدأت الخطوة الاولى في اكبر « عملية استثمار طويل المدى في الكويت » في عام ١٩٦٧ ، عندما قام معهد الكويت للابحاث العلمية وراح الباحثون وكانوا لا يزيدون على اصابع اليد الواحدة يعملون في صمت الى ان كان عام ١٩٧٣ ، عندما صدر المرسوم الاميري الذي حدد اغراض المعهد في خمس نقاط اساسية

ـ القيام بالبحوث العلمية والدراسات التي تتصل بتقدم الصناعة الوطنية ، والامور التي يحيلها اليه الوزير المختص

ـ متابعة التطورات الحديثة للتقدم العلمي والتكنولوجي وامداد الادارات الحكومية واجهزة الصناعة والعاملين فيها بالوثائق والمعلومات العلمية والصناعية

ـ دراسة موارد الثروة الطبيعية والكشف عنها ، بما في ذلك مصادر المياه والطاقة ، وتوفير افضل السبل لاستغلالها ، وتحسين وسائل الزراعة وتنمية الثروة المائية ومقاومة الآفات والحشرات وكذلك اجراء الدراسات التي من شأنها ان تيسر الحفاظ على البيئة

ـ تشجيع ابناء الكويت على ممارسة البحث العلمي وتنمية روح البحث لدى الجيل الصاعد

ـ واخيرا ، انشاء وتوطيد العلاقات مع معاهد ومراكز البحوث العلمية والتكنولوجية في الكويت ومختلف دول العلم ، وتبادل المعلومات والخبرة معها ، لتحقيق تعاون ارسع على الصعيد العالمي

وفي خلال تلك السنوات القليلة من عمر هذا المولود الجديد استطاع المعهد ان يحقق الكثير من الانجازات ، وهو في سبيله الى تحقيق اكبر انجاز في مجال الطاقة عندما تنتهي بعض المراحل الاولى في مشروع استخدام الطاقة الشمسية في ادارة التوربينات المولدة للكهرباء

اقسام المعهد

وذهبنا الى حيث يعمل العلماء الباحثون العرب في مقر المعهد ، ورحنا نجول بين اقسامه المختلفة قسم

الاستاذ عبد العزيز حسين رئيس مجلس امناء معهد الابحاث « المعهد يحمل رسالة والابحاث التي تجرى فيه نابعة من احتياجات الكويت ودول الخليج والعالم العربي كله »

مختبر الرسوبيات حيث تجرى دراسه التركيب المعدني والتوزيع الحجمي لرواسب العواصف الترابيه وباحثات في المختبر اثناء قيامهن بفصل الرواسب حسب احجامها وعلى مائدة المختبر عينات من الرمال الصحراويه السطحيه

بيوت تربيه الدواجن . والبحوث والدراسات الآن تركز في المعهد على تصميم انسب نموذج لبيوت تربيه الدواجن وفي الصوره ثلاث بيوت على ارتفاعات مختلفه عن سطح الارض .

مختبر دراسه « الكمأه » او « الفقع » والهدف من هذه الدراسه هو ايجاد طريقه للتحكم في زراعه هذا النوع من الفطريات الغنية بالبروتين في البيوت الزجاجيه اولا ثم في الحقول بعد ذلك

يهد معهد . . . بالمراجع العلميه الحديثه التي يحتاج
ليها العلماء الباحثون في دراساتهم وابحاثهم ، وقد انشا
معهد المركز الوطني للمعلومات العلمية ويحتوى على
٢٠ الف مرجع باللغه الانجليزيه ، كما يحتوى ايضا
مجموعه من المراجع العلميه العربية

بره استزراع الاحياء البحرية والثروه السمكيه في
منطقه الراس بالسالميه وباحث كويتي شاب مع
مجموعه من الربيان المستزرعه في الاحواض المعده
لدراسه معدل نموه وغدائه ومضاعفه انتاجه

الدكتورة سبيكة العبد الرزاق الاستاذة بجامعة الكويت والباحثة بالمعهد في علوم حماية البيئة

الغذاء والموارد الزراعية والثروة السمكية ، وقسم البيئة وعلوم الارض ، قسم الهندسة ويشمل الطاقة الشمسية . وقسم البترول والبتروكيماويات وعلوم المواد واخيرا قسم الاقتصاد التقني

وقدم لنا الباحثون صورة لحجم العمل الذي يقومون به في هذه الاقسام الرئيسية وفي الاقسام الاخرى المساندة لها ووجدنا انفسنا في بحر واسع لاسبيل الى الوصول الى قاعه في محاولة واحدة ، لذا فقد رأينا ان نعود الى المعهد مستقبلا لنقل في كل مرة صورة متكاملة لما يحدث في كل قسم من أقسامه . ونكتفي الآن بلمحة سريعة عن البحوث التي يقوم بها العلماء في معهد الكويت للابحاث العلمية ، كما رأيناها

مع رئيس مجلس الامناء

وما دمنا نتحدث عن المعهد وانجازاته ، فلا بد لنا من ان ننقل في بداية حديثنا كلمة لرئيس مجلس أمناء المعهد الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الرجل الذي يرجع اليه الفضل الاول في إرساء قاعدة هذه المؤسسة العلمية وتشجيعها وتطويرها قال لنا وهو يستقبلنا في مكتبه « اني افضل دائما ان يتحدث العمل عن نفسه ، وقد زرتم المعهد فماذا وجدتم ؟ قلنا « لا شك انه مفخرة للكويت والعرب »

قال الوزير « ان المعهد يحمل رسالة ، والابحاث التي تجرى فيه نابعة من احتياجات الكويت ودول الخليج والعالم العربي ككل ونحن نهتم في هذه المرحلة بالذات بتكوين الاطارات البشرية في مجال البحث العلمي ، وهناك بحوث ودراسات تجرى لتحديد نوعية الصناعات الملائمة والتي يمكن أن تسهم في تطوير الاقتصاد الكويتي بصورة تتوافق مع النهضة الحديثة في البلاد والتقدم الحضاري الشامل فيها

« صحيح ان الكويت بلد تجاري ، ولكننا نعتقد ان الوقت قد حان لكي تواكب الصناعة التجارة ، فليس هناك صناعة بلا تجارة

ثم يحدثنا الوزير عن اسلوب العمل في المعهد ، والبحوث التي يوليها اهتماماته ، فيحدثنا عن مشروع تخزين الطاقة الشمسية وعن المرقة العربية وغير ذلك من الموضوعات الخاصة في مجالات التنمية في البلاد واخيرا عن المدينة التي سوف يبدأ العمل قريبا في انشائها على شاطىء الخليج العربي مدينة البحث العلمي مدينة المستقبل

الغذاء والموارد الزراعية

ولم تكن الصدفة وحدها هي التي ساقتنا الى اللقاء بالمسؤولين عن قسم الغذاء في اليوم الاول لزيارتنا للمعهد ، فالغذاء حياة ، ويقول الدكتور إبراهيم حمدان رئيس قسم الزراعة ان هناك ستة مشاريع تجرى عليها الابحاث حاليا . اولها تطوير البتروبروتين ، او البروتينات المستخرجة من البترول لاستخدامها كعلف للحيوانات ، ثم العوامل المؤثرة على إنتاج الدواجن في ظل البيئة في الكويت ، وقد رأى المعهد ان يسهم في صناعة انتاج الدواجن وتنميتها على أسس علمية حتى يمكن تحقيق الاكتفاء الذاتي في هذا المجال في اطار نظرية الأمن الغذائي ، ثم مشروع المراعي ، الذي يهدف الى توفير المراعي اللازمة لمضاعفة الانتاج الحيواني باقل تكلفة ، بالاضافة الى حماية التربة من الانجراف ، ويقوم المعهد بابحاثه في هذا المشروع بالتعاون مع ادارة الزراعة بوزارة الاشغال العامة هناك بعد ذلك الدراسات المختبرية والحقلية التي تجر

على الكمأة او « الفقع » ، وهو نبات فطري يحتوى على نسبة كبيرة من البروتينات لا توجد في اي نبات غدائي آخر ، فقيمته الغدائية إذن عالية وممتازة والهدف من البحوث التي تجرى الآن على دورة تكوين الفقع ، وعلاقة نموه مع النباتات البرية المرافقة ، تستهدف في النهاية إمكانية زراعته والتحكم فيه ، ثم يأتي بعد هذا مشروع استخدام المياه الملوثة في الري والزراعة ، فقد ثبت أن كميات كبيرة من المياه الحلوة الملوثة التي تحتوى على الأمونيا او النشادر وبعض الكبريت والعناصر الصالحة لتغذية الارض المزروعة ، تخرج من الصناعات المختلفة في الكويت وخاصة من مصانع النفط ، وهذه المياه تلقى في البحر فتؤدى الى تلوثه كيماويا وحراريا وحيويا ، فلماذا لا تستغل في الزراعة والري بعد معالجتها والتأكد من صلاحيتها ؟

الثروة السمكية

وفي منطقة الرأس بالسالمية ، على شاطيء الخليج العربي ، وعلى بعد حوالى ثلاثين كيلو مترا من مقر المعهد في الشويخ ، تقع دائرة استزراع الأحياء البحرية والثروة السمكية ، وهي تابعة ايضا لقسم الغداء والموارد الزراعية ، ومن اول فروع البحث التي قامت بالمعهد عند انشائه في عام ١٩٦٧ ، ويستهدف المشروع مضاعفة الانتاج من الاسماك والربيان وتطويرها وتحسين نوعيتها ، وتقوم الدائرة بالتعاون مع منظمة الاغدية والزراعة التابعة للامم المتحدة بدراسة علمية دقيقة لمصايد الربيان المستغلة في الكويت ، ووضع تقديرات للمصادر المتوفرة والأسلوب الامثل للاستغلال كما تجرى دراسات حيوية للحصول على اكبر فائدة من المصايد الكويتية بحيث لا يستهلك اي نوع من أنواع الاسماك الموجودة في مياهها

حماية البيئة

ثم حماية البيئة وتجميلها وتحسينها . وتقول الدكتورة سبيكة العبد الرزاق المدرسة بجامعة الكويت الباحثة في قسم البيئة وحمايتها « ان المحافظة على البيئة هدف تعمل الهيئات والمؤسسات العلمية في مختلف أنحاء العالم على تحقيقه فهي الهواء وهي الماء وهي الطبيعة ، وهناك اسباب من صنع الانسان نفسه تسهم في تدهور النوعية البيئية التي يعيش فيها ، كما ان هناك أسبابا طبيعية لادخل للانسان فيها وهنا في الكويت وفي شبه الجزيرة العربية كلها نجد ان من اهم المشاكل البيئية الطبيعية ، العواصف الترابية ، او ما يعرف « بالطوز » او « الهبوب » في السودان ، ويقول الدكتور فكرى خلف رئيس مشروع دراسة رواسب العواصف الترابية بالمعهد « ان البحوث التي تجرى الآن تستهدف في النهاية الاقلال من حدة هذه المشكلة الطبيعية ، عن طريق دراسة التركيب المعدني والتوزيع الحجمي لرواسب العواصف الترابية بالكويت في محاولة للتعرف على مصادرها وطريقة انتشارها ، وقد قام المعهد ممثلا في قسم العلوم البيئية والارضية بالتعاون مع وزارة الصحة العامة بدولة الكويت ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتنفيذ هذا المشروع

« والخلاصة المتوقعة خلال المرحلة الاولى من الدراسة تتلخص في توفير البيانات والمعلومات الخاصة بانواع وطبيعة الرواسب السطحية ورسم الخرائط المختلفة لها ، والتعرف على طبيعة حجم وتركيب حبيبات رواسب العواصف الترابية وذلك عن طريق جمع عينات من هذه الرواسب في « جامعات » collectors صممت خصيصا في المعهد ، ووزعت في احدى عشرة منطقة على سواحل الكويت ، واجراء دراسات معملية على هذه العينات بواسطة الميكروسكوب المستقطب والميكروسكوب الالكتروني ، وأشعة اكس ، والتحليل الجيوكيماني »

وهناك مشروعات أخرى بطبيعة الحال تهدف الى حماية المياه والهواء من التلوث ، وتشرف على هذه المشروعات الحيوية الدكتورة سبيكة العبد الرزاق

الطاقة من الشمس

وننتقل الى القسم الذى اخترنا ان ندخل من بابه الى معهد الابحاث العلمية الى الطاقة الشمسية ، حديث العلماء والباحثين في كل مكان تشرق عليه الشمس ،

•ركز الحراسه امام مدخل منطقه الصليبية للتجارب الزراعيه والطاقة الشمسيه حيث تجرى التجارب فى منطقة مسوره تبلغ مساحتها حوالى ٢٠ كيلومترا مربعا (حوالى ٤٥٠٠ فدانا) . وخصص منها حوالى الثلث لابحاث المراعي . وباقي المساحة للابحاث التي تجرى على تربية الدواجن والطاقة الشمسيه والثروة السمكيه . وعلوم مواد البناء كالطوب الرملي مثلا

يقول الدكتور عوت مصطفى رئيس القسم « ان الفكرة كانت رحودة فكرة استخدام الطاقة الشمسية في التدفئة والتبريد واستخدامات اخرى ، الا أنها بدأت تتطور من مجرد فكرة الى مرحلة التنفيذ الفعلي منذ عام واحد فقط وفي اربعة اتجاهات اساسية ، استخدام الطاقة الشمسية في مجال الانتاج الزراعي ، ثم في تحلية مياه البحر ، وفي التحكم البيئي في المنازل والمباني والتبريد بصفة خاصة في صيف الكويت الحار ، واخيرا استخدام الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء وفي كل اتجاه من هذه الاتجاهات يوجد مشروع او اكثر مثلا في الانتاج الزراعي يجري تصميم وانشاء مستنبتات زراعية ملائمة لمناخ الكويت الحار ، وهذه الأبحاث تعتبر فريدة من نوعها في العالم ، لان ابحاث المستنبتات الزراعية في اوروبا وامريكا الشمالية تتجه في طريق مضاد تماما ، فهم يبحثون عن الدفء حتى يمكن انتاج الخضراوات وسط الثلوج في فصل الشتاء البارد ،

« وفي الوقت نفسه ، نعمل على استغلال الطاقة الحرارية الزائدة في فصل الصيف الحار في اغراض اخرى مثل تحلية مياه البحر ، وبذلك يتم تبريد المستنبت الزراعي وتوفير الاحتياجات المائية له خلال ما يسمى « بالجمع المتكامل للطاقة والغذاء والماء »

« ولهذا التطبيق اهمية خاصة في المناطق الصحراوية النائية ، كما هو الحال في مناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية وبقية انحاء العالم العربي »

التبريد . والتدفئة

ماذا حققت الابحاث التي اجريت حتى الان ؟

« لقد تم تصميم واختبار سبعة نماذج من المستنبتات الزراعية وتوصل المعهد الى نتائج هامة في مجال تقليل الحمل الحراري لهذه المستنبتات عن طريق التحكم السلبي للطاقة الشمسية وتقليل أثر الاشعة غير المرئية المتسببة في رفع درجة الحرارة

« اما في مجال تحلية المياه ، فيقوم المعهد الآن بانشاء محطة تحلية ، تعمل بطريق التبخير المتعدد المراحل ، مستمدة الطاقة الحرارية من المجمعات الشمسية ، وهذه التجارب مازالت في مراحل التصميم الأولية

« وفي مجال التحكم البيئي ، فقد انشأ المعهد بيتا يتم تبريده وتدفئته بالطاقة الشمسية ، وكذلك منزلا تجريبيا آخر في منطقة الصليبية وهما في مراحل التنفيذ النهائية ، كما ان هناك مشروعا لتبريد روضة أطفال تابعة لوزارة التربية في منطقة الروضة ، وتشترك في هذا المشروع الأخير وزارة الكهرباء والماء

« بقي في النهاية ، مجال توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية ويقوم المعهد بانشاء محطة تعمل عن طريق التحويل الحراري ، ويتم ذلك بطريق تركيز الطاقة الشمسية للحصول على درجات حرارة مرتفعة لتشغيل التوربينات المولدة للكهرباء وقد تم بالفعل اختبار المجمعات المصممة خصيصا لهذا الغرض ، وهي الأولى من نوعها في العالم »

وللقريب نصيب !

ونأتي الى نهاية جولتنا مع اقسام المعهد ولكن اين ؟ في قسم البترول والبتروكيماويات ، « وللقريب نصيب » كما يقولون ! والبترول في أرض العرب ! قال لنا الدكتور احمد شاره « في هذا القسم اربعة مشاريع يشرف عليها مجموعة من الاساتذة الباحثين المتخصصين ، الاول مشروع تآكل المواد المعدنية corrossion ، والهدف من البحوث التي تجرى ه اكتشاف العوامل التي تساعد على عملية التاكل وكيف التحكم فيها ومعالجتها بالطرق العلمية الحديثة ، ويـ ذلك بالتعاون مع شركات البترول الوطنية ، اما المشروع الثاني فهو خاص بالبحث في تحويل السـ الذي يستخدم كوقود للمحركات والمشروع الثالث يبحث في ايجاد خلطات جديدة من الاسفلت والكبريت الناتج من مصافي البترول بالتعاون مع وزارة الاشغال لاستخدامها في تعبيد الطرق في الكويت ودول الخليج بحيث يمكن ان تصمد هذه الخلطات الجديدة لدرجات الحرارة العالية في فصل الصيف الحار ، وكذلك احد بحوث على انتاج انواع جديدة من الطابوق الرملي الـ

مدير المعهد د. عدنان شهاب الدين « في عام ١٩٨١ سنولد الكهرباء بالطاقة الشمسية ود. كاظم بهبهاني « البحث العلمي حساب توفير » . وليلى كامل رئيسة قسم البرامج الدولية « التعاون العلمي بين الدول أساس التقدم العلمي »

يدخل الكبريت في تركيبه ويكون ملائما للبناء في منطقتنا الحارة

« اما المشروع الرابع فهو تحليل البترول الخام المستخرج مباشرة من حقول النفط المختلفة في الكويت ، بالاشتراك مع وزارة النفط والشركات الوطنية للبترول ، لمعرفة نسب المواد المركبة له والفعالة والهدف من ذلك هو التحكم في البترول الخام المباع طبقا للمواصفات الدولية »

اقسام مساندة

مع هذه الاقسام وحولها ، وقبلها وبعدها ، اقسام مساندة لها دورها الفعال في دفع عجلة البحث وتقييمها فهناك قسم الاقتصاد التقني الذي يبحث في جدوى كل هذه المشروعات من الناحية الاقتصادية ، ثم قسم الخدمات الفنية الذي يقوم بدور مساند عن طريق المختبر التحليلي المركزي ومركز الحاسب الالكتروني « الكومبيوتر » ، والورشة الميكانيكية والورشة الالكترونية ان نشاطات هذه الاقسام والمراكز ليست مقصورة على المعهد وحده ، وانما هي في خدمة اية مؤسسة كويتية تطلب خدماتها ، سواء كانت تابعة للقطاع العام او القطاع الخاص

واخيرا المركز الوطني للمعلومات العلمية والتكنولوجية الذي يعد اكبر مركز من نوعه في منطقة الشرق الاوسط ، وهو يحتوى على ٢٤ الف مرجع باللغة الانجليزية ، كما يضم ايضا عدة مراجع عربية في العلم والتكنولوجيا

ترى هل استطعنا ان نقدم صورة سريعة للعمل الذي يجرى في معهد الكويت للابحاث العلمية ؟ لا اظن ، ولكنها محاولة على اية حال وقد وعدنا بان تكون لنا عودة الى أقسامه ، ننقل مايدور فيها من بحوث بدقة وتفصيل

بدأ حساب التوفير

لم ننس في ختام جولتنا ان نلتقي بالرجل القائم على هذا المعهد الدكتور عدنان شهاب الدين المدير العام ووجدنا عنده خبرا يستحق التسجيل « سوف ننتهي من مشروع ادارة التوربينات المولدة للكهرباء في عام ١٩٨١ اى في اقل من عامين من الآن ! سيكون هذا هو اول طبق شهي يقدمه المعهد للكويت والعالم »
ويقول الدكتور كاظم بهبهاني نائب المدير العام اني أود أن أضيف انجازا جديدا توصلنا اليه وهو تنفيذ برنامج تدريب الشباب الكويتي في مجالات البحث العلمي والتقني

لقد بدأت هذه المؤسسة العلمية او هي توشك ان تبدأ في وضع اولى ثمار بحوثها في « حساب التوفير » كما وصفه فون براون عالم الصواريخ الذى أسهم في كشف أسرار الكون الواسع من حولنا قال الدكتور بهبهاني « ان البحث العلمي حقيقة حساب توفير اذا تأخرت في فتحه الى يوم اعوزتك فيه الحاجة ، فسوف تجد ان القطار فاتك ولا سبيل للحاق به ! » ■■

منير نصيف

انطوني كوين يتحدث الى « العربي »

عمر المختار

كان عمر المختار (انطوني كوين في الصورة الاولى) يقول دائما ان مبروكة (ايرين باباس في الصورة الثانية) « هي
في الصورة الثالثة) محمد كان صديقا

شحياً!

بقـــلم
الفاروق عبد العزيز

امة الامهات الليبيات . لم ترفع البندقية ولكنها حاربت بجبهة داخلية وبجيل جديد قوي » . أما العرياني (السيد جيلحود
حتار وقد نعته بأقوى الصمات وأجملها

شيخ في الثمانين والسبعين متسربل بعباءة بيضاء تغير لونها بفعل السفر يعرج قليلا وفي صوته بحة استعل الرأس منه شيبا والقلب حرارة مغلل بالاصفاد من الراس الى القدم الصمت يخيم على المكان كله في دار الجنرال الفاشي جراتسياني الشيخ المهيب يتقدم في بطء ويقول بنظر ثاقب في وجه الجنرال لا يحق لامة ان تحتل ارض امة اخرى .

ليبيا ليست بلادكم وليس لكم أدنى حق فيها (ويستجمع الشيخ قوته ليسترسل كمن استضاء بنور الايمان) ليس لكم ادنى حق في مرعى صغير لبقرة واحدة ويجيب الجنرال لايطاليا الحق كالآخرين ، لانجلترا حق في مصر لفرنسا حق في تونس والجزائر ، فالى اين تريدنا ان نذهب ؟ الخريطة ملآنة كما ترى واسبانيا تمتلك المغرب ولكن ليس لاي منهم مع ذلك حق مثلنا ان لدينا قرونا من « الحق » هنا

ورد عمر المختار في هدوء شديد لا تتوقع مني انا الذي ستسلبه كل شيء الآن ـ أن أعطيك مبررا للسرقة والسطو . كيف تستعبد اناسا ولدتهم امهاتهم احرارا ليس لامة حق في ان تستعبد امة اخرى ـ في ان تستغل وتنهب أراضي امة اخرى ان تسلب حرية امة اخرى قطع ممتاز !

انتهى تصوير المشهد بالعبارة التقليدية للمخرج وعلى الفور نقص من عمر الممثل العالمي انطوني كوين عشر سنوات دفعة واحدة . عاد يتحدث بصوته الأجش اللصيق بشخصيته كما عرفناها على الشاشة قبل ربع قرن بمكياجه وتعابير وجهه ـ بدا كوين صورة تكاد تطابق البطل الليبي العربي عمر المختار الذي انتهى مؤخرا من تمثيل دوره في ثاني أفلام المخرج والمنتج السوري الأصل ، الأمريكي الجنسية « مصطفى العقاد » هذا هو الفيلم الثاني لكوين مع العقاد بعد أن قام بدور حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم في فيلم (الرسالة) قبل خمس سنوات

يتحدثون الآن عن « كوين العربي » وهو يتذكر افلامه « العربية » الأولى قبل ثلاثين عاما ويتذكر أشياء أخرى عديدة

تحدثنا معه طويلا وكوين لا يمكن أن يكون الا كوين فهو لا يجيب على أسئلة إنه في معظم الاوقات يتحدث مع نفسه يجسد كل شيء بيديه ويعبر عن نفسه بأية وسيلة ممكنة يقفز في قلق من نقطة لاخرى تكفي كلمة لكي ينتقل الى موضوع آخر مختلف تماما

وحديث انطوني كوين الى « العربي » سيكون حديثا بلا ضفاف ستتركه يتحدث كما يشاء ولنحاول نحن أن نرتب افكاره كما نشاء

احببت عمر المختار

« أعتقد أن قصة فيلم « عمر المختار » قصة معاصرة تماما يمكن مثلا تناولها على مستوى الصراع بين القديم والجديد ، أو الصراع بين وجهة نظر مستعمر توسعي كالجنرال جراتسياني وبين وجهة نظر محررة بالغة البساطة عند عمر المختار . جراتسياني ليس بالضرورة هو الشاب والمختار هو العجوز بل العكس هو الصحيح تماما فجراتسياني يحتج بحق الامبراطورية الرومانية القديم فيما اسماه « الشاطيء الرابع » أو ليـ

وهذا تحلف مريع

« ان اختيار شكل الدراما التسجيلية كان هو الأنسب في اعتقادي لتقديم سيرة رجل عظيم لقد أردت أن أقوم بهذا الدور منذ سنوات طويلة ، لقد أحببت هذه الشخصية وعلاقاتها المتشعبة مع الاجيال الجديدة من الليبيين كنت أبحث منذ ثماني سنوات عن قصة تتناول العلاقة بين أب وابن ربما لانني كنت اعاني من هوة مفتعلة بين الاجيال ، بيني وبين ابني ، حاولت ان اعثر على قصة تلغي هذه الهوة ، الى أن وجدت « عمر المختار » ان علاقته مع جراتسياني يمكن رؤيتها في هذا الضوء أيضا انها علاقة صراع العقاد يختلف معي فهو لا يرى انهما قريبان الى هذا الحد هذا مستوى آخر للرؤية ولكن ما يؤكد وجهة نظري هو انني لا زلت احترم ان لم اكن معجبا ـ شخصية جراتسياني يعلم الله وحده ماذا دار بينهما في هذه الحجرة المغلقة لقد التقيا مرتين ولا احد يعلم ماذا دار بينهما

« هل تعلم كيف خطر هذا الدور على بالي مؤخرا ؟ كنا نصور « الرسالة » في ليبيا ، وأخرجت بالصدفة عملة ليبية من فئة العشرة دنانير وجدت عليها صورة المختار التي لم أكن قد تأملتها من قبل صرخت « يا لله انني اشبه هذا الرجل حقا ؟ »

هل تعلم ؟ انني ارى المختار ايضا عاديا آخر ، اراه زاباتا او باتشو فيلا من ثوار المكسيك التاريخيين كانت هناك مشكلة صغيرة اثناء التصوير في الصحراء لقد احضروا لي ربما اجمل جواد عربي كان ابيض وجلالا واحسست ان استخدام هذا النوع من الجياد هنا خطأ جسيم اذا كنا نصور فيلما عن عادي فلن نحضر له سيارة « رولز رويس » !

ان دراما الرجل ، الانسان ، هو انه يفعل ما يتعين عليه فعله ، وليس ما يريده الصراع ينعكس في الاختيار في حدود الممكن ولم يكن عمر المختار معدا ولا تلقى تعليما خاصا ليكون قائدا انه انسان وجد نفسه وسط خيارات كان الرجل معلما دينيا استمد من كتاب الله طاقة جبارة أعانته وهو الشيخ ذو الثلاثة والخمسين عاما على أن يقود الجهاد طيلة العشرين عاما التالية انه لم يرتفع في نظر الناس لانه يجيد ركوب الخيل او استخدام البندقية لقد قادهم بعقله وقلبه وايمانه ، ولهذا اتبعوه

معلم يجد نفسه فجأة في موضع واختيار آخر المخيلة في الثالثة والسبعين يتأمل ما انسلخ من حياته من اعوام يشعر انه لم يحقق ما كان يريده لا اعتقد انه كان يطيق نفسه محاربا عظيما كان يعرج وكان مصابا بذبحة صوتية ، ولا بد ان ركوب جواد كان بالنسبة له شيئا مرهقا كان عليه أن يتأمل ويعلم ويقود شعبا كاملا انا واثق من كونه لاعبا ماهرا للشطرنج ، كما توفرت لديه معرفة الصحراء لم يقهر الفاشيين بالسلاح ، بل بمعرفته وصيانه الداخلي العميق

الصحراء واحة المعرفة

اكتب كثيرا تعلم انني ألفت كتابا بعنوان « الخطيئة الاساسية » تناولت فيه ذاتي تأملتها واكتشفت انه ما زال لدي الكثير الذي لم اكتشفه كيف كنت اجهل هذه المعرفة الاساسية عن الصحراء لقد صورت الكثير من افلامي في الصحراء ، ولكن تجربتي في « الرسالة » وفي « عمر المختار » كانت مختلفة حقا اكتب الآن كتابا طويلا عن الصحراء ، عن صحراء العقل وصحراء الواقع الصحراء بالنسبة لي تعني امتدادا في الزمن اتحدث في هذا الكتاب عن صحرائكم التي خرج منها رجل من اهم رجالات التاريخ « محمد » والصحراء التي دربت والهمت وعلمت رجلا كعمر المختار أية صحراء تلك ؟ وأية قوة ترود رجالها بها أتحدث في الكتاب ايضا عن همنغواي وعن آخرين

« لم اكن يوما فيلسوفا او متفلسفا ولكن ان تعيش في الصحراء لمدة ثمانية اشهر متصلة تقريبا ، تجربة مختلفة تماما عما ألفته حاولت كممثل شخصيات ـ فأنا أرفض أن أسمى نجما ـ أن أتخيل شخصيات الرجال الكبار الذين عاشوا في الصحراء الصمت حكمة الذات سياحة العقل التأمل ان هذه اوليات المعرفة

عمر المختار الرحل والبندقية والجواد ، « هذا لا يكفي لا بد من ايمان عميق بالاسلام وحب لا يحد للوطن » سبح في تأمله والسمعى « بالله كيف كان بمقدوره ان يمتطي جوادا ويحارب من فوقه في دروب جبلية وعره » ولكن الجواد والرحل والبندقية كانوا قادرين لعشرين عاما متواصلة على الحاق الهزيمة بارباب الحرب الحديثة في قلب الصحراء

البشرية لقد ربينا على معرفة الكتب وهذه وحدها لا تكفي ربينا في احضان ثقافة المدن وهذه وحدها ايضا لا تكفي الصحراء هي احد اسرار قوة محمد ورجاله ، واخرين منهم قادة العرب العظام

لم نفهم الاسلام مطلقا !!

« لم نفهم الاسلام مطلقا ولم نفهم محمدا مطلقا اسي الحدث عن العرب وعلاقته بهذا الدين العظيم ان العالم يجب أن يمارس قدرا اكبر من التسامح والمعرفة والتفهم لهذا الدين علينا أن نعرف الشيء الكثير عن التجربة الاسلامية ، لكي ندرك الى اي مدى ظلمناها ثمة شيء آخر ان ادراكنا القليل للديانات الاخرى يكشف لنا عن ضحالة معرفتنا بالاسلام من خلال هذين الفيلمين « الرسالة » و « عمر المختار » ادركت والعاملين معنا وبالذات الممثلين الكبار ضرورة التعاطف مع هذا الدين والاقتراب منه بروح خالية من التعصب هل تعلم أنني صرت اكثر وعيا بحقيقة أنني كنت أمارس احيانا ممارسات قريبة من تعاليم الاسلام دون أن أدري ؟

هذا بذاته كفيل باقناعي باهمية معايشتي لتجربة الصحراء علاقة قوية مع الفطرة في عام ١٩٦٢ كنت اصور « لورانس العرب » في ثلاث صحراوات ، في المغرب واسبانيا والصحراء الكبرى آنذاك بدأت افهم لماذا يأتي الانبياء من الصحراء ـ المكان وعلاقتك به لقد جاءت الديانات الثلاث الكبرى من الصحراء ليس ذلك مصادفة في الصحراء قدرة هائلة على النفاذ داخلك واحتواء احاسيسك وتطهيرها ، وتمديد مدى قوة صفائك العقلي

ان الاديان جميعها تلتقي عند المنبع طرق متعددة لغاية واحدة الايمان بالله

« لقد كان عمر المختار يحارب الفاشية طوال عشرين عاما باسم الجهاد الاسلامي ولكن المشاهد العربي الذي لا يعلم شيئا عن الاسلام وقوته سيتعاطف مع المختار في رفضه الاجبار على الانتماء الى نظام يسلبنا حرياتنا ليست المسألة مجرد فاشيين ضد لا فاشيين من الممكن ان نتعرف في شخصية المختار المجاهد المسلم على « باشو فيللا » آخر محارب الجيش الامريكي ، أو زعيم هندي يقاتل ضد استلاب ارضه أما لو بدأ البعض يربط ذلك كله بالنفط والشرق الاوسط ، فلسوف يكون ذلك ظلما فادحا للعرب وللاسلام ليس الامر دعاية لعالم عربي بدا ينتج افلاما عن فلسفاته لسبب بسيط ، هو أنه عالميا لا يوجد الآن سوى فيلمين من جهتي ، استطيع أن أقر بوضوح انني لم اتعرض لاي نوع من انواع الضغط لكي اشارك في هذه الافلام ان المشكلة الكبرى اليوم هي اساءة فهم الاسلام والشخصية العربية في التاريخ القديم والمعاصر

« ماذا كانت عليه صورة العربي في السينما الامريكية ؟ شبه انسان ، جاهل ، غبي ومتخلف يضع عمامة على رأسه يثير الضحك والتقزز في عام ١٩٤٤ اشتركت ـ للاسف في فيلم اسمه « الطريق الى مراكش » وكنت ألعب دور العربي ، والكل يكيل لي الاهانات ويصب السخرية على رأسي « بوب هوب » وبنج كروسبي » كانا ينتهزان كل فرصة للحط من كرامتي ـ كعربي طبعا ـ بعدها بسنوات قمت ايضا بدور مشابه في « سندباد » العربي يتحدث العربية التي تعني « لوعاريتات » ورموزا وطلاسم غامضة مثيرة للضحك هل تعلم انني بدأت اتعلم العربية الى جانب اللغات الخمس التي اتحدثها الانجليزية والفرنسية والاسبانية واليونانية والايطالية .

« حاولت ان اصحح صورة الهندي في السينما الامريكية حاولت في حدودي ، لماذا ؟ لان في عروقي دماء هندية ، ورأيت الهنود وعشت معهم لعبت ايضا ادوار الاقليات . اليوناني والمكسيكي ، والآن العب « العربي » لابد للعالم أن يتفهم ، والا فإن المظالم ستستمر تجاه العرب

« لقد لعبت ادوارا دينية كثيرة لعبت دور البابا في « حذاء الصياد » ولعل دوري كان تنبئيا فمن كان يتصور ان يأتينا بابا من دولة شيوعية العالم يتغير وأود أن يفهم الغربيون من خلال ادواري العربية ان نظرتهم تجاه الاسلام والعرب يجب أن تتغير عليهم ان ينظروا لعملي من زاوية تعليمية وحينئذ سيفهمون »

هموم سياسية

« انا ضد الفاشية بعنف أسي أعيش في ايطاليا وسط أناس لا يمكنهم ان ينتظروا بعث نموذج موسوليني مرة اخرى البعض يقول ان غلطة موسوليني البسيطة كانت في التحاقه بهتلر غلطة بسيطة ؟ بالنسبة لي المسألة مسألة موقف سياسي اهتماماتي السياسية تعني أن نتبنى موقفا سياسيا والاعلان عنه

« ان رجلا كالمختار في السبعين يحارب قوى امبراطورية هائلة من موقف سياسي بسيط هذا هو الموقف السياسي ماذا صنع السياسيون المحترفون لنا ؟ لا احد يهتم بهم الآن لا احد يريدهم المنصات السياسية لم تعد تفيد الآن العالم بحاجة الى النقاء السياسي المطلوب دبلوماسية حقيقة تماما انا لست اشتراكيا لكن لي قلبا اشتراكيا وعقلا ديمقراطيا

« أؤمن بالحقوق الانسانية ، ولهذا امثل دائما ادوار الاقليات التي ظلت السينما الامريكية ومن خلفها السياسة طبعا - تعاملها بازدراء ربما لأنني أنتمي الى هذه الاقليات أحدث افلامي هو « ابناء سانشير » وهو يتناول قصة اب مكسيكي يعول عائلة ضخمة تصبح في مطحنة الفقر في دروب مكسيكو انا قريب جدا من « سانشير » هذا بل انا « سانشير » نفسه مثلما أنت عربي

اننا نتبادل نفس المشاعر لاننا ننتمي الى اهل الدماء الحارة لن ينجح « سانشيز » في الولايات المتحدة ، لان امريكا وصلت - تجاه الاقليات - الى درجة الاحساس بارهاق الضمير لقد ترسب لديها احساس بالذنب تجاه الأقليات ولا تريد أن يؤرقها أحد بهذه المشكلة لقد قمت بالدور لأنه جزء من حياتي »

همنجواي وبيكاسو في انتظاري

« في كتابي عن الصحراء اذكر همنجواي اعتقد ان همنجواي قد ترك اثرا في كثير منا سلوكنا كبشر معاصرين مفهومه للحياة أعتقد أنه وضع الخطوط الاساسية للكثير من سلوكياتنا حتى اننا اصبحنا نقيس ونقيم اخطاءنا قياسا لما حدده همنجواي مبالغة !

● انطوني كوين

ولكنني اعتقد انه جزء كبير جدا من ثقافة الاعوام السبعين الاخيرة لقد ترك تأثيرا هائلا من حياتي منذ الثلاثينات لقد فكرت يوما بان اقدم حياته على الشاشة نقلا عن كتاب « هوكر » عنه ، ولكن روجته رفضت سأكرر المحاولة

« هو وبيكاسو قد تركا أكبر أثر على ثقافتنا المعاصرة هل تعلم انه اراد ان يلتقي بي ولكنني كنت من الغباء بحيث لم اذهب للقائه وكان احد الاسباب الرئيسية هو انني كنت افكر في تقديمه على الشاشة وخطر ببالي انني اذا التقيت به فسوف اكون مهذبا للغاية ، ووددتُ ان اظل حرا في تعاملي مع صورته ومثاله لقد تواعدنا على اللقاء ولكن عبادة الابطال التي استولت علي في علاقتي بهذا الرجل جعلتني عن لقائه لم أرد رؤيته وهو يتحشأ كان هذا محض غباء مني لقد فعلت هذا مرارا كنت مرة على وشك ان العب دور « نهرو » وذهبت للقائه وفكرت مرات بعد المقابلة كيف سيتيسر لي أن ألعب دوره انه صغير الجسم وظهرت عراقيل كثيرة اهمها تدمير عمارة البطل عندي ولهذا صرفت فكرة القيام بدوره تماما ، اما بيكاسو فانني انتظر الفرصة لتقديمه على الشاشة انه تجربة رائعة وقد حان الوقت غير انني لست في عجلة من امري انني في الرابعة والستين وقد عاش بيكاسو حتى التسعين استطيع دائما ان اقوم بدوره هناك تولستوي والبرت شفايتزر وآخرون غيرهم »

هوليوود والآخرون

- ما هي السينما الهوليوودية ؟ هي شكل وايقاع ، السينمات الاخرى في العالم تحاول ان تكون عالمية حسنا السينما الهوليوودية سينما عالمية ، لان لها ايقاعا مميزا استطاعت نتيجة لعوامل مختلفة ان تفرضه على دور العرض عبر العالم السينما العربية مثلا تسعى الى ان تكون عالمية لكنها تستعير الشكل والايقاع الهوليوودي فتخفق عالميا لا بد ان تكتشفوا ايقاعكم الخاص بكم وبهذا تتحقق العالمية هذا جانب من حيوية السينما الامريكية الايقاع الامريكي الخالص جانب آخر لا يقل أهمية ، هو الديمقراطية فبامكانك أن تنتج في

ى عماء الساعة الحاديه عسره وي اليوم الحامس عسر من سهر ستتمىر من عام ١٩٣١ تم تمفد حكم الاعدام سىما ىحو عمر المحمار امام عسرين الفا من مواطىىه ىعريه « سلوق » الليىه وكان الاهالي قد اقىدوا من كافه ا ىحاء الىادىه ليسهدوا ىفىد الحكم على رعيمهم على منصه الاعدام لم ىطرف للمحتار حفن وفى صوت هادىء اعلن « لم اتىارل قط من قبل فى حياتي ولن اتىارل في مماتي وسوف يلحق ىكم ايها المستعمرون اىنائي واحفادي من ىعدي سىطاردونكم يوما » شهد المحتار ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ان الله غالب على امره وسهد ىانا لله وانا اليه راجعون

ىن حلف الاسوار الساىكة كاىت مىروكة ىف كل سيء وتلقى ىوعد صامت للمحتار ىـ ىهب فداء لما حارب من اجله المحتار

امريكا افلاما ضد فيتنام او معها ، ومع الزنوج أو ضدهم ، وهكذا مع الهنود او المكسيكيين او غيرهم دون ان تتعرض لمصادرة ما تراه هذا عامل اساسي لا يمكن تجاهله

« هل تعلم انني لم اعش ابدا في هوليوود المدينة بعد عام ١٩٥٠ عشت في كونكتكت وفي نيويورك حتى عام ١٩٦٠ حين جئت للحياة في اوروبا في عام ١٩٥٢ ذهبت لتسلم جائزة الاوسكار عن دوري في « فيفا زاباتا » لايليا كازان ، وبعدها تعاقد معي دينو دي لاورانتيس للقيام ببطولة افلام في اوروبا ، وها أنذا أعيش في أوروبا منذ سبعة وعشرين عاما ايطاليا هي طريقة للحياة وليست مجرد مكان أعيش فيه أستطيع أن أمشي هنا من ٨ الى ١٠ اميال يوميا اسير على ضفاف البحيرات وفي الغابات بحرية كاملة وهم في هوليوود ينافقون وتغلب المظاهر على كل شيء

« لا يمكنني التنافس مع الاخرين أقصد مع النجوم لست نجما أنا ممثل شخصيات أنا لا اتنافس مع روبرت ردفورد أو دي نيرو إني واحد من القلائل مع لورانس اوليفيه ـ الذين يحصلون على مرتب نجم ولا نحصل على الفتاة في نهاية الفيلم ! يقولون ان مرتبك يتناقص بانكماش قدرتك على الفوز بالفتاة في نهاية الفيلم !! هذه احدى علامات نجاحي لقد كففت عن الفوز بالفتاة لافوز بالاوطان واليوم هذا هو ما أفعله اني امقت أداء النجوم لانهم يكيفون الادوار لهم ، بينما من المفروض ـ وهذا ما أفعله ـ أن أكيف نفسي للدور . لقد لعبت دور « عمر المختار » ولم اقدم انطوني كوين في دور المختار . اعتقد ان نظام النجوم في طريقه الى التحلل انه نتاج طبيعي لمجتمع « البل أير » في هوليوود ولقد مضى ذلك العصر كما اعتقد ان هناك ازمة في السينما الامريكية نتيجة الاهتمام المبالغ فيه بافلام من نوع « حرب الكواكب » و « سوبرمان » . انها اعمال اقل ما توصف به انها مراوغة .. »

مخرج عربي لاول مرة

« هذه هي المرة الأولى التي اعمل فيها مع مخرج عربي هو مصطفى العقاد انه عربي القلب امريكي الاسلوب لقد تربى في هوليوود ، ولذا افاد كثيرا من ايجابيات الاسلوب الامريكي في الانتاج « في الرسالة » كان متوترا بسبب الضغوط الهائلة التي كان يعمل في ظلها كل خطوة لا بد من التصديق عليها من دوائر عدة هذه المرة « في عمر المختار » استطعت ان اصدر حكما عليه انه هادىء ويؤمن بما يعمل ، ويصر عليه وهو اساس مؤمن ، وهذه ميزة كبرى حقا بالنسبة لي فان هذه الصفات اهم من كونه « سيسيل ب دي ميل » آخر . لديه تصميم لتحقيق ما يريد ومنذ خمس سنوات كنا نتحدث عن عمر المختار ، واليوم انتهينا منه وصرنا نتحدث عن صلاح الدين وربما عملنا سويا معا وربما لا ولكنه سيفعل هذه ميزة كبرى فكثير من المخرجين يحلمون ولا يستطيعون التحقيق انه انسان معاصر ايضا ، ولديه الكثير مما يريد قوله عن الكبرياء والكرامة العربية لعلك تعلم انني صعب الاعتياد وليس من السهل التعامل معي ربما لانني خلال أربعين عاما من العمل قد تعودت عادات معينة لا يمكن الاقلاع عنها ولكني استطعت العمل بنجاح مع مصطفى العقاد

بحثا عن كوين

« ما زلت ابحث عن اجابات لاسئلة حول انطوني كوين الانسان انطوني كوين الممثل وصل الى درجة من الاجابات المعقولة ولكنه الانسان لقد اكتشفت ـ وهذا شيء رائع انني اهملت انطوني كوين الانسان طوال هذه السنين انني اريد ان اجد طريق حياتي ولم يعد يعنيني كلية صورة كوين الممثل

لقد بدأت التخلص من الاحساس بالخطيئة الذي ورثته عن خلفيتي الكالفينية في امريكا تجاه الشعور بالسعادة انا سعيد . هل تعلم لماذا ؟ لانني استغنيت عن اشياء كثيرة لقد اكتشفت انه يمكنني ان اعيش دون هذه الاشياء الكثيرة . لم اعد أحتاج الرولز رويس ، لم أعد أحتاج الدراجة النارية ذات السرعات العشر . لم اعد أحتاج كماليات كثيرة . استطيع ان العب « التنس » لمدة ساعتين في اليوم . وأؤدي

شخصيات ملتحاة اجد فيها حرءا من الاجابات على الاسئلة التي تشغل بالي حول انطوني كوين الانسان

لديي عائلة كبيرة وأطعم ٢٩ شخصا وارسل نهايةاولاد الى المدرسة ولا أشجع أيا منهم لكي يكون مثلا اعيش صراع الاجيال ، وهذا يشعرني بالعزلة احيانا ، وهنا قد تكثر الاسئلة ولكن هذا طبيعي تماما »

المصارع

« هذا هو عنوان عمل افكر في اخراجه للسينما وهو مأخوذ عن رواية امريكية عن صبي في السابعة عشرة من عمره يريد أن يحقق ذاته ويجد أن المجتمع يفرض نوعا من السلوك عليه وعليه ان يختار انه صبي أسود من حي « هارلم » وهو لا يريد ان يحمل اوزار الآخرين ولكنه يريد أن يحيا حياته ويقرر الصبي أن يتعلم الفن الزحولي للدفاع عن النفس ، ويصير ملاكما ويستمر صراعه داخل المستويات الاجتماعية المختلفة قصة بسيطة حول مشاكل النمو الاجتماعي اليوم وهي لا تختلف كثيرا عن طفولتي وصباي ، ولكنها اكثر تعقيدا لأن الحياة نفسها قد صارت اكثر تعقيدا انها القصة الوحيدة التي أود إخراجها ، وهي تلائم اوروبا كذلك ولا بد ان يشعر الجيل الجديد بعلاقة حميمة معها انها لا تختلف كثيرا عن قصة طفولتي وصباي اليس كذلك ؟ »

أسئلة وإجابات

لم يكن كوين في نهاية حديثة تقريبا يسأل عن المصارع ومدى اتفاق قصته مع قصة حياة كوين د نها كان في الواقع يؤكد وقد شرد ببصره بعيدا

محياة كوين ـ منذ ولد في مدينة تشيواوا المكسيكية ـ ايرلندي وام مكسيكية في عام ١٩١٥ ، هي صورة الاصل من حياة هذا الصبي المصارع الذي ث عنه

بوه قد قاتل وجرح في صفوف الثائر المكسيكي « بانشو فيللا » في نهاية القرن الماضي خلال الثورة المكسيكية وعاش الصبي كوين مع والديه في ظروف معيشية بالغة الصعوبة الى أن التحق الوالد كمساعد مصور باستوديو « سيلنج » القديم في « لوس انجلوس »

من حسن طالع كوين انه استطاع ان يتلقى تعليما منتظما ذهب الى مدرسة الرهبان ثم الى مدرسة الموسيقى حيث تعلم العزف على الساكسفون درس العمارة وشجعه المعماري الكبير « فرانك لويد رايت » على الاستمرار في الدراسة ولكن

كان على الصبي ذي الاعوام الثلاثة عشر ان يهجر المدرسة ليعول اسرته الكبيرة العدد بعد وفاة والده تقلب في اعمال عديدة بحار ، ملاكم ، منااد للسيارات وما لبث الصبي ان ولع بدراسة الدراما فالتحق باحدى مدارس التمثيل المسائية وبعد اعوام من الكفاح والمصارعة من ادنى سفح ، لاحت للصبي فرصة امام نجم هوليوود اللامع انذاك « جون باريمور » في احدى المسرحيات ولمع كوين وفي عام ١٩٣٦ تعاقد كوين على المشاركة في تمثيل اربعة افلام دفعة واحدة ، اولها دور الهندي في « رحل السهول » من اخراج سيسيل ب دي ميل ، وفيه كان الشاب يلقن المخرج الكبير كيفية القيام بدور الهندي في السينما

رصيد يضم حوالي ١٥٠ فيلما لاكثر من أربعين عاما كوين (اوساشير) يغزو هوليوود ، ويستحق عن جدارة اوسكارات عديدة وتقديرا عالميا في « فيفا زاباتا » (١٩٥٢) « وشهوة الحياة » (١٩٥٦) حين قام بدور الرسام الانطباعي الكبير « بول جوجان » و « زوربا اليوناني » (١٩٦٤) لمايكل كوكايانيس ، حين جسد روح الانسان البسيط الفيلسوف ، عاشق الحياة الابيقوري ، الذي يعيش يومه بيومه

الصبي المصارع يكسب الجولة ويستحق ان يعيش في مجتمع « البل اير » الهوليوودي يؤلف الكتب ولا يزال قادرا في سن الرابعة والستين على اكتشاف آفاق وقارات جديدة وقارة العرب هي آخر اكتشافاته ■■

الفاروق عبد العزيز

ـيدتان بالزي القـديم
ـــاهمان في احـدى
الجمعيات النسائية

وجه من دولة الامارات
على شاطـىء مياه
الخليج

الشارقة
الرمـز والحقيقـة..

ع : مصطفى نبيل   تصوير : عبد الناصر شقرة

العمارات الحديثة ، والطرق الواسعة التي يتوسطها اللون الاخضر ، « لقطة » تنقل التعبير والعمران

على شاطىء الخليج مع خيوط الصباح الاولى . اللوحة جميلة هادئة . لا وجود لنسمة هواء . ولا تمايل لاوراق الشجر . مياه الخليج الزرقاء ساكنة بلا موج . كأنها لوحة رسمها فنان مبدع ولست جزءا من الحياة

وصلت « ابو ظبي » قبل الفجر وادهشني في الطريق الى الفندق حركة التشييد الواسعة . عمارات من كل طراز . احداها كل واجهتها من الزجاج . واخرى على نسق عمارة « ووتر جيت » الامريكية . وتسرع هنا البنايات الضخمة ذات الطراز الخاص من كل مكان . الطرق التي امر بها تكاد تكون معدة لتوها . اهتمام خاص باللون الاخضر . جزر خضراء على طول الطريق . اشجار على الجانبين . يرعاها عمال البلدية بسيارات المياه والرشاشات الدوارة حتى في هذه الساعة من الليل

اين هذه المدينة المتلألئة بالانوار التي امامي . من تلك التي وصفها احد زوارها منذ عشر سنوات فقط فقال « ليس في « ابو ظبي » طريق مرصوف سوى طريق واحد هو طريق المطار . والمدينة عبارة عن خلاء صحراوي . رمال ملحية . ترى فيها مجموعات العشش متناثرة مع قليل جدا من المباني ذات الطابق الواحد . وليس بها سوى فندق واحد وبيت للضيافة مخصص لضيوف الامارة »

ان الفرق بين الأمس واليوم يكشف التغييرات السريعة التي تكاد تكون اسرع تغييرات مرت على جزء من الوطن العربي . فبعد عزلة طويلة عن العالم . وعزلة نسبية عن العرب . وبعد « ان كانت على هامش الدنيا في ارض لا ينبت فيها شيء » . وجدت نفسها تملك اكبر ثروة يملكها مجتمع

ولعل هذا قد خلق صعوبة في الكتابة عنها . تلك الكتابات التي تراوحت بين الاسطورة والواقع . بين الخيال والحقيقة . فسقط الكثير منها بين نقيضين أحلاهما مر . كتابات تقوم على السخرية من هؤلاء الذين هبطت عليهم الثروة فجأة . وكأنهم عالم من الاساطير والمعجزات . او تلك التي تبالغ في المجاملة والمديح فتهدر تلك الكتابات التي تساهم في الحوار الدائر على ارض الواقع ملتزمة بجدل الوقائع

وتغفل تلك الكتابات حقائق تختفي في غمرة الاحداث . اهمها ان دولة الامارات العربية حصلت على استقلالها واتحادها في مشارف السبعينات . وهي اطراف محصورة بين البحر والصحراء . وانها الجدار الشرقي للوطن العربي . واحد الثغور التي تعرضت طوال التاريخ لمواجهة القوى الغازية . وانها من التخوم التي تمثل اقصى نقطة الى الشرق في الوطن العربي . فكانت على مر التاريخ تدفع ثمن « الموقع » في نقطة فاصلة بين الانقسامات والمنافسات السياسية والدينية واللغوية

ولكي نمسك بداية الخيط . ونحدد مسارنا . سيكون حديثنا من الشارقة . كنقطة رصد نشرف منها على ما يدور في دولة الامارات العربية وكرمز ونموذج لما تنتهجه دولة الامارات . فالشارقة لها حدود مع كافة الامارات وذات ارتباطين احدهما بالخليج العربي والاخر بخليج عمان الممتد الى المحيط الهندي . واذا كانت « ابو ظبي » العاصمة السياسية للاتحاد « ودبي » هي مركزه التجاري فالشارقة هي عاصمته الثقافية . شهدت اول مدرسة يمتد تاريخها الى عام ١٩٣٥ . عندما استخدم المعلم عظام كتف الجمل للكتابة بدلا من « اللوح ».

[illegible] حدسي اليها خطواتها الوحدوية التي [illegible] اليها بقية الامارات وتقوم بدور الريادة على طر[illegible]

وفي البداية تواجه دولة الامارات عدة قضايا [illegible] مسارها وتحدد افاق المستقبل

● ان دولة الامارات تعيش متاخمة لمنطقة من اكثف المناطق سكانا في العالم ، بينما عدد سكانها اقل من الحد الانسب للسكان ، وفرص العمالة بها كبيرة فهي تجذب العمالة من حولها . وتلك قضية لها بعدها الاجتماعي والامني « والعروبي »

وتكاد تكون اولى المسائل التي تبحث عن حل

● كيف يمكن ان يتم التغير السريع الذى تشهده المنطقة ، والتدفق الهائل للثروة عليها مع الحفاظ على التوازن النفسي والحضاري للمواطنين ؟ وكيف يمكن الالتزام بحلول صحيح للاولويات ؟ حتى لا يكسب المواطن الثروة والمسكن والسيارة ويخسر نفسه !

● دولة الاتحاد هي الصيغة الوحدوية الباقية في الوطن العربي ، فما الذى يسعى عمله لدعم الاتحاد والانتقال به الى افاق ارحب ؟

ومن رأى ليس كمن سمع

اطلال التجزئة !

كان لابد من اغلاق نافذة السيارة اتقاء لهواء الصحراء الحارق ، خلال الطريق الذى قطعته من « ابو ظبي » الى الشارقة وصادفت على الطريق اطلال بلدة كانت « نقطة » للحدود بين امارتين ، هذه البلدة تقلصت ثم زالت مع قيام الاتحاد ولاول مرة اشعر بالفرحة امام « اطلال » صارت مجرد رمز التجزئة والتمزق وبعد ساعة ونصف وصلت الى مدينة « الشارقة » ، مدينة تكاد تكون اقيمت لتوها ، اثار رائحة لبناء اكمل حديثا ، فكل ما حولك جديد ، واول ما تحدث انتباهك الطابع العربي الذى يميز عمارة مبانيها ، ولعل اهل الشارقة قد ورثوا عن اجدادهم عواسم الاصالة العربية

والشارقة التي اتجول في شوارعها وبين احيائها ذات ... خاصة اهمها عامها بالتنوع ، ففي الامارة ... والجرز وفيها الزراعة والبترول ، وتطل على ... العربي وخليج عمان ويمتهن اهلها اعمالا مختلفة ، ... ساحل ما زال اهلها يعيشون حياة البادية والرعي والزراعة ، وعلى الساحل الصيد وعمال السفن ، وتزدهر الأعمال التجارية في العاصمة ، وبدأت تشهد بدايات الصناعات الحديثة ، حفظ الاسماك ، وصناعة الاسمنت ، وهي نموذج متكامل من الواحات ، الى الجزر ، الى الصحارى ، وبها الجبال الشاهقة والسهول الممتدة

والشارقة ذات الطعم الخاص تتوسط بقية الامارات وتتصل بها جميعا ، يطل جزؤها الرئيسي على الخليج بطول امتداد يزيد عن عشرة اميال وتتوغل في الداخل لما يزيد عن ٨٥ كيلو مترا ، وتتناثر بقية اجزائها وتتوزع على خمسة اجزاء ، ويتبعها على خليج عمان كلبا ، وخورفكان ، ودبا ، وفي منطقة كلبا وخور فكان تتداخل حدود الفجيرة والشارقة ، و « دبا » الصغيرة تتوزع على كل من الشارقة والفجيرة وعمان ، كما تتبعثر اراضي الشارقة بين غربي جبال عمان وبين شرقي هذه الجبال

ويشق مدينة الشارقة طريق يطلق عليه طريق العروبة يصل بك الى كافة الامارات

وكانت وقفتي الاولى في الشارقة الجديدة التي تقوم على اطلال المدينة القديمة ، والتي روعي في تخطيطها الوفاء باحتياجات السكان عندما يبلغ عددهم ربع مليون ، وتم تقسيمها الى احياء سكنية واخرى تجارية ، ومناطق صناعية وبذل اهتمام خاص بالمناطق الخضراء لتكون متنفسا للمدينة

عندما توفرت الاموال والرغبة الملحة في اقامة مدينة تنافس ما عداها من مدن الخليج قامت الشارقة على هذه الصورة .

وكانت التعليمات التي اعطيت لبيت الخبرة الذى صمم مخطط المدينة واضحة وتقول « لابد ان يعكس تخطيط المدينة حقيقة اننا شرقيون عرب حتى نحدد لنا بين البلاد الاخرى طابعا خاصا مميزا ، فلدينا ذخيرة هائلة من القيم ، وهدفنا اظهارها فيما نقيم من بنايات »

وبدت الشارقة بعماراتها واسواقها ومبانيها الحكومية ذات طراز عربي ، به شيء من الطابع الاسيوى ، ولان كل شيء في المدينة جديد اصبحت كافة مخافر الشرطة من طراز ولون واحد ، وكل مقرات الاطفاء الموزعة في

صورة من الداخل لسو
الجديد بطابعه العربي

مطار الشارقة الدولي على
وبلات قباب ، والذي
من الجو بطابعه

لقطة من الخارج للسوق

وق البلدي ، وسوق آخر
شاطىء الخليج ، تتعامل
ت ت من ايران والهند
وباكستان

حور فكان والمساء الجديد على خليج عمان الذي يوفر بديلا لمضيق هرمز

الشارقة من طراز واحد ، وهكذا المدارس والمستشفيات ومقار البلدية اما العلامات الرئيسية للمدينة والتي ابطأت سيري امامها وانا اطوف شوارع المدينة فكان اولها امام مبنى السوق الجديدة ، فهو بحق أهم هذه المشروعات واجملها واكثرها ذوقا ، وقد بذل فيه عناية كبيرة ، ويغلب عليه اللونان الابيض والازرق وخطوطه عربية رشيقة . « ويتكون من عدد من القاعات على جانبها المحلات ، وتتصل هذه القاعات بعضها ببعض مع استخدام الاقواس والفسيفساء (كما في الصورة)

والى جانبه ميناء خالد بمبانيه الحديثة ، الذي يقع على الساحل العربي ويشمل محطة لخدمة ناقلات البترول ويستقبل السفن بمعاطس ١٢ الف طن

وفي هذا المكان احدث مدينة الشارقة تنمو حول خليج صغير ، وظلت خلال قرون طويلة معتمدا على البحر

انهم يردمون الخليج !

ويقع بين السوق والميناء بحيرة صناعية تمارس على مياهها كافة انواع الرياضة ، ودهشت لوجودها الى جانب مياه الخليج . وأوضح مرافقي ان المنطقة التي اقيمت مكانها البحيرة كانت منطقة لرحة ـ تمر بها المياه ـ فاشار الخبراء بردم جزء منها برمال الجزء الاخر ، وكانت هذه البحيرة الزرقاء »

وكان للثقافة والفن نصيب في مخطط المدينة ، ... مركز ثقافي يضم مسرحا هو الاول من نوعه في ... الامارات وقاعات للاجتماع وصالة للمعارض

كما اقيمت جسور علوية على كل التقاطعات

وقامت سلطات الشارقة بكل ما تستطيع لاغراء السكان على البناء ، وضمن هذه الاجراءات ، سمحت بتملك الارض للعرب ، وكانت الامارة الوحيدة التي اعلنت عن حق العرب جميعا في شراء الاراضي ، بل قدمت الاراضي للعرب المقيمين مجانا لاقامة عمارات تجارية او سكنية او مشروع صناعي وجذبت الشارقة العديد من الفنادق العالمية التي شيدت فروعا لها هناك

على ان هناك صورا اخرى تتراكب فوق هذه الصورة ، وهذا ما رواه مرافقي حول صعوبة انتقال الجماعات التي تعيش في الاحياء القديمة الى المناطق والبيوت الجديدة ، والسبب هو الخوف من تمزق العلاقات الاجتماعية ، والحرص على بقاء دفء اللقاء اليومي بالصحاب والجيران .

ويتم الانتقال امام الاغراءات ، والمخصصات التي يتقاضاها البدو وساكنو الاحياء الحديثة

اطوف شوارع المدينة ، واحمل معي ذكرى دور القواسم التاريخي ، اقف امام القديم والجديد وثمة خلاف داخل مدينة الشارقة يأتي نتيجة هجرات كبيرة من مناطق متباينة ، مناطق يتزوج سكانها وينجبون ثم يموتون دون اوراق رسمية ، باكستانيون وهنود وبنغال وايرانيون ، حتى انه تكونت مدينة في دبي المتاخمة يطلقون عليها « فريج الكرتون » (أي حي الكرتون) يبلغ عدد سكانها اكثر من ٢٠ الفاً .

والمجتمع هنا يعاني من نقص السكان وتدفق الهجرة غير العربية ، وحسب التعداد الاخير لدولة الامارات وصلت جملة سكان الدولة الى نسبة لا تحقق القوة البشرية المناسبة ، ويوجد تقرير لمؤسسة استشارية سويسرية يقول « ان تقييد الهجرة الى ... سيضيق السوق » ومن جانب آخر يهمس ... « ان ارتفاع نسبة الاجانب في هذه الرقعة ... يمثل خطرا بالغا . » ويضيف « إن الحل الذي ...

الكثيرون هو المزيد من تشجيع هجرة العرب ويقدر العدد الامثل للسكان بين مليون ومليونين ، وهو العدد الذي يحقق التوازن بين الثروة الطبيعية والقوة البشرية

مطار ام جامع ..!

انتقل الى احد المعالم الجديدة للنهضة المعمارية في الشارقة ، فعلى بعد ١٥ كيلو متر شرقي المدينة ، اقيم مطار الشارقة الدولي ، وهو من احدث مطارات الشرق الاوسط ، جهز لاستقبال طائرات الجامبو العملاقة ، ومستوحي طرازه من الفن والحضارة العربية ، وخطوط تصميمه على شكل قباب ثلاث وبرج في تشكيل يشبه احد جوامع اسطنبول ، وشيء مثير ان تستطيع ان تتبين اي مطار في اية دولة هذا الذي تهبط إليه .

وقد اعد هذا المطار ليستقبل ركاب الترانزيت بين العواصم الاوروبية والدول الافريقية ، وبلاد الشرق الاقصى ، وهذا هو الدور الذي كانت تقوم به القاعدة الجوية البريطانية منذ عام ١٩٣٢ والتي قامت بدور هام خلال الحرب العالمية الثانية في حماية خطوط المواصلات للشرق الاقصى

واذا اقيمت مسابقة في سرعة انجاز المدن ، فستفوز الشارقة عن جدارة ، فقد تمكنت من اقامة مدينة كاملة باحيائها ومرافقها وشوارعها ومنارها واسواقها وشركاتها ، ومطار ومرفأ خلال ثلاثة أعوام

فقد قامت في بقية أراضي الشارقة حركة تشييد واسعة وان كانت اقل حجما ، ولكي أرى الأجزاء المبعثرة لامارة الشارقة انتقلت من الساحل الى الداخل ، ومن السهل الى الجبل في رحلة ممتعة ، واول ما شاهدته على الطريق بقايا حياة البدو ، فعلى الرغم من مشاريع توطين ، والمخصصات والتعليم والعلاج المجاني ، ـ ما بعضهم يفضل الحياة القديمة منطلقين في بيئتهم طبيعية

وكانت اول محطة توقفت عندها واحة الذيد الخضراء تقع على بعد حوالي ٦٠ كيلو متر جنوب العاصمة ، خضراء ، وسط الصحراء ، بها اخصب المناطق الزراعية ، وهي واحدة من اربع مناطق صالحة للزراعة ، والتي تشمل كلبا جنوب خور فكان ، ووادي ما دام ومليهة

وقطعت الطريق بين الشارقة والفجيرة عبر جبال عمان

ووقفت فوق ربوة عالية اشاهد خور فكان على خليج عمان ، الرياح تدوّي ، والمنظر خلاب امامي ، والبلدة تطل على خليج طبيعي تحتضنه الجبال ، ازدهرت بها حرفة صيد الاسماك وتحولت الى ميناء رئيسي للمنطقة الشرقية ، ومركز سياحي هام ، بفضل المشاريع الضخمة التي اقيمت ، ارى في مدخل الخور المرفأ الجديد المزود باحدث التجهيزات ، والتي تشمل الحاويات والروافع الحديثة ، وهو بوابة ترتبط بشبكة طرق معبدة بكل الاسواق في دولة الامارات العربية والسعودية .

وشمال خور فكان زرت « دبا » التي وصفها الرحالة بالجريف في القرن التاسع عشر انها مصغر نادر في الجمال لمدينة نابلي الايطالية ، فهي تطل على خليج رائع تحيط به الجبال « وقد لخص كل ما شعرت به »

ومن دبا الى الخان ، المدينة القديمة التي مازال اهلها يعيشون على صيد الاسماك واقيم بها حديثا مصنع لتعليب الاسماك .

الجزر ..!

ومرة اخرى في مدينة الشارقة ، نستكمل جولتنا ، ونضع الحقائق والملاحظات جنبا الى جنب ، فبعد ان ارتدت موجة الرخاء مندفعة في الاتجاه الآخر ، شهدت دولة الامارات اولى ازماتها ، ووجدت فنادق بلا نزلاء ومساكن لا تجد من يسكنها ، صاحب ذلك ازمة سيولة نشأت عن انهيار عدد من المصارف ، تلك الازمة التي كان وراءها المستشار البريطاني « سكوت » الرئيس السابق لمجلس النقد المركزي والتي انعكست على حركة بناء العقارات ، ودخول المضاربين هذا الميدان ، فبعد فتح ابواب الاستثمار العقاري ، ورصد المليارات للرمل والاسمنت ومواد البناء ، وزيادة عدد البنوك التي فاقت عدد المطاعم ، زاد عدد الملاك على عدد

المستأجرين ، ووصلت الايجارات الى حدود خيالية واصبح صاحب العقار يسترد ما انفقه في اقل من عامين ادت المضاربات الى انهيار شركات ، وافلاس مؤسسات ، وهبطت الايجارات الى حوالى النصف واصبح من المألوف ان ترى في المساء اغلب الشقق الجديدة مضاءة مما يعني انها تبحث عن مستأجر !

بين مدينتين ...

وهناك بعد آخر للازمة هو المنافسة الحادة بين الامارات على التشييد والبناء ، واذا كانت المنافسة في بعض الأحيان خلاقة فهي ايضا مدمرة ، ونموذج هذه المنافسة المدمرة تلك القائمة بين مدينتي الشارقة ودبي ، الامارتان متلاصقتان ، والمسافة بين المدينتين تسعة اميال ورغم قربهما

هناك مطار دبي ومطار الشارقة !

وميناء خالد ، وميناء دبي ، وميناء ثالث جديد على « جبل علي » في دبي يجري العمل فيه على قدم وساق عمارات سكنية هائلة في الشارقة واخرى في دبي !

وتدور المنافسة المدمرة في بلدين هما جزء من دولة واحدة ، فعندما اتسعت مدينة الشارقة وانخفضت فيها الايجارات ، وبدأ بعض سكان دبي ينتقلون الى الشارقة ، هددت دبي بانهاء عقود كل من يسكن في الشارقة ، بل منعت سيارات الاجرة التي في الشارقة من العمل في دبي وبقيت المنطقة المتنازع عليها بين دبي والشارقة معبرة عن تلك المنافسة المدمرة عندما توقفت فيها حركة البناء وبقيت ارض فضاء قاحلة !!

كل ذلك يصرخ مطالبا بالتنسيق ، فالقرارات الاقتصادية في اي من الامارتين المتجاورتين لها تأثير حاسم على الاخرى

الاندماج في دولة واحدة !

والشارقة تمثل محطة رصد ممتازة لتجربة بناء الاتحاد التي بدأت خطواتها الاولى عام ١٩٧١ وهذا البناء من اهم ما تم به الدولة الجديدة واكاد اقول انه يستحق متابعة يومية في تقرير مثل نشرة الاحوال الجوية ، فمنها تعرف الكثير من التغيرات وتكتشف اتجاه الريح ، فهي تقف الى جانب بناء الاتحاد ، لانها من اكثر الامارات معاناة من التمزق ويكفي ان تعرف أن الشارقة تتبعثر على خمسة اجزاء ، وتنس تحت هذا الوضع - وتصور عزيزي القارىء - ان هناك نزاعا على الحدود بين الشارقة ودبي ، وآخر بين الشارقة والفجيرة وجميعهم جزء من دولة واحدة والمناطق « المتنازع عليها » تدفع الثمن غاليا ، فتتوقف فيها المشروعات ، فادعاء احد الاطراف ملكيته لها يعطيه الحق في وقف اية مشروعات داخلها ، مما يذكرني بقصة المرأتين اللتين تنازعتا طفلا وادعت كل منها انها امه ، وعندما اقترح القاضي قسمة الطفل رفضت الام الحقيقية وقبلت التنازل عنه !

ولا يمكن استبعاد دور القوى الاجنبية التي تعمل على زيادة حدة الصراع باعتبار المنطقة مجالا حيويا للمصالح الاجنبية ، وتعمل هذه القوى على استغلال نقاط الضعف القائمة ، فمشاكل الحدود قديمة وحلها في نجاح تجربة الاندماج في الدولة مما يؤدي الى الغائها ، وجذورها تمتد الى الماضي البعيد ، عندما كان الرعاة والقبائل يتحركون بلا قيود بحثا عن الماء والامن والكلأ ، لا يوقفهم سوى حاجز طبيعي ، الصحراء امامهم مثل البحار ، بلا معالم ولا علامات لم يشغل احد نفسه في عصر ما قبل النفط ، اين تبدأ ؟ ومتى تنتهي « ديرة » كل قبيلة ، ولكن بعد ان أصبح كسب شريط من الارض او خسارته يعني الفرق بين « الثراء » و « العوز » ، بدأت مشاكل الحدود في الظهور

ولا يمكن ان نغفل ان التبعية السياسية كانت تعتمد على علاقة رؤساء القبائل بالحكام ، على اساس موقع « ديرة » كل منهم ، وتعقدت الصورة بالتدخل الاجنبي الذي هدف الى ضبط طرق الاتصال لتخدم مواصلات الامبراطورية ، متجاوزا « الديرة » و « القبيلة » ، بدأت لعبة البترول وما تقتضيه من ضرب القيادات بعضها ببعض

وذهب الاستعمار وبقيت مشاكل الحدود قادرة على اثارة مشاعر اقليمية وحلق وطنيات مفتعلة ليست اكثر من ردود فعل مشكلات خاصة

علمان لا علم واحد .....

ورغم مضي تسع سنوات على قيام الاتحاد فما زال علم دولة الاتحاد يرفع جنبا الى جنب مع علم الامارة الخاص ، وكل امارة تملك حق اعطاء التأشيرة ، وان يدخل اليها او يخرج منها من تريد ، بدون العودة الى السلطات الاتحادية طالما لديها مطار او ميناء خاص بها ، وظلت كل امارة داخل الدولة الواحدة تملك اجهزة اعلام وتملك محطة اذاعة خاصة بها ، وحتى اليوم هناك محطتان للتلفزيون بسياستين مختلفتين ، احداهما لدولة الاتحاد في ابوظبي والاخرى في دبي ، وتملك كل امارة جيوشا ومحاكم .

وما زالت الدولة الجديدة تعاني من « فوضى » الصناعة ، فبعض الصناعات الكبيرة مثل صناعة الحديد او ما يتعلق بصناعة التشييد تتكرر في وقت واحد في اكثر من امارة ، رغم ان كل صناعة على حدة تحتاج الى سوق استهلاكية اوسع من دولة الاتحاد

وحتى انتاج النفط ليس له ادارة مركزية ، ومثلا النفط في دبي لا تعلم عنه وزارة النفط الاتحادية اية معلومات ، وشئون النفط شئون خاصة بالامارة وعندما سئل وزير النفط الاتحادي عن شئون النفط في احدى الامارات اجاب بانه لايعرف عنها سوى ما ينشر في الصحف وايضا التوزيع الداخلي للبترول فهو يختلف داخل الدولة ، فهو في الشارقة ودبي في قبضة الشركات الاجنبية وهو اعلى سعرا ، وتكررت ازمات التوزيع فيهما ، اما في « ابو ظبي » فهو في ايدى الشركة الوطنية واسعاره ارخص !!

وكل هذه الظواهر المتنافرة تقودنا الى تجربة الاندماج في الدولة الواحدة ، والتي تنشط حينا ، وتتعثر حينا ، وما زالت قضية « الوحدة » قضية ساخنة ، وما زال يتجاذبها طرفان ، احدهما يدفع الى مزيد من الخطوات الوحدوية والآخر يعمل على الحفاظ على التكوينات القديمة ، الجديد ظهور قوى شابة منتشرة في دولة الاتحاد تدعمها

عمارات شاهقة في الشارقة والى جوارها احد الابراج القديمة

قوى شعبية واسعة تطالب بالحاح بسرعة اتمام الاتحاد .

فلم يكن مقبولا بعد الاستقلال في نهاية عام ١٩٧١ قيام تلك الكيانات السياسية بالغة الصغر ، ولم يكن مألوفا تلك الظاهرة التي لا مثيل لها في الجغرافيا والسياسية ، الا وهي تناثر اجزاء كل مشيخة او امارة كالشظايا ، فتتألف كل من ابو ظبي ودبي ورأس الخيمة من قسمين منفصلين وتتألف عجمان من ثلاثة اجزاء ، والشارقة من خمسة - كما سبق ان ذكرت - ولم يكن لمشكلات التشردم والتبعثر هذه ان تزول الا بقيام الاتحاد وانجازه

وترى القوى الشعبية العريضة في المطالبة بسرعة بناء الاتحاد ، آفاقا رحبة ، فالدولة الجديدة تملك بوحدتها اسباب التقدم والانطلاق ، فمساحتها تبلغ نحو ٣٢ الف ميل مربع ، وهي تزيد عن بلاد مثل سويسرا وبلجيكا وهولندا ، ولا تقل عن مساحة النمسا او المجر واراضيها حبلى باحتياطي للنفط يبلغ ٣٠ بليون برميل .

ويقوم منطق هؤلاء على ان دولة الامارات ليست غنية فالدخل السنوى الكبير الذى تحصل عليه ، ليس دخلا متجددا ، بل هو تحول للثروة القومية الموجودة في باطن الارض لا يتم الحصول عليها سوى مرة واحدة

الامارات بين الغنى والفقر ...!!

واذا كان التفاوت في الثروة الموحود داخل الدولة المتمثل في وجود امارة غنية واخرى فقيرة ، امارة ذات

عنى اسطورى مثل ابوظبي واخرى فقيرة جدا مثل الفجيرة ، وعجز الامارات الصغيرة على تحمل اعباء الادارة اذا كانت هذه اسباب التمكك فيقابلها وجود ثروة النفط القادرة على سد هذه الفجوة والانفاق على تلك الامارات التي لا تتمتع بالنفط حتى تساعد ثروة النفط على تقصير المسافة بين مختلف الامارات

واذا حرينا الاجابة على سؤال يتردد كثيرا هو ما دور النفط واثره على الوحدة ؟، نجده هنا يساعد تجاوز الفجوة بين الامارات الغنية والفقيرة ، ولكنه أيضا وراء محافظة بعض هذه الامارات على استقلالها ورغبتها في الاستئثار بدخلها

وبالفعل ظلت ابو ظبي الواهب السخي في الاتحاد ، وقامت بدور رئيسي في بناء الاتحاد ، فهي الممولة الرئيسية للميزانية ، وقد اعادت في صياغة الوحدة مع التعدد ورغم التنوع

اما الصعوبات فتبقى متمثلة في الاوضاع التقليدية القديمة ، والقائمة على النزعة الفردية التي تصل الى حد الانفصالية . وبقيت قضية بناء الاتحاد خاضعة للعبة « شد حبل » حادة بين الامتيازات التي خلقتها الاوضاع التقليدية وبين الهيئات الاتحادية التي تكون الدولة الجديدة

وبقيت عبارات مثل « على جميع الاعضاء احترام استقلال الامارات وسيادة كل منها » وبقاء مبدأ الاجماع الذى يشترط لصدور القرارات ، ليضعف التطور الاتحادى

ومن المعلومات ايضا ، أن معظم اراضي الامارات بادية فقيرة تفرز النمط البدوى مما يدعم نظام القبيلة ، ذلك النظام الذى سبق ان وصفه احد الكتاب العربيين بقوله « انه صورة متحفية من ماضي البشرية السحيق قبل ان يعرف العالم معنى الدولة » ».

وهذا العامل في طريقه الى الزوال او بدقة يزول بمدى التطور الذى تشهده الدولة ، ليس في المدن الساحلية التي تطورت بالفعل ، بل في المناطق الداخلية النائية كما يعوق تجربة الاندماج في الدولة مجموعة من التصورات الخاطئة لدى البعض ، مثل تصور ان الاتحاد تطور بمجلس المتصالح الذى اقامته بريطانيا عام ١٩٥٢ ، لكي يلتقي فيه الحكام المحليون لتبادل الرأى

او تصور ان الاتحاد لايزيد عن « اتفاق » شبيه لما وقع في مايو عام ١٨٣٥ ، والذى كان يقضي بعدم الاعتداء خلال « فترة مصالحة » في شهور الصيف عندما يبدأ صيد اللؤلؤ اما الحركة الوحدوية فهي تتخطى الصيغ الدستورية القائمة ، وتندفع لبناء الاتحاد . واذا كان وضع التجزئة قادرا على تلاقي المعوقات الداخلية لاستمرار الاوضاع القديمة ، فان تزايد الشعور القومي وبمطلب الوحدة الاقليمية للخليج كخطوة نحو الوحدة العربية الشاملة ، ليس لدى هؤلاء ترفا ولا كلاما بل ضرورة حتمية .

ويتزايد تيار الدعوة لانجاز الاتحاد مع كل مدرسة تقوم ، ومع كل مصنع يشيد ، وحدة تدريجية اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية ، فيدفع ذلك الى استكمال البناء الاتحادى ، وصدور الدستور الدائم ، الذى ينهي الولاء المزدوج ، ويحل جذريا مشاكل الحدود القائمة بين الامارات ، كما يدفع الى تحقيق الوحدة الاقتصادية والجمركية ، وقيام ادارة تخطيط مركزية

بل ذهبت الى مدى ابعد فانحازت الى القوى الشابة الجديدة في معركة بناء الاتحاد

هموم المستقبل

وبقي صوت الشباب ، صوت المستقبل ، ففي جلسة ضمت عددا من الشباب المثقف بعضهم حصل على درجات علمية من الخارج ، وبعضهم يعمل بالتجارة ومنهم السفير والطبيب والكاتب ، بينهم المسؤول والمواطن العادى ، وقد رتب الجلسة احد الاصدقاء لتكون خاتمة جولتي ، وعكست الاراء التي سمعتها هموم المستقبل

وكان على رأس الموضوعات التي اثيرت مستقبل الاتحاد ، الذى اتفق الجميع ان المواطن ، هو الحاسم في بناء دولة الاتحاد وسيخلق الظروف الافضل على الدوام لصالحه ولصالح الاتحاد . ثم انتقل بنا الحديث بلا ترتيب

مسات الفن في اقدام مواطنه من الشارقه

... نفسه فلسفيه تدور حول معنى التقدم ؟ وما هي معاييره وهل هو السايات الصحمة هو ارتفاع مستوى دخل الفرد او متوسط ما يستهلكه من سلع ضرورية او كمالية ؟

وقال احد الشباب العائد من الخارج ان قياس مدى التقدم في دولة ما ، بمتوسط دخل الفرد او بعدد التليفزيونات ، او ارتفاع المباني المشيدة لا يكفي ، فهذه جميعا مؤشرات على ما يتمتع به المواطن ، بل ان الشرط الرئيسي ان يكون حصول المجتمع على السلع والخدمات ناتجا عن ارتفاع قدرته الانتاجية

وقاطعه آخر واضيف للتقدم بعدا جديدا هو ما يتمتع به المواطن من الحرية والمساواة واكمل الشاب الاول اذا اعتمدنا على مستوى دخل الفرد فان دولة الامارات تكون قد وصلت الى أعلى درجات التقدم ، اما انتاجية الفرد فمازالت تحتاج الى مزيد من الجهد والتغلب على المزيد من الصعوبات

وتساءل الكاتب ان السؤال الهام ، هو كيف تساعد الثروة على حدوث التقدم ؟ واجاب اذا أدى وجود الثروة الى انعدام الحافز على النشاط الانتاجي والابداعي او اذا ما عطل وجود الثروة الممارسة الانسانية في العمل الخلاق فالثروة حائل أمام التقدم .

واكمل آخر « بالنسبة للخبرة الاجنبية نلاحظ انه في كل يوم يأتي احد الاجانب يحمل حقيبة ويعرض انشاء مشروع ما . فلماذا يأتي الاجنبي من آخر الدنيا للقيام بهذا العمل ولا نقوم به بانفسنا ، اذا كان يمثل حاجة اساسية وابرع الخبراء الاجانب هم الذين يأتون حاملين نماذج مشاريع ، وليس من الضروري ان نكون في حاجة لها ، اما لانها سابقة لأوانها أو تلائم بلدا آخر اوروبيا او امريكيا ، ومع ذلك يقبل المشروع بدافع الرغبة الملحة للحاق بموكب العصر

فيجب تحديد نوع الخبرة وتخطيط الاستفادة منها ، وبدلا من استيراد العمال اصحاب المهارة الخاصة ، نستورد من يقوم بتدريب ابناء البلاد على هذه المهارات ، والواقع ان المشروع لايتم الا اذا جاء ذلك الاجنبي بمجمعا ثم يحصل هو على النتيجة والعائدة »

واستدرك قائلا لست ضد الاستفادة من الخبرة الاجنبية ، ولكن بعد استنفاد الخبرة العربية ، وبالطريقة الصحيحة والتي تضعهم في خدمة اهدافنا لا من اجل خدمة اهدافهم ، واضاف احد الذين ينصتون باهتمام قائلا إني اتساءل كم بنكا فتح فرعا له ؟ وكم شركة استثمار اقيمت ؟ واجاب ينبغي ان ينشأ مجلس قومي للاستثمار ، يخطط للدولة ، ويجمع في عضويته ممثلي شركات الاستثمار في المجال الواحد »

هذه نماذج للحديث الذي دار في مكان ما على شاطىء الخليج ، وهذا الحديث والقضايا التي اثيرت تعكس نظرة ناضجة نحو المستقبل ، وادراكا كاملا للمشاكل ، واذا اتسع هذا التفكير وساد فستكون نقطة تحول اساسية في دولة الامارات العربية ■■

مصطفى نبيل

بقلم الدكتور عبد العظيم انيس

جاسبار مونج عبقرية رياضية فرنسية من نوع خاص ، عاش حياة حافلة علميا وسياسيا وهندسيا ، وشاءت الاقدار أن يولد في أسرة معدمة كبيرة العدد (كان أبوه بائعا متجولا يقوم بشحذ السكاكين للمنازل) وأن يعاصر انفجار الثورة الفرنسية فكان أحد رجالاتها المرموقين ثم ارتبط ارتباطا وثيقا بنابليون حتى أصبح صديقه الصدوق في السراء والضراء ، صاحب نابليون في حملته العسكرية على مصر ، وكان مونج أبرز أعلام البعثة العلمية التي أحدها نابليون معه الى القاهرة حيث أسس « المجمع المصرى » ، وكان هو الرجل الوحيد الذى أخذه معه نابليون عند عودته سرا الى فرنسا

ولقد ظل مونج (١٧٤٦ ـ ١٨١٨) على وفائه لنابليون حتى هزيمته في معركة واترلو ، وعندما أصبح واضحا أن أوربا قد هزمت نابليون نهائيا وأن الملكية الفرنسية قد استقرت ، كان على مونج أن يختفي من بيت الى بيت خوفا على رقبته من المقصلة ، وفصل من الاكاديمية العلمية الفرنسية بناء على ضغط الملك ، ومات وهو مطارد ، ووصلت الخسة بعائلة « البوربون » الى حد رفض طلب تقدم به طلاب المدرسة العليا للبولتكنيك للاشتراك في الجنازة !

ان العالم المتحضر كله مدين لمونج باكتشافه علما كاملا وهو الهندسة الوصفية ومع أن هذا العلم قد تطور كثيرا منذ مونج الا أن كل التطورات التالية تعود الى مونج في جذورها ولقد ظلت الهندسة الوصفية فرعا من فروع الرياضيات التطبيقية زمنا طويلا ، لكنها لم تعد تثير اهتمام علماء الرياضيات اليوم ، لانها أصبحت علما مغلقا يصعب فيه أى اجتهاد ، ولانها انتقلت الى كليات الهندسة في جامعات العالم فأصبحت الأساس في بعض فروعها

ولكن مونج لم يكتف بهذا الاكتشاف مع أنه كـ. كافيا لتخليد اسم أى عالم كبير ، وانما أثار انتباه على

عصره ، فاقحامه علم التفاصل والتكامل في دراسة انحناء السطوح ، ووصل في هذا المجال الى درجة أن لاجرانج ـ أبرز علماء الرياضيات الفرنسيين آنذاك ـ قال بعد سماع محاضرة لمونج في المدرسة العليا للبولتكنيك

« لقد سرني مونج اشياء هامة جدا كنت أود أن أعرفها بمعنى وان هذا الشيطان سوف يخلد اسمه بتطبيقه للتحليل الرياضي على علم الهندسة »

أضف الى هذا اكتشافاته الهامة في ميدان المعادلات التفاضلية ، وأنه وصل الى كل ذلك وهو مشغول بأعماله السياسية والمناصب الكبرى التي تولاها وطلبات نابليون التي لا تنتهي حتى نرى أي عبقرية هذه التي تقمصت روح مونج وحلت شخصيته

طريقان للنجاح

كان مونج فقيرا في مولده ، فقد كان ابوه بائعا متجولا في فرنسا قبل الثورة ، ولكنه كان شديد الاحترام للتعليم كافح من أجل ارسال أولاده الثلاثة الذكور الى المدارس ، وتفوق الثلاثة ولكن جاسبار كان نابغة العائلة !

في المدرسة كان جاسبار يحصل على جوائز التفوق في كل المواد ، وتفوق على التلاميذ المتفوقين باهتمام خاص في الميكانيكا والهندسة ، وكانت هذه أول اشارة الى اتجاه مونج في المستقبل وعندما كان مونج في الرابعة عشرة أذهل أهل قريته بتصميمه لماكينة لاطفاء الحرائق ، وإذ سئل كيف استطاع ذلك دون نموذج أمامه كانت اجابته

« ان لدى طريقين لا يخطئان للنجاح عناد لا يقهر ، واصابع قادرة على أن تترجم أفكاري باخلاص هندسي »

لقد كان مونج بالفعل « مولودا هندسيا » اذا جاز هذا التعبير ، اذ كانت لديه قدرة خارقة على تصور أعقد علاقات الفضاء في لحظات

ثم أذهل أهل بلده ـ وهو في السادسة عشرة ـ بكار جديد آخر فقد استطاع أن يرسم خريطة ساحية للبلدة دون مساعدة من أحد ، مستخدما في ذلك آلات مساحية من ابتكاره هو وكانت هذه الخريطة المذهلة في دقتها هي فاتحة المستقبل لكل حياة مونج التالية

فقد اقترح أساتذته تعيينه مدرسا للفيزياء بمدرسة في مدينة ليون وهو لا يزال في السادسة عشرة ـ وتم تعيينه بالفعل ، وكان مدرسا ممتازا الى درجة أن ادارة المدرسة ألحت عليه بقبول عقد دائم للتدريس بها وذهب جاسبار يسأل أباه النصيحة ، ولكن الاب الأريب أشار بالتريث ، فقد كان مؤمنا أن مستقبلا أروع من هذا ينتظر ابنه

ثم شاءت الاقدار بعد هذه الواقعة بأيام أن يزور بلدة مونج ضابط مهندس من خريجي المدرسة الفنية العسكرية في « ميزيرير » ، وأن يطلع على خريطة مونج ، فأعجب بها اعجابا شديدا حتى انه ألح على مونج الاب أن يرسل ابنه فورا الى المدرسة الفنية العسكرية ولكن هذا الضابط نسي أن يذكر أن أبناء الارستقراطية الفرنسية فقط هم الذين يسمح لهم بالتخرج من هذه المدرسة كضباط أما أبناء « الرعاع » فيقومون بالاعمال الفنية المساعدة فقط عند تخرجهم من المدرسة !

والتحق مونج بالمدرسة العسكرية ، ولم يثنه هذا التمييز الاجتماعي عن العمل الجاد في المدرسة ، وعن التمتع بحياته الجديدة لقد كانت واجباته الروتينية في المساحة الارضية والرسم الهندسي تترك له وقتا كافيا للاهتمام بالرياضيات ، وبفروع الهندسة على وجه الخصوص

سر الهندسة الوصفية

وفي أحد الايام الهادئة العادية في حياة مونج بالمدرسة الفنية العسكرية ، وقعت الواقعة التي أحدثت دويا شديدا ، وكانت في الحقيقة بداية علم الهندسة الوصفية وكان من نتائجها أن طلبت المدرسة من مونج أن يقسم على الاحتفاظ بالسر ، وظل محافظا عليه طيلة خمسة عشر عاما الى أن سمح له أن يلقي أول محاضرة عن الهندسة الوصفية ... كان المقرر الاساسي من مقررات هذه المدرسة هو ما سمي « نظرية التحصين

المواقع » . وكانت القضية الرئيسية في هذه النظرية تتمثل في كيفية تصميم الاعمال الهندسية الخاصة بالتحصين العسكري بحيث لا ينكشف أي جزء من الموقع لنيران العدو وكانت الطريقة المعروفة انذاك في هذا التصميم تتطلب عمليات حسابية معقدة تستغرق أسابيع لانجازها ولكن مونج سلم الضابط الاساتذة حلا لمسألة من هذا النوع دون بذل أي مجهود كالذي يبذله زملاؤه في اسابيع ورفض الضابط العظيم ان يراجع حل مونج قائلا

« لماذا اضيع وقتي في مراجعة هذا الحل المزعوم الذي لم يكلف صاحبه نفسه عناء مراجعة ارقامه »

ولكن مونج أصر في عناد قائلا أنه لم يستخدم في طريقته الجديدة أي حسابات في الوصول الى الحل وروجع حل مونج بعد الحاح فاذا به هو الحل الصحيح !

في اليوم التالي تحول مونج من تلميذ الى مدرس ، فقد عينته المدرسة مدرسا وظيفته الجديدة هي تعليم الطلاب هذه الطريقة الجديدة التي حولت كثيرا من قضايا الهندسة العسكرية من فرع مخيف الى مسألة بسيطة . وأقسم مونج في اليوم ذاته ـ أمام كبار المسئولين في المدرسة ـ ألا يذيع هذا « السر العسكري » لاحد خارج المدرسة . وظل هذا السر مطويا الى أن سمح له ـ بعد الثورة بخمس سنوات ـ ان يحاضر علنا في الهندسة الوصفية في المدرسة العليا بباريس كان لاجرانج ايضا من حضور هذه المحاضرة . وكان تعليقه بعد المحاضرة شبيها بتعليق جوردان في مسرحية موليير الذي اكتشف أنه يتكلم نثرا طوال حياته ، فقد قال لاجرانج

« قبل سماع مونج لم أكن ادري انني اعرف الهندسة الوصفية » !

أستاذان في واحد !

ما هي الهندسة الوصفية اذن ؟

هي طريقة لتمثيل المجسمات العادية على مستوى واحد وهي ببساطة تقوم على رسم مساقط عمودية لاي مجسم على المستوى الافقي وعلى المستوى الرأسي ، ثم ادارة المستوى الرأسي بحيث يكون في مستوى المستوى الافقي . أي أنه في الحقيقة يكون لدينا لاي مجسم مسقطان متجاوران في مستوى واحد (وهو لوحة الرسم ويمكن لاي رسام ـ بعد تدريب قصير ـ ان يكون قادرا على قراءة هذه المساقط بالسهولة التي يقرأ بها الانسان العادي صورة فوتوغرافية وهذا الاكتشاف الذي تبدو فكرته اليوم بسيطة شكل مدخل هو أساس علم الهندسة الميكانيكية ، وعلوم هندسية كثيرة

وفي عام ١٧٦٨ كان مونج في الحادية والعشرين من عمره ، ولكنه عين في هذا العام استاذا للرياضيات بالمدرسة الفنية العسكرية . وبعد ثلاث سنوات عين أيضا بنفس المدرسة أستاذا للفيزياء عقب وفاة استاذ الفيزياء بها وان الانسان ليدهش كيف استطاع هذا الشاب أن يقوم بعمل أستاذين في نفس الوقت وبهذه الدرجة من الجدارة ؟

ليس ثمة تفسير لهذا الا أن يكون مونج صاحب جسد غير عادي كما كان صاحب عقل غير عادي أيضا

ثم استدعى مونج عام ١٧٨٠ الى باريس لمهمة عاجلة فقد اقتنعت الحكومة الفرنسية ـ بناء على الحاح بعض علمائها ـ بضرورة انشاء معهد جديد لدراسة علم الهيدروليكا . وأخذت بالتالي تبحث عن مدير له وكان مونج هو المرشح الاول وبالفعل قبل مونج ادارة المعهد الجديد على أن يقضي نصف الاسبوع في المعهد الجديد ونصفه الآخر في المدرسة الفنية العسكرية

وبعد ثلاث سنوات من هذا التعيين ، عندما بدأت حكومة فرنسا تدرك الاهمية القصوى للاسطول الحربي في مواجهة بريطانيا ، وافقت على اعفاء مونج من كل مهامه حتى يتفرغ لامتحان واختيار المرشحين لدخول البحرية من الضباط . وظل مونج في هذا المنصب حتى انفجار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩

أنذاك كان حلم كل العائلات الارستقراطية في فر[illegible] هو ارسال أبنائها ليصبحوا ضباطا في البحرية ، وك[illegible] وسيلتهم في الوصول الى هذا هي الوساطة والصد[illegible] وممارسة النفوذ . وكان مونج ابن « الرعاع » هو [illegible] المسئول عن اتخاذ القرار في المرشحين وفي هذا [illegible]

كان حازما وعادلا ملتزما بمعايير موضوعية فى الاختيار الى درجة أعصبت منه الاستقراطية الفرنسية ، ورغم تهديده مرارا وتكرارا صمم على مواقفه قائلا

« احموا عن شحص آحر غيرى اذا كان ما أفعله لا يعجبكم » ا

ولكن المؤرخين اليوم يشهدون أن مواقف مونج الحازمة كانت أحد الاسباب فى توفر قوة بحرية قادرة لفرنسا عندما وقعت الثورة وما بعد دلك

ثم وقعت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩

ولم يكن مونج غريبا على الثورة ، فهو ابن « الرعاع » بالمنشأ ، وتجاربه الاجتماعية المريرة أولا فى المدرسة الفنية العسكرية ثم مسئولا عن اختيار ضباط البحرية كانت تؤهله ليكون ابنا للثورة لقد كان مونج ثوريا بلا ادعاء ودون اصطناع ، وليس اذن غريبا أن تعينه الثورة عام ١٧٩٢ مسئولا عن البحرية والمستعمرات ومع انه لم يكن مرضيا عنه فى عهد الارهاب باعتباره ليس راديكاليا بدرجة كافية ، الا أن استقالته رفضت اكثر من مرة لانه كان من النوع الذي ستحيل الاستغناء عنه ا

وفى ابريل سنة ١٧٩٣ وافقت السلطات على استقالة مونج من جميع مناصبه حتى يتفرغ لاعمال اكثر خطورة ، فقد كان واضحا أن الهجوم على فرنسا على وشك أن يبدأ ، وكانت فرنسا خالية من السلاح والذخيرة وكان مونج ـ بالاضافة الى الكيميائى برتولى ـ هو روح عملية اعداد جيش فرنسي جديد مسلح تسليحا جيدا قوامه ٩٠٠ الف رجل

خطاب من نابليون

فى عام ١٧٩٦ بدأت المرحلة الثالثة والاخيرة فى حياة مونج بخطاب من نابليون اليه يذكره فيه بلقاء تم بينهما ١٧٩٢ يقول نابليون فى خطابه

سمح لى أن أشكرك على هذا اللقاء الحار الذى لقيه ضابط صغير فى المدفعية من وزير البحرية لقد أصبح ضابط الصغير ، قائدا لجيش ايطاليا ، وهو سعيد أن يمد اليك يده كصديق معبرا بفضلك »

وهكذا بدأت الصلة الحميمة بين مونج ونابليون وظلت حتى الممات كتب أرجو يصف هذه العلاقة فى مذكراته

« كان نابليون يقول ان مونج يحبنى كما يحب الرجل عشيقه ، ومن الواضح أن مونج كان هو الرجل الوحيد الذى يحمل له نابليون صداقة بلا دوافع انانية »

وتطورت هذه الصداقة الى درجة أن مونج عاش مع نابليون فى قصره بأودين ، وأصبح الاثنان صديقين لا يفترقان نابليون سعيد بمناقشات مونج ومعلوماته التى لا تنضب فى كل شئون المعرفة ، ومونج سعيد بلمحات نابليون الذكية وأحلامه لمجد فرنسا ونكاته اللاذعة

وبلغت ثقة نابليون بمونج الى درجة أنه أرسله الى ايطاليا رئيسا للجنة التحقيقات التى ذهبت الى هناك للتحقيق فى حادث مقتل الجنرال الفرنسي ديفو الذى اغتيل بالرصاص فى وسط روما ، وهو واقف الى جوار لوسيان بونابرت ثم أن مونج كان واحدا من القلائل الذين أسر اليهم نابليون مبكرا باستعداداته لغزو مصر عام ١٧٩٨

كان نابليون يحلم بفتح مصر لتهديد خطوط مواصلات بريطانيا الى الهند ، ولكنه كان يغلف هذا المشروع بادعاء رغبته فى « مساعدة شعب مصر البائس وتحريره من القيود الوحشية التي يرسف فيها منذ قرون ، ثم لمنحه أخيرا ودون تأخير كل فوائد الحضارية الاوروبية »

واصطحب معه فى هذه الحملة بعثة من كبار علماء فرنسا ، على رأسهم الفرسان الثلاثة مونج المهندس والرياضى ، فوربيه الرياضى النابغة وصاحب النظرية الحديثة فى الاتصال الحرارى ، وبرتولى الكيميائى الذى لعب دورا أساسيا فى توفير ملح البارود بفرنسا

انتقام بعد الموت

كان مونج مع نابليون فى سفينة القيادة « الشرق » عندما وصل الاسطول الفرنسي الى الاسكندرية فى أول

يوليو ١٧٩٨ ، وقد رغب مونج في المشاركة بالمعارك ولكن نابليون رده بحزم ، وأمر أن ترسل البعثة العلمية في قوارب في النيل الى القاهرة ويذكر التاريخ أنه بينما كان نابليون يمضي بقواته برا بمحاذاة النيل ، وكان قارب العلماء يمضي في النهر بالقرب من قوات نابليون تعرض القارب لهجوم مفاجيء من المصريين ، وكان مونج على وشك أن يدفع حياته في المعركة التي نشبت لولا أن تدخل نابليون لانقاذه

وفي ٢٠ يوليو عام ١٧٩٨ دارت معركة الاهرام التي انتهت بانتصار قوات نابليون ودخولها القاهرة ، وفي ٢٧ أغسطس أسس « المجمع المصري » ، وسبق رحالات مصر من العلماء لحضور حفل الافتتاح حيث عرض برتولى تجاربه السحرية في الكيمياء ، وتكلم فورييه عن عظمة حضارة مصر الفرعونية ، وعرض مونج بعض المقطوعات الموسيقية

ومع ذلك لم يرحب المصريون بالفرنسيين ، فلم يمض على حفل الافتتاح أيام حتى كان المصريون قد قتلوا ثلاثمائة من جنود فرنسا في كمين ، وكان لهذا الحادث من المقاومة الشعبية دلالته وأثره السيء على نابليون

ثم بدأت الانباء المزعجة تصل نابليون من باريس ، وعندئذ قرر العودة سرا ، ولم يصحب معه في رحلة العودة غير مونج الذي أعطاه تعليمات صريحة بأن يدمر السفينة بالبارود من فيها اذا تعرض البريطانيون لها

وفي باريس ظل مونج الى جانب نابليون صديقا حميا وشجاعا قادرا على مصارحة نابليون والخلاف معه دون أن يخشى أذاه وعندما توج نابليون نفسه امبراطورا كان طلاب المدرسة العليا للبولتكنيك من اوائل المتمردين على هذا التتويج تلك كانت مدرسة مونج ومحور جهاده وفي لحظة من لحظات الاسى قال نابليون لمونج

« ان تلامذتك قد تمردوا ضدي لقد اعلنوا أنفسهم أعداء لي »

ورد مونج في هدوء « سيدي ، لقد شقينا حتى نجعلهم جمهوريين اعطهم الوقت ليكونوا امبراطوريين وفوق ذلك اسمح لي أن اقول إنك تحولت بشكل مفاجيء » !

رغم هذه الصراحة كان نابليون يقدر مونج ويحبه الى درجة أنه منحه لقب « كونت » ومنح مونج السعادة عندئذ أنه صوت بحماس قبل ذلك لالغاء الالقاب !

وبسبب سنه لم يستطع مونج ان يصحب نابليون في حملاته العسكرية التالية ، فلم يذهب معه الى روسيا ولكنه كان يتابع النشرات العسكرية بحماس حتى أصيب بنوبة صرع عندما قرأ النشرة التاسعة والعشرين التي أعلنت تراجع جيش فرنسا أمام شتاء روسيا القارس وجيشها

وعندما هرب نابليون من جزيرة « البا » لم يكن مونج ـ على عكس فورييه وآخرين ـ واحدا من مثقفي الثورة الذين خانوا نابليون وانحازوا الى أعدائه ـ لقد ثبت مونج الى جانب نابليون حتى معركة واترلو الى درجة أنه عندما فكر نابليون في الهجرة الى الولايات المتحدة عرض مونج عليه أن يصاحبه في هذه الرحلة ولكن نابليون رفض قائلا

« انك رجل عجوز الآن ، وأنا في حاجة الى رجل اصغر »

في اكتوبر عام ١٨١٥ كان نابليون قد وضع في قفص « سانت هيلانه » نهائيا ، وبدأت رحلة المهانة للعالم العجوز مونج ، فقد كان أعداؤه يريدون اعدامه ، وأخذ يهرب من مكان لآخر انقاذا لرقبته ، وفي عام ١٨١٦ أصدرت الاكاديمية الفرنسية ـ وباللخزي ـ قرارا بطرده من عضويتها بناء على الحاح الملك !

وفي يوم ٢٨ يوليو ١٨١٨ مات مونج ، وطلب تلاميذ المدرسة العليا للبولتكنيك موافقة الملك على اشتراكهم في جنازة مونج ولكن الملك رفض

وبالفعل احترم التلاميذ قرار الملك بعدم الاشتراك في الجنازة ، ولكنهم في اليوم التالي للجنازة ساروا في مظاهرة كبيرة الى المقبرة التي دفن فيها ، ووضعوا على قبره اكليلا من الزهور كتب عليه بالخط العريض

« تحية لذكرى المعلم والصديق جسبار مونج » ■■

د عبد العظيم أ س

افقياً:

أحمد بن طولون

رأسياً:

حسان بن ثابت

(٨) افقيا احمد بن طولون خدم في طرسوس
ونال ثقة الخليفة المستعين والى مصر عام ٨٦٨م استقلّ
بالحكم وانشأ القطائع عاصمة جديدة له بالقرب من
الفسطاط مدّ سلطانه على مصر وسوريا والموصل
وبنى الجامع المعروف باسمه بمصر

(٨) رأسيا حسان بن مالك أمير بادية الشام
من قوّاد معاوية يوم صفين سيف الخليفة يزيد
الاول حكم فلسطين وبلاد الاردن في عهد معاوية
ويزيد ، وتوفي عام ٦٥ هجرية

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها ياسين حصير علي الدوري بغداد ـ العراق

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها محمد سعيد الدعيسي بيروت / لبنان

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها محمد نافع حمد العطاري مكة المكرمة / السعودية

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من .

١ ـ محمد الطاهري وجدة / المغرب

٢ ـ صباح حسن علي جابور عمان / الاردن

٣ ـ جلال امين حمد توفيق الاسكندرية / مصر

٤ ـ محمد هاشم الخطيب دمشق / سوريا

٥ ـ نجلاء رأفت البوريو الخالدية / الكويت

٦ ـ خليل عبد الحميد عبد الفتاح ابو ظبي / الامارات العربية

٧ ـ سلطان محمد حربان البحرين

٨ ـ محمد عبد اللطيف الدوحة / قطر

المهدئات والشعور بـ...

شاع استعمال المهدئات بمختلف أنواعها مع تقدم الحضارة المعاصرة وتزايد ما يلاقيه الانسان من إرهاق ومنغصات في عمله ، وعلى رأسها الليبريوم والفاليوم ، ويعد الأول أسلم في الاستعمال لأن الثاني قد يؤدي إلى ارتخاء عضلات الأطراف إذا ما استعمل بكميات كبيرة وباستمرار ، في حين أن الأول أسلم من هذه الناحية ومن ناحية إمكان استعمال مقادير أكبر مما في حالة الفاليوم إذا اقتضى الأمر فقد يمكن عند الحاجة استعمال مائة ملليجرام منه في اليوم الواحد بارشاد الطبيب دون ضرر وذلك بخلاف الحال مع الفاليوم ، ولكن ينبغي أن نتذكر أنه كلما ارتفعت نسبة تناول المهدئات قل الشعور بالمسؤولية عند متعاطيها ، رغم أنها لا تحمل الانسان على الادمان عليها ، وان كان مفعولها أشبه بمفعول الكحول ، فتناول كميات كبيرة منه تجعل المرء منطلقا في تصرفاته إلى حد الخروج عن الشعور بالمسؤولية

وما دام الليبريوم والفاليوم والموكادون mogadon أكثر شيوعا بين المهدئات المستعملة اليوم ، فمن المستحسن اعطاء فكرة عامة عن خصائص كل واحدة منها ليكون المرء على بينة من أمرها

الليبريوم والوراثة

فالليبريوم له خصائص التهدئة ، ولاسيا ازالة الشعور بالقلق ، وراحة العضلات ، والعمل ضد التشنج ، لذلك يستعمل في حالات الاضطراب والقلق الحادة والمزمنة والعصاب والتهيج ، وكذلك في الحالات التي يقترن فيها المرض الجسمي بالنفسي كالذبحة الصدرية ، والقرحة المعدية والاثنا عشرية والأمراض الجلدية الناجمة عن اضطرابات نفسية ، والعقد المتسببة عن الادمان الكحولي بما في ذلك حالات الهذيان ، وكذلك في الصداع المتأتي عن التوتر النفسي ، كما انه يعالج الأرق أيضا (ولو أن الموكادون أفضل منه في هذا الشان على نحو ما سنذكر فيما بعد) والبول الليلي في الفراش ، والصرع ، وفي الحالة الأخيرة يستعمل كعلاج مساعد لعلاج آخر ، ويستعمل كمقدمة لمعالجات أخرى كارتفاع ضغط الدم للتأكد من أنه ناجم عن اضطرابات نفسية وعصبية وليس بسبب الكليتين وما أشبه ، لأنه في الحالة الاخيرة يعالج بأدوية خاصة ، ويشمل مفعوله اضطرابات السلوك والعضلات المرتبطة بالعظام والاصابة بالشلل النصفي أو التشنجي ، ومع أنه لم تظهر تأثيرات ضارة كازدياد فعاليته أثناء تناول الكحول فانه من الأفضل عدم تناول المشروبات الروحية أثناء استعماله أو استعمال الموكادون والفاليوم ، ولاسيا هذا الأخير فان الشعور بعدم المسؤولية اذ ذاك يزداد ويتضاعف ، وعلى الأخص عند قيادة السيارة ذلك وما ينطبق في هذا الصدد على الليبريوم ينطبق على جميع العقاقير المؤثرة في المراكز الرئيسية للجملة العصبية ، ومن المفيد أن نذكر هنا أن اقتران تناول الكحول والمهدئات والنتائج الناجمة عن ذلك تختلف من شخص لآخر ، فالأفضل عدم المجازفة في الجمع بينهما

ومن التجارب التي أجريت بالليبريوم على أعداد من الفئران والأرانب والكلاب أمكن التأكد من أن استعماله العلاجي لا يخلف تأثيرات وراثية سيئة مع

* طبيبة باحثة بمستشفيات جامعة اوكسفورد البريطانية

ذلك فانه من الضروري اتباع قاعدة عدم إعطاء الحامل اي دواء بما في ذلك المهدئات إلا بارشاد الطبيب وفي الضرورة القصوى ، ولا سيما في أشهر الحمل الأولى .

وليس لليبريوم تأثيرات جانبية اللهم إلا الشعور بالنعاس والترنح أو عدم انتظام الخطوات في السير أحيانا ، وذلك في المراحل الأولى للمعالجة ، ويلاحظ على الأكثر في المتقدمين بالسن والمرضى العاجزين ، ويمكن تلافي ذلك بخفض الكمية المستعملة · ومع أن هناك تقارير تشير إلى أن الليبريوم قد يسبب ارتباكات أو اختلالات في كريات الدم وقريصاته وكذلك اليرقان ، إلا ان النتائج لا تدل على أن ذلك كان مرتبطا باستعمال الليبريوم بشكل حاسم لا يدع مجالا للشك والشبهة · ولا يمكن الانتحار بالليبريوم فلو تناول أحدهم جرعة كبيرة من نحو جرامين ونصف « جرام » لأدى ذلك إلى التلعثم والصعوبة في النطق واضطراب الخطوات والنعاس الشديد والغيبوبة في الحالات الشديدة ، ويعالج المصاب حسب الأعراض التي تظهر عليه · وغسل المعدة أفضل علاج

ومن الممكن اعطاء الليبريوم مع العقاقير الخاصة بأمراض القلب وضغط الدم والتشنج من دون تردد ، وتقول بعض التقارير أن الليبريوم قد يسبب في المدى البعيد وبكميات كبيرة الاصابة بداء السكر

للنوم فقط

الفاليوم له الكثير من خصائص الليبريوم إلا انه [illegible] حملا للمريض على النعاس ، لذلك من الأفضل [illegible] أكبر قسط منه كمنوم واستعمال وجبات صغيرة منه اثناء النهار ، ويستعمل الفاليوم في معالجة مرض الكزاز او التيتانوس titanus والصرع فضلا عن تشنج العضلات الحاد والقلق الشديد والهذيان في الكلام ، وكتوطئة لمعالجة أسنان مريض عصبي أو في العمليات الصغرى والتشنجات المتأتية عن التسمم · وقد تحور الكميات المعطاة من شخص إلى شخص وحسب تطورات أوضاعه العصبية وحالات قلبه وجهازه التنفسي وخاصة عند اصابته بتصلب الشرايين ، ويؤثر الفاليوم على قابلية الشخص في قيادة السيارة وسلوكه في السير بصور متفاوتة · وفي حالة تخدير المريض أو اعطائه مهدئات أخرى ، علينا أن نتذكر أن الفاليوم يضاعف التأثيرات الناجمة عنها ، وهذا موضع الحذر في الجمع بين مهدئين في آن واحد

وثالث هذه المجموعة هو الموكادون mogadon ومن خصائصه ، فضلا عن كونه مهدئا ، أنه يحمل الانسان على النوم بسرعة لمدة تتراوح بين ست وثماني ساعات ، ويختلف عن المنومات الأخرى في أنه يبعث على النوم بشكل طبيعي ويمكن إيقاظ من يتناوله بسهولة ليعود إلى النوم ثانية دون صعوبة ، ولا يشعر متعاطيه بما يشعر به في اليوم التالي عند تناوله المنومات الأخرى من حيث احساسه بما يشبه خمار السكر ، فهو بهذا أفضل المنومات المكتشفة حتى الآن : ولم يلاحظ الى الآن أي تأثير ذي بال على الدم أو فعالية الكبد عند من يستعملونه ، ولكنه قد يحدث شعورا بالنعاس والتعب أحيانا

ويحذر الأطباء من تجاوز القدر المعين من هذه المهدئات ، فقد لوحظ في بعض الحالات انعدام المسؤولية عند بعض الأمهات إزاء أطفالهن والانهيال عليهم بالضرب المبرح ، وقد تجعل المهدئات الانسان عدوانيا صلفا في كلامه وتصرفاته مع الآخرين ، فهي كما قلنا كالخمر تكشف الطبيعة الحقيقية للشخص ، لذلك من الضروري للانسان أن يحتر نفسه مع المقادير التي يتعاطاها بحيث لا يتجاوز القدر الذي يتناوله الحدود الطبيعية فيفقد السيطرة على إرادته في القول والفعل ، نتيجة تأثير المهدئات ـ على نحو ما تفعل المشروبات الروحية في هذا الصدد سواء بسواء ■■

اكسفورد ـ د صبيحة الدباغ

١ ـ شاد وشيد

يقال « شيد الامير قصرا » اى بناه ورفعه .

فهل يجوز ان يقال بالمعنى نفسه « شاد الامير قصرا »

هذا ما يأباه بعض اللغويين معتمدين في ذلك على بعض المعاجم ، التي تفسر « شاده » هنا بمعنى طلاه ، لانه عندهم مأخوذ من « الشيد » (بالكسر) وهو كل ما يطلى به الحائط من جص او طين ونحوه ، فكلمة « شاده » ـ في نظرهم ـ جصصه او طينه ، وليس بناه ، فاذا اريد البناء قيل « شيده » واذا اريد الطلاء قيل « شاده » وللغويين في هذا كلام كثير لا يعنينا هنا استقصاؤه ، ولكننا نرى ان نعرض ما جاء في كلام الفصحاء وهو اولى بالقبول من كل المعاجم لانه اصلها ، وعنه تأخذ

يقول امرؤ القيس في وصف مطر غزير هطل على واحة « تيماء » فجرف كل ما صادفه من نخل ولم يبق الا ما كان من الحصون مشيدا بالصخر

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا اطما الا مشيدا بجندل

فهل يريد بقوله هنا « مشيدا » (من شاد) ما كان مطليا بالصخر او ما كان مبنيا بها ؟

ويقول عدى بن زيد العبادي (وهو جاهلي مسيحي) في وصف قصر بناه احد ملوك « الحيرة » وكان القصر عاليا حتى ان الطير اتخذت بيوتها عند قمته

شاده مرمرا وجلله كلـ
ـسا فللطير في ذراه وكور

فهل معنى « شاده » هنا طلاه بالمرمر او غطاه ؟ وكيف يتفق هذا مع قوله « جلله كلسا » اى طلاه كلسا اليس الاولى ان نقول هنا انه بناه مرمرا ثم طلاه كلسا ؟

ومثل ذلك قول شاعرنا العباسي بكر بن النطاح (توفي ١٩٣ هـ) في مدح ابي دلف القاسم العجلي ـ وكان القاسم من كبار القواد والولاة والفرسان في عهد العباسيين) وكان الشاعر بكر قد اشترى ضيعة بما اعطاه أبو دلف ، واراد منه ان يعطيه ما يشترى به ضيعة اخرى إلى جوارها معروضة للبيع

بك ابتعت في نهر الأبلة ضيعة
عليها قصير بالرخام مشيد
الى جنبها اخت لها يعرضونها
وعندك مال للهبات عتيد

ويقول شاعرنا ابو العتاهية في مدح المهدى العباسي

انت المقابل والمدا
بر في المناسب والعديد
بين العمومة والخئو
لة والأبوة والجدود
فاذا نسبت الى أبيـ
ـك فانت في المجد المشيد
واذا انتمى خال فما
خال بأكرم من يزيد

اليس معنى « المجد المشيد » هنا هو المجد المبني ، وان كان مجازا

(يزيد الحميرى هنا خال المهدى)

ومثل ذلك ايضا ما جاء من قصيدة في هجاء خديوي مصر عباس حلمي الثاني على اثر عودته من رحلة خارج مصر سنة ١٨٩٧م مطلعها

قدوم ولكن لا اقول . سعيد
وملك ـ وان طال المدى ـ سيبيد

وبعد تعديد مساوىء حكمه واسرته وما جروه على مصر من شرور ، قال الشاعر

وكم صار شمل للبلاد مشتتا
وخرب قصر في البلاد مشيد

ونخرج من كل ذلك بان « شاد » تأتي بمعنى (بنى) ايضا

بقلم : محمد خليفة التونسي

٢ ـ فرد وفردة

يستعمل كثيرا في الفصيحة كلمة « الفرد » بمعنى « الواحد » فنقول « انشدته بيتنا فردا » او « انشدته فرد بيت » اي بيتا واحدا ونجمع « الفرد » كثيرا على « افراد » وهو جمع قياسي وقد نجمعه على « فرادى » وهو جمع غير قياسي ، ولكنه فصيح وان كان اقل استعمالا من « افراد » وقد ورد في القرآن الكريم في وصف يوم القيامة « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة »

وهناك جمع غير قياسي ايضا نادر الاستعمال ، وهو « فراد » على وزن مثله في الاعداد « ثلاث » ، ورباع وخماس ، وسداس عشار »

ومن جموعه القياسية « فرود » مثل نجم ونجوم ، ونهد ونهود ، عين وعيون وهذا الجمع ـ مع قياسيته ـ نادر الاستعمال الا في كتب الفلك ولا سيا كتبه المؤلفة في عصور نهضتنا الفكرية الاولى فقدماؤنا كانوا يطلقونها على الدرارى او النجوم المنعزلة عن غيرها في السماء ، فسموها « النجوم الفرود »

ومن طرائف الأخطاء العلمية في محاولة الأوربيين خلال العصر الوسيط وبداية نهضتهم الحديثة ، الانتفاع بكتب التراث الاسلامي العربي ـ انهم وجدوا في كتبنا الفلكية كلمة « النجوم الفرود » فقرأوا الفاء قافا على سبيل التصحيف ، فصارت الكلمة النجوم « القرود » وترجموها كذلك monkeys اي « القرود » وقد التبست عليهم امثال هذه الكلمات عند تصحيفها ، فأخطأوا فهمها ولذلك ترجموها خطأ .

ويستعمل العرب « الفرد » بمعنى الوحيد لا نظير له ، ومن هنا وصفهم الله بأنه « الفرد » وهو استعمال شائع قديما وحديثا في وصفه تعالى ، وان لم يرد كذلك في القرآن والسنة

وهناك « الفرد » بمعنى نصف الزوج اي نصف شيء واستعمل العرب « الفرد » وصفا للمؤنث ومن ما جاء في الحديث أن انصاريا جاء النبي يشكو أصابته ، ويبدأ شكواه بمدحه فيها ، فيقول

يا خير من يمشي بنعل فرد
اوهبه لنهدة أو نهد

يريد النعل من طبقة واحدة وهي من ملابس الملوك والسادات ، وهم يمدحون برقة النعال ، كما في قول النابغة الذبياني في مدح الغساسنة

رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب

وكما وصفت العرب المؤنث بكلمة « واحدة » وصفوه بالكلمات « فارد وفاردة ، ومفردة » وقالوا ايضا « مفراد » كمثل قولهم « امرأة معطار » تبالغ في عطرها « ومئناث » لا تلد الا اناثا « ومذكار » لا تلد إلا ذكورا ، « ومتئام » لا تلد الا توائم ، ومعنى « مفراد » التي تنفرد وحدها ، او التي لا تلد الا افرادا

ونحن اليوم نكثر من استعمال كلمة « فردة » للمؤنث فهل هي فصيحة

والجواب « نعم » ، ولا نبالي قلة ورودها في الفصيحة او كثرته ما دامت اكثر استعمالا عندنا اليوم في الدارجة وحسبنا انها وردت في فصيح الكلام ، ومن ذلك ما جاء في خبر عن النبي ﷺ حين كان يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى الاسلام في مواسم الحج ، وكان يصحبه في جولاته صاحبه الاكبر ابو بكر الصديق وكان من اعلم العرب بأنسابها ـ فجرى حوار بينه وبين رجل من قبيلة ، ليعرف من اي القبائل هو ، وكان من اسئلته له « فمنكم صاحب العمامة الفردة ؟ » وكان الرؤساء هم الذين يتعممون ، ومنهم عمر بن ربيعة الشيباني الذي كان يوصف بانه « صاحب العمامة الفردة » لانه كان اذا ركب واعتم لم يلبس غيره عمامة مثاله ، اكراما له . وكانت العرب تقول للذكر من الحمام « فرد » وللانثى « فردة » ويقول بشار بن برد في قصيدة غزلية بصاحبته صفراء .

« رأت لها صورة تروق لها
فأقبلت فردة لمفرد »

■■

« لا غني ابدوم ، ولا فقر ابدوم ! »

الأمثال الشعبية في الأردن

بقلم : الدكتور توفيق ابو الرُّب

الامثال الاردنية لها مذاقها الخاص ، رغم ان منابعها هي ذاتها منابع اكثر امثال الامة العربية

في اواخر عام ١٩٧٨ ، صدرت عن وزارة الثقافة والشباب الاردنية مجموعة ضخمة من الامثال الشعبية الاردنية ، من جمع وتصنيف الباحث الشعبي الدكتور هاني العمد . وقد التقطت معظم هذه الامثال المجموعة التي تزيد على اربعة آلاف مثل من افواه الجماهير التي تقطن في الضفة الشرقية لنهر الاردن ، وجمعت خلال سنوات عشر ، من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٧ ، ولكن الباحث قد اعتمد ايضا في بعض الامثال التي حوتها مجموعته الكبيرة على كتب اردنية سابقة أوردت كثيرا من الامثال الشعبية الاردنية ، مثل كتاب « جواهر الحكم » جمع الدكتور بطرس الناز ، وكتاب « مادبا وضواحيها » تأليف جورج سابا وروكس العسريري وكتاب « تراث البدو القضائي » تأليف محمد ابي حسان وكتاب « قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية » تأليف روكس بن زائد العزيزي

والمتأمل في نصوص هذه الامثال الشعبية الكثيرة التي اوردها الدكتور العمد في كتابه دونما إشارة الى علاقتها بتراثنا العربي القديم ، يستطيع أن يلحظ في يسر أن قسما منها له مساس مباشر بتراثنا الفصيح التليد ، من حيث المعنى ، ومن حيث اللفظ ايضا ، مع شيء من التحريف اللغوي الطفيف ، حيث تظهر فيه اللهجة الاردنية الدارجة !

والحق اننا سنستطيع ان نرد هذه الامثال الشعبية التراثية التي لا تزال تتردد يوميا على السنة ابناء الشعب الاردني في قرى وبوادي الضفة الشرقية الى مصادر

اولا : القرآن الكريم

اد يلاحظ ان الشعب الاردني يردد احيانا في امثاله آيات قرآنية بنصها الحرفي ولكن ليعبر بهـا عن معـان اخرى مختلفة عما تعنيه في الاصـل نحـو قولـه تعـالى « والسماء والطـارق » فمـع ان هذه الآية تعـني في الاصل القسم بالسماء وبكوكب الصبح ، الا ان الشعب الاردني يرددها للتعبير عن حالة الفقر والافلاس ! كما انه يردد في احيان اخرى بعض الآيات الكريمة ، ولكن ليدلل بها هذه المرة على معناها الأصلي مع تحريف لغوي طفيف نحو قوله « أبضاعتنا رجعت النا » فالمثل مأخوذ دون ريب من قوله تعالى في سورة يوسف ، الآية ٦٥ ، « هـذه بضاعتنـا رُدت الينـا » كما يحدث في بعض الاحيان ان يتكيء المثل الشعبي الاردني على آية من الآيات دون مراعاة الترتيب اللفظي مثل قول العامة الاردنيين « اللي كاتبه الله بده ايصير » ، اذ يشير المثل في وضوح الى قوله تعالى « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا »

ثانيا . الحديث النبوي الشريف

ويلاحظ أن الشعب الأردني يقتبس مباشرة كثـيرا من امثاله من الاحاديث النبوية الشريفة اقتباسا شبه حرفي نحو قوله « الخيل مناصي الخير » فهو مأخوذ من قول الرسول الكريم « الخيل معقود بنواصيها الخـير » ومثل قوله « اعقل ذلولك قبل ما تنام » ففي المثل اشارة واضحة الى قول الرسول (ﷺ) في نصيحة أعرابي أناخ ناقته دون أن يعقلها متكلا على الله ـ « اعقلها وتوكل » ومثل قول الشعـب الاردنـي « المره مخلوقـة من ضـلـع اعوج » فهو بعض حديث شهير رواه ابو هريره رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، ونصه الكامـل « استوصـوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج ما في الضلع اعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل اعوج ، فاستوصوا بالنساء » ومثـل قولـه « الله خلق الاذى والطب والدواء » فهو شبيه بقول الرسـول الكريم تداووا معشر المسلمين ، فإن الله الـذي خلـق الداء قد خلق الدواء

ثالثا : الامثال والاقوال الفصيحة

ويلاحظ أيضا على كتاب الامثال الشعبية الاردنية أن كثيرا من الأمثال والاقوال القديمة لا تزال حية على لسان الشعب الاردني في البوادي والقرى ، يردد بعضها بنصها الاصلي ودون أي تحريف لغـوي مثـل قولـه « صدرك اوسع لسرك » و « المنية ولا الدنية » و « اذا زاد الشيء عن حده انقلب الى ضده » وقوله « احذر عدوك مرة ، واحذر صاحبك الف مرة » وتمامه في الفصحى لانه ان عاداك ان كان أقدر على المضرة [1] ومثـل قولـه « الدراهم مراهم » و « الاقارب عقارب » وهذان المثلان الاخيران مأخوذان من وصية الفيلسوف الكندي المشهورة لابنه

كما يردد بعضها الآخر مع تحريف عامي طفيف مثل قوله « عيش رجب بتشوف عجـب » و « اللي يصبـر ينول » و « اللي يدق الباب يسمع الجـواب » و « اللي بيته من قزاز ما يرمي الناس بلديا » (الحجر باللهجة الاردنية) ومن الجدير بالذكر ان الدكتور هاني العمد قد لاحظ في الجزء الثاني من اطروحته للدكتوراه الذي لم ينشر بعـد والموجـود نسخـة منـه في مكتبـة الجامعـة الاردنية ـ قد لاحظ ان هناك تشابها تامـا بـين أمثـال المولدين الاعاجم التي اثبتها الميداني في كتابه الشهير « مجمـع الامثـال » ، وبـين بعض الامثـال الشـعبية الاردنية ، مثل قول المولدين « الخيل نواصي الخـير » ، فبعض فئات الشعب الاردني تردد هذا المثـل دُون اي

---

(١) العربي هما بيتان من الشعر ، هذا نصهما

احـــذر عـــدوك مـــرة واحـذر صـديقك ألـف مرة ،

فلربما إنقلب الصديـــق ، فكان أعلم بالمضرة

تغيير ، ومثل قول المولدين « لكل داء دواء » فالاردنيون يقولون في امثالهم « كل داع والودوا » (٢) ومثل قول المولدين « هرب من المطر نقع تحت الميزاب » (٣) فالاردنيون يقولون « منعل من تحت الدلف منقعد تحت المزراب »

والحق أننا لو أردنا هنا أن نذكر كل الأمثال الشعبية الاردنية المأخوذة من الأمثال والاقوال الفصيحة القديمة لطال بنا الكلام

رابعا : الشخصيات والحكايات التاريخية والادبية القديمة

ويلاحظ ايضا ان الشعب الاردني كثيرا ما يشير في امثاله الى شخصيات عربية قديمة ، واسماء بعض الرسل ، مثل اشارة المثل « على مين تقرا مراميرك يا داهود » أي النبي داود ، واصل المثل من قولنا بالفصحى « على من تقرأ مزاميرك يا داود » ، ونحو المثل « بري براءة الديب من دم يوسف » فهو يشير الى قصة النبي يوسف كما وردت في القرآن الكريم ، واصل المثل من قولنا بالفصحى « بريء من الامر براءة الذئب من دم يوسف » ، وكالمثل « الحسن اخو الحسين » يشير الى ولدي فاطمة الزهراء من الامام علي ، ونحو المثل « حكم قراقوش » يشير الى هذا الرجل المشهور الذي ظهر في زمن صلاح الدين الايوبي ، ومع انه كان في الحقيقة رجلا فطنا عادلا ، الا ان احد خصومه ومنافسيه قد شوه شخصيته بين العامة ، الى درجة نسبت اليه فيها احكام

قضائية هي غاية في الحماقة والسخف ومثل ا[illegible] « حكم الزير بالرزازير » و « اللي يوكل حمير ال[illegible] برازي في القرب » يشيران الى المهلهل بن ربيعة [illegible] معركة البسوس المشهورة في العصر الجاهلي والتي [illegible] رحاها بين قبيلتي بني بكر وبني تغلب مدة تزيد عل[illegible] اربعين عاما او ما يقاربها ! ومع أن نقاد الادب العربي القديم ومؤرخيه يخبروننا انه سمي المهلهل لانه هلهل الشعر وانصحه اذ يعتبرون ان اول قصيدة عربية [illegible] تكاملت فيها من حيث العروض والقافية هي قصيدته التي قالها في هجاء بني بكر والتي مطلعها

« حارت سو بكر ولم يعدلوا
والمرء قد يعرف قصد الطريق

الا انه في اواخر عصور الحضارة الاسلامية وا[illegible] ظهور كثير من الملاحم الشعرية النثرية الأسطوري[illegible] مثل ملحمة « عنترة بن شداد » و « تغريبة بني هلال » قد نسج أيضا حول شخصية المهلهل كثير من البطولا[illegible] الخارقة والاحداث الفائقة تحت اسم « الزير سالم » بحيث غدت تشكل ملحمة نثرية شعرية شعبية دائعة اثرت في الاجيال العربية في مختلف البيئات طوال قرو[illegible] عصر الانحطاط !

وحتى مطلع عصر النهضة الحديث ، والمثل الشعب[illegible] الاردني السابق « اللي يوكل حمير العرب برازي[illegible] بالقرب » يشير الى احد الاحداث البطولية الخارقة الت[illegible] قام بها المهلهل كما ورد في الملحمة فقد خاطب الزير اسد[illegible] بهذه العبارة حينما حمل على ظهره قرب الماء وساقه امام[illegible]

(٢) يبدل الاردنيون في لهجتهم الدارجة الهمزة فينطقونها عينا ، كقولهم عن مسؤول « مسعول » وعن « داء » « داع » [illegible] هو واضح في المثل ، وهذه لهجة تميمية قديمة مشهورة وشاهدها قول ذي الرمة

« اعن ترسمت من خرقاء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم »

اراد « ان ترسمت » وشاهدها ايضا ما انشده يعقوب

« فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل
لآخرة لاسد عن ستصيرها »

اراد « لابد ان » انظر كتاب الدكتور صبحي الصالح ـ دراسات في فقه اللغة ص ٩٢

(٣) منعل في اللهجة الاردنية تعني يهرب ، والدلف نزول المطر من خلال سطح البيت

مرعيا . بعد ان كان الليث قد تجرأ على حماره فأكله !

وهناك في الامثال الشعبية الاردنية ما يشير الى بعض الحكايات التاريخية والادبية مثل قول الشعب الاردني « الشاه المدبوحة ما يهمها الصلح » ، فالمثل يشير الى قصة عبد الله بن الزبير حينما ثار [4] على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان في منطقة الحجاز فارسل اليه الحجاج بن يوسف الثقفي على رأس جيش لاخماد ثورته ، فحاصره الحجاج في مكة المكرمة ، ولما شعر ابن الزبير انه سيقع في قبضة الحجاج لا محالة ، ذهب الى امه اسماء بنت ابي بكر الملقبة بذات النطاقين طالبا رأيها ، شاكيا تخاذل أنصاره ، فاشارت عليه ان يواصل المقاومة ، فاجابها انه لا يخشى الموت ، ولكنه يخشى ان يمثل الحجاج بجثته ان ظفر به ، حين ذاك قالت له قولتها المشهورة « يا بني لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها »

وكالمثل الشعبي الاردني « بيعة الغراب اللي اجا يتعلم مشية الصقور ، لا اتعلمها اوتاه عن مشيته » يشير الى الحكاية المشهورة في الادب العربي والحكاية تقول ان الغراب رأى يوما القطاة ـ لا الصقر ـ تمشي فاعجبته مشيتها فحاول ان يقلدها لكنه لم يستطع ، ثم اراد بعد ذلك ان يعود الى مشيته الاولى ، فاذا هو قد نسيها ، عند ذاك احذ يحجل حجلا !

خامسا الشعر الفصيح

ويلاحظ ايضا على الامثال الشعبية الاردنية ان الشعب الاردني كثيرا ما يقتبس امثاله اقتباسا شبه حرفي من ابيات شعرية قديمة مثل قوله

« حادوا علينا الحيرين بمالهم
واحنا بلحانا انجود »

فهو مأخوذ من قول الشاعر

يجود علينا الخيرون بمالهم
ونحن بمال الخيرين نجود

ومثل قوله

أكم رحل يبعد بالف رحل
وكم الف رحل يسيروا بلا عداد

فهو من قول الشاعر

وكم رجل يعد بالف رجل
وكم الف تمر بلا عداد

ونظرا لان الامثال الشعبية بعامة تميل الى الايجاز والقصر ، فيلاحظ ان الشعب الاردني يقتبس في الغالب فقط صدر بيت مشهور أو عجزه ، مثل قوله « سحابة صيف واتمر » فهو من قول الشاعر القديم « سحابة صيف عما قريب تقشع » ومثل قوله « العصا العوجا ، لها ظل اعوج » فهو شبيه بقول الشاعر « لا يستقيم الظل والعود اعوج » ومثل قوله « راح تا يكحلها عور عينها » فهو شبيه بقول حدل بن المثنى الطهوى « وكحل العينين بالعواور » ومثل قول الشعب الاردني « فسر الميه بالميه والظل بالفيه » فهو من قول الشاعر « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » ومثل قوله « اشهر من نار بعرقوب » والعرقوب في اللهجة الاردنية سفح الجبل ، فهو مأخوذ من قولنا بالفصحى اشهر من نار على علم » والاصل في المثل قول الخنساء في رثاء اخيها صخر

« وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار »

وهناك طائفة اخرى من الامثال الشعبية الاردنية فيها اشارات قوية الى تراثنا الشعري القديم مثل قول الشعب الاردني « الاخ جناح » فلا ريب انه مستوحى من قول مسكين الدارمي

---

(4) كان عبد الله بن الزبير هو الذي بويع بالخلافة في معظم البلاد الاسلامية قبل مروان بن الحكم الأموي وابنه عبد الملك في الشام ، فهما اللذان ثارا عليه (العربي)

أخـاك أخـاك ان من لا أخـا له
كسـاع الى الهيجـا بغير سلاح
أخـاك أخـاك انـت فاعلـم جناحه
وهـل ينهض البـازي بدون جناح

ومثل قوله « اللي ما يريدك يكثر عداريبك » فهو شبيه بقول المتنبي [٥]

وعـين الرضـا عن كل عيب كليلة
ولـكن عـين السخـط تبدي المساويا

ومثل قوله « اطول من سنة الجوع » والمفاضلة هنا في الطول وهو شيء مادي محسوس ، وبين زمن محدود مميز عن مساويه في الوقت بالم الجوع والانتظار ، وهو هنا شيء معنوي ، وهذا شبيه الى حد كبير بقول الشاعر لهذا البيت الطريف

« سئمت ان فتـاة رحـت احطبهـا
عرقوبهـا مثـل شهـر الصـوم في الطول »

ومثل قوله « داريهم ما دمت بدارهم » فهو من قول الشاعر لهذا البيت الشهير الذي تذكره لنا كتب البلاغة في باب الجناس

« ودارهـم ما دمـت في دارهم
وارضهـم ما دمـت في ارضهم »

ومثل قوله « لا غني ادوم ، ولا فقر ادوم » فهـو مأخوذ من ذلك البيت المشهور الـذي نجـده في كتب التصـوف ، والـذي اضطـر فيه الشاعـر الى « الاسم المقصور شذوذا من أجل العروض والقافية .

« سيغنينـي الـذي أغنـاك عني
فـلا فقـر يدوم ولا غنـاء

ومثل قول الشعب الاردني « جمل الصيعيري » في الاشـارة الى من يتحمـل من المسـؤولية ما هو فوق طاقته ، ولعل هذا المثل يذكرنا بنقد الشاعر طرفة بن العبد للمسيب بن علس عندما سمعه يقول

وقـد اتنـاسى الهـم عـند احتضاره
بنـاج عليـه الصيعـرية مكدم »

فقد قال استنوق الجمل . « اي أنه كان في وصف جمـل فلما قال الصيعـرية ، عاد الى ما توصف به النوق ، لان الصيعرية سمة حمراء تعلق في عنق الناقة خاصة

ومثل قول الشعب الاردني « لا ترافق ابـو عيون زرق ، وسنان فرق » ، وفي المثل الاردني تحذير من صداقة اللئيم الموصوف بتينك الصفتين ، وفي هذا التقاء مع ما كانت العرب تعتقده ان زرقة العينين مع سمرة الوجه هما من الصفات الدالة على اللؤم في الناس حتى ان بشار بن برد قد اشار الى ذلك في هجائه الشهير لوزير المهدي يعقوب بن داود فقال « زرق العيون عليها اوجه سود » ■■

اربد ـ توفيق ابو الرُب

---

(٥) العربي) البيت ينسب للامام الشافعي

بقلم : الدكتور دحام الكيال ✻

يعتبر القلق دا أهمية عظيمة في تقرير سلوك الانسان ، وغالبا ما يظهر في السلوك ، الذي يتعارض مع اشباع الدوافع الاخرى مثال ذلك أن يتمنى طفل القفز على لوحة الغوص مثل الأطفال الآخرين ولكنه يخاف او أنه يود أن يخبر ابويه بغضبه من مطالبهما غير المعقولة ولكنه يخشى العقوبة ولذا فان الحياة تكون أيسر اذا ما استطاع أن يكيف نفسه للطريقة التي يشعر بها بصورة حمية نحو أمه أو أبيه أو اخيه ، ولكن مجرد التفكير بذلك سوف ينتج المزيد من القلق أيضا فيتعلم تجنب هذه الافعال والافكار ، لأن في التجنب تعزيزا له ، بخفض القلق الناجم من تلك الافكار والسلوك

كيف يبدأ القلق ؟

ما الذي يكون الشعور بعدم الراحة ، مثل خفقان القلب وسرعة النبض ، والشعور بالهبوط في المعدة ، والعرق ، والرجفة ، والجفلة ، وجفاف الحنجرة والحلق ، والمظاهر الأخرى المشتملة على القلق ؟

من الناحية الموضوعية فالتوصيحات الآتية سوف تريبا المكونات النفسية للقلق والتي تكون غير مكتسبة ، ولكنها جزء من البناء التركيبي للطفل ، فما الذي يتعلمه الطفل نتيجة المصاحبة بين الفرد والموضوع ، او الموقف من ناحية والشعور والخيالات وردود الفعل النفسية التي تحدد القلق من ناحية اخرى

ان اثارة القلق هي الشيء الذي يتعلمه الانسان والطفل الذي عمره سنتان يجب أن يتعلم الخوف من الكلاب الضخمة ، لان أمه تصيبها الهستيريا حالما ترى واحدا منها ، وما دام الارتباط بين رؤية الكلب والقلق قد تم اكتسابه ، فان الطفل يحاول أن يتجنب الكلاب وبهذه الطريقة يتم تعلم الدافع لتجنب الكلاب

في هذا التوضيح سوف استخدم اصطلاحي الخوف والقلق كمترادفين ، علما بأن بعض علماء النفس يرى أن الخوف استجابة فطرية لمنبهات معينة مثل الألم والتبديل المفاجئ في المنبه ، وأن القلق يقوم على أساس الاستجابة للخوف والحقيقة أن القابلية للخوف موروثة كما أن القابلية للقلق موروثة أما مم نخاف ؟ ومتى نخاف ؟ ولم نخاف ؟ فهذا ما نكتسبه ومم نقلق وكيف نقلق ؟ ومتى نقلق ؟ ولم نقلق فهذا ما نكتسبه واذا ما عرف موضوع الخوف فهو خوف واذا جهل الموضوع فهو قلق !

على كل ، فان الخوف يمكن تعلمه لأنه يكتسب كاستجابة لمثيرات محايدة ويدعى بالدافع ، لانه تمكن من أن يدفع للتعلم ، ولاجراءات ذات استجابات

✻ استاذ علم النفس بكلية التربية ـ جامعة بغداد

حديدة ، وبنفس الطريقة للجوع والعطش والدوافع الأخرى

بل أبعد من ذلك ، فما دام القلق استجابة مكتسبة فانه يتبع نفس الأسس للتعلم ، والتي تطبق على نماذج اخرى من السلوك مثال ذلك إذا ما كان الطفل قد تعلم في الأصل الخوف من أنواع خاصة من الكلاب ، فانه سوف يعمم رد الفعل هذا حتما باصطلاحات لكل الأشياء التي تبدو على أنها كلاب أو حيوانات ، وهذا يشمل القطط ، والخيل ، والأبقار والاغنام حتى الدجاج .

الالم كمقرر للقلق

اذا ما حصل التعلم لوجود ارتباط بين المثير والاستجابة ، فلا بد من ايجاد طريقة للكشف عن الاستجابة في المقام الأول ، وبرأي عدد من علماء النفس أن الألم من المنبهات التي تنتج الخوف أو القلق فطريا ولذا فليس من الصعب أن نرى حصول القلق حتى في الرضاعة ، وغالبا ما يعاني الرضيع القلق بغض النظر عن لطافة أمه وكيف تكون معه . وقد يبعر الرضيع بدبوس ، أو يعاني من التهاب القولون ، أو يكون جائعا بشدة والتجارب العلمية أثبتت دعم الملاحظة العامة في أن وخز الجوع يصل الى درجة أعلى لدى الرضيع مما هي لدى الكبير

هذا وحيث أن الطفل يواصل تجريب المصاحبة بين الشعور البسيط في وقت مبكر والالم الأكثر مؤخرا ، فسوف يتعلم توقع الشعور بالالم خلال المراحل المبكرة من الجوع ، وأن هذا التوقع للألم افتراضا سوف يقود الى القلق وأن مجرد الصياح للرضيع بمعاناة الجوع الشديد قبل الاطعام ، تكون الأم قد كونت الحالة التي تقود الى الشعور بالقلق المصاحب لمعاناة الجوع وبالمقابل والمماثل فان الأم التي نعرت طفلها بالدبوس صدفة ، نتيجة لاهمالها ، وذلك حينما غيرت ملابسه ، قد كونت الحالة التي تسمح للطفل بتوقع القلق ولذا فان القلق سيجابه مرة أخرى نفسه من قبل الألم حينما تهيء الخصيبة

مقررات أخرى للقلق

وربما أدت المنبهات الاخرى غير الالم الى أن تـ القلق فطريا ، علما بأننا نعرف القليل جدا حول هـ الناحية وحول طبيعة تلك المنبهات ويقترح بعـ علماء النفس ان الزيارة المفاجئة او مجرد التغيير في المـ يمكن ان ينتج القلق

لقد وجد (هب) [1] أن قردة الشمبانزي ترى ردو فعل الخوف ، حينما وضعت مع رأس شمباري مشدو « بالبلاستر » وان الرأس يعتبر منبها أوليا معروفا ولكن غياب الجسد جعل المنبه غير لائق ، والحيوان تصرف على أنه خائف ولذا يعتقد « هب » أن القلق او الخوف ينشأ حينما يحتوي المنبه المعروف وغير المعروف أساسا معروفا كالرأس مثلا ، واذا ما كانت نظرية « هب » هذه صحيحة ، فان المنبه الغريب سوف ينتج خوفا أقل مما ينتجه المنبه المعروف ، ولكنه تدعم مع محتويات عامة غير معروفة

وعندما يصبح الاطفال فانهم يتعلمون قواعد محددة عن العالم ، ويكونون توقعات أو تصورات محددة حول المحيط ، فيتوقعون ان الحيوانات لها أربعة اقدام ، وان الطيور لها أجنحة وأن الناس لهم ذراعان وعينان ، والثلج يكون ابيض الخ واذا ما كانت توقعات الطفل لما سوف يرى أو يسمع أو يشم أو يحس ـ غير ثابتة ، فانه يصبح قلقا .

مثال ذلك اذا كانت الام مع طفلها البالغ من العمر ثمانية اشهر ، وكانت في تلك اللحظة تمسك بحية تتلوى بدلا من زجاجة الرضاعة ، فان الطفل يمكن أن يبدا بالصراخ ، وان رد فعل القلق هذا من المحتمل ان يعزى الى احضار منبه غير متوقع مكان منبه مشهور متوقع والى درجة الدهشة نسبيا وليس الى احتمال الايذاء بواسطة الافعى .

ومن الجدير أن نلاحظ بأن هذا النوع من القلق لا يحدث ما لم يكن الانسان قد بنى توقعات حول المحيط وأكثر من ذلك هو أن هذا النوع من القلق لا يحتمل

---

(1) Hebb, D o Drives and The G N S Psychological Rev - 1955

حصوله خلال الايام المبكرة من الحياة

اخيرا ، يعتقد بعض علماء النفس أن أصنافا محددة من المنبهات ليست ذات صلة لا بالالم ولا بالاعجاب أو الدهشة ، ولكنها قادرة على انتاج القلق ، فان نوعا من الفطرية أي الموروثة وغير المكتسبة يوجد بين المنبه والاستجابة مما يكون الارتباط بينهما وهذه الامكانية قد عززتها دراسات على الحيوانات مثل دراسة (تنبرجن) [٢] التي لخصت ردود فعل البط والأوز والتي ربيت في عزلة عن شكل محدد ، وحينما حركت الصورة المظللة في الشكل على سلك فوق منقار الطير في اتجاه واحد (تشابه الصقر الى حد ما) سببت الذعر (تجنب الاستجابة) وحينما حركت في الاتجاه المعاكس (بحيث تشبه رقبة طويلة للأوزة) فانها لم تثر سلوكا متجنبا ، وبما أن الطيور هذه ليست لها أية تجارب مع الصقور او كبار الأوز ، فان الاستجابة المتجنبة (التي افترض انها اعتمدت على الخوف) لنموذج خاص من التحرك في اتجاه خاص يبدو أنه فطري (أي موروث)

ولكن بعض الاختبارات الحديثة قد فشلت في تثبيت ذلك ولذا فان القارىء يجب ان ينظر الى تقرير (تنبرجن) شيء من الحذر

كما ان (لورنز) [٣] قد أثبت أمثلة اخرى ، وهي استجابات الفرار للحيوانات (تعترض الخوف) لنماذج خاصة من المنبهات ، وما دام ان هذه الاستجابات يمكن أن تستخرج بواسطة منبهات (او بواسطة العزل المصطنع ولكن لاقسام لا نهائية من المجموع الكلي لنماذج المنبه)

وينظر لورنز الى هذه المنبهات على أنها موروثة وقادرة على استنباط تجنب السلوك ، ويمكن محاولة الاطفال ذلك لتأكيد هذه النتائج ، على أن تكون المنبهات بشكل مماثل فان بعض المخاوف التلقائية للرضع كما هي مع الحيوانات تتطلب القليل من التعلم او بغير تعلم وأما الى أي حد هذا صحيح فامر غير معروف حقا

والخلاصة انه توجد على الاقل اربعة انواع من المنبهات لها طاقة لتكوين الخوف او استجابات التجنب وهي

ـ الالم ، والتبديل المفاجيء للمنبه ، والمنبه المتوقع ، والمنبهات الخاصة

علما بأن الاخير لم يثبت على الاساس ، وأن النموذج الثالث (المنبه غير المتوقع) يتطلب درجة ما من الادراك الحسي المكتسب قبل ان يكون سببا مؤثرا في انتاج الخوف وعلى كل ، من الواضح ان هذه المنبهات جميعها متعلمة ، بغض النظر عن اصل المنبهات التي يمكن ان تنتج القلق وعن المصادر الرئيسية لقلق الكبار والتي تعوق تكيف الفرد مع محيطه

القلق المكتسب

دعنا نفترض أن أخا الرضيع الاكبر يغار بشكل واضح من توجه انتباه العائلة الى هذا المخلوق الصغير ، فيمشي الى مهد الطفل الذي يلعب فيه ، ويغفره بدبوس ، فاذا ما كان الادراك الحسي للطفل ناضجا بما فيه الكفاية ، فان المنبه (المثير) المتطور الذي جلبه أخوه سوف يكون متميزا ومختلفا عن ذلك المنبه نفسه والذي حصل من أمه او أبيه ، او بقية الاقارب ، واذا ما حصل ذلك ، فان مجرد ظهور وجه الأخ بجانب المهد ، سوف يثير الالم له ، ولذا يتكون الشعور بالقلق

كيف نحلل التعلم في هذه الحالة ؟

ان المنبه (الالم) الذي يكون فطريا ، يقدر على اثارة الاستجابة (الخوف) قد اقترن بمنبه محايد (ظهور وجه اخيه الاكبر) ، وان النتيجة لهذا الاقتران هي ان ظهور وجه الاخ الاكبر وحده يكون قادرا على انتاج القلق في المستقبل

والاثبات التجريبي لهذا النوع يأتي من عدد من التجارب الكلاسيكية على التكيف الشرطي ، منها

(٢) Tinbergen's Study Psychol - Record - 1960 - 10,256,265

(٣) Lorenz, K Z King Soloman Ring's London Methuen, 1952 .

تجربة تبين فيها ان الرضيع يمكن أن يعلم ليخاف الفأرة البيضاء التي لم يكن يخافها من قبل ، وذلك بمجرد الضرب على عقله (حديد كلما وصل الطفل الى الفأرة ، وبعد عدة تجارب أظهر الرضيع خوفه حينما احضرت الفأرة وحدها ! علما بان بعض علماء النفس يشعر بان تعلم رد فعل الخوف ليس بالضرورة ان يشتمل على مكافأة متميزة وعلى كل فمن الواضح ان القلق كاستجابة يكن موضوعا للاطفاء ، والتمييز ، والتعميم ، وبنفس النمط لنماذج السلوك الاخرى

بعض مصادر للقلق

بينما تتكون القابلية للقلق من خلال فسيولوجية الفرد . فان نماذج المواقف التي يصبح القلق ذا صلة بها تكون عملا وظيفيا للتجارب المتعلمة للطفل ولذا من المهم أن ندرك المواقف المختلفة للتعلم وان استعمال اصطلاح القلق وحده دونما اشتراط أبعد ـ هي واسطة القلق ـ لا يساعد على تنبؤ السلوك او فهمه

ان القلق في الاصل ، استجابة داخلية متوقعة ـ وهو توقع لحادث غير مريح ، وان المثيرات التي تصبح قادرة على استنباط القلق هي التي كانت مصاحبة لحادث سابق قاد الى الشعور بالخوف وان النشوء الاخير للحالة ـ ويكون في التفكير عادة ـ يقود الى التوقع لشعور غير مفرح ، والى القلق

هذا وان استجابة القلق تستخرج حينما يتوقع الطفل ما لا يسر لحادث ما في المستقبل ، كأن يؤذي جسميا ، أو يهجر ، أو يعاقب او يرفض اجتماعيا وها هي المصادر المهمة للقلق وليست المصادر الشاملة الكاملة

● قابلية الالم الجسمي هذا الصنف من القلق ينتج من مصاحبة الطفل لمنبهات معينة مع ألم محتمل ، وخطر محدق بحالته الجسمية الجيدة مثل الاماكن العالية ، المياة العميقة ، والحيوانات المفترسة او الخطرة ، والنار ماما ان الطفل قد جرب خاصية الالم لهذه الحوادث فعلا ، او انه اخبر بان هذه المواطن تقود الى الالم الجسمي والاذى الجسمي .

● فقدان الحب بسبب الشعور بفقدان الحب ينشأ القلق من توقع الاذى من الاسباب التي ذكرناها قبلا فالتطبع لحب زميل او صداقته قد تم عزله ، او تم فقدانه ، ويجوز ان تكون معرفة هذا الصنف من القلق سببا في توقع ألم بعد أن فقد الحب والأمل في المساعدة ، وهذا المصدر معروف عند الطفل ولكن لا يمكن توضيح تفصيلاته أو توضيح نموه

● الاثم ان الشعور بالاثم حالة خاصة من القلق ولكنها لا تظهر عادة الا في حوالي السنة الرابعة من العمر ، ويحصل بسبب التوقع لانتهاك قاعدة او معيار ، او دين او عرف ، او حرمة ، او يلي الانتهاك لمعيار داخلي خاص أو قيمة هذا بالنسبة للطفل الصغير ، اما بالنسبة لطفل أكبر ، فقد تم تشخيص الاثم بسبب الشعور بعدم الاهمية او انتقاص النفس

● عدم السيطرة على المحيط يحدث هذا النوع من القلق حينما يشعر الفرد بأنه غير قادر على مواجهة المشكلات والضغوط التي يطرحها المحيط ، وانه ذو صلة بالاصطلاح المعروف (الشعور بالنقص) ولكنه ليس مطابقا له ولا متطابقا معه

● الانحراف عن مفهوم الذات والانحراف عن توقعات الحضارة ذلك أن لكل حضارة قائمة خصائص غير مدونة ، وهي تتوقع من الاعضاء ان يتملكوا هذه الخصائص التي تختلف بحسب الجنس والخلفية الاجتماعية ، ومعرفة هذه الخصائص تفيد المشرف على تربية الطفل ليوجهه تبعا لها ان مفهوم الفرد لذاته يعتبر عملا وظيفيا ، ولكن الى اي درجة ؟ والى اي مدى تقارب صفاته هذه الخصائص ؟

وحين يعرف الفرد التعارض الكبير بين مهاراته او صفاته او نوع مزاجه وبين ما يجب ان يملكه من خصائص الحضارة في قومه ـ فانه يشعر بالقلق ، ويزداد قلقه شدة بمقدار ما يحس في نفسه من انحراف عن المقاييس المثالية لحضارة قومه ، وهذا المصدر من مصادر القلق يحرج الطفل في نموه وتقديره لنفسه ■■

د . دحام الكيال

حنا مينه

وزكريا ـ لهذا يسمى مدينته « العاهرة » ـ وهو وصف يستمده من رؤيته للاشياء. فكل شيء لدى زكريا ينبع من الحس ويعود اليه. الارض انثى، والبحر ذكر. وهو ذكر وامرأته انثى. وهو صياد، واسماكه التي يصيد اما ذكور او اناث. فان تصادف وعلقت بسنارته سمكة أنثى تحولت في الحال الى امرأة تهارشه. واصبح صيدها مساويا تماما للفعل الحسي.

ولا يرى زكريا في هذا غرابة ما. بل لا يرى شيئا احريمكن ان يقوم بديلا لهذا التقسيم الحسي للناس والاحياء والاشياء. وهو يعترف صراحة بان ما تسعى معرفته في الكون انما هو أن هناك عضوا مذكرا وعضوا مؤنثا للاحياء. وان بين الاحياء تواصل مصدره الوحيد جذب بين القطبين.

لهذا لم يعرف زكريا الحب وانما عرف الحس. والحس عنده احساس قاهر لا دافع له. يتراءى له، اثناء تخيلاته الكثيرة عبر الرواية، انه وقف امام قاض متهما بقتل الجهار اليوناني دجر يادبس. وكان زكريا قد بعج كرشه بالفعل بسكين السطرمة وترك له الحان وولى هاربا الى الغابات. يقول للقاضي: انا مذنب وأعترف. وهو ايضا مذنب لانه صاحب كرش. لماذا كان له كرش؟ اذا رايت، يا سيدي القاضي، يوما ردف امرأة جميلة عارية فماذا تفعل؟ انا اعضه. اشتهي ولكني اعضه، ثم اشقها معي لانها صاحبة الردف، هي السبب ».

فالفعل في حياة زكريا هو فعل تلقائي لا ارادي مصدره هذا النهم الشديد الذي يحسه نحو الحياة. هو يعبها عبا كما يعب اقداح الخمر، الرخيص منها والعالي، وكما يشتق التبغ وكما يأكل الطعام وكما يعمق قوته البدنية الهائلة.

البحر هو الصديق

ذات يوم ألم بالميناء حوت هدد الناس في اعمارهم وفي ارزاقهم وفي بيوتهم وفي اموالهم. دخل الحوت الميناء واخذ يفتك بكل ما يصادفه، فتجمدت الحياة في المدينة ولم تجد من ابنائها من يتصدى للحوت فيطاطاه ويجره الى الشاطيء ويخلص الناس من أذاه.

زكريا وحده هو الذي تقدم، اصطاد الحوت وربط بعد ان كاد الحوت يفتك به وأسكره فصعد فوق ظهره ثـ جره الى الشاطيء بسلك وزورق وصنع شاحنات هـ تحلق الناس حوله وطلب اليه التجار ان يبقر بطنـ ويستخرج ما فيه، فانهم مفقدوه من بعد ومرسلوه الى فرنسا ليجرى هناك تصنيع لحمه ووضعه في معلبات باهظة الثمن، وتحويل عظامه الى تماثيل.

وقام زكريا بالمهمة الصعبة افرغ الحوت من احشائه. وقال له الجهار زجريادس: أعطيك ما شئت من سيد مقابل بطرح الحوت. ووافق زكريا مع الفرح سقى نفسه وسقى البحارة فتحلق هؤلاء حوله وقالوا انت مجنون يا زكريا. لقد غشك اليوناني احد ما في جوف الحوت من ذهب وماس، واعطاك ثمنا بخسا هو السيد. ان الحيتان تبلع ذهب الغرقى وما سهم وتحفظه في جوفها وهذا الذي سرقة اليوناني.

وصدق زكريا الهمس واثر فيه الفحيح فذهب وجنون الغضب يعصف برأسه ـ ذهب يطلب كيسه المسروق ولما انكر الجهار ان الاحشاء كانت تحوى ذهبا وماسا بعج زكريا كرشه كما بعج بطن الحوت، وفر هاربا بعد ان نهب البحارة الحان وافرغوا ما فيه من خمر ثم تركوا زكريا وضحيته ولاذوا بالفرار.

لم يعد امام زكريا الا ان يضع البحر بينه وبين مدينته العاهرة ليس له من صديق الا البحر ولكم تمنى انذاك لو تحول الى كلب بحر شكله وطبعه يلائمان هذا الحيوان. وهو بعد لا يرى فارقا بينه وبين كلب البحر الا في طريقة التنفس.

ان زكريا كتلة هائلة من الحياة غير المشكلة ـ او غير نهائية التشكيل. لهذا يرى نفسه جديرا بان يتحول الى سمكة او الى بحر او الى شجرة، بل تراه يعقد بينه وبين الشمندورة علاقة تماثل. يراها، وقد اضطرته احداث الرواية الى ان ينزل الماء عريانا ويعوم رأسيا كما تعوم، يراها تشبهه، بل هي تفضله، فهي خالية من الثقوب وهو شمندورة مثقوبة من أعلى ومن اسفل!

هذه الكتلة الهائلة من الحياة البدائية تصطدم بما حولها من قوانين ومن ناس ومن اعراف فلا تجد وسـ

للتفاهم مع هذه الاشياء المبهمة سوى استخدام القوة او القاء الاسئلة البليدة ان لم يضحك عجوب ، صديق زكريا الاذكى والاضعف ، لنكتة حفظهـا زكريا وجـاء يلقيها على مسامعه ، فليس من سبيل الا تهديده بالقائه في البحر او سحق عظامه وان راح زكريا يصطاد حعل يغني ويشتم ويسكر واحيانا يتساءل من حفر البحر ؟ ولماذا آلاف وآلاف من النـاس ، وكلهـم بعينيـن وأنف وشفتين واذنين ، يختلف واحدهم عن الاخر ؟ ومـن اين جاء حد حد حد حده ادم ؟ حواء من ضلعه وهو من ضلع من ؟

لوجه الحب

ويصنع زكريا في العانة فحد الطبيعة قد اغتالته اغتالت الشيطان داخله لقد جره الخمر والقهوة والتبغ فصار فاصلا بالاكراه فماذا يفعل بفضيلتـه هذه ؟ يراقب النجوم ؟ يحصيها ان الثوب الفاصل كبير عليه وغير لائق هذا ما يقوله هو وان كان يعني في حقيقة الامر ان طريقه في الحياة قد شق على نحو خارج عن مواضعات الاخلاق هو لا يعرف الاخلاق ، ولا يعترف بها ليس لانه شرير ، بل لان جهاز الاخلاق ليس مركبا في داخله اصلا

نام ليلته الاولى في خيمة على الصخر وقال لنفسه لو قال لي انسان اني جبان لضربته على يافوخه ما هو الخوف ؟ ما هي الشجاعة ؟ ما هي الفضيلة ؟ ما هي الرذيلة ؟ عمري لم اعن بهذا اعيش كما اعيش

وحين يصطدم زكريا بشيء خارج تماما عن عالمه يفغر فاه في دهشة حقيقية كان في العانة فسمع اصواتا فحفل لها قد يكون رجال الدرك جاءوا للقبض عليه ، ولكن الامر لا يعدو فتى وفتاة عاشقين جاءا يتساقيان كئوس الغرام يراهما زكريا فيلتهم ويقول له منطقه ، ان الغرام لا بد مؤد الى الفعل ولكن شيئـا من هذا لايحدث

قال لها احبك ورشق زهرة برية في شعرها وتعاهدا على الحب حتى نهاية العمر . ثم مضيا هذا هو غرام اولاد المدارس جمهم كحب الاخ لاخته سمع منهما زكريا كلمات حرم منها طوال حياته ، فتحسر شيئا ما ، ولكنه عزى نفسه قائلا ليظلا محبين لسوف تخونه يوما ما

ذلك انه ليس من المعقول ، في دغل الحياة الذي عاش فيه زكريا حتى الان ، ان يقوم حب خالص ، لوجه الحب حتى ولـو كانت المراة فاضلة كروجته صالحة القابلة الطيبة التي أنفقت حياتها تحاول ان ترد زكريا الى شيء من الحياة المعقولة المعتادة فرفض هذا باصرار الا ان يعيش كما يعيش قال لنفسه وهو يهرب من شر مطاردة قاسية توقع ان تجري وراءه بعد ان نبح كرش الجهار ـ الحياة حلوة هكذا ، بدون ذهب ولا ماس ، بدون بيت ولا زوجة ولا ولد انه في حقيقة الامر فرد استعصى على القيد

عود الى المدينة

في العانة يتعرف زكريا الى راعية تركمانية فقيرة ، هجرها زوجها وراح يبحث عن عمل في الاناضول ، وترك لها فقرها وشظف العيش واولادا ثلاثـة وتعـرف الديناصـور زكريا الى شكيـنـة الجميلـة . القـوية الشكيمة ، فردته الى حياة لم يألفها من قبل اعترف لها بجرمـه وبانـه مطـارد ، وقبلتـه هي وبسطـت عليه حمايتها ، واحـدا طوال ثلاثـة شهـور متـوالية يهينـان لحياتهما المقبلة معا بعد ان قررت شكينة ان تعيش معه ، عاد زوجها من الاناضول ام لم يعد

ولكن الحياة المرتبة لم تخلق لزكريا وبنداء البحر وحده اقـوى عليـه واشد عتـوا من غرامه بالراعيـة الجميلة ـ هذا الذي ألم به على كبر

يمر ذات يوم جماعة من الصيادين وهم في حال من الفزع شديد فقد الم بالميناء حوت احر ولم تجد المدينة من ينقذها منه كلهم خاف على نفسه وماله ومرة اخرى تجمدت الحياة في المدينة والميناء ويسال زكريا الصيادين الم تذهبوا لتناضلوا الحوت ؟ ولكن الهزيمة كانت في عيونهم والخوف اخرسهم

وقال لهم زكريا الحوت مخيف يا اخواني والخوف منه مخيف اكثر عودوا الى المدينة واشتركوا في حصاره وفي قتله فصاح واحد منهم وانت ؟

أه من « انت » ، هده ! قلبت كيان زكريا عصر لمدينته ورأى نفسه غير قادر على التخلي عنها تخلى عن الراعية ، وعن البيت الذي هيأ ، وعن الحياة القادمة ، ولا يتخلى عن مدينته وعن صراعها الدائم مع الحيتان والتجار واصحاب الزوارق وترك زكريا البحارة وراءه وهو يبصق على الارض ويلعن الجبن والخسة

سار على الشاطىء سطه ثم اسرعت خطـاه ثم ركض ، وزاد ركضه فسمـع بعض البحـارة ينادونـه ، وتبعه واحدمنهم ، واخر ، واخر ، وركضوا جميعـا صوب الميناء

شخصية لا تنسى

هذا هو الخط الرئيسي في الرواية التي كتبها الروائي السدري المرمـوق حنـا مينـه ، وجعـل عنوانهـا « الناطر » ، اي المرساة

ان اهم ما تحققه الرواية من انجار هو خلقها تلك الشخصية الحراقة المذاق ، الفوارة الحيوية ، التي تقبل على الحياة والاحياء ـ كل الاحياء ـ شهوة لا يخبو لها اوار يراقب زكريا وهو في الغاب كل ما يحيط به من شجر وماء وحيوان ولون وشمس ونجوم مراقبـة من لا يرى هده الكنوز وحسب بل ويتمثلها داخل جسمه كل شيء حي يحويه جسد زكريا وتختزنه ذاكرتـه ويسجلـه احساسه هو يحكي لنا مثلا ـ كيف تهاجم البراغيث الحيوان فلا يتخلص منها الا اذا غمر جسمه بكامله في الماء حتى تغرق البراغيث ، ثم يعقد فورا مقارنة بينه وبين الحيوان والبراغيث ويصيف أنا براغيثي داخـل رأسي ولن تغرق حتى اغرق ـ يريد همومه التي تحاصره مند ان قتل اليوناني وولى هاربا

ولو طبقت معايير الاخلاق على زكريا لكان شيئـا رديئا حقا ـ هو قاتل ولص وسكير ، وزير نساء وعابـد لرغبات جسده جميعا ، مستجيب لها دائما ولكنه ا ن

هذا وحسب انه ايضا عراك مستعر بينه وبين نفسه يحاول ان يكون خلاله شيئا اخر غير هذا الشيء الردئ

وهو عراك يشرفه كثيرا ويعلي قدره ، لانه يدخله ولا عدة له تعينه على النصر ، هو انسان بدائي يسعى الى ان يتخطى الحواجز الرهيبـة التـي صنعتهـا من حوله ظروف فقره ، وقلـة ذكائـه ، ورغبتـه العارمـة في ان يتحقق من كل شيء . ولا يذكر الا انه كتلة من الحياة تعيش في الزمان والمكان حياة اللحم وكل ما يعنيه

والرواية تسجل لزكريا اكثر من نصر واحد في هذا العراك غير المتكافيء القوى ينتصر يوم يندم لقتلـه الجبار ، ويوم يحن الى العودة الى مدينتـه والى زوجتـه الطيبة صالحة وينتصر كذلك يوم يقهر رغبات جسده ـ اخر الامر ـ في علاقة مع الراعية ، ويعترف لنفسه انه يريدها لشخصها وليس لجسدها ، وأنه غير قادر على ان يحيا بدونها ، وانه لا يملك الا الانتحار اذا ما هي مضت في هجرها اياه

وينتصر اخيـرا يوم يترك وراءه الراعية وبيتهـا وهواها ، ويمضي ، لا يستطيع المقاومة ليدفع عن مدينته شر الحوت ، ويرفع عن اهلها مهانة الاتهـام بالجبن ، ويثبت لنفسه ـ مرة اخرى ـ ان ثمة خيرا كبيرا يكمن وراء الشر الظاهر في هذه الشخصية الفاتنة

لقد خلق حنامينه في زكريا المرسلي شخصية شامخة لا تنسى ـ وضع فيها حبه الدافق لبسطاء الناس ، وقدرته الفذة على ان يعيش حياتهم ويفتح قلبه الكبير لخيرهم واثمهم معا ، مقـدرا ان الخير فيهـم شيء يبعـث على الدهشة ، اذ ينبت من أرض بور ، وان الاثم منهم هو نتـاج طبيعـي لكل ما يحيط بهـم من عوامـل السقوط ■■

د علي الراعي

ر المنشور

بالعدد رقم ٢٥٦ لشهر
ل وبالصفحة ٣٢ من
ور وخاصة بالفهرس
عل السندباد وعباد
) للشاعر صلاح عبد
قلت صفحات المجلة
لت الى الصفحة ٣٢ لم
امسي قصيدة بالمعنى
ل وجدت جملا منمقة
وليس بها اي رابط بالفكرة
مي ولا حتى بالاسلوب
شأن ما يقال (الشعر
ر او الشعر الحديث وو

ولا اريد ان اطيل في الكتابة
هذا الموضوع بل اريد ان
ت نظركم الى رأي الشاعر
ير عمر ابو ريشة

يقول الاستاذ الشاعر الكبير
سر ابو ريشة على صفحات
ريدة النهار البيروتيه ما معناه
ان الذين يسمون انفسهم شعراء
عصر الحديث ما هم الا اعداء
لغة العربية ويعملون على تهديم
لغة العربية من الداخل وبدوافع
اعداء الامة العربية)

عبد الله السقاف
بيروت

مجلس الامن الدولي

امر هذا المجلس عجيب غريب .

بالامس قامت قيامته بسبب احتجاز الامريكيين في طهران .

ولم يقتصر الامر على مجلس الامن الدولي بل تعداه ليشمل الكرسي البابوي وبعض رؤساء الدول والامين العام للامم المتحدة . .

باختصار الدنيا قامت قيامتها
اشفاقا على الامريكيين الستين

ولكن هذه الدنيا القبيحة لم تحرك ساكنا عندما قام الصهاينة بقتل وطرد وتشريد شعب فلسطين كله مصداقا لقول احد الشعراء

قتل امرىء في غابة
جريمة لا تغتفر !
وقتل شعب كامل
مسألة فيها نظر !

محمد محسن الظاهر
الاردن

تصويب

في ثنايا مقالي « المستشرقون المعاصرون في تجربة للنقد الذاتي » المنشور بمجلة « العربي » في عددها رقم ٢٥٢ الصادر في ذي القعدة ١٣٩٩هـ / نوفمبر ١٩٧٩م ابثت أخطاء مطبعية مرجعها أولا وقبل كل شيء سوء خطي أو سوء طريقتي في الكتابة أو الامران معا وهي كلها مما تدركه فطنة القارىء ، عما في ذلك ما أنوه عنه هنا

ان كلمة « المستعمرين » التي وردت معطوفة على المستشرقين « اكثر من مرة ، صحتها » المستعربين واسم الاستاذ « الباقي هرماسي » التونسي الاصل هو في كتابته الصحيحة بالصورة التي تظهر في هذا التصويب ، وهو استاذ بجامعة كاليفورنيا في بركلي ، ولعله خلال العام الجامعي الحالي فقط يعمل بجامعة الكويت كما

آراء حول الدعوة الاسلامية

لا يخفي على احد ان حركة التبشير ونشاطاتها السارة اصبحت ظاهرة قوية تمثلت في انتشار ـ الكنائس والمدارس في المناطق البعيدة وفي كل قرية يكثر فيها اللادينيون ، فتحطمهم ايدي الاحسان ومعاول الظلام وفي الجانب الاخر نجد الاستعمار وحركات التبشير يتخذون مسلمين منافقين ليوهنوا قوى الاسلام واضعاف دعائمه بالتأويلات الفاسدة والمظهر الاسلامي الكاذب فيغتر الجاهل بهم ويجعلونه شبه مسلم والاسلام منه بريء ان اعداء الاسلام يشنطون ـ هذه الايام ـ في حملة مسعورة لتشويه حقيقة هذا الدين الحنيف ، فيشنون حربا لا هوادة فيها وواجبنا ـ نحن المسلمين ـ ان نعمل باخلاص من اجل رفع راية الاسلام ولتكون كلمة الله هي العليا

احمد محمد عمر العمودى
لامور/كينيا

استطلعوا طنجة

مدينة طنجة او مدينة البوغاز الواقعة في اعلى نقطة من القارة الافريقية تناديكم لزيارتها واستطلاع معالمها الحضارية والتاريخية والسياحية

محمد البقالي الحسني
طنجة/المغرب

كان يحترم ، اما الاستاذة عفاف لطفي السيد فمقر عملها جامعة كاليفوريا في لوس أنجليس لا في بيركلي والباحث المعروف بدراساته عن ابن خلدون وتاريخ الفكر الاسلامي هو الاستاذ محسن مهدي لا مهدي الحسيني كما ورد في المقال ، كذلك فان ترجمة عنوان كتاب الاستاذ البرت حوراني هو « الفكر العربي في عصر التحرر »

وبطبيعة الحال كان ما استغربه شيخ الازهر الاسبق المراغي رحمه الله ان « حديثا قصيرا مع سيدة اوربية » قد اغرى ابنته بالقراءة في سيرة الخليفه عمر بن الخطاب ، وليس مجرد الحديث القصير مع سيدة باطلاق ! - وكان الله في عون الاخوة بمطبعة « العربي » والاخوة القراء

د محمد فتحي عثمان
جامعة الرياض - السعودية

ندرة الجامعات العربية

● ولدت لابوين فقيرين في مدينة الخليل ووضعت نصب عيني هدفا هو تحصيل العلم من اجل حياة افضل لاسرتي وصلت مرحلة الدراسة الثانوية متنشا باظافري رغم وعورة الطريق فجاء مجموعي في امتحان التوجيهية - قسم علمي ٧٥٪ واخذت اطرق ابواب الجامعات من اجل التعليم العالي ولكن الابواب كلها بقيت مغلقة امامي الذي عشت من اجله على باب مقهى فتح لي بابه بعد عناء لأعمل فيه بأجر زهيد

هذه ليست مشكلتي وحدي ولكنها مشكلة آلاف الطلبة الذين يصلون الليل بالنهار من اجل الحصول على مجموع ثم تضيع حطامهم بسبب قلة الجامعات في عالمنا العربي او ليست هذه مشكلة تستحق من « العربي » تسليط بعض الضوء على جوانبها المتعددة ؟

ارجو ان تفعل « العربي » ذلك

عبد الحميد ابو عواد
الاردن

موسوعة عربية شاملة

قرأت افتتاحية العدد ٢٥٠ ، ووجدتكم تدعون الى اقامة موسوعة عربية شاملة وبالمصادفة فقد اشتريت منذ اسبوعين موسوعة عربية تحمل اسم « الموسوعة العربية الميسرة » برئاسة الاستاذ محمد شفيق غربال ، وعضوية واحد وعشرين كاتبا اخر وقد وعد الجميع في مقدمتها بان يخرجوا لنا في المستقبل القريب الموسوعة العربية الشاملة (الطبعة الموجودة لدي هي صورة طبق الاصل لطبعة ١٩٦٥ من الموسوعة) وحتى الآن ونحن ننتظر هذا « المستقبل القريب »

فيصل فياض سكرية
لبنان

●

الفائزون في مسابقة العدد ٢٤٨

تدعو مجلة العربي القراء الذين فازوا في مسابقة العدد ٢٤٨ المبادرة بارسال عناوينهم الصحيحة الى ادارة المجلة حتى تتمكن من ارسال جوائزهم اليهم

ادارة العربي

تأليف جوردون توماس ومكس مورجان   عرض وتقديم : فيليب

١٧٨

اكثر ما يثير الخوف لدى خبراء الاقتصاد ورجال المال والاعمال من مظاهر الازمة الاقتصادية العالمية ، التي تصعد بالذهب وتنزل بالدولار ، هو ان ما يحدث الآن في وول ستريت (شارع المال والاعمال في نيويورك) أقرب الأشياء الى ما حدث منذ نصف قرن ، في اكتوبر عام ١٩٢٩

.لك الشهر بالتحديد بدأت الازمة الطاحنة التي بالعالم ، وحولت العملات الورقية الى اكوام من ، وذهبت في لحظات سمعة وثروة كثيرين ممن بين اغنى اغنياء العالم

بكن « الكساد العظيم » الذي حل بالاقتصاد في ذلك الوقت مقصورا على أولئك الذين امبراطورية المال والاعمال في الغرب ، لكن ت اشد تدميرا لدى الفقراء من « رعايا » تلك ورية وهي آثار لا تنسى على السنة الآباء د الذين عاشوا وعانوا مرحلة الكساد الي » ، ممتدة الى هذه المنطقة من العالم ، قبل ان لمستعمرات واشباه المستعمرات ، والمحميات ، بعد الاستقلال ، بالعالم الثالث

ما تضطر مثل هذه الازمات أصحابها وصانعيها غنياء الى شد الاحزمة على البطون ، لا يجد فقراء حتى « الاحزمة » التي يشدونها

ولايات المتحدة ، مثلا ، تعيش خلال الازمة تضخم وصل الى ١٢٪ سنويا ، وبعجز يقرب ٢٠ مليون دولار شهريا ، وبطالة تتجاوز ١٠٪ العمل الامريكية لكنها ـ وهي اغنى دول ـ تملك من الوسائل حتى الآن ما قد يخفف بعض من هذه الآثار المدمرة للازمة ، ولو على حساب النمو الاقتصادي السوي ، وتضاؤل الارباح القادمة من وراء البحار ، وغيرها من الاسلحة ة وغير المعروفة

لكن خبراء صندوق النقد الدولي يرون ابعاد الكارثة الحقيقية على فقراء العالم الثالث بالتحديد ان عدوى التضخم تنتقل الى الدول النامية بشكل مضاعف وخبراء صندوق النقد الدولي يقدرون نسبة التضخم في العالم الثالث للعام الذي انقضى وحده باكثر من ٣٠٪ فما بالك لو احدثت ازمة عام ١٩٧٩ بقية ابعاد الازمة العالمية منذ نصف قرن ؟

قياسا على هذا التضخم ستضطر دول العالم الثالث (غير المنتجة للبترول) في حاجة ملحة في هذا العام الجديد (١٩٨٠) لاقتراض ٥٣ الف مليون دولار ، اكثر مما كانت تقترضه من قبل ، لمجرد سد العجز في ميزانياتها لكن اين هي هذه الجهة التي تستطيع خلال ازمة طاحنة ان تقرض الآخرين هذه المبالغ الخيالية ؟

المشكلة اكثر تعقيدا

ان قضية الارتفاع الجنوني في سعر الذهب ، التي الهبت خيال المصارين ، وفتحت شهية سماسرة السوق ، ليست هي محور الازمة العالمية للاقتصاد الحر انها مجرد تعبير عن القلق المتزايد وعدم الثقة في العملات الورقية والمشكلة الحقيقية هي ان الازمة الحالية ذات ابعاد خطيرة ، لم تعد تصلح لها كل الحلول التقليدية التي يعرفها ويجيدها تلاميذ آدم سميث او اللورد كينز فقد كانت العادة ان يواجه الخبراء الاقتصاديون ازمات الانكماش بمحاولة زيادة الانفاق الحكومي والتشغيل شبه الكامل للقوى العاملة والعاطلة ويواجهون أزمات

التضخم باجراءات الحد من الانفاق ورفع سعر الفائدة على القروض المصرفية ، الى ان تتوازن الامور (في الحالين) وتمر الازمات بسلام لكن المشكلة هذه المرة اكثر تعقيدا ، اذ أن الاجراءات التي تحد من التضخم كادت أن تحول الازمة الى انكماش أو كساد كامل ، ومثل هذا الكساد سيدفع دول الاقتصاد الرأسمالي « الحر » الى وضع « قيود » صارمة ضد الواردات الاجنبية لحماية صناعاتها ومنتجاتها المحلية ثم تسري العدوى الى الجميع داخل نطاق دول الاقتصاد الحر ، وتبدأ سلسلة من الاجراءات الانتقامية ، مما يؤدي في رأي الخبراء الى الانهيار العالمي الذي يخشى منه الجميع

اما على مستوى المستهلكين في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة الامريكية بنوع خاص ، فقد فوجيء خبراء الاقتصاد ايضا بظواهر وانماط سلوكية غير مألوفة كرد فعل للتضخم فعندما واجه المستهلكون الارتفاع المتواصل في اسعار السلع ، لم يتوقفوا كالعادة عن الشراء او يكتفوا بشراء السلع الضرورية فقط ، لكنهم غيروا من عاداتهم وخططهم الشرائية وانكبوا على الشراء حتى اخر دولار في جيوبهم ، على اساس ان السلعة افضل من الاحتفاظ بارصدة ورقية تتناقص قيمتها باطراد ولم يكتف المستهلكون بذلك ، لكنهم تحصنوا ضد المستقبل ايضا بالاقتراض من أجل شراء سلع قد لا تلزمهم بالضرورة اي انهم يحاولون تحصين انفسهم ضد الانهيار المتوقع في المستقبل لاسعار العملة

ويقدر الخبراء الامريكيون ان ٨٠٪ من البيوت الامريكية مدينة للبنوك بحيث يدفع رب الاسرة في المتوسط ٣٥٪ من صافي دخله لخدمة ديونه

وسلك رجال المال والاعمال والمستثمرون طريقا مشابها اذ اتبعوا اسلوب الكسب السريع عن طريق المشروعات قصيرة المدى وبمثل هذه المشروعات ذات الانتاجية القليلة ساهم المستثمرون مرة اخرى في رفع الاسعار ، حيث ان الانتاجية الكبيرة هي الاسلوب الوحيد لتخفيض تكاليف الانتاج ، والحد من التضخم وارتفاع الاسعار

وازاء الحلقة المفرغة التي اختلطت فيها اعراض المرض الاقتصادي باساليب العلاج ، لجأ المضاربون ا شراء الذهب والتخلص من عملاتهم الورقية لكن ما يعمل الذهب ، الذى ينتج منه العالم اقل من ١٤٠٠ طن سنويا ، اغلبها من مناجم الاتحاد السوفيتي وجنوب افريقيا ؟

وكيف يساهم المعدن الثمين داخل الخزائن الحديدية في زيادة الانتاج واشباع الحاجات الضرورية واعادة الحياة الى الدورة الاقتصادية الراكدة ؟

ربما استطاع بعض صغار او كبار الاغنياء انقاذ جزء من ثرواتهم بتحويلها الى سبائك من ذلك المعدن الأصفر ، لكن العالم كله يظل مهددا بشبح ازمة او كساد عام يتجاوز ما حدث في اكتوبر عام ١٩٢٩

واذ لم يكن هناك من يملك الخيال او القدرة على التنبؤ ليحدد صورة العالم اقتصاديا اذا توقفت الدورة الاقتصادية المألوفة وانشبت الازمة الجديدة أظفارها ، فهناك على الاقل صورة واقعية قديمة من قلب وول ستريت في اكتوبر عام ١٩٢٩ ، عندما وقعت الازمة الكبرى

وهذه الصورة يقدمها كاتبان بريطانيان من المؤرخين الاجتماعيين هما « جوردون توماس وماكس مورجان ـ وتير » في كتاب لهما بعنوان « يوم انفجرت الفقاعة » وصدر الكتاب بمناسبة مرور خمسين عاما على تلك الازمة وبعض الاقتصاديين يتنبأون بازمة دورية كل حوالي عشر سنوات ، لكن بعض الاقتصاديين المحدثين يقولون ان ازمات الرأسمالية العاصفة تقع كل حوالي نصف قرن

حذار من اكتوبر

في اكتوبر عام ١٩٢٩ اكتشف الامريكيون في « وول ستريت » ان الدولار توقف عن الحركة ، وان الرخاء الامريكي ليس احد قوانين الطبيعة

كان « وول ستريت » يجسد قبل ازمة عام ١٩٢٩ الطاحنة اعتقادا ساذجا ، لدى الجميع تقريبا ، بان الرخاء الامريكي دائم

وكان من المتفق عليه لدى الجميع ايضا ، ان الدول التي ترتبط اقتصادياتها بأذيال « وول ستريت » ستزدهر بنفس الدرجة .

وبالنسبة للرجل العادي يبدو المستقبل مقبلا اليه على طبق من ذهب بشرط ان يدخل الى السوق . واذا لم يكن يملك نقودا ، فليست هناك مشكلة ، لان من الممكن ان يقترض ويشتري « اسهما » ويربح

كان الموقف اشبه بواجب قومي ، ان تلعب لعبة السوق ، وتستثمر للمستقبل وتغتني بسرعة ، او على الاقل ان تحاول

وصدق الجميع الاسطورة ، بما فيهم الرئيس الامريكي هوفر نفسه ، الذي أكد اثان الكساد أن كل شيء ما زال في موضعه ان « وول ستريت » قلعة مالية تشع منها لبقية العالم رسالة دائمة تتحدث عن ثروة بلا نهاية ولم يسبق لها مثيل

وكان للصحافة دور كالعادة اذ ساهمت الصحافة الامريكية بشكل مكثف في رسم صورة زاهية « للشارع » وتعاونت الصحافة او تحالفت مع « حي ماديسون » ورجال المصارف لاعلاء شأن صرح وول ستريت ، الذي كان يلهب الخيال بالفعل واصبح عدد من الصحفيين الاساسيين (ومن بينهم بعض العاملين في نيويورك تايمز) يحصلون على رواتب منتظمة من رجال المال وسماسرة وول ستريت لرسم صورة متفائلة دائما عن احوال السوق

والحمد رعايا « وول ستريت » في الاغلب صورة اشبه بالآلهة أما كبير الآلهة فلم يكن سوى « جاك مورجان » عميد بيت مورجان ، اكبر مصرف خاص في العالم يقدم القروض على نطاق واسع في انحاء الكرة الارضية وقروض بنك مورجان ـ كما هو معروف ـ هي التي دعمت حكومة موسوليني في ايطاليا عن بدء قيامها

وفي « وول ستريت » تخرج اشهر وادكى الانتهازيين مثل جو كيندي (والد الرئيس الامريكي الراحل جون كيندي) الذي كون ببراعته المالية الاسرة معروفة في الولايات المتحدة

وبهرت حيوية « الشارع » رجالا كثيرين حتى من امثال ونستون تشرشل ولم يستطع تشرشل اثناء زيارة مبكرة للولايات المتحدة ان يقاوم الاغراء في بورصة وول ستريت وكسب في لحظات ما يساوي بالاسعار الحالية خمسة عشر الف دولار

لكن الحلم انتهى في اكتوبر ١٩٢٩ محملا بالكساد العظيم في العالم كله وانهارت اقتصاديات دول كثيرة ، وحل الخراب بأكبر الماليين ، الذين عجزوا ، رغم دهائهم الاقتصادي عن التمييز بين الارباح الحقيقية والارباح الورقية

ولم ينج من التدمير . سجل الرئيس هوفر السياسي . واحترقت اصابع ونستون تشرشل . ولم تمنع الصدمة الهائلة من بعض السخريات المناسبة للموقف

وعلى لسان احدى شخصيات مارك توين الكاتب الامريكي الساخر في ذلك الوقت يأتي التحذير التالي لرجال المال « ان اكتوبر هو شهر في غاية الخطورة بالنسبة للمضاربة على الاسهم اما الشهور الاخرى الخطرة فهي يوليو ، ويناير ، وسبتمبر ، وابريل ، ونوفمبر ، ومايو ، ومارس ، ويونيو ، وديسمبر ، واغسطس ، وفبراير » !

نموذجان في وول ستريت

يقول المؤلفان أن الأزمة العالمية لم تكن مجرد انهيار مالي ، لكنها مأساة للاسرة الانسانية فقد كانت في بعض جوانبها اسوأ من الحرب ذاتها ويقول احد الذين التقى بهم المؤلفان من ابناء ضحايا الازمة « كان ابي يعد من الابطال اثناء الحرب لكنه لم يستطع ان يغادر المنزل بعد الازمة الاقتصادية وسرعان ما احاطت به الشكوك والتساؤلات المؤلمة الا يصلح لتولي اي وظيفة ؟ ثم ظلت الشكوك حوله تتزايد وبقيت عالقة بشخصه حتى يومنا هذا »

ولا يتوقف الكتاب عند ملايين الآباء الذين دمرتهم الازمة ، لكنه يكمل بقية الصورة بنماذج من بين اولئك الذين استطاعوا ان يكسبوا ويضاعفوا ثرواتهم حتى من

حلال الازمة والكساد على حساب ثروات الآخرين وابرز امثلة هذا الفريق حو كيندى وحيمي ليفرمور

ويصف الكاتب كيندى بأنه من الشخصيات التي فصلت بدقة لتلائم تماما الحياة في عاصة « وول ستريت » فهو يتمتع بنوع غريب من السحر يمكن وصفه « بالسحر الخبيث » . ولديه الكفاءة السودحية للافلات من الصاسين والنهابين المنتشرين في وول ستريت وكان الدافع الاساسي لدى كيندى لكي يقتحم عالم المال والاعمال هو الافلات من فقره المدقع « الايرلندى » . وبناء صورة امريكية حديدة محترمة لاسرته ولم يكن كيندى واهلها اراء مايجرى في « الشارع » كان يعرف ان « وول ستريت » « وكر للكراهية يمصح بالاحقاد » وفي مدينة مثل نيويورك عالبيتها العظمى من الكاثوليك . كانت موحات الكراهية العنصرية تتصاعد من وول ستريت صد البروتستانت واليهود والزرح كلما انكمشت احوال السوق

لكن حو كيندى لم يلق ترحيبا في وول ستريت ، لانه رغم تمتعه بالمؤهل الوحيد المطلوب وهو الثراء ، الا ان ثراءه من النوع الذى لا يلقى احتراما من الاغنياء القدماء ، لانه غنى محدث

وفي اول تجربة للتعامل بين كيندى و « وول ستريت عام ١٩٢٢ ، في صدر شبابه ، تفوق على اقرانه ، واستطاع بذكاء شديد ان يفشل محاولات منافسيه ، ويمنع هبوط اسهم شركته ، ثم تدرجت اعماله الى ان اصبح صاحب امبراطورية مستقلة تشرف على الانتاج السينمائي في عصر يسميه البعض « عصر جنون السينما » . وقدرت استثماراته في اعماله السينمائية فقط بخمسة ملايين دولار او ٢٥ مليون دولار بالقيمة الحالية

اما النموذج الاخر فهو حيمي ليفرمور احد كبار الاثرياء والمصاربين المعروفين في ذلك الوقت بانهم لا يجيدون شيئا سوى كسب الاموال

وكان ليفرمور هو المثال التقليدى لمحترق النهب في وول ستريت فهو يعرف كيف يتلاعب بالسوق للحصول على ما يريد ولم يكن يعرف اى فائدة ل سوى اعاقه عن آخره ولم يكن لديه طموح كيندى ساء عائلة غنية و « عريقة » لكن حساسيته المالية يمكن ان تخيب ، مما ساعده على تكوين ثروة حلال د الحرب العالمية الاولى فقط بلغت في ذلك الوقت حم ملايين دولار (حوالي ٢٥ مليون دولار بالقيمة الحالية) وقبل ان يعرف العالم شبكة الاتصالا السريعة الحديثة ، استطاع ليفرمور اقامة شب مخابرات خاصة به ، تربطه بأهم العواصم المالية في العا مثل لندن وباريس وبرلين وميلانو ولم يكن اتح ليفرمور كالاعمى وراء النقود ، ايما تكون ، سوى احد المكونات الاساسية لرجال وول ستريت جميعا وه مالاحظه مراقب داهية مثل تشرشل في رحلته الامريكية

وبعكس اسلوب ليفرمور ، الذى اتسم بالسر والحسابات الدقيقة عند التعامل مع الاسهم والسندا والمضاربات ، كانت عملية تشرشل في البورصة مح نزوة طارئة لم يحاول تكرارها وفي رسائل تشرشل لزوجته في ذلك الوقت ، لم يلاحظ رغم ذكائه الحا الجوانب الخفية من الجشع القاتل الذى يولده التعام المستمر في وول ستريت

بداية الانهيار

وابرز هذه الامثلة ما حدث في مدينة ديترويت ، حاث كل اعضاء مجلس ادارة بنك الاتحاد الصناعي حيث انخرط الجميع برئاسة نائب رئيس مجلس الاد فرانك مونتاج في عملية تدليس منظمة فقد اكتشف مديرو البنك ان رواتبهم وحدها لا تكفي للاستثمار وول ستريت وحتى فوائد ضخمة من ورائها ومن اتبعوا اسلوبا محيفا في النهب ، اذ سحبوا اموال عم البنك المودعة لديهم واستثمروها في وول ستر لحسابهم وكانوا يعيدون رصيد العملاء ويحتفظ لانفسهم بالارباح ومع اقتراب شهر اكتوبر وبدا الازمة العالمية سارت الامور في اتجاه معاكس

وفجأة اصبح على موظفي البنك المحتالين ان يعد

ـسائر الصحمة التي لحقت بهم من حراء الانهيار الاقتصادي ولما كانوا لا يملكون في الأصل شيئا سوى ...ـع العملاء ، اصبح لزاما عليهم قضاءفترة من السجن عقوبة بعد أن بددوا اموال العملاء وضعوا السك

في نفس الوقت الذي لم يدرك فيه كثيرون من المتعاملين في الاسهم وبورصة وول ستريت معزى « الاضطراب » الذي بدأ يشيع في اسواق المال والاعمال ، ادرك جو كيندي بفطنة نفاذة ضرورة الانسحاب المبكر باموال وارباحه اما ليفرمور وغيره من ذوي الخسرة الاكبر فقد خانتهم الحاسة المالية ، والقوا بمزيد من الاموال على اساس ان السوق سينشط ، وسرعان ما سيسترد وضعه السابق من جديد لكن في التاسع والعشرين من اكتوبر بدا الانهيار النهائي وهبطت قيمة الاسهم فقط في بورصة نيويورك بحوالي ثلاثة الاف مليون دولار (اى خمسة عشر الف مليون بالقيمة الحالية)

ورغم ذلك لم يرد كبار رجال المال أن يتصوروا نهاية الاسطورة وتحركت خمس وثلاثون من البيوت المالية الكبرى بسرعة في وول ستريت لتبدد « الشكوك » واعلنوا في بيان مشترك ان « السوق بخير في الاساس ، وأنه « من الناحية الفنية يعد في حال افضل مما كان عليه في الشهور الماضية » ثم اختتموا بيانهم بعبارة مطمئنة « لقد مرت وانتهت اسوا الظروف »

يوم انفجرت الفقاعة

وكان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من اكتوبر هو اليوم النهائي والحاسم ، الذى انفجرت فيه الفقاعة كان على الجميع ، حتى أكثرهم تفاؤلا أن يواجهوا الواقع المر وعندما وقف المنادى التقليدى يعلن بداية العمل في البورصة في ذلك اليوم ، لاحظ جرال بريد جمان ... عن أسهم الصلب الامريكية ان ثمن الاسهم ... نزل الى الحضيض

... المؤلفان ذلك المنظر نقلا عن شهود العيان .

« ... تلك الايام « ادى انهيار اسهم الصلب الامريكية الى فزع قبيح فقد تعالت اصوات الناس واندفع الناس يدوسون بعضهم البعض ، ويغرسون اظافرهم في بريد جمان ويرغمونه على الهرب الى مكتب جانبي ووجد احد العاملين الشبان نفسه محشورا بين الجموع ومشدودا من شعره بقوة ، بينما يصرخ الرجل الذى يشده من شعره بشكل هستيرى لقد افلست ولم يسمح الرجل لضحيته بالابتعاد ، حتى اضطر الشاب الذى اصيب بالرعب ان يستجمع قواه وينتزع نفسه بالقوة تاركا بعض شعره في يد الرجل الذى افلس وهاربا من البورصة كلها الى الخارج »

« وشيئا فشيئا بدت البورصة في وول ستريت كبيت تسكنه الارواح الشريره وعندما واصلت اسهم جميع الشركات هبوطها الى الحضيض ادرك ١٠٠٠ سمسار و ٢٠٠٠ من موظفي البورصة ان هذا اليوم هو مذبحة اصحاب الملايين »

ومثل كل الكوارث لم يخل الامر من بعض الفكاهات او السخريات السوداء اذ فجأة ارتمى احد السماسرة على الارض وبدا يتمرغ ويرجف بشكل جنوني وقبل ان تدوسه اقدام الحشد ، استطاع البعض ان يسحبوه الى احد الاركان واسرعت اليه احدى الممرضات ، وهو يغمغم بكلمات غير مترابطه ، فارسلت في استدعاء طبيب البورصة المقيم ورأى الطبيب بدوره ضرورة نقل الرجل الى اقرب مستشفى للامراض العقلية وهناك قرب مدير المستشفى اذنه من فم الرجل ليحاول فهم ما يقوله ثم مالبث ان ابتسم في مرارة معلنا ان الرجل ليس مجنونا ، لكنه فقد بعض اسنانه الصناعية بينما كان يصرخ بقوة ليعلن بيع بعض الاسهم ثم ارتمى وسط الحشد الكبير في محاولة يائسة للعثور على اسنانه الصائعة »

عقدة بلا حل

واستمر الفزع في ارجاء البورصة مع صرخات اصحاب الاسهم وهم يعلنون رغبتهم في البيع الى مابعد ظهر اليوم وكانت اسوأ اثار ذلك اليوم واضحة على اولئك الفقراء الذين قتروا على انفسهم وادخروا بعض

الاموال لاستثمارها في أسهم الشركات فقد انهارت تماما كل شركات الاستثمار البالغ عددها ٧٥١ شركة وقال احد النقاد الفاضبين ان هذه الاحتكارات قد تأسست على نفس القاعدة الاقتصادية التي اتبعها في العصور الوسطى مولو ادعياء الكيمياء ، الذين أرادوا تحويل بعض المعادن الى ذهب فقد كان الهدف الرئيسي هو اجتذاب الدولارات التي ادخرها الفقراء »

بينما سيطر الاندفاع نحو البيع على الجميع لجأ الذين افلسوا الى الصلاة وركع كثيرون على أرض البورصة ، داعين الله ، دون جدوى ، ان يعيد اليهم ثرواتهم وخر آخرون ساجدين في كنيسة قريبة من مبنى البورصة ، دون ان يلاحظوا اى فارق بين البروتستانت والكاثوليك واليهود

اما جيسى ليفرمور الذى استطاع بعض الالعاب البهلوانية المالية ان يصمد خلال بدايات الازمة ، فلم يستطع ان يواصل الصمود بعدئذ

وفي عام ١٩٣١ فقد مايساوى الآن مائة وخمسين مليونا من الدولارات ، وسرعان ماهبط الى الصفر ، ثم تجاوزه بالاقتراض من الاخرين

وفي امسية احد ايام الخريف من نفس العام اتجه الى « بار » في احد فنادق نيويورك ، وابتلع بضع كئوس في دقائق قليلة ، ثم اخرج قلما ذهبيا وكتب على ورقة بخط واضح عدة مرات « كانت حياتي فاشلة » ثم اتجه الى دورة المياه وانهى حياته بطلقة من مسـ ـه ،

لكن جو كيندى الذى كان قد ادار ظهره لوول ستريت قبل الازمة ، ضاعف ثروته بعد ..ك من استثمارها في العقارات ، حيث استغل فرصة الانهيار واشترى الكثير من المخازن والمحلات بأثمان زهيده

●

وفي النهاية يلتقى المؤلفان بفرانك مونتاج نائب رئيس بنك الاتحاد الصناعي الذى صارب بودائع عملائه ، بعد ان قضى عقوبته في السجن كان مونتاج مريضا وفقيرا ومحطما

وروى القصة الكاملة لتلك الفترة الكئيبة ولم يجد مبررا لجريمته سوى ان « كل الناس في ذلك الوقت كانوا يحاولون الحصول على ثروة باقصر واسرع الطرق »

وامام المآسي الجديدة في وول ستريت ، لاحظ المؤلفان ان كل شيء قد تغير ظاهريا ، لكن « الشارع » مازال يحتفظ بخاصية عصوية ذات دلالة

وسيظل يحتفظ بها دائما وهي « عقدة لاحل لها ، في داخله » ■■

القاهرة ـ فيليب جلاب

منتهى السخرية

● في القنصلية الامريكيه بلشبونة عاصمة البرتغال كان موظف الجوازات منهمكا بعمله اذ دخل عليه رجل خجول المحيا وقال « هل لك ان تنبئني ان كنت استطيع الفور بجواز لدخول بلادكم العجيبة » وكان الموظف قد قضى اياما بلياليها يعالج مئات او الوفا من مثل هذا الطلب فقال « مستحيل الآن بعد عشر سنوات » فمشى الرجل الى الباب ثم توقف والتفت وقال وهو يبتسم ابتسامة صفراء « أجيء حينئذ في الصباح او بعد الظهر ؟ »

* *

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هدا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٤ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول مارس (١٩٨٠)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم شاعر عربي كبير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر تركي معروف

الكلمات الأفقية :

١ - من العناصر الكيميائية ـ سكّان العراق القدماء
٢ - جمهورية سوفيتية ـ متشابهان ـ من الاقارب
٣ - تخفي ـ من أوجه القمر ـ نصف كلمة (منهك)
٤ - حرف استفهام ـ أعمّ ـ قاطعة
٥ - من الغازات ـ أغوار ـ غذاء طبيعي كامل
٦ - عاصم استخدمتهم الدولة العبّاسية الثانية ـ ضمير ـ من الثمار
٧ ـ تقوى ـ اكتمل ـ سقط ـ من الفاكهة
٨ ـ شاعر عربي كبير
٩ ـ من الحبوب ـ فريدة ـ في الفم
١٠ ـ لاذ ـ ساهمت ـ يحميني
١١ ـ عمر ـ من الاقارب ـ من الأشجار
١٢ ـ لا بارد ولا ساخن ـ عملة أوربية ـ خراب
١٣ ـ نصف كلمة (مريح) ـ في الجيش ـ ضلال ـ رمز هندسي
١٤ ـ نشيد ـ نصف كلمة (يوسف) ـ وهمي .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٤
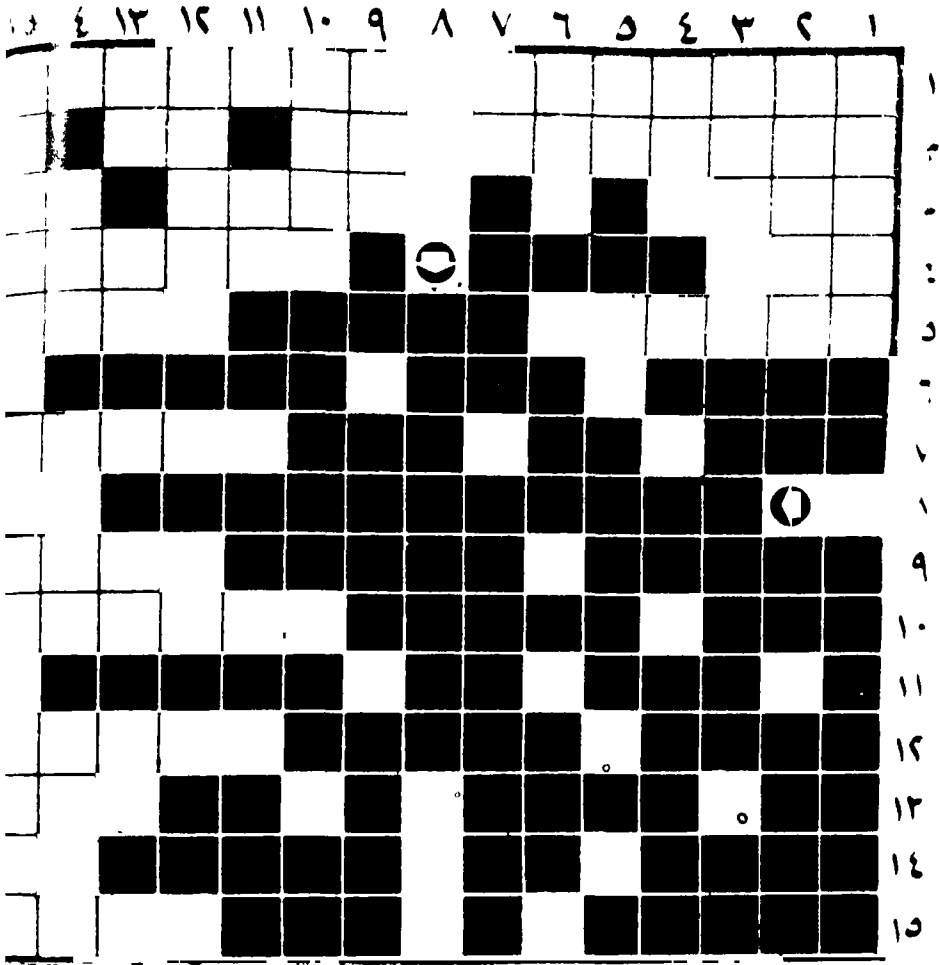
١٥ - يستعيد - شهر هجري - حيوانات

الكلمات الرأسية ·

١ - عاصمة نيبال - عالم اكتشف الكهرباء الحيوانية

٢ - ملك فارسي قديم - متشابهان - أسحق

٣ - من الحواس - من سور القرآن الكريم - نصف كلمة (نبات)

٤ - مقام موسيقي - أوّل الشر - حرف نفي - من الخضروات

٥ - يشبع - لقب رئيس وزراء بريطاني شهير

٦ - لفظ تعجّب - فعل واجب التنفيذ - بلا جدوى

٧ - قام بأول رحلة بحرية حول العالم - من العناصر الكيميائية

٨ - شاعر تركي معروف

٩ - في الكف - كلمة (تأسى) مبعثرة - يتيه

١٠ - قيّد - المصر - من الاقسارب - نصف كلمة (أريج)

١١ - أظل - محيف - أفل

١٢ - انقصت - علّة - من وسائل الاضاءة

١٣ - بحر - من العناصر الكيميائية - عملة يابانية

١٤ - قريبا - في العين

١٥ - تنبأ - نصف كلمة (بيوت) - عبيد

بحّار وجندي ومؤرخ انجليزي

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الأسهم ، ورتّبها لتصنع الاسم الاول لبحّار ومؤرخ من العصر الاليزابيثي ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها لتصنع لقبه

الكلمات الافقية :

١ ـ من الحوامض
٢ ـ ولاية أمريكية
٣ ـ عمّ ـ نصف كلمة (قيود)
٤ ـ نصف كلمة (فانوس) ـ من الحبوب
٥ ـ يشتمون
٦ ـ أبصر ـ للتفسير

الكلمات الرأسية :

١ ـ أوّل من اكتشف أهميّة الجراثيم
٢ ـ دولة أفريقية
٣ ـ تدكّ ـ يحصّي
٤ ـ نصف كلمة (قاطع) ـ حرف عطف
٥ ـ تأكدوا
٦ ـ ثنى ـ نصف كلمة (سي)
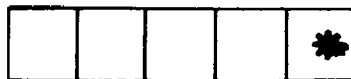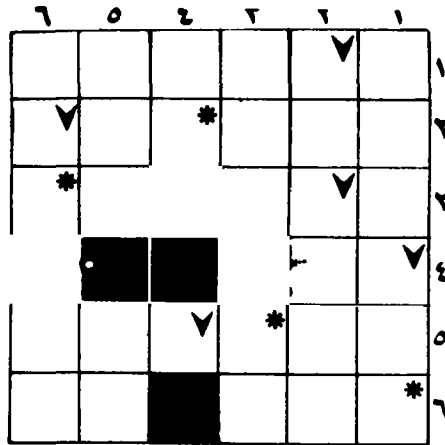
● اختبار معلومات ●

أين الصواب .. وأين الخطأ ؟ .

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟

١ ـ بيرانا أسماك متوحشة

٢ ـ أوياشيو تيار مائي بارد في اليابان

٣ ـ أوفر لود من أنواع البنادق الرشاشة

٤ ـ أمبيدوكل صقلي من أقدم علماء النبات

٥ ـ الياك حيوان يعيش في منطقة الانديس

٦ ـ فان دايك رسام فلمنكي شهير

٧ ـ الفرافرة واحة مصرية

٨ ـ العلجوم من أجزاء الجهاز العصبي

٩ ـ الدياتومات نباتات دقيقة توجد طافية على سطح الماء

١٠ ـ اسد البحر حيوان من البرمائيات

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول ان تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام ، يحلّ محلّ علامة الاستفهام

الحلول

النحمة والسهم

والتر رالي

أين الصواب وأين الخطأ

كلّها صحيحة فيما عدا

٣ ـ أوفر لود الاسم الرمزي للغزو البريطاني لاوروبا في الحرب العالمية الثانية

٨ ـ العلجوم حيوان من أكلة الحشرات

١ ـ أسد البحر الاسم الرمزي لخطّة الغزو الالماني لبريطانيا

الشكل المطلوب

رقم ٦
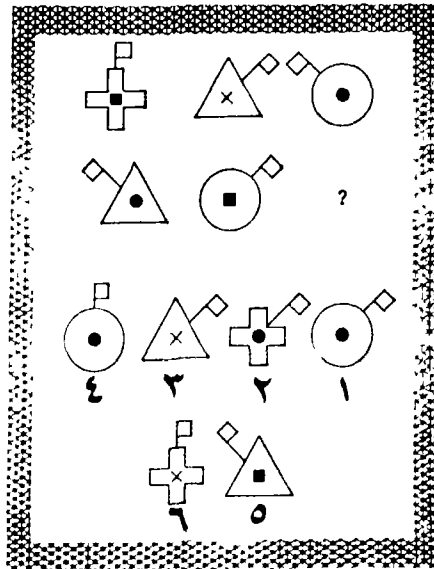
ط يقكم إلى الجامعات أو إلى المهن
يبدأ من كلية سانت أولديتس
اكسفورد ، إنجلترا
المتخصصة في الدراسات المتقدمة
المتعلقة بشهادة الدراسة العامة جي سي ئي

سانت اولديتس هي أكبر كلية حاصة في اكسمورد للدراسات العالية وهي مركز امتحانات معترف به لأربع من لجان امتحانات شهادة الدراسة العامة (جي سي ئي) بالمملكة المتحدة

تضع الكلية أمامكم فرصة الاختيار الواسع من بين المجموعات التي تضم كل منها عددا من المواضيع . وقد تم اختيار كافة هذه المجموعات بعناية ، مع اخذ احتياجات الطلبة بعين الاعتبار جنباً إلى جنب مع شروط الدخول إلى الجامعات البريطانية ومتطلبات الانخراط في المهن ببريطانيا

تولي الكليه عناية فائقة بمصلحة طلبتها الاجانب وتقدمهم ، بحيث يستفيد جميعهم إلى حد بعيد من الخدمات الاجتماعية والتعليمية التي تتمتع بها مدينة جامعات اعتادت على رعاية ساكنيها من الطلبة الشبان الموهوبين البالغ عددهم ١٢

التعليم في الكلية مختلط وهي توفر وسائل الراحة لما يقرب من ٣ طالب وتضم مباني الكلية مختبرات علمية حديثة مجهزة تجهيزا وافيا فضلا عن مرافق هادئة ومريحة للدراسة الخاصة

يقوم بالتدريس مدرسون جامعيون مؤهلون تاهيلاً عالياً و يوضع الطلبة في مجموعات صغيرة ونادرا ما يزيد عدد الطلبة في مجموعة ما عن عشرة لذا فانه يمكنكم ان تطمئنوا الى انكم ستحظون بافضل فرصة لاجتياز الامتحانات بنجاح وهذا النجاح سيمكنكم من تزويد انفسكم بالمؤهلات اللازمة اما لدخول الجامعات واما للانخراط في مهنة

معظم الطلبة الذين يفدون الى سانت اولديتس ينوون متابعة الدراسات العليا في المملكة المتحدة وهم يدرسون ثلاثة موضوعات بمستوى « رفيع » تستغرق منهم مدة عامين اما الطلبة الذين يرغبون في الالتحاق بهذه الدورات فيجب الا تقل سنهم عن ١٧ عاما وان يكونوا ناجحين بمستوى « عادى » على الأقل (اى ان يكون الحد الأدنى هو المرتبة « ٦ ») في المواضيع ذات الشان

ومن اجل الدراسة للحصول على مستويات « رفيعة » ، من الضرورى ان تكون لدى الطالب مقدرة عالية في اللغة الانجليزية ، ولن ينظر في امر قبول الطلبة مباشرة الا اذا اثبتوا انهم يتمتعون بهذه الكفاءة

تعقد الكلية دورات بمستوى « عادي » للطلبة الذين يتمون عاما بمستوى « عادى » ، او ما يعادله ، دون ان يكونوا حاصلين على درجات عالية بما يكفي لقبولهم مباشرة للمستوى « الرفيع »

نتوجه بالدعوة الحارة الى الطلبة كي يكتبوا الينا فورا للحصول على معلومات وافية عن الدورات التي نعقدها لشهادة الدراسة العامة بالمستوى « الرفيع » والمستوى « العادى »

St. Aldates College, Oxford

The Principal, B Mendes, B Sc , Econ , F C A., Dept 88
Rose Place, Oxford OX1 1SB, England

تحافظ على وقتك بدقة متناه
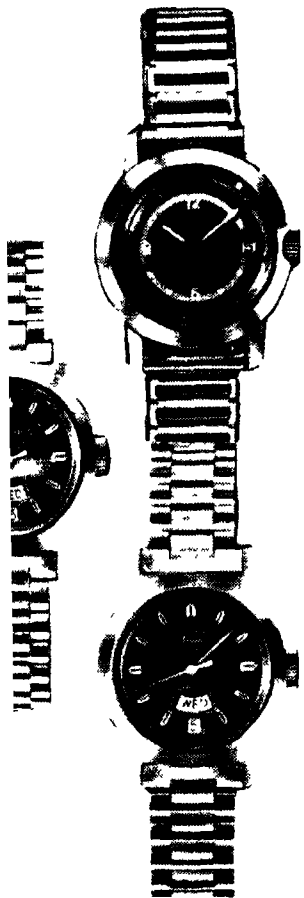
الوكيل العام

يعقوب يوسف بهبهاني

ساحة الصفا - دولة الكويت
ص ب ٣٣٤ - تلفون ٣٥٨٥

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩[illegible]٠

١٢٤

مكبث

تأليف : وليم شكسبير

ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

تحقيق وتقديم : كينيث ميوار

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يناير ـ كانون الثاني ١٩٨٠

المسرح
في الوطن العربي

تأليف :
الدكتور علي الراعي

الكتاب الخامس والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير ــ وثائق ــ يوميات ــ بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ــ كلية الاداب والتربية ــ الشويخ ــ دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧ــ٨١٦٧٩٩ــ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

عزيزي القارئ

تبدأ الكويت في هذا الشهر عاما جديدا في مسيرة استقلالها الوطني ، مضيفة به خطى جديدة على طريق البناء والتقدم ، ذلك انها عاما بعد عام ، تؤكد الكويت منذ الاستقلال اصرارها على ان تمضي بخطى وئيدة على هذا الطريق ، من منطلق ان سلامة البناء العربي الكبير لا تتحقق الا برسوخ وقوة كل لبنة فيه

وفي هذا الاطار ، فان ما تحقق خلال العام الذي انقضى يؤكد اكثر من اي شيء آخر انه رغم كل الملابسات الضاغطة ، فإنه لا شيء يثني عزم اي بلد مهما كان صغيرا ، عن ان يبني نفسه بجد واقتدار ، ويحث الخطى على طريق التقدم

وهكذا ، فانه داخليا وعربيا ودوليا ، قد كان للكويت وجودها الفعال طوال العام الذي مضى ، من خطط للتعمير وتوفير الرخاء في الداخل ، الى جهد لا يكل في المساندة والدعم الاقتصادي للدول العربية والافريقية والشعوب الاسلامية ، الى سعي دائم للوقوف الى جانب قضايا الحق والعدل في المجتمع الدولي .

ان عاما جديدا من الاستقلال هو في حقيقته صفحة جديدة من تاريخ هذا الوطن ، وليس لنا الا ان نتمنى ان تسجل هذه الصفحة المزيد من الانجازات والعلامات المضيئة ، وسط ذلك الضباب الكثيف الذي يغلف الحاضر العربي .

« المحرر »

صورة الغلاف

● رغم القتل والقصف والقنص ، تتشبث بيروت بعزيزة البقاء والحياة تعيش وتبني وتضحك واستطلاع هذا الشهر في تلك المدينة التي تواجه الموت بتحد وشجاعة نادرين ، وهذه صورة في أحد شوارع بيروت سيدة تشتري خضره لتزين بها البيت فما زال للفن والجمال مكان في بيروت

(انظر الصفحات ٦٨ ـ ٩١)

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي ولكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس

الاشتراكات . يراجع طالب الاشتراك .

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٣٧٤٤٦
تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 255 -- February 1980
P.O. Box 748 -- KUWAIT

كيف نفكر ؟

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

في وطننا العربي احساس حاد بأن الثقافة في ازمة ومع ذلك فان كثيرا من المتحاورين في هذا الموضوع لا يتفاهمون ، ولا يصلون الى تحديد واضح لطبيعة الازمة ومظاهرها ووسائل حلها ، لاسباب من أهمها انهم لم يتفقوا على معان محددة للكلمات التي يستخدمونها في بحث هذا الموضوع الحيوي . وأنا لا أزعم أن الاتفاق على هذه المعاني سيحل المشكلة ، لأن لأزمة الثقافة أبعادا أساسية متعلقة بطرق تفكيرنا التقليدية ، ووضع المثقف في المجتمع ، ومدى احترام العقل والخيال الحر في أنظمة يفضل معظمها أن يتحكم مباشرة في اتجاهات تفكير الناس ولكني اعتقد ، مع ذلك ، ان القاء الضوء على بعض الالفاظ الأساسية التي نستخدمها في مناقشاتنا حول الثقافة ، يمكن ان تكون تمهيدا مفيدا لارساء هذه المناقشات على أسس أوضح ، ولايجاد أرض مشتركة بين المتحاورين حول هذه المشكلة التي هي ، بلا جدال ، اكبر هموم العقل العربي في وقتنا الحاضر

أولا ما هي الثقافة ؟

كلمة الثقافة من أكبر الكلمات تداولا ، وهي في الوقت ذاته من أشدها غموضا ، بحيث أن هناك احتمالا كبيرا في أن يكون أي جدل حول الثقافة ، هو في حقيقته بين أشخاص لا يتحدثون جميعا عن شيء واحد ، ذلك ففي استطاعتنا ان نهتدي ، ضمن المعاني محددة التي يستخدم بها هذا اللفظ ، الى معنيين ... ، هما

١ ـ الثقافة كما يستخدمها علماء الاجتماع ، ويمكن تعريفها بانها « ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة ، والاعتقاد والفن ، والقانون ، والاخلاق والعرف ، وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الانسان بوصفه فردا في المجتمع » ويقترب من ذلك التعريف الوارد في قاموس اكسفورد ، من انها « الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين ، كما تعبر عنها الرموز اللغوية والاساطير والطقوس وأساليب الحياة ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية »

٢ ـ الثقافة بالمعنى الانساني الرفيع ويمكن تعريفها بأنها صقل الذهن والذوق والسلوك وتنميته وتهذيبه ، أو بأنها هي ما ينتجه العقل أو الخيال البشري لتحقيق هذا الهدف ويلاحظ أن هذا المعنى يرتبط بالاصل اللغوي لكلمة Culture ، في اللغات الاجنبية ، وهي كلمة تعني تعهد النبات وحرثه ورعايته حتى يثمر (منهـا جاءت كلمة زراعة Agriculture ، بل انه يرتبط بهذا المعـنى ذاته في اللغة العربية ، لان الاصل « ثقف » يحمل معنى التهذيب والصقل والاعداد وهنا تكون الثقافة عملية رعاية واعداد مستمر للعقل والروح البشرية ، أما معناه بوصفها منتجا يؤدي هذه الوظيفة ، فلم تكتسبه الا فيما بعد

ان تختفي الثقافة !

والمثل الاعلى لثقافة بهذا المعنى هو العلو الى اقصى حد بالتكوين العقلي الروحي والاخلاقي للانسان ، وبطريقته في التفكير وتأمل العالم وتذوقه ، أي أن تصبح الثقافة تكوينا باطنا ، داخليا ، تلقائيا في الانسان ، لا يعود محتاجا الى عون خارجي ، وقد ذهب « هربرت ريد » الى حد القول ان المثل الاعلى للثقافة هو ان تختفي الثقافة ، بمعنى ان تصبح مندمجة في شخصية الانسان حتى دون ان تعرض على مسرح او تقدم في كتاب ، ولا تعود الثقافة واعية ، بل « صامتة » تكون جزءا من كيان الانسان ، ولكن هذا بطبيعة الحال شيء بعيد المنال ، وقد عرضناه هنا لكي نوضح عن طريقه اكثر المعاني تطرفا في فهم الثقافة ، من حيث هي صقل وتهذيب للنفس البشرية

وعلى أية حال ، فلدينا الآن معنيان محددان للثقافة ، وعن طريق المقارنة بينهما يمكننا ان نلقي مزيدا من الضـوء على كل منهما ، وادراك العلاقـات واوجـه الاختلاف بينهما

ان المعنى الاول اجتماعي أوجمعي بطبيعتـه ، لان الثقافة هنا توصف بأنها سمة للمجتمع نفسه ، او صفة لا يكتسبها الفرد بحكم انتمائه لمجتمع معين ، ويكاد علماء الاجتماع يقولون ان الثقافة هي ما يميز الجماعة البشرية عن أي تجمع حيواني لان الانسان وحده هو الذي يصنع رموزا وانظمة تنعكس عليها قيمه واتجاهاته اما المعنى الثاني فهو فردي بطبيعته ، لان عملية الصقل والتهذيب تتعلق بفرد معين ، او بمجموعة من الافراد الذين يتسم كل منهم بشخصية مستقلة ، كما ان الناتج الثقافي ، في معناه الرفيع ، مرتبط ارتباطا عضويا بالفرد الذي ابدعه ، على عكس الناتج العلمي الذى يفقد ارتباطه بشخصية مكتشفه بمجرد أن يشيع ويعترف به على نطاق واسع

احمد بهاء الدين

لم يتمكن لسبب طارىء من كتابة مقاله ، ويستانف « حديث الشهر » في العدد القادم ، باذن الله .

ومن ناحية أخرى فان الثقافة بالمعنى الذي يستخدمه الاجتماعيون تمثل الحد الادنى الذي يكتسبه الفرد بحكم انتمائه الى المجتمع ، فهي تمثل نقطة البداية في حياة الانسان الواعية لأن كل فرد يبدأ بقبول ثقافة مجتمعه ، اي بقبول القيم والاتجاهات التي تسود في ذلك المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية ذاتها ، اما الثقافة بالمعنى الثاني فتمثل الحد الاقصى الذي لا يصل اليه الا القليلون ، ومن هنا كانت نقطة نهاية ، او هدفا يسعى الفرد طوال حياته الى تحقيقه

ومن ناحية ثالثة فان الثقافة بالمعنى الأول بطيئة الحركة ، تعتمد على التوارث الآلي ، بل انها تكاد تكون ساكنة راكدة ، وخاصة في المجتمعات التقليدية اما الثقافة الرفيعة ، او النواتج العليا للثقافة ، فهي سريعة الحركة ، لأن قوامها هو صقل الذات وسعيها الدائم الى التنقل الى مستويات اعلى

ويترتب على هذا كله فارق أخير هام ، هو أن الثقافة بالمعنى الاول شاملة ، توجد حيثما يوجد أي مجتمع انساني ، أي أن أشد المجتمعات بدائية له « ثقافة » بهذا المعنى ، اما في معناها الثاني فهي محدودة النطاق ، انتقائية ، لا يتسنى بلوغها الا لنخبة مختارة ،

هل هناك معنى ثالث ؟

يمكن القول ان المعنيين السابقين هما اللذان يستخدمان على أوسع نطاق ، وتكشف المقارنة بينهما عن التباين الاساسي بين مفهومين مختلفين للثقافة ، ومع ذلك ففي استطاعتنا أن نتصور معنى ثالثا وسطا بينهما ، يمكننا ان نطلق عليه اسم « الثقافة الشعبية » . ففي بلد كمصر ، على سبيل المثال ، يمكننا ان نقول بثقافة شعبية منتشرة على نطاق واسع ، هي تلك التي يعجب فيها الانسان المصري العادي بمسرحيات عادل امام ، وينصت بخشوع الى احاديث الشيخ شعراوي او خطب الجمعة للشيخ كشك ، ويتابع كتابات مصطفى محمود ، ويستمتع بغناء احمد عدوية ورقص سهير زكي ، هذه الثقافة الشعبية لها معنى مختلف عن الثقافة بالمعنى الاجتماعي لانها تتعلق بنواتج او اعمال ثقافية يقوم بها متخصصون ، مهما كان مستواهم ، وليست مقتصرة على القيم والعادات وأساليب التفكير التي يتلقاها المرء تلقائيا من المجتمع ، ولكنها ايضا مختلفة ـ كما يدل اسمها ذاته ـ عن الثقافة الرفيعة ، لانها ترضي ذوقا شعبيا واسع النطاق ، وتتعلق بنواتج ثقافية تحتاج في ابداعها وتذوقها الى جهد يقل بكثير عن الذي تحتاج اليه الثقافة الرفيعة

وبطبيعة الحال فان المثال الاعلى للثقافة ، في اي مجتمع ، هو ازالة او تخفيف الحد الفاصل بين الثقافة الرفيعة ، والثقافة الشعبية ، بمعنى ان تكون هناك ثقافة عالية تقدم ـ على اوسع نطاق ممكن ـ لجماهير قادرة على تذوقها ، ولكن هذا يفترض مجتمعا أزيلت منه الفوارق تماما اما في ظل الظروف الراهنة ، فلا مفر من استمرار هذه الازدواجية ، بحيث تكون الثقافة الرفيعة مقتصرة على القلة ، وتوجد الى جانبها ثقافة شعبية اوسع منها نطاقا بكثير .

المثقف في كل مجتمع

يلاحظ ان كلمة « المثقف » في اللغة العربية تحمل معاني تتجاوز ما يمكن ان يقابلها في اللغات الاجنبية فليست هناك كلمة واحدة مباشرة في تلك اللغات الاجنبية ، تؤدي بالضبط معنى « المثقف » اذ نجد في الانجليزية مثل كلمة Intellectual (أو Intellectuel في الفرنسية) تحمل معنى عقليا في المحل الاول وفي الروسية تحمل كلمة « انتلجنسيا » ، الى جانب المعنى العقلي معنى سياسيا ثوريا اما في العربية فان كلمة « المثقف » لا تعني من يستخدم ملكاته العقلية وحدها بل تعني ايضا من يستخدم خياله او قدرته على الابداع ، فكلمة المثقف في العربية تعني من يحب المعرفة ، وتعني ايضا من يتذوق الفن والادب وغيرها من نواتج الخيال

والمثقف يمكن ان يكون هو المبدع او المبتكر ، ويمكن ان يكون هو المتذوق والمتلقي الواعي لذلك الابداع ويفترض في المثقف ، اذا كان متلقيا ، ان يكون قادرا على التمييز بين الانتاج الرفيع والانتاج الهابط ، ولا يكون مثقفا بالمعنى الصحيح الا اذا اقتصر في تذوقه واستمتاعه على النوع الاول فحسب

ثانيا ما هي الازمة ؟

اولا ـ للازمة معنى واسع وفي هذا المعنى يمكن القول ان كل عصر من عصور التاريخ كانت له ازمته الثقافية الخاصة فمفهوم الازمة يبدو ملازما لمفهوم الثقافة ، لان الوعي الذي يتميز به المثقف يجعل تفكيره خارجا عن اطار ما هو متحقق بالفعل ، بل ان المثقف كان في معظم العصور خارجا عن اطار القيم الشائعة ، تطلعا منه الى عالم افضل ، ومن هنا كان يشعر دائما بوجود أزمة

هذه الأزمة مزدوجة بطبيعتها ، فهي من جهة تعبر عن عجز الواقع عن مواكبة الفكر ، وذلك لان الفكر بطبيعته اكثر مرونة واقدر على التحرك في اتجاه المستقبل وتخطي الموجود بالفعل ، وهكذا رأينا المفكرين والفنانين والادباء في عصر النهضة الاوروبية مثلا يتطلعون بانتاجهم الثقافي الى عصر جديد لم يكتمل تحققه الا بعد قرنين على الاقل ، ورأينا ادباء عصر التنوير وفلاسفته يسبقون الثورة الفرنسية قبل قيامها بعشرات السنين ، ويمهدون العقول لتغيير حاسم يتجاوز بكثير اطار الواقع الذي يعيشون فيه

ولكن الازمة يمكن ان تعبر ايضا عن معنى مضاد للمعنى السابق اذ ان الواقع قد يكون هو الاسرع تطورا من الفكر ، بحيث يعجز هذا الاخير عن مواكبته وتتمثل هذه السمة الاخيرة في العصر الحديث بوجه خاص ، وفي المجتمعات سريعة التطور ففي هذه الحالة نجد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي تطرأ على الواقع اسرع من التغيرات التي تطرأ على الفكر ، ويكون تغيير البنية الاجتماعية اسرع وربما اسهل من تغيير عقول الناس وأساليب تفكيرهم وسلوكهم ونتيجة لهذا ا تتلاحق الازمات الثقافية ، وتتخذ في كل ح حديدا ، او تطرح من خلال مفاهيم جديدة ، ول معبرة عن عجز الفكر عن ملاحقة واقع التطو

المهم في الامر ان مفهوم الازمة يتسع عر بين الفكر والواقع ، ويبدو انه مفهوم ملاز الحضاري للانسان ، بل ربما كان علامة صحية يقظة الوعي الانساني ورهافة احساسه المحيطة به

ثانيا ـ ولكن للازمة ايضا معنى أض كانت الازمة بالمعنى السابق ملازمة لكل ا البشرية ، ولكل مراحل التطور التي مر الانساني ، فان هناك مفهوما آخر أضيق نطا فيه الازمة تعبيرا عن مرض او اختلال

ذلك لان هناك حدا ادنى للشروط التي تزدهر فيها الثقافة ، فاذا لم يتوافر هذا الحد الا هناك ازمة ثقافية من نوع غير صحي ، ومثا تفرض قيود شديدة على حرية التعبير بوجه ع حرية أصحاب اتجاهات فكرية معينة في ال أنفسهم ، أو أن توكل أمور الثقافة الى اشخا يتعمدون تخريبها او نشر التفاهة او ارجا الساعة الى الوراء ومن الواضح ان جزءا كبير الثقافة في وطننا العربي وفي معظم بلاد العال ينتمي الى هذا النوع الاخير ، ومن هنا كان هذ « الأزمة » الذي نود التركيز عليه

محور القضية : الثقافة والسل

في ضوء هذه الفكرة الاخيرة يتبين لنا ان الثقافة والسلطة هي التي تتحكم الى حد بعي معالم الازمة الثقافية في مناطق العالم الت اليها ، ذلك لان السلطة هي المسئولة عن تعكير الجو الذي تعيش فيه الثقافة ، و

وعد الا زمة لنموها او وضع المعوقات في طريقها

والواقع ان التأمل الدقيق لأزمة الثقافة في بلاد العالم الثالث ، ولأزمتها في البلاد المتقدمة صناعيا يكشف عن اختلاف اساسي في طبيعة الازمة في كلتا الحالتين

فالمشكلة الكبرى التي تواجهها الثقافة في المجتمعات المتقدمة صناعيا ، هي تحديد موقف الثقافة ازاء التقدم العلمي والتكنولوجي ، أو موقف العقل والروح الانسانية ازاء الآلة . ولو تصفحنا ما يكتب عن الثقافة وازمتها في تلك المجتمعات ، لوجدنا هذه الكتابات تدور ، وفي اغلب الاحيان ، حول موقف المثقف من طغيان التكنولوجيا الحديثة السريعة التغير ، واغتراب الانسان في عصر الالة التي تحول البشر الى اشياء ، وتمسخ نواتج الروح البشرية على شكل سلع ومنذ القرن التاسع عشر كانت المشكلة الكبرى التي تواجه مثقفي أوروبا هي كيفية مواجهة الثقافة الانسانية للعلم ، والطرق التي يمكن بها التغلب على الازدواجية الاساسية التي يتسم بها عقل الانسان الاوروبي الحديث واعني بها الازدواجية بين العلم في تخصصه وماديته وطابعه الجزئي ، وبين الثقافة الانسانية في شمولها وسعيها الى تحقيق نمو متكامل لملكات الانسان وقدراته ولا يمكن القول ان هذا الحوار حول الثقافة والعلم او التكنولوجيا قد بدا منذ اواسط القرن العشرين فقط ، حين القى « سنو Snow محاضرته الشهيرة عن « الثقافتين » ، لان اوروبا عرفت هذه المشكلة بوضوح كامل منذ القرن التاسع عشر على الاقل ودار الحوار بين « ماثيو ارنولد » « وتوماس هكسلي » ثم في اوائل القرن الحالي بين « اليوت » وغيره وفي كل الحالات كان الاحساس السائد في المجتمعات الاوروبية هو ان الازمة الحقيقية للثقافة هي التحدي الذي يواجه به العلم المتخصص روح الانسان وخياله وملكاته الابداعية وفي اضطرار العقل الحديث الى ان يعيش منقسما على نفسه بين تكنولوجيا اساسية بالنسبة اليه ، وملكات ابداعية تطالب لنفسها بالحق في التعبير الكامل عن نفسها

اما في العالم الثالث فان المشكلة الحقيقية التي تواجهها الثقافة هي تحدى السلطة ، لا تحدى العلم ، وان كان لابد من الاعتراف بان بعض المشكلات الفرعية المترتبة على مواجهة الثقافة للعلم والتكنولوجيا الحديثة ولكي نفهم طبيعة هذه المواجهة بين الثقافة والسلطة ينبغي علينا ان نحدد معاني « السلطة » فالسلطة قد تكون سلطة العرف الشائع ، او سلطة الدين ، او سلطة الحكومة ، وهذه الانواع الثلاثة من السلطة تؤثر في الثقافة تأثيرا سلبيا اذا استخدمت بطريقة تعسفية غاشمة

فسلطة العرف والتقاليد الشائعة يمكن ان تقمع الثقافة ، لان من طبيعة الابداع الثقافي ان يكون في صراع مع القيم السائدة ، لا عنادا منه تجاهها او مخالفة متعمدة لها ، ولكن لانه يتطلع الى التعبير نحو الافضل ، بينما العرف يتسم بالثبات والمحافظة على الاوضاع الراهنة ، بل والتعلق بالماضي ومحاولة تثبيته

ولكن الصراع الاكبر للثقافة ، في بلاد العالم الثالث ، وفي البلاد العربية بصورة واضحة هو صراعها مع السلطة الدينية ، وسلطة الحكومة

اما سلطة الحكومة فتظهر في بلاد العالم الثالث بوضوح لان معظم الانظمة في هذه البلاد تسلطية تتدخل فيها الدولة لفرض رأيها على مختلف اشكال التعبير الثقافي . وتضع العراقيل امام الاعمال الثقافية التي تتعارض مع اتجاهات الدولة ، وفي الحالات التي تخضع فيها الثقافة لسلطة الحكومة مباشرة ، عن طريق وجود مجالس او هيئات مسيطرة عليها ، او تأميم مرافق انتاج الثقافة ونشرها وادائها ، تثار مشكلة الثقافة والسلطة بأكثر صورها حدة

ويمكن القول ان مشكلة الثقافة والسلطة الدينية قد اثيرت في الوطن العربي منذ فجر النهضة الحديثة ، اى منذ ظهور رواد الفكر الحديث وعلى رأسهم جمال الدين الافغاني وعبدالله النديم ومحمد عبده ، ثم الجيل التالى

الذي يمثله طه حسين وعلي عبد الرزاق وقد اثار هؤلاء جميعا مشكلة التغيير الذي ينبغي ان يطرأ على فهمنا للدين من اجل مواجهة مطالب الحياة الحديثة وتصدى لهم انصار الاتجاهات التقليدية ومنذ ذلك الحين استمرت المشكلة، متخذة في كل جيل او في ظل كل نظام للحكم، شكلا مختلفا، تبعا لطبيعة الظروف السائدة وما زالت المشكلة قائمة حتى اليوم، بل انها اتخذت في السنوات الاخيرة شكلا حادا، واصبحت تمثل مظهرا اساسيا من مظاهر الصراع الثقافي في بلادنا

مشكلة النسبية في الحكم والتقييم

تؤدي بنا النقطة الاخيرة الى اثارة مشكلة النسبية في الحكم والتقييم الثقافي ذلك لاننا اذا كنا قد تحدثنا عن ازمة المواجهة بين الثقافة والسلطة، وقلنا ان من اكبر مظاهر هذه الازمة ترك مقاليد الثقافة لعقول مختلفة عاجزة تماما عن مخاطبة الاجيال الجديدة من الشباب المتطلع الى التغيير والتقدم، فمن الممكن ان يوجه الينا اعتراض اساسي يقول ان هذه أزمة من وجهة نظر نسبية فحسب، لان انصار هذه الاتجاهات المحافظة لا يعترفون بوجود اية ازمة، بل يرون ان العهد الذي يسيطرون فيه على الثقافة هو العهد الذي تزدهر فيه الثقافة بحق، وهكذا تثار هنا مشكلة النسبية بحث ينبغي علينا ان نتساءل هل صحيح ان الثقافة تخضع لمعايير النسبية هذه، بحيث تكون الثقافة، الواحدة مزدهرة في نظر البعض وهابطة في نظر البعض الاخرون ان يكون لدينا وسيلة للمفاضلة بين الرأيين بحيث تظل هذه مسألة « وجهة نظر » فحسب ؟

في استطاعتنا ان نقدم ردين على هذا الاعتراض

الاول هو ان القائلين بهذا النوع من النسبية الثقافية منكرون وجود معايير موضوعية للمفاضلة بين الاعمال الثقافية، فهذا الرأي يؤدي الى وضع روايات اجاثا كريستي على نفس مستوى دراما شيكسبير، وموسيقى الروك ان رول على مستوى سيمفونيات بيتهوفن، على أساس أن الأولى تؤدي بالفعل الى متاع اناس كثيرين يفضلونها على كل ما عداها، ولكن من الواضح ان هناك معايير موضوعية للمفاضلة بين الاعمال الثقافية التي قد تكون صعبة ومعقدة، ولكنها موجودة ولولاها لما جاز أن يقال عن شيكسبير انه كاتب اعظم من أجاثا كريستي، ولما استطاعت موسيقى بيتهوفن ان تخلد بينما تتبدل موسيقى الحانات سنة بعد اخرى

اما الرد الثاني فهو أن وجهة نظر القوى التي تسعى الى تغيير المجتمع وتقدمه اقرب الى التعبير عن حقيقة الثقافة من وجهة نظر القوى التي تدعو الى تجميد عقله وفكره، لسبب بسيط هو ان من طبيعة المثقف، كما قلنا، ان يكون متطلعا الى الامام، وان يستخدم فكره وفنه في سبيل تحقيق صورة مستقبلية للمجتمع الانساني وقد اثبت تاريخ التطور الانساني ان اعظم المثقفين على مر العصور، كانوا هم الذين سبقوا ازمنتهم بانتاجهم ومهدوا الطريق لتطورات حاسمة في تاريخ البشرية

وعلى اية حال فان الصراع بين الجانبين هو صراع حول نوع العقل المطلوب تكوينه فانصار الثقافة التقليدية يريدون عقلا مطيعا، خاضعا، لا يتساءل ولا ينقد، ويخلط بين المشكلات الحقيقية والمشكلات الفرعية او الشكلية لمجتمعه بل انهم يعطوننا احيانا الانطباع بان العقل شيء غير مرغوب فيه، وليس مطلوبا اصلا، ومن هنا كان هناك اساس موضوعي للقول ان الثقافة التي تدافعون عنها ثقافة هابطة يسعى كشفها ووضعها في حجمها الحقيقي

والخلاصة ان البحث في اوضاع الثقافة العربية يقتضي ابداء اهتمام كبير بنوع العقل الذي يراد تكوينه للانسان العربي، وهل هو عقل مشدود الى الخلف ؟ او جامد في مكانه ؟ ام عقل قادر على التطلع باستمرار الى مستقبل افضل ■

د. فؤاد زكريا

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم
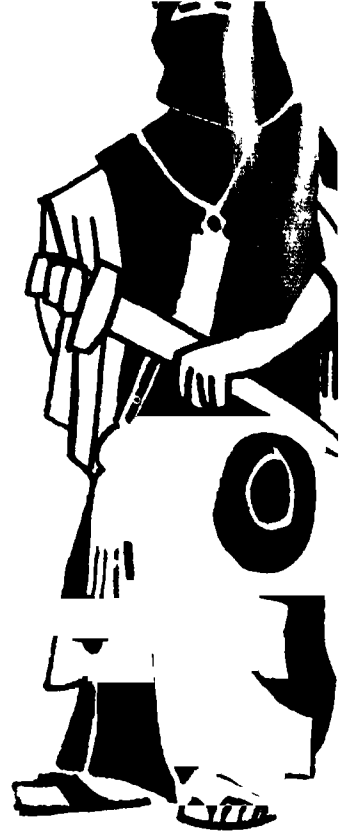
لم يكن يهود أوربا الذين احتلوا قطعة من وطننا العربي وأقاموا دويلة أجنبية في حنب العالم العربي عام ١٩٤٨ هم أول موجة من موجات الغزو الأوربي المنظم على شعوب الشرق عامة والعالم العربي خاصة واذا كان حوض البحر الأبيض قد اعتبر وسط العالم القديم بحق ، فان شرقيه يقوم مقام القلب النابض من هذا العالم ، ومن هنا كان الصراع من أجل السيطرة على هذه المنطقة الخطيرة هو شغل العالم القديم الشاغل ، وحلم شعوبه ودوله المتعاقبة من فينيقيين وكنعانيين وعبرانيين وأشوريين ومصريين واغريق وروما ن .

وظلت المنطقة عبر التاريخ مباءة للغزاة والفاتحين وبوابة كبيرة تنفذ منها جحافلهم نحو شرق وغرب وهذا ال... سط جعل منها مركزا للثقل في ميزان القوى بين ... ق والغرب فمنذ عهد الاسكندر الأكبر والمنطقة ... ظار الغرب الصاعد تتعاورها شعوبه بالغزو تارة ... حل عن طريق الدين تارات ، خاصة بعد ظهور ... حية وقد كان أكبر غزو منظم تعرضت له المنطقة قبل الموجة الأخيرة في مطلع هذا القرن هو الغزو الصليبي الذي تم في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي .

كانت الخلافة العباسية حينذاك قد انفرط عقد نظامها وتمزقت امشاجا في ايدي الطامعين من القواد ورؤساء الجند من فرس وترك وعرب وغيرهم ، وكانت الحالة في الشام خير شاهد على ما آلت إليه الأمور . فقد كان الصراع على أشده بين الأسر العربية الحاكمة وبين

الطامعين من جيرانهم . كانت الشام موزعة بين عدد من المشايخ العرب وتحيط بها المشاكل من جميع الأقطار ففي شمالها كان السلاحقة الأتراك قوة يحسب حسابها خاصة بعد أن سيطروا على الخلافة العباسية وأقاموا سلطنة بغداد عام ١٠٥٥م ، في عاصمة الخلافة وقد ظهر السلاجقة في شمال سوريا حوالي عام ١٠٧٠م وانتزعوها من الفاطميين ، الذين كانوا يشكلون قوة حربية الى الجنوب ، ويرتكزون في دفاعهم على موارد مصر . وكان مما يزيد الأمور تعقيدا الثورات المتكررة التي يقوم بها الدروز في حنوب لبنان ، والنصيرية في الشمال السوري ، بالاضافة الى تخريب اولئك الفوضويين الذين عرفهم التاريخ باسم الحشاشين

اوروبا لم تنس

وما كانت اوربا غافلة عما يجري في البلاد ، فقد كانت لها مراكز قوى في الارض المقدسة ، وكانت لها بعثاتها الدينية والتجارية واحست في نفسها القدرة على التصدي للتحدي الكبير الذي واجهها مدى خمسة قرون ان أوربا لا تنسى أن الشام بأسرها كانت جزءا من العالم المسيحي ، وان مركز المسيحية الروحي وقبلتها في الارض المقدسة ، وقد احتل العرب المسلمون كل ذلك ، بالاضافة الى مصر وشمال افريقيا والاندلس لقد كان انهيار الحكم البيزنطي في هذه الاصقاع ، وسيطرة العرب على مشارف البحر الابيض المتوسط في الشرق والغرب والجنوب ، ضربة للكرامة الدينية ، وصدمة عنيفة للطموح التجاري لا تقوي عليه مدن ايطاليا وأوربا التي بدأت تبرز للوجود بأساطيلها وجيوشها وكان هذا القرن الحادي عشر نقطة حاسمة في تاريخ الصراع بين الهلال والصليب اللذين يرمزان لقوى الشرق والغرب في نضالها المتصل على مر الزمن لقد وصل الاسلام مداه ونشر جناحيه على الشرق والغرب ، وكانت في هذا الانتشار البعيد المدى ثغرات ينفذ منها العدو المتربص .

ودبت الفرقة في هذا الجسم الكبير الذي ناء بثقله بين شرق وغرب ، فتفرق القوم شيعا وأحزابا ، وانتقلت العدوى الى العرب ، فانقسمت الاندلس على نفسها منذ عام ١٠٣٠م وتوزعها ملوك الطوائف وفي نهاية القرن كانت الفوضى في العالم الاسلامي قد بلغت مداها وكان الفرنجة (سكان فرنسا وان أطلقت الكلمة مؤخرا على جميع سكان اوربا) اول من احس بالوهن يسري في الجسم المريض الى جوارهم . لقد شعر هؤلاء بما يجري في الاندلس من فرقة ، وأحست بقية أوربا بما يعيش فيه الشرق من فوضى واضطراب ، فكانت الظروف مواتية للقضاء على العدو التقليدي (الاسلام) ، واسترداد الاراضي السليبة ، ثم حل القضايا الكبيرة التي كانت تؤرق الحاكمين في مقاطعات أوربا ودولها ، التي كانت مسرحا للصراع بين طبقة التجار وطبقة الاقطاعيين لقد انتشرت البطالة وأصبحت تهدد كيان المجتمع الاقطاعي ، خاصة وقد هدأت حدة الصراع بين جيوش الأمراء المتحاربة ، وكان توجيه هذه الطاقات نحو التوسع الخارجي هو الحل الذي فرضته طبيعة المرحلة التاريخية آنذاك وكان الفرنجة بحكم مجاورتهم للمسلمين في الاندلس أكثر شعوب اوربا ضيقا على المسلمين الذين كانوا يحتلون اراضيهم ، وهم الآن على مرمى البصر منهم ، ولذلك لا عجب ان رأينا الدعوة الى الحرب المقدسة على العرب والمسلمين تنبع منهم ففي عام ١٠٩٥ م ألقى البابا ايربان خطبة قوية في جنوب شرق فرنسا دعا فيها المؤمنين الى التوجه نحو الارض المقدسة ونزع الضريح الحرام من يد الشعب الآثم كما قال ووضعه تحت سيطرتهم وفي مدى عامين احتشد في القسطنطينية اكثر من ١٥٠ ألف رجل معظمهم من الفرنجة والنورمانيين والرحرجة تلبية لدعوة البابا ومنذ ذلك الزمن وعلى مدى قرنين كاملين من عام ١٠٩٧ م حيث الحملة الصليبية الاولى الى ١٢٩٣م حين مات الملك الأشرف آخر الأمراء الذين قضوا على وجود الفرنجة في المنطقة ، انتشر الاخطبوط الصليبي في الأرض الحرام ، كلما قطعوا منه ذراعا في مكان مد ذراعا آخر في مكان

وأقام الصليبيون دويلات في المنطقة عرفت بالدويلات اللاتينية ففي عام ١٠٩٨ م سقطت الرها في يد بلدوين وانشئت الامارة اللاتينية الاولى وك

بعد عام اصبحت انطاكية العاصمة للامارة اللاتينية الـ استمرت قرنا وثلاثة ارباع القرن في أيدي الصليبيين

الجسم الغريب

وفي العام التالي ١٠٩٩م سقطت بيت المقدس في أيديهم ، وقامت الامارة اللاتينية الثالثة وقد وضحت النوايا الاستعمارية لهذه العصابات الوافدة بمجرد تمكنها من السيطرة على الأرض العربية ففتحت المجال للمصالح التجارية الأوربية على اوسع نطاق فحصلت المدن الايطالية على امتيازات تجارية احتكارية في الموانيء العربية ، وسيطرت على الاسواق التجارية ففي عام ١١٠٠ م حصل تجار بيزا على امتيازات خاصة في مدينة يافا وبعد قليل دفعت قيسارية وأرسوف وعكا الجزية مقابل هدنة ثم استولى اسطول البندقية على ميناء عكا وبين عامي ١١٠٠ و ١١١٨ م امتدت المملكة اللاتينية من العقبة على البحر الاحمر الى بيروت ، وأضاف بلدوين الثاني (١١١٨ ـ ١١٣١) م اليها بعض المدن على البحر الابيض ، ولكن المملكة لم تمتد في عرضها الى ما وراء الاردن وهكذا توزعت منطقة شرق البحر الابيض على القوى الاوروبية ، فكانت الرها وبيت المقدس امارتين برغنديتين ، وكانت أنطاكية من نصيب النورماسديين ، بينما سيطر البروفساليون على امارة طرابلس وبذلك قامت اربع امارات لاتينية على ارض العرب يحيط بها بحر من المسلمين

لقد غرست الدويلات اللاتينية غرسا في جسم العالم العربي ، وكان ذلك بمثابة الجسم الغريب او الجرثومة تنفذ الى جسم الانسان الغافل ، فتتنبه الخلايا ، وتتوفز الاعصاب ، وتشحذ اسلحة الدفاع وكان أن دبت الحركة في بقية الجسم المصاب ، واندفعت الدماء تحاصر موضع الداء وتلك سنة الله في خلقه ، فان التحدي يثير التحدي ، ولا ينجم عن الظلم والعدوان إلا المزيد من الظلم والعدوان وشعر المسلمون بالضياع وتأسفوا على الفرقة والعدو في اوطانهم يمشي على الارض مرحا ولكن ماسي وحسن النيات لا يغيران التاريخ .

ان الذي يسيطر على فلسطين وشرق البحر الابيض يكون قد دق اسفينا بعيد الغور في جسم العالم العربي ، فاصلا بذلك سوريا ، والى حد ما العراق ، عن مصر وبقية القسم الجنوبي والغربي من ارض العرب . وبالتالي فان الذي يأمل في القضاء على العدو الذي يحتل هذه المنطقة فلا بد له من أن يجمع شمال الشام والعراق ومصر ، وبذلك يقبض على كماشة رهيبة تضغط العدو من اقطاره جميعا ، وتدفع به الى البحر قسرا

وقد هيأ الله للمسلمين طريق الخلاص على أيدي الايوبيين الذين استطاعوا ضم شمال العراق الى مصر ، وبذلك حصروا العدو وهصروه من شمال وجنوب وشرق وكان ظهور عماد الدين زنكي أتا بك الموصل (١١٢٧ ـ ١١٤٦ م) بداية انحسار مد اللاتين لصالح المسلمين والذي بلغ نهايته بصلاح الدين الذي انتزع بيت المقدس من الصيلبيين عام ١١٨٧ م بعد موقعة حطين الضارية

ولكن الأوربيين كانوا قد تمكنوا من الارض وتوطدت اقدامهم فأعادوا الكرة ، وسقطت بيت المقدس في ايديهم من جراء الامدادات القوية التي دفعت بها اوربا لمناصرة دويلاتها العميلة في الشرق ثم حدثت المصالحة بين صلاح الدين ورتشارد قلب الاسد ، فرجعت بيت المقدس الى ايدي المسلمين عام ١١٩٢ م وبعد موت صلاح الدين واستشراء الخلاف بين ابناء أيوب رجعت معظم المدن التي استردها المسلمون الى الفرنجة ، واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين وببروز الظاهر بيبرس (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م) الى الميدان تتابعت مجموعة صامدة من الامراء ابلت بلاء حسنا في تقويض نفوذ الافرنج ، كان آخرهم الملك الاشرف خليل (١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م) الذي حطم آخر معاقل العدو في عكا ، ودمر استحكاماته على المدن الساحلية ، وبذلك وضع حدا للنفوذ الاوربي المباشر على الشرق العربي لمدى اكثر من ستة قرون

الصليبيون والتتر

لقد كانت هذه الفترة من اكثف المراحل ظلاما في

حياة العرب والمسلمين اذ تحكم فيهم العدو الخارجي وفتح أبوابهم على مصاريعها للتغول الاجنبي ، واستعمل كل اساليب الغدر والخيانة والتآمر لتحطيم ارادتهم وبث بذور الشقاق والخلاف بينهم لتثبيت اقدامه وكان اخطر ما قام به العدو الصليبي في هذه الفترة هو تعاونه المكشوف مع قوات التتر التي اجهزت على الحضارة الاسلامية ، واغرقت العالم الاسلامي في بحر من الدم والنار ، ودمرت العراق تدميرا ما يزال يعاني منه حتى الآن فيما يذكر توينبي فقد ذكرت المصادر الاوروبية ان الصليبيين كانوا ساعدا قويا لهؤلاء التتر في هجومهم الشامل على الخلافة العباسية وتدميرهم للعاصمة بغداد عام ١٢٥٨ م وكان المبشرون الاوروبيون يقومون بدور الوسيط بين ملوك اوروبا وبين خانات التتر واستغلوا العواطف الانسانية لتدمير الانسان فقد كانت زوجة هولاكو قائد التتر مسيحية فأمرت بتعذيب المسلمين في مشارق الشام ونهب ممتلكاتهم وتروى المصادر أن الصليبيين كانوا يرقصون طربا وهم يشاهدون مناظر التعذيب والتشفي من المسلمين ، وكان انتقام هؤلاء بالتالي رهيبا حين اندحر التتر

لقد دفع العرب من انفسهم ومن تاريخهم الكثير قبل أن يقضوا على تلك الموجة الطاغية من المد الاستعماري الاوروبي وتصرفت بهم الاقدار ردحا من الزمان فترت خلالها الجذوة الصليبية في اوروبا ، لتشتعل مكانها نار عارمة اذكتها الثورة التجارية ثم الصناعية في القرون الثلاثة الاخيرة وعاد أمل اوروبا القديم في السيطرة على الشرق الى الحياة من جديد وكان الخطر هذه المرة ذا شعبتين ان افلتت الضحية من احداهما فلن تفلت من الأخرى الاستعمار الاوروبي الصليبي ، والاستعمار الأوروبي الصهيوني

ودخلت المنطقة من جديد في دائرة النفوذ القديمة ، وتقسمها أحفاد الفرنجة وريتشارد قلب الأسد . اذ ان المنطقة قسمت بعد الحرب العالمية الاولى الى منطقتين فرنسية وانجليزية ، وبذلك استعاد الغرب ما فقده منذ ستة قرون . وكان الجنرال اللنبي ممثلا لروح اوروبا حين قال بعد ان دخل بيت المقدس : (الآن انتهت الحرب الصليبية) .

وكانت قولة اللنبي فاتحة لعهد جديد من التعد[illegible] العربي تمثل في الشعبة الثانية للخطر العربي الذي [illegible] من الصهيونية رداء ودرعا لحماية مصالحه و[illegible] استمرار بقائه في منطقة الشرق الغنية [illegible] الصهيو[illegible] حركة قومية اوروبية مثلها في ذلك مثل كل الحركات القومية الضيقة التي انتجتها ظروف اوروبا الصاعدة الرأسمالية المتطلعة الى الاسواق ومناطق النفوذ وكان حلم اليهود في السيطرة على فلسطين امتدادا للرغبة القديمة في السيطرة على مفتاح العالم القديم هذا وشعر الغربيون بامكانية الاستفادة من السرطان الصهيوني من ناحيتين ، للتخلص اولا من مضايقات اليهود للمجتمعات الاوروبية ، ثم تسليطه على عدوهم التقليدي في الشرق ، وبذلك يضمنون استمرار سيطرتهم على منطقة الشرق الاوسط

وهكذا خلقت دولة اسرائيل من عدم ، كما قامت الدويلات اللاتينية (اسرائيل الأخرى) من قبل لقد كان عدد اليهود المقيمين في فلسطين ايام وعد بلفور حوالي ٨٨ ألفا تدخل فيهم أمواج الهجرة التي دخلت فلسطين خلسة في اواخر القرن الماضي من روسيا وغيرها وكان عدد العرب اصحاب الارض يربو على المليون ، وكما حدث في الماضي ، سارت الأمور في العصر الحاضر وكما توالت الجيوش الصليبية الغازية من قبل ، توالت جيوش الصهاينة تحتل الارض العربية شبرا شبرا بمساعدة المستعمرين الانجليز ثم الامريكان من بعد

وقامت دولة مستوردة جذورها خارج الارض العربية ، وتستمد الوحي والعون من خارج حدودها ويعيد التاريخ نفسه ، وتسقط القدس بعد سبعمائة وثمانين عاما بالتمام من خلاصها على يد صلاح الدين (١١٨٧ ـ ١٩٦٧ م) ـ في يد العدو الدخيل وتقوم اسرائيل الجديدة بما قامت به اسرائيل الصليبية القديمة من دق للاسفين بين شرق العالم العربي وشماله وجنوبه وغربه ، ومن تمكين للعدو الغربي للسيطرة على اقتصاديات العالم العربي وشل حركة التقدم في اوصاله ، ومن تفتيت لوحدة العرب وتشجيع للحر[illegible] المضادة في جسم العالم العربي

في مواجهة التحدي

ى هل ينجح الغرب ـ عن طريق ابنته وربيبته اسرائيل الجديدة ـ في مسعاه الذي فشل فيه على مدى التاريخ ؟ هل تستطيع دولة مصطنعة البقاء ، وقد زرعا بسكانها المليونين والنصف وأموالها وكل مرافق الحياة فيها في ارض غريبة ؟ هل تبقي الجزيرة الصغيرة التي تستمد كل عناصر بقائها من وراء البحار في هذا المحيط العارم من البشر الذين يجاوزون المائة والاربعين مليونا ؟ .

لقد برهنت تجربة الماضي على اشياء محددة اهمها ان بقاء الجسم السرطاني في جسم الكائن الحي رهين بأمرين قوة السرطان على الهجوم ، وضعف الجسم المصاب عن الدفاع . لقد استمر النفوذ الغربي عن طريق اسرائيل الصليبية مدى قرنين من الزمان كانت اوروبا ـ الوطن الأم ـ في مركز يسمح لها برعاية عملائها في الشرق ومدهم بالأموال والعتاد لدفع طغيان المحيط العارم من المسلمين العرب ، وكان هؤلاء عونا للعدو على انفسهم بالفرقة والتناحر والطمع والبغضاء ، ولم يتم القضاء على السرطان الدخيل الا بتكاتف العرب والمسلمين وفتور الحماس الاوروبي عن مجابهة العدو الذي التأمت صفوفه بعد صدع

أن هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به اوله وليس هنالك من حل وسط والتاريخ لايرحم ولا يجامل والصراع بين اسرائيل الجديدة ـ رأس الرمح لمطامع الغرب ـ لن ينتهي الا بأحد أمرين تغلب السرطان على الجسم الحي فيموت ، او تغلب الجسم على السرطان فتنتهي العذاب ليس هنالك مهادنة مع السرطان او مداراة لأن ذلك هو الموت البطيء ان اسرائيل ومن يقف وراءها لن ترضي بغير الاستسلام التام وتجريد العرب من كل وسائل الدفاع والنضال حتى تتم لها الغلبة في السيطرة على اسواق العالم العربي المتخلف ، وبذلك تفتح المجال لمصانع اوروبا وأمريكا كما فعلت اسرائيل الاخرى من قبل واليهود يعلمون قبل غيرهم منطق التاريخ وقسوته لو فرطوا في أمر أنفسهم ، واعطوا مائة واربعين مليون عربي الفرصة لارجاع عقارب الساعة لصالحهم

أن منطقة الشرق العربي أضيق من أن تتسع لقوميتين عربية ويهودية والصراع بينهما لابد أن ينتهي بانتصار إحداهما على الأخرى وليس الزمن مهما في هذه الحالة فقد تستمر اسرائيل القرن والقرنين كما فعلت سالفتها الصليبية . وقد يتنازل بعض العرب تحت وطأة الضغوط فيستجيب لشروط الأعداء ، ولكن كل ذلك لن يغير من الصورة الأساسية لطبيعة المعركة بين الكائن الحي وجرثومة السرطان .

أن التحدي الكبير الذي يمثله الغزو الصهيوني قد بدأ يحدث ردود فعل قوية في اعماق الجماهير العربية صاحبة الحق ومالكة الارادة ودرع الشعور القومي الواقي من غوائل الزمن قد تكسب اسرائيل ومن معها الجولة لفترة من الزمن قد تكسب اسرائيل بعض الزمن ما دامت اوروبا وأمريكا قوية متحمسة والويل للدويلة المصطنعة ان اصاب هذا السند الخارجي الوهن كما حدث من قبل وها نحن نشهد تصدعا في الجدار الواقي في حالة الاتحاد السوفياتي وفرنسا وكثير من دول اوربا والعالم الثالث وكانت مع اسرائيل من قبل وقد تنعم اسرائيل بالراحة ما دام العالم العربي منقسما على نفسه تستشري فيه الاطماع وتتحكم في القائمين عليه الثروات الدنيا والمصالح الفانية والويل للحريرة العائمة في محيط حين تهب الرياح القوية ، وتهدر امواج الوعي من كل جانب أن الحكام قد يساومون بالقضية ، ولكن ارادة البقاء المتفجرة في ضمير الشعب ، والعزيمة النابعة من ماضيه المجيد في الدفاع عن مقدساته وكرامته ، لن تسمح للمساومة ان تستمر طويلا في التمكين للعدو في قطعة مقدسة من ارض الوطن وكيف يستطيع الانسان ان يخلد الى الراحة وذراعه في قبضة رجل آخر ؟

لقد قامت اسرائيل من قبل ثم وهنت ودالت لأنها ظالمة والظلم لايدوم وليس هناك أدنى سبب يجعل من اسرائيل الجديدة ـ والتي قامت على نفس الاساليب القديمة ـ مثالا لا يخضع لمنطق التاريخ ومنطق الحق الذي يدوم حكمه الى قيام الساعة ■■

الخرطوم د . عون الشريف قاسم

مستقبل قلبك في الثمانينات

بقلم : الدكتور اسماعيل سلام●

لو رجعنا بذاكرتنا ربع قرن من الزمان لوجدنا ان معرفة امراض القلب لم تكن ضرورية للمريض او الطبيب فالتشخيص والعلاج خلا من الفهم الكامل لمشاكل القلب . ولذا امتلأت الكتب الطبية وقتئذ بخليط من الافكار والصياغات العاجزة ، المليئة بالتساؤلات وتطورت المعرفة في امراض القلب في السنين الاخيرة ، نتيجة لتطور علوم وظائف الاعضاء والاشعة وادخال فحوصات جديدة تعتمد على التكنولوجيا الدقيقة التي صاحبت عصرنا هذا . وتطور علاج امراض القلب حتى حققت عملياته نجاحات في حالات كان محكوما عليها في الماضي بالموت البطيء واصبحت قطع غيار القلب حقيقة واقعة ولو سألت اي عالم او طبيب منذ ربع قرن مضى عن تنبؤاته للمستقبل لما امتد خياله الى ما وصلنا اليه في الوقت الحالي !! هل كان يعقل ان يتمكن الجراح من ان يستبدل الصمامات التالفة او الشرايين التي بلاها المرض او القلب الذي اخفق في ان يحتفظ بسرعة دقاته

لقد أدى تفهم مشاكل القلب وامراضه الى طموح العلماء وامتداد خيالهم في كل مجال . وهناك طريقان للنظر في حل مشاكل امراض القلب . الاول هو كيف يمكن من الاساس منع حدوث هذه الامراض ؟ وذلك طريق الوقاية اما البديل الآخر فهو كيف نقضي عليها بعد حدوثها .. وهذا طريق العلاج وبالرغم من أن الطر

● استاذ ورئيس قسم جراحة القلب جامعة الكويت

عادح من قطع عيار القلب وريد وبطارية كهربائية تنظم الحركة . وصمام للقلب

الاول هو الأفضل الا أنه ليس بهذه السهولة في معظم الاحيان ، بل يمكن وصفه بانه من المستحيل في بعض الامراض في وقتنا هذا ولكن ذلك الطريق قد يكون مشرقا مع بعض امراض القلب مثل امراض روماتزم القلب . ذلك ان الوقاية من امراض الروماتزم اصبحت حقيقة واقعية ، بعدما عرف أن هذا المرض الشرير يهاجم عند اطفالنا . فاذا وصل الى القلب هاجم صماماته فغير معالمها الرقيقة على مدى السنين وعرف العلماء ان الاصابة بميكروب معين يصيب الحلق او اللوز يهيىء الجسم للاصابة بالحمى الروماتزمية .. وعرف ان الطريق الى الوقاية يبدأ بمحاولة القضاء على هذا الميكروب ، وتوجيه العناية الى الطفل عند الاصابة باللوز او التهاب الحلق ومن حسن الحظ ان ذلك الميكروب يسحق بالبنسلين وبذلك تاكدت امكانية الوقاية من هذا المرض وهو في طريقه الى الانقراض من الدول العر... ان السؤال الذى يطرح نفسه في هذا المضمار الآ... هل ستحمل الثمانينات آمالا لدولنا في القضاء على هذا النوع من المرض حقيقة ان البنسلين يقضى على الميكروب ، ولكن العوامل الاجتماعية التي تصاحب ذلك المرض تحتاج ايضا الى العلاج فسوء الحالة الاجتماعية والازدحام وعدم الوعي الصحي وعدم رعاية اطفالنا ليست بالامور السهلة في مجتمعاتنا

اذا توقف الشريان

والآن نصل الى ذلك الشبح المخيف الذى يخشاه الجميع فكل منا يعرف عزيزا او قريبا او صديقا اصابته النوبة القلبية هذا المرض قد يفاجأ فريسته بأشكال مختلفة كلها ترجع الى اصابة شرايين القلب . الشرايين التاجية التي تزين القلب كالتاج ، ولكنها قد تقصر عن تغذية القلب لقلة الدم المار بها فينشأ ما يسمى بقصور الدورة التاجية ذلك القصور ينشأ من التغييرات التي تصيب السطح الداخلي للشرايين فتنتفخ بمواد دهنية قد تسد الشريان او قد تنمو عليه جلطة من الدم

لماذا تذهب هذه الدهون وتترسب في تلك الشرايين ـ هناك نظريات عديدة لكن السبب المباشر لها غير معروف .. لو عرف السبب الرئيسي لأمكن محاربته وايقافه ولكن عرف ان هناك أشخاصا اكثر عرضة لهذا المرض من المدخنين واصحاب الاوزان الزائدة وقليلي الحركة والمصابين بارتفاع ضغط الدم او السكر . وقد ركز الطب في السبعينات على معالجة هذه العوامل المساعدة دون الوصول الى السبب الرئيسي

قد تحمل الينا الثمانينات حلا لهذه المشكلة ، بحيث يستطيع المريض ان يتعاطى حبوبا فتمنع الترسيب او تذيب تلك الدهون لقد نجح العلاج الجراحي في بعث الأمل لدى الكثيرين ، وذلك عن طريق ترقيع الشريان التاجي بوصلة لتوصيل الدم اليه ولكن ذلك لا يصلح لكل المرضى

ان الخطر الداهم في ذلك المرض يأتي عندما يصاب شريان كبير بالانسداد وتعجز عضلة القلب عن اداء وظائفها وفي السنوات الاخيرة أجريت تجارب كثيرة في محاولة مساعدة القلب بمضخة حتى يستعيد قدرته ، ونجحت هذه التجارب في بعض الحالات ولكن الثمانينات تحمل آمالا كبيرة في القلب الصناعي الذى سيوصل بالمريض ويضخ الدم اياما او اسابيع حتى يشفى القلب وذلك يدعونا الى الحديث عن فشل عضلة القلب

ان فشل عضلة القلب في تأدية وظيفتها يعد عقدة العقد في العلاج وخاصة في حالتها المتأخرة فوظيفة القلب هى ضخ الدم من خلال تلك العضلة التي تنقبض سبعين مرة في الدقيقة ، فاذا خارت قوى تلك العضلة توقف أو تباطأ اندفاع الدم ، وبالتالي قل الغذاء للجسد وتوقف عن وظائفه الحيوية ومن هنا فكر العلماء عن حل لتلك المشكلة والطريق المعروف لنا جـ ... زرع القلب ، والطريق الآخر هو زرع ماكينة ... القلب . والقلب الصناعي كما ذكرت اصبح ـ ... واقعة ، ولكن هل سنرى في الثمانينات ... الكترونية يمكن زرعها في مكان القلب " اما ... الآخر وهو زرع القلب فلا زالت المحاولات في ... جارية ، في مكان القلب " وبحذر شديد و... محدودة

والعقبة الكبرى تتمثل في طرد الجسم لاى عضو ... الخارج ، الامر الذى قد يدفع البعض الى التساؤل ... نجحت عمليات زرع الكلى بقدر اكبر منها ... القلب والاجابة ان القلب النابض الذى يحفظ الحـ... يجب ان يعمل بكفاءة ليل نهار كل ثانية وكل دقـ... ـ واذا توقف عن العمل دقائق معدودة توقفت الحياة ذلك السر الاليم يجعل عملية نقل القلب امرا ... الصعوبة فالعمل قد يتوقف في اى عضو مزروع ... خارج الجسم عندما يحاول الجسم طرده وتنجح العقا... في اسكات ذلك الطرد ولكن عندما تتوقف الكلـ... المزروعة فلن يحدث شيء لساعات أو أيام في ... الاحيان ، بينما اذا توقف القلب دقائق انتهت الحياة ... تحمل الثمانينات املا كبيرا في كيفية التغلب على ... طرد الجسم للاعضاء المزروعة ، وعندئذ تصبح قطع ... الجسم الحية حقيقة واقعية

وبالرغم من كل الآمال العريضة فنحن لا ... ماذا ستحمل لنا الثمانينات من امراض امرا... المدنية والتوتر والقلق ولكن دعنا نستقبل ... بالتفاؤل لان ثقتنا في الله سلاح يجب ان نحتمى به مواجهة كل الظروف ■

د . اسماعيل سلا...

■ اذا كنت تبحث عن السعادة ، فاعلم انها ليست احدا وانما هي عطاء ولكن ماذا نعطي ؟ ابتسامة رقيقة ، نظرة عطف ، مالا قليلا في يد معوزة ، ثم الشعور بعد هذا بأنك تنتمي الى العالم كله من حولك !

« صاموئيل تايلور »

أقوال معاصره

■ ادا حدث للمغرب سيء فان الاسطول الامريكي السادس قد لا يعمل، ويعود ادراجه الى الحوض الجاف.

الملك الحسن الثاني ـ ملك المغرب

الملك الحسن

■ « العرب قوميون دون دولة قوميه، ونحن امه واحده دون دوله واحده »

صلاح البيطار ـ رئيس وزراء سوريا الاسبق

■ لا تفرعني علوم الغرب وتطوره التقني، ولكن تفرعني افكاره وعاداته

الامام اية الله الخميني

الخميني

■ « قد لا تكون من المافيا، ولكن لذلك عقليه المافيا، عندما تتقدم دون اعتبار لحقوق الاخرين، وتصل الى الثروه باي ثمن وحتى لو سحقت الضعيف وعندما تتحول الى القسوه ومحالفه الأقوياء وحب السلطه »

البرتو مورافيا

■ ماذا تحدي الشرف في وطن فقد عذريته ؟

نزار قباني

نزار قباني

■ نساعدهم في العالم الثالث، ولكنهم لا يكفون عن اتهام كندا بالامبرياليه لقد سئمنا القيام بدور الصديق الطيب

فلورا ماكدونالد ـ وزيرة خارجية كندا

■ الاحكام العرفيه ستبقى مطبقه طالما ان الشعب هو الذي يتمسك بها !

الرئيس الفلبيني فرديناند ماركوس

■ « إن ما قامت به اسرائيل من التدخل في الشؤون الداخليه للولايات المتحده كان بعيدا عن الحكمه . »

كرايسكي

برونو كرايسكي ـ مستشار النمسا

الصناديق العربية
وتحدى التنمية المتكاملة في الوطن العربي

للدكتور عبد الكريم علي الايرياني

لقد أصبحت التعددية في وطننا العربي من أبرز المؤثرات في حياتنا اليوميةوهي تأخذ مظاهر عدة فمنها ما نضيق به ونتألم له ، كأن يطرق أحدنا باب قنصلية عربية طالبا سمة للدخول الى بلد عربي آخر أو أن يزور دائرة الجوازات بوزارة الداخلية للحصول على تصريح بالاقامة

ومنها ما نتعامل معه تلقائيا أو بشيء من الارتياح ، كأن يدير أحدنا مفتاح تلفازه لمشاهدة برنامج آخر في بلد عربي مجاور ، عندما لا يروق له البرنامج المقدم في بلده أو محل اقامته ، ولكن لامراء بان أهم وأ خطر مظهر من مظاهر التجزئة في الوطن العربي في الوقت الحاضر وعلى المدى الطويل ايضا ، هو ذلك التفاوت الشديد في معدلات النمو الاقتصادى والاجتماعي بين سكان اقطار دول المجموعة العربية وهو تفاوت يقاس اليوم بمعدلات النمو الاقتصادى وحجم الانفاق على خطط التنمية والموارد المتاحة لبلد عربي ، مثل موريتانيا والمملكة العربية السعودية مثلا الا انه يجب أن لا يغرب عن بالنا أن هذه الفوارق ستقاس مع مرور الزمن بمعايير اكثر خطورة وتلك هي الفوارق الشاسعة التي ستحدث لا محالة في مستوى الثقافة وانماط الحياة تماما كما نقارن انفسنا اليوم كمجموعة عربية تنتمي الى الدول النامية باحدى الدول المتقدمة فمن منا من لم تبهره الصناعات اليابانية او تدهشه الخدمات الاجتماعية في السويد مثلا ومن ثم فان هذا التباين لا يمكن تفاديه مالم نحطم المعوقات السياسية التي تحول دون الوصول الى حد ادنى من التكامل الاقتصادى العربي

والحديث عن التكامل الاقتصادى العربي هو ذلك القديم الجديد الذى يسهل تبريره على الورق ويصعب تطبيقه على الواقع لاسباب جلها حتى الآن سياسي كما تشهد بذلك ملفات مجلس الوحدة الاقتصادية العربية والسوق العربية المشتركة ، ولكن الذرائع في المستقبل ستصبح اشبه بتلك التي تطرحها الدول المتقدمة في حوار الشمال والجنوب .

ولعل المتفائلين بمستقبل التكامل الاقتصادى العربي سيستشهدون بالمجموعة الاوروبية التي لم يمنع تاريخها الطويل من التناقضات الحادة والحرب الطاحنة فيما بينها من قيام وحدة اقتصادية اصبحت تشمل معظم دول اوروبا الغربية حيث افرز هذا التكامل الاقتصادى الاوروبي ما يمكن تسميته بنواة الولايات الاوروبية المتحدة ، حين جرت خلال عام ١٩٧٩ اول انتخابات مباشرة لعضوية البرلمان الاوروبي ولكن على المتفائلين أن لا ينسوا أن مستوى النمو الاجتماعي والتكوين الثقافي والانظمة السياسية في هذه الدول متقارب نسبيا فبينما تكاد تنعدم الأمية بين سكان دول المجموعة الاوروبية نجد أن هناك ـ على سبيل المثال ـ دولة عربية تزيد نسبة الامية فيها على ٨٠٪ ولا تتجاوز نسبة الاطفال ممن هم في سن التعليم الملتحقين بالمدارس ٢٥٪ ودولة اخرى لا تزيد نسبة الامية فيها على ١٠٪ وتستوعب مدارسها جميع الاطفال الذين هم في سن التعليم « اليمن الشمالي ولبنان مثلا » .

ولهذا نود أن نؤكد ابتداء على ان التجزئة الاقتصادية والاجتماعية ستؤدى في النهاية الى تكريس التجزئة السياسية

وهو محذور لا يمكن تفاديه الا اذا وجهت الاموال المتاحة للتنمية في الوطن العربي الى مشاريع انمائية متكاملة تشمل التنمية البشرية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي وهو هدف يتحتم على الصناديق العربية أن ... دور الرائد في تحقيقه

نشأة الصناديق العربية

كانت الكويت أول دولة عربية نفطية تعمل على تخصيص جزء من وارداتها النفطية ، لتمويل مشاريع انمائية عربية خارج حدودها على شكل قروض ميسرة او معونات تقدم الى البلدان العربية . فبعد عام واحد من استقلالها ، أى في ديسمبر ١٩٦١ ، انشيء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية وحدد رأسماله عند تأسيسه بخمسين مليون دينار كويتي « تعادل حوالي ١٨٠ مليون دولار امريكي [1] رفع بعد ذلك الى مائتى مليون دينار كويتي ثم اصبح رأس مال الصندوق في عام ١٩٧٤ الف مليون دينار كويتي « تعادل حوالي ٣٦٠٠ مليون دولار امريكي » باسعار التبادل الجارية حاليا كذلك تم في عام ١٩٦٢ انشاء ما اصبح يعرف اليوم باسم الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي من اجل تدعيم المعونة في مجالي التعليم والصحة لأمارات الساحل المتصالح » دولة الامارات العربية المتحدة « ودولة البحرين واليمن بشطريه الشمالي والجنوبي وسلطنة مسقط وعمان وليس للهيئة رأس مال محدد بل تعد ميزانيتها السنوية مع ميزانية الدولة حيث بلغت عام ١٩٧٨ اثنى عشر مليون دينار كويتي« حوالي ٤٣ مليون دولار امريكي » وقد تركز نشاط الهيئة خلال السنوات الخمس الماضية في اليمن والبحرين وسلطنة عمان كما كان لها نشاط محدود في جنوب السودان

لقد كان النجاح الذى حققه الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية حافزا اساسيا لانشاء مؤسسة عربية مماثلة هي الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعي ، الذى تأسس في عام ١٩٦٨ ، بمساهمة الدول الاعضاء في الجامعة العربية آنذاك وكان عددها ١٧ دولة عربية اما الآن فقد أصبح عدد الاعضاء واحدا وعشرين دولة وقد حدد رأس مال الصندوق عند تأسيسه بمائة مليون دينار كويتي تعادل حوالي ٣٦٠ مليون دولار امريكي حيث قسم رأس المال الى عشرة

[1]) اسعار تبادل العملات المقتبسة في هذا المقال تقريبية

آلاف سهم وتفاوتت مساهمة الدول حيث بين حد ادناه سهم واحد لجمهورية اليمن الديمقراطية واقصاه (٣٠٠٠) سهم لدولة الكويت وقد رفع راس مال الصندوق في عام ١٩٧٥ الى اربعمائة مليون دينار كويتي « تعادل حوالى ١٤٥ مليون دولار »

وخلال فترة زمنية وجيزة اى بين عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٤ أنشئت أربع مؤسسات انمائية عربية وبنك اسلامي للتنمية ومصرف عربي للتنمية في افريقيا ، اتسمت كلها بأنها تعنى بشئون التنمية داخل وخارج حدود الوطن العربي باستثناء المصرف العربي للتنمية في افريقيا الذى اقتصر نشاطه على الدول غير العربية في القارة الافريقية ، وقد كان صندوق (ابو ظبي) للتنمية العربية أول هذه المؤسسات حيث نص قرار انشائه الصادر عام ١٩٧١ ، على أن الغرض منه هو التنمية الاقتصادية في الاقطار العربية والافريقية والاسيوية وحدد رأس ماله بالفي مليون درهم « تعادل حوالى ٥٢٥ مليون دولار امريكي »

اما المصرف العربي الليبي الخارجي الذى تأسس عام ١٩٧٢ فان نشاطه يشمل بالاضافة الى تقديم القروض الميسرة للدول النامية معظم العمليات الاستثمارية الخارجية التي تتم لصالح الحكومة الليبية وعلى الرغم من أن هذه العمليات قد استحوذت على معظم أوجه نشاط هذا المصرف ، الا أنه هو الاداة الرسمية الذى تقدم من خلاله الجماهيرية العربية الاشتراكية الليبية معوناتها للدول النامية

وفي عام ١٩٧٤ تأسس الصندوق السعودي لمساعدة جميع الدول النامية في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وحدد رأس ماله بعشرة آلاف مليون ريال سعودى « تعادل حوالي ٣٠٠٠ مليون دولار امريكي » وفي نفس العام تأسس الصندوق العراقي للتنمية الخارجية وهدفه مساعدة الاقطار العربية والبلدان النامية وحدد رأس ماله بخمسين مليون دينار عراقي « تعادل حوالي ١٦٠ مليون دولار امريكي »

والبنك الاسلامي

اما البنك الاسلامي للتنمية الذى قرر انشاءه وزراء مالية الدول الاسلامية في شهر ديسمبر من عام ٧٣ ١ ، وتم اختيار مدينة جدة مقرا له ، فهو يهدف الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الاعضاء والمجتمعات الاسلامية مجتمعة ومنفردة ،وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية وقد اشترط لعضويته أن تكون الدولة عضوا فى منظمة المؤتمر الاسلامي وكان عدد الاعضاء فى نهاية عام ١٩٧٨ ٣٤ دولة وقد حدد راس مال البنك بالفى مليون دينار اسلامي « تعادل ٢٢ مليون دولار امريكي » ، مقسمة الى مائتى الف سهم

بقيمة اسمية لكل سهم قدرها عشرة آلاف دينار اسلامي والدينار الاسلامي وحدة حسابية للبنك تعادل وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي « الوحدة الخاصة تعادل حاليا ١،١ دولار امريكي » وقد بلغ رأس المال المكتتب حتى نهاية عام ١٩٧٨ ٧٦٧،٥ مليون دينار اسلامي دفعته الدول الاعضاء ، وكانت نسبة مساهمة الدول العربية حوالى ٨٦٪ من المبلغ المدفوع حيث دفعت أربع دول عربية نفطية هي المملكة العربية السعودية وليبيا ودولة الامارات العربية المتحدة والكويت حوالى ٥٦٪ من رأس المال المكتتب

واخيرا كان الموقف المؤيد للحق العربي الذى اتخذته دول القارة الافريقية الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية بعد حرب اكتوبر عندما قطعت هذه الدول علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، عاملا اساسيا فى القرار الذى اتخذه مؤتمر القمة العربي المنعقد في الجزائر في شهر نوفمبر ١٩٧٣ باحداث مؤسسة انمائية عربية تعنى بشئون التنمية في الدول الاعضاء في منظمة الوحدة

الافريقية على أن لا تكون تلك الدولة عضوا في الجامعة العربية وسميت هذه المؤسسة التي اختيرت مدينة الخرطوم مقرا لها ، بالمصرف العربي للتنمية في افريقيا وحدد قرار انشاء المصرف رأسماله بمائتين وثلاثين مليون دولار امريكي تم الاكتتاب به كاملا من قبل الدول الاعضاء في الجامعة العربية عدا اليمنين كما لم تساهم كل من الصومال وجيبوتي في رأسمال المصرف لحداثة انضمامها الى جامعة الدول العربية

دلك العام الأمر الذى حدا بالدول العربية النفطية والدول الاعضاء في منظمة الاقطار المصدرة للنفط الى تأكيد اهتمامها بمصالح الدول النامية وذلك عبر قنوات عديدة كانت صناديق التنمية واحدة منها

ولا شك ان تلك الاحداث والمتغيرات هي التي ادت الى تعديل قانون الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في يولية ١٩٧٤ ، لكي يشمل نشاطه جميع الدول النامية ورفع رأس ماله الى الف مليون دينار كويتي (٣٦٠٠ مليون دولار) وذلك بعد مضي اثني عشر عاما على تعامله مع الدول العربية فقط قدم خلالها قروضا ميسرة بلغت قيمتها حوالي ٤٦٨ مليون دولار امريكي اما بعد هذا التعديل فقد توسع نشاط الصندوق ليشمل اكثر من اربعين دولة نامية في اسيا وافريقيا

محصلة التجربة

تصدر الصندوقان السعودى والكويتي منذ عام ١٩٧٥ الصناديق العربية في اجمالي القروض المقدمة للدول النامية فخلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٥ و ١٩٧٨ قدم الصندوق الكويتي حوالي ١٣٠٠ مليون دولار امريكي حصلت الدول العربية منه على ما يقرب من ٦٨٠ مليون دولار اما الصندوق السعودى للتنمية فقد كان نصيب الدول العربية حوالي ٦٧٠ مليون دولار امريكي من جملة القروض التي وقعت خلال السنتين الماليتين ١٩٧٦/٧٧ و ٧٧/٧٨ والتي زادت قيمتها الاجمالية على ١٢٠٠ مليون دولار كما قدم صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية للدول النامية منذ تأسيسه في عام ١٩٧١ وحتي نهاية عام ١٩٧٧ مبلغا يزيد قليلا على ٤٥٠ مليون دولار ، حصلت الدول العربية على ٧٥٪ من جملته كما حصلت الدول العربية على ما يقرب من مائة وعشرة ملايين دولار امريكي من البنك الاسلامي للتنمية منذ تأسيسه وحتى عام ١٩٧٨ . وذلك يعادل حوالي ٥١٪ من اجمالي عمليات البنك في مجالي القروض الميسرة لتمويل مشاريع انمائية والمساهمة في رأس المال . وجدير بالذكر ان البنك يساعد أيضا في تمويل التجارة الخارجية ، واخيرا فانه على الرغم من ان

بدأت عربية واصبحت دولية

يتضح مما سبق ان جذور الفكرة وراء انشاء صناديق العربية كانت من اجل التنمية في الوطن عربي ولكن الاحداث السياسية والمتغيرات اقتصادية التي تبلورت في اوائل السبعينات خصوصا بد ان تمكنت الدول المصدرة للنفط من ازالة الغبن في اسعار الذى كانت تمارسه شركات البترول العالمية وما ع ذلك من مقايضة الدول الصناعية برفعها اسعار سلع المصنعة بحجة ارتفاع اسعار الطاقة ، كانت كلها مل أدت ولا شك الى تفاقم مشاكل الدول النامية ، ست اجهزة الاعلام الغربية منذ مطلع عام ١٩٧٤ اعلامية مركزة حول تعاظم الثروات العربية من ارتفاع اسعار النفط ، مدعية ان ذلك السبب الرئيسي موجة الغلاء الفاحش التي شهدها العالم منذ مطلع

المعلومات ليست متوفرة عن نشاط المصرف العربي الخارجي الليبي في هذا المجال ولا عن الصندوق العراقي للتنمية الخارجية الا أنه يمكن الافتراض ان الاتجاه العام لنشاطهما لا يختلف جذريا عما تقوم به المؤسسات العربية الانمائية السابق ذكرها

الى طاولة الرسم

نخلص مما سبق الى ان نصيب الدول العربية غير النفطية من مجمل انشطة الصناديق العربية قد اصبح جزءا من كل وانه فيما عدا ما يتاح من موارد للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي فان قوانين الصناديق العربية لا تميز بين الدول العربية والدول النامية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ولكن احدا لا ينكر أن هناك قنوات اخرى متاحة للتعاون العربي في مجالات التنمية كما ان هناك موارد اضافية تقدمها الدول العربية النفطية الى دول عربية اخرى لا تمر عبر الصناديق العربية ، الا ان نسبة عالية من هذه المبالغ تذهب للنفقات العسكرية او لسد عجز في ميزان المدفوعات او النفقات الجارية

لذلك كله نعود في النهاية الى تأكيد ما قلناه في البداية وهو ان التفاوت الواضح اليوم في معدلات النمو الاقتصادي والاجتماعي بين سكان الاقطار العربية سيؤدي مع مرور الزمن الى تباين في نمط الحياة ومستوى الثقافة وحتى نوع وطبيعة العلاقات الاجتماعية وهذا سيؤدي بالضرورة الى تكريس التجزئة السياسيه وسنكتفي في هذا المقال باثارة المشكلة لو على الاصح اعادة التذكير بها لان الغبار الذي ثار من اجلها منذ تأسيس الجامعة العربية لم يستقر بعد على كثبان الآمال المتحركة للسياسات العربية . ولأن أحدا لا يستطيع بمفرده وضع الحلول الناجعة وطرح البدائل العملية لتحقيق تنمية شاملة ومتكاملة فمثل هذا التصوير يجب ان يصدر عن مجموعة متخصصة تعمل بمنحى عن القوالب الجاهزة التي يسهل الرجوع اليها مثل السوق العربية المشتركة والشركات العربية المشتركة والمؤسسات العربية المشتركة فكلنا نعرف أن هذه المخارج لم تأت الا كبديل للتكامل الاقتصادي العربي ويخشى أن تصبح بحد ذاتها غاية لا وسيلة فهل نطمع ان تتبنى مؤسسات الانماء العربية مبدأ العودة الى طاولة الرسم للتنمية العربية الشاملة المتكاملة ؟ ■■

د عبد الكريم على الايرياني

رجل كل عام !

● عندما سألت الصحف النرويجية قراءها عن الرجل الذي يرشحونه للفوز بلقب « رجل العام » منذ بضع سنوات مضت ، فاز الملك اولاف الخامس ، ملك النرويج منذ عام ١٩٥٧ باغلبية ٦٠ في المئة من الاصوات ! وعادت الصحف تسأل لماذا الملك ؟ « وقال القراء » لاننا نشعر انه واحد منا ، فهو يخرج للتزلج عن الجليد في الشتاء رغم انه بلغ الخامسة والسبعين ، ويرفع قبعته محييا في ساعات الصباح المبكر كل من يلتقي به حتى لو كان من ابسط الناس إن كان في الشارع مع كلبه الامين في نزهة قصيرة ، أو وهو في قاربه في رحلة بحرية حول اوسلو العاصمة انه بعد هذا يعشق المنافسة ويقول « الريح دائما تعامل كل الناس سواء بسواء ! »

كل اكتشاف يثبت اننا لسنا محور كل شيء.ـ عالم الفضاء نويل هينر
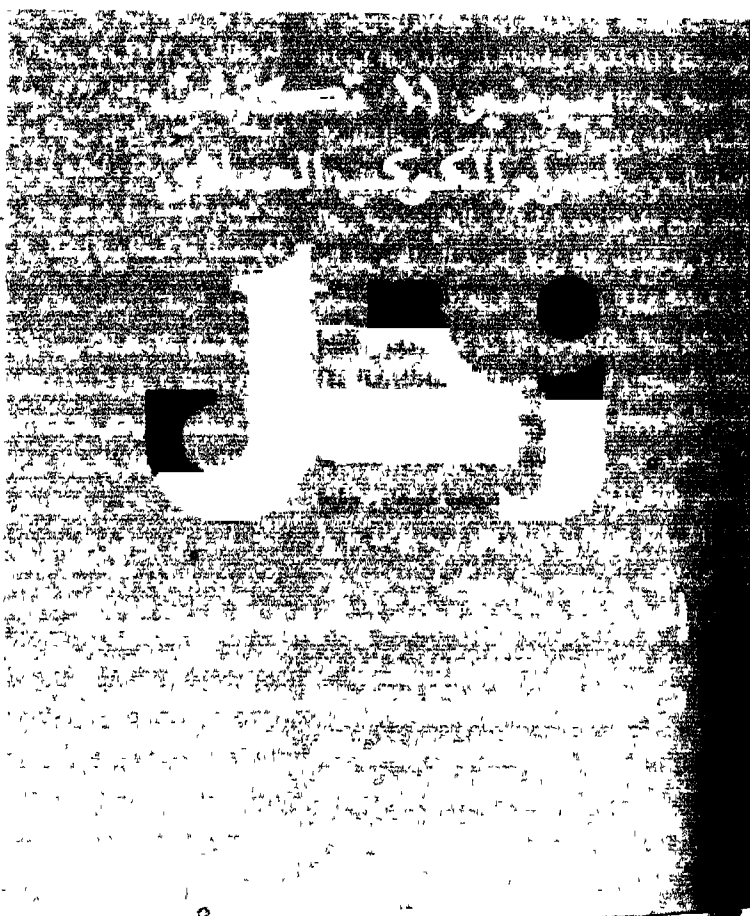
قبل ان ينتهي العام الماضي اقتربت مركبة الفضاء بيونير ـ ١١ من الغلاف الجوي للكوكب زحل ، وأرسلت صورا ومعلومات ، لتكون بذلك اول عين لبني البشر تشاهد الكوكب عن ذلك القرب .

الرحلة كانت طويلة وبدأت في احدى امسيات ابريل عام ١٩٧٣ ، عندما ارتفعت المركبة وطولها تسعة اقدام من فوق قمة صاروخ طراز اطلس ـ سانتور ، من قاعدة كيب كينيدي ، ثم انطلقت لتقطع مسافة قدرها بليونا ميل في سبعة اشهر اخترقت فيها حزام النجيمات ، واندفعت الى حدود كوكب المشتري العملاق ، وتفادت قوة جاذبيته الهائلة ، واتجهت بعد ذلك في الاتجاه العكسي نحو هدفها الاساسي · الكوكب زحل ذي الحلقات المسافة الجديدة طولها بليون ونصف البليون ميل ، قطعتها المركبة في خمس سنوات بسرعة ٧١ الف ميل في الساعة .

لقد انطلق اول قمر صناعي من صنع بني البشر ليدور حول الارض في اكتوبر عام ١٩٥٧ ، وبذلك بدأ عصر الفضاء ، وفي يوليو ١٩٦٩ انطلق الانسان ليضع قدمه لاول مرة على سطح القمر ، وتتوالى رحلات الفضاء حتى اصبحت امرا روتينيا شائعا ، لكن رحلة بيونير ـ ١١ ، هي رحلة من نوع جديد في سلسلة رحلات الفضاء ، انها انطلاقة الى الكواكب العملاقة للمجموعة الشمسية

كان جاليليو هو اول من لاحظ ذلك الكوكب ، « المنارة الفضية الغامضة » كما اسماه عام ١٦١٠ ، وجذبت حلقاته اهتمام الدارسين والعلماء منذ ذلك التاريخ . وعرف العلماء الان ان الحلقات الاربع مصنوعة من الثلج او الصخور

كوكب عملاق

وزحل هو ثاني اكبر الكواكب ، بعد المشتري ، في المجموعة الشمسية ، وهو اكبر من الارض حوالي تسع مرات ونصف مرة ، لكنه يتكون من غازات ، لذلك فهو خفيف حتى انه يمكن ان يطفو على سطح احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة فوق سطح الماء !

والمشكلة التي كانت تواجه العلماء دائما عند دراسة هذا الكوكب بالمناظير الفلكية انه بعيد الى الدرجة التي لا يمكن بها الاجابة على العديد من التساؤلات التي اثارتها الدراسات بهذه المناظير ذاتها . لذا كانت مهمة بيونير ١١ هي ارسال تقارير الى الارض تجيب على الاسئلة التي لم تستطع المناظير الاجابة عليها وتشكل الاسئلة معلومات اولية عن هذا الكوكب رغم الدراسات التي تجمعت طوال ثلاثة قرون ونصف منذ صوب جاليليو منظاره اليه هل لزحل مجال مغناطيسي ؟ هل له مصدر حراري داخلي ؟ مم تصنع اقماره العشرة ؟ ثم اسئلة اخرى كثيرة عن القمر تيتان اكبر اقمار زحل وربما اكبر اقمار المجموعة الشمسية كلها ، حتى ان بعض العلماء افترض انه كان احد كواكب المجموعة الشمسية ثم شدته جاذبية زحل الهائلة ليدور حوله ويصبح احد اقماره . واهمية تيتان تكمن في أن علماء الفلك يعتقدون أن له غلافا جويا يماثل الغلاف الجوي الذي كان يحيط بالارض منذ ٤ بلايين عام ، ومن ثم ربما كان به مادة عضوية ، وبالتالي أثر من آثار الحياة

ان سفينة الفضاء بيونير ١١ وما تتحد[illegible] هي « أوديسا » بمفردها ، وتلك « الأوديسا » هي بدورها جز[illegible] من « مغامرة علمية » كبرى ، الهدف منها اعادة فهم الكائن البشري للنظام الشمسي باجمعه فقد اطلق العلماء ٣٩ مركبة فضائية ـ بدون رواد ـ حتى [illegible] اطلق الاتحاد السوفيتي فينيرا ـ ١ عام ١٩٦١ خلال ثمانية عشر عاما انقضت منذ ذلك الحين ، عرف العلماء

الكـ ، علم الكون ، وهو العلم الذي يبحث في نشأة
الـ ـسي لقد عرفوا خلال هذه الاعوام الثمانية
ـث ـها اكثر مما عرفوا في الالفين وخمسمائة سنة
ـ خير

لقد اطلق العلماء الى كوكب الزهرة وحده ، وهو اقرب كواكب المجموعة الشمسية الى الارض ، تسع عشرة مركبة ، فاكتشفوا ان الكوكب الذي اقترن اسمه بالجمال ليس في حقيقة الامر سوى كوكب ميت ، يحجز غلافه الجوى المكون من ثاني اكسيد الكربون ، الحرارة ، « فيطبع » سطحه لتصل درجة حرارته الى ٩٠٠ درجة فهرنهيت

واطلق العلماء أربع مركبات فضاء الى كوكب المريخ ، اكتشفت بركانا اعلى ثلاث مرات من قمة جبل افرست ، وقامت في نفس الوقت بتحليل عينات من تربته اثبتت امكانية وجود حياة

لكن كل هذه الرحلات في العقد الاول من عصر الفضاء ، ركزت على « الكواكب الداخلية » او « الكواكب الارضية » الشبيهة بالارض (وهي عطارد والزهرة والمريخ) وكلها ـ مثلها مثل الارض ـ قريبة نسبيا من الشمس ثم انطلق العلماء بعد ذلك الى آفاق ارحب فارسلوا مؤخرا مركبة الى كوكب المشتري الذي يبعد ٨٤٠ مليون ميل عن الشمس ، والى كوكب زحل الذي يبعد ٨٩٣ مليون ميل عنها ايضا

وفي هذا العام وحده ـ عام ١٩٧٩ ـ اكتشف العلماء أكثر الاجسام بركانية في النظام الشمسي كله (« ايو » احد اقمار المشتري) ، واقدم سطح فيها (« كاليستو » أحد اقمار المشتري ايضا) واسخن منطقة (« جزيرة » من الحرارة في الفضاء تبعد بمقدار ثلاثة ملايين ميل عن كوكب المشتري وتصل حرارتها الى ٥٤٠ مليون درجة)
وكـ ـال نويل هينرز مدير علوم الفضاء السابق بوكالة « nasa » الذي يراس متحف مؤسسة سيمثونيان للـ ـ والفضاء « ان كل اكتشاف كبير يتلوه اكـ ـ كبير آخر ، يثبت اننا لسنا محور كل شيء »

التكنولوجيا .. والروتين

لقد تقدمت التكنولوجيا بدرجة مذهلة جعلت من استكشاف الفضاء وريادته امرين روتينين لكن هذه الرحلات ليست سهلة بالدرجة التي نتصورها ، حتى في رحلة ناجحة مثل رحلة مركبة الفضاء بيونير ١١ فلقد تخطت بيونير ١١ النجيمات السريعة والاشعاع المكثف وبقايا الصخور الفضائية المتناثرة التي تنطلق مثل طلقات الرصاص وكان من الممكن في اي لحظة من لحظات مسار الرحلة في الاسبوع الاول من سبتمبر ، والمركبة تمر بالقرب من حلقات زحل جيئة وذهابا ، ان ترتطم بها قطعة صخر صغيرة لا يزيد حجمها على حجم كرة « البنج ـ بنج » ، فتتحطم وتنتهي الرحلة في تلك اللحظات بالذات كان الفنيون الذين يتتبعون الرحلة بغرفة التحكم بمركز اميس للبحوث التابع للناسا ، « بماونتين فيو » بكاليفورنيا ، يحبسون أنفاسهم وهم يراقبون اجهزتهم منتظرين كل ٨٦ دقيقة ، هي الوقت الذي تقطعه رسالة المركبة بيونير وهي تسير بسرعة الضوء ، اكبر سرعة عرفها الانسان ، لتصل الى الارض ، عندهم في المركز وعندما استمرت رسائل المركبة تنفسوا الصعداء لقد نجت المركبة من اهوال الفضاء ، ونجحت الرحلة وحتى خلال مسار الرحلة الطويل قابلت بيونير ١١ عقبات وحوادث ، كان اي منها يمكن ان ينهي الرحلة وعلى سبيل المثال ، في بداية الرحلة لم تنزلق مولدات الطاقة المشعة التي تحتضن خلية وقود البلوتونيوم كما كان مقررا في البرنامج ، لكن الفنيين استطاعوا من خلال مركز التتبع الارضي ، بالاشارات اللاسلكية ان يعالجوا الموضوع حتى انزلقت قضبان المولد في مكانها وكان هذا الحادث في البدايات الاولى للرحلة الطويلة منذ ست سنوات ونصف بعدها بشهر واحد توقف احد جهازي الارسال لكن الآخر استمر في العمل على مدى السنوات الست التي استغرقتها الرحلة ثم فقدت المركبة الجهاز الذي ينذرها بوجود النجيمات والشهب ، والجهاز الذي يجعلها تدور حول نفسها بشكل اسرع ومع ذلك استمرت وانجزت الرحلة بنجاح ، لكن بعد ان اصبحت ، كما قال دين تشابمان

مدير قسم العلوم الفضائية بايمس ، « مثل الجندي العجوز الذي اثخنته جراح المعارك التي خاضها وهو يخوض الآن معركته الاخيرة » !

الرحلة

وحتى نتصور رحلة المركبة بيونير ١١ ، علينا ان نتصور مكانها في المجموعة الشمسية فكواكب المجموعة تسعة تدور كلها في مدارات حول الشمس في المنتصف والكواكب الاربعة القريبة الى الشمس هي عطارد والزهرة والارض والمريخ ، وهي كواكب صغيرة ويطلق عليها الكواكب الارضية اي الشبيهة بالارض وهي صغيرة بالقياس الى باقي الكواكب ، وان كانت كثافتها اكبر اما الكواكب الأربع الأخرى فيطلق عليها اسم الكواكب العملاقة ومنها ـ المشتري وزحل ، فهي ذات كتل وحجوم اكبر بكثير من الكواكب الارضية ثم هنالك كوكب صغير آخر ابعد من الكواكب العملاقة ، هو بلوتو ، وهو صغير الحجم مثل الكواكب الارضية ومعلوماتنا عنه ضئيلة وكوكبنا ـ زحل ـ هو ثاني اكبر الكواكب العملاقة ، ويأتي بعد المشتري

اشهر مايميز الكوكب زحل هو حلقاته الاربع الشهيرة التي حيرت العلماء منذ اكتشافها وهي تتكون من جسيمات صغيرة ثلجية او صخرية ، وتدور الحلقات حول الكوكب ابتداء من قمة سحبه حتى امتداد ٤٨ الف ميل من سطحه وكان العلماء يشكون في وجود حلقة رفيعة خامسة (الحلقة هـ) تمتد بعد الحلقة الاخيرة ، لكن اجهزة المركبة بيونير لم تستطع تحديد مكانها ، وان كانت قد سجلت وجود حلقة جديدة تماما لم يرها علماء الفلك من قبل (الحلقة و) قدروا انها تبعد مسافة ٢٢٠٠ ميل من الحلقة الخارجية .

اكتشفت المركبة بيونير ١١ ايضا ان هذه الحلقات ليست للديكور ، اذ انه عندما اخترقت الحلقات بسرعة ٧٢ الف ميل في الساعة لم تسجل اجهزتها وجود اشعاع ، وهكذا توصل العلماء الى ان الحلقات ليست الا « مظلات كونية » تمتص الجسيمات المشحونة على بعد ٨٦ الف ميل من زحل

اكتشافات باهرة

وصلت بيونير ١١ الى قرب الكوكب ، وارسلت الى الارض افضل صور التقطت له حتى الآن ، وهي افضل من الصور التي التقطت للكوكب من خلال المناظير الفلكية الارضية كانت في الصور تفاصيل عن حلقات الكوكب ، ولاول مرة ترى بوضوح كذلك الخطوط التي تكونها السحب الصفراء والبرتقالية التي تغلفه

لكن اكثر الاكتشافات التي قدمتها المركبة اثارة ، كان ذلك الاكتشاف الذي توصلوا اليه بعد تجميع وتحليل المعلومات التي ارسلتها . فعندما كانت المركبة قريبة من حلقات الكوكب صمت جهاز تسجيل الجسيمات المشحونة لمدة اثنتي عشرة ثانية ، ثم بدأ في تسجيل وجود الجسيمات مرة اخرى ومن خلال معلومات اخرى توصل العلماء الى ان المركبة كانت تمر في تلك اللحظات على بعد ٢٥٠٠ كيلو متر مما يبدو أنه القمر الحادي عشر لزحل اي ان هنالك قمرا جديدا لزحل لم يكن العلماء يعرفون عنه شيئا من قبل ، طول قطره ٦٠٠ كيلو متر ، ويدور في مدار يبعد بمقدار ٥٤ الف ميل من الكوكب ، خارج الحلقة الخارجية مباشرة وربما كانت الحلقات والاقمار الستة الداخلية مكونة كلها من مادة ثلجية ، اما الاقمار الاربعة الخارجية فربما تتكون بنسبة اقل من هذه المادة الثلجية

وعندما ينتهي العلماء من تحليل المعلومات التي اوصلتها المركبة الى الارض ، فمن المتوقع ان يصلوا الى فهم اشمل حول كيفية تكوين الحلقات والاقمار ، وربما كيفية تكوين النظام الشمسي باكمله

وخلال خمس عشرة دقيقة ثمينة اقتربت المركبة من القمر تيتان ، اكبر كواكب زحل والمجموعة الشمسية ، فارسلت معلومات لم تكن معروفة عنه قبلا لكن هذه المعلومات رغم انها ثمينة الا انها اصابت العلماء بخيبة أمل مريرة ، اذ عندما قاموا بتحليلها تأكدوا عدم وجود جزيئات عضوية بمعنى انه ليس على سطحه اي شكل من اشكال الحياة العضوية ذلك ان اجهزة

...ياس درجة حرارة غلافه الجوى العلوي
...٢ درجة مئوية تحت الصفر وهذه
...الاحساس الامينية ، وحدات الحياة
...التكوين الان ، وفي المستقبل ؟

...دت بيونير ١١ كذلك ان للكوكب مجالا
مغناطيسيا ، وان كان شاذا عن المجالات المغناطيسية
المعروفة على ارضنا فقطبه الشمالي والجنوبي يطلقان
ما على الشمالي والجنوب الجغرافيين ، الى جانب حقيقة
المجال الذي حددته بيونير لا تزيد قوته عن خمس القوة
التي كان يتوقعها العلماء (وان كانت اقوى ٧٠٠ مرة
من المجال المغناطيسي للارض) وقد تغير هذه الحقائق
من مفاهيمهم حول كيفية تكوين المجالات

وبينما يقوم العلماء بتحليل المعلومات التي ارسلتها
مركبة بيونير ١١ ، تستمر هي في الاندفاع الى طرف
النظام الشمسي ، حتى منتصف عقد الثمانينات
القادمة ، حيث ذاك يضعف ماترسله من اشارات الى
الارض بفعل اجهزتها المنهكة لكن المعرفة البشرية
ستمر اذ تصل فويجر الاولى ثم تتلوها فويجر الثانية الى
من الكوكب خلال السنتين القادمتين ، فيلتقط العلماء
المزيد من اسراره واسرار الكون الواسع

بعثة بيونير ١١

كيف تعمل « بيونير ١١ » ؟ وما هي الاجهزة
والمعدات العلمية الموجودة فيها ؟ ؟

المركبة على شكل طبق هائل الحجم له ارجل
متعددة ، ووزنها ٥٦٨ رطلا ، وتحمل احدث معدات
تكنولوجية اطلقت الى الفضاء حتى الآن وتعتبر رحلتها
اكبر واطول رحلة الى اعماق المجموعة الشمسية اطلقت
حتى الآن وبسبب بعدها الكبير عن الشمس لم يكن

من الممكن ان تعتمد على الطاقة الشمسية ، لذلك فهي
تعتمد في تسييرها على الطاقة النووية ، ويحمل مولدان
صغيران البلوتونيوم المشع الذي يتحلل فيشع ما يكفي
من حرارة لتوليد ١٠٨ واط من الكهرباء التي تحتاج
اليها اجهزة الراديو والاجهزة العلمية الاخرى

وهناك اجهزة اتصال معقدة ودقيقة تحافظ على
اتصال بيونير بالارض ، وحتى تتخيل دقتها يكفي ان
نذكر ان العلماء الامريكيين يرسلون الى المركبة تسعمائة
أمر كل ثانية وعندما يستقبلها هوائي المركبة (على
شكل طبق) ، يوزعها على الاجهزة المطلوبة التي تنفذ
المطلوب منها ، وعلى سبيل المثال يمكن ان يعدل العلماء
من اتجاه وسرعة المركبة في اية لحظة وفي نفس الوقت
ترسل المركبة بكل ما تحصل عليه من معلومات الى مركز
المتابعة الارضي بكاليفورنيا حيث تلتقط هوائيات
عملاقة الاشارات الاتية من المركبة مهما كانت ضئيلة

ومن الاجهزة المتقدمة تكنولوجيا الموجودة في المركبة
عداد لاسلكي يعمل بالاشعة تحت الحمراء لقياس درجة
الحرارة التي يشعها الكوكب الذي تستكشفه المركبة
(زحل) ويحدد كذلك تركيب غلافه الجوي ودرجة
حرارته وهناك فوتومتر يعمل بالاشعة فوق البنفسجية
ويبحث عن ادلة لوجود احزمة اشعاعية حول زحل
وسحب حول اكبر اقماره تيتان اما اجهزة التصوير فهي
« تجمع » الصور خطا بخط وهي بذلك قريبة الشبه
بكاميرات التليفزيون

والمعلومات التي قامت بيونير ١١ بتجميعها عن
زحل ثم ارسالها الى الارض غنية الى درجة ان العلماء
سينشغلون بتحليل معلوماتها لعدة سنوات
قادمة ■■

لندن ـ مجدي نصيف

الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

وللحياة أسلوبها

أني أحب الفاظ اللغة ـ واللغة العربية بصفة خاصة ـ حبا كثيرا ما يحملني على ترك ما أكون بصدد الكتابة فيه ، حتى أتعقب لفظة بعينها كيف جاءت ، وماذا يحتوى جوفها من لباب ، ولم يحدث أن تناولت لفظة بمثل هذا التشريح ، الا وقد وجدت في حناياها رحلة عجيبة في اطوار التاريخ وتطوراته ، فارى عقل الجماعة التي صنعت تلك اللفظة صنعا ، أقول أني أرى عقلها وهو يعمل ، وأحس شعورها وهو ينبض ، كلما لمحت لفتة جديدة في مسار اللفظة خلال الزمن وتغيراته

واذكر اني منذ اعوام طويلة ـ ربما بلغت الثلاثين عاما ـ اردت الكتابة في الخصائص المميزة « لاسلوب » العقاد ، لكنني ما كدت استوى في جلستي ، وانشر الورقة ، وارفع القلم ، حتى تحرك في رأسي شيطان اللفظة ، فأثار في نفسي السؤال · من أين جاءت كلمة « أسلوب » هذه ؟ اذا كان أصلها الثلاثي هو « سلب » بمعنى « سرق » أو مرادف من مرادفاتها ، فماذا ياترى تكون العلاقة بين « الأسلوب » بمعناها الذى نعرفه لها ، وهو السرقة ؟

تركت مكاني وقصدت الى حيث القواميس العربية المطولة ، التي تعطيك الكلمة وأصولها وفروعها ، وكأنها تقدم لك شجرة أنساب لاسرة عريقة الآباء والجدود ، وظللت أتعقب معنى « سلب » الى أن بلغت غايتي ، وهي أن « اسلوب » الكاتب او الفنان ـ انما سمي كذلك ، لأن صاحب هذا الاسلوب قد استطاع أن يستلب من نفسه كوامن سرها . لقد كانت النفس منطوية على خبىء من جوهرها ،كأنها تحرص على أن يظل خافيا عن أبصار الناس ، فجاء صاحب تلك النفس ـ اذا كان أيضا صاحب « اسلوب » ـ فانتزع من نفسه سرها ، ونشر أمام الناس ، على الورق او غير الورق من وسائط .

وادن فمس لا يكشف عن حقيقة نفسه فيا يبدعه من أدب أو من فن ، كان غير ذى أسلوب ، ولقد عادت الى ذاكرتي الآن هذه القصة كلها ، فتأملتها ، ثم لم البث أن اتسعت أمامي رقعة المعاني المتلاحقة المترابطة ، فقلت :

أننا في هذه المرحلة التاريخية التي تجتازها الامة العربية ، لفي أشد الحاجة الى من يحلل لنا اصولنا الفكرية والادبية والفنية ، ليكشف لنا عن « اسلوبها » ، اى ليكشف لنا عن حوهرها الكامن وراء ستائر التبصير المختلفة . فليس الاسلوب بمعناه الحقيقي الذى ذكرناه ، مقصور على أسلوب الكاتب الفرد أو الفنان الفرد ، لا ، بل ليست هذه الأساليب الفردية بذات حطر كبير ، وانما الأهم هو أن نعثر على الأسلوب العربي في عمومه ، أسلوب الحياة ، وأسلوب الثقافة ، وأسلوب الحضارة ، بالاضافة الى الأسلوب الفني العام ، بغض النظر عن حصائص الافراد المبدعين ، أو خصائص المحالات المختلفة في دنيا الفكر والفن .

وما دلك الأسلوب العام الشامل الا لعناصر ثبتت على الايام ، فلكل امة جوانب تتغير مع موحات الزمن المتلاحقة ، لكن لكل أمة كذلك من الركائز ما يثبت كأنه الطود الراسخ ، فاذا وحدنا تلك الثوابت في الرؤية العربية ، وجدنا بالتالي أسلوب العربي في وقفته من الكون ومن الانسان .

فلقد يتعدد ويتنوع النتاج الحضارى والثقافي عند أمة عريقة كالأمة العربية ، لكن الناقد البصير ، يستطيع ان يلتمس حلال ذلك التعدد والتنوع ، خيطا رابطا ، فادا ما وقع عليه ، كان هو أسلوب الأمة في فاعليتها العقلية والوحدانية ، وأننا نختصر زمن النهوض اذا نحن قدمنا للحيل الراهن من شبابنا حقيقة الأسلوب العربي في كل ساحي حياته وعندئذ فقط لنا أن نتوقع من الموهوبين أن يقيموا بناءاتهم الفكرية والفنية على ذلك « الأسلوب » دون تكرار للموضوعات والمضمونات التى حامت على ألسنة الاقدمين وأقلامهم وسائر مبدعاتهم في دنيا الثقافة والحضارة .

الاسلوب هو صاحبه ـ كما يقول الانجليز ـ أى أنك اذا عرفت لأحد من الناس ، أو لأمة من الامم ، اسلوبها في العيش وفي الصناعة وفي الابتكار .. الخ ، عرفت حقيقته ، لأنه لا [illegible]ن بين الجانبين فقد قال سقراط ذات مرة لرجل جلس مع سائر من احاطوا بالفيلسوف ، [illegible]ـه حلس صامتا ، فقال له سقراط : كلمني ياهذا لكي أراك !.. وهاهم أسلافنا قد تكلموا [illegible]لموا ، وكلامهم مثبت في الصحائف ، فلم يبق علينا نحن الاخلاف المعاصرين الا أن [illegible]م من حلال ما قالوا وما صنعوا .

حين نعلم أولادنا اسم هذا الكورسيكي القزم نابليون بونابرت نحكي لهم في الغالب حكاية حملته المشهورة على مصر قبل ١٨٠ سنة. الرجل دوّخ أوروبا كلها. أراق فيها الدماء. قلب العروش. نشر الفكر السياسي الحديث. جعل الدنيا تدور حوله وحول اعلامه ومع أحذية جنوده خمس عشرة سنة. ولكنه بالنسبة الينا، أحد الغزاة. تحرك ما بين القاهرة وعكا سنتين ثم انصرف. ويزعم الغربيون لنا، ونصدق الزعم، أن حملة نابليون كانت أول العصر العربي الحديث ومطلع النهضة.

ألم يقف جيش نابليون المعبأ على الطرق الحديثة، عند أهرام الجيزة أمام جيش المماليك المنظم صفوفا وفرسانا على مذاهب العصور الوسطى؟ ألم يقف السيف أمام المدفع؟ والفروسية الفردية أمام عبقرى الاستراتيجية الحربية الحديثة؟ ألم تلتق في المعركة مفاهيم الحرية والعدالة والمساواة التي حملها جنود نابليون، أبناء الثورة الفرنسية، مع مفاهيم الاستبداد والقهر ونهب الرعايا؟ عالمان التقيا وانهزم المهترىء المتداعى الذى يمثله المماليك وانتصر الحديث!

هذه النظرة الغربية للموضوع ليس [illegible] أن أناقش الخطأ والانانية فيها. لذلك فه[illegible] ملامحها أنها تنكر اليقظة العربية الا[illegible] والسابقة لنابليون بكثير فيما بين نجد والش[illegible]

هزموه في ذاته

ولكن اسم نابليون انما ركض على هذه الاسطر لأمر آخر ، هو صلة هذا الرجل بالمماليك بلى ! كان لنابليون ... مماليكه ان نابليون الذى هزم المماليك انهزم ... أمامهم صحيح أنه أنهى سلطانهم في مصر ... بالمقابل غزوه هزموه في ذاته لم يلبس فقط ... والسراويل الفضفاضة ويتقلد السيف ذا ... والطراز ، ولم يدع الاسلام ويتقرب من العلماء

فحسب ، ولكنه اخذ ايضا وايضا بالاسلوب المملوكي في الحدية اصطبغ المماليك مثله كمثل اى قائد مملوكي عريق !

والخبر على مافيه من المفارقة صحيح وتزداد المفارقة اذا علمنا ان نابليون يدين في جانب من انتصاراته الكبرى التي حققها في أوروبا الى الجماعة المملوكية يدين لها بالكثير وان بقي هذا الكثير في غياهب الصمت والمجهول !

كيف ذلك ؟

نابليون وهو في مصر ، اشترى واستخدم جماعة واسعة من المماليك جعلهم أولا أدلاء للجيش في هذه الارضين التي يجهل ، وفرسانا من الفرسان بعد أن انقطع عنه المدد من وراء البحار وحاصرته القوى الانجليزية على سواحل مصر والشام وحين عاد نابليون ثم عادت الحملة الى فرنسا عاد منها حوالي المائة مملوك . يصطحبون معهم عائلاتهم وذوي القربى والنساء والاطفال والشيوخ وحتى الاقرباء الابعدين رابطة الولاء المملوكة ساقتهم وراء نابليون مولاهم الجديد يعدونه حتى الموت كانوا عبيدا من مختلف الاسواق بل كان احدهم فرنسي الاصل من سان دنيس ويدعى على الرابطة الوحيدة التي كانت تجمعهم انهم اجهزة قتال . وقد وجدوا في نابليون السيد المقاتل ، ادخلهم نابليون أول الامر في صحبته أدلاء الجيش وحين اصبح سيد فرنسا غير منازع سنة ١٨٠٤ ألف من هؤلاء المماليك كتيبة الحقها بفرقة فرسان الحرس جعلهم من حرسه الخاص كان يزهو بملابسهم الشرقية المزركشة في السراويل الفضفاضة والاردية المطرزة بالذهب والسيوف المحنية البراقة والعمائم من الحرير استكمل بذلك اطاره الامبراطوري المزخرف وجعل حارسه الشخصي مملوكا من هؤلاء اصله من جورجيا ، يدعي رستم كان يقضي الليل على بابه أين كان في القصر او في خيمة المعركة

حازوا له بالنصر

كانت النساء من المماليك يقبضن المرتبات للمعيشة من الامبراطور اما الرجال فكانوا للحرب ودخلت فرقة المماليك في حروب نابليون كلها وبكل مكان وابة حروب تلك ؟كانوا مع قائده (مورا) ومع (لاسال) ومع لو فيفر - دي نوبت وهم الذين انتزعوا لنابليون اعلام الحرس الروسي المهزوم في اوسترليتز ، اروع معارك نابليون . وهم حازوه باعلاء الارشيدوق شارل النمسوى في معركه واغرام ودمرت الفرقة بالقتال ولكنها خرجت مكللة بالغار !

الامبراطور المعامر اسكن المماليك أول الامر في بلدة ميلون اقام لهم هناك مستعمرة اشبه بالمستودع لكنهم تحولوا بعد ذلك الى مرسيليا في جوار المرفأ القديم بين البحر الابيض المتوسط هناك راقتهم كانت تذكر على الاقل بشمس الاسكندرية والدفء كونوا في باب المدينة مستوطنة اسلامية صغيرة ، لكن اهل مرسيليا لم يتقبلوا هذه الجماعة الغريبة ابغضوها وانكروا جوارها لا لانها تمثل الاسلام والامبراطورية العثمانية فقط ولكن لانهم اصبحوا يبغضون الامبراطور نفسه ابضا المرسيليون هؤلاء الذين زحفوا سنة ١٧٩٢ حتى باريس واستولوا ايام الثورة على التويلري ، حتى اصبح النشيد الذي كانوا ينشدونه في تلك الاونة النشيد الرسمي الفرنسي الى اليوم (المارسيليز) . هؤلاء انفسهم أصبحوا في أواخر العهد الامبراطوري شعلة حقد ضد الامبراطور الطاغية انقلبوا ملكيين والغى نابليون عليهم الحصار الذي دمر المدينة واوصلها الى حافة الجوع فسال حقدها والغضب في الدروب ورفضت دفع الضرائب ، ورفضت التجنيد للحروب وأعادها العداء الى الهوى الملكي هوى « الزنبقة » شعار ال بوربون والعلم الأبيض الملكي لا العلم المثلث الالوان بالرغم من انهم كانوا احد اعمدة الثورة الفرنسية التي طردت ال بوربون ورفعت العلم المثلث واتت نابليون في النهاية وجرح الامبراطور مشاعرهم الكاثوليكية حين القى القبض على البابا وسجنه اوصلهم ذلك الى ذروة النقمة

في زمن الفوضى

وحين هزم نابليون سنة ١٨١٤ امام التحالف الاوروبي ودخل الحلفاء باريس واعادوا الملكية صاحت الجموع في مرسيليا . عاش الملك » وحطمت تماثيل نابليون كلها في الشوارع بينما كان الامبراطور ينطلق الى منفاه في جزيرة البا وحين عاد من منفاه ودخل فرنسا ليحكمها فترة « المائة يوم » المعروفة خرج المارسيليون انفسهم في الجنوب لقتاله ومعه . . . يفلحوا في قطع الطريق عليه فانهم لم يعطوه . . . ذلك للحرب بل احتاج بالعكس الى ابقاء حامية من الجيش في المدينة خوف التمرد

اعلنت هزيمة الامبراطور الاخيرة في واترلو سنة
١٥ لت زمام الجموع في شوارع مارسيليا وهرب
ية خارج البلد ماس قوة كان في امكانها كبح
.بين تحت كل حجر في المدينة ـ كما قال هذا
ـ ستت زهرة ربيع ومن كل نافذة خرج علم
بص !!! الجدى الذي لم يكن يدوس شارته المثلثة
لالوان كان مصيره السحل تسلحت مارسيليا بكل
سلاح من البندقية والحربة الى سكين المطبخ والزجاجة
لفارغة سيما منع الجنود ان يخرجوا من الثكنات
بالمدينة فوضى !

هنا يأتي دور المماليك ومستوطنة المماليك في هذه
لقصة التاريخية التي طالت كانت المستوطنة بازقتها
لسكنية هي السوق الرمزية للامبراطور وللحكم
لامبراطوري البغيض وكان عليها ان تدفع الثمن
لدموي الرهيب ! في الشوارع كانت المذابح تسحق
لجنود القدامى والبعقوبيين وانصار الامبراطورية
بوم توجهت الجموع الى مستوطنة المماليك المصريين لم
سال احد ما ذنب هؤلاء لم يتذكر ما صنعوا لمجد
رنسا كانوا يمثلون شخص الامبراطور واهالت
الجموع المسعورة على بيوت المماليك السكنية ، رصاصا
وتمزيقا وطعنا وسحقا بالاحذية تقرير للشرطة ذكر ان
الغوغاء أحاطوا بخادمة سوداء كانت تعيش هناك وطلبوا
اليها ان تصيح « عاش الملك » رفضت

ـ لا ! ان نابليون هو الذى يعطيني العيش !

وجرتها الحراب والقتها الاقدام في الماء المذبحة
الوحشية ملأت مياه المرفأ القديم في مرسيليا بالجثث
بضحايا الارهاب الابيض المستوطنة المملوكية ابيدت
كلها القلائل الذين تمكنوا من الهرب او نجوا من
السكاكين والعيون الهستيرية احدوا يحبسوا في قلعة
ايفا » حيث ماتوا

وانتهت حكاية المماليك « المغربيين » في مستنقع
الدم اما أحفادهم فابتلعها التراث الفرنسي ، مثلهم
كمثل الكثير من أهلنا المغاربة ومن مسلمي السنغال
وسقطت القصة كلها في بئر النسيان ■■

د شاكر مصطفى

زوجة العالم !

● نجح الكسندر جراهام بل مخترع التلفون ، لذى شغل حياته كلها
بالبحث عن نقية الصوت ، في العيش مع المرأة التي اختارها لتشاركه حياته
سنوات طويلة سعيدة استمرت لنصف قرن من الزمان او يزيد !

سألوه يوما « ما سر سعادتك ؟ »

وقال جراهام بل « لقد كانت « مبل هوبارد » ـ هذا اسمها ـ سعيدة
دائما مبتسمة دائما ممتلئة حيوية ومرحا كانت مثل امرأة غير عادية . فقد
ذهب صماء لا تسمع من اجل هذا احببتها . فلا اتصور ان اى امرأة في
الدنيا كان يمكن ان تحتمل صوت الميكروفون وهو يعمل صوتي من خلال هذه
لآلة الصغيرة ١٤ ساعة متصلة كل يوم ! »

بقلم فهمي هويــدي

ما يجرى بين الشباب المسلم حد حطير ، والأحطر منه أن سكت عليه ، أو مهون من شأنه وما هو احطر من السكوت والتهوين ، أن نتعامل مع هذا الشباب بمنطق العضلات ، وليس بمنطق العقل

والشباب الذى اعنيه هم تلك الشرائح التى ظهرت خلال السنوات الاخيرة على سطح الحياة فى مجتمعاتنا العربية المختلفة ، تروى حدود الاسلام ـ شكلا ـ فى اللحية والحجاب ، وموضوعا فى رفض المجتمع بمؤسساته وقوانينه وبطمه بدعوى ان الكل باطل ، واحيانا ، فالكل ـ عداهم ـ كافر والعياذ بالله

هم أولئك الشباب الذين يختلط فيهم الاخلاص بالحيرة والتعصب والتحدى ، وتمتلىء عيونهم بالذكاء والحيوية ، وقلوبهم بالايمان والتصميم رافضون الى حد هجرة الدنيا باكملها ، متفانون الى حد الترحيب بالموت والتهلكة

الصحف والوكالات الأجنبية كلها نشرت أن البيت الابيض الامريكى طلب بعد نجاح ثورة ايران اجراء دراسة حول الحركات الاسلامية النشيطة في العالم الاسلامي اليوم ، وبين يدى تقرير أولى حول اتجاهات التفكير الاسلامي في القرن العشرين أعده لجامعة ميتشجان الامريكية الدكتور ريتشارد ميتشيل الاستاذ بالجامعة ، الذى قدم رسالته للدكتوراه عن حركة الاخوان المسلمين في مصر وعلى أساس هذا التقرير بدأ الدكتور ميتشيل مسحا ميدانيا للحركات الاسلامية في المنطقة الممتدة من اندونيسيا للمغرب وما يثير الانتباه أن هذا المسح الميداني بدأ في عالمنا الاسلامي في يناير ٧٨ ،

المهم ان غيرنا يدرس ويتابع ليومى مصالحه فى بلادنا ، ونحن ـ فيما هو ظاهر على الاقل ـ نختار الاسهل فى مواجهة المشكلة وهو دور الاطفائي الذى يسرع فى كل مرة الى اطفاء الحريق ، دون ان يسأل لماذا تشب الحرائق من الاساس ؟!

●

ولست هنا فى مقام تبرير اى مغامرة او حماقة من اى طرف ، فالمخطىء يجب أن يحاسب فى كل الاحوال كما انى لن اخوض فى مناقشة أفكار هؤلاء الشبان ، فهناك من هو أقدر مني على التصدى لعمليات تاويل النصوص وتجريح مختلف الاحكام الفقهية منها ، فضلا عن ان أكثر كتابات هذه الجماعات لا تزال مخطوطات تتداولها ايادٍ محدودة ، ويتعذر على الآخرين الاطلاع عليها انما ما أرجوه هو ان نناقش الموقف من الاساس دوافع هذا الرفض للمجتمع الذى يتخذ صورا متعددة تتراوح بين تقرير الهجرة والسعي للانتحار

●

ان هذا الجيل من الشبان هو احظر افرازات الهزيمة والاحباط هم ابناء شرعيون لمحنة الامة العربية الحقيقية ، التى تلاحقت فى مسيرتها الهزائم على مدى القرن الاخير ، حتى بلغ بها الحال الآن ما نرى امة مجروحة الكبرياء ، تخبو املها فى الحاضر ، ويضيع منها الحلم فى المستقبل

لقد خرجت امتنا من الهيمنة العثمانية ، الى الهيمنة الانجليزية والفرنسية والايطالية ، الى هيمنة القوى المحلية وهكذا ، من قصة الى قصة واحيانا كانت كل قصة اسوا من الاخرى !

فى ظل العثمانيين كانت راية الاسلام هى التى ترفرف على المنطقة ، وكانت الجامعة الاسلامية هى الحلم ، والخلافة هى الرمز وبعد سلسلة هزائم العثمانيين ، وتراكم عوامل التحلل ، طويت راية الاسلام والغيت الخلافة ، وتبدد حلم الجامعة الاسلامية وانهار الرمز

ومنذ العشرينات رفعت راية العروبة التي التفت حولها القوى الوطنية ، وخاضت فى ظلها معاركها ضد سيطرة قوى الاحتلال الغربي ، حتى رحل آخر جندى اجنبى عن عالمنا العربي فى الستينيات ، وفى اللحظة التي بدا فيها الحلم العربي وشيك التحقيق ، بدءا بالوحدة بين مصر وسوريا ، حدثت هزيمة عام ٦٧ ، التي قوضت هذا الحلم ، وكسرت صوارى رايات العروبة ، ولما يمض على رفعها نصف قرن من الزمان

ومنذ ذلك الحين ، وأمتنا تعاني من التخبط بحثا عن راية وعن رمز !

وهذا الجيل من الشبان ، الرافض والمهاجر والمنتحر ، هو ذاته الذى كانت هزيمة ٦٧ هي أول ما وقعت عليه أعينه عندما بدأ يدخل دائرة الوعي واذا تبين لنا أن هؤلاء فى العشرينات الآن ، وأن اعمارهم فيما بين الخامسة والثامنة والعشرين ـ كما ثبت ـ فسوف يقودنا ذلك الى اكتشاف حقيقة لها دلالتها ، هي أن الغالبية الساحقة من هؤلاء الشباب كانوا فيما بين السابعة والعاشرة من العمر عندما وقعت هزيمة ٦٧ ، وأن زعاماتهم الحالية كانت أكثر وعيا بالصدمة ، اذ كانوا فى سن الخامسة عشرة تقريبا وقتئذ !

لقد افرزت الهزيمه عددا من الآثار ، يلتقى اكثرها على ارضية ما يمكن ان نسميه « العودة الى الله » اذ كان طبيعيا ان يلجأ الناس الى الله سبحانه في تلك الحقبة السوداء ، والانسان بطبيعته يكون اشد اقباله على الله عندما تضيق امامه السبل و يسقط في حبائل اليأس والقنوط »

وتسجل الاحصاءات التي جرت في مصر ـ مثلا ـ بعد هزيمه ٦٧ ان عدد المساجد زاد بنسبة ٣ ٪ ، فيما بين سنتي ٦٧ و ٦٩ وقال لي شيخ مشايخ الطرق الصوفيه في ذلك الوقت ـ الشيخ محمد سطوحي ـ ان الاقبال على الطرق الصوفية وحلقات الذكر تزايد بشكل ملفت للنظر بعد الهزيمة ، وان شرائح جديدة من المجتمع المصري انخرطت في هذه الطرق لاول مرة في تلك الفترة ، مثل الضباط وكبار الموظفين الرسميين وطلاب الجامعات !

وشاعت فكرة ان الهزيمه هي تعبير عن غضب الله ، على الذين نسوه فانساهم انفسهم

كان هذا هو الاثر العاجل وتمثل الاثر الاجل في ذلك الجيل الذى انغرست الهزيمة في اعماقه ، حتى نشأت معه بكل مضاعفاتها ، من تنامي الاحساس بالانكسار ، الى تاكيد الشعور بالعجز ، الى اليأس من كل ما هو قائم الى الاندفاع في اتجاه التطرف الديني ، في لهفة البحث عن حلم وحل

و في تلك المرحلة كان التيار الاسلامي « مضروبا » في اكثر من بلد عربي ، والمنتمون اليه موزعين على السجون والمعتقلات وهذا الموقف رتب نتيجتين هامتين هما ان المعاناة الشديدة التي عاناها الاسلاميون داخل السجون هيأت المناخ لظهور بدايات دعوة تكفير الاخرين والاحتجاج ببطلان كل ما هو قائم

والنتيجه الثانية التي ترتبت على ضرب التيار الاسلامي ، هي انه مع حلول الهزيمة مقترنة بمرحله « العودة الى الله » ، كانت ساحة العمل الاسلامي فارغه تماما ، وخالية من اي قيادة قادرة على ترشيد هذا التيار واستثماره ايجابيا الامر الذى اوقع الكثيرين في محاذير فكرية مميتة ، قدمت بقطاعات عريضه من هؤلاء الشبان بعيدا عن فهم جوهر الاسلام ، ولم تستطع ان تحملهم على استيعاب ما هو اكثر من قشور محدودة ، ومغلوطة في بعض الأحيان

و في غيبة الحوار ، اى في ظل الازمة الفكرية التي يعاني منها العالم العربي ، كان من الطبيعي ان تتنامى أفكار هؤلاء الشبان ، وتتحول من هواجس وشكوك الى مواقف لها منظرون ومحللون ، تحركوا في حدود رؤيتهم ، وتحت الارض في الأغلب ومضت سنوات ، وهم يتزايدون ، في تربة خصبة من الشباب الحائر والمهزوم ، حتى كانت أولى مغامراتهم في القاهرة ، عاصمة البلد الذي زلزلته الهزيمة بأكثر من غيره ، وكانت حادثة الهجوم على الكلية الفنية العسكرية عام ٧٢ ، التي قتل فيها ١٣ من شباب الكلية ، ثم حادث خطف وقتل وزير الاوقاف المصري ، الشيخ محمد الذهبي ، في عام ٧٥ ثم تتابعت مغامراتهم في مواقع مختلفة من العالم العربي

ومنذ ذلك الحين ، ونحن لا نسمع عن جماعات الشباب المسلم هذه الا ما تصرح به أجهزة الأمن ، و في المناسبات المفجعة لا غير !

●

تاتي بعد ذلك الممارسات ، التي عمقت الشعور بالاحباط ، فوق الشعور بالعجز والهزيمة

ذلك ان أي شاب ، لو مد بصره عبر ربع القرن الاخير ، في محاولة لرصد ما انجزته امة العرب ، على المستوى العام ، وانعكاسات تلك الاوضاع العامة عليه هو شخصيا ، اعني احلامه وطموحاته اذا اجرى هذه المحاولة ، فسوف تروعه النتيجة بغير شك

لا بد ان يروعه سجل الممارسات ، بعدما انتهكت تلك الممارسات الكثير من احلامنا في العدل والحرية والديمقراطيه والوحدة حتى تحول الحلم العظيم الى ما يشبه الحمل الكاذب احيانا ، او المخاض الذي اسفر عن مولود شائه بعد طول معاناة وانتظار ، في احيان اخرى !

لا بد ان تذهله حصيلة ما تحقق في الساحة العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال ، واحيانا في ظل مرحلة ما بعد الثورة !

وربما كان منطقيا مع هذا السياق ان يفقد بعض الشباب ثقتهم في الحاضر ، ويحنوا الى الماضي ، على الاقل ، حيث كانت مساحة الاحلام والطموحات التي لم تزل بكرا ، عريضة وبغير نهاية

وفي عدة ثنوات مشروعه واسعه للتعبير عن هذا الموقف ، وربما كان منطقيا ان يتخذ هذا التعبير صورا غير مشروعه ، بعضها عرفنا به ، والله اعلم بما لم نعرف عليه بعد

وازاء هذا كله كان الاحباط في قطاعات الشباب عظيما ، وكان القلق على المستقبل ـ وهم جزء منه ـ عظيما ايضا

●

ما اريد ان اقوله ، باختصار ، ان ثمة خطأ ما فينا نحن افرز هؤلاء الشبان ، بكل ما يمثلونه من فكر او صيغة في الحركة ثمة خطأ ما في المعادلة القائمة ، والممارسات القائمة ، رتب اخطاء فتحت الباب لمسلسل المغامرات والحماقات

ان مجرد وجود هؤلاء الشبان ، على هذه الصورة ، هو شاهد علينا جميعا هو قرينة صدنا ، بل وثيقة اتهام حية تدين الجميع فوقيين وتحتيين

ولا بديل عن محاولة تصحيح الخطأ في المعادلة من الأساس ، فضلا عن ضرورة تصحيح عملية التشخيص ذاتها اذ ليس صحيحا أنها أزمة للشباب المسلم ، ولكنها ازمة جيل بأسره ، عبرت عن نفسها باشكال مختلفة في قطاعات الشباب المسلم وغير المسلم بل انها ليست أزمة شباب في الحقيقة بقدر ما هي أزمة واقع عربي محزن ازمة امة تبددت احلامها واحدا بعد الآخر ، حتى صارت بلا حلم !

اننا احوج ما نكون الآن الى أن نتذكر ونتمثل هذه الآية الكريمة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

واذا لم نتغير نحن ، اذا لم نغرس الأمل بأيدينا ، فليس غريبا ولا عجيبا أن يبحث الشباب عن التغيير والأمل خارج المنطق المألوف ، وخارج الشرعية ، وربما خارج العقل ايضا ! ■■

يهود
الدونمة

الى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد

بقلم محمد حرب عبد الحميد

لم يعترف اليهود بعيسى عليه السلام مسيحا لذلك ظلوا ينتظرون المسيح ليأتي ليعيد اليهم - كما يعتقدون - دولتهم ، ثم ليفرض سيطرتهم على العالم . وكانوا يعتقدون بأن المسيح المنتظر نبيا وملكا ، سيقيم دولة كبيرة ويجبر العالم كله على التدين باليهودية

وكلمة مسيح ومسيحا في العبرية تعني الرجل الذى طهره يهوه والكلمة تأخذ في التوراه معاني عامة ، فتطلق على الملوك والانبياء وكل الرجال الذين يقومون بعمل ديني ومقدس اما المعنى الخاص لهذه الكلمة فهو النبي او المخلص الذى يرسله يهوه لانقاذ بني اسرائيل

وقد تسبب هذا الاعتقاد في ظهور كثير ممن ادعى انه المسيح المنتظر مثل تيوداس الروماني عام ٤٤ ميلادية ، وموسى التكريتي ، وابو عيسى الاصفهاني ، ثم ساباتاي زفي الازميري (نسبه الى مدينة ازمير التركية) وهو مؤسس طائفة الساباتائية او طائفة يهود الدونمه

فكرة المسيح المنتظر

ظهر ساباتاي زفي والدولة العثمانيه في احرج أوقاتها الجنود يعيثون في الارض فسادا ويقتلون سلطانهم ابراهيم (١٦٤٨ م) ، ويسمعون بشدة السخط الشعبي الذي ظهر نتيجه لمقتل السلطان ، واساطيل البندقية تهدد سواحل الدولة ، والجيوش عاجزة ـ للمرة الثانية ـ عن فتح قلعه فيينا (عاصمة النمسا الان)

كانت اوربا تعيش في هذا العهد فترة محاكم التفتيش والحريات الدينية مكبوته ، اما اليهود الاوروبيون ، فقد كانوا يتعرضون للاضطهاد ، وخاصه في اسبانيا ولم يجد هؤلاء اليهود حاميا لهم الا الدولة العثمانية وما عرف عنها من تسامح ديني فهاجر الكثير منهم اليها

في هذه الظروف التاريخيه ، وبالتحديد في عام ١٦٢٦ م ، ولد في ازمير يهودي يدعي ساباتاي ، لاب يدعي موردخاي زفي ، كان يعمل بالتجارة في ازمير منتقلا اليها من المورة في اليونان ، وكان من اصل يهودي اسباني

في تلك الفتره ايضا قال بعض اليهود بان حساب الجمل لبعض كلمات واردة في التوراة تقول بأن المسيح سيظهر عام ١٦٤٨ م ، لكي يعود اليهود وأنه سيظهر في صورة نبي مخلص سيحكم العالم من فلسطين ويجعل القدس مركزا وعاصمة للدولة اليهودية

كان ساباتاي في هذه الظروف قد بلغ الثانية والعشرين من عمره ، فاخذ يعد نفسه ليصبح هو ذلك المسيح المنتظر ويقول ابراهيم علاء الدين صاحب كتاب ساباتاي زفي ان هذا اليهودي ـ ساباتاي ـ كان مصابا بحالة صرع ، وكان معتل الصحة والمزاج ... حاخامات أزمير يعرفون منه

وفي العام المحدد (١٦٤٨م) فاتح ساباتاي ... الاقربين اليه بانه هو المسيح المنتظر ، الذي ... اشارات الكتب المقدسة

وكان الجو الاعلامي الذي اشاعه حاخامات ... عن قرب ظهور المسيح المنتظر بالاضافه الى ... ساباتاي الظاهرة ، وانكبابه على دراسه النصوص ... والكتب ذات الصبغة الصوفية اليهودية مع ... تفسيرها ، وحالة الصرع التي تنتابه بين الحين والحين اقول كل هذا هيأ الجو امام ساباتاي لاعلان نفسه مسيحا

وفي عام ١٦٦٣ م ، ذهب ساباتاي الى مصر حيث استضافه يهودي يدعي رافاييل جوزيف يعرفه المصريون باسم يوسف حلبي وكان هذا يعمل رئيسا للصيارفة بالقاهرة واستطاع ساباتاي ان يكسب رافاييل الى جانبه ويفيد من دعمه المالي لحركته

ثم قام ساباتاي بزيارة فلسطين ، وتعرف بيهود القدس عن قرب ، ثم عاد الى ازمير عام ١٦٦٦ ، حيث كانت شهرته قد طبقت الافاق

وفي أزمير انهالت عليه وفود اليهود من رودوس وادرنة ، وصوفيا ، واليونان ، والمانيا حيث قلدته هذه الوفود تاج « ملك الملوك » ثم قام ساباتاي بتقسيم العالم الى ٣٨ جزءا ، وعين لكل جزء منها ملكا ، لانه كان يتصور انه سيحكم العالم كله من فلسطين ، وكان في كل ذلك يوقع بلقب « الابن الوحيد الاول ليهوه

عندما أشهر اسلامه

ثم ظهر مسيح اخر يدعي كوهين ، منافسا لساباتاي تقدم كوهين بشكوى الى القصر السلطاني العثماني مدعيا ان ساباتاي ، يعد العدة للعمل بهدف اقامة دولة يهوديه في فلسطين اصدر الباب العثماني أمرا بالقبض على ساباتاي واحضر الى ... حيث واجه هيئة علمية ادارية برئاسة نائب ...

عد صوبة كل من شيخ الاسلام وواحد من كبار
عن طريق مترجم للأسبانية تم استجواب
انكر هذا كل ادعاءاته وبين خوفه من
موتا وبين نصيحة العلماء له ، اشهر ساباتاى
اسلامه ، وصار يدعى محمد البواب ، لأن السلطان
حدد له ريع وظيفة رئيس البوابين في القصر
السلطاني وعلى الفور أرسل ساباتاى نشرة الى اتباعه
قال فيها « جعلني يهوه مسلما ، انا اخوكم محمد
البواب هكذا امرني فأطعت والمعروف ان الكتب
اليهودية تقول بان المسيح سيتلبسه المسلمون ، ثم قدم
اخوه الوضع الاتي « كيان ساباتاى القديم صعد الى
السما وبامر من يهوه ، ترك ملكا يستمر في كونه
المسيح ولكن تحت جبة وعمامة »

وعلى هذا ، اطلق الاتراك لقب الدونمه على اتباع
ساباتاى والدونمه صفه تعني العائد) اى الذى اسلم
بعد ان كان يدين باليهودية ، متبعا ساباتاى زفى ثم
اصبحت الكلمه اصطلاحا يعني المسلم ظاهرا ، اليهودى
فعلا و باطنا

طلب ساباتاى من السلطات العثمانية ، ان تسمح له
بدعوة اليهود الى الاسلام فأذنت له ، وانتهزها فرصة
فانطلق بين اليهود يواصل دعوته الى الايمان به ويحثهم
على ضرورة تجمعهم معلنين في ظاهرهم الاسلام مبطنين
الساباتائيه

ثم قدم قائمة ضمت أسس دعوته ، وجهها الى « كل
مؤمن به ، صدرها بالاتي « هذه هي الاوامر الثمانية
التي امرها سيدنا وملكنا ومسيحنا ساباتاى زفى ،
... سرفه ! »

من هذه الاوامر « الايمان بان مسيح يهوه هو المسيح
... مخلص عبره ، هو سيدنا وملكنا ساباتاى زفى ،
... نسل داود « و » قراءة مزامير داود سرا كل يوم
... مراعاة الاتراك المسلمين درءا للرماد في اعينهم
... اظهار الصيام بصوم رمضان او عيد تقديم
... بل يجب المحافظة على جميع المظاهر
الاسلامية و « ممنوع الزواج من المسلمين »
هذه الاوامر ايضا ما ينص على اعتبار اليوم
الذى اسلم فيه ساباتاى عيدا يجب الاحتفال به احتفالا
بالغا »

وبناء على تقارير ادارة الامن العثمانية حول اقامة
ساباتاى الطقوس اليهودية مع أتباعه ، تم نقله الى
البانيا وهناك وفي ١٦٧٥/٩/٣٠م مات المسيح المزيف
والمسلم المزيف زعيم طائفة الساباتائيين ساباتاى زفى
وهو يبلغ من العمر ٤٩ عاما ولا يزال اتباعه الى اليوم
يقفون على ضفاف الأنهار ـ ساباتاى دفن على ضفة احد
الانهار ـ ويدعون قائلين ياساباتاى زفى انا
ننتظرك »

هم والمسلمون

عاش هؤلاء اليهود مختلطين مع المسلمين ، لكنهم يؤيدون
الشعائر الدينية الاسلامية الظاهرة فيصومون احيانا ،
ويحجون احيانا ، ويدخلون المساجد والجوامع للصلاة
احيانا ، وكانت لهم عاداتهم الخاصه منها لبس الاحذية
بدون كعوب وحلق شعورهم بالموسي كما يحتفلون بعيد
الخروف (اعيادهم عشرون) وهذا العيد يحدث في ٢٢
مارس دائما حيث يشترط تساوى العدد بين النساء
والرجال المرحين يذبحون خروفا ويلهون ، ثم تطفأ
الشموع ويسود الظلام والاولاد الذين يولدون في هذه
الليلة يكتسبون قداسه وان قال احد حاخامات
سلانيك في معرض احتجاجه على هذا العيد ان « من
المحتمل ان يكون نسل المحتفلين بهذا العيد هذه الليلة
نسل غير مشروع » (انظر ابراهيم علاء الدين في كتابه
ساباتاى زفى ومقاله رشدى قرقاش زاده ـ وهو من يهود
الدونمة في هذا الخصوص بجريدة وقت التركية ،
استانبول ١٩٢٤)

ويهود الدونمه ثلاث فرق اليعاقبه والقراقاشية
والقاباتجيه ، ولهم لغات تركية للتعامل مع الاتراك ،
واسبانية للتعامل فيما بينهم ولكل منهم اسمان اسم يهودى
خاص واسم اسلامي رسمي عام !

وقد توصل حكمت طانيو ، عند محاولته دراسة يهود
الدونمة من خلال شواهد مقابرهم في أزمير الى حقيقة
هامه ، وهي ان التجار من يهود الدونمة اخذوا يتزاوجون

من العائلات التركية المسلمة العريقة والغنية والمعروفة في عالم التجارة ، وكان المعروف ان حالة أو حالتين كانتا تعد في حكم الندرة التي حدث فيها زواج بين الدونمه والمسلمين ، أبرزها زواج زكريا سرتل الكاتب التركي المعروف بصناعة سرتل وهي يهودية من الدونمه

ويجب ملاحظة أن ليهود الدونمه في تركيا مدارس خاصة بهم صناعية وداخلية ، كما ان لهم مقابرهم الخاصة

وقد تركزت جهود يهود الدونمه منذ الحرب العالمية الاولى في دفع عجلة التغريب في الحياة الاجتماعية التركية ، بدأوا بالحرب على الحجاب وشجعوا سفور المرأة في المجتمع العثماني المحافظ (عام ١٩١٤) وكانت حجة اعلامهم وقتها « ان الحجاب ليس من الاسلام وانما انتقل من الروم الى المسلمين » انظر مجلة سبيل الرشاد العدد ٦ ـ ٤ عام ١٩١٩ م

وفي فترة الهدنة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى ، قام اعلام يهود الدونمة بالدعوة الى طرح قضية اختلاط الشباب بالفتيات في جامعة استانبول كمظهر اوروبي عصري ، ثم بذلوا جهدا كبيرا في اقناع الرأي العام العثماني بذلك (المصدر السابق)

صحيح ان مصطفى كمال اتاتورك هو اول من اوجد في تركيا مسابقة الجمال كمظهر اوروبي لاثبات ان « جمال المرأة التركية الذي تخفيه تحت الحجاب يصارع جمال اجمل نساء العالم » الا ان يهود الدونمه هم الذين نسوا فكرة مسابقة ملكة جمال تركيا الى اليوم

ومسابقات « ملكة الجمال » المحلية (في تركيا) واشتراك تركيا في المسابقات العالمية من هذا النوع وهي مسابقات خرجت عن النطاق المحلي تقيمها جريدتا « مليت » وكون ايدين « التركيتين اللتين يملكهما يهود الدونمة

في الحياة السياسية

يبلغ عدد يهود الدونمه في تركيا الان حوالي (٣ ر٠٠٠) نسمة لهم تأثيرهم في كل مجالات الحياة في البلاد (حكمت طاييو ، الاتراك اليهود عبر التاريخ ج٢ ص١١٥٦/٥٧ استانبول ١٩٧٦)

ومنذ اسلام ساباتاي الظاهري ويهود الدونمه يحتلون مراكز هامة في الدولة مثل منصب أمين الساحة البحرية وأمين الصرة وكتخدا القصر وكتخدا المدينة

وفي حركة حزب الاتحاد والترقي في أواخر عهد الدولة العثمانية ، اندس فرع القاباجية من يهود الدونمه في خلايا الحزب ، وأداروا الجزء الاكبر من انقلاب تركيا الفتاة الذي اطاح بحكم السلطان عبد الحميد الثاني وافسح المجال لحكم جمعية الاتحاد والترقي والحكم العلماني (انظر مجلة محراب التركية عدد (٥) عام ١٩٢٤)

ومن أبرز أسماء الدونمه في الحياة السياسيه التركيه في بدايات هذا القرن قراصو عضو اللجنة التي قابلت عبد الحميد لخلعه وقراصو كان مسئول جمعيه الاتحاد والترقي عن اثارة الشعب ضد عبد الحميد لتهيئة الفرصه لعمل الجمعية الثورى ، وهو ذاته الذى باع ليبيا لايطاليا بعد أن خان دولته العثمانية نظير رشوه من الايطاليين « انظر مقدمة كتابي مذكرات السلطان عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٧٩ »

هناك أسماء أخرى كثيرة من يهود الدونمه برزت في شتى فروع الحياة في تركيا منها محمد جاويد وزير المالية في عهد الاتحاد والترقي وبرهت فانق وهو ايضا احد وزراء مالية العهد ذاته ، ومصطفى عارف احد وزراء داخلية الاتحاد والترقي ، ومصلح الدين عادل وكان مستشارا لوزارة التعليم التركية واحد اساتذة الحقوق

يهود في اجهزة الاعلام

وابرز عائلات الدونمه في تركيا الان عائلات قبانجي « و « كبار » و « إيبكجي » وهذه الاخيرة لها مكانتها الضخمة في الحياة الاعلامية في تركيا

أن تأثير الدونمه على هيئة الاذاعة والتلفزيون التركية ضخم بدرجة ملحوظة ولا يمكن انكاره ومن الثابت أن أكبر دور النشر وأضخم دور الصحف التركية يمتلكها ويديرها الدونمه

لقد كان أول اسم صحفي من يهود الدونمه ، يخرج
ـطاق المحلية الى العالمية هو احمد امين يالمان
ـلانيك ١٨٨٨ ـ استانبول ١٩٧٣) ، الذى أسس
ـة صحف ومجلات هامة ، واشترك في بعض المؤتمرات
ـهيونية بالولايات المتحدة الامريكية وتبني اثناء
ـرب الاولى الدفاع عن قيام دولة أرمنية ودولة كردية
ـطعان من الاراضي التركية كما نادى بعد الحرب
ـالمية الاولى بضرورة قبول تركيا الحماية الامريكية
ـصر أيضا قضايا الماسون الاتراك ودافع عن قضايا
ـيوعيين الاتراك ، وعن أمن اسرائيل ، ونشط في
ـعاية للصهيونية كما كان معاديا للاسلام وللمسلمين
ـى أن الشاعر التركي يرن توفيق هجاه بقصيدة
ـلعها « أحمد أمين ، دونمه حيث يقذف بالطين اهل
ـرف (راجع حكمت طانيو ، المرجع السابق ص ٢٤٥
٣٤٩)

واخر اسم كبير مهم في الصحافة هو عبدى
ـكحي ، أشهر اسم صحفي في تركيا في الفترة الاخيرة ،
ـو من عائلة ايبكحي ، اشهر عائلات يهود الدونمه
ـل عبدى ايبكحي عام ١٩٦٤ ادارة تحرير جريدة
ـلت » الصباحية اليومية كما ترأس نقابة الصحفيين
ـراك وكان عضوا في اللجنة التحضيرية لقانون
ـ الصحافة وكان الامين العام لديوان الشرف
ـحـ ، وكان لعبدى ايبكحي شهرة عالمية اذ أنه كان
ـ مجلس ادارة معهد الصحافة بزيورخ (اى بي
ـ معروف سيطرة اليهود عليه وفي عام ١٩٦٨ م
ـ ايبكحي عضوا في هيئة التدريس بمعهد
ـ جامعة استانبول

اغتيل عبدى ايبكحي في ١٩٧٩/٢/٢ فاهتزت تركيا جميعا لمقتله ، وبعد مضي حوالي خمسة اشهر على حادث الاغتيال ، قبض على قاتله ، وكانت اول مرة في تركيا ـ منذ ان عرفت الصحافة يتم القبض على قاتل احد اساطين الصحافة

ويمتلك يهود الدونمه مؤسسة جريدة (حريت) ، وهي تورع يوميا ما بين ٨٠٠٠٠٠ر٨٠ نسخة ومليون نسخة ، وهي تأخذ مكانتها بين اكثر (٢٠) صحيفة في العالم توزيعا وصدر العدد الاول منها في اول مايو ١٩٤٨ وشعارها تركيا للاتراك (انظر موسوعة لاروس ، الطبعة التركية مادة حريت) وهذه المؤسسة تملك دار نشر معروفة كما تملك أيضا عدة مجلات دورية ، أسبوعية وشهرية وسنوية مثل هفته صونو (نهاية الاسبوع وهي فنية) وييللرنويو (مجلة التاريخ وهي شهرية) ومؤسس « دار حريت » للصحافة والنشر هو « سداد سماوى » من يهود الدونمه ، ولمامات اخذت اسرته تدير هذه المؤسسة الى اليوم

جريدة (كون آيدين) ترجمة اسمها حرفيا هو صباح الخير) وهي صباحية يومية تطبع (٥٧٠) الف نسخة يوميا وهي ثاني صحف تركيا ـ بعد حريت ـ توزيعا ويملكها الدونمه

وجريدة مليت رابع صحف تركيا تورنعا ، وأكثر صحف اليسار التركي اعتدالا . يملكها يهود الدونمه وتتبع الجريدة مجلة صنعت (الفن) الاسبوعية ، ودار نشر مليت سلاسلها المشهورة

وجريدة (جمهوريت) الصباحية اليومية ايضا ، يطلق عليها ايضا « برافدا تركيا » ملتة الصنعه الماركسية عليها ، أسسها يو... نادي اليهودي وكان يديرها نوري تورن ، ثم سيطر على ادارتها بعد عام ١٩٧٢ رشاد اتابك وكلاهما يهودي دونمه

وفي جريدة (ترجمان) ثالث الصحف التركية الصباحية اليومية نورنعا يبرز اسم عثمان كبار ، وهو من عائلة (كبار) اليهودية الدونمه ، وكان هذا الصحفي والكاتب البارز رئيسا لبلدية ازمير قبل امتهانه الصحافه

يهود الدونمه والماركسية

في عام ١٩٤٥م اسست الصحفة اليهودية الدونمه صابحه سرتل جريده (طنين) الشيوعية كان لصابحه قلمها المعروف وكان لها اسهام كبير في نشر الفكر الماركسي في تركيا واضطرت صابحه سرتل عام ١٩٥٢ للهروب الى الاتحاد السوفيتي ، وظلت هناك حتى ماتت في مدينه باكو عام ١٩٦٨م

ثم قام اسماعيل جم إيبكجي بتأسيس جريده (بولسكا) اليوميه الصباحيه وتصدر من استانبول (يلاحظ ان الصحف التي وردت اسماؤها من قبل تصدر كلها في استانبول) واسماعيل جم يهودي دونمه ، وهو من ابرز الكتاب الماركسيين الاتراك ان لم يكن ابرزهم وكان يعمل في جريده « مليت » كما كان مديرا لهيئه الاذاعة والتلفزيون التركيه حتى قامت حكومة الائتلاف الوطني عام ١٩٧٥ ، فطردت اسماعيل جم من منصبه رغم تأييد رئيس الجمهوريه ـ فخري كوروتورك ـ له (انظر كتابي يهود الدونمه ص٥٤) وقد لخص فاروق تيمور طاش الاستاذ الجامعي والكاتب دو الاسم اللامع دور اسماعيل جم بقوله « المفروض رسميا ان تكون هيئة الاذاعة والتلفزيون التركيه جهازا محايدا لكن اسماعيل جم ، وجه الجهاز فكريا الى الدعوة لفكر اليسار المتطرف ، وحزبيا الى تأييد حزب الشعب الجمهوري والدعاية له (هو اكبر الاحزاب اليسارية في تركيا) (انظر نصرت ك احزابنا وقادتها ص ٨٢ استانبول ١٩٧٥)

يهود الدونمه واسرائيل

وكان من الطبيعي ان تدافع اجهزة الاعلام الخاضعة للدونمه عن اسرائيل وتشتد في تبني وجهات نظرها في كل مواجهة لها ضد العرب ، وتبرر اعتداءاتها على البلاد العربية خاصة مثلما حدث في اعتداءاتها على جنوب لبنان (انظر حكمت طانيو المرجع السابق ح فصل الدونمه)

وقد نجحت اجهزة اعلام الدونمه في ايجاد رأي عام تركي مؤيد لاسرائيل وغير متعاطف مع العرب ويستثنى من هذا التعميم حزب السلامة الوطني اذ ان هذا الحزب ينادي بسحب اعتراف تركيا باسرائيل وضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينيه ودعمها واقامة علاقات قويه مع العالم العربي ، والاسهام في التكاتف العربي والاسلامي من اجل تحرير فلسطين

وهنا ايضا يجب القول بان اجهزة اعلام الدونمه تعمل على خدمة اليهوديه العالمية فمن مقالات سامي كوهين اليهودي ومدير الشئون الخارجيه بجريده مليت الى عرض افلام التنديد بمعاداة اليهود في التلفزيون التركي ، خاصة في عهد ادارة اسماعيل جم نلحظ دفع هذا الاعلام الى العطف على اسرائيل واليهود

يقول حكمت طانيو « ليس من الصعب على صاحب الحس السليم احصاء هؤلاء العملاء من الدونمه الذين يعملون ضد تركيا تحت اسماء منها جمعية الاتحاد اليهودي العالمي ، الصهيونيه ، ومنظمة رأس المال العالمي وا... (المرجع السابق ص ١١٥٦)

ر شخصية سائية في الادب التركي الحديث يهودية من الدونمه هي خالدة أديب كان ابوها . يعمل في القصر السلطاني ، وكانت خالدة ذات شخصية نافذة وعلى قدر كبير من الجمال واشتهرت عن طريق صلتها الشخصية بجمال باشا حاكم سوريا العسكري في الحرب العالمية الاولى وأحد القادة البارزين في الاتحاد والترقي ان تعرض وهي مديرة مدرسه البنات في بيروت ، تمثيل اوبرا ((رعاة كنعان) وهي من تاليفها (يلاحظ انها أول اوبرا عثمانية في الادب التركي) كانت خالدة اديب المديح فيها لليهود وسجلت فيها تمنياتها بقيام دولة يهودية في فلسطين

وكان هذا التمثيل بحضور قادة جمعية الاتحاد والترقي وفي منطقة عربية هي بيروت اثناء الحرب العالميه الاولى ، وكان كل هذا كفيلا بايذاء الشعور العربي والاسلامي

وقد وصفت أوبرا رعاة كنعان لخالدة اديب بانها نوع من (التبشير بقرب قيام اسرائيل) (عن خالدة اديب ويهوديتها انظر مسور عياشلي ايشتكلرم استانبول ١٩٧٣)

وكانت خالدة اديب قد بدأت اظهار عدائها للحركة الاسلامية ولعلماء الدين الاسلامي الذين عارضوا الحركة الكمالية . واتاتورك ، برواياتها اضربوا العاتية انظر مسور عياشلي ، المرجع السابق)

اشتركت خالدة اديب ، في حرب الاستقلال التركية برتبة (اومباشي) ثم (جاويش) ثم كانت لها اسهامات بين الجنود خطيبة ومواسية لهم ومرفهة عنهم . كما كانت صديقه شخصية لمصطفى كمال اتاتورك وعبرت عن حرب الاستقلال بمفاهيمها في روايتها (قميص من نار)

لكن خالدة اديب اختلفت مع اتاتورك « ولم يكن اختلافهما في طريقة التفكير ، بل انه لم يتجاوز كونه خلافا بين رجل وامرأة (عن هالح رفقي وهو صديق اتاتورك - انظر السيدة مسور عياشلي المرجع السابق. وكتابي يهود الدونمه ص ٥٤ - ٥٦)

ماتت خالدة اديب عام ١٩٦٤م ، بعد ان تركت مدرسة ادبية واجتماعية تحدو حدوها ، واقام لها الجمهوريون تمثالا نصفيا يقوم الان بجانب جامع اياصوفيا (حول الى متحف) وفي مواجهة جامع السلطان احمد

أمن هدف اخر بعد قيام اسرائيل

يقول عبد الرحمن كوحوك في رسالته للدكتوراه عن الدونمه من الناحية العقائدية « ان هرتزل تعقب خطى ساباتاي زفي بنجح هرتزل في السيطرة على فلسطين وحقق لليهود هدفهم القريب وهو تجميع اليهود في فلسطين باقامه دولة يهودية فيها ، وامتلاك « المعبد المقدس » عام ١٩٤٨ ومن ثم فقد اتجه يهود الدونمه الى العمل نحو هدفهم التالى لهذا وهو تحقيق فكرة « السيطرة على العالم » وفي هذا يتفق كل اليهود (عبد الرحمن كوحوك دونمه لك . ص ١٩٣ ، استانبول ١٩٧٩) ■■

استانبول - محمد حرب عبد الحميد

الوحدة افضل

● تضايقت الفتاة من صحبة الشاب الذي مضى الليلة معها فقالت له
- هيا نذهب الى مكان ، نستطيع كل منا ان ننفرد بنفسه فيه !

بقلم الدكتور علي الراعي

نحيا مع امين ، بطل رواية جبرا ابراهيم جبرا حياته الصاخبة ، القلقة ، المفاجئة في كل لحظة له فكرة ، خاطرة ، حادثة ملاحظة صائبة او خاطئة تقلب الموقف رأسا على عقب ، او في القليل تعبره

يستعرض امين رواد مقهى ذهب اليه ليستريح فيجيء ذكر رجل وزوجته ، الرجل : رشيد بطرس ، اصبح في الاونة الاخيرة يزعج « امين » بحذلقته وصوته المرتفع وزوجته ذائبة ليست اقل ازعاجا ، بسبب علاقة غرامية بينها وبين امين ، لم تستسلم له فيها الا بعد ان سئم رؤية وجهها !

ملاحظة عابرة عن ذائبة ، ولكنها تباغتنا اشد المباغتة ، وتقول في طريقتها العابرة ان المرأة ان لم تستسلم تصبح مزعجة ، تقول هذا على السطح ، ولكنها في العمق تمهد لما نعرفه من بعد عن ذائبة انها لا تضيع شيئا من فرص الهوى ، وان طبيعتها الزانية طوحت بها في كثير من العلاقات الشنعة

صورة صغيرة ترسمها ريشة جبرا في سرعة فائقة وتضع فيها صورة الزوج المخدوع ، اذ يحيط زوجته بذراعيه ، ويداعب عنقها ويمد اصابعه الى حاجب وشفتيها وشعرها ثم يعقب في وثوق على كلام امين « مسكين يا امين تتكلم كالملدوغ »

وكان امين قد عرض على اصدقائه رواد المقهى رأيه في المرأة انها كتلة من اللحم الحساس في لمسها لذة وفي رسمها لذة ، فجسمها كثير المنعطفات ، بشرتها متعددة الالوان وجسدها شعلها الشاعل ، تحميه ...

رواية

، معها انها دهت كحمل ثمين لكي تبرله في النهاية
ش احد الرحال فادا تعصى الحسد وترهل .
لمة المتأصلة فيه تظل بهمة لايحو لها اوار

ما الرحل معاطفته الفحارية عير منتظمة ، ولا
، حسده الا حرءا من وقته هنالك اصدر بطرس
حكمه الآنف الذكر على امين مسكين يا امين
، كالملدوع

حياة الذهن والحس

-ن امين قد لدغ حقا ، لدع من سمية ، روحته ،
سانة عبقرية الروح والحسد ضاقت بعمي والديها
ـد على عتبة الثامنة عشرة ، فتمردت عليه وعليها

وتركت القصر الكبير وحديقته الفاخرة الواسعة واحت
من الاشحار ما كان ملتف الفس يتفحر من الارض بما
فيه من قوة كامنة فكانت تتردد على الحرش ، وتتمنى لو
تستطيع الرسم فترسم تلك الجدوع المتلوية الحارة ثم
اعتبرت حسمها شحرة تشعر بالعصارة تتوثب في
اعصائه ، وازهر حسمها فاعترت سوره وهي صامتة ولما
اكتمل عودها كانت هيفاء فارعة كما تشتهي وحالما
التقت بامين حمل الحب الى حسدها ودهنها دفئا كدفء
الشمس ، فاصبح فيه حسا جديدا وصفته لامين بقولها
« ها قد أثمر الآن » ثم ارتمت بين دراعيه

كان امين يسعى من وراء علاقته بسمية الى توافق
لو تم لانسان لطالت يداه النجوم ، كان يريد ان يجدل
حياة الذهن مع حياة الحس ، كان هو الذهن وكانت سمية

الحس ، ولانه كان يحبها اشد الحب ، يشتهيها كل الاشتهاء ، فقد رأى فيها ماليس فيها حينا قص عليها ايامه الباكرة الفقيرة ، حين كانت أقصى أمانيه وأماني أمه أن لا تموت خراف ثلاثة ربياها وأملا من ورائها ربحا قليلا يسد الرمق ، ويتيح للولد ان يمضي في دراسته في المدرسة فالت له سمية في براءة انها لم تلمس حروفا بيدها قط ! ثم احذت تقص عليه طرفا من اساء حياتها المحمية المدللة علمها أبواها كبرياء لا مبرر لها ، ولقناها العزف على البيانو دون ان يكون لها موهبة العزف ثم اصبحت حياتها من بعد حفلات اجتماعية وفساتين سهرة ، واقراطا وعطورا واحذية وبعض المعجبين لم تقرا في حياتها كتابا ذا بال ، ولم تعرف الكتب الا ماحدثها الناس به

ولكن « امين » يلقي ستارا كثيفا على هذا كله ، ويعصه غياب الشعر والعمق في حياة سمية ، فيبتدع من احلها صورة يرسمها خياله ، الوثاب صورة لها ، وهي في السادسه عشرة والسابعة عشرة كفتاة تعدى في حفايا صدرها رؤى شعرية تستمد منها هوى ومتعة

ويعيش الانسان حياة هانئة ، حافلة بالمتع لقد احذ امين يرى في الدنيا جمالا جديدا ويتذوق لذة ما كان له عهد بها في المدينة وما اسرع ما وجد نفسه جزءا من طبقة اجتماعية جديدة نسي الفقر ، وغاب عنه تماما انه لم يعرف عن سمية الا ما كان هو نفسه قد اضفاه عليها من اوهامه اللذيذة

لا تقلق !

ويعود امين ذات ليلة ـ ذات صباح في الواقع ، بعدما انفق الليل بطوله في حيه القديم يكافح فيضانا من ماء المطر وطفح المجارى اجتاح الحي الفقير الذى كان يعيش فيه يوما ما واودى بحياة بعض اطفاله ـ عاد من هذه المغامرة التي ردته ساعات الى حياة الجماعة المتماسكة المتراصة ، داخل منزله في هدوء حتى لا يزعج سمية ، فوجد ان سمية قد تكفلت هي نفسها بازعاجه ، فراشها لم يمس ووراءها تركت اكثر ثيابها لم تحمل معها الا حقيبة واحدة كانت قد اشترتها من ... وادعت انها قد يحتاجان اليها في عطلة الى الـ...

لم تترك سمية وراءها اثرا يستدل منه على ... لم تترك سوى ورقة زرقاء كتبت فيها ثلاثة اسطر لا تقلق ، فانها قد غادرت من تلقاء نفسها

لا تقلق ! لقد انفجرت حياة امين انفجارا ... السعادة في حطامها كشظايا الزجاج ، وانتشرت من حوله اشلاء الناس ربط امين ـ لسبب لا يدريه ـ بين ... الشخصية وبين بلاوى الناس المطحونين ... باجسامهم الضامرة هيكل المدينة ويقدمونها ... لحمهم ويملأون الارض بافراح صغيرة ودموع غزيرة بينما هو يتامل جثة الحب المهشمة ، يدب الى ... ويصيب حياته بلوثة لا يجد لنفسه خلاصا منها

وعجز أمين عن تحمل الصدمة ، وليلة بعد ليلة كانت سمية تأتيه في الخيال عارية عارية ، فلا يستطيع النوم قتلها الف مرة ومرة في احلامه وقطعها ... مرة ومرة ، ثم احتج من بعد على نفسه اذ يربط بين ... الآلاف من سكان المدينة ، وبين هزيمته في الحب ... به ان يبحث عن سبب لخيانة سمية ، اهو مالها ... وراءها ؟ حماقته في عجز عن رؤية حقيقتها ؟

انفجار آخر

والى جوار هذا الانفجار في حياة امين ، يصنع ... ابراهيم جبرا انفجارا آخر في حياتي شخصيتين رئيسيتين من شخصيات روايته الفاتنة هذه ، شخصية العجوز المثرية عنايات هانم واختها الاصغر سنا زكران

كلاهما من اسرة غنية ، اصلها ضارب في القدم كانت الاسرة ذات سلطان ما لبثت ان فقدته وان بقي لها المال ومات افراد الاسرة واحدا وراء الآخر ، ولم يبق من اعقاب الاسلاف غير هاتين المرأتين ، عنايات وزكران الاولى اغتالها الاسلاف اغتيالا ، فتعلقت بتاريخهم ومنجزاتهم وفضائحهم ، وافراحهم وتفاهاتهم وانفقت عمرها كله سعيا وراء كتابة تاريخهم ... شبابها وسور عينيها في تفحص الاوراق ... والمخلفات العفنة التي تحويها سراديب قصرها ...

... الخامسة والخمسين ولما تبلغ بعد ما أرادت من ... اسرتها المنحلة ورغم انها استعانت بامين ... يع الاسلاف الاشراف الانذال ، فان الهدف ... بعيدا ، ما يزال

... ركزان ، وهي تصغر احتها بخمس عشرة سنة ، ... ان تخلد تاريخ الاسرة بطريقتها الخاصة ... الى المتعة من كل سبيل ، واتخذت لنفسها العشاق العشاق واقسمت لا تضيع من أيام حياتها اياما ... دون فيها المتعة فهذا نوع من متابعة بعض افراد ... ره في سلوكهم ، واحدهم اثبتت الوثائق انه اغتصب ... في قريباته العذارى ، بينما كان بين نساء الاسرة عانية ... ه الشخصية ست عددا من الفضائح ، اضطرت ... ما الى السفر الى اوروبا وتموت عنايات هانم فجأة ، ... تدعي احتها ركزان « امين » ليلقاها امين في القصر ، ... ك تفاجئه بانها قررت احراق مخلفات اسرتها جميعا ... اد ما بقي من ايام حياتها من حكم الموتى وظلمهم ... ت هي عنايات ، ولا لها حقها واتحادها المريض الى ... ي ، انما هي تريد ان تحيا « الآن ، هنا ، وفي ... » كما كان د هـ لورنس يقول ولذا فهي ... من عليه ان يتزوجها وان تبيع القصر وتبني لنفسها ... ما احسن واكثر عصرية ، فماذا يقول امين ؟ انها تدع ... مهله يفكر فيها حتى الغد

وعاد امين الى بيته خلال الرعد والبرق والمطر ولكنه ... يحس ان سحب نفسه قد اخذت تنجاب ، وان في ... سانه خفة وفي رئته نقاوة ، كان كمن ابل من مرض ... ل واحد يمر بمرحلة النقاهة فادرك البيت منتعشا ... ه لما دلف الى فراشه ، جافاه النوم ، واخذت رؤى ... تخايل عينيه رأى العشاق ينتظرون الزورق ... هم الى جزيرة افروديتي ، ورأى زهرة صفراء تعوم ... زورق ، ثم تفتحت اوراقها وصعدت بينها سمية ... مزين بالاقاحي ، لتقود سفينة العشاق ولكن ... الزهرة ما لبثت ان تساقطت ، وغرق العشاق في ... احتفت سمية

غضب على الحياة

ان « امين » يمد يده في الفراش فيحس بجسم سمية يلامسه ، ويحلم انه يتلمس بيده شفتيها ونهديها ، وتعبث اصابعه شعرها ، ويسمع سمية تقول سنتين سنتين كاملتين فيقول امين عشر سنوات عشرين خمسين لماذا لماذا هربت مني ؟ لماذا ؟ فتقول سمية لن اهرب ثانية لن اهرب يا امين ومرة ثانية يتحسس امين الجسم النائم الى جواره ويعجب كيف يجسد الوهم الحلم ويجعله حقيقة ثم يفتح عينيه فجأة وقد اصابه الرعب ، ويصيح باعلى صوته سمية لقد كانت سمية الى جواره بالفعل جسدا حيا لاوهما ولا خيالا

جاءت سمية ثانية ، نادمة ، توسلت ، واعتذرت ، واملت ان تتصل الاسباب من جديد بينها وبين روحها ، ولكن الجرح اعمق من ان يلتئم كان الحب قد لفه الكره وغدا غضبا على الحياة ذاتها

وبينما ترجو سمية وتتدفع فيدفعها امين ويقصيها ، تنشق السماء باصوات انفجارات متوالية كانت ركزان تحطم قصر اسلافها ، وتحرق ثيابهم الموبوءة ، املة في حياة جديدة

ويسمع امين الانفجارات تحطم الاسلاف وماضيهم المجدد المشين ، فيجد هو الاخر ان ماضيه قد تفجر ، ان سمية قد تحطمت انه بدوره يستعيد حريته من اسار الماضي

واذ تاتي ركزان لتعرف رأي امين في فكرة الزواج يصدها عن نفسه ، يحرم ويابي ان يرتبط بها بزواج ويخرج المرأتان من حياته ، ويمد بصره ليجد الطريق خاليا ولكنه لا يظل خاليا طويل وقت ، ما تلبث جموع الناس ان تملأه ، كلهم هائم على وجهه يبحث عن نهاية لليل طويل ، وبداية لحياة جديدة

تسير احداث الرواية سيرا هينا ، رخيا ، بفضل شاعرية النظرة التي تلهم جبرا ابراهيم جبرا ، وبفضل حسه العميق للحياة والاحياء ، وهو حب يخطط له الرواية ، ويجعل لها شكلا

فالى حوار متفرق الماضي من امثال عنايات وركزان ـ اللتين تعيشان في عفن الامس أوعفن اليوم ، هناك فراغ مترقي الحاضر ، من امثال رواد المقهى ، وهم اخلاط من الناس ، تجمع كل غريب ومسل وشاذ من

الناس ، الرسام فارس الذى رسم صورة تجمع بين الجمال القديم المكتنز ، وجمال ممثلات السينما ، واسماها « امرأة في امرأة » ـ جسم نحيل ونهدان صغيران وعجيزة ضخمة كعجيزة البقرة ، ولكنها مع هذا تعرى على اللمس ـ هكذا وصفها للحضور عمر شاب عجيب ـ كما تصفه الرواية سبع فى الدراسة فتخرج في الجامعة قبل العشرين ، وجال في البلاد العربية وجزء من اوروبا سنتين ، ثم عاد الى المدينة رمزا جميلا للتهكم والسأم يعجب به الرجال والنساء ، ولكنه هو لا يعجب الا بما يسميه جحيم الزقاق ، فقد كان مفتونا بمنظر الفقر وشقاء الناس فى الاحياء التي رانت عليها الفاقة والقذارة

هذا الضجر

ويطرس وروحته الرابية ـ بطرس هذا يعبد التقدم الآلى ، ويجده مصدر كل خير ، ولكنه يفاجىء الحاضرين بقوله ان من الواجب تلقين الناس كيف يصفعون ارداف نساء جيرانهم دون ان يسمع الصفع يجد الكثيرون فى ذلك لذة ، فضلا عن العلم

فى احاديث هؤلاء الفارغين ، ووراء ارائهم الصاخبة والداعرة والمقررة احيانا ، يكمن شيء قاس ورهيب اسمه الضجر

ويعود امين الى ماضى اسرته فيجد ان اباه لم يعرف الضجر يوما ما بل لم تجر كلمة ضجر ابدا على لسانه كان جزءا من الفصول الربيع بازهاره واغانيه والصيف بحصاده وشهواته ، والخريف بزيتونه واعراسه والشتاء بزمهريره وتوقعاته فاى جذر هذا الذى يتحدث به اهل المدينة حين يذكرون ملذات الجسد وهم لا يعرفون منها عشرها ؟

بين الطائفتين الفارغتين يصنع جبرا ابراهيم جبرا جموع الناس أولئك المجاهدين الصامتين الذين يتشاجرون لاتفه الاسباب ، ويعودون الى الود وكأن لم يكن بينهم عداء أولئك الذين تعاونوا على درء خطر فيضان المطر وطفح المجارى ـ اولئك يشقون كثيرا ويسعدون فى لحظات نادرة ، ومع ذلك فالحياة لهم ، واللذة باوسع معانيها

ان « صراح في ليل طويل » قصيدة حب [illegible] هؤلاء ، وقصيدة هجاء يتحول احيانا الى رثاء لفارغي [illegible] والقلب من مترفي الماضي والحاضر ، والقصة [illegible] تشكلان خلفية مؤثرة لقصة الرواية الرئيسة [illegible] الذهن بالحس وخداع العقل للقلب ، المتمثلان في حب امين لسمية ، الجسد العبقرى الفارغ من العقل [illegible] قصة وصفها امين ـ بحق ـ بأنها مسرحية ميلودرامية ، والواقع ان تعرف امين الى سمية في دغل لجأ اليه الاثنان ذات يوم ماطر ، وذهابهما من بعد الى منزل الابوين كي يخطبها امين رسميا من والديها ، والمشهد العاصف الذى جرى بين الام والخطيب والذى دفقت عليه الام فيه سيلا من الاهانات والشتائم ، ثم انتهى المشهد بان جمعت سمية حاجياتها ومضت مع حبيبها لا تلوى على شيء ، كل هذا هو بعض ما لدى الميلودراما من صنعة تبلغ قمة الأثر في ذلك الجزء من الرواية الذى يحلم فيه امين سمية ويتحسسها بالخيال فاذا به يكتشف مذعورا انه يتحسس الحقيقة !

والى جوار هذا تستعين « صراح فى ليل طويل » تكتيك الرواية الحديثة تداخل الازمنة وتداخل الاماكن تواجد الماضي مع الحاضر ، وتحاور الوعي واللاوعي ، والاهتمام بالتفاصيل التي تبدو عابرة ولكنها ذات دلالة مثل الرجل الذى يهجم على امين مصافحا ومرحبا وقد ظنه صديقا له قديما ، ثم يكتشف الرجل من بعد ويشعر بالخزى لبرود امين وقلة ترحيبه ـ فهذا تفصيل يبدو زائدا ولكنه يشير الى نغمة اساسية فى الرواية تلك هي تفسخ العلاقات بين الناس ، وقلة حبهم لبعضهم البعض وهي نغمة يرددها ويعمقها تفصيل آخر عابر يتمثل في القوادة المتعبة التي عرضت على امين وهو فى قمة شجنه على فراق سمية ، فتاة جميلة تؤنس ليلته ! فهذا التفصيل العابر يشير الى ان الحب فى مجتمع اليوم لا ينشق تلقائيا وانما يشترى ويباع

وبفضل هذا التكتيك الحديث يصغر حجم الرواية ويتضاعف اثرها ، ويتكثف اسلوب التعبير فيه حتى يبلغ الشعر انها حقا رواية حلوة وراء ضجيجها المرير ■

علي الراعي

والعصـــر عصـــر امين
حسـر ومطلـع سعـد
وكل مـــن قال سعــرا
في النـــاس عبـد لعبدي

على ان كثيرا من معاصريه من شعراء وادباء لم يستطيعوا تاييد ما اذا كان شوقي قد حص امين نحلة بهده السعه وعلى مستوى العموديه . في حين ان امين نحلة كان الى ما قبل وفاته قد تابع الاخطل الصغير الراحل في حفل تكريمه في (اليونيسكو) بقوله من قصيده تكريمه طويله

اموليـون احطــال وصغــــــر
اب في دولـه القـوافي الامير

وروى لي المرحوم امين نحلة طرفه بريدية في هذا الشان قال ان البريد حمل اليه ذات يوم رسالة معنونه الى (امير الشعر) فاحالها بدوره الى عمر ابو ريشة الدى احالها الى الاخطل الصغير وقد احالها هذا بدوره الى بدوي الجبل وهكذا ظلت الرسالة تروح وتجيء دون ان (يجرو) واحد من هولاء الاساطين ان يتسلمها على انه امير الشعر فما احرى شعراء اليوم ان يحرسو نعمة التواضع ومنعه و فضيلته

ومارس امين نحله في حياته المحاماة والسياسة في مجلس النواب الذي عرف انه لعبه سعرية تربيه اسرة حاك بها ناب البارول ـ منطقته في لبنان ـ تدي بها محاضر الجلسات و يوكد ان دوله الشعر ابقى من دولة السياسه كما اعلن ترشحه بنفسه ذات مرة لرياسه الجمهوريه وطاف ارجاء الوطن العربي يطلب دعم محبيه ومريديه من ساسة وامراء وحكام ثم انه احجم عن ذلك في اخر لحظة مخافة ان يفشل وقد اسقط ذكرياته ... مع رفيقة حياته في اخريات ايامه فاقدا ... والاصحاب الى ان مات بصمت ومن غير وداع ... لان حرب لبنان كانت قد اكلت الاخضر واليابس ... فالغيت الحفلة المقررة لتخليد الشاعر الذي ... والاناقه طول عمره ، وسط ازيز الرصاص ودوي القصف وقتل الانسان في لبنان لاخيه الانسان

وذلك كان عزاء امين نحلة الوحيد ، انه مضى في رحلة الموت قبل ان يعرف ماذا حل بلبنانه الاخضر من بعده وقد غناه ذات يوم

جـاء الـربيع محـولـ العمد...
ان الــربيع وابـ ...
يا غصـــن ... مضـى بالـ...
مــل حولـــنا يا غصــن ...
... رحــــا بعســـان من ...
... من فراس العشــح ...
يا ... يا ... الزهــه احمد...
في طلك العســاق ...
... درب ... الـطـب ...
في دارك الخضراء ...

وسلام على امين نحله شاعر الاناقه والجمال في الخالدين ■■

الكويت ـ عبد الله السبتي

تكاليف الزواج !

● سال الصبي والده « كم تتكلف الزواج يا ابي ؟ »
وقال الاب « بالتحديد لا اعرف يابني . ولكن الذي استطيع ان اقوله لك ، انني ما زلت ادفع تكاليف زواجي حتى اليوم ! »

بقلم . فاطمة حسين

■ ارتجمت ، تماما كالطير المدبوح سرت الرعشة في حسدها بدأت باطرافها حتي عمت الجسد كل الحسد وداك الرنين الصلف للهاتف اللعين لا يتوقف ، انه يلح بندائه يلح ويلح تتأرجح صاحبتي بين الاستسلام والمقاومة والرنين يلح لسانها يقدف باللعنة تلو الاخرى والرنين يلح وتعود تتراجع وتتأرجح ، تتلمس طريقها نحو النور تصل ، بعد جهد تصل ، فتساعد يدها الأخرى في رفع السماعة بينما تساعد عينها الاخرى في البحث عن الوقت ، برفع السماعة والساعة تواجهها تنظر لها ببعض من التحدى وتقول بالتـو وصلت الى النصف بعد الرابعة صباحا وهتفت رحماك يارب اى سوء يحمله لي هذا الفجر ؟؟

وعبر الاسلاك لم تأتها الا همهمات وعمعمات ثم صمت شيء بانقطاع الخط بهدوء فموت وبمزيد من ذاك الهدوء تعيد السماعة الى مكانها وتلقي بجسدها الذى زاده الصحو القسرى ارهاقا ، تلقى به على الفراش مرة اخرى براسها المتعب المتعب تحاول صاحبتنا ، تحاول ... تغفو لكن عجلة التفكير تدور على الرغم منها ... ما تملك الآن ساعة واحدة ساعة مسروقة ، مقتطعة من حين لا يجوز ان تقتطع منه هو ليلها البارد مضافة الى حين لا يحتاجها هو نهارها الملتهب وهكذا ضاعت الساعة بين الصحو والغفو ، وما لبثت الا ان استقرت في بؤرة القلق

القلق هذا الشيطان الذى يتسرب دائما حيثما تعجز المشاعر الأخرى أن تتسرب جلست لتضيء النور ، وفعلت ، ثم استلقت مرة أخرى على ظهرها مسندة رأسها على راحتي يديها ، جفونها ملت طول اللقاء فتباعدت انها لا تملك الساعة الا ان تحدق وبم ؟؟ بالسقف طبعا ، هذا الجدار الطلق الذى صب هناك لألف عرض وعرض لكنها لا ترى من اعراضه الساعة الا انه العائق الوحيد لصعود الاحلام الى السماء

السماء السماء اين منها تلك السماء الحبيبة تغرق رأسها في ذكريات الطفولة الوردية اللون ايام كانت تفترش المرتبة القطنية والسرير الحديدى وتلتحف السماء يوم كان عائق النوم عبث النسيم بشعرها يهرب فتظل تلاحقه باساليب مختلفة تتذكر تتذكر منها يوم كانت تعد النجوم العشرات ثم المئات فالآلاف بل ربما مئات الآلاف حتى يطوقها السبات بذراعيه الرحيمة

وتتذكر تتذكر ايضا بهجتها عندما تكتشف تجمع الغيوم في قوس كانوا يسمونه « مسحب الكش » وكيف كانت تحدق به تتصور ملائكة السماء يجرون الكش ليدركوا سيدنا ابراهيم عليه السلام قبل ان يصحي بأسه ، تتذكر كيف كانت تميل مع القوس وتميل حتى يدركها النوم بلفها بعباءته الدافئة

اين منها الآن تلك السماء التي تمتص كل المشاعر لتترك الاعصاب في راحة اجبارية وهذا الجدار المعلق حائل ثقيل

ويطلع النهار ليفرض نفسه على ليلها المقوس ويزعمون ان الرقص يبدأ بالخطوة السليمة تهز كتفيها فيلتق مجرد رغم ، تستجمع قوى الاصرار والعناد والاعتداد بالنفس لتخترق الوجود وتصحو على حقيقة اخرى في هذا اليوم بالذات انها تحتاج لاكثر من ذلك لاستعادة توازنها والاحتفاظ به عبر يومها الذي لا نعلم بلونه الا الله

وتصرخ الاثنين انه يوم الاثنين اليوم الذي لا تخطيء فيه الامور وابتسامة سحرية تعبر احشاءها طفلة مجرد طفلة سذاجتها تصور لها ان التفاؤل حافظ جيد لتوازنها

كان لا بد ان تنهض ، فعلت ، بعض من التحدي فعلت واتجهت نحو المرآة ، تشهد فيها ماذا ؟؟

ماذا غير شحوب الوجه وذبول العينين ، ومالبثت ان اغرقت وجهها بحمام ماء

اي حمام واي ماء ؟؟

نقطة من صقيع ملحقة باختها قبس من نار جهنم ثم نقطة صقيع ثم بخار ، يتصاعد بشيء بغليان ، ثم صقيع ثم ثم انقطاع تام

وتصرخ ماذا حدث ؟؟؟

ويأتيها الجواب وجلا مترددا

سيدتي الكهرباء لا تيار في البيت

فجأة استعادت صورة المهندس الشاب الوسيم الذي ظل اسبوعين في عملية اقناع مرهقة ان تسير مياه البيت

بالكهرباء يأسا رضخت وها هي ذي الـ ... الشمس متطلع الى المستقبل ، ناظر الى الاما ... نفسه حريصا على المظهر العام لمدينة الكويت ... والحرص عليها من شأنها وحدها ودفعها ... الهاتف لترتعه بعض الكلام السمج يبدأ به ... تذكرت ان حبل الود بينها وبين هذا الجهاز قد انقطع منذ الصباح الباكر او قبله بقليل ، فتراجعت لتسال من جديد

كوب الشاي هل اطمع بكوب من الشاي ؟

وجاءها الجواب بالايجاب

جاء الشاي وجلست ترتشفه سبحان الله كي... يحمل طعما غريبا انكرت احساسها به اول الامر ... المزاج الرمادي الذي تحمل اصبح يؤثر حتى في طعم الشاي لكنه طعم غريب بالفعل

سيدتي آسفة انها غلطتي اعرف انك ... تشربين الشاي المعطر لكني لم اقرا غلاف العلبة جيد...

وتسربت منها ارادة بالبكاء لكنها ادركتها ... كوب الشاي الحميم يحولون دون استمتاعها به

وحاولت الهرب ، الى الراديو هربت ولكن ... فيه البطاريات اين البطاريات كانت هنا بعد كانت هناك لكنها ميتة هي الاخرى بلا روح

اذن لا مفر من الهرب الى صحف الصباح

بعض من عنف تفتح الباب الخارجي ... بالمواسم الاربعة تجتمع في لحظة اسمها عاصفة طبيعي ان لا يصل الموزع المسكين وطبيعي ان ... الصناديق خاوية ومع الناس تعود ادراجها ... وميض امل بعودة التيار الكهربائي وبطل ... تتراجع ثم يعود ، فقط لتعبث باعصابها ... تصورت ، لكنها تملك من الاعصاب ما ... تحرفه توافه اليوم

جمعت اعصابها في حزمة واحدة لتواجه ... ما اعتادت احده في القبط اليوم وفي ... تضغط على جميع مواقع الاستيلاء لديها ...

ـ ، تدعي انها تقوى عليه وتعرف جيدا انه مجرد
ار يحمل لها بعضا من طاقة وتحمل لها المكابرة
به ـ وبحركات تكاد تنحسر وتفتت الاعصاب
بعث دولابها » تبحث عن المناسب من ملابسها
تجد ، ترتدي اي شيء فقط للخروج من هذه
النفس … بالاتجاهات المعاكسة

…كل ما تملك من قسوة تدير مفتاح السيارة
…سحب لها المسكينة وتنطلق بها تدخل الاثنتان في
والسيارة دائرة بلا حدود تنطلق كل منها بالأخرى وتقود
كل منهما الاخرى ، والاثنتان بلا هدف

نظرة حاسية لابد ان تلقيها على المقعد المجاور حيث
بعض الاوراق التي تحكي قصة مهمات يومها نظرت
عينها وامامها تبحث بينها عن ضوء لا تجد
روتين مجرد روتين

وشعرت بالسأم ، والسقم ، والضياع لا يصاحبها
فيه الا صوت رطب ثقيل صادر من الراديو في ثرثرة
مرسه عن الزمان والمكان ، ثرثرة ينام فيها الحرف قبل
الكلمة والجملة وتسحب نفسا عميقا علـه يخفف من
وطء هذا الهم الرابض على صدرها بدون استئذان ولا
مناسبة ، وبقية باقية من التفاؤل بيوم الاثنين تدفعها
تبحث عن مخرج تقع عيناها على صندوقها الاسود
القابع في قاع السيارة ، وتنطلق نصف ضحكة وهي
… كيف كانت تقول لاصدقائها وهم يتكلمون يوما
عن حوادث المرور « اما انا فان اصبت يوما باحدى هذه
الحوادث ، فليس امامكم الا فتح الصندوق الاسود
ستعرفون منه فقط اسباب الحادث » ترنو الى الصندوق
بعضه النصف الثاني من ضحكتها انه الصديق
الصندوق الذي يحمل ويحمي اسرار قلبها والانسان
… مزخرف بحواشي وهي قلب بلا زخرف ولا حواشي
يلوح لها في الافق مخرج ، ان تقرأ سطرا من قصة
حبها ـ تحسب دقات قلبها في هذا السطر وهل في
… دقات القلب ابحث لتنتقي شريطا من
… في أي شريط دون النظر الى نوعه فكل شريط
… الصندوق يقول جملة من قصة هذا القلب
… زر الصوت حتى ينطلق بقوة تستطيع حمل
… همومه الى البعيد البعيد

وانطلقت الروعة ذاتها تقول :

يا حبيبي كل شيء بقضاء
ما بأيدينا خلقنا تعساء

وهربت منها صرخة صامتة من الاعماق الى
الاعماق شعرت باختناق يشبه نقرب انفجار بركان
حريصة صديقتي على أن لا تؤذي الآخرين فما كان
منها الا أن عادت الى البيت بانتظار دمعة متحجرة معلقة
تأبى ان تستجيب

وتضيق دائرة حاجبها وتتحدد لم يعد للهرب معنى
ولا مغزى

اين منها عيون تنظر في اعماق اعماقها فتنقلها الى
عالم اخر بلا اسلاك شائكة

اين منها صدر تدفن رأسها به لتستكين كالقطة في
حضن دافيء

وتنظر الى الهاتف ، ما كانت تحتاج لكبير مجهود حتى
تتذكر ان مأساتها بدات به ترى لماذا لا تنتهي به ربما
ربما تنتهي به وبريق التفاؤل بيوم الاثنين يلوح لها بامل
بل بعض امل

وتدير القرص

يرد صوت من مليون صوت نعم

من فضلك

ـ هذا الاسم لا تعرفه

ـ انا

ـ وهذا الاسم ايضا لا تعرفه

وحدث الانفجار

ورغم الدمار الذى أحدثه الا أن فترة انتظاره كانت
اكثر قسوة

وجرت الدموع لتغسل المأساة ■■

الكويت ـ فاطمة حسين العيسى

بلى مُقلتيهِ وحـهُ سـيرٍ   سـديرٍ مـن الحـديثِ المُكنّى
. ور وأيُّ موعـدِ صِدقٍ   أسهدتْـني الـرُّؤى به ما استكنّا
ـادى الجمـوعُ من كلِّ وادٍ   زُمَـراً ليس فيهـمْ مَن تأنّى
لاقـي سيوفُهُـمْ مُشْرَعاتٍ   لس ما قد رأيتْ سكّا وطنّا
ـدتْ القلـوبِ ما كانَ وهماً   أنـتَ أدرى بهِ وأصـدقُ مَعْنى
ـا حامـدٍ وهـدي جـراحُ   ملأتْ حافقـي ودَهْـري تَحَنّى
ـي أنـتَ لو شهـدتَ فلوباً   واحقـابٍ تُطاعـنُ الليلَ طَعنا
موعـاً حريقَ وجـداً ووَجْداً   وحُفوفـاً تُعالـبُ النّـوْمَ وَهْنا
ـولا لـم تَستمـدْ لُماها   عَصَبهـا ياهـتُ السعـوبِ وأضنى
سنهـا الله ان تطـاولَ بَغيٌ   وعـادتْ يدٌ مِنَ البغـيِ أخنى
لى الأفـقِ من سحـبك خنطٌ   لمْ يَزلْ عودُهُ صَلبـاً مُرَنّا
عفُ الفجـرِ ناهـدٌ بطلوعٍ   لعطـاشٍ لم تُغضِ للظلـمِ جَفْنا
ـرى كادتـاً تغـرُ الأماني   فـي حماهـا ولا دَعيّاً وأُدْنا
ـسـ عنـك المعالي حدساً   لم يزلْ في مجامـعِ القـومِ يُحنى
ـاب إحياؤهْ وربَّ مَعادٍ   مِن حدسٍ - كما حدسـتَ - أسْنى
ـومـا على الطغـاةِ عصياً   قادمـاً يخصـبُ المواكبَ حَضْنا
ـاق عـن المصانـعِ باساً   ويَدكُّ القـلاع حِصنـاً فحِصنا
ـرى فوقَ أرضـهِ همجياً   تَـري السعـارِ تقـتـلُ مُضنى
ـ النعاصـبِ المُدلَّ جبانٌ   هان حتـى تراه يقطـرُ جُبْنا
ـا حامـدٍ فدتْـكَ هدى   بعضُ رؤيايَ من رياضيك تُجنى
ـ أهلُهـا وعنـكَ رَواها   شاعـرٌ لم يَزلْ بدَرْبـك يُغنى
ـ الوحـدُ فاستفـاض حنيناً   ومِـنَ الوحـدِ ما يُذاعُ ويُكنى

خالد سعود الزيد

الكويت

● حل مسابقة العدد ٢٥٢ ●

محمد أبو الفتح الشهرستاني

يعقوب صروف

اثنتان في واحدة

(٨) افقيا الشهرستاني هو محمد أبو الفتح الشهرستاني . من اشهر مورخي الاديان في القرون الوسطى له « الملل والنحل » . استعرض فيه المذاهب الدينية والفلسفية التي عرفها

(٨) راسيا يعقوب صروف ولد في الحدث بلبنان وتوفي في مصر اصدر مجلة المقتطف مع فارس نمر ساهم في اصدار جريدة المقطم عام ١٨٨٩ اغنى المكتبة العربية بترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية والعلمية

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣ دينارا فاز بها رقية صالح طه دمشق / سوريا

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها عامر حامدين بشير الخرطوم / السودان

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١ دنانير فاز بها الهادى الدهيبي تونس

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ ـ مجدى محمد امين اسلامي جدة / السعودية

٢ ـ جواد عبد الجبار علي البصرة / العراق

٣ ـ صفوان عبد الغني محمود عمان / الاردن

٤ ـ نعمة حسن عباس بعلبك / لبنان

٥ ـ عبد المنعم محمود محمد ابو شكة تفر ... مصر

٦ ـ المرابط محمد تطوان / المغرب

٧ ـ احمد محفوظ محمد الشارقة / الامارات

٨ ـ لمياء مصطفى صالح الزور / الكويت

دفاع عن

اللغة العربية

بقلم : الدكتور عبد الله العمراني

طالما سمعنا من أفـــواه محدثينا ، أو صادفنا فـــي مطالعاتنا مثل هذه العبارات: « الكلمة معربة » : « الكلمة من أصل عبرى أو سريانى أو فارسى أو نبـطى أو حبشى » ... أو ما الى ذلك .

فما مدى صحة هذا التعبير او ذاك ؟ هل كان القائلون به أو الكاتبون له يعنون حقـا وصدقا ما يقولون ؟ أم هـل كانوا فقـط مقلدين لغـيرهم ممن اعتاد أن يطلق الكلام على عواهنـه أو يـرمى من وراء قوله الى تحقيق هـدف مغـرض لا صلـة له بالبحث العلمى النزيه ، أو الحقيقة العلمية الناصعة ؟

ماول فى هذه العجالة القاء بصيص ، آملا أن يكون كافيا لانارة السبيل هان ، وللحيلولة دون افراط بعض ـدار مثل هذه الاحكـام التى تتسم من الاندفاع وعدم الحذر والتبصر. لتعرب مسالة معقدة شائكة .فليس ة وجدنا لها شبيها ـ مهما كان وجه ـ ننفيها عن قاموس لغة الضـــاد يلة أو معربة عن احدى اللغات المشار

القرآن والتعريب

لعلماء حول هذا الموضوع للاثـــة اسا فى ايرادها :

ا ـ رأى قوم أن القرآن خلو من غير لغة العرب، فهو بمفرداته وباساليبه عربى لا اثر للعجمة فيه . وما يظن أنه غير عربى ، انما تواردت عليه اللغات المتعـددة فتكلم به العـرب وغير العـرب . وممن يعتنق هذا الرأى العلامة ابن جرير الطبرى وغيره.

ب ـ ورأى قـوم أن بعـض الالفـاظ الاعجمية موجودة فى القرآن ، وبخاصة اسماء الاعلام ولكن وجودها قليل . ولقلتها اعتبر القرآن كتابا عربيا مبينا . ويذكر العلامة عبد الحق بن غالب بن عطية فى تفسيره (١) أن أبا عبيدة يعتنق هذا الرأى ويقول : ان فى كتاب الله من كل لغة . ولكن رايا آخر لهذه الرواية يخالف هذا القول تمام المخالفة. فلنستمع اليـه ـ وهو المعروف باصلـه الفارسى

(١) المحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز . طبعة ادارة الاوقاف والشوون الاسلامية بالرباط ، الجزء الاول ص ٣٦ .

وبشعوبيته ـ يقول (٢) : « نزل القرآن بلسان عربي مبين · فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كلمة بالنبطية فقد أكبر ·· وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية ، أو غيرها، فمن ذلك الاستبرق بالعربية ، وهو الغليط من الديباج ، وبالفارسية استبره ··· وأشباه هذا كثير » ·

حـ ـ ورأى قوم آخرون أن أصل الألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن ، استعملت فعلا الى العرب العاربة ، نتيجة الجوار والخلطة والمعاملات التجارية ، عن طريق رحلتي الشتاء والصيف المعروفتين ، فجرت على ألسنتهم مجرى الكلام العربي الأصل ، فاستعملها شعراؤهم ، ونزل بها القرآن الكريم ·

ويميل الى هذا الرأي الأخير المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت الشيخ الاسبق للجامع الازهر وذلك في كتابه (٣) . الاسلام عقيدة وشريعة · وقد مال الى هذا الرأي قبله العلامة ابن عطية في تفسيره المذكور ·

محاولة تقنين التعريب

ولا يعزب عن البال في هذا المجال أن بعض العلماء ، حاولوا تقنين التعريب · فدلونا على العلامات التي يمكننا بواسطتها التعرف على الاسماء ذات الأصل الأعجمي · وهي ·

١ ـ نقل الأئمة الثقات المعتمدين ·

٢ ـ مخالفة الاسم لأوزان الاسماء المتعارفة في اللسان العربي ، وذلك مثل ابراهيم ـ ابرسيم للحرير (في الفارسية ابرسم) ـ امين ·

٣ ـ أن تتبع الراء النون التي في أول الكلمة، مثل نرجس ـ نرد ·

٤ ـ أن تتبع الزاي التي في آخر الكلمة حرف الدال ، كما في كلمة مهندز التي عربها العرب فقالوا . مهندس ·

٥ ـ أن يجتمع في الاسم من الحروف ما لا يجتمع في كلام العرب عادة :

أ ـ كاجتماع الجيم والقاف في : منجنيق ـ جوقة ـ جوالق ·

ب ـ واجتماع الجيم والصاد في : صولجان ـ صنج ·

جـ ـ واجتماع الجيم والكاف في . سكرجة .

٦ ـ أن يكون الاسم رباعيا أو خماسيا خاليا من حروف الذلاقة المجموعة في قولهم (مر بنفل) وذلك مثل : جوسق · على أن الرباعي قد يخلو من هذه الحروف ويكون مع ذلك عربيا مثل عسجد إلا أن هذا قليل ·

حقيقتـــان

لكن بالرغم من هذا ، لن نندفع ولن ننساق في التيار الذي انساق فيه كل من حاول ـ بحسن نية طبعا ـ تقنين هذا النوع الجديد من « الاسرائيليات » أو « الشعوبيات » والذي يرمي في الدرجة الاولى الى فرض رأي معين ، وجعله نظرية سائدة · أو حقيقة واقعة · وفي ذلك ما فيه من غمط لحق العربية ، وحط من شأنها ، ورفع من قيمة غيرها وخاصة العبرية ، وبهذا الصدد نشير الى حقيقتين ناصعتين تدعواننا الى عدم الانسياق في هذا التيار الجارف ·

أولاهما

أن كثيرا من الكلمات التي خيل للبعض أنها ذات أصل غير عربي ، انما هي في الحقيقة وواقع الأمر عربية أصيلة · بيد أن مثيلها وجد في غيرها من اللغات ، أو أن هذه اللغات اقترضتها من العربية، فجاء أحبار اليهود في القرون الوسطى ، واعتبروا لغتنا آخذة مقترضة ، بينما هي في الواقع معطية مقرضة ·

وجاء بعد الأحبار ، بعض علماء الغرب ، وحتى بعض علماء العرب وأدبائهم ، فنسجوا على منوال من سبقهم من الأحبار ، وضربوا على ذات الوتر ، وما دروا ـ أو دروا وتجاهلوا ـ أن الأمر لا يعدو أن تكون بضاعتهم قد ردت اليهم في صورة أو أخرى ·

والأمثلة على ذلك كثيرة تجل عن الحصر في هذا المقال ، ولكن يمكن ابراز بعضها فيما يلي:

١ ـ كلمة (موسلين) التي تعني نسيجا رقيقا وتسري على ألسنة تجار العرب سريان النار في الهشيم · كما تجري على ألسنة تجار الانكليز

(٢) الدكتور مصطفى الصاوي الجويني « مناهج في التفسير » نقلا عن « مجاز القرآن » ٠ ٠ الورقة ٨ ·

(٣) الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ ص ٤٧

والفرنسيين Mousseline والاسبان
جريان الجداول وسط الخمائل ،
كلمة (موصلي) معرفة ، منسوبة الى
« الموصل » العراقية التي اشتهرت في بعض
... ظاهرة بانتاج هذا النوع من الثياب ،
... يره الى الخارج ، حتى اشتهر بها ،
... هي به شهرة على شهرة .

١ ـ كلمة ... التي تطلقها بعض اللغات
روبية ـ فيما تطلقه عليه ـ على الكسوة
... او « لباس الاكثرين رفاهة وترفا » .
هي نفسها كلمة (حلعه) العربية ، آية مما
يخلعه خلفاء المسلمين على علية القوم من
وصلات كانت تعتبر آنذاك بمثابة توشيح
... ورهم ، واعتراف بخدماتهم . وان ابسط
... جعة للتاريخ السياسي او الادبي للعرب لتبرز
مثل هذه العبارة : « ... فوصله وخلع عليه»
معه خلعة او كسوة ملوكية ممتازة .

٢ ـ كلمة « شفرة » (في الانكليزية : Ciphra
، الاسبانية Cifra) تطلق في العرف
... بلوماسي على كتابة سرية تستعمل فيها علامات
... قام وحروف متفق عليها ، لا يفهمها الا من
... ق أن اطلع على « تشفير » ـ أي تفسير ـ خاص
... ك الرموز . هذه الكلمة «شفرة» أصلها عربي
... « حفر » ، وهو علم يدعي أصحابه أنهم
... اطته يستطيعون معرفة حوادث العالم المقبلة .

... ـ كلمة Syrup الانكليزية و Sirop
... سية و Jerabe الاسبانية ، كلها تدور على
... ة الاطباء والمرضى في البلدان الناطقة بهذه
... ات . وكلها اخذ صريح لكلمة « شراب »
... بية . ولكن اكثرنا ينطق هذه الكلمة او تلك
... أن يكلف نفسه عناء البحث او السؤال عن
... لها وفصلها !

... هل يسوغ او يصح ان نهمل كلمات . موصلي
... ة ـ جفر ـ شراب ، العربيات . ونعمد الى
... ات . موسلين ـ غالة ـ شفرة ـ سيروب او
... ي وأمثالها ، ونقول : ان العربية فقيرة في
... د بها ، وانها استعارت هذه الكلمات من لغات
... ?

... هذا لا يصح بتاتا ، وان العكس هو الذي
... محالة .

... سيقة الناصعة الثانية : هي ان اخذ اللغة
العربية لكلمة أجنبية ، لا يعني مطلقا خلوها من
مثيلتها او مقابلها العربي الأصيل . فاللغة
الاسبانية مثلا ، قد اخذت عن الانكليزية كلمة
Football (كرة القدم) . وتصرفت في تهجيتها
تصرفا جديدا يتفق مع اسلوبها الصوتي ال
Phonetic فجعلتها : Futbol وتغافلت او كادت
عن كلمتها الاصلية : Balonpie او مجرد Balon
ان هذا الاخذ او الاقتباس لا يعني أن اللغة
الاسبانية الحديثة عاجزة ، او انها لا تحتوي على
مقابل للكلمة المقتبسة .

ومثل ذلك يقال في كلمة Stop التي نقراها
في محطات ومواقف معينة من طرق العافلات
والشاحنات والسيارات . ان الكلمة انجليزية
صميمة ، استعارتها بعض اللغات ـ كالعربية
والاسبانية او بالاحرى استعارها الناطقون بها ،
وأسبغوا عليها معاني : كف عن السرعة ! أو
انتبه ! او قف !

وغير خاف أن هذه المعاني مدلول عليها في تلك
اللغات بالفاظ اخرى مماثلة . ان هذا لا يجعلنا
نجازف بالقول بان تلك اللغات لا تحتوي على
مرادف أو مقابل لتلك الكلمة ، وانما يوحي الينا
بان هناك عوامل لغوية خاصة ـ لا مجال للاطالة
بذكرها ـ قد جعلت هذا الاقتباس اللغوي ياخذ
مجراه .

بعد هذا كله اجدني شخصيا اميل الى اعتناق
رأي ذي شعبتين :

الاولى : أصالة اللغة العربية وجدواها في
مجال التعبير عن ادق المعاني وأجلها ثم حسن
تمثيلها لاهم الخصائص السامية التي تؤهلها لان
تكون اقرب الساميات من اللغة الام ، ان لم تكن
ـ في شكل من اشكالها التاريخية ـ هي تلك الام
ذاتها :

الثانية : اصالة لغة القرآن الكريم ، وعربيته
التي لا يسوغ الجدال فيها ، ولا ينبغي ان يحوم
الشك حولها ، ثم كفاءته في التعبير بالفاظه العربية
الخاصة ، دون اضطرار او التجاء الى التعريب
الا في حالات بلاغية خاصة ونادرة ، يتعرض فيها
للتلفظ باعلام اعجمية لا غبار على عجميتها ، او
باسماء اشتهرت بها لغة القوم الذين يحكي عنهم
للعظة والاعتبار .

عبد الله العمراني
تطوان / المغرب

بيروت
مدينة لا تقتلها الحرب

إستطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : اوسكار متري

لا تزال بيروت تنبض حياة !

رغم القتال والقتلى ، رغم القصف والقنص ، رغم الدموع الغزيرة والجراح العميقة العميد
رغم هذا كله ، فان بيروت التي تعرف ترفض الموت !

ربما لعزيزة البقاء ، وربما بحب للحياة لا يوصف ، وربما سر لم نعرف كنهه بعد ، فان ابق
بيروت التي أطبق على عنقها الاقتتال منذ اكثر من خمس سنوات ، لا تزال تتردد لم تخمد ، لم
تسكت

نعم ، لقد تحولت بيروت من الحب الى الحرب ، وصار وطن الجميع مذبح الجميع وامتلأ وجه
بيروت الجميلة بالندوب والتشوهات ، وربما العاهات نعم ، لقد ضاعت ابتسامتها العريضة
لتفسح المجال لعلامات حزن كثيفة وسوداء . هذا كله صحيح ، لكنه لم يطفىء فيها جذوة الحياة
وشعاع الامل

الحياة في بيروت تبدو من النظرة الاولى عادية ، فلا تلحظ سوى حواجز المسلحين التي تتوقف عندها السيارة ، ونظرة سريعة فاحصة ، وقراءة لعيون ركابها ، والاطلاع على الهوية احيانا ، ثم يسمح للسيارة بالمرور

لكن ، التوتر والترقب يسودان شوارع العاصمة ، الاهالي الذين اعتادوا على الحديث بصوت مرتفع يتهامسون ، وسرعان ما اكتشفت انه لكي تتجول وتلتقط الصور في احياء بيروت ، فان الامر يحتاج الى مجموعة من التصاريح تصل الى عدد الجماعات المسلحة التي تسيطر كل منها على احد الاحياء واحيانا على احد الشوارع ، ولا يفيد كثيرا ذلك التصريح الذي حصلت عليه من وزارة الاعلام !

واول ما يصدمك حركة السير في شوارع بيروت ، واذا كان المرور في اي مدينة يعكس « حالة » سكانها ، ويعكس مجموعة المفاهيم السائدة ، فستعرف « حالة » بيروت من حركة السير ، التزاحم شديد وكان سائق السيارة يقود مصفحة ، ولا قواعد للمرور ، ولا مانع من ان تفاجأ بسيارة مسرعة في عكس السير ، وعندما يستحيل ذلك ، يخرج سائقها رشاشه ويطلق طلقات سريعة في الهواء فتفسح له كافة السيارات الطريق

وتشاهد معنى غياب السلطة مجسدا

وتتوالى صور الازمة واشكالها والتي تظهر في اعلى البيوت التي تعيش وراء القضبان ، فبعد ان تكرر اقتحام عدد من العمارات وسرقتها ، واحيانا احتلت بالقوة ، أحيطت أعلى البنايات بقضبان حديدية وأبواب من الحديد الخالص وكأنها حرائس ، لا تفتح الا بواسطة الحارس ، واخر الحكايات التي تسمعها في بيروت عملية السطو الذي تعرضت له احدى البنايات الضخمة ، ففي وضح النهار اتصل صوت مرتعش من الهاتف القائم في مدخل العمارة ، ينذر السكان ويتحدث عن « وجود قنبلة موقوتة » ستنفجر بعد عشر دقائق ، ويحذرهم من اضاعة الوقت ، فالحياة أعلى من أي مقتنيات مهما كان ثمنها ، وتجمع كل اسرة ما خف حمله وغلا ثمنه وتهرول تاركة مسكنها ، ويستقبلهم المسلحون عند الباب وينتزعون كل ما حملوه تحت تهديد السلاح

وتكتشف بعد عدة ايام ما ادت اليه الحرب التي حسرها الجميع من تغيير في حياة جيل باكمله انغمس البعض في تعاطي المخدرات ، وانغمس البعض الاخر في لعب القمار فالطلاب خلال الحرب انتقلوا الى الصفوف العليا بدون امتحان وتوزع بعضهم على الجماعات المسلحة والجميع نمى لديهم الشعور باللاجدوى

لقطة للمنطقة التجارية التي كانت نموذجا للتعايش ثم تحترق بالحقد والقصف

ويوجه اليهم في كل ساعة عدد هائل من الاذاعات . اذاعة الحكومة ، واخرى لدويلة سعد حداد ، وثالثة للكتائب ، ورابعة من زغرتا لانصار الرئيس السابق سليمان فرنجية ، وخامسة للمرابطين وهكذا وبينها جميعا تضيع الحقيقة !

وترى الازمة متجسدة في اعلانات الصحف ، صور اطفال وفتيات غائبات ، لعل هناك بارقة امل في العثور عليهم . والى جوار الصور اعلان آخر عن نوع جديد من الزجاج لا يخترقه الرصاص ، وحيثما تولِّ وجهك تطالعك عوارض الازمة المعاناة من الجماعات المسلحة ، التي بلغ عددها داخل بيروت ما يزيد عن ٣٩ تنظيما ، فمثلا في بيروت الشرقية لافتات للكتائب ، ونمور الاحرار ، وحراس الارز ، والطاشناق ، والمردة هكذا

وفي بيروت الغربية ، الحزب التقدمي الاشتراكي ، والمرابطون ، والحزب القومي السوري ، والاتحاد الاشتراكي وسور الثورة ، وحركة صلاح الدين ، وحركة التحرير المسلح . وهكذا هذا غير تنظيمات « العصابات » المنتشرة ، ودكاكين فارضي « الخوة » التي فتحت ابوابها في كل مكان لحماية المباني والمتاجر ، وقد علق على ذلك السيد وليد جنبلاط بقوله ان الحركة الوطنية تبحث هذه الظاهرة السلبية تمهيدا لايجاد طريقة لمواجهتها والقضاء عليها

هذه لمحات سريعة لما تشهده بيروت . والسؤال الذي يتردد على لسان المواطن العادي ، متى ؟ وكيف تنتهي الفتنة ، وهذه الحرب التي توقفت دون ان تتوقف ، فتوقف القتال ولم تعد الحياة الى طبيعتها ؟!

هكذا تحولت

كل هذا يقع في بيروت ، النموذج القديم للتعايش بين العناصر والاديان ، وهو اخطر ما يهدد الامة العربية بكارثة لا تقل عن كارثة فلسطين ، بعد أن ظهر أن التعايش الطائفي لم يكن سوى نزاع مستمر وتراكم خفي للاحقاد ، انفجر بشكل مذهل ، وصفه الزعيم الراحل كمال جنبلاط بقوله . « كان يجري التسابق على

الروشة اجمل مناطق بيروت ، انتقلت اليها اسواق سرسق والطويلة ، بعد ان دمرتها الحرب ، وحجرت المحلات الجديدة ، المنظر الذي يتصدر جميع الصور السياحية (الى أعلا) محلات الروشة (البسطات) من الداخل ، تتعامل في جميع المنتجات ، من الكاستات الى مبتكرات كريستيان ديور وحتى الملابس والتحف (الى أسفل) انتقل سوق الخضار الى كورنيش المزرعة ، الى جانب العمارات السكنية ، في نقطة متوسطة بين بيروت الشرقية والغربية (الى اليسار)

العقود بين الطوائف من اجل السيطرة السياسية للعائلات الروحية القائمة . واستمر الخلط بين السياسة والدين في ذهنية الفرد والجماعة . ويظل المحور الرئيسي للوضع السياسي . والاجتماعي . يلعب فيه مركب الاقلية ومركب الدفاع عن النفس الدور الرئيسي . لتتخلى عن مفهوم الوطن . وتكرس مفهوم اللجوء والحماية ولم تعد الطائفية شعارا فوقيا في المجتمع بل دخلت في جذور هذا المجتمع »

وانتقل هذا الصراع الى التاريخ . وتحولت لبنان لتصبح مارونية عند الموارنة . وشيعية عند الشيعة . وسنية عند السنة . ودرزية عند الدروز وحتى اصغر طائفة صغيرة في لبنان . واصبح لكل طائفة رؤيتها الخاصة للتاريخ

ويشرح المفكر اللبناني مبح الصلح مخاطر استمرار الازمة بقوله لقد امتلأت سماء الشرق بالتلوث الفكري والحضاري . وهذا التلوث هو « التعصب » . فالملاحظ ان التحريض بدا على اساس ديني ضد الدين الاخر . وسرعان ما انتقل من الخصم الى ما بين ابناء الدين الواحد وان المتعصب ضد البعيد يتعصب مع مرور الوقت ضد القريب

« في البداية كانوا جميعا مسلمين . فاصبحوا سنة وشيعة ودروزا . وكانوا كلهم مسيحيين . فاصبحوا موارنة وارثوذكسا . وكاثوليكا . وانجيلية . والتلوث الذي شاع في أجواء لبنان انتقل الى كل مكان

« لقد اقتطعت اسرائيل اجزاء من الدول العربية . اما الحرب اللبنانية . فلا تقطع اجزاء من هذه الدول . بل تناولت الخريطة كلها . وبهذا فعلت من الضرر ما لم تفعله اسرائيل »

فمن يتقدم ويسد الثغرة ؟ واين القيادة الخلاقة ذات الخيال القادر على خلق البدائل والاختيارات للخروج من المأزق ؟ »

اقتصاديات بيروت .

تكفي جولة في شوارع العاصمة . لكي تلاحظ مدى طاقة سكان بيروت على المقاومة ومدى حيوية ونشاط

احد بنايات الروشة الجديدة والتي احتلها « مهجرون » ... وتظهر اسلاك الكهرباء من العمود الرئيسي ...

الشعب اللبناني . وطاقة التحدي الضخمة التي يملكها وتجعله يسخر من الازمات ويواجهها باستمرار العمل وتظهر قدرة اللبناني الخارقة على الاستمرار وتخطي الازمات فكم من الازمات عصفت وبقيت بيروت وتحمي الحياة وتعمل على استمرارها تلك الصفات التي صاحبت الشخصية اللبنانية . الفردية . المبادرة . الجرأة الاقتحام . الاستهانة بالصعاب والعقبات

عمارات جديدة تقام . محلات تجارية تفتتح وان ... صمك تجلس مع عدد من رجال الاعمال . يثير دهشتك حديثهم عن المشروعات الجديدة . والتوسعات التي تشهدها مشاريعهم . بل ويخططون لما بعد الازمة الطاحنة . ويستخدمون الوقت للدراسة والاعداد

هذا بعد ان بلغ التقدير الرسمي للخسائر الناجمة عن الحرب ما يزيد عن ٧ مليارات دولار وتهدمت ...

لقطة لسوق الاروام في شارع ارواد بين سوق
الطويلة والجميل المتعطب خلال الاقتتال الاهلي

ستة الاف موسسة تجارية في بيروت تبلغ قيمتها أربعة مليارات ونصف مليار ليرة ، وبعد ان صب اللبنانيون غضبهم على المؤسسات السياحية وتم تدمير نصف الفنادق ، وبقي ٥٢ فندقا من اصل ١٠٠ فندق عام ١٩٧٤ ، وانعدمت السياحة تقريبا وبالطبع كانت الخسائر البشرية افدح وتشهد اكثر الاحصاءات تحفظا ان عدد القتلى بلغ ٢٥ الف قتيل "

ورغم فداحة هذه الخسائر يستمر الرواج الاقتصادي في ظل الازمة ، وتوسع مصرف لبنان في اصدار التراخيص لاقامة مصارف جديدة ، مما اقلق جمعية مصارف لبنان التي تضم ٧٤ مصرفا وبلغ عدد الرخص الجديدة منذ مايو ٧٧ ثمانية مصارف ، فاذا كانت قطاعات الدولة قد عانت جميعا من الحرب ، فان قطاع السوق قاوم بعناد كل المجهات بل وحقق ارباحا ملموسة

وعاد قول الخبير الاقتصادي الهولندي فان رميلاند يتردد من جديد ، بان ما يجري في لبنان محض « معجزة اقتصادية » وفي بيروت ، لا يصعب ان تلاحظ وفرة المال الذي يصبح في اسواقها ، وحياة سكانها كأنها لم تتعرض لأزمة طويلة ورغم كل ما جرى ظلت الودائع البنكية ترتفع دون انقطاع ، وازدادت بنسبة ٤٣٪ عام ١٩٧٧ و ١٣،٣٪ خلال الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٧٨ ، كما جاء في تقرير البنك المركزي ، وبلغ مجموع الودائع ١٣ مليون ليرة

ورغم الحرب المتقطعة ما زالت المطاعم والفنادق تستقبل روادها ، اما الدخل القومي فقد هبط من ٩ مليارات الى ٨،٥ مليار ليرة فقط بين أعوام ١٩٧٤ و ١٩٧٧ ، ولكن خلال هذه الفترة خسرت الليرة حوالي نصف قيمتها ، وارتفعت الاجور بنسبة ٩١٪ ، وارتفعت الاسعار بنسبة ١٢٪

« سوبر ماركت » في الهواء الطلق ، تحولت السيارات الى متاجر متنقلة ، تتاجر في كل البضائع واغلبها مهرب (الى اعلا) .. كما هبط شارع الحمراء من عليائه ، انتعشت بعض الاحياء وشهدت مشروعات ومحال جديدة ، مثل كورنيش المزرعة وشارع مار الياس . (الى اسفل) رغم الحرب يقام في شارع الحمراء احد البنايات الحديثة ، برج ومركز تجاري اطلق عليه مركز برودواي (الى اليسار)

وجاءت هذه النتيجة بسبب عاملين رئيسيين ، تدفق الاموال من المهاجرين الذين عادروا لبنان خلال الحرب ، والذي يصل منهم الى بيروت حوالي ١٠٠ مليون دولار شهريا ، مع استمرار تدفق الاموال لتمويل الحرب الاهلية من الاطراف المتعددة ، والذي لا يستطيع احد تقدير حجم هذا المال ، ولكنه بالقطع ضخم وكبير

اما العامل الحاسم فهو نشاط اللبنانيين أنفسهم ، وعندما يقصف مبنى سريعا ما يرممه صاحبه ويعيده الى العمل ، وقد اشار ميشيل خوري مدير البنك المركزي ، « ان الاعمال التجارية تزداد ، ولكن قيمة الليرة تنخفض بسبب المضاربات وغياب الاستثمار المحلي »

ويعلق رئيس جمعية التجار اللبنانيين « ان اقتصادنا مصاب بفقر الدم ، بعد ان فقدت بيروت في الوقت الراهن دورها التجاري والمالي ، فاقتصادنا القائم على تقديم الخدمات ، وبيعها للخارج اصبح في حالة شلل ، فالقروض لا يتم تقديمها سوى للمشروعات التجارية ذات الطابع السريع ، ولا يمكن دفع الحياة في الاستثمار المطلوب ، الا بعد عودة الثقة بين الاطراف المتخاصمة »

والمؤكد ان هذا البلد لن يظل طويلا بلد حاملي السلاح ، ولا يمكن ان يظل المال الذي يضخ في بيروت سواء من الهجرة او المال السياسي المصدر لاقتصاد معافى

حول الهوية ..

لم استطع ان اوقف سيل الافكار التي تدافعت الى رأسي عندما كنت اتجول في شوارع بيروت ، والسؤال الذي يقفز كالمطرقة ؟ لماذا كل هذا الخراب ؟ فبيروت التي طالما تباهت على العالم بأنها صنعت له الحرف ، ونشرت المعرفة وجاءت هذه الحرب لتكشف انه ربما انتفع العالم كله بالمعرفة ، وبقي لبنان بعيدا عنها

فأولئك الذين يقاتلون من أجل أن يعطي لبنان ظهره للعرب ، ويتوجه الى الغرب ، يحاربون في الواقع حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ ، فاحد اهداف الحرب ، يدور ، حول الهوية واذا قرأت بيانات الجبهة الوطنية ولم تكتف بكلماتها ، بل ذهبت الى ما وراء الكلمات ، تكشف ان اهم اهدافهم ان يكون لبنان بلدا [illegible] يتجه الى البحر والى حضارة الغرب ، ويعطي ظهره للعرب وللصحراء ، علاوة على أهداف أخرى مثل الحفاظ على الامتيازات الطائفية ، ومنع صعود الطبقات والقوى الجديدة

فماذا تقول حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ البعيد والقريب ؟

كانت لبنان مسرحا للعديد من المواجهات التاريخية التي شهدتها المنطقة ، والتي يمكن ان تكون قد خلفت عصبيات واحقادا اختلط التعرف عليها وعلاجها بشبه الاعتراف بها ، وبقيت تتراكم تحت السطح ، وكانت مشاكل لبنان وامراضه انعكاسا لصراعات وتناقضات احتدمت في العالم العربي فتقع في نقطة اتصال بين عرب افريقيا وعرب اسيا ، ولعب الاقتصاد اللبناني دائما دور الوسيط بين الداخل العربي ـ الجزيرة العربية ودول الخليج وحتى ايران ـ وبين الغرب

بيروت عام ١٨٦٣ ، كانت مرفأ دمشق بل كل سوريا الداخلية ، وزاد من اهميتها طريق دمشق بيروت الذي اقيم في ذلك العام ، ثم خط السكة الحديد الذي اقيم بين دمشق وبيروت ، فكانت تحقق نبوءة دمشق التي تقع على اطراف الصحراء

بيروت عام ١٨٧٤ ، يصفها قنصل فرنسا هنري جير بقوله « من المؤكد ان عدد سكانها لا يتجاوز خمسة عشر الفا وخمسمائة نسمة ، منهم سبعة آلاف مسلم واربعة الاف من الروم الارثوذكس ، والف وخمسمائة ماروني ، والف ومائتان من الروم الكاثوليك ، وثمانمائة درزي ، واربعمائة ارمني وسرياني وكاثوليكي »

بيروت عام ١٨٨٨ ، كانت جزءا من ولاية سوريا ، وتحولت لتكون ولاية مستقلة مرتبطة بالدولة العثمانية ، وكان يتبعها سنجق بيروت ، وسنجق عكا ، وسنجق طرابلس ، وسنجق اللاذقية ، وسنجق نابلس

ويقدر سوينت cuint ان عدد سكان بيروت ارتفع في اواخر القرن التاسع عشر الى ١٢٠ الف نسمة ، [illegible] التجارة الاسلامية البيروتية ظلت بشكل [illegible]

ـ لـ س وبرى في طرقاتها المسلحون

من نشاط سوق داخلي عثماني بينما برزت البرجوازية المسيحية البيروتية ذات الطابع غير الماروني على رأس المؤسسات التجارية التي تمسك تجارة الترانسيت بين سوريا واوروبا »

ونشأ في بيروت تيار فكري يستوعب الثقافتين العربية والغربية وكان احد روافد الفكر القومي العربي ، وشهدت تيارا سياسيا علمانيا وليبراليا ، والذي حمل لواءه صحف مثل المقطم والمقتطف في القاهرة ، وقام هذا التيار في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ـ بصياغة مشاريع الدولة القومية في اطار يتخطى بيروت وجبل لبنان

واستمرت بيروت تقوم بدورها الذي أهلها له موقعها وارتبطت بما حولها ، وتفاعلت بما يجري في منطقتها وكان ازدهار الاقتصاد اللبناني نتاج هذا التفاعل ، بل كان هذا الازدهار احيانا نتاج ما يقع حولها

واخذ الاقتصاد اللبناني في النمو ، محققا نموذجا عربيا للتعايش ، فبعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ازدادت اهمية بيروت ، وورثت موانيء فلسطين جميعا وتحولت تجارة العبور العربية اليها ثم انتقل الى بيروت اموال وتحف اثرياء بلاد عربية كثيرة مع التغييرات السياسية التي شهدتها ، ثم تدفقت عليها اموال النفط ، التي وجدت في بيروت ملجأ امنا وجهازا ماليا ومصارف وشبكة اتصالات على صلة بمراكز العالم

واصبح من المفارقات الملحوظة في ا... لبنان العربية ، ان لبنان كان المستفيد الاول من و... اسرائيل ، ثم صارت منذ الحرب الاهلية اكثر بلد يقاسي من وجود اسرائيل ، فليست البدايات مثل النهايات

ويقدم احد الاقتصاديين اللبنانيين بالارقام مدى اعتماد الاقتصاد اللبناني على العالم العربي واسباب تحول بيروت الى احد اهم المراكز المالية في العالم وتتناول الارقام ما كان يصب في بيروت من اموال عام ١٩٧٥ اي قبل اشتعال الحرب الاهلية

● التحويلات المالية للبنانيين العاملين في الاقطار العربية

● التحويلات المالية العربيه مقابل الخدمات التي بلغت قيمتها حتى عام ١٩٧٥ ما قيمته ٠ ١ مليون ليرة لتسديد اجور النقل والترانزيت والخدمات التسويقية وخدمات الطباعة والنشر والعلاج الطبي والسياحي

● التحويلات المالية العربية للاستثمار في لبنان والودائع العربية في المصارف والتي تتراوح بين ٣ مليون ليرة لبنانية ٩٠٪ منها ودائع عربية

فهل يمكن ان يستمر هذا التفاعل الاقتصادي ويقابله عزلة سياسية . او بعد ان تدير بيروت ظهرها لتاريخها وموقعها ومستقبل المنطقة التي تنتمي اليها ؟ !

وهل يبقى لهذه الحرب هدف سوى الانتحار

تحولت جدران ساحات بيروت الى صحف حائط ، ملصقات من كل لون وشعارات تلاحقك اينما ذهبت

من ارسيف يوميات الحرب الاهليه في بيروت عندما كانت الشوارع خاليه الا من المسلحين

بيروتان وليست واحدة .

لخص ميشيل ابو حودة رئيس تحرير النهار أسباب مرار الازمة بقوله « لقد اصبح للبنان رأسان لا واحد »

وايضا تحولت بيروت الى مدينتين احداهما غربية » والثانية « الشرقية » ، واصبح لها رؤيتان عدتان للاحداث ، وحتى للتاريخ ، والنظرة الى ستقبل ، وبينهما هوة كبيرة ، رسمت سكين الحرب را حزت بيروت وشوهت وجهها ومست قلبها ، قت الطائفية والعصبية الجرح في القلب ، من المرفأ ، ساحة الشهداء فطريق الشام وطريق صيدا القديم ياه نحط المدث وكفر شيما والشويفات

وتدهش اذا علمت انه يمكنك ان تستعمل الطائرة من وت الى اى عاصمة في العالم وتقطع أطول المار ولا يمكنك ان تتخطى الشارع من الشياح الى الر . او من ساحة البرج الى باب ادريس او بين طة الاشرفية ، فبينهما ما هو أبعد من بيروت وأى ية العالم .

وقد ادى انقسام العاصمة الى قسمين والنزوح المتبادل بين القسمين ، ونزوح السكان من بيروت برمتها لخارج بيروت الى ظهور قوى اجتماعية جديدة والى اعادة توزيع الثروة والنفوذ معا وتفتتت سلطة الدولة ، واصبحت ملك الجماعات المقاتلة ، ووصل التفتت الى اصغر الاحياء ، مما يساعد على ابراز قوى سياسية وعسكرية جديدة

فما اصل هذا التقسيم ؟ وعلى اى اساس تحدد يقول منح الصلح « خط الشام هو ذاته خط الترام الذى يمر على فرن الشباك ، الناصرة ، ساحة البرج ، باب ادريس ، حتى يصل رأس بيروت ، عرف تقليديا ، ان كل من يسكن على يمين هذا الخط من المسيحيين ، وكل من يسكن على شماله من المسلمين ، ومن هنا جاءت تسمية بيروت الشرقية والعربية »

« وخلال حكم الرئيس فؤاد شهاب ، تحول العرف الى قانون ، وقسمت بيروت الى منطقتين انتخابيتين ، بعد ان كانت لها لائحة انتخابية واحدة يشترك فيها المسلم والمسيحي ، واصبحت كل من المنطقتين مستقلة عن الاخرى ، دائرة بيروت الاولى الاشرفية ، والدائرة الثانية بيروت الغربية ودائرة ثالثة صغيرة مشتركة تضم
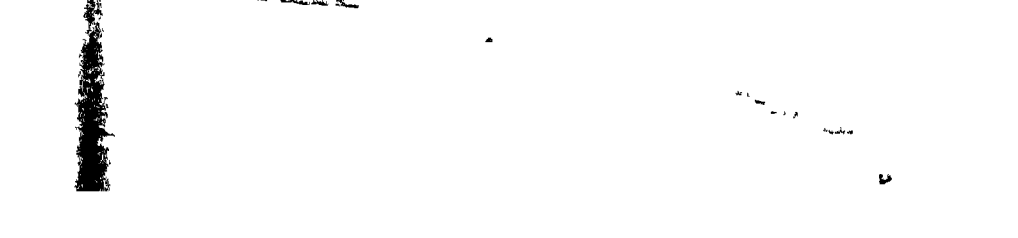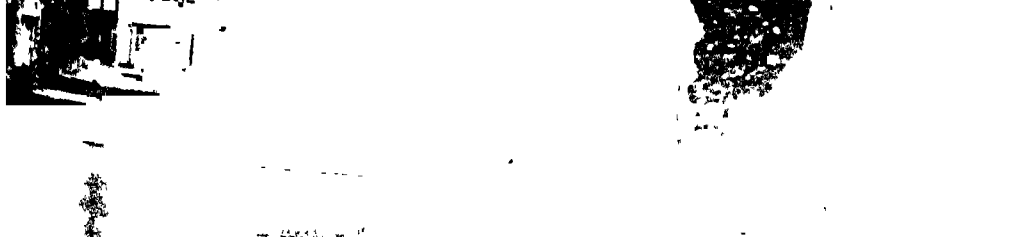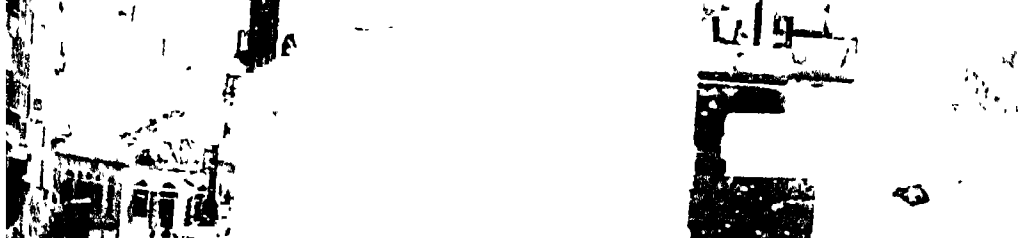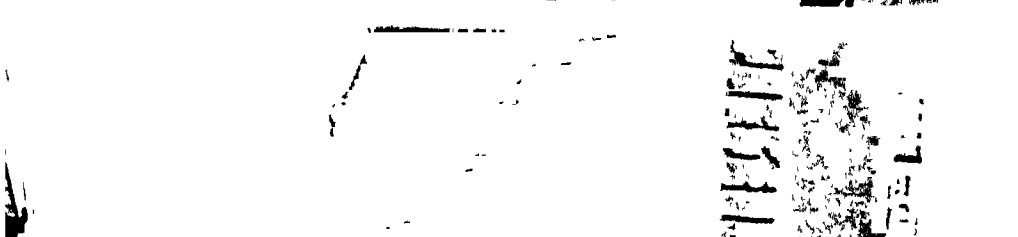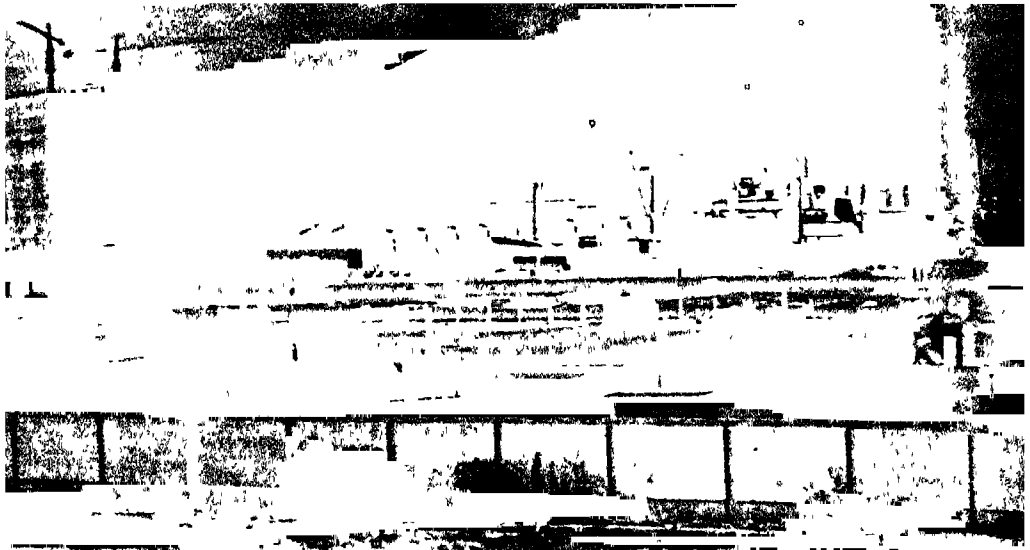
● مرفأ بيروت الذي تتوقف الحركة فيه على بندقية قناص ويكفي طلقة واحدة ليتوقف العمل في المرفأ ، وكاد يتوقف أكثر من مرة ، وحل محله عشرون ميناء على طول الساحل اللبناني (الى اعلا)

● منطقة الاسواق ويظهر اثار الدمار الهائل الذي لحق ببعض احياء بيروت ومبانيها (الى اليمين اعلا)

● من معالم التوتر المتبقية في بيروت استمرار الحواجز ، ويرى احد الحواجز في مدخل سوق باب ادريس ! (الى اليمين)

منطقة المرفأ وحي الريتونة

ويسكن المنطقة الغربية تقليديا السنة ، والارثوذكس ثم انضم اليهم الشيعة

وبيروت الشرقية يسكنها الموارنة ، والارثوذكس والارمن والسنة ايضا ، وحي السراسقة مثلا اجمل احياء بيروت يضم مجموعة من قصور الارثوذكس ، وحي الدكوانة يسكنه الارمن الذي كان بينهم وبين الموارنة تقاسم وتنافس على زعامة المنطقة الشرقية ، والقوائم الانتخابية يشكلها حزبا الكتائب والطاشناق »

وكان لهذا التقسيم آثاره الاقتصادية ، فالجبل يصدر منتجاته الى المنطقة الشرقية ، والساحل يرسل منتجاته الى بيروت العربية ، اما المنتجات التي تمر عبر المنطقة الشرقية فكانت تتعرض للمصادرة ، وبقي النفط ، فالنفط القادم من محطة منطقة « الدوق » والواقعة تحت السيطرة الكتائبية ، والذي يستخدم من اجل الضغط السياسي وكثيرا ما يقطع الطريق وتنشب ازمة ، ومن ناحية اخرى يصل النفط بواسطة انابيب « التابلاين » التي تصب في الزهراني ، وتتصارع الاطراف من اجل منع وصوله للطرف الاخر

وكثيرا ما يتعرض امداد بيروت بالنفط للتوقف عندما يتعرض الطريق القادم من طرابلس للاضطراب نتيجة الصراع الكتائبي الزغرتاوي ، كما يتعرض سائقو الشاحنات الى الاعتداء ، ويتعدد اضراب سائقي الشاحنات ، ويمتنعون عن السير على هذا الطريق

عودة القرصنة ! !

وحكاية المرافىء في لبنان طويلة وتعكس عمق الازمة ونتائج غياب الدولة ، فقد قامت مرافىء على طول الساحل اللبناني من الناقورة وحتى النهر الكبير ، يتم خلالها كل انواع التهريب والذي يبدأ من الويسكي حتى الاسلحة والمخدرات ، فالشاطىء اللبناني المتعرج والذي يمتد ٢٠٠ كيلو متر ، تحولت كل انحناءة فيه او خليج عليه الى « مرفأ طبيعي » ووصل عددهم الى ما يزيد على عشرين ميناء وشكلت هذه المواني‌ء اطلالة على الخارج بعد ان حاصرت الاهالي المدافع وطوقتهم

الحواجز

واستفادت الجماعات المسلحة من هذه الظاهرة من خلالها يحصلون من الخارج على احتياجاتهم كما يحصلون على الضرائب من المنتجات التي تدخل من الموانىء الواقعة تحت سيطرتهم العسكرية

ويروي سكان بيروت حكايات حول اقامة مصانع باكملها في قبرص لتزوير المنتجات وتزييف الماركات التي ترسل عبر لبنان ، وليست قصة سفينة الشحن « بيتي » بعيدة والتي كانت محملة بما قيمته ٩ ملايين دولار من البضائع ، والتي ابحرت من يوغسلافيا في طريقها الى الأردن والسعودية ، وبعد اربعة ايام من رحيلها وجه قائدها رسالة لاسلكية الى شركة الملاحة التابع لها ، يبلغها وجود عطب في محرك السفينة ، وقطع الاتصال ، وبعد ثلاثة شهور ظهرت سفينة شحن غامضة تدعي « فايف ستار » في المياه اللبنانية ، سرعان ما اختفت وظهرت مرة اخرى وهي ترفع العلم الاسباني ، ولم تكن هذه الباخرة الغامضة سوى « بيتي » ذاتها !

وهذا الذي عرف في بيروت جزء من قصص يلفها الغموض حول عصابات التهريب التي تعمل في لبنان ، ففي العامين الماضيين اختفت حوالي ٥٠ باخرة بالقرب من المياه اللبنانية حتى اصبحت هذه المياه توصف من شركات الملاحة بانها « مثلث برمودا الجديد !! »

والحكايات التي تلتقطها في بيروت ، ان عمليات التهريب مرتبطة بعدد من اصحاب السفن اليونانية وبعض القوى داخل لبنان الذين يشترون سفنا قديمة ويبرمون العقود من اجل ان تقوم بنقل الشحنات المؤمن عليها ، ثم يبيعون هذه السفن بارباح كبيرة بعد تغيير أسمائها وسجلاتها ، وتتوجه هذه البواخر الى لبنان ويبيع اصحابها حمولتها بعيدا عن اي رقابة باسعار رخيصة

خطوط التماس

كانت زيارة خطوط التماس بين بيروت الشرقية والغربية ، اخطر مراحل جولتنا

فما زالت هذه الخطوط مشحونة بالتوتر ، و.. حات

مرفا بيروت وقوات الجيش اللبناني في محاولة لضبط العمل به كواجهة رئيسية للبنان !

مفتوحة يمكن ان تشتعل في اي لحظة ويعرف كل سكان بيروت ذلك ، ويكفي أن تظهر في الافق بوادر ازمة ، حتى تمتنع سيارات « السرفيس » عن نقل الركاب الى ساحة البرج ، ويعرفون ان احتمالات بداية القنص بين ساحة البرج والدباس قد زادت ، ولا يقتربون من منطقة الشياح ـ عين الرمانة !

بدأنا الجولة عند جسر فؤاد شهاب ، الحياة من حولنا تبدو عادية ، صعدنا الى احدى شرفات عمارة كبيرة وقديمة تواجه الجسر ، وبدأ شعورنا بالتوتر والخطر ، لقد ترك سكان العمارة مساكنهم تجنبا للخطر المتربص فمع كل ازمة تنفجر المنطقة بسيل منهمر من الطلقات ، ويستطيع قناص واحد أن يشل حركة السير فوق الجسر وعندما غادرها سكانها جاء « المهجرون » الذين يبحثون عن مأوى ، وسكنوا في البناية جنبا الى جنب مع الخطر !!

قالت علينا التحديرات بان ظهور الكاميرا يمكن أن يكون اغراء لاحد القناصة باطلاق النار

واسرعنا الى موقع آخر ، والذي كان مسرحا لعربدة المسلحين ، الى نقطة التماس بين الشياح وعين الرمانة ، حولنا البنايات مازالت مهدمة ، آثار مئات الطلقات على الجدران الباقية السواتر في كل مكان ، السيارات المحروقة ، كأن المكان كان ساحة معركة وقعت لتوها ، لم يقم السكان باصلاح ما خربته الحرب ، فهم يدركون بتجربتهم ، وبالشك الذي ما زال يملأ نفوسهم ان الخطر ما زال قائما ، ويصبح الحديث عن بيروت « جديدة » املا بعيد المنال ، والشعور عميق بان الرصاص يمكن ان ينهمر في أي لحظة ، وان حواجز الموت جاهزة للعمل في الحال ، هنا تشم رائحة البارود ، ومن حولك الانقاض ، والمعركة على الجدران في آثار الطلقات أو في الملصقات التي تحمل كل الشعارات ، وتكاد لا تصدق انه كانت هنا يوما حياة دافقة

لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى . ؟

سمعنا ورأينا مئات المآسي على السنة من تبقى من السكان ، والذي منعهم الفقر من الرحيل ،

ان كلا منهم يروى قصته المليئة بالدموع ، مأساة راح ضحيتها طفل او عجوز ، كان يبحث عن رشفة ماء او كسرة خبز ، فضحايا هذه الحرب هم السكان الآمنون ، ومع كل الدموع التي اريقت فمحرون الحرن لم يعد

ووسط هذه المواقف المأساوية يروى لنا الصبية ضاحكين ، كيف كانوا يسخرون من القناصة ، عندما يلبسون العصي الملابس ، ويرفعونها فيمطرها الرصاص ، ويساعدون على كشف أماكنهم ونوعية أسلحتهم ، وتحولت الحرب لدى هؤلاء الصبية الذين في عمر الزهور الى « لعبة »

ما هي الافكار والقيم التي سينشأ عليها الجيل الجديد ، هؤلاء الذين كانت اعمارهم تتراوح مع بداية الحرب بين الخامسة والعاشرة ، والذين نشأوا خلال سنوات الازمة الخمس ، لا يلتقي خلالها المسلم بالمسيحي لا في الشارع ولا في المدرسة ولا في الحي ، ولا حتى في النادي ، وبعد ان عممت وسائل الاتصال الحديثة ما يجرى في لبنان على نحو شامل ويوميا يلاحق باخبار تروي له قصة « القتل على الهوية » بما يرسخ في نفسه شعورا بعداء تلقائي لهذا الفريق او ذاك ، وكم من الزمن سيستغرقه من اجل نزع الحقد الاسود ؟

ويلفنا شعور عميق بالكآبة ، وننتهي من التصوير بسرعة ، ويستغرقنا التفكير ، فيمن سيصنع المعجزة ويزيل جوار الحقد الاصم الاسود ، الذي يرتفع كلما استمرت الازمة

احياء تزحف بكاملها الى الداخل

اذا تصورت سفينة في بحر هائج احتفت قيادتها ، وتقدم الى قيادة السفينة المغامرون والمقامرون ، هذا ما تشعر به عندما ترى سكين التقسيم الذي سعى الى ازالة جيوب الفقر والنتوءات داخل بيروت الشرقية ، فاحدى الصور التي تدعو الى الاسى وتلاحقك في كل شوارع بيروت واحيائها ، هؤلاء الذين افقدتهم الحرب الاهلية بيوتهم ، فهاموا على وجوههم يبحثون عن مأوى الذين فرض عليهم ان يدفعوا ثمن « لعبة الامم » ، وفساد الطائفية ، واحدثوا تغيرا ديموغرافيا داخل احياء بيروت المختلفة

أقف أمام إحدى البنايات الحديدة في ... احتلها اولئك الذين هدمت منازلهم في ال... والمسلخ ، البناية تدلت من طوابقها خراطيم المياه ... فبعد قطع المياه عن البناية لم يكن أمامهم ... الطريقة الذاتية للحصول على المياه . أحشاء الكهرباء خرجت من عمود الكهرباء المركزي واتجهت منتشرة الى الشقق ، وفي الشرفات كميات كبيرة من الغسيل المنشور الذي يشي بالعدد الهائل من سكان العمارة

وكلما تجولت في شوارع بيروت يمكنك ان تمر تلك العمارات التي استولى عليها « المهجرون » والتي اصبحت مثل بقع البؤس المنتشرة في اغلب شوارع بيروت الغربية واحيائها

وثمة صورة أفدح في المسابح والشواطىء التي اعدت من قبل شركات سياحية ليقضي فيها اغنياء بيروت عطلاتهم ، وتجولنا في كل من شاطىء سان سيمون وسان ميشيل ، وشاهدنا كيف يعيش داخلها المهجرون وترى علامات البؤس والفقر تملأ المكان الذي كان ساحة للمتعة ، وحتى البحر انتقل اليهم في بيئتهم الجديدة

ووراء هذه الصور المتتابعة يختفي احد فصول مأساة الحرب الاهلية . ففي اواخر جولات حرب السنتين الأوليين شهدت بيروت اكثر الجولات قسوة ودموية عندما هوجمت الاحياء التي تشكل جزءا من حزام الفقر الذي كان يحيط ببيروت الشرقية ، المسلخ والشياح والنبعة ، ودارت المعارك في تلك الاحياء المليئة بالاكواخ وبيوت الصفيح ، وتشرد الالوف من البشر المكتظون في الغرف الضيقة

وداعا .. للروشة ..

قصدت مقهى « الدولشي فيتا » على ... المقهى الواقع في اجمل مناطق بيروت ، حيث ترى الشاطىء المتعرج برماله البيضاء التي يتقادمها البحر على ضفاف اليابسة وهو المشهد الذي وصفه الشاعر الفرنسي لامرتين بقوله

قطعة من صحراء مصر مرمية على اقدام

... را ما تخيلت في طفولتي هذه الجنة الارضية في ... جميل »

... الطبيعة هنا ، بل كل شيء حولي اسمى من

... ان الله لم يمن على المرء ان يحلم بكل ما خلق من

لقد حلمت بعدن ، لا بل لقد رأيتها »

... هذا المكان كان يجتمع المثقفون والمراسلون ... ح من كافة الجنسيات ، وكان امامهم البحر ... تي ، وبقعتان من الصخور القاسية ـ هما صخور ... ة الشهيرة ـ التي تكسر تلك اللوحة الناعمة ... ا جمالاً

... د غيرت الحرب الاهلية هذه الصورة التي كنت ... ن احتفظ بها في خيالي ، فبعد ان تعرضت الاسواق ... بة القديمة ذات الطابع المميز الى القصف المدمر ، ... سوق سرسق واياس والطويلة ، واختار اهل بقعة ... اليها ، وتحولت ارصفة الشاطيء الهادىء الجميل ... صفوف من المتاجر ، وسدت البسطات البحر ، ... الشاحنات مداخل الشاطيء ، وازدحمت المنطقة ... رات التي أصبحت متاجر متحركة ، تعرض كل ... من الويسكي الى الروائح والملابس والتحف »

لقد كانت الاسواق مشتركة بين جميع اللبنانيين ... اختلفت مذاهبهم ، ولم ترض الايدي الشريرة التي ... الاحداث في الخفاء ، ان يستمر التعاون ، فعربد ... ب لكي لا تعود دورة الحياة ، ووحدة الشعب ، ... ت اعلى مباني الاسواق التجارية وشمل التدمير ... ب محل تجاري ، وجاء الرد من الذين هدمت ... ه باختيار الروشة ملاذا لهم وشارع الحمراء ، احد ... وت الرئيسية ، وشارع الاناقة الذي كانت ... واجهاته آخر صيحات الموضة « في وقت ظهورها ... ولندن ، وواجهات متاجره المتلألئة مع المساء ، ... الى سوق شعبية ، وتباع على ارصفته البضائع ... ـف ، وتحولت مقاهيه واصبح « الهورس شو » ... كان مفضلا لعدد من الفنانين والصحفيين ، اصبح احد محلات بيع شطائر « الشويرمة » وتكشف التعبيرات التي وقعت صعود قوى اجتماعية جديدة زاد ثراؤها مع الحرب وهبطت شارع الحمراء من عليائه ، واصبحت الحركة تنتهي في هذا الشارع قبل الساعة التاسعة مساء بعد ان كان يسهر حتى مطلع الفجر ، يزدحم فجأة في موعد خروج دور السينما ، التي زاد عددها بعد ان اصبحت التسلية الوحيدة الباقية ، والتي يلاحظ ان اغلب روادها من الشباب

وحتى هذه التسلية تحيطها المخاطر ، ويروي رواد شارع الحمراء ، كيف جاء المسلحون لاحدى دور السينما خلال العرض واصيبت الانوار واختاروا عددا من الشباب الاقوياء واقتادوهم الى الشاحنات ، لكي يساهموا في اقامة السواتر في احد الاحياء ، وتنفس كل شاب الصعداء وهو في طريقه الى مسكنه بعد ان انجز ما كلف به »

وعلى العكس من شارع الحمراء شهدت بعض الاسواق الشعبية مثل كورنيش المزرعة وشارع مار الياس تحولا ، واقيمت بها المحلات الانيقة ، وانتقلت اليها بعض المتاجر التي كانت في المنطقة الشرقية ، وهكذا يزحف التعمير على احياء بيروت المختلفة

كما ادت الحرب الى ظاهرة الهجرة المعاكسة التي صاحبتها اللامركزية ، فاقيمت فروع للبنوك كبديل لشارع المصارف الذي يقع في أحد نقاط التماس ، وفروع لدور السينما والمطاعم وذهبت الى من لا يستطيع ان يأتي اليها واخذت معها حركة عمران لم يشهدها الريف من قبل

وبعد

رغم ان زائر بيروت هذه الايام يشعر بالغبطة عندما يغادرها بعد نجاته من الخطر الا أني شعرت بغصة عندما غادرتها ، وثقتي ان بيروت لديها طاقة غير محدودة على ان تتعافى وان تهزم اعداء الحياة ، فستتجاوز الازمة ، وتقهر الطائفية ، وتطهر اجواءها من التعصب ، وانها ستعود ارض الحب والفن والحياة

وسيعود للعقل صوت في أرض الحرف والكلمة ■■

مصطفى نبيل

يوسف شاهين هذا الفنان المقلق

بقلم : مجيد طوبيا

كان عرضة للموت بعد يومين .. لهذا قرر ـ ان هو عاش ـ ان ينتج ويخرج فيلما يترجم فيه لحياته في هذه الدنيا وللاسكندرية مسقط رأسه الحبيب ....

كان طموحه ان يكون ممثلا ثم تحول الى الاخرج

العالم عام ١٩٤٢

الحرب العالمية الثانية على أشدها ، تطحن الشباب ، تدك البيوت وتهدم الآمال والتضخم الاقتصادى وغلاء الاسعار الفاحش ، وغواصات النازى والفاشيست والحلفاء تزاحم الاسماك في مياه البحار .... وعلى شاطىء البحر المتوسط الذهبي عند العلمين وصلت جيوش المحور بقيادة « روميل » تتطلع الى دخول الاسكندريه فالقاهرة ، فالسويس كي تغلق القناة ، الشريان الملاحي الحيوى في وجه اساطيل الانجليز ..

والاسكندرية ـ مسقط رأس يوسف شاهين ـ ترقب كل هذا .. حيث كانت وقتئذ مرتعا لقوات جيوش الحلفاء

ى فيلم « باب الحديد » في شخصية بائع الصحف ثم « فجر يوم جديد » .

سداد كبيرة من الاجانب فاقت عدد المصريين
هم

ى تلك الأونة كان عمر يوسف شاهين ١٨ عاما
... ضئيل الجسد بوجه متناثر الملامح كبير
... من اسرة محدودة الدخل جدا ، يدرس في
« ... » مدرسة أبناء الاثرياء .. وقد بدأ

يتحسس طريقه ، ويكتشف ان مكانه الذى تمناه بعد التخرج ، ليس العمل في احد البنوك الاجنبية ، وانما احتراف التمثيل حيث قدر له فيما بعد ان يصبح واحدا من اعظم مخرجي السينما في العالم العربي ، تؤلف عن اعماله كتب كاملة وبالعديد من لغات العالم

بعد حوالى ثلاثين عاما ، وعندما بلغ الخمسين من

عمره تقريبا ، وكان في زيارة الى لندن ، شعر ببعض الاجهاد ، فتوجه الى اخصائي القلب المصري الدكتور « مجدي يعقوب » على اساس ان مابه ليس الا وعكة طارئة ، فاذا به يفاجأ بان عليه ان يجري عملية جراحية في القلب وبأسرع وقت ، وبالتحديد بعد يومين والعملية خطرة جدا ! !

وفي انتظار مرور هذين اليومين ، مر بأقسى انواع الوساوس ها هو عرضة للموت تحت ايدي الجراح ، وقد تنتهي حياته وقد تمتد عاوده النوم وهاجمته الذكريات ، حياته تمر على ذهنه كشرائط الافلام التي اخرجها من قبل ، منذ ان احترف الاخراج لاول مرة وعمره ٢٢ عاما فقط ، ليكون اصغر مخرج سينمائي مصري ، والى ان قادته قدماه الى الطبيب المصري المقيم في لندن رحلة شاقة وبديعة في نفس الوقت . غير ان عام ١٩٤٢ كان اكثر المراحل الحاحا على وجدانه ، ربما لانه في هذه السنة كان في مفترق الطرق ، اما حياة روتينية عادية كموظف في البنك ، واما الفن بجنونه وجموحه ومصاعبه وهمومه لهذا قرر ـ ان هو عاش ـ ان ينتج ويخرج فيلما يترجم فيه لحياته في هذه الدنيا ، وللاسكندرية مسقط رأسه الحبيب

بالفعل عاد الى وطنه بعد نجاح العملية ، ليهمك في اعداده ولينتهي منه وقد بلغ من العمر ٥٢ عاما وأسماه « اسكندرية ليه ؟ » أي « اسكندرية .. لماذا ؟ »

ورغم ان معظم افلام يوسف شاهين افلام هامة في تاريخ السينما المصرية العربية ، الا ان « اسكندرية .. ليه ؟ » هو اعظم افلامه بغير جدال ، وهو واحد من اروع افلام السينما العربية ان لم يكن افضلها

دوائر المعادلة الصعبة

في افلامه الاخيرة مثل « الاختيار » و « العصفور » و « عودة الابن الضال » ، حاول يوسف شاهين ان يقدم معادلة من أصعب معادلات الفن ، وهي ان يقدم المشاكل العامة الشاملة من خلال الهموم الخاصة لأبطاله وبشكل جماهيري ومحاولة بعد الأخرى كان يقترب من حل هذه المعادلة الفنية العسيرة ، وكان يقترب من النجاح بشكل أو ... لكنه لم يوفق تماما بشكل رائع الا في تحفته الرائعة « اسكندرية ليه » ربما لان الموضوع يخ... التصاقه الزمه بان يكون اكثر صدقا من الناحية الفنية ربما لانه كان قد اكتسب نضوج الخبرة ربما بسبب مواجهته للموت عند البدء في كتابة هذا الفيلم

المادة الاساسية كموضوع تتركب من عدة دوائر معقدة ومتشابكة فهناك الدائرة الاشمل وهي دائرة المجتمع الانساني في تلك السنة ، حيث العالم كله يتقاتل والكبار يزجون بالصغار في رحى حرب لا دخل لهم بها الكبار هم دول اوروبا القومية المتقدمة ماديا ، المحور في جانب المانيا وايطاليا واليابان والحلفاء في الجانب الاخر امريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا . . والصغار هم الدول الفقيرة ، المسلوبة خيراتها بايدي الاقوياء ، والذين يطلقون عليهم الان اسم الدول النامية ، او دول العالم الثالث

ثم هناك الدائرة الثانية وهي مصر ممثلة في الاسكندرية ، مدينة مغلوبة على امرها ، واقعة تحت الاحتلال الانجليزي ، كثير من الأسر المصرية النائمة وقليل من الأسر الاحسن حالا ومن الأسر الحاكمة اسما وجميعهم واقعون تحت هيمنة مجموعة من الأثرياء المصريين معظمهم ممن كان يطلق عليهم « اثرياء الحرب » الذين جمعوا ثرواتهم مستغلين احتياجات التموين الناتجة عن عدم انتظام النقل البحري المدني ، بالاضافة الى مجموعات الاجانب من كل صوب ومعظمهم من الافاقين النصابين ، يضاف اليهم جحافل جيوش الاحتلال ، من بريطانيا العظمى ومن مستعمراتها التي كانت الشمس لا تغرب عنها "

الدائرة الاصغر في هذا الخضم البشري تضم الفتى يوسف شاهين واسرته قليلة الدخل ، والمكونة من امه وابيه الشيخ ، والمنحدرين عن جدين لبنانيين ، واخته وهو الابن ، الذكر الوحيد الذي بقي للاسرة بعد ان مات اخوه الاكبر وهذا ما جعل ... الاسرة تهتم بتعليمه وتكرس جل دخلها من اجله ، وت... مدرسة غالية النفقات ، حيث وجد نفسه لاقران ... الحال هو الوحيد الفقير بينهم ، كل واحد منهم ... ابيه

المخرج يوسف شاهين

الشباب ، وهو ببدلة متواضعة يكاد لا يغيرها كانوا سعوقين عليه ماديا ، ولهذا حاول ان يتفوق عليهم في الدراسة وفي القاء اشعار « هاملت ـ شكسبير » امامهم وبطريقة تثير اعجاب استاذه الانجليزى الجنسية . ولعل الفن نما عنده بعد ذلك كنـوع من انـواع التعويض

ثلاث دوائر معقدة ومركبة ومتداخلة يجمع يوسف شاهين في سجها معا في ضفيرة فنية شائقة رائعة ، في تحفة اسماها « اسكندرية ليه » ! حيث النماذج الانسانية الأسرة تلمع بشكل اخاذ .

الدائرة الاولى قدمها عن طريق مجموعة من الافلام الوثائقية الحقيقية لاقطاب الحرب هتلر وموسوليني وايزنهاور وتشرشل ، وروميل مع جيشه عند العلمين والزاحف الى حدود الدولة المصرية مرسي مطروح بدخلها في حصم مشاهد الفيلم في براعة مقبولة ومؤثرة

والدائرة الثانية « مصر ـ الاسكندرية » يقدمها في عدة مجموعات تمثل السكندرى في ذلك العام ثلاثة من شبـاب الجيش المصرى ، الكارهـين للاحتـلال الانجليزى ، والباحثين عن وسيلة ما تساهم في القضاء عليه ، وان كانوا في حيرة من امر هذه الوسيلـة فمـرة يعتقـدون انهـا في اعتيال الملك فاروق ملك مصر وصنيعة الاحتلال ، ومرة يظنون ان الخلاص قادم على ايدى الالما ، عافلين عن ان النازى قد يكون استعمارا الص من الانجليز ، ومرة في التعاون مع عمال الميناء وفي ثلاثتهم ـ من يستغلونهم شبـاب صغـار اطلـق عليهم المـ في مقدمـة الفيلـم اسـم « الجدعـان » ، يضاف الـ عامل شاب من عمرهم له افكار متطورة يترعم العمال في المطالبة بحقوقهم ثم يلقى القبض وعليه ويسجن ١٥ عاما ... فاذا باصدقائه الضبـاط الصغـار يتهمونه ربما ارضاء لضمائرهـم بالتسرع والتهـور ، ثم يواصلون احلامهم الباحثة عن وسيلة لانقاذ البلاد من المستعمرين !!

عن طريق هذا العامل يقدم لنـا ملمحـا آخـر من ملامح الاسكندرية ١٩٤٢ وهم المصريون اليهود حيث كان ـ قبل سجنه ـ على علاقة حب كاملة مع فتاة يهودية ، لها اب ثرى مثقف له ميول يسارية واضحة ، كان يمده بالكتب التـي تتحـدث عن الاشتـراكية . وتكون الفتاة حاملا من العامل المصرى السجين عندما يقرر والدها الهجرة من الاسكندرية الى جنوب افريقيا ، خوفا من توقع وصول الالمان الى الاسكندرية وبعد سنوات والحرب قد انتهت ، تعود الفتاة لزيارة حبيبها ونكتشف ان اسرتها قد انتقلت من جنوب افريقيا الى اسرائيل الوليدة ، ظنا من والدها انه سوف يجد هنـاك حلمه في المجتمع الاشتراكي المثـالي فاذا به في مجتمع عسكرى عنصرى يريد ان يجعل من الديانة اليهودية قومية ... كذلك نكتشف ان اخاها المصرى الاصل قد اصبح مجنـدا في الجيش الاسرائيلي الـذى سوف يشهـر السلاح فيا بعد في وجه ابناء مصر والعرب بل ايضا ربما صار طفلها الصغير فيا بعد مجندا اسرائيليا !!

ويكون نفس هذا العامل احدى همزات الوصل الى الدائرة الخاصة ، اسرة يوسف حيث والده المحامي يتولى امر الدفاع عنه ـ وذلك بعد وساطة احد اصدقائـه من الضباط الشبان ـ لكن المحامي يقبل القضية وهو مدرك مقدما بخسارتها « فكيف يكسبها وهناك من يربح الآلاف في ثوان بينا الحكومة تزيد من سعر تذكرة الترام على المحتاجين ؟ فكيف يربحها والمصرى غريب في بلاده بينا الاجنبي يستولي على احسن خيراتها ؟ كيف يكسبهـا والعالـم قـد جـن يقضي قويه علـى ضعيفه ؟ ! »

الخيوط كثيرة لكن هناك دائما خط الفتى المراهق يحيى (اى يوسف شاهـين نفسـه) فهـو موفـق في الدراسـة عاشـق للتمثيل ، دائـم التـردد على مشاهـدة الافلام الامريكية يجيد الرقص ولهذا تحبه البنات ، لكنه

لا يجرؤ على مصادقتهن ، ورغم تعرقه يشعر فى قرارة نفسه بافتقاره الشديد الى المال والى حسن المنظر ومع ذلك فهو يثق فى موهبته الفنية الى حد الغرور ، والى حد تكوين فرقة تمثيلية ليقدم بها حفلا غنائيا راقصا يدعو اليه احدى الاميرات حيث يكون الفشل الذريع من نصيبه !!

ولهذا يقبل العمل فى البنك بعد تخرجه من المدرسة ، لكنه يظل يلح على ضرورة دراسة فن التمثيل [illegible] فشله بعدم الدراسة الى ان توضح الاسرة [illegible] ودافع الحب العميق ، فيرحل الى معهد [illegible] « باساديا بامريكا » حلمه الكبير والتي [illegible] ان يراها عن طريق ادمانه على مشاهدة [illegible] هوليوود الوردية

ينتهي الفيلم بنهاية ساحرة ، فالفنـ[illegible] على [illegible]

لقطتان من فيلم « اسكندرية ليه » ؟ الى اليمين ليلي حماده ومحمود المليجي ومحسنة توفيق ومحسن محي الدين الذي يلعب شخصيته يوسف شاهين ، والى اسفل نجلاء فتحي واحمد زكي

..ينة الكبيرة التي تقله الى نيويورك ، حيث تمثال ..رية الشهير لكن اللقطة الاخيرة تكون لهذا التمثال ..ى يتحول الى امرأة رقيقة تفتح فمها عن اسنان ..سوده في ضحكة هازئة ، كرمز الى بداية تحطم الحلم ..امريكي في وعي الشاب الفنان الصغير

لكن .. ـاية هذه المرحلة لا تنتهي رحلة يوسف ..اهين .. بعد اسابيع قليلة في امريكا يهجر فكرة التمثيل ، ويتحول الى دراسة الاخراج السينمائي .. فينكب على الدراسة بشكل كامل ، ليعود بعد عامين فقط بشهادته ، وليكون اول مصرى يحصل عليها ..

يعود ومعه سيناريو كامل لفيلم اسمه « بابا أمين » وآخر اسمه « ابن النيل » .. وكلا السيناريوهين جاهز للتصوير ، وقد رسم لقطاتها على الورق لقطة لقطة وكما ستظهر على الشاشة .

وكان من حظه ان وجد منتجا مغامرا اسمه « الخوشت » قبل ان يعطيه الفرصة ، ليصبح اصغر مخرج مصري ، اذ كان عمره ٢٢ عاما فقط

بنجاح « بابا امين » اخرج « ابن النيل » من انتاج السيدة « ماري كويني » وبطولة فاتن حمامة وشكري سرحان ، ثم « المهرج الكبير » بطولة يوسف وهبي وفاتن حمامة . ثم « صراع في الوادي » الذي قدم فيه عمر الشريف لاول مرة في السينما الى جانب فاتن حمامة ايضا وفي هذه الافلام المبكرة نلمس نوعا من التمير والاحساس بالعدالة الاجتماعية ، ولكنها عدالة رومانسية نابعة من فطرة الشاب ومن نشأته مع اسرته ، ومعاناة الحرب والتضخم الاقتصادي وانتشار السوق السوداء ، وتعرض عائلته للحجز على اثاثهم من قبل صاحب البيت لتأخرهم في سداد الايجار وايضا عن طريق المقارنة بزاملته لتلاميذ مدرسته ، ومعظمهم ـ كما اسلفت ـ من الموسرين ، لواحد او اكثر سيارة خاصة بينما هو يركب الترام او يعود سيرا على الاقدام ، رغم انه يعوقهم دراسيا ، ورغم انه من دونهم جميعا يتمير بحسن الاداء لاشعار شكسبير ، حيث كل الملابسات من حوله كانت تجعله يردد مع هاملت « اكون أولا أكون » يكون العالم بالسلام او لا يكون بالحرب والدمار ، تكون مصر بالاستقلال وحرية الرأي والعدالة الاجتماعية او لا تكون بضياع شخصيتها تحت وطأة الاحتلال ، يكون هو بالفن الذي استولى عليه او لا يكون بالعمل موظفا روتينيا في بنك اجنبي

أمدته نشأته بنزوعه الاول نحو حب العدالة او المساواة ، وشيئا فشيئا سوف نجده وقد بدا يتفهم هذا النزوع عن وعي وعن دراسة وكانت بداية وضوح الرؤية في فيلم « باب الحديد » حيث نجد الدعوة الى انشاء النقابات العمالية التي تحمي مصالح اعضائها لكن في نفس الفيلم نجد خطا رئيسيا هاما ، هو مشكلة الكبت لدى الشباب وخطرها المدمر عليهم وكل المشاكل عنده متداخلة ومتشابكة فرغم تفوقه الدراسي والتفاف البنات من حوله وهو تلميذ لبراعته في الرقص ، الا ان كل هذا لم يعطه الثقة الكاملة في نفسه وهو المراهق الفض غير الوسيم كان اقرانه يتوددون الى

يوسف شاهين مع هند رستم وفريد شوقي ... بال جائزة الاخراج والممثل في ...

البنات بينما هو يعمل ، ربما لان الجنس الاخر ارتسم في خياله بصورة وردية استمدها من ادمانه على مشاهدة افلام هوليود لجين كيلي واستر ويليامز وحتى عندما سافر الى امريكا لمدة عامين استغرقته الدراسة تماما ولم يسمح له وقته لاية علاقة اخرى ، خاصة وان الراتب الذي كانت ترسله له اسرته ضئيل يكفيه بالكاد ثمن الكتب والاكل كل هذا فجر فيه الفكرة الاساسية لفيلمه البديع « باب الحديد » مشكلة الشاب المحروم جنسيا المحتاج الى حنان الجنس الاخر ، المفتقر الى المال والمأوى ولكي يدرس هذه المشكلة جمع بعض ... ميدان باب الحديد في غرفة واخذ يحادثهن ويسجل اقوالهن ، فعرف ان معظم زبائنهن من الرجال المجهدين والمحبطين في حياتهم ، يعالجون احباطا باحباط ومن دراسته الميدانية هذه ومن ذكرياته قدم للسينما المصرية فيلما من اهم علاماتها وهو « باب الحديد » الذي قام فيه بتمثيل شخصية بائع الصحف المعقد نفسيا بكفاءة فائقة ، والذي ما زال يثير اعجاب مشاهديه حتى اليوم ، وهذا ما يدهش يوسف شاهين نفسه "

« ابن النيل » الفيلم الثاني ليوسف شاهين و ... شكري سرحان (١٩٥١)

لم باب الحديد الذى ... وسطس (١٩٥٨)

اكتشف عمر الشريف وكان زميله بالدراسة واللقطة من فيلم صراع الوادي مع فاتن حمامه (١٩٥٤)

ثمانية آلاف جنيه او عشرة وعليكم ان تزيدوني » .

وبالفعل بعد صراع في الوادي زاد اجره ٢٠٠ جنيه . وبعد « جميلة الجزائرية » زاد اجره ٥٠٠ جنيه .

وفيلم « جميلة الجزائرية » يحكي قصة المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد وهو بلا شك - ومن بعده فيلم « الناصر صلاح الدين » - قد جاءا انعكاسا لنمو الوعي في مصر بالقومية العربية نتيجة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وفي تلك الاثناء - يقول يوسف شاهين - « وجدت ان هذه الثورة قد حققت لي امورا كنت احلم بها ، اممت القناة . شرعت في بناء السد العالي ، كنت ارى مياه النيل وهي تذهب الى البحر المتوسط ، وكان بعض الناس يستنكرون هذا على اساس ان الطمي يلوث مياه البحر » .. لكنني كنت أتساءل لماذا لا نستفيد من هذه المياه في رى المزيد من الاراضي الزراعية ؟؟ وجاء السد ليحقق هذا » .

« حققت لي ثورة ٢٣ يوليو حلما آخر وهو انشاء الصناعات الثقيلة في مصر وبناء مصانع الحديد والصلب » . ومن هنا جاءت فكرة فيلم « فجر يوم جديد » امرأة من الطبقة العليا تمارس حياة الملل والضياع تتعرف على شاب بسيط يسكن في غرفة فوق سطح احد المنازل له قريب يعمل في مصنع الحديد والصلب ، تزوره فتهتز من اعماقها بعد ان تكشفت لها انماط حية من الواقع ، مكان هذا بالنسبة لها فجرا ليوم

تصدع الاحلام

الى ذلك الحين كانت امريكا تمثل له الحلم الوردي الجميل . لهذا كان يدخر كل امواله حتى يسافر اليها حاملا معه افلامه الاولى « صراع في الوادي وباب الحديد » اكثر من مرة رحل اليها يعرض انتاجه على ملوك السينما ، وكانوا يعجبون به ، لكنه عندما حاول ممارسة العمل معهم وجد باحذية المسئولين في وجهه او على حد قوله « كان المسئول منهم يقابلني بكلمات رقيقة ثم يجلس مادا ساقيه فوق المكتب ، فتأتي نعالهم في وجهي ، انا المبهور بهم المنفق لكل مدخراتي في السعي اليهم »

« ثم وجهت لي الدعوة لزيارة موسكو ، القطب الاحمر ، دعوة شاملة لنفقات السفر والاقامة الكاملة دون ان اتكلف مليما واحدا . وهناك فوجئت بنقيض الاستقبال الامريكي ، حفاوة كاملة واحتراما ، وكانوا قد شاهدوا لي « صراع في الوادي » ثم « باب الحديد » فوجئت بان الحفاوة تاتيني ايضا من الناس العاديين . وهنا حدثت ... الذين حلمت بهم استقبلوني بالنعال في وجهي بينما هؤلاء يستقبلونني بالورود في كل مكان مفارقة مدهشة ... رت في واصابت حلمي الامريكي بالتصدع وحلمت ... ارفع اخرى عند عودتي الى القاهرة ، قلت للمتحد... ان افلامي تباع للاتحاد السوفيتي بواقع الفيلم

جديد بوعي جديد

العصفور المهاجر

يوسف شاهين فنان دائم البحث عن الأفضل لفنه ولأمته. لهذا اصطبغت معظم افلامه بالصبغة الاجتماعية ثم السياسية، وهذا ما يجعله يواجه المتاعب عند انتاج وعرض كل فيلم جديد له، خاصة من المرحلة الاخيرة فهو على حد قول جريدة « لوموند » الفرنسية « فنان مقلق ».

كان يريد تصوير فيلم عن تحويل مجرى النيل اثناء بناء السد العالي، ثم تصادم بالبيروقراطية وبعناء الموظفين المشتغلين بحماقة ولانهم ، الجاهلين بطبيعة العمل السينمائي وباسلوب التعامل مع اهل الفن "

واستفحل الخلاف الى درجة اغضبت الفنان السكندري ، ودفعته الى شد الرحال الى لبنان الشقيق مسقط رأس اجداده ، حيث التقى مع « الرحبانية » واخرج لهم فيلما غنائيا ناجحا هو « بياع الخواتم » ثم اخرج فيلما بطولة فاتن حمامة اسمه « رمال من ذهب » لم يرض عنه ظل هناك فيما بين عامي ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦

يقول عن هذه الفترة « ربحت نقودا كثيرة كنت اسكن في بناية مكيفة الهواء من الباب الى المطبخ ولاول مرة في حياتي باستطاعتي ان ادخل محلا لبيع السيارات واختار العربة التي تعجبني وفي جيبي ثمنها كاملا لكني لم اكن سعيدا وكنت دائم التساؤل بيني وبين نفسي الى من انا انتمي ؟؟ وكان جوابي القاطع انا ابن مصر وهمومها ولا حياة لي ولا ابداع الا هناك »

وهكذا عاد ليواجه بعد شهور باقسى صدمة في حياته وفي حياة امتنا العربية ، هزيمة عام ١٩٦٧ ، وهي الصدمة التي ايقظت فيه التساؤلات المريرة والتي افضت به الى وعي اوضح تفجر في سؤال محمد « من هؤلاء ومن انا ؟؟ هم بيروقراطيون يرفعون شعارات الاشتراكية وانا اشتراكي حقيقي »

وكانت الثمرة متمثلة في افلامه الاخيرة « الارض » ثم « الاختيار » ، حيث حاول أن يقدم رؤيته الخاصة وتحليلاته لما جرى ثم « العصفور » الذي عبا فيه « بحسه الفني » بان الشعب سيرفض الهزيمة ولان الذي هزم في الواقع ليس الشعب وانما السلطة المتهرئة »

وبعد العصفور جاء « عودة الابن الضال » وكان وعيه قد اكتمل ، وكانت ارهاصاته الفكرية الاولى قد تبلورت له جلية من واقع خبرته الشخصية ومن واقع مشاكل البلد ومن واقع احتكاكاته مع العالم الخارجي خلال رحلاته العديدة ثم جاءت تحفته الفنية الرائعة « اسكندرية ليه » ليتوج بها رحلته الفنية الصادقة مع نفسه ومع وطنه ومع امته العربية

الاعمال والجوائز

لهذا كله حظي يوسف شاهين بين المخرجين العرب بالنصيب الاكبر من الاهتمام في المقالات والدراسات شتى لغات العالم حيث كتبت عنه عشرات المقالات في معظم مجلات السينما العربية وفي امريكا اللاتينية والصين ، والولايات المتحدة واوروبا ، مثل « نيويورك هيرالدتريبيون » الامريكية ، « وبرافدا » الجريدة الاولى في الاتحاد السوفيتي ، « ولوموند » الجريدة الفرنسية التي كتبت مقالة مطولة في صدر صفحتها الاولى وهو شيء من النادر ان تفعله لاي مخرج آخر

كما اقيمت اسابيع خاصة بافلامه وحده في فرنسا (باريس ، ليون ، مارسيليا ، اميان) ـ وفي لندن ـ وايطاليا « ميلانو ، روما » ـ وفي امريكا (لوس انجلوس ، سان فرنسيسكو ، نيويورك) ـ وفي تونس والجزائر ومعظم البلاد العربية كما تقام له في اكتوبر القادم اسابيع اخرى في سبع مدن امريكية وكذلك ضمن اسبوع الفيلم السياسي العربي في برلين العربية .

اما الجوائز العالمية والمحلية التي نالها فهي عديدة تتجاوز العشرين جائزة ■■

مجيد ٠ سيا

... في كمبوديا

اعداد رجاء ابو غزالة

جميعنا نقرأ الآن عن بؤس وتشتت شعب كمبوديا الذي ينتحر جوعا ، لكن اكثرنا لا يعرف شيئا عن تاريخ هذا الشعب المكابر واسباب هجراته المتواصلة لمدنه القديمة التي شملها الغموض لمئات السنين .

سنأتي على ذكر أنجور العظيمة ، التي لم تكن لتبرز الى حيز الوجود لولا الصدفة فلقد عودنا علماء الآثار على ركوب المخاطر من أجل فض الغاز مدن سادت قبل مئات السنين ثم بادت بصمت وجلال .

وهذا هو « هنري موهو » عالم الطبيعيات ، الذي كان همه الوحيد دراسة انواع الفراشات وسط الغابات في مملكة كمبوديا ، يضرب الهواء بشبكته عندما كشفت له النباتات المتسلقة عن ممر مفتوح في الغابة ، واذا به امام حصون وقلاع هائلة تعلوها النقوش الدقيقة وكأنها « الدانتيل » وقد احاطت بها المتعرشات الخضراء من كل جانب

لم يكن يعلم موهو بأنه اكتشف « انجور » عاصمة الخمير ، كذلك لم يكن يعلم اي شيء عن شعب الخمير لكنه لم يتراجع امام المفاجأة المذهلة ، بل شق طريقه بين الاشجار الكثيفة المليئة بهمهمة ملايين القرود ، وزقزقة آلاف الطيور

لقد هزته روعة الزخارف وسحر المعابد الهائلة المنتشرة في أعماق الغابة ، ثم تلك القنوات المدهشة الممتدة عبر مئات الاميال والدالة على وجود لمسات شعب عريق بارع الذكاء

عاد من جولته ليتوقف عند أول قرية صادفها في الطريق ، ثم اخذ يتحرى ويسأل عن سر المدينة التي ابتلعتها الغابات لكنه لم يحظ بجواب شاف

قال احدهم لقد بناها المردة وأكد آخر بأن ملك الملائكة هو الذي صممها وقرر رأي ثالث بان لا احد بناها كانت دوما هناك ، وقد بنت نفسها من اشجار الغابات ؟؟

اجابات غريبة لم ترو فضول موهو ولكنها فتحت الطريق امام علماء الآثار للبحث عن حل [...] عن اسرارها

من هو شعب الخمير

انه شعب مزارع منذ فجر التاريخ [...] طعامه الارز بالدرجة الاولى ، يميل الى ا[...] وقد دلت انشاءاته العمرانية وخاصة نظا[...] على طول باع في هذا المجال

كانت الاراضي الشاسعة التي تدعم[...] عرضة لطمحات الجيران من الاعداء وقد [...] تكوين ما يسمى بالمزارع المحارب لذلك [...] اشداء يحسنون استعمال القوس والركو[...] المزركشة بالحلي

وكانوا كذلك رجال اعمال يتاجرون [...] فيصدرون لها التوابل والريش ، ويس[...] البورسلين والمظلات ، وقد دون الخمير [...] الاوراق والجلود ، لكن سرعان ما اتلفه[...] مخطوطاتهم الرائعة كشاهد على دقة منه[...] الاعجاب وكتاريخ بحد ذاته ، يروي [...] حياتهم اليومية من معتقدات وقصص واعياد

وتعود حضارة الخمير الى ألفي سنة [...] كثير من التجار الهنود والصينيين على ال[...] احد الرحالة يقول

« الرجال سود وقبيحو المنظر ، [...] ويتجولون عراة حفاة »

، صفهم رحالة آخر بأن الاغنياء منهم يلبسون
الـ ـرركش بالحلي

تاريخ كمبوديا القديم

في القرن السادس الميلادي اتحدت مقاطعتا « فوبان وتشيلا » لتكونان ما يدعي بكامبوديا حيننا او كمبوديا ، ثم جاء الحاكم جايا فرمن القوى ليسيطر على مقاطعات مجاورة ضاما اياها الى مملكته الجديدة

وقد روى احد الرحالة العرب قصة ملك شاب تملكته الغيرة من حاكم مملكة اخرى تدعى سيلندرا فجهز اسطولا من الف سفينة ثم اقلع الى مملكة الخمير لمحاصرها ويجهز عليها

وعندما اخبر الصغر قبض على الملك وقال له قبل ان يامر بقطع رأسه

« كانت أمنيتك ان تقطع رأسي ، ولم تقل شيئا عن غزو مملكتي لذلك فسأفعل بك ما كنت ستفعله بي واعود الى بلادى » ثم نصح الوزير بعد موت الملك بان يختار ملكا اخر اكثر حكمة فجاء الوزير « بجايا فرمن الثاني » ، والذى اهتم بدوره كثيرا بتحويل كمبوديا الى بلد حر وقوى وقد اضطر من اجل ذلك الى نقل عاصمته قرابة الخمس مرات خوف الاحتلال كان موضع اثنين منها حول مدينة انجور والثالثة في جبل « كولن » ، حيث استعملت حجارته فيما بعد لبناء انجور العظيمة التي شهد لها التاريخ بالروعة والجمال

وقد اعتني الملك ومن جاء بعده ببناء القنوات وخزانات المياه والمعابد ، ففي القسم الاول من القرن الثاني عشر بني الملك « سريفمن الثاني » المعبد الاكبر « انجوروات » واحاطه بخندق عرضه ۲۰۰ ياردة ثم بحائط قرابة الميل عن جانبي المعبد ، وقد ... بواباته الثلاث ابراج محصنة

... عتبرت « انجوروات » حصنا من الحجارة ... بواباتها ، ففي الداخل ترتفع ثلاث ساحات ... خمس قلاع يرتفع اطولها الى ۲٥۰ قدما ثم ... عات والمحاكم على امتداد نصف ميل في كل ... بني سريفمن الثاني لـ « فشنو » الـه

المدوس حرما مقدسا عند قاعدة القبة الوسطى

وتشهد قاعات المعابد وجدرانها على عظمة ما انجزه فنانو ذلك العصر من لوحات تصويرية تبرز النواحي الدينية والاجتماعية لشعب الخمير

ومن المشاهد الرائعة التي تلفت النظر تلك المنحوتة القائمة على امتداد نصف ميل في القاعة السفلى للمعبد الاكبر وهي تصور الحرب الازلية بين الالهة والشياطين ، وقد شارك فيها الجنود والسعادين المردة والبشر أما في القاعة الشرقية فقد برزت لوحة أخرى تجسد المردة والشياطين في صراع مرير مع حية الكوبرا ، وحوت القاعة الجنوبية مشهدين للملك الاول يصوره وقد جلس على العرش وفوقه مظلة والثاني في طريقه الى المعركة وقد حف به الجند والكهنة والامراء وحاملو المشاعل ونافخو الابواق وقارعو الطبول

ومما يلفت النظر تلك اللمسة الناعمة الزجاجية التي تعلو معظم المنحوتات ، واغلب الظن انها نتاج مرور الزمن وكثرة لمس أيدي الحجاج الكمبوديين لها

حياة لم تتغير

وبعد موت سريفمن بزمن شاء القدر ان تتحطم احدى السفن الصينية على شاطيء « شامبا» فتغير بذلك ميزان القوى في المنطقة ، اذ قام المحاربون الصينيون الذين نجوا من السفينة المحطمة بتعليم الشامبيين فنون استعمال القوس على صهوة الجواد

وعندما تجدد القتال بين الخمير والشامبيين بعد ثلاثين سنة من الاقتتال ، ارسل اهل شامبا قوة لمحاربة اعدائهم ، مبحرين عبر نهر الميكونج الى انجور ، فحاصروها واستعملوا في حربهم هذه فنون القتال الصيني حتى تمكنوا منها واجبروها على الاستسلام ، ثم عمدوا الى احراقها وقتل الملك

وفي الاخير تمكن احد الامراء بالتعاون مع ثلة من جيشه من استعادة قوته لتحرير انجور وعندما تحقق له ذلك سنة ۱۱۸۰ نصب من نفسه ملكا على الكمبوديين تحت اسم جيافرمن السابع

وقد قام هذا الملك القوي الحكيم باجراء تعديلات جذرية في مملكته ، فاعاد بناء ما هدمه التشاميون اثناء الحرب ومنها استبداله بالاسوار الخشبية جدرانا من الاحجار الصلدة التي لا تقوى عليها الحراب او عاثلات الزمن ، ثم عبر دين الدولة من الهندوسية الى البودية ، وأمر ببناء المعابد لبوذا في انجور وحولها ، ولم ينس الخدمات الصحية ، فبني قرابة ١٠٢ من المستشفيات وقد حفر على أحدها هذا القول « يعاني الملك من آلام شعبه اكثر مما يعاني من آلامه ، لان آلام الشعوب هي المسبب الاول لآلام الملوك »

وقد عاش حتى التسعين كي يشهد ما حققه من انجازات شملت مرافق المدينة وما حولها ولم يهدأ له بال حتى استولى على شامبا واضافها الى ملكه

ومن اروع ما بني « انجور ثوم » او المدينة الجديدة ، وهي تبعد قرابة ميل عن انجور وات ، شيد قصره في وسطها وقد احاطه بالحدائق الغناء الشاسعة ، ثم اقام معبد « البايون » وهو اكبر معبد بعد « انجور وات » وقد احاطه سور عظيم تتخلله خمس بوابات كبيرة تعتلي كل واحدة منها اربعة رؤوس تبتسم ابتسامة غريبة غيبية لا تمت الى الارض بصلة وهي ما تدعى « بابتسامة انجور » ، وقد شبهها الكثيرون بابتسامة الموناليزا الغامضة

ويتالف البايون من قاعات وممرات متشابكة وكأنها متاهات قصر « مينوس في كنوسوس » وتعتلي جدرانه صور حية لمعارك الالهة والشياطين بالاضافة الى معارك بحرية لجيشي شامبا وانجور ، وقد التحما في مشاهد رائعة ، منها منظر التماسيح وهي تفتح افواهها لالتهام القتلى على صفحة المياه وتطالعنا مشاهد اخرى تصور الملوك والكهنة بسيمائهم النبيلة واثوابهم المزركشة تتبعها مشاهد من السيرك وقد حوى المهرجين والاقزام ومتسلقي الحبال ثم منظر النساء وهن يثرثرن في الاسواق والصيادين وهم بشباكهم في اليم ، والرجال وهم يشوون خنزيرا في الغابة الخ

وتثبت لنا المشاهد بان حياة المزارعين لم تتغير خلال الخمسة قرون الماضية ، فالعربات التي تجرها الثيران ما زالت هي العربات في الحقيقة ، وهكذا بالنسبة لطريقة استعمال شبكة الصيد

فن العمارة

لم ينتبه الخمير لبناء الاقواس فبدلا من ذلك قاموا ببناء معابدهم بطريقة اكثر صعوبة وتشبه الى حد ما طريقة شعب « المايا » في البناء ، حجر مسطح يعلو حجرا آخر حملت الحجارة اللازمة من جبل قريب يبعد خمسة وعشرين ميلا عن انجور ، وقد قام العمال بسحبها الى المدينة بواسطة الفيلة ثم عمدوا الى احداث ثقوب في الاحجار ووضعوا فيها الاوتاد ليسهل عليهم جرها بالحبال ورفعها الى اماكنها وزحزحتها الى الامام والخلف حتى تستقر في مكانها

ومن المنجزات الضخمة التي بناها جايا فرمن حول المدينة دير « تابروم » الذي شيده تخليدا لذكرى امه وقد حفرت عليه هذه الكلمات شيد هذا الدير لايواء ١٨ كاهنا ، و ٢٧٤٠ راهبا و ٢٢٣٢ مساعدا و ٦١٥ راقصة » !

وقد قيل بان مجموع سكان الدير يربون على ١٢٦٤٠ شخصا الى جانب ٦٦٦٢٥ مواطن جلبوا خصيصا لتسهيل الخدمات وتيسير الطعام لسكان الدير

ماركو بولو كان هناك

عرج ماركو بولو على كمبوديا اواخر القرن الثالث زار شامبا وتوغل في داخل البلاد ولكنه لم يدخل انجور اما الرحالة الصيني « تشوتاكوان » فقد امضى فيها احد عشر شهرا ، وذلك ما بين ١٢٩٦ ـ ١٢٩٧ وكتب بالتفصيل عن زيارته واصفا البايون بانه يشع بالذهب فعن يساره يمتد جسر من الذهب يحرسه أسدان من الذهب وتمثالان لبوذا ، ثم اورد قصر « فيماناكس » الذي سكن قمته العالية روح حية لها تسعة رؤوس حية تسيطر على ارض المملكة كلها ، وروح الحية هذه تظهر كل ليلة على شكل امرأة يزورها الملك يوميا فاذا ... ولم تظهر روح الحية لليلة واحدة تصبح حياة الملك في خطر

دث العكس وتأخر الملك عن الحضور فيصيبه

يتمكن تشو من زيارة القصور لصعوبة ذلك ، سمع من مصدر موثوق بان القصور رائعة وتحيط سرية ، الا ان الملك يظهر مرتين في اليوم على شرفة ره ، كي ينشر العدل بين الرعية وقد قدر عدد حاته وجواريه ما بين الثلاثة والخمسة آلاف ، اما صوص الاحتفالات السنوية التي تقام في المملكة فهو شهد اروع منها بالبهجة والذح وهي تستمر سوعين على التوالي

لقد شهد القرنان الثالث والرابع عشر عصر تدهور كة الخمير فقد تكالبت عوامل الرخاء وسهولة الحياة تفتيت همتهم وكسر شوكتهم ، بينما قويت همة عوب المحيطة لهم كالتاي ولاو واناميز

ويعزو احد الكتاب سبب ضعفهم الى كثرة مشاريع اء المرتبطة بهم ثم شدة انغماسهم في اللهو والملذات هذا ا تحولهم عن دين اجدادهم الى دين آخر لا يقيم وزنا اهي بالقوة والبأس والشجاعة في الحروب

وقد قويت شوكة التاي عام ١٤٣١ وهي مملكة تقع ال كمبوديا ، فاغاروا على انجور وحاصروها سبعة هر حتى استسلمت ، ثم نهبوها واعملوا فيها الحرق

وقد كانت حصيلة غنائمهم كنوز انجور الفاخرة ، مجموعة لا بأس بها من خيرة الكهنة والعابين وراقصات ماند ، وبذلك انتقلت مدينة كمبوديا الى التايلنديين

وفي عام ١٤٣٢ ثار الخمير على حكومة الظلم وطردوا ايا التايلنديين خارج البلاد وقر رأي الحاكم الجديد بوناسات » على ان عاصمته قريبة جدا من اعدائها وامر نقلها الى جنوب بحيرة « تنلي ساب » وهكذا أسست صمة فنم بنه التي لا تجاري بروعتها انجور العظيمة لكنها امن بالنسبة للخمير

هكذا تركت انجور لتواجه مصيرها الاسود وسط الكثيفة حتى لحقها الاهمال والنسيان معا قرابة ون ، وقد عاشت كمبوديا بالرغم من هجمات المتوالية وفي سنة ١٨٦٠ حولها الفرنسيون الى عوها بالحد الصيبية

مصير الخمير

لم يكن ماضي الخمير مشرقا لزمن طويل حتى نتمنى له مستقبلا اكثر املا ، فقد اثبت لنا التاريخ والحاضر بان كمبوديا مهما حاولت الهروب من مصيرها فهي تعاني الامرين بسبب المناوشات بينها وبين جيرانها فبالرغم من انهم حاربوا الفرنسيين ونالوا استقلالهم عام ١٩٥٤ الا ان البلاد قسمت الى اربعة اقسام كمبوديا ، لاوس ، شمال وجنوب فيتنام

وهكذا بدلا من أن تهدأ وتستقر بعد استقلالها بدأت تواجه مرارة الانقسام وقد اثرت حرب فيتنام على كمبوديا كل التأثير ، وفي عام ١٩٦٩ اعلن الجنرال « لون نول » الموالي للغرب قيام جمهوريته الكمبودية ، طاردا الامير سيهانوك عن العرش وبذلك بدأت سلسلة الحروب الدموية من جديد وعلى مستوى عالميْ في كمبوديا ، ونتيجة لذلك قتل الكثير من الخمير

وفي عام ١٩٧٥ سقط حكم « لون نول » امام ضربات الخمير روج ، القوميون الكمبوديون الذين يؤمنون بانتمائهم للخمير الاصليين الذين سرعان ما استولوا على الحكم متبعين مبدأ تصفية الاعداء ، وبالتدريج تحولت حرب التصفية الى صدام مع الفيتاميين فقامت الحرب بينهما عام ١٩٧٨ وانتهت بهجوم عام على الكمبوديين محتلين بذلك عاصمتهم فنم بنه ، لكن الصين لم تصمت فشنت هجوما على الفيتاميين عام ١٩٧٩ لاجبار هانوي على الانسحاب من كمبوديا ولا تزال الحرب دائرة حتى الآن حرب الجوع والتشرد والهجرة والاطماع المحلية والعالمية

اخيرا ،

يقول « كنت بريجز » في كتابه « امبراطورية الخمير القديمة » حقا لم يترك الخمير اساليب متفوقة في الادب والدين والفلسفة كما فعل الهنود ، لكن فن زخرفة البناء الشرقي عند الخمير قد وصل الى اوج عظمته في الاداء وروعة التنفيذ » ■■

جدة ـ رجاء ابو غزالة

حكم من الصين

جمعها وترجمها . خان لي

الاستاذ في معهد اللغات ببكين

● قطـرة فوق قطـرة ، بحـر وحكمـة فوق حكمة ، علم

● لا تخجل مما لا تعرف بل اخجل مما لم تدرس

● الرجل الذي لا يتعلم شأنه شأن الارض الجرداء التي لا تنبت شيئا

● جمال الطير في ريشه وجمال الرجل في علمه

● العمل منبع العلم والعلم منارة الحياة

● اثمن الاشياء في الدنيا ثلاثة العلم والغذاء والصداقة .

● قال كونفوشيوس لابد لي في درب الحياة ان اجد بين كل اثنين معلما .

● الكتاب نافذة نتطلع من خلالها الى العالم

● العلم منجم عزيز مقفل ، ومفتاحه الدأب

● سلح عقلك بالعلم خير من ان تزين جسدك بالجواهر

● ليست عبقرية الا تبلور العرق والدم

● من استهان بالوقت بدده الزمن

● كلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما تعمق العالم تواضع

● النقد في الوجه ، والمدح في الظهر

● لا تتخذ تمساحا صديقا ، وان سالت منه الدموع

● ليس من اغراك بالعسل حبيبا ، بل من نصحك بالصدق عزيزا

● الصديق من ابكاك لا اضحكك

● من كان لي معلما يوما غدا لي صديقا دوما

أرمان جاتي

حتى لا يصبح الانسان سلعة

بقلم : الدكتورة سامية أحمد أسعد

يزداد التوتر في عالمنا يوما بعد يوم لذا ، كان من الطبيعي أن يهتم بعض الكتاب بالمسرح السياسي الذي يخاطب جمهوراً شعبيا في أغلب الاحيان وعادة ما يختار القضايا الكبرى التي تفرضها أحداث الساعة ، ومن أهم الكتاب الذين قدموا اعمالا في اطاره ـ من الفرنسيين والناطقين بالفرنسية ـ الكونغولي ايمه سيزير ، والجزائري كاتب ياسين ، والفرنسيان ارمان جاتي وميشيل فينافير

ولا شك ان ارمان جاتي من اهم كتاب هذا المسرح في فرنسا ولقد اخترنا الحديث عنه لان مسرحياته ترتبط ارتباطا عميقا بالفترة التي نمر بها والاحداث التي نعيشها فهذه المسرحيات لم تكتب لكي يتذوقها المتخصصون مستقبلا ، وانما لكي تعبر عنا ، نحن أبناء اليوم ، عن المعارك التي نخوضها في كافة مجالات الحياة

ولد ارمان جاتي في موناكو عام ١٩٢٤ م في اسرة من المهاجرين ، نصفها طليان ونصفها روس كان ابوه كناسا مات قبل ان يبلغ الابن الخامسة عشرة ونقل جاتي فيا بعد ظروف تلك الوفاة في « حياة الكناس أوجست جيه »

خاض جاتي في حياته عدة تجارب تركت فيه اثرا عميقا وساعدت على اتجاهه الى الخلق المسرحي فلقد بدأ حياته صحفيا تخصص في باب القضايا ، كان صحفيا بالنهار ، لكنه كان يتحول الى شاعر بالليل وفي عام ١٩٥٤ ، فاز بجائزة صحفية عن ريبورتاج حول حياة السيرك وترويض الوحوش علمته هذه

التجربة معنى الخوف ، واوحت اليه أيضا بالجو « الحيواني » الذي يشيع في كثر من مسرحياته واتاحت له مهنة الصحفي فرصة الدخول في مجتمعات مختلفة ، مما ساعد على تشكيل شخصيته واثرائها ولقد قال في هذا الصدد « اكسبتني الصحافة مفهوما للعالم على مستوى العالم » وفي ديسمبر ١٩٥٩ م كتب حاتي آخر ريبورتاج صحفي له ، وكان عن الممثل الراحل الفرنسي جيرار فيليب

تأثر حاتي أيضا بحياة السفر والرحلات ففي رحلته الى الصين مثلا ، اكتشف بلدا وثورة وقرأ عددا كبيرا من المسرحيات الصينية يرجع بعضها الى القرن الرابع عشر ولاحظ ان الديكور والاكسسوار لا يحتلان الا مكانا ضئيلا فيها يقول حاتي « حشبة المسرح (في المسرح الصيني) ليست سوى اشارة الى مكان وهمي لا حد له يخلق الممثلون المكان الذي تدور فيه الاحداث في كل لحظة والايماء والاشارة الى الاكسسوار يعطيان المسرح أشكالا مختلفة من الوجود لا حد لها في الزمان أو المكان »

بدأ مع المقاومة

ومما لا شك فيه أن الحرب العالمية الثانية هي التي تركت أعمق الاثر في مؤلفات حاتي عامة واتجاهه الى المسرح خاصة قال « تـأكدت اليوم ان كل شيء بالنسبة لحياتي كانسان وكاتب مسرحي ، قد بدأ مع المقاومة لم تنبع تجربتي من معرفتي لكتاب المسرح ، وانما من معرفتي لفلاحي الكوريز الذين قاوموا الاحتلال »

تدور مسرحيات حاتي في أماكن متعددة في جواتيمالا ، والصين ، والمانيا الهتلرية وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية واسبانيا وفيتنام واليابان ـ الخ وتستمد موضوعاتها من التاريخ ، القديم والحديث لكنها تربط دائما بين الابعاد الزمنية الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل فشخصيات حاتي تعيش التاريخ ، في مواقف متباينة ، ومهما فعلت أو رأت ، فهي معنية بما يجري حولها بعضها يخضع للاحداث ، فينـ[...]ـها التاريخ الذي يصنع بمنأى عنها ، والبعض الآخر يخاطر ويحاول تخطي العقبات دفاعا عن أغلى ما يـ[...]ـلى به الانسان من قيم وأولئك الذين يقاومون يظهرون في ظروف معينة ، ويقدمون صورة للانسان الذي يمكن ان يكون انسانا آخر أفضل واكثر ثورية مما سبق واذا كان المصير الجماعي يشكل المصير الفردي ، من خلال بعض المواقف التي يلعب فيها التاريخ دورا رئيسيا ، فان ذلك المصير الجماعي في حاجة الى أفراد

كتب حاتي حتى الآن عددا كبيرا من المسرحيات من بينها « الضفدع ـ الجاموس » (١٩٥٩ م) و « السمكة السوداء » (١٩٥٨ م) ، و « الطفل ـ الفأر » (١٩٦٠ م) ، « وحياة الكناس اوحست حيه الخيالية » (١٩٦٢ م) ، و « أغنية عامة أمام كرسيين كهربائيين » (١٩٦٤ م) و « آلام الجنرال فرانكو » (١٩٦٨) ، و « في مثل فيتنام » (١٩٦٧) ، و « اللقلق » (١٩٦٨) وهذه بعض الموضوعات التي عالجها في هذه المسرحيات

تدور أحداث « حياة الكناس أوحست حيه » قبل الحرب العالمية الثانية ، في مكان ما في فرنسا يجرح أوحست حيه جرحا مميتا أثناء اضراب عمال احد المصانع واثناء احتضاره يستعيد أهم أحداث حياته يتذكر البارون الاسود ، السكير الذي اعتاد رؤيته في طفولته ، والبارون الابيض مدير الشركة التي يعمل فيها الآن ويولين ، الفتاة التي أحبها في شبابه ، وابنه كريستيان الذي يتخيله مخرجا سينمائيا ويتراءى له الفيلم الذي سيصوره كريستيان ذات يوم عن ثورة العمال ويصبح الفيلم المنشود تبريرا لحياة رجل متواضع لا يرضى أن يموت مقهورا

« أغنية عامة أمام كرسيين كهربائيين » تنطلق من بعض الاحداث التاريخية التي كانت الولايات المتحدة الاميركية مسرحا لها عام ١٩٢٠ م في ذلك [...] قام البعض بالهجوم على مصنع احذية وسرقوا [...] وجرح بعض الناس ومات آخرون كان القتلة من [...] لكن رجال البوليس ، استنادا الى بعض [...] الموجزة ، وجهوا تحقيقهم الى أوساط العمال [...]

رق ... الى اثنين من الطليان الفوضويين ساكو و ... وفنزيتي تاجر السمك وكان الهدف الحقيقي من ... عليهما هو اشاعة الخوف في الاوساط العمالية لامر ... لم يتورع القضاة ورجال البوليس عن تلفيق ... شنع التهم لهما وصدر الحكم عليهما ، بالرغم من عدم وجود ادلة جادة ، وشهادة ماديروس الذي اعترف ببراءتهما ، وجهود الدفاع والحملة العالمية التي ساندتهما وبعد معركة دامت سبع سنوات ، أعدما بالتيار الكهربائي واضحين حداً لقضية كبرى جعلت اصحاب العمل يواجهون العمال وفي « ف مثل فيتنام » ، تحتل وسط المسرح أضخم آلة حاسبة في العالم « الكمبيوتر » ، وتعتبر الديكور الرئيسي للمسرحية وحولها يتظم تفكير اصحاب العقول الخارقة في البنتاجون لكن الفيتناميين ذوي الوسائل الدفاعية البسيطة ، يقاومون العدوان ، ويضيفون الى دائرة معارفهم الشعبية كلمة جديدة تبدأ بحرف ف « ف مثل فيتنام » والمعروف ان كلمة انتصار بالفرنسية تبدأ بحرف ف V وقنبلة هيروشيما التي هزت ضمير العالم اوحت الى جاتي بمسرحية « اللقلق » • تقول اسطورة يابانية قديمة ان المريض المحكوم عليه بالموت يمحو منه اذا توصل الى صنع ألف لقلق من الورق

وصنعت فتاة صغيرة من ضحايا القنبلة الذرية ٧٠٣ لقلق قبل ان تموت ويستعيد سبعة من الاشخاص الذين عاشوا معها هذا الامل ذكرى موتها

ويتخيل الكاتب ان كلا منهم يعيش حياتين من ناحية يتحد مع الشيء المطابق للوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها قبل الانفجار ومن ناحية اخرى يخرج عن جمود الاشياء ليعبر عن نفسه كإنسان لكن الجندي اينيمون الذي كان في ماليزيا أثناء الانفجار يعود ويشعل الصراع من جديد ، لانه لا يريد ان يرى في المستقبل حائطاً مسدودا ، كما يفعل ضحايا القنبلة ، فيعمل على مركب مسافرة ، ويختفي كاللقلق الالف ، تاركا وراءه ... متمثلة في المرأة التي أحبها التي تقول « لا تطير ... ق في السماء فقط هناك أيضا لقالق تطير على الارض والارض سماء بطريقة ما واذا القيت على الارض ... سبع مرات ، نهضت ثماني مرات »

السمكة السوداء •

عاش جاتي بنفسه بعض الاحداث التي يصورها في مسرحياته فمسرحية « السمكة السوداء » نشأت عن العلاقة المباشرة بينه وبين الصين . لكنه يصور أيضا أحداثا هامة لم تخضع للتجربة المباشرة وفي هذه الحالة ، يصبح جمع الوثائق اللازمة أمرا لا بد منه

وعادة ما يوجد اكثر من نص واحد للمسرحية الواحدة فجاتي لا يتوقف الا عندما يشعر أنه لم يعد لديه شيء يقوله واثناء مراحل الكتابة المتتالية تقرأ المسرحية عدة مرات وتناقش ، مما يساعد الكاتب على تعديل نصه وتنقيحه واثناء سلسلة القراءات هذه ، يبدي المستمعون آراءهم ، ويطلبون اعادة النظر في هذه النقطة او تلك وعندما عرضت « ف مثل فيتنام » في تولوز ، لفت المخرج نظر المتفرجين الى انهم يشاهدون النص العشرين للمسرحية لان مؤلفها يعتبر المسرح مادة حية قابلة للتغيير والتطور

هكذا يتضح ان جاتي يأخذ دائما موقف المتفرج بعين الاعتبار فهو يكتب ليثير اهتمام ذلك المتفرج ، ويلقي به في خضم احداث الساعة التي لا بد من أكتساب بعض المعلومات التاريخية والسياسية لاستيعابها لذا اوصى بان تسبق العرض قراءات ومناقشات تمهيدية تجري في اماكن العمل او السكنى لكن دور المتفرج لا يقف عند هذا الحد اذ عليه ان يتخذ موقفا معينا مما يعرض امامه في الظروف الاستثنائية ، يولد المسرح السياسي في المتفرجين احاسيس وانفعالات متشابهة لكن ، في عدم وجود ازمة حادة ، يتوقف سلوك كل متفرج على عاداته ، واهتماماته ، وحياته اليومية . وعندما كتب « أغنية عامة » قطع شوطا بعيدا في سبيل تطبيق افكاره تلك فوضع على البلاتوه متفرجين يؤدي ادوارهم بعض الممثلين ، وجعلهم يشاهدون عرضا حول قضية ساكو وفنزيتي ، هذا في الوقت الذي يشاهد فيه نفس العرض متفرجون حقيقيون جالسون في الصالة . لاشك أن الممثل المتفرج ، يختلف عن المتفرج الحقيقي . لكنه يشبهه من حيث الطباع والاهتمامات والوظيفة الاجتماعية

هل يعني هذا أن المتفرجين جميعا يتقبلون العرض تقبلا كاملا ، وأنهم يجمعون على رأي واحد ؟ يقول جاتي : لا ، لان هذا هو المفهوم البورجوازي للمسرح السياسي على عكس بيسكاتور الذي يجعل للمسرح رسالة تزيد من حدة الخلاف الاجتماعي ويشاركه جاتي هذا الرأى عندما يقول : « اوافق على المسرح الذي يفرق لا المسرح الذي يوحد »

في عالم الاستغلال

يعتبر مسرح جاتي نقلا حقيقيا للحياة اليومية ، فهو لا يقدم صورة مثالية للانسان لان ذلك قد يشوه وجهه الحقيقي ، يبحث جاتي عن وجه انسان لا يدعى الى المسرح ليشاهد عرضا فقط وانما لكي يساهم في صنع مصيره كأنسان

يرى جاتي أن من يعمل ، أينما كان ، يتحول الى قيمة تجارية بحته والسيطرة من أجل الاستغلال تظل حقيقة أساسية في عالمنا هذا وينتج هذا الوضع عن تقسيم اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي عميق هناك من لهم الحق في كل شيء وهناك من لا يستحقون شيئا وطالما ان هذا الوضع باق فان السلام في العالم يظل شعارا بلا مضمون

في نص سابق لمسرحية « أغنية عامة » ، كنا نرى القاضي تايبر جالسا في وقار في مكانه التقليدي ، لكنه ظهر في النص التالي للمسرحية في شكل ملاكم ، هكذا جرده جاتي من ثوبه الطويل وحياده الزائف ، واظهره للمتفرج كما هو في الواقع جسم جعل للضرب وهنا ، يتضح أن له نفس وظيفة رجل البوليس فهو لايخدم العدالة ، وانما يبرر القمع الذي يمارس ضد الذين يحاولون ان يحولوا حاجتهم الى العدالة الاجتماعية الى واقع .

والسلطة في بعض البلاد لا تدعو المواطن الحر الى بيع قدرته على العمل فحسب ، بل تحوله الى مستهلك دائم ايضا لذا ، يحاول خبراء التسويق ان يقنعوه بان بوسعه اقتناء كل شيء اذا فرض على نفسه بعض التضحيات اللازمة ويلجأون الى بعض الحيل [illegible] الذكية .ولكي يشترى المرء ، يجب ان يعمل وكا[illegible] عمل ، زادت قدرته على الشراء هكذا يتحول الانسا[illegible] نفسه الى سلعة

واذا لم يكن للانسان قضية يدافع عنها تترح[illegible] عليه السلطة قضيتها هي ، في « ف مثل فيتنام » يرى كدراتور ان الاشتراك في حرب فيتنام فرصة متا[illegible] للمقهورين لكي يندمجوا في المجتمع ، ويرتقوا الى مر[illegible] « مواطن امريكي » بمعنى الكلمة ، ويكسبوا احتر[illegible] الاخرين « من ذا الذي نرسله الى فيتنام ؟ الطلـ[illegible] الاكفاء ؟ ام الذين تستفيد منهم البلاد الى حد ما ؟ [illegible] لا نرسل هناك الا الضعفاء اقتصاديا ، ومعتاد[illegible] الاجرام ، والعاجزين مؤقتا ، والمتطوعين ، والعاطلين والزنوج ونهتم بهم ، ونلبي اقل احتياجاتهـ[illegible] نحميهم وعندما يعودون بيننا ، لا يعودون بسبـ[illegible] فحسب ، بل بسبب يبرر وجودهم في الولايات المتحد[illegible] لقد خاضوا الحرب ! »

ولان المرء لا يساوي شيئا اذا كان في الدرجـ[illegible] السفلى من السلم الاجتماعي ، يرغب في الارتقاء الـ[illegible] تغذيه السلطة « بالتنافس الصحيح » لكن [illegible] التحول المنشود لايتم ، لان الذي يتقاضى الاجر [illegible] يدل مرتين فهو يقبل فلسفة الاقوى ، ولا يستطيع تلقينها للادلاء الاخرين ان الذين يعدون اعدام سا[illegible] وفنزيتي اناس يكسبون قوت يومهم ، لا اكثر ، انـ[illegible] من الطبيب الذي « يأتي ليتأكد من ان صحة المحكـ[illegible] عليهم جيدة » ، حتى عامل الكهرباء الذي يقطع ملابسها الاماكن التي ستمر منها الاسلاك »

ومن بين وسائل الارتقاء الاجتماعي ان يقول « نعم » للمبادىء التي يقوم عليها المجتمع

الانسان فأر تجربة !

ويأمل الذين يضعون سياسة السـاحـ[illegible] واستراتيجيته ان تساعد القنابل الخارقة على [illegible] جديد يعترف بمآثر المعونة التي يقدمونـ[illegible] المتخلفة كما يقولون « سيأتي اليوم الذي [illegible]

● أرمان جاتي

ـ ع لشاب وهو يقول اليوم ، لن اصاع
ام ـه سينظر حوله ويعهم فجأة العرص المتاحة
ا ن ، فلسوف يرى المعونة الامريكية تأتي الى
ويه سقف من الصفيح وارضية من الاسمنت ،
رب رراعي ، ومعلم ، وممرض معه امصال
ع » وفي انتظار هذا اليوم ، يعمد البنتاجون الى
اية بقمع التمرد وسحقه ، حتى ولو كان يعبر عن
ة الواقع

وتساعد « الكمبيوتر » على رسم استراتيجية
يكية حديدة في العالم اسمها « الاستراتيجية
ملة » ، لان الامريكان يرون انهم مكلفون بمهام
مستوى العالم هكذا تصبح الحرب نوعا من
رب من وجهة نظرهم ، ويستخدمون فيها احداث
هرة التي اخترعها الانسان

واستخدم الانسان كفأر تجربة في اليابان فشاهد
بحار الشمس » واصيب بالذهول عندما رأى العالم
ول الى « عالم عاجز داخل بحر من الانقاض »
به الاطباء ودونوا ملحوظاتهم عنه وتولت لجان
ـة تفحص من بقي على قيد الحياة ، فالمعتدي
ن ، مهما قيل ، او هكذا يريد ان يبدو

تطرح الامبريالية اذن على الشعوب والطبقات
محلة الخيار بين امرين الخضوع او الموت ،
سية ان التهديد والقمع ، حتى لو كان ذريا ، لا
، ان يحل اى تناقضات

وأبيمون ، بطل مسرحية « القلق » ، لا يقبل
ضوع ولا يقبل الموت ، ويتخذ موقفا ايجابيا آخر فهو
من بقوا على قيد الحياة لان جسده ظل سليما يثيرهم
لا يرثى لحال ضحايا الانتحار يثيرهم لانه لا يفقد
ل ويعود الى العمل

وعندما يبعث الامل ، يحرك الزمان من حديد
لد تتخذ التاريخ معناه الحقيقي

و سوء احدى الشخصيات عندما تؤكد ان
ـ يتواضع دائما عندما يخسر الحرب » فالقضية
ـ سية كسب الحرب او خسارتها . انما هي مقاومة

القهر يقول جاتي . « ارفض هذا النوع من البشر الذي يظل ملتصقا بالارض ، ويقبل الموت الذي يفرضه عليه الاخرون يجب ان يعرف الانسان كيف يظل واقفا دائما

هذا الانسان الواقف هو الذي يرفض ان يعصى به وضعه الاجتماعي الى العدم يقول الكساس أ حيه « لاينبغي ان تعتقد ان الكساس وما يكنسه شيء واحد » والانسان « الواقف » لايعرف بقدرته على استعمال آلة او أداة فحسب ، بل يعرف ايضا بوعيه الاجتماعي والمهني ، وبنضاله من اجل البشر اجمعين ، وادراكه لامكانياته في عالم تخلص من استغلال الانسان للانسان

موقف من الرفض

ونجد في كل مسرحيات جاتي موقف اينيمون المثالي الذي يرفض اسطورة الضحية فالكاتب يرفض ان يصور طبقات ، او اجناساً ، او جاليات ، او اقليات مقهورة ، لانه لا يوجد في رأيه انسان مقهور في حد ذاته لكن ، يوجد داخل الطبقة الواحدة ، او الجنس الواحد ، او الاقليمية الواحدة ، الذين يستسلمون لمصيرهم ، والذين يتعاونون مع قاهريهم ، والذين ينهضون ويثورون ففي « اغنية عامة » ، نرى الزنجي « ماي » ينحاز للجلادين لانه اسود ، لكي يجد مخرجا ، بينما ينحاز زنجي آخر للضحايا ، تضامنا معهم ، لانه اسود ايضا

الاختيار الحقيقي المطروح على الانسان المقهور هو ان يكون او لايكون ، اى ان يقبل مصيره او يتمرد . وتلعب مناورات الاغراء في هذا الصدد دورا رئيسيا وتتضح الرغبة في مقاومتها في الرؤى التى تبدو لأوجست جيه اثناء احتضاره فهو يتخيل ان ابنه كريستيان مكلف من احد اصحاب الاموال باخراج فيلم عن الثورة ويحاول صاحب المال ان يفرض سلطانه على المخرج الذي استأجره تماما كما يفرضه على العمال الذين يشتغلون عنده لذلك ، يخيره بين امرين اما الانحياز للفقراء والتعرض لعدم انجاز الفيلم ، واما تلبية مطالبه كصاحب عمل هكذا يحاول البورجوازي ان يقنع

المثقف بان العالم يجب ان يكون واحدا كالماء « الماء يجري بطبيعته نحو نفس النقطة ، ويتجمع »

والصراع يخلق مواقف لا يتحملها اولئك الذين يقبلون ان يكونوا اداة للسلطة لكي يوجدوا مكانا صغيرا لهم تحت الشمس ويخلق ايضا مواقف لا يتحملها اولئك الذين لا يهتمون الا بالانسانية المعذبة ، ويرفضون العنف ، ايا كان مصدره من بين هؤلاء الامريكي موريسون الذي يحرق نفسه امام البنتاجون ، متهما رؤساءه العسكريين والمدنيين بمسئوليتهم عن العنف الذي يمارس في فيتنام

ويتخذ العنف اشكالا متعددة ، منها ذلك العنف الكامن في ماراثون الرقص في « حياة الكاس أ حبيه » هذا الجزء من اكثر اجزاء المسرحية تأثيرا فنحن نرى راقصين يحيط بهم بعض المقاولين والمفتشين الذين ارتدوا الملابس المدنية والاوركسترا الذي يعزف الموسيقى مكون من رجال الامن المركزي جو المسابقة عامة يشبه جو العمل في المصنع فالملاحظ ان المسابقة تقتصر على بعض العاملين والعاملات فلا البارون صاحب العمل ، ولا رجال البوليس يرقصون الاول يكتفي بالتنظيم ، والآخرون يشرفون على حسن سير المجموعة ويشجعون المجهود الجسماني وابعاد الذين يسقطون من فرط التعب في حلبة الرقص يتولاه رجال البارون الذين يستخدمون في ذلك اكسسوارا يشبه الخطاف

مسرح منفجر

كان لابد من الحديث عن عصر استغلال الانسان للانسان بلغة مسرحية جديدة ، داخل ابنية مسرحية جديدة ايضا لذا ، رفض جاتي الابنية التقليدية ففي « حياة الكاس أ حبيبه » يمثل دور الكاس عدة ممثلين مختلف اعمارهم بذلك عبر المؤلف افضل تعبير عن استمرار قهر العامل عبر مراحل حياته المختلفة

واستبدل جاتي الزمان المسرحي التقليدي بمفهوم آخر للزمان ، فهو يستعيد الحدث بماضيه ، وحاضره ، ومستقبله واطلق على هذا الزمان الجديد اسم « الزمان ـ الامكانية » ، وربط بينه وبين امكانيات الانسان « يختلف الزمان المسرحي عن زمن الساعات . يصبح تلك الامكانيات التي نحدها في الانسان » يصبح المكان المسرحي لتعبير من نفس النوع فهو ـ مكان معين يخلق كل الاماكن الممكنة

و « ابنية عامة » مثال كلاسيكي ـ ط بين الزمان ـ الامكانية والمكان ـ الامكانية في هذه المسرحية ، يتحول البلاتوه الى خمسة اماكن يصور كل منها قاعة عرض في ليون ، وهمبورج ، وتوريينو ، ولوس انجلوس ، وبوسطن من ثم ، لاتدور الاحداث في الولايات المتحدة فقط ، بل على مستوى العالم مباشرة اما عن زمان المسرحية ، فهو لايقتصر على ذكر القضية في تاريخ معين ، فهو يواكب تاريخ الحركة العمالية الامريكية منذ عام ١٨٨٦ حتى ايامنا هذه

وكثيرا ما وصف مسرح جاتي بانه « مسرح منفجر » ويجب ان نفهم هذا الوصف بمعنيين ، فهو يدل في آن واحد على مأساة الانسان المعاصر وعودة التاريخ والعالم الى خشبة المسرح ، ويعني ان الزمان ـ الامكانية والمكان ـ الامكانية يصبحان تعبيرا ملحميا عن امتلاء الانسان المناضل للتاريخ وللعالم وبالتالي ، لا يمكن فصل الاستمرارية التاريخية والتصامن الجغرافي عن تفجير الابنية التقليدية ، في حركة جدلية صرفة

بنفس الحركة الجدلية ، تحذف المسرحية التقسيم الى فصول ومشاهد ولوحات لانه تقسيم آلي لا يمكن ان يعبر عن زمان ومكان غني ويستبدل جاتي هذه الابنية التقليدية باخرى مبتكرة تدل على مختلف الاجزاء المكونة للمسرحية هناك مثلا « العودة الى الوراء » و « العودة الى الامام » ، و « التقديم للتذكرة » ، الخ واسماء اخرى متباينة ترسم جميعا محاولة موجهة الى الذاكرة ومثل هذا التقسيم ليس فواصل فحسب ، فهو في الوقت نفسه على الرغبة في مطابقة الشكل للمضمون

هذه ملامح من مسرح جاتي السياسي ذلك المسرح الذي يشعر الانسان بانه معنى به ، لانه كان لان كاتبه التزم بالدفاع عنه وحثه على مناهضة كل ما يعترض سبيل حريته ، وكرامته ، وسعادته ■■

بغداد ـ د سامية ـ اسعد

بقلم : الدكتور محمد عبده غانم

تختلف الاغاني اليمنية باختلاف الجزء الذي تصدر
ه من اجزاء اليمن ، فهناك على سبيل المثال الاغنية
لحجية الصادرة عن منطقة لحج التي تبعد مسافة
شرين ميلا عن عدن تقريبا وهناك الاغنية العدنية ،
ـي تختلف عن الاغنية اللحجية بالرغم من قصر
لسافة بين البلدتين وهناك الاغنية الصنعانية التي
تبر جزءا من التراث الفني ، لانها تمتاز عن بقية
لاغاني بأن لها تاريخا يعود بها الى القرن الثامن للهجرة
ندما بدأ الشعراء اليمنيون ينظمون الشعر المعروف في
ليمن بالشعر الحميني في قوالب أشبه ما تكون بقوالب
لشعر المسمط والموشحات الاندلسية ، وبأسلوب اشبه ما
يكون شعر الرجل في تحرره من قيود الاعراب والفصاحة
والعروض

الحميني والفصيح

بيد ان الشعر الحميني المستعمل في الاغنية
الصنعانية يكاد يكون قريبا في الفاظه من الشعر
الفصيح كما يبدو من كلمات الاغنية التالية

سوق اعيابي [1]
يا قرة الاعيان

والبس اوطاسي [2]
مواطيء الاشجان
فدمع احبابي
من فرقتك السوان
اصحى باوجاسي
كالبدر والمرجان

والكلمات للشاعر اليمني ابراهيم جحاف المتوفي عام ١١١٧ هـ ، وهي كما ترى فصيحة في كلماتها وقد سلك الشاعر بها الوزن المعروف بالقوما وعروضه مستفعلن فعلان الذي يقول لنا صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي (ص ١٣٢ ، ١٧١) انه اخترع في العراق مع وزن المواليا في العصر العباسي الاول ، وهو يقع هنا كما ترى في قالب الشعر المسمط ـ اما القالب الموشح في شعر الاغاني الصنعانية فمن احسن الامثلة عليه قول عبد الرحمن بن يحيى الأنسي المتوفي عام ١٢٥٠ هـ

يا ساري [3] البرق من تهامه
رويدك اللمع والخفوق
حليت [4] قلب الشجي طلامة [5]
في دمتك قلبه المشوق
مسكين مستصحب السلامة
قام يسألك علم لا يعوق [6]

هكان حوابك عليه حمامة (٧)
ما هكذا تفعل البروت
اسراك (٨) ربي وسامحك
فيما فعلته بلامحك (٩)
ان حنت (١٠) مبا يماتحك
(توشيح)
هل في تهامة نكت غمامه
ضحكت من دمعها الدعوق
ماحصر من رملها تمامه (١١)
واصفر من محلها العدوق (١٢)
(تقفيل)
بيت
ومن سمر بالثيب الاعفر
يعدي على ساري القمر
وابيض الفل داك الازهر
شبيه ثغر الرشا الاغر
من شك زهره (١٣) ومن تمشقر (١٤)
ورصصه ساعة السحر
وهل حطب قمري الحمامة
في ممسر الحلة السحوق
لله ما اشجاه من حطيب
يشجي الحلي يبكي الكثيب
يدكي حوى حرقة الحبيب
(توشيح)
مايه هل قام في مقامه
لاريله عنه (١٥) ما يعوق
(تقفيل)
والليل قد رقعته ظلامه
سيمة الفجر بالمعوق
بيت
.. الخ

ووزن هذا الموشح هو كما ترى من مخلع البسيط (مستفعلن فاعلن فعولن) ويختلف الموشح اليمني عن الموشح الاندلسي من حيث القالب في أن ا... فقرة الموشح المعروف بالمطلع في الموشح الاندلسي .. في الموشح اليمني مع كل فقرة ويقال « توشيح » .. يعرف « بالدور » في الموشح الاندلسي ، و« تقفيل » يعرف « بالقفل » وتكتب في آخر كل فقرة ما عدا الا.. في الموشح اليمني كلمة بيت لتدل على نهاية الفقرة

قالب ثابت

وهناك قالب ثابت للاغنية الصنعانية يتكون م.. قصيدة تنظم الاشعار الاولى فيها قافية واحدة والاشكا.. الثانية قافية اخرى ومن أحسن الامثلة على ذلك جاء في قول احمد المفتي المتوفي عام ١٣٩٤ هـ

حل من مسي الصباح
وسط ظله المديد
الهم القمري البياح
متمسي على الحريد (١٦)
اح لو كان لي جناح
كنت مثله وعاد (١٧) اريد
وامعرد (١٨) لك الفلاح
استمع قصة العميد
ربة القرط والوشاح
واللمى الحالي (١٩) الديد (٢٠)
قتلتني بلا سلاح
وقتيل الهوى شهيد
هكذا سنة الملاح
تفعل العيد ما ترید

وهو من مجزوء الخفيف (فاعلاتن مستفعلن) وا.. دخله « التذييل » فصار « فاعلاتن مستفعلان » ويلاحظ خفة الوزن وتوخي الشاعر الرقة والسلا.. والفصاحة في اختيار الكلمات وصياغة التراكيب ، التزامه الفصاحة في كل الكلمات ما عدا الكلما.. « اح » و« عاد » و« حالي » بل (*) ان استعما..

(*) الكلمتان « عاد » و« حالي » فصيحتان ، والكلمة « أح » مجرد صوت للتوجع ، بدلا من « آه » والحا.. حلقيان (العربي)

لكلمة « عميد » بمعنى العاشق ، لتدل على ان المقصود بهذا الشعر هو الطبقة المثقفة ويؤكد ذلك اسلوب القصائد الاخرى فلذا رجعنا الى القصيدة المسمطة التي اوردنا بعضها لابراهيم حجاف نجده يقول في فقرة تالية

محتـــك دعـــوى
مـا ان لهـا برهـان
وان مـــن يهـــوى
يقـول يـا فتـان
ـا حـة المسأوى
للعاشـق الولهـان
اسظـر الـى شأنـي
ما رقـا [21] لـي شان [22]

فاي رجل غير مثقف في اللغة العربية يستطيع ان يدرك أنه في الشطر الثاني من البيت الاول استعمل الشاعر « ان » الزائدة ويفهم ان عبارة « رقا لي شان »

(في الشطر الاخير) معناها جف لي دمع

اما الاغاني اليمنية الاخرى فهي اكثر لصوقا باللغة الدارجة ، بل ان الاغنية الصنعانية لتمتاز بانها تستعمل الشعر الفصيح احيانا وعندئذ يغلب على كلماتها اسلوب القصيدة ذات القافية الواحدة ومن الامثلة على ذلك القصيدة التي تغنى للشاعر بن هتيبل الذي عاش في اوائل عصر بني رسول وامتدح في شعره « الملك المظفر يوسف بن عمر » في النصف الاول من القرن السابق اما القصيدة التي تُغنّى فقد قالها في مدح احد الامراء الزبيريين وقد جاء في مقدمتها الغزلية

اسا مس ناظري عليك اعار
وراعسي ما زال عنه الجار
يا قضيبا من فضة يقطف الز
هر مس وجنتيه والجُلّنار
صس محياك بالنقاب والا
بهتّهُ العقول والابصار
مس سعيري قلبا صميا ولو طر
فة عين ان كان قلب يُعار
ورأت معرفي فامرعها ليـ
ل تغني في جانبه بهار
وعرام الشباب اشهى الى النـ
س وان كان في المشيب الوقار
ما يصد الملاح عن صلة العشـ
اق الا القتير والاقتار [23]

وللمزيد من كلمات الاغنية الصنعانية نحيل القاريء الى كتاب « شعر الغناء الصنعاني » لكاتب هذا المقال . ■■

صنعاء ـ محمد عبده غانم

---

(١) مسي (٢) مجمعة من اوطأني بمعنى انزلني (٣) حافق باللمعان (٤) حللت (٥) طلبا (٦) لا يزجر (٧) هلاكه
(٨) ساعدك (٩) سريقك (١٠) احست (١١) الشام من ساتات البادية (١٢) جمع عدق بكسر السين وهو في النخلة بمثابة العنـ في الكرمة (١٣) شك الزهر بمعنى نظمه عقودا (١٤) تمشقر اتخذ من الزهر اعصانا يزين بها رأسه (١٥) ازاله
(١٦) فروع النخل (١٧) بمعنى « برصه » في اللغة المصرية « وايضا » في الفصيح (١٨) وامعرد بمعنى يا معرد فكثيرا ما ـحل « وا » بمعنى « يا » النداء في الشعر الحميني (١٩) بمعنى الحلو (٢٠) يقصد به الانسان المفلحة (٢١) مجمعة من رقا (٢٢) مجمعة من شأن بمعنى الدمع (٢٣) القتير . الشيب ، والاقتار : ضيق النفقة .

« وفي الأرض آيات للموقنين »

بقلم : الدكتور زغلول راغب النجار ★

منذ متى كانت الارض ... ؟

سؤال محير شغل بـــال الانسان منذ القدم تعرض لـه الدين باجابات كلية شاملة تاركا التفاصيل للجهد البشرى . وحاول المفكرون والفلاسفة في كل عصر ان يجدوا له جوابـــا مقنعا فساروا بالناس فى متاهات من الظنون ، ثم حاول العلم التجريبى ان يعالج تلك القضية فصادفه فى ذلك شيء من التوفيق.

وقبل ان اخوض فى تفصيل المحاولات العلمية لتقدير عمر الارض. اود ان أؤكد على ان الدعوى بازلية العالم كانت احدى دعاوى المعارضين لقضية الايمان بالله . فجاء العلم التجريبى باجابـــة قاطعة فى ذلك بان الارض التى نحيا عليهـــا مستحدثة بالية ، كانت لها فى الاصل بداية حاول العلماء تقديرها . وانها لا بد وان سيكون لها فى يوم من الايام نهاية ، يحاول العلماء استقـــراء كيفية حدوثها من مجريات الامور فى الكون المحيط بنا وان كان احد لا يستطيع الجزم بشيء فى ذلك ... فهو استقراء لغيب لا يعلمه الا الله .

ويبدو ان فطرية الايمان فى النفس البشرية

★ استاذ الجيولوجيا بجامعة البترول والمعادن ـ الظهران ـ المملكة العربية السعودية

ود ـ فكرة ازلية العالم التي نادى بها بعض المدرسين • فهؤلاء هم قدماء المصريين ـ وهم على ماهو مانور ـ اول من سجلوا افكارهم عن نشأة الارض ، يؤمنون بفكرة الخلق ويمثلونها برسم تقليدي يبدو فيه ملك الهواء « شو » ابن ملك الشمس «آمون رع» يفصل احته نت اى «السماء»عن احيه كوكب الارض ، أى بينما اعتقدوا بان « امون رع » نفسه كان قد ولد من زهرة اللوتس النامية على المحيط الاول •

ثم تلاهم فلاسفة الاعريق وفي مقدمتهم اناكسماندر Anaximander الذى ولد في حوالى عام ٦١١ قبل الميلاد وقد تخيل الكون في مبدئه على هيئة مادة اولية لها قدرات حركية كبيرة ومنتشرة انتشارا هائلا في الفضاء الكوني،كما تخيل ان الحر والبرد المستمدين من حركة المادة الاولية قد اديا الى تكون كل من الارض والهواء بالاضافة الى حلقة محيطة من نار • وان النجوم قد نشأت من النار والهوا،بينما نشأت الحيوانات والنباتات من مادة الارض تحت تاثير الشمس ، وقد شمل ذلك ايضا فيطيه الجنس البشرى الذى تخيله في مبدا الامر على هيئة الاسماك •

وقد تلى اناكسيمندر في ذلك الخيال الخصب كثير من فلاسفة الاعريق نذكر منهم اكسيوفنير Xenophanes وهيرودوت ، وارسطو وافلاطون، الذين انقسموا بين مؤيد لفكرة ازلية العالم ومدافع عن فكرة الخلق •• ، وان كان الذين دافعوا منهم عن فكرة خلق الارض لم يذكروا لنا متى كان ذلك ••••

اول اشارة

اول اشارة مدونة عنتاريخ خلقالارض ـ ترجع الى الكتابات الهندية القديمة ، ففي احد الكتب المقدسة عند الهندوس ويعرف باسم مانوسمترى Manusmriti ـ ويقال ان جمعه على هيئته الحالية قد تم في حوالى ١٥٠ ـ١٢٠ قبل الميلاد ـ ماضي العالم وحاضره ومستقبله بنهار واحد من حياة براهما ، نهار مقداره ٤٣٢٠ مليون سنة من سنيننا • وفي خلال ذلك النهار البراهمي تخلق اشيا محدودة من اللانهائية •

وقد قسم نهار براهما الى اربعة عشرة دورة كبرى تدوم كل منها ٣٠٨٫٤٤٨٫٠٠٠ سنة بالاضافة الى ومضة نهائية مدتها ١٫٧٢٨٫٠٠٠ سنة ، من بعدها يبدأ ليل براهما حينما يقدر للمحدود أن ينمحي في اللانهائى •• وتنتهي الحياة في عالمنا •

ومدة ليل براهما كمدة نهاره ٤٣٢٠ مليون سنة من سنيننا ، وحسب ذلك التقويم الهندى القديم فان العالم لايزال في دورته السابقة من نهار براهما ـ اى في منتصف عمره تقريبا ـ وقد انقضى الان ـ اى في١٩٧٩م ـ ١٫٩٧٢٫٩٤٩٫٠٨٠ سنة على خلق الارض •

وتعليقا على يوم براهما هذا يذكر العالم الاسلامى الكبير ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى ـ المولود في الثاني من ذى الحجة ٣٦٢هـ الموافق ٤ من سبتمبر سنة ٩٧٣ م في قرية من ضواحي مدينة كاث عاصمة دولة خوارزم ، والمتوفى سنة ٤٤٠هـ الموافق ١٠٤٨م بمدينة غزنة بدولة خوارزم ـ في مؤلفه كتاب البيرونى في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة الشيء الكثير الذى لخصته في ص ٣٠٤ بقوله . كل ماكان عديم النظام او مناقضا يسابق الكلام نفر عنهالطبع وملهالسمع،وهؤلاء قوميذكرون أسماء كثيرة تتجه بزعمهم على الواحد الاول أو على واحد دونه مشار اليه ، فاذا جاءوا الى مثلهذا الباب اعادوا تلكالاسماء لكثيرين وقدروا لها الاعمار وطولوا الاعداد فهذا غرضهم ، والميدان خالوالعدد عيروافف الا بالفعلوالايقاف، ثم لايتفقون فيها ايضا على شيء واحد لنتعرف معهم فيه كيف تصرفوا ، ولكنهم يختلفون فيها كاختلافهم في ابعاض اليوم المنحطة عن الانفاس•

ولسنا ندرى على وجه التحديد الاساس الذى بني عليه يوم براهما ومضاعفاته ، الا أن هذه تبدو اول اشارة مدونة عن قدم الارض طالما

سخر منها الناس حتى اثبتت الدراسات الحديثة ان نهار براهما الخيالي ومداه ٤٣٢٠ مليون سنة هو اقرب رقم معروف الى عمر الارض كمـــا اثبتته الدراسات الحديثة ٤٦٠٠ مليون سنة ـ على الرغم مما يكتنف ذلك من غموض ...

رأى البيرونى

ويذكر البيرونى فى كتاب اخر له عنوانـــه « تحديد الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » تحت موضوع « تاريخ خلق العالم » ص١٧ ـ ص١٩ ، ما نصه : .. ولقد يمكن ان يتقدم مبدأ الزمان وخلق العالم كل آن من آناء الزمان نفرضه بلحظة، كما يمكن ان يتقدمه بالاف الوف سنة بعد ان تكون معدودة محدودة لتتعلق بالوجود ،والمرجع فى هذا الى السمع من الصادق ، فاما كتـاب الله عز وجل والآثار الصحيحة فلم تنطق بذلك البتة ، واما اهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم من الصابئـين والمجـوس فمتفقون على التاريخ بالانسان الاول ، ثم مختلفون فى كميتـه اختلافا كثيرا ..

ثم يضيف .. ولا نعلم من احوالها اى الارض الا ما نشاهد من الاثار التى تحتاج فى حصولها الى مدد طويلة ، وان تناهت فى الطرفين كالجبـــال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس المختلفة الالوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليهـا فان من تامل الامر من وجهه واتاه من بابه علم ان الرضراض والحصى هى حجارة تنكسر مـن الجبال بالانصداع والانصدام ، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح ويدوم احتكاكها فتبلى وياخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها حتى يذهب بها فيدملكها ، وان الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب وان ذلك الرضراض اجتمع فى مسايل الاودية حتى انكبست به . وتغللهـا الرمال والتراب فاعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول ، فصارت فى القرار والعمق بعد ان كانت من وجه الارض فوق .. ، واذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس ،وما اكثره فيما بيننا ، علمنا ان تكونه على مـــا وصفناه وانه تردد سافلا مرة وعاليا مرة اخرى وكل تلك الاحوال بالضرورة ذوات ازمان مديدة غير مضبوطة الكمية وتحت تغايير غير معلومة الكمية ....

هذا المنهج الفكرى الرائع فى مناقشة الحفريات الجيولوجية وادراك حاجتها الى مدد زمنيـــة طويلة ، وفهم ذلك كمعيار لتقدير عمر الارض هو احد الاسس الرئيسية فى محاولات الانسـان لتقدير عمر الارض اليوم ، هذا بالاضافة الى العديد من الملاحظات الجيولوجية التى سجلها البيرونى فى كتابه وناقشها باصالة علمية واضحة ، ووصل منها الى استنتاجات عديدة تنسب اليوم خطأ الى عالم بريطانى يدعى جيمس هتون اتى بعد البيرونى باكثر من ثمانمائة سنة (١٧٨٥ م) ولكن . مما يؤسف له ان هذا المنهج العلمي الاصيل لم يحمله من بعد البيرونى كثير من المسلمين على حد علمي ، ولذلك نجد كتب التاريخ الشهيرة من مثل كتاب « الكامل لابن الاثير » وكتاب تاريـخ الرسل والملوك للطبرى . وكتاب مروج الذهـب للمسعودى ، وكذلك بعض كتب التفسير مثـــل جامع البيان عن تاويل اى القران للطبرى ، و التفسير الكبير للفخر الرازى وغيرهـــا ترجع فى قصية تاريخ العالم الى الاسرائيليات المدسوسة التى لا أساس لها على الاطلاق فى الاسلام ، ولا سند لها من استنتاجات العلم الحديث .

فمثلا يذكر ابن الاثير فى موضوع « القول فى جميع الزمان من أوله الى اخره ما نصه : « اختلف الناس فى ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد ابن جبير عنه سبعة الاف سنة ، وقال وهب بعضهم الى ستة الاف ، وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم على ما فى التوراة من لدن خلق ادم الى الهجرة اربعة الاف وستمئة واثنتان واربعون سنة.

« وقالت اليونانية من النصارى أن من خلق آدم الى الهجرة خمسة الاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا ، وزعم قائل أن اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه فى التوراة ، وقالوا لم يات الوقت الذى فى التوراة الذى عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون بزعمهم خروجه » .

« وقالت المجوس ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت الى وقت الهجرة ثلاثة الاف مائة

و... ثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون مع ذلك
... برف فوق جيومرت ويزعمون انه ادم عليه
ال... •

هل حدث في التاسعة صباحا ؟

وذكر الطبرى فى مطلع كتابه « تاريخ الرسل والملوك » شيئا من ذلك تحت عنوان « القول فى كم قدرجميع الزمان من ابتدائه الى انتهائه وأوله الى اخره » وواضح ان الله تعالى لم يحدد لنا ذلك بنص صريح فى كتابه ، ولا قول ثابت عن نبيه ورسوله (صلى الله عليه وسلم) تاركا ذلك لمجال نشاط العقل البشرى واجتهاده ، ولكن اليهود والنصارى والمجوس كانوا قد اثاروا هذه القضية وحددوا لانفسهم اجابات عليها ثم دسوها على المسلمين فى احاديث غير متصلة السند، ومن ذلك ما اورده ابن الاثير نفسه فى كتابه « الكامل (١ : ١٤ ـ ١٥) » فى تعليق على مثل هذه الاحاديث ما نصه : « اعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا بها ، ولكن الحديث غير صحيح ومثل هذا الامر العظيم لا يجوز ان يسطر فى الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف » •

وقد ان الاوان لنا ان نطهر كتبنا من مثل هذه الاسرائيليات المدسوسة ، فلم يكن المسلمون وحدهم الذين دست عليهم هذه الافكار اليهودية فهذا هو رئيس اساقفة ايرلندا جيمس اشر يعلق فى سنة ١٦٥٤م وبناء على دراسته لسفر التكوين واخبار من ورد فيه من السالفين الى ادم عليه السلام ـ ان الارض قد خلقت فى تمام الساعة التاسعة من صباح الثانى عشر من اكتوبر ٤٠٠٤ قبل الميلاد• بينما اعلن جون لايتفوت نائب رئيس جامعة كمبردج انذاك ان خلق الارض كان فى تمام الساعة التاسعة من صباح التاسع عشر من سبتمبر من نفس العام ، وقد ضمن ذلك فى طبعة الملك جيمس من الانجيل، ولم يكن يسمح باكثر من الفى سنة قبل ذلك كعمر اقصى للارض •

هذا القصور المخل فى تحديد عمر الارض قابله من جانب اخر خيال مسرف فى مد عمر الارض الى مايشبه اللانهاية ، فهذا هو المؤرخ المعاصر الامريكى الجنسية الهولندى الاصل هندريك وليم فان لوون المتوفى سنة ١٩٤٤ يسجل فى كتابه قصة الانسانية اسطورة خيالية مضمونها انه فى اقصى الشمال عند أرض تعرف باسم سفيثيود Svithjod توجد صخرة مكعبة الشكل يبلغ طول ضلعها مائة ميل، يزورها مرة كل الف سنة طائر صغير ليسن منقاره عليها ، وعندما تفنى تلك الصخرة ، فان يوما واحدا من ايام الخلود يكون قد انقضى • ومن العجيب ان هذا الكتاب طبع ثلاثين مرة وترجم الى اثنتى عشرة لغة وحاز ميدالية ادبية فى سنة ١٩٢٣ ، والشبه بين ذلك وبين الاساطير الهندية القديمة كبير ، وكلها ارهاصات دحضها العلم التجريبى بمنهجيته ونتائجه كما سنفصل ذلك فى مقال قادم ان شاء الله • ■■

الظهران د • زغلول راغب محمد النجار

الحيـاة مستشفى !

● قال الشاعر الفرنسى شارل بودلير الذى مات فقيرا تعسا يصف الحياة مع المرض ،« الحيـاة مستشفى ، كل مريض فيه يبحث عن سرير جديد فى غرفة اخرى لانه يعتقد بانه اذا انتقل الى فراش غير الفراش الذى ينام عليه ، فسوف تفارقه علته حتى اذا أحس بأن موعد تركه للمستشفى قد اقترب ، تمنى لو أنه بقى فيه! »

• قصة •

المسافر

بقلم : الدكتور شكري محمد عياد

ـ لا أحد

بينما كان يجيل بصره في الصحراء الشاسعة ، وهو يدور على محوره في كل اتجاه ، كانت هذه الفكرة البسيطة ، القاطعة ، في عقله ، أشبه بكائنات هلامية ، مرعبة مع ذلك ، تعيش في الأعماق السوداء كانت هذه الأحرف الخمسة لا تكاد تتماسك حتى تذوب من جديد في تدفق تيارين من الرغبة والرهبة ، فيشعر بالم غير مفهوم

ـ لا لست خائفا

ـ معي في هذه السيارة طعام وشراب يكفيان اسبوعا

ـ بالتأكيد ، دوريات المرور لا تكف عن قطع هذه الصحراء ذهابا وإيابا ، بالليل والنهار

لعلي أبقى في هذه الورطة أكثر من ساعتين

ـ اللصوص ؟ أين يكمن اللصوص ؟ هذه الصحراء المكشوفة الشاسعة أكثر أمنا من أي مدينة مزدحمة

ـ ثمة حيوان واحد يكثر في هذه الصحراء

ـ انت تحفظ بيت المتنبي

لا تحسبوا من قتلتم كان ذا رمق
فليس يمتل الا الميتة الضبع

لم ير ضبعا في حياته لا يذكر انه رآه حتى في حديقة الحيوان ولكن الكلمة نفسها ترعبه أهي فكرة الموت ؟ أم أن الانسان يؤكل بعد الموت ؟

الخلية الحية هي المخلوق الوحيد الخالد

أسرع نحو باب السيارة ولكنه تذكر شيئا فاخرج من جيبه الأيمن منديلا ابيض ، وربطه في « شبكة » من خلف فكر لحظة ثم اخرج المنديل الثاني من جيبه الايسر ، وربطه في الشبكة من الأمام

هذه المرة بتمتمة خافتة ، مدعومة ولكنها ... لا

يسمعها ويفهمها المستمع الوحيد الذي كان موجودا هناك .

ـ يجب الا نترك شيئا للظروف . بعض الاغبياء ، حين لا يرون نور سيارة في الاتجاه المقابل لا يبالون ان اخذوا اليمين او الشمال .

هه ؟ في المقعد الخلفي علبتا « كلينكس » ، غير تلك التي امامي .

اغلق باب السيارة ، ضغط زر الامان ، ادار مقبض الزجاج ، حرك رافعة المسند . نظر وهو مضطجع ، عيناه نصف مغلقتين الى المسافة القصيرة التي تركها في أعلى الزجاج تكفي للتنفس بلا شك تنهد مستريحا .

ـ يقولون أن هواء الصحراء في المساء شيء رائع .

أغمض عينيه . تنفس بعمق هواء الصحراء خفيف ، له رائحة نفاذة ، نشيط ، بل أرعن يريد أن يكتسح العالم . ملأ رئتيه منه . سار مبتعدا عن السيارة يحس نفسه عملاقا ، عاليا مثل الجبل خطوته تطوي البلاد ، نظرته تخترق السموات ، بسمته واثقة كاله .

لم يعد يحس بالارض من تحته لم يعد يحس باعضائه . كان يسبح في عنصر عجيب كانه سحاب متوهج ، كانه نار غضة لم تدم سعادته غير لحظة فقد خطر له انه يتحول الى اشعة ومن يضمن له ان يجتمع بعد ذلك ولا يذوب في هذا الكون الهائل ؟ .

ـ استغفر الله العظيم ! استغفر الله العظيم !

كانت الشمس معلقة على حافة الافق ، أشعتها الأفقية تنفذ بخبث من خلال رموشه وجفونه ، وجمرتها الذهبية الساطعة تنسكب على الصحراء في فرح أحمق ، فتحيل الارض كلها سبيكة واحدة هائلة خفق قلبه . تذكر انه قرأ في مجلة سيانس فكشن « موضوعا عن السفر بين الكواكب ، تنبأ فيه الكاتب بان الطريقة الاخيرة التي سيلجأ اليها الانسان للتغلب على المسافات الشاسعة بين الاجرام السماوية ، هي انه سيقيم محطات اشعاعية على تلك الاجرام ، وسيكون على الراكب الذي يريد ان يسافر الى كوكب الزهرة مثلا ، بدلا من اضاعة بضعة اشهر في هذه الرحلة ، ان يذهب الى المحطة الاشعاعية ويدخل في جهاز خاص ، يشبه كبسولة رواد الفضاء الآن ، فيتحول الى اشعة ، وبعد بضعة أ[illegible]ام فقط يكون قد وصل الى كوكب الزهرة فتعيده [illegible]طته الاشعاعية مرة اخرى الى حالته الجسدية .

لابد أن هذه القصة هي التي أيقظته من اغماءته القصيرة . سيكون الانتظار ممضا ومخيفا حين يكون الانسان في حالته الاشعاعية واذا طال السفر بضع سنوات ضوئية فلابد ان يصاب بفقد الذاكرة ، هذا بديهي سيكون الانتظار ممضا ومخيفا في هذه الصحراء حين يهبط الليل لا خالد الا الخلية الحية كم الليلة في الشهر القمري ، ليس لديه أدنى فكرة حاول أن يتذكر صورة النجوم (كما تبدو من الارض) هناك ما يسمى الدب الاكبر . اربعة نجوم تكون شبه منحرف وتتصل بها ثلاثة أخرى تشبه ذيلا غير مستقيم طالما ذكرته بطائرات الورق التي يلعب بها الاطفال لقد كان لهم منزل في القرية ، وكان يبيت على السطح في ليالي الصيف ، كسائر أهل بيته . وهو بالتأكيد قد راقب النجوم في الليالي المظلمة . وهو بالتأكيد قد لعب بتلك الطائرات الورقية . نعم لقد كان طفلا حقا كان طفلا ليته يتذكر أيضا كيف كان بويضة في رحم أمه لا خالد الا الخلية الحية

على مرمى البصر عينان تثقبان الظلام ، وتقتربان بسرعة ارتجف . تعلقت عيناه ، هو بالضوءين الساطعين أهكذا ينظر العصفور الى عيني الثعبان ، عرف من النور المنفرش على جانبي السيارة انها حافلة هل ينزل ويلوح لهم بالمنديل ؟ عندما قرر ذلك كانت الحافلة قد مرقت بجانبه خطفت عينيه لمحة من باطنها المضيء ولكن الصورة اكتملت من تلقاء نفسها الجو الدافيء الحميم . الاحاديث الجانبية التي لا تنتهي المضغ القزقزة . ربما قبلة مختلسة في المقعد الخلفي تنهد بحسرة . لا أمل في حل اثناء الليل لا يمكن أن [illegible] بأحد . لا يمكن النزول من السيارة . خطرت له فكرة سخيفة . ماذا لو اراد قضاء حاجة ؟ قرر الا يأكل ولا يشرب حتى لا يجد نفسه في هذا المأزق إنه من الأصل لا يجب أن يتناول شيئا وهو مسافر أفضل ما يعمله أن ينام حتى الصباح يقدر انه توقف ليستريح [illegible] لا يطاوعه دائما . الآن اكثر من اي وقت [illegible]

ـرا و ، او يبدأ قصة طويلة في « السيانس
كنه بهذا يفرغ البطارية . ربما نصف ساعة
ن يشعر بالنعاس ، النور ايضا يطرد الذئاب
يار ارتعد ـ لا يمكن ان ينام بعد ان خطرت له هذه
كرة ليس اعتمد على ركبته ، واستخرج من كومة
المقعد الخلفي عددا من اعداد السياس فكشن
ا، نور السيارة وقرب المجلة من عينيه احد يقلب
حاتها حتى عثر على احدى القصص الفضائية تلذ
لكرة ان الارض شيء صغير جدا ، مجرد هباءة في ذلك
ون الذي يضل العقل في تصور ابعاده لا شك ان
هذا الكون كائنات أرقى من الانسان لا يعنيه أنهم
اة ، لا يملكون أي حس اخلاقي حسبه أنهم أقوياء
ملك انهم ايضا أجمل من سكان هذا الكوكب لا شك
ولز كان متحيزا حدا عندما صورهم بتلك الصورة
معة ولكن النهاية رائعة حقا لا يهزمهم الا
روب صغير لا خالد الا الخلية الحية كل المؤلفين
ده تأثروا به طبعا لم يعودوا يصورون سكان
واكب في تلك الصورة البشعة . صورة الزواحف
ي تشبه آلات عنكبوتية ضخمة أصبحوا رحالا
ماء مثلنا ، ربما لهم عين واحدة او ثلاثة عيون بدلا من
ين ، ولكنهم مولعون بالتدمير كأولئك الذين صورهم
، انا عبد السلام الدشلوطي (ولو انني لا أحب هدا
ب) احالف اولئك المؤلفين ، وسأكتب روايتي
صة التي أنصف فيها سكان الكواكب الاخرى

لو لم يكن هؤلاء القوم اكثر تحضرا منا لما استطاعوا
يأتوا الينا قبل ان نذهب اليهم اذن فهم اكثر ذكاء
فضل من كل وجه ، واذا اساءوا معاملتنا احيانا فلأننا
نحق دلك هذه الحادثة مثلا غير معقولة لماذا
لون المنزل على أصحابه ؟ كان يجب على المؤلف ان
م لنا سببا مقنعا . والمصور ايضا خياله سقيم ، فليس
الرواية نفسها ما يحتم ان تكون لهم عين ثالثة في اعلى
بهة لقد شوهت جمال هذه المرأة انظر اليها بدون
، العين الثالثة . اليست باهرة الحسن ؟

سه بد السلام الدشلوطي الى ان ضوءا ساطعا
ر الـ ة . حرك مفتاح النور بيد مرتجفة لا يزال
حوه ـ ها ، سمع صوتا فيه غنة وبحة ورعشة كان
الصوت يأتي من ركن مظلم خارج السيارة بعد لحظات كان في محاذاته تماما ، لا يفصله عنه الا زجاج النافذة ، وجه اشقر يعلوه شعر كتاني له خصل مستديرة كشعور الاطفال

عندما اطال النظر قليلا بدا له الوجه شديد الشحوب ، كأنه لا لون له وكانت حمرة العينين مائلة الى الصفرة وكأنهما حجران كريمان شفافان ولا حظ ان السترة التي كانت مصنوعة من مادة تشبه الجلد ، منتفخة قليلا على الصدر ، فاستطاع ان يجزم بان محدثه امرأة

وسمع الصوت الاغن الابح المرتعش مرة اخرى وفي هذه المرة لاحظ النغمات تشبه تلك التي سمعها اول مرة . ولكن حار في تفسيرها وقبل ان يهتدي الى حل كانت محدثته تنطقها مرة اخرى بشيء من الغضب

تهلل وجهه فجأة

ـ نعم انا هو عبد السلام الدشلوطي !

لم يكن يتخيل ان هذا الاسم القبيح يمكن ان يكتسي كل هذه الرقة والنعومة ولكنها نطقت باسمه ، ما في ذلك شك !

كان نطقها للحروف شبيها ، الى حد ما ، بالنطق الانجليزي ، ولكن كانت له لكنة خاصة ذات هارمونية غنية ، جعلت من الصعب ان يكتشف السامع النغمة الاساسية للحرف

لم يبد على الوجه الاشقر الشاحب انفعال ما ، ولكنها واصلت الحديث بالانجليزية

ـ هل تحب ان تأتي معنا ؟

لم يكن العرض مفاجئا له تماما ، من زمان وهو يحلم بالسفر الى كوكب اخر كان يعتقد مثل كثير من الناس أن الحياة على هذا الكوكب الارضي مستحيلة ، ولكنه لم يكن يتصور ان الحل سيجيئه سهلا ، في صورة هذه الفتاة الجميلة .

كانت الفتاة تشير الى مصدر الضوء جسم معدني كبير مستدير ، لم يستطع عبد السلام ان يتبين معالمه جيدا لانه كان مختفيا في شبه ظلام

ـ اتريدونني حقا ؟

ـ نعم

ـ انا بالذات ؟

ـ نعم !

بدا ان الفتاة لم تكن متعودة على هذا الحوار المتردد ، فقد كانت في « نعم » الاخيرة نبرة حنق اخافت عبد السلام فتمتم معتذرا

ـ لم اكن اظن اني معروف خارج الكرة الارضية

جاءه الصوت بمزيد من الرقة

ـ بل اننا نعلق على مجيئك اهمية كبيرة

ـ هل لي ان اسأل لماذا ؟

ـ لا اظنك ستفهم

ـ ارجو الا تسيئي فهمي لست خائفا ولا مترددا هذه اعظم لحظة في حياتي ولهذا اتمنى ان اعرف ماذا تنتظرون مني ؟

ـ ستعرف بعد قليل

بل انه خائف ؟ لماذا يخفون عنه الغرض من الرحلة ؟ خطرت له فكرة ان يدير المحرك ويطلق باقصى سرعة ، ولكنه تذكر ان السيارة معطلة ، الآن وضح له على الاقل شيء واحد لماذا تعطلت به السيارة في هذه الصحراء المقطعة ، قال بصوت متهافت وعيناه معلقتان بالخصرة الذهبية في عيني محدثته

ـ أليس من حقي ان عرف الان ؟ لماذا اخترتموني انا بالذات ؟

ـ ثبت من ابحاثنا أنك عينة ممتازة

لم يدر هل يسر لكونه ممتازا أم يغضب لكونه عينة

اعترض بلطف

ـ اعتقد انكم مخطئون فأنا أشعر أني مختلف عن الآخرين جدا بل انا متأكد من ذلك

ـ كل ابناء جنسك يظنون هذا انظر الي انا انا لا اشعر اني مختلفة في شيء عن زميليّ اللذين يـ ساں ي تلك المركبة

سرى عنه قليلا . ها هي ذي تحدثه عن سها ، لا يهم ماذا تقول ولكنها تحدثه عن نفسها ارعـ ، فقط انه لم يعد يستطيع ان يجـرم ان كانـت رحـلا امرأة والانحليزية التي تتحدث بها لا تفرق في ا صف بر المذكر والمؤنث ، فيمكن ان تكون قد ارادت انها عير محتلفة او « انه » عير مختلف لا يبعد ان يكون سكان ذلك الكوكب حنسا واحدا لا يبعد انهم اكتشفوا طريقة للمحافظة على النوع بدون اللجوء الى طريقتنـا العـ المعروفة . هل يمكن ان يتصور هذه الحسناء حاملا في الشهر التاسع مثلا ؟ ومـع ذلك فلا بد انهـم يمارسون الحس بطريقة ما اشتاق ان يعرف هذا ايضا

قال لها بأدب

ـ بالنسبة لكم هذا معقول جدا لقد وصلتـم الى اعلى درجات الحضارة ولـكن انظـري الى سكان هذ الكوكب ، لا شك ان ابحاثكم التمهيدية كشفت كثير من الحقائق

ثم بشموخ واعتداد

ـ إني جاهدت طول عمري لافلت من معاييرهم ان كانت لهم حقا معايير . في عالمنا الثالث بالذات لا توجد أي معايير ، ومع ذلك فالفرد شخصيته مسحوقة اقصى ما يطمع فيه ان يهرب بجلده ، اعني بفرديته أصارحك القول أنا يائس تماما من مستقبـل هذا العالـم كله بجميع درجاته الاول والثاني والثالث والرابـع ان كان هناك رابع لذلك اعد نفسي مختلفا . ابتسمـت ، لاول مرة ولكن ابتسامتها لم تكن مطمئنة

ـ اذن انت ترفض ان تكون عينة ؟! حتى ولو هر... من هذا العالم الكريه ؟

ـ صراحة هذه الكلمة تخيفني

ـ انت تؤمن بالتصنيف العلمي ، اليس كذلك ، عبد السـلام الدشلوطـي ، مدرس العلـوم في مد... الثانوية ، أعزب ، في الخامسـة والاربعين ، ...من قراء « السيـاس هكشى » اننا نجمع معلومات كوكبكم منذ اكثر من قرن وقد لاحظنا أن الصنـ...

باطراد ـ اذا حذفنا بعض المتغيرات التي لا

ـري على اي اساس حددتم الثوابت والمتغيرات
هـ ـبحث في نظري ان البيانات التي ذكرتها
طحـ وتافهة وان كنت اعترف بانها دقيقة تماما ،
هن ان في استطاعتك ايضا ان تسردي على جميع
يانات التي وردت في ملفي الوظيفي

ادهشه انها يمكن ان تضحك ايضا وكانت
حكتها اشبه بانطلاق كامل لكل الانغام التي تؤلف
وتها ، وكأنما اوركسترا كاملة تعزف ولكن ضحكتها
تدىء قلبه وجاءه صوتها الغني المنغم يحمل نبرة
نراء

ـ يظهر انك تعتز حدا بحقائق معينة ؟ مثلا هذه
رأة التي تزورك كل اسبوع لترتب لك شقتك وتساعدك
ى قضاء بعض حاجاتك ؟ او هذه الجلسة المسائية التي
معك مع بعض الافراد مرة اخرى كل اسبوع
متصاص مركبات الهيدروكسيل ودخان الكنابيس
ـيكا ؟ هل يمكن ان تجهل ان هذه الحقائق هي الاخرى
ى خصائص الصنف الذي تتحدث عنه ؟

صف وعينة ، هل نسيت انه هو نفسه العينة ؟ مهما
ن عقلية علمية فهو لا يمكن ان يصنف ويصبح
ـة هناك في اعماقه شيء صغير هش ، لعله ذلك
طفل الذي كان يبيت على السطح في قريته ، ويسرح
صره الى نجوم الدب الاكبر ، هذا الشيء الصغير الهش
ـى لا يعرفه احد ، ولعله هو نفسه لا يعرفه ، كيف
كن تصنيفه ؟ هذا هو الشيء الذي يعتز به حقا يعتز
الى درجة البكاء ماذا تراهم صانعين بهذا الشيء ـ
ـاك ؟

ـ يجب أن أعترف بأني فوجئت بهذا العرض ـ الى
ـد ما

ثم ، سعاق

ـ الا تسمحون لي بمهلة للتفكير ؟

تعا ـر الشرر من العينين الذهبيتين ، واصبحت
رات ـوت كطعنات السكاكين

ـ هـ ـظن اننا خاضعون لمزاحك ، هذا ليس كنابيس
انديكا . اتعلم كم كلفتنا هذه الرحلة ؟

ـ كم ؟

ـ لن تفهم على كل حال لعلك تفهم فيا بعد

ـ فيا بعد ماذا تريدون أن تصنعوا بي ؟

ـ لا شيء

ـ هذا غير معقول لا يعقل انكم جمعتم هذه
المعلومات كلها من احل لا شيء لا يعقل انكم قمتم
بهذه الرحلة من احل لا شيء لا يعقل لا يعقل .

قالت بهدوء من يستنفد آخر ذخيرة الصبر

ـ أؤكد لك اننا سنتركك على راحتك تماما ستفعل
كل ما يحلو لك حتى الكنابيس انديكا اخذنا منه كمية
تكفيك مدى الحياة وبالطبع لن تقوم بالتدريس لسنا
بحاجة الى تدريسك اصبح كل شيء واضحا ، باهر
الوضوح كالضوء الذي ينبعث من تلك المركبة
الفضائية

ـ فهمت ستتركونني اتصرف على طبيعتي ،
وتدرسون سلوكي كما ندرس سلوك الحشرات

لم تجب هذا هو المصير اذن مصير محزن لعبد
السلام الدشلوطي ، للطفل الراقد في اعماقه ، الذي
يجهل كل شيء عن سكان الكواكب الاخرى

ـ لن يكون الامر مؤلما على كل حال هيا ، انهم
ينتظروننا

تشبث بمقود السيارة وهو ينظر اليها بذعر ومرت لحظة
صمت ثم لمع الضوء الاصفر في عينيها

ـ حسنا لن استعمل معك ما تسمونه العنف هذه
السيارة ايضا يمكن ان تلقي بعض الضوء على معرفتنا
بمدى تقدمكم في علم الميكانيكا

في اللحظة التالية كان عبد السلام الدشلوطي
بسيارته ينفصلان عن الطريق الاسفلتي الصلب ،
ويطيران ليستقرا في احشاء الجسم المعدني
المستدير ■■

شكري محمد عياد

الطب الشعبي ومنع الحمل

● تقوم منظمة الصحة العالمية بدراسة واسعة النطاق للطب الشعبي والتداوى بالاعشاب في ١٥ دولة مختلفة « ذلك ان حوالى ٣/٤ سكان العالم ما زالوا يعتمدون على الطب الشعبي في المحافظة على صحتهم » كما قال الدكتور جوليان جولد Dr J Gold أحد العلماء القائمين بتلك الدراسة والعاملين في مركز رقابة الامراض في اطلانطا بولاية جورجيا الامريكية

وتشمل دراسات المنظمة العالمية فيما تشمل البحث في مدى فاعلية العقاقير الشعبية الشائعة ونذكر من هذه العقاقير ، على سبيل المثال ، باتا صينيا يعرف باللاتينية Portulacca Oiraca ويستعمل اهل الصين محلول هذا النبات ، بل قل الشاى الذى يصنعونه منه ، في معالجة حالات الاسهال

وتشمل ايضا ما يعرف باسم Motherwort وقد درج اهل الصين على استعمال هذا النبات ، منذ آلاف السنين ، من اجل منع الحمل او المساعدة على الاجهاض ان كان ثمة حمل اذ تبين ان هذا النبات يحدث انقباضا في الرحم فيحول بذلك دون انزراع البويضة الملقحة في جداره او يؤدى الى طرحها فتجهض الحامل وتسقط حملها ..

وتشمل الدراسة كذلك فاصوليا التبت الخضراء احدى المأكولات الشعبية في بلاد التبت فقد اكتشف العلماء في هذه الفاصوليا سر الظاهرة المدهشة التي طالما اشتهرت بها نساء التبت ظاهرة قلة الانجاب ، او عدمه ، فهن لا يتعاطين حبوب منع الحمل ومع ذلك تراهن لا يحملن وكأنهن يتعاطينها بانتظام وتعزى فاعلية فاصوليا التبت هذه الى مادة كيماوية تحتوى عليها هي M - Xylohydrquinone

مصدروا الاسلحة الرئيسيون في العالم ومقدار ما صدروه منها ببلايين الدولارات فيما بين سنة ١٩٦١ ـ ١٩٧٥

● عقدت هيئة الامم المتحدة في ٢٣ مايو في السنة الماضية ١٩٧٨ جلسة خاصة بالتسلح تلك الظاهرة الخطيرة التي حرمت دول العالم الثالث الكثير من فرص النمو والتقدم والتي باتت تهدد دول العالم وسكانه بلا استثناء بدمار شامل على اوسع نطاق

ويبين الرسم البياني المرافق بوضوح مقدار ما صدرته من الاسلحة الدول الاولى في صناعة الاسلحة في العالم وعددها تسع دول ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ، وذلك خلال فترة الخمس عشرة سنة (١٩٦١ ـ ١٩٧٥) ولئن كان هذا الرسم في غير حاجة الى ايضاح فهو يسمح ببعض التعقيب والتعليق

يلاحظ ان حصة الولايات المتحدة من مقادير الاسلحة التي تم تصديرها في الفترة المذكورة لا تنقص الا قليلا عن مجموع ما صدرته سائر الدول من الاسلحة في الفترة نفسها بما في ذلك الاتحاد السوفياتي فقد بلغت حصة أمريكا ٤٠.٩ بليون دولار ولم تزد حصة سائر الدول مجتمعة على ٤٧.٤ بليون بما فيها حصة الاتحاد السوفياتي البالغة ٢٦.٥ بليون

تزيد حصة الولايات المتحدة على حصة الاتحاد السوفياتي بنسبة ٥٠٪ وليس هذا انتقاص لحصة روسيا فهي

تزيد بدورها على مجموع حصص سائر الدول الاخرى مجتمعة وذلك بنسبة تقل قليلا عن ٣٠٪

يلاحظ ان حصة فرنسا تزيد قليلا على حصة بريطانيا ، وأن هاتين الحصتين لا تكادان تبلغان ٩٪ و ٨٪ على التوالى من حصة امريكا . ولا يخفي ان فرنسا وبريطانيا كانتا تتزعمان المجموعة الى عهد قريب

لو جمعت المقادير كلها وقسمتها على عدد السنين اى ١٥ ، لحصلت على قيمة الاسلحة التي تم تصديرها سنويا بالمتوسط اى ٥,٨٥ بليون دولار وقد ازداد هذا المبلغ وهو يجاوز ٦ بلايين دولار سنويا في الوقت الحاضر

بلغ مجموع ما تنفقة الدول على تسلحها في ما تجنيه دول العالم الثالث من دخول - وغني عن البيان ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا يتصدران قائمة مصدرى الاسلحة فحسب ولكنهما يفوقان سائر الدول من حيث ما ينفقان على تسليح قواتها

ومع ذلك فالدولتان العظميان لم تزيدا من نفقاتها العسكرية بمقدار الزيادة التي سجلتها دول العالم الثالث في نفقاتها .. وقد بلغت هذه الزيادة خلال فترة العشرين عاما (١٩٥٧ - ١٩٧٦) نسبة ١٠٪ بالمتوسط سنويا .

كلهم بحاجة الى

كل مجهود يبـذل لرعاية الطفل يستحق كل تقدير و اهتمام، فرعايــة الطفــل هي خطــوة في سبيل رعايــة الانســان • ولــن تستقيم الحياة لاى مجتمع اذا لم يهييء لافراده ، للانسان فيــه ، امكانيات الاشباع والنمو • لكن لا يجب أن تقتصر رعاية المجتمع للانسان على مرحلة واحدة من مراحل نموه ، فالانسان حيـــاة نامية متجددة ، يحتــاج في كل لحظة من لحظات حياته الى تهيئة المناخ الامثــل للعمل والابتكــار لكي ينمى هذه الحياة ويطورها، ويستمتع بها •

لقد خصصت الامم المتحدة سنة ١٩٧٩ عاما دوليا للطفــل ، وبدات المجتمعات والدول فى الاستعداد للاحتفال بهذا العيد الانساني باجراء الدراســات واقامــة المؤتمرات وحلقــات البحث ، والاهتمــام بتكثيف برامــج رعــاية الاطفــال ، وقياســا على الاحتفــال باعوام دوليــة ســابقة ، يخشى الذين يهتمون بالانسان أن تكون استجابة المجتمعات هي من قبيل تعليق الزينات واقامة المواد اجمل الحلل واصدار اجمل المطبوعات فى والاحتفالات العلمية ، حتى اذا ما ابتعد أصبح الاهتمام بالطفل مناسبة من المناسبات من الاعياد •

رعاية فى كل المراحل

وانا لا ادعو الى تقليل الاهتمام بالطفل ، بل ما أعتقد اننا نستطيع الاهتمام بالطفل بشكل افضل اذا أخذنا فى الاعتبار حقيقتين ·

الحقيقة الاولى هى أن الانسان يحتاج الى الرعاية فى جميع مراحل حياته ، والحق ان مرحلة الطفولة تعتبر مرحلة هامة فى حياة الانسان لكن مرحلة الشباب ومرحلة الرشد ومرحلة الشيخوخة هى ايضا مراحل هامة فى حياة الانسان · وربما كان اهتمام العلماء بمرحلة الطفولة يرجع الى نظرية سيجموند فرويد الذى يعتبر السنوات الخمس الاولى من أهم مراحل حياة الانسان، اذ فيها تتحدد المعالم الاساسية لشخصيته · غير أن بعض علماء النفس من امثال هارى ستاك سليفان لا ينساق مع فرويد فى حماسه المفرط للسنوات الخمس الاولى ، ويرى مع آخرين أن أهم ما تمتاز به شخصية الانسان المرونة والقابلية للتغير ، ومن ثم فان معالم شخصية الانسان يمكن ان تتغير فى اى مرحلة تالية لمرحلة الطفولة · لذلك فان الانسان يحتاج دائما وفى كل مرحلة من مراحل حياته الى اشباع حاجاته والى تهيئة امثل الظروف لكى تنمو قدراته وامكانياته · وبالتالى فان رعاية الانسان لا يجب ان تقتصر على مرحلة الطفولة ، كما لايجب أن يقتصر الاهتمام الاكبر على هذه المرحلة ، بل يجب ان تكون المراحل التالية لمرحلة الطفولة موضع الاهتمام وبنفس القدر · ويجب على الامم المتحدة ان تخصص اعواما دولية للشباب والراشدين والكهول ·

والحقيقة الثانية هى انه برغم ان الكتاب يتبارون فى اظهار الحماس للطفل والمناداة باشباع حاجاته والعمل على تهيئة افضل الظروف لنموه ، الا أنه يغيب عن البعض اننا لن ننجح فى رعاية الطفل اذا لم نوجه نفس القدر من الاهتمام الى من يقوم برعاية الطفل · فرعاية الطفل لن تتحقق من خلال برامج تضعها الدول على الورق ، او مبادىء ينادى بها المختصون من مكاتبهم ، وانما تتحقق رعاية الطفل اذا توفر لمن يقوم بهذه الرعاية الفهم والامكانيات · واذا كانت دراسات علم النفس تكشف عن ان من يفتقر الى الحب لا يستطيع ان يمنح الحب ، وان من لا يجد الاشباع لايستطيع ان يوفر الاشباع ، وجب علينا حين نخطط لرعاية الطفل أن نهتم ايضا برعاية من يقوم بهذه الرعاية· فلكى يقوم الوالدان والمعلمون وغيرهم برعاية الطفل يجب ان يكونوا هم موضع الرعاية من مجتمعهم ، كما يجب ان يتوفر لهم الفهم والمهارات التى تمكنهم من تحقيق هذه الرعاية ·

هل نستخدم العلم

والان ، ما هى الاسس التى تقوم عليها رعاية الطفل ؟

اولا : لا يمكن أن تتحقق رعاية الطفل ، الا اذا تحقق لنا فهم الطفل : ما هو ؟ ما هى خصائصه؟ وما هى العوامل التى تؤثر فى نموه ؟ والمجتمعات

المتقدمة لا تترك عملية فهم الطفل للحدس والتخمين او الملاحظة العابرة ، أو الاجتهاد الشخصي • المجتمعات المتقدمة تعرف أن هناك طريق واحد هو افضل الطرق وادقها لفهم اية ظاهرة طبيعية ، وسلوك الانسان هو احد الظواهر الطبيعية • هذا الطريق هو : العلم • واذا نظرت الى الغرب او الى الشرق فستجد ملايين من الدراسات العلمية ذات النظرة العميقة والمنهج الدقيق لفهم سلوك الاطفال من شتى جوانبه •

اما في بلادنا ، فيجب أن نتساءل : هل نستخدم في بلادنا العلم لفهم الطفل والانسان ؟

نلاحظ هنا ان العلم في بلادنا استطاع ان يقطع شوطا لا باس به في فهم جانب محدد من جوانب شخصية الانسان هو الجانب الجسمي • بينما تخلف عن فهم الجانب النفسي أو السلوكي ولا يجب ان يدعو هذا الى الدهشة ، فعلم النفس الذي يهتم بدراسة سلوك الانسان قد تاخر نموه كثيرا عن العلوم الطبيعية ، لكن علم النفس قطع شوطا كبيرا في النمو والتطور ، كما انه يستخدم استخداما جادا في شتى مجالات الحياة في المجتمعات المتقدمة •

وانا لا اود ان اقلل من جهود علماء النفس في بلادنا • لقد قام بعضهم بجهود رائدة في فهم سلوك الانسان العربي • ولكن هذه الجهود الفردية والمتناثرة لا تكفي لدراسة ظاهرة ما ، خاصة اذا كانت الظاهرة قضية قومية كقضية تنمية الانسان • ولننظر الى المجتمعات المتقدمة لنرى ماذا يفعلون هناك • انهم يوفرون للعلماء كافة ما يتطلبه البحث من امكانيات مادية وبشرية ، من ادوات ومساعدين، كما يوفرون لهم المناخ الملائم للبحث ويغدقون عليهم من التقدير ما يدفعهم الى مواصلة البحث والابداع فيه • ومن أجل ذلك نجد في تلك البلاد العديد من البحوث التي القت والتي ما زالت تلقي الضوء على الظاهرة الانسانية في شتى جوانبها • لكن اين - في بلادنا - البحوث التي تصف لنا نمو الانسان في جميع مراحل عمره وفي شتى مظاهره الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية • بل اين الدراسات التي تكشف لنا عن العوامل التي تؤثر في سلوك الانسان ، فتزيد من قدرته على الابتكار ، وتخفف من شعوره بالقلق والعجز على سبيل المثال •

ولتحقيق الدراسة العلمية لسلوك الطفل يجب ان تهتم الدول بانشاء مراكز للدراسات الطفل • لقد بدات الولايات المتحدة الامريكية في انشاء هذه المراكز منذ عام ١٩١٧ حين انشئت محطة بحوث رعاية الطفل والحقت بجامعة أيوا ، ثم توالى انشاء مثل هذه المراكز والحاق الكثير منها بالجامعات • وقد بدات بعض البلاد العربية بانشاء مثل هذه المراكز فعلا ، ولا بد ان نحيي مثل هذه الجهود •

ثانيا : ياتي بعد فهم استخدام العلم لفهم سلوك الطفل ، استخدام هذا الفهم لتشجيع امكانيات النمو عند الطفل ، اي مرحلة التطبيق • ويستطيع العلماء الوصول الى فهم دقيق لنمو الطفل والعوامل التي تؤثر فيه وتساعد على التحكم فيه • لكن هذه الجهود تذهب ادراج الرياح اذا لم نهتم بكيفية استخدام هذه المعلومات للتحكم في نمو الطفل • هنا تبرز حقيقة هامة : فالذي يتفاعل مع الطفل ويؤثر في نموه ليس عالم نفس الطفل ، بل الوالد والمعلم والاقارب والاصدقاء • واذا لم يكن لدى هؤلاء فكرة واضحة ومبسطة عن نمو الاطفال والعوامل التي تؤثر في هذا النمو وتساعد على التحكم فيه ، فستصير جهود العلماء مثل الزهور الصناعية تكشف عن مظهر براق ، لكنها لا تنشر الروائح الزكية التي تنعش نفوس الناس وتملاهم بالبهجة والسعادة • ولا يكفي ان تكون المعرفة في الكتب وعقول العلماء جاهزة حين تلجا الام الى الطبيب أو عالم النفس اذا ما انحرف سلوك الطفل • فانسان المستقبل لن يكفيه ان يتجنب المرض والانحراف ويعيش في حالة من « السواء المتوسط » • انسان المستقبل يحتاج الى ان توفر له كافة الظروف لكي تنمو جميع قدراته الى اقصى حد ممكن ، ليستخدم هذه القدرات في مواجهة تحدي الحياة الحديثة ، وليحقق اقصى انتاج واستمتاع بهذه الحياة ، ولقد نبه واحد من أبرز علماء النفس هو كارل روجرز الى ان قضية الانسان اصبحت قضية بقائه واستمراره في الحياة • فالتحديات التي تواجه الانسان كبيرة ، والتغيرات التي تحدث في البيئة المادية وتواجه الانسان كبيرة والتغيرات التي تحدث في البيئة المادية والاجتماعية كثيرة ، ولن يستطيع الانسان ان يتغلب على ما تخلقه الحضارة الحديثة من مشكلات ما لم يكن انسانا مبتكرا • و لن يكون الانسان مبتكرا اذا لم نتعهده منذ ان [illegible] على

. بل قبل ان يقبل عليها ، بتهيئة الظروف لنموه وتنميته .

دور الاسرة

لقد فطنت المجتمعات المتقدمة الى أن الطفل ينمو من خلال تفاعله مع الاخرين ، مع والديه افراد أسرته ومدرسيه وغيرهم ، وان هؤلاء هم الذين يحتاجون الى المعارف والمهارات التى تمكنهم من اتاحة الظروف الملائمة لنمو الطفل . وتعتبر هذه المجتمعات تنشئة الطفل قضية قومية ، فتحرص على ان تقدم لافرادها معلومات دقيقة عن طبيعة نمو الاطفال وأساليب معاملتهم فى المواقف المختلفة .

ومنذ عام ١٩١٤ يصدر مكتب الاطفال فى الولايات المتحدة نشرة « رعاية الطفل » Infant Care ، وقد صدرت من هذه النشرة عدة طبعات وزعت ملايين النسخ . وتصدر المطابع فى أمريكا كل يوم عشرات الكتب المبسطة التى تحدث الوالدين عن كيفية معاملتهم لابنائهم فى مختلف مراحل حياتهم .

ولم تقف جهود المربين ورجال الاصلاح فى الولايات المتحدة عند حدود الكلمة المطبوعة ، بل حدوا يناودون بتدريب الوالدين تدريبا عمليا على عاية أبنائهم ، ومن ثم ظهرت الدعوة الى تعليم الوالدين وتربية الوالدين Parent Education

وعلى سبيل المثال بدأ استاذ سابق لعلم النفس بجامعة شيكاغو هو الدكتور توماس جوردون فى باسديا بولاية كاليفورنيا فى عام ١٩٧٠ برنامجا لتدريب الوالدين أسماه « التدريب الفعال للوالدين » . كانت أول مجموعة بدأ الدكتور جوردون فى تدريبها تتكون من ١٧ والدا ووالدة ، لكن سرعان ما انتشر هذا البرنامج ووصل عدد الذين يحضرون فصوله الى ربع مليون شخص ، كما قام الدكتور جوردون وزملاؤه بتدريب معلمين للبرنامج وصل عددهم الى ٧٠٠ معلم بعد اثنتى عشرة سنة من بداية البرنامج ، ما زالوا يتابعون التدريب بمعدل ١٥٠٠ معلم كل عام . وقد انتشرت فصول هذا البرنامج حتى غطت كل الولايات المتحدة تقريبا ، واصبحت تقدم فى بعض البلاد الاجنبية . وكان يقبل على هذا البرنامج فى بدايته الاباء الذين اضطربت علاقاتهم بابنائهم ، اما الان فان الاباء يقبلون عليه لكى تكسبهم المهارات التى تمكنهم من منع ابنائهم من الوقوع فى المشكلات . وكان يحضر هذا البرنامج فى بداية الامر الوالدان من الطبقة الوسطى المتعلمة ، اما الان فيقبل عليه الوالدان من مختلف الطبقات . وتقوم كثير من المؤسسات الاجتماعية والمدارس بالانفاق على فصول هذا البرنامج خاصة لكى يقدم للاباء والامهات الدين لا يستطيعون تحمل نفقاته . وقد وصفت جريدة النيويورك تايمز فى عددها الصادر فى ١٤ مارس ١٩٧٥ هذا البرنامج بانه « حركة قومية » .

ويصف يورى برونفنبرنر فى كتابه « عالمان للطفولة . الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى » ، الاساليب المتبعة لتنشئة الاطفال فى هذين البلدين . ويلاحظ من قراءة هذا الكتاب أن الاتحاد السوفيتى يعطى اهمية كبيرة لتنشئة الاطفال ويعتبرها مسئولية اجتماعية . وبما أن الوالدين ينجبان طفلا يصير ان فيما بعد عضوا فى المجتمع ، فان عليهما اعداده بحيث يستطيع القيام بدوره الاجتماعى على خير وجه . ولتحقيق ذلك يعمل أساتذة علم النفس ورجال اكاديمية العلوم التربوية فى روسيا على تحديد اهداف التنشئة الاجتماعية اى الصفات وأساليب السلوك التى يجب أن يسعى الوالدان الى غرسها وتنميتها فى أطفالهم ، ثم تحديد الوسائل التى يستطيع الوالدان بواسطتها تحقيق هذه الاهداف . ويقوم العلماء بكتابة كتب مبسطة بلغة سهلة واضحة لكى يقرأها الوالدان ويستفيدان مما جاء فيها من توجيهات . وقد لاحظ برونفنبرنر ان هذه الكتب واسعة الانتشار ، وان احاديث الاباء والامهات ومناقشاتهم ومعاملتهم لابنائهم تكشف عن اطلاعهم على هذه الكتب والاهتمام بما جاء فيها والعمل على الاستفادة منه . وتوحى ملاحظات برونفنبرنر بان الامهات والاباء والمدرسات والمواطن العادى فى الشارع يتبعون أساليب متجانسة فى تنشئة الاطفال تكشف عن الفهم والاهتمام بالانسان وبتنشئته ورعايته .

ان تطور مجتمعاتنا العربية وتقدمها رهن بتنمية الانسان . ولا سبيل الى تنمية الانسان الا باستخدام العلم لفهم الانسان ثم تدريب الناس جميعا على رعاية الانسان فى جميع مراحل نموه ، فى طفولته وشبابه ورشده وكهولته . ■■

د . عبدالله محمود سليمان

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

اسباب الاغماء

● ما الاسباب التي تؤدى الى حالات الاغماء ؟ وكيف يتم اسعافها ؟

ـ يصاب الانسان بالاغماء عندما تقل كمية الدم الذاهبة الى المخ والمغذية لخلاياه ويشعر المصاب بدوار الرأس وغثيان ، وارتخاء عام في جميع اعضاء جسمه ، وينتابه شعور بأن معدته تشد الى اسفل ، وقد تظهر سحابة سوداء تحجب بصره ، ويصفر لونه ، وينتشر العرق البارد على جسمه ، فيرطب جلده ، ويهبط ضغط دمه ، وعادة ما تقل نبضات قلبه وحركة تنفسه ، فيفقد وعيه

والاغماء غير الصرع والغيبوبة وللاغماء اسباب كثيرة تذكر منها

اولا ـ الاغماء الانعكاسي ويمكن تقسيمه الى

أ ـ الاغماء الانفعالي وهو اكثرها انتشارا ، ويحدث عادة اثناء الوقوف ، وينجم من تأثير العصب الحائر على القلب فيبطىء ضرباته ، مما يؤدى الى هبوط الضغط وقلة كمية الدم الذاهبة للمخ

ومن الاسباب التي تؤدى الى الاغماء الانفعالي الخوف ـ المباغتة ـ المفاجأة والالم . فمنظر مرعب او مشاهدة حادث ما سواء كان في الطريق العام او حتى على شاشة التلفزيون يؤدى بالكثيرين الى الاغماء

وهناك من يصاب به عند اخذ الحقن ، سواء كانت بالعضل او بالوريد او حتى تحت الجلد او عند سماعه خبرا سارا غير مرتقب .

ب ـ الاغماء الناتج من الوقوف

ويحدث عادة عند الوقوف المفاجىء او الوقوف لفترة طويلة ، وهو اشيع في الكبار منه في الصغار ، ويكثر حدوثه لمن يقتضي عمله الوقوف لفترات طويلة كالشرطي والجندي والمدرس الخ .

ج ـ الاغماء الناتج من السعال الشديد .

وهو اكثر حدوثا في الاطفال وخاصة من هم مصابون بالسعال الديكي

د ـ الاغماء الناتج بسبب الضغط على الشريان السباتي في الرقبة

وقد يحدث الاغماء في هذه الحالة عند الالتفاف المفاجىء لجهة ما وخاصة اذا كان الانسان لابسا لقميص او رباط عنق ضاغط على عنقه

هـ ـ هناك من يصاب بالاغماء الانعكاسي عند ابتلاعه لقمة كبيرة . أو عند أخذه نفسا عميقا وقد يحدث الاغماء عند التبول . وهذه الحالة تصيب الشباب عادة ، وهي تحدث عندما يصحو الشاب من نومه ليلا ويذهب ليفرغ ما تجمع في مثانته ، وفي طريق عودته سريره يصاب بالاغماء .

ثانيا ـ الاغماء الناتج من الشلل

كاصابات الدماغ الاوسط والمستطيل والنخاع الشوكي ، او اصابة الاعصاب المحيطية ، او تلك التي تخرج من جمجمة الرأس

ثالثا ـ الاغماء الناتج من اصابة القلب والاوعية الدموية وهو يحدث غالبا نتيجة للامراض التي تسبب سرعة خفقان القلب ، او من تلك التي تسبب عدم انتظام بضاته ، او اصابة الشرايين التاجية ، او تلك التي تقلل من كمية الدم المندفع منه الى الابهر

رابعا ـ الاغماء الناتج عن اختلاف حرارة الجسم سواء كان ذلك نتيجة ارتفاع الحرارة او انخفاضها

خامسا . ـ الاغماء الناتج عن الاستعمال الخاطىء لبعض العقاقير كتلك التي تؤخذ لتخفيض ارتفاع ضغط الدم

اما اسعاف حالات الاغماء فيكون بوضع المصاب افقيا اما على سرير او حتى على الارض ، مع رفع الارجل قليلا حتى تساعد في ترويد المخ باكبر كمية من الدم ، وباعطاء المنشطات ، ثم علاج السبب ان وجد

شلل الاطفال

● ماهو علاج شلل الاطفال؟

ـ شلل الاطفال من الامراض المعدية التي لم يتمكن الطب بعد من ايجاد علاج خاص لها ، و... المريض المصاب بشلل الا... يستفيد في المراحل الاولية من الراحة التامة بالسرير مع الابتعاد عن اى مجهود جسماني وعن اخذ اية زرقات عضلية ، وقد يحتاج المرض لمسكنات خفيفة للالام والصداع والكمادات للاطراف المصابة .

اما بالنسبة لعلاج الشلل التنفسي فهذا يحتاج لمساعدة ميكانيكية كما ان العلاج الطبيعي الفيزيائي له اثر في تحسين وضع وظائف العضو المصاب بالشلل . ومما يساعد ايضا على تشجيع الحركة في الاطراف المصابة استخدام العلاج الطبيعي المائي .

لذا نلاحظ ان علاج شلل الاطفال يحتاج الى خبرات عديدة في مجالات مختلفة في امراض الاعصاب والعظام وجراحتها ثم الحاجة الى اجهزة اطراف اصطناعية مساعدة لتسهيل الحركة وقضاء الحاجات اليومية للشخص المصاب .

ولا يجب ان ننسى ان مرض شلل الاطفال من الامراض التي يمكن تجنبها عن طريق اتباع برامج التطعيم المنظمة الشاملة كما ان التوعية الصحية تلعب دورا رئيسيا في الوقاية من انتشار المرض خاصة اثناء الاوبئة عن طريق عدم الاختلاط بالمصابين والاقلال من النشاطات الرياضية المرهقة والتاكد من غسل الخضار والفواكه جيدا والحد من انتشار الذباب والتخلص من الفضلات بطرق صحية منظمة كما ينصح اثناء حدوث الاوبئة بالابتعاد عن اجراء عمليات استئصال اللوزتين وعن اعطاء اللقاحات والابر العضلية . ■■

الأمير رستم

الرخش

هذان بطلان يعيشان في خيال اهل المشرق جميعا رستم بطل إيران في العصر البطولي الأسطوري ، وعنتره بطل العرب في العصر الجاهلي

والذي دعاني إلى الاهتمام بهما ذلك التشابه العميق بينهما ، في واقعهما وفي أسطورتيا ، وذلك الخلاف الذي سببته ظروفهما وبيئتهما وعصرهما فالاثنان عاشا في زمان كان للبطوله الجسديه والسواعد الحديديه فيه كثره ، ووجودهما منتصرين يعني انتصار الأمه التي ينتميان إليها فاذا أردنا دراسه عصر رستم توجب علينا دراسه الشاهنامه وعصر تأليفها ، وإن توقفنا قليلا عند عنتره اضطررنا إلى معرفه تاريخ العرب في الجاهليه . ولكن المجال لا يسمح لنا بالاطاله ، لذا سنذكر ما لا بد منه ، ونشير الى ما هو ضروري

في العصر البطولي

فمما لا شك فيه أن الشاهنامة وما حوت من تاريخ صحيح وأسطوري هي مفخرة الفرس ، قد سجلت تاريخ إيران البطولي منذ أقدم العصور حتى زمان دخول العرب أرض فارس ولهذا قسم الأدباء عصر الشاهنامة إلى أدوار ثلاثة الدور الأسطوري ، والدور البطولي ، والدور التاريخي وقد ضم الدور البطولي ـ وهو الدور الذي برز فيه رستم وإخوانه من الأبطال ـ كثيرا من الوقائع الصحيحة الممزوجة بالأسطورة هذه الأسطورة كانت واقعية في عصرها ، ثم ما لبثت أن توشحت بوشاحي الأسطورة والخيال

ورستم عاصر الدور البطولي ، يعني كان هناك بطل معروف بهذا الاسم ، ثم ازدادت قوته وبطولته بسبب الحب الذي أولاه سكان إيران هذا البطل على مدى الأيام

والصورة الواضحة التي رسمها التاريخ لعصر عنترة بن شداد شبيهة جدا بصورة عصر رستم فنحن نعلم أن العصر الجاهلي ينقسم كذلك إلى ثلاثة أقسام : قديم جدا ضاعت آثاره ومعالمه ، وهم العرب البائدة . وقسم عمته الأساطير والخرافات لانعدام سبل التدوين ، وهو العصر الذي مضى قبل ٢٠٠ سنة قبل هجرة الرسول (ص) ، وقسم جرى قبيل البعثة المحمدية وهو صحيح ومعروف وكلها دونا من عصر الرسول (ص) ازدادت معالم التاريخ وضوحا حتى غدا حقيقة واقعة بدءا من الهجرة

وعنترة عاش في الجاهلية ، وتوفي قبيل بعثة الرسول (ص) وهذا يعني أن شخصية عنترة كانت موجودة بشعرها وبطولتها وبالنظر إلى حب الناس لهذا البطل أضافوا إلى شجاعته شجاعة خارقة ازدادت وتضخمت مع مرور الزمان حتى ثبتت يوم تدوين سيرته في القرن الخامس الهجري ولئن كان هدف الفردوسي من شخصية رستم إبراز البطولة الايرانية وسعي أبطالها ـ وعلى رأسهم رستم ـ إلى توحيد بلادها ، لقد كان عنترة صورة للبطولة العربية ، ولانتصار القبيلة التي ينتمي إليها

كان رستم بن دستان ابن سام بطل الشاهنامة الأول ، ابنا لأمير تابع لسلطان الامبراطورية ، يحكم باسمه ممالك السند والهند في أثناء غيبة جده سام وهذا يعنى أن رستم نشأ في طبقة نبيلة أميرة ، في حين أن عنترة عبد أسود ، وابن أمة حبشية سوداء اسمها زبيبة سباها أبوه شداد العبسي في إحدى حروبه ، وأنجبت منه ولدا يشبهها فأسموه بعنترة أي الذبابة السوداء نظرا للونه فهو أيضا ابن أمير القبيلة ، ولكن أباه لم يعترف

به ، وهذا عرف عند العرب ، إذ أنهم لا يعترفون بابن الأمة إلا إذا أثبت بطولة وذكاء وإن لم يعترف به بقي عبدا

ولقد أحب أبوه دستان ابنة مهراب ملك كابل ، ذي الأصل العربي كما يقولون واسمها روداية وهي أيضا وقعت في حبه ولم يتم الزواج إلا بعد مرور عقبات كثيرة - من هنا نستدل على أن التشابه كبير في نشأة هذين البطلين أما نقطة الخلاف فهي أن عنترة ولد أسود مهملا مكروها لدى أهله الأدنين في حين أن رستم ولد كبير الجثة ، عانت أمه كثيرا حتى ولدته وهي صبية حسنة ، ولد جميلا كفلقة القمر ، قويا كشبل الأسد ويقولون إن أمه عندما صحت من عنائها ورأته إلى جانبها قالت برستم أي خلصت من المصدر « رستن الخلاص » ، ولهذا سموه رستم غير أننا نخالف هذا الرأي لأن اسم الطفل رستم بضم الراء ، ورستن بفتحها ، ولهذا نرى غير هذا الرأي ، ولعله مشتق من المصدر رونيدن بمعنى النمو وكما اختلفوا في اصل اسم رستم اختلفوا أيضا في أصل اسم عنترة

وتزداد وجوه التشابه اقترابا أكثر عندما نشأ وبرزت قوتهما فعنترة ظل أساسا مهملا يرعى الأغنام والجمال ، ويكتم في قلبه الحقد نحو إخوته ونحو أبيه لأنه لم يعترف به ، ويكتم غيظه من عمه ، لأنه يحب عبلة ابنته ولكن لا يجرؤ على البوح به ورأى أن القوة الخارقة هي التي ستدفعه الى مرتبة عظيمة بين بني جلدته فعمد إلى ادخار المال ، فاشترى به سيفا ورمحا وترسا ودرعا ، ثم طمرها في بطن الرمال وكان كلما خرج للرعي أخرجها من مخبئها ، وتدرب بها على فنون القتال

وفوجئت قبيلة عبس بالهجوم عليها من بعض القبائل الأخرى المعادية ولما رأى شداد ابنه عنترة لا يحارب قال له آمرا كر (أي اهجم) فقال عنترة العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر (أي الحلب وربط الضرع بعده) فقال أبوه وقد فهم مرامه كر وأنت حر فامتطى عنترة جواده الذي غدا مشهورا فيما بعد شهرة جواد رستم ، وأخرج سيفه من بطن الرمال ، وأخذ يحارب في سبيل الحرية وفي سبيل كسب قلب عبلة ولقد أعطته جبلة أبيه القوة الخارقة الواقعية والأسطورية وراح يضرب الأعداء ، ويمزق الصفوف حتى انتصر على اعدائه ، وكأنه رستم في الميدان فوعده عمه بعبلة وهكذا وصل إلى المرتبة التي شأ عليها رستم بطل محبوب مرهوب

فحياة البطلين سجل لتاريخ الأمتين ، ستفخر به إيران والعرب على السواء

وتشابه البطلان بأخلاقهما كذلك فأخلاق الفرسان الشرفاء الشجعان تمتاز بالكرم والاقدام والصدق وشدة البطش والعفة والشرف والبعد عن فكرة الغدر والخيانة والأذى وقد قال رسول الله (ص) ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة

ومن أخلاقهما المتشابهة الذكاء ، والتفكر قبل الهجوم سئل عنترة يوما أأنت أشجع العرب وأشدها قال لا قالوا فبماذا شاع لك هذا في الناس قال كنت أقدم إذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم (أمتنع) إذا رأيت الاحجام حزما وكنت أعمد الضعيف فأضربه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله

هذه الأوصاف السامية جعلت الأدباء يسحبون الخيال على حياة البطلين ، ويصبغون على بطولاتهم بطولات لا يصدقها العقل ولهذا اعتقد بعض الادباء الشرقيين والغربيين أن هاتين الشخصيتين اسطوريتان وما هما أسطوريتان ، إنما هما مزيج بين الحقيقة والخيال

ومن الصفات المتشابهة البطولة الخارقة التي تجمعهما فعنترة تنتصر قبيلته إذا أقدم في الحرب وتقوى عزائم جنوده بوجوده ، وتنهار شجاعة الاعداء حين يرونه يصول ويجول لقد علموا أن قوته تفوق قوة الأبطال ، فهي خارقة وكذلك الأمر بالنسبة الى رستم بل أكثر فقد نشأ بطلا غير هياب ، يقتل الجن ويصارع الجن وينتصر عليها وهو إذا ضغط بكفه على كف الجني « كلاهور » تسقط أظافره كما تسقط ورق الشجر بفعل الرياح

وهنا تلعب الأساطير لعبتها الكبيرة فتجعل قوته تفوق قوة ملك الجان (سبيد ديو) في حربه ... هو مازندران بل إنه كثيرا ما انتصر وحده ... جيش

بأكمله وفي رأينا أن الأسطورة في حياة رستم هي عليه في حياة عنترة ولعل سبب ذلك الرمي بين البطلين ، وميل الشعب الايراني في ذلك العصر إلى الأساطير والخرافات أكثر من ميل العرب في الجاهلية الذين يعيشون بشكل سطحي واضح تماما كصحرائهم المبسطة

المرأة عند البطلين

ونتساءل لماذا اختير هذان البطلان ليكونا بطلين نادرين ؟ لماذا توجهت الأنظار نحوهما وقد عاصرهما أبطال أخرون ؟ إن أسبابا مقنعة تجعلنا نؤمن بصحتها ونعتقد بها فقد دحرت الشاهنامة بالأبطال العظام أمثال ابنه سهراب ، واسفنديار ساعد زال الأيمن ، وأفراسياب التوراني لقد وجدت ظروف وضعت رستم في موضعه المناسب ، وهو بطل أبطال إيران فهو ابن زال الأمير الذي حكم المشرق ، وهو ابن أقرب المقربين إلى الملك ، وهو الذي كان يسعى إلى توحيد الصف الايراني ، وذو صفات لم تكن عند الآخرين فهو لم يعرف الحسد ولا الكيد وكل همه كان في خدمة وطنه العالي ، وصاحب الاسم الرقيق الجذاب

وعنترة أيضا لم يكن البطل الوحيد في الجزيرة العربية فقد عاصره ابطال آخرون كعامر بن الطفيل وعمرو بن معد يكرب وعفاف الشريدي هؤلاء عرفوا ابطالا في قبائلهم ، ولكن الظروف والبيئة لم ترفعهم إلى مرتبة بطل الأبطال فعنترة عند ارتفع مقامه الى الحر ، راعي الغنم تحول إلى فارس مقدام ، أسود عشق ابنة عمه ، شاعر فاق الفرسان الآخرين بشعرهم ، ثم هو أيضا صاحب الاسم الجذاب عنترة

ولقد حارب هذان البطلان كلاهما دفاعا عن نفسيهما رستم دافع عن وطنه ، وطرد الأعداء ... وعنترة حمى قبيلته وهاجم أعداءها والقبيلة ... كانت رمزا للوطن الذي كان عند رستم وكانا ... في الوقت المناسب دائما ، وينتصران الانتصار ينتظره القارىء منهما دائما وكان هناك وقائع ... يقوم بها البطل دفاعا عن النفس وهي من صفاتهما ... أيضا

ولابد للبطولة من امرأة وقد وجدت المرأة في حياة البطلين ، غير أنها في حياة عنترة أكثر بروزا وتأثيرا من المرأة في حياة رستم فكلنا يعلم عبلة ابنة عم عنترة ، ونعلم أيضا أن حبه لها سبب كبير في نبوغه الشعري وشجاعته وإقدامه لقد حاول أن يغطي سواد جلده شعره وفروسيته ، ووفق في هدفه إلى حد بعيد غير أن عمه كان شديدا عليه قاسيا على حبهما ولهذا اختلف الرواة في نهاية هذا الحب فمنهم ــ وهم المحبون لعنترة ــ يرون أنه تزوج بها ، ومنهم نظروا إلى القصة نظرة درامية فقالوا مات غريبا ، وتزوجت عبلة غيره

أما رستم فقد فقد جواده « الرخش » أثناء الصيد ، فجد بالبحث عنه ، مما اضطره للدخول إلى بلاد بعيدة تدعى سمنجان وهناك رحب به ملكها ، وأكرمه وأضافه عنده ريثما يجد له الجواد وفي هذه الأثناء تشاء الأقدار أن تقع ابنة الملك بحبه ، فتزوجها وأهداها خرزة ثمينة أوصاها أن تشدها على عضد ابنه . وفي هذه الاثناء يلقى رستم جواده الرخش ، فيعود به إلى ايران على أمل العودة إلى زوجته ويتأخر رستم عن العودة ، فيشب ابنه سهراب ويغدو بطلا تواقا لمعرفة أبيه ورؤيته

وتشاء الأسطورة أن يشتد الصراع بين الايرانيين والتورانيين ، وأن يجهز الجيشان للحرب ، ويكون رستم في جيش إيران ، ويكون سهراب في جيش التورانيين ويلتقي البطلان ويتصارعان ويتعقد الموقف حين يقتل الأب ابنه بيده

ونلاحظ أن المرأة لها أساس كبير في بروز البطولة عندهما ونلاحظ كذلك أن المرأة التي وقعت في هوى رستم أميرة بنت أمير ، وأن عبلة ابنة عم عنترة أبوها سيد من سادات قبيلته .

أوجه الخلاف

لم تكن تلك النقاط السابقة المتشابهة في حياة البطلين محض صدفة ، ولم ينقل الناس أوصاف هذا الى ذاك إنما البطل ذو صفات يجب بشكل طبيعي أن تتشابه ، وكذلك يتشابه كل أمر بلغ الغاية من السمو والنبل ولكن التشابه ليس كاملا ، فهناك نقاط يختلف

فيها الاثنان تبعا لظروفهما ولبيئتهما من ذلك :

١ ـ أن عنترة شاعر ، رقيق الشعر أحيانا ، وأغلب شعره مقسوم بين الغزل والحماسة وحماسته نفسها مطعمة بصور حبه الصادق وقد امتلأ شعره الغزلي بالألم والحزن ، لأن حياته مع عبلة لم تكن على وفاق كما رأينا في حين أن رستم لم يكن شاعرا وما الشعر الذي نقرؤه في الشاهنامة إلا من نظم الفردوسي ومن فنه

٢ ـ كان رستم جزءا مهما منفصلا في الشاهنامة ، شاركه بالبطولة عدد من الفرسان ، أما عنترة فقد كان الفارس الوحيد في ميدانه

٣ ـ مؤلف أسطورة البطل الايراني شاعر إيراني مشهور هو الفردوسي ، في حين أن مؤلف أسطورة عنترة راو عربي مصري مغمور ، هو يوسف المصري ولهذا كان حديث رستم في القصة أقوى بكثير من حديث عنترة في قصته

٤ ـ أسطورة رستم وغيره من أبطال الشاهنامة كلها مكتوبة شعرا ، في حين أن أسطورة عنترة فيها نثر وفيها شعر والشعر بعضه له وبعضه نظمه مؤلف الاسطورة يوسف المصري وغيره من رواة سيرته

٥ ـ عنترة بطل أبطال العرب ، في حين أن رستم بطل أبطال العالم المعروف في ذلك الزمان

٦ ـ لهذا كان الخيال أقوى عند رستم ، والواقع أكثر عند عنترة

٧ ـ اختلاف العصرين زمنيا وبيئيا غير كثيرا من معالم حياة البطلين

وبما أن خيال الفردوسي كان أقوى من خيال يوسف المصري ومن ثقافته فإن وفاة رستم كانت أكثر وقعا من الناحية الدرامية من وفاة عنترة . فقد مات الاثنان قتلا الأول وهو رستم اغتاظ منه أخوه شغاذ فاتفق مع والد زوجته ملك كابل على التخلص منه بالحيلة ، لأنهما لا يستطيعان التغلب عليه في الحرب . فدعواه لزيارتهما ، وفي الطريق حفرا عددا من الحفر العميقة ، وزرعا في قعرها نصال سيوف حادة . وفي طريقه إليهما سقط في إحداها فمات .

وعنترة ظل كزميله رستم يحارب حتى آخر أيام حياته فيحكى أنه بلغ سن التسعين وما زال فارس بني عبس وفي إحدى معاركه مع قومه ضد قبيلة طيء سقط عن جواده ، فلم يستطع أن يركبه ثانية لكبر سنه . فلجأ الى روضة فيها أشجار ، فلحقه أحد فرسان طيء ويلقب بالأسد الحريء ، فقتله

تدوين الأسطورتين

ذكرنا أن حكايات الأبطال يتداولها الناس ، ويضيفون عليها ما لم تسجل في كتاب وتحفظ فإذا دونت ثبتت على ما هي عليه فإن آمنا بشيء من الواقع في حياة رستم وعنترة ، فاننا يجب أن نقبل بدور الخيال الذي نسج قسما كبيرا من حياتهما هذا الخيال كان جزءا من صنع الرواة ، وجزءا من نسج المؤلفين

فالفردوسي شاعر الشاهنامة ومؤلفها ، كان يجب أن يدون تاريخ أمته ، ويحب كذلك أن يحظى بالشهرة لدى سلطان زمانه الأمير محمود الغزنوي فسعى إلى تدوين الشاهنامة شعرا ، وقصده أن يبين قوة إيران أيام اتحادها وبما أن الفردوسي أمير شعراء عصره وشاعر شعراء الشاهنامات فقد أدى عمله خير أداء ، بعد أن اعتزل الناس ربع قرن تقريبا ، لينظم أفضل ملحمة حماسية في العالم

أما سيرة عنترة فقد كانت معروفة ومتداولة منذ أيام الجاهلية ، وظل الناس بعد وفاته ينسجون الخيال ويضيفون البطولات على بطولاته حتى زمان الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، حيث طلب من أحد الذين يشتغلون بالرواية والتاريخ أن يؤلف رواية كسيرة حماسية مشوقة ينشغل بها الناس عن أوضاع البلاد المتردية فاستجاب يوسف المصري لأمر الخليفة ، وألف سيرة عنترة بعدة شهور ، بينما ألفت الشاهنامة بأكثر من ربع قرن . وسبب السرعة هو تلبية أوامر الخليفة نفسه أي إن الدافع عند يوسف المصري لم يكن كالدافع عند الفردوسي ولهذا جاءت سيرة عنترة ركيكة الأسلوب تافهة الشعر الذي نظمه لها . ولكن الجميل عند يوسف المصري أنه ألف سيرته على ٧٢ فصلا ختم كل فصل

موقف يضطر القارىء إلى متابعة الفصل القادم ، وهكذا

والطريف في الأمر أن سنوات تأليف الشاهنامة وسيرة عنترة متقاربة جدا فالفردوسي توفي سنة ١٠٣٠ م وانتهى من شاهنامته قبل أكثر من عشر سنين ويوسف المصري ألف سيرة عنترة عام ٩٢٥ م

ويزداد إيماننا بالشاهنامة حينما نعلم أن الفردوسي كان يعتمد على أفضل ما ألف قبله حول تاريخ إيران ، ولهذا تأخر في نظمه وفي تأليفه في حين أن يوسف المصري لم يتعمق كثيرا في دراسة سيرة عنترة ، ولهذا ألفها بشهور عدة ولا ضرورة لذكر المصادر التي اعتمدها كل من المؤلفين

لغز أم رستم ؟

الشخصية الفذة مرآة صادقة للأمة بأسرها ، وصفحات خالدة من تاريخها فقد ازدادت ثقافتنا عمقا نحو الأمة الايرانية والأمة العربية حين تعرفنا إلى رستم وإلى عنترة

١ ـ فقد استفدنا من سيرة رستم رغبته في توحيد بلاده ، والدفاع عنها ، ولو كان المعتدون الجن والعفاريت وعرفنا أنواع الأسلحة ، وطريقة تنظيم الجيوش ، والألبسة ، والتاريخ ، والدين ، والمعتقدات

ومن شخصية عنترة عرفنا عادات العرب في قتالهم ، وكيفية تبنيهم أبناء الاماء ، ومتى ، وكيفية إغارتهم على أعدائهم ، وما هي عاداتهم في الزواج . ولكننا لم نلحظ من الناحية الحربية ترتيبا في الجيوش ، ولا نظاما معينا في القتال وهذا هو الفارق بين الجيش المنظم والجيش القبلي

٢ ـ كان أفق أسطورة عنترة لا يتعدى الجزيرة العربية ، بل يكاد لا يتخطى منطقة نجد إلا قليلا في حين أن أسطورة رستم كان أغلبها خارج الحدود وفي مناطق بعيدة عن بلادهم

٣ ـ عرفنا الحالات النفسية التي تعتري البطلين حين يبارزان أعداءهما ، وكيف يهاجم الخصم وكيف يصاوله ولا يختلف الأمر هنا بين رستم وعنترة ، إلا في نوعية الأسلحة ويمتاز رستم هنا بحيازته أنواعا من الأسلحة لم تكن موجودة عند عنترة

٤ ـ نلاحظ من سيرة رستم تقديس الملك والطاعة العمياء له ، في حين أن عنترة يهتم بإرضاء أبيه لضمان حريته ، وإرضاء عمه ليزوجه بعبلة وقد تحول هذا الارضاء فيما بعد إلى الغيرة على أرض القبيلة نفسها

٥ ـ كان الحب سببا في إبراز قوة البطلين ، والزيادة فيها فهذا عنترة ضاعف قوته كثيرا ، وخاض المعارك العديدة كي يرضي محبوبته والحب عندهما كذلك وفاء وتضحية وإخلاص فعنترة أخلص في حب عبلة ، وزال أخلص في حبه لروداية ، ورستم صدق في حبه مع ابنة ملك سمنجان

٦ ـ عرفنا أن أسلحة رستم وغيره من الأبطال مرصعة بالجواهر ومصنوعة من الذهب في حين أن أسلحة عنترة مجرد أسلحة حديدية عادية وسبب هذا الاختلاف البلاط الذي نشأ فيه البطل الأول والصحراء التي ربت البطل الثاني

بهذا أكون قد أحطت بإيجاز جدا بقيمة الشخصية البطلة في ايران ، وبقيمة الشخصية البطلة في الجزيرة العربية ، وأشرت إلى نقاط الالتقاء بين هاتين القمتين وأسباب ذلك ، وإلى نقاط الاختلاف وأسبابها . وما زال البحث متعطشا للدراسة والتعمق . بقيت نقطة تحتاج إلى معالجة ، هذه النقطة هي . لماذا أراد المؤرخون أن يجعلوا أم رستم من أصل عربي ؟ ■■

محمد التونجي
جامعة حلب ـ كلية الآداب

الفتوحات الاسلامية

● قرأت في العدد (٢٤٤) من مجلة العربي الغراء ، مقالا قيما للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى بعنوان « الرائد الذي رحل فيليب حتى ومدرسته في قراءة التاريخ العربي » جاء فيه ما يلي -

« ولا نزاع في ان الاسلام الف بين المسلمين ووحد اهدافهم وخلق لهم شعارا جديدا فكان نبراسا لأمانيهم القومية الا ان هذه الروح الاسلامية الفتية لا تكفي لتعليل الفتوحات فليست الأثرة الدينية والتعصب ما حدا بالعرب الى تدويخ الدول وفتح الامصار انما هي الحاجة المادية التي دفعت بمعاشر البدو واكثر جيوش الفتح منهم الى ما وراء تخوم البادية القفراء الى مواطن الخصب في بلدان الشمال

وبما ان المجلة هي راية لرفع الحقائق الثابتة ومنبر للآراء الحرة الموضوعية ، وأيضا للحق والواقع وانصافا للتاريخ ابين ما يلي

لو تصفحنا بطون تاريخ الانسانية عامة وتاريخ الامة الاسلامية خاصة يظهر لنا بصورة جلية ان الفتوحات الاسلامية لم تخطط يوما للاستيلاء على كنوز الاكاسرة او الاباطرة وانما لتنوير النفوس المظلمة بسواد الالحاد والكفر فما هي كانت حاجة الخليفة عمر بن الخطاب وهو الذي يحتل المرتبة الثانية في قائمة عظماء التاريخ العربي على حد قول كاتب المقال) من فتح العراق والشام ، والبلاد الاخرى هل كانت حاجة مادية للاستيلاء على مواطن الخصب في بلدان الشمال ؟ ! ام كانت حاجة روحية لنشر النور الاسلامي ورسالة الرسول العظيم محمد عليه الصلاة والسلام في تلك البلدان الغارقة بظلام المجوس والكفر والتي سبقها تطهير الجزيرة العربية من المرتدين فكيف يخرج المؤمنون (او معاشر البدو وكما ذكر الدكتور حتى) من تخوم البادية القفراء للفتوحات ومهد الرسالة المحمدية نبتت فيها اشواك الردة واحب أن اذكر هنا انه جرى نقاش بيني وبين احد الاساتذة من الذين درسوا في الغرب مثل الدكتور حتي بالمعهد الامريكي للغات في بغداد حيث كنت ادرس اللغة الانجليزية في الستينات وذكر فيه ان الحاجة المادية هي التي دفعت المسلمين الى الفتوحات تحت تهديد السيف ، وشرحت له مفصلا انه هناك عدة فتوحات اسلامية لم ترق فيها قطرة دم ولم تنهب اموال كما يحدث دائما في الفتوحات وفتح القدس هو خير مثال على ذلك وسيبقى دائما مثالا رائعا في سجل التاريخ الاسلامي واخيرا اترك للتاريخ ان يحكم على ادعاء الدكتور فيليب حتى والله من وراء القصد

عبد الله عبد العزيز
اسلام اباد/الباكستان

اين تقع الدرعية

● لقد مر اسم « الدرعية » في بطون كتب التاريخ والجغرافيا اكثر من مرة ، وهذه المدينة لا توضع عادة على المصورات الجغرافية والتاريخ المؤشرة لدينا وكنا نتوق دائما الى معرفة موقعها الجغرافي ، الى ان جاء الاستطلاع المتعلق بالمواقع التاريخية في شبه جزيرة العرب في العدد ٢٣٤ لشهر ايار (مايو) ١٩٧٨

ولكن الى جانب [illegible]

معركة القادسية

● في عدد العربي لشهر اغسطس ١٩٧٩ م ضمن مقال « القادسية معركة الايام الثلاثة » بقلم احمد عادل كمال ، ورد خطأ تاريخي عارض ولكنه يستوجب التصويب لأهميته التاريخية ، ففي سياق حديثه عن الخلفيات السابقة للمعركة منذ وصول دعاة النبي (ﷺ) الى كسرى يدعونه الى الاسلام ، قال الكاتب « وفي فارس مزق كسرى برويز كتاب النبي ﷺ اليه وارسل الى واليه على اليمن ليقبض على النبي ويحضره اليه الخ » والخطأ هنا انه لم يكن لفارس اي ولاة ولا نفوذ في اليمن في تلك الفترة بالتحديد إذ ان اليمن تخلصت من النفوذ الفارسي قبل ظهور الدعوة الاسلامية بزمن طويل ، وكانت اليمن اولى البلاد التي استجابت لدعوة الاسلام بعد نجد والحجاز ولم يبدأ النبي (ﷺ) في بعث دعاته الى فارس والروم الا بعد وصول الاسلام الى اليمن واعتناقها للدين الحنيف طواعية بقدوم الصحابي الجليل (معاذ بن جبل) وفي ذلك الحديث الشريف « الايمان يمان والحكمة يمانية »

لهذا وجب التصويب

سالم محمد محمد
تعز

المشكلة الفلسطينية

● ان التعتيم على المشكلة الفلسطينية في العالم العربي يترك الجيل الجديد جاهلا حقيقة المأساة كي يضعف تعلقه بالقضية الفلسطينية واهتمامه بها وهو ما يسعى اليه الصهاينة وحلفاؤهم .

هل عرض الافلام البوليسية وافلام العنف والجريمة والجنس اهم من عرض الافلام الفلسطينية ؟.

...موجوده للدرعية أو الجزء منها الموجودة في الصفحة ٨٠ من المجلة ورد بانها تقع الى الشمال الشرقي من الرياض ، وبالمقابل في الصفحة ٨٥ ورد بان الدرعية تقع على بعد ٢٠ كيلو مترا الى الشمال الغربي من الرياض ...رجو توضيح في عدد مقبل عن الموقع الصحيح لهذه المدينة

الياس بطحيش
دمشق / سوريا

وينطبق اقتراحي ايضا على ندرة ما يعرض من الافلام التي تنتج في الجزائر بصورة خاصة التي تصور نضال الشعب الجزائري المسلم العربي في معركة التحرر ، معركة المليون شهيد

ومجلة العربي هي المجلة التي وضعها قدرها لتحمل راية معركة عرض الافلام الفلسطينية الجزائرية في مختلف الاقطار العربية وخاصة في الكويت لتوعية الجيل العربي الجديد

الدكتور محمد مأمون المهايني

وزارة الصحة

مدينة هجر

● الاساطير التي تحيط بواقع مدينة هجر التاريخية ، بعدت بها عن عالم الحقيقة والممكن ، فرأينا ان نطلب الى مجلة العربي باستقصاءاتها في حقلي الجغرافيا والتاريخ وسعة الاطلاع بشؤون عالمنا العربي ان تفيدنا عن كل ما يتعلق بهذه المدنية وكيف السبيل لزيارتها ؟ وهل هي في البحرين ام في جمهورية اليمن الديمقراطية ؟ ام هناك مدينتان بهذا الاسم وفي كلا البلدين

يحيى عمار
لبنان / القاع

الاصالة في اصوات اللغة

● قرأت كلمة الدكتور احسان حقي في العدد (٢٣١) من مجلة العربي الغراء ، وهي تحت عنوان (دعوة لاعادة النظر في الحروف العربية) ومضمون الدعوة هي ان ندخل بعض الحروف الجديدة في اللغة العربية لتؤدي اصواتا جديدة موجودة في كلمات اجنبية ، وخاصة في الاعلام

وانا لا ارى ما يراه الكاتب لان العرب ابان عزهم ومجدهم في ظلال الاسلام لم يخطر ببالهم ان يعيروا اصوات لغتهم او يطرئوا حروفا جديدة لتؤدي اصواتا معروفة في اليونانية مثلا وليست معروفة في العربية بل رأوا ـ وهم اهل الحضارة الغالبة ـ ان يعيرّوا هذه الاصوات الغربية حتى لا تنطق نطقا عربية فقالوا ـ مثلا ـ (افلاطون) بدة من (Plato) وقالوا (ارسطو) او (ارسطوطاليس) بدل « Aristotal » ولو كانوا مثلنا اليوم . لا يحس بقيمة « الاصالة » والتمييز لقالوا « بلاتيں » او « بليتو » على رأي الكاتب ، وقالوا « ارستوتل »

ان الاصالة تقتضي ـ كما تبينت ـ الا نعير بقيمنا ومنها حروف لغتنا تبعا لقيم الاخرين لان الاصالة تقتضي « التميز » ومن حقنا ان نقول « شيرشل » عند لفظ Chirchle » كما ان من حقهم (كما هو واقع فعلا) ان يقولوا « مهمد » (عند لفظهم « محمد » انهم ـ يا صاحبي ـ لا يكلفون انفسهم ان يقوموا السنتهم عند نطقهم باسم اشهر رجل في التاريخ البشرى ـ لا لانهم لا يستطيعون ـ فتلك خرافة ـ بل لانهم يترفعون ويرون ذلك تميزا واصالة

عودة الله القيسي
وزارة التربية / دولة الا...
العربية

ضخام الاسد

● في عدد شوال / سبتمبر الماضي من العربي وفي مقال « تكلموا تعرفوا » ، اورد الكاتب بيتا من الشعر هكذا

تـرى الرحـل الطـرير فتبتليـه
ويخلف ظـنك الرحـل الطريـر

وصحة البيت كما روى مسبوقا ببيت آخر على النحو التالي

تـرى الرجـل النحيف فتزدريـه
وفـي أثوابـه أسـد مزيـر
ويعجبـك الطـرير فتبتليـه
فيخلـف ظـنك الرجـل الطريـر

ان دقة الرواية في الحديث مفخرة من مفاخر الفكر الاسلامي ملمحافظ عليها لا سيما والمقال رائع ويعتبر من السهل الممتنع

دكتور عبد الغني الراجحي
استاذ بجامعة الازهر

ابحث عن الصهيونية

المكان فرنسا ،
والزمان ٢٢ مارس ١٩٦٨ م ،
والموقع كلية الآداب بجامعة (نانتير) في باريس

١٤٢ طالبا ـ من بينهم (دانييل كوهين باندت) ـ يحتلون مكاتب مجلس ادارة الجامعة بعد اعتقال زميل لهم على اثر مظاهرة مؤيدة لتحرير فيتنام

وهكذا نشأت (حركة ٢٢ مارس) التي قامت بأعمال أدت الى اغلاق الجامعة يوم ٢ مايو في اليوم التالي صدرت صحيفة (الأومانيتي) بهجوم عنيف على الغوغائي اليهودي الألماني (كوهين باندت) كتبه (جورج مارشي) زعيم الحرب الشيوعي الفرنسي وأدان فيه الفيلسوف (هيربيرت ماركوز) الذي أوحى (بالتطرف اليساري)

المتاريس في العاصمة

٣ مايو .
اعتقال القيادات الطلابية خلال اجتماع في (السربون)
مظاهرات في (الحي اللاتيني) احتجاجا على ذلك
اتحاد طلبة فرنسا يعلن الاضراب
نقابة التعليم العالي تعلن الاضراب أيضا
المظاهرات تضم عشرات الآلاف من الطلبة

بعض المدرسين والعمال ينضمون الى المظاهرات
ليلة العاشر من مايو يقيم المتظاهرون المتاريس في الحي اللاتيني
الشرطة تزيل المتاريس بعد هجومات عنيفة على المتحصنين خلفها

الاضراب العام

العنف يثير روح العناد ، ويولد التعاطف في نفوس المترددين .

١٣ مايو
الاتحادات العمالية الفرنسية (٢) تعلن اضرابا عاما
مسيرة ضخمة تجمع العمال والطلبة في شوارع باريس
الطلبة يحتلون جامعة (السربون) من جديد ويحولونها الى منبر للرأي الحر يزدحم فيه الباريسيون

١٤ و ١٥ مايو
العمال يحتلون بعض المصانع ويضربون عن العمل
هذا الاحتلال يسري في أرجاء البلاد ويشل اقتصادها

٢٠ مايو
عدد المضربين عن العمل يبلغ سبعة ملايين ، غير أن مطالبهم لا تتعدى رفع الأجور وتحسين ظروف العمل

الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحاد العام للشغل يعترضان على تلاحم الطلبة والعمال داخل المصانع

الاتجاهات الثلاثة

الحركة الجماعية تتخذ اتجاهات ثلاثة
١ ـ اليسار البرلماني يطالب باقالة الحكومة
٢ ـ الحزب الشيوعي والاتحاد العام للشغل يطالبان بتشكيل حكومة شعبية . ثم يقبل الاتحاد الدخول في مفاوضات مع حكومة (بومبيدو)
٣ ـ الطلبة يستأنفون مظاهراتهم بعنف متزايد ويقيمون المتاريس من جديد غير أنهم لا يجدون منفذا سياسيا لتطلعاتهم الثورية

ديجول في الأزمة

٢٩ مايو
الرئيس (ديجول) يغادر قصر (الايليزيه) سرا

CFDT

تبدو سلطة الدولة وكأنها تترنح
لم يكن سفر (ديجول) فرارا
لقد ذهب الى ألمانيا الغربية لاعداد القوات الفرنسية المرابطة هناك للتدخل في حالة قيام حرب أهلية في فرنسا

٣ مايو
ديجول يعود من ألمانيا
يخاطب الشعب الفرنسي عبر الاذاعة
يؤكد أنه لن ينسحب من الميدان
يصدر قرارا بحل الجمعية الوطنية
في ذات اليوم
يحشد (الديجوليون) أنفسهم في مظاهرة ضخمة (مليون نسمة)تطوف شوارع باريس تأييدا الرئيس الجمهورية

وهكذا حدثت انتفاضة مايو ١٩٦٨ م

الهجرة

هوى شباب فرنسا من حالق
تحطمت الاحلام ،
تبددت الأوهام ،
راحت التطلعات وكأنها سراب في صحراء
هجر الآلاف منهم عاصمة كانت تنبض بهتافاتهم تبهر شعاراتهم ، وصارت هامدة بين أحضان الأمر الواقع وتحت رعاية النظام السائد

الى أين يذهبون ياترى ؟
الى اعماق فرنسا السحيقة .
الى المناطق الجبلية النائية التي هجرها أصحابها هربا من قسوة الحياة ، وانجذابا الى المدن حيث الأضواء والترفيه ومجتمع الاستهلاك

شاهد من أهلها

... ب (العودة الى الطبيعة) .
... سمه الجزء الأول وعنوانه (في أعماق الغابة

توحد الدولة)
المؤلفان

زوجان في الثلاثين .
دانييل ليجيه وبير تراند هيرفيو من جيل انتفاضة مايو
متخصصان في العلوم الاجتماعية
باحثان في (المركز الوطني للبحث العلمي) (٣)
الزوجة دانييل تعمل ضمن مجموعة (علم اجتماع الأديان)
الزوج (برتراند) يعمل ضمن مجموعة (علم اجتماع الأرياف)
المؤلفان
متعاطفان مع شباب مايو ١٩٦٨
تعاطف المتخصصين في علم الاجتماع يعني الدراسة والتحليل ولا يعني التأييد والادانة
وهكذا
غاص المؤلفان في أعماق فرنسا السحيقة ، وأجريا دراسة ميدانية استمرت من سنة ١٩٧٥م الى سنة ١٩٧٨م ثم عكفا على تحليل نتائج الدراسة وترتيب أجزائها الى أن ظهرت النتائج في كتابهما خلال سنة ١٩٧٩ م

حدثني الزوجان طويلا عن كتابهما ، واليكم ما قالاه بالخصوص

نفور

السيدة (دانييل) نحيفة ، مقصوصة الشعر ، ترتدي السروال الأمريكي الأزرق وسترة الطلبة تتحدث في سرعة وحماس قاذفة بالأسماء ، والتواريخ والأرقام دون النظر الى أوراقها

وكأنها قد حفظت نتائج دراستها عن ظهر قلب تقول
ـ العقبة الأولى التي اعترضت طريقنا خلال الدراسة هي التسمية التي ينبغي اطلاقها على

3 - Cente national de La rectierctie scientifique

لمصريين الذين هاجروا الى المناطق الفرنسية النائية بأعداد متزايدة منذ سنة ١٩٦٩ م للعمل بها كفلاحين أو كحرفيين

بحثنا عن التسمية التى أطلقها عليهم السكان الأصليون

وجدنا ألفاظها متعددة انها في الجانب الشعبي كالآتي

« أصحاب الشعور الطويلة » ،

« الملتحون » ،

« الهيبير » ،

وغيرها من ألفاظ النفور

أما في الجانب الادارى ، فالتسمية كالآتي

« الهامشيون » ،

« المستقرون »

المهاجرون يقبلون التسمية الادارية لقد وضعوا أنفسهم على هامش الحياة المصرية ، واستقروا في المناطق النائية لتعميرها انهم يحبون كلمة (الاستقرار) لأنها تشير الى تغلب الواقعية على الأوهام الطيبوية في حياتهم

المنبوذون

اختلاف التسميات يبين صعوبة تصنيف الأوهام الطيبوية للمهاجرين من الناحية الاجتماعية الصعوبة تبرز من خلال حديث السكان الاصليين

انهم يقولون

هجرة المصريين فضيحة

كلهم من علية القوم ،

من الذين فازوا بدراسات عليا وحصلوا على مراكز طيبة فيم يطمعون هنا بشهاداتهم ؟

انهم من أبناء الذوات من المدللين الكسالى لو بقيت لفرنسا مستعمرات لذهبوا اليها لم يجدوا غير منطقة (السيفين) ليستعمروها

ما معنى هذا التصرف ؟ !

اذا كان سكان (السيفين) الأصليون يهجرون فرارا من قسوة الحياة فيها فما معنى أن يأتى المرفهون لفلاحة الأرض ؟ !

ويضيف شيوخ المنطقة

نحن شجعنا أبناءنا على الهجرة الى المدن طلبا للرزق ، لأن الحياة باتت مستحيلة هنا نحن نضحي بالكثير لتدفن عظامنا في مراتع الصبا

ثم ان هؤلاء المدللين لا يعرفون من الفلاحة شيئا ، ولا يتقنون العمل بأيديهم فكيف سيكسبون رزقا هنا وكيف سيربون أطفالا ؟ !

ذلك أمر مستحيل

مشاعر متناقضة

السيد (برتراند) نحيف ، غزير الشعر ، متواضع الثياب ، طلابي الهيئة يتحدث في هدوء وكأنه يزن الكلمة قبل أن ينطق بها

يقول

ـ السكان الأصليون للمنطقة يرون في نجاح المهاجرين تأكيدا لفشلهم في تعمير المنطقة وهي منطقة كانت غنية ، ثرية ، عامرة خلال القرون الثلاثة الماضية

عميد بلدية في قرية صغيرة أفقدتها الهجرة الى المدن ثلاثة أرباع سكانها قال لنا « ان هؤلاء الذين يتقاطرون على منطقتنا من العاصمة يطاردون حلما بل سرابا ومع ذلك فلولاهم ، لما أعدنا فتح المدرسة ولما تبددت وحشة الموت التي خيمت علينا »

مشاعر الناس حيالهم متناقضة

والدراسات التي أجريت عنهم قليلة ، على الرغم من أن عددهم قد بلغ العشرة آلاف خلال عشر سنوات

تفسير الظاهرة

ـ السؤال الذى ألحّ علينا هو

هل من نظرية متحامسة تفسر ظاهرة الهجرة الحضرية ؟

لاحظنا أن فكرة (العودة الى الطبيعة) لم تكن الدافع الرئيسي للهجرة في المرحلة الأولى والى حد ما

سنة ١٩٦٨، الى سنة ١٩٧٤ م

خلال هذه المرحلة الأولى

خاب أمل الشباب المتقد حماسة وثورة في تغيير النظام السائد رفض الشباب النظام وهجروه بحثا عن خلاء يعيدون فيه بناء مجتمع جديد خال من العيوب التي دفعتهم الى الثورة بعيد عن تأثير النظام الاقتصادي والاجتماعي القائم .

هجرة المرحلة الأولى ،

فشلت بنسبة ٩٥٪ ،

لانها بنيت على أوهام سرعان ما تبددت تحت شمس الواقع وهكذا عاد الشباب الضال الى القطيع المستسلم ، واستعاد مركزه داخل النظام القائم متناسيا ماحدث وكأنه مرّ بكابوس

وهذا يؤكد أن الهجرة لا تصح ولا تثمر الا اذا كان دافعها دينيا ولم يكن دافع هجرة مايو ١٩٦٨ م دينيا

المرحلة الثانية من الهجرة والتي بدأت سنة ١٩٧٤م لها دوافع اقتصادية مرتبطة بأزمة أوروبا الاقتصادية . ودوافع اجتماعية نابعة من حركات المحافظة على البيئة والدفاع عن الطبيعة

الخلاصة

خلاصة كتاب (العودة الى الطبيعة) الذى أشادت به الصحف الفرنسية فور صدوره ، وخاصة لوموند) خلاصة الكتاب في السطور التالية

الرافضون للمدينة ونظام الدولة القائم وجدوا الدولة تنتظرهم في أعماق فرنسا السحيقة

الاستقرار يحتاج الى تصريح تمنحه الدولة ، والى قرض يمنحه المصرف ، والى سوق يصرف فيه الانتاج ، والى تنافس يضمن الربح ، والى واقعية تلين الطبع وتخمد الفوران

وهكذا عاد شباب باريس الى الطبيعة ، فوجدوا في أعماق الغابة مؤسسات الدولة التى فروا منها في انتظارهم

العبرة

لماذا حدثتكم عن هذا الكتاب ياترى ، ولماذا قابلت صاحبه ؟ ! لأنه دراسة علمية جادة تثبت فشل الهجرة المادية مهما بلغت الحضارة المادية من تقدم تقني

قبل ١٤ قرنا من الزمان .

هاجر محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة حاملا ايمانه العميق ورسالته الخالدة ولحق به أصحابه حيث أسس معهم وبهم مجتمعا عادلا مالبث أن أطاح بالنظام الجائر القائم في مكة ، وأشرف على الدنيا بنور الحق ثم بقي ، وسيبقى هو النور والنار النار التي تحرق الظلم والنور الذى ينشر العدل ■■

محمد صالح القمودى

كتب جديدة

التحليل النفسي للذات العربية انماطها السلوكية والاسطورية

الدكتور علي ريعور

دار الطليعة ـ بيروت

● هدا كتاب شديد الطموح وبعيد الحراة ابتداء من موضوعه الشائك الشامل الدى يتناول الذات العربية عبر ما يحمله هدا التعبير من تعميم تاريخي وسوسيولوجي ومرورا بموضوعات الكتاب التي لا توفر حقلا الا وتعاطت معه من الدين الى الحس الى الطبقات الى الثقافة الى العائلة الى السلطة ، وانتهاء بالنتائج التي يخلص اليها ، وهي ليست من دلك الضرب من المقولات السائدة في مجتمعنا العربي سواء كانت محافظة تقليدية ، او نقيض دلك ، او وسطا بينهما

ولا شك ان هدا الكتاب سيحد من يختلف معه بشدة ، ولكن قارئ هدا الكتاب ، مهما كان موقعه وتوجهه لابد ان يغبط المؤلف على جرأته ، بعد ان يثق باخلاصه لقضية البحث

يقدم الكتاب ، كما في تذييل الناشر ، دراسة في الذات العربية ، من وجهة تكون انماطها في السلوك وذهنيتها الاسطورية ، قائمة على طرائق التحليل النفسي والمقاربات والانثروبولوجية ويتم التحليل النفسي ليس فقط على اريكة تمددت عليها الشخصية (النموذجية العربية) بل وداخل الانثروبولوجيا الثقافية واللاوعي الجماعي ايضا وانطلاقا من تمييز عدة انماط اجتماعية واكثر من قطاع حضاري داخل الشخصية ، يجري المؤلف عبر جلسات تعرفية تسع ، تحليلا لعدة اساطير ، وكثيرة من المعتقدات الشعبية والاحلام والرواسب الميثولوجية اللاواعية في السلوكات الفردية والعائلية ـ وتعيينا لبعض المشكلات والامراض النفسية عند المرأة والرحل ، مختتما برسيمة خطوط عامة للعلاج النفسي الد[illegible] على تعيير الحقل بالعمل العقلاني والديمقراطية

بقي ان نظرة المؤلف ، تكشف عن نزعة لـ[illegible] عربية ، لا تتنكر للتاريخ ، ولا تتجاوز شموليه الـ[illegible] الروحية والدينية ، ولكنها تصدر عن هدا المفهوم ، لـ[illegible] عمارة جديدة للانسان العربي بصحته العقلية وسلامته النفسية ، وقدرته المتجددة على الحضور في العصر والعقل في التاريخ

ديوان الحب

شعر عبد الرحمن الخميسي

دار ابن خلدون ـ بيروت

● ليس هذا الديوان الصغير ، ديوانا للوجد والوصا[illegible] والاحتفال بتدفق العاطفة ، كما قد يوحي عنوانه [illegible] انه في الحقيقة مرثاة انسانية كتبها الشاعر في النصف الثاني من عام ١٩٦٩ ، بعد فقد روحته

لا تحتل المرأة هنا دور شريكة الحدة والمصـ[illegible] والحبيبة فحسب ، ولكن دورها يتسع لكي [illegible] هو طيب ونبيل وشريف وبكل ما يجـ[illegible] الانسان ويجدد رغبته وعزيمته في الحياة انها [illegible]

...رة المصرية القديمة ، وهي الطهارة في عالم ... وهي الدعوة الى الحرية وسط حشد من القيود

...ضمن الديوان ست قصائد هي الليل الشاسي ، ... الالوان ، حبيبتي ، الاحلام ، أمام العراق ...لها للمحيمة التي تعتمل في وجدان الشاعر ، ...عالما موعودا يشبه صورة المرأة الغائبة أشهد هذا ... يشب ويسمو - يحضن ملء دراعيه الاشياء - ثم ...ب فتبيض ضفائره بالاضواء - ويظل النيل ...ي - بدر صبح مساء ، ويظل النيل كحسي - ...س سيطرة الموت (الاحلام)

... ملاحظة ان عاطفة الشاعر العميقة والمريرة ، ...بيه ، كما يبدو ، وبين الاحتفال الكافي بالصنعة والاداء الشعري الموحي ، حيث تطفو احيانا نزعة تقريرية ذهنية لا يجدها القاريء الا في النثر ما اجمل قلب الانسان - في حجم القبضة - لكن قدرته اكبر - من جبل يشمخ عبر الازمان

وفي مقطع آخر كان الحب قبيل رحيلك - جنة رضوان - كان ربيع حنان - كان السيمفونية - كان الرقصة درسا فيها - ايقاعات - ايقاعات ايقاعات - تنتفض الدنيا بخطانا - كالنغمات

ورغم هذه الملاحظة ، فان قاريء « ديوان الحب » يفرغ من قراءة الكتاب ، دون ان تغادر وجدانه ، تلك الصورة البهية الملفعة بالاسى ، لامرأة غائبة لكنها تنطوي رغم غيابها ، على وعد غامض بالحياة والتجدد

القرار الاسرائيلي - دراسة للقرار الاسرائيلي في حربي ١٩٦٧ - ١٩٧٣

ابراهام وعبر

دار القدس - بيروت

● يوصف مؤلف هذا الكتاب ، وهو يهودي اميركي ، بأنه من « الصهاينة المعتدلين » . يعمل استاذا بجامعة برستون الاميركية ، كما عمل أستاذا زائرا في الجامعة العبرية في القدس المحتلة

ترجم الكتاب ووضع مقدمته ، ميخائيل الخوري ، الذي يشير الى انه « اذا كانت عملية اتخاذ المقررات تستند الى معطيات موضوعية وطبيعية وبشرية مقدرة ، فان الجديد في ذلك اعتبار دراسة هذه المعطيات علما دقيقا كالرياضيات له دقائقه وآلاته وحساباته ، كما انه جديد ايضا في تصور كل مشكلة كأنها قضية بقاء او زوال » .

كتب جديدة

يتخذ هذا العلم مساره عند المؤلف ، في دراسته للبيئة وصنع المقررات ، وهذه تنقسم الى قسمين البيئة الميدانية وتشمل الاعتبارات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، ثم البيئة النفسية او الطريقة التي يظهر بها الواقع الموضوعي لكل فرد من صانعي المقررات الاسرائيليين المعنيين ، وتندرج ضمن هذه البيئة النفسية دراسة مفاهيم الواقع أو كيفية رواية الاخبار المتنوعة وتفسيرها من قبل الافراد المتصلين بعملية صنع المقررات

هذا المسار ، طبقه المؤلف ، من وجهة نظره الصهيونية ، وبطريقته الخاصة ، في دراسته لحرب ١٩٦٧ ، التي خصص لها ١٥٠ صفحة من الكتاب ، فيما خصص لحرب ١٩٧٣ اقل من ٤٠ صفحة ، بدعوى عدم توفر بعض المعطيات الضرورية الا أن المؤلف لا يفتك يؤكد أن المقررات المتخذة عام ١٩٧٣ كانت كمقررات ١٩٦٧ نتيجة لعملية تقرير عقلانية من قبل حكومة اسرائيل وفي الحالتين (الحربين) تم الوصول الى المقررات التي اتخذت من قبل أناس عقلانيين انتقوا الاختيارات التي رأوا انها الفضلى نتيجة للعملية القياسية في الاختيار العقلاني

الى ذلك ، يكشف الكتاب ، اضواء كافية على فضح اهداف الصهيونية وايضاح الاسلوب الدموي لاتخاذ المقررات ، ووعي الصهيونية لدورها المعادي لاهداف منظمة الامم المتحدة ، واعتماد الحرب وسيلة دبلوماسية ، كما كان الامر بالنسبة للدول الاستعمارية والفاشية والنازية قبل هيئة الامم

واذ يفرغ القارىء العربي من قراءة هذا الكتاب الموجه للجمهور الاسرائيلي والعالم معا فان قناعته تزداد بالجوهر العنصري والعدواني للصهيونية ولا يسع القارىء العربي والحال هذا الا تحقيق طموحه بمعرفة كيفية اتخاذ القرار العربي الذي يتعلق بمصيره ، ولعل الزمن لا يمتد اكثر مما امتد ، قبل تحقيق هذا الطموح الشرعي

التحديث في المجمع القطري المعاصر

تأليف الدكتورة جهينة سلطان سيف العيسى

شركة كاظمة للنشر ـ الكويت

● هذا الكتاب هو في الاصل اطروحة نالت عليها المؤلفة درجة الدكتوراة ومن هنا يلاحظ القارىء الطابع الاكاديمي « الشديد » للكتاب . واحتشاده بالجداول والاحصائيات فضلا عن لغة الكتاب التي جاءت « قلقة » في مواضع عديدة ، نظرا للحرص على الدقة وتنظيم الافكار

يعتبر هذا الكتاب رائدا في مجاله ، كما ينوه الى ذلك د محمد الرميحي في توطئة الكتاب ، خاصة وان مؤلفته تنتمي للمجتمع موضوع البحث يتناول الكتاب بالبحث ثلاثة موضوعات تحددها المؤلفة كالتالي

الموضوع الاول تحليل التحديث باعتباره عملية وهدفا معا ومن خلال التغير في المجتمع

الموضوع الثاني دراسة التفاعل ، التعد

ـديث باعتبار ان التحديث يتم على حساب
ـد ، مع مراعاة التفاعل والتداخل بينهما ، والدمج
لاصالة والمعاصرة التي تشكل اهم خصائص
ـصية الخليجية

ما الموضوع الثالث فهو البحث في مدى صدق
، التحديث باعتبارها ظاهرة في المجتمع القطري على
صناعة النفط ، وذلك على اعتبار ان العمل في
ـة صناعية يؤدي الى تحديث الفرد متمثلا في تغيير
والاتجاهات

وقد خصصت المؤلفة قسمين احدهما نظري والاخر
ي في معالجة هذه الموضوعات الجانب النظري
يتضمن اربعة فصول في مفهوم التحديث واشكاله
وديناميته ، واتجاه تحديث البناء الاجتماعي وتحديث الفرد
مع دراسات عن التحديثين

اما الجانب التطبيقي فيتضمن دراسة « على » عمال
صناعة النفط في قطر ، بالاضافة الى فصلين عن اهمية
البحث الميداني وخطة البحث وفروضه وتصميمه
الخ ، ثم نتائج الدراسة التي خرجت بها الباحثة ، وفي
مقدمة هذه النتائج عدم تحقيق الفرض الاساسي للبحث
وهو ان المصنع والعمل في بيئة صناعية يؤدي الى تحديث
الفرد بدرجة عالية وانما التحديث ظاهرة عامة تميز افراد
المجتمع القطري وهي العامل الذي يؤدي الى التغيير
والدينامية »

بير الشوم

فيصل حوراني

دار الكلمة للنشر ـ بيروت .

● هذه الرواية هي العمل الثاني لمؤلفها الفلسطيني
ل حوراني ، بعد « المحاصرون » تدور احداثها ، في
من أشد الفترات مأساوية في تاريخ فلسطين
ـر ، وهي فترة ايار ١٩٤٨ التي انتهت بتشريد
ـب عن ارضه الوطنية تتحدث الرواية عن الناس
ـين الذين دهمتهم احداث طاغية ، فبدلت
ـرهم ، ووضعتهم على طريق كان ما يزال اذاك

ـقدم « ـير الشوم » ، من وجهة نظر الوعي الذي
ـ حل ١٩٤٨ في ما تلا من سنوات صورة تلك
ـاة ازا ـاساة التي كانت مواجهتها أكبر من قدرات
ـ في ـ الفترة

وقائع ـيخ ترسم اطار هذه الرواية ، وذلك بمقدار
ترب الوقائع وتأثرت بحياة الناس الذين تسرد
الرواية قصتهم في الصفحة الاولى من استهلالها ،
يطالع القارىء راوية يسري لاداء دور من يتناول
الاحداث ويتداول الوقائع وقد احتفظ بمسافة ما ، تمكنه
من الادلاء بشهادته باوضح ما يمكن وبعد الاستهلال
ينفتح عالم رحب ، هو عالم الاشخاص والاشياء الحياة ،
والعراك مع المصير

ولد المؤلف في احدى قرى غزة عام ١٩٣٩ ، واضطر
الى الهجرة منها مع اسرته الى دمشق في عام ١٩٤٨ وفي
كلمة الناشر على الغلاف الاخير اشارة الى ان الكاتب
ليس مبهورا بفنون الادب وما فيها من جديد لانه لا
يفصل بين الحياة والتعبير عنها فيرى الادب حياة
هضمها الكاتب فصارت وعيا ورؤية تعبر عنها
وترسمها الكلمات باسط الاساليب واكثرها قدرة على
الايصال

* *

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٥ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول ابريل (١٩٨٠)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم امام شيعي معروف .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من العناصر الكيميائية ـ فلكي عربي اخترع البندول ووضع « الزيج الحاكمي »
٢ ـ أوبرا لفيردي ـ زمن قصير ـ من الزهور
٣ ـ يخصّنا ـ غازي تتري شهير
٤ ـ رمز حبري ـ من الأدوات الهندسية ـ قعدت
٥ ـ صوت الذباب ـ أحصي ـ من الأشجار
٦ ـ ابن يوليوس قيصر بالتبنّي ـ في احدى مراحل العمر
٧ ـ من الخضروات ـ لا يذاع ـ تفوّق
٨ ـ من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام
٩ ـ من الاخشاب ـ من أوجه القمر ـ مساندة ـ حرف نفي .
١٠ ـ تغضب ـ في الكف ـ يشتان
١١ ـ للتعريف ـ شاق ـ أغيرّ ـ نبات عطر
١٢ ـ نصف كلمة (توفيق) ـ من أعضاء بدني

١٣ - كثير - مؤسس اسرة حاكمة ليبية
١٤ - عاصمة أوربية - للتفسير - يعرض
١٥ - حَبّة - مشروب - حسم

الكلمات الرأسية :

١ - تلميذ سقراط - أول رئيس جمهورية تركي
٢ - دبلوماسي ومكتشف حضراي نرويجي شهير - ... وا
٣ - قرا... لعون - تجدها في كلمة (فيافي)
٤ - مر... القرآن الكريم - للنسيج - زجاجات
٥ - لا... م - شدّ فمه لئلا يعضّ أو يأكل - عسى - ... كلمة (عليه)
٦ - حرف ندبة - مرّ - من الظواهر الجغرافية
٧ - آلة نفخ موسيقية - في الفم - مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام
٨ - امام شيعي معروف
٩ - من المحيطات - صاحب - أعجب
١٠ - في فن الشعر - قادم - جارح
١١ - يبقى - من الانبياء
١٢ - يبدّل المقام - من الحبوب - واضحة
١٣ - أول من اتخذ باريس عاصمة لملكه - من المحاصيل الزراعية
١٤ - مهج - الاسم الجديد لسيام - جوهر
١٥ - من الامراض - الانحياز الى جانب - من الصخور النارية
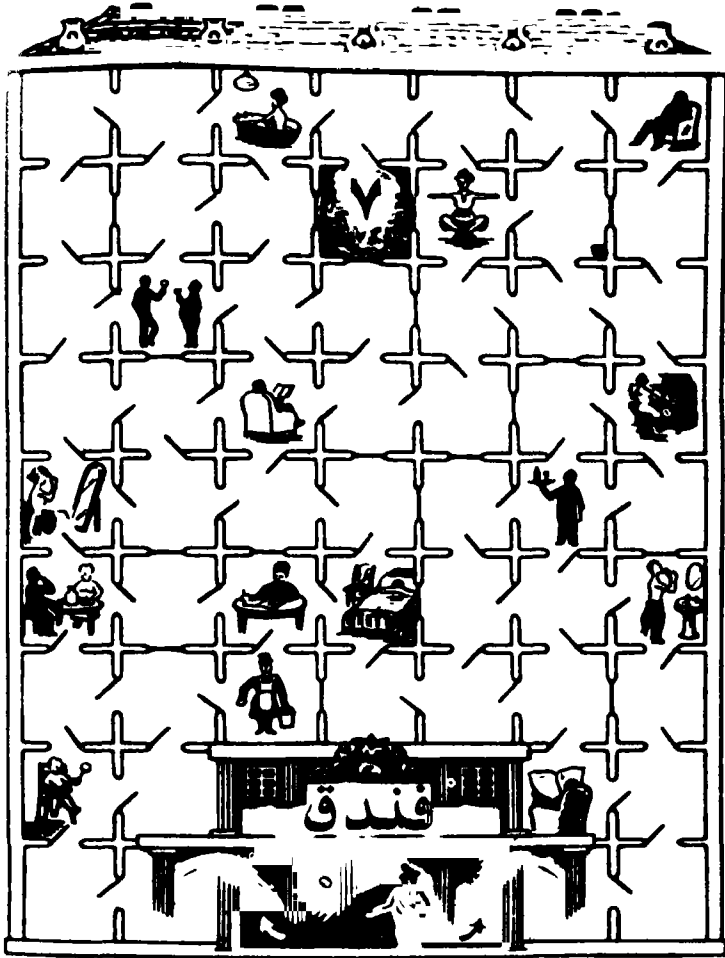
الفندق العجيب

في هذا الفندق العجيب ، تعطّل المصعد ، بينما كانت تدور أعمال الصيانة في الدرج فشعر النزلاء أنهم وقعوا في مأزق قال لهم مدير الفندق ، أن الفندق العجيب مصمّم بحيث توجد في كلّ حجرة أبواب تسمح للشخص أن يمر من المدخل الى غرفته عبر باقي حجرات الفندق . هل تستطيع أن تعرف الطريق الذي سلكه نزيل الحجرة رقم ٧ ، من باب الفندق حتى وصل الى حجرته ، مارا بأقل عدد من الحجرات التي يشغلها النزلاء ؟

مكتشف الدورة الدمويّة

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها بحيث تصنع الاسم الأول للعالم الذي اكتشف الدورة الدموية في الجسم ثم انقل الحروف التي في المربّعات التي بها النجوم ورتّبها لتصنع لقبه

الكلمات الأفقية :

١ ـ ثمرة من الحوامض
٢ ـ أستعيد
٣ ـ نصف كلمة (يبكت) ـ أرشدا
٤ ـ كثرة
٥ ـ حرف أبجدي ـ سئم
٦ ـ تقاربا

الكلمات الرأسية :

١ ـ مبتكر صناعة السينما الناطقة
٢ ـ ينتفع
٣ ـ نصف كلمة (متين) ـ أطال النظر
٤ ـ من الزهور
٥ ـ من الاقارب ـ مقام موسيقي
٦ ـ وحدة قياس زمن (معكوسة)
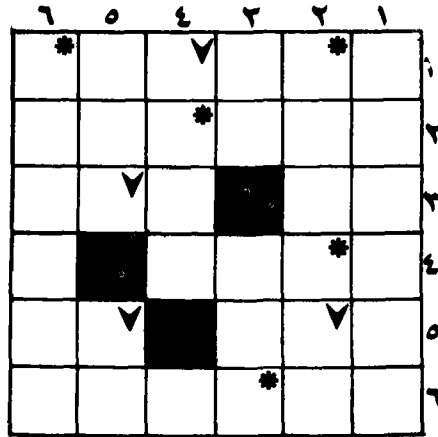
● اختبار معلومات ●

أين الصواب .. وأين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع أن تميّز بينها ؟

١ ـ جلد الماء حيوان ثديي
٢ ـ جون كاي نجم أغاني البوب الامريكي
٣ ـ جورج فوكس مؤسس جماعة الكويكرز
٤ ـ جليبكا حيوان قطبي
٥ ـ جامكسان . مبيد حشري
٦ ـ جتلاند معركة بين الاسطول البريطاني والالماني في بداية القرن العشرين
٧ ـ جريبادا فصيلة من الاغاني الاسبانية القديمة
٨ ـ ترومبون آلة نفخ موسيقية
٩ ـ بادوليو مارشال ايطالي معروف من الحرب العالمية الثانية
١٠ ـ بوتسدام اجتماع علمي شهير في اعقاب الحرب العالمية الثانية
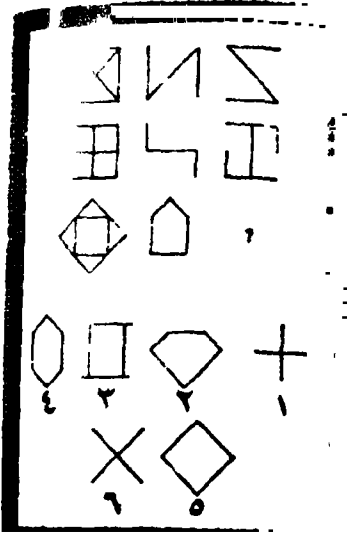
الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويه حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام ، تحل محل علامة الاستفهام

الحلول

النحمة والسهم

وليم هارفي

أين الصواب وأين الخطأ ؟

كلّها صحيحة فيما عدا
(٢) جون كاي مخترع المكوك الطائر في صناعة النسيج
(٤) جليبكا مؤسس فن الاوبرا الروسية
(٧) جريبادا من جزر الهند العربية

الشكل المطلوب :

رقم ٢

١٢٥

من المسرح الإيرلندي - ٢

القيثارة الحديدية

تأليف : جوزيف أوكونر
ترجمة وتقديم : د. أحمد سيد الهادي
مراجعة : د. علي الراعي

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

مارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات
نوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى
كثر من ١٠٠ سنة نمدكم بتسهيلات ايداعية
ود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار
ضمان لأموالكم لدينا ودائع لأفراد
مؤسسات من جميع انحاء العالم

١٥٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة

تاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم

دم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة

داع دو الأخطار

د ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في
ر المدة المتفق عليها تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب

داع دو مدة محددة

د ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني لمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة تدفع
فائدة نصف سنوية أو سنويا

داع دو دخل منتظم

د ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل
صف سنة وسنة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختاروها تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة
الخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة

تفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم

Lombard North Central
Bankers

إلى

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD , DEPT W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND
Telephone 491 7050

الاسم : ________________________

العنوان بالكامل : ________________________

____

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب دولة الكو[يت]

فبراير - شبا[ط]

١٩٨٠

مصر وفلسطين

تأليف :

الدكتورة عواطف عبدالرحمن

٢٥٠ فلس

الكتاب السادس والعشرون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآد[اب]

ص ب ٢٣٩٩٦ الكو[يت]

٢٥٦ - ربيع ٢ مارس
(آذار) ١٩٨٠
مضيق
بوابة
الحرب
لاصالة في الفن الشعبي الكويتي
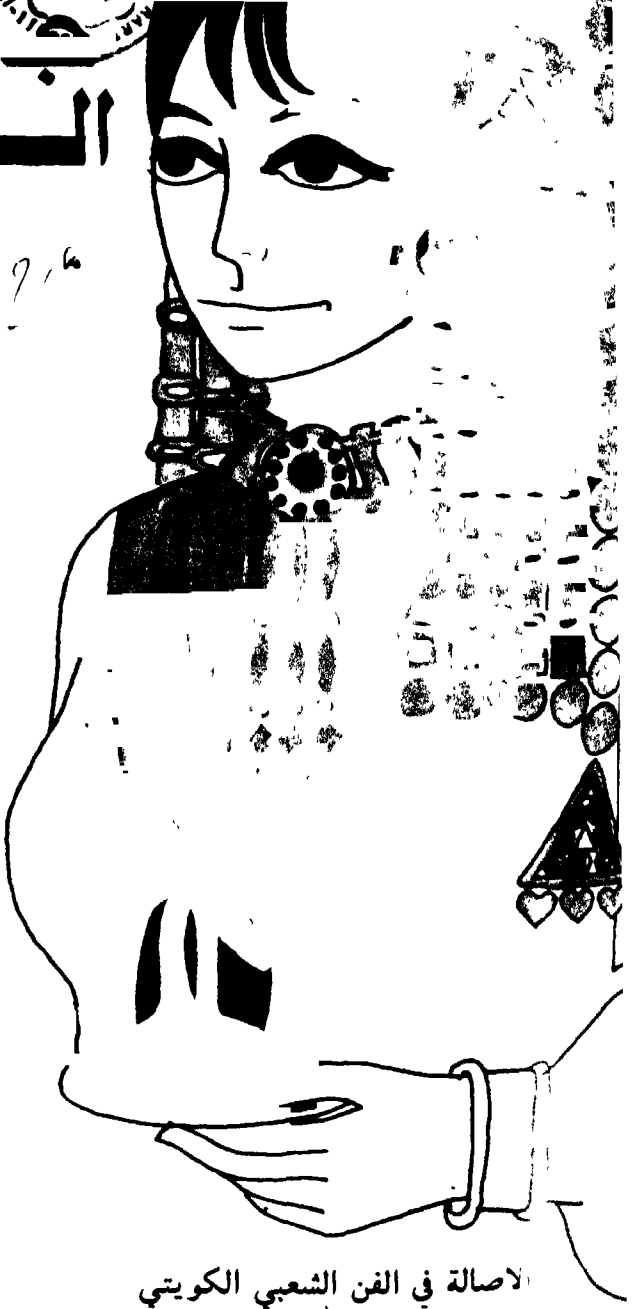
عزيزي القارئ

كانت بعثة العربي هي اول بعثة صحفية تطير فوق مضيق هرمز بطائرة هليكوبتر خاصة ، لتقدم استطلاع هذا الشهر ، بينما عيون العالم مشدودة الى ذلك المضيق المائي ، والكل يسأل هل يصبح المضيق بوابة الحرب العالمية الثالثة ؟

لم تكتف بعثة العربي برصد وتسجيل المضيق من الجو ، بل حطت طائرة البعثة في ابرز مواقعها ، لتدقق على الطبيعة في هذا المسرح المثير ، وتنقله الى القارىء كما هو ، ومن واقع مشاهدات ومعاينات بعثة العربي ، وليس من خلال اعين الآخرين او رواياتهم ، واغلبهم ان لم يكن كلهم غربيون او غرباء

حطت طائرة بعثة العر لي الاخص في جزيرة سلامه وبناتها ، على مدخل الخليج.وعادت فحطت زيرة الغنم التي تبني فيها عمان قاعدتها العسكرية للدفاع عن الخليج هناك ، التقطت اول صور في العالم تشر للجزيرة والقاعدة

وهذا الجهد الذي تقدمه العربي على صفحاتها لا يستهدف فقط تسجيل سبق صحفي ، او الاقتراب من مواقع الاحداث الساخنة ، ولكنه بالدرجة الاولى محاولة من العربي لكي تنقل قارئها الى المراكز الاستراتيجية والاعصاب الحساسة ، حول العالم العربي وحتى في داخله

ومن هذا المنطلق قدمت العربي « نهر الليطاني » ، في شهر ابريل (نيسان) الماضي ، ومنه ايضا ذهبت ـ في استطلاع الشهر المقبل ـ الى مضيق جبل طارق ، مفتاح البحر الابيض القابع وراء ظهر العالم العربي .. ومن هذا المنطلق ايضا تواصل العربي خطوات اخرى سنعلن عنها في حينها .

وسيظل هدفنا في مثل هذه الاستطلاعات وغيرها من مواد العربي ، هو ان يعيش القارىء العربي عصره ليكون مؤهلا لصنع مستقبله .

« المحـــرر »

صورة الغلاف

● في مناسبة احتفال الكويت بعيدها الوطني ، سجل الفنان بهجت عثمان بعض المعالم الاصيلة في المجتمع الكويتي ، ومنها هذه اللوحة على غلاف التي تصور « الزينة » عند المرأة الكويتية (ص ٦٧) ومع اللوحة صوره من الجو لمضيق هرمز قضية الساعة واستطلاع الشهر (ص ٧٨)

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

اداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

ملك اراوكانيا

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج . م . ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢,٥ دينار . المغرب ٢,٥ درهم . اليمن ٢,٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 256 -- March 1980
P.O Box 748 -- KUWAIT

بقلم : أحمد بهاء الدين

هل يجب علينا أن نعيد كتابة تاريخنا ؟

لم اكن أتصور في الحقيقة أن هذا سؤال يمكن أن يطرح ، دعك من أن أحاول جعله موضوعاً للكتابة ، وشغل القارىء به .

الغريب أن اكثر من جريدة أو مجلة ، في اكثر من بلد عربي ، طرحت هذا السؤال وان الكثيرين من الكتاب والمفكرين في بلادنا استجابوا للدعوة وخاضوا في ردود مختلفة عليه

وكنت من بين الذين وجهت اليهم السؤال اكثر من جريدة ومجلة . واكثر من برنامج اذاعي واعتذرت لها كلها عن الرد ، على اساس ان هذا موضوع لا يحتاج الى مناقشة وان فيه من تضييع لوقت القارىء أكثر مما فيه من جوانب حقيقية تحتاج للمناقشة

وكان في ذهني أمران بديهيان .

الامر البديهي الأول هو أن التاريخ ليس شيئا يكتب مرة واحدة . ولكنه مادة تكتب عشرات المرات ، وتعاد كتابتها باستمرار سواء بسبب ظهور معلومات مستجدة عن أي

جون كيندي

محمد تراقي

صفحات التاريخ ، أو بسبب تطور في مذاهب التاريخ وفلسفاته ، وظهور ادوات فكرية جديدة تستخدم في فهم التاريخ أو بسبب أبسط وهو ظهور أي كاتب أو مؤرخ يجد في نفسه القدرة والرغبة على ان يدلي بدلوه في التعرض لموضوع ما من موضوعات التاريخ .

أليس من المألوف أننا اذا اردنا الرجوع الى موضوع من موضوعات التاريخ أن نعود الى الفهارس فنجد عشرات الكتب أو مئاتها ، حسب أهمية الموضوع ، المكتوبة عنه ؟

كتابة التاريخ اذن . تاريخ فرد أو أمة او عالم عملية بطبيعتها متجددة ، لا يصدر قرار بشأنها ولا يصدر قرار بايقافها وليس في هذا جديد ، كل ما في الامر أن الشعوب في مراحل يقظتها الفكرية تزداد اهتماما بتاريخها ، تماما كما تزداد اهتماما بحاضرها ومستقبلها ، فاليقظة لا تكون الا شاملة وبالتالي تشتد حركة التأليف عن التاريخ ، ويزداد الناس اقبالا على قراءته وفي حالات الجمود تنام الأمم عن ماضيها ومستقبلها معها تستسلم لما وجدته مكتوبا عنها من قبل ، ولما ترى انه مكتوب لها » في المستقبل

الامر البديهي الثاني . هو انه كما ان التاريخ ليس شيئا يكتب مرة واحدة ، كذلك فانه ليس شيئا تكتبه جهة واحدة

ولعل هذا الامر الثاني أكثر بديهية من الأمر الأول فليس هناك فرد ولا جهة ولا دولة ولا دول تحتكر كتابة التاريخ حتى ولو كان تاريخها ، فلو أراد أحد أن يكتب عن تاريخ العرب

او الصين او بلاد واق الواق فلا يوجد أحد يملك منعه من ذلك . ولا يملك فرد ولا مجـ ان تمنع الغير من الكتابة عنه ، وكلما كانت الحضارة غنية تعدد جنسيات الذين يكتبون عـ س ان جامعة امريكية مثلا قد تنفق الملايين لترسل علماءها الى ابعد بلاد الدنيا لعمل حفريات ودراسات تاريخية عن موضوع لا صلة لها به ذلك ان التاريخ والحضارات ملك مشترك للمعرفة الانسانية كلها . ومرة اخرى ، نجد أن الشعوب كلما زادت تقدما ، صاحب ذلك اهتمامها بحضارات العالم كلها ...

في مصر نجد ان الذين اكتشفوا حجر رشيد وفكوا اسرار اللغة الهيروغليفية ، فرنسيون والذين كشفوا آثار وكنوز توت عنخ آمون انجليز والذين ينقبون عن آثار مدينة الفسطاط القديمة من جامعات امريكية وحضارة العرب أشبعها « المستشرقون » كتابة وتحليلا . ونحن ترجمنا عنهم واستفدنا بهم وهم روس والمان وانجليز وفرنسيون وهولنديون الى آخره

واصحاب أي تاريخ يفرحون باهتمام الآخرين بهم فما كان كل هؤلاء المستشرقين مثلا ليهتموا بالحضارة العربية ، ويقيموا لها مراكز الابحاث في جامعاتهم واقساما خاصة في متاحفهم لولا انها حضارة غنية وتاريخها مهم وأنها حلقة جوهرية في التاريخ الانساني كله

هاتان البديهيتان ، الواضحتان للعيان لا تحتملان اي مناقشة او جدل او خلاف كانتا السبب في « رد فعلي » هذا ازاء الموضوع كله واعتذاري عن مجرد مناقشته

على أنني بعد أن استنفدت المناقشات نفسها وطويت صفحاتها ، وجدت نفسي أتأمل الموضوع من زوايا اخرى طرأت على البال بعضها ظاهر للعيان ولكنه قد يحتاج الى تفسير ، وبعضها اثارته التأملات في خاطري ، مما وجدت انه قد لا يكون من ضياع الوقت أن أشغل القارىء بها ، ووجدتها تعرض نفسها على فرضا ساعة جلست الى الورق أكتب هذا الحديث

عدم ثقة الناس في الحكومات

ينسب المؤرخون الى بعض فراعنة مصر القدامى ، قبل آلاف السنين ، وحين كان التاريخ يسجل عن طريق حفر نقوشه حفرا على الحجر الصلد انهم كانوا يمحون ما سبق أن حفره اسلافهم ويعيدون كتابة بعض الاحداث ناسبين الى انفسهم معارك لم يخوضوها ، وانتصارات لم يحرزوها وأعمالا لم يقوموا بها سواء كان طمسا لحكام سابقين عليهم ، او انتحالا لفضل لاحق لهم ـــ

وفي الثلث الاول من القرن العشرين . وبعد أن مات لينين قائد الثورة الروسية ، ـــ عنيف على السلطة من بعده بين أبرز رفيقين له وهما ستالين وتروتسكي ، انتهى بانتصـ ـــ

ر,سكي من البلاد   عرفنا أن ستالين عاد الى وثائق الثورة ، بسلطة الدولة يمحو منها كل
ا، قام به تروتسكي للثورة   وظهرت من الكتب ودوائر المعارف طبعات حديدة تعيد شرح
الثورة بطريقة أخرى تمحو اثر تروتسكي أو تشوه دوره ، حتى اللوحات الزيتية التي رسمها
ن لاحداث الثورة ومواقفها الحاسمة وعلقت في المتاحف العامة ، اعيدت الريشة اليها
وحه تروتسكي حيثما ظهر في أي موقف منها . بل ان عددا من الصور الفوتوغرافية الهامة
شيف أجريت عليها تعديلات في الاتجاه ذاته

ن ممن بعض فراعنة الاسرة الأولى قبل أربعة آلاف سنة   الى قيادة اوروبية حديثة قبل
سنة   وقع نفس الشيء ، وتحت محاولة « اعادة كتابة التاريخ » بصورة واحدة !

؟ شك ان العادة لم تنقطع تماما بين هدين النموذجين اللذين تفصل بينهما أربعة آلاف سنة .
، أو بأخرى .

بالتالي فان النفس الانسانية ، او نفسية « السلطة » والشعور بسطوتها حين تمتلك الشر ،
لامح متشابهة ، مستمرة ، عرضة للتكرار

دلك ، فمن الطبيعي ان يشك الناس في كل ما هو « تاريخ رسمي » وبالتالي ، فحين يذكر
ع إعادة كتابة التاريخ   ويشتم منه رائحة ان الدعوة موجهة الى « الدولة » لتعيد هي كتابة
ح فالمناقشة تصبح واردة ومن السهل أن نلمح في المناقشات تيارا يحرض الدولة على أن
دلك وتيارا اخر يعارض هده الدعوة ، لاشتباهه في انطوائها على هدا التحريض للدولة
وقد انتشرت بالفعل « موضه » تكوين اللجان الرسميه المكلفة باعادة التاريخ في اكثر من
ي

نحن نعرف في قاموسنا الحديث عبارات « الرقابة على الصحف والكتب » و « الحظر على
» و « مصادرة المطبوعات » ، وأحيانا حتى التشويش على موجات الاذاعة ، ولكن هذه
، حديثة ، ظهرت لمواجهة وسائل حديثة لنشر المعلومات ، ولكن قبل ظهور الطباعة والصحافة
عه ربما لم تكن تلك الوسائل المضادة غير موجودة لعدم وجود مبرر لها ولكن مبدأ اخفاء
ت بوجه أو باخر ، لا شك أنه كان موجودا في نظم المجتمعات الانسانية عبر التاريخ كله ...

ان الكتمان في الأزمنة الماضية كان أسهل فالتاريخ كان يدور في قليل من الدور
، والاحداث كانت تتم داخل جدران قلاع بعيدة واماكن محرمة إلا على القلة الموثوقة ،
معرفة الأخبار لا تتم الا بالنقل الشفوي وتتواتر الروايات من شخص لآخر ، مع كل ما تمر به
لك من تحريف مقصود او غير مقصود . لذلك كانت معرفة الناس بسيطة ، دعك عن

المؤرخين الذين يأتون بعد دلك بمئات السنين . يحاولون تجميع ملامح الحدث او العد ... عو ...
بالغة ، ومن شواهد نادرة وحتى الآن يعثر الناس على وثيقة أو على مخطوط أو على ... حجر
فتقلب تاريخ عصر كما نعرفه رأسا على عقب وتلعب المصادفات في ذلك دورا كبيرا

فهي علاقة بين السلطة حين تكتب وبين الناس حين تتلقى ، قديمة والشكوك في ... منذ
أقدم صفحات التاريخ

وحتى حين جاء العصر الحديث ، غير الكثير جدا ، ولكنه لم يقض على الظاهرة أو لم يقلل ...
الشك الموجودة دائما لدى اناس

لقد صارت الصحف والاذاعة تعلن الانباء يوما بيوم والكاميرا أو التليفزيون ينقلها حية الى
عيون المشاهدين وبعض الدول صارت ترفع السرية عن أوراقها الرسمية بعد خمسين أو ثلاثين
سنة ، لمن شاء أن يقرأ ويدرس وينشر وانتشرت ظاهرة نشر المذكرات فكل من عاش قصة هامة
سرعان ما ينشر مذكراته عنها بمجرد تركه لوظيفته بل صار مسئول - مثلا - في أخطر موضع مثل
كيسنجر ، يتعاقد على نشر مذكراته حتى قبل أن يترك وظيفته وذلك تحت اغراء المبالغ الكبيرة
التي صارت تدفعها دور النشر وتصل الى ملايين الدولارات ، وهو أمر لا نعرف هل هو مفيد ،
صار فكل رسمي ، في ادق مباحثات مثلا ، صار يعرف ان حديثه السري سينشر بعد سنوات
وهو ما زال على قيد الحياة

واذا كانت « الندرة » هي مشكلة العصر القديم ، فالكثرة هي مشكلة عصرنا الراهن ومن
أحرى صار كل رسمي يحب أن يشرح رأيه ويرسم صورته للتاريخ قبل أن يرسمها غيره وبالتالي
فهو يلون ما يكتبه بالالوان التي تناسبه وان لم يكذب صراحة ، فهو على الاقل يحذف ما لا
يريد له أن يذيع

وخلال كتابتي هذا الحديث على سبيل المثال ، كنت اقرأ - كعادتي - عدة كتب في وقت واحد
مذكرات هنري كيسنجر - مذكرات ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الاسبق - مذكرات موشي ديان
وزير خارجية اسرائيل السابق - مذكرات اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل السابق

وكنت اقرأ عن مواقف شهدها الاربعة ، وكانت بين الروايات الاربع خلافات أحيانا
وتناقضات تامة احيانا اخرى والاربعة احياء ، وما يروونه لم يمر عليه سوى سبع سنوات

فهل يا ترى مُهمة المؤرخ ، امام الندرة القديمة كانت اصعب .. ام انها امام هذه الكثرة الحديثة
هي الاصعب ؟!

وايهما اكثر بعدا عن الحقيقة الرواية او المشاهدة ، ام « الطرف » وصاحب الدور في ...
الذي يهمه اكثر تلوين صورته باللون الذي يريد ...

من الصادق ومن الكاذب ؟

التاريخ لا يكتب بقرار

وسواء في المجتمعات التي يشتهر عنها الوضوح الشديد ، او الغموض الشديد ، فما زال ممكنا ان تبقى الحقيقة مستترة ولو فترة من الزمن بفعل السلطة الرسمية او بفعل جهات ذات قوة ونفوذ في مجتمع ما

كنت في امريكا مرة ، وكعادتي في زيارة لبعض الجامعات ، حضرت محاضرة في جامعة « كارنيجي ـ ميلون » في بتسبرج وكانت المحاضرة عن المسرح .

وكان الاستاذ يقول ان من اسباب ازمة المسرح في العالم ان الدراما التي يراها الناس حية على شاشة التليفزيون تلغي أي دراما أخرى في المسرح يدخل الرسول ويروى ماحدث للملك ببلاد كذا مثلا ولكن الآن ـ يقول الاستاذ ـ رأي الناس على شاشة التليفزيون ، على الهواء ، حادث اغتيال الرئيس جون كينيدي كاملا وزادوا بعد ذلك حادث اغتيال القاتل « لي هارفي ازوالد » على شاشة ساعة وقوعه

بعد استطراد حول هذه القضية الفنية ، نعود الى سياق حديثنا عن التاريخ ونسأل ان شاهدوا الاغتيال يتم على شاشة التليفزيون وهم في منازلهم ورأوا القاتل وهو يغتال بدوره

ولكن ، وبعد مضي ثمانية عشر عاما على مقتل جون كينيدي ما زال المواطن الامريكي يسأل من قتل جون كنيدي ؟

وكلما مر الزمن زادت الشكوك وكل سنة تتكون لجنة جديدة لأنها عثرت على حديد
والانقسام مستمر حتى بين الخبراء حول ما اذا كانت رصاصة اروالد هي التي قتلته ، و ما اذا كان
هناك رصاصة ثانية من جهة ثانية هي التي قتلته

رغم ان القصيه بحثها أكبر القصاة في امريكا ، ولكن المواطن ظل يعتقد ان « السلطه » تخفي
عنه شيئا ، وان جهات ما لا مصلحة لها في القطع بالحقيقة !

وسيضاف هذا الى سؤال مشابه ، معلق منذ حوالى مائه سنة ، هو من الذى قتل ابراهام
لنكولن عشية انتصاره في حرب تحرير العبيد في امريكا ؟

وفى نظام اخر وحدث اخر يسأل العالم من الذي قتل محمد تراقي الذى قاد الانقلاب
الماركسي الأول في افغانستان قبل اقل من سنتين ؟

لقد قالت السلطة في عهد خلفه انه مات بمرض مفاجيء ، فلما وقع انقلاب اخر على خلفه
ـ حفيظ الله امين ـ وجاء بربراك كارمل ، قالت السلطة ان حفيظ الله امين امر بقتله وانه مات
قتلا ، وليس مرضا

ما هى الحصيلة

الشك لدى الناس فيما يصدر عن السلطه ادن قديم وهو مستمر

وبالتالي كان لابد ان يمتد الشك الى كل مشروع تتولى فيه السلطة كتابه التاريخ او
كتابة التاريخ او « اعادة اعاده » كتابه التاريخ

ولذلك فانه من الحق ان يعجب المرء من كتاب ومؤلفين يطالبون الدوله بكتابه التاريخ
لماذا لا يكتبون هم ما يرون وما يريدون من تاريخ ويلقون بما يكتبون في خضم
الكتابات التاريخية ؟

ولا اعتراض طبعا على ان تقوم الدولة بكتابة ما تشاء من تاريخ ، ولكن لا لكي يكون ـ
يريد البعض ـ القول الفصل والحكم القاطع ولكن لكي يكون مرجعا من المراجع لا اكثر
اقل

ان الدوله ـ اى دوله ـ تساهم في كتابة التاريخ بقسط وفير

فالدولة هي التي تكتب التاريخ الذي يدرس في المدارس اي تكتب المقرر الذى يد
ويدرسه كل طفل منذ سن الطفوله حتى الشهادة الثانويه ، وعلى الاغلب الجامعيه

والدولة هي التي ترعى المشروعات الكبرى كالموسوعات ودوائر المعارف وطبع كـ
وهو نوع من كتابة التاريخ بحكم الانتقاء ، وبحكم النشر

وهذا يكفي

اليزابيث تايلور
كليوباترا ؟

كيرك دوجلاس
سبارتاكوس ؟

وما يمكن ان يطلب من الدول هو ان « تسهل » كتابة التاريخ ان تمكن المؤرخ من ممارسة عمله ان تمول الحفريات والتنقيب والبحث ان تنظم الوثائق الممكن نشرها وتضعها حيث الاطلاع عليها والاستعانة بها

وفى امريكا صار تقليدا ان كل رئيس دولة ، بمجرد تركه الحكم ، يضع كل اوراق عهده فى مكتبة مستقلة . وقد يسمح للباحثين بالاطلاع فورا على جزء منها ، ويوصي صاحب الاوراق بابقاء بعضها سرا عشر سنوات او عشرين سنة . ولكنها تصير الى ملكية الامة على اى حال

ولكن كتابة التاريخ بعد ذلك قضية شخصية

فحتى اذا كانت « الوقائع » ثابتة ومتفقا عليها فان التاريخ ليس سرد وقائع ولكن هو وضع الوقائع فى اطار معين ، وتحليلها فى ضوء منطق معين فالتاريخ فى أرقى صوره وجهة نظر ، الحقيقة فيه ملك القارىء ؟ ووجهة النظر ملك الكاتب المؤرخ وهناك وقائع تاريخية كبرى ثابتة ، يتخاصم المؤرخون على تحليلها طيلة الف سنة !

السينما لم تعد كتابة التاريخ !

ومن الخواطر المتصلة بهذا الموضوع ، اننا لو دققنا النظر فيما حولنا ، وفى خضم الادوات التكنولوجيه المتاحة فى العصر الحديث ، وفى عصر ديمقراطية المعرفة بمعنى وصولها الى الجميع حتى الاميين ان لم يكن بالقراءة فبالسماع او بالمشاهدة نجد ان امامنا مشكلة اخرى تحتاج الى تدبر فى ما يجرى كل يوم من اعادة لكتابة التاريخ !

- الان جانبا الكتب والمؤلفات العلمية والوثائق والمذكرات ، وكل ما يخطر على البال حين نتحدث عن كتابة التاريخ ، او لكي نستعمل عبارة اوسع « اعادة صياغة التاريخ »

ما القول في افلام السينما التاريخية ، بالوانها ، والشاشة « السينما سكوب » ، وحـ ... على مئات ملايين المشاهدين في العالم من كل المستويات في الاعمار والمدارك والثقافه

ما القول في الحلقات التليفزيونية المسلسلة التي تتحدث عن التاريخ وتدخل كل ...

ما القول في المسلسلات الاذاعية التاريخية ؟

ما القول في الروايات المكتوبة ؟

ما القول في مجلات الأطفال وكتب الاطفال ورواج ذي الطابع التاريخي منها ؟

القليل من هذا الفيض الهائل ، هو الذي تتوفر له الدقة التاريخية وعدم التضحية بها في سبيل التشويق ، او الربح ، او الدعاية لوجهه نظر معينة

والكثير غير ذلك

كل الافلام التي تنتجها السينما اليهودية عن قصص الانجيل

كل المخرجين الذين يغريهم الربح بافلام عن كليو باترا او سبارتاكوس او غيرهما

الى اخره الى اخره

ان فيلما واحدا ، بنجومه واسياره والوانه وموسيقاه ، عن حقبة تاريخية هو الذي ينقش بالذهن ويمحو من الذاكرة أثر مائة كتاب فما بالنا وهو يتجه لملايين لا تقرأ الكتب ، وليس لديها مناعة المعلومات السابقة ، او قدرة ادراك الخطأ او التحريف ؟

وجه الممثل الذي يقوم بالدور يصبح في الذهن العام وجه البطل كيرك دوجلاس سبارتاكوس واليزابيث تايلور هي كليو باترا واحمد مظهر هو صلاح الدين الايوبي ، الثياب والقصور ، والجدران ، وصور المعارك ، او الحفلات كلها تلصق صورة في ذهن الجمهور ما مدى دقتها يا ترى هل كانت حقا ثياب العصر ، والوانه ، وحركات الناس وسكناتهم كما نراها على الشاشة ؟

انها نظرة المخرج ، وتصوراته ، والله اعلم بمدى قربها او بعدها عن الحقيقة ولكن هذا ما يستقر في الذهن ويمحو سواه

واعظم كتاب تاريخ يقرؤه آلاف ، في حين ان اي فيلم يراه ملايين واي مسلسل تليفزيوني يراه مئات الملايين واى كتاب اطفال يقرؤه عشرات الملايين واي كتاب تاريخ مدرسي تضعه الدولة يقرؤه شعب باكمله ، سنة وراء سنة وراء سنة !

ان ديمقراطية المعرفة ، وان التكنولوجيا الحديثة ، كلاهما تحول عظيم في حياة العالم رحبت بهما الانسانية مفتوحة الذراعين ولكن الانسانية لم تجد بعد ما تعالج به ... ومحاذيرها لم تكتشف بعد « المضادات الحيوية » لما يحمله الجديد من جراثيم !

اعادة كتابة التاريخ الاسلامي ..

ولقد ذكرت ، وانا ادير هذا الحديث في نفسي ، اني دعوت ، وعلى نفس هذه الصفحات الى اعادة كتابة التاريخ الاسلامي !

وما زلت هذا المسر الذي احاطب القاريء منه ، مؤمنا بهذه الدعوة ، وملتزما بها وما زلنا نحاول تجربة ذلك في حدود الطاقة

فهل هناك تناقض ، بين اول الحديث وآخره ؟

كلا فالدعوة كما قصدتها ، دعوة الى الانفتاح على الحقيقة ، وليست دعوة الى الانغلاق ، كما توحي كتابات بعض المطالبين باعادة كتابة التاريخ

فالتاريخ الاسلامي ، قد كتب جانب كبير منه في ظل ظروف من تحكم السلطة وفي عصور نفسه فكريا وثقافيا ، واجتماعيا وبالتالي فلابد من اعادة النظر في كل هذا!

والبعض ينظر الى التاريخ الاسلامي نظرة يخلط فيها بين التاريخ الذى صنعه البشر ، وبين الاسلام ذاته فاسبغوا على البشر عصمة الدين وبالتالى جعلوا التاريخ وكانه كتلة مقدسة تتساوى في قيمتها وكأن الخليفة عمر في مكة في مقام الخليفة العثماني في اسطنبول !

ثم ان امهات الكتب التاريخية الاسلامية ذات القيمة ، صارت بعيدة عن متناول القاريء ، وبعضه على فهم حتى المتعلم ، الأمر الذي يبرر الحاجة الى طرحها على الناس باعادة نشرها ، مع حسن الانتقاء ، وتبسيط بعضها ، لتصل لجمهور اكبر

ثم ان هذه الدعوة تنطلق مما نراه من ادخال اشياء على حياة المسلمين ليست من الاسلام وحظرها المذاهب المتعددة التي تنتمي الى احداث خاضها البشر وصنعها البشر ومزقت المسلمين مرتضا واحدها الناس عبر آلاف السنين على انها الدين وهي اجتهادات على احسن الاحوال فالنبي ترك اسلاما واحدا ومذهبا واحدا ، ولم يترك عشرين مذهبا تفرق المسلمين حتى اليوم

ولكن لن يكون هذا الا باعادة طرح التاريخ واعادة تحليل احداثه وفرز الغث من السمين لكي تبقى للقداسة حرمتها ويبقى ما هو من صنع البشر للبشر

فهي في الواقع دعوة عكسية ، وان اشتركت في اللفظ فحسب

فهي تريد ان نتخطى كتابات السلطة عبر القرون لا ان نستدعيها

• النزاهة لا التعصب نريد النور لا الظلام ■■

احمد بهاء الدين

بقلم جميل مطر

بالرغم من كل نواحى القصور في الجامعة العربية ـ وهى كثيرة ، الا انها بقيت رمزا للوجود العربي المتميز فى منطقة الشرق الأوسط ففى ظل اعتى النزاعات العربية صمدت الجامعة لانها استطاعت أن تتوارى وتنتظر لتهدأ العاصفة ، ولأن النزاعات كانت تقوم حول محاور ثانوية لاتمس من قريب أو بعيد الأساس القومى لهذا التنظيم العربى

ولكن لأول مرة منذ انشائها ـ أى منذ ٣٥ عاما ـ تتعرض الجامعة حاليا لأزمة تمس سبب وجودها ، ولا أقصد هنا الأزمة الناتجة عن قرار مصر المضى بمفردها في مسعاها لعقد صلح مع اسرائيل ، ولكن أقصد التهديد المباشر الذى تتعرض له الفكرة القومية ذاتها نتيجة لتحول هذا الحدث الى ما هو اخطر كثيرا من أزمة طارئة أو نزاع عادى بين الدول الاعضاء فى الجامعة اذ بدات الأزمة الراهنة تهدم مسلمات وقواعد قامت على ساسها الجامعة العربية ، بل تهدم أصول فكر وفلسفة ور كامل من النضال العربي من أجل الاستقلال والوحدة كما بدأت الأزمة تطرح بدايات قواعد جديدة للعمل السياسى فى المنطقة العربية تختلف جذريا عن القواعد التى نشأت عليها وشيدت فوقها هذه الامة طموحاتها وآمالها المشروعة

م الخواص ، المحدد الحدود ، مهدد اليوم في
ه ، وفي حدوده ، وفي مقوماته الأساسية
مه الآن - أو معروض عليه - أن يترهل ليسع
احرى ، أو أن يبدل هويته الى هوية شمولية
جرعة جزئيات داخل حلف كبير تحركه أياد
المهم ان تنكمش الفكرة العربية عقيدة وطموحا
سح قادرة على التعايش مع نقيضاتها من
ـ الدخيله على المنطقه

شات الفكرة العربية تستند - بين ما تستند -
الوطن « العربي » بصفة خاصة وهي
ية » وبالامتداد الجغرافي المتصل وبحدود خارجية
واضحة (من المحيط الى الخليج) ، ومارست
ة العربية تفاعلاتها العملية بالاصرار على
بية » الدول الهامشية ، اي الدول غير العربية
عيش على أطراف الوطن العربي ، أو التي تحتل
عربية كاسرائيل هذا الوطن الواحد المحدد

تحولات أساسية

اننا نواجه الآن عديدا من التحولات العربية
سمه والدولية تشترك جميعها في أنها تثير الشك في
سس الفكرة العربيه ولست أعنى بذلك المناقشات
ة حاليا حول عروبة هذا البلد العربي او داك ، وانما
الاتجاه الى العودة الى اثارة الصراع بين مفهومين
ه مفهوم الشرق الأوسط ومفهوم النظام العربي أو
سود العربي وهو صراع ليس جديدا علينا ، اذ
ت الدول الاستعمارية منذ الحرب العالمية الثانية
الترويج على مفهوم الشرق الاوسط باعتباره منطقة
جغرافية تضم خليطا من العناصر العرقية والدينية ،
لا يكون العرب فيها سوى جزء من اجزائها

هذا ... نفسه - في رأيها - غير متميز لأن المصريين
تختلف ... سودانيين والجزائريين يختلفون عن عرب
الجزيرة ... وأولئك يختلفون عن سكان شمال الجزيرة
... المتوسط حيث تختلط عشرات الاقليات
... وفي مواجهة هذا التركيز صمدت الفكرة
العربية ... نفسها بانشاء الجامعة العربية وبمرحلة

من النضال القومي انهت به عهد الاستعمار ، واقامت
الوحدة المصرية السورية

ولاشك أن بعضنا يذكر أنه حين أنشئت الجامعة
العربية - ورغم تأييد بريطانيا لنشأتها في ظروف
معروفة - اعترضت الولايات المتحدة بشدة عليها
ورفضت الاعتراف بها وشنت في محادثات انشاء هيئة
الامم المتحدة حملة ضد اعتراف المنظمة الدولية بهذه
المنظمة الاقليمية الجديدة فالجامعة - رغم كل العقبات
التي وضعت في طريق اصدار ميثاق قومي يدعو الى
الوحدة العربية كهدف من اهداف قيامها - كانت ولا
تزال المنظمة الاقليمية الوحيدة في العالم التي تلتصق بها
صفة القومية ، وكانت امريكا تخشى ان تصبح هذه
المنظمة مثلا تحتذيه دول امريكا اللاتينية لتخرج به
عن الهيمنة الامريكية

امريكا والانسان العربي

ومنذ ذلك الحين لم تتوقف جهود الولايات المتحدة
الساعية الى محاربة هذا التكتل العربي ، واتخذت هذه
الجهود مسالك ثلاثة معروفة احدها يؤدي الى ربط دوله
او دول عربية بدولة أو دول هامشية اى غير عربيه -
كتركيا وايران وتجسد هذا المسلك في محاولة انشاء الحلف
المركزي في عام ١٩٥٠ ثم في حلف بغداد عام ١٩٥٤ وفي
محاولات متعددة اخرى وثانيها يؤدي الى ادماج الجزء
العربي داخل اطار غير قومي يسمح بانضمام دول اخرى
غير عربية تحت لواء غير لواء العربية ، وتبلور هذا
المسلك في خطوة جريئة باءت بالفشل فور قيامها حين
برزت الدعوة في عام ١٩٦٤ الى انشاء حلف اسلامي
يضم كل الدول الاسلامية ومن بينها الدول العربيه
وهي الدعوة التي يعاد بعثها هذه الايام وثالث المسالك
يؤدي الى التفتيت الداخلي للدول والدويلات العربية
عن طريق اثارة النعرات الطائفية والعرقية فتتأكد
النظرية المضادة للوحدة العربية والتي ولدت في احضان
الفكر الصهيوني

وتظهر اهمية هذه الجهود من التناقض الجذري القائم
بين فكرة الوجود العربي المتميز وفكرة الوجود الصهيوني
على ارض عربية فالوجود العربي سواء حسده تكتل

سياسي عربي او تعمق في الوجدان والضمير العربي يعني استمرار الرفض للوجود الصهيوني ان الشرعية التي قاتل الاسرائيليون من اجل احبار النظم العربية على منحهم اياها وحصلوا عليها ، لاتساوي شيئا اذا استمر الوجود العربي داخل الوجدان العربي صامدا متماسكا ولكي يهتز هذا الوجدان فانه لابد وان تتحطم مقومات ومظاهر الوجود على أرض الواقع واحدة بعد الاخرى واذا لاحظنا تطورات اساليب الاعلام الصهيوني ، وبعض الاعلام العربي والغربي ، لوجدنا ان الانسان العربي اصبح هو المستهدف اذ لابد لتحطيم وحدانه القوى من تسرب اليأس اليه في ان تصلح الانظمة الحاكمة او تصطلح فيما بينها او تنتبه للاخطار التي تتعرض لها الامة العربية كما انه لابد من تغيير مناهج تفكيره فيحجب عنه الفكر القومي والرموز القومية ويزيف له التاريخ القومي ، حتى تبدو هذه الامة وكأنها لم تنجب الا الشر والخيبة ، ولابد ايضا ان يجفف هذا الوجدان وتنزع عنه ثروات الامل والحلم ويتحول الى الة حاسبة تعد الفرص التي ضاعت بسبب هذه الامال والاحلام .

ضد الوجود العربي

واذ نتوقع ان تزداد حملة التحرثة والتفتيت نتوقع ايضا ان تزداد الاخطاء التي قد يرتكبها بوعي أو بدون وعي ويخدم بها اغراض الغير في تحطيم الوجود العربي لقد كنا نخشى من تدعيم الروابط بين ايران الامبراطورية وبعض النظم الحاكمة في الوطن العربي ، وكنا نرى ان هذه الانظمة وقد ساءت العلاقات بينها صارت تسعى الى الشاه لتستمد منه ومن امواله واساطيله قوة في مواجهة الانظمة العربية المنافسة بذلك كانت ايران تتدرج نحو مزيد من الفعالية في الوطن العربي ، لان التفاعل بقوة بين نظام عربي ونظام هامشي لابد وان يكون على حساب تفاعلات اخرى بين هذا النظام العربي والانظمة العربية الاخرى ، وربما على حساب النظام العربي ككل

وبعد سقوط الشاه ، لم يتبدل في الموقف العربي من ايران سوى تغير الاطراف العربية ، ولكن ظلت الاهداف واحدة ، وهي كسب مساندة ا[illegible] الاطراف العربية المنافسة او التي يخشى منها [illegible] احطر تطور في هذا الاتجاه هو ماحدث ا[illegible] القمة العربي والحاح طرف او اطراف ع[illegible] ممثلي الثورة الايرانية الى حضور المؤتمر

ان نجاح اي ثورة ضد مراكز القوى [illegible] دولة من دول العالم النامي هو مكسب [illegible] العربي ، ولكن نجاح هذه الثورة لا يعني [illegible] جعلت هذه الدولة جزءا من الوطن العربي [illegible] الاكيد على حركة التحرير العربي التي [illegible] كانت معترفة بحق الامة العربية في مواصلة [illegible] التحرر والوحدة ، ولكن ليس من حقها علينا او من [illegible] على انفسنا ان ندعوها طرفا اصيلا في تفاعلات [illegible] المتشابكة والمعقدة والتي تشكل بكل هذا [illegible] والتعقيد مفهوم الوطن العربي الواحد

في نفس الوقت يتحطم جدار العزل [illegible] وستتدفق عبر حطامه عشرات الخطط والسيا[illegible] تهدف الى ان تكون اسرائيل فعلا محسوسا في المنطقة ومن حق الصهاينة ان يظل ماثلا امام اعينهم حلم الاستيعاب داخل التفاعلات العربية بل ومن حقهم كدولة ان تتأكد على الدوام ان هذه التفاعلات العر[illegible] لن تؤدي الى قيام جدار جديد ولذلك يصبح [illegible] اهدافها مراقبة جميع التفاعلات العربية واحكام [illegible] على اكثرها او على اهمها ولما كان جزء [illegible] من هذه التفاعلات العربية لا يزال يتم داخل اطار الجامعة العربية فانه يصبح من الضروري لمصلحة [illegible] وحلفائها أن تتغير مفاهيم كثيرة في هذه الجامعة [illegible] مناهجها الفكري وتراثها القومي واهدافها في [illegible] والتعبئة القومية

احتمالات المستقبل

أولا ان « تتطور » افكار القائمين [illegible] الامانة العامة لتصبح اكثر انسجاما مع [illegible] السياسية في المنطقة ولكي تصبح [illegible] منسجمة ، يتعين ان تصدر عن اقتناع تا[illegible]

ربه لا يجب ان تتجاوز عملية التنسيق بين توافه
مل لاقتصادي المشترك ، وتستبعد كلية وضع
راسحيات اقتصادية او تنفيذ المهام السياسية او
الاعلامية التي تثير « حساسيات » في المنطقة او
العصبية العربية او تذكر بمسجات الماضي ، وهو
سير المفصل لدمع الحركة القومية ومفكريها
عاماتها

ثانيا ان يتدعم انقسام الجامعة جامعتين ،
سمرار الانقسام في حد ذاته سيقرر الشكوك لدى
دول الاعضاء في شرعية وجدوى وحدية
امعتين ومع انعصاص الاهتمام التدريجي بالجامعة ،
رهمتها وتهجرها العناصر القومية العاملة فيها او ما
ى منها وهو قليل جدا

ثالثا ان تجتمع بعض الدول الاعضاء في اطار
لمة اقليمية للشرق الاوسط على نمط السوق
وروبية المشتركة ، ويكون ميثاقها من الطموح
يث لا يترك فرصة امام اكثرية لتشكل منظمة
فسه او لتدعم ما تبقى من الجامعة العربية

رابعا ان تعود الجامعة العربية الى سابق عهدها ،
و أبعد الاحتمالات ، اذ يتطلب تحقيقه عملا عربيا
رق طاقة الحشد العربي باوضاعه الراهنة والمحتملة في
حل القريب

وقد يبدو ان الجامعة العربية مغلوبة على امرها في
ه التطورات السياسية التي ترجم الوطن العربي
ا سعين علينا ان نميز بين الجامعة العربية كمنظمة
ـ عددا من الدول يخضع كل منها لشتى صنوف
ضغط الدولي والداخلي ، وتحركه مصالح ضيقة
ـسها من تدعيم فكرة سيادة الدولة او الدويلة في
جه فكرة الامة والقومية . وبين الجامعة العربية
مـ . عامة أي كجهاز مكلف بتسيير وادارة الجامعة
لا ـ ـ لاحتياجات الدول وفي هذا التمييز تنفرد
ـ . العربية بين غيرها من المنظمات الاقليمية ، لانه
ـ لمنظمة الدولية او الاقليمية التي يتحمل امينها
ـ جهاز امانتها مسؤولية قومية تتجاوز الصلاحيات
ـ لها من الدول الاعضاء ومن تجارب الجامعة

يوجد ما يؤكد هذا الدور ، فالامين العام يستطيع ان
يلتزم بالمبادىء القومية التي هي سابقة على انشاء
الجامعة ـ بل وعلى قيام واستقلال جميع الدول
العربية ـ ، ومن واجبه ان يسخر جهازه كاملا للتوعية
بها وترشيد العمل على هديها .

وفي ادائه لهذه المهمة لا يعمل الأمين العام كموظف
دولي يتلقى تعليماته من الدول الأعضاء ، وانما يعمل
بوحي من ايمانه بالأمة العربية ومن احساسه القومي
بالاخطار التي تهدد أساس وجودها ومستقبلها واذا
فعل ذلك فلن يجد الحكومة العربية التي تحرز على
انتقاده وإلا فكان سهلا عليها ان تخرج من الجامعة
وتعلن عدم انتمائها لكل ما هو عربي فكرة أو عقيدة أو
تنظيما

أما اذا شاء الامين العام أن يعمل « بالسياسة »
فيفسر المبادىء القومية ـ ـ سياسة الدولة المتحمس
تحسينها ، أو حسب يته » الواقعية لتقلبات
وتطورات السياسة الدولية ، فانه يكون قد خرج عن
واجباته القومية لأنه بذلك خضع الأصول الثابتة للأمة
العربية لاعتبارات ومعاهد روج لها أعداء العرب قد
أهمهم أن تسعى الانظمة العربية الى تقديم تنازلات
لتكسب التأييد الخارجي ، هنا أو هناك ، ولكني أجد
من العسير قبول فكرة طر اهدافنا ومبادئنا القومية في
سوق المساومات الدولية لكسب « للقضية » الرأي
العام الأوروبي ـمريكي

لاجدال ان الوطن العربي يمر بأزمة حادة ، ولا
جدال أيضا أن قوى كثيرة خارجية تسعى لتسوية
حساباتها معه واعادته الى صع الجزئيات التابعة ولن
يفيد في تفادي ذلك التمادي في تجميل الوجه العربي
باستخدام مستحضرات مستوردة ارضاء للمذوق
الأجنبي ، انما قد يفيد ان تستعيد هذه الأمة تعصبها
القومي وأمام الجامعة العربية فرصة ـ لعلها الأخيرة ـ
لممارسة مسؤوليتها القومية في هذا الصدد ، والمجال
الوحيد لممارسة هذه المسؤولية هي الساحة العربية نفسها
وليس أوروبا أو الولايات المتحدة ■■

القاهرة ـ جميل مطر

الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

علموهم تذوق الفن

كان افلاطون في تصوره للدولة المثلى قد حذف الفن من مقومات الدولة كما تصورها ، واطلق قد قصر مفهوم « الفن » في سياق حديثه ، على الشعر والتصوير ، وكان مبرر الحذف عنده ، هو أن الشاعر او المصور انما يقدم لنا تصويرا لشيء ما ، واذا كان ذلك كذلك ، فان الشيء نفسه اقرب الى الصدق من صورته المرسومة له في كلمات الشاعر أو في خطوط المصور والوانه ، فما حاجتنا - اذن - الى ذلك التصوير مادام الشيء المصور قائما بين ايدينا وامام انظارنا ؟ ايهما اولى بالنظر شجرة الورد في بستانها ، ام تصوير لتلك الشجرة بقلم الشاعر او بريشة الرسام ؟

على ان افلاطون لم يكن ليرضى للانسان ان يلتمس المعرفة الصحيحة في الاشياء نفسها بل ان الانسان - اذا اراد معرفة صحيحة بشيء ما - ان يجاوز ذلك الشيء المحسوس الى فكرته المجردة ، كأن يجاوز شجرة الورد المحسوسة ، الى تعريفها العقلي ، وانه لتعريف يجاوز بدوره عقول افراد الناس لانه اذا فني الناس جميعا ، بقي التعريف العقلي لشجرة الورد ، او قل بقيت فكرتها ، او بقي نموذجها في عالم المثل بحيث يخلقها الخالق مرة أخرى اذا شاء ، كما خلقها اول مرة

ومعنى هذا الذي قلناه ، هو أن تصوير الشيء المعين في دنيا الفن ، يبعد بنا عن الحق خطوتين - اولا - اقل صدقا من الشيء نفسه ، ثم هذا الشيء نفسه - ثانيا - أقل صدقا من النموذج العقلي الذي خلق على غراره ، وعلى هذا الاساس اوصى افلاطون بالا يكون في الدولة المثلى التي تشد العلم ... بالكائنات ، شاعر أو مصور

لكنه برغم موقفه هذا الرافض للفن ، أصر على ان تكون الموسيقى جزءا أساسيا ضروريا من التعليم ، الطفولة الباكرة ، لماذا ؟ لأن دوام الاستماع الى الموسيقى من شأنه ان يترك فى نفس المستمع خصائص سيقى ، التى من اهمها ذلك التناسب المحكم بين الاصوات ، الذى لولاه لتحولت انغامها الى خليط ي تنفر منه الاذان

وهنا نستطيع اليوم أن ندرك الخطأ الجسيم الذي وقع فيه الفيلسوف عندما حذف الشعر والتصوير من ـه المثلى ، لظنه بان هذين الفنين انما يصوران الاشياء كما هي ، فالطائر طائر ، والشجرة شجرة ، وهلم جرا ، ـ ماذا كان افلاطون ليقول ، لو انه عاش بيننا اليوم ، حيث الشعر ايحاء والتصوير تجريد ؟ الم يكن ى ان ما يبقى منهما فى نفس المتلقى ، هو نفسه الذى يبقى من الموسيقى ؟ أعنى ادراك مابين الاجزاء من سب محكم ، ومن وحدة تضم تلك الاجزاء فى كيان موحد ، لولاه لأصبحت الأجزاء أشتاتا بغير معنى ؟

واخلص من هذا الى النتيجة التى اريد عرضها ، وهي ضرورة أن ندخل فى تعليمنا لابنائنا مقررات اسيه تنمي بالتذوق الفني . على تعدد انواع الفن واختلافها ، انني ارى العلاقة وثيقة بين « المرحلة » التى ـع فى حياتنا ـ واقصد حياة العربي فى اى قطر من اقطار الوطن الكبير ـ اقول انى ارى العلاقة وثيقة بين رضى التى تفتت قوانا وتفكك أوصالنا ، وبين حرماننا من نشأة يكون التذوق الفنى مقوما من اهـم ماتها ، اذ يكاد يستحيل ـ فى ظنى ـ ان ينشأ ناشىء على ادراك ما فى القطعة الفنية ـ كائنا ما كان منها ـ ـعاون بين اجزائها بوحدها ويحفظ النسب الصحيحة بينها ، ثم يجنح بعد ذلك الى الفوضى ، فما الفوضى امتناع الكيان الموحد ، واضطراب النسب بين الاجزاء

ـم اضيف ثمرة اخرى ، نجنيها من أبنائنا اذا ما اكسبوا القدرة على تذوق الفنون ، وهي ثمرة أشرت ـها والحث عليها فى مناسبات كثيرة سابقة ، واعنى بها الرابطة التى تربط العرب المعاصرين بالعرب سبقين ، وهي رابطة فى صميم الصميم من إحياء المجد العربي باحياء تراثه ، فليس احياء التراث هو ان ـم له هيكلا ثم نجلس فى ظله لنستريح ، بل هو ان تشرب روح ذلك التـراث تشربا يسرى به فى ـرايين ، كيف ؟ بان « يتذوق » الابناء فنون الاباء ، فقارىء البحترى ـ مثلا ـ اذا قرأه قراءة المتذوق ، ى ان يدخل فى جلد الشاعر ، ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه ، كان وكأنه البحترى فى رؤيته للعالم وللناس لاحداث من حوله ، ومثل هذا الدمج الذى تحققه لنا لحظات التذوق الفنى لتراث أسلافنا ، هو فى مقدمة ـوامل الكفيلة للمعاصرين ان يجيئوا استمرارا للاقدمين فى الروح والجوهر ، وان اختلفت بينهما بالضرورة ـصيلات العيش

ـعوا ابناءنا كيف يتذوقون الفن بمختلف اشكاله ، تعلموهم حب النظام ، وحدية العمل ، وتنسيق ـ مع الاهداف ، وتنشئوهم تنشئة التهذيب والاحساس بالكرامة ، ثم تعلموهم فوق هذا وذاك أي الطرق ـلـ ـ ليستلهموا ماضيهم المجيد من أجل حاضر أمجد ■■

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »
قرآن كريم

جنون الذهب .. إلى أين ؟

بقلم الدكتور حازم الببلاوي

لقد حا الذهب بخبله الانسان منذ ما قبل التاريخ وها هو ذا الآن يكاد يذهب عله فقد كان الذهب من اوائل المعادن التى اخضعها الانسان لسيطرته ح يعيد دورته الآن . لينتقم الذهب لنفسه ويخضع الانسان من جديد وانه فهل يتغلب عقل الانسان ام يقف عاجزا امام صنم بناه لنفسه ، ما ستثبته الايام ؟

لقد ثبت سعر الذه (الأوقية) في عام ٩٣٤ حتى ١٩٦٧ ، حين بدأ ال الحرة ، رغم استمراره بهذا السلطات النقدية وفي عقاله وبدأ يتحرر ـ على ـ في الارتفاع النسبي في ٧٥٪ بان الذهب قد بلغ فعلا ـ المائتى دولار للاوقية (. ديسمبر ١٩٧٨) ، وها هو

عند ٣٥ دولارا للاوقية ستمر على ذلك دون تغيير يهتز جزئيا في الأسواق ر في التعامل الرسمي بين ١٩٧١ خرج الذهب من ـ من اسعاره القديمة ليبدأ وفي ديسمبر ١٩٧٨ قيل ده القصوى عندما جاوز إلى ٢٢٥ دولارا في نهاية بعد سنة بالتمام يجاوز

الخمسمائة دولار (حوالى ٥٢٥ دولارا في نهاية ديسمبر ١٩٧٩) وفي خلال الاسابيع ، او لعلنا نقول الايام التالية ، بدأ سلسلة من الارتفاعات المذهلة حيث بلغ « ساعة كتابة هذا المقال ٨٣٠ دولارا للاوقية ولا احد يدرى ماذا سيكون عليه السعر بعد يوم او يومين

وقديما قالوا انه ما من طائر طار وارتفع الا كما طار وقع فهل الامر كذلك مع الذهب ، ام انه طائر من نوع خاص يرتفع اكثر كلما طار وارتفع ؟

لا أحد يجرؤ الآن على التوقع عما ستكون

احداث قادمة وادا كنا عاجزين عن تكشف مستقبل الذهب ، فلا اقل من أن نتعرف على ماضيه

اكتشف الذهب ـ ذلك المعدن الاصفر اللامع ـ في سحيق خلال العصر الحجري وقد ساعدت خصائص الذهب المحمية وصفاته على سهولة استخراجه وسهولة تشكيله

وقد استخدم الذهب ـ كما هو معروف ـ في الحلية الزينة على ان ما اعطاه رونقا وسحرا خاصا كان استخدامه كنقود وتوجد آثار لعملات ذهبية متداولة في ممالك ليديا في غرب آسيا وقد ادى هذا الدور النقدي للذهب الى احتلاله مكان الصدارة في اهتمامات الافراد وخاصة في فترات القلق والاضطراب

وقد كان اكتشاف الانسان لفكرة النقود ، احد اهم معالم تطور تاريخ الانسان والذي يكاد يقترب في نتائجه مع اكتشاف النار والكتابة ففكرة النقود قدمت للانسان اهم وسيلة لترشيد الحساب الاقتصادي وحسن استخدام الموارد الاقتصادية

وقد كان الذهب من اهم العوامل التي ساعدت على نشأة وتطور فكرة النقود ذاتها حتى انه اختلط في الاذهان معنى النقود الحقيقية مع الذهب

قاعدة الذهب

الحديث عن علاقة النقود بالذهب تثير في الاذهان ما يعرف باسم قاعدة الذهب فما هي اهم خصائص هذه القاعدة ؟

تعرف قاعدة الذهب مجموعة من الشروط الواجب توافرها واهمها

ـ تعرف الوحدة النقدية بوزن معين من الذهب وليس هذا مجرد تعريف شكلي للنقود كما هو الحال في معظم القوانين الحالية ، وانما يقتضي الامر ايجاد علاقة بين كمية النقود المتداولة وبين حجم الذهب المتاح لدى السلطات النقدية . وبذلك توضع قيود على حرية الدولة في اصدار النقود

ـ تحقق المساواة بين سعر الذهب كنقود وسعره كسلعة

ـ حرية انتقال الذهب فيما بين الدول ، وهو ما يضمن ربط الدولة بنظام دولي قائم على الذهب

وقد طبق هذا النظام بشكل ما منذ اواخر القرن التاسع عشر ، واستمر حتى قيام الحرب العالمية الاولى واذا كان النظام لم يساير في التطبيق نفس الشكل المثالي الذي وضعته مؤلفات الاقتصاد ، فانه لم يكن بعيدا جدا عن تلك الصورة وفي العمل كان بنك انجلترا يتمتع بدور هام في ادارة التجارة العالمية وفي تحقيق استقرار التوازن العالمي ، بحيث كانت لندن مركزا للتجارة والتحويل العالمي لايحدها أي من الحواجز السياسية

ومع قيام الحرب العالمية في ١٩١٤ لم تستطع الدول ان تستمر في اخضاع اقتصادها الداخلي لاعتبارات التوازن الخارجي ، وكان لابد من وضع القيود على التجارة الخارجية والاخذ بسياسة نقدية داخلية مستقلة والتوسع في الانفاق النقدي دون مراعاة لحجم الذهب المتوافر وهذا كله كان يعني التخلي عن قاعدة الذهب وهو ما حدث بالفعل ، وبدأ فرض ما يعرف بالسعر الالزامي على اوراق البنكنوت ، بمعنى عدم قابلية تحويلها الى ذهب بأي شكل من الاشكال واتجهت الحكومات والبنوك المركزية الى اصدار هذه النقود الورقية في ضوء احتياجات الانفاق الحربي والمدني بصرف النظر عن وجود الذهب

ويلاحظ ان هذه ليست اول مرة تعرض فيها مثل هذه القيود فكل الدول عرفت ـ بلا استثناء ـ أوضاعا خاصة جعلتها تتخلى مؤقتا عن الاخذ بقاعدة الذهب وهو ما حدث في اوربا عدة مرات خلال حروب نابليون ولكن في كل مرة كانت الدولة تعود الى قاعدة الذهب في شكل من الاشكال بعد زوال هذه الظروف الخاصة

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وما صاحبها من آلام واضطراب ، اعتقد الكثير من البسطاء امكان استئناف السير وكأن الحرب مجرد عارض مؤقت ، يمكن مجاوزته بالعودة الى النظام السابق ولم يغير من الامر شيئا ان يكون من بين هؤلاء البسطاء ونستون تشرشل ، والذي اثبت فيما بعد قدرات كبيرة في مجال السياسة

الدولية ، ولكنه فى قضايا معالجة الاقتصاد ، لم يكن اكثر حظا من العديد من ذوي النوايا الطيبه

بريتون وودز ومحاولة الاحياء

مازالت ذكريات الانسان اوسع من خياله وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية واثار الفوضى المالية والاقتصادية عالقة بالاذهان ، كانت قاعدة الذهب لما قبل الحرب العالمية الاولى تمثل فترة الاستقرار والازدهار الاقتصادى ، بل والسلام ايضا ولذلك فقد حاول العالم إعادة قاعدة الذهب بشكل من الاشكال ولكن عالم ما بعد الاربعينات ليس عالم ما قبل ١٩١٤

وفى اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) اخذ العالم بنظام يجمع بين مظاهر قاعدة الذهب القديمة فى جانب وبين طبيعة الأوضاع الجديدة من جانب اخر ، رغم ما بين الأمرين من تناقض فربطت العملات بالذهب شكليا ، وبالدولار فعليا ، والتزمت الدول بحماية ثبات اسعار الصرف ، وفى هذا تتفق مع قاعدة الذهب التقليدية ولكنها تعترف فى نفس الوقت بحق الدول فى الاخذ بسياسات اقتصادية وطنية مستقلة ، وانها لاتخضع توازنها الداخلى لاعتبارات التوازن الخارجي ، وهو ما يتعارض مع مقتضيات قاعدة الذهب

ومع تعهد الولايات المتحدة الامريكية بتحويل الدولار الى ذهب لغير المقيمين بسعر ثابت ٣٥ دولار للاوقيه ، فقد احتفظ النظام الدولى بعلاقة ما مع الذهب ومازال الذهب يدخل فى احتياطي الدول ، وتتعهد الدول بايداع جزء من احتياطيها الذهبي لدى صندوق النقد الدولى

ولكن مع قوة الاقتصاد الامريكي وحاجة اوربا واليابان الى اعادة التعمير ، استمر النظام الجديد فى العمل بيسر معقول طوال الخمسينات والستينات تحت اسم قاعدة الذهب شكلا ، وقاعدة الدولار فعلا وفى خلال هذه الفترة تحول معظم الاحتياطي الذهبي للخزينة الامريكية ، واصبح يمثل نوعا من الغطاء للدولار اساس النظام النقدى الدولى وبهذا تحولت الولايات المتحدة الامريكية الى نوع من البنك المركزى العالمي ، يدير اصدار النقود العالمية ويحتفظ بالاحتياطي الذهبي

بعد عشرين سنة من تطبيق نظام بريتون وودز تغير العديد من الظروف المحيطة بالاقتصاد العالمي فلم يعد الاقتصاد الامريكي الاقتصاد الوحيد [illegible] فظهرت اوربا واليابان كقوتين اقتصاديتين [illegible] كذلك بدأت السياسة الامريكية الخارجية تشكل اعباء على قيمة الدولار واضطرت الولايات المتحدة الامريكية الى تخفيض قيمة الدولار ومع تزايد عجز ميزان المدفوعات الامريكية ، ومن ثم ديون العالم الخارجي للولايات المتحدة الامريكية ، تضاءلت نسبة الغطاء الذهبي للدولار الامريكي وبدات الثقة سريعا فى الدولار وفى مارس ١٩٦٨ اتفق لتخفيف المضاربات على الذهب على فتح سوقين للتعامل فى الذهب فالى جانب التعامل الرسمي من جانب السلطات النقدية وفقا للسعر الرسمي للذهب (٣٥ دولارا للاوقية) ابيح التعامل الحر فى الذهب وفقا لظروف الطلب والعرض وبذلك نشأت سوقان للذهب لكل منهما اسعاره ، سوق رسمية وسوق حرة وبدأ نظام النقد يتهاوى كما بدات المضاربات حول الذهب

استمر الضغط على الدولار الامريكي ، واضطرت حكومة الرئيس نيكسون ان تعلن فى اغسطس ١٩٧١ وقف تحويل الدولار الى ذهب وبذلك سقط نظام النقد الدولى القائم على الذهب شكلا ، واصبح النظام قائما على الدولار شكلا وموضوعا

ولم تنجح المحاولات لاصلاح نظام النقد ، وفى غمرة البحث عن تدعيم النظام القائم وتاكيد مبدا ثبات اسعار الصرف بالرغم من موجة التعويمات التي احدثت [illegible] الدول ، جاءت صدمة اسعار النفط فى ٧٤/٧٣ وقضت على كل أمل فى العودة الى نظام ثبات اسعار الصرف

ولم تستطع الدول الاتفاق على نظام جديد يحل محل نظام النقد السائد ، ووصلوا اخيرا الى الاتفاق على الاعتراف بسقوط النظام السابق ، وترك الامر لكل دولة فى اختيار نظام الصرف المناسب لها وجاء [illegible] الثاني لاتفاقية بريتون وودز فى جامايكا ١٩٧٦ [illegible] اصبح نافذ المفعول فى ابريل ١٩٧٨ فقد [illegible]

اللانظام فاصبحت كل دولة حرة في اختيار ماينا سبها من نظام للصرف وهو ما يعني عملا الاخذ بنظام تقلبات اسعار الصرف (نظام التعويم) على أن أهم ما حققه هذا التعديل هو استبعاد الذهب من كل دور في النظام النقدي الجديد فحقوق السحب الخاصة وليس الذهب اصبحت تمثل الاحتياطي الاساسي ، ولم يعد الذهب مستخدما كأساس لتعريف كل دولة لعملاتها وبناء عليه اتفق على أن يقوم الصندوق بالتخلص تدريجيا من احتياطي الذهب المتاح له ببيعه في السوق ، ويجمع المتحصل زيادة على السعر الرسمي في حساب خاص لمساعدة الدول النامية وحرص الاتفاق على توفير الاجراءات المناسبة لبيع هذا الذهب دون تهديد للاستقرار

ملاذ من الفوضى

من المبالغة ان نطلق على كل عصر او فترة زمنية اسما معينا يعبر عن خصائصها ومع ذلك فلا بأس من محاولة ذلك ، مع الاعتراف بنسبيه وحدود اى تعميم

عرف العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن عدة فترات تميز كل منها بصفات خاصة فعقد الخمسينات كان اعادة البناء والتعمير ، وعقد الستينات كان عقد النمو والازدهار اما عقد السبعينات فقد كان عقد الازمات ازمة الغذاء ، ازمة الطاقة ، ازمة النسمة ازمة القيادات السياسية وماذا عن عقد الثمانينات ؟ لا احد يدري ماذا يخبئه القدر لنا أياما كان الامر ، فقد كانت السبعينات فترة قلق واضطراب انعكس على الاوضاع النقدية بحيث اصبح العالم يعيش حالة اشبه بالفوضى النقدية المالية فبعد ارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية والمواد الاولية في ١٩٧٢ جاءت ازمة الطاقة وارتفاع اسعار النفط وقد ارتبط كل ذلك بسياسات اقتصادية متناقضة ومترددة ولم تفلح الا في تأكيد استمرار التضخم ــ وبمعدلات غير معروفة من قبل على الاقل في العصر الحديث فبعد الاستقرار النسبي في الاسعار والذي ساد طوال الستينات بدأت موجات التضخم العالمي تصل في تآكل القوة الشرائية للنقود ومع الاخذ بنظام تقلبات اسعار الصرف للعملات أضيف سبب آخر للاضطراب .

وقد ادت هذه الاوضاع الى زعزعة اركان فكرة النقود ذاتها فالنقود ليست فقط وسيطا للتبادل ، ولكنها مقياس ومخزن للقيم وهي كمقياس للقيم لابد وان تحتفظ باستقرار في قيمتها حتى تصلح اساسا ترد اليه كافة القيم الاخرى وتستخدم اداة للحساب الاقتصادي وهي كمخزن للقيم لا بد ايضا وان تحتفظ بقيمتها من فترة لاخرى حتى يقبل الافراد اختزان ثرواتهم فيها وعندما تفقد النقود استقرارها تفقد اهم وظائفها ويبدأ البحث عن اشكال جديدة تقوم بنفس الوظائف

ولذلك وفي غياب استقرار قيمة النقود ، اتجه الأفراد للبحث عن أشياء أخرى يمكن أن يتوافر لها الاستقرار في القيمة بعيدا عن تصرفات ونزوات السلطات النقدية والتي اثبتت عجزها الكامل واتجه الافراد الى البحث عن الاصول العينية من سلع معمرة وعناصر الثروة لحماية مدخراتهم وثرواتهم وكان الذهب بما يمثله من تاريخ طويل وثقة كبرى مغروسة في النفوس ، اختيارا طبيعيا وملاذا من الفوضى النقدية السائدة وبدأ الذهب يعود من جديد كنقود طبيعية تقوم اساسا بوظيفة مخزن

القيم في نفس الوقت ، وباللعرابة ، حيث حاول المجتمع الدولي ممثلا في اتفاقية صندوق النقد الدولي ، في استبعاده كليا من القيام باي دور نقدي

ومع ذلك فإن عودة الذهب الى المسرح النقدي تحمل في طياتها عناصر أخرى لا تقل خطورة فعودة الذهب الاخيرة لم تأت نتيجة لتخطيط وتدبير ، كما لم تأت نتيجة تطور طبيعي وتعبير عن الحاجات العميقة للاقتصاد العالمي لقد جاءت عودة الذهب الى المسرح النقدى كرد فعل طبيعي غير منظم لفشل النظام النقدي الدولى ولذلك فقد شاب عودة الذهب مرض لا يقل خطورة عن التضخم وهو المضاربة فلم يعد الامر مجرد محاولة للاحتفاظ بالقيم في عالم فقدت فيه النقود استقرارها ، وانما فتح التطور الجديد الباب لمحاولات للاثراء السريع وغير المعقول وهو خطر اخر لا يسعى التهوين من شأنه

الوجه الآخر للمضاربة

يثير تعبير المضاربة فى الذهن فكرة الانتهازية والكسب غير المبرر ، والحقيقة ان المضاربة هي أمر طبيعي ولازم للاقتصاد طالما ظلت فى حدودها الطبيعية أما اذا جاوزت هذه الحدود فانها تنقلب شرا وبيلا ويمكن تعريف المضاربة بانها السعي الى تحقيق الربح بتحمل المخاطر والنشاط الاقتصادي نشاط يتجه الى المستقبل ، ولذلك فانه أبعد ما يكون عن اليقين والاحتمال والمخاطر ، هما من طبائع الحياة الاقتصادية ، والمضاربة المعقولة تتحقق عندما يتخصص بعض الافراد او المؤسسات فى تحمل المخاطر نيابة عن البعض الآخر ، اما تحويل الاقتصاد الى مضاربة واصطناع القلق وعدم اليقين فانه قد يدمر الاقتصاد

وفى الظروف العادية يكون هناك نوع من التعارض بين مصلحة المشتري والبائع المشتري يريد ان يشترى بأقل الاثمان والبائع يريد ان يبيع بأعلى الاثمان اما فى حالة المضاربة فالجميع يريد ارتفاع الاسعار المشتري يريد استمرار ارتفاع الاسعار لان ذلك يضمن له ارباحه عندما يقوم بالبيع ، والبائع يريد ايضا ارتفاع الاسعار لزيادة دخله ، فهنا نجد [illegible] ظروف يقوم فيها شبه تواطؤ بين البائع والمشتري على رفع الاسعار بغية استغلال السوق ، اى الا [illegible]

واذا ما كان الامر فانه فى ظل الفوضى [illegible] العالمية المتقدمة ، اتجه الافراد الى البحث [illegible] ملاذ جديد ، وكان الذهب افضل المرشحين حظا في كسب الدور الجديد ، على ان قدرة الذهب على الاحتفاظ بقيمته بعيدا عن تقلبات قيمة النقود قد جذبت [illegible] المضاربين ، فلم يعد الامر وسيلة جديدة لحماية الثروة وانما اصبحت طريقة اخرى لكسب ثروات جديدة [illegible] ارتفاع ثمن الذهب وعندما بلغ ثمن الاوقية ماسبق [illegible] قيل بانه بلغ سقفه الاعلى والحديث يدور الآن حول الالف دولار ، فماذا سيكون عليه الحال بعد ذلك

وكأنما لم تكف المتناقضات السابقة حتى تزيد الدول تعقيدا ، فاتفاقية صندوق النقد الدولى تستبعد الذهب تماما من المسرح النقدى العالمي ، وتتخذ الاجراءات حتى يكون اصحاب الذهب كريما وبأقل قدر من الخسائر

ولكن ها هي ذي دول السوق الاوربية وهي [illegible] اهم اعضاء الصندوق تتفق على انشاء وحدة نقدية اوربية جديدة تعيد للذهب مكانته ـ على الاقل حرصا على حلم اوربا القديم في الاستقلال عن الولايات المتحدة لا يزال يخالجها ، ويجتمع رئيسا المانيا الغربية وفرنسا ويتفقان على انشاء الوحدة النقدية الاوربية ، ثم يضع الخبراء والفنيون قواعد الوحدة الجديدة وبحسبها يلزمون الدول الاعضاء بايداع حصة من رصيدها الذهبي في جمع مشترك ، اعترافا بان للذهب دورا نقديا دوليا ، في اوروبا على الاقل ويزداد الاضطراب بزيادة الغموض حول اتجاهات السلطات النقدية في العالم

وفي وقت اثبتت فيه السلطات النقدية عجزها الكامل عن تصور ـ فضلا عن تطبيق ـ سياسة نقدية ناجحة اوضحت الحكومات عجزها المقابل [illegible] السياسية الدولية ، فقامت احداث ايران ثم [illegible] ولا احد يدري ماذا بعد ؟ ولكن الشيء الا [illegible] هو ـ السلطات السياسية قد اثبتت فشلها ولا يمكن [illegible]

لهـ

الذهب والسلع الاخرى

; سك ى ان ارتفاع اسعار الذهب خلال الاشهر بل لاسابيع الاخيرة قد اثار دهشة المراقبين ، فالى اى حد مسر هذه الظاهرة غير عادية ؟

فمند اكثر من اربعين عاما حدد ثمن الذهب بواقع ٣٥ دولارا للأوقية في سنة ١٩٣٤ ، وثبت السعر عند هذا لحد حتى افرج عنه جزئيا في ١٩٦٨ ثم في ١٩٧١ ، ثم اطلق له العنان بعد ذلك وخاصة منذ ١٩٧٩ ، وخلال تلك الفترة من التقييد الاجبارى لسعر الذهب كانت كافة الاسعار الأخرى حرة طليقة وعند مقارنة سعر الذهب بغيره طوال هذه المدة لا نجد مدعاة للدهشة وان لذهب ليس فريدا في نوعه ويكفي ان نقارن اسعار الذهب مع اسعار المعادن الاخرى ، فمند ١٩٣٤ ارتفع سعر النحاس ٣٠ مرة والصفيح ٣٠ مرة والزنك ٢٣ مرة والرصاص ٤ مرة ، وخلال نفس الفترة ارتفع سعر الذهب (حتى كتابة هذه السطور) حوالي ٢٥ مرة ، وهو ـ لا يعبر انحرافا شديدا عن الاتجاه العام لغيره من لمعادن

ومع ذلك فانه لا ينبغي اهمال الخصائص الخاصة لارتفاع ثمن الذهب ، فارتفاع اسعار الذهب لم تتم تدريجيا كما في اسعار السلع الاخرى ، وانما تركز هذا الارتفاع خلال السنتين الاخيرتين وبصفة خاصة خلال الشهور الاخيرة وهذا امر غير طبيعي

ومن ناحية اخرى فان هناك فارقا بين الذهب وبين السلع الاخرى تدخل السلع الاخرى السوق عادة لكي تخرج منه فهي تطلب للاستهلاك او الانتاج ، وفي كلتا الحالتين تمر السلعة في السوق مرة واحدة اما الذهب فانه شأن النقود يدخل السوق لكي يعود اليه من جديد . فمن يشـ ي الذهب لغير اغراض الزينة ، انما يريد أن يحتفظ ـ ـمة معينة لكي يستخدمها من جديد في لمستقبل فالطلب الكبير على الذهب الآن يمثل عرضا كبيرا لـ ـ في المستقبل وما يمثله هذا الطلب المتزايد من صـ لارتفاع اسعاره الآن ، يعني ايضا عرضا متزايدا وضغطا آخر لانخفاض الاسعار في المستقبل

من المهم ان نعرف من اين يأتي طلب وعرض الذهب، لفهم طبيعة السوق ومستقبلها وليس من السهل تحديد شخصية المتعاملين في هذه السوق فسوق الذهب سوق واسعة يتم التعامل فيها غالبا عن طريق مؤسسات مالية وبنوك لحساب افراد وهيئات لا تظهر عادة بشكل واضح

ومع ذلك فانه من السهل الاتفاق حول عدة نقاط وقد يكون تحديد شخصية العارضين الاساسيين أيسر في التحديد ، فالى جانب المضاربين الذين يبيعون ويشترون يوميا في نفس الوقت ، فان العرض الاساسي للذهب يأتي من جانب المنتجين الاساسيين ومن الحائزين الرئيسيين وتعتبر جنوب افريقيا المنتج الأساسي للذهب في العالم بما يقرب من ٦٠٪ من الانتاج العالمي ، ويليه الاتحاد السوفيتي اما الحائز الرئيسي على احتياطيات الذهب فهي الولايات المتحدة الامريكية وتحتفظ بحوالي ٢١٠ بلايين دولار تليها المانيا العربية باحتياطي حوالي ١٠٦ بلايين دولار ، ثم فرنسا باحتياطي يبلغ حوالي ٩٠ بليون دولار ، وسويسرا باحتياطيات حوالي ٦٦ بليون دولار معدلا على اساس سعر الاوقية ٨٠٠ دولار (عن صحيفة فايناشيال تايمز اللندنية عدد ٤ يناير ١٩٨٠)

واما الطلب فانه يأتي بالضرورة من هيئات وافراد تحتفظ باصول مالية متنوعة ، ثم تفضل الاحتفاظ بالذهب بدلا من هذه الأصول المالية ، نظرا لما يحيط بهذه الاصول من احتمالات ومخاطر فالطلب يأتي اساسا من وحدات اقتصادية ذات فائض في شكل ثروة ومدخرات ونتيجة للفوضى النقدية السائدة تتجه لتفضيل الذهب على غيره من صور مخازن القيم .

الذهب الاسود والاصفر ؟

اذا كان الطلب على الذهب يأتي بالضرورة من اصحاب الفوائض المالية ، فان الذهن يتجه عادة الى اصحاب الفوائض النفطية باعتبارهم الاكثر قدرة على الدخول في سوق الذهب وشراء كميات كبيرة منه بدلا من الأصول المالية الاخرى .

وبالفعل فان العديد من المصادر الماليه تشير الى ان هناك مشتريات كبيرة للذهب من مواطنين لدول الفائض النفطية ، فهؤلاء يتمتعون بفوائض مالية كبيرة تستثمرها عادة في اصول مالية مختلفة في الدول الأخرى ومع استمرار التضخم من ناحية وتقلبات اسعار الصرف وتدهور الدولار من ناحية اخرى ، فقد بدا الشك يثور في نفوس هؤلاء المستثمرين حول جدوى الاستمرار في هذه الصور المختلفة للاستثمار المالي المستمر التآكل ثم جاءت احداث ايران وما عمدت اليه حكومة الولايات المتحدة الامريكية من تجميد لأرصدة الحكومة الايرانية مما اثار بالضروره مخاوف كثيرة حول امكان الالتجاء الى مثل هذا الاسلوب في المستقبل من جانب الولايات المتحدة الامريكية او من غيرها ، ولذلك فانه يبدو للوهلة الاولى ان هناك بعض الاعتبارات التي تدعو اصحاب هذه الفوائض الى التفكير في اصل مالي قابل لحماية قيمة ثرواتهم دون ان يخضع لاهواء السلطات السياسيه وليس هناك افضل من الذهب للقيام بهذا الدور

وقد اشار بعض المحللين الى نوع من التقابل بين اسعار النفط واسعار الذهب بحيث يمكن القول بان ثمة علاقة بين الامرين كما يبين الجدول المرفق

وليس من السهل التأكد او نفي اتجاه جزء من الفوائض المالية لشراء الذهب ولكن من الممكن تصور عدة احتمالات للمستقبل وهي تتوقف على سلوك المتنجين والحائزين على الذهب

بطبيعة الاحوال ، تتجه مصالح منتجي وحائزي الذهب الى الاستمرار في زيادة اسعار الذهب ، فهم المستفيدون من كل زيادة في هذه الاسعار ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفيتي لم يعرض مؤخرا كميات كبيرة من الذهب ، كما هي عادته في سنوات سابقة . (فيناشيال تايمز ٤ يناير ١٩٨٠) كذلك فان الحكومة الامريكية والتي سارت مؤخرا على عقد مزاد شهري لبيع الذهب ، قد توقفت عن البيع منذ نوفمبر ١٩٧٩ . بل واعلن وزير الخزانة الامريكية ميلر في منتصف يناير ان حكومته لا تفكر في البيع الان طالما ان ظروف السوق غير طبيعية وقد كان لهذا الاعلان اثره المباشر في رفع اسعار الذهب في نفس الليلة بما يقارب المائة دولار للأوقيه

وهذه السياسه في تقييد الانتاج لا تساعد فقط على استمرار رفع اسعار الذهب بل انها يمكن ان تدعم ... في العديد من العملات فالدولار مثلا بدا ... كثير من قوته ازاء العملات الاخرى بعد ارتفاع اسعار ... فهذه الزيادة في اسعار الذهب تعني في نهاية الا... قيمة الغطاء الذهبي للدولار الامريكي مما يمكن ... بعث الثقة فيه

ومما يساعد على نجاح هذه السياسه هي ان مصلحة المشترين للذهب لا تتعارض مع استمرار ارتفاع اسعار الذهب ، بل انهم يرحبون في الواقع بذلك لضمان استمرار قيمة ثرواتهم

وقد يؤكد مثل هذا الاتجاه ويدعمه انه قد حصر ... الفوائض النفطية في سلعة واحدة هي الذهب فاذا ... ارتفاع اسعار النفط في ذاته ليس كبير الاهميه في ... لمستوى العام للاسعار ، فان زيادة المديونيه العالميه المترتبه على فوائض النفط قد تكون شديده الاثر والذهب كفيل بامتصاص جزء كبير من الفوائض المالية وتخفيف حدة المديونيه العالمية

ولكن الى اى مدى يمكن ان تذهب اليه سياسة حائزو الذهب في تقييد عرض الذهب حماية لاسعاره ... الانخفاض هذا امر لا يمكن معرفته مقدما ... سيكون كارثة على الدول النفطيه اذا انتهى الأمر بانتقال الذهب اليها ، فتكون قد تخلت عن ذهبها الاسود في مقابل الاصفر وعلى حين ان الذهب الاسود عصب الحياة بما يعنيه من طاقة ، فان الذهب الاصفر ليس ... من معدن براق

الذهب يعيش على قلق الناس وهمومهم ... لكنه ملك نفعا او ضررا . من يشتري الذهب لابد وان ... ومن اشتراه غاليا لابد وان يبيعه غاليا والا خسر ... كبيرة والمتعاملون في الذهب الان اشبه ... الكراسي الموسيقية الجميع يلهو طالما استمر ... وحين تتوقف العزف فستبقى من بيده الذهب ... طابانا من المعدن الاصفر ولو مشتريا ... الطامة الكبرى ■■

د. حازم ...

مغامرة تحولت الى حقيقة !

ملك أراوكانيا

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

هل أتاك حديث آراوكانيا ؟ وملك الآراوكانيين ؟

انه مما اسقطه التاريخ من الحديث فلا علم ولا حبر ! حتى أراوكانيا هذه قطعة من المجهول عندي وعندك وجزر واق الواق الاسطورية اكثر حقيقة منها فما اراوكانيا هذه ؟ واين اين ؟ ومن هم الآراوكانيون ؟ هذا الشعب الذي لم تسجله التوراة في شعوب الارض القديمة ولا تحدث عنه المؤرخون ، على ما اكثروا من الثرثرة والحديث ؟!

ان شئت ان تعرف فاقرأ اولا بعض اشعار بابلو نيرودا شاعر شيلي العالمي انه ابن تلك الارض ، كل براكينها الكتيمة ، كل قممها الثلجية المسنونة ، كل غاباتها تغوص الاقدام في ورقها الميت وتموت الاطياف ، كل صخورها البنفسجية زمر الوحش ، النباتات الكسلى ارقمى بعضها فوق بعض ، زهر الثلج ، عصانب العصافير ، السحب النحاسية المعلقة ، المطر ، المطر ، المطر كالابر الطويلة من البلور يتكسر شهورا طويلة على اسطحة المنازل او يستحيل امواجا شفافة تلطم النوافذ او وحولا لزجة على الطرق كل اراوكانيا تجدها في اشعار نيرودا بلى ! انها في اقصى الارض ، على سفوح جبال الاندس المطلة على المحيط الهادى في جنوب شيلي ، ولكن نيرودا نقلها حية دافئة الى كل قلب ! في مذكراته قال

« من لايعرف الغابة الشيلية فهو لم يطأ هذا الكوكب الارضي من

« تلك الاراضي ، من ذلك الطين ، من ذاك السكون خرجت

« انا الاسير ، لاغني عبر الكون ولدت للحياة ، للارض ، للشعر ، للمطر »

على ان القصة المنسية كانت قبل ولادة نيرودا بقرابة نصف قرن [1] ولا علاقة للقصة به ، ولكن بارضه وباهله انها تبدأ في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٦٠ المطر كان يرهق اربعة فرسان يهبطون الدروب الموحلة من جبال الاندس هناك ومن لحية كبيرهم ويقطر من اذناب الخيول حين برز الفرسان ، بعد اسابيع من السفر والجهد ، كانت انبسطت امامهم هضبة مد البصر ، من الخضرة الندية والشجر الغابي والاسرار المكتنفة بالضباب ومسح كبير الفرسان شاربه ولحيته السابغة علامة الرضى ساعة على ضفاف النهر الجاري بعرض مائة متر من المتدفق المزبد يلتمس ممرا عبره

ـ اذن فهذا هو نهر (بيوبيو) الذى يفصل سور اراضي اراوكانيا !!

في حرب الافقار !

لقد جاء هذا الفارس اسطوان دوتونس A De Tounens من فرنسا خاصة لاختيار هذا البلد وتجربة حظه فيما وراءه ولا يعرفك شبح السالة القديمة لقبه فهو ليس اكثر من ابن لاسرة كانت بعد ستة اطفال ، تعيش في الفقر والمسغبة ويعلم الله كيف (انطوان) ليدرس ثم ليهاجر ثم ليكون هذا المتواضع الذى يسير فيه يطمع في تحقيق حلم من الافق يطمع ان يقيم لنفسه ملكا في اراوكانيا

---

(١) ولد الشاعر بابلو نيرودا سنة ١٩٠٤ وتوفي ١٩٧٣ وفيما بين المولد والوفاة كان قيثارة امريكا اللاتينية نال جائزة نوبل سنة ١٩٧١ بوصفه « شاعر الكرامة البشرية المنتهكة »

ملك لاحد بعد المغامرون الآخرون الذين احتاروا افريقيا حاصة ميدانا لمالكهم «...معمارية» ، اما اطوان فاختار المسير الى اقصى بقعة في الارض ، الى اراوكانيا ولست تدرى من اين هبط عليه هذا الحلم ؟ ولا كيف عرف بوجود تلك البلاد ومتى قرر المسير اليها

مائة سنة ظل الفاتحون الاسبان الذين اسسوا شيلي يحاربون قبائل الآراوكانيين ، السكان الاصليين لتلك الارضين دون اى نجاح دفعوا هناك من الضحايا اكثر مما دفعوا في فتح امريكا كلها وظل الآراوكانيون يدفعون بالمقابل دون كلل كل ما نجح به الاسبان هو اجبار ذلك الشعب على التقهقر جنوبا جنوبا الى ان حوصر في تلك الشقة الساحلية الضيقة الباردة في الجنوب كانوا يسمون ذلك « تهدئة اراوكانيا » اى مواصلة الحرب بالدم والنار لافناء ذلك الشعب القديم وانتزاع اراضيه بنيران البنادق ، باحراق الاكواخ بالافقار المتمادى ، باستخدام القانون والقضاة والمحاكم لاحلالهم ، بالكهان يهددونهم بنيران جهنم واخيرا بتوزيع الخمور أيضا !! صحيح ان الحرب الدموية توقفت سنة ١٦٥٥ ثم اعترفت اسبانيا باستقلال اراوكانيا سنة ١٧٧٣ ولكنها الحرب الاخرى ، حرب الافقار والخمر والحصار ظلت على اشدها والشعب ...مريو يتآكل كبعض الهضاب الصخرية ...صلدة

ولم يكن اسم الشعب بالاراوكان ولكن الكلمة ...ت من اوكايس وتعنى « الثائر » في لغة ذلك الشعب القديم انهم ادن شعب « الثوار » ولكن دون امل ! ...ارضهم التي بقيت لهم في اواسط القرن الماضي كانت حوالى ٦ الف كم٢ واما عددهم فكان قد تضاءل الى حوالى ٢ او ٢٥٠ الفا فقط وكانوا ضعف ذلك مرتين وكان لهم من قبل الملوك ولهم الحضارة والنظام العظيم ولكن الخمر والقتل والفقر والحصار كل اولئك قد ... الى شعب في طريق الاندثار

وصل الفارس اطوان دوتوبين الى نهر بيوبيو ... كانت شيلي تعتبر هذا الشعب وأرضه من ...ن أرضها ولكن دون أن تمس الشعب أو تدخل الارض .. أما الاراوكانيون ، بالمقابل فكانوا يعتبرون انفسهم مستقلين اسبانيا الحاكمة قبل قرنين كانت قد اعترفت لهم بالاستقلال وقد عادوا الى رعاماتهم العشائرية (الكاسيكه ...م يأتهم من وراء نهر بيوبيو في الشمال اى سلطة

القادم لا جل الخير

كان الفارس دوتونين وحاشيته من الفرسان الثلاثة يخترقون الاعشاب الطويلة بعد ان عبروا النهر حين فوجئوا بكوكبة من فرسان الاراوكانيين ، على السرج ، بسحنهم النحاسية العريضة واغطيتهم السميكة من الصوف التي يتوقون بها المطر ينبعون لهم من قلب الادغال ويقطعون عليهم الطريق ! وحين قادوهم الى رعيم القبيلة الكاسيكه ماعنيل Magnil في القرية استطاعوا بسهولة ان يقنعوه انهم ليسوا من شيلي ، وليسوا من الاعداء وانهم انما يرافقون هذا « السيد العظيم اطوان دى توبين »» الذى جاء لا يريد لهم الا الخير .

وما الخبر ؟

الفارس اطوان كان قد قضى سنة ونصف السنة من قبل في شيلي ، وفي مرفأ «كوكيمبو» يحضر لهذا اللقاء ، يتعلم الاسبانية لانه لم يجد من يعلمه لغة الاراوكان يحضر الخرائط والمعلومات، والوثائق يجمع الدراسات القليلة لنبات الارض ومعادنها ولعواصف الاهواء فيها ! ولذلك سرعان ما عرض الامر على الكاسيكه ذى الشعر الرمادى من الزاوية التي تهمه وتستأثر به !

قال له في جمل قصيرة حاسمة كأنها القدر ان لم يتحرك الشعب الاراوكاني وينظم نفسه ضاع شيلي سوف تجتاز ذات يوم قريب نهر بيوبيو وتأخذ البلاد نهائيا وانتم لا تستطيعون المقاومة كما انه ليس لديكم الخبرات اللازمة لاستغلال هذه الارض واقامة استقلالكم الاقتصادى وانتم متفرقون . فيجب ان تتحدوا في دولة ذات نظام وان يكون لديكم الخبير القوى الذى يعرف البيض جيدا ويقودكم ويستخرج لكم ايضا ما تحتوى ارضكم ممن ذهب !

وبالرغم من ان الكاسيكه العجوز ظل طويلا يرمق انطوان ولحيته السابغة بالحذر ، الا انه في اعماقه اقتنع بالامر لانه كان مستعدا من قبل لمثل هذا الاقتناع الذي يدغدغ احلام الآراوكانيين ، وقال وهو يعب من « الماته » الحارة في اوعيتها الخشبية التقليدية ويحلم بـ « الذهب » المنتظر الذى استدارت له عيناه وحواجبه

ـ ان ذلك يحتاج الى معجزة .

واجاب انطوان بسرعة ، كلا انكم تحتاجون فقط الى ملك يجمعكم ويصبح الاب للجميع وانا مستعد ان اكون ذلك الملك

ولم تدم مفاجأة الكاسيكه طويلا لقد سأله

ـ ولكن لماذا انت ؟ من انت ؟ ومن يساندك ؟ وما هي قواك ؟ واين ذلك الذهب ؟

ولكن انطوان اسرع الى الكذب الذى كان تهيأ له من قبل

بنى للكاسيكه العجوز قصورا من الاوهام ، وروق الابواب والمداخل والمخارج

شهادة المحفل الماسوني ؟

حمى الاستعمار كانت آخذة بألباب اوروبا في ذلك الوقت وكانت انكلترا وفرنسا خاصة ، في السباق للسيطرة الاستعمارية قد ابتلعتا معظم « القطيرة » السوداء الافريقية وجنوب أسيا وتراوداں الشرق الاقصى وبلاد العرب ، وارث « الرجل المريض » العثماني وروسيا تبدأ الزحف ، لاحتلال تركستان الاسلامية وتعبر سيبريا للوصول الى المحيط الهادي والمغامرون ينطلقون كالاسهم السارية في كل اتجاه ، وفي اجساده احلام يقظة عرضها السموات والارض ولم يكن صعبا على الفارس المغامر ان يصوغ اسطورته

ـ انا الامير انطوان دوتونين ولدى كذا من الخبرات عندى الاموال سوف تلحق بي القوى الموجودة في اوروبا اعرف الوسائل الحديثة في الحرب وانا حيادي وانما جئت خصيصا لانقاذ اراوكانيا وتقديم العون لها

وسأله الكاسيكه

ـ ولكنك وحيد هنا واوربا بعيدة هل لك كتب توصية واموال ؟

الفارس المريب لم يكن يملك سوى مبلغ محدود جدا من المال ولا شهادة معه سوى شهادة التحاقه بالمحفل الماسوني في بلده واخرجها ! اما المال فالذهب الاراوكاني موجود ينتظر فقط من يعرف استخراجه وهذا « المنقذ » على استعداد لاستقدام اعوانه الخبراء من اجل ذلك

كان المطر يهطل كالمزاريب وغرق « الكاسيكه » في فترة من الصمت تحت دثاره السميك ثم استمهل الى اليوم التالي ليقول كلمته

لاتهم المفاوضات التي تمت بعد ذلك ، ولا الاحاديث التي رددها انطوان بلحيته الطويلة المؤثرة على مجمع الزعماء المحليين لاقناعهم المهم ان نعرف ان الفارس المغامر قد استطاع في النهاية ان يصوغ لهم الاحلام وان يضع نفسه على رأس هذه الاحلام وما كاد يتم بموافقتهم حتى اصدر في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٠ اول مرسوم من مراسيم الدولة بدأ كما يلي

« نحن الامير اوربي انطوان دي تونين ،

آخذين بعين الاعتبار أن آراوكانيا لا ترتبط بأي دولة

وانها مقسمة الى قبائل وان حكومة موحدة قد اعلنت فيها للمصلحة العامة

نرسم بما يلي

مادة اولى تونس ملكية دستورية وراثية في اراوكانيا ويسمى الامير انطوان دي تونين ملكا باسم أوربي انطوان الاول »

المغامرة صارت حقيقة

ولما كان الملك مستعجلا فقد اتبع هذ[illegible]

ي ، دة تشكل دستور المملكة الجديدة « مملكة
اس » وبعد فترة قصيرة تلقى رئيس جمهورية
ورير خارجيتها ، رسميا ، نص هذا الدستور
ع استلام الملك الجديد عرش اراوكانيا وتشرت
لـ ائد الشيلية بعد ايام اخرى تلقت حكومة
س هذا الملك « مرسوما مؤرخا بـ ٣٠ تشرين الثاني
١٨٦ يبلغها فيه انه ضم الى تاج اراوكانيا بلاد
رنيا في اقصى الجنوب الشيلي !

رلان لاهل باتاغونيا ما للمواطنين الاراوكانيين من
ق »

رمها بدا الامر مراحا غريبا فيجب ان نعرف ان
س المغامر قد اقام ، بهذا الشكل المفاجيء ، مملكة
ى المساحة ضعفي مساحة فرنسا وفي منطقة ذات
اقتصادي واستراتيجي فريد وبلغ الامر من
ة بحيث قبلت انكلترا وايطاليا وفارس فتاصل
انيا ، بالفعل وظهر اسم امير اراوكانيا في تقويم
طا) للملوك [٢] واخذت المغامرة التي لا معنى لها
ل حقيقة وحقيقة واقعة ! لولا ان صاحبها
ب الخطينة المميتة !

كانت موارد البلاد المالية تنضب بسرعة شديدة
ي لديه من مورد فاجتاز نهر بيوبيو شمالا الى بلدة
مارايسو) (بجانب سانتياغو عاصمة شيلي) ومن
ي (٣ حزيران ١٨٦١) اطلق الى فرنسا والفرنسيين
قال فيه « ليأت اولئك الذين لا يخيفهم السفر
د . لمعونتي في بناء فرنسا الجديدة لا اطلب منهم
لفعالية والخلق الكريم لاننا حين نرغب في تمدين
ين فيجب ان نقدم لهم المثل الطيب »
وطلب من الفرنسيين الاكتتاب الوطني لذلك

كانت حكومة شيلي تحسب ان فرنسا تقف وراءه
ستساعدها الحماس لندائه ولم تكن تريد الاصطدام
ناصمت للسكوت ولكم نداء المغامر الملكي سقط
هراء لم يجب عليه احد ولا دفع له احد فلسا .. ما
أخذه أحد على محمل الجد كانت التعليقات الفرنسية
بالعكس تعليقات قاتلة كانت تتكلم عنه كلامها عن
مهرج وتتحدث عنه على انه ملك من ملوك الورق او
بعض الاوبيرات ! اماامبراطور فرنسا في ذلك الوقت
نابليون الثالث فكانت لديه غزلان اخرى يطاردها

وهكذا قررت شيلي التحرك !

وبينما عاد انطوان الى اراوكانيا فجمع القبائل في
مسطح من الارض ودار زعماؤها الفرسان حوله حبيا اربع
مرات ، وناول الكاسيكه علما مثلث الالوان (ازرق
ابيض احضر) معلنا انهم يجب ان يموتوا فداءه وصاح
الاراوكانيون عاش الملك

بينما كان ذلك كانت حكومة شيلي تقدر وتدبر

كيف انتهى الامر ؟

بأبسط وسيلة ! اشترت شيلي الدليل الذي يستخدمه
« الملك » انطوان فوقع في كمين على الحدود وسيق الى
زنزانة لا يرى فيها اي نور وبالرغم من انه استطاع
الفرار بعد ستة عشر شهرا الا انه وقع في قبضة
السلطات الشيلية مرة اخرى وفي سجن أمر وأدهى

وفي المحاكمة كانوا يدعونه « سالملك انطوان
الاول » الم يكن قد كسب هذا اللقب بجهوده وبتأييد
الشعب ؟ وكان له بلاد وعلم وجيش ودولة ودستور ؟
ولكنه في النهاية اعلن انه مجنون ! ووضع على ظهر
مركب فرنسي مطرودا من البلاد !

بل ! حاول عدة مرات وخلال خمس عشرة سنة ان
يصل الى مملكته عبر جبال الأندس الثلجية فاخفق
وحين عاد في النهاية الى بلده الاصلي مجرد أفاق فقير لم
يطل عمره سوى عدة اشهر وحين اعلنت الصحف موته
اعلنته وسط اسطر من السحر المفترس اليس ذلك دوما
نصيب المخفقين ؟ ■■

د شاكر مصطفى

---

[٢] هو اسم تقويم سنوي ودليل للانساب والدبلوماسية والاحصاءات كان يصدر في المدينة الالمانية التي تحمل هذا
سم . سنة ١٧٦٣ باللغتين الالمانية والفرنسية ولم ينقطع عن الصدور الا سنة ١٩٤٤

ى مكان حاص بمعملي ، توحد زحاجة أبيقة وصعيرة ، وفي داخل الرحاحة ملح بلوري لا يلفت البظر ، أو يثير لانتباه ، لكنه يحذب فكر كل من عرف أسراره وخباياه دلك ان ملحا هذا بمثابة كتب مكتوبة ، او حطط محفوطة ، او هي لعة الله في حلقه ـ لعة سحلت بحسيات في درات في ريئات تحمل شفرات ، وبها يحدد الحالق صفات المخلوقات بدايه من الميكروب الصئيل ، الى الاىسان السيد الحكيم فهذا الملح الكامن في الزحاحة حامص حاص يعرف باسم الحامض النووي ، لأنه معرول بحالة نقية من نوى الخلايا الحية ، وهو يتصمن فكرة الحلق التي كشف العلماء عنها الحجاب ، وفتحوا بها صفحة هامة في كتاب الكون المفتوح لكل ، سعي سعيه الى معرفة تقربه من الخالق الذي « خلق كل شيء فقدره تقديرا »

سعره الحرىء المعوب . ه الحروف ، ولكل منها معنى في لعه تحميع البروتيبات وهي تقرأ هكذا ى ـ
ح س ح ، س س ى ى ى أ الح

ى ث ج ج س ج ، س ى ى ى م س س ث م ى س ى س ج ح

ﻫﺪ- ﻣﻜﻢ ﻣﻼﻳﺲ ﺍﻟﻤﺮﺍﺏ ﻟﺎ ﺳﻮﺳﻮﻣﻪ ﻭﺍﺣﺪﻩ ﻭﻋﻠﻴﻬﺎ ﺳﻢ ﻧﺘﻜﻮﻥ ﺍﻟﺮﻭﺳﺎﺕ ﺣﺴﺐ ﺍﻟﺨﻄﻪ ﺍﻟﺘﻰ ﺗﺤﻤﻠﻬﺎ ﺍﻟﺤﺮﻭﻩ ﺑﺮﺳﻮﻝ ﻣﻦ ﻣﻌﻮﺑﻪ ﺍﺫ ﺗﺪﺧﻞ ﺍﻟﻤﻌﻮﺏ ﺑﻴﻦ ﻋﺼﻴﻰ ﺍﻟﺮﺳﻮﺳﻮﻣﻪ ﺍﻟﺘﻲ ﺗﺘﻜﻮﻥ ﻣﻦ ﺣﻮﺍﻟﻰ ٨٠ ﻧﻮﻋﺎ ﻣﻦ ﻟﺮﻭﺳﺎﺕ ﻣﺤﺴﻪ (ﻋﻠﻰ ﻫﻴﺌﻪ ﻛﻮﺭ ﻟﻠﺘﺒﺴﻴﻂ) ﻭﺗﻠﺘﻒ ﺣﻮﻝ ﻟﺮﻭﺳﺎﺕ ﺣﺮﺳﺎﺕ ﺗﺴﻤﻰ ﺍﻟﺤﺮﺳﺎﺕ ﺍﻟﺮﺳﻮﺳﻮﻣﻪ (ﻧﺴﺒﻪ ﻟﺪ ﺳﻮﺳﻮﻣﻪ ﺍﻭ ﺍﻟﻤﻄﺒﻌﻪ ﺍﻟﺤﻴﻪ) ﻭﻋﻠﻰ ﻫﺪﻩ ﺍﻟﺤﺮﺳﺎﺕ ﻳﻮﺣﺪ ﺳﻘﺮﺍﺕ ﺗﻨﺎﺳﺐ ﺍﻟﺤﺮﻭﻑ ﺍﻟﻤﻌﻮﺏ

ﺑﺎﺩﺉ ﺫﻱ ﺑﺪﺀ ﺩﻋﻨﺎ ﻧﺘﺴﺎﺀﻝ ﻣﺎﺫﺍ ﻧﻌﻨﻲ ﺣﻘﺎ ﺑﻘﻮﻟﻨﺎ ﻣﻦ ﻛﺘﺐ ﻣﻜﺘﻮﺑﻪ ﻭﻧﺤﻦ ﻣﻦ ﻟﺤﻢ ﻭﺷﺤﻢ ﻭﺩﻡ ﻭﻋﻈﺎﻡ ؟

ﺻﺤﻴﺢ ﺍﻧﻨﺎ ﻓﻌﻼ ﻛﺪﻟﻚ . ﻟﻜﻦ ﻛﻞ ﻫﺪﺍ ﺍﻟﺘﻨﺎﺳﻖ ﻗﺪ .. ﻋﻠﻰ ﺍﺳﺎﺱ ﻣﺨﻄﻮﻃﺎﺕ ﺩﻗﻴﻘﺔ ﺗﻜﻤﻦ ﻓﻰ ﻧﻮﺍﺓ ﻛﻞ ﺣﻠﻴﺔ ... ﻭﻛﻞ ﻣﺨﻄﻮﻃﺔ ﺍﻭ ﻣﻌﻠﻮﻣﺔ ﻣﺴﺠﻠﺔ ﻓﻲ ﻣﻮﺭﺛﺔ ﺃﻭ ... ﺛﻢ ﺍﻥ ﻫﺪﻩ ﺍﻟﺠﻴﻨﺎﺕ ﻣﻨﺘﻈﻤﺔ ﻭﺍﺣﺪﺓ ﺑﺠﻮﺍﺭ ﺍﻻﺧﺮﻯ .. « ﻣﻠﻒ » ﺧﺎﺹ ﻳﻄﻠﻖ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﺳﻢ ﺍﻟﻜﺮﻭﻣﻮﺳﻮﻡ ، .. ﻣﻠﻒ ﺍﻟﻮﺍﺣﺪ ﻳﺤﺘﻮﻯ ﻋﻠﻰ ﺃﻟﻮﻑ ﻓﻮﻕ ﺍﻟﻮﻑ ﻣﻦ ﻫﺪﻩ ... ﻭﻓﻰ ﻛﻞ ﻧﻮﺍﺓ ﺟﺴﺪﻳﺔ ﻣﻦ ﺣﻼﻳﺎ ﺍﻻﻧﺴﺎﻥ ﻳﻜﻤﻦ ٢ ﺯﻭﺟﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻠﻔﺎﺕ (ﺍﻯ ٤٤ ﻛﺮﻭﻣﻮﺳﻮﻣﺎ) . ﻫﺪﺍ ... ﻋﻼﻭﺓ ﻋﻠﻰ ﻣﻠﻔﻴﻦ ﺍﻭ ﻛﺮﻭﻣﻮﺳﻮﻣﻴﻦ ﺍﺣﺪﻫﻤﺎ ﻳﺤﻤﻞ ﺟﻴﻨﺎﺕ ﻣﺘﺨﺼﺼﺔ ﺑﺘﺤﺪﻳﺪ ﺍﻟﺪﻛﻮﺭﺓ ، ﻭﺍﻵﺧﺮ ﻟﻸﻧﻮﺛﺔ (ﺍﻯ ٤٦ ﻛﺮﻭﻣﻮﺳﻮﻣﺎ)

ﺑﻌﺒﺎﺭﺓ ... - ﺑﻄﺮﻳﻘﺔ ﺃﻭﺿﺢ - ﺍﻥ ﻧﻮﺍﺓ ﺍﻟﺨﻠﻴﺔ ﺑﻤﺜﺎﺑﺔ « ﺍﺭﺷﻴﻒ » ﺩﻗﻴﻖ ﻏﺎﻳﺔ ﺍﻟﺪﻗﻪ ﻭﻓﻰ ﻫﺪﺍ ﺍﻻﺭﺷﻴﻒ ﺗﻜﻤﻦ ﺍﻟﺨﻄﺔ ﺍﻟﻜﺎﻣﻠﺔ ﻟﺘﺠﻌﻞ ﺍﻻﻧﺴﺎﻥ ﺍﻧﺴﺎﻧﺎ ، ﻭﺍﻟﺤﻤﺎﺭ ﺣﻤﺎﺭﺍ ﻭﺍﻟﻨﺒﺎﺕ ﻧﺒﺎﺗﺎ ... ﺍﻟﺦ !

ﻛﻴﻒ ؟ !

ﺩﻋﻨﺎ ﺃﻭﻻ ﻧﻮﺿﺢ ﺧﻄﺔ ﺍﻟﻌﻤﻞ ﺑﻤﺜﺎﻝ ﻭﺍﻗﻌﻲ ﻣﻦ ﺣﻴﺎﺗﻨﺎ . ﻓﻬﺪﻩ ﺍﻟﻜﻠﻤﺎﺕ ﻭﺍﻟﺠﻤﻞ ﻭﺍﻟﻔﻘﺮﺍﺕ ﺍﻟﺘﻲ ﺗﻘﺮﺃﻫﺎ ﺍﻻﻥ ﻛﺎﻧﺖ ﻓﻜﺮﺓ ﻓﻰ ﻣﺦ ﺍﻧﺴﺎﻥ . ﻭﻟﻜﻲ ﺗﺨﺮﺝ ﺍﻟﻔﻜﺮﺓ ﺍﻟﻰ ﺍﻟﻮﺟﻮﺩ ، ﻓﻼ ﺑﺪ ﻣﻦ ﺗﺴﺠﻴﻠﻬﺎ ﺧﻄﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻮﺭﻕ ﺑﺤﺮﻭﻑ ﻟﻐﺔ ﻣﻌﺮﻭﻓﺔ ، ﺛﻢ ﺗﺒﻌﺚ ﺍﻟﻔﻜﺮﺓ ﺍﻟﻤﻜﺘﻮﺑﺔ ﺍﻟﻰ ﺟﺎﻣﻊ ﺍﻟﺤﺮﻭﻑ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﻄﺒﻌﺔ ، ﻓﻴﻄﺒﻊ ﻣﻨﻬﺎ ﻣﺎ ﺗﺮﻳﺪﻩ ﻫﻴﺌﺔ ﺍﻻﺷﺮﺍﻑ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻤﺠﻠﺔ ﻣﻦ ﻧﺴﺦ ، ﺛﻢ ﺗﻮﺯﻉ ﺍﻟﻨﺴﺦ ، ﻟﺘﻜﻮﻥ ﻫﺪﻩ ﺍﻟﻨﺴﺨﺔ ﺑﻴﻦ ﻳﺪﻳﻚ ، ﻭﺑﻬﺎ ﻭﺑﻐﻴﺮﻫﺎ ﺗﻨﺘﺸﺮ ﺍﻷﻓﻜﺎﺭ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﺠﻤﺎﻋﺎﺕ

الحياة فكرة لها أيضا لغة ؟

والشيء نفسه ينطبق على نواة الخلية وما يحيط بها من « جماهير » حريئية غفيرة ، وأجهزة خلوية دقيقة غاية الدقة. فكأنما النواة بمثابة مخ الخلية أو ذاكرتها التي تحتفظ فيها بلغة سرية أودعها الله فيها على هيئة اشرطة أو حريئات وراثية ، والحريئات « مكتوبة » بحروف أو مركبات كيميائية اربعة اطلقنا عليها حروفا من واقع لغتنا هي ا ، ث ، ج ، س (وهي الحروف الاولى لمركبات ادينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ـ راجع مقالنا في هذا الصدد بالعدد السابق من هذه المجلة) ثم ان هذه الحروف الاربعة تتراص وتتبادل فيما بينها ملايين وبلايين المرات ، لتكون مثلا هكذا ج ث ا ا س ج ث س ج ا ج الخ الخ ، وطبيعي ان هذه الشفرة ليس لها معنى في عقولنا ، لكنها بمثابة « كلمات » الله المجسدة ، او بمثابة لغته في خلقه. صحيح انها لغة كيميائية شفرية او (كودية) ، الا ان الخالق قد منحنا عقولا لتدلنا على بديع صنعه فيما خلق فأتقن ، علمنا بقدره ، فليس من يعرف كمن لا يعرف !

ولقد استطاع العلماء فك لغز هذه الشفرة في الاشرطة أو الحريئات الوراثية. وعرفوا انها شفرة ثلاثية الحروف او المركبات ، فليست الجيم او الثاء او السين او الألف بذات معنى لو جاءت كل منها مفردة ، بل يتضح معناها حقا لو جاءت الشفرة ثلاثية ، اى على هيئة ا س ج ، او ث ج أ ، أو ا ا ث ، أو أ ا أ ، او ج ج ث الخ ، ومن التباديل والتوافيق بين هذه المركبات الاربعة ، في شفرات ثلاثية مرتبطة ، تستطيع ان تحصل على ٦٤ شفرة مختلفة. كل شفرة منها لها معنى في لغة الخلايا الحية.

ولكي نوضح نقول. اننا نكتب لغتنا بثمانية وعشرين حرفا ، وبهذه الحروف نستطيع ان نكتب ما نشاء من كلمات وجمل وفقرات ندونها في صفحات ، لنكون بها مجلدات من فوق مجلدات ، وقد تكون الكلمة من حرفين أو ثلاثة او اربعة. الخ ، وقد يكون لها معنى ، أو قد لا يكون. خذ لذلك مثلا حروف ع ، ب ، د. بادل حروفها تخرج لك كلمات مثل عبد ، بعد ، دعب ، بدع ، عدب ، دبع ، ولا شك انك ستجد ان بعض هذه الكلمات معنى ، وبعضها لا معنى له على الاطلاق.

كذلك تكون الشفرة الثلاثية في لغة الحياة. لكنها جميعا ذات معنى خاص ، وهي ـ كما ذكرنا ـ ٦٤ شفرة ثلاثية ، هى للحياة بمثابة « ألف باء » لغتها ، اى ان هذه اللغة اغزر وأعم واشمل من مفردات وكلمات لغاتنا ، لأنها تستطيع ان تستخدم ٦٤ شفرة ، في حين اننا نستخدم في لغتنا ٢٨ حرفا ، وفي لغة الرسائل التلغرافية مثلا شفرة من نقطة وشرطة ، او نقطتين وشرطة ، او نقطة ونقطة. الخ

ماذا تعني الشفرة الثلاثية ؟

تعني الكثير حقا. لان هذه الشفرات الثلاثية تدير دفة الامور في الخلايا الحية ، لكنها لا تخرج الى ساحة الخلية ، وتختلط بالجماهير الحريئية الأقل شانا ، لتنظم لها شئونها ، او تدير آلاف العمليات الكامنة فيها ، بل تبقى هي في « رئاستها » او نواتها ، وتبعث نيابة عنها عددا كبيرا من المبعوثين أو الرسل بخطط عمل محددة. ولكل مبعوث خطة لا يشاركه فيها سواه.

والرسول او المبعوث ليس في الحقيقة الا شريطا وراثيا يحمل شفرات باعثة ، وقد يكون على هذا الشريط مئات او الاف الشفرات الوراثية ، وهي في جملتها تشكل خطة وحيدة مقدرة ، او ربما اكثر.

لكن الشيء الذي يدعو الى العجب حقا ان المبعوث لا يرقى الى مستوى الباعث ، حتى ولو كان ذلك على مستوى حريئات وراثية. فكأنما المبعوث اقل درجة من باعثه ، ولهذا حور الباعث في رسالة مبعوثه قليلا. حتى لا يستأثر بسلطاته عندما ينتشر بين الجماهير الحريئية في ساحة الخلية ، وقد تنشأ من ذلك فوضى ، والحياة يمكن ان تقوم على فوضى « لو كنتم تعلمون » !

اذن. كيف تتم هذه « السياسة » الحكيمة ؟

إن الشريط السيد او الباعث يشتغل بشفرة ... ج ، س. لكن المبعوث يشتغل بشفرة أخرى ...

صوره مكبره بالمكروسكوب الالكتروني ١٥٠ الف
مره وفيها تظهر الرسوسومات (مطابع الحلية الدقيقة)
نحاب صغيرة رغم هذا التكبير الفائق

قليلا . فلقد حذف الباعث الشفرة « ا » من معوثه ، وعوضها بالشفرة « ى » والياء هي اسم مركب كيميائي اخر نطلق عليه « يوراسيل » أحدنا الحرف الاول من الكلمة من باب الاختصار ليس الا ومن اجل هذا اطلقنا على الجزيء الوراثي الباعث اسم الحامض النووي ، وعلى معوثه اسم الحامض النووي الرسول Messenger ribonucleic acid (الواقع ان تشكيل هذه الجزيئات معقد ، ولا نستطيع ان ندخل في تفاصيلها هنا ، فذلك يستلزم الماما لا بأس به بعلوم الكيمياء ، ونعتذر للمتخصصين في هذا المجال)

وكيف يخرج المبعوث من الباعث ؟

الواقع ان المبعوث طبعة محورة من الباعث ، ولكي يطبع الباعث معوثه ، كان لا بد ان يشق الشريط الوراثي الى نصفين ، وهو ـ كما سبق ان ذكرنا ـ يشبه السلم الحلزوني الذي يتكون من مئات أو آلاف الدرج ـ كل درجة منها تتكون من شفرتين ، فذاتها ترتبط ث لتصبح درجة ، وكذلك ج ، س لتصبح درجة تاليه يمكن ان ترتبط أ ، ج أو ث ، س ، أو ث ث الخ هندسة الجزيئات الكيميائية تمنع ذلك ، وكأنما كل ع شقه ، بمثابة القالب مع قالبه او أن احدهما مسه Complementary -

وبأية وسيلة يشق هذا السلم طوليا ؟

بواسطة نوع خاص من الخمائر او الانزيمات تكمل هذا العمل ، وطبيعي أن هناك معمعة كيميائية تحدث في هذا المجال ، ولا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، حتى لا يخرج الموضوع من ايدينا ، او نتوه في تفاصيله اضف الى ذلك ان هذا « المشار » الكيميائي جاء ايضا على اساس خطة مقدرة بين الباعث ومعوثه الأول يعطي الأمر ، والثاني ينفذه في مطابع الخلية الدقيقة ، فتتجسد الخطة على هيئة انزيم له رسالة في ساحة العمليات الكيميائية ، وسوف نتعرض لذلك تفصيلا في مقالة قادمة ، لأن اسرار الحياة اكبر واعمق مما نتصور

الطابع والمطبوع

السلم الحلزوني الوراثي مشقوق الآن جزئيا الى شقين ، وعندئذ ستظهر لنا أنصاف الدرجات معلقة ، ولنتصور أنها هكذا ا ج ث س س ا ث ج س ث

الى آخره ، ولا بد ان تكون أنصاف الدرجات المقابلة هكذا ث س ا ج ج ث ا س ج ا

مع ملاحظة ان كل ا تقابلها ث (اي تحتها في السطر) ، وكل ج تقابلها س ، او العكس ، لأن هذا

بمثابة قالب لذاك ، كما سبق ان اوضحنا

وطبيعي ان هذه الشعرات ليست مفككة بالطريقة التي نكتبها بها ، بل هناك روابط اليكترونية تربطها الى هياكل كيميائية تشبه الدرابزين ، فتنتظم عليها في طابور طويل ، ليتم طبع الجزيء الوراثي الرسول على هذا الشق او ذاك ، وكأنما نحن نطبع من الاصل (البوزيتيف) صورة نيجاتيف ، لكننا في الحقيقة لا نتعامل مع صور ، بل هناك جزيئات كيميائيه كثيرة جدا حاضرة للدخول في المعمعة ، مع أخذنا في الاعتبار ان كل شعرة تعرف قالبها الذي يجب عليها ان تدخل فيه ، أو تتحد به

ان الخامات التي ستدخل في طبع الجزيء او الشريط الرسول موجودة في ساحة العمليات بالملايين وبحالة مفككة ، وكأنما هي بمثابة حروف لغة مفردة في مطبعة ، وكما يتناول جامع الحروف حروفه ليرصها ، ثم يطبع منها نسخا ، كذلك تدخل الشعرات الوراثية المفككة على قالبها الذي يتمثل لنا الآن في انصاف الدرجات المعلقة على سلمها الكيميائي المشقوق ، وطبيعي أن هذا الطبع لا يتم جزافا ، بل من ورائه موجهون يوجهونه ويدفعونه الى الهدف ، وهؤلاء يتمثلون لنا في جزيئات حاملة للطاقة ، وانزيمات مساعدة وتشكيلية .. الخ ، المهم أن كل أ يقابلها ث ، وكل ج يقابلها س على الجزيء الوراثي الباعث ، لكن الأمر يختلف قليلا في الجزيء او المبعوث ، فبدلا من مقابلة الشعرة أ بالشعرة ث (لانها قالبها الذي تلبس فيه) ، نجد أن أ يقابلها ي .. اما الشعرات الثلاثة فتقابلها قوالبها هكذا

الباعث ث أ ج س ث س ج أ أ ج ث أ .. الخ

المبعوث أ ي س ج أ ج س ي ي س أ ي .. الخ

وبعد أن يتم الطبع المطلوب ، يترك المبعوث باعثه بعد ان يكون قد حصل على عشرات او مئات الالوف من النسخ المطبوعة ، وكل هذا يتوقف على حجم العملية التي سيشارك فيها المبعوث من اجل الصالح العام للخلية ، وبعدها تعود انصاف الدرجات الى التلاحم ، وكأنما الجزيء الباعث قد اغلق مطابعه ، انتظارا لأوامر جديدة ، فينشق ليطبع ويغلق .. وهكذا

رسالة المبعوث

نحن نعرف ان البروتينات هي حجر الاساس في الكائنات الحية .. فكثير من الهرمونات بروتينات ، والخمائر او الانزيمات من بروتينات ، وكل اجهزة الخلية الدقيقة من هذه المادة الحيوية التي لا يمكن ان تخلو منها ميكروب او دودة او طحلب أو أي كائن حي آخر

والحياة في خطوطها العريضة تسير على مبدأ .. آكل ومأكول ، وهاضم ومهضوم ، وصيد وصياد .. الخ ، فنحن نربي الزرع والضرع لكي نأكل خاماته البروتينية والنشوية والسكرية والدهنية .. الخ ، لكن دعنا نقصر حديثنا هنا على البروتين ، لأنه هو المقصود بكل ما قدمنا فأوجزنا ، ذلك ان الباعث والمبعوث قد جاءا بشعراتهما من اجل هذا البروتين ، لا ليشتغلا على جزيئاته العملاقة ، بل على « حروف » لغته المكتوبة في جزيئاتها على هيئة بروتينية

أي كأنما نحن نخرج من لغة ، لندخل لغة اخرى جديدة هي لغة البروتينات ، لكن هذه هي اسرار الحياة يا صاح .. انها نظم من وراء نظم .. وهكذا ، ليتبين لنا في النهاية ان كل شيء قد جاء بحساب ، وسري بمقدار .

نحن مثلا نتناول شريحة من لحم بها نسبة معتبرة من البروتين .. لكنه ليس نوعا واحدا ، بل أنواع كثيرة من البروتينات كانت لها رسالات هامة في الحيوان الذي كان يحتويها .. وطبيعي اننا نمضغ الشريحة لنقطعها إربا إربا ، ثم نلقي بها الى جوفنا لتنساب عليها خمائر او أنزيمات أو عصارات هاضمة .. تعددت الأسماء ، والمعنى واحد

وعملية الهضم ليست ـ في الحقيقة ـ الا عملية تفكيك للجزيئات البروتينية العملاقة ، فكما يفكك جامع الحروف حروفه في مطبعته ، ليكون لديه عدد لا بأس به من الالفات والباءات والتاءات والجيمات .. الخ ، كذلك يتفكك البروتين الكبير الى جزيئات صغيرة نعرفها باسم الاحماض الامينية Amino Acids (.. عن الأحماض النووية التي تسكن نواة الخلية وتشكل الشعرات الوراثية)

لهـ ان أحماضنا الأمينية تنفذ من جدار الأمعاء ،
، ان الدماء ، لتنساب بين الخلايا ، فتأخذ كل
ـصيها من طرز الاحماض الأمينية التي يبلغ عدد
ـا عشرين نوعـا مختلفـا منهـا ما نعرفـه باسم
، وجلايسين ، وليوسين ، ولايسين ، وسيرين ،
الى آخر هذه القائمة ، ثم ان كل نوع من هذه
ـع يوجد داخل الخلية الحيـة بالملايين او عشرات
ـ - يوجد بحالة مشتتة مختلطة ، كما تختلط
ـ من حروف لعبتنا في صندوق ، وطبيعي ان هذه
ـ لا معنى لها ولا مغزى الا اذا تجمعت في كلمات
وفقرات لتؤدي غرضها في صفحة او كتاب نقرأه
، مغزاه ، ولكننا ـ على اية حال ـ سنتحدث في ذلك

طبيعي ان الخلية الحية لا تمتلك عقلا ، بل ترتكز
ـاتها على خطة عظيمة تكمن في نواتها على هيئة
، وراثية لها شفرات محددة ، وتطبع بها رسلا
ـها الى ساحة الخلية على هيئة اشرطة تنتظم عليها
الخاصة بكل حامض اميني من العشرين نوعا
ذكرنا بعضها ، فترص هذا الحامض بجوار ثان
ورابع الخ ، وكأنما هي تكتب كلمة طويلة قد
حروفها المتشابكة الى العشرات او المئات ، كل هذا
ـ على نوع البروتين الذي تحتاجه الخلية لادارة
حياتها ، او لتصنعه وتوزعه على غيرها ، كما
مثلا في حالة الهرمونات التي تفرزها الغدد
ـ ، لتدور في الدماء ، وتؤدي رسالاتها التي جاءت
ـلها في مواقع اخرى من الجسم

أسرار جديدة

ـكر المبعوث بالشفرة الوراثية الى ساحة الخلية لا
ـتم مهمته الا اذا دخل الى « مطابع » الخلية
ـ الدقة ، وهذه تنتشر في ارجائها بالملايين ،
ـ اسم الريبوسومات Ribosomes ، وفيها
ـ الشفرة ، وكأنما نحن ـ في الواقع ـ امام
ـتروبية تقع فيما وراء حدود الميكروسكوبات
ـها تظهر بالميكروسكوبات الاليكترونية ،
ـت صغيرة كحبات العدس مثلا (عند

تكبير يصل الى ١٥٠ الف مرة ـ انظر الصورة الدالة على ذلك) ، او هي في عالمها بمثابة اشكال كروية لا يزيد قطر الواحدة منها عن جزئين اثنين من مائة الف جزء من الملليمتر !

ورغم هذه الدقة المتناهية ، الا أن مطابعنا الاليكترونية الحية تنطوي على تعقيدات لا يزال العلماء فيها حائرين ، ومع ذلك فقد توصلوا الى بعض أسرارها ، ذلك أن مطابعنا الخلوية تتكون بدورها من بنايات بروتينية تنطوي على أشرطة وراثية من ذلك النوع تخرج به الاشرطة المبعوثة ، لكنها تمتلك شفرة اخرى تستطيع بها حل شفرة المبعوثين الى ساحتها ، ولهذا سميت الاشرطة الوراثية الطابعة او الريبوسومية (R - RNA) وهي اختصار لمصطلح Ribosomal Ribonucleic Acid ـ أي الحامض الريبونيوكليك الريبوسومي)

وطبيعي ان تشييد هذه المطابع الحية لا يتم الا من خلال خطة مرسومة في « مخ » الخلية المدبر ـ يعني في اشرطتها الوراثية فهذه المطابع تحتوي على حوالي ٨٠ نوعا مختلفا من البروتينات ، وهذه تتراص وتنتظم بطريقة محيرة ، ثم ان كل بروتين منها قد شيد من الأحماض الامينية على حسب الشفرات الوراثية الخارجة من « الهيئة العليا » للتخطيط في الخلية ـ اي النواة !

بقي أن نذكر أن جسم الانسان يحتوي على أكثر من مائة ألف نوع من البروتين ، علما بان الخطط الموجودة على الاشرطة الوراثية تكفي لانتاج مليون نوع من البروتين أو قد تزيد ، وهي تعرف من اين تبدأ « كتابة » الجزيء البروتيني العملاق ، واين تنتهي منه ، كما انها ترسل اسطولا ضخما من جزيئات أخرى وراثية ، وكل جزيء يتعرف على حامضه الاميني ، وينقله الى المطابع ، ليدخل به الى الشفرة المقدرة له ويرصه عليها ، ليتجمع في جزيئه البروتيني الماثل للطبع

لكن كيف يحدث كل ذلك ؟

هذا دراسة أخرى قادمة ، لنعلم من كتاب الكون المكتوب مالم نكن نعلم ، وما اكثر مالا نعلم من أسرار الكون والحياة ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

المعقول واللامعقول

في الحزن الإسلامي على أفغانستان

بقلم فهمي هويدي

اذا ما صممنا آذاننا عن أصداء شحنة الانفعالات التي انفجرت في العالم الاسلامي وغير الاسلامي ، بعد الغزو السوفيتي لافغانستان ، واذا ما حاولنا ان نحتكم الى صوت العقل لنتفهم ونستفيد ، فقد نتفق على ان ما جرى يثير امامنا مجموعة من الاسئلة الهامة ، في مقدمتها اربعة هي

لماذا هرولت الامة الاسلامية ممثلة في زعمائها ، وسارعت الى عقد اول مؤتمر قمة اسلامي في الرباط عام ١٩٦٩ ، لمجرد ان ركنا احترق من المسجد الاقصى ـ منبر صلاح الدين ـ بينما تثاقل كثيرون وبالكاد عقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية ، عندما سقط بلد مسلم باكمله ضحية احتلال صريح

وراء هذا السكوت النسبي الذي ران على العالم الاسلامي ، لماذا جاء التحرك الحقيقي والملموس ردا على احتلال ذلك البلد المسلم ، من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، ورئيسها جيمي كارتر ؟

ثم ، ماذا فعل العالم الاسلامي لاجل افغانستان ، قبل انقلاب ٦٨ وبعده ، حتى يصدم لسقوطه على هذا النحو الذي نراه الآن ؟

واخيرا ، هل هناك شيء اسمه العالم الاسلامي يمكن حسابه والاعتداد به ، وان وجد ، فما الذي ينصرف اليه التعبير في لغة هذا الزمان ؟

●

حقا ، لماذا ثار المسلمون للعدوان على منبر في المسجد الاقصى ، ثم اكتفوا بالحزن والاسى والندم ازاء ذلك العدوان الذي وقع على بلد مسلم باكمله

بمقاييس الفكرة فانه من لم يهتم بأمر المسلمين (حيث وجدوا) فليس منهم ـ و مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر على حد قول الرسول عليه السلام وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب الذي قال بيتا هو مشغول ... الاسلام الكبرى ، والله لو سقط جدع ابل من جسر من جسور دجلة لخشيت ان يحاسبني الله ...

ومقاييس الفكرة فان ما يصيب المسلمين من ضرر أشد خطرا عند الله ، مما قد يصيب أي بناء مهما ت قداسته ، حتى المسجد الحرام ذاته وليس هذا اجتهادا شخصيا ، ولكنه نص صريح في القرآن ريم . يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد ام ، واخراج أهله منه اكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل » ـ البقرة ٢١٧ أي أن اخراج اهل مكة بين من ديارهم ، أكبر اثما عند الله من الكفر بالمسجد الحرام ، بكل قيمته وجلاله

اذا كانت هذه هي مقاييس الفكرة ، فلماذا اختلف رد الفعل في الحالتين ، حالة العدوان على المسجد رم ، والعدوان على شعب مسلم ؟

لايحتاج الامر الى جهد لكي ندرك ان مقاييس الفكرة غائبة عن اذهان المسلمين ان ميزان القيم ـ في ه الرؤية الصحيحة ـ اختل في اعماقنا ، حتى أصبح ما يصيب ١٧ مليونا من المسلمين ، اخف وطأة ل تاثيرا مما يمكن أن يصيب مترا في المسجد الاقصى

اختل الميزان فاختلفت النتائج ، ورجحت كفة الحجر ، على كفة البشر !

وللمفكر الجزائري مالك بن نبي تعبير دقيق يفسر به ظاهرة انتشار الأضرحة والتوسل بها ، فيقول انه سن الله في خلقه انه عندما تغرب الفكرة ، يبزغ الصنم

وهذه حقيقة تؤكدها شواهد التاريخ فعندما بعث أبو الانبياء ابراهيم برسالة التوحيد ، وبنى الكعبة لوف بها المؤمنون ، ويعبدوا الله بين جدرانها ، ثم توالت الدهور ، حتى طغت موجة الشرك بالله حانه ، وابتعد الناس عن جوهر الايمان الحق ، ماذا حدث ؟ تحول العرب في الجاهلية من عبادة في ت العتيق الى عبادة للبيت ذاته تقلصت بل مسخت « ملة ابراهيم حنيفا » ـ الفكرة ـ وانفسح ريق تلقائيا لعبادة الصنم !

ولا اريد بأى حال أن اقلل من شأن المسجد الاقصى أو غيره من المقدسات التي ينبغي ان تظل محاطة ل الاجلال والتوقير لكني فقط اردت أن أشير الى أمرين الامر الاول ان الله سبحانه يعلى قدر سان المؤمن على اى شيء اخر (أليس هو خليفة الله في الارض ومخلوقه المكرم المختار ؟) ـ والامر اني ان كل اختبار نواجهه يؤكد حقيقة افتقادنا الى الفهم الصحيح للفكرة ، وحاجتنا الملحة الى ضبط ـد لموازين الاعتقاد

واذا كان مطلوبا ان نهب بكل قوة لكي نقاوم عملية تآكل بلاد المسلمين ، والانحسار الجغرافي سلام عن مناطق مختلفة من العالم ، فان المطلب الاكثر الحاحا ان نحشد كل ما نستطيع من طاقة لكي ـه عملية انحسار الاسلام في اعماقنا ، حتى لايتحول من فكرة وعقيدة وينتهي الى ان يصبح مجموعة ، الرموز والطقوس لا اكثر

●

هذا عن رد الفعل على الجانب الاسلامي ، اما الفعل من الجانب الامريكي ، فعصلا عن أنه ليس عصى على التفسير ، فانه قد اوقع البعض في حيرة ذلك أن الرافضين للغزو السوفيتي ـ وجدوا أنفسهم دون ان يشعروا يقفون في صف واحد مع الامريكان واحتاج الامر ـ الى جهد ملح للخروج من المربع الامريكي ، والتأكيد على ان رفض الغزو لاينطلق من كونه

سوفيتيا ، بل لانه ادانة لمبدأ الغزو والاحتلال في الاساس ، ولوقوعه على بلد مسلم بالاخص الغزو سيظل مرفوضا ومدانا ايضا ، حتى ولو كان امريكيا

بل انني اذهب الى مدى ابعد ، بمعارض مبدأ استخدام منظار الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر لتقييم احداث القرن العشرين واعني المنطق القائل بالتفسير الصليبي لكل المواجهات القديمة بين الغرب والشرق فيرجع كل شيء الى انه كيد للاسلام وايقاع بالمسلمين

لقد انتهى عصر صراع الاديان والمعتقدات ، وبزغ عصر آخر تقوم الصراع فيه على المصالح والقوميات ، لاحت بوادره منذ بدايات القرن الماضي ، عندما كانت بعثات التبشير هي طلائع الزحف الاستعماري في افريقيا وآسيا

وبالمعايير الجديدة للصراع ، يصبح مفهوما ان يقف العرب والامريكان الى جانب الاسلام والمسلمين في بلد ، وضد الاسلام والمسلمين في بلد آخر وبهذه المعايير ايضا يقف العرب والامريكان ضد هندوسية انديرا غاندي في الهند وضد مسيحية الاب كوتيرز في بيرو بامريكا اللاتينية الداعية الى « لاهوت التحرر » ، ومع شيوعية هواكوفيتج ورفاقه من حلفاء ماوتسي تونج في الصين ، وضد شيوعية بريجنيف وسوسلوف في الاتحاد السوفيتي

ان الامريكان ليسوا ضد الاسلام بشكل مطلق ولكنهم مؤيدون ومرحبون « بالاسلام الامريكاني » كما يقول الاستاذ سيد قطب ، وكل الشواهد حولنا تؤكد ذلك العرب في الامريكان انفسهم يقولون ذلك بوضوح هم دائما يتحدثون عن اهمية الدفاع عن « مصالحهم الحيوية » ديار الامريكان وليس ديار الاسلام - بينما البعض عندنا يحرص على ان يلتقط الرسالة بتغيير بسيط في حرفين اثنين فقط ، بحيث يصبح التعبير « مصالحنا الحيوية » ، الامر الذي يعني ان الامريكان عندما حشدوا الاساطيل وحركوا القوات واقاموا القواعد العسكرية ، فانهم في الواقع قد اعلنوا - لاجل سواد عيوننا - الجهاد في سبيل الله

●

نعود الى ماجرى في افغانستان ، وحزن العالم الاسلامي لاجل سقوطها ذلك ان مايثير الدهشة حقا ليس سقوط افغانستان او احتلالها ، ولكن الاكثر مدعاة للدهشة هو هذا الحزن الاسلامي ذاته لاننا نسألنا ماذا فعل العالم الاسلامي ليكسب افغانستان ، حتى يصدم بخسارتها ؟ عندئذ سنكتشف اننا لم نفعل شيئا على الاطلاق لاسياسيا ولاماديا ، لتبقى افغانستان كما نتمنى .

ان الذي لايراهن في قضية سعى الا يصدم اذا خسرها ، والذي لايدافع عن حق لابد ان يتوقع ضياعه والذي لايستعد لامتحان سيلقى منتهيا بالبلاهة اذا لم يتوقع السقوط والرسوب

ونحن - العالم الاسلامي - لم نتراهن ولم ندافع ولم نستعد ومع ذلك ندهش للخسارة والرسوب

وعندما زرت افغانستان غداة الثورة فيها بقيادة الرئيس تراقي عام ٦٨ ، ونشرت العربي - العدد ٢٣٦ الحوار الذي اجريته مع الرئيس الاسبق ، تساءلت في التعقيب على الحوار بما نصه هل يتحمل العالم العربي والاسلامي مسئوليته تجاه مسلمي افغانستان ، فيمد جسورا قوية معهم ام يبتعد ويبتعد ، ويلجأ الى القطيعة ، متاثرا بالمخاوف والحلفيات ؟

بعد حدثت القطيعة ، وعوقب المسلمون في افغانستان ، فلم يقدم أحد لهم عونا ، والقادرون بيسا كثير ون بيه الحمد وساهم ذلك الى حد ما في النتائج التي حدثت فيا بعد لم يحاول احد ان يحتر اعلان النطاء الجديد انهم مسلمون موحدون بالله ، وانهم مع السلام الحق والعدل « اسلام لصالح الجماهير العريضة » ، كما قال الرئيس تراقي في حديثه للعربي وقتئذ

وبنفس القدر ، لم يحاول احد من القادرين في العالم الاسلامي ان يقدم يد العون لشعب افغانستان المسلم حتى قبل ثورة ٦٨ ، وترك لسنوات طويلة نهبا للفقر والتخلف ومعتمدا في اعاناته ومشروعاته على الامريكان والروس دون غيرهم

ان السؤال يظل مثارا بالنسبة للعديد من مجتمعات المسلمين في انحاء العالم ، التي تتعرض لدرجات متفاوتة من التجاهل ، والسقوط والاندثار الابادة في الفلبين وتايلاند (لا بد ان نسجل ان ايران ما بعد الثورة هي الوحيدة التي قطعت النفط عن الفلبين بسبب موقف الحكومة من المسلمين) التنشير النشط في اندونيسيا والبيحر والكاميرون الالغاء والحذف في زنزبار المسخ والطمس في البانيا النسيان والتجاهل في الصين وهكذا .

ولا اريد ان استرسل لكنني فقط اقف بسرعة عند تقرير هام اعده المجلس الاسلامي الاوروبي مؤخرا واشار فيه بوضوح الى ان هناك انحسارا للاسلام في افريقيا ، وهي التي تعدها الكتابات التقليدية « قارة الاسلام » واشار التقرير الى ان الاغلبية المسلمة في القارة الافريقية ـ التي حققت نموا بحوالي ٤٩ مليون نسمة حتى عام ١٩٨٠ ، ستفقد موقعها المتقدم في سنة ٢٠٠٠ لتتحول الى اقلية حقق عليها التنشير تفوقا في حدود ٣٧ مليون نسمة .

وهي حقيقة اضعها ـ بالمناسبة ـ امام من يهمه الامر ، اذا كان هناك من يهمه الامر .

●

وهذه الفقرات تحمل في طياتها ضمنا اجابة على السؤال الاخير هل هناك عالم اسلامي ؟ ومع ذلك فاننا قد نحتاج الى تعريف لمعنى هذا التعبير العالم الاسلامي فاذا كان مقصودا به حدود جغرافية لمسلمين فعندئذ يصبح الرد على السؤال بالايجاب واذا كان المقصود به « ارادة اسلامية » ، فلا أظن احدا يستطيع ان يثبت وجود هذه الارادة .

وظاهر الامر أن العالم الاسلامي الذى نتحدث عنه هو جسم بلا رأس ، اعضاء واطراف مبعثرة هنا وهناك ستنقط في المناسبات لتلتقط راية الاسلام ، وتلوح بها في المواكب والسرادقات ، وعلى عتبات المؤتمرات ، بينما امور المسلمين وهموم المسلمين غائبة عن البال ، لاتشغل أحدا ، ولايتحمل مسئوليتها احد والساحة في شأنها مفتوح لمختلف صور الاجتهاد والانتفاع والمزايدة .

لكني اقول انه على صحة ما هو ظاهر ، فان المشكلة ليست في غياب الرأس عن الجسد الاسلامي ، انما المشكلة الحقيقية هي في خلية الجسم ذاتها ، التي تحتاج الى إحياء وتنشيط ولا سبيل إلى إحياء هذه الخلية الا بغرس فكر اسلامي صحيح ، وتوفير المناخ الصحي لنمو هذا الفكر

وعندما تتواجد الخلية السليمة ، عندئذ لن ننتظر طويلا حتى يتكون الجسم السليم ، والعقل السليم معا ■■

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

الاسئلة المثارة في بدايات زحف الحضارة العربية

- هل يجوز ارتداء البنطلون والنعل ذي اللون الاسود ؟
- ما قولكم في تعلم الهندسة والكيمياء والطبيعيات لأبناء المسلمين ؟
- هل يعتد شرعا بالخبر المنقول عن طريق البرق ؟
- هل يجوز بيع الراديو والفوتوغراف وشراؤهما ، واقتناؤهما ؟

عبد الله النديم : [illegible] يسبب السل وأمراض الكلى وسوء الهضم

أمر لمحمد علي باشا : تداول المصاحف المطبوعة من الامور غير الجائزه شرعا !

منذ أوائل القرن الماضي ، بدأ يتسع على خريطة العالم العربي ، نطاق المجتمعات التي تأخذ بأقدار متفاوتة ، من مظاهر الحياة الغربية

وكان طبيعيا ان يستفز ذلك الاصطباغ الغربي المتزايد ، بعض المشاعر المتحفظة ، التي ظلت تراقب اطواره ، بشيء من الحذر ، وتراه استسلاما ساذجا لأسلوب من الغزو المقنع والخبيث ، الذي يستهدف تقويض كياننا القومي

والى جانب ذلك الاتجاه المغالي في معارضته وتشاؤمه ، كان هنالك اتجاه معارض آخر ، يكتفي بالتحذير من العادات والأساليب التي تناقض قيمنا الدينية ، وظروفنا الجغرافية والاقتصادية ، ويدعو إلى نبذها ، او تطويعها لهذه القيم والظروف

الاعتراض على الزي الغربي

كان الاقبال على ارتداء الملابس العربية المحكمة ، بديلا عن الملابس الشرقية الفضفاضة ، موضع انتقاد الكثير من أولي الرأي ، سواء اولئك الذين احجموا عن ارتدائها ، ام الذين اضطروا لذلك اضطرارا ، بحكم وظائفهم الرسمية

وقد عبر العلامة أحمد زكي عن تلك المشاعر ، في كتاب (السفر الى المؤتمر) الذي ضمنه ملاحظاته وأنطباعاته خلال سياحته باوربا ، في طريقه الى لندن ،

ليمثل الحكومة المصرية ـ وهو يرتدي ذلك الزي ـ في مؤتمر المستشرقين الدولي التاسع ، الذي عقد فيها سنة ١٨٩٢ فقال في معرض الحديث عن زيارته لاحدى الكنائس في جوة تحت عنوان (الضرر من اتخاذ الملابس الافرنجية) « ثم خرجت من الكنيسة وفي نفسي غصة من ملبوسي هذا ، الذي ترتب على اتخاذه في بلادنا إماتة كثير من صنائعنا وصناعنا ، واحياء صناعات الافرنج السريعة العطب ، ومساعدة التجارة الأجنبية على استنزاف ما بقي لنا من قليل الثروة ، فضلا عن أن الحذاء الافرنجي يوجد في الارجل سقاما قد تكون سببا في نكد العيش ، ومرارة الحياة ، اما البنطلون المحدق ، والصديري المضيق ، والسترة او الجكتة او السالك او الردنجوت او السموكن او الفراك ، والقميص المكوي ، ورباط الرقبة الملوي ، وغير ذلك من الازياء والانواع ، فانها ليست موافقة لطبيعة الاقليم في بلادنا بالمرة »

ثم ابدى اسفه لانه لم يستطع الاقتداء برفيق له في الرحلة ، احتفظ بزيه الشرقي ، فقال « كنت اود ان اكون مشاكلا لرفيقي بعمامة وقفطان ، وجبة مرخية الاردان ، ولا ابقى على هذه الحالة التي اختارها اهل بلادنا ، فكانوا اشبه بالغراب ، اراد ان يتشبه بمشية طائر جميل ، فلم يتمكن من التقليد ، ونسي سيره القديم »

وقد ردد السيد عبد الله النديم ذلك النقد في مقال لاذع له ، نشر على هيئة حوار باللهجة العامية في عدد ٣ اغسطس سنة ١٨٩٢ من مجلته (الاستاذ) فأحصى فيه المضار العديدة التي يسببها ارتداء الزي العربي في البلاد الشرقية ، وفي مقدمتها (امراض السل ، وسوء الهضم ، وامراض الكلى)

وقد استأثر (البنطلون) اكثر من غيره من مفردات الزي العربي ، بانتقاد المعارضين لذلك الزي ، فقد عابوا عليه ، تعذر التمسك بآداب الصلاة ، عند ارتدائه ، واظهاره ، ما ينبغي ان يستتر من معالم الجسد ، فعمد الكثيرون الى توسيعه ، حتى يقترب في هيئته من السراويلات الشرقية القديمة التي ألفوها

وكان ذلك العيب من أهم العيوب التي اهتم

قاسم أمين — طلعت حرب

بابرازها المفتي الألباني الاسبق ابراهيم الحقي ... الذي حاول جاهدا أن يتصدى لتيار التفرنج ... مواطنيه ، وألف في ذلك رسالة عنوانها (معيار الأخيار ، فيمن تشبه بالأجانب والأغيار) وقد هاجم فيها أيضا محاكاة الاجانب في اتخاذ القبعات والاحذية الأوروبية الطابع ـ وخاصة السوداء منها ـ التي تخالف هيئاتها والوانها ما جرى السلف على اتخاذه من النعال

وكان رأي الشرع فيما يجوز اتخاذه من الوان النعال مثار مناقشة حادة وخلاف شديد بين العلامة محمد محمود من تلاميذ الشنقيطي ، وبعض علماء الأزهر ... الشيخ سليم البشري ، عندما اجتمع بهم بمجلس نقيب الأشراف السيد عبد الباقي البكري بالقاهرة سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠) ـ فعابوا عليه اتخاذه الحذاء الاسود ، مخالفا بذلك السنة ، التي لم تجز للمسلم ان يتخذ من النعال سوى الحمراء والصفراء

فانطلق ينسفه آراءهم ، ونظم في ذلك قصيدة طويلة (من ١٣١ بيتا) ضمنها اسانيده الشرعية ، وقد اوردها بعد ذلك في كتابه (الحماسة السنية) الذي طبع في مصر سنة ١٣١٩ هـ

حملات على المرأة :

وكانت الاصداء الصاخبة التي اثارتها دعوة قاسم امين الى التوسع في تعليم المرأة ، والأذن لها بقدر من المشاركة في الأنشطة العامة تعاود الانطلاق ... حين آخر ، كلما استفزت مظاهر الاستجابة لتلك الدعوة مشاعر المعارضين لها

طه حسين
عبد الله الدميم

وقد حدث عندما أنشيء قسم ليلي بالجامعة المصرية الاهلية لالقاء المحاضرات العلمية فيه ، ان ارسل عبد العزيز فهمي سكرتير تلك الجامعة في سنة ١٩١١ ـ وهو الذي اصبح من اقطاب السياسة المصرية فيما بعد ـ خطابات بالبريد الى بعض السيدات يدعوهن لحضور تلك المحاضرات ، فأثار ذلك حواطر الكثيرين ، الذين راوا ان من العار نشر اسماء النساء بتلك الوسيلة ، التي تبيح للرجال الغرباء ـ ومنهم موزعو البريد ـ الاطلاع عليها ، وارسلت خطابات السب والتهديد الى ذلك السكرتير ، كما اندلعت من جراء ذلك معركة صحفية ساخنة ، استمرت شهورا طويلة

وكانت قد سبقت تلك العضبة التي تفجرت بالقاهرة ، احتجاجا على نشر اسماء النساء ، عصبة اخرى اكثر حدة وانفعالا ، عندما صدر الامر بتسجيل الاسماء بدائرة النفوس في بغداد وبعض مدن العراق الاخرى ، في اوائل هذا القرن فساء الجماهير ان يشمل ذلك أسماء النساء التي تقضي التقاليد بإخفائها ، واندلعت ثورة جامحة لم يطفئها سوى تعديل ذلك الامر ، وقصر تنفيذه على الرجال

وتكررت تلك الغضبة في العراق ، عندما ارتفع صوت جميل صدقي الزهاوي ، إثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ مرددا دعوة قاسم امين ، فاجتاحت الاضطرابات مدينة بغداد ، وكاد الثائرون ان يفتكوا به لولا ان بادر الى التنصل من تلك الدعوة ، وانكر تأييده وعندما تصاعدت الدعوة الى رفع الحجاب في سوريا بعد تصاعد الحركة الوطنية في اعقاب الحرب العالمية الاولى تصاعدت إزاءها ـ في الوقت نفسه ـ عصبة العناصر المحافظة ، واعلنت التهديدات بالقاء السوائل الكاوية على وجه كل من تستجيب لتلك الدعوة من النساء

ويروي محمد جميل بيهم ، أنه دعي لألقاء محاضرات في بغداد عن تحرير المرأة في سنة ١٩٢٧ فحاول المسئولون إقناعه بالعدول عن عزمه ، خوفا عليه من معارضي ذلك الاتجاه ، ولكنه أصر على رأيه وكان تيار المعارضة قد اخذ يدركه الفتور

والواقع ان كثيرا من أشد المعارضين لتحرير المرأة تطرفا ، قد تراجعوا تباعا عن موقفهم هذا ، عندما بدت النتائج التي حققتها تلك الدعوة مخاوفهم

ومثال ذلك ان محمد طلعت حرب الاقتصادي المصري الكبير ومنشيء بنك مصر وشركاته فيما بعد الذي وضع كتابيه (تربية المرأة والحجاب) و (فصل الخطاب في المرأة والحجاب) في اوائل هذا القرن ، ردا على كتابي قاسم امين (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة)

وكان من أشد معارضي دعوته ، بلغ من تأييده ـ بعد ذلك ـ لتلك الدعوة ، ان اصبحت جهوده من أهم دعائم النهضة المسرحية والسينمائية ، التي افسحت مجال المشاركة بين المرأة والرجل في الانشطة الفنية ، كما أفصح في حديث له مع الأديبة مي عن ترحيبه باشتغال العنصر النسائي في البنوك ، وغيرها من مجالات العمل

وبعد تحول الجامعة المصرية إلى مؤسسة حكومية في سنة ١٩٢٣ ترددت الفتيات في الالتحاق بها ، تخوفا من عصبة الرأي العام ، ثم أقدم على ذلك عدد محدود منهن في سنة ١٩٢٩ ، فحرص مدير الجامعة أحمد لطفي السيد على إخفاء ذلك النبأ ، حتى عن المسئولين في وزارة المعارف ، تجنبا لما قد يثيره ذلك من الاعتراضات والأزمات

ثم حدث ان نشرت بعض الصحف في سنة ١٩٣٢ صورة للدكتور طه حسين وقد احاط به بعض الطلبة والطالبات ، اثناء تناولهم الشاي في نادي الجامعة ، فتصاعدت اصوات الاعتراض والاحتجاج ، على مبدأ

الاختلاط بالجامعة ، ولكنها عجزت عن وقف ذلك التيار الدافق وشجع ذلك المزيد من الفتيات على الالتحاق بالجامعة ، بعد تخرج الدفعة الرائدة من طالباته في العام التالي

ورجحت كفة التحرر مرة اخرى عندما رغبت احدى خريجات كلية الحقوق في تلك الدفعة - وهي نعيمة الأيوبي - في العمل بالمحاماة ، فترددت لجنة قبول المحامين في الموافقة على قيد اسمها ضمنهم ، وتساير موقف اعضائها من ذلك الطلب ، حتى انتهى الخلاف بينهم أخيرا ، بانتصار المؤيدين

ومن امثلة الأسلوب اللاذع الذي كان يتبع في معارضة ذلك التيار ، الأبيات التالية التي نشرت في عدد ٩ يوليو سنة ١٩٣٢ من مجلة « كل شيء » بتوقيع مصولي والتي تستنهض همم الرجال لرفض تشغيل النساء

حلفت رجالكم اللحى
لما علا امر النساء
حوفا عليها ان تهان
وقد حرجن عن الحياء
والان ترتزق النساء
وتأكلون بلا عناء
فلتحلقوا الموس الشوارب
إنها منكم براء

محاربة العلوم الحديثة

وقد قوبل ايفاد البعوث من الطلاب الى الدول الأوربية في القرن الماضي لتلقي العلوم الحديثة ، بمعارضة شديدة من بعض العلماء ، الذين رأوا في ذلك إفسادا لعقائد الطلاب ، مع اعتقاد الفائدة التي تعود عليهم من دراسة تلك العلوم

وقد عبر الشيخ محمد عليش (مفتي المالكية في مصر) عن ذلك الرأي المعارض ، في رسالة رد بها على عالم جزائري كان يؤيد إيفاد الطلاب المسلمين الى فرنسا ، بل وارتداءهم القبعات فيها ، فكتب يقول

« تقرر في شريعة الاسلام ، ان السفر لا العدو للتجارة جرحة في الشهادة ، ومخل بالعدالة ، ... فلا عن توطنها ، وطلب العلم بها ، والمقرر في شريعة ... المسلمين ان المطلوب تعلمه من اقسام العلم العلوم الشرعية وآلاتها ، وهي علوم العربية وما زاد على ذلك لا يتطلب تعلمه ، بل وتنهي عنه ، ومن المعلوم ان النصارى لا يعلمون شيئا من العلوم الشرعية ولا من آلاتها بالكلية ، وان غالب علومهم راجع الى الحياكة والقيافة والحجامة ، وهي من أخس الحرف ... المسلمين »

وكان ذلك الرأي المتصلب يتصدى دائما - تحت راية الغيرة الدينية ، والحفاظ على تراث السلف الصالح - للدعوات المتلاحقة الى اصلاح نظام التعليم بالازهر وتطوير برامجه ، حتى إنه عندما تولى الشيخ مصطفى العروسي مشيخة الأزهر سنة ١٨٦٤ ، وابدى كثيرا من الحزم في ادارته وتشديد الرقابة على الطلاب ، وضرب على ايدي المشعوذين ومدعي الوصاية الدينية والمرتزقين بآيات الله ، ثم قدم لائحته لتنظيم الازهر في العام التالي ، عارضتها العناصر المستفيدة من تلك الاوضاع واثارت عليه الرأي العام داخل الازهر وخارجه واسفر الامر بعزله بعد صراع طويل

ونحسبا للازمات المماثلة اصبح يراعي - قبل البدء في اية خطوات اصلاحية تالية - ان يمهد لها باستصدار فتاوي بصحتها ، والتزامها باحكام الشرع ، مع ... ذلك بالأسانيد الفقهية

فعندما اقتنع أولو الأمر بوجوب إضافة علوم حديثة كالحساب والطبيعة والكيمياء الى البرامج التعليمية بالأزهر في سنة ١٨٨٧ كلفوا الاستاذ محمد بيرم اشهر علماء الزيتونة بتونس - بتوجيه استفتاء الى الشيخ محمد الانبابي شيخ الأزهر جاء فيه بعد التمهيد

« ما قولكم - رضي الله عنكم - هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ، مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات ، وتركيب الاجزاء المعبر عنه بالكيمياء ، وغيرها من سائر المعارف ، لا ... عليه منها ، من زيادة القوة في الامة بما ... الا المعاصرة لها في كل ما يشمله الامر بالاستعـ...

الشيخ محمد عبده

محمد علي باشا

« فافتى شيخ الأزهر بجواز تدريس هذه العلوم رجه عام ، الا ان فتواه لم تكن صريحة بالنسبة بعضها . اد قيدها بتعديلات يسهل التعلل بها عند لحاجة ، وقد أيد المفتي تلك الفتوى بعد اصدارها بايام لائل

وقد لقي دعاة الاصلاح الأمريں من خصومهم ، تى ان الشيخ محمد عبده اضطر للاستقالة من عضوية علس الازهر في سنة ١٩٠٥ وتمادى بعض العلماء في معاداته ، حتى اتهموه بالكفر وانكاره التوحيد ، لا لشيء لا انه تحداهم ان يبرهنوا على وحدانية الله ، بطريقة تماثل لاسلوب الذى اتبعه هو في ذلك

وشبيه بتلك المواقف ، ما رواه لنا الشيخ حافظ هبه في كتابه « جزيرة العرب في القرن العشرين » عن اجتماع بعض العلماء في مكة سنة ١٩٢٧ لابداء احتجاجهم الشديد على ما اعلن عن اتجاه ادارة المعارف نحو تعليم بعض المواد الجديدة مثل اللغات الأجنبية والرسم والجغرافيا فاجتمع بهم الشيخ حافظ لمناقشتهم في الامر ـ وكان له شيء من الاشراف على ادارة المعارف في ذلك الوقت ـ فكان مما ذكر ، احدهم ، إثباتا لحجتهم في الاعتراض

« اما الرسم فهو التصوير وهو محرم قطعا ، واما اللغات ... دريعة للوقوف على عقائد الكفار ، وعلومهم الفاسدة ... في ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا ، وعلى اخلاق... ـنا ، واما الجغرافيا ففيها كروية الأرض ودورا... والكلام على النجوم والكواكب مما احد به علماء ا... . وانكره علماء السلف »

وقد استطاع الشيخ وهبه ـ من خلال مناقشته لهم ـ ان يهدىء من غضبهم ، ويبدد مراعهم واوهامهم ، وانتهى الامر بالموافقة على تدريس تلك المواد ، ثم تدريس مواد اخرى غيرها فيما بعد

ومن الطرائف التي ذكرها الشيخ حافظ ، ان اول ساعة دقاقة وردت إلى نجد في أواخر القرن الماضي ، تم كسرها لاعتبارها من عمل الشيطان ، وثارت الدعوة الى انكار استخدام مثل تلك الساعة ، حتى تصدى احد المشايخ لتلك الدعوة ، ورد عليها برسالة صغيرة نشرت سنة ١٩١٦ وأعيد طبعها بعد ذلك بسبع سنين

كما حدثنا عن شائعة أثيرت سنة ١٩٢٨ حول حقيقة الآلات المبرقة (التلغراف اللاسلكي) واعتبارها من الاشياء الناشئة عن استخدام الجن ، والادعاء بانها لا تعمل الا بعد ان تذبح عندها ذبيحة ، ويذكر عليها اسم الشيطان ، ولم تبدد تلك الشائعة الا عندما سمح لأحد المشايخ ان يفاجيء المحطة اللاسلكية بالمدينة المنورة ، عدة مرات ، للتأكد من عدم وجود اثر لعظام الذبائح وقرونها ، في ذلك الموقع

فتوى حول استخدام المبرقات

وكان قد اثير التساؤل قبل ذلك حول الاعتماد على الانباء التى ترد عن طريق الآلات المبرقة ، فى اداء بعض الشعائر الدينية

وقد وجه سؤال عن ذلك من احد قراء مجلة (المنار) الى صاحبها السيد محمد رشيد رضا فى سنة ١٩٠٩ جاء فيه

« سألكم ـ لا برحتم ملجأ لحل المعضلات ـ فى الخبر المبلغ بواسطة البرق ، هل يعتد به عندنا فى الشرع ، كالصلاة على الغائب ، المبلغ خبره بواسطة البرق ، وما يترتب على ذلك من الامور الشرعية ، كالهلال فى الصوم او الافطار ، وهل يجوز الاخذ بذلك ؟ »

فرد عليه فى عدد ١٩ مايو قائلا

« هذه الاخبار التى تبلغ بالآلات الكهربائية التى يعبر عنها بما ذكر وبالتلغراف ، هى قطعية الاداء ، فكل

من تثق بخبره إذا كلمك بلسانه تثق بخبره الذي يبلغه بالبرق ، لا يتردد في هذا احد في العالم المستعمل فيه التلغراف . ومتى صدق الناس الخبر ، تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية ، لا سيما اذا كان من جهة رسمية ، يطرد صدق برقياتها ، وكيف تطيب نفس المسلم أن يفطر ، في نهار بلغه في ليله خبر برقي برؤية هلال رمضان فصدقه تصديقا تاما ، لا شبهة فيه ولا احتمال »

وعندما بدا ينتشر استخدام المذياع في بعض البلاد الاسلامية ، استفتى بعض علماء الهند الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية الأسبق ، عن حكم الشرع في وضع هذا الجهاز ببعض المساجد لسماع الخطبة منه لقلة الخطباء الذين يحسنون اللغة العربية في بلادهم ، على أن يقوم أحدهم بعد ذلك ليصلي الجمعة بالناس ، فافتى بعدم جواز ذلك

غير ان العالم المغربي ابا الفيض احمد بن محمد بن الصديق الغماري ، اصدر بعد ذلك فتوى مناقضة ،

وقد ظل جواز شراء المذياع ـ لعدة سنين ـ موضع تساؤل الكثيرين ، الذين احجموا عن اقتنائه ، حتى وجه بشأنه استفتاء الى الشيخ حسنين مخلوف احد المفتين الأسبقين للديار المصرية يقول « هل يجوز شرعا بيع الراديو وشراؤه واقتناؤه ؟ » فأجاب المفتي بجواز ذلك ، ثم اضاف (التليفزيون) في فتوى تالية ضمنها كتابة (فتاوى شرعية)

وكان الشيخ محمد بخيت قد أصدر فتوى في اواخر القرن الماضي باباحة استخدام الحاكي (الفونغراف) في تسجيل القرآن الكريم ، وسماعه منه ، فقوبلت تلك الفتوى باعتراض شديد من بعض العلماء ، رددت أصداءه بعض المجلات مما اضطر الشيخ الى اعداد رسالة مفصلة عن ذلك ، رد فيها على ذلك الاعتراض وعلى بعض الاستفسارات الاخرى المتصلة بذلك الموضوع ، واضاف اليها رسالة اخرى ضمنها فتواه عن اباحة التأمين على الحياة ، واصدرهما في كتيب واحد نشر سنة ١٨٩٧ بعنوان (اراحة الوهم ، وازالة الاشتباه ، عن رسالتي الفوتوغراف والسيكورتاه)

فتوى بجواز طبع المصاحف

وقد اتخذ الرأي العام الاسلامي ـ في بادىء الامر ـ موقفا متشددا من استخدام المطابع الحديثة في طبع المصاحف ، للاعتقاد بافتقار مواد الطباعة الى الطهارة وعدم جواز ضغط آيات الله بالآلات الحديدية ، واحتمال وقوع خطأ في طبع الآيات القرآنية

وفي سنة ١٨٢٣ وفق محمد علي باشا الى اقناع الشيخ التميمي مفتي الديار المصرية ، بالموافقة على طبع المصاحف ، غير انه لم تلبث ان ظهرت بعض الاخطاء المطبعية ، التي أيدت الظنون والمخاوف ، فصدر امر عال في ٢٥ مايو سنة ١٨٥٣ بمنع بيع المصاحف المطبوعة ، جاء فيه

« من حيث ان بيع وشري (أي شراء) المصاحف المطبوعة من الامور الغير جائزة شرعا ومن الوجوب منع ذلك منعا كليا ، فقد تحرر عموما بالتأكيد على من يلزم بمنع ذلك ، واذا حصل تجاسر من احد في بيع المصاحف المطبوعة ، يصير ضبطه ، ويجري معه ما تقتضيه الاحوال »

ثم اعدمت النسخ المطبوعة

وظل طبع المصاحف ممنوعا بضع سنين ، حتى امكن اتقان طباعتها ، فووفق مرة اخرى على طبعها ، على الا توزع الا بعد مراجعتها والتأكد من صحتها

ومن طريف ما يذكر ، ان الاقدام على طبع الانجيل في اوربا قبل ذلك بنحو قرنين ، قوبل بحملة استنكار شديدة ، فقد حكم بتكفير جنا فوست الذي ساعد جوتنبرج في صنع حروف الطباعة ، ثم انفصلا وذلك عندما توجه الى باريس سنة ١٤٦٦ لبيع نسخ مطبوعة من الانجيل ، فألقي به في السجن ، حتى اطلق لويس الحادي عشر سراحه

كما حوربت الطباعة ـ عند بدء ظهورها ـ في عدد اخر من الدول الأوروبية

وقد أسفرت بعض المناقشات الحادة التي تثور ـ حول موقف الدين من استخدام بعض [illegible] ـ

علي باشا مبارك

ساليب المستحدثة ، عن اصدار العديد من الفتاوى
شر معظمها فى رسائل مطبوعة ، كتلك التى
درها السيد محمد بيرم التونسى فى نحو سنة ١٨٨٦
ران (تحفة الخواص ، فى حل صيد بندق الرصاص)
د اجاز فيها أكل كل ما يتم صيده من الحيوان
اص السادق

وكان السيد بيرم قد اشترك فى مناقشة من ذلك
يل مع السيد محمد المناعى الاستاذ بجامعة الزيتونة ،
ل إباحة الحجر الصحى (الكورنتينة) او حظره ،
ل المناعى بتحريمه ، لانه يعد من قبيل الفرار من
اء الله ، وألف رسالة فى ذلك بينما قال بيرم باباحته
ل وجوبه - وألف بدوره رسالة فى ذلك

وقد اصدر الشيخ محمد بخيت فتوى مماثلة بعد ذلك
نوات عديدة ، نشرتها له بعض الصحف والمجلات
صرية (ومنها المقتطف) فى شهر يوليو سنة ١٩١٩
، اوضح فيها « حكم الدين ، وما يلزم شرعا ازاء
قاية من كل مرض يعدى » وذلك عندما تفشى مرض
ى الـ ـموسية فى مصر ، حتى تجاوز عدد المصابين به
ه الف نسمة

والسكة الحديد ايضا

وكـ ـاع بعض الاساليب الغربية فى تعمير المدن
سيعه ـتزويدها باحتياجاتها من المرافق الحيوية ،
نظيه ـكات الطرق الممهدة ، ووسائل الانتقال
الحديثة ، من الامور التى كان يتردد فى تقبلها البعض ،
ويختلقون من المبررات ما يثير النفور منها والتخوف من
عواقبها ، حتى اضطر أولو الامر فى بعض الاحيان الى
استصدار الفتاوى من علماء الدين اولا ، قبل البدء فى
تنفيذ المشروعات العمرانية

ويذكر علي باشا مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية) فى معرض حديثه عن انشاء الطريق المسمى بالسكة الجديدة فى قلب القاهرة ، انه عندما اتسع نطاق التجارة ، وكثر الازدحام فى تلك المنطقة ، وتكاثرت المركبات تبعا لذلك ، حتى تعسر السير داخل الازقة الملتوية القديمة ، فكر محمد علي باشا فى انشاء طريق جديد يتسم بالاتساع والاستقامة ، ويحده افريزان للمشاة ، على نمط الطرق المعروفة بالدول الاوربية ، غير انه قبل ان يشرع فى انشائه ، على ذلك النحو ، غير المألوف فى البلدان الشرقية ، اضطر لاستفتاء العلماء فى ذلك ، فأفتوه بان يجعله من السعة بحيث يسمح بمرور حملين محملين ، من غير مشقة ، فقدر ذلك بثمانية امتار ، فروعى الالتزام بذلك الاتساع فى انشاء ذلك الطريق ، والطرق الاخرى التى أنشئت فى ذلك العصر من بعده

وكان الاعتراض على تلك المشروعات ، يستند - فى بعض الاحيان - الى اسباب اجتماعية واقتصادية

وقد قوبل مشروع انشاء السكة الحديد فى البلاد السورية ، بمعارضة شديدة من ذلك القبيل رددت اصداءها الصحف العربية ، فلم يكد يتم انشاء الخط الذى يصل يافا بالقدس ، حتى نشرت فى عدد اول سبتمبر سنة ١٨٩٣ من مجلة (الهلال » كلمة لمواطن من بيروت ، ناشد فيه أولى الأمر ، العدول عن ذلك المشروع ، الذى وصفه بانه (يعود بالضرر على رجال فقراء ، لا يقوم معاشهم سوى بالكد ليلا ونهارا وراء حيواناتهم التى يستخدمونها لسد عوزهم فان ما يشتغله أرباب نقل البضائع كالمكارية وغيرهم فى عدة أسابيع ، تنقله السكة الحديد فى بضع ساعات)

غير ان بعض القراء بادر الى تفنيد ذلك الاعتراض ، واوضحوا اهمية المشروع ، فى ضوء اعتبارات المصلحة العامة ، والتقدم الحضارى

وقد حدث مثل ذلك الاعتراض عندما بدىء في تسيير مركبات الترام الكهربائية في شوارع القاهرة سنة ١٨٩٦ ، فقد كتبت جريدة الاهرام في عدد ٢٦ اغسطس تقول « بما أن مصر بلاد زراعية قبل كل شيء ، كان الأفضل أن يسير فيها تراموای تجره الخيول بدل الكهربائية التي وضعت في القاهرة ، بل ان استخدام البغال والخيول لا يقتضي نفقة جسيمة ، وكان يفيد المزارعين والمربين »

ومن طريف ما يذكر ان البرلمان الانجليزي رفض قبل ذلك ، اقتراحا بانشاء خط حديدي في انجلترا بعد نجاح تسيير المركبات البخارية سنة ١٨٢٥ وكتب احد اعضائه عن تلك الواقعة يقول

« لقد إتضح لي في ختام الامر ان صاحب الاقتراح ذاهب العقل لامشاحة ، فقد كان زبد الغيظ يفور من فمه ، كما تفور القدور ، وهو يقترح إدخال تلك الآلة الجهنمية ، وذلك الوحش الضاري الذى يحمل ثمانين طنا من السلع ، ويرعج عباد الله بدخانه الكثيف بين منشستر وليفربول ، والحمد لله فقد خُنق ذلك الشيطان الملعون في مهده ، إذ جاءت اصوات الأغلبية الساحقة ضده ، وانسحب اصحاب الاقتراح غير مأسوف عليهم »

ومع ذلك لم تمض سنوات قليلة حتى تصدع ذلك التيار المعارض ، وبدأ ينتشر استخدام تلك المركبات في انجلترا ، وغيرها من بلدان العالم

فتوى جامعة

والى جانب الفتاوى الفردية ، التي كان يصدرها بعض العلماء عن موقف الدين ، من محاكاة الاجانب في امور معينة ، كانت تصدر بعض الفتاوى الجامعة التي تحاول وضع معايير ثابتة ، لما يجوز اقتباسه او سده ـ بوجه عام ـ من العادات والاساليب الدخيلة

ومن اشهر تلك الفتاوى ، فتوى الشيخ محمد الخضر حسين التي نشرت بمجلة (نور الاسلام) عندما كان يحررها في جمادى الآخرة سنة « ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢م » (وهو الذى تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك في سنة ١٩٥٢) وكان موضوع تلك الفتوى (محاكاة المسلمين للأجانب) وقد قصر فيها النهى القاطع عن تهم على امرين

أولا محاكاتهم في شيء من شعائر دينهم

ثانيا محاكاتهم في شيء ليس من شعائر دينهم ، ولكنه مما ينهى الاسلام عنه ، على وجه الحرمة او الكراهة ، ثم قسم اوجه المحاكاة الاخرى على النحو الاخرى على النحو التالي

١ ـ محاكاتهم فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ، ولا يخالف حكما شرعيا ، او أدبا دينيا ، وهذا مما تأذن الشريعة بالأخذ به ، ويتأكد العمل به بقدر ما فيه من مصلحة ، كمجاراتهم في العلوم والصنائع ، ووسائل الدفاع ، والمنافع التي يخف بها جانب عظيم من عناء هذه الحياة

٢ ـ محاكاتهم فيما لا يتعرض له الدين بنهى خاص ولكن رعاية جلب المصالح ، ودرء المفاسد تقضي بترك هذه المحاكاة ، كاتباع بعض العادات التي توقع في اعتقاد الناظرين شبهة ، التنصل من الاسلام ، والانتماء الى ملة تخالفه

٣ ـ محاكاتهم في امور لم يرد فيها من الشارع نهى خاص ، ولا ينطوى الأخذ بها على مصلحة او مفسدة ولا تلقى على صاحبها شبهة الانتماء الى ملة اخرى ، ولا حرج في هذه المحاكاة ، الا من جهة الاحتفاظ بالتقاليد القومية

ولعلي قد وفقت اخيرا ، في ابراز حقيقة حيوية تتمثل في مدى التغير الذى يطرأ على مفهومي (العيب و (الحرام) في اذهان الذين يتسرعون بوهم الناس بها كلما فوجئوا بتصرف أو رأى جديد لم يألفوه

اذ لاشك انه ما من امر من الأمور التي اشار الرأى العام المتحفظ فيما مضى الا وقد اصبح ـ مع مضي الزمن ـ من الأمور العادية ، التي يتقبلها طواعية الناس تحفظا في عصرنا الحاضر ■■

القاهره ـ ابراهيم محمد نجا

لماذا الإنكار؟ اللغة السريانية هي الأم

بقلم : اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكيه وسائر المشرق
للسريان الارثوذكس وعضو
مجمع اللغة العربية بدمشق

نشرت مجلة العربي في العدد ٢٤٩ آب ١٩٧٩ مقالا بعنوان « العربية بين العبرية والسريانية » بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي وفيه تجنى سامر على بعض الذين كتبوا عن تأصيل بعض الالفاظ العربية ، ومنهم سلفنا الطيب الذكر مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق في كتابه « الالفاظ السريانية في المعاجم العربية » ، كقوله « ولقد وجدت صاحب الكتاب المشار اليه قد حار عن السنن الواضح فتخبط خبط عشواء فكان كحاطب ليل » مع ان الدكتور السامرائي لم يستطع ان ينقض لفظة واحدة مما ورد فيه

ولا نستغرب هذا المقال اذ كنا قد استمعنا الى صاحبه سنة ١٩٧٣ في مهرجان افرام ـ حنين الذي عقده اللغة السريانية في بغداد . ومع اننا كنا قد انتقدناه في حينه ، فقد عاد الان ينشره في « مجلة العربي » الوضاءة غير انه حذف منه العبارة التالية « أن الكوفة والحيرة لفظتان عربيتان لانهما تنتهيان بالتاء المربوطة » .

اننا بعد ان استمعنا الى خطابه ذاك سألناه وكيف تكون العربية أقدم من السريانية الآرامية ، في حين ان التوراة أكدت ان الجد الاعلى لاصحابها العبرانيين كان آراميا ، كقوله تعالى لموسى الكليم قل لشعبي ليقول « كان ابي آراميا تائها فهبط مصر » (تثنية ٢٦ : ٥) ؟ فاذا كان ابوهم آراميا ألم تكن لغته ايضا السريانية الارامية ؟ أجل ، وقد احتفظت التوراة نفسها بنص سرياني من زمن يعقوب ابي العبرانيين ، اطلقه خاله لابان الآرامي على حجر اقاماه نصبا مع كومة من الحجارة ليكون شاهدا بينهما والنص هو « يجر

سهدوثا » أي نصب الشهادة (تكوين ٣١ : ٤٥ ـ ٤٧) وهو اقدم جميع الكتابات التي اكتشفت حتى الان . أما العبرية فهي في الاصل آرامية احتكت بالمصرية مدة اقامة اولاد يعقوب في مصر كما أيد الباحثون ، فنسبت من ثم الى اولاد يعقوب الذين تمردوا على المصريين بقيادة موسى النبي ، فسموهم عبريين من فعل (EBAR) أي متعدّين ، عصاة ، مذنبين ومخالفين . فأجاب الدكتور السامرائي هكذا يقول بروكلمان فقلنا له ولكن التوراة التي شهد لصحتها الانجيل الشريف والقرآن الكريم هي اصدق من بروكلمان . والانكى اننا حين سألناه عن معنى « الكوفة والحيرة » اللتين قال أنهما لفظتان عربيتان لانهما تنتهيان بالتاء المربوطة ، اجاب

انه لا يعرف معناهما فسألناه وهل كان للكوفة اسم آخر ؟ فأجاب ، لا يدري فقلنا له ألم تسمع باسم « عاقولا » ؟ فقال بلى فسألناه عن معناه فقال « شوكة » فقلنا انه اسم مرادف للفظة « الكوفة » التي تعني هي الاخرى في السريانية « شوكة » . على ان فاءها في العربية ليست فاء في الاصل ، لكنها (V) أي (KOUVA) وقد استعملت كذلك كما استعملت لكتابة « فيينّا وجنيف » لعدم وجود حرف ال (V) في العربية كما في السريانية فلفظة « الكوفة » اذا سريانية بحتة . ثمّ بيّنا له ان لفظة « الحيرة » ايضا سريانية معناها « القصر » أي قصر النعمان واخبرناه بأنه كان في بصري (اسكي شام) عاصمة الغساسنة ايضا « حيرة » اخرى تعرف ب « حيرة ابن جبلة » كما أكدت الوثائق السريانية في النصف الاول من القرن

السادس للميلاد تشهد على ذلك لوحة معلقة في طريق دمشق ـ بيروت مكتوب عليها « قصر الحير » أي انها تذكر الاسم السرياني الاصلي والى جانبه معناه العربي ثم قلنا له أما قولكم ان اللفظتين المشار اليهما عربيتان لانهما تنتهيان بالتاء المربوطة ، فليس من العلم والمنطق في شيء فما قولكم في لفظة « سورية » مثلا التي نكتبها اليوم بالتاء المربوطة ، فهل هي عربية لاننا نكتبها كذلك ؟ على ان الكوفة والحيرة كانتا تكتبان سابقا بالف الاطلاق « كوفا » و « حيرتا » كما كانت سورية ايضا تكتب « سوريا »

قال الدكتور السامرائي : « عنيت منذ ... سان بعيد بمسألة العربية وما اخذته من غير اللغات وما اعارته هي الى اللغات الاخرى .

قلنا : انه لن يتسنى له بلوغ هدفه المنشود ما لم يتقن السريانية الفصحى والعامية بلهجتيها الشرقية والغربية . لانه كيف يمكنه ان يجزم في عربية لفظتي « بقعة » ، و « فاروق » مثلا وهما سريانيتان بالتأكيد ، ذلك ان لفظ حرف الفاء في السريانية قد ازدوج ، فيلفظ احدهما كالفاء العربية وهو المستعمل في اللهجة السريانية الغربية في سورية ، والآخر كحرف (P) وهو المستعمل في اللهجة السريانية الشرقية في العراق فلفظة « بقعة » تسرّبت الى العربية عن طريق اللهجة الشرقية (PQAATA) وقد استُبدل فيها حرف ال « P » بحرف الباء ، كما استبدل في لفظة « باريس » مثلا وذلك لعدم وجود هذا الحرف في العربية كما في السريانية . أما لفظة « فاروق » فقد تسربت الى العربية عن طريق اللهجة الغربية ولذلك ظلت الفاء فاء في العربية ايضا . فلو تسربت عن طريق اللهجة الشرقية لكانت « باروق » (PARQUQ) وفاروق هو اللقب الذي اطلقه السريان الارثوذكس في سورية على امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومعناه « المخلص » لانه خلصهم من البيزنطيين . ووزنه بالذات يبرهن على ان اللفظة ليست عربية لانه ليس من الاوزان العربية لكنه سرياني بحت (راجع عن هذا اللقب تاريخ الطبري) فكان والحالة هذه ضروريا لمن يُعنى بمسألة العربية وما اخذته من غير اللغات وما اعارته هي اللغات الاخرى ان يتقن السريانية كما سلفنا وهذا ما انتبه اليه الرسول العربي الكريم ، فقال لزيد بن ثابت :

أتحسن السريانية ؟ قال لا . قال تعلمها فتعلمها في سبعة عشر يوما (صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ١٦٥ و ج ٣ ص ١ » .

من أصل سرياني

حقا ان من يُقدم على خوض غمار بحث كهذا يجب ان يكون قد اتقن اللغتين السريانية والعربية معا

يتمكن من استيفاء البحث حقه . كما كان مثلا سلفنا الطيب الذكر أمّا الدكتور السامرائي ففضلا عن انه لا يعرف حرفا واحدا من السريانية ، فهو قد لا يتوصل حتى الى معرفة دقائق العربية كما يؤكد قوله هنا . « وما عارته هي (العربية) الى اللغات الاخرى ، بدلا من القول الصحيح « وما اعارته هي اللغات الاخرى . فلو تقن اللغتين المذكورتين لعلم اذن ان الالفاظ التي ذكرها سلفا وغيره ليست عربية اصلا كما اشار الى بعضها حتى الاقدمون من لغويي العرب . اجل ، ان من اتقن السريانية ادرك سبب استعمال القرآن الكريم للالفاظ : حيوة صلوة ، زكوة بالواو لا بالالف . وللالفاظ سِرَط ، اله ، ثلثة ، ثلثمئة بسم والرحمن بدون ألف وذلك كما هي في السريانية . ولا غضاضة في الامر ، فان السريانية والعربية شقيقتان قد تعير احداهما الاخرى ما تراه مناسبا للظرف والمكان

ومن العجيب الغريب انه لم يشر الى كتابنا الموسوم « البراهين الحسّية على تقارض السريانية والعربية » . مع اننا كنا قد اهدينا اليه نسخة منه فور انتهائه من القاء كلمته ألم نعلّل في هذا الكتاب ما يفي بالمرام ، كيفية تسرّب كثير من الالفاظ السريانية الى العربية ؟ وعلى سبيل المثال نثبت هنا ثلاثة ألفاظ لم ترد في هذا الكتاب وهي زار ، تخيّل ونحيف ان هذه الالفاظ ليست عربية في الاصل لكنها سريانية دخلت العربية محرّفة ، اصلها سْعَر ، الحيّل ونحف (NHEV) (هزل) فاللفظتان الاوليان تحرّفتا بلسان الناطقين بالسريانية العامية الشرقية . اما الثالثة فبلسان الناطقين باللهجة الغربية ذلك ان حرف الحاء في السريانية العامية الشرقية الدارجة في العراق ، يكون غالبا « حاء » ، وحرف العين يذوب فيها غالبا . والحروف « الاسلية » وهي في السريانية : الزاي ، السين ، الصاد ، والشين ، اختلف لفظ كثير منها في اللغتين السريانية العربية اختلاف لهجات الشعوب الناطقة بها ، بحيث اضحت الزاي في اللغة الواحدة سينا او شينا أو صادا في اللغة الاخرى وبالعكس . ولذلك انقلبت السين في لفظة « سْعَر » الى زاي وذابت العين حتى اضحت لفظة « زار » . كما انقلبت في لفظة « الحيّل » الى حاء اضحت اللفظة « تخيّل » . أما الفاء في « نحف » فهي في الاصل السرياني (V) الفرنجية (NHEV) فانقلبت الى فاء لعدم وجود هذا الحرف في العربية كما اسلفنا .

لا ندري لماذا كل هذا التجني على الذين قالوا بأن اصل بعض الالفاظ العربية هو سرياني ترى ماذا كان للعرب من العلوم ابان الفتح العربي ، سوى القرآن الكريم ؟ ألم يكن الكندي في القرن التاسع أول فلاسفة العرب ؟ فمن اين يا ترى استقى علومه الفلسفية ؟ أليس من العلماء السريان ومن الترجمات السريانية للعلوم اليونانية ؟ أجل ، ان الامر هو كذلك ، بدليل ان رسائله العربية الفلسفية تتضمّن الفاظا كثيرة لا تمتّ الى العربية بصلة ما بل لا يستطيع فهمها الا من اتقن السريانية منها أيس (موجود) ، ليس (غير موجو) ، هويّة (وجود) ، قنية (ملكة في النفس) ، كثيات (اوساخ) وهلم جرا كما بيّنا في محاضرتنا « الكندي والسريانية » في مهرجان الكندي في بغداد سنة ١٩٦٢

ألفاظ تسربت

مما لا شك فيه ، ان الفاتحين العرب التقوا في العراق وسورية عدا القبائل العربية النصرانية التي كانت على مذهب السريان ، الناطقين باللغة السريانية ايضا من حفدة البابليين والآشوريين والآراميين الذين كانوا السواد الاعظم في هذه البلاد . ومع ان معظمهم دخل في الاسلام ، فقد ظلّت اللغة السريانية لغتهم المحكيّة دهرا طويلا ، كما هي الحال اليوم في قرى معلولا وبخعا وجبعدين في سورية . فلا غرو والحالة هذه ان تتسرب عن طريقهم الفاظ كثيرة من هذه اللغة العريقة ، وخاصة اللهجة الشرقية في العراق ، الى المعاجم العربية والعامية العربية . وما زالت بعض المصطلحات السريانية دارجة حتى اليوم لدى كثير من أدباء العرب البلغاء . منها قولهم « التقيت به » ورضي به » « ووصلني الخبر » بدلا من « التقيته » « ورضي عنه » « ووصل اليّ » . بل ما زالت هنالك الفاظ سريانية كثيرة في المصنفات العربية ، منها « زقفونا » اي صلبونا الواردة في رسالة الغفران لابي العلاء المعري ،

و « اللصوت » أي اللصوص الواردة في عهد عمر بن الخطاب لأهل الياء ، و « السيران » اي الشموع أو المصابيح الواردة في كتاب اهل دمشق لابي عبيدة ، و « يقلسون » و « المقلسون » أي يمدحون والمادحون الواردتان في تاريخ البلادري ، و « شياف » أي دواء وطلاء ، و « كيا » أي شجرة المستكي الواردتان في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لابي مروان عبد الملك بن زهر الاشبيلي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ وقد صدق المغفور له الدكتور داود الجلبي (لا الحلبي) الموصلي في ما اورده في كتابه الموسوم بـ « الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية » ، كما صدق من كتب من اللسانيين ايضا عن العربية العامية في سورية ولبنان ، بأن عليها مسحة من السريانية وعلى سبيل المثال نقول اذا كان شخص ماشيا في الطريق مع زوجته ، والتقيتهما ، فاما تسأله انت « هدي الست مَرَتك » أو هو نفسه يعرف ذلك قائلا « هدي الست مرتي » وقد يظن كلاكما انكما تكلّمتما العربية والحقيقة انكما تكلّمتما السريانية الشرقية لا غير فلفظة « هدي » ولئن اصبحت اليوم من العربية الفصحى مثل « هذه » الا انها في الاصل سريانية (HATHE) وبما ان حركة « E » غير موجودة في العربية كما هي في السريانية ، انقلبت الى كسرة ولفظة « الست » هي (SOTA) أي شيخة أو جدّة أو سيّدة أم الاب أو الام اما لفظة « مرتي » أو « مرتك » فتعني سيدتي أو سيدتك فلو كانت عربية للفظت « امرأتي » أو امرأتك » أي بالهمزتين وبضم التاء في امرأتك ومن هذا القبيل قولنا « عَمْتي » و « خالتي » و « كتاب » باسكان الميم في الاولى واللام في الثانية والكاف في الثالثة وكذلك قولنا للمؤنث « كتابك » (KTABEK) بدلا من كتابكِ

وبعد هذه الجولة اللغوية ، ليحكم القارىء الكريم ، من الذي جار عن السنن الواضح فتخبّط خبط عشواء فكان كحاطب ليل ؟ أهو البطريرك أفرام الاول برصوم أم الدكتور ابراهيم السامرائي ؟ ■■

بيروت ـ اغناطيوس يعقوب الثالث

رسالة روما :

بقلم . سعد كامل

ولكن الذى يدعوني الى تسميته مؤتمر « الذكاء »
من العداء هو الحقيقة التي توصل اليها علماء الطب
..دية في العالم وبوجود علاقة وثيقة بين تغدية الام
..ل والطفل حتى سن الخامسة وبين ذكائه وفي
..عمل ، لان هده التعذية - خاصة نسبة البروتينات -
في تكوين حلايا المخ وقدرتها على العمل وانه بعد
السن لا يمكن علاج النقص ، حتى ادا تحسنت
..دية

..ليست هده حقيقة مؤلمة ؟ ان يصاب الاطفال بعاهة
..دية في حلايا مبهم لا يمكن علاجها

احصائيات مثيرة للاشمئزاز

سنترك مسألة الذكاء جانبا لنرى ما توصل اليه مؤتمر
..عداء العالمي » من تشخيص لحالة الجوع في العالم
..ـه انها تتفاقم بشكل يدعو الى الدعر

ولكن الدين سيقرأون هدا المقال لن يصابوا بالذعر
..م لا يشعرون بالجوع الآن اما الذين لا يقرأون فلن
..بهم اى حوف لانهم لا يعلمون ا

يقول المؤتمر أن ٥٠٠ مليون انسان يعانون من
..لجوع » ولا اعتقد ان واحدا منا يمكن ان يستوعب
..ى هده الكلمة ، فكلنا نأكل كثيرا او قليلا نأكل
..اما كل ما نشتهي أو بعض ما نشتهي ، وقد نحرم من
..ب الطعام ، ولكننا قليلا ما نشعر بالجوع ، ونعاني
..سرعان ما نجد ما نسد به رمقنا ، ولكن - تصور -
..عيش طوال حياتك وانت تشكو وتتألم لانك
..نوعان » الى ان يصل الانسان الى حالة فقدان حتى
..عور بالالم فهدا ما يعانيه ٥٠٠ مليون من اخواننا
البشرية

يصنفهم تقرير المؤتمر « انهم يعانون من سوء التعدية ،
الحد .. اصبحوا كالهياكل العظمية « حلد على
لم » .. ا اوزانهم وهم يقضون معظم اوقاتهم
لدى الد .. على النشاط او الحركة وانعدمت في نفوسهم
..ة او .. في اداء اى شيء منتج . »

ان .. قرأ هذا التقرير ، سيحمد الله كثيرا ، ان
الاقدار لم تلق به في عداد هؤلاء الخمسمائة مليون من
اخوته في البشرية غير القادرين حتى على التأوه او
الخأر بالشكوى ا

يقول السيد ادوارد سوروما مدير مكتب منظمة
الاغدية والزراعة الدولية « ان واجبي الحزين ان انهي
اليكم طبقا لادق المقاييس بان الموقف يتدهور باكثر من
السنين الماضية انها في الواقع حالة مثيرة
للاشمئزاز »

والدى دعى السيد ادوارد الى كل هذا التشاؤم هو ان
عدد الجوعى كان يبلغ ٣٦٠ مليونا فيما بين سنة ١٩٦١ -
١٩٧١ وقفز هذا العدد فجأة الى ٤١٠ ملايين فيما بين ٧٢
- ٧٤ ثم هو اليوم في بداية الثمانينات يصل الى ال ٥٠٠
مليون ، وان القارة الافريقية وحدها تستحوذ على
النصيب الاكبر ٨٠ مليون اى ما يعادل ٣٠٪ من نسبة
الجوعى

ان مشكلة هؤلاء « الاخوة » انهم يحتاجون الى
٢٥٠٠ وحدة حرارية لكي يصلوا الى مستوى الكائنات
الحية ، بينما هم لا يحصلون عن طريق الوجبة الوحيدة
المتاحة (ارزا أو قمحا) الا على ١٧٠٠ وحدة اما في
البلاد المتقدمة فالحد الادني الذى يحصل عليه الفرد
٣٠٠٠ وحدة حرارية

والدى يدعو الى تشاؤم المؤتمر ، الاحصائيات التي
تتوقع ان يرتفع عدد سكان العالم من ٤ بلايين (الآن)
الى (٦) بلايين في نهاية القرن اى بعد عشرين عاما
سيكون النصيب الادنى ان لم يكن الأوحد في هذا
الانفجار السكاني (لصالح ؟) الدول النامية والتي
يتركز فيها الجوع ولا يبدو في الافق - امام المؤتمر - ما
يشير الى احتمالات كبيرة في زيادة الانتاج الغذائي

عودة الى « الذكاء »

سأعاود الكلام عن (الذكاء) العلمي وارتباطه
(بالغذاء العلمي)

هاقد ودعنا عام الطفل العالمي ، الذى دعت اليه
الامم المتحدة ولابد انه قد تجمع لديها اطنان من

التقارير من كافة انحاء العالم

المشكلة الاخطر في تقديري ليست في ٥٠ مليون جائع (الآن) وانما في الذين سيجوعون في المستقبل ويفقدون مع الجوع (الذكاء) وهم الاطفال . لست ادعو الى اهمال ما هو خطير في حد ذاته الان باطعام الجوعى ، واعلان حالة طوارىء عالمية لكي يتمكنوا من الحركة والنشاط المطلوبين من اي كائن حي لا ، ولكن الاخطر هو أن نتدبر أمرنا من الآن لمواجهة الحقيقة العلمية التي اعلنها الاطباء والتي تحدد السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل كفيصل لنمو خلايا مخه والا فانه لا يمكن علاجه وستصبح الحالة (عاهة) مستديمة

لقد انتصر علماء العالم في القضاء نهائيا على مرض الجدري القتال ، وهم سبيلهم الى القضاء على شلل الاطفال وهذا انتصار للانسانية وللعلم ولكن هذه الامراض ، وان كانت تترك عاهات مستديمة ، في جسم الانسان او قدرته ، الا ان مرض (سوء التغذية) في فترة الطفولة يترك اثرا لا يمحى في عقل الانسان (الطفل) في قدرته على الادراك والفهم والتفاعل مع مجتمعه ولهذا فهي اخطر الامراض واجدرها بالعناية والاهتمام

ان الحقيقة المؤلمة حول موضوع « الذكاء » العالمي انها ستؤدي مع مرور الزمن الى اتساع الفجوة ـ بسبب نقص التغذية في المراحل الاولى من عمر الطفل ـ بين شعوب بلاد العالم الثالث وشعوب البلاد المتقدمة ستصبح المعادلة الصعبة ، هو ازدياد تراكم الذكاء عند شعوب البلاد المتقدمة ، ونقص الذكاء عند شعوب العالم الاخر

وفي بحث قدمته الصحة العالمية عن الفلبين ، ان ٢٪ من الشعب مصابون بالتخلف العقلي ، ٣ بالمائة مصابون بامراض نفسية وعصبية ، ٢ بالمائة مصابون بامراض عقلية

لست اريد أن ألقي على سوء التغذية كل الاعباء والتهم . ففي بلاد العالم المتقدم تنتشر الامراض النفسية والعقلية . ولكن بسبب آخر هو اخطاء النظام الاجتماعي وتعقيداته وليست بسبب عضوي . هو نقص في تكوين خلايا المخ

ولا اريد أيضا أن ألقي بكل همومنا شعوب نامية ـ مرة واحدة ، امام القارىء ليصاب [illegible] وعدم المبالاة ، ان لدينا هموما اخرى ولكن يمكن ان نتداركها

لست متشائما ، عندما اناقش تقرير موتمر الغذاء العالمي بالعكس ان عناصر التفاؤل اكثر مما جاء بالتقرير وهذه هي الاسباب او بعضها

* تنظيم النسل ، لم يأخذ العناية الكافية الجادة ، فمن الثابت انه كلما تقدمت وتطلعت الشعوب الى الاستمتاع « بطيبات » الحياة حاولت الاسرة تقلل من عدد افرادها اما شعوب العالم الثالث ، فهي ترى في النسل ، وازدياده وسيلة اقتصادية لمحاربة الحياة

* ان شعوبنا تملك من الثروات ، مالم يستغل بعد الارض (السودان مثلا ٩٠ مليون فدان لم تزرع بعد) والمياه نحن نسرف في استخدام المياه بعد ٩ بالمائة من حاجة الارض (في مصر بلا سبب من الامتار المكعبة تضيع هباء) وهناك طرق اخرى للري اقل تبذيرا كالري بالرش والري بالتقطير وهذا يفسح مجالات لزراعة آلاف من الافدنة

* الثروة الحيوانية والسمكية التي لم تستغل بل تهدر اهدارا

* عاداتنا الغذائية ووجوب ترشيدها فنحن نأكل بطريقة الاجداد لا بد ان تمتلىء بطوننا ونشعر بالتخمة لنتأكد اننا قد اكلنا ومن الثابت علميا اننا نسرف في الغذاء اكثر مما تطلبه اجسامنا للنشاط المادي والذهني بل انه كثيرا ما يصيبنا باضرار صحية

* ان هناك بدائل للبروتينات غير اللحوم يمكن ان يعوض بها الاطفال الفقراء

كل هذه النقاط وغيرها يستطيع المتخصصون ان يتقدموا بها هي نقاط مضيئة تمحو الامر [illegible] في المستقبل لا لكي تقضي على مشكل ٥٠٠ مليون جائع بل اكثر من ذلك لكي تقضي على مشكلة الـ [illegible] شعوب العالم الثالث كله ■■

روما ـ [illegible]

● حل مسابقة العدد ٢٥٣ ●

افقيا :

جعفر الصادق

رأسيا .

رفاعة الطهطاوى

سان فى واحدة
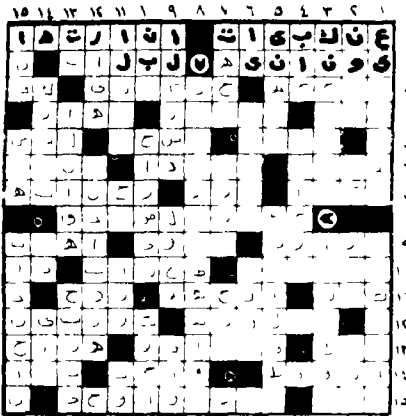
٨) فقيه جعفر الصادق الامام السادس سعه ، ولد وتوفى بالمدينة بلغ عدد المنتمين سه فى المدرسة اربعة الاف من كل الاقطار سلامية من اعظم انجازاته دعوته الى التأليف ، ووس ، وكان قبله قليل الحدوث

(٨) ... رفاعة الطهطاوى من اركان النهضة العلمية الحديثة فى مصر ولد فى طهطا وتوفى بالقاهرة تعلم فى الازهر ، واتم ثقافته فى فرنسا على كبار المستشرقين حرّر جريدة الوقائع المصرية

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها علي محمود عبد السلام ابو الهيجاء ـ الزرقاء / الاردن

الجائزة الثانية وقيمتها ٢ دينارا فازبها صباح اسماعيل علي ـ جامعة بغداد / العراق

الجائزة الثالثة وقيمتها ١ دنانير فازبها هند ابراهيم زاهر ـ الدقهلية / مصر

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فازبها كل من ـ

اركان عبد القادر الباحور/المغرب

ـ عدنان حقي القاسمي/سوريا

حسن عاطي الناصري الطائف/السعودية

جميل حسين جابر بنت جبيل/لبنان

٥ ـ كمال عثمان عبد الرحيم الخرطوم/السودان

٦ ـ سميرة الجوبي صفاقس/تونس

٧ ـ سعد عبد الله الشعلان المحرق/البحرين

٨ ـ محمد عبد الوهاب الامام السالمية/الكويت

قصة قصيره

هل تعرفون هذا ؟

بقلم : فاطمة حسين العيسى

تمر امامي كل يوم وجوه ووجوه قلما يستدعي احدها مني التفاتة ، ونادرا ما تتطور الالتفاتة الى اهتمام

مغرور أنا اعترف
وانتم فضوليون

لا لست راهبا ، مثلكم انا احد صعوبة بالغة في السيطرة على نفسي ومنعها من ممارسة حق او باطل ، عندما يجد هواه طريقه الى قلبي لكني مرتاح مستقر ثابت على ارض صلبة لي من العمر والتجربة ما يجعلني اعيش جاذبية الحياة اليوم واستمتع بها

حياتي العائلية هندسية ، رائعة الموازين زوجة تصغرني بعامين اثنين ، رحم الله ذاك العم وتلك الخالة الصائغين الرائعين لأحلى وأبهى حلية زوجية لي من الذكور اثنان من أجود الاصناف ولي من الاناث اثنتان من اجمل النماذج كل شيء معهم وبهم يسير سيرا صحيحا طبيعيا

اظنني اشبعت فضولكم الى حد التخمة والتخمة تصيب الجسم بالخمول ، والخمول يحول الجسم الى كتلة من رصاص ، وهل يقتلع الرصاص من الارض الا بعاصفة ؟ ؟ واى عاصفة لا شك انكم تعرفون ان جل عواصف الزمان وكوارثه تحمل اسماء اناث وعاصفتي كانت انثى وكان اسمها هدى

مالت برأسها باتجاه المذياع ذي الصوت المخفض بينما اشعلت يدها نصب فنجان من الشاي احتسيته في افطار ذلك الصباح وقالت

إنا لله وانا اليه راجعون

أمرك لله ، ستبدأ بهارك بالعزاء في مقبرة الصليبخات الدفن الساعة الثامنة والنصف

ثم علقت روحتي على هذا التقليد الذي اصبح شبه فرض على الانسان ، وكم هو سيىء ان يبدأ به يومه ، فاوضحت لها وأنا أضع فنجان الشاي في طبقه بعد ان أفرغته في جوفي بسرعة أوضحت انها يجب ان لا تتشاءم من امر اصبح بالنسبة لنا ـ نحن الرجال ـ عاديا جدا بل اكثرنا صار يرحب به لانه الحل العملي السريع للقيام بهذا الواجب الاجتماعي الثقيل ، بدلا من محاولات البحث عن ديوان فلان او فلان ، والوقت في المجتمعات التجارية كمجتمعنا عملة صعبة

●

كان يوما من تلك الايام ، وكان طبيعيا ان اصل الى مكتبي بعد ساعة ونصف ساعة من الموعد الذي اعتدت الوصول اليه فيه ومثلي ـ عادة ـ لا يحاسب على تأخيره لأني أحمل رتبة مدير لشئون الموظفين ، وخبرة خمس عشرة سنة في هذا الحقل وفي هذه الوزارة بالذات ورغم قصر المدة ـ كما تبدو للبعض ـ الا اني اشعر ويشعر اغلب العاملين معي من الكبار والصغار ، ان كل لبنة في هذا المبنى قد امتزجت ببعض قطرات من عرق يدي وجبيني ، اشعر وهذا المبنى وهذه الممرات وهذه الابواب بأبوة متبادلة

كثيرا ما نتشاجر وكثيرا ايضا ما يقع احدنا في احضان الآخر

ما توقعت ان يحاسبني احد على الاطلاق لكنني ايقنت بعد بضع دقائق من دخولي المكتب وحتى قبل وصولي الى البقعة التي يحتلها كرسي جلوسي ، أيقنت أن الحساب الصامت اقسى وامر ، خاصة ما يصدر عن اناس لا تعرفهم ولا يعرفونك ، تجد نفسك راغبا في الشرح ، مستطردا في سرد تاريخ حياتك المهنية وامامه طبقه التي يتوجها دائما حرصك على مواعيدك واحترامك لاوقات الناس ولا تلبث ان تصبح بين هذا وذاك كالماثل امام لجنة احتبار لقدراتك في تبرير ما لا حاجة لتبريره وفجأة تصحو على حقيقة لا تخلو من مرارة هنا في هذه البقعة سيد نفسك وسيد هذا المكتب وربما سيد من يدخل هذا المكتب

سيدي ! كيف ضاع منك كيانك بهذه الصورة المفاجئة ؟ ؟ لم تكن اكثر من نظرة مجرد نظره الى ساعتها مصحوبة بنصف ابتسامة

لا لا ، لم يكن ذاك هو السبب ، بل هذا الشاب الغريب والغوص في المقعد مطوية الساقين وكانها مخلوق برجل واحدة والاستغراق العجيب بملاحقة المقال الافتتاحي لاحدى الصحف ، اي تنازل كبير مارسته برفع عينيها من المقال الى ساعتها ، ثم الى المقال مرة اخرى ، لتتم السطرين المتبقيين

ايضا ما كان هذا هو السبب الحقيقي السبب ابسط من ذلك بكثير

لاول مرة منذ تبوأت هذا المركز لم ادخل مكتبي ومنتظري لا يهب واقفا لاستقبالي ، رجلا كان او امرأة تضحكون ؟ ربما تضحكون على سخف السبب ولكن كم في الحقائق من مضحكات ؟ لعنة الله على النساء كل النساء ، وعلى تقاليدهن التي لا تفرض عليهن الوقوف لرجل ذي اهمية مثلي ولعنة اخرى على هذا الارتباك الذي يفلت مني رغما عني ورغم محاولاتي لتقييده بسنواتي الاربعين وكسورها ، وبخبرتي وبمركزي الاجتماعي والوظيفي ، وبكل ما يحيط به وما يحيطني ايضا من هيبة ـ وعليكم السلام ، قالت

وبدأت مرحلة القفز من الاعيار بيد الله الى لا بد انك سمعت المذياع هذا الصباح ، كم اكره ان ابدأ يومي بوداع عزيز ، لكنها سنة الحياة الواجبات الاجتماعية متطلبات المنصب والظروف العائلية وكلام كثير كثير قلته لا اذكر منه الآن شيئا لكنني أتمنى أن لا أكون قد خرجت عن الموضوع اكثر من مائة مرة وان ... دائرة فشلي في ربط اذيال الحكايات باعناق الـ ... ـساب

...ها ... د ان تضيق دائرة فشلي هده العيون ...هاء السديدة العمق التي تواجهني ، تضيق وتتسع ...سراب صوتي والرأس يتأرجح سطه بين الكتف ... والا يسر ، يورع عيه كلامي بين ادنين مرداتين صعير صعير والدراعان معقودتان والساقان ...متان والتقوقع ذاته ، والهدوء ذاته ، والصمت يرداد ... وانا اهدى واهذى

لكنها قاطعتني

ـ سيدى ! لست هنا لمحاستك ، لا أحب ان اتدحل لا دحل لي به حنتك في الموعد الدى اتفقنا عليه ...ا تاحيرك لم يرعحني (تبتسم) بل اعطاني ... الاطلاع على صحف الصباح

اشطر اهتمامي سعي شطرين سهولة عريبة ، ...تها احدهما ـ على غير عادتي ـ وقلت

ـ هل من حديد ؟

ـ تصحك حديد !! في صحافتنا !! لقد احتلط ...سم بالحديد ليحلق حوا من الرقابة عريبا ... اني اتصور انه قد آن الأوان لتتعير رسالة ...حافة ـ بدلا من محاولات على طول تلك السنين ـ ... القارىء يحب ان تعطيه الآن حريته ليعود الى ...ثقه الصدوق القديم المذياع

ـ وهل تكذب الصحافة ؟ هل حقا انت تعتقدين

ـ هناك فرق بين الكذب واخفاء الحقيقة ، لكن ليس هو احتراصي على الصحافة ، وانما صبها جميعا في ...ل واحد ودون استئذان استطردت . وكأن سماعي ...رص ... اعترف لكم مرة اخرى هكذا شعرت

ـ ... لا اظنك تحتلف معي ان المقال الافتتاحي ...لصح اى صحيفة هو مركز الثقل هو الذى ...ص حمل وجهة النظر في اكثر القضايا حيوية ...ة ك ...ام اساسية لكن عندما تستقل ثلاث أو ...ع او صحف يومية وتقرأ المقال الافتتاحي وتشعر ...الحد ...رف نفس النغم الا تفتقد اختلاف اللون والطعم ؟؟

الا يؤدى بك ذلك الى فقدان احترامك للصحافة ؟؟

ـ لا ، قلت لها عندما تكون المحنة واحدة لا استعرب ان يكون رد الفعل واحدا

ـ لكن قطعا هناك اكثر من راوية للنظر ، ثم يأتي الاحساس باكثر من مسبب واحد وعليه فطرق الخلاص متعددة عندما نعلن عنها عن احتلافها ، ساعتها نلتقي لتضييق المسافة والسير في طريق واحد للحل او نحو الحل لكن ان نتفق قبل ان نحتلف او ان نتفق حتى لا نختلف ، وهذا اسلوب صحافتنا اليوم ، هو بالنسبة لي اسلوب فريد

ـ ولهذا تشترين بالعودة للمدياع

ـ انا لا اشتر أنا مجبرة للعودة الى المدياع لانه يعطيني المادة الخام ، بلا تصفية ولا تكرير ولا رتبة ، واحيانا بكل ما تحمله من اشواك

بحدة ردت تربيتي ، علمي ، ثقافتي تحميني

وفجأة هبت واقفة وقالت

« كم ارجو يا سيدى ان لا اكون احدى هذه الاشواك » وألقت باتهامها في وجهي وقالت

ـ « لقد احدتني بالكلام ونسيت انا ، او ربما تناسيت انت ما جئت هنا من احله

ولدهشتي البالغة دنت مني ومدت يدها تصافحني قائلة

ـ اسمي هند اوراقي تحت ذاراعك اليسرى ، التقينا هاتفيا بالامس في حوالى العاشرة والنصف قلنا الكثير قليل من كلامك اذكر ، لكنني اذكر طلبك مني ان ازورك حتى تتعرف عليَّ اكثر واظن ان مادار بيننا من كلام يكفي للتعارف ، ثم تركت يدى

تركتني كمن هبطت على رأسه صاعقة ، مأخوذا بغرابة الموقف ، بغرابة الحديث ، ثم بالتعليق الذى انطلق من فمها انطلاق رصاص من رشاش ضغط على زناده اصبع انسان منتقم لم يتركه حتى افرغ ما فيه ،

واحترق رصاصها مني العين والعقل والقلب وعمل بي تجريحا . وانا اصرخ ، وهي تبتسم أصابني ذهول غريب وشعرت بكل شيء حولي الا الألم

جلست على مقعدي امام مكتبي جلست ، وضغطت على زر الطلب « استكانة » شاي كان هذا كل ما استطيع عمله في تلك الاثناء ، لم يكن اكثر من تحرك عصبي

واستجمعت ذاتي لاقول لها « اعذري سوء صياغتي لم تعطني الفرصة حتى لكي أتم جملتي » وقالت « كان يمكنك أن تضيف ذلك الى نشرة الاحوال الشخصية التي القيتها حال دخولك المكتب »

بعض من غضب قلت « اسمحي لي

قالت نعم

وفقدت لساني فجأة ، تماما فقدت لساني

رحم الله اباك يا عبد السميع ، جئت بالشاي في الوقت المناسب . ولاول مرة اشعر بسيل من الادب الجم يغلف غضبي وجرحي وكل المشاعر العجيبة التي انتابتني تلك اللحظة ووجدت نفسي اعتذر لها عن طلبي للشاي دون سؤالها ، فردت بانها تكتفي بكوب من الماء لو أسمح الآن فقط لو أسمح من اجل كوب من الماء لو اسمح ، وضحكت في أعماقي فقط المرأة تظل هي المرأة تطعنك بالخنجر ، وتقبل عينيك فتختلط في نفسك اللذة بالألم

تركتها تتم كوب الماء وتشاغلت بالنظر عبر اوراقها سبع سنوات في التعليم عمرها ؟ ؟ في الثلاثين وما حولها ، لماذا تترك التدريس ؟ ؟ وارتفعت حرارة الرجولة الغاضبة في رأسي كم هي حاجتنا للمرأة في مجال التعليم انها حاجة عظيمة ، لكن امرأة اليوم لها نفس قصير جدا لا تريد من التعليم الا العلاوة والاجازة ، اما ماعدا ذلك من جهد في تربية النشء فتتركه دائما للهواة وكلها وصلت الهاوية الى درجة الاحتراف ، بدأت رحلة الهرب وهذا نموذج ابيق امامي

وتعتمل نار الثورة في تجويف رأسي ، لكنها ترفض أن تخترق غلافه ، وبانتظار كوب الماء ان يفرغ ، كنت ابحث عبر اوراقها عن متنفس لجرحي وارتباكي

وسقطت آخر قطرة من ماء الكوب في فمها وتصاعد عندي احساس مفاجيء بطفولته ، وتحولت لطفل يقف امام مدرسة لها من الخبرة سبع سنوات مثلث امامي سبعين سنة

وبدأنا التحول خلال الروتين السمج عبر مسئوليات الوظيفة الجديدة . واستعرضنا في رحلة قصيرة جدا الاوراق والمكاتب والبشر

لا اكاد انسى ذلك الطوفان من الاسئلة الذي اجتاح رأسي ومحاولتي القاسية للضغط والسيطرة عليه

لماذا تترك التعليم ؟؟ هل هو الملل ؟ ؟ هل هو خلاف ؟

البحث عن رجل (وابتسم الرجل في اعماقي ؛

من دلها على هذه الوظيفة بالذات في وزارتنا ؟ هل هو الوكيل ام الوزير او آخر اكثر نفوذا ؟ وما علاقتها بأي منهم ؟ ما مدى طموحها ؟

وخيم الرضى على الوجود رغم قلقي وارتياحها جاء الرضى على الوضع ستأتي اول الشهر القادم لتحتل البقعة الشاغرة الواقعة على بعد سبعة امتار ونصف من مكتبي ، الباب الثاني من المنعطف الايمن

●

وانتظرت ، وانتظرت وانتظرت هل تعرفون كم هو مرُّ هذا الانتظار ؟ ؟ دهورا انتظرت ، كنت فيها انسان آخر غير الذي تعرفونه ، غريب على روحي واولادي حديد على زملائي واصحابي كان لهذا الانسان صورة فقط دون المحتوى . المحتوى كان شيئا آخر مركاه على حافة الانفجار تعتمل في داخله كتل ملتهبة من المشاعر والاحاسيس مر منها وحلو قاس وحنون سطحي وعميق هكذا كنت اطوى الدهور بانتظارها انظر في المفكرة كل يوم لا اكاد اصدق ان الايام تستنفد كل ... في ... من ثقل حتى تمر

وجاء يوم استلامها للعمل ، بعد دهر ... جاء كان بالنسبة لي يوما خاصا وصلت به الى ... مشوار

الطويل الذي بدا لي مستحيلا ، ورغم سعادتي
هذا الانجاز العظيم الا انني كنت اشعر
نعة العمق وقلق دفين احسست بثقل هذه
رداك القلق على احشائي الى حد الالم الجسدي

حديد أدخله اليوم وأنامل خفية تشد جميع
س احساسي ، تشدها الى اقصى حد ، صرت
ليها فيه ان تنقطع ، وكم بلغ بي اليأس الحد
ت فيه فعلا ان تنقطع وتنتهي المأساة لكنه
اعيش هذه المأساة ما تمنيت رؤية انسان في
ما تمنيت رؤيتها في تلك الساعة ، لامن أجل
اتها ، ولا من اجلها هي ، بل من اجل كيان
اقل ثابت هزته عاصفة مفاجئة هذا الكيان
ي واخاف عليه ان يتداعى

تمنيت رؤيتها الى حد البكاء الداخلي الصامت
يتها ، لعلني بهذه الرؤية انفث بعض السموم
محت تنهشني من الداخل من اعماق اعماقي

الساعة ، وبعدها ساعة ، وبعدها اخرى ، ولم

ي الوكيل لامر هام ولاول مرة ـ وما اكثر
ت في تجربتي هذه ـ لأول مرة في تاريخي
اترك لشخص ما رسالة بانني عائد بعد دقائق
ه الرسالة مع النائب ، مع السكرتير ، ومع
، واصدقكم القول انني تركت هذه الرسالة مع
ر وكل باب مررت به
لموا ممن يمكن ان يسأل عني ان ينتظر . سأعود

لقائي بالوكيل اقصر لقاء في تاريخ المهنة ،
د احمل وجدي المشتعل الكامن بين اضلعي ،
برود وصمت الجدران والابواب وقد انتقل الى
لسكرتير والمستخدم .

ـ يعلم كيف مر ذلك اليوم الذي نقلني من
س الى دائرة الحيرة .

ا ؟؟؟

هل اسأل عنها ؟؟ لا يجوز ذلك

هل ازور مكتبها ؟؟ لا علاقة لي بعملها على الاطلاق كيف ابرر زيارتي

لو حدث ، اقول فقط لو حدث وقابلتها ـ ما اصعب الافتراض !!

ماذا يمكنني ان اقول ؟؟ وطعت الثقة بالغة بالنفس على الوجه . قطعا بامكاني ان اقول ألف جملة وجملة .. قبلا

كيف وجدت العمل ؟؟ لكنه يومها الاول ، السؤال يبدو سخيفا ، ولأمثالها سيبدو ، سيبدو مضحكا

اذن يجب ان انتظر حتى يصبح لسؤالي معنى

وشعرت بفراغ كبير حولي صحراء قاحلة . وخلا ذهني تماما من أي سؤال يمكن أن أسألها اياه . لو .. هذا لو صح الافتراض والتقيت بها

كم هو هم كبير ان تبحث في الفراغ عن موضوع عن سؤال ، عن جملة ، عن كلمة ، عن اي شيء تقوله لها فقط من اجل ان تبقى معي دقائق لتقول هي شيئا كنت اريد فقط أن أسمعها ، اسمعها تقول شيئا اي شيء

ـ لله ما اضخم هذه المغالطة !! سماعها فقط . لا كنت اريد ان اراها انني اصرخ اعترافا كنت اريدها ان تراني ، وان تسمعني وان تحس بي احساسي بها

انقضت ساعات الدوام الرسمي ، وها انذا اضيف بتركي للمكتب في تلك الدقيقة اولوية اخرى . هذا النهار لم اعط نفسي فرصة للتفكير بمسئوليتي ولا حتى بازدحام الشوارع ، ولا بالعادة التي قطعتها على نفسي بترك المكتب بعد ساعة كاملة من انتهاء ساعات العمل اقضيها عادة في مراجعة ما يجب مراجعته بهدوء . كل ذلك تهشم اليوم امام رغبتي في رؤيتها .. ربما اقول لكم .. ربما كنت اول شخص يطوي عتبات الوزارة خارجا ذاك اليوم . لكنها نصف ساعة وتزيد ، المدة التي قضيتها بين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة .

لقد سيطر على حس احتماعي غريب ، كنت اتحدث مع كل وحه مألوف وابلغه ايصا عتني لغيابه عـني ، وكل وحه قابلني ـ بقدرة قادر ـ كان مألوفا وسيبت شيئا سيبت ان اقـدم حريل شكـرى لكل من رصي بالحديث معي في تلك اللحظات العاجلة في حياة الموظف اشكره على تعطيلي لعلي اراها حارجة عندهـا سوف استوقفها ، سأقول لها شيئا اي شيء ولكن

●

ووحدت نفسي ابحث عنها في كل مكان في راسي كنت ابحث عنها في كل حركة من روحتي كنت ابحث عنها في كل تعليق من اولادى كنت ابحث عنها كنت ابحث عن ابتسامة وبريق عيون لا اذكر عنها اكثر من ذلك . ولا اعرف عنها اكثر من حدة لسانها

لكنني عاشق هدته رحلة البحث عن معشوقتـه ، وتحول الى انسان مسالم غريب في استسلامه ، الامـر الذى حعلني في دائرة العمر واللمر من اسرتي الصغيرة الهادئة المسعرة حتى « اللا » اصبحت ترعجني فلبست ثوب الموافقة على كل طلباتهـم ورغباتهـم وحركاتهم . وعـاش اولادى متعـة الضوء الاخضر ولـكن الضوء الاحمر اشتعل في احشاء روحتي لم تقل كلمة واحدة ولم اقل انا كلمة واحدة لكن كثيرا حدا دار بيننا مما يقال ومما لا يقال حتى ارتفع بيننا حدار اسمه هند

●

وهكذا احتوتني هند ، عصارة نساء الارض ، وتمثلت امالي امرأة تلتحم بي ، اعشقها لدرجة الذوبان ، اعيش من احلهـا ، لا اصنـع الا ما يرضيهـا ، ارى الدنيـا بعينيها ، بوجودها اتوه حتى عن ذاتي

لكن اين ذاك الوجود ؟؟ والى متى يظل عسيرا يحوم حولي ؟؟

وانتظرتها انتظرتها طويلا فلم تأت وانتظـرت الصدفة ان تاتيني بها فلم تأت وحاولت ان احلق الف صدفة ولم انجح كل هذا وانا احترق

ورحمة بالاضلع الموشكة على التكسر قررت الذهاب اليها الى مكتبها لم اعـد قادرا على الاحتمال ، اسـي انتحر كل يوم سأذهب اليها ، سأقـول لهـ ـل شيء بصراحة ووضوح واترك الامر لها

وجمعت احلى ما في عمرى ـ وهو قليل ـ ـلته بين دراعي ودهبت اليها ولدهشتي ، وصلت ـ كن بابه معلقا لكنني طرقته برفق شديد طرقـ ـوجـ صوتها ليصعد بالدماء كل دماء حسدى الى اعلى راسي

ـ نعم تفضل

واخدت نفسا عميقا لعله يساعدني على الاستحواذ لطلبها ودخلت لا لا اعدروني لم ادخل بعد احدت حطوة احرى الى الداخل وانتظرتها حتى ترفع رأسها

ـ هل اغلق الباب خلفي . ولو نصف اغلاق ـ ـكـ قدر يصدر صوتا يقلقها ودار راسي ودارت بي الد ـ وانا اراها تقف ترنو عيناها للمفاجأة

تبتسم ـ هذه المرة ـ ابتسامة خاصة تقف تفتح ـ دراعها تحتضنني وتـأسف عن عداب سـبـ ـ وتتركني ابكي على صدرها كطفل صغير

●

ورفعت راسها واعادت جملتها الاولى ـ معكـ ـ

تفضل نعم

ونظرت في عينيها أستحـد ـ نهما ان ترفع عـن الحرج المخيف الذي احتواني فلم تستجيبا لي

وتركتني استجيب لدوار شديد جعلني اسقط عـ ـ اول مقعد واجهني ، سرور شديد امرتني ان اسرع ـ ضغطت على زر ما استجاب احد

رفعت سماعة الهاتف ادارت القرص ثلاث دور ـ سمعتها تقول علي في مكتبي احد المراجعين ـ ـطه يشعر بدوار ، ارجو حضورك للتفاهم معه حسب الحـ ـ بموعد الاجتماع

وغبت عن الوجود كل الوجود ■■

الكويت ـ هاء ـ حسن

الوطني التاسع عشر

عمالة الابداع

الفن الشعبي الكويتي

بقلم : صفوت كمال
لوحات بهجت عثمان

الفنون الشعبية ، هي ترنيمة الحياة التي رددتها الأجيال في كل مكان ، تعلن في تواصل ثقافي حي ، عن قدرة الانسان على اضفاء الجمال في كل ما يحوطه وتعطي بإبداعاتها الفنية طابعا متميزا لحياة الانسان نفسه داخل مجتمعه ..

فمنذ لحظة الميلاد تحيط مختلف أشكال الابداع الفني الشعبي بحياة الانسان فيما يقيمه الأهل والأصدقاء من احتفالات احتفاء بالمولود الجديد وحينما تحتضن الام وليدها وتهدهده وترقصه ، وتدلله وتعبر بأهازيجها عن حنانها وحبها ، بعبارات توارثتها من جداتها مثل ـ

« لولواه لولوه يمه لولواه لولوه
يا ملا عيني لولو
يا بعد كبدي وقلبي لولو »

كما ترحو له نوما هانئا بعيدا عن أي ازعاج فتغني له أغنيات تثير في إحساساته ومشاعره ، الأمن والهدوء

« نام نومة الهنية نومة الغزلان في البرية »
كما تبشره بأنه إذا نام مبكرا سوف يأتي اليه الغزال ويسقيه حليبا
« لما تنام بدري يجيبك الغزال يسقيك حليب »

وكلما تخطى الانسان مرحلة من مراحل النمو في الحياة أو اكتسب خبرة جديدة تقام له الاحتفالات العائلية والشعبية داخل البيت او خارجه

وفي الكويت قديما ، قبل أن تنتشر المدارس ويؤخذ بأساليب التعليم الحديثة ، كان يقام احتفال ـ للصبي ـ أو الفتاة ـ اذا أتم الصبي قراءة القرآن قراءة كاملة صحيحة وحفظ معظم سوره فيقام للولد « خاتم القرآن » أو للفتاة « خاتمة القرآن » احتفال كبير تتلى فيه التحميدة وهي قصيدة دينية تعبر عن حمد الله وشكره .

يوم الختمة

وفي هذا الاحتفال « يوم الختمة » يرتدي الصبي العباءة الموشاة بالزرى الذهبي ويضع الغترة والعقال على رأسه ويحمل سيفا ذهبيا في يده ومسباحا ، وينتعل النعال النجدية المطرزة فيبدو وكأنه عروس في ليلة زفافه وقد يزف على حصان مغطى بقماش ملون ، وتتدلى منه « كراكيش » جميلة من الصوف الملون تتدلى من « الرشمة » ويزين أيضا بالودع

أما الفتاة فقد كانت تزف أيضا كعروس ولكن في نطاق محدود ـ فترتدي ملابس مطرزة بالزرى الذهبي . تماثل تلك التي ترتديها العروس في ليلة زفافها ـ فترتدي الدراعة المطرزة بالزري وعليها الثوب الحريري الشفاف المطرز أيضا بالزري الذهبي وتزين بالحلي الذهبية من هامة أو « قبقب » على الرأس ومن الرأس الى الكتفين تسدل « الجتتات » والتلتول « والسروح » وتزين الاذنان بالأقراط « التراجي » وعلى الصدر العقود من « مرتهس » أو سلول « ونقمة » من الذهب الخالص أو مطعمة باللؤلؤ وتسمى « نقمة مقمشة » وعلى الرقبة « المرتعش » ومنه ما يطعم بالاحجار الكريمة ومنقوش بالحفر البارز والغائر وفي الأذرع المعاضد ، من أساور وحويصات » ، كما تخضب الكفوف بالحناء والكفوف الذهبية ، وتحلى الأصابع بالخواتم من مراميي « وخناصر » وفي الرجل الحجول الذهبية وكلها من قطع الحلي التي تتزين بها العروس

واذا كان أهل الفتاة لا يملكون تلك الحلي فانهم يستعيرونها من الأهل والأقارب ، بل كان الاصدقاء والجيران يعيرون أهل الفتاة هذه الحلي دون انتظار طلبها منهم

وفي هذا الاحتفال تورع الحلوى والشراب وتقدم الهدايا للفتى أو الفتاة « وللملا » أو « المطو... أو « المطوعة » ، ممن قاموا على تعليم الولد أو الفتاة ... وقواعد اللغة العربية وتحسين الخط وبعض ... الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة وحد...

● من العاب الفتيات لعبة « طبق حناء وطبق ماش » .
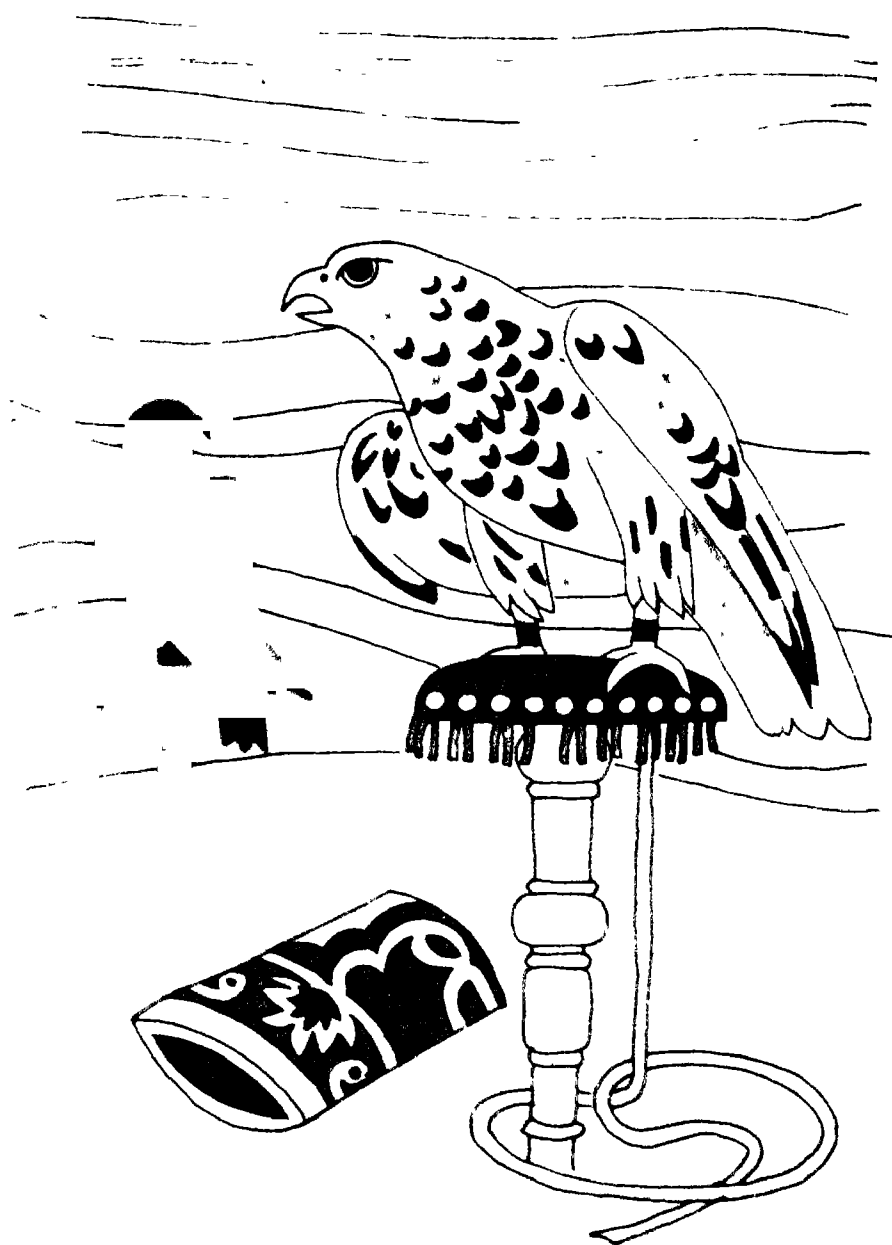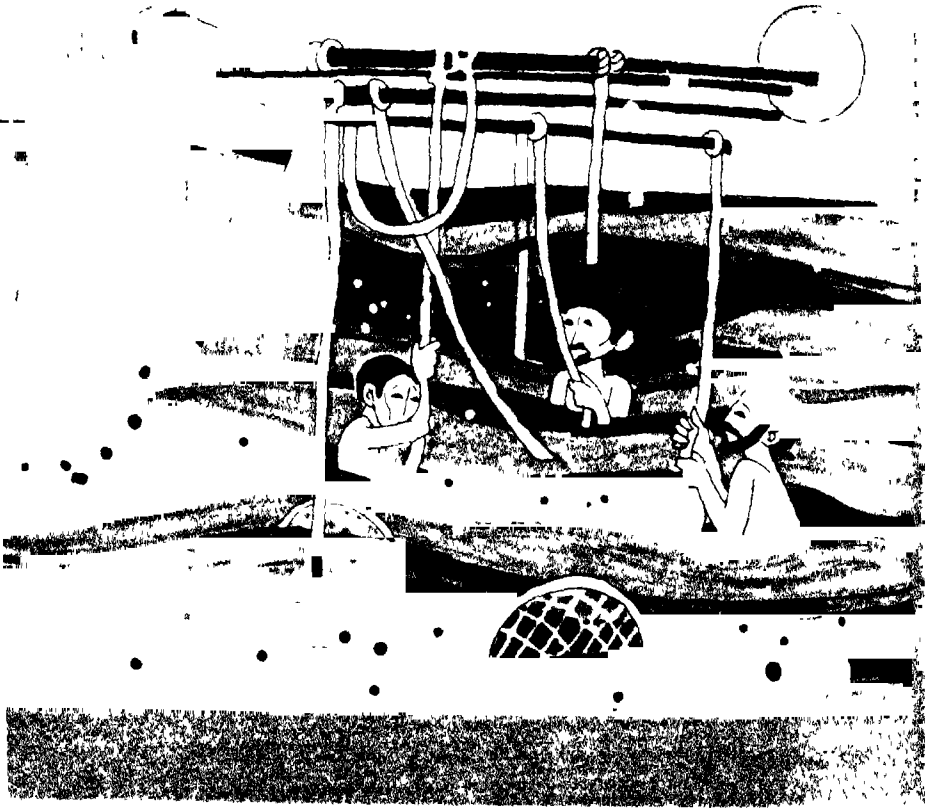
العوص فللفوص قواعده الحسابية الخاصة .

وفي أثناء الزفة والاحتفال بخاتم القرآن ينشد رفاق الصبي « قصيدة التحمدة »

ومن أبيات هذه القصيدة :

« الحمد لله الذي تحمدا
حمدا كثيرا ليس يحصي عددا
سبحانه من خالق سبحانا
بفضله [illegible]منا القرآنا »

و[illegible] القصيدة تتغنى بحمد الله والثناء على المعلم والوالد

« علم[illegible] معلمي ما قصرا ...
ردني [illegible]درسه وكررا ...
اني تعلمت كتابا أكبرا ...
حتى قرأت مثله كما قرا ...

ومنها أيضا :

« جزاك الله يا والدي الجنانا
وشيد الله لك البنيانا
الجد والجدة لا تنساهما
فعند ربي جزاهما ...

خبرة ثقافية :

ـ هذا الاحتفال له اهميته الفولكلورية باعتبار أن المجتمع كان ينظر الى التعليم كمرحلة ثقافية ضمن مراحل دورة الحياة التي يحتفي بها ...

مرحلة من مراحل الحياة ، مثلها في ذلك ، مثل مرحلة بدء المشاركة في الحياة العملية ، حينما يركب الصبي السفينة أول مرة ، ويذهب للغوص مع والده أو أحد أقاربه ليعمل (تُبابا) على السفينة . فيتعلم فنون العمل البحري والغوص ويساعد في أداء بعض الاعمال الخفيفة على السفينة . .

فالاطفال منذ نشأتهم يتطلعون إلى البحر ورحلات السفر والغوص .. وينصتون في شغف واهتمام الى حكايات الأجداد والآباء عن مغامراتهم وقصصهم عن عالم البحر وغرائبه وعجائبه

كما يتسلى الاطفال بل الشبان أيضا بعمل نماذج من السفن الصغيرة تسمى العداديل يطلقونها في البحر بالقرب من الشاطيء

ويتخيلون أنفسهم في السفن الكبيرة وسط البحر الكبير مع الموج العالي

ولقد لعب البحر دورا كبيرا في حياة المجتمع الكويتي ، قبل أن يتفجر النفط على أرضه وتبدأ حركة النهضة العمرانية الحديثة وتتغير أشكال الحياة الاجتماعية

فلقد كان البحر مصدرا اساسيا من مصادر الدخل القومي سواء في رحلات الغوص بحثا عن محار اللؤلؤ الكامن في أعماق الخليج أم في رحلات السفر للتجارة بين بلدان الخليج وسواحل افريقيا الى الهند . رحلتان رحلة الصيف للغوص ، ورحلة في الشتاء للسفر والتجارة

وعبر رحلات الغوص والسفر . صاحبت الأغاني والايقاعات الموسيقية كل مرحلة من مراحل العمل على السفينة بل منذ لحظة البدء في صناعة السفينة نفسها ثم انزال السفينة الى البحر على ايقاعات « السنجني » ، كما تتردد الأغاني خلال عمليات سحب السفينة الى الماء أو التجديف ورفع الشراع الى العودة في « القفال » عند انتهاء موسم الغوص حينما تعود سفن الغوص كلها معا الى الكويت تعلو إيقاعات أغاني « العرضة البحرية » احتفالا بالعودة ، وتعبيرا عن فرحة لقاء الاهل والاصدقاء ومن الأغاني التي تصاحب العمل على السفينة وما زال يرددها للآن [illegible]امون والبحارة الموال الزهيري الذي يقول ـ

« ودعتكم بالسلامة ياضُوى عيني
وخلافكم ما غمض جفني على عيني
واعدتني بالوعد لمن جفت عيني
ظليت يا سيدي جسم بليا روح
جد فر مني العقل وظل الجسم مطروح
كل العرب هودت وأنا شقي الروح
يا نور عيني مثل ما أراعيك راعيني »

والنهام هو مطرب السفينة الذي يحفظ الاغاني القديمة ويرددها ، وهو أحد المشاركين في العمل على السفينة أيضا في الغوص أو في غير ذلك من اعمال البحارة ..

وأغاني النهام تبدد عناء العمل كما تثير حماس العاملين للعمل وتخفف عنهم احاسيس الشوق للأهل والأصدقاء

حكايات وأمثال :

فحياة البحر حياة عمل ومثابرة والحكايات الشعبية التي تروى عن حياة البحر تتضمن كثيرا من صور ومغامرات البحارة وما يتخيلونه أحيانا من كائنات غريبة وعرائس بحر نصفها نصف فتاة حسناء والنصف الآخر نصف سمكة

كما تتضمن قصص البحر « حزاوي البحر » مواقف درامية تؤكد قدرة الانسان على مواجهة المشاق وتحدد ارادة الانسان في الانتصار على قوى الطبيعة

فحياة البحر حياة تموج بالعمل والصبر وتعطي للفكر الانساني مجالات فسيحة من التأمل وتعلم الانسان قيم الحياة من تكامل اجتماعي وإخاء . فالسفينة لا تسير الا بجهد الجماعة المتآلفة .. الموج نفسه لا وجود فيه لموجة واحدة دون غيرها من موجات . والتكامل الواعي في العمل هو أساس مسيرة الحياة . أما التنافر فلا يحقق شيئا .. مثل ما يقول المثل الكويتي : « واحد [illegible] ووحد يدَور » أى أن أحدهما يجدف لتسير [illegible] الى الخلف والآخر يدور أن يجدف لتسير المركب الى [illegible]

وكذلك « من طمع طبع » « فمن يطمع في اكثر من رزقه يعرق . »

أما من طلب العلا سهر الليالي . مثل « اللي يطلب العالي يصبر على الراش » أى ان من يتجه نحو الموج العالي ، عليه ان يصبر على رذاذ الماء ...

وعلى الانسان ان يتدبر امره قبل أن يقدم عليه . حتى لا يكون مثل « من لا يقيس قبل يُغيص ، لا ينفع القيس عقب الغرق »

وكما تضرب الامثال من واقع خبرة الانسان في حياة البحر ... الالغاز تصاغ أيضا مستخدمة رموزها من واقع ...ينة ، ومعايشة الانسان للبحر . فيقال . ـ « سمـ... في الماء والماء حاويها ، سبحان رب خلاها ، اسم العظ... فيها » .. واجابة هذا اللغز ، هى اللسان ...

...لغز الذى يسأل عن شيء يكون : « ظهره اسود وبطـ...ض » أو « الظهر أملح والبطن أبيض » فهو يسأل ... المحارة .

وتتعدد وتتنوع الألغاز التي تتناول مسميات من واقع البيئة أو من الظاهرات الكونية ، تعبر بايجازها وبلاغتها اللغوية عن قدرة الملاحظة لمكونات البيئة الطبيعية . وكذلك عن المهارة اللغوية للملغز ، في استخدام الجناس والتورية والطباق .. مثل اللغز الذى يسأل عن الشمس فيقول الملغز : ـ « طاسة على طاسة في البحر ركّاسه » اما اللغز الذى يشابهه في الصياغة ويقول : ـ « طاسة على طاسة من جوا لولي ومن بره نحاسه » . فهو عن الرمان . فثمرة الرمان بذورها من الداخل مثل حبات اللؤلؤ الزهرى ، الذى لونه أبيض مشرب بحمرة ، وهو من اجود انواع اللؤلؤ .. أما قشرتها من الخارج فلونها مثل لون النحاس الاحمر ...

والالغاز بصفة عامة ـ تشكل جانبا هاما من جوانب الادب الشعبي . وهى أيضا لطيفة أدبية كما يقول الحريرى : ـ

« اعلموا يا ذوى الشمائل الادبية ، والشمول الذهبية ، ان وضع الاحجية لامتحان الالمعية ،

● ثوب كويتي تقليدي مطرز بالزري
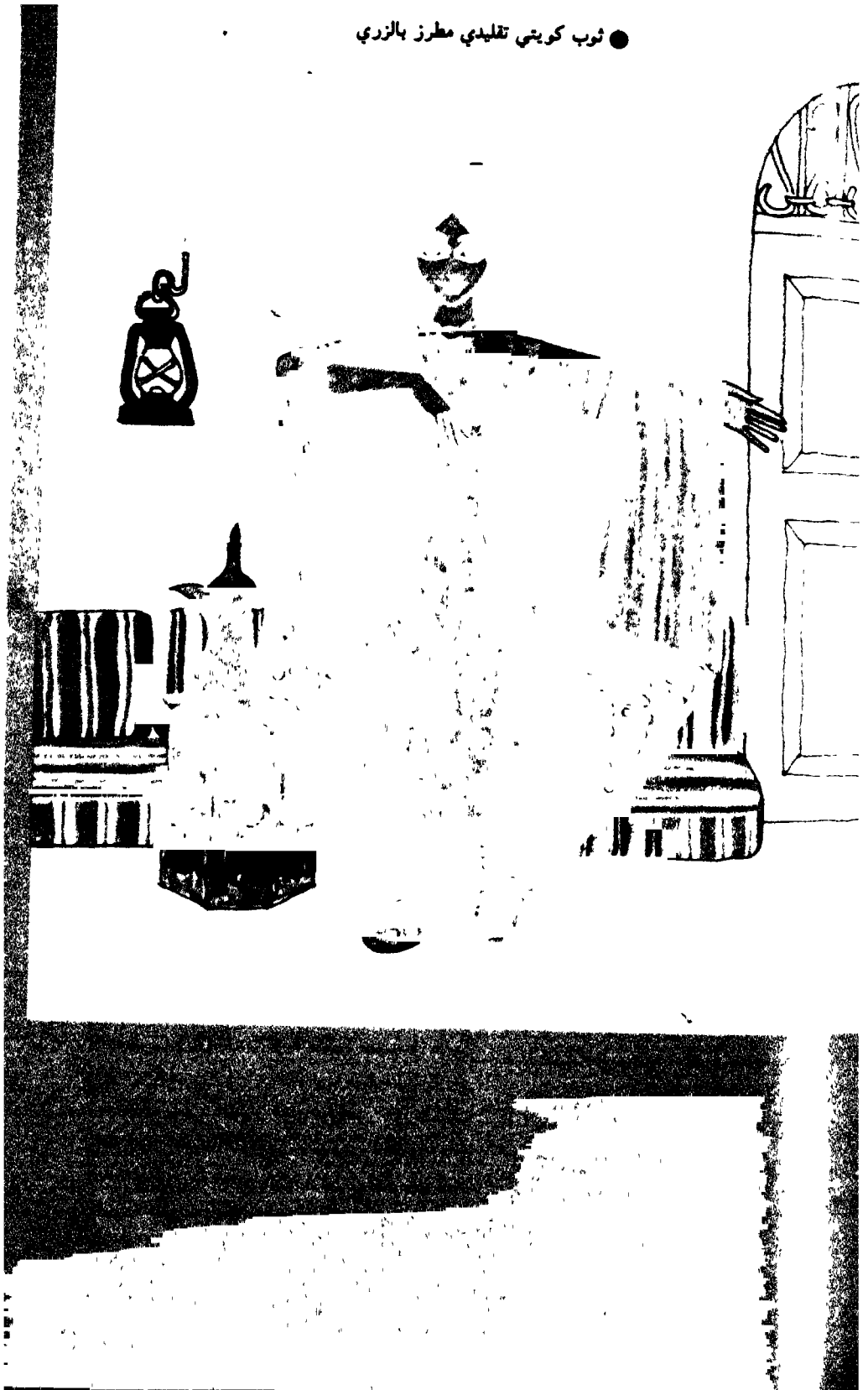
واستخراج الخبية الخفية ، وشرطها ان تكون مماثلة حقيقية ، وألفاظا معنوية ، ولطيفة أدبية ، فمتى نافت هذا النمط ، ضاهت السقط ، ولم تدخل السفط »
(المقامة ٣٦)

ومن الالغاز الكويتية التي تتوافق مع شرط الحريري ، اللغز الذي يسأل عن بعض ظواهر الكون - وهو من الالغاز التي أثارت انتباهي ، من بين عشرات الالغاز الكويتية التي قمت بجمعها - نظرا لما يحمل من رموز أسطورية عن الشمس والقمر . يقول اللغز :-

ابعلتنا الكبيرة يا زواها الكثيرة

نوخذها المكركش وبنتها الصغيرة

فالابغلة هي نوع من انواع السفن الكويتية القديمة الكبيرة ، التي تتميز برخارفها من الحفر البارز والغائر ، مثل تلك النقوش الزخرفية التي نراها على واجهات البيوت والأبواب الخشبية القديمة « واليزوة » هم بحارة السفينة وعادة يكون بحارة الابغلة اكثر عددا من غيرهم . « والنوخذا » هو قبطان السفينة وربانها

واللغز يسأل عن السماء ، (الابغلة الكبيرة) ، والشمس « نوخذها » والقمر بنتها الصغيرة » .

أنغام وإيقاعات :

وكما عبر الانسان عن تناغمه مع الحياة بالكلمة داخل أغنية او حكاية ، أو مثل سائر أو لغز محير ، عبر أيضا عن مشاعره وإحساساته وصور إدراكه الفكري ، بلحن يعزفه على الصرناي او الربابة ، أومن خلال الايقاعات البسيطة والمركبة ، التي يعزفها على الدف والطار ذي « البراشيم » ، وعلى الطبل الكبير والطبل المصيمي ، في إيقاعات ثرية متميزة تظهر في فنون الرقص الشعبي ، من عرضة برية أو بحرية او من رقصة العريسي ، وفنون الزفن والرقص التي تصاحب غناء فنون الصوت التقليدي ، والمواويل الزهيري ، وغير ذلك من فنون السامري « والخماري » وغيرها من فنون الغناء ، التي تؤدى في المناسبات العائلية أو القومية وكذلك مما يؤدى في المناسبات الدينية مثل الاحتفاء بقدوم شهر رمضان المبارك ، أو في الا... وكلها أشكال من الابداع الفني يضفي بها الانسا... حياته طابعا فنيا خاصا يزيد من بهجة الحياة

كما تتداخل الالعاب واللعبات الشعبية ... المهارات الفنية للشباب والفتيات في ازجاء أوقات الفراغ كما تمضي النساء في شغل أوقات فراغهن ، في عمل قطع السجاد الملون ، أو غير ذلك من أدوات معينة يحتاجها البيت ، أو تطريز الثياب بالزرى الذهبي التي تقتبس اشكال وحداتها الزخرفية من مظاهر الطبيعة فيطرز « الثوب المنثور » ، بوحدات زخرفية منثورة على الثوب كما تنتثر النجوم في السماء أو على الصدر والحاسر ليكون ثوبا مسرحا بالزرى وغير ذلك من اشكال ومسميات تضفي على الثوب جمالا فنيا خاصا وكما يقول الشاعر الشعبي عبد الله الفرج -

« عليهن من الوشى المطرر ملابس
من الريش بوصافه تحير الصابر »

وتظهر مختلف اشكال الاثواب المطرزة بالزرى ، مع قطع الحلى وأدوات الزينة في اكمل شكل فني ، خلال حفلات الزواج بصفة خاصة بل تتجمع - في مناسبة الزواج والاحتفاء بالعروسين - بمختلف أنماط الابداع الشعبي من عادات وتقاليد ، وممارسات طقوسية وفنون الادب الشعبي ، والغناء والرقص والموسيقى وغير ذلك من أنماط الابداع الفني التشكيلي ، وتزين غرفة العروس « بالرمامين » و « اللباعيات » ، والمباخر ومراش العطور ، لتعبر كلها معا عن احساس الانسان بالجمال والتعبير عنه فيتحول كل ما هو نفعي الى شيء له قيمة جمالية خاصة

فالفنون الشعبية ، ببساطتها وتلقائيتها وتنوعها وتعددها هي تعبير مباشر عن خبرة الانسان الثقافية في صنع الحياة على أرضه . بما تتضمنه هذه الخبرة الثقافية من موروث حضاري ومأثور شائع بين الناس جميعا

والفنون الشعبية بأصالتها وجمالها التلقائي ستظل ذاتها مصدر الهام فني لكل فنان يبحث عن ... صالة في ابداعه المعاصر ....

الكويت - صف... كمال

مقالات في كلمات

■ حتى الجياد الجامحة لا تستطيع ان تنتزع سرا من قلب المرأة اذا أحبت .. ولكن اين هي المرأة التي تقبل تناول طعام الغداء مع حواد جامح !

« ايفرن بويت »

■ كوكب الشمس الهائل بكل ما يدور حوله من كواكب اخرى ، لا ينسى ان هناك ثمارا فوق الشجر لم تنضج بعد ، وكأن هذا الكوكب العظيم ليس لديه شيء آخر يفعله في هذا الكون الفسيح !

« جاليليو »

■ الايام التي تجعلنا سعداء ، تجعلنا ايضا اكثر حكمة !

« جون ماسنيلد »

■ القمر . ما القمر ؟ يقول الشعراء ليتهم تركوه حيث كان ! « ويقول العلماء : » انه لم يعد اكثر من مجرد مطار جديد ! »

« ؟ »

■ رجل بلا صبر ، مصباح نفد زيته !

« اندريه سيجوفيا »

■ لكي يصبح الرجل شاعرا ، فلا بد ان يكون قد وقع في حب امرأة جميلة او ان يكون بائسا تعسا !

« لورد بايرون »

■ سوف اتمسك بالقانون ، بروحه ونصه ، حتى لو لم يكن هناك من سبب يدفعني الى ذلك سوى حماية نفسي !

« سير توماس مور »

■ شيء مؤسف ولكنها الحقيقة ، فنحن ندعو الى التمسك بالمثل العليا امام الناس ، ولكننا نجد صعوبة كبيرة في ان نطبق ما ندعو اليه في حياتنا الخاصة !

« توماس كارليل »

« العربي » بطائرة هيلوكبتر فوق المضيق

هل يصبح بوابة الحرب العالمية الثالثة ؟

تصوير : اوسكار متري

استطلاع : مصطفى نبيل

جزيرة الغنايم الواقعة وسط مضيق هرمز ، والقاعدة العسكرية التي يجري العمل بها لتحمي الممر الاستراتيجي ، وستضم القاعدة اعقد واحدث الرادارات واجهزة الاتصال (الى اليسار)

وشريط خصب أمام القلعة التي تطل على المضيق ، وتظهر الجبال والمياه وشجر البخور . (الى اسفل)

هذا هو « مضيق هرمز » بوابة الخليج العربي ، بل بوابة الحرب العالمية الثالثة ، اذا و لهذه الحرب ان تقوم . هذا هو منفذ النفط الى العالم الخارجي ، وشريان الحياة للعالم الصناعي بوجه خاص . اذ تعبره كل ثماني دقائق ناقلة او باخرة ، ويقدر مجموع ما تحمله هذه الناقلات بـ ١٩ مليون برميل يوميا ، ويمر منه ما يزيد على نصف احتياجات اوروبا الغربية من النفط الخام ، وتشحن دول الخليج منه ثلثي انتاجها من النفط . اخيرا ، هذا هو الممر الذي ترصده استراتيجيات الدول الكبرى ، وتشير اليه بضوء أحمر على الدوام

حلقت بعثة « العربي » بطائرة هليوكوبتر فوق المضيق وعلى شواطئه ثم الساحل الممتد من المضيق حتى ميناء « جبل علي » في دولة الامارات .

وتنقلنا بين عدة محطات كان لنا في كل منها وقفة « خصب » عاصمة « مسندم » البلدة المتقدمة على المضيق ، وجزيرة « سلامه » التي يقوم عليه الفنار ، وتنظم حركة الملاحة في المضيق ، ثم القاعدة الحربية في جزيرة « الغنم » التي تجهز لتحمي بوابة الخليج ، وانتهت جولتنا بزيارة قرية « كمزار » التي تطل على المضيق ، ثم انتقلنا الى دولة الامارات لنقدم هذا التحقيق

الى مسندم

في صباح يوم صحو توجهنا الى مطار السيب الحربي ، قاصدين « مضيق هرمز » ، يصحبنا احد الضباط في القوات البرية وآخر عن القوات البحرية العمانية ، ومن المطار أخذنا طائرة حربية من طراز سكاي فان Skyvan البريطانية لتنقلنا الى مطار « خصب » ، اقرب مطار للمضيق وخصب هي عاصمة راس مسندم . الطائرة صغيرة وتحمل ١٦ مقعدا ، ولها ميزة انها لا تحتاج الى مهبط طويل خلال هبوطها واقلاعها وتصلح للمناطق الجبلية مثل راس مسندم ..

لا تكاد الطائرة ترتفع متثاقلة حتى تتجه الى الشمال الغربي على طول صحراء « الباطنية » لقد بدأت رحلة مشحونة بالاثارة وغنية بالمشاهد ، اول ما تلاحظه الصراع الحاد بين اللونين الاصفر والاخضر ، بين الصحراء والواحة ، يتوزع اللون الاخضر من بقع النخيل التي تتقطع بين وقت وآخر اللون الاصفر اللانهائي . الرحلة درس نافع في الطبوغرافيا وهي تلقي الضوء على العلاقات الاستراتيجية في المنطقة ، ومن الطائرة أدرك مغزى قول الدكتور جمال حمدان « ان الجزيرة العربية مثل قطعة قماش حواشيها من الذهب ، يتوزع العمران على الهوامش والسواحل تاركا القلب الجغرافي ، وكل من المحاور تغلفه شرنقة سميكة من الصحاري »

اتخذت الطائرة مسارها على ساحل خليج عمان اشاهد خطا متقطعا من الواحات الساحلية تصل الصحراء فيما بينها الى سيف البحر ، وهي اقرب الى قرى الصيد منها الى موانيء المدن .

ولا تلبث ان ترى امارة الفجيرة التابعة لدولة الامارات العربية ، بعلاماتها المميزة ، تحرسها القلعة القديمة ، وبعد الفجيرة تظهر علامات خور فكان ، ويظهر قصر حاكم الشارقة فوق ربوة عالية ، والميناء الجديد الذي يستقبل الحاويات وتخرج البواخر منه محملة الى البحار المفتوحة

واری كيف تفصل دولة الامارات العربية عمان وتقطعها الى قسمين منفصلين تزيد من عزلة شبه جزيرة مسندم .. والتي تظهر في الافق بجبالها القاسية الموحشة ، وتتكون من ساحل صخري يصل ارتفاع بعض جباله الى ما يزيد عن خمسة الاف قدم ، ويطل على المنطقة بجبالها وصخورها وسحابها اللون الداكن ، ويتحول الطيران الى رحلة مخيفة ، عندما تطير الطائرة في محاذاة الجبال التي تبدو وكأنها حائط اصم تعترضه الرماح المدببة ..

عاشت شبه جزيرة مسندم طويلا معز[illegible] عن

طة لموقع عمان ومضيق
ر، والجزر المتناثرة فيه ،
ارات والمسالك التي
تخترق المضيق

لم ، وخارج العصر الذي نعيش فيه ، فلا يمكن
سول اليها إلا عن طريق الجو او البحر ، هذا مع انها
الحراسة الأمامي لمضيق هرمز

وبعد حوالي ساعة ونصف الساعة في الطائرة تتوالى
لها المشاهد المثيرة والمتغيرة التي نمر فوقها ، وصلنا الى
ر « خصب » ، الذي يقع بين جبلين ، ونمر في اتجاه
ولیکون على هيئة راس مثلث قاعدته الساحل ، وهو
سع حصين تعلمه ـ دون ان تغلقه ـ الجبال

تهبط الطائرة الى ارض المطار الذي لا يميز مهبطه
ى بعض براميل النفط المرصوصة ، وقد تحول فجأة
مطار ا - اتيجي هام ، بعد عاصفة التوتر التي
لت مضيق هرمز ، فهو لا يبعد اكثر من خمسة كيلو
ت ، وا س عشر دقائق بالطائرة الهليوكوبتر ، عن
ر « » داخل المضيق ، واصبحت « خصب »
ة « حا رق » الخليج العربي ، « وعدن » باب
ب ، و تحقق الوريثة الشرعية لامبراطورية

بحرية تقلصت ، وهذا يفسر استماتة بريطانيا من أجلها

استقبلنا بحفاوة الضباط في مقر قيادة القوات المنوط بها حفظ امن مضيق هرمز ، عسى ان يخرج الزوار الضباط والجنود عن الرتابة التي يعيشونها ، ويصادفون يوما مغايرا ، وعادة يمضون اليوم في صيد سمك القرش ولعب الورق والشطرنج ، فالايام تمر بطيئة متثاقلة ، وتتشكل هذه القوة المقاتلة من كتيبة مؤلفة من ١٣٠ شخصا ، ومن طائرة هليوكوبتر وطائرة نقل صغيرة ، واضاف الضابط البحري الذي رافقنا « ان عمان تمتلك سبعة زوارق دورية لمراقبة ساحلها الذي يبلغ طوله ألف ميل ، وقد انتقلت هذه الزوارق الى شبه جزيرة مسندم ، وليس لديها قاعدة امدادات بحرية قريبة ، وهذه القاعدة في دور الاعداد ..»

هذا ويشرف على حركة « مطار خصب » الميجر « هولداي » وهو ضابط بريطاني متقاعد يعمل في عمان .

مدفع برتغالي قديم لا يزال بين ايدي شرطـة عمان . (الى اسفل) . ولقطة من الجو لجزيرة سلامة مفتـاح المضيق ، ويظهر فوقها الفنار الذي ينظم حركة الملاحة (الى اليسار اسفل)

ماتسار ـس قريـة كمزار فـي كامـل
يتهـا ، ويضعن الاقراط في أنفيهـن

خصب الجديدة

وخصب التي قمت بجولة سريعة فيها وكانت تتكون من بضعة اكواخ ، ويعيش اهلها على السمك والتمر ، وتحولت الى بلدة يتركز حولها اهتمام العالم ، بدأت بزيارة الوالي في مقره في قلعة قديمة تطل على البحر ، وامام القلعة مدفع برتغالي قديم ، قيل انه احضر من جزيرة هرمز على الشاطىء الايراني ، وحوله بعض الجنود العمانيين بملابسهم التقليدية ، والخناجر العمانية في خصورهم ، وحولهم شجر البخور الذي ينمو تلقائيا « ليس لدينا احصاء رسمي بعدد السكان في مسندم ، والذي يعرف طبيعة المنطقة يدرك طبيعة الصعوبة التي نواجهها ، فالانتقال بين قريتين قريبتين تقطعهما الجبال والوديان لا يتم الا عن طريق البحر ، كما ان بعض السكان يعيشون في رؤوس الجبال ، وعدد آخر يعمل في راس الخيمة ودبا ، وتشق الطرق الان لتربط بين قرى مسندم ، ويقوم الجيش بشق طريق بين خصب والبيعة ، وعلى اية حال فالتقديرات التي لدينا تصل بعدد السكان الى ما بين ١٥ الفا و ١٧ الفا ، هذا ما قاله لمجلة العربي « الوالي » سلطان بن حمد السحار

وها هي اخيرا حكومة مسقط تبدأ الاهتمام بتلك المنطقة وببلدة « خصب » التي لا تظهر الا في الاطالس الجغرافية الدقيقة !

وزرت مدرسة « خولة بنت الازور » الاعدادية للبنات ، وانه شيء يدعو للتقدير ان تجد في هذا المكان مدرسة للبنات ومدرسات عربيات من مصر جئن لنشر المعرفة في ظروف بالغة الصعوبة ، بعد ان بدأت خصب تشهد معالم التغيير ، واقامة الجسور مع بقية الوطن .

ومن ابرز المؤشرات الواعدة اقامة لجنة بصلاحيات كاملة ، اطلق عليها اسم « لجنة تطوير مسندم » ، وتقوم هذه اللجنة بالتخطيط والاشراف على تطوير المنطقة ، وأنشاء محافظة مسندم التي مركزها خصب ، والتي يتبعها البيعة وبخا وكمزار وليمة ، وامام هذه اللجنة مشروعات عديدة ، اهمها ، مشروع بناء ميناء جديد في « خصب » ، لربط مسندم بكافة موانيء الخليج ، ومشروع آخر يربط خصب ببقية اراضي عمان بريا ، واكمال الطريق الممتد من مسقط حتى حصب كمال الطريق الذي يشق دولة الامارات ليصل حـ نصى نقطة في مسندم ، وهو مشروع تواجهه صعوبـ كبيرة اذ يقطع منطقة جبال ويمر عبر وديان ويتكلف مبالغ طائلة ومشروع ثالث يربط تلك القرى القريـ بعضها من بعض ، وفي نفس الوقت زيادة عدد الناقلات البحرية Landing craft من ثلاث الى ست قطع ، تنقل المواد الغذائية والوقود والمياه الى هذه القرى ، كما تنقل السكان من قرية الى اخرى ، ومشروع آخر لاقامة محطة ترتبط بالقمر الصناعي لدعم الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ويساعد على وصول البث التلفزيوني الى مسندم

واخيرا تطوير المطارات الصغيرة القائمة مثل مطار خصب والبيعة وبخا ، والتي تصلها حاليا طائرات السكاي فان والتي ستصبح قادرة على استقبال طائرات الفوكر

ويكمل الشيخ حمود الحارثي وزير الكهرباء ورئيس هذه اللجنة حديثه قائلا « لم يوجد في الماضي اى خدمات للبواخر والناقلات التي تمر بالمضيق ، وبعد اقامة الميناء الجديد ، ستبدأ حركة تعامل بين البواخر والناقلات التي تعبر الممر المائي ومنطقة مسندم ، عندما يقدم الميناء خدمات مثل اعادة تموين البواخر بالوقود ، كما سينشأ مركز لوقاية البيئة البحرية من التلوث ، ويتطور هذا الميناء ليصبح نقطة انطلاق مناسبة تتوجه بعدها الناقلات من المضيق الى البحر المفتوح ، بحر العرب والمحيط الهندي وبالفعل هذه المشاريع لها قيمة كبيرة اقتصادية واجتماعية وترتبط ايضا بأمن الخليج ، الا يجدر بدول الخليج ان تدعم هذه المشاريع لكي تستكمل في أسرع وقت ممكن ؟؟

فوق المضيق

وجاءت اللحظة الحاسمة في الجولة عندما ـ على موعد مع الطائرة الهليوكوبتر التي ستحلق في ـ فوق مسندم وتشرف على المضيق ، والجزر المتناثرة والـ على سفوح الجبال ..

حريرة داس من الجو تلاحظ امار البترول واضحة في الصورة .

الطائـرة هليوكوبتـر ايطـالية الصنـع من طراز حوستامل

والطيار اسمه الكابتن بيتر هيتشـكوك ، وليس له علاقة بافلام هيتشكوك المشهـورة . وهـو الـذي يقـوم باعمال الدورية فوق الساحل ، ويقـوم بتـزويد مراكز المراقبة المعزولة على قمـم التـلال بما تحتـاج اليه من امدادات

ارتفعت الطائرة عموديا واتجهت الى المضيق ، المنظر خلاب ، طبيعـة قاسية ، سلسلـة جبـال عالية زرقـاء جوانبهـا شديدة الانحـدار ، للحظـة الخيل انني فوق القمر ، والمنظر الذي امامي رأيته على شاشات التلفزيون منقولا من القمر ، يظهر في الافق في نهاية مسندم جرف مرتفع ... « راس مسندم » ، وتظهر فيه الازقة البحرية التي ...معها الصخـور والمداخـل الملتـوية ، واشاهـد سلسلـ... حجر » التي تمتد من راس مسندم الى راس الحد في شـ... قوس كبير يتجه من الشمال الى الجنوب ، ولقد اطلو... ـها اسم مسندم ، من « السنـدان » لكثـرة ما تتعـ... له صخـوره من طرقـات الامـواج الضخمـة وتلا... فيها

تصورت للوهلة الاولى ان جبال عمان ، امتداد لجبال زاجروس الايرانية على الشاطىء الاخـر ، ولـكن علماء الجغرافيا يؤكدون ان السلسلتين غير متصلتين ، فجبال عمان تمتد باتجاه الجنـوب الشرقـي نحـو البحـر ، زميلي المصور لا يكف عن تصوير المناظر الطبيعية الغريبـة والخلابة

ووجدت الوصف الذي كتبـه بلجـريف عن راس مسندم معبرا يقول « ان البوغاز عند راس مسندم له منظر اخاذ ، يبدو جانباه على شكل جروف وعرة شديدة الانحدار ، ويبدو الماء بينهـا ذا لون داكن ، والجـروف عارية من اي نبات ، وهي رهيبة لأي سفينة يسوقهـا الحظ العاثر للارتطام بها . »

سلامة وبناتها ..

افلتت الطائرة من فوق مسندم واتجهت الى مجموعة من الجزة الصخرية التي تقع شمال راس مسندم ، والتي اطلق العرب عليها تسمية ذات مغزى خاص ولها تعبير له معنى الرجاء وهو « سلامة » ، واطلقوا على جزيرتين اصغر منها « بنات سلامة » ، اما تسميتهـا الاوروبية

براميل النفط هي علامات مطار حصب (الى اعلا) يقضي الضباط وقت فراغهم في احدى صالات مقر قيادة حصب (الى اسفل)

مطار وطائرة نقل صغيرة فوق قاعدة الغنايم الجديدة (الى اسفل)

ولقطة من الجو لجزيرة الغنايم ، حصن المضيق ، وكأنها سيف يمتد الى قلب مياهه الداكنة ، ويظهر العمل والمباني الجديدة للقاعدة (الى اليسار)

وعلى الاطالس الدولية ، فهو « كوين ايلاند » أي « ملكة الجزر » ، اكبارا لها واعترافا باهميتها ، وعندما حلقنا شاهدنا ناقلات النفط العملاقة تمتد حتى الافق في الاتجاهين وتبدو كل ناقلة على حدة وكأنها طابع بريد او صورة الصقت فوق الماء .

ودارت الطائرة دورة حلزونية هابطة في جزيرة سلامة ، وترك قائد الطائرة محركاتها تعمل تحسبا للطواريء ، وكانت وقفة تأمل طويلة وسط المضيق .

الجزيرة كتلة صخرية وسط المياه ، كأنها مستطيل قطع بجبل عرضي ليصبح منشورا صحريا وسط المضيق ، وفوق اعلى نقطة عليه اقيم الفنار وتقف الى جانبه بنايتان يقطنهما عدد من الهنود الذين يديرون الفنار ويشرفون على تنظيم السير في عنق الزجاجة ..

وهنا امامي يمر شريان الحياة للصناعة الغربية عبر المياه الاقليمية العاتية ، ويغذي العالم الجائع للنفط ، ويعرف خبراء الطاقة وشركات الملاحة مضيق هرمز بانه « العنق » الرئيسية للعالم ، ففي كل ٨ دقائق تبحر ناقلة من الخليج وإليه ، ويمر منه ما يقرب من ٩٠٪ من احتياجات اليابان النفطية وما يزيد عن نصف احتياجات اوروبا الغربية من النفط الخام ، ويشحن منه اكثر من ثلثي الانتاج النفطي في منطقة الخليج ، لذا تدرك دول الخليج اهمية بقاء مضيق هرمز آمنا ، فهو بوابتها الى المحيط الهندي وسائر اقطار العالم ، فالناقلات تمر من هذا المضيق وهي تحمل يوميا ١٩ مليون برميل من نفط الخليج ، منها مليونان تذهب الى الولايات المتحدة ، اي ما يعادل ربع مجموع واردات امريكا من النفط ، وتعتمد البلدان الواقعة عليه على استيراد اغلب حاجاتها عن طريق البحر .

ويصور اهمية الخيج مقولة يابانية · اذا صورنا الكرة الارضية من الجو بواسطة الاقمار الصناعية فستشاهد خطا طويلا متصلا بين اليابان والخليج العربي ، تكون هذا الخط من ناقلات النفط ، بين كل ناقلة والأخرى حوالي مائة كيلو متر طوال الاربع والعشرين ساعة وخلال ٣٦٥ يوما في العام ، وهذا هو حجم اعتماد اليابان على عنق الزجاجة في المضيق ..

كل هذا يجعل لهذا الممر اهمية وحساسية استراتيجية خاصة ، ويقود الممر الى ثماني دول هي السعودية والكويت والعراق ودولة الامارات العربية وقطر والبحرين وايران وعمان ، وهو المنفذ الوحيد للدول المطلة عليه باستثناء السعودية التي لديها موانيء على البحر الاحمر ، وعمان التي تقع موانيها الرئيسية على خليج عمان ، ودولة الامارات التي اقامت مؤخرا ميناء حور فكان كمخرج بديل ، واخذ الضابط البحري يستعرض المعلومات الرئيسية حول الخيج ، ذلك الذراع البحري للمحيط الهندي ، والذي لا يوجد بحر داخلي يضاهيه في الاهمية ، « يبلغ طول الخيج ٦٠٠ ميل وعرضه ٢٣٠ ميل ، بينما اقصى عمق له ٣٠٠ قدم . »

الجو من حولي دافيء رغم اننا في ذروة الشتاء ، اتذكر هول ما قيل من ان هذه المنطقة اكثر مناطق العالم حرارة ، كتب عنها احد الزوار في القرن الخامس عشر يقول .. « كانت الحرارة مرتفعة الى درجة انها تغلي النخاع داخل العظام ، وتذيب السيف في جرابه كالشمع وتحول قبضة الخنجر الى فحم ، وفي السهول يبلغ الصيد حدا من السهولة لا يوصف ، لان الصحراء امتلأت بالغزلان المشوية على الطبيعة ! »

اقتربت من عمال الفنار الذين يعيشون في عزلة شبه كاملة ، وتحدثت اليهم ، إنهم لا يدركون اهمية الممر تحت اقدامهم ، وكل ما يعرفونه انهم يعملون في شركة دولية بريطانية اسمها « ميناس MENAS » وهي التي تشرف على محطة ارشاد السفن فوق الجزيرة ، ومقر هذه الشركة في البحرين ، ويبقون في « سلامة » مدة عشرة ايام ثم يأتي غيرهم ، وشركة ميناس تدير هذه المناطق بناء على اتفاق مع عمان ، وتتقاضى رسوما من شركات الملاحة العالمية .

ويضيف احد الهنود العاملين في الفنار « اننا لم نعد نرى من الايرانيين سوى اولئك المطاردين من قبل حراس الثورة الايرانية ..»

اغراق ناقلة ..

المضيق امامي عرضه ٣٠ ميلا بحريا عند ...

لجنة تطوير مسندم برأسها الشيخ حمود الحارثي وفي عضويتها
كل من وكيل وزارة الخارجية ووكيل وزارة الدفاع

لة فيه ، وعلمت ان عمق المياه فيه يصل الى ٢٥٠
، وما يثير دهشتي هو تلك المبالغات التي تعودنا على
تها بين حين وآخر في الصحافة العربية ، فهو اوسع
ان تسده ناقلة ، فعمق اكبر ناقلة نفط لا يتجاوز ٢٠
ما هي الحكاية .؟

هنا وجدت الاجابة على العديد من الاسئلة التي
ت احملها قاصدا المضيق ، فبعد ان اصبح ما يقرب
٣٠٠ ناقلة وسفينة تمر او تنتظر المرور في المضيق كل
، لم تعد مسارات السفن تحقق السلامة الكافية
مع هذه الحركة البحرية الضخمة ، فتم تغيير مسار
اقلات القديمة الى مسار جديد يحقق المزيد من السلامة
ركة الملاحة عبر المضيق ، وبدأت هذه المسارات
ديدة في مطلع نوفمبر الماضي ، وتقع المسارات الجديدة
مسافة ابعد من الشاطىء العماني ، واصبحت المعابر
ديدة تتكون من خطوط ثلاثة احدها للناقلات الداخلة
الخليج والاخر لتلك الخارجة منه وبينها شريط امني
الوسط ، ويبلغ اتساع هذه المسارات ميلين بحريين
الميل البحري اطول من البري) ، اما عمق المياه
صل الى حوالي مائة متر ، وعلاوة على ان المسارات
جديدة اكثر سلامة ، فانها ايضا تحمي مياه الساحل من
لوث ، ويضيف النظام الجديد اجهزة راديو ورادار
نظام اتصال اكثر كفاءة ويتمشى مع حركة
سير الحالية .

ن مسار الناقلات القديم يبلغ عرضه ميلا
وكان به خطان ملاحيان ، والناقلات الداخلة
رب جزيرة سلامة ، اما الداخلة فكانت تتبع
وكان ضيق منطقة الفصل واحجام الناقلات

الضخمة العابرة وعجزها عن المناورة يشكل خطرا على سلامة الملاحة في المضيق ، ويضاعف احتمالات الخطر ضعف الرؤيا في اوقات الفجر والغسق ، أما المسارات الجديدة فقد زودت بمنائر للارشاد ، كما وضعت عوامات في المنطقة وزودت بمشعات ريكون Raycon Beams لتساعد على تخفيف اي صدام

وتم تنظيم الملاحة الجديدة بعد دراسات بحرية طويلة ، بدأتها ايران واكملتها عمان ، وقدم هذه الدراسة خبراء من مؤسسة وودس هول لدراسة اعماق البحار في ماساشوستش ، بعد ان طافت باخرة الابحاث البحرية التابعة لهذه المؤسسة في الخليج وداخل المضيق ، وساهمت في هذه الدراسة ايضا الهيئة البحرية الاستشارية امكو IMCO ، واستغرقت حوالي ٢٠ شهرا

وسبق هذا الجهد توصل عمان وإيران إلى إتفاق حول المضيق والجرف القاري ، والذي وقع في طهران في يوليو عام ١٩٧٤ ، وقسم هذا الاتفاق الممر المائي على اساس خط النصف للمياه من نقط ارتكاز بين سواحل الجزر العمانية والجزر الايرانية ، وكانت جزر سلامة وبناتها نقط الارتكاز العمانية ، وجزيرة قشم نقط الارتكاز الايرانية ، وهكذا اصبحت المياه الضحلة غير الصالحة للملاحة ـ تابعة لايران ، والممر المائي في المنطقة التابعة لعمان

وعندما التقيت بالسيد يوسف العلوي مسئول وزارة الخارجية العمانية وتناول الحديث الممر المائي ، قال ..

« الآن تطبق مسارات الملاحة الجديدة بصورة مرضية ، واذا كان هناك بعض المخالفات احيانا فقد نتجت عن عدم معرفة الناقلات بخطوط ومسارات

لقطة لابناء الشحوح في قرية كمزار
وتظهر البيئة الساحلية بين البحر والجبل

طائرة الهيلوكوبتر فوق جزيرة سلامة

وسألته هل هناك تنسيق او تنظيم بين عمان وايران حول الملاحة والسلامة في مضيق هرمز ..؟

أجاب . « ان تنظيم الملاحة يتم من خلال منظمة امكو IMCO ، وكل دول المنطقة اعضاء في هذه الهيئة البحرية الاستشارية ، وفي كثير من الاحيان نتصل مباشرة مع دول الخليج الاخرى بما فيها ايران ويتم التنسيق لنتشاور او نتفق على بعض الامور ، او عندما نحتاج الى دعم مطالبنا في المنظمة الدولية ، ولا يوجد اي جهاز آخر للاتصال فيما يختص بالملاحة في الخليج ، فكلا الدولتين تمارس حقوق السيادة على الجزء الواقع في مياهها الاقليمية . »

● لماذا لا تتقاضى عمان رسوما من البواخر والناقلات التي تعبر المضيق لتنفق منها على تطوير الممر المائي والمنطقة المطلة عليه ..؟

ـ « لا نتقاضى اي رسوم بناء على العرف الدولي من جانب ، واثر هذه الرسم من جانب اخر على أسعار النفط والتأمين وما يحدثه من اضرار !!

● هل عمان للمضيق ام المضيق لعمان ؟

لو تصفحنا تاريخ عمان لوجدنا ان العمانيين دفعوا ثمنا غاليا للموقع ، الذي كان نقطة ارتكاز للمد والجزر التاريخي للقوى الاجنبية الغازية للخليج ، ولتلك المعارك التي تحسم في الخليج ، وكلما تصدت البحرية العمانية للغزاة انحسر الوجود الاجنبي من الخليج ، وكلما ضعفت المقاومة حول شواطىء خليج عمان استفحل الوجود الاجنبي ، ولعل اكبر شاهد على ما اقول سلسلة القلاع على طول الجبال والتي كانت عسكرية دفاعية ضد الغزاة »

● سؤال اخير ما هي الآثار السياسية لعدم الاتصال الجغرافي لاراضي عمان ، عندما تقطع دولة الامارات العربية اراضيها ، وتنفصل مسندم عن بقية اراضي عمان ..؟ .؟

ـ قال السيد العلوي . « ان هذا القطع يخلق لنا بعض الصعوبات كما ان منطقة رؤوس الجبال (الاسم المحلي لمسندم) لا يربطها طريق بري الوطن ، ونسعى للتغلب على هذه الصعوبة ، ول هذه هي الحالة الوحيدة في العالم ، كما نتعاون مع طات دولة الامارات ، واهالي عمان يعبرون دولة مارات بلا عائق ، والارتباط العضوي بين البلدين لا يمكن فصله ، والبعض من سكان الامارات له اقارب ومزارع ومصالح في ساحل الباطنة (بين السيب والحجر) واهالي عمان لهم اقارب ومزارع ومصالح في دولة الامارات » »

ولكي لا نذهب بعيدا خارج السياق ، نعود الى الطائرة الهليكوبتر التي ما زال محركها يعمل ، لكي تستقلها الى محطتنا الثانية على المضيق ، الى جزيرة الغنم

جزيرة الغنايم .

هبطت الطائرة بنا بعد طيران قصير في جزيرة « الغنايم » او « أم الغنم » ، وهي قاعدة عسكرية يجرى العمل فيها على قدم وساق لتصبح القاعدة الرئيسية لحماية المضيق . طول الجزيرة من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها ثلاثة ارباع الميل ، وتبدو كأنها لسان داخل المضيق او كأنه سيف يمتد الى قلب مياهه الداكنة . على يسار الجزيرة مطار به طائرة صغيرة بيضاء تنقل المهندسين والعاملين في اقامة القاعدة ، وباخرة ترسو على رصيف الجزيرة تمدها بالمواد التموينية والمعدات المطلوبة ، وستضم القاعدة اعقد واحدث الرادارات واحدث اجهزة الاتصال .

والجزيرة تقع امام رؤوس الجبال في مسندم ، وترتفع في الجنوب لتصل الى حوالي ٦٠٠ قدم وتتجه الى الانخفاض شمالا ، وهي خالية من الحياة ، كان يرسل اليها في الماضي الاغنام للرعي بعد سقوط الامطار ، ومن ذلك جاء اسمها

وكانت على الدوام تتمتع بقيمة استراتيجية خاصة كحصن لحماية الممر المائي ، وسبق أن استخدمـ من قبل القوات البريطانية خلال الحربين الاولى والث وسبق ايضا أن حصل « الشاه » على حق تمركز قو ي هذه الجزيرة الهامة .

ذب ر والجبال والمنظر الموحش عدسة زميلي
، وقا المكان وما حوله الى التأمل العميق ،
مام ـة رصد تشرف على اخر زاوية عربية ،
الجو ة الشرقية لشبه الجزيرة العربية وعند اخر
يدار العربي ، هنا يمكن ان نتأمل المعنى الحقيقي
لخليج

ر مياه الخليج للزائر العابر وكأنها مياه معزولة ،
ثيرا ما تكون المظاهر خادعة فهذه المياه لعبت
ون دورا هاما في تاريخ العالم ، فعلى شواطئه
اصداء مواطيء اقدام الاسكندر ، وشهدت بزوغ
العديد من الامبراطوريات ، وقد اغرى موقعها
ى التي ظهرت على المسرح سواء وجدت في بحر
او المحيط الهندي ، ومـا اكثـر الايدي التـي
، او تنافست عليها ، وتختفي خلف الافق فوق
ساسة ضارية بين الدول الكبرى ، وهنا يظهر
ى الصراع على نقطة جغرافية في اقصى آسيا يمكن
ن له آثار خطيرة تتردد أصداؤها في كل انحـاء
وها هو ذا « مضيق هرمز » يقدم المثال النموذجي
لتشابك الذي يشهده عالمنا المعاصر

تصارعت بريطانيا وفرنسـا وهولـندا من اجـل
، على الخليج ، والح بطرس الاكبـر على خلفائـه
، ، ويعي المضيق حلقة وصل بين موانيء الخيج
ة والمحيط الهـدي وطـرق الملاحـة الى اوروبـا
ا الشمالية واليابان وموانيء العالم الثالث

عاصفة على الخليج

هبت هنا عاصفة من التصريحات ساهمت في
التوتر حول المضيق ، ومست قضية امنه ، ففي
، العام الماضي خرجت علينا الصحف بتصريحات
الياس الفلسطيني سيدفع منظمات المقاومة إلى
اقلة نفط في مضيق هرمز ، فعلاوة على ان اغراق
ر مطروح اصلا ، فان عمق المضيق وعرضه لا
اغرا ناقلة ، وقد احترقت ناقلة ليبيرية في نهاية
ماض خلال عبورها المضيق ، وعلى بعـد ثمانية
ن يرة سلامه في طريقها الى جزيرة داس ، ولم
تتعطل الملاحة في المضيق لحظة واحدة ..

وخرجت علينا « شركة لويدز للتأمين » لتعلن ارتفاع رسـوم التأمـين على السفـن والناقـلات المارة بالمضيق باعتبار الخليج « منطقة حرب » ، واصبحت الحكاية مثل قصص المغامـرات والمفاجـآت التـي تقدمهـا السينما الامريكية ، عندما شاهدنا اخر طلقة في حرب الاعصاب المحتدمة حول الممر المائي ، إذ خرج علينـا متحـدث رسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية ـ ولاول مرة فيما اعلم ـ اعلن تحـذيرا رسـميا لدول وشركات النفـط والملاحة ، بان لديها معلومات من مخابراتها بان محاولة سوف تقع لاغراق ناقلة في المضيق لسد الممر المائي أو اختطاف ناقلة خلال مرورها فيه ، وقالت الخارجية في تحذيرها ان المعلومات التي لديها تحدد يوم الاثنين ٢٣ يوليو موعـدا لتنفيذ هذه العملية ، وطلبـت من جميع الاطـراف ، حكومـات وشركات وناقـلات ، اخـذ الاحتياطات ، ووقف العالم كله يترقب ، ومضى اليوم الموعود ولم يقع شيء ، ويلاحظ ان التحذير لم يشر الى مصدر هذا الخطر ..

فما معنى هذه الوقائع ؟ وما دلالتها عندما توضع بعناية كل منها الى جوار الاخرى ، وهل يمكن ان تكون سوى حملة منظمة تمهد لدور عسكري غربي في الخليج بعد ان تقلص الدور الايراني « كشرطي الخليج » بعد قيام الثورة !!

امن المضيق

مؤكد ان هناك قضية بالغة الاهمية تتعلـق بامـن المضيق وامن الخيج ، وامن الدول المطلة عليه ، وليس لهذه القضـية علاقة بصيحات التحذير الامـريكية ، او بموقف شركات التأمـين التـي وجـدت فرصـة مواتية لاستنزاف المزيد من اموال البترول .

ولنبدأ بتحديد مدلول الكلمات بعد ان تاه تحـديد العديد منها ، فان معنى الامن العربي ، هو تأمين كيان دولة عربية او مجموعة دول عربية من الاخطار التـي تتهددها داخليا وخـارجيا ، وتأمـين مصـالحهـا ، وتهيئـة الظروف المناسبة لتحقيق اهدافها وغاياتهـا الـوطنية ،

احدى الجزر الطولية التي تمتد على طول الساحل من الشارقة حتى رأس الخيمة ، وهذه الجزيرة السينية ، غير مأهولة بالسكان ، اصبحت ذات استراتيجية لقربها من مضيق هرمز (الى اليسار)

ميناء مسقط ، مرفأ عمان الرئيسي على خليج عمان ، وتظهر على يمين الصورة تلك الباخرة القديمة التي حملت سعيد عمان منذ قرين الى عمله في امريكا (الى اسفل)
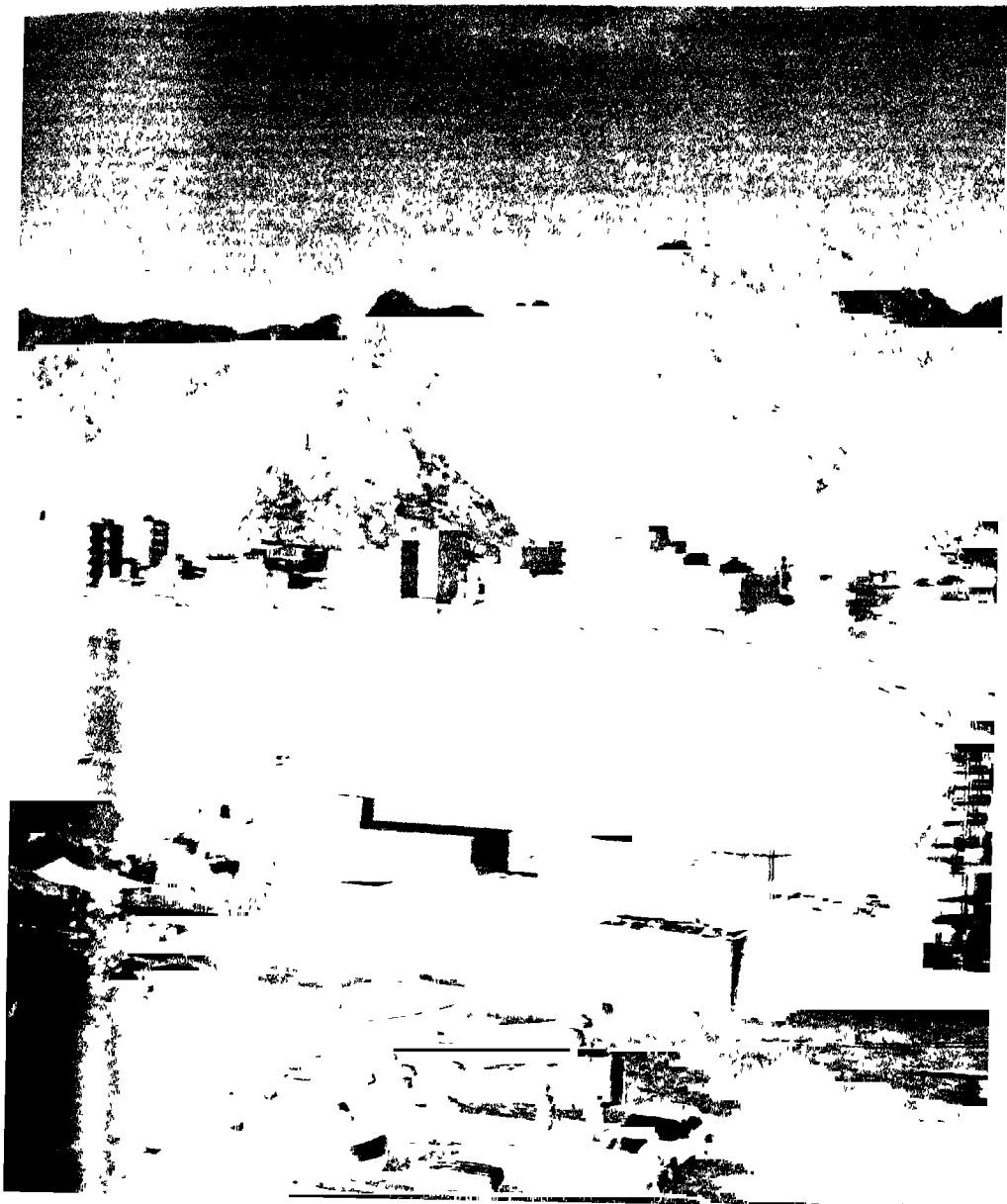
اسـو موسى
لطة من حـ
التي يقتسم السيادة فيها كل
من ايران ودولـة الامـارات ،
وسمت لعيمتها الاستراتيجية
عندما كانت ايران شرطـي
الخليج (الى اليسار)

ميناء حسل على من الحـو ، وهـو أكـبر ميناء على الخليج
ويحتوي على ٧٧ رصيفا . تعاقـدت دبـي على ادارتـه مع
شركة بريطـانية ، وأجـرت الشركة البريطـانية خمس
ارصـفـة لشركة اخـرى امـريكية (الـى اليسـار)

والامن بهذا المعنى ليس مجرد قضية عسكرية فحسب ولكنه مسألة سياسية واقتصادية تختلط فيها الجغرافيا بالعسكرية ، والوضع الاجتماعي بقوة الدولة ، والنظام السياسي بالاستراتيجية .

وبهذا المعنى فان نقاط قوة العرب في وجود ممرات مائية ومضايق استراتيجية ضمن اراضيهم مثل ، مضيق هرمز ، وباب المندب ، وقناة السويس ، وجبل طارق وكما يقولون فان الجغرافيا محايدة تطيع من يستخدمها ، اذا لم نكن في مستوى الموقع ولدينا القدرة على حمايته يتحول الى وبال على اصحابه ، ويصبح نقطة في لعبة التوازن بين الدولتين الكبيرتين ، تسعى كل منهما الى حرمان الاخرى من ميزة تحصل عليها ..

واي نظرة الى الخريطة العربية لابد ان تتوقف امام مضيق هرمز كاحد مناطق الامن الرئيسية وكأحد بؤر الصراع الاستراتيجي العالمي . واذا جرب احد ووضع احد طرفي « البرجل » في جزيرة الغنايم التي اقف عليها ، وخط ثلاث دوائر متتابعة ، فسيلاحظ ان الاولى تضم عمان وايران ودولة الامارات العربية ، والدائرة الثانية الاوسع تضم العراق والسعودية والكويت وقطر والبحرين وباكستان وافغانستان ، اما الدائرة الثالثة الاوسع فتضم بعض الدول العربية وتركيا ودولة الاغتصاب والعدوان اسرائيل ، والاتحاد السوفيتي والصين والهند ، وتكشف هذه الدوائر الخطورة الاستراتيجية لموقع المضيق .

ولو نظرنا الى امتداد الموقع في الماضي لوجدنا مدى تأثير موقع عمان على تاريخها ، القلاع فوق الجبال ، والاسلحة بين ايدي السكان تعكس الاهمية القصوى للموقع ، وكأن طبيعة الصخور في عمان قد تسللت الى الشخصية العمانية ، وعكست عليها صلابتها .

ويشرح احد العسكريين المرافقين منظور الامن في عمان بقوله : ان القوات المسلحة العمانية تسعى لتصبح قادرة على مواجهة المخاطر التي تعترض امن الحركة البحرية في المضيق وقد قامت عمان بدراسة شاملة ومسح كامل ، وبينت هذه الدراسة ، ان الخطر على المضيق يكمن اما بزرعه بالالغام ، وهو عمل لا يتطلب اي قدر من المهارة الفنية ، فالمجال المغناطيسي حول الناقلة ، وموجات الضغط الناتجة عنها تكمن …عيل آله الانفجار في اللغم المرمي في القاع ، ور… سعه قارب صغير ، ويمكن لهذه الالغام ان تشل حركة …قل في المم… الحيوي اما الاحتمال الثاني فهو ان تحتل الم… قوة بحرية معادية ...

وتقترح هذه الدراسة الحصول على كاسحات الالغام لمواجهة خطر التلغيم المعادي ، كما تقترح تجهيز دوريات بحرية وتدريب اطقمها ، وحثت الدراسة الدول المستفيدة من المضيق الى المساهمة في حمايته ، وتدعو لاعادة بناء الاسطول الذي كان احد القوى البحرية الرئيسية في المحيط الهندي في يوم ليس ببعيد ، كما تشمل الخطة العمانية استكمال الرادار القائم في قرية « كساح » الساحلية في جزيرة الغنايم .

وقد اعلنت ثلاث دول غربية هي الولايات المتحدة والمانية الغربية وبريطانيا استعدادها للمساهمة في المشروع . !

ويختم العسكري العماني كلامه « عمان ليست بحاجة لساحل الخليج او لمضيق هرمز فلديها موانئها الرئيسية التي تقع على خليج عمان . »

فاذا كان هناك مشروع امني لحماية المضيق فيسعي ان تقوم به الدول التي تطل على الخليج ، وتواجد العرب على المضيق ليس جغرافيا فحسب بل وامنيا وحضاريا ..

اما المضيق بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسون لعبة الخرائط الملونة ، ويقسمون العالم فهو مطمع لاشك فيه ...

خطوط الانابيب

وقضية الامن ليست مجرد موضوع نظري … أو تظهر عندما يشتعل القتال ، بل ان لها آثارا في الـ… يد من المجالات ، وان نظرة الى مسارات خطوط النفط … الدول العربية الخليجية لها اكثر من مغزى ، وترتبـ… ساحلها وثيقا باحتمالات المخاطر في المضيق ، وربما … هذه الخطوط محاولة للفكاك من الاعتماد على طر… واحد

النفط ، فالسعودية اقامت خط التابلاين الذي يصل حقول نفطها بالظهران على البحر المتوسط ليكون بديلا لاستخدام المضيق ، والخط الذي اقيم حديثا ليربط بين حقول النفط في المنطقة الشرقية ويمتد حتى ينبع على البحر الاحمر لينقل ٨٠٠ الف برميل يوميا بعيدا عن المضيق

وكانت علاقة الزراعين الممتدتين من المحيط الهندي ، اعني الخليج العربي والبحر الاحمر دائما حميمة تتفاوت بين التنافس والتكامل ، فكلتاهما جزء من خطوط الملاحة الواحدة التي تصل الشرق بالغرب وتحضنان شبه جزيرة العرب ، وهما معا نقطتا الوصل بين موانيء البحر المتوسط والمحيط الهندي .

اما العراق فقد بذلت جهدا مضاعفا لضمان البدائل الاستراتيجية واقامت ثلاثة خطوط انابيب وربطت بها

* خط انابيب كركوك ـ طرابلس ـ بانياس .

* الخط العراقي الاستراتيجي الذي يربط بين حقول البترول في جنوب العراق وشرقي البحر المتوسط بطاقة قدرها ٩٠٠ الف برميل ، ويتصل بخط كركوك المتوسط ، وهو ذاته الذي ينقل النفط من كركوك في الشمال الى « الفاو » على الخليج .

* خط انابيب يمر عبر تركيا ويبلغ طوله ٦٥٠ ميلا ليصل كركوك بالبحر المتوسط .

كمزار

وبقي من جولتي فوق مضيق هرمز وحوله زيارة احدى القرى على المضيق واخترت قرية تطل على المضيق وتقع على سيف البحر هي « كمزار » التي هبطنا اليها من الجو بالطائرة التي يقودها هيتشكوك ، وكانت هذه المرة مزدحمة بالمفاجآت والاثارة .

الجبال الشاهقة خلف القرية والبحر أمامها ، والصورة امامي يصعب خلالها أن نحدد اين تبدأ البيوت وا تنتهي الجبال ، وما اذا كانت الفتحات العالية الت ...اها هي نوافذ لغرف الادوار العليا ، ام هي

كهوف على قمم الجبال ...

وهي مثل العديد من قرى مسندم لا يمكن الوصول اليها إلا بالجو او البحر ...

وكانت المفاجأة الاولى ان سكان هذه القرية يتحدثون لغة خاصة بهم ليست العربية وليست الفارسية وتسمى اللهجة « الكمزارية » وهي تنطق ولا تكتب ..

وتقع قرية كمزار في خور ويقطنها قبائل الشحوح وبها حوالي ٣٠٠ بيت بطراز مميز ، ويظهر مسجد القرية في مدخلها .

وصلنا اليها في منتصف النهار ، رجال القرية جميعا خرجوا الى العمل في عرض البحر بزوارقهم البخارية الصغيرة ، ولم يبق في القرية سوى عدد قليل من الرجال والعجائز والاطفال ، جميع احتياجاتهم تأتي بالبحر من « خصب » و « رأس الخيمة » ، وعندما سألت عن الاكياس المكدسة على الساحل عرفت انها تحتوي على رمل للبناء ، فحتى الرمل يأتي بالبحر من الخارج ، يصنعون بانفسهم زوارقهم ، وفي كمزار لا يعرفون المدارس ولا الطبيب ، وتتزين المرأة بالحلي والمصوغات ، والفتيات يضعن الاقراط في انوفهن ، وكانت القرية تعاني من نقص المياه العذبة حتى اقامت لهم الحكومة اول مشروع لتحلية المياه ..

وعندما ينهمر المطر ويتحول الى سيول يصعدون الى رؤوس الجبال ويعيشون في الكهوف حتى ينتهي موسم المطر ..

ولقبائل الشحوح قصة طويلة تستحق استطلاعا خاصا ، وهي القبائل التي تقطن رؤوس الجبال وقرى الصيد المعزولة على الساحل ، ويمتدون الى رأس الخيمة في دولة الامارات ، وقرية « كمزار » مركز قبيلة بني شطير ، ويميل لون بشرتهم الى السمرة ، ويطلق الرجال شعورهم ، ويعملون بين موانيء الخليج وفي صيد السمك في قوارب يملكونها ، وهمس في اذني من يقول .. « ان لديهم معرفة كاملة بمسالك الخليج ، ويستهينون بالتهريب الى الباكستان والهند وايران اذا واتتهم الفرصة على الرغم من الرقابة الشديدة .. »

اسراب الطيور افزعتها الطائرة التي حملت بعثة العربي

على الساحل الممتد بين الشارقة وراس الخيمة عدد هائل من الجزر المستطيلة هذه واحدة من الجزر.

وهناك نظرية تتردد حول اصولهم في الكتابات الغربية ، تقول « انهم من بقايا البرتغاليين » ونظرية اخرى تعود بلغتهم الى تلك اللغات التي كانت سائدة في المنطقة قبل اللغة العربية ..

واضافت رحلة « كمزار » بعدا جديدا وهاما لأمن المضيق ، وهو الذي يرتبط بسكان مسندم فقد حرصت السلطات البريطانية على عزلها وعاشت اوضاعا اجتماعية وحضارية شديدة التخلف ، والملاحظ انه عندما وقعت عمان تحت السيطرة البريطانية منذ منتصف القرن التاسع عشر ، كانت عمان طوال قرنين من الزمان امبراطورية تجارية مزدهرة ، بعد ان كان الغزو البرتغالي بداية مرحلة تاريخية مجيدة ، فقد وحد التهديد البرتغالي القبائل العمانية ، وطرد البرتغاليون عام ١٦٤٩ ، ، ولاحقتهم البحرية العمانية حتى شرق افريقيا وجردوهم من ممتلكاتهم ، واصبحت عمان اول دولة غير اوربية تصل حدودها الى افريقيا ، واصبحت البحرية العمانية إحدى القوى الرئيسية في المحيط الهندي تمتد من بلوشستان حتى شرق افريقيا ، ثم بدأ اقتصادها يضعف امام المد الاستعماري وبعد خسارة زنجبار وانخفض عدد سكانها [illegible] بين الخمسينات والسبعينات خلال القرن التاسع عشر من ٥٥ الف الى ٨ الاف نسمة ، وخلت مدن الساحل من السكان ، فلم تكن عمان سجينة العصور الوسطى وانما اعيدت اليها ، واجبرت على التراجع لتتحول الى « تبت » الشرق العربي ، وان حالة الضعف هذه هي التي استهدفتها بريطانيا ، وهذه القرية المعزولة ما زالت تدفع غاليا ثمن وطأة الاوضاع الاستعمارية القديمة

الى مسقط

وعدت مرة اخرى الى العاصمة « مسقط » عدت لكي اقف قليلا امام نقطة البداية في رحلتي بعد كنت دائما اتوق لزيارة عمان ..

ولعل الذي الهب خيالي تلك الصور المنشورة لملامحها وجبالها وعمارتها ، وكأنها متحف بشري للعصور الوسطى ، وربما جذبني لزيارتها زيارة سبقت ٣

لحرر وهي هنا تستأثر وحدها باحدى هذه الحرر

سلاح العماني جزء من هيأته وحياته اليومية هو معه حيثما ذهب حتى في لحظات الاسترخاء والراحة

الى جزيرة « زنجبار » وشاهدت صررا لمجد عربي عابر ، كما كان يحدثني اليها داتها الدور العماني في نقل التراث العربي الى اقصى الارض ، الى شواطىء وجزر آسيا وافريقيا ، وقد جاء هذا مع ثنائية البينة بين البر والبحر وبعد ان عجز البر عن ان يمد أهالي عمان بمطالب الحياة ، فاقاموا اقوى اسطول في المحيط الهندي وجابوا به البحار

رغم اني وصلت « مسقط » عابرا ، في طريقي في المرة الاولى الى خصب ، وفي المرة الثانية الى دولة الامارات ، الا انه استوقفني شذرات من الفن العربي ، وعلامات من التاريخ لا تبعدني كثيرا عن مقصدي ، فاني أتناول هنا البشر الذي تقع عليهم مسئولية حراسة أمن مضيق هرمز ، وبايديهم نحتوا كل شيء ، الجبل وواجهات البيوت ، حتى الابواب والنوافذ ، وحتى المباخر والاساور والمكاحل

واذا تجولت في « مسقط » ترى النقوش الاخاذة التي تصنع من الجبل ومياه البحر صورة بديعة ، تشعر انك في بلد له جذور ضاربة في اعماق التاريخ ، وتفوح منه رائحة الأصالة والعراقة ، وليس مصادفة ذلك الجهد الهائل لطبع المخطوطات القديمة التي تحكي المجد القديم

وعمان كانت مؤهلة للقيام بدور بارز في منطقة الخليج ، وربما كان هذا الذي جعلها آخر القلاع التي يتشبث بها الاستعمار ، فعاشت عزلة كاملة بعد ضرب قوتها البحرية ، حدودها المفتوحة هي البحر ، من الغرب اعظم صحراء رملية في العالم هي « الربع الخالي » ومن الشرق خليج عمان ، وفي الشمال الخليج العربي وفي الجنوب بحر العرب والمحيط الهندي ، فهي تحتل المساحة الواقعة ما بين اليمن الجنوبية والخليج العربي .

واكتسب موقع « مسقط » على خليج عمان اهمية خاصة ، وهي مدينة تاريخية قديمة ، جعلها ميناؤها مفتاح خليج عمان والخليج العربي ، وهي مدينة محصنة تحميها الجبال والقلاع . ■■

مصطفى نبيل

في قصص يوسف ادريس

بقلم : الدكتور سامي بدراوي

يلعب الجنس دورا حيويا في قصص يوسف أدريس القصيرة وهو دور يبدأ مع اولى مجموعاته القصصية « أرخص ليالي ١٩٥٤ [1] ، ويستمر في التزايد حتى يبلغ مداه في مجموعاته الأخيرة « لغة الآي آي » ١٩٦٦ ، و « النداهة » ١٩٦٩ ، وأخيرا بيت من لحم » ١٩٧١ (وهذه تواريخ صدور الطبعات الأولى لهذه القصص)

ولقد تضاربت آراء النقاد في تشخيص وتحليل ظاهرة الجنس في قصص أدريس القصيرة فمن قائل بأن الجنس فيها هو موضوع ، أو هدف ، أو هما معا

ان حسم القول في توصيف الجنس في قصص ادريس القصيرة هو الهدف النهائي لهذه الدراسة بيد أنني أبادر فأسجل أن الجنس لم يكن – في أية مرحلة من مراحل تطور قصص أدريس القصيرة – موضوعا أو هدفا كذلك ينبغي ألا نتجاهل دلالة وجوده المكثف بل أستطيع أن أؤكد أن وجود الجنس في قصص أدريس القصيرة ليس عرضيا عشوائيا ، كما قد يزعم ادريس نفسه احيانا ذلك ان اطراد تطور الجنس في جميع المراحل من ناحية ، وتغطية القصص الجنسي كل بيئات الحياة المصرية وآفاقها ، بل واعماقها ، ينفي صفة العرضية عن دور الجنس في قصص إدريس القصيرة إنه وجود متكامل ، يعكس موقفا متكاملا مما يدور حوله

مفهومان للجنس

فما هو هذا الموقف ؟ وكيف تطور من مرحلة الى مرحلة ؟ ولماذا اختار (ادريس) الجنس اطارا

---

(١) بدأ يوسف أدريس ينشر قصصا سنة ١٩٥٠ وأول قصة نشرت له كانت بعنوان « اشودة الغرباء » ، وقد ... مجلة القصة القاهرية – العدد ١١ بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥٠

أو زياه ، ثم ما طبيعه أو مفهوم الجنس عنده ؟
بأهم هذه التساؤلات ، إذ هو أيسرها اجابة ، وهو
مدخل للاجابة على التساؤلات الأخر فما مفهوم
في قصص ادريس القصيرة ؟

ى استقراء هذا القصص الجنسي يخلص بنا الى
مستويين أو مفهومين للجنس أما أولهما ، فهو
ى الواقعي الشائع وهذا يرادف ـ عنده ـ العلاقة
لنسين بكافة مستوياتها فالعلاقة بين سامح
طفلي « لعبة البيت » تندرج تحت هذا المستوى ،
ى العلاقات العاطفية بين الشباب من الجنسين كما
ة « محطة » مثلا كما يتسع ذلك المستوى
ات الجسدية وهذا المفهوم أو المستوى الواقعي
على قصص ما قبل « لغة الآي آي » هذا عن
الجنس أو مفهومه في قصص المرحلة الاولى أما
ظيفة الجنس في هذه المرحلة ، فيمكن أن نصفها
واقعية اجتماعية ، مع تنوع هذا الاستعمال
عي ، كما سيتضح من استعراض قصص هذه

ا المستوى الآخر من استعمال الجنس ، أو إن شئت
وم الآخر للجنس في قصص ادريس القصيرة ،
عليه الطابع الفلسفي الوجودي إذ يكون الجنس
للوجود أو الحياة في مقابل الموت ، وهو بذلك
مفهوم فرويد كما يرادف « إرادة الحياة » في
« ارادة الموت » عند يونج وهذا المفهوم الفلسفي
ي للجنس يغلب على القصص الأخيرة ابتداء من
، « لغة الآي آي » ووظيفة هذا النوع من
فلسفية رمزية ، تدور أساسا حول الانتصار
الانسان وشحب كل أنواع القهر والمعاناة
حظ يفرضه السياق . وهو أن شيوع المفهوم
ي للجنس في القصص هذه المرحلة الأخيرة لا يعني
، وجود الجنس بالمستوى الواقعي في بعض
المرحلة الأخيرة فالواقع أن المستويين أو
، يتلاحمان أحيانا ، كما يحدث في « الداهمة »
من لحم » على سبيل المثال على أن المفهوم
للجنس له بداياته في قصص ادريس المبكرة
نة ذلك تلك العلاقة الحميمة بين الأسطى محمد

وماكينته في قصة « المكنة » من مجموعة أرخص
ليالى » ، وكذلك علاقة طفل قصة « أحر الدنيا » ـ وقد
تعمد المؤلف ألا يعطيه اسما ـ بقطعة العملة الفضية
التي أعطاه والده إياها غير أن الجنس في قصص
المرحلة الأخيرة تغلب عليه الرمزية ، وان امتزجت
بأرضية واقعية أحيانا

وبقليل من امعان النظر ، يتضح أن القاسم المشترك
بين كل قصص ادريس الجنسي هو استهداف تحرير
الانسان أما تحريره من عبوديته وبؤسه بالنسبة لانسان
الطبقات الدنيا ، وهو مدار الحلقة الأولى من هذا النوع
القصصي كما سنرى وشيكا أو تحرير العلاقات
الانسانية بين الأفراد بفهمها على وجهها ، وبيان جوانب
القوة والضعف فيها ، وهذا محور قصص الحلقة الثانية
وأخيرا نجد القصص الأخيرة تلتقط كل ما يبهظ ضمير
الانسان المستنير من قهر وضياع تفعل ذلك تطهيرا لهذا

الانسان من أحابيل أزمته. وفي كل حلقة من هذه الحلقات أو مرحلة، تدور قصص ادريس في اطار ارضية محلية، وموقف اساسي مستنير. فليس صحيحا ما يذهب اليه باحث أجنبي هو ثيودور بروحركا Prochazka، في رسالة نال عليها درجة الدكتوراه من جامعة لندن من أن قصص ادريس تدور في إطار نفسي، يخلو من أبعاد اجتماعية باستثناء قصة «حادثة شرف».

ذلك أن القول بخلو أي من أعمال يوسف ادريس الادبية من البعد الاجتماعي فيه مجافاة للواقع، ولطبيعة دور الكاتب كما يراه ادريس نفسه. إذ أنه يتمثل عالمه الفني في أنه جماع أو حصيلة اختيار «الواقع الخارجي كما يحسه، بالفلسفة الداخلية كما تبلورت من خلال تجاربه، بالرغبة في الخروج للناس بحلول جديدة لمشكلات قديمة» وفضلا عن ذلك فلادريس إشارات عديدة حول ظاهرة الجنس في قصصه، تقطع بأنه لم يتناوله في فراغ. فهو يشير إلى أن دافعه الى التصدي للجنس في قصصه هو أنه «أكبر الامور تعقيدا في حياتنا العربية». بل إن تصدى ادريس لقضية الجنس، هي في بعد من ابعادها انتصار لتحرير المرأة، بل ولتحرير الانسان المصري عامة من قيود العرف ومفاهيمه الخاطئة مما يشكل قيدا على حرية الانسان وحياته، ويسهم في خلق أزمته.

وإزاء ذلك ـ وإنطلاقا من مسلماته التقدمية يتخذ إدريس موقفا متحررا من قضية الجنس. فهو ينظر إليه ـ فلسفيا ـ كنشاط إنساني حيوي. ولذلك فهو دائم الالحاح على الجنس ـ إما أساسا، أو في ثنايا موضوعاته الأخرى. وهو في كل ذلك يريد أن يجعل موضوع العلاقة بين الجنسين مادة للتحليل والتشريح والبحث الدائم بهدف فهم جوانب القصور وتجاوزها. إنه يريد أن يحطم التابو taboo العالق بموضوع الجنس في النفس العربية تمهيدا لانطلاقة حضارية تناسب روح العصر، وتخدم حركة التقدم.

ويمكن أن نتلمس في تطور دور الجنس في قصص ادريس القصيرة ثلاث حلقات أو مراحل اعتمادا على تاريخ نشر القصص، وأسلوب المعالجة، وأخيرا موقف الشخصيات النسائية.

الحلقة الأولى

تضم هذه الحلقة مجموعتي «أرخص ليالي» سنة ١٩٥٤، «أليس كذلك» سنة ١٩٥٧، ومعظمها الجنسي واقعية اجتماعية، تركز على هموم الانسان المصري الصغير سواء في الريف أو المدينة. تعالج ذلك باسلوب يتراوح بين اللمحة الساخرة، والادانة المتشددة، كما يجمع بين التفاؤل والتشاؤم. ويتسم موقف المرأة في هذه الحلقة بالسلبية، فهي ضحية للرجل وللتقاليد، ولكنها متسامحة غالبا. إلا أن نزعة تمرد طائش تبدو عند بعض شخصيات تلك الحلقة النسائية، كما في قصتي «الحالة الرابعة»، «وقاع المدينة». فلنبدأ بتحليل بعض تلك القصص المبكرة لنتبين كيف يوظف الجنس فيها.

تصور قصة «أرخص ليالي» كيف كان ضيق ذات يد الفلاح (عبد الكريم) وخلو بيته من الزاد، وراء حرمانه من سهرة الخميس، خارج البيت مع أصدقائه، أو في البيت مع أسرته. وعندما هدّه التعب وقلة الحيلة لم يبق له إلاّ أن يعود الى بيته محطما كسيرا فيصالح روحته ـ عزاء أو هروبا ـ خاصة بعد أن جفاه النوم بسبب كوب الشاي المركز الذي تعطف به عليه الخفير طنطاوي. وتكون النتيجة أن يضاف الى قائمة الجوعى في أسرة عبد الكريم ابنا سابعا «لن يملأ طوب الأرض بطنه هو الآخر». فكأن عبد الكريم كان كالمستجير من الرمضاء بالنار. ولم يكن هذا شأنه وحده فها يزال الموقف يتكرر معه أو مع غيره من أهل القرية مضيقا إلى حيش النمل من الصغار الذين يزحمون طريقه في ذهابه وأوبته.

فالجنس في هذه القصة يستخدم كعزاء أو مهرب وكسلوك آلي، وكلها مستويات مريضة من مزاولة الحب (الجنس). فيها فضح لظروف الرجل وبؤس حياته وفيها المرأة لا يقام لها وزن وإنما هي مجرد أداة. ويكاد دور الجنس في بقية قصص المجموعة لا يخرج عن هذا الاطار.

فاذا تجاوزنا مجموعة أرخص ليالي إلى ...

« أليس كـ ـك » ، فلن نجد المؤلف يخرج عن المعالم التي ألمنا بها في المجموعة الأولى فهو لا يتناول الجنس لذاته وإنما كوسيلة لكشف بعض جوانب الضعف في مجتمعه في اطار استفزازي فاقع ففي قصة « الحالة الرابعة » يبين المؤلف كيف أن الفقر أهدر كل شيء في تلك المرأة المريضة . فمنذ مات عنها والدها وهي طفلة ساعده في بيع أكواب الشاي في « الموقف » تداولتها الايدي وامتهنتها الحياة ـ حتى انتهت بها الى مسخ بشري شائه ، فقد بالاضافة الى صحته الحياة والكرامة والانوثة بل فقدت الانسان غير أن شيئا واحدا بقي لها وهي تعض عليه بالنواجذ وذلك هو أملها في أن تهييء لابنتها مستقبلا أكرم مثل الأفندية والدكاترة

وفي « ليلة صيف » يتخذ الجنس وسيلة لفضح رتابة الحياة الريفية وبؤسها وجهل الفتى بما وراء قريته بل وراء حياته وفي قصة « أليس كذلك » لا يجد النائب المهدي حرجا في أن يعد فتاة الكارية (باهيا) ضمن صداقاته في مصر فهي تحب بلدها وتتابع أحداثه وتحمس للدول الصديقة وموقفها بذلك أكثر تسامحا من موقف المجتمع منها ثم إنها عندما وضعت يدها في يد المهدي تضاعفت قوتاهما فهو يقول حين فقط تصافحنا بأيدينا صار لنا عشرون إصبعا »

وادريس يشير بذلك إلى حاجة البلاد النامية إلى كل طاقاتها البشرية في اندفاعها نحو التقدم وتحقيق الاستقلال الحقيقي

ولن نجد قصة « قاع المدينة » أو غيرها من بقية قصص المجموعة تخرج في توظيفها للجنس عن هذا الاطار وادريس في هذه القصص المبكرة يركز أساسا على ظواهر البؤس في القرية وامتدادها في ريف المدينة ، بين أفراد الطبقة الدنيا وهو ما سيتجاوزه بشكل واضح في قصص الحلقة التالية

الحلقة الثانية

يمكن أن نحدد هذه الحلقة في نطاق قصص مجموعات « حادثة شرف » سنة ١٩٥٨ و « آخر الدنيا » سنة ١٩٦١ ، ثم « العسكري الأسود » سنة ١٩٦٢ وتهتم هذه القصص الجنسية الوسيطة بتحليل العلاقة بين الجنسين في الريف المصري والمدينة أكثر من اهتمامها بالجوانب الاقتصادية المعاشية والخط البارز في هذه القصص أنها تتبع ازدواجية الحياة أو النفاق الاجتماعي النابع من سلوكين أو حياتين إحداهما في السر والأخرى في العلن ، انطلاقا مع طبيعة الانسان وصالحه في السر ، ومجاراة للتقاليد في العلن وتسجل هذه القصص أن ازدواجية الحياة تزداد حيث تشتد قبضة التقاليد ويقل تمرد الانسان في الريف وامتداده . وتقل هذه الازدواجية في الحضر حيث تختار الشخصيات حدود التزامهم بمقتضيات العرف والعادة ، دون الفناء فيها أو التضحية بسعادتهم الشخصية في سبيلها ونرى هذا واضحا بين أبناء المدينة حتى الأطفال منهم كما في قصة « لعبة البيت » يرفض الطفلان سامح وفاتن العودة إلى بيتيهما فرارا من سيطرة الكبار ، وتضحية بمجازاة عالمهم (الكبار) من أجل استمرار علاقتهما ، التي هدتها التجربة إلى مدى حيويتها بالنسبة لكليهما

ويغلب على أسلوب المعالجة في هذه القصص الوسيطة تجاوز السطح إلى الأعماق لتتناول النوازع

الداخلية في نفس الفرد والجماعة ويوالي إدريس في قصصه هذه ، الانتصار للمرأة كما يلاحظ أن بطلاته هنا أقوى شخصية ، وأكثر ايجابية بيد أنها ايجابية بناءة في المدينة ، أما في القرية فهي ايجابية سلبية - اذا جاز هذا التعبير - انتحارية تقوم على تحطيم النفس . وتعتبر قصتا « محطة » و « حادثة شرف » نموذجين معبرين عن دور الجنس في قصص الحلقة الوسطى .

ففتاة « المحطة » الحضرية تصعد إلى الاتوبيس برفقة مندوب العائلة « شقيقها الاصغر » وفي هذا من السخرية ما فيه ثم هي تتعرض لقسوة الزحام ونهم العيون الدسة والأجساد المتلصصة حتى تجد منقذها في شخصية فتى المحطة التالية ، وفي حرأة وثقة وايجابية يفلح الشاب في أن يجذب انتباهها ، ثم التحدث اليها ، واخيرا مواعدتها على الاتصال التليفوني كل ذلك يتم تحت وطأة أعين الناس وخاصة الجار الفضولي مما يلف التقاء الشاب والفتاة بغلاف من الاحساس بالذنب والخروج على المألوف والمقبول ولكن العزاء أن شخصية الفتى بل والفتاة قد تسلحتا بايجابية تعلو على تدخل الناس فيما لا يعنيهم ثم أن هذا الجار بكل ما يمثل من اتهام مربك يقابله الراوي الشاب ، الذي كان يراقب - بفرحة المبهر - ايجابية أبناء هذا الجيل الصاعد بالقياس إلى جيله هو

إن موقف المجتمع من علاقة الرجل بالمرأة لم يتغير في هذه القصة إلا أن اندفاع الحياة وصوتها كانت له الغلبة على التقاليد وهذا ما نفتقده في القصص التي تدور في الريف كما يتجلى في « حادثة شرف » على سبيل المثال

فقصة « حادثة شرف » هي قصة فتى وفتاة من القرية ومالانتهيا إليه من ضياع ، لغير ما سبب سوى انهما كانا كفئين لعلاقة حب واعدة ما كادت تبدأ ، حتى وأدتها وطأة العرف والتقاليد التي تعتبر الحب عيبا ، مما أهدر مستقبليهما جميعا

هنا تشير كل أصابع الاتهام إلى مجتمع العربة في جوده ، وقسوته وتنكره للطبيعة واهداره علاقة واعدة كعلاقة فاطمة بغريب ، وتجريده فاطمة من براءتها حتى صارت تتردد الآن على بيت صا[illegible] وتتحدى من يسألها ومع ذلك فهذا المجت[illegible] فكرة العيب هو المجتمع الذي لا يزال عر[illegible] في سائه (ص ١٠٤ - ١٠٥) ولا تزال [illegible] الماشطة تصنع من نفسها وبيتها ستارا قد [illegible] الرجل بالمرأة (ص ١١٣)

فادريس يلح في قصصه الوسطى على ازدواجية الحياة ، أو حياة الرياء ، التي هي [illegible] طبيعي لمجافاة العرف والتقاليد لطبائع الأمور ، تناول الأمور العاطفية (الجسية) في الد[illegible] وبطبيعية ولعل قصة « الشخشيخة » تجسد [illegible] أجلى صوره اذ كان أهل القرية يستأمنون ذلك البشري على أسرارهم اعتمادا على أنه لا يسمع ولا [illegible] فلما أهدر هذا الاحتمال ، لم يهدأ لهم بال حتى [illegible] بليل ولعل ما يجدر ذكره أن موضوع [illegible] الاجتماعي في قصص الحلقة الوسطى ، موضوع حتى في القصص العبر حنسي كقصة « طبلية السماء » مثلا

الحلقة الثالثة

تعتبر هذه أخطر المراحل من حيث الرؤى تطرحها وطرائق الأداء جميعا وتنتظم مجموعا[illegible] « الآى آي » سنة ١٩٦٦ والنداهة (سنة [illegible] وأخيرا بيت من لحم (سنة ١٩٧١) وإنما يجم[illegible] قصصها الجسي ما يسم دور المرأة فيها من [illegible] واضحة قد تصل إلى حد الثورية وكذلك الرمزية على قصصها فهذه القصص وإن يكن علاقة الجنسين فهي تتجاوز ذلك الى أبعاد اسباب وأشمل . وفضلا عن ذلك ، فإن يكن المألوف في إدريس أنها ذات بعدين أحدهما اجتماعي واقعي انساني حضاري ، فان هذه القصص الأخيرة تض[illegible] هذين البعدين بعدا سياسيا ، بحيث تستقيم القصص) للقراءة على ثلاثة مستويات [illegible] محصول القول أن كل مجموعة من هذه المجمو[illegible] كل قصة جديرة بدراسة تحليلية مستقلة ولـ[illegible] في هذه العجالة أن أكتفي بتلمس المعالم الد[illegible]

المرحلة ... نا بقصة من كل من هذه المجموعات بادئنا باولى مجـ عات المرحلة وهي مجموعة « لغة الآي اي »

تتحدد مجموعة لغة الآي آي « بمجال هذه الدراسة في ثلاث قصص هي « حالة تلبس » و « هذه المرة » ، ثم « لأن القيامة لا تقوم » وهي جميعا من قصص المنولوج الداخلي ، ومدارها الازمة الداخلية للانسان فيما يذهب اليه الدكتور شكري عياد ودور المرأة في هذه القصص يشكل تحولا هاما إذ تتسلم المبادءة بالنسبة للتحديين اللذين يجابهها ، وهما الرجل (كتحد خارجي) والقيم السائدة أو الثقافة (كتحد داخلي) وسوف أتخذ قصة حالة تلبس نموذجا للتحليل هنا لما تعكس من خصائص المجموعة والمرحلة على السواء

« حالة تلبس » هي قصة عميد إحدى الكليات الجامعية الذي نظر من نافذة مكتبه فوقع بصره على طالبة صغيرة تدخن في إدمان ، وبتلذذ واضح مما أثار العميد وفجر فيه اصطراعا بين عقلانيته وخلفيته الصعيدية ، ثم الوالد الذي فيه وسرعان ما شغله استغراقه في متابعة طريقة الفتاة في التدخين عن ثورته ، بل وعن همومه ازاء قيود المجتمع والوظيفة ولم يعد منه الا انسانا يتابع ـ في حنو ـ سعادة إنسان آخر فينطلق العميد مع خياله وأحلامه ليعيد تشكيل حياته ويعيد النظر في علاقاته وحتى موقفه العدواني من تدخين الفتاة فإذا به يتبين أن صراعاته لا مبرر لها ويسيطر عليه سلام شامل يتمنى لو يستمر ولكن هيهات ؛ فقد رأته الفتاة ورأها هو وهي تنظر إليه . فأسرع كل منهما يتقمص دوره ، الاجتماعي وعندما راح العميد يستدعي الفتاة ليعاتبها كان يفعل ذلك بتردد وبلا حيوية اذ كانت الفترة القصيرة التي تحلل فيها من أسر تقاليد الدور الاجتماعي ، كافيه ليتبين خلالها أن الانسان الذي فيه كان أسير المكانة الاجتماعية وعندما تحلل العميد من هذه القيود للحظة صار قادرا على التعاطف مع الآخرين رغم فارق السن ، والجنس ، والمكانة الاجتماعية فكأن إدريس يوحي أن ما يعوق التعاطف لتعاطف بين البشر ليس شيئا في طبيعتهم وإنما عوائق من صنع الظروف الاجتماعية وهذه

الفكرة هي عصب قصة ـ لغة « الآي آي » إلا أن إطار قصتنا (حالة تلبس) حسي ، لذلك فان الاغراء بتفسيرها جنسيا قائم قيامة في قصتي « هذه المرأة » و « لأن القيامة لا تقوم » مع أن موضوع الأولى القيود التي تنفس على الانسان سعادته في الحياة حتى لو تعمد التفلت منها بينما قصة « لأن القيامة لا تقوم » تتناول في أبعد أبعادها ـ قضية سياسية فالتفسيرات الجنسية في القصص الثلاث غير حيوية ولا جوهرية وهذا يثبت فكرة هذه الدراسة في أن إدريس إنما يوظف الجنس لتشريح علاقات الحياة الاجتماعية والنفسية وتعقب ما يبهظ نفس الانسان فإذا تجاوزنا هذه المجموعة الى مجموعة « النداهة » فلن نجدها الا امتدادا على نفس الاطار

تتسع قاعدة الجنس كما وكيفا في مجموعة النداهة فمن بين قصصها الثمانية يستأثر الجنس بست وفضلا عن ذلك فان دور الجنس يمر بتحول جوهري ابتداء من تلك المجموعة ذلك أن موقف المرأة لم يعد أكثر جرأة وثورية إزاء الرجل والتقاليد فحسب ، بل أصبح أكثر استقرارا واتزانا وأقل توترا إذ هو يستند إلى موقف حضارى واع يقل فيه صراع الأعماق ، ويطرد الاندفاع في مسار تقدمى لا رجعة فيه ولا ندم ، بل له سطوة القدر وحتميته لا فرق في ذلك بين شخصيات القرية وشخصيات المدينة ، أو طبقة وطبقة ، أو جيل وجيل

الوجه الآخر للمدينة

« النداهة » هي قصة فتحية الريفية البيضاء الطموح ، التي كانت تريد أن ترى مصر « أم الدنيا » وتحيا فيها حياة أفضل من حياة القرية . لقد بهرتها المدينة لأول وهلة ولكنها في منكمشها « خلف باب حجرتها الموارب » ، لم تلبث أن تعرفت على الوجه الآخر للمدينة ، الوجه الشائه بكل ما يحفل به من جوع ، وتسول ، وفشل ، وكذب ، وخداع ، « وقلة أدب » ونساء قبيحات « دميات » لولا الأحمر والأبيض . والغريب أن كل ذلك لم يفسد الحلم في نظر فتحية تماما بقيت مصر العظيمة هى مصر العظيمة في نظرها « والشر في كل مكان » وكانت فتحية في انبهارها بالمدينة وفرقها من

وحلها ترى النجاة في الحذر والأناة إلا أن المدينة لم تتخذ منها نفس الموقف المستأني بل راحت تلاحقها على مستويين ، مستوى خارجي ، يتمثل في آلاف الأيدي والابتسامات النداهة الخداعة وكان سلاحها ازاء ذلك الحذر والتجاهل وانما الذي الذي كان يقض حياتها ، هو الهاتف الداخلي اللعين مهددا أن يجذبها إلى القاع مباشرة « حيث الوحل والقبح ، والطين » مما كان يفجر فيها صراع الأعماق ويشير أقصى حنقها وتصميمها القاطع الملح « أن أبدا لن يكون ، وبيسا الأيام يا مصر »

ثم سرعان ما تجسد الهاتف في شخص ذلك الشاب « الأبيض الحليوة قاطن الشقة الوحيدة بالدور الأرضي » وكان قد لمح فتحية وقرر التهامها عساها تكف عن الانكماش وتأنس بالمدينة مالت فتحية في حذرها ، حتى أعياه أمرها وانتهى الى التعلق بها بل صار « مستعدا أن يبوح لها بحبه ، وأن يعرض عليها الزواج ، وأن يتزوجها في الحال ، وأن يقتلها إذا رفضت ولم يعد أمامه إلاّ أن يقتحم عليها الحجرة وليكن ما يكون « ولقد فعل »

بعد ذلك تأتي عملية الاغتصاب وهي بمثابة « المعادل الموضوعي » لتصارع المدينة والقرية في أعماق فتحية وتنتظم عملية الاغتصاب حلقات تجسد هذا الصراع الدرامي بين القرية والمدينة حتى ينتهي الأمر بانتصار المدينة ، ليس الانتصار المادي فحسب ، وإنما كذلك بتحول موقف القرية (فتحية) من الرفض المطلق إلى استسلام مغلوب ، إلى استسلام مستمتع ، بل وإلى اعتناق تام للمدينة ، ورفض مطلق للقرية.

في مجموعة « بيت من لحم » يتابع ادريس استغلاله لاطار الجنس في عرضه لقضايا الاحباط ، والضياع ، والانسحاق أمام مفارقات الحياة ، وتحدياتها كما تكشفت على أثر هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ والجنس في قصص المجموعة والغ في قضايا السياسة ومن هنا كانت قسوته وفظاظته فمن بين قصص المجموعة ست يستأثر اطار الجنس بها ، وثلاث سياسية كما ان الثلاث الباقية لا تخلو من اسقاطات سياسية كما لا تخلو من هذه الأبعاد السياسة القصص الجنسي في المجموعة فالمجموعة تتابع

الأزمة الداخلية للمثقف المصري مع ط... ص هو نتاج سياقها الزمني ويمكن ان نتلمس ... العنوان نموذجا لروح المجموعة ، وطريقة استخدا... لاطار الجنس

والخلاصة أن ادريس في استخدامه ... ص انه يستخدمه اطارا وخلفية لتحليل الحياة من ... مركزا على جوانبها الاقتصادية المعاشية في قصص الحلقة الاولى ثم يتحول ، في قصص المرحلة الوسطى الى امتحان العلاقات البشرية في صلتها بالقيم والثقافة وأخيرا يغوص مع الانسان التائه في بحر الضياع والانسحاق ، وقد تم له الانسلاخ عن حياة القرية وهدوئها الراكد المميت

وإنما يلجأ ادريس الى استعمال الجنس اطارا لتحقيق عدة أمور فهو يضمن لفت قارئه ، بل ودخوله عالم قصصه متحفزا ، وربما متحديا حتى يفرغ من القراءة وهو ما يحقق لادريس هدفه ثم انه بالحاحه على الجنس كأنما يطهر قارئه ضمنا من حساسيته من هذا الموضوع ، ويجبره على أن ينعكس عليه بالفهم ويراجع صلاته وعلاقاته في ضوء ذلك الفهم الجديد وادريس بعد ، إنما يستعمل الجنس بدلالتين أولاهما ، دلالة حسية واقعية يعكس من خلالها تصوره لمظاهر القلق والمعاناة في حياة الطبقة الدنيا في أعماله الاولى وعلاقات الناس في صلتهم بالقيم والثقافة في المرحلة الثانية مركزا على ازدواجية الحياة أو شيوع حياة النفاق ، مما يدل على قلق الثقافة الشائعة ، واحتيال الناس على ذلك إما بتحكيم العقل والاختيار بالنسبة لناس المدينة ، أو بالانسحاق تماما في القرية والاضطرار إلى أن يكون لهم حياتان كما حدث لفاطمة في « حادثة شرف » أما في المرحلة الأخيرة ، فادريس يتابع انسانه وقد انسلخ عن حياته القروية الهادئة الراكدة - في صراعاته في خضم الحياة الحديثة بتعقيداتها وتحدياتها - في إطار من استخدام الجنس بمعنى الوجودي ، الحياتي ، أي ارادة الحياة ، في مقابل ... أو ارادة الموت ■■

د سامي بدراو
المدرس بالجامعه الامريكية ...

بقلم الدكتورة صبيحه الدباغ

الهورمون مادة يفرزها عضو ويطلقها في مجرى الدم لتنظيم فعالية أعضاء اخرى . ولم يمكن معرفة فعالية الهورمونات ودراستها إلى أن تقدم علم الكيمياء تقدماً ملحوظا في أواخر القرن التاسع عشر ، ولو أن الغدد الصم التي تفرزها كانت معروفة منذ أمد بعيد ، بل إن قدامى السومريين والمصريين كانوا عارفين بوجود الهورمونات التناسلية في ادرار الحامل ، فقد كانت المرأة السومرية قبل أربعة الاف سنة تخلط حبات من الشعير بقليل من التراب تسقيه يوميا شيء من إدرارها ، فاذا نما الشعير والحصوصر دل ذلك على أنها حامل . ولم يكتشف الا في العصر الحاضر أن هورمون الاستريين المتوفر في إدرار الحامل محفز بل ومفيد لنمو النباتات . وتلعب الهورمونات دورها الخطير في الحفاظ على توازن الجسم ، ونلمس مفعولها السحرى العجيب في التغذية والنمو والتكاثر . وقد يؤدى نقصها أو زيادتها الى امراض خطيرة

لى الغدد افرازاتها رأسا في الدم . وقد أمكن
ن عدد من هذه الهورمونات ، كما أمكن تحضير
ـ المختبر ، وتعتمد فعاليات جميع الغدد الصماء
ها البعض بصورة وثيقة ، وهي جميعها ذات
ـهاز العصبي ، فالغدة النخامية التي تكون في
لرأس متدلية من السطح السفلي للمخ ومرتكزة
ـ صغير في إحدى عظام الجمجمة تكاد تكون
في الجسم إذ أنها بقسميها الأمامي والخلفي

تسيطر على الغدة الصماء فوق الكلية والمعروفة بالكظرية وعلى الغدة الدرقية والبنكرياس والمبيض وافراز الحليب من الثديين عند الرضاعة وما الى ذلك ، وتساعد على تقليص الرحم وتسهيل عملية الولادة وخروج المشيمة فيما بعد ، وتحول دون النزف بعد الولادة وتفرز الهورمونات المساعدة لنمو الاطفال أما إذا أفرطت الغدة النخامية في افراز هورمون النمو فان ذلك يؤدي إلى مرض تضخم الأطراف المعروف بالاكرومكاليا

معنى زيادة الافراز

وبالاضافة إلى مرض تضخم الأطراف فان هناك أمراضا هورمونية أخرى ، أهمها الأوديما أو الوذمة المخاطية وتضخم الغدة الدرقية ومرض السكر ومرض أديسون ومرض كرافز والبلاهة ، وقد وجد بعض العلماء أن زيادة إفراز الفص الأمامي للغدة النخامية قد يؤدي إلى تضخم القلب والطحال والكلية ويتضاعف طول الأمعاء الدقيقة والغليظة معا ، ويتضخم الفك السفلي ويكبر حجم الجمجمة ، ويتضخم الوجه بحيث يصبح بيضوي الشكل ، وتضطرب العادة الشهرية عند المرأة أو تنقطع ، كما أن الرجال يصابون بالضعف الجنسي أو العنة ، وقد تعالج أعراض الغدة النخامية بالأشعة أحيانا وبالعمليات الجراحية الدقيقة أحيانا أخرى

أما الأوديما المخاطية التي ألمحنا إليها فمتأتية عن نقص هورمون الغدة الدرقية ، والمرض في النساء أكثر منه في الرجال ، وفي البلاد المعتدلة أكثر منه في الحارة ، ولا نكاد نجد له أثرا في الزنوج وتبدو أعراضه عادة عندما يبلغ الانسان الأربعينات من عمره إذ ينتفخ الجلد ولاسيما بشرة الوجه والجفون ، وتتورم الأطراف بسبب تزايد المواد المخاطية في الأنسجة ، ويتساقط الشعر وتتشقق الأظافر ويعتريها الجفاف ، ويصحب ذلك اضطرابات في القلب مع جمود العواطف والبلاهة ولا يستطيع بعض المصابين السير أو الوقوف ، وتضعف الرغبة الجنسية عند الرجال والنساء معا ، وعلاوة على ذلك فان الاخيرات يصبن بانقطاع الحيض أو ندرته مشفوعا بالعقم وانقطاع النسل والاضطراب العصبي

بعد هذه الصورة المحزنة القاتمة التي قدمتها فانه مما يبعث على الارتياح أن هذا المرض الهورموني وأعني به الأوديما المخاطية مما ينجح معه العلاج بصورة باهرة وذلك بمستحضرات الغدة الدرقية بتناول أقراص الثيرويدين أو المعالجة بالهورمون المعروف بالثيروكسين

اليود والبلاهة ؟

وقد تتضخم الغدة الدرقية ويصاب المريض بالغباء والبلادة ، نتيجة قلة افرازاتها ونقصها ، و[illegible] النساء به ثهاية أضعاف اصابة الرجال به ، وقد [illegible] بالبرهان التجريبي والدراسات الاحصائية التي لا تدع [illegible] الشك ان نقص عنصر اليود في الطعام والشراب هو السبب الأساسي في ذلك · وقد حاول بعض العلماء نقض هذه النظرية بالاستشهاد ببلاد يكثر عنصر اليود في أغذيتها ، مع ذلك فقد وجد بين أفرادها اصابات بتضخم الغدة الدرقية · غير ان هؤلاء العلماء تجاهلوا حقيقة ارتفاع نسبة الكالسيوم والدهنيات وانعدام الفيتامينات في الغذاء هو الذي حال دون الافادة من اليود وأفضى إلى تضخم الغدة الدرقية ، ويعالج هذا المرض أيضا بمستحضرات الغدة الدرقية بمقادير معقولة لئلا تؤدي إلى عكس العمل فقد يكون الافراط كالتفريط أو أسوأ منه ، فاذا اخفقت المستحضرات فالعملية الجراحية لابد منها ، لان تضخم الدرقية يفضي الى اضطرابات في القلب وازدياد خفقانه مصحوبا بصداع وصعوبة في التنفس

أما البلاهة فنجدها مستشرية في بعض المناطق دون البعض الآخر وتكون مشفوعة بفقر الدم واضطراب الجهاز الدموي والتناسلي ويبين الأطلس الجغرافي الطبي أن مناطق البلادة المتوطنة ، كما يسميها الباحثون ، هي على الأكثر جبلية كالهمالايا والألب والبيرنة ، ولعل لنقص عنصر اليود في هذه المناطق يدا في ذلك ، فدور التغذية الصحيحة لا يقل أهمية في ذكاء الشعوب عن الوراثة ، فقد تجعل التغذية الخاطئة من الذكي الألمعي أبله بليدا كما نلاحظ ذلك في نقص عنصر اليود مثلا

ومن أمراض الغدة الدرقية مرض كرافز ، واشهر أعراضه اصطباغ الوجه بحمرة الخجل من دون سبب او داع بين الحين والحين ، مع احتلال الدورة وجحوظ العينين

وقد سمي اختلال الغدة الكظرية وهي الغدة التي نجدها فوق الكلية بمرض أديسون باسم مكتشفه في أواسط القرن التاسع عشر إذ لاحظ تلون بشرة المصابين به بلون بني غامق وأدرك انه نتيجة لهذا المرض يصغر حجم القلب وتخفت ضرباته وتضعف الكليتان ، ويصاب المريض باضطراب الجهاز الهضمي والاسهال

ى المريض بالهورمون القشري لعدة الكظر

والسكر هرموني

ومرض السكر هو الآخر مرض هورموني ولعله أشهر راض الهورمونية على احتلاف الأزمنة والبقاع وأشهر مات به في تاريخنا الاسلامي هو البطل صلاح الدين وبي ، ويعتقد بعض الباحثين أنه من الأمراض التي ب فيها الوراثة دورا ، وأيا كان وجه الصواب فان ك علاقة بين غدة البنكرياس ومرض السكر ، وعلاحه رمون الانسولين الذى استخلص سنة ١٩٢٢ على يد لميود وبانتيج فخففا الكثير من الالام المرضى المعذبين ، ئدة الانسولين أنه يحول دون ارتفاع نسبة السكر في م بالمساعدة على اختزانه في الكبد بصورة النشا واني لحين الحاجة

وقد بذل العلماء وكبار الأطباء جهودا جبارة في خلاص مختلف خلاصات الغدد لعرض العلاج انسولين لمرض السكر (كما ذكرنا) ، وخلاصة الغدة خامية وهورمون البرولاكتين لزيادة الحليب عند هات المرضعات ، ثم جاءت الخطوة التالية وهي ضير هذه الهورمونات كيماويا في المختبرات فأفلحوا في سول على بعضها بهذه الطريقة ، وعلى رأسها رمون الأدرينالين

ومن الطريف أن نقارن بين الهورمونات والفيتامينات فكلاهما رغم اختلاف الطبيعة والمصدر يؤثر في صحة الجسم وسلامته ، وانخفاض نسبتها وارتفاعها مدعاة للمرض · ولايحتاج الجسم الا الى كميات قليلة معقولة من كليهما · وكلاهما يلعب دورا ملحوظا في تمثيل الغذاء ونمو الجسم والحيوية الجنسية

وهناك وجه مقارنة بين المجموعة الهورمونية والجهاز العصبي فمع أن الأولى متباعدة ولا وسيلة اتصال تشريحي بينها فانها تحت امرة الغدة النخامية التي تسيطر على كل حركاتها وسكناتها على نحو ما يفعل المخ في سيطرته على الجملة العصبية ولو أن الاتصال التشريحي والفيسيولوجي أكثر وضوحا وجلاء في الحالة الأخيرة مما هي في الأولى

وأخيرا فان للهورمونات فضلها في التمثيل الغذائي فهناك هورمون التمثيل الدهني الذى يفرزه الفص الأمامي للغدة النخامية وهورمونات التمثيل النشوي من المصدر ذاته وهورمون اعادة النشا الحيواني المختزن في الكبد الى سكر في حالة نقص كميته في الدم أي أنه يعمل عكس الانسولين متعاونا معه تعاونا متوازنا ، فاية قصة عجيبة هي قصة الهورمونات هذه ! ■■

اكسفورد ـ د صبيحة الدباغ
الطبيبة الباحثة في مستشفيات جامعة اكسفورد

■ انا اعرف ما اريد لأنني رجل فقير !

« ادجار الان بو »

■ اسوأ انواع الظلم هو الادعاء بأن هناك عدلا !

« افلاطون »

■ لن نفهم انفسنا ، الا عندما نجد انفسنا في ضياع !

« هنري دافيد تورو »

■ العمل اللا اخلاقي لا يمكن ان يكون عملا سياسيا صائبا !

« وليام جلادستون »

مسرح الحكواتي

وأزمة المسرح العربي

بقلم : سعد أردش

عرصت فرقة « مسرح الحكواتي » اللبنانية مسرحيتها « من حكايات ١٩٣٦ » ، في الكويت حلال شهر يناير (كانون الثاني) الماضي وقبل ذلك نشرت مجلة « البيان » التي تصدرها رابطة الادباء بالكويت في عدد اكتوبر ١٩٧٩ بيانين احدهما أصدره اعضاء فرقة مسرح الحكواتي اللبنانية في مايو ١٩٧٩ ، والثاني اصدره اعضاء المسرح الاحتفالي بالمغرب ، ثم دعت نفس المجلة الى ندوة لدراسة البيانين برابطة الادباء ، ونشرت محاورات الندوة فيما بعد

وهناك هدف رئيسي واحد يجمع بين الفرقتين ، ويفرض نفسه على البيانين ، بالرغم من ان احدى الفرقتين تتحرك في ارض المشرق العربي والثانية في ارض المغرب العربي هذا الهدف هو محاولة كسر السكون الذي يسيطر على المسرح العربي منذ أوائل السبعينات ، باستنباط اشكال ومحتويات جديدة تغير نوعية العلاقة مع الانتاج المسرحي ومع الجمهور ولا شك ان وحدة الهدف وان اختلف البيانان في بعض التفاصيل ـ تؤكد وحدة الهموم في المسرح العربي ، وفي الثقافة العربية ولن يتسع المجال هنا لعرض البيانين او لمناقشتهما وتحليلهما ، ولكننا سنعرض للخطوط الرئيسـ[ية] في بيان مسرح الحكواتي من خلال التعليق على عرض « حكايات ١٩٣٦ » ، تقول الفرقة في كتيب العرض ان هذا العمل « انطلق من قصة واقعية شعبية حر[ت] احداثها في منطقة بنت جبيل (لبنان) سنة ١٩٣٦ عندما هاجمت الجماهير سراي بنت جبيل للافراج عن [...] الوطنيين الذين اعتقلتهم سلطات الانتداب الفرنسـ[ي في] الوقت الذي كانت تجري فيه اضخم واعنف الانتفـ[اضات] الشعبية المسلحة التي شملت انحاء سوريا وفلـ[سطين] ولبنان ، ضد واقع التجزئة وسياسة الاستعمار الـ[...]

علم المستعمر مرفوع وهم حوله

والبريطاني ، والصهيونية ، وقد تم تجميع وتنسيق واختيار مواد المسرحية من وثائق ومراجع ، واحاديث محكية من اشخاص عايشوا احداث ٣٦ ، او انتقلت معرفتها اليهم ومعالجتنا للموضوع لم تكن من وجهة نظر تحليلية او تاريخية حديثة ، بل من زاوية معاناة الفئات الشعبية واشكال مقاومتها اذن لم يكن الهدف من التعاطي مع احداث ٣٦ هو سرد الاحداث بحد ذاتها ، بل تقديم صور عن تعاعل الجماهير معها »

مادة العرض اذن هي الحكايات التي جمعها اعضاء الفرقة ـ أو استمعوا الى رواياتها ـ عن مواقف الفئات الشعبية (الفلاحين والعمال والرعاة) في مواجهة الاستعمار والصهيونية ، وفي مواجهة مخططاتها لتمزيق الوطن العربي ـ على الاقل في الاطار الجغرافي للشام ، التي كانت تضم سوريا ولبنان وفلسطين ـ وتجزئته الى دويلات متنازعة ، بهدف تحقيق حلم صهيوني من ناحية استمرار سيطرة الاستعمار بكل اشكاله على الامة العربية من ناحية اخرى وهذه المادة تطرح سؤالين لماذا حكايات ١٩٣٦ ؟ـ ولماذا الفئات الشعبية بالذات ؟؛

بين الناس و « الأفندية »

بالنسبة للسؤال الاول ، فان الواضح من العرض أن الفرقة لجأت الى احداث ١٩٣٦ ، لا لمجرد التسجيل التاريخي ، بل لتضع المتفرج ، وضمير المتفرج ، امام تناقض رئيسي بين الممارسات السياسية في مواجهة الاستعمار والصهيونية في ١٩٣٦ وفي نهاية العقد الثامن من القرن العشرين ، وبوجه خاص فيما بعد اشتعال الحرب الاهلية في لبنان شتان ما بين الموقفين ، ففي ١٩٣٦ كانت المبادرة بيد الجماهير الشعبية ، بينما المبادرة في السبعينات بيد الساسة المحترفين والعسكريين في ١٩٣٦ كان هناك تناقض مبدئي بين الفئات الشعبية من ناحية ، « والافندية » المتعلمين ـ او المثقفين ـ من ناحية اخرى ، وقد حسم التناقض لحساب « الافندية » وفي السبعينات تم ابعاد الفئات الشعبية عن ميدان المعركة ،

وتحولت المعركة الى مساومة بين « الافندية » محترفي السياسة والعسكرية من ناحية ، والاستعمار والصهيونية من ناحية اخرى

وبالنسبة للسؤال الثاني فان القضية المطروحة هي لماذا انتقلت المبادرة في السبعينات ـ وهي مرحلة من أشق المراحل وأخطرها في تاريخ الامة العربية ـ من الفئات الشعبية الى محترفي السلطة ؟ هل المعركة القائمة في الارض العربية هي معركة « السلطة » ام معركة الشعب العربي ولا شك ان في طرح القضية ـ وهي واضحة المعالم من حسن الحظ ـ بهذا المنطق الموضوعي ، استمرارا للفئات الشعبية لكي تنتزع المبادرة مرة اخرى من السلطة التي تنتظم المنتفعين والمتسلقين على حساب الشعب وعلى حساب القضية الوطنية ولكن كيف تستعيد السلطة الشعبية قدراتها على الوقوف في وجه الاستعمار ، وفي وجه الصهيونية ، وفي وجه السلطة المتسلقة التي اثبتت استعدادها للتضحية بكل القيم والاقتناعات الوطنية والقومية في سبيل المكاسب الشخصية ؟!!

لقد فقدت الفئات الشعبية مؤقتا ـ امام التطورات السريعة المتلاحقة ، لغة التفاهم بينها حول القضايا المصيرية ، سواء في هذا اللغة بمعنى الكلمة المنطوقة ، او بمعنى السلوك والتصدي في مواجهة التحديات ، وفي مواجهة هذا الموقف السلبي من الجماهير العربية فلقد تولت الفئة الحاكمة والمتنفعون المحيطون بها سلطة

المخرج روجيه عساف يتولى ادارة الموسيقى والمؤثرات الصوتية من الصالة

الكلمة والحركة بالنيابة عن الجماهير فالقضية التي تواجه الفرقة اذن هي كيف تستعيد الجماهير ... قدرتها على الحوار في مواجهة الظروف التي تواجهها سياسيا واقتصاديا ، داخليا وخارجيا ... وصولا الى استعادة المبادرة من ايدي السلطة وحو... في الداخل والخارج ؟ !

ولا شك ان في حكايات ١٩٣٦ تذكرة للجماهير ، مؤيدة بالمستندات التاريخية الدقيقة ، بانها كانت صاحبة الكلمة الفعلية في غمار تلك الاحداث التي قررت مصير الامة العربية وان كان « الافندية » قد تآمروا ضد الجماهير ـ ومع الاستعمار والصهيونية ، من اجل تحقيق مصالح ذاتية زائلة اما وقد افلس منطق « الافندية » ، فقد آن للجماهير أن تسترد سلطتها وكلمتها وقدرتها على التصرف المباشر في مواجهة الاحداث الجسام ، مستعملة كل الاسلحة المتاحة ، ومن بينها « المسرح »

« لا نرفع ستاراً »

« مسرح الحكواتي » اذن ليس مسرحا بالمعنى الذي يجري العمل به في الارض العربية والذي يقوم على الاسس المستوردة من اوروبا ليس هناك نص كتبه مؤلف ، وليس هناك مخرج تسلم النص من المؤلف او من المنتج الخاص او العام وتدارسه مع الممثلين والتشكيليين وغيرهم قبل ان يقدم للجمهور عرضا مسرحيا متكاملا والعرض المسرحي لم يعد ليعرض في دار مسرحية محددة ذات معمار خاص وليس سلعة تجارية يحصل عليها المتفرج مقابل ثمن التذكرة ليستهلكها كيفما شاء انه مسرح « مفترض فيه » انه نابع من الجماهير ، وانه يطرح حوارا بين الجماهير والممثلين الذين « يفترض فيهم » أنهم افراد من الجماهير ، ولذلك فانه ليس لعرض الحكواتي بداية محددة ، او موعد محدد يرفع فيه الستار ولهذا السبب فان الفرقة قد استغربت عبارة « يرفع الستار الساعة الثامنة والنصف مساء » التي طبعت على رقاع الدعوة بالكويت

قال لي روجيه عساف المخرج اللبناني المعروف ... اعضاء الفرقة انا لا نرفع ستارا ، وليس لنا موعد محدد

الممثلون في القاعة مع الجمهور

ا فيه العرض ان لقاءنا بالجمهور قد بدأ بالفعل منذ
عة تقريبا وكانت الساعة قد جاوزت الثامنة
يل ظرت في صالة المسرح فاذا بمجموعة من
بيان والفتيات يدورون بالصالة ويختلطون
ماهير ، يثرثرون ويغنون ويرقصون ويعزفون على
لات الشعبية وفهمت أن هؤلاء الفتيات والفتيان
ـو الا ممثلي الفرقة ، وانهم انما يستقبلون الجمهور ـ
ـوف ويعقدون معهم اواصر صداقة تكون اساسا
سهرة المشتركة التي سيتجاذبون فيها الحديث حول
حكايات ١٩٣٦ » وهذه الحكايات هي حكايات
لولة ابناء الشعب العربي إلا من وطنيتهم وقوميتهم
بعصهم الدائم للاستعمار والصهيونية وأدواتها ، وهي
كايات تكررت في انحاء الارض العربية منذ منتصف
قرن الماضي وحتى ما بعد منتصف القرن العشرين
كانت النتيجة الحتمية للصراع خروج الاستعمار
لاجنبي واستقلال الارض العربية تحت حكام وطنيين ،
ان كان الاستعمار العسكري قد حل محله استعمار
سياسي وثقافي وتبعية حضارية ، بسبب التجزئة التي
حلت بالوطن العربي ، وان كان حلم صهيون قد تحقق
بقيام اسرائيل على الارض الفلسطينية بشكل تآمري
تورطت فيه بعض الانظمة العربية

حكايات ٣٦ اذن لا يحكيها مسرح الحكواتي لمجرد
التسجيل ، ولكن لانها ستحرر الجماهير يقينا على عقد
المقارنة العقلانية بين واقع ذلك الصراع الطويل الذي
اصبح تاريخا ، والواقع الذي تطرحه العقود الثلاثة
الاخيرة من القرن العشرين ، وبوجه خاص منذ ١٩٧٧

والعرض يطرح من خلال اهداف الفرقة الموضحة في
بيانها نوعية العلاقة مع الجمهور ، ونوعية العلاقة مع
الانتاج المسرحي بقصد واضح وثابت هو « احداث تغيير
جذري ... بنية المسرح السائد (في الارض العربية)
كمسرح غربي وقمعي في جوهره تغيير نوعية العلاقة
مع الانتاج المسرحي

المسرح الفقير

... عمل الفرقة يقوم على هدف اساسي هو رفض
« المسرح السائد » واستنباط « المسرح البديل » ـ وهو
في عرف الفرقة « مسرح الحكواتي » والفرقة تتكون
من عناصر وافدة من مناطق مختلفة ومن طوائف مختلفة
من لبنان ، والخصوصية الأساسية في أعضاء الفرقة انهم
ينتمون جميعا الى أصول شعبية ، مما يعتبر اساسا قويا
وعضويا في العلاقة مع الجماهير ورأس المال قضية
غير مطروحة ، ويبدو ان الفرقة تعتمد على التمويل
الجماعي لافرادها مما يذكرنا بتجربة « المسرح الحر » في
التاريخ القريب المصري

ولا شك ان هذا الاتجاه الاقتصادي يفرض
بالضرورة منهج « المسرح الفقير » في الانتاج ، حيث
المسرح عار ـ بلا ديكور ولا اعدادات شكلية ـ وحيث
تستخدم ادوات بسيطة وغير مكلفة ، وملابس موحية
ورخيصة ، ان الوحدة الاساسية في المسرح الفقير هي
الممثل دون أية اضافات

اما العرض المسرحي ـ ابتداء من النص ، الى
صياغة أداء الممثل صوتا وحركة ، الى اختيار وتقرير
المهمات المسرحية وصياغة الجو العام ، اضاءة

سيقي . الخ ، فكل هذا يتم تقريره من خلال
عمل الجمعي او الجماعي » فالفرقة هي الباحث ، وهي
ب ، وهي المخرج ومنهج « العمل الجمعي » ، لا
بعد بالضرورة التدخل الفردي ، وبوجه خاص في
مل تقرير العناصر المختلفة

ففي التأليف مثلا يمكن أن تكون الفكرة
مجموعة ـ كما يمكن ان تكون مستمدة من حكايات
واديت الناس ـ سواء كان هؤلاء الرواة شهود عيان
حداث او ناقلين لها ثم يعهد بها بعد المناقشة وبعد
يام المجموعة في اثرائها وفي جلاء تفاصيلها الى واحد
اعضاء الفرقة واصدقائها لكتابتها في شكل نص قد
ون ثابتا ، وقد تتناوله التغيرات والتعديلات خلال
مل

وفي الاخراج كذلك فان المجموعة تطرح تصوراتها
ريا وتطبيقيا ثم يتدخل واحد من الأعضاء ، وهو هنا
حية عساف المخرج اللبناني الذي تخرج في فرنسا
اص تجارب مثرية في المسرح اللبناني المعاصر من
يها تأسيس « فرقة محترف بيروت للمسرح » في
١٩٦ ، فيضع اللمسات الاخيرة للخطة المسرحية ،
تار لها الموسيقي والاضاءة ، وبوجه عام يحقق للعرض
سرحي وحدة الاسلوب

ونوعية العلاقة مع الجمهور

ويحاول مسرح الحكواتي في هذا السبيل ان يجد نمطا
يدا للعلاقة تكون رؤية المشاهدين للوطن فيه رؤية
فاعلة «تتيح لهم امكانية المشاركة المجدية في الممارسة
سرحية وتشكل هذه الرؤية الفاعلة (بالتناقض مع
ؤية السكونية) موقعا تمارس فيه حاجات ورغبات
جمهور ، بحيث يفرز تدريجيا لغته المسرحية الخاصة ،
ر تحديد عناصر تكوين هذه اللغة وكيفية استخدامها
تترض الفرقة كما تسجل في بيانها ان هذه العلاقة
باشرة ـ الفاعلة ـ مع الجمهور « تبدأ منذ المراحل
ولى لاعداد العرض اختيار الموضوع ، الكتابة ،
عداد ، العروض ، وعلى جميع المستويات الفطرية
فنية والاقتصادية »

ويتصمن هذا النمط من العلاقة « التوجه ... مدى
الى الجمهور ، اى الى الفئات الشعبية في ... ساكن
توحداها ، بالتعاون مع الهيئات المتواحدة في ... وساط
الشعبية » الاندية الفروع الحزبية ، الجمعيات
المحلية »

كما يتضمن ايضا كسر الايهام المسرحي عن طريق
استخدام وتطوير اسلوب « الحكواتي » حيث يتقدم
الممثل للجمهور كواحد منه ، يحكي ويمثل ، ويغني
ويرقص ، ويعزف ، ويعرض اكثر من شخصية في
العرض الواحد بل في الحدث الواحد ما يسميه برتولد
بحت عنصر التعريب او التبعيد ، ولقد يترتب على كل
هذا ان يستجيب الجمهور الى هذه الدعوة النظرية
للمشاركة فيشارك بالفعل ـ خلال العرض بالتداخلات
في الحوار ، وبعد العرض بالرقص الاحتفالي على خشبة
المسرح ـ او في الفراغ المسرحي ايا كان ، كما حدث في
الليلة الاخيرة لعرض الحكواتي بمسرح عبد العزيز
السعود في الكويت ، حيث صعد الى خشبة المسرح
عشرات من المواطنين السوريين واللبنانيين
والفلسطينيين ، رجالا ونساء ، رجالا ونساء ، ورقصوا
دبكة استغرقت حوالي ثلاثة ارباع الساعة ، كانت خير
نهاية للعرض ، هذه الدبكة تعتبر نوعا من المشاركة ،
استجابة لعملية الاستفزاز والتحريض الناتجة من
العرض المسرحي بكل مكوناته ، وهي تعني في النهاية
نوعا من انواع الاتفاق الفكرى والحركى مع الكلمة التي
تطرحها الفرقة

المسرح الشعبى . عربيا

وليست هذه النوعية من المسرح جديدة على تاريخ
المسرح العربي في النهاية ، ذلك ان « المسرح الشعبي »
في انحاء الارض العربية كان دائما يقوم على العناصر
الاساسية التي يقوم عليها « مسرح الحكواتي » والتي
يدعو اليها بيان « المسرح الاحتفالي » المغربي ...
السامر في مصر (وقد دعا اليه يوسف ادريس في ١٣
وأبدع « الفرافير » على نسقه في ١٩٦٤ ، ثم ابدع محمد
دياب على نسقه « الزوبعة » « وليالي الحصاد »
اواخر الستينات ، ومسرح الحكواتي في سوريا (وقد

الامدي الدعاحوحى المتطلع للسلطه

سعد الله ونوس في سوريا وابدع على نسقه « حفلة لىلة ٥ حريران » في ١٩٦٧) ، ومسرح السباط في ب ، ومسرح القراقوز في الجزائر (وقد احيا كلا ا الطيب الصديقي وعبد الرحمن ولد كاكي في اكثر عمل) ، وكدلك التحارب الحديثة في اطار التأليف مي التي قادها في الحرائر مؤخرا كاتب يس وعبد ر علولة ، وفي توىس المنصف السويسي ، ومسرح سوة الدى صاغه ناحي حورج ومحمد فاضل في ر كل هده وعيرها محاولات جادة ومخلصة استهدفت رحة الاولى استبدال مسرح شعبي نابع من وحدان اهير العربية ، بمسرح غربي وقمعي اصبح هو الآحر بادرا رعم محدودية جدواه

ولكن ىبقى مع ذلك لفرقة مسرح الحكواتي فضلان ما واحد ا الاصرار على مواصلة الانتاج المسرحي ، ل عن السلطة ايا كانت ـ بوجه خاص عن سلطة ـ المال بقصد التغيير ومصادرة الواقع المر الذى ىشه لـ ، من خلال التواصل مع الجماهير وتعبئتها

ودلك بالرعم من كل الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التي يعيشها لبنان مىد ١٩٧٧

وثاني الفصلين ان الفرقة تجمع في كلمة واحدة عدة طوائف ، وان كانت موحدة الفكر سياسيا

مجهود مسرح الحكواتي من هده الناحية يستحق كل تقدير وكل ثناء ، ويجعلنا نتمني لشباب المسرح العربي في كل وطن عربي ان يجد لنفسه طريقا لمواصلة الكفاح ، وان يحقق من النجاح ما حققه مسرح الحكواتي ولقد استمتع جمهور المسرح في الكويت بالعرض ، واصابته الدهشة ، احيانا لجدة ما يرى ، وان كان اختلاف اللهجة قد سبب احيانا شيئا من الغموض

عن الواقع المطروح

ويبقي بعد هذا العرض للتجربة ان نناقش بعض جوانبها على المستويين الفكرى والفني ، وربما كان المستوى الفكرى أولى بالرعاية ، على أساس أن

مشروعية وجود الفرقة وكفاحها انما هو في الواقع ، وكما ذكر البيان ، السعي الى ايجاد مسرح يحل محل « المسرح الغربي القمعي » . منطلق الفرقة اذن فكري بالدرجة الاولى ، وليس شكل الحكواتي الا وسيلة لتحقيق الهدف الفكري والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، وقد طرح نفسه في كثير من اللقاءات مع الفرقة هل حكايات ١٩٣٦ كافية بحد ذاتها لمواجهة الاوضاع الشاذة التي يواجهها لبنان ، والتي تواجهها الارض العربية والامة العربية ، وواقعها ومستقبلها الحضاري ؟ قد نتقبل هذا من مسرح سلطوي ـ او غربي قمعي كما تقول الفرقة ولكننا لا نكتفي بهذا القدر من الحكايات ، ايا ما كان قياس الحاضر على هذه الحكايات ، من فرقة شابة تؤسس وجودها على رفض المسرح القائم

لقد كنا نترقب كلمة الحكواتي في الواقع المطروح ، وبخاصة في موقف الفئات الشعبية التي فقدت القدرة على الحركة وعلى التصدي ، بعد ان استأثرت السلطات بمختلف اشكالها بالموقف كله ايجابا وسلبا ماذا على هذه الفئات الشعبية ان تفعل في مواجهة الاحداث الجارية ، ومع تقدير المعطيات المطروحة للموقف ؟ هل تتشبه بالسلف فتحارب الاستعمار والصهيونية بالحجارة ؟ ؟ هل تقتحم السجون للافراج عن الزعماء من الافندية ؟

ثم ما هي الاسباب الحقيقية التي أدت الى عجز الفئات الشعبية عن التصدي الكامل للاحداث ، كما كان يفعل السلف منذ العشرينيات وحتى الخمسينيات ؟ لو ان الفرقة طرحت هذه الاسباب وهي دون شك اسباب جوهرية يمكن لرجل الشارع ان يكشف عنها ، لكانت كلمتها اكثر اكتمالا ، وادعى الى استفزاز الجماهير الى مزيد من الوعي والى مشاركة ايجابية في البحث عن موقف اكثر ايجابية في توجيه حياتها ومستقبلها ، ولا شك ان المشاركة في هذه الحالة ستكون اكثر جدوى« وفعالية » من مجرد المشاركة بالرقص في نهاية العرض

واذا سلمنا بأن الجرعة الفكرية التي ها العرض ضئيلة ومحدودة الفعالية ، بالنسبة للطموح ـ الفكرية التي يطرحها بيان مسرح الحكواتي ،[1] و قد نصل في النهاية الى ان الفرقة قد قصرت جهدها ز الحقيقة على ادخال بعض التعديلات في شكل العرض المسرحي ، وبوجه خاص فيما يتصل بالعلاقة العضوية بين الممثلين والجمهور ، وهي في النهاية موضع مناقشة لانها لم تصل الى مستوى العلاقة الفكرية ولانها تبقى دائما علاقة شكلية لا يؤثر حذفها على العرض المسرحي بخير او شر اما فيما يتصل باتجاه المسرح العادى او المسرح الفقير فانه لا يضيف اى بعد جديد للتجربة لانه الاصل في المسرح

ويبقى بعد ذلك ما لوحظ في العرض من تناقض بين الرغبة في التنوير ومخاطبة العقل من خلال شكل الحكواتي ومن خلال البعد القائم دائما بين الممثل والشخصية ، وبين اتباع اساليب التخدير والابهار ، وبوجه خاص في استعمال الاضاءة والموسيقى والشرائح المضيئة والافلام السينمائية وكثير غير ذلك من الوسائل بقصد المواقف الدرامية وتوصلا الى ابهار الجماهير كذلك الصخب الناتج من اللجوء الى كثير من وسائل التعبير في وقت واحد ، ومن كثرة الصوت الزاعق والحركة الزاعقة الامر الذى حرمنا كثيرا من التركيز الذهني ، ومن استقبال الكلمة بعقولنا

مرحبا بمسرح الحكواتي ، وبالمسرح الاحتفالى الذى لم يقدم لنا تطبيقاته بعد ، ومرحبا بالارتجال ، وبالتأليف الجمعي ، شريطة ان يهجر عيوب المسرح السائد ، وان يدفع الجماهير او يندفع معها خطوة الى الامام وعلى اى حال فمرحبا بكل التجارب الشابة في المسرح العربي بقصد كسر السكونية والتغلب على ازمة المسرح والثقافة و على أن أسعى وليس على ادراك المنال ■■

سعد أردش

---

(١) تفتتح الفرقة بيانها بالعبارات الاتية « تشكلت فرقة مسرح الحكواتي ، واجتمعت عناصرها وغير الثابتة ـ يحدوها دافع مشترك الحاجة الى التعبير عبر المسرح رافق هذه الحاجة وعي لعدم امكانية تحقيقها عن طر السائد ، ومرد ذلك بالدرجة الاولى الى التناقض المتأصل بين تركيبة المسرح السائد ، وبين ما تتطلبه تلبية تلك الـ

اعداد : يوسف زعبلاوى

تزايد المعمرين فى العـالـم

١٩٦ - ١٩٨	الدول المتقدمة	الدول النامية
سن المدرسة	١,٥٪	٣٨,٥٪
سن العمل	١,٩٪	٣٨,٧٪
ما فوق ٦٥ سنة	٢٣,٧٪	٣٨,٢٪
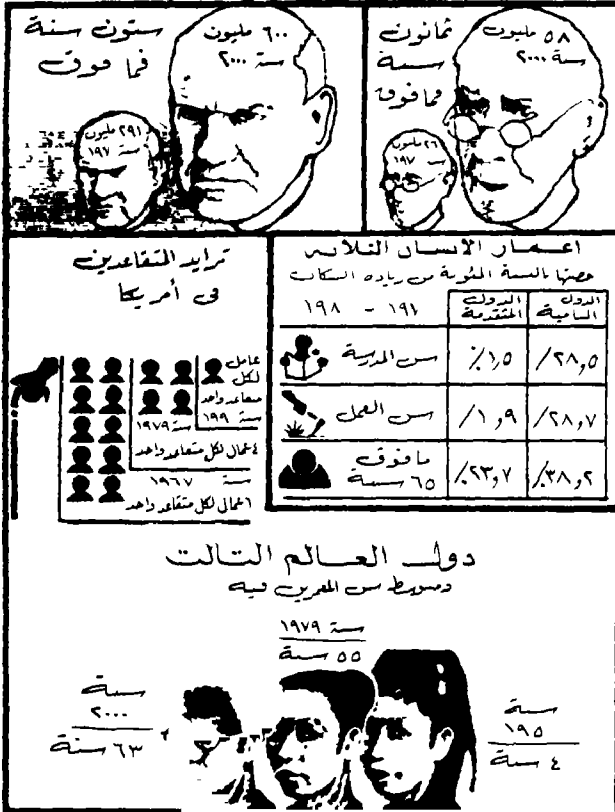
ـمرون في تزايد

ـدرت احـدى اللجـان
عن المنظمة الدولية ..
ـطة السكان ، على وجه
. اصدرت تقريرا هاما
ـ من طرافة ويؤكد هذا
ـر . كما تبـين الرسـوم
ـية المرافقة ان عدد المسنين
ـ الستين عامـا او يزيد
ـعف في غضون العشرين
ـادمة حتى يبلغ ضعفي
ـ في سنة ١٩٧٠ وستكون
ـادتهم هذه ٥٠٪ في الدول
ـ و١٥٠٪ في الـدول

ـ مثل ذلك في المسنين في
ـثمانين عامـا او يزيد
ـعف عددهم ضعفـين هم
ـ أما الأسباب فمردها الى
ـالذي احرزه الانسان في
ـالصحة العامة والوقاية من
ـض اولا والى الـزيادة في
ـالحياة المرفهة ثانيا اضف
ـك ما ترتـب على تلك
ـر من تحـديد للنسـل
ـ عدد المواليد ووقوف
ـاسي عند حد ومما يذكر
ـ النمو توقف تماما او كاد

في احدى عشرة دولة من الدول الغنية المتقدمة

اما النتائج التي ستترتب على زيادة عدد المسنين فخطيرة وعديدة أبرزها النتائج الاقتصادية المتصلة بالاجور والمرتبات ذلك ان النسبة بين العمال والموظفين العاملين الذين لم يبلغوا سن التقاعد وبين أقرانهم المتقاعدين ستمثل لصالح هؤلاء الذين أحيلوا على المعاش . . فبينما كانت هذه النسبة في امريكا وفي شركة جنرال فولارز بالتحديد ١ ١٠ اى واحد من العمال العاملين مقابل عشرة من المتقاعدين سنة ١٩٦٧ اصبحت ١ . ٤ في سنة ١٩٧٩ الحالية وستصبح في ١ : ١ في سنة ١٩٩٠

الشفـــاء من السرطـــان بات قريب المنال

● نشرت مجلة لانست lancet المعروفة مقالا عــن الانترفرون Interferon والتجارب التي تجرى له حاليا في بلاد السويد . وقد لا يمضي زمن طويل حتى تثبت تلك التجارب فاعلية الانترفرون ، لا في شفاء الاورام الخبيثة فحسب ، ولــكن في معالجــة الامــراض الفيروسية ايضا

واول ما يذكر عن الانترفرون انه يوجد في انسجة الاجسام الحية بمقادير ضئيلة للغاية وقد امكن عزله واكتشاف آثاره العلاجية في لندن قبل اكثر من ٢٠ عامــا سنة ١٩٥٧ على وجه التحديد

وتناولــه العلماء بالبحــث والتجارب المخبرية في الستينــات وما كادت تلك التجارب تثبت لهم فاعلياته التي ذكرنا حتى بات من الضروري الحاقها بتجارب عملية وتطبيقية واسعة النطاق ولكن ندرة الانترفــرون وعــدم توفــره بالمقادير التي تتطلبهــا مثــل هذه التجــارب ادى بالعلماء الى صرف النظر عنــه وعن تجاربــه ، ولــو مؤقتا

وانبعــث الامــل من جديد في اعقاب التقدم الذي احرزه العلماء في ابحــاث الهندســة الــوراثية في المدة الاخــيرة اذ اصبــح في الامكان انتاج الانترفرون بأكلاف قليلة وبكميات كبيرة نسبيا وذلك عن طريق عزل الخــلايا التــي تنتــج الانترفــرون بصــورة طبيعية والعمــل على تنشيط انتاجهــا وقــد اصبحــت هذه الامكانيات قريبة المنال بحيث ان ان مصانــع الادوية في الغــرب احدث تمول سخــاء الابحــاث والتجارب المتصلة بها وقد لا تمضي سنة او سنتان حتى يصبــح في الامــكان انتــاج الانترفــرون بكميات كبــيرة جدا قد تبلــغ بضع غرامات في السنة

وتجدر الاشارة الى ان كميات الانترفــرون التــي يمــكن توفيرهــا حاليا لا تزيد على ½ غــرام سنويا ويتم انتاجها او تكريرها في جامعة هلسنكي بفنلندة اما المقادير التي تقتضيهــا الاغــراض العلاجية فلا تزيد على جزء واحد من مائة من الغرام الواحد في حالة الاورام الخبيثــة وتبلــغ ١/٧ من الغرام الواحد في حالة الالتهابات الفيروسية

وتجدر الاشــارة ايضــا الى ان التجارب التي تجرى في الســويد حاليا انمــا تجــرى على اســاس ما تنتجــه جارتهــا فنلنــدة من الانترفــرون ، بل قل نصيب الســويد منــه وتشمــل هذه التجارب فيما تشمل معالجة بعض حالات اللــوكيميا بالانترفــرون ، وقد كانت النتائج مشجعة للغاية ، وتبشر بمستقبــل زاهــر للعقــار الجديد

الضجة سـ[illegible] من اسباب ا[illegible]ت

● الضجة تسـ[illegible] الطرش ، كما يعلم الكثيرون وقد تسـ[illegible] ايضــا الانهيارات العصبيــة وحــالات التوتر وقرحــة المعــدة وكذلــك بعــض العاهــات الــوراثية ولــكن الضجــة قد تؤدي ، فوق ذلك كلــه ، الى الموت وهــذا ما لايعرفــه الكثيرون ومــا اثبتت حقيقتــه دراســة جديدة اجراهــا العالــم المتخصص وليم ميتشـام W Meecham

وقــد شملــت هذه الدراســه جماعتــين ، يبلــغ مجمــوعهما ٨٠٠٠٠ نسمــة ، تعيش احداهما على بعــد ٣ اميال في مطــار لوس انجلس وتعيش الاخرى بعد ٦ اميال من ذلك المطار الا ان الفئتين متماثلتان من حيث السـ[illegible] والدخل والتوازن العرقي فضلا عن العدد

وكشفــت الدراســة عن ان الوفيات التي سببها ضجيج المطار في الجماعة الاولى زادت ١٩٪ عن الوفيات التي سببهــا في الجماعــة الثانية وكشفت ايضا عن زيادة في حوادث النوبــات القلبيه في الجماعــة الاولى بلغــت ٤٪ ، وزيادة اخرى في حالا[illegible] تشمّع الكبد بلغت ١٤٠٪

وهذه الآفات الأخ[illegible] سببها الضجّة على نحو مـ[illegible] ايما الذي يسببها هو التوتر [illegible]

COUNTER COUP

KERMIT ROOSEVELT

ثيقه تدين المخابرات الامريكية فى ايران
ودة الشاه بعد ثورة مصدق يروى القصة

من المصادفات العربية ان يصدر هذا الكتاب الهام قبل حادث احتلال السفارة الامريكية في طهران ، الامر الذي ادى الى سحب الكتاب من السوق في امريكا ، لاول مرة ذلك انه يذيع الدور الذي قامت به المخابرات المركزية الامريكية في قلب حكومة « مصدق » الوطنية واعادة الشاه الى الحكم سنة ١٩٥٣

وترجع اهمية الكتاب الى ان مؤلفه هو نفسه قائد هذا « الانقلاب المضاد » فكل ما يرويه انما فعله او رآه او سمعه بنفسه . ومن ثم نعتبر في نظر المؤرخين « وثيقة » اصلية من الدرجة الاولى

لنقرأ ما يرويه كيرميت روزفلت

كيرميت روزفلت

والمؤلف كيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الامريكي الخامس والعشرين تيودور روزفلت (١٨٥٨ ـ ١٩١٩) ، وهو غير الرئيس فرانكلين روزفلت الذي عاصر الحرب العالمية الثانية

٢٥ يونيو ١٩٥٣ في ذلك اليوم كان سيتقرر مصير عملنا في ايران كنت احمل معي مشروعا من ٢٢ ورقة تشرح تفصيلات الخطة التي وضع البريطانيون مسودتها ، وقمت أنا بتنقيحها وكان « حاكس » هو الاسم السري للعملية التي سيتحالف على تنفيذها كل من شاه ايران ، ووستون تشرشل وانتوني ايدن ، وغيرهما من ممثلي بريطانيا مع الرئيس ايزنهاور ، وجون فوستر دالاس والمخابرات المركزية الامريكية

لقد حاول الدكتور مصدق عزل الشاه وشغل مكانه ، وتحالف مع الاتحاد السوفييتي لتحقيق هذا الهدف ، كان عمر ذلك الرجل القوي سنة ١٩٥٣ يتراوح بين الثالثة والسبعين والثمانين وكان يُعتقد انه هو صاحب تلك الخطة ، في حين كان الكثيرون يعتقدون ان السوفييت وراءها ، خصوصا مع ازدياد نفوذ حزب « تودة » الشيوعي خلال الأشهر الاخيرة

وادراك هذه الحقيقة الاخيرة هو الذي وحد بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وعناصر رئيسية في ايران ، كنت واثقا انها تشمل الشاه والجانب الاكبر من القوات المسلحة والشعب

وكانت شركة البترول البريطانية ـ الايرانية هي اول من اقترح خطة « حاكس » بعد طردها من ايران منذ تسعة اشهر بعد أن فشلت كل المحاولات لاقناع مصدق بالعدول عن تأميمها وكان دافعها ببساطة هو الرغبة في استعادة احتكارها للبترول الايراني ، اما نحن فكان مصدر اهتمامنا هو خطر السيطرة الروسية

اتجهت أولا الى مقر رئاسة وكالة المخابرات المركزية ، وهناك قابلت مديرها الن ولش دالاس ومن هناك اتجهنا معا الى مكتب شقيقه جون فوستر دالاس بوزارة الخارجية

كان وزير الخارجية جالسا خلف مكتبه منهمكا مشغولا بالحديث في تليفونين في وقت واحد ، وامامه مائدة طويلة تجلس اليها مجموعة من كبار المسئولين في وزارة الخارجية ، وتشارلز ويلسون وزير الدفاع ، وأحد ... العسكريين

...ت قد اعددت المشروع بقدر كبير من العناية فلم ...محادثاتي مع البريطانيين ، بل عقدت عدة ... مع اربعة من اهم رجالنا في الشرق الاوسط لم ... دور في تنفيذ العملية ، ولكن في حالة الموافقة ... يسهمون في نجاحها ، لانهم سبق لهم العمل ... طويلة في ايران ، وكان احدهم هو رجلي الاول في ... وان كان عليه ان يبتعد عنها قبل بدء العملية

اسرائيل « والسافاك »

...يرا انتهى فوستر دالاس من محادثاته التليفونية ، ... الى رأس مائدة الاجتماع وامسك بالاوراق ... امامه ، ونظر الى الحاضرين بلا مبالاة وهو

...هذه اذن هي الطريقة التي ستتخلص بها من ذلك ... مصدق »

...دا يقرأ الاوراق بسرعة ، وبين الحين والآخر كان ...سؤالا لشقيقه الين ، وكان في معظم الاحوال سحنة ...ـه ، فيحول السؤال الى في الاعلى ، وأجيب عليه ...لمات ممكنة ، اذ كان كل هدفي هو اقرار المشروع ... ما يمكن ، لاغادر المكتب على الفور

...كان الجزء الخاص بالقوات المسلحة الايرانية من ...قد روجع بعناية فائقة في البنتاجون (وزارة ... الامريكية) وقوبل بحماس وترحيب كبيرين ، ...صحين في تأييد وزير الدفاع للعملية في الاجتماع

...نت انا وألين ندرك بطبيعة الحال أن معظم ...ين يؤيدون اسرائيل بقوة ، لذلك فقد كان من ... التي حرصنا على تأكيدها مرارا ان ايران ليست ...رية وان علاقتها باسرائيل وثيقة وان لم تكن ... وقد قويت تلك العلاقات خلال السنوات ... اسهم بعض الاصدقاء الاسرائيليين ... وكالة المخابرات المركزية في تنظيم جهاز ...راني ، وقد قرر وليام كولبي ، مدير وكالة ...كزية السابق في محاضرة القاها في نوفمبر ...طلبة جامعة ولاية « اوتاه » ان « وكالة ...كزية هي التي صنعت « السافاك » ، وهي قوة البوليس الايراني ، وعلمتها انجح اساليب المخابرات »

هذا العمل الاسرائيلي ، وان تم بصفة غير رسمية ، وبسرية تامة ، فقد كان كبير النفع للايرانيين

وبعد ان انتهى فوستر دالاس من قراءة الورقة الاخيرة رفع منظاره الى جبهته ونظر الى مباشرة هذه المرة قائلا

كيم ، ربما لم يتح لبعض الحاضرين قراءة تقريرك جيدا لذلك احب ان اعطيهم فكرة عن اهمية ايران ، وبعد ذلك تقدم لهم خلاصة للكيفية التي سيتم بها العمل »

ثم تحدث بصوته المسطح الذي يشي بملله وحرصه على دفع الحاضرين لتأييد رأيه ، وكأنه مدرس يتكلم أمام جمع من التلاميذ ومضى يشرح لهم استراتيجية ايران ، واهميتها في منع وصول الروس الى موانيء البحار الدافئة

ثم اعطاني فوستر دالاس الكلمة ، فاخذت نفسا عميقا ثم بدأت اقول

« لقد قمنا بدراسة الموضوع بعناية شديدة ، وبناء على تعليمات مستر الن دالاس ذهبت الى ايران عدة مرات لتقدير الموقف ، وأستطيع الآن أن أقول اننا مطمئنون تماما الى المسائل التي تهمنا اولا الخطر السوفييتي

حقيقي فعلا . وخطير ووشيك . وفي هذه المرحلة يبدو الوقت في مصلحة الروس وصنيعتهم الاحمق دكتور مصدق

ونقطتي الثانية قد تبدو متناقضة مع الاولى . ولكني واثق من صحتها . وهي انه في ساعة الحسم الواضحة . فان الجيش الايراني والشعب الايراني سيناصران الشاه ضد مصدق والروس . وليس لدى اى شك في ذلك

« لذلك نطلب موافقتكم على العمل . فقد حصلنا على موافقة البريطانيين . وبمجرد ان نحصل على موافقتكم سنتصل بالشاه . فقد شعرنا اننا لا نملك القيام بهذه الخطوة قبل الموافقة الامريكية النهائية

« والهدف الاول من العملية بطبيعة الحال هو مساندة الشاه في تنظيم الدعم العسكري ولذلك نقترح الاتصال الحذر ببعض قادة الجيش المختارين بعناية

« وبالنسبة لاستبدال مصدق لدينا دلائل تشير الى ان الرجل الذي وقع عليه اختيار الشاه هو الجنرال فضل الله زاهدي . والبريطانيون لديهم تحفظات عليه . وهذا تعبير مخفف فقد سبق ان سجنوه في فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية . ولكننا نعرفه جيدا ونثق به . وهو الآن مختبىء في مكان أمين بعد ان حاول مصدق القبض عليه . وابنه أردشير شاب معروف جيدا لموظفي سفارتنا . وثقتهم فيه كاملة . وولاؤه مطلق لابيه وللشاه . وستكون قيمته كبيرة كوسيلة اتصال مأمونة مع ابيه

« وهناك ضباط ومدنيون آخرون يستطيعون القيام بادوار هامة . وهم رجال يثق بهم ثقة مطلقة الشاه واصدقاؤنا البريطانيون الذين سيرقبون ويساعدون من بعيد . فاذا حصلنا الآن على موافقتكم فستكون الخطوة التالية هي الاتصال بالشاه والعمل معه لتدبير قوة كافية تمكنه من التصرف . فاذا عزل مصدقا وعين زاهدي مكانه فلا بد من تأييد عاجل لقراره . وسندبر معه التأييد العسكري والشعبي اللازم لاحباط اي مقاومة من جانب مصدق ونصيره الجنرال رياحي قائد الجيش الحالي . متى تم ذلك فلن يجد الروس فرصة للتدخل . بل سيكون ذلك مستحيلا

العناصر المشتركة في العمل

وقبل ان يتكلم فوستر دالاس تدخل [illegible] سريع بان أقوم بتغطية نقطتين

الاولى تقدير التكاليف . والثانية تصور [illegible] الآخر . اذا فشلت العملية

وشعرت بالخجل لاني لم اتناول في حديثي [illegible] النقطتين الهامتين . فسارعت اقول

« بالنسبة للتكاليف نشعر حقا انها ستكون [illegible] للغاية . بالقياس الى أي عملية حيويه من هذا [illegible] مائة الف دولار . او ربما مائتين على الاكثر . اما النقطة الثانية فمن اشق الامور الاجابة عليها . فلو [illegible] على التأييد الذي ذكرته فلا يمكنني ان اتصور [illegible] الفشل . اما اذا كنا قد اخطأنا في تقدير الموقف [illegible] الصعب التكهن بالنتائج اقل ما يمكن قوله انها [illegible] بالغة السوء . ستسقط ايران في ايدي الروس . [illegible] لذلك تأثير مظيع على بقية الشرق الاوسط . ولكني يجب ان اضيف اننا اذا لم نفعل شيئا فسنواجه [illegible] النتائج »

جلس فوستر دالاس صامتا بعض الوقت . ثم [illegible] الى وقذف في وجهي هذا السؤال وهو يبتسم للدهشة التي بدت علي

ـ « ماذا عن الجنرال جوليشاه ؟

ـ « من الواضح انك تعرف انه قائد [illegible] الجوي . وليس هناك شك في ولائه للشاه . ولكن [illegible] دورا للسلاح الجوي في هذه العملية . ونريد [illegible] معرفة خططنا على اقل عدد ممكن . لذلك لم [illegible] بالجنرال جولينشاه في هذه المرحلة

« هناك عناصر اخرى ستشترك [illegible] البريطانيون . وبصفة خاصة شركة [illegible] البريطانية . الايرانية فمنذ طردهم مصدق [illegible] الماضي . كونوا لنا علاقات باهم اصدقائهم [illegible] ومن هؤلاء رجلان يعتقدون انهما قادران على [illegible]

ألن دالاس

حماء حللة لنا وبعرفهما باسمين مستعارين هما «بوس و كامرون» . وقد التقيت سيادتك مؤخرا ببعض رجال الشركة ومنهم مستر كالاهان الذي يشغل بها منصب ... ، ومساعداه جوردون سومرست وكان ... في ايران ، وقد عرفنا بعدد من اصدقائه ... ، وهري مونتاجيو الذي سيستقر في قبرص ويتولى مسئولية الاتصال اللاسلكي بنا وابلاغكم ... وابلاغنا رسائلكم

« ومن الجانب الامريكي هناك رجلنا الرئيسي جورج ... مدير المنطقة ، وسيغادر ايران بعد وصولي لانه ... من الوجوه المعروفة هناك ، وخليفته هو بيل هرمان الذي قضي عاما في الشرق الاوسط ومعنا عدد آخر من الاشخاص الممتازين وهم موجودون الآن بالسفارة ، وسيصحب معي احد العسكريين السابقين من ذوي الخبرة في الشرق الاقصى ، وهو بيتر ستوممان ، ليكون حلقة الاتصال الرئيسية بيننا وبين العسكريين الايرانيين

« وهناك ايضا ايرانيان اثنتا نفعهما الكبير خلال العمليات التمهيدية ، ولا شك ان اسهامهما سيكون عظيما ... ل الاسابيع القادمة ، وهما شقيقان اصطلحنا على الاشارة اليهما باسم « الاخوان بوسكو » ولهما تجاربهما السابقة في العمل السري ، وهما واثقان من قدرتهما على اثارة السوق لتأييد الشاه ، وستكون تلك هي الاشارة التي يحتاجها الشعب والجيش »

الاتصال بالاميرة « اشرف »

واخيرا خرج فوستر دالاس عن صمته ليسأل الحاضرين عن آرائهم وتعليقاتهم ، فلم يزيدوا على كلمات قليلة ، كلها تأييد وموافقة ، فنهض فوستر دالاس ، وهو يقول

- « ما دام الامر كذلك فلنبدأ اذن »

واتجه الى مكتبه ورفع سماعة التليفون وهو يشير الينا بالخروج من الحجرة كان من الواضح انه سيتصل بالبيت الابيض

وتأخر سفري الى طهران بعض الوقت بسبب حصوة اكتشفها طبيبي في كليتي ، واصر على اجراء عملية لاستخراجها ، وبعدها سافرت الى بيروت عن طريق باريس وروما ، ثم الى دمشق

وفي دمشق التقيت بجراسيس جرانجر ، الذي صحبني في رحلتي الى طهران عبر العراق فقد كنا حريصين على ان نحيط دخولي ايران باكبر قدر ممكن من السرية ، ولما كانت سجلات المطارات اكثر انضباطا وتنظيما ومن السهل الرجوع اليها فقد فضلنا طريق السيارات المار بخانقين عند الحدود العراقية الايرانية ، لان سجلات نقاط الحدود لا تبلغ للجهات المركزية الا كل عدة أشهر ، ان لم نقل كل عدة سنوات

وقد ثبتت صحة ذلك حين مررنا يوم ١٩ يوليو ١٩٥٣ بنقطة خانقين فوجدناها بغير سجلات للمارين ، والتقينا بموظف شديد الغباء ، قرأ في خانة معالم الوجه البارز عبارة « ندبة على يمين الجبهة » باللغة الانجليزية ، ونقلها بتشجيع مني على انها اسمي !

وصلنا طهران بسلام قبيل موعد اغلاق سفارتنا ، ولم يكن هناك ، داع للتلكؤ عندها ، بل اني لم ادخلها ، وانما مررنا عليها لنصحب رئيس عملياتنا في المنطقة بيل هرمان ليقودنا الى بيته في الجبال

قضيت الايام الاولى في دراسة تقارير واشنطن

التي كان يقوم بتلخيصها جورج كوفييه وبيل وغيرهما من اعضاء مجموعتنا المحلية

كان كل شيء يسير في طريقه المرسوم فقد بدأت نغمة الصحف المعادية لمصدق تعلو شيئا فشيئا في حين ازداد اندفاع الصحف المعادية للشاه ، وتصاعد التوتر ، وبدأ تليفون بيل وغيره من الرعايا الامريكيين يتلقى تهديدات وسبابا من مجهولين وصدرت الاوامر باعتقال الجنرال زاهدي ، ولكنه كان في مخبأ امين بالجبال على بعد لا يزيد عن خمسة اميال من موقع اقامتنا كنت افكر في الاتصال به عن طريق ابنه اردشير ، وهو صديقي ولكن كوفييه كان له رأي آخر ، فرتب لي لقاء مع ايراني آخر يدعي مصطفى فيطي اكد انه يستطيع توصيلنا لزاهدي ، واختار ديك مانفيل ليكون حلقة الاتصال بهذا الايراني

كانت طهران مكتظة بعملاء السوفييت وجواسيسهم ، اما مجموعتنا فكانت قاصرة على ثلاثة ديك مانفيل ، وبيل هرمان بالاضافة إلى ، وموظفين صغيرين للاعمال الكتابية اما الايرانيون الذين يعملون معنا مباشرة فكانوا خمسة بوسي ، وكافرون ، والشقيقان بوسكو ، ومصطفى فيطي وفي المرحلة الاخيرة اضيف اليهم محسن التحيوى الذى ادى لنا خدمات هامة وقبل أن أصل الى طهران كنا قد دبرنا اتصالا بالأميرة أشرف شقيقة الشاه وكانت صحف مصدق قد غالت في مهاجمتها حتى اضطرت الى مغادرة البلاد والاقامة في سويسرا

واستجابة لاقتراح البريطاني جوردون سومرست وقع اختيارنا على ضابط الطيران تشارلز ميسون ليصحبه في لقاء الاميرة لاخبارها باصرار بريطانيا وامريكا على تأييد شقيقها واقناعها بالعودة الى طهران لاحاطة شقيقها بهذا القرار ، ولما كان ميسون يعتبر نفسه ساحر النساء في القرن العشرين ، فقد رحب بالقيام بهذه المهمة مع الاميرة الفاتنة التي طلبت طائرة خاصة باسرع ما يمكن وحضرت الى طهران حيث استقبلتها صحافة الحكومة بأعنف هجوم ولم تقابل شقيقها الا في ظروف غير مطمئنة ، احسا خلالها انهما موضوعان تحت الرقابة ، فلم تستطع ان تصرح له بما تريد وعادت الى سويسرا

الجنرال نصيرى

وبعد ان فشلت عدة محاولات للاتصال بالشاه قرر ان أقوم بهذه المهمة بنفسي مهما كانت النتائج

الشاه يفكر في الفرار

في اواخر يوليو ١٩٥٣ كانت كثير من العناصر بدأت تنسحب من حول مصدق ، كحزب العمال ورجال الدين ، على راسهم آية الله كاشاني ، وكبار التجار وانعكست اثار ذلك في سوء الاحوال الاقتصادية وهبوط سعر الريال الايراني وحاول مصدق اقناع الرأي العام بان الولايات المتحدة تؤيده في الوقت الذى كان يحذر واشنطن بانها اذا لم تغدق عليه مساعداتها المالية فان ايران ستتحول الى الشيوعية

وبعد ان حل مجلس الشيوخ اجرى استفتاء عاما ايدت خلاله الاغلبية الساحقة حل مجلس النواب واجراء الانتخابات الجديدة كانت استعداداتنا قد اكتملت فقد تم الاتصال بوسي وكافرون رجلي شركة البترول البريطانية ، وتم لقائي بهما في منزل مهجور في حارة متفرعة من احد الشوارع الرئيسية وهناك بحثنا موضوع الاتصال بالشاه ، فرشحا للمهمة عميلا للمخابرات المركزية وشركة البترول البريطانية واتصلا به وكلفاه باخطار الشاه ان مسئولا امريكيا يريد ان يتحدث باسم ايزنهاور وتشرشل يرغب في مقابلته لابلاغه رسالة هامة

وسر ان ما جاء الرد بان الشاه بلغته رغبتي وان
يارة صغيرة ستلتقطني عند منتصف الليل من خارج
دبقة المست المهجور الذى نجتمع فيه وجلسنا ننتظر
وعد كان ذلك يوم السبت اول اغسطس ، وقبل ان
نصف الليل بقليل خرجت من البيت وحدى فوجدت
يارة صغيرة سوداء تنتظر ، فركبتها ، ولم يقل السائق
لمة واحدة وحين اقتربنا من بوابة القصر نمت في
صبه السيارة وتغطيت بملاءة

توقفت السيارة في منتصف المسافة بين بوابة القصر
رجات سلمه ، وهبط الدرجات شخص نحيل تقدم
نوبا ، وفتح باب السيارة ، فسارع السائق بمغادرتها ولم
د صعوبة في التعرف على جلالته ، ولم ادهش حين
رف على بدوره وقال

- « مساء الخير يا مستر روزفلت لا استطيع ان
عم اني كنت اتوقع رؤيتك وان كانت رؤيتك تسرني
طبع

- « مضت مدة طويلة منذ التقينا يا صاحب
لالة وانا سعيد لانك تذكرتني ، فهذا يسهل مهمتي
ص الشيء في اقناع جلالتكم باعتبارى موضع
نكم

- ان اسمك ووجودك كافيان لذلك

واكدت لجلالته اني موجود في ايران ممثلا للرئيس

الأميرة أشرف

ايزنهاور ورئيس الوزراء البريطاني مستر تشرشل ،
ولضمان ثقته بي فان الرئيس ايزنهاور سيقول عبارة معينة
- ذكرتها له - في خطابه الليلة بسان فرانسيسكو ، اما
مستر تشرشل فقد رتب ادخال تعديل على اعلان الوقت
من الاذاعة البريطانية فبدلا من ان يقول المذيع
« نحن الآن في منتصف الليل » سيقول « نحن الان
- ونصمت - في منتصف الليل تماما »

كان الشاه هادئا حاضر البديهة ، ولم ألحظ عليه اى
توتر او اضطراب ، وبعد استعراض سريع للموقف اتفقنا
على اللقاء في الليلة التالية بنفس الطريقة

وفي اللقاء التالي اقر الشاه اختيار الجنرال زاهدى
ليحلف مصدقا ، على ان تترك له حرية اختيار وزرائه
وكنت اتعجل التنفيذ فأقنعني جلالته بالتريث قليلا
كما بحثنا كنوع من الاحتياط الطريق الذى يسلكه
جلالته في حالة قيام بعض الصعوبات او الخيانات او
شيء من هذا القبيل في طهران فبادمنا قد قررنا
التريث ، فان كل يوم يمر يمثل المزيد من المخاطر ،
والمزيد من الاستعدادات ، يزيد في الوقت نفسه من
احتمالات الانكشاف

لذلك فقد استقر رأينا ان يذهب جلالته في مثل هذه
الظروف الى تبريز في اقصى الشمال لانها اعلنت
معارضتها لمصدق

خزينة تضم مليون دولار

وفي لقائي التالي بالشاه شرحت لجلالته الخطوط
الاربعة التي نتحرك من خلالها ، وأولها التحالف مع
بعض رجال الدين ، رغم ان حلفاءنا الرئيسيين وهما
الشقيقان « بوسكو » يعارضان في الاعتماد عليهم ، فقد
طلبوا منا مبالغ كبيرة من المال

اما الخط الثاني فهو التأييد العسكرى ، ونحن
متفقان على انه باستثناء الجنرال رياحي وعدد قليل من
كبار الضباط القريبين منه فان القوات المسلحة شديدة
الاخلاص لجلالتك ، وقد صحبت معي زميلا يتولى
تنظيم الاتصال بعدد محدود من الضباط الايرانيين
اختيروا بعناية ، (كنت اعني بيتر ستومان وان لم

اسمه) وكلاهما حريص على الابتعاد عن السفارة الامريكية

وقد سبق ان ذكرت حليفينا الايرانيين الشقيقين « بوسكو » وهما « مستطيلان » محترفان اثبتا كفاءتهما بالعمل ، ولذلك نعتمد عليهما ثقة كبيرة فلديهما فريق كبير يأتمر بأوامرهما ، وباستطاعتهما توزيع المنشورات وقيادة المظاهرات لرفع صوت المعارضة

ومن حسن الحظ انهما لم يطالبانا باموال كثيرة وبالمناسبة لدينا حريبة ضخمة الى جوار مكتب مساعدي تكاد تحتل الحجرة باسرها وهي مليئة بالاوراق المالية الايرانية من فئة الخمسمائة ريال وقد استطاع رئيس وزرائكم « بكفاءته » ان يخفض قيمة النقد الايراني بحيث لم تعد هذه الورقة تساوي اكثر من خمسة دولارات امريكية ، ولدينا منها ما يعادل حوالى مليون دولار امريكي (لم ننفق منها خلال العملية اكثر من ١ الف دولار)

وانتقلت بعد ذلك الى النقطة الرابعة وهي دور الجنرال زاهدي وابنه اردشير ، فاخبرت جلالته ان الجنرال لا يزال مختبئا في الجبال ، واني ذهبت لمقابلته ، حيث اخبرني ان له اصدقاء تعرفهم جلالتك ويمكن الاعتماد عليهم وذكرت له قائمة باسمائهم ، فهز رأسه موافقا

وتعددت لقاءاتي مع الشاه خلال الاسبوع التالي وكذلك مع نوسي وكافرون

واخيرا وصلت الامور الى غايتها ، فقابلت الشاه في منتصف ليلة ٨ اغسطس لآخر مرة حيث اتفقنا على كل الخطوات التالية ، واتفقت معه على ان تصله الفرمانات

عزل مصدق وفرار الشاه

استيقظت في الخامسة من صباح ٩ اغسطس على صوت بيل هيرمان وهو يسب بألفاظ مقذعة لم اسمعه يتفوه بمثلها من قبل ، وهو الهادىء المهذب دائما ، وعلمت ان سبب ثورته هو أن الوسيط الذي كلفه نوسي وكافرون

الشاه محمد رضا پهلوى

بتوصيل الفرمانات للشاه قد وصل الى القصر متاخرا بعد رحيل الشاه

لم يعد امامنا الا ان نلجأ الى الجنرال نصيري قائد حرس الشاه ليستقل طائرة خاصة ويلحق بالشاه ايما كان ويوقع الفرمانات منه ، وتم هذا الاتصال عن طريق نوسي كافرون ووسيطهما ـ ولكن سوء الاحوال الجوية وحظر التجول الذي فرضه مصدق حالا دون عودة الفرمانات الينا موقعة قبل منتصف ليلة الاربعاء ١٢ اغسطس ، حملها الينا مجموعة من الايرانيين المتحمسين عبروا بها الجبال ولم يكن باستطاعتنا عمل شيء قبل صباح السبت بعد انتهاء العطلة الايرانية الاسبوعية بنصف نهار الخميس وطوال الجمعة

مضت الايام الثلاثة بطيئة متثاقلة حافلة بالقلق والتوتر ومضى نهار السبت هادئا دون تحركات غير عادية ، وفي المساء جلسنا ننتظر مكالمة تليفونية من الجنرال ناصري تفيد نجاحه في تسليم الفرمانات لمصدق وزاهدي ، وبدأنا نسمع اصوات تحرك الدبابات بعض الوقت ، ثم ما لبثت ان توقفت ، وتجاوزنا منتصف الليل دون أن تأتي المكالمة المنتظرة ، فازداد توترنا وقلقنا

ومع الـ ر ادرنا المدياع في السادسة صباحا ، فاذا به صامت ، و. السابعة بدأ الارسال واذاع مصدق بيانا بنفسه ، عرف مترجما انه يعلن فيه محاولة عزله التي قام بها الشاه بتشجيع من عناصر اجنبية ، ولذلك اضطر الى تولى جميع السلطات بنفسه

وعرفنا فيما بعد ان ما حدث هو ما كنا نخشاه بالضبط ، وهو الخيانة فاحد الضباط الشبان ممن اساء بيتر سوبان اختيارهم وتحدث اليهم عن العملية ، ذهب الى بيت الجنرال رياحي مساء السبت وحدثه بالامر فاسرع رياحي بالطواف بالمدينة لجمع كل القوات التي عثر عليها دون ان يخبرها بحقيقة ما يجرى ، بل قال لها ان احد اللواءات يحاول الاطاحة برئيس الوزراء وينبغي القبض عليه واحضاره الى مكتبه فورا

وخرج الجنرال نصيرى بمجموعة دباباته قليلة العدد من قصر سعد اباد حوالي العاشرة والنصف مساء ، ووصل الى بيت رياحي بضواحي طهران في الحادية عشرة فلم يجد احدا بالبيت ولا حتى خادما واحدا ، فمضى في تنفيذ بقية الخطة المتفق عليها ، وكان المفروض ان يقبض على رياحي قبل تسليم الفرمانات

وصل نصيرى الى بيت مصدق فوجد جميع القوات التي جمعها رياحي بانتظاره ، ولو ان تلك القوات نفذت تعليمات رياحي حرفيا لما استطاع نصيرى التقدم من ذلك ، ولكنه اعلمهم انه يحمل فرمانات موقعة من الشاه لتسليمها لمصدق ، فتردد مواجهوه ، ثم قرروا ان يسمحوا له بتسليمها ثم يقبضوا عليه ، ولم يكن يريد اكثر من ذلك

ورفض خادم مصدق ايقاظ سيده النائم ، فأصر نصيرى على تسليم الفرمانات وحصل على توقيع الخادم على ايصال يفيد تسليم الفرمانات الى مصدق ، ثم طلب من قائد القوة المرابطة امام بيت رئيس الوزراء ان يصحبه الى مقر الجنرال رياحي الذى اتهم نصيرى بالخيانة وتدبير انقلاب وامر بالقبض عليه ، وهو يعتقد انه ما زال مسيطرا على الموقف

والواقع انه ظل مسيطرا بالفعل حتى الساعة السابعة صـ حا حين اذاع مصدق بيانه ، وقد علمنا فيما بعد ان الشاه غادر البلاد بمجرد اذاعة هذا البيان

الشيوعيون يسيطرون على الشارع

كنا بعد ان سمعنا بيان مصدق قد بدأنا نرتب ما ينبغي عمله ، فاذا بنا نتلقى مكالمة من ديك ما نغيل يعلن ان مصطفى فيظي وصل الى بيته ، فطلبت منه ان يبقيه لديه حتى يصل اليه بيل مع الصحفيين الامريكيين الوحيدين اللذين كنا على علم بوجودهما في طهران ليجريا معه حديثا قصيرا يعلن فيه ان الشاه قد عزل مصدقا وعين زاهدى مكانه ثم يحضر مصطفى بعد ذلك الى مقر السفارة واضاف ديك ان مصطفى اخبره ان زاهدى موجود الآن بشقة قريبة منا واعطاني العنوان ، وطلب ان يذهب أحدنا لاحضاره ، كما قال انه تلقى مكالمة من صديق ايراني يثق به يدعى محسن التحيوى ، ورغم انه لم يصارحه بشيء فقد احس انا نقوم بعمل ما فتطوع للمعاونة وقام بالفعل بدور كبير خلال المرحلة الباقية من العملية ، فقد نقل الى شقته وحدة اللاسلكي وعاملها الامريكي ، وكانت هي وسيلتنا الوحيدة للاتصال بالعالم الخارجي

وذهبت الى فريد ريبرمان احد معاوني الذى لم يقوموا بأى عمل بسبب التبلد ، وعرضت عليه استخدام قبو منزله وكان قريبا من مقرنا ، لاخفاء الجنرال زاهدى فرحب ، ووعد بان يقدم بنفسه الطعام ويوفر له كافة احتياجاته ، فقمت بنفسي بنقل زاهدى من الشقة التي كان فيها الى قبو فريد ريبرمان وتركتهما معا

وحين عدت الى مركز قيادتنا وجدت بيل ومصطفى وديك ومحسن التحيوى ، وتلقينا مكالمة من نوس وكافرون مفادها انهما يشعران انهما معرضان للخطر ، ويطلبان بان نرسل اليهما من يحضرهما الى مقرها ، فذهب بيل اليهما وسرعان ما جلسنا جميعا نضع برنامج العمل كان من الواضح اننا بحاجة الى كمية كبيرة من نسخ الفرمانين ، وبخاصة ذلك الذى يعهد برئاسة الوزراء الى زاهدى فجلس محسن ليكتبه على الآلة الكاتبة الفارسية ليطبع بعد ذلك على آلة آلاستنسل » واستغرقت العملية بعض الوقت ، فلم تنته قبل المساء

ارسلنا معظم نسخ الفرمانين الى الشقيقين « بوسكو » ، واحتفظنا بالباقي لعيرها من الاعوان

واخذ كل من مصطفي ومحسن نسختين ، وطلبنا من الاول النهاب الى اصفهان للحصول على تأييد قائد قواتها المسلحة ، ومن الآخر الاتجاه الى كرمنشاه لتأمين تأييد قواتها التي تضم عددا كبيرا من الدبابات والمصفحات ، وكانت تربطه صله وثيقة بقائدها

في ذلك الوقت كان حزب توده قد استولى على الشارع ، فملأ انصاره الشوارع الرئيسية والسوق يهتفون بسقوط الشاه ويحطمون تماثيله وتماثيل ابيه ، ويستولون على كل ما تقع ايديهم عليه ، ويحطمون المتاجر والمخازن ، مما ملأ نفسي يأسا ، واسعد الروس بلا شك ولكنني سرعان ما ادركت ان ذلك هو افضل مانتمناه ، اذ كلما ارتفع صياحهم ضد الشاه وضح للجيش والشعب انهم أعداؤهم ، وكلما حربوا في المدينة ، ازداد سخط غالبية السكان عليهم ، ولا شيء اكثر من ذلك يمكن ان يركي نار الصراع ويسرع بحسمه

وشهد يوم الاحد بعض المظاهرات والنهب ، ثم هدأت الاحوال يوم الاثنين وكان الاخوان « بوسكو » يستعدان لتحريك مظاهراتهم ، فارسلنا اليهما من يخبرهما بان يكون تحركهما هو الاربعاء ١٩ اغسطس ، وان يكون هدفها الرئيسي بيت مصدق ومحطة الاذاعة

رئيس الوزراء بملابسه الداخلية

وصل مصطفي فيظي شاحبا معبرا ليعلن فشل مهمته في اصفهان ، اذ فضل قائدها الا ينحاز للشاه او مصدق حتى ينجلي الموقف اما محسن التحيوي فعاد متهلل الوجه ليعلن نجاحه في مهمته في كرمنشاه وتحرك قواتها نحو العاصمة ، واذا كانت ستستغرق عدة ايام لانها تبعد اربعمائة ميل ، فباستطاعة الاخوان « بوسكو » ان ينشروا حبر تحركها في المدينة

ويوم الاربعاء بدأ الاخوان بوسكو تحركهم في السوق ، وكان من بين من جندوهم عمالقة « الزير كانا » ، وهم حاملو أثقال يقدمون عروضا قريبة من الطقوس الدينية ، فتجمعوا باجسادهم حمية عند مدخل السوق الشمالي ، وبدأوا مسيرتهم العرب رهم يهتفون ويتطوحون كالدراويش

وبدأت اذاعة تبريز منذ الصباح الباكر تؤكد تأييد المحافظة باجمعها للشاه وانتشر في المدينة ان « بختيار » وقواته في طريقهم الى طهران ووصل ذلك ليعلن ان سائقي سيارات الاجرة يطوفون المدينة بسياراتهم يستخدمون ابواقهم ويهتفون وقد علقوا صور الشاه ، ويطالبون كل سيارة بتعليق صورة للشاه ، واذا لم يكن لدى صاحبها صورة طلبوا منه تعليق ورقة من ذات العشرة ريالات لانها تحمل صورته

وبدأت الانباء تتوالى عن قيام مظاهرات تأييد للشاه في كل ارجاء المدينة في الوقت الذى وصل فيه عامل اللاسلكي ببرقية من وولتر بيدل سميث وكيل الخارجية الامريكية نصها

« تحل عن الامر » وعد فلم يكن قد تلقى ما ابه احبار ، فتشاءم وأراد ان يحبب الولايات المتحدة الظهور بمظهر الضالعة في عملية سرية فاشلة

كانت البرقية مؤرخة ١٨ يوليو ، ولو انها وصلت في موعدها لأوقعتني في حرج شديد ، اما الآن فكان باستطاعتي ان ارد عليه قائلا

« تلقينا برقيتك ويسعدني ان انهي اليكم ان ريحلر (الاسم السرى لزاهدى) قد تولى الحكم سلام وان كجساموى (الاسم السرى للشاه) في طريقه الى طهران منتصرا »

كانت جموع المتظاهرين تتدفق امام مكسا في طريقها الى بيت مصدق وكان بينهم الكثير من الجنود ورجال الشرطة بملابسهم الرسمية وبين الحين والآخر تسمع اصوات طلقات رصاص

وفجأة توقف ارسال الاذاعة ، وسمعنا من يعلن ـ كذبا ـ ان اوامر الشاه بتنحية مصدق قد نفذت وبوله الجنرال زاهدى رئيس الوزراء الجديد ... وان الشاه في طريق العودة الى البلاد

وكان على الآن أن أقوم بنقل زاهدى ...

اردشير راهدي

لماس لتولي القيادة وبيما كنت اسرع الى قبو
يرمان وحدتسي محاصرا بالمتظاهرين ، ولمحت
الحرال حيلشاه قائد السلاح الجوى عملابسه
، وتدكرت على العور سؤال حون موستر دالاس
ره في العملية ، وقد عرفني الجىرال على الفور
لريقه نحوى وهو يقول

« لا شك ان هناك ما يمكن أن أعاون به

بالطبع احصل على دبابه ادا استطعت والحق بي
ا البيت المحاور حيث سأعهد اليك بحماية الحرال
، »

سبقته الى القبو حيث رئيس ووزراء ايران الشرعي
في ملاسه الداخلية الشتوية والى حواره ريه
ي ممدد على مقعد ، مسارع بارتدائه ، وقبل ان
، ارتفع ضجيج في الفناء الذى يعلونا ، واقتربت
وات والهتافات ، وانفتح الباب بعنف ، مسارعت
تعاء حلف فرن القبر في نفس الوقت الذى اندفعت
الحمو بقيادة حيلنشاه لتحمل راهدى الى احدى
مات ي كانت تزأر في الفناء

واتجه المظاهرة الى بيت مصدق ، فلاذا به قد فر ،
لهم ا نادي الضباط حيث شرع راهدى في تشكيل
وزارته الجديدة وكان من بين اعضائها مصطفى ...
ومحسن التحيوى ، اما ابنه اردشير فلم يضمه الى الوزارة
بسبب صلة القربى بينهما ، وان كان من الواضح ان
الشاه حين يعود سيجد له المنصب المناسب

وحصر اردشير ليصحبني لمقابلة اعضاء الوزارة
الجديدة في نادي الضباط فاشبعوني ضما وتقبيلا ، والقى
راهدى كلمة شكر وترحيب فرددت عليه بكلمة مناسبة
أوضحت فيها انهم ليسوا مدينين لي ولا للولايات المتحدة
او بريطانيا باى دين او التزام

اعدام حسين فاطمي

يوم السبت ٢٢ اغسطس عاد صاحب الجلالة
الامبراطور شاهنشاه منتصرا الى عاصمة ملكة واستقبل
استقبالا حماسيا حافلا وفي منتصف ليلة الاحد ٢٣
اغسطس توجهت الى القصر الملكي ، في احدى سيارات
السفارة هذه المرة

كان الشاه ينتظرني في مكتبه وقدم وصيف كأسين
صغيرين من الفودكا والكفيار الى جوارهما ، وكانت اول
كلمات قالها بجد ووقار

- « انا مدين بعرشي لله ، ولشعبي ، وجيشي .
ولك »

وامسك بكأسه ورفعها وكأنه يشرب نخبا فرفعت
كأسي أنا الآخر وشربنا ، ثم ابتسم ابتسامة عريضة
وقال

- « لا شك أن رؤيتك هنا افضل بكثير من
مقابلتك في سيارة مجهولة بممشى الحديقة . صديقك
الحميم رئيس الوزراء سيصل بعد قليل ، فهل ثمة ما
تحب ان تناقشه قبل وصوله ؟

- « حسنا يا سيدى اني اتساءل عما اذا كان رأيكم
قد استقر بشأن مصدق ورياحي وبقية من تآمروا
ضدكم ؟

- « لقد فكرت كثيرا في هذا الموضوع مصدق
سلم نفسه كما تعلم قبل عودتي سيحكم عليه - اذا

اخذت المحكمة باقتراحي بالسجن ثلاث سنوات سيته في قريته بعد ذلك سيسمح له بحرية الحركة على الا يغادر تلك القرية . رياحي سيقضي ثلاث سنوات في السجن ثم يطلق سراحه ليفعل ما يشاء طالما كان ذلك في حدود القانون وهناك عدد اخر سينال عقوبات مماثلة مع استثناء واحد وهو حسين فاطمي (وكان وزير خارجية مصدق وذراعه الايمن) ، الذي لم يعثر عليه ولكنه سيعثر عليه حتما لقد كان اكثرهم وقاحة ، وحرض عصابات توده التي حطمت تماثيلي وتماثيل ابي ، حين يعثر عليه سيعدم »

ووصل رئيس الوزراء فاستأذنت جلالته في ان اعيد على مسامعهما ما سبق ان قلته لمجلس الوزراء من ان جلالته وايران ليسا مدينين لي ولنا ، اي الامريكيين والبريطانيين الذين ارسلوني باي شيء ستقبل الشكر الموجز بامتنان ، ولكن ليس هناك دين ولا التزام من اي نوع لقد قمنا بما قمنا به لتحقيق مصلحتنا المشتركة والنتيجة نفسها تمثل خير جزاء

واخذنا نتبادل الابتسامات والمجاملات الدافئة ، وبعد ان انصرف الجنرال زاهدي فاجأني الشاه بان اخرج من جيبه علبة سجائر ذهبية ثمينة قائلا

ـ ارجو ان تقبلها تذكارا لمغامرتك الاخيرة .

تقدير مستر تشرشل

في طريق العودة الى الولايات المتحدة توقفت في لندن حيث استقبلني رجال المخابرات الـ ـه وشركه البترول البريطانية ـ الايرانية بحفاوة كـ وكاسو حريصين على ان يسمعوا مني ادق تفصيلا لعملة ثم اخبروني ان رئيس الوزراء مستر تشرشل ، يص على لقائي بالرغم من مرضه

وفي ١٠ داونيج ستريت « استقبلني » طف اسو وقادني الى حجرة بالدور الارضي حولت الى غرفه نو. وكان مستر تشرشل جالسا وسط السرير وحوله عدد من الوسائد اجلسني الموظف بالقرب منه ثم انصرف فاذا بتشرشل يزمجر

ـ « الغبي الاحمق ، انه يعلم اني لا اسمع باذني اليسرى تعال الى الناحية الاخرى اذا سمحت »

ورويت له القصة كاملة بادق تفصيلاتها فكان كثيرا مايقاطعني مستفسرا وبين الحين والاخر كانت تغلبه سنة من النوم ، فكنت انتظر حتى يستعيد انتباهه فأعيد ما قلت

وحين ختمت حديثي ... لقائي الـ ... بالشـ ... ونص كلمات التقدير ... ـمعها على عـ... مستر تشرشل في جلسته ود ...

ـ « ايها الشاب لو اني كنت اصغر قليلا ... شيئا قدر ان اعمل تحت قيادتك في هذه المهمة

وكان ذلك اروع تقدير سمعته ■■

القاهره ـ فؤاد دواره

الظلام .... والنور

● « لا تمش في الظلام وحـدك ، اذا احسست بأن الاضواء من حولك بدأت تخفت ، فقف مكانك وانتظر ... لا تخط بعد ذلك خطوة واحدة الا اذا جاءك صديق يعرف الطريق خيرا منك ، فاذا لم يأت فخير لك ان تمضي الليل واقفا بلا حراك حتى تطلع الشمس ! »

«كير كجارد»

في اوربا ثورة على الاجهاض الامهات يقلن · « مجيء الطفل ليس صدفة ، انه يجب ن يأتي عندما تريد الأم ، ومتى تريد ، » والدين يمنع الاجهاض والدنيا تقول انه جريمة والناس في خوف من المستقبل وفي الدول المتقدمة يزداد الادراك لمسئوليات الحياة واعبائها والاسرة فيها اكثر تنظيما لحياتها من اجل هذا يتناقصون وهي ظاهرة خطيرة والجدل دائر بين الامهات البعض يؤيدن التخلص من الجنين ما دامت الاسرة غير مستعدة لاستقباله والبعض يعترضن ترى ماذا كان رأى أمهات زمان في الاجهاض ؟ منذ قرن ونصف قرن او يزيد ، وقفت امرأة عظيمة تقول « انه جريمة قتل مدبرة حتى لو كان الطفل ثمرة لخطيئة ، هل نصلح الجريمة بجريمة اكبر ؟ »

بقلم : منير نصيف

لم يكن لها ولد ولا بنت ، فقد قضت حياتها القصيرة وحدها بلا شريك يقاسمها حياتها فهي لم تتزوج ، لا لأنها لم تجد الرجل الذى تحبه ، ولكن لانها وجدته ، واحبته واعطته قلبها ، ولكن القدر قسا عليها ، فحرمها من السعادة التي كانت تنتظرها ؛ لقد مات حبيبها ، والـ...ت برجال كثيرين بعده ، حاولوا ان يتقربوا اليها ان يعطوها الحب الذى افتقدته . ولكنها اعرضت ... وعندما استبدت بها الحيرة ، وهي ترى شبابها ... ، قبلت الزواج من رجل ثرى ؛ واذاعت الاسرة

الكبيرة عددا الخبر السعيد ولكن سرعان ما عاد الرجل يجر اذيال الخيبة وكانت اقصر خطوبة في التاريخ . فقد نامت الفتاة لتصحو في ساعة مبكرة من الصباح ، وتهمس في اذن إحدى بنات اشقائها « كل شيء يمكن أن يحدث اى شيء يمكن ان يحتمله الانسان ، الا ان يتزوج بغير حب ! »

وكانت أما عظيمة من اعظم امهات العصر الذى ولدت وعاشت فيه منذ اكثر من مائتي عام فقد كانت عمة ، وكانت خالة لعدد كبير من البنات والأولاد الذين

نجبهم اشقاؤها وشقيقاتها وكانوا ثمانية ، وكانت هي لطفلة رقم ٧ في هذه الاسرة الكبيرة . كلهم تزوجوا أنجبوا اطفالا ..

وكانت هي دائما هناك مع كل حدث سعيد مع كل مشكلة مع الحياة التى عاشها اشقاؤها بكل ما حملته معها من لحظات سعيدة .. واخرى قاسية .. مع الخطوبات والزيجات والحفلات والاستقبالات ، وصرخات الاطفال منذ ولادتهن وكانت تجد في كل هذا الذى يجرى حولها بكل ما تحمله لهم الأيام من ابتسامات ودموع مادة غنية لما كان يجرى في رأسها الصغير من افكار وهي فتاة لم تتجاوز عامها السادس عشر .

في عالم الرجل !

كانت تفكر في هذا العصر البعيد القريب بينا كان عقل المرأة وفكرها كل امرأة ، حبيسا وراء جدران وقفت أمامها عاجزة ، فلاهي قادرة على هدمها او حتى تسلقها لترى ما يجرى على الجانب الاخر منها فقد كان عالمها العالم الذى ولدت وعاشت فيه ، هو عالم الرجل وحده !

جاءتها زوجة احد اشقائها يوما تقول لها « إني لا اريد هذا الطفل الذى بدأ يتحرك في احشائي لابد أن اتخلص منه ، فطفلي الأول مازال طفلا ، وهو في حاجة الى رعايتي ، إنني لاأستطيع ان اعطيه كل وقتي ، لانني اشعر ان بطني يكبر ، وان طفلي الآخر الذى لم ير النور بعد في حاجة الى رعاية اكبر ! »

ونهرتها وقالت في ثورة « تريدين ان ترتكبي جريمة قتل !! عودى فورا الى بيتك واستلقى على فراشك وسوف اساعدك بقدر ما استطيع ، واعلمى ان اجمل شيء في الدنيا هو هذا الجنين الذى يكبر ويتحرك بين احشائك حتى لو كان غير شرعي روح جديدة ، ومن حقها ان تعيش هل نصلح الجريمة ، بجريمة اكبر منها !! »

انها جين اوستن الكاتبة الانجليزية التي كانت تسجل خواطرها وافكارها على الورق وهي بعد لم تبلغ ربيعها السادس عشر .. وكانت تكتب في الخفـ[illegible] ركن صغير من قاعة للبيت الذى ولدت فيه باحد[illegible] مقاطعة هامبشاير الانجليزية ، في السادس عشر [illegible] ديسمبر عام ١٧٧٥ ، وكان ابوها ناظر مدرسة ، وأ[illegible] بنات الريف !

تكتب في الخفاء

لم تكن جين عندما بدأت تمسك بالقلم ، تريد ان يعرف أحد ، ماذا تصنع بنفسها . ولم يكن أحد من اهل البيت او الجيران يعرف بدوره شيئا غير عادى عن هذه الفتاة الريفية الصغيرة أما هي فقد كانت تجلس الى مكتبها الصغير وتقضي في الكتابة التي عشقتها وهي تحبو مع كتبها في المدرسة الابتدائية في القرية ، حتى اذا سمعت صوت الباب يفتح ، سارعت تخفى اوراقها وقلمها ، وتقفز من مقعدها لتمد ذراعيها تحتضن بها أبناء إخوتها الذين جاءوا لزيارة العمة الطيبة « جين » !

كانت قصيرة القامة ، نحيفة رقيقة يشع من عينيها العسليتين الجميلتين بريق يمتلىء بالذكاء والعبقرية ، وقد تدلت خصيلات شعرها الكستنائي على جبينها وكانت تحمل بعد هذا قلبا من ذهب كانت تحب الناس وتحب الحياة ، وترحب بكل ما تقدمه لها ، وهي تتوقع معها السعادة التى كانت تجدها في معظم الاحيان ، وان كانت قد اخطأت الطريق اليها في أحلى ما تتمناه كل امرأة !

ومضت جين تكتب وتكتب وانقضت خمسة عشر عاما قبل ان ترى كتاباتها النور لم تنشر الصحف اسمها مرة واحدة طوال السنوات القصيرة التى عاشتها لم يشعر بها احد وهي تمشي في الشارع في خطوات خجلة ، وكأنها تريد ان تختفىء عن عيون الناس ، وكان اكبر دخل حققته بعد ان بدأت دور النشر في طباعة بعض كتبها لا يتجاوز سبعمائة جنيه في السنة !

قصتها مع العالم

ولكن العالم كله عرف هذه الكاتبة الصغـ[illegible] الموهوبة بعد ان رحلت ، ففي خلال السنوات ا[illegible]

اعقب سقوط ريشتها من يدها لآخر مرة ، وهي تزيد على قرن ونصف قرن من الزمان ، نجحت مؤلفاتها الستة الرائعة التي قدمتها للناس ، في كسب حبهم وتقديرهم وإعجابهم في كل مكان من العالم الواسع من حولها ، بعيدا عن حدود قريتها الصغيرة من الصين الى امريكا ومن اوروبا الى قلب افريقيا والشرق العربي

وفي « رغبة وكبرياء » * Pride & Pregudice ، أروع ما قدمت من كتب ، رسمت جين صورة في ضوء النهار للعلاقة الوثيقة التي تربط بين شقيقتين تعرفها وتعرف كل شيء عن حياتها ، وعن العاطفة التي جمعت بين قلبيهما ، ولم تكن هاتان الشقيقتان سوى جين اوستن نفسها وشقيقتها الكبرى كاسندرا !

لقد سحرت جين بقصة حياتها البسيطة ملايين القراء في خمس قارات ، وترجم كتابها الذي وصفت لنا فيه مشاعرها واحاسيسها الى خمس وعشرين لغة ، وشاهد القصة الملايين من الرجال والنساء الذين قرأوا الكتاب ، والذين لم يقرأوه شاهدوها على المسرح ، وفي السينما واخيرا على شاشة التلفزيون بعد أن دخلت الشاشة الصغيرة الى البيوت ، وراح المنتجون يتسابقون على نقل روائع الادب العالمي

وبعد رغبة وكبرياء ، قدم التلفزيون ثلاثة كتب اخرى لجين اوستن « إما » Emma ، واقناع Persuasion و « احساس وحساسية » Seuse & Sensibility ، ونجحت القصص الثلاث في شد الملايين الى الشاشة الصغيرة ، بعد ان عاشت في قلوبهم سنوات يتناقلونها من جيل الى جيل ، في بريطانيا قدر عدد النسخ التي تباع من مؤلفات « جين أوستن » سنويا بأكثر من نصف مليون نسخة !

بعد مرور مائتي عام

في شهر ديسمبر من عام ١٩٧٥ ، وفي ذكرى مرور مائتي عام على مولد جين اوستن ، اقامت المكتبة البريطانية معرضا استمر اثني عشر اسبوعا ، شاهد فيه الانجليز وضيوفهم الخطابات التي كتبتها جين بريشتها ، واصول المقالات والكتب التي عاشت سنوات في الظلام ، والطبعات الاولى من كتبها عندما بدأت دور النشر تحس بالكاتبة الموهوبة بعد تردد طويل !

وقبل ان يغلق المعرض ابوابه ، كان التلفزيون البريطاني ومع ليالي الشتاء الباردة يقدم مسلسلا في خمس حلقات بعنوان « عالم جين اوستن »

كيف كان عالم هذه الكاتبة الكبيرة ؟ ثلاث او اربع اسر في احدى قرى الريف الصغيرة هي كل ما يحتاج اليه الكاتب حياة افرادها ، احلامهم ، تطلعاتهم للغد ، علاقتهم ببعضهم ، وعلاقتهم بالمجتمع الصغير الذي يعيشون فيه إن الامر لايحتاج لاكثر من عين ترى واذن تسمع ، واحساس بما يعرف هكذا كانت تجيب على الذين كانوا يلحون عليها بالخروج من عالمها الضيق ! انها لم تبرح قريتها ، ولم تعبر حدود المقاطعة التي أحبتها ، ولم تحاول مرة واحدة ان تحمل إحدى شخصيات رواياتها الى مكان آخر لاتعرفه فهي لم تكتب عن شيء لا تعرفه لم تنقل حديثا بين الرجال في غيبة المرأة كانت امينة مع نفسها ، ومع بنات جنسها ومع قرائها !

رغبة وكبرياء !

عندما انتهت من الفصل الاخير من كتابها « رغبة وكبرياء » كانت قد بلغت الثالثة والعشرين من عمرها وحمل والدها كتابها وذهب به الى احدى دور النشر في مقاطعة هامبشاير ، وطالت غيبته ، فقد انقضى النهار او كاد ، واستبد القلق بزوجته وابنائه !

وعاد اخيرا والتف حوله ابناؤه يسألون في قلق ماذا حدث ؟ هل انت بخير ! وكانت جين اكثرهم قلقا عليه فراحت تشعل له نار المدفأة ، وتقدم له قدح الحساء الساخن ، فقد كانت ليلة باردة ممطرة ! وعندما بدأ الاب

* هذه هي الترجمة العربية ، اما الترجمة الحرفية فهي تحيز وكبرياء

يحس بالدفء ويستعيد قواه ، نظر الى ابنته في دهشة وقال « ولكنك لم تسأليني عن كتابك يا جين ! »

قالت « ولم السؤال وقد كنت اعرف النتيجة مقدما يا ابي انه لم يشر اهتمام احد ! لاتيأس ، فسوف يبحثون هم عنك ! »

وابتسم في ارتياح ، فقد كان الاب يشفق على ابنته من الصدمة انه لم يمض كل هذا الوقت في دار النشر محاولا اقناع صاحبها بقبوله ، فهو لم يكلف نفسه حتى مجرد قراءة بعض صفحاته ! لقد قضى الاب ثماني ساعات كاملة جالسا على مقعد في حديقة القرية محاولا ان يفكر في شيء يقوله لابنته عند عودته الى البيت !

البحث عن زوج

كان الاب دائم القلق ، وكانت قد تقدمت به السن ، وهو يرى بناته قد كبرن وبلغن سن الزواج فأسر الى زوجته بما اعتزم ان يفعله « لابد ان ننتقل الى العيش في إحدى المدن الكبيرة التي تطل على البحر فقد كان البحر مقصدا في تلك الايام من حروب نابليون ، لكل فتاة تبحث عن عريس بين رجال البحرية من مختلف الرتب التي تمنح لهم طبقا لتعليمهم وعراقة الأسر التي ينحدرون منها ! »

ولم تكتم الأم السر طويلا « فقد وقفت ذات صباح وقالت لابنائها لقد رتب والدكم كل شيء لابد لنا ان نترك قريتنا « ستيفنتون » ، ونرحل الى مدينة « باث » انها مدينة كبيرة وجميلة ، وسيطيب لكم العيش فيها ! »

وسقطت جين على الارض مغشيا عليها كيف تفترق عن الوجوه التي أحبتها ، والناس الذين عرفتهم ، والاشجار التي كبرت معها في حديقة البيت كيف تترك هذا كله وتذهب الى مدينة لاتعرفها ولاتعرف فيها أحدا !

وكانت سنوات حياتها الجديدة في مدينة « باث » هي اتعس فترة مرت بها الكاتبة بالمنزل رقم ٤ بميدان سيدني في باث التقت بالرجل الذى احبته ، ولم يعش ليحقق لها حلمها في الحياة الحلوة التي كانت تنتظره معه وانقضت عشر سنوات او أكثر على حياة الاسرة المدينة الكبيرة الى ان حمل اليهم البريد نبأ وفاة زوجة احد اشقائها ، بعد انجبت له احد عشر طفلا

عودة الى الحياة

وعادت جين الى هامبشاير مع اختها كاساندرا لتقيم هي في بيت شقيقها ، ولتصبح اما للاطفال الصغار اليتامى ، حقيقة انها لم تعد الى قريتها التي ولدت فيها واحتضنتها طفلة وصبية وكاتبة ، ولكنها ستكون قريبة اليها وفي قرية « شوتون » في ١٨٠٩ ، وفي بيت شقيقها ادوارد الذى ماتت زوجته عرف اهل القرية « العمة جين » التي وهبت نفسها لتربية الاطفال الصغار الذين فقدوا امهم وكانت العمة جين في ذلك الوقت لم تتجاوز عامها الرابع والثلاثين !

وفي « شوتون » قضت جين اوستن اكثر سني القصيرة انتاجا كانت تكتب في الليل على الشموع عندما تطمئن الى ان اصغر اطفالها قد اغمض عينيه ونام وهي تحكي له قصة من قصصها التي

الكثيرة بأسى سنوات انقضت وهي ترعى ابناء شقيقها بدل ان يداهمها المرض لقد اصيبت بداء ادسون واستبد بها الارهاق والوهن وكانت تصحك من نفسها وهي تتطلع الى مرآتها وترى شبح المرأة التى كانت !

.. ماتت العمة جين

وعندما اشتد بها المرض ، جاءت اختها كاسندرا لترعاها وكانت تتوكأ على ذراع شقيقتها لتخرج الى النور وترى الطبيعة من حولها ، فقد كانت تهرب دائما من ظلام البيت والسكون الذى يحتويه بعد ان كبر الاطفال وذهبوا الى المدرسة الى ان سقطت أخيرا بين ذراعي اختها ، في الثامن عشر من شهر يوليو عام ١٨١٧ عن ٤٠ عاما وانتهت حياة « جين اوستن » الكاتبة العبقرية التي قال عنها « سومرست موم » لقد وجدت المرأة نفسها عندما ولدت جين الكاتبة وقال عنها المؤرخ الكبير مالاى « انها اعظم ادباء انجلترا بعد شكسبير عملاق الادب الانجليزى » وقال عنها والتر الن « لقد اصبحت جين مقياسا ومرجعا نعود اليها كلما اردنا ان نقيم اعمال المؤلفين المحدثين !! »

وامام قبرها في كاتدرائية ونشستر حيث يأتي الالوف كل عام لزيارة جين . قامت قطعة من الرخام الاسود تحمل اسمها ويوم مولدها ويوم رحيلها .. مع كلمات التقدير والاعجاب بصاحبة هذا القلب الكبير الذى امتلأ بالحب لكل الناس هكذا كان افراد اسرتها ينظرون اليها « العمة الطيبة جين » ! ■■

منير نصيف

اللطف يجزى صاحبه

● كنا نتعشى في مطعم انيق من مطاعم نيويورك ، فلاحظت ان عيون رئيس الخدم والخدم وصبيانهم جميعا ، تحتفى بفتاة جميلة تتعشى مع ضابط . وحين خرجنا سألت رئيس الخدم ما سبب هذه العناية بخدمتها خدمة خاصة فقال « انها افضل سيدة عرفتها » ثم روى الرواية التالية

« منذ اسابيع كانت هذه الفتاة تحتفل عشاء مبكرا قبيل ذهابها الى الاوبرا ، وكان احد الخدم يحمل طبقا كبيرا حافلا باصناف الطعام يدنو من مائدتها ، فنهض احد الضيوف على حين فجأة لكي يحيى سيدة ، فانقلب الطبق واندلق الحساء والصلصة والمحار على ثوب الفتاة الابيض الذى ارتدته للسهرة . فهرول موظفو المطعم ليمسحوا ثوبها ، وغض زوار المطعم طرفهم عنها ، ولكن صوت الفتاة الصافي الساكن الفكه رن في المطعم فسمعه كل من فيه « قالت للخادم المحنق : » كان ثوبا قبيحا ، وكانت طياته تتجمع لان الخياطة لم تحسن قصه وقد كنت امقته . ان بيتي قريب ، فاحتفظوا بطعامي ساخنا ، وسأعود حالا » .

« ثم ، اتعلم ياسيدى ما فعلت حين عادت في ثوبها الجديد وهي اجمل وانضر ما تكون ، انها ذهبت الى مدير المطعم وقالت له : ان عاقبتم الخادم ، فاني سأمتنع عن المجيء الى هذا المطعم وسيمتنع اصدقائي كذلك » .
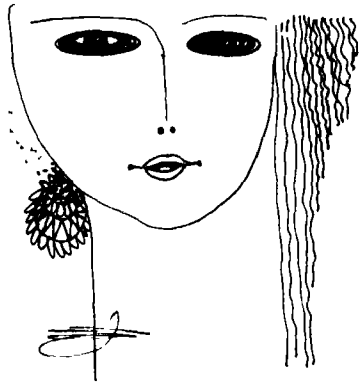
سلمت للحب

للشاعر فاضل خلف

سَلِمتَ للأحبابِ والحبِّ ... سلمتَ يا أُغرودةَ الصِّـ
سلمتَ يا ريشةَ المُجتبى ... وبثِّ العطرِ على الدرب
سلمتِ من حادثةٍ روّعت ... حبي ، ويا وَيحي من الحـ
قلبي المعنّى حين ولّى الصبا ... كفَّ عن السُّهدِ وعن ...
فحنّني الوجد ، لنقضي على ... ما انقضت الأيامُ من قلبي
لكنّني مهما تراني الهوى ... لا ينثني عن وردِه العذب
فدوّي قلبَكِ في خافقي ... إذا تخلّيتُ عن الر...
واشعلي في الروح ما شئتِ من ... شبابكِ المسعِرِ الخصب
عهدُ شبابي قد توارى ، فلا ... تخوذْ من بُعدٍ ، ولا قرب
فجدّدي بالحبِّ آفاقه ... وفجّري من عودكِ الرطـ
وفجّري الإبداعَ في شاعرٍ ... كفّت سواقيه عن السـ
بما حباكِ اللهُ من نعمةٍ ... وما أفاء اللهُ من ...
فأنتِ للإلهامِ مستودَعٌ ... فيا أدخلي قلبي على الرحـ
يا نفحةً عامرةً بالندى ... هُنّي على الأحباب والصحـ
لا أوحش الحبُّ من المُنتدى ... مكانَكِ المُشرقَ في السـ

عن الاضراب والمضربين

بقلم : عبد الوهاب شكري

كم من الاشياء التي نحتاج اليها في حياتنا اليومية ونعجز عن اقتنائها او الوصول اليها ، فنضرب عنها حتما قائلين ((كم حاجة قضيناها بتركها)) وهو تبرير نتعامل به مع انفسنا يمدها ببعض التوازن ويكسبها بعض الرضا

حياة الانسان مجموعة من « الاضرابات » ، تمارس على الطبيعة ولا يسترعى انتباهنا منها يصدر فقط عن القوى العاملة ، وتظل تلك الاخرى لباقي اصناف الانسان بمعزل عن دون ان تحظى باية اشارة على ضوء « الصيغة اسه »

من هنا نبدأ

ان الانسان يفقد شهيته للطعام ، في حالة كذلك الحيوان يضرب عن الاكل ويصوم الى صحته ، وهو تدبر حصيف يصدر عن حيوان

اعجم بدون ايعاز من طبيب واحيانا يضرب الحيوان عن العمل مثلما يفعل الانسان احيانا اخرى فتأبى الدابة ان تسلس قيادها احتجاجا على سوء المعاملة التي تلقاها من راكبها الذى يقسو عليها بجذب طرفي العنان لتحدث حديدته بين اسنانها قرعا شديدا يرعجها ويدمي فمها ، علاوة عما يحصل لها من ارهاق شديد عندما تحمل عبئا ثقيلا ولا تحظى بادنى رفق او رعاية

ويبلغ الاضراب دروته حينما تستاء الدابة من غلظة صاحبها فتطوح به ارضا دون هوادة ، وتلقي ما عليها من حمولة لتعود الى مربضها او تهيم على وجهها

كذلك عندما يقع طائر في قبضة انسان تزايله

شهيته فورا ويضرب عن الاكل لمجرد شعوره بفقدان حريته ، ويظـل مطرقـا واجمـا في صيام طويل داخـل مسكنه الى ان يلفظ انفاسه الاخيرة

والحشرات والهوام تضرب هي الاخرى عن الطعام والقوت طيلة فصل الشتاء وتخلد الى النوم العميق داخل الثقوب وتحت الاحجار وهو اضراب تفرضه الظـروف المحيطة بها وكذا الطبيعة السيوية لهذه المخلوقات التي لا تقوى على صقيع الشتاء.

بداية الظاهرة عند الانسان

ثم الجنين في بطن امه قد يضرب صفحا عن الخروج بقدرة قادر ، وينفصل النقاء حيث هو مؤجلا رحلة الهبوط بعض الوقت لاسباب نفسانية ، وقد يعدل عنها نهائيا لاسباب صحية فيتابع نومه الازلي بعد ان يتحول الى سقط هو في معنى شهيد اضراب ذهب ضحية انتقام

والعقم في صميمه اضراب عن الانجاب ، لعجز الجسم من الناحية الفسيولوجية عن الوفاء باحتياجـات الوظيفة التناسلية عن هورمونات منوية او بويضـات مخصبة او اية شروط من هذا القبيل سواء بالنسبة للرجل او المرأة

وما تمرد الطفل عن الدراسة الا اضراب يتحدى به سوء ما يلقاه من معاملة صارمة ترجع في الاساس الى اخطاء في التدريس او جهل بطبيعته النفسية او امكاناته العقلية وعدم احترام شخصيته في البيت او المدرسة ، كما ان اضرابه عن الطعام احيانـا الحافـز عليه عدم تلبية الاسرة لمطالبه في اقتناء اشياء معينة تفرضهـا طبيعـة المرحلة ، او كبت ميوله الفطرية من لعب وحركة او اية نشاطات ذاتية اخرى تتطلب مجاراته فيها او تشجيعـه عليها

وما يقال عن الطفل في المرحلة الاولى ، يقال عن الطالب الثانوي والجامعي مع فارق في المشـكلات الخاصة بكل مرحلة . وفي معرض العلاقات العـاطفية نجد في هجر الحبيب لحبيبته سلوكا اضرابيا ناجم عن اختلال خطير في التوازن العاطفي وعدم التكافؤ في الطبيعة والمزاج والتواصـل الاول للحب كان ولا شك سطحيا ، فلما قارب درجة العمق او الارتبـاط الحقيقي بالالفة والانصهار ارتد حلمه بسبب اصطدامه بعناصر الاختلاف والتناقض فيما يستحيل معه الدمج الكلي لروحيهما في عناق وثيق وقد جاء في الاثـار (الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)

ونفس الشيء ينسحب على العلاقة الزوجية الفاشلة التي تنتهي عادة الى فصـال وفي هذا المضمار يقـول الشاعر

ان الـــرواح اذا لم يكن عراما
امسى ابــد الدهــر جاسا

وثمة حالات يضرب فيها ـ نحن ـ عن الطعام تماما مثلما يحدث اذا عالنا الحزن العميق او الفرح المفرط وزوال هذا الاضراب معلق بزوال الحالـة الوجدانية العارضة

الاهداف العامة

واضراب الانسـان عن العمــل حركة استجـابة لظروف استثنائية حافـزة وتلك الحركة في حد ذاتها وسيلة لا غاية تهدف الى انصاف العاملين ، ولا يلجأ اليها الا بعد استنفار جميع المحـاولات التفـاوضية مع ارباب العمل

والذي لاشك فيه ان كل تقصير في حق العاملين لا بد وان تنعكس آثاره السلبية على حجم الانتاج وبقدر ما يسعى العامل الى تحسين احوالـه المادية والاجتماعية يسعى من جهة ثانية الى دعم روحه المعنوية بممارسة شعائره الدينية فيقع عادة ان يضرب الصائم المسلم عن شهوتي الفرج والبطن طيلة شهر رمضان ـ كل عام ما بين بزوغ الفجر الى غروب الشمـس ـ حسبة الطمع في مرضاة الله سبحانه ، وهي اقصى ما ـ الله مؤمن ، ولكن هذا النـوع من الاضراب الديني سمو بصاحبه الى مستوى قيادة النفس وتقريبها على بديعه

اد، الخالصة بلا رقيب منهاج روحي محض لا
ك ـ الا من أوتي ايمانا غامرا وقلبا خاشعا منيبا

لما كان الصوم قوة للارادة وشحذا للعزائم وتساميا
ى واخلاصا لله وعزوفا عن الشهوات ، فان
اب كوسيلة لتحقيق المطالب المشروعة عند
مين هو ايضا مناهضة للاستغلال ورفع للحيف
س لديمقراطية الشغل ولا يمكن الفصل بين هذا
اب او ذاك فكلاهما سبيل واحد نحو غاية واحدة ،
الطمأنينة الروحية والمادية وان اي عامل يفتقد
، الروحي او المادي او هما معا ، شأنه شأن من يمشي

دم واحدة او كطائر مهيض الجناحين ، لا سير
ولا طير للثاني

انه لما كان الافطار في رمضان لغير عذر كبيرة
، عليها ، وبالتالي اهدارا لحق الله باعتبار الصوم له
، فكذلك الاستغلال الذي لا مبرر له اهانة للكرامة
بية واغتصاب لحقوق العامل ، تلك الحقوق التي
ن تصان بنفس القوة التي يحرص بها المشغل على
الانتاج وتوفير الارباح ، او بالاحرى تراعى تلك
ن بما يعادل اخلاص العامل في عمله وفي هذه
ة اقوى صيانة لاستمرار الخدمات بالانتاجية ونمو
ا شكل تصاعدي ، لان الانصاف بغض النظر عن
بيعات الاخرى كيفما كانت ، يزيد من فعالية
ى ومن مردودية العمل يؤكد هذه النظرية علم
، الصناعي

كما يحدث الاضراب في صفوف الطلقاء يحدث
وراء القضبان بين السجناء السياسيين او من في
سم عندما يتعرضون لاساءة او عسف ، فان
اب عن الطعام في هذه الحالة امر محتمل ، وقد لا
ر على سجين او سجينين بل اكثر من ذلك ، ولو
ـ اكر اعتقالهم وتباعدت المسافات بينها وهذا من
صامن ولا ينفض هذا الاضراب الا بعد تغيير
لمعاملة بما يليق وما اكثر ما اطال سجناء
اضرابهم عن الطعام الى حد التدهور الصحي
الطبي لا نقاذ حياتهم التي توشك على الردى ،
ـه تهون على الاباة واصحاب المبادىء من ان

يدلوا نفوسهم المتعالية او يحنوا هاماتهم الى ما من اجله
ضربت عليهم الاسوار وقضبان الحديد

ونجد التصوف كمنهاج وسلوك اضرابا تلقائيا يقوم
به المتصوفة زهادة في الدنيا وتجردا من متعها وانصرافا
كليا الى رحاب الواحد المعبود بالمرابطة والاعتكاف
والمناجاة

وهذا اللون من الاضراب قد يطول او يقصر ، وقد
يكون عنيفا جدا او خفيفا نوعا ما وقد ولع المتصوفة
الاقدمون كما ولع المتأخرون منهم بالاضراب عن الدنيا
والتنكب عن شهواتها لكي يفلسفوا حياتهم ويعطوها
بعدا يتسم بعمق النظرة المتفتحة الماورائية والتطلع نحو
آفاق رحبة في محاولة دائبة للوصول الى كنه الحقيقة او
وحدة الوجود

ومن هؤلاء المتصوفة بوذا الذي أمعن في حرمان نفسه
بشكل أوشك ان يصرعها ، ولكن ما لبث ان ادرك بعد
هذه التجربة ان الجوع يؤثر على قواه الذهنية ، فعدل عن
هذا الاضراب الصارم ليعود الى انتهاج سلوك
الاعتدال ، اما متصوفة الاسلام كالغزالي وغيره من
الاقطاب فلم يكونوا متطرفين كبوذا في اضرابهم الصوفي
الذي تميز باعتدال نسبي ضمن لهم صفاء الذهن
واستمرارية التفكير المنطقي والجدل الفلسفي

ومما لا شك فيه ان هؤلاء المتصوفة يجزمون في
اعتقادهم ان الدنيا عرض زائل والزهد فيها حكمة وان
جهنم حفت بالشهوات ، لذلك عدوا الاضراب عنها
انتصارا على النفس الامارة بالسوءواخذوا برمامها وحملا
لها على ما يربيها بالقناعة والرضا في محيط التخلي عن
زينتها ومباهجها واضرابهم هذا يضعونه في مرتبة
الصوم المفروض ويقطعون بتعويض النفس في الاخرة
عن نصيبها في الدنيا ابتغاء السعادة الابدية في
الدارين

اضراب المتصوفة

ثم ان اضراب المتصوفة في جوهره عبادة مطلقة
تكتسب خاصية الانقاذ من الضلال وليس لها حدود

زمانية او مكانية ، وتضاف الى المناسك الاخرى مثلها في مقاصدها مثل قارب النجاة الذى يقل راكبه الى شاطىء الامان ليريح المضرب الصوفي نفسه من اهوال الدنيا ومتاعبها المادية الفاتنة ثم ليقبع في ركن قاص ، ولكنه فسيح يسمح لروحه المتجردة بالتحليق في الاجواء العليا بلا رغبات دنيوية تثقل كاهل النفس وتحملها على الانغماس فيما هو زائل منعدم او على طلب الربح مما فيه خسران

وعندما يعتنق المرء دينا جديدا يكون قد اضرب عن ملته الاصلية ، ولا نحكم له او عليه بالردة في البدء الا اذا عرفنا ضد اى دين قام بهذا الاضراب لنقول انه مرتد او غير مرتد حسب موقفنا او انتمائنا لهذا الدين او ذاك ، وعلى اى حال لا يخلو اما ان يكون اضرابا ايجابيا او سلبيا والحكم النهائي معلق اما بالاقبال او الادبار

وفي الشريعة الاسلامية الحكيمة يأتي هجر المرأة في المضجع كاضراب يقصد به تأديبها وحملها على مفارقة النشوز والعصيان لتكتسب من جديد سلوكا يرتفع الى مستوى المرونة والكياسة وحسن التفاهم والمعاملة ، ثم لتصبح بموجب هذه الصفات مثالية العشرة نبيلة الاخلاق والعواطف صبورة لينة الجانب وقد دلت تجربة الكثيرين من الازواج على ان هجر المرأة في المضجع ولو انه تدبير مرحلي يعيد في انتعاش الحياة الروحية ويعطيها نفسا جديدا يعيد الامور الى نصابها ويصحح مسارها بعد تصدع وانحراف

وانه لما كانت اية زوجة لا ترغب في الطلاق الا نادرا ، فان شعورها بالقطيعة على الفراش وحرمان ميولها الغريزية والعاطفية من الاشباع ، كلاهما كافيان لا قناعها بضرورة الكف عن غوايتها والرجوع الى الصواب لانتهاج سلوك افضل ازاء زوجها

ولولا جدوى هذا الاضراب لما اقره القرآن أو أمر به ومن ثم ليطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر مشهور عن امهات المؤمنين بعد ان تآمرن عليه كما تذكر كتب السيرة حيث اعتزلهن جميعا مدة شهر كامل حتى شاع عنه انه طلقهن ، وفي شأن ذلك قال تعالى « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع » .

وفي المجالات الدبلوماسية يفرض الاضـ[illegible] نفسه على دولة ضد اخرى عندما تتدهور العـ[illegible] بينهما لاسباب سياسية وغيرها ، اذ تجد احدى الد[illegible] ان لا مناص من مقاطعة نظيرتها اقتصاديا وسياسـ[illegible] كرد فعل او انتقام ، وقد يطول هذا الاضراب او يقصر حسب طبيعة المشكل القائم ، ولا ينتهي الا بعد ان تشفي الدولة المضربة غليلها او تأخذ ثأرها ، او بعد ان تبرز هناك عناصر جديدة في الموقف لسبب او لآخر مما يسمح باعادة ربط العلاقة بينها ولا يهم الجهة التي تبت المبادرة لرفع الاضراب

ومن طريف ما تجدر الاشارة اليه ، ان يشكل الاضراب طابع الاجماع الدولي ليدخل في اطار من التحدى السياسي التأديبي على اعلى مستوى له حيث قررت هيئة الامم المتحدة منذ سنوات مقاطعة المنظمة العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا ومعها نظام سلازار الذى ساد ثم باد في كافة المجالات السياسية والاقتصادية مع التأكيد على الاستمرار في تطبيق عقوبة الاضراب عن التعامل مع هذه الانظمة في اية مجالات اخرى مالم تتجاوب سياستها مع رغبات الاغلبية من الافارقة السود بمنحهم حق الحرية في تقرير مصيرهم بانفسهم ، ولم يجرؤ على خرق هذا الاضراب العالمي بطريقة شبه سرية الا دول قليلة جدا

وهناك قرارات تدعو الامم المتحدة الى فرض اضراب مماثل ضد اسرائيل ، (باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية البغيضة)

ونلمح مثل هذه المقاطعة الاضرابية في تاريخ الاسلام الديني عندما اضربت قريش كجبهة معارضة عن التعامل مع بني هاشم وبني عبد المطلب مناوئة بذلك الدعوة الاسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من السماء

نهاية المطاف

مفهوم الاضراب اذن ، عام شامل للكـ[illegible] من تصرفاتنا ، فلا غرابة ان اقرته القوانين والا[illegible] والدساتير الوضعية بعد ان دخل وسط حشد ها[illegible]

[illegible]رسات سلوكية المتشعة لدى الانسان والكائنات
[illegible]حرى مد الشأة الاولى ، ولكنه في خصوصيته وسيلة
[illegible]اعية فقد تشكل في حد ذاتها قمة التحدى والمقاومة
[illegible]شكال من الاضداد والسلبيات التي تواجه الطبقة
[illegible]املة وسائر الكائنات في مختلف الظروف ، وهو لهذا
[illegible] ان ينظر اليه بعين الانشراح وسعة الصدر لا بعين
[illegible]رم والقلق كما لو انه شبح مرعب وخطير ، ثم لاينبغي
[illegible] يقابله بالقمع والادانة ، لاننا حينئذ ننكر صراحة او
[illegible]ما حرا من الحركات التعبيرية الحرة للكائنات عموما
[illegible]حق ثابت بقوة القانون لا جدال فيه

ولو فتحنا ابصارنا بتمعن نرقب ما حولنا بدءا بانفسنا
[illegible] اصابنا الذهول او الاندهاش وبالتالي الاستغراب
[illegible]رعاج من اضرابات العمال التي توالت في السنين
[illegible]حيرة للمطالبة بمعادلة الاجور مع الاسعار او الحد من
[illegible]حش الغلاء الذى اضر كثيرا بالقوة الشرائية لدى الفرد
[illegible]لصها الى ابعد الحدود وخاصة عند الفئات الاجتماعية
[illegible]ضعيفة والمتوسطة ، ولفت النظر اليوم الى الاضرابات
[illegible]صورة يمليها الاهتمام بقضايا الانسان الحيوية ، وعادة
[illegible] يأتي الاضراب في بعض الحالات على انه حكمة اذا
[illegible]ن سيترتب عن عدمه ضرر ما ، وما صراع الحياة ضد
[illegible]ت الا اضراب دائم عن الرضوخ للفناء ولو لاه ما
[illegible]اش كائن حي

ولكن ايجابيات الاضراب من هذه الوجهة ، يجب
[illegible] تسيبا جوانب سلبية تصدر عن الذين يرفضون
[illegible]عمل بصورة مسترسلة ويركنون للراحة يعيشون عالة
[illegible] غيرهم او يطلقون سيقانهم للريح يضربون في
الافاق دون اهداف في الحياة محددة كالبهيمة السائبة ،
غير ان اسوأ حالة للاضراب هي تلك التي تصدر عن
الذين (يقبضون ولا يعملون) بمقتضى (قانون
التأمينات ضد البطالة) وهم كثرة كاثرة بلغت الملايين
ولا سيما في اوربا الغربية حيث يضربون عن العمل
ويتقاضون اجورهم كاملة ، وهم خليط من الشباب
والكهول والشيوخ والعجائز ، واخطر ما في المشكلة ان
اضرابهم غير محدود ولا مقيد بشروط او مطالب كما هو
الشأن في اضرابات العاملين ، وانما (يختار هؤلاء بمزاجهم
عملا صوريا) لمدة قصيرة جدا لضمان حق الاستفادة
من التأمين الكامل الذى قد يسحب منهم متى طال
تعطلهم ، ثم لا يلبثون ان يستأنفوا اضرابهم قتلا للوقت
في الشوارع والحانات والملاهي فلا هم من فئة العاملين
ولا هم من فئة العاطلين وما احسب الشاعر الا الى
هؤلاء يشير بقوله

اذا رام كيدا بالصلاة مقيمها
فتاركها عمدا الى الله اقرب

ثم هناك اقنعة اخرى للاضراب السلبي تستتر
وراءها الاقطاعية « التي تكتفي بملكية الارض وتهيمن
على الفلاحين المتحين بهدف استغلال الفائض من
انتاجهم لسد احتياجاتها » وقد ضربت الاقطاعية
بجذورها في اعماق المجتمعات المتخلفة منذ اقدم
العصور وهي في الصين اقدم منها في اى بلد آخر ، ثم
برزت كقوى متحكمة في اوربا قرونا طوالا وكذا في
اغلب المجتمعات الرأسمالية اليوم ■■

وزارات (المغرب) ـ عبد الوهاب شكري

الرد الوحيد

● الفت مجلة « رد بوك » لجنة لبحث خير الوسائل التي يتوسل بها الرجل للاحتفاظ بود زوجته ، ووضعت كشفا باسماء ازواج اختيروا ليسألوا عن ذلك فلم تتلق الا ردا واحدا من سجين في احد سجون الولايات الغربية ، وقد جاء في رده المقتضب : « وجدت خير وسيلة هي الاطباق على فمها ولكن يسعي ان لا تبالغ . وارجو ان تلاحظوا تعبير عوامي » .

• قصة •

رحلة الأسطى أحمد واخته بهية

بقلم : يوسف القعيد

ـ هل تبدأ الحياة بعد سن الخامسة والستين ؟

سؤال طرحه الاسطى احمد على نفسه ، في ذلك الصباح ، الذى لم يكن جميلا ، والذى بلغ فيه سن الخامسة والستين وتقرر ان يحال الى المعاش لم تكن لديه اجابة ، وبسبب طرح السؤال ان الاسطى احمد قرر ان يقوم باغرب فعل يقوم به الانسان في مثل هذا اليوم ، قرر ان يتزوج ، وان يتم الزواج في نفس هذا اليوم بالذات وعندما وصل الى قرار الزواج ، قال لنفسه في خوف ربما كانت صحوة الموت ، فالانسان تصيبه حالة من اليقظة الغريبة قبل النهاية بلحظات قصيرة قال لنفسه انه ربما كان حساب السنين معه بالمقلوب ، النهاية مكان البداية والبداية بدلا من النهاية هكذا فكر ، في الامس فقط وصل خطاب صغير الى المحطة التي يعمل في دائرتها من ادارة شئون العاملين ، الخطاب قصير وحاسم ومدبب ، اسطر محدودة تقول انه وصل الى السن القانوني ابتداء من ذلك الصباح ، سويت حالته ، وحصل على خطاب جديد موجه لادارة المعاشات ، يخطرها بالبدء في صرف معاشه وهكذا وجد نفسه وحيدا ، ومعه الخطاب ، وامامه عدد لا نهاية له من الايام والليالي ، لا يعرف كيف سيقضيه ، حتى الطريق الى القبر يبدو نقطة بعيدة ، وليست له محطة وصول ، واتى الصباح الذى لن يخرج فيه الاسطى احمد الى عمله ، لانه لم يعد لديه عمل يذهب اليه بدا النهار كالجبل ، وفقد الصباح طقوسه الجميلة ، فضلا عن ان هناك مشكلة لم تحل ، مشكلة البيت الذى يعيش فيه الحديث عن البيت والمعاش والمشاكل يتطلب البدء بالحديث عن عمله ، والاسطى احمد كان من عمال « الدريسة » ، لا احد يعرف اصل كلمة « الدريسة » هذه ، ولكنه يعمل في اصلاح قضبان قطارات السكة الحديد ، وصيانتها والتأكد من تثبيت الفلنكات الخشبية

بالأرض ، وثبات قضيبي السكة الحديد في الفلنكات ، المسافة التي يعمل فيها تمتد الى اربعين كيلو مترا ، على طريق السكة الحديد بين القاهرة والاسكندرية ، كان عامل دريسة ادن ، وهذا معناه انه كان في قاع العمل ، فوقه رؤساء لا يحصيهم العد الملاحظ ، المراقب ، المهندس ، اى الباشمهندس ، المدير والمدير العام ، صف طويل من الافندية لا عمل لهم سوى رئاسة الاسطى

احد ، وهو الوحيد فيهم الذى يتعامل مع قضبان السكة الحديد يمر على القضبان والفلنكات في المسافة التي يعمل بها ، ويبلغ الرؤساء بما يجده وهم يتصرفون ، لم يكن يعمل بمفرده ، معه اربعة عمال كان المفروض ان يكون هو الاسطى عليهم ، ظروف الايام المقلوبة جعلت غيره رئيسا عليه ، اما كلمة الاسطى التي تسبق اسمه فسببها الوحيد ، تقدمه في السن واقدميته في العمل طول عمره وهو وحيد ، لا يعرف الان كيف مضى هذا العمر ، ولا كيف تسربت لحظاته وايامه ببطء قاتل هو من احدى القرى القريبة ، وكانت له قطعة صغيرة من الارض من يوم حصوله على العمل في المصلحة ترك الدار قال اخوته ان من يترك داره يهد شرفه ويقلل مقداره بدأ النزاع على قطعة الارض التي تخصه ، ولكنه منحها لأخته بهية ، اصغر اخوته ، والاقرب الى اننه منها الى اخته ، وعندما بدأ الحديث عن المعاش ، حاول بكل الوسائل ان يبقى في العمل ، كتب الالتماسات وأرسل الشكاوى وقال انه قادر على العمل ، وليس في حياته ما يعمله ، المعاش يعني بالنسبة له الموت هكذا تصور وحاول ان يقنع رؤساءه ، الشكاوى التي ارسلها عادت اليه ، المعنى واحد من كل الردود وان اختلفت الكلمات من رد لآخر ، العمل بعد سن الخامسة والستين بالنسبة لعمال الدريسة ممنوع ولا أحد يملك الحق في اصدار مثل هذا القرار ، وان صدر فلا بد من القول في مذكرات واوراق رسمية كثيرة ، انه لايوجد شخص آخر للقيام بعمله احنى رأسه ، ولم يجرؤ على اثارة حكاية البيت الذى يعيش فيه وهو ملك للمصلحة ، بيت مبنى من الحجر الابيض ، غرفة واحدة معزولة عن مساكن باقي العاملين في السكة الحديد لانه اعزب بالقرب من بابه يمتد شريط السكة الحديد ، خلفه طلمبة ترفع المياه الى منطاس فوق البيت ، كان يديرها بنفسه في الزمان القديم ، وبجوار الطلمبة شجرة عنب زرعها بنفسه في الزمان القديم وفي المسافة التي تفصل بين البيت والسور والذى يحدد مساحة الارض التابعة للسكة الحديد ، توجد تكعيبة من الخشب ، تنام فوقها شجرة العنب ، ومن وراء السور ترعة ، وخلف الترعة طريق للسيارات ، عالم متحرك من خلفه ومن امامه وهو وحده الثابت في الارض كأنه دق اليها بالمسامير ، لم يكن يعرف هل ستأخذ الهيئة البيت منـ[ـه] هذا مفروض ، فالمساكن تعطى لمن بالخدمة فقط . [و]حد طابور طويل من العاملين الذين لم يحصلوا عـ[ـلى] [سـ]ـكن وينتظرون دورهم للحصول على سكن وعندمـ[ـا] [حـ]ـان موعد احالته للمعاش ، حدثت خلافات حو[ل] من يستحق البيت وتقرر عمل اولويات واجراء قرعة علنية منعا للمشاكل ، ورغم هذه الاجراءات لم يكن لدى الاسطى احمد اى احساس بأنه سيترك البيت في يوم ما لقد خدم المصلحة ، كل سنوات عمره ولا يمكن اخذ البيت منه ابدا ، مهما حصل ، الهم الثاني الذى كان يعذبه في ذلك الصباح هو البطاقة التي يركب بها قطارات السكة الحديد مجانا ان سفرياته قليلة وحركته نادرة ، وارتباطه في المكان مسألة قديمة ، وربما لم يستخدم هذه البطاقة من قبل كثيرا ، ولكنه بمجرد ان شعر انه سيؤخذ منه ، ادركه القلق واخذه من حيث وضعه في مكان بعيد تحت قطعة حجر في الجدار الخلفي للبيت ، ولم يدرك ساعتها ـ لانه لا يعرف القراءة او الكتابة ـ ان مدة البطاقة تنتهي مع اليوم الاخير له في الخدمة وهكذا استراح في صباحه لقراره ان لا يترك البيت ابدا واخفاء البطاقة في مكان لا يعرفه احد ، ثم تفرغ لاهم ما في ذهنه ، حكاية الزواج

وحكاية الزواج تعود للامس اليوم الاخير له في الوظيفة ، ففي هذا اليوم رأى الاسطى احمد الاشياء بعين جديدة ، واستقرت المرئيات في قاع العين وتسللت الى القلب المتعب والعقل الذى اصابه صدأ الايام اكتشف انه كان هناك الكثير من الاشياء لم يكن يراها جيدا ، بسبب الالفة اليومية وقد وجد نفسه ينفض تراب الالفة عما يراه وهكذا قرر ان يمر بالمنطقة التي قضى العمر كله وهو يعمل بها حتى لو استغرق ذلك اليوم كله في آخر المنطقة التي يعمل فيها من الناحية القبلية يوجد بيت مهجور لم يكتشف وجوده الا في هذا اليوم ، عندما اقترب من البيت الغريب المهجور ، شعر بعطش جارف ، الزمزمية التي رافقته في رحلة العمر [لم] تكن معه ، اقترب اكثر من البيت ، وجد حوله علامـ[ـات] ودلائل حياة فيه دق الباب ، صفق بيديه ، صاح قا[ئلا]

ـ يا أهل الله

ت دهشته بالغه عندما فتح الباب واطلت منه فتاة جهها كالبدر المنور تساءل لحظة رؤيته لها ، ان كانت ابنته او حفيدته وهو لا يدرى . نظر اليها وشهق ، شعر بجفاف في حلقه وبحبات عرق تنبت في اكثر من مكان بجسمه واسرعت دقات القلب وغامت الرؤية امامه ، فلم يتكلم ، تعطلت بداخله الكلمات ، وماتت على الشفتين همسات نسجتها اللحظة ، قالت الفتاة بصوت كخرير المياه

- نعم يا والدى

بدا له الصوت كوسادة ناعمة يستريح القلب عليها لم يستطع الرد تاهت منه الكلمات . مدت الفتاة يدها ، احس بطراوة اليد ونعومة الجلد ، سحبته من يده ودخلت . كانت بمفردها في البيت ، احضرت له الماء والطعام والشاى ، هبت على البيت من الناحية البحرية نسمة هواء ، فيها رائحة الارض والماء والزرع الاخضر ، فاحس ان روحه تستيقظ بداخله نظر الي الفتاة نخرت الاسئلة رأسه ودقت عظامه ، من هذه الفتاة ؟ واين اهلها ، وما تفعل هنا ؟ قال لنفسه ربما من بنات الجان وتذكر حكايات الغواية والحب وعلاقات الانسان بالجن التي توصله الى الجنون همس لنفسه ربما كان الجنون لذيذا وكان محرجا من حالته

استجمع قواه ، وقرر ان يسألها عن ظروفها طلبت منه ان لا يفسد جمال اللحظة باسئلة لا مبرر لها قالت له انه ما دام سيحضر اليها كثيرا يمكنهما الكلام في كل أمور العالم تساءل في فرح طفولي وهل يمكنه الحضور كثيرا ، قالت مؤكدة في كل لحظة يمكنك الحضور الى هنا ، في الصمت الذى يحيط بالبيت لم يكن يسمع سوى تردد انفاسه ودقات قلبه المتعب ، لقمة هنية في اطباق نظيفة وبيت فيه رائحة انثى ، هذا ما كان يفتقده كل ايام العمر التي مضت بدون معنى ، حالية حتى من العواطف ان الاسطى احمد يكتشف في حلمه هذه ، ان العمر كله لايساوى هذه اللحظة الـ . اكل حتى وقف على اظافره ، وشرب مياها باردة حـ شعر بطراوة سريانها في كل جسمه ، وتاه من خدر اللذة ، وهبت نسمة طرية فاسكرت حواسه ، ومن حـ ما بعد الطعام أغفى . وتمنى في احلامه ان لا يفارق هذا المكان ابدا صحا من نومه رأسه فوق فخذ الفتاة ويدها تعبث بشعره وفي عينيها تترقرق دمعة تأبى النزول ، فتمنح العين بريقا لامعا نادرا لم يره من قبل ومن اعماقه الجرداء سحت الدموع الدافئة

كوب الشاى الذى اعدته له كان يطل منه عود نعناع اخضر قطعته في هذه اللحظة فقط من حقل صغير وراء البيت ، لم يذق اشهى منه في حياته ، قال لنفسه هذا البيت بجوار السكة الحديد صاحبه اذن واحد من العاملين في المصلحة ، وتلك الفتاة وحيدته والرجل في سن المعاش مثله ربما كان موظفا كبيرا ما اسعده بمثل هذه الفتاة ، آه لو كان له فتاة مثلها ، اذن لتغير العمر كله ، قام سوى ملابسه ، استأذنها في الانصراف وهو يتمنى من كل قلبه ان يبقى بجوارها حتى آخر عمره ، نظرت الفتاة في ساعة يدها ، ولم تلح عليه في البقاء كل ما فعلته انها اقتربت منه ، وشبت على اطراف اصابعها حتى اصبح وجهها في موازاة وجهه تماما ، وطبعت على شفتيه قبلة لاهثة وسريعة وخجولة ، شعر بدقات قلبها واضحة ، تركها وخرج ، سار استدار الى البيت ، رآها تطل من بين حديد نافذة صغيرة ، ومن بين قضبان الحديد مدت يدها بمنديل ازرق مغموس في دموع العينين ، حاول المشى ولكنه وجد نفسه مشدودا للمنطقة المحيطة بالبيت لف ودار ، سأل الناس عن البيت ، كل الذين سألهم كانوا يردون على الفور

- تقصد بيت الحريم .

وكان يتساءل

- اي حريم ؟

كانوا يتكلمون والابتسامة تعلو وجوههم ، في البيت ارملة وثلاث فتيات . بناتها ، رجل الاسرة الذي توفى منذ سنوات ، كان يعمل مفتشا للري ، وهذا البيت مملوك لمديرية الري ، وهم يعيشون فيه من بعده لانهم لا مكان لهم في الدنيا كلها ، المعاش صغير ، والارملة ليست متقدمة في العمر وهي تذهب مع احدى الفتيات في بعض الاحيان للبندر القريب ، ثم يعودان وقت المساء ، بعض الرجال الغرباء يحضرون الى بيت احيانا ، ويخرجون بعد وقت طويل . لا يحضر الى بيت الحريم

سوى الشبان الخضر ، او الرجال الذين تنام فوق قلوبهم اكياس غليظة مليئة بالاموال فلماذا يسأل هو . ؟

عاد الاسطي احمد الى حجرته ، في الليل ، رجعت صورة الفتاة على جدران غرفته ، واضاءت ابتسامتها عتمة غرفته ، اتاه طيفها واستيقظت رجولته كلها دفعة واحدة ، وعجب من امره ، عندما كان معها ، لم يفكر فيها الا كابنة له ، او حفيدة ، ولكنه في احلام الليل اشتهاها افاق من احلام الليل ، وجلس يفكر ،ها هو يعثر مؤخرا على ما يكمل له حياته تأخر اللقاء كل هذا العمر الطويل ، ولكنها خلقا لبعضهما الاخر ، مشكلتها وامها وشقيقتها انه لا يوجد رجل في حياتهن ، وحياته لا تطاق وتبدو خالية من المعنى لعدم تردد انفاس امرأة في بيته ، المسافة بينهما ليست بعيدة ، وانتقاله إليهن يعوضه كل ما فقده بحكايه المعاش ، سيزرع الارض الموجودة خلف البيت وسيستأجر ارضا اخرى سيكون ظلا للحريم المسكينات اللاتي لا ظل لهن ـ قام من مكانه ، النهار ما زال بعيدا ، والليل يخر عن آخره ، ومع هذا فتح صندوق ملابسه القديم انبعث منه صوت عال ، لانه لم يفتح منذ سنوات مضت ، نفض تراب السنين من فوق الملابس ، اخرج جلبابا من الصوف ، لم يضعه على جسمه منذ سنوات الشباب الاولى ، قرر ان يرتدي منذ الصباح البدلة الكاكي ، بدلة مصلحة السكة الحديد ، اخرج صديريا شاهيا أبيض والحذاء ذا اللونين ، البني الغامض والابيض ، حذاء من الزمان القديم لا وجود له الآن ، والشراب الصوف والطاقية غزلها بيديه ايام ان كان شابا ، من صوف خروف كانوا يربونه ليذبح للفقراء واولياء الله الصالحين في مولد النبي ، اخرج المحفظة الجلدية والسلسلة البيضاء الفضية التي تربط المحفظة بالصديري ، شعر بدفق الشباب في روحه وهو يخرج اشياءه كلها ، وراح ينتظر الصباح ، الذي بدا له بعيدا

أنها فتاة بكر ، لم تتعد السابعة عشرة من عمرها ، يتيمة الاب ، تعيش مع امها واختيها في منزل على شمال السما ، وانه لم يفاتح احدا من اهلها ، وان كان يشعر انهم يحتاجونه اضعاف احتياجه هو لهن ، مشكلتهن الاساسية وجود رجل في بيت تعيش فيه ارملة مكسورة الجناح وثلاث بنات ، الرجل هو السند الوحيد لهن مسألة رفضه غير واردة ابدا ، وهذا ما تحدثه به نفسه بعد ... الامس

في الصباح ، ذهب الى اخته بهية ، وبدلا ان يحدثها عن المعاش والفراغ والايام القادمة و... لها ببساطة انه سيتزوج ومطلوب منها ان تستعد للذهاب معه الى بيت العروس . قالت بهية لنفسها ان حالات الفراغ اصابت اخاها بمس ، سألته عن العروس ، اسمها ، واهلها ورسمها وعمرها ، والدها ، هل هي مطلقة ام ارملة ، وهل معها اولاد من زوجها السابق ، افهمته ان كانت مطلقة لا بد من السؤال عنها ، ربما كانت هي السبب في الطلاق وقد تكون من النوع الذي لا يعمر في البيوت ، فتخلق له مشكلة في وقت هو غير مستعد فيه للدخول في المشاكل ، شعرت بحزن عندما قال لها انه لا يعرف حتى اسمها ، كل ما يعرفه عنها

ـ عليه العوض ومنه العوض ، حن احمد

قالت بهية لنفسها وان كانت قد تظاهرت بالصمت التام امامه ، في كلماته تصميم جعلها تخشى التفكير في رفض طلبه ، قالت لنفسها لتذهب معه حتى اخر المطاف ، وعندما يكشف بنفسه الاوهام التي يجري وراءها ، فان هذا افضل من النقاش والجدل ، تركها على ان يعود اليها وقت العصاري ، حيث انه أنسب الاوقات لاهل العروس ، كان كل ما معه ثمانية جنيهات وستون قرشا مبلغ جمعه له زملاؤه في العمل قدره خمسة جنيهات وثلاثة جنيهات وستون قرشا ، هي كل ما يملك كان زملاؤه يفكرون في شراء هدية له الفكرة نبتت من المشرف وهو افندي من النادر وقد تمكن من جمع الجنيهات الخمس بصعوبة ، فالايام صعبة والزمن بخيل وصعوبة الحصول على القرش تجعل انفاقه مشكلة علم الاسطى احمد بحكاية الهدية ، فقال للمشرف عندما سأله عن نوع الهدية التي يفضلها ان احسن الحلول هو اخذ المبلغ ناشفا لانه في امس الاحتياج اليه ، سيوصله المبلغ الى بر الامان ، من الآن وحتى اللحظة التي سيصرف فيها المعاش لا يعرف كيف يصرف اموره ، والكل يعلم كم من الليالي والايام ... قبل صرف المعاش ، امتعض المشرف من الفكرة و... بعد ان قلب الامر في ذهنه اعطاه المبلغ ، ومحضر

هن الاسطى احمد حتى كان المبلغ
ِلاه ما نفذ المشروع ، كان سينتظر
رف معاشه وهو يعرف ان يوم
الى السدر ، اشترى علبة سجائر
ورد ، مع انه لم يدخن في حياته ،
الجاتوه ورجاجة كلونيا لها رائحة
يمي ومنديل يد رجالي ، فتح زجاجة
لى المديلين حتى يذكراه مناديل
يدة ، يوم الصباحية ، حيث كان
من وقت لاخر ، ولكي يدخل طعم
بهية

بيرة ، ليكسرها في منزل اخته قبل
وس او بعد العودة منه وتتحول
مة سعيدة

ارى حاليا ، ركب الاسطى احمد
ت حاملا في منتصف اشهر الحمل
ي من الخشب المتآكل وجلست بهية
بجوار نافذة بحرية ، تحرك القطار
، مكونة دائرة مركزها القطار ،
ـ معطاة بفصلات اليوم كله ،
نهايات محددة ، انتظمت سرعة
صرصرة صوت عجلاته استراحت
د لاول مرة في هذا اليوم ، واخذت
يعاني منها ، تهدأ ببطء ، هاهي
تتسلل الى نفسه

بصعوبة ، مشيا مسافة طويلة من
، قالت بهية ، والتي كانت متعبة
علا على شمال السما تساءلت هل
مد من خلق الله ، وهل يتصور احد
ا ، ارملة وبناتها الثلاث ، عموما ،
التي ستتاكد فيها من هذا الكلام

ا ، مرت فترة طويلة قبل ان تفتح
الباب ، واطلت منها وجوه فزعة ،
م تختفي ، الى ان رأي وجه الفتاة
، بصعوبة بالغة عرفته ، وحاول هو

ان يذكرها بنفسه بالاشارة ، لان نفسه كان مقطوعا من المشوار الطويل والخبط على الباب الضخم ، امسك نقلة وهمية في الهواء وافهمها انه هو الذي شرب بالأمس ماء الحياة الذي اعاده الى دنيا البشر من جديد ، مر وقت آخر بعد ان اختفى وجه الفتاة من الشراعة دون ان تقول شيئا ، بدا الوقت للاسطى احمد واخته بهية انه بطول العمر كله ، اضطر للجلوس فوق حجرين بالقرب من الباب ، اخيرا هاهي المزالج تفتح ويسمع لها صوت مرعج قبل ان يفتح الباب بحذر اطل وجه الفتاة من فتحة الباب ، نظرت في كل الاتجاهات جيدا ، تصور الاسطى احمد انها لم تره ، فوقف واشار لها ، ولكنها استمرت في نظراتها ، وبعد ان تأكدت انه لا يوجد معهما اي شخص آخر ، سارت على اطراف اصابعها واخذتها بيدها ، ودخلت الى البيت ، هذه المرة عوملا كضيفين وقبل ان يجلس الاسطى احمد ، اعطى فتاته ما معه ، الجاتوه والكولونيا والمنديل ، واخرج علبة السجائر امسكها في يده التي اصبحت فارغة ، عزم على الحاضرين بالسجائر العالية آخر رجل احد منه سيجارة اشار اليه ان يقدم للسيدات ، تردد برهة ولكن الرجل اخذ منه العلبة وقدم سيجارة للام ثم للفتاتين ، الرجل لم يقدم لفتاته الصغيرة سيجارة ، فحمد الله

في داخل البيت كانوا اربعة رجال والام وبناتها ، والملابس ليست مسواه ، وشكل الرجال والنساء وقتها يؤكد انهم كانوا نياما ، النظرات تائهة وشعر الام وبناتها منكوش وقمصان النوم ليست مستقرة فوق الاجساد ، التي تعاني من حالة اضطراب مفاجيء نظر اكبر الرجال الاربعة الى الام بغضب قالت له بصوت حاولت ان لا يسمعه الرجل الغريب

ـ انه ليس من زبائنا

تساءل الرجل

ـ اول مرة يحضر

ـ اؤكد لك

ـ كيف وقد اتى ومعه المرأة التي يريدها

رجل آخر قال للفتاة التي كانت تجلس بجانبه

ـ يبدو انه مصاب بمرض الرغبة في النوم فوق الاجنة في بطون الحوامل

ضحك الرجل الثالث :

ـ انه يبحث عن شهود اثبات للحظة الجنس الرهيبة .

الدهشة والتعب والفرحة لم تعط الاسطى احمد فرصة سماع الكلمات التي قيلت بصورة اقرب للهمس ، وكان الرجل مشغولا بحبيبة القلب ، اما اخته بهية فقد فهمت بعض الكلام وان كانت لم تفهم الباقي

بدا الموقف ثقيلا لا يطاق ، فالكل في حالة من الدهشة والاستغراب ، الاسطى احمد هو الذى بدأ الحديث ، ذكر فتاته بنفسه وقدم لها اخته بهية

هتف الكل في صوت واحد

ـ اخته

قالت الام لنفسها ، كنت اتصورهما من العشاق ، يبحثان عن مكان ما وأن أحد احبائنا اعطاهما العنوان ، اما حكاية اخته فهي مسألة تعقد الامر كثيرا ، بعد الكلام اتى الصمت المتوتر المشحون ، لم يجد الاسطى احمد ما يقوله ، نظر الى اخته بهية لكي تسعفه وتتكلم ولكنها صمتت ، تخلت عنه ، وبدت له وكأنها غرقت في صمتها

اضطرت الام لبدء الحديث ، قالت

ـ خير يا جماعة

هذه المرة ايضا تكلم الاسطى احمد ، طلب من الفتاة احضار الجاتوه ليعزم على الضيوف ، فسارت الفتاة الى المطبخ وعندما عادت اخرج الاسطى احمد مطواه قديمة وفتحها ببطء ، صرخت الام من الرعب بمجرد ان شاهدت المطواة ولكنها رأته يستخدم المطواة في فتح علبة الجاتوه فهدأت ـ قدم العلبة للضيوف فهجموا على الجاتوه بجوع حقيقي ، امتدت الايدى وتزاحمت ، ولم تأكل بهية ولم يأكل هو ، رغم انهما لا يذكران آخر مرة اكلا فيها الجاتوه ، خاصة الذى يباع في البنادر . لم يأكلا لانه ليس من اللائق ان يأكلا هدية احضراها بنفسيهما ، اصبحت علبة الجاتوه فارغة تماما ، اخذها ووضعها بجواره فهي تنفع في منزله . عاد الموقف الى ثقله الاول ، استعجل الرجال الانتهاء من الامر وهجموا من جديد على علبة سجائره ، اضطرت الام الى سؤال المعشم ولم يجب اخيرا تكلمت بهية ، قالت ببساطة ان اخاها الباشمهندس احمد ، جاء في طلب يد المحروسة الصغيرة واشارت للفتاة ، ضحك الرجال الاربعة ، ولم ضحكت ولكن على نفسها ، الاختان الكبيرتان حسدتا الصغرى والصغرى جرت الى حجرتها ، ارتمت على السرير وبكت ، الام استوعبت الموقف بسرعة ، ودخلت وراء ابنتها الصغرى وطلبت منها ان تختلي بهذا العجوز المجنون بها وان تأخذ كل ما معه ، قالت لامها من خلال الدموع ، ان هذا الرجل حضر بالامس لاول مرة ، كان عطشانا يطلب ماء ، رأت التعب وهد الحيل يطلان من وجهه وهو يشرب رأت فيه اباها الذى لم تشاهده ابدا اتت الى الدنيا بعد وفاته ، والام لم تحتفظ بصورة له فبقي مخفيا بعيدا عن الذهن ، عندما شاهدت حنجرته تصعد وتنزل وسمعت صوت شربه قالت هذا ابي فعلا لهذا عاملته بكل الحب الذى تكنه لوالدها في قلبها وطلبت منه ان يعود مرة اخرى ، ولم تتصور ان تصل المسألة للحب وطلب الزواج ابدا ، كل هذا الكلام لم يصل الى قلب الام ، كررت طلبها رفضت الفتاة واصرت الام ، ولان الفتاة تعرف ان الضرب والتجويع هو نهاية المطاف ، قبلت اتجهت الى الاسطى احمد وبقايا الدموع عالقة برموش العين الطويلة التي تغطي فدانا من الارض البكر امسكته من يده ، سحبته وراءها في صمت الى حجرتها ، في الحجرة اجلسته على كنبة مواجهة لسريرها ، ارتمت على صدره واجهشت بالبكاء فرح وقال انها دموع الحب الذى فاحت به نفسها طلب منه ان يعطيها النقود والمحفظة والمطواة ، اما هي فلم تكن سعيدة ابدا ، احتضنته وقبلته ونزل خيطان من الدموع من عينيها ، دخل احدهما فمها ، وهي تتذوق دموعها قالت له

ـ لا تحضر الى هنا مرة اخرى ابدا

كررت قولها اكثر من مرة ، ووعدته ان تتخلص هي من الافلات ستحضر اليه وستجده ، من دهشته وعدم فهمه لم يعطها عنوانه . وشعر بالحزن يصل حتى نخاع عظامه

اثناء وجود الاسطى احمد مع الفتاة في الحجرة قام

رحل واخذ ـة الكبرى ودخلا احدى الحجرات وان كانا قد تركا الـ ـب موارباً ورحل آخر اخذ الابنة الوسطى ورحل حجر مقابلة واحد كان يتعجل الام والآخر فهمت بهية انه كـ ينتظر المحروسة التي حضرا الى هنا من اجل خطبتها ولكي تنهي الام الموضوع قامت من مكانها وجلست بجوار بهية وقالت لها بصوت اساسي لاول مرة منذ حضورها ، انهما امرأتان وتفهمان بعضهما جداً ، الرجل في عمر جد البنت وليس أبيها فقط ، وهي لن تزوج الفتاة الا بعد اختيها ، وهناك قريب لها ، من نفس عمرها تكلم بشأنها ثم ان العائلة لا تتعجل الزواج ، والام تعتقد ان بهية تفهم جيدا ما تقوله ، انها ولية والله امر بالستر ، ولهذا فهي تطلب من بهية ان تكون هذه الزيارة هي الاولى وهي ايضا الاخيرة ، وان تقنع اخاها بذلك دون ان تؤذي مشاعره او تجرح احاسيسه

في طريق العودة ، احتارت بهية كيف تخبر أخاها بالامر دون ان تسبب له مزيدا من الالم ولكن الحزن كان يسال داخل الرجل والدموع الدافئة كانت تسح في اعماقه

قالت له

- مر وقت طويل قبل ان يفتحوا

زادت الكلمات من احساسه بالمرارة

- اربعة رجال وأربع نساء وكل اثنان في حجرة

فتح فمه ولكن لم يرد ،

- كانوا عرايا تماما

كاد ان يضربها ، توقفت ، استدارت ، نظرت الى الست الغارق في الصمت ، والذي بدأت ملامحه تذوب وسط عتمة المساء ، كانت النوافذ قد اغلقت ، والباب فصل داخل البيت عن عالمنا قالت بصوت اقرب لهديل الحمام في البناني

- انهم يكملون المسألة الان

اشار لها بيده ، قال ان ما سمعه يكفيه واكثر ، بعد ان ركبا قطار المساء ، وتحرك بهما عائدا الى البلد ، وكانت مصابيحه تهمس بضوء لا يكفي لكي يرى الانسان الجالس امامه فتبدو المرئيات كالاشباح اقترب الاسطى احمد من اخته بهية وقال لها

- هل لي من طلب اخير ؟

قالت

- تحت امرك

اشار لبطنها بيد مرتعشة ، وطلب منها ان تسمي من في بطنها احمد

همست

- ان كان ولدا

قال بصوت عال

- انا متأكد ، سيكون ولدا

نظرت اليه ، بدا لها انه كبر مائة سنة مرة واحدة في هذه اللحظات القليلة ، وضعت يدها على يده ، حاولت ان ترجيه ولكنها قبل ان تفتح فمها سمعته يقول للظلام الذي يطل عليهما من خارج القطار

- انا قليل البخت

نظرت اليه ، لمحت خطين يلمعان على خده يتوهان بين التجاعيد هابطين الى اسفل لقد كان يبكي ■■

يوسف القعيد

● كان أحد دعاة السلام يحادث كليمنصو (النمر) مره ، فسأله هل بعصه للالمان قائم على معرفتهم ؟ قال . أذهب الى ألمانيا ؟ فرد كليمنصو كلا ، ياسيدي ، لم اذهب الى المانيا ، ولكن الالمان أتوا الى فرنسا مرتين خلال حياتي !

« اسس التقدم عند مفكرى الاسلام »

● مقالة فهمى هويدى المنشورة فى العدد ٢٤٨ مـن « العربى » بعنوان · (حكومة اسلاميـة نعم ·· حكومـة دينية لا) تشير الى كتاب لى صدر حديثا عن « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » (بيروت ، ١٩٧٩) هو ··· «اسس التقدم عند مفكرى الاسلام فى العالم العربى الحديث» وارجو أن أقر فى ذهن القارىء ما يلى · ـ

ان نظرية الماوردى اقرها موقف الاسلام من قضيـة « الدين والدنيا » أو « الدين والدولة » ، قد جاءت فى سياق خاص محدد من مجمل الاشكالية الاساسية التى يعرض لها كتابى بالتحليل·ويسعى ألا يفهم القارىء انى بالضرورة احد بالتصور الذى ركبه الماوردى ·

يهمنى ان ابين خلافا لما ذكر صاحب المقالة ان موضوع رسالتى « الاساسية » التى قدمتها الى السوربون فى مارس / اذار ١٩٦٨ للحصول على شهادة دكتوراه الدولة فى الاداب هو . (الاثر الرواقى فى الفكر الاسلامى) : وان موضوع رسالتى «المتممة للشهادة نفسها» هو (دراسة فى خلـق الكلام الالهى عند القاضى المعتزلى الجبار بن احمد) ·

ومعنى ذلك أنه لا علاقـة بين أى من هذين العملـين اللذين يدوران على قضايا فلسفية وكلامية قديمة او كلاسيكية وبين كتابى «اسس التقدم عند مفكرى الاسلامفى العالـم الحديث » فان موضوع هذا الكتاب مباين كل المباينةلموضوعى الرسالتين المذكورتين كلتيهما ، اذ هو يدور على قضيةحديثة تماما ويعالج اعمال مفكرين محدثين ومعاصرين لم يسبق لى ان عرضت لهم فى أى من اعمالى السابقة ، الفرنسيـة أو العربية كما لم يسبق لباحثين آخرين انخصوهم بالدرس الذى خصصتهم به ·

الدكتور فهمى جدعان
رئيس قسم الفلسفة فى الجامعة الاردنية

.ما اشبه الليلة بالبارحه

● ما أشبهالليلة بالبارد فبالامس جاءت الجيوش الاوروبية الى المشرق الاسلامى المتسامح تحت ستار الصليب وتحرير قبر السيد المسيح من أيدى المسلمين ، واليوم يعيدون الكرة من جديد ولكن تحت ستار العودة الى « ارض الميعاد» وبوجه آخر غير الصليب وهو نجمة داوود ·

لقد أغرى الوضع العربى فى العصور الوسطى اعداء العروبة فانشاوا امارات الرها وانطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس واليوم اوجدوا ما يسمى « بدولة اسرائيل » ·

على سعيد محمد فارس
الاردن الحصن

السلام الاسرائيلى

● السلام الذى يريدهقادة الصهاينة سلام عجيب غريب لم تعرف البشرية من قبل له مثيلا ··· فهو فى مفهوم هؤلاء يعنى السيطرة على ارض ليست لهم واستغلالكل ثرواتها الدسمة وطرد أهلها منها ···

ترى اى سلام هذا الذى به يبشرون ؟

انطانيوس
طرطوس –

عن العدد الممتاز

● نحن مدينون للقراء وموزعي « العربي » في انحاء وطننا الكبير باعتذار عن عدم استطاعتنا تلبية طلباتهم من العدد الممتاز لقد كانت البرقيات التي تلقيناها طلبا لهذا العدد تدعونا الى طباعة ٣٢٥ الف نسخة ، الامر الذي سعدنا به ، وحاولنا جاهدين ان نلبيه

ولكن مطبعة وزارة الاعلام ، المثقلة بمطبوعات اخرى ، لم تستطع ان تستجيب الا في حدود طاقتها القصوى خلال تلك الفترة ، وهي في حدود ٢٥٠ الف نسخة ، اي اقل من العدد المطلوب ب ٧٥ الف نسخة

وازاء ذلك ، لم نستطع الا ان نسجل اعتذارنا واعتزازنا ، وأملنا في ان نتمكن من تلبية القراء والموزعين في المستقبل القريب

(المحرر)

ادب شكسبير

● تمتاز مجلتكم العربي الغراء [ب]نشر قصص جديدة في باب [«] الادب واللغـة » ولا سيما [ا]لقصص المترجمة بيد اني كنت [ا]ود لو تفضلتم بنشر ترجمات [ل]سونيتات وليم شكسبير او [ت]لخيص لبعض مسرحياته [ا]لخالد[ة] وهذه فكرة لا بأس بها [ل]لقراء[«] ادب الطليعة » كثيرون [في] لعل[ه] العدد ملتقى ابحر البيان [و]ملتـ[قى] كل حس أدبي واحساس

[ي]وسف محمد الكبابي

بيلا ـ كفر الشيخ

تعليب لحم الاضاحي

● لقد سرني المقال الذي نشر في مجلتكم العربي في العدد ٢٥١ تحت عنوان « الساكت عن الحج والساكت عن الحق » بقلم فهمي هويدي وسرني أن يطرح هذا الموضوع

بخصوص الهدي الذي يذبحه الحجاج في منى ، فاني اقترح على المؤتمر الاسلامي ان يقيم مصنعا بالقرب من منى يتولى تصنيع تلك اللحوم بشكل جيد ويقوم المؤتمر الاسلامي بالاشراف على توزيعها على الفقراء والمساكين في الدول العربية والاسلامية وذلك اما ببيعها باسعار رمزية تغطي تكاليف تصنيعها ، او تقديمها كهبات لهؤلاء الفقراء

ان ذلك كفيل بتعميم الفائدة التي افترضت من هذا النسك من مناسك الحج بدلا من بقاء تلك اللحوم بدون استغلال

خلود محادين

الكرك ـ الاردن

العربي في سوريا

● مجلة العربي غذاء رئيسي احرص على اقتنائه ومن اجل ذلك ذهبت يوم ٧٩/١١/١٤ الى السوق لاشترى العدد (٢٥٢) فواجهت المصاعب قبل الحصول عليه وبثمن باهظ وهو (٢٥) ليرة سورية ، علما بان الثمن الرسمي للمجلة في سوريا هو ليرة سورية واحدة والذي ارجوه منكم هو زيادة الكمية المخصصة لقطرنا السوري كي تبقى العربي متوفرة في الاسواق فلا نشتريها من السوق السوداء

ماهر فارس حديفة

السويداء / سوريا

ـ نطمئنك بانه قد طرأت زيادة على كمية سوريا من العربي اعتبارا من عدد ديسمبر / ٧٩

المقام والنغمة

● ورد في مسابقة الكلمات المتقاطعة للعدد (٢٥٢) في الكلمات الافقية رقم (١٤) مقام موسيقي من حرفين ، وفي الكلمات الرأسية رقم (٢) ، (٣) مقام موسيقي كل منهما يتكون من حرفين ايضا ، في حين انه لا يوجد مقام من مقامات الموسيقى العربية من حرفين (سيكا - دوكا - نهاوند - حجازكار - بياتي - صبا - جهار)

والمقصود نغمات السلم الموسيقي السبعة (دو - سي - لا - صول - فا - مي - ري) وفرق بين المقام والنغمة

الصديق/عاطف محمد الشلشيري
المنصورة - مصر

لتكن هدية العربي

● انظار العالم تتجه اليوم الى ما يدور على ارض سيناء من انسحاب اسرائيلي وتسليم آبار البترول الى مصر، بالمماطلة والتسويف، والذى يهمنا كعرب أن نتعرف بالضبط على جغرافية سيناء من قناة السويس حتى شرم الشيخ وذلك بأن تكون هدية المجلة للعام القادم خريطة موضح عليها المواقع الهامة.

حسين الظاهر
دمشق - سوريا

زرياب

● طالعت باهتمام الكلمة « ايهما اصح » التي بعث بها احد القراء ردا على مقالتي واحب ان افصل للاخوة والادباء جلية مادة « زرياب » مؤكدا على صحة ما ذكرت في مقالتي

فقد جاء في لسان العرب مادة « زرب » « زرياب » الذهب ، والاصفر من كل شيء وفي القاموس المحيط « الذهب وماؤه » وفي تاج العروس « الزرياب » (بالكسر) الذهب وماؤه والزرياب معرب (زرآب) - بفتح الراي - ابدلت المدة ياء للتعريب

وذكر محشي تاج العروس ان زرياب (بفتح الراى) معناه ماء الذهب ، وعربوه بكسر الراي

وقاموس استراج (الفارسي) يذكر ان المعنى ماء الذهب وعلى هذا فيما ذكرناه يوافق المعاجم العربية والفارسية على السواء ولم تذكر أيٌ منها انه طائر فيرجى الرجوع اليها

اما قول مؤرخ تاريخ الاندلس من ان (زرياب طائر اسود اللون حسن التغريد ، فلا ينفي ما ذكرنا اذ ليس ما يمنع من أن تطلق اللفظة الواحدة على اكثر من معنى ، مثل « هزار » فمعناها العصفور الاحمر اللون والعدد ألف ومع ذلك فقد انفرد « المقتبس » بقوله بعد ان شرح اللفظة بالذهب ومائه « ولقب غلب عليه ببلده لسواد لونه مع فصاحة لسانه شبه بطائر اسود غراد » ورأينا - بعد هذا - ان الطائر لقب بماء الذهب

اما قول السائل ان (ماء) تلفظ (آف) وليس (آب) فهذا خطأ محض ، لان الكلمة بالباء لا بالفاء - ويمكنه ان يعود الى معجم « المعجم الذهبي » ليرى فيه بعينه وليس كذلك كما قال (اب زر) او (آب زر) لان التركيب اضافة بتقديم المضاف اليه على المضاف وهذا من قواعد الفرس ، ولا يمكن مقارنته بقواعد العربية

الدكتور محمد التونجي

* *

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تتشوه صفحة العدد بقطعها منه اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٦ ـ واخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مايو (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤرخ اسلامي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم واحد من أئمة الاسلام

الكلمات الأفقية :

١ ـ مؤ وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب

رسي ـ صخر بلوري

٢ ـ د الاشجار ـ شاعر فارسي اشتهر برباعيّاته

٣ ـ د اهان ـ أكاشفه ـ في الصحراء

٤ ـ أنواع المدافع ـ ورقة مالية ـ حرف استفهام ـ حرف أبجدي

٥ ـ رضيع ـ من الالعاب الرياضية

٦ ـ نصف كلمة (أرعب) ـ ضمير ـ سهاد ـ متشابهان

٧ ـ ضياء ـ نبي في عصره البارثيون ـ أطال النظر

٨ ـ مؤرخ اسلامي

٩ ـ حيوان ـ وحدات قياس زمن ـ تتوغده

١٠ ـ من الاقارب ـ حرف أبجدي ـ متشابهان ـ يتبع

١١ ـ في الساعة ـ حشرة
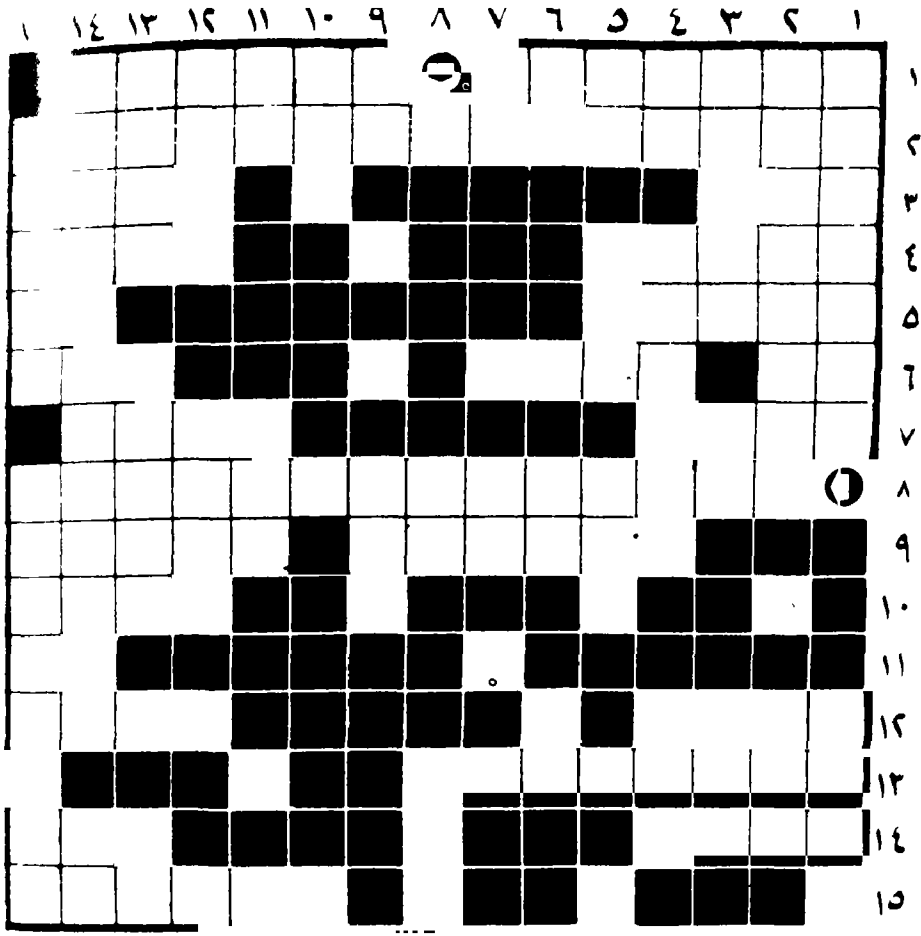
١٢ ـ نصف كلمة (عسلت) ـ سحب ـ شهر شمسي ـ حرف يفيد التشبيه والتقريب

١٣ ـ قائد عسكري شهير في التاريخ ـ متشابهان ـ اناء

١٤ ـ ظرف مكان ـ من امارات الخليج ـ طائر ـ عقل

١٥ ـ يشفى ـ دقّ ـ تكاتب

الكلمات الرأسية :

١ ـ عاصمة بورتريكو ـ من الأعاجم الذين استخدمتهم الدولة العبّاسية الثانية

٢ ـ شاعر عبّاسي ـ لعتي

٣ ـ متشابهان ـ لفظ تعجّب ـ أسعار ـ مدخل

٤ ـ دولة أفريقية ـ علاّية

٥ ـ يهبط عن المستوى اللائق ـ شرع ـ في الجهاز الدوري

٦ ـ نبات من نوع الزنابق ـ على جلود بعض الحيوانات

٧ ـ أدركتها ـ متعب ـ توجّع

٨ ـ من أئمّة الاسلام

٩ ـ أبغض ـ يبدو ـ يقابل

١٠ ـ حرف ندبة ـ مناقير الطيور الجارحة ـ تستخدم في الشرب

١١ ـ القاطع ـ نأخذ منها القمح ـ دقّ

١٢ ـ طائر حراقي ـ بجلته ـ وحدة قياس زمن

١٣ ـ تاسع شيشرون الذي اخترع الاحـ ـزال ـ استدعيتكم

١٤ ـ موقعة انهزم فيها هانيبال ـ موسيقي عالمي ـ ناعم

١٥ ـ كثيرة السأم ـ يسيطر ـ حرف عطف

العالم الذي عزل الالكترونات

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها بحيث تصنع الاسم الاول لعالم طبيعي كان أول من استطاع عزل الالكترونات في الذرة ثم انقل الحروف التي في المربّعات التي بها النجوم ، ورتّبها لتصنع لقبه

الكلمات الافقية :

١ ـ عاصمة مالي
٢ ـ نوع من الصخور
٣ ـ يضمر ـ هرب
٤ ـ نصف كلمة (كوثر) ـ لقب أديب عالمي ساخر
٥ ـ رداء هندي
٦ ـ نصف يوم

الكلمات الرأسية :

١ ـ أكبر بحيرات الماء العذب في العالم وأعمقها
٢ ـ معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا
٣ ـ تجمّعات سكّانية ـ من الامراض
٤ ـ حرف عطف ـ حيوان
٥ ـ من الاشجار
٦ ـ ذئب ـ بحر
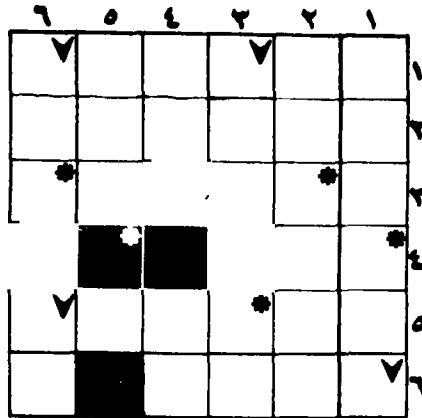
أين الصواب .. وأين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟

١ ـ فان هلمونت   رائد الكيمياء العلمية وأول من ابتكر كلمة غاز
٢ ـ فالنتينا   أول رائدة فضاء
٣ ـ شارل جونو   نحات من عصر النهضة
٤ ـ شارل لندبرج   أول من قام بطيران منفرد عبر الاطلنطي
٥ ـ سانت برنارد   كنيسة شهيرة في باريس
٦ ـ سميتانا   أطول انهار الارجنتين
٧ ـ ريبيا   من انواع الزهور
٨ ـ ريوجراند   نهر مكسيكي
٩ ـ دي هافيلاند   شركة صنعت أول طائرة بمحركات نفاثة
١٠ ـ داشهندس   من كلاب الصيد

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام

الحلول

الحكمة والسهم

وليم كروكس

أين الصواب ، وأين الخطأ ؟

كلها صحيحة فيما عدا

٣ ـ شارل جونو   موسيقار فرنسي
٥ ـ سانت برنارد   من كلاب الحراسة
٦ ـ سميتانا   موسيقي تشيكي معروف

الشكل المطلوب

رقم ٥

ORIENT
QUARTZ
START-STOP
TIME SELECT
LIGHT
SET
MUSIC
AUTO
TIMER
STOP W.
NOR.
MUSIC ALARM
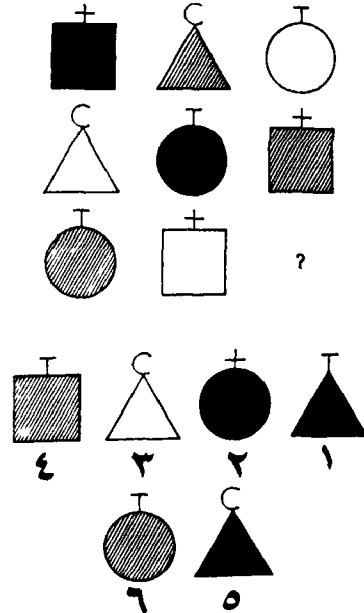
يثُ آخر ما توصّلت إليه أورينت ساعة
كوارتز رقمية حديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكّم. نغمات معدودة مسبقاً
مرئيّس "كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
مرحة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
على التفنية الخلاّقة لساعة أورينت، أو ساعة
في لعالم نسمة موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
ستعطيك اكثر بكثير من مجرّد الوقت - بسعوة و رقة

ORIENT اورينت

Manufacturers **ORIENT WATCH CO., LTD**
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETE

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب دولة

مارس - آ

٩٨٠

العلاج النفسي السلوكي الحديث

تأليف :

الدكتور عبد الستار ابراهيم

٥٠ فلس

الكتاب السابع والعشرون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

تغلّب «رد أدير» وسَاعته رولكس عَلى كافّة العَقبات لدَى إخمَادهُ «ولاّعَة الشّيطان»

"رد أدير" في إخماد حَرائق البترول.
لحَريق المعروف باسْم "ولاّعَة الشّيطان"
ا الكبرى
ت نيران هَذه البئر الرهيبَة تندلع صَاخبَة
مان السّماء الى عُلوّ يبلغ ٢٠٠ متر، وتأتي
يد عن ١٥ مليوُن متر مكعّب من
كل يوم.
مجهود دائب، تحت انهمار أطنان من
حَة الحَرارة، إستطاع "رد أدير"
مع ٢٥٠ كيلوغرامًا من مادّة متفجّرة
ن بعد نصف متر من قاعدَة
ستهنة، ثمّ قام بتفجير هَذه المادّة،

فتمّ إخمَاد الحَريق في جزء من الثانيَة.

وداخل مصانع رولكس في جنيف حيث تقلّ الحَرارة نسبيًا، يقوم الحرفيّون باستحداث سَاعَة مصمّمة لاحتمال أقسَى وأصعب الأحوال والأوضاع.

فكل سَاعَة رولكس كرونومتر تخرج من مصَانعنا، تخضع رسميًا لاختبارات دقيقة ليل نهَار وطوَال أسبوعين، فضلاً عن حتميّة استمرار حَركتها مدّة خمسة عشر يومًا تتعرّض خلالها سَاعة رولكس الى نهايات قصوى من درجات الحَرارة وهي مُدلاّة في معزل عن علبتهَا المتينة أويستر.
ولكن، مَن بإمكانه معرفة الطريقة التي تعامَل بهَا رولكس وهي حَول معصَم رجل مثل "رد أدير"؟

في عَام ١٩٧٧، عَاد "رد أدير" وفريقه من بَحر الشمَال رافعين رايَة النصر، وقد أفلحوا في إخمَاد ثوران بئر "براڤو" يوم راحت تقذف من فوهتهَا، كمَا الصَاعقة، نافورَة من الغَاز والبترول في درجة الغليَان، ممّا زنته مئات الكيلوهَات كل سَاعة.

وتعليقًا على هَذا الحَدث، كتب مرَاسل "الديلي ميل": "كانت سَاعَات رولكس الذهبيَة، مثبّتة حَول معَاصمهم وكأنّهَا رمز شركة".
شركةٌ ما، هي.
وَرمزٌ ما، هوَ.

في الصورة: ساعة رولكس كرونومتر "داي ديت" من الذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سوار ينسجم معها

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٨٠

١٢٦

١ - عائلتي
٢ - الأشباح

تأليف ادوارد دو فيليبو

ترجمة وتقديم د. سلامة محمد سليمان

مراجعة محمد سعيد [illegible]

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

عزيزي القارئ

نخشى أن تأخذ نشاطات الدعوة الاسلامية في أوروبا وأمريكا اهتماما أكثر مما ينبغي ! ذلك انه منذ اضطر بعض الدعاة الاسلاميين للنزوح الى اوروبا في ظروف استثنائية يدركها الكثيرون ، فقد اصبح هناك من يتصور ان مستقبل الاسلام في اوروبا والولايات المتحدة ، بحجة الضمانات والتيسيرات المتاحة . وانساق آخرون في هذا الاتجاه ، حتى اصبحت اوروبا مقرا للعديد من المؤتمرات والندوات التي تعقدها مؤسسات علمية وثقافية ودينية في العالم العربي بوجه أخص .

ولما كان العالم الاسلامي مقبلا على احتفالات واسعة النطاق بمناسبة حلول القرن الهجري الجديد ، فان اكثر ما نخشاه ان ينعكس هذا التصور على خطط هذه الاحتفالات ، ويصبح نصيب أوروبا والولايات المتحدة الامريكية منها اكبر من نصيب العالم العربي والاسلامي .

والذي نحب ان ننبه اليه هنا ثلاثة أمور .

الامر الاول يتعلق بحقيقة ان المرتكز الاساسي لهذه النشاطات ينبغي أن يكون العالم العربي والاسلامي قبل اي مكان اخر ، وأنه بالمقارنة ، فان لاهور وكوالالمبور وكوناكري مثلا هي بكل المقاييس الموضوعية اهم من لندن وباريس وكاليفورنيا ، فيما يتعلق بتوجيه النشاط الاسلامي ، او حتى التعريف بالاسلام على وجهه الصحيح .

الامر الثاني اننا سوف نحقق انجازا لا بأس به ، اذا ما حرصنا على ان تغطي احتفالات القرن الهجري مساحات من مجتمعات المسلمين ظلت بعيدة ومنسية لسنوات طويلة ، حتى كادت تمحي من ذاكرة المسلمين . وعلى سبيل المثال فان بخارى في اوزبكستان ، ومراوى في الفلبين ولكهنو في الهند وزنزبار في شرق افريقيا ، هذه كلها مساحات تتعطش شوقا لمشاركة العالم الاسلامي احتفالاته ، خصوصا وان السلطات المحلية في بعض هذه المناطق يمكن أن تفتح الباب لاقامة بعض الاحتفالات المحلية بهذه المناسبة تقديرا لمشاعر المسلمين .

الامر الثالث ، اننا لا نستطيع ان نلغي من حسابنا جاليات اسلامية ضخمة في أوروبا والولايات المتحدة ، كما اننا لا نستطيع أن نلغي من حسابنا فكرة تقديم الاسلام الى العالم الغربي في صورة مشرفة ، لكن ما نحرص عليه هو ان يعطي هذا التوجه اهتماما معقولا وترتيبا مناسبا في الاولوية ، ولغة مناسبة في التعبير تناسب ، كل مقام .

هذا اذا اردنا ان نأخذ الامور مأخذ الجد ، وأقمنا جدارا عازلا بين الدعوة الى الاسلام ، والسياحة باسمه !

« المحـــرر »

صورة الغلاف

● بنات « طارق » كل شيء فوق الجبل وتحته وحوله يحمل اسم القـ العربي المسلم البطل طارق بن زياد ان اهل البلدة ليسوا اسبانا وليسوا انجليزا وليسوا عربا انهم من كل هؤلاء . وتسألهم « اذن من انتم ؟ » ويقولون « نحن طارقيون " » (ص ٧٢)

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

اداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: احمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد . بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ - الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ - مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 257 -- April 1980
P.O. Box 748 -- KUWAIT

بقلم : أحمد بهاء الدين

سعيد هو المفكر ، او الكاتب ، الذى يحظى « باليقين » !

ذلك الذى يستقر عقله بسرعة ، عند نظرية او عقيدة ما ، وتسكن نفسه في تفسير محدد للحياة التاريخ والمجتمع والانسان ، ومنطق متكامل للماضي والحاضر والمستقبل ، سعيد هذا الرجل فيلسوفا كان أو مفكرا او كاتبا او زعيما او فردا عاديا .

انه كالسفينة التي تجد المرفأ الهادىء

قد ينال المجد او يصل الى اقصى درجات النفوذ ، او يقضي عمره في السجن ، او مشردا في العراء ، ولكنه ، أيا كان موضعه ، يكون في سلام كامل مع نفسه . فاعتقاده بأنه يمتلك « الحقيقة » لايتزعزع . وهذا يعطيه قوة من نوع خاص وراحة من نوع خاص .

ومن هذه « الخامات » نجد نوعا خاصا من الرجال . زعيما لا يعدل عن طريقه قط ولو دمر قارة بأكملها مثل هتلر او مفكرا ولو تصارع الناس حول فكره أكثر من مائة سنة مثل كارل ماركس او حاكما حديدي الارادة ازاء اكبر الاهوال ، قادرا على اتخاذ قرارات فيها حياة الملايين وموت الملايين مثل ستالين

على ان هناك نسيجا آخر ، يصنع منه فرع آخر من الرجال . قد يتمتع احدهم بعبقرية طاغية وقدرة عقلية فائضة . ولكنهم يولدون بأرواح قلقة ، وعقول هائمة على وجهها لانهم متقلبون ، مترددون ، متغيرون . يشقيهم البحث عن الحقيقة وتؤرقهم امواج وشلالات من المعارف والتأملات ، بل انهم كلما ازدادوا في الذكاء والمعرفة والعقل الناقد ازدادوا قلقا واضطرابا وارهاقا لانفسهم ولمن يقرأونهم .

هذا النوع من المفكرين ، ربما يتركون في حياة العالم آثارا أقل ، لانهم لا يتركون و ...هم للناس طرقا محددة مستقيمة ، ممهدة ، مثل طرق الاسفلت ، وهي الطرق التي يفضلها معظم ...س عادة بل يتركون طرقا متعرجة متشعبة وعرة ، ولأنهم يطرحون علينا من الاسئلة اكثر مما يتركو ...لنا من اجوبة حاسمة قاطعة .
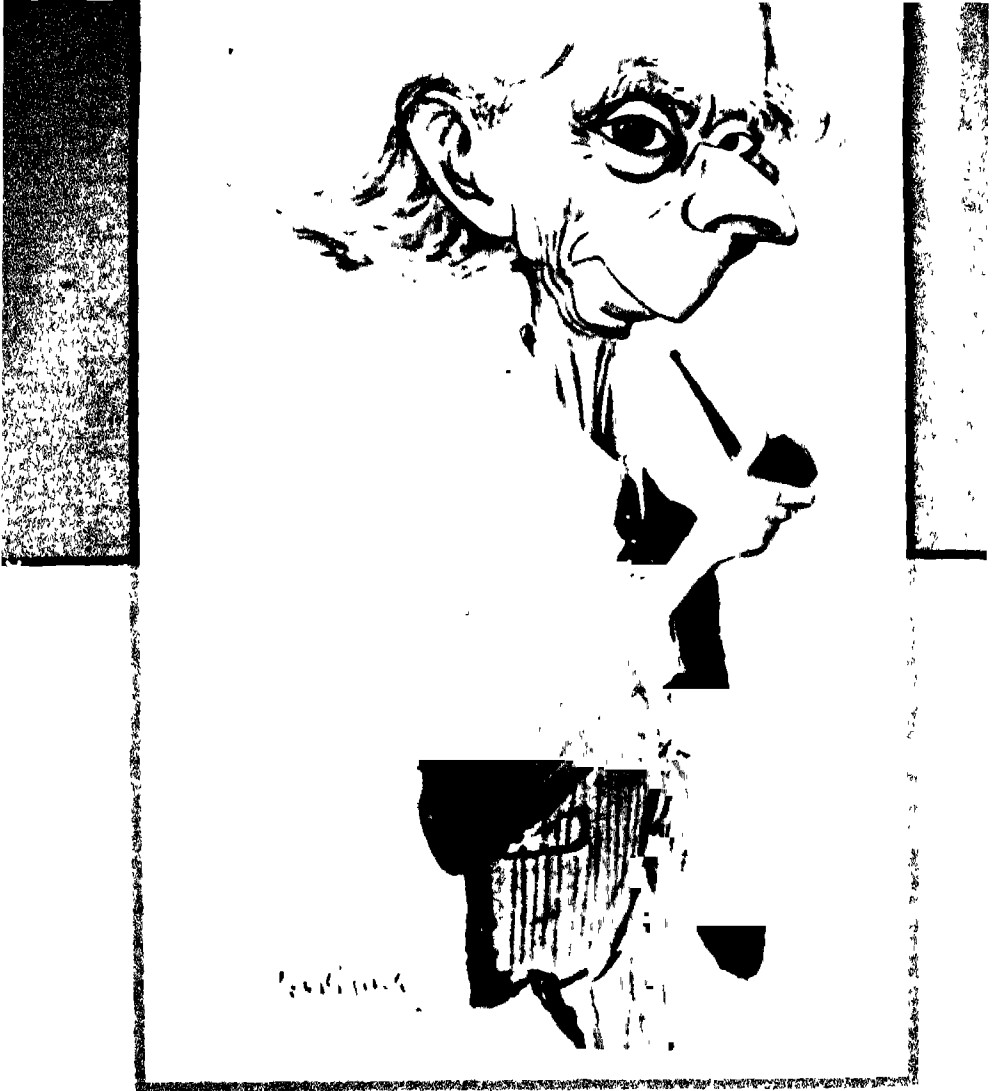
ولكنني اعترف بان هذا النوع من المفكرين والكتاب أقرب الى قلبي . وأحب الى نفسي لانني - ربما - اشعر بمعاناتهم في البحث عن الحقيقة واشفق على جحيمهم الداخلي او ربما لانني اراهم اكثر انسانية . او ربما لأن أجوبتهم ان كانت ناقصة ، الا ان اسئلتهم منعشة للعقل ، مثيرة للضمير ، منشطة القلب .

من هذا النوع الثاني ، برتراند رسل ، الذى علات الدنيا تنشغل به - مدحا وقدحا - بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته .

ذلك العقل الجبار الذى عاش ما يقرب من قرن كامل (٩٨ سنة بالضبط) . فكان شاهد قرن مل . وناقد قرن كامل . وثائر قرن كامل . واى قرن ؟ ...... قرن ولا كل القرون . قرن حفل داث تفوق كثافتها وسرعتها وتحولاتها عشرة قرون مما سبقها .

والغريب انه - بعقله الجبار - صنع مجده ، ووصل الى القمة الصعبة التي ادخلته التاريخ في مبكرة جدا . وفي مجالات بالغة الخصوصية والصعوبة . في ساحة الفلسفة والحساب

والرياضيات صعد الى القمة الوعرة بسرعة هائلة ، ونال اعتراف العالم كله ، وتم تتويجه بين
سن الخامسة والعشرين وقبل ان يبلغ الأربعين من العمر (اهم كتبه الراسخة الى اليوم « س
المنطق الرياضي » سنة ١٨٩٧ ، « مبادىء الرياضة » سنة ١٩٠٣ ، « مبادىء الرياضيات سنة
١٩١٠ و « مشاكل الفلسفة » سنة ١٩١١)

وقد كان يمكنه - بل والمفترض بداهة - ان يعتصم بقمته الشامخة . وبعالمية مكانته ولا سل
بعد ذلك اكثر من تلقي الاوسمة والجوائز واكاليل الغار وصلوات التلاميذ .

من ناحية « الامن » ولد من سلالة اللوردات لا ينقصه مال ولا لقب ولا مكانة اجتماعيه
ومن ناحية الفكر ، صكت صورته على الميداليات التذكارية .

ولكنه عاش بعد ذلك اكثر من خمسين سنة . ولم يتردد في النزول عن قمته ليخوض عمار كل
شيء يفكر فيه الناس ويشغل الدنيا ، فهو يهدر بعشرات الكتب ومئات الدراسات في السياسة
والفن والادب والاجتماع والحب والزواج ، رائحا غاديا بين اعلى قضايا الفكر المجرد وبين ادق
خصوصيات الحياة الانسانية

ولم يقف عند الفكر والتأليف بل انه قاد المظاهرات ، ودخل السجون وناقش الشباب بعد
ان جاوز التسعين ، وحاطب اقوى رجال الدنيا ، كما خاطب الجماهير عند نواصي الشوارع وفي
الميادين وتلقي حوائز نوبل وغيرها كما تلقى ضربات رجال البوليس ، وكان يوما اعظم الرحال
واحبهم ، وكان يوما طريد العدالة ومرفوضا من وطنه (انجلترا)

وقد كانت وراء هدا كله ، صفتان :

الاولى تلك الروح القلقة والعقل النافذ الى اعماق ابعد مما يجب . والنظرة التي لا ترى شجرة
واحدة وتعتبرها شجرة الحقيقة الاولى والاخيرة بل ترى الغابة كلها . . بأجمل زهورها ولا نهائية
احراشها بأرق طيورها الملونة واكثر وحوشها وحشية . والحقيقة ليست شجرة واحدة

والثانية ، احساس حقيقي بانتماء الى العصر ، والناس ، والمصير . تلك الكلمة التي اشتهرت
بعد الحرب العالمية الثانية في دنيا الفكر والادب ، وروج لها جان بول سارتر واقرانه ، كلمة
« الالتزام » لم تكن كلمة « الالتزام » بالنسبة له وجهة نظر ، ولا مدرسة ادبية ، او فكرية ولا
ترجمتها عنده مقصورة على مايكتب ، ولو كان في برج مشيد ، بل كان الالتزام حقيقة يعيشها
ويتنفسها ، ويمارسها ، ملقيا وراء ظهره لقب العائلة الموروث ، وماله الوفير ، ووقارها المرسوم ،
وملقيا وراء ظهره ايضا بتيجان المجد العلمي ، والشموخ العقلي ، سائرا في طرق وعرة ، يتعثر
فيها ، وينكفيء وينهض ، وينفضح ويشهر به ، وتدمر حياته اكثر من مرة .

عقل جبار وضمير مؤرق عاش قرنا ، وكان شاهد قرن كامل وثائر قرن كامل
ومرآة قرن كامل .

لقد ولد برتراند رسل سنة ١٨٧٢ ومات ١٩٧٠

ولد واجداده من الأب والأم لوردات انجليز وولد قبل ان تموت الملكة فيكتوريا بثلاثين
سنة واذا كان العصر الفيكتوري أجد قمم مراحل الاستقرار والثبات في العالم وانجلترا سيدة
الدنيا والتي لا تعرب عن ممتلكاتها الشمس ، واذا كان ابن لوردات ذلك البلد في ذلك العصر في
تلك الدنيا فقد ولد ادن في امنع قلاع العالم واكثرها شموخا وثباتا واستقرارا ، من العلاقات
الدولية ، الى العلاقات الاجتماعية ، الى طراز الملابس والاثاث ، عصر التقاليد الراسخة بسطوتها
المطلقة ، وقيمها غير القابلة للتحدى

ولكنه لم يبق في هذه القلعة ، حتى بعد ان صعد الى اعلى ابراجها على سلم المجد الفكرى

فقد عاش طويلا عاش ٩٨ سنة كاملة . رأى فيها حربين عالميتين . ورأى فيها انهيار
امبراطوريات وتغير خريطة العالم عدة مرات ، وعشرات الثورات وبزوغ قوى اخرى تماما
سواء امريكا او روسيا ، او صيحات ملايين العالم الثالث . وعاش اكتشاف اينشتين لنظرية
النسبية وصعود النازية ودمارها في حريق عالمي هائل . وقيام الشيوعية وتعاظم الرأسمالية . عا

الثـ ة الصناعية والثورة ما بعد الصناعية والثورة الألكترونية وعاش ظهور القنبلة الذريـة ونز ل الانسان على القمر . وكان جزءا من هذا كله . منفعلا بهذا كله ، فاعلا في هذا كله ، ضائعا في هذا كله !

ومن المستحيل طبعا ، الالمام بمشاغل برتراند رسل ـ كتبه وحدها حوالي ستون كتابـا ـ من الر ياضيات والفلسفة الى قضايا الحب والزواج . ولكن يكفي ان نعرض في ايجاز الى حياته بصدد قضيتين ، هما اللتان اخرجتاه من برجه العاجي ، الارستقراطي ، حسبا ونسبا وعلما وفكـرا ، الى قارعة الطريق .

* قضية الحرب والسلام .
* قضية الجنس ، والحب والزواج ..

بالنسبة لقضية الحرب والسلام ـ مثلا ـ يجمع من كتبوا عن برتراند رسل ان الحرب العالمية الاولى كانت هي نقطة التحول في حياته هي التي نزعته من قمته . وكأنه رأى فيها قبل غيره نهاية العالم القديم وبداية عالم جديد ومخاضا رهيبا حافلا بالتدمير والبناء .. من الممالك الى القيم والاخلاق ..

فقد فوجيء الناس بهذا العالم المفكر الجليل ، والاستاذ العالمي السمعة في جامعة كامبريدج ، والذي يكتب مؤلفات لا يفهمها الا مئات ... فوجئوا به يصدر كتيبا صغيرا يعارض فيه الحرب العالمية الاولى . ويعارض الاشتراك فيها . ويدعو الشباب الى التمرد ! ....

وكان هذا حدثا لا سابق له

وثاير على الشغب حتى لم يعد هناك مفر من محاكمته . فقدم للمحاكمة بتهمة شائنة تشبه الخيانة الوطنية . وحكم عليه بالغرامة لمكانته ، ولكن كليته في جامعه كامبريدج جردته من القابه ومنصبه وطردته . فلم يعد اليها الا بعد حرب عالمية اخرى وما يقرب من نصف قرن ! .

ولم يؤثر هذا في موقفه ولا رفض المجتمع له . وخصوصا بيئته واهله . فاضطـرت الدولـة لمحاكمته من جديد وهذه المرة صدر عليه الحكم بالسجن ستة شهور . ودخل اكبر مفكري عصره السجن ، ولم يخرج منه الا قبل نهاية الحرب بشهرين .

كانوا يرونه المجنون في عالم عاقل . ولكنه يرى نفسه العاقل في عالم مجنون ، يحارب حربا عالمية عقيمة يحدث فيها زهرة شباب اوروبا ـ مركز الكون ـ بالملايين دون نتيجة تذكر ...

ووجد نفسه بلا عمل متمردا على الفكر والتعليم والذي يقود الدنيا الى هذه المهالك ، فأنشأ مع زوجته مدرسة خاصة كان دستورها « حرية الفكر ، حرية التعبير ، حرية الحب ! » . لم تلبث ان صارت في نظر المجتمع الانجليزي مدرسة للخطيئة ، ولطخت الصحف سمعته هو وزوجته وكل من التحق بمدرسته ، وكظمت الارستقراطية المترفة غيظها حـين مات اخـوه ، فورث هو لقـب « الايرل » وصارت زوجته « كونتيس »

ولم يكن ما يدرس في المدرسة فسقا بالطبع ، ولكن لانه كان قد اكتشف ، مع قضية الحرب قضية الحب ، وبنفس شهيته الهائلة للتمرد العام ، كان تمرده على نمط العلاقات الخاصة .. فقد اندفع في علاقات غرامية عديدة ، وانجبت زوجته له طفلين ، وأنجبت من غيره طفلين غير شرعيين ، ثم أنجب هو من مربية الاطفال طفلا خامسا ... فكان لا بد ان ينعكس هذا الانحلال على سمعة مدرسته .

على ان المدرسة بقيت ، فلم تغلق الا بعد الحرب العالمية الثانية !

وكانت زوجته تلك ـ دورا ـ مشغولة بالمدرسة ، اما هو فان شهرته الفكرية عبرت المحيطات ، دون شهرته الاخلاقية ، الشخصية ، فقضى معظم فترة ما بين الحربين ، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، يدعى لتدريس فترات دراسية في جامعات مختلفة في الولايات المتحدة الامريكية ، مترددا بين انجلترا وامريكا عبر المحيط ....

تكررت الحرب العالمية اذن ، ولم يحضر الحرب الثانية في انجلترا اذ كان في امريكا . ولكن

الحرب ختمت بوضع غير متوقع ، يختلف نوعيا عن نهاية الحرب العالمية الاولى

لقد اكتشفت القنبلة الذرية والقيت اول قنبلة على هيروشيما . وانتهت الحرب بدفن الـ ة ولكن بظهور صراع اكبر واصخم بين روسيا وامريكا . فالعالم اذن على ابواب حرب ثالثة اشـ ـا لا يقاس مما سبقها .

وعاد صوت برتراند رسل مرتفعا بمغامراته الجديدة ...

دعا الى حكومة عالمية ، فوق الامم المتحدة ، كحل وحيد لعدم الحرب واقام الدنيا واقعدها وكان هذا حلا مثاليا حدا . .

ولكن كان كل همه منع الحرب . وكانت وقتها القنبلة الذرية ما زالت ملكا لامريكا فقط ولم تتوصل روسيا الى صنعها بعد .

فدعا الى أن أحسن حل للعالم ـ وأقل ضررا ـ هو ان تلقي امريكا فورا قنابلها الذرية على موسكو وتدمر النظام السوفيتي بمنطق ان الانتظار حتى تملك روسيا القنبلة الذرية معناه حرب ذرية اما تدميرها قبل ذلك فمعناه منع احتمال قيام حرب ذرية ، ولو بعملية فاحشة ثم يعود العالم للتفكير في حكومة عالمية ! !

مازلت اذكر انني كنت ما ازال طالبا اتلمس طريقي الى القراءات المختلفة ، والاسماء الكبيرة ، عندما نشر برتراند رسل هذا الرأي ، مبرهنا عليه ـ كالعادة ـ بكل حججه العقلية الحارة وقلت لنفسي وقتها . هذا الرجل مجنون ! وبدأت أهتم به ، لاحاول معرفة الصلة بين شهرته ، وبين مثل هذا القول المندفع من خلال البحث عن كتاباته الاخرى ..

ولكن السنين لم تمهل برتراند رسل كثيرا ، رغم الضجة الهائلة التي احدثها هذا القول من رجل في قيمته ووزنه فقد اعلنت روسيا بعد سنوات انها صارت تملك القنبلة الذرية بدورها

وبدأ السباق الذري المعروف . .

وعلى الفور ، كان لبرتراند رسل موقف آخر ..

لقد سقط موقفه الأول بتملك الطرف الآخر للسلاح الجهنمي . وصار المهم الآن هو محاولة منع وقوع حرب بين القوتين الجبارتين ، باي ثمن ...

وصار برتراند رسل فورا على رأس حركات السلام ، وحركات نزع السلاح .

والى جانب نشاطات الكتابة ، والخطابة ، واللجان والمؤتمرات احدث برتراند رسل ضجة واسعة ، مرتين

مرة في سنة ١٩٥٧ ، في احدى لحظات التوتر الدولي حين وجه خطابا مفتوحا الى كل من خروشوف رئيس الاتحاد السوفيتي وايزنهاور رئيس الولايات المتحدة ، هاويا بمطرقته القوية على سياساتها التي تجر العالم الى حافة الهاوية . .

وبحكم قيمته المعنوية الكبيرة ، كان غير متوقع وغير مألوف . ان يرد عليه خروشوف لاول مرة في موقف من هذا النوع ، برسالة طويلة للنشر ...

وتردد ايزنهاور ثم وجد انه سيخسر معركة الرأي العام ، فكلف وزير خارجيته جون فوستر دلاس بكتابة رسالة يرد بها على برتراند رسل ..

ولعله المقال الوحيد لكاتب في جريدة ، الذي جعل رئيس اكبر دولتين يشعران بالحاجة الى الرد عليه علنا ...

ثم كرر برتراند رسل ذلك سنة ١٩٦٢ ... موجها رسالته هذه المرة الى بريجنيف في موسكو وجون كينيدي في واشنطن ، وهارولد ماكميلان رئيس وزراء انجلترا في لندن ...

وفي خلال ذلك كله كان انهماكه في قضايا الحب والزواج والعلاقات الجنسية ، يلاحقه ويطارده . ويضعه في أحرج المواقف ، التي كانت كفيلة بالقضاء على غيره ...

كان ما يزال يعيش رائحا غاديا بين انجلترا ، وامريكا ، يلقي دروسه في شتى جامعات امريكا كاستاذ الفلسفة الاول ...

وكان ينشر الكتب في شتى القضايا ، وكان من بينها كتاب احدث ضجة كبرى عن « الزواج والاخلاق » لما فيه من تصادم عنيف مع الاخلاقيات المتعارف عليها
فلما ذهب مرة لينفذ عقدا مع جامعة ولاية نيويورك لالقاء دروس .. رفعت امرأة لها بنت في الجامعة قضية تطلب منعه من التدريس فيها لان له كتابات وآراء اجتماعية تدمر الاخلاق
وواجه برتراند رسل في نيويورك محاكمة اخلاقية وكما طرد من جامعة كامبريدج في انجلترا ، طرد من جامعة نيويورك وتظاهر ضده الكاثوليك المتدينون .
ووجد برتراند نفسه ـ ابن العصر الفكتوري ، واستاذ المنطق الاول ، وسليل اللوردات ـ وقد بلغ السبعين من العمر ، مسئولا عن اعالة زوجتين سابقتين ، وثلاثة اطفال ، وهو مفلس وبلا عمل ! وان كان في قمة الشهرة !
والغريب انه في هذه المرحلة اصدر كتابا بعنوان « تاريخ الفلسفة الاوروبية » صار فورا هو اهم مرجع في موضوعه ، وقراءته ضرورية لكل طالب فلسفة في جامعات اوروبا وامريكا على السواء وما يزال حتى الآن !
وكأن هذه العواصف كانت لا تؤثر فيه .
فقد رأس في انجلترا لجنة نزع السلاح وعمل على نشر الحركة في العالم ، ولم يكفه نشاط اللجان ، فابتكر « مسيرات » طويلة بين مدن انجلترا يتجمع حولها الآلاف ، واتخذ من ميدان « الطرف الاغر » اكبر ميادين لندن ، منبرا له يخطب من فوقه ، ورأس اول محكمة دولية من نوعها ـ محكمة من اشهر رجال العالم ـ لمحاكمة امريكا على حرب فيتنام وقاد المظاهرات . وتزوج مرة ثالثة ونشر كتبا عن حياته في صراحة مذهلة واضطربت لجنة جوائز نوبل لاعطائه جائزة نوبل ..
ومزق بطاقة حزب العمال بعد خمسين سنة من عضويته احتجاجا على موقف الحكومة من حرب فيتنام » واجتمع حزب العمال خصيصا ليصدر قرارا بفصله .
كل هذا وهو يقود حركات الجلوس في الشارع احتجاجا على الحرب والتسلح . وكان فوق التسعين من عمره حين داسته ارجل الخيل التي يمتطيها البوليس الانجليزي في لندن ، وألقي القبض عليه ، ووضع مع شباب المدارس في لوريات الشرطة
هل اجري بسرعة على احداث يحتاج كل منها الى مقال ؟
نعم
ولكن كيف يمكن سرد مائة سنة تقريبا من حياة هذا العقل الجبار والضمير المرهف المعذب والقلب الحائر في اكثر عصور التاريخ اضطرابا ، واهتزازا ، حتى في علاقات الزوج بزوجته ؟
ولا احد ما اختم به هذا المقال الذى لابد ان يختم ، خيرا من كلمات ختم بها برتراند رسل الجزء الثالث من كتابه عن حياته اذ يقول
« ان الشعور الداخلي بالفشل » قد يكون امرا تافها بالنسبة للعالم الخارجي ، ولكنه جعل حياتي النفسية حربا مستمرة ، لقد بدأت حياتي بايمان شبه ديني في عالم افلاطوني خالد ، يقترن فيه علم المنطق الرياضي بفن الجمال ، ولكنني اختم حياتي باكتشاف ان العالم تافه ، وان المنطق الرياضي هو مجرد فن قول نفس الاشياء بطريقة ابهى ، بدأت حياتي معتقدا ان الحب الحر الشجاع يمكنه ان يغزو العالم دون حرب ، وانتهيت الى خوض حرب لا نهاية لها .
« ولكن تحت وطأة كل هذا الشعور بالفشل ، فانني اشعر بشيء آخر أجد فيه مذاق الانتصار ، لعلني استوعبت الحقيقة النظرية خطأ ، ولكنني لم اكن مخطئا في الاعتقاد بان ثمة شيئا اسمه الحقيقة ، وانها تستحق الانتماء لها . ربما اخطأت في تصوري ان هناك طريقا الى عالم حر وانسان سعيد اقصر مما وجدت ، ولكنني لم اكن مخطئا في اعتقادي ان اقامة مثل هذا العالم امر ممكن ، وان العمل من اجل تحقيقه يستحق كل هذا العناء ، وهذا هو اليقين الوحيد الذي لم يهتز عندي قط

■■

احمد بهاء الدين

الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

هل هما اثنان ؟

يعظم العظيم ما استطاع ان يعظم ، فما دام بشرا من البشر ، فهو يصيب ويخطيء ، وكلما اتسعت مع العظيم آفاق المعرفة ، زادت الافكار التي يصيب فيها ، وكذلك زادت الافكار التي يخطيء فيها ، ولست انسى في هذا المجال من الحديث ، المقدمة التي لم تزد على بضعة سطور ، والتي قدم بها « اولفر جولد سمث » قصته « راعي ويكفيلد » ، وهي المقدمة التي يوجه فيها الكاتب العظيم رجاءه الضارع الى قاريء قصته والتي هي رائعة من روائع الادب الانجليزي ، بان يحاسبه القاريء على اساس ما قد اصاب فيه ، قبل ان يحاسبه على ما اخطأ فيه .

اقول ذلك لامهد به لما سوف اعرضه عن عظيم الادب العربي الجبار ، أبي العلاء المعري فلئن لم يكن في الادب العربي شاعر سواه ، لحق لنا ـ نحن العرب ـ أن نفاخر به وحده اداب العالمين ، ولقد سمعت العقاد ذات يوم يقول ـ والعقاد هو من هو في نقد الشعر ـ سمعته يقول عن قصيدة ابي العلاء . « غير مجد في ملتي واعتقادي انها اعظم ما عرفه شعر الدنيا قديمها وحديثها معا ، وقد يكون في هذا الرأي شيء من الاسراف ، لكنه برغم ذلك رأى لا يخلو من صواب

واقول بعد هذا التمهيد ، ان لابي العلاء المعري من التصورات ، ما اقف ازاءها متسائلا احقا قال المعري ذلك ؟ ومصدر تساؤلي هو الخطأ الواضح الذي اراه ، مما يبعد به عن ان يكون من اقوال المعري صاحب البصيرة النافذة ، ومن امثلة ذلك بيت الشعر المشهور الذي ينسب اليه والذي يضاد فيه بين « العقل » و « الدين » ب الحد الذي يفصل عنده بين رجل يحتكم الى عقله ، واخر يحتكم الى دينه ، كأنما هما رجلان لا يلتقيان ؟ وعلى د فالناس في رأيه مجموعتان احداهما يغلب عليها « العقل » واذن فهي بغير دين ، والاخرى يغلب عليها الد واذن فهي بغير عقل

« اثنان اهل الارض ، ذو عقل بلا دين ، واخر دين لا عقل له » .

وسؤالي الان هو هل هما اثنان اهل الارض حقا ، كما قال المعري ؟

الخطأ في رأيي واضح ، ولو كان هذا الخطأ مقصورا على المعري ، لقلنا انه شاعر اراد ان يجعل التضاد بين لجانبين حادا ليبرز الفرق امام الابصار ، وقد لا يكون في حقيقة امره مقتصرا في هذا الانقسام الفاصل بين طرفين

لكنه خطأ عميق الجذور واسع الانتشار ، ودليل ذلك تلك الكراهية الشديدة التي ما ينفك جمهور الناس بدرونها ، إذا ما ذكر أمامهم تمجيد للعقل او تعظيم للعلم الذي هو وليد العقل لا فرق في هذه الكراهية العجيبة ن عامة الناس وبين من يسمون بجماعة المثقفين

اقول ان الخطأ في رأيي واضح من عدة وجوه اولها واهمها (من وجهة نظري) ان حقيقة الامر الواقع ليست سمة الطرفين ـ اعني العقل والدين ـ بين اهل الارض ، بحيث اذا ظفر احدهم بنصيبه من العقل ، ضاع عليه نصيبه من الدين او العكس ، اذا جاء نصيب احدهم دينا ، فقد ضاع منه نصيبه من العقل ، بل الصواب هو أن دين الطرفين ، مهما يكن بينهما من تباين في الجوهر وفي المنهج ، فهما يلتقيان معا في كل فرد من الناس . فكل نسان عقل ودين معا ، ثم يجيء الاختلاف بين الناس في الدرجة وحدها ، فهناك من يقوى عنده جانب العقل يضعف جانب الدين ، وهناك من يقوى عنده جانب الدين ويضعف جانب العقل ، وهنالك من يقوى عنده لجانبان معا ، وهنالك من يضعف عنده الجانبان معا

تلك واحدة ، والاخرى هي انه برغم اعترافنا بان الدين قوامه « الايمان » لا براهين المنطق العقلي ، الا ان ذلك ' يمنع امكان اقامة تلك البراهين العقلية على صحة عقيدة دينية ، من ناحية المنطق ، بالاضافة الى صحتها من اوية الايمان ؟ وقصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، هي من آيات الفكر العربي ، وخلاصتها ان ما يصل اليه عقل الصرف بالنسبة للعالم المحيط بنا انما هو نفسه الذي نزل به الوحي فقبلناه ايمانا .

وثالثا ، ان جانب الدين عند الانسان ـ عقيدة وشريعة معا ، هو ذاتها ميدان يعمل فيه الانسان عقله ستخرج منه النتائج التي تنظم له حياته العملية ، ولو كان العقل والدين عنصرين متنافرين ، يأبيان أن تجمعا معا في صدر انسان واحد ، لما امكن لاحدهما ان يقام على الآخر ، كالذي نراه حين يقام فقه الدين على منطق العقل .

انني لو كنت لاصحح القول المنسوب لابي العلاء « اثنان اهل الارض ، .. » لقلت . جانبان قوام كل ن ، عقل ودين معا

بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

لن يكون المد الاسلامي الذي شهده الان صحوة حقيقية ثابتة الجذور ممتدة الآثار في المستقبل ، الا بقدر ما ينجح أصحابه وقادته وحاملو ألويته في وصل حركتهم « بالعصر » الذي يعايشونه ويعايشهم ، والا اذا ـ مثلوا ـ في ارهاف ودقة وعمق ـ الهموم الحقيقية للمسلم المعاصر . والا اذا ظلت احدى ذراعي العملاق الاسلامي الناهض قابضة في اعتصام واستمساك على جوهر الاسلام وقيمه وأصوله الثابتة في مصدريه الخالدين ـ كتاب الله وسنة رسوله ، بينما تمتد الذراع الاخرى مستشرفة آفاق المستقبل مستشعرة ـ على بعد الزمن ـ ما ينتظر المسلمين فيه من دور مع أنفسهم ومع سائر الأمم والشعوب

وفي تقديرنا أن هذه النقلة من حالة الانكفاء النفسي والعقلي على الماضي الى التوجه المبصر نحو المستقبل لا يمكن أن تتحقق الا اذا تمت تصفية عدد من القضايا التي ظلت ولا تزال معلقة في الفكر والسلوك الاسلاميين مئات من السنين دون أن تحسم أو تصفى على نحو يسمح للمسلمين بالانتقال الى غيرها . ومن هذه القضايا ـ ومن أهمها ـ قضية الحكم في الاسلام

ولست من الغفلة بحيث أطمع الى حسم شيء من تلك القضايا في هذه الصفحات القليلة وانما حسبي أن أطرح هنا ما أتصوره مداخل أساسية من شأنها أن تعين على ذلك الحسم

متغيرات في العالم

ان كثيرا من الأبحاث في هذا الميدان لا تزال للاسف ـ محملة ـ بآفات نتمنى على علمائنا وباحثينا أن يتجاوزوها

الآفة الاولى الانحصار الى حد بعيد في قضية واحدة من قضايا الحكم والسياسة ، وهي قضية « الخلافة » أو « الامامة » . وهو انحصار يفسره تاريخيا أن المباحث الرئيسية المتصلة بنظام الحكم الاسلامي قد ابتدأها وحدد نطاقها علماء الشيعة ، وكان اهتمامهم الأكبر بالامامة وحقيقتها واقامة الأدلة عما يرونه من ثبوتها بالنص في آل بيت النبي (ص وأكثر من كتب من أهل السنة في هذا الباب قد ... رادا عليهم أو مناقشا لآرائهم فالتزم ـ من حيث لا يريد ـ بالحدود التي وضعوها لهذا العلم [1]

الآفة الثانية ان النظريات وقوالب التفكير ...

مت ستقرت في الفقهين السياسي والدستوري في الغرب لا تـ حائمة بظلالها الثقيلة على الكثير مما يكتبه علما، ولا يزال جانب كبير من ابحاثنا أسير تلك النظ يات التي تعكس واقعا تاريخيا محدودا شأ أكثره في د سا وانجلترا والولايات المتحدة وقد لا يكون صالحا ـ من الناحية النظرية ـ لتفسير واقعنا العربي والاسلامي كما قد لا تكون بعض الحلول العملية التي انتهى اليها صالحة لعلاج مشاكلنا السياسية والدستورية

ان المهمة العاجلة للعالم السياسي الاسلامي تتمثل ـ كما قدمنا ـ في تصفية القضايا والمسائل المعلقة وصرف الجهود عن أن تستغرقها تلك القضايا

اننا نذكر أنفسنا وعلماءنا أن تطورا هائلا قد طرأ ـ في الغرب نفسه ـ على نوع المشاكل اليومية التي تواجهها المجتمعات الحديثة في سعيها لضمان « ديمقراطية القرارات السياسية والاجتماعية » وفي محاولتها « حماية الحقوق والحريات » في مواجهة قوى ضغط وتأثير يعمل أكثرها خارج القنوات الدستورية التي لا يعرف الفقه التقليدي غيرها وهي قنوات لم تكن تخطر على بال الأقدمين ثم في سعيها لتثبيت مبدأ سيادة القانون وقواعده فوق ارادة الرجال ومصالحهم وأهوائهم

ان المقولات النظرية التقليدية التي ورثناها عن الفكر السياسي الغربي القديم لم تعد تكفي مطلقا لمواجهة المشاكل السياسية لانسان اليوم والغد وان استمرار الدوران في الحلقة المفرغة الجوفاء التي تتحرك في مسارها الضيق كثير من جهود الباحثين خطيئة لا تغتفر، وقتل لوقت يحتاج فيه العمل الاسلامي الى كل لحظة من لحظاته

فلنبدأ اذاً ، رحلتنا في تصفية القضايا المعلقة بتقديم موقف محدد وسيط في سبعة من هذه القضايا حتى اذا كانت ـ في جملتها ـ محل اتفاق كان من الضروري أن تتوجه أقلامنا الى اقتحام المجالات الجديدة من مجالات السياسة والحكم ، وأن تزداد اقترابا من الهموم الحقيقية والعملية للمسلمين المعاصرين وسنحاول ايجاز هذه الآر. في صورة مقولات خمس يترتب بعضها على البعض

نبي ومؤسس دولة

القضية الاولى « السياسة الشرعية » جزء من شريعة الاسلام ، واقامة الحكم الصالح جزء من رسالته . وبهذه المقولة ينبغي أن ينتهي الجدل الطويل حول الاسلام والسياسة ان ما استدل به بعض الناس قديما وحديثا من أن النبي (ص) كان نبيا ورسولا ولم يكن ملكا ولا رئيس دولة ، قد فنده العلماء ولا تقوم له ـ عند التحقيق العلمي ـ قائمة ثم ان فهم طبيعة الاسلام هو المدخل لحسم قضية الدين والسياسة فالاسلام ـ كما يكشف استقراء نصوص القرآن والسنة نظام شامل ، واهتماماته لا تتخلى أبدا عن جانب هام من حياة الانسان ولذا قال الغزالي رحمه الله « الدين أس والسلطان حارس ، وما لا أس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع »

أما ما احتج به البعض من أن نظام المجتمع في عهد النبي (ص) قد خلا من مظاهر الحكم وتنظيم الدولة ، فغير صحيح أولا ، وغير منتج ثانيا (أ) فهو غير صحيح لأن النبي (ص) سارع فور هجرته الى المدينة الى تنظيم المجتمع الجديد للمؤمنين مكتب الوثيقة المعروفة بدستور المدينة وأقام على أساس مبادئها المدونة « دولة » بالمعنى الكامل لهذا المصطلح عند أهل الاختصاص ومارس فيها فعلا امور الحكم والرئاسة أما أن هذا التدليل غير منتج فمعناه أن بساطة تكوين الدولة في عهد النبي (ص) ليست دليلا على أن الحكم والرئاسة خارجان عن مهمة الاسلام في الجماعة . ذلك أن طبيعة الزمان والبيئة ما كانت لتسمح بمزيد من التركيب والتعقيد في بناء جهاز الحكم وضبطه . ولكن الشورى كانت أصلا ، والعدل كان أساسا ، ومسئولية الرعاة والرعية كانت مبدأ ، واقامة ذلك كله كانت ولا تزال واجبا وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .. والأبنية التنظيمية ـ على ما هو مقرر ومعروف ـ تزداد مع الزمن والتطور دقة واحكاما وتركيبا وهذا هو الفارق بين وجود « المبدأ » وبين صياغته وتركيبه

وأغرب من ذلك المماراة في أن النبي (ص) كان يجمع الى صفة الرسالة أنه كان حاكما سياسيا ومؤسسا لدولة سياسية [٢] فهي مماراة تسقط من حسابها البعد

---

(١) في هذا المعنى الدكتور محمد ضياء الدين الريس « النظريات السياسية الاسلامية » ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ ص وقد أتيح لنا ـ خلال عامين متتاليين ـ ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ أن نشترك في مناقشة رسائل ثلاث للدكتوراه لجامعات القاهرة سكندرية والازهر ، تدور كلها حول الخلافة ، أو رئاسة الدولة في النظام الاسلامي

(٢) هو قول المرحوم الشيخ علي عبد الرازق في كتابه الاسلام واصول الحكم

التاريخي المتمثل فيما قدمناه من أن النبي (ص) قد أقام أكثر من عشر سنين في المدينة وسط أتباعه من المهاجرين والانصار ، وفي نطاق مجتمع جديد ليست فيه سلطة سياسية أخرى حتى نقول ان مهمته كانت تقتصر على الدعوة وتبليغ الرسالة وأنه ترك المجتمع السياسي القائم يسير في طريقه ويأخذ مداه تحت لواء سلطة سياسية منفصلة عنه وعن أتباعه .. ولقد كان النبي (ص) فعلا رئيسا لهذا المجتمع ، وحاكما فيه بأمر الله .

قبل الخلافة والامامة

القضية الثانية . الاسلام لم يفرض نظاما سياسيا مفصلا ، و« الخلافة » ليست نظاما محدد المعالم .

ان القضية الحقيقية التي ينبغي أن تشغلنا اليوم ليست هي قضية البت فيما اذا كانت زعامة النبي (ص) في قومه زعامة رسالة أم زعامة ملك ، وما اذا كانت مظاهر الولاية التي نراها أحيانا في سيرته مظاهر دولة سياسية أم مظاهر رياسة دينية وانما القضية الحقيقية هي البحث فيما اذا كان ما جاء به (ص) من رسالة دينية قد اشتمل على أصول ومبادىء من أصول الحكم ومبادئه أم أنه ترك ذلك تركا عاما شاملا وأن غاية ما أوجبه الاسلام على أهله أن يقيموا حكومة تضبط الأمر فيهم وأن اشكالها يمكن أن تختلف « بين دستورية واستبدادية ، وبين جمهورية وبلشفية » كما يقول مؤلف « الاسلام واصول الحكم » .

الذي نراه صحيحا في ذلك وسط بين هذا الرأي الذي رفضناه وبين رأى آخر نرفضه كذلك يتصور أن للاسلام « نظاما في الحكم » مفصل المعالم متميز القسمات ، أقامه النبي (ص) وألزم المسلمين من بعده باقامته وأنهم أقاموه فعلا أيام الخلافة الراشدة وقبل أن تتحول الى ملك عضوض . وان على هؤلاء المسلمين - كذلك - أن يرفضوا كل ما حولهم من أنظمة الحكم والسياسة وأن ينحوها عن مقاعد السلطة والرئاسة ليضعوا نظامهم « الاسلامي » على رأس دولتهم الجديدة .. والقائلون بهذا الرأي لا يكلفون أنفسهم عناء البت في معالم هذا « النظام الاسلامي » في عهد النبي (ص) ومعالمه التي تطورت وتغيرت تباعا طوال فترة « الخلافة الراشدة » ..

ان اسلوب الاسلام في التشريع وبناء الانظمة يقوم - كما قيل بحق - على اجمال ما يتغير وتفـ[illegible] لا يتغير . ولهذا لا يسعنا أن نوافق العلامة ا[illegible] المودودي رحمه الله حيث يقول عن « الدستور الا[illegible] انه لا يقبل شيئا من التبديل والتغيير ، فان شئت [illegible] عليه وأعلنت عليه الحرب كما خرجت عليه (تركيا وايران) ولكن ليس لك أن تحدث فيه أدنى تغيير [illegible] دستور الهي سرمدي لا تغيير فيه ولا تبديل »

ان « الحكم » شأنه في الاسلام شأن سائر أنشطـ[illegible] الناس منفردين ومجتمعين مقيد بحدود الله . محكو[illegible] بشريعته ، دائر في نطاق « قيمه العليا » ومهمـ[illegible] الاسلام في الكون أن يرشد حركته . ومع الناس أن يدلهم على طريق الهداية .. وطريق الهداية في الأمور التعبدية يكون بالنص المفصل عليها . اذ أمور العبادة ليست مما تتغير المصلحة فيه بتغير الزمان والمكان ومن هنا كان النقل مصدرها وكان الدخول في الطاعة جوهرها ومظهرها أما الامور المعاشية فتبقى على الاصل في الحل والاباحة الاصلية وحرية الحركة في طلب « الاصلح » ، تحدها في ذلك كله حدود النصوص القطعية وما اشتملت عليه من أحكام تكليفية أمرا ونهيا .

وان استقراء نصوص الكتاب أو السنة ، قولية كانت أو فعلية ، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم يكشف عن حقيقة ينبغي حسم الخلاف حولها وهي ان الاسلام قد وضع للحكم مبادىء أساسية وقيما عليا اعتبرها من « نظامه العام » المعروف عنه بالضرورة وترك للناس بعد ذلك أن يضعوها موضع التطبيق بما يحقق مصالحهم ، ويناسب ظروفهم ، ويلائم تجدد حاجاتهم .. وعلى رأس هذه المبادىء والقيم ، مبدأ الشورى ، ومبدأ العدل ، ومسئولية الحكام ، والتزام الدولة بالقانون المستمد من مصادر التشريع الاسلامية .. واحترام حريات الناس وحقوقهم تلك وحدها هي المبادىء .. أما ما عداها فحلول [3] وسوابق أثمرتها اجتهادات المسلمين حكاما ومحكومين ، علماء وعامة .. وتجمع منها تراث للمسلمين في قضايا السياسة والحكم .. تراث يستأنس به دون الزام .. ويرجع اليه رجوع البحث والتمحيص والنقد . لا رجوع النقل والتقيد والانحصار ..

ومن هنا فان الدعوة الى اقامة الخلافة الاسلا[illegible] تفقد معناها تماما ما لم تحدد معالم تلك « الخلافة »

---

(٣) أنظر الدكتور محمد سليم العوا - النظام السياسي للدولة الاسلامية - ١٥٠ حيث يميز بوضوح بين ما يعتبر من الر[illegible] السياسي الاسلامي « حكما » ملزما للمسلمين في هذا العصر وكل عصر . وما يعتبر « حلا » روعيت فيه المصلحة الاحتـ[illegible] عند تقريره ومن ثم تنتفي صفة الالزام عنه .

فان ... ـى اللغوي والاصطلاحي للخلافة لا يجدينا اليوم ـينا . فاذا انتقلنا الى البعد التاريخي وجدنا الخلا... في بعض صورها مجسدة لمبادىء الاسلام في الحكم ووجدناها في بعضها الآخر خارجة عليها متنكرة لها حتى لقد ارتبطت في كثير من الاذهان بهذا الخروج وذلك التنكر والا فهل يقول قائل ان خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تستوي في ميزان النظر الاسلامي مع « حكم يزيد بن معاوية » أو تشتبه بنظام الحكم الذي بسطه على العالم الاسلامي والعربي سلاطين آل عثمان

ان للاسلام معالم لا يجوز أن تحجبها الاسماء واللافتات والحكم ـ فيما نؤمن ـ لا يكون اسلاميا ، ولا يجوز أن يحسب على الاسلام .. الا اذا قام على الشورى ، وبني على العدل . وأخذ الرعاة والحكام بمسئولياتهم واحترم حقوق الناس وحرياتهم ثم قيد نفسه ـ قبل ذلك كله ـ بشرائع الاسلام نعم ان هذه المبادىء مثل وغايات .. وستظل أنصبة الحكم منها تتفاوت من عهد الى عهد ولكن النظام الذي يسقطها من حسابه ، ويعتمد نقائضها أساسا له . لا يمكن أن يكون نظاما اسلاميا وان حمل أسماء الخلافة والامامة وامارة المؤمنين

سلطة الحاكم من الشعب

القضية الثالثة الحكم الاسلامي نظام مدني .. وسلطة الحاكم المسلم مرجعها الى الشعب

وهنا لابد من ضبط المصطلحات .. فالباحث في هذه القضية ينبغي أن يفرق بين أمرين .

أولهما . أساس السلطة السياسية في الجماعة . ومرجع ما يملكه أولو الامر من حق الطاعة على رعاياهم ..

والثاني . غاية الحكم وأهدافه .. والنظام القانوني الذي يخضع له الناس في ظله . حكاما ومحكومين ..

ولقد وقع الخلط وطال الجدل بين العلماء بسبب تداخل هذين الامرين ، والتهاون في التمييز بينهما .

وساعد على هذا الخلط أن بعض الباحثين لم يدققوا ...را في التمييز بين حكم النبي (ص) وحكم خلفائه والامراء من بعده فالنبي (ص) كان حاكما سياسيا ولكنه كان رسولا نبيا ، لا ينطق عن الهوى . وانما يوحى اليه .. « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي » ـ و « أن احكم بينهم بما أنزل الله » ، ومهما كان من أمر بشريته (ص) التي حرص القرآن على توكيدها كما حرص هو عليه الصلاة والسلام على تذكير الناس بها « فان نبوته واتصاله بالملأ الاعلى ، وتلقيه الوحي عن الله تبارك وتعالى ، وعصمته صلى الله عليه وسلم .. حقائق لا يجادل فيها ولا يستطيع أن يسقطها من حسابه مسلم مؤمن .

أما خلفاؤه فهم في الجانب السياسي نظراء له صلى الله عليه وسلم .. لهم الطاعة وعليهم الاجتهاد لمصالح المسلمين والسعي في أمورهم .. أما في الجانب الديني فهم متبعون له وليس لأحد منهم عصمة ولا مرتبة خاصة الا شرف صحبته صلى الله عليه وسلم والتلقي عنه ..

ولقد حسم الامام محمد عبده هذا الامر بعبارات واضحة حيث يقول « ليس في الاسلام ما يسمى عند القوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه » « ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الاثرة التشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة ، بل بمقتضى حق الايمان » [4] ويترتب على هذا الاصل نتيجته اللازمة وهو أن « سلطة الحكم » تستند الى الشعب وتستمد من عقد البيعة وحده ..

هذا هو الرأي الواضح الجلي الذي عليه اجماع أهل السنة والجماعة ومع ذلك فقد عاد شيء من الخلط والغموض الى هذه القضية مع ما رفعه بعض الباحثين من المحدثين من أن السيادة في الدولة الاسلامية ليست للشعب ولا لمجموع المسلمين ، وانما هي لله وحده .. وان اختاروا لقولهم هذا عبارة الحاكمية [5] . والحق أننا لا نستريح البتة لهذا التعبير ، فان حاكمية الله أريد بها أن ارادته ومشيئته غالبة على مشيئة البشر فان ذلك حاصل ايمانا ومشاهدة ، في أمر الحكم السياسي وفي غيره .. وتقريره في هذا المقام لا تدعو اليه الحاجة .. والضرورة لنفي المشيئة عن الجماعة ليست بأقوى من الضرورة لنفيها عن الفرد في سائر تصرفاته ومعاملاته ..

---

(4) الامام محمد عبده « الاسلام والنصرانية » . الطبعة الثانية ـ ٧٦ .

(5) أشهر القائلين بهذه العبارة العلامة المودودي في رسائله وكتاباته العديدة وتابعه فيها كثير من المحدثين .

والحديث عن الحاكمية بمعنى الحق في تقرير الاوامر والنواهي الملزمة للجماعة ابتداء ، أي أن حق التشريع شيء والحديث عن أساس السلطة ومصدرها شيء آخر . والحق أن شعار « لا حكم الا لله » منذ رفعه الخوارج في وجه علي كرم الله وجهه الى يومنا هذا كان مبعث فتنة وباب فوضى ومدخل تشرذم وتفرقة بين المسلمين « اذ ترى كل فئة نفسها قيمة على حكم الله في الصغيرة والكبيرة ، فتسعى الى تنفيذه ، فتفرق الجماعة ، ويقتل بعضنا بعضا » [٦]

ولعل أحسن ما نختتم به ردنا على هذه المقولة جواب الامام علي رضي الله عنه حيث يقول نعم لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله ولابد للناس من أمير

في حدود النصوص القاطعة

القضية الرابعة جوهر « الديمقراطية » المعروفة مقبول في الاسلام ، ولكن « سلطة الاغلبية » ليست مطلقة .

لا نريد أن نستدرج الى كلام طويل ـ لا ينتهي ـ حول تعريف الديمقراطية ، وانما نستطيع ـ من قبيل التبسيط الذي لا يخل بالحقيقة ـ أن نقرر أن إصدار القرارات العامة في جماعة من البشر لا يمكن الا أن يتخذ واحدا من أشكال ثلاثة فنظام الحكم اما أن يضع سلطة اصدار القرارات قانونا أو اقعا بين يدي فرد واحد ، واما أن يضعها بين يدي أقلية ، واما أن يضعها بين يدي الكثرة أو الاغلبية التي تسمى حينئذ تجوزا وتغليبا « بالجماعة » .

واذا كانت الشورى واجبة في الاسلام باجماع أهل العلم لقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى ٣٨) وقوله تعالى لنبيه (ص) « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر » (آل عمران ١٥٩) فان وضع السلطة كلها في يد حاكم فرد لا يمكن أن يكون داخلا في نطاق ما يقبله الاسلام ، ولهذا وجدنا الامام محمد عبده يقول صراحة ان « تصرف الواحد في المجموع ممنوع شرعا ».

كذلك لا يتصور عقلا أن يتشاور الناس ثم تنزل الاكثرية على رأي القلة ولا حجة لأحد أبدا في النصوص التي لا تجعل الكثرة وحدها دليلا على [illegible] كقوله تعالى « لا يستوي الخبيث والطيب ولو [illegible] كثرة الخبيث » وقوله « ما وجدنا لأكثرهم من [illegible] وقوله « بل أكثرهم للحق كارهون » لا حجة [illegible] من ذلك لما هو مقرر ومعلوم من أن نطاق الشورى محدود بما ليس فيه دليل شرعي يلزم القلة والكثرة جميعا واذ انعدم هذا الدليل وكان الناس في حق الشورى سواسية ، فأين فضل القلة وبأي حجة يكون لقولها النفاذ ان الغالب الأكثر معتمد في العقل والنقل اعتماد العام الكلي والكثرة توصف لغة وشرعا بأنها الجماعة ويستدل علماء الاسلام على هذا بحديث حذيفة المشهور الذي أخبر فيه الرسول (ص) بما يكون من الفتنه فقال له النبي (ص) . تلزم جماعة المسلمين وامامهم وهذا ما سنه الرسول (ص) بفعله حين التزم رأي الاكثرية في خروجه لغزوة أحد وكان رأيه ورأي قلة من اصحابه ألا يخرجوا من المدينة وأن يعتصموا بها ولكن كثرة أصحابه أشاروا عليه بالخروج وألح عليه في ذلك الشباب منهم فتجهز للخروج واتبع رأي الأكثرية

ويلفت النظر في المقارنة بين الديمقراطية بمفهومها المستقر في الغرب ، والشورى التي أمر بها الاسلام في الحكم أمران يتصل أولهما بالاساس النظري لكل منهما ويتصل الآخر بمجال ممارستهما

(أ) فاما الاساس النظري فان علماء السياسة في الغرب يردون الديمقراطية الى فكرة العقد الاجتماعي التي قال بها كل من لوك وهوبز وروسو ، وان كانت اقوال هؤلاء الثلاثة من قبيل الفروض التاريخية التي تتحدث عن مرحلة ما قبل قيام الجماعة المنظمة وهي أدخل في باب التحليل النظري بالفروض منه في باب التحديد التاريخي الموثق بالوقائع والنصوص

ومما يستأهل الذكر أن الفكر السياسي الاسلامي قد اعتمد بدوره على فكرة العقد كأساس لنشأة الدولة ، وذلك بما تراه جمهرة أهل السنة من أن « الامامة عقد » وأن البيعة هي اسلوب عقده ويصف العلامة السنهوري البيعة بأنها عقد حقيقي « مستوف لاركان العقد فمناطه الرضا ، وأطرافه الامام والامة ، وموضوعه توكيل الامة [illegible] ونيابته عن الامة في تصريف أمورها » بل ان شكله لم يختلف عن الشكل الذي جرى عليه الناس في [illegible] العقود « يقول ابن خلدون وكانوا اذا بايعوا الا

(٦) من مقال للمرحوم الاستاذ حسن العشماوي بعنوان « الفرد العربي ومشكلة الحكم » بيروت ١٩٧٠ ص ١٣٥ الدكتور محمد سليم العوا في مؤلفه السابق ذكره ص ١٦٠

عهدر بهده حعلوا أيديهم في يده ، تأكيدا للعهد فأشبه لك ، ن البائع والمشتري »

و، اظن أسا نتعسف في تفسير التاريخ اذا قرنـا مراحه ان دستور المدينة الذي أنشأ الدولة الاسلامية لاولى في يثرب كان ـ بالتعبير الحديث ـ أول دستـور ماقدى في التاريخ فقد جاء وصفه في ديباحته ونصها سم الله الرحمن الرحيم هدا كتاب من محمد النبي سول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، وأهل يثرب من تبعهم فلحق بهم وحاهد معهم أنهم أمة واحدة من ون الناس وأن يثـرب حرام جوفهـا لأهـل هذه لصحيفة » [٧]

(ب) يلاحظ ـ مع ذلك ـ أن الفقه العربي يشترط لاغلبية كأساس لاتخاذ القرارات داخل الجماعة ولكنه ٠ يشترطها ـ بالضرورة ـ لاختيار رئيس الدولة بينما لهرت فكرة الشورى في الفكر السياسي الاسلامي في لميدانين معا ، ميدان بيعة الامام التي اعتبرت عقدا كما دمنا وميدان اتخاذ القرارات داخل الجماعة

الى هنا يمكن القول بالتقاء نظرية الاسلام في لشورى مع المفهوم السائـد للديمقراطيـة في الفكـر لعربي

ولكن الفارق يظهر بين النظريتين في نطاق لشورى وحدودها فان الفكر السياسي العربي بما يقوم عليه من علمانية الدولة قد وضع الامر كله بين يدي غلبية الجماعة ترى فيه رأيها وتبرم من أمورها ما تبرم نقض ما تنقض حتى داع في انحلترا القول المأثور من أن البرلمان الانحليزي يملك أن يقرر أي شيء الا أن حول المرأة الى رحل والرجل الى امرأة وليس الحال كذلك في التصور الاسلامي فان الشورى في الجماعة لاسلامية لا تمتد الى ما ورد فيه نص قطعي لا محل فيه لاحتهاد

والواقع أن الدولة الاسلامية قد تميزت منذ نشأتها سيادة مبدأين متحاورين متكاملين لا يطغى أحدهما على الآخر ، الاول مبدأ الشورى الذي بيناه ، والآخر مبدأ « سيادة القانون » أو « شرع الله » وهو مبدأ تأخر ظهور نظيره في الفكر السياسي العربي واعتبر اكتماله تتويجا لتطـور متعـدد المراحـل خروجا من السلطـة الشخصيـة للحكـام الى سيـادة المؤسسات وقواعـد القانون

على أن وجود النص التشريعي لا يؤدي مع ذلك من الناحية العملية الى اختفاء دور الجماعة وانحسار فكرة الشورى انحسارا كاملا اذ أن كثيرا من النصوص يحتاج تطبيقها على الوقائع المتجددة الى اجتهاد والى وضع أصول وضوابط عامة لهذا التطبيق تكون بمثابة تشريع فرعي لتطبيـق حكـم القاعـدة على الوقائـع الجزئيـة وهـو ما يسميـه بعض الفقهـاء التشريع « انشاء » في مواجهة التشريع الاصلي الذي يسمونه حينئذ التشريع « ابتداء » وهكذا تعـود الشورى الى الظهور في هذا الميدان ، ولكن بشروط وضوابط مختلفة عن تلك التي تحكم اختيار الحاكم أو تقرير السياسات التي تعتمد على طلب الاصلح للجماعة في أمور ليست من قبيل التشريع الذي تحكمه نصوص قطعية الدلالة والورود

وقد نستطيع أن نلخص الفارق بين الديمقراطيـة العربيـة وبين الشورى التـي تقوم عليهـا النظريـة السياسية الاسلامية بقولنا ان سلطة الامة في الديمقراطية العربية سلطة مطلقة ، بينما هي في التصور الاسلامي مطلقة في نطاق ومقيدة في نطاق آخر فحيثما وجد النص التشريعي القطعي فلا موضع لاجتهاد فردي أو جماعي الا أن يكون اجتهادا في التطبيق والتفسير وفي كيفية انزال حكم القاعدة الملزمة على الوقائع المتجددة والظروف المتغيرة [٨] . وهو مجال لا يستهان به

انتخاب على درجتين

القضية الخامسة النظرية السياسيـة الاسلاميـة

---

(٧) هذه الوثيقة ـ عند التحليل العلمي ـ دستور بالمعنى الصحيح وبها تأسست دولة مكتملة الاركان الشعب ، والاقليم والسلطة السياسية فالشعب قد فصلته الوثيقة قبيلة قبيلة والاقليم حددته بيثرب ويذكر الدكتور محمد حميد الله في كتابه « الوثائق السياسية في عهد النبي » ص ٢٤١ نقلها عن المطرى في تاريخ المدينة ان النبي (ص) ارسل بعض صحابته ليبنوا اعلاما على حدود حرم المدينة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وأما السلطة السياسية فيحددها قول الوثيقة « وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او امر يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله »

(٨) ـ مجال لا يستهان به عمليا

لا تعتمد حق الاقتراع العام وانما تعتمد نظرية « الكفاءة في النيابة » .

في الفكر السياسي الغربي تداع أكيد بين المبدأ الديمقراطي وحق الاقتراع العام ، حتى لقد اعتبر وضع شروط مالية أو شروط كفاءة على حق الانتخاب قيدا ينتقص من المبدأ الديمقراطي ويحرم فريقا من المواطنين من حقهم في المشاركة السياسية ولس الامر كذلك في الاسلام . حيث الحقوق كلها تنطوي على معنى الوظيفة المرتبطة بأهداف الجماعة ومن هنا فاذا كان الناس ـ بحسب الاصل ـ متساوين في تعلق حق المشاركة في احتيار الحاكم وممارسة الشورى بهم ، فان هذين الواجبين يعتبران في رأي الفقهاء المسلمين من قبيل الواجبات الكفائية أي الواجبة على عموم الامة ، بحيث يتولاها فريق من الناس فتسقط عن الباقين ، وبحيث لا يتصور توجه الامة كلها لممارستها وفي اطار القاعدة الاصولية التي قررتها الاية الكريمة « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ، كان من المنطقي في تنظيم هذا الواجب الكفائي أن يتولاه أهل الذكر في خصوص المهمة الموكولة الى ذلك الفريق .

ولما كانت الشورى على ما بينا تمارس في مجالين متميزين ، أحدهما مجال اختيار الحكام ، والآخر مجال المشاركة في اتخاذ القرارات ، فقد عرف الاسلام طائفتين تتوليان ممارسة الشورى في المجالين

الاولى أهل الحل والعقد

والاخرى · أهل الاجتهاد

أولا · أهل الحل والعقد .

ويسميهم البعض كذلك أهل الاختيار ، وهم جماعة بين الناس يتولون نيابة عن سائر الجماعة أداء الواجب الكفائي المتمثل في اختيار الامام وذلك بعد أن يبذلوا جهدهم في البحث والتحري واستطلاع آراء سائر الناس وبهذه المهمة التي لم يعن بالوقوف عندها كثير من الباحثين نجد أنفسنا ، في الواقع أمام صورة من صور الانتخاب على درجتين ، فالامة صاحبة السلطة في اختيار الامام تنيب عنها فريقا أقل عددا وأكثر كفاية يتولى ـ باسمها ولحسابها ـ اختيار الامام . وتصوير الماوردي لهذه الهيئة يجعلها في الواقع عظيمة الشبه بهيئة الناخبين الرئاسيين أو المندوبين Electoral College المعروفة في انتخابات الرئاسة الامريكية ونص عبارته « فاذا اجتمع أهل الحل والعقد ختيار تصفحوا أحوال أهل الامامة الموجودة فيهم وطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا واكملهم شر طا ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعه »[٩] ولا نريد أن نتوقف طويلا عند الشروط التي اشترطها الفقهاء وعلماء السياسة المسلمون في أهل الحل والعقد ، فقد تعددت آراؤهم ولا نرى الا أنها تمثل احتهادا فرديا يعكس تصوراتهم لمهمة تلك الهيئة وكلها ـ على اى حال ـ شروط تدور حول فكرتي العلم والعدل المؤديتين الى اختيار الاصلح للامامة

كذلك لا نتوقف عند كلام العلماء في أقل عدد تنعقد به البيعة وانما نقرر أن أقرب الاقوال الى ملاءمة مهمة الاختيار ما ذكره الماوردي من أنها « تنعقد بموافقة جمهور أهل الحل والعقد من كل بلد » ومثله قول ابن تيميه « الرجل لا يصير اماما الا بموافقة أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الامامة فان المقصود من الامامة انما يحصل بالقدرة والسلطان أما الذين حددوا أعدادا بعينها كخمسة أو أربعة أو أربعين فقد تعلقوا بسوابق وتطبيقات لا يمكن عزلها عن ملابساتها وتحويلها الى قاعدة عامة »

ومرة أخرى ننبه الى ضرورة وضع هذه الآراء كلها في مكانتها الحقيقية فهي اجتهادات فردية تسعى الى وضع فكرة الشورى في الاختيار موضعها من التطبيق العملي ، لا تنقص عن ذلك ولا تزيد فهي اذن حلول رآها أصحابها مناسبة لأوقاتهم وظروفهم ولنا في تغيير الظروف سعة ومندوحة في البحث عن صيغ واساليب غيرها

ثانيا . أهل الاجتهاد

وهؤلاء هم الذين يمثلون الجماعة في ممارسة الوظيفة التشريعية في حدودها المقررة في الدولة الاسلامية ولابد ـ بطبيعة الحال ـ أن يكونوا مؤهلين لتلك الممارسة بأن يكونوا حائزين على درجة من درجات الاجتهاد في استخراج الاحكام واستخلاصها من أدلتها وفي معرفة الواقع الذي تطبق عليه تلك الاحكام . ■■

د . أحمد كمال أبو المجد

---

(٩) الاحكام السلطانية ـ ٦

عروبة وإسلام

خيوط من النور وسط ظلمات ثقيلة

بقلم : الدكتور . جورج طعمة

تشكل الحرب الاهلية في لبنان التي دخلت الآن عامها السادس مأساة كبرى اذا قيست باي مقياس من مقاييس الانسانية والتاريخ ، فجرتها التناقضات العربية في لبنان وخارجه ، وشهوات الدول المتربصة بنا ، وطموحات زعماء يبحثون عن دور بطولي ظاهر او خفي .

فهذا البلد العربي الذي يقل كامل سكانه عن ربع سكان مدينة نيويورك قد خسر حتى الآن اكثر مما خسرته اميركا القارة ، بملايينها التي تزيد عن المائتين سواء في الحرب العالمية الثانية او في حرب فيتنام فسيل القتلى الذين ما زالوا يتساقطون تجاوز الثمانين الفا . وعدد المشوهين بعاهات دائمة والجحافل البائسة الفارة من جحيم الجنوب اللبناني قد تجاوزت مئات الالوف ، الى جانب الاف الايتام يجوبون الشوارع في المدن وقد اصبح الاجرا[illegible] زادهم اليومي . ناهيك عن الخراب الذي تحولت اليه ا[illegible]سام كبيرة من بيروت التي تبدو وكأنها خارجة من حرب [illegible]لمية تذكرك بهمجية الانسان عندما يتعرى من كل [illegible]ط القانون وزواجره .

وبيروت عبر التاريخ القريب الذي ورثناه مدينة اسلامية مسيحية ، تعايش المذهبان فيها في تعاطف وتفاعل روحيين مثمرين كاكثر ما يكون التفاعل المعطاء فالمسجد يقف الى جانب الكنيسة حيث يجد المؤمن مهما كانت عقيدته ملجأ لتأملاته ويتطلع اليها « القوميون العرب » حيثما كانوا كاحد المراكز الفكرية التي انطلقت منها الدعوة العربية الحديثة وحيث احتضنت اديرة لبنان في عهود التخلف الحضاري العثماني اللغة العربية وتراثها كما احتضنتها مناسك النجف واردهة الازهر واروقة جامعة الزيتونة في تونس . ويتذكرون ايضا باسى وفخر قوافل شهداء القومية العربية ، من مسلمين ومسيحيين على السواء ، الذين

علقت اعناقهم على اعواد المشانق فيها في الحرب العالمية الاولى كما علقت في دمشق وطرابلس وحمص اىها صور وذكريات مجيدة ومريرة معا بحيث ان العربي المؤمن بعروبته لا يستطيع التحدث عنها بمنطق العقل فحسب ولكن بقلب دام ونفس حريبة ومشاعر الاحباط والكآبة السحيقة

المعجزة في بيروت

وسط هذه الظلمات يحاول المرء ان يجد مصادر لتجدد الامل ، خيوطا من النور مهما كانت ضئيلة ، وبعض التطلعات التي تعيد ثقة الانسان بالانسان ولقد جرت عادتي ان اتلمسها في المكتبات في أية مدينة وفي بيروت عندما ازورها فالكلمة تظل الملجأ الاخير للمفكر في حيرته وفي هذه المدينة المفتحة تحت الكثير من جراحها وجراحها الظاهرة تستمر دور النشر فيها بتغذية المكتبة العربية بالوافر والقيم مما ينشر بالعربية والمعجزة او ما يشبه المعجزة ان يستمر النشر في بيروت بمثل هذه الحيوية الى جانب مظاهر الحياة الاخرى بالرغم مما اشرت اليه من الخراب وانهيار الزواجر القانونية وبين الكتب العديدة التي حملتها معي ، كان اول ما قرأت الكتابين التاليين اللذين اقدمهما للقارىء العربي اليوم

١ ـ منطلق تاريخ لبنان للدكتور سليمان الصليبي منشورات « كارافان » سير ١٩٧٩ (٢٠٦ صفحة) . يعتبر الدكتور صليبي الار طليعه المؤرخين اللبنانيين واساتذة التاريخ في جامعة لبنان . بعد ان نشر العديد من المؤلفات التاريخية باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية في عدد من اهم دور النشر الجامعي في اوروبا وامريكا وتقع اهمية هذا الكتاب في ان المؤلف اخضعه لادق قواعد التاريخ العلمي فقد شدد في مقدمته على هذا المنهج العلمي الذي اتبعه قال « اما التاريخ كعلم يتحرى المعرفة المجردة عن الرأي فله اصول لا يجوز الخروج عليها على الاطلاق من شروطها بالاضافة الى معرفة المصادر التاريخية التجرد الكامل عن الاغراض والاهواء » واذا اكتشف المؤرخ خطأً في ما توصل اليه او اعلن عنه فعلى صاحب الخطأ في اي علم ان يعود عن خطئه اما صاحب الصواب الثابت عليه فعليه ان يتمسك بصوابه بما تيسر له من الجرأة ، دون اي مساومة او مصانعة لان المعرفة امانة لدى صاحبها ، ولا يجوز له التصرف بها الا بوعي تام لما تقتضيه المسؤولية العلمية « لكن التمسك بالصواب التاريخي في بعض الاحيان هو اصعب من الاعتراف بالخطأ والعودة عنه لاسيما عندما يكون الخطأ التاريخي جزءا من اسطورة موروثة ، وقد يجبر المؤرخ امام تمسك المجتمع بالاسطورة في احيان كثيرة اما على السكوت او على ما هو اشد المشاركة في تحوير الحقائق التاريخية او طمسها كليا »

كل له اسطورته

ماذا عن لبنان والاسطورة فيه ؟ يجيب المؤلف انه منذ قيام دولة لبنان الكبير (١٩٢٠) التي اصبحت في ما بعد « الجمهورية اللبنانية » (١٩٢٦) « لم يلتف الشعب اللبناني بعد على اسطورة تاريخية واحدة مقبولة من جميع فئاته بل على العكس اصر كل د ن من اللبنانيين على اختلاق اساطير خاصة به فهي اساطير تقول بازلية « الكيان اللبناني » بل « الامة اللبنانية » ، فتجعل للبنانها تاريخا مفتر في قدم عهده ـ على الاقل حسب ادعاء بعض

ول ظهور البشر على وحه البسيطة

وهناك اساطير تتمسك بصورة لبنان الملجأ فتعتبر ان
ـا كان منذ البدء ـ وعلى الاخص في العصور
لامية ـ حصنا طبيعيا منيعا لجأت اليه العناصر
ية والطائفية الهاربة من الضغط والاضطهاد في
لدار المجاورة »

« وهناك الاساطير التي تتحدث عن انتفاضات
شعب اللبناني » او « الشعب العربي في لبنان »
د جور المماليك وبني عثمان في العصور الاسلامية
رة » « وهناك الاساطير التي لا تعترف للبنان باي
خ صحيح خاص به قبل قيام « متصرفية جبل
» عام ١٨٦١ او « دولة لبنان الكبير » عام ١٩٢٠
رى في الوجود اللبناني الحالي الا كيانا مصطنعا
الاستعمار الغربي خلقه لخدمة مصالحه واغراضه
اضافة الى هذه الاساطير الكبرى اساطير أخرى
عنى بالتفاصيل ، منها ما يختص باصول
طوائف اللبنانية « كالموارنة » و « الدروز » او
ؤسسات التاريخية « كالامارة » و « الاقطاع »
ث معينة ومنها ما يتعلق بتاريخ بعض الاسر
والشخصيات »

وجميع هذه الاساطير الكبيرة منها والصغيرة « تعكس اعراضا خاصة في البلاد تقابلها اعراض اخرى مناقضة لها ولذلك يبقى المجال مفتوحا امام المؤرخ المجرد عن الغرض لتحرى ما تيسر من واقع الماضي بالطرق العلمية فوعي الحقيقة التاريخية المجردة هو في نهاية المطاف خير اساس يبني عليه المجتمع السليم » ويجد المؤلف ان « الامعان في ترويد التاريخ اللبناني من قبل المتمسكين بالاساطير على انواعها ـ وجميعها اساطير تفرق اللبنانيين ولا تجمعهم ـ هو من اهم الاسباب التي ما زالت تعمل على تمزيق المجتمع اللبناني وتفتيته ويؤكد الدكتور صليبي ان القصد الاساسي من دراسته هو « الاسهام في نقل صورة لبنان التاريخية من نطاق الاسطورة الى نطاق الحقيقة »

في هذا الاطار الدقيق واستنادا الى منهج علمي في التاريخ ، وضع الدكتور صليبي فصول كتابه الاربعة التي تتناول ما اسماه « منطق تاريخ لبنان » من ٦٣٤ ـ ١٥١٦م وقد عالج المؤلف في الفصل الاول « لبنان » و « الشام » و « العرب » الجذور العربية للبنان وبلاد الشام التي كانت تجذب الروح اليها بسبب مناخها ووفرة المياه فيها مما شكل على الدوام عاملا اساسيا للهجرة اليها الا اسماء الاماكن في هذه الاطراف ومنها اسم « لبنان » بالذات واسماءالقرى اللبنانية والمدن « العتيقة » هي باكثريتها الساحقة اسماء سامية كنعانية ارامية او عربية وعندما جاء القرن الميلادي الرابع او الخامس كان العنصر العربي قد طغى على اجزاء كبيرة من البلاد الشامية ومنها اجزاء من المنطقة اللبنانية ومع هذه الهجرة اصبحت اللغة العربية هي اللغة المحلية الى جانب السريانية ـ فصحى الارامية ـ ثم اصبحت على التدريج اللغة السائدة

عروبة لبنان

وترجع لفظة « الموارنة » او « المورانية » الى ان فريقا كبيرا من نصارى بلاد الشام والمناطق الشمالية من لبنان كان ينتمي الى طائفة خاصة عرفت ب « المارونية » نسبة الى « مارون » الناسك وهو قديس

نشط في شمالي الشام في اواخر القرن الميلادي الرابع واوائل القرن الخامس . فانشأ اتباعه من الرهبان ديرا يحمل اسمه في وادي العاصي الى الشرق من حماة « وسرعان ما تعاظم شأن رهبان « دير مارون » عن طريق انتصارهم لمذهب الملكية ضد اليعاقبة ، فانتظم الملكيون (نسبة الى المذهب الملكي) من نصارى وادي العاصي والمناطق المجاورة ـ ومنها مناطق شمال لبنان ـ تحت قيادتهم وصاروا يعرفون « بالمارونية » او « الموارنة » ومعظمهم من ناحية العرق من « نبط » الشام . وكان بينهم قسم من ابناء العشائر المارونية في العاقورة من جبل لبنان الى « قيسي » و « يمني » حتى القرن السادس عشر على الاقل « ولعل في ذلك ما يشير كما يقول المؤلف ـ (صفحة ٣٧ حاشية ٤) الى عراقة هذه العشائر وربما غيرهم من الموارنة في العروبة » اما نزوح الموارنة باكثريتهم الغالبة الى جبل لبنان من شمالي بلاد الشام فيرجع الى العام ٦٨٥م (هربا من الغارة التي شنها عسكر الروم في ذلك العام على دير مارون في وادي العاصي وتضيف هذه الاخبار ان الروم تمكنوا في هذه الغارة من تخريب دير مارون وقتل خمسمائة نفر من رهبانه)

ويصعب في هذا العرض الموجز ان نرافق المؤلف حتى في التوقف على « المنطلقات » الاساسية التي تثبت عروبة لبنان او في التطورات التاريخية التي تناولها وآخر ما اود التشديد عليه هو ان المؤلف ينطلق من زاوية علمية خالصة متجردا عن اي تعصب الا التعصب للحقيقة العلمية التاريخية . فاذا نسي القارىء هذا الميزة الاساسية في الكتاب ومؤلفه فقد ضيع على نفسه اهم ما فيه ، وهو انه كتاب علمي تاريخي نموذجي وليس كتابا سياسيا ينطلق فيه صاحبه عن هوى او تحيز . ويضيف الى قيمة الكتاب اربع عشرة خريطة تمثل لبنان بشكل واضح في كل مرحلة من المراحل التي تناولها . هذا بالاضافة الى وضع جدول « مراحل تاريخية » (صفحة ١٧٧ ـ ١٨٤) ثبت فيه اهم المراحل الحاسمة في تاريخ لبنان بالاضافة الى فهرس علمي دقيق . وبايجاز يشكل هذا الكتاب مساهمة علمية تاريخية في فترة مضطربة في حياة لبنان والوطن العربي اضافها المؤلف الى مساهماته الجليلة والكثيرة .

مسرى الطفولة

ثانيا - المطران جورج خضر (لو حكيت مسرى الطفولة) . دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٩ ١٤ صفحة)

اذا كان كتاب الدكتور صليبي يضعك في قلب المشكلة اللبنانية عن طريق المنهج العلمي التاريخي الصارم فكتاب المطران جورج خضر ، مطران ارشية جبيل والبطرون في جبل لبنان ، ومن ابرز آباء الكنيسة الارثوذكسية الشرقية ومفكريها ، ينقلك الى عالم آخر تطل منه على دنيا العروبة فانت هنا في اجواء رفيعة من الصوفية والروحانية العميقة ، في صحبة « اوغسطين » والحواري « بولس » و « ديونيزيوس الاريوباجي » احد كبار الذين اثروا في التيار الصوفي دون ان تعرف هويته الحقيقية ، و « ذو النون المصري » و « محيي الدين ابن العربي » و « جلال الدين الرومي » ، هؤلاء الذين تمزقوا في حمأة التناقضات الانسانية ، واضعة الانسان في قلب مأساة الوجود وتناقضاته ، كهذه التناقضات التي ضج بها لبنان ففجرت مأساته والذين يجدون في « المحبة » مبدأ وهدفا طريقة تعامل واسلوب حياة وفي التمسك بها « منطلقا » ومخرجا من كل ازمة هذه المحبة التي اذا وجدت كما يقول جلال الدين الرومي سقط عن وجهك قناع العظمة » . فجورج خضر عندما يجول في « مشكلة المسيحي العربي » فهو يجول في اعماق الروح والفكر وبلغة وتعابير غير عادية لانها تحمل طابع التأثر العميق بالرسالات الالهية السامية واذا ذكرناه يحق علينا ان نذكر في هذا الاطار بالذات اثنين من آباء الكنيسة المعاصرة ومن لبنان ايضا هما الاب « يواكيم مبارك » صاحب الحماسية في التراث العربي الاسلامي وهي بالفرنسية و « القدس ـ القضية » بالعربية و « ميشال الحايك » وكليهما ايضا في « المشكلة العربية » و « العربي المسيحي » جولات وحدانية عقلانية لا اتردد ان اضعها بين اعمق ما انتجه الفكر الوجودي العربي المعاصر .

« لو حكيت مسرى الطفولة » ليس كتابا كشكل كتاب وليس مقصورا على مشكلة المسيحي العربي بل يحكي قصة التطور الروحي للمؤلف التي يحتل اغوار

ع ـ الاسلام والعروبة مركزا اساسيا فيه ويتخذ ل قصة يرويها الكاتب عن صاحبه هذا الصاحب ي على وجهه معاناة عربية مشرقية مسيحية ، لت حروفها لغة العرب وأحيت هذه الحروف روح يحية الشرقية ، لذا يأتي هذا الوجه موقفا ـاريا » والمطران جوج خضر الذي درس مادة لضارة العربية » في الجامعة اللبنانية ينطلق من ان يحية العربية تمثل استقلالا فكريا وروحيا وحضاريا الغرب ، وقد ارتبط مصيرها بالمصير العربي العائش مجتمع اسلامي طبعه الاسلام بطابع نهائي ـيري فدفاعه عن قضية فلسطين ـ وما اكثر ما ل ذلك في المراكز الروحية الغربية المسؤولة ـ هو ـبة اليه قضية عقيدة دفينة وايمان بالحق الواحد الذي نفصم او يتجزأ وقضية مصير وشهادة « فدولة اثيل في ما يذهب اليه ليست مشروعا استيطانيا ضاريا فحسب ، وانما كذلك لانها تعيدنا الى وجود اري ثقافي من شأنه أن يخيف الرسالة المسيحية » ن محاضرة له عن علاقة المسيحية بالمصير العربي » نهار ١٩٧٥/٢/٨) والوقوف الى جانب اللاجئين سطينين العرب والدفاع عن حقوقهم هو شركة في م والشهادة »

« لان لهم (اللاجئين) هوية واحدة دانوا بدين يح او بدعوة محمد ولكنهم جميعا تاقوا الى انسانية لهم من دم الشهادة . وفي ارث الشهادة ، وهي وحدها ـة ـ نتسلم من الذين زرعوا الكرامة ان الكيان الذي كه هؤلاء الابرار في خلودهم هو لبنان الكبير وهو ض الاساسي للتفريق بين صميمي وملحق » (النهار /١٩٧٥) .

مسيحية بلسان عربي

ولئن كان ممكنا تلخيص كتاب علمي فمن الصعب يص كتاب كل فقرة وكل عبارة فيه هي بمثابة قفزة ـة تلقيك طويلا شارد الذهن في احضان التأمل .

سمعه مثلا يقول في فصل من كتابه الذي نعرضه « آن للمسيحية ان تتكلم بلسان عربي » يقول :

المهم في الاوطان من جهة ماضيها ، مضمونها الروحي ، قربانها الانساني هنا احس صديقي دائما أن بلده يستمد دعوته كلها من هذا الحوار المشرقي الممتد من الاسكندرية الى انطاكية وكروش وما اليها عبر اورشليم » « كذلك راى ان المسيحية التي في بذل كل بسبب الروح آن لها ان تتكلم الآن عن نحن علاقات عربي فصيح تشرح نفسها وقد رفض هذا معها تاريخ القائلين ان ابت العروبة ان تتنصر » أحاول ابراز

« كل ذلك جعله يتعاطى القرآن تعاطيه ، لذلك يفتش فيه عن الجمال كل الجمال كل جماهري بهذه عليه فترة من زمانه ، لمس فيه القربي والبعبة العمل حقبة قصيرة عن طريق ابحاثه ان يلم بالادليس فيها ولقد احب من المسلمين نخبة حلوة عرف وكيف انها تخلقت باخلاقه » مر ، فابدى

« وقد زين له ان هذه الطائفة من ا حبكم لهذه يوما ان تحمل رسالة مودة بين المسلمين والـ عيدة التي ليس على اساس المجاملة ولا على اسس ورية ـ لا لاهل الذمة ، بل على اساس عروبة بيضا الحماسة للتراث الشرقي القديم ولا الى الانسان الـ ة الشرقيين وذلك في رقعة عربية تضيق او تتسع . با الكيانات العربية وتوحيدها ان نعرف مع الجليلة لمصر ولون الثقافة فيها . كان المهم ان نسعى اب السوري الوطن الصغير الذي ينتمي اليه صاحب لأفكاره لهذا الحوار الطيب » . سورية ـ بية في حين

« الوطن المسيحي كان في احساس ـحسين من سياسية وحسب بل روحية في الدرجة الاولى . الوجود المسيحي الشرقي انما هو وجود مع المسلمين وفي اطارهم التاريخي والحضاري » .

لعلي اطلت الاستشهاد من الكتاب الاخير ـ والسبب هو اعطاء القارىء نماذج من هذا الفكر الذي يصعب تلخيصه وكتابا خضر وصليبي يكمل واحدهما الاخر وان كان كل واحد يثير المشكلة المطروحة من زاوية وعيه للقضية التي يعيشها كمواطن ويعالجها بفكر الازمة وروح ايجابية وادراك كامل لمسؤولية « الكلمة » وتأثيرها في المصير المشترك . ■■

د . جورج طعمه

كلمة طه حسين عن العرب أثارت معركة تصدرتها الأقلام المصرية

الحاج امين الحسيني

عبد الرحمن عزام

بقلم : اكرم زعيتر

فتحي رضوان

لا يستطيع مؤرخ الحركة العربية الا ان يولي اهمية خاصة لاحداث جرت سنة ١٩٣٣ ، كانت مصر فيها مؤثرة ومتأثرة ذلك ان كلمة واحدة في عبارة واحدة وردت في مقال للدكتور طه حسين اثارت معركة كانت فيها للعروبة جولات باسلات
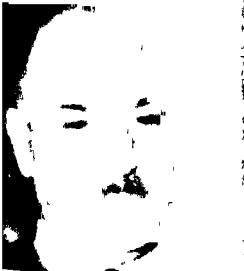
« وسرعان مـ
طريق انتصا
الملكيون (نـ
العاصي والمنا
تحت قيادته
« الموارنة » و
الشام . وكان
العاقورة من
القرن السادس
كما يقول المؤ
هذه العشائر و
نزوح الموارنة
بلاد الشام فير
شنها عسكر ا
العاصي . وتط
الغارة من تخر
رهبانه) .
ويصعب
في التوقف عل
عروبة لبنان ا
وآخر ما اود الت
علمية خالصة
للحقيقة العلـ

الدكتور طه حسين يكتب في جريدة « كوكب
الوفدية التي يصدرها الاستاذ حافظ عوض ،
، العربية ، وكان يجعل لكل مقال عنوانا كلمة
رحدث ان كتب مقالا عنوانه (دائرة) جاءت في
العبارة التالية « وهم (يريد المصريين) قد
إ لضروب من البغي ، والوان من العدوان ،
س الفرس واليونان ، وجاءتهم من العرب والترك
بين ، وجاءتهم الآن من الانجليز وهم قد صبروا
، ، وانتصروا على هذا كله ، فردوا من ردوا من
ين وأفنوا في انفسهم من افنوا من هؤلاء
، »

ورود كلمة « العرب » في عداد الذين بغوا على
ين اثارت نقمة البلاد العربية ولا سيا بلاد
س الدكتور طه ، ومع ان كبارا من كتاب مصر
الى الرد عليه ، فان مما يقتضيه هذا البحث ان
عن بعض تأثيرها في دمشق ، وقد لمست هذا
حين كنت ازورها لمهمة قومية تتصل بتأسيس
العمل القومي ، فقد عقد شباب متحمسون
بم في دمشق التي كانت تجيش وطنية ، وتغلي
ـ اجتماعات ، واصدروا بيانات ساخطة على
ر طه ، ثم اقبل بعضهم في موكب على ساحة
، يحملون بعض كتب طه حسين ، حيث احرقوها ،
ل مقاطعة مؤلفاته (ولعلي اسبق احداث الرواية
ل ان دمشق ما لبثت حتى احتفلت بطه حسين
ر سنوات في مناسبة ذكرى ابي العلاء ثم بعد
في مؤتمر الادباء ، دلك لان الدكتور اخذ في ما
يسرع برعة يرضي عنها دعاة العربية)

مصر والعرب

اكر وبعض اخواني ممن حبذوا احراق كتب
ر طه ، والدعوة الى مقاطعتها ، ولكن عملية
، قد جرت ، وشاع وذاع امرها في الصحف العربية
ية ، مما حدا لفيفا من الشبان المصريين على
، قد عهدوا الى الصديق الاستاذ سيد فتحي
سيح وجهة نظرهم في بيان ، وكان الاستاذ
زار البلاد الشامية قبل سنة ، واتصل بشبابها
عوة الى مؤتمر الطلبة الشرقيين .. وأثر الاستاذ
رضوان ان يوجه بيانه الى كبير ادباء الصحفيين
السوريين ، الاستاذ معروف الارناؤوط صاحب جريدة
« فتى العرب » ومؤلف كتاب « سيد قريش » ويقول
سيد فتحي في بيانه « كنت ارى سعادتي في بذل كل
ما يستطيع شاب مثلي بذله في سبيل تمكين علاقات
الامم العربية التي تتكلم لغة واحدة ، ويجمعها تاريخ
مجيد كله مفاخر ، وكنت احس بالسرور اذ أحاول ابراز
هذه الحقيقة لاذهان الشباب المصري وقلوبه ، لذلك
رأيت ان اوجه باسم لفيف من الشباب المصري بهذه
المناسبة الى الشباب السوري ، والى عصبة العمل
القومي في سورية ـ كلمة صغيرة صريحة ليس فيها
شيء من الغموض » .

وقد ظن سيد فتحي ان الحملة تغضيب مصر ، فابدى
تعجبه إذ قال « لانني رأيت بنفسي كيف ان حبكم لهذه
البلاد عظيم ، حتى ان الايام الحلوة السعيدة التي
قضيتها في دمشق وحلب وغيرهما من مدن سورية ـ لا
تزال ذكرياتها تعاودني ، وتبعث في نفسي الحماسة
والايمان ، كلما حدت في سبيل مؤتمر الطلبة الشرقيين
صعاب »

وبعد ان اشار الى خدمات طه حسين الجليلة لمصر
وللعرب قال « ولم يغظني ان يحنق الشباب السوري
على طه ، لان حياة طه مليئة بمقاومة الناس لأفكاره
الشخصية ، ولقد حنقت عليه ـ قبل شباب سورية ـ
جماعة كبيرة من المصريين ، كانت هي الغالبية في حين
من الاحيان ، ولم يكن الحانقون على طه حسين من
المصريين كارهين لمصر فليس الحنق على طه تجديفا في
حق مصر ولا استهانة بمقامها ، والا كانت دعواتكم التي
تكررونها في مقالاتكم وتبدونها في احاديثكم من ان مصر
هي الزعيمة وهي القائدة ـ دعوى باطلة ، لان الامة
التي تقلدت الزعامة سنين وشهورا لا تسقط عنها الزعامة
في لحظة حماسة وفترة غليان »

وقد اعتبر الاستاذ فتحي ان حرق الكتب انما يرمز
الى النقمة من الدعوة الى « المصرية » اكثر مما هو
استنكار لتسمية العرب في صف الذين ساموا مصر
الخسف ، لذلك حرص على شرح مرامي الدعوة الى
« المصرية » ، محاولا التوفيق بينها وبين الدعوة
العربية ، فقال . « انني اؤمن بان طريق الخلاص للبلاد

العربية هو ان نتعاون ، وان نجعل لها خطة مشتركة ما امكن ، في جهادها الاجتماعي وغير الاجتماعي ، حتى لأذكر انني قلت في حفل بقاعة الجامعة السورية : ان لي اسمين هما « سيد » و « فتحي » وهما يطلقان على شخصي الضعيف ، وكذلك ارى ان لسورية اسمين هما . « سورية ومصر » ثم قال . انه من انصار المصرية المتطرفة « لانها لا تتنافى ولن تتنافى مع العمل للرابطة العربية ، والسعي في سبيلها ، لان الامم العربية هي جزئيات من كل او هي لبنات في بناء ، ولا بد ان تقوى الاجزاء ليقوى الكل ، ولابد ان تكون اللبنات متينة في صنعها وفي مادتها ، ليكون البناء متينا وباقيا على الزمن »

« وقال . « وطه يدعو الى المصرية ، ويعطف على الفكرة العربية والشرقية ، واذكر تشجيعه لي وانا ماض في رحلتي وتشجيعه لفكرة المؤتمر ثم قال « ان الداعين الى المصرية يعرفون ان لمصر قوة وذخيرة وعتادا في حب البلاد العربية لها ولانهم يعرفون ان اليد التي تقطع هذه العلاقات التي باركها الله وقواها الزمن ووثقتها المحن هي يد اثيمة ويجب الا يقول لنا السوريون . لا تسيروا في هذا الطريق او دعوا هذا الاسلوب في الجهاد فاننا أعرف بما يناسب حالنا ويطابق ظروفنا حسبهم انهم منا في مركز الاشقاء ، وان بلادهم تشغلنا كما تشغلنا مصر » وختم بيانه باسم الشباب المصري :« ان مصر اذا عاقتها اليوم ظروف عن ان تقود شقيقاتها اللواتي يحببنها الى سبيل الحرية المنشودة فانها ستفعل ذلك غدا . »

ماذا يبقى غير الحجارة

وانهالت الردود على طه حسين في الاقطار العربية ، ولكن ما يهمني ـ والحديث عن التيار العربي في مصر ـ هو ما كتبه اعلام مصريون اذكر منهم خمسة . عبد الرحمن عزام ، ومحمد علي علوبة ، واحمد حسن الزيات ، وعبد القادر حمزة ، وعلي الجندي

اما عزام فقد سأل طه حسين ان يتفضل فيذكر الحوادث التي تدخل العرب والمسلمين في زمرة البغاة المعتدين ، فقد قيل لنا عن دخول العرب الى مصر : إنه استخلاصا لاهلها من البغي والعدوان ، وانقاذا لها من الضلال ، وقد جاء العرب اليها دعاة الى دين جديد اصبح دين الكثرة العظمى من اهلها ، وهذا الد[ين] سوى بين الراعي والرعية ، وقرر أن لا فضل لعر[بي] على عجمي الا بالتقوى ، فهل يتفضل الاستاذ الد[كتو]ر طه حسين بتصحيح معلوماتنا التاريخية عن الفتح العربي ؟ . »

وقال عزام · « والواقع ان كل الامم التي بغت على مصر قد فنيت فيها ، وانتصر المصريون عليها ، ولا يستثنى من اهل البغي الذين يشير اليهم الدكتور طه حسين الا العرب اليس ذلك لانهم لم يكونوا بغاة ولا معتدين ؟ لقد قبل المصريون دين العرب ، وعادات العرب ، ولسان العرب ، وحضارة العرب ، واصبحوا عربا في طليعة العرب ، والذي نعلمه ان البحث في انساب اقاليم مصرية باكملها ان اكثرية دماء اهلها ترجع الى العرق العربي ، وان فردا واحدا من تسعين في المئة من سكان مصر لا يستطيع ان ينكر ان عروقه تجرى فيها الدماء العربية ، والواقع الملموس ان مصر الآن من جسم الامة العربية في مكان القلب ، فهل يتفضل الدكتور طه حسين ببيان المعنى الذي يريده حينما يقرر ان العرب فنوا في مصر وانهزموا ؟ نعم قد فني في مصر جميع الفاتحين من اهل البغي والعدوان ، وكسبت مصر ابديا الامة الوحيدة التي جاءتها تحمل راية الاسلام ، ولا تقصد بغيا ولا عدوانا ، تلك هي الامة العربية وتلك هي امتنا التي ننتسب اليها ونفخر بتاريخها »

ومما قاله عبد الرحمن عزام . ثم اي شيء في العالم لا يتحول ؟ والسنون والحوادث تفعل فعلها في كل بقعة من الارض وفي كل شعب من الشعوب ، وما الامة المصرية الحالية الا بقية من الامة القديمة من الفراعنة ، وبعض من مر بمصر في العصور المختلفة ، قد غمرها جميعا سيل الهجرة العربية ، واصبح واديها مزدهرا بالسلالة التي صبغت البلاد بصبغتها ، فاذا استطاع الدكتور طه ان يقنع نفسه بانه ليس من هذه السلالة التي صنعتها الدماء ، وسادت فيها الديانة العربية ، والعرف العربي واللغة والثقافة العربيتان فانه لا يستطيع ان يقنع اى مصري آخر بان العرب كانوا من البغاة المعتد[ين] الذين افناهم المصريون . »

وختم عزام بحثه قائلا : « فماذا ابكر [في] مصر

العرب وتجاهلنا وجودها ، وانكرنا كذلك العربية في العراق الشام وافريقية وتجاهلنا وجودها في تلكم الاقطار فماذا بقي فيها غير حجارة صامتة وامم بائدة وارض لا اهل لها ؟ وماذا بقي من اشور وفينيقية وفرعون وقرطاجنة غير ما ابقاه العرب في انفسهم ، وغير الامة الحية التي تمتد الان من المحيط الى المحيط ، ونحن انما ننتسب بصفة عامة الى تلك الامة الحية الوارثة للارض المعمورة فيها ، وننتسب بصفة خاصة الى مصر العربية التي هي مصر الحديثة ومصر الآتية »

مصر ولسان مصر

وفي هذه المعمعة الجدلية كان لجريدة « البلاغ » رأيها ، وصاحب البلاغ الاستاذ عبد القادر حمزة كاتب مرموق اشتهر بسداد منطقه ، فقالت « نعم ان المصري مصري ، ولكن ـ مع انه مصري هو عربي ، فمصر وطنه ، والعربية حسيته المشتقه من لغته ، بل من ١٤ قرنا على الاقل من تاريخه القومي ، كما ان العراقي عراقي ، وهو مع ذلك عربي ، وكما أن السوري سوري ، فهو مع ذلك عربي ، وكما ان المغربي مغربي ، وهو مع ذلك عربي » وتساءلت البلاغ في ختام المقال ، « من ذا الذي يهبه الله امة عددها ثمانون مليونا ، بل مائة مليون ، فيزهد في هذه القوة ، ويقول لهذه الملايين من الاخوان اني بريء منكم وانا غيركم ؟ الم يقل شاعرنا قديما « وانما العزة للكاثر » ، واي عاقل يترك العزة الصحيحة الى ضدها ومعه الباطل ؟ » .

ولما انصرف بعض الكتاب عن مناقشة كلمة الدكتور طه حسين في عبارته المذكورة الى الحديث عن عربية مصر وفرعونيتها ارسل الكاتب الابلغ الاستاذ احمد حسن الزيات ، صاحب « الرسالة » مقالا عنوانه « فرعونيون وعرب » ، اذكر اننا تلقفناه باهتمام ، وجعل في كتاب المطالعة العربية الحديثة « للمدارس الثانوية العراقيه . وللاستاذ الزيات ـ منذ كان استاذا للادب العربي في دار المعلمين العليا ببغداد صلة مودة بادباء العراق وساسته . وقد هون في مقاله من شأن دعاة الفكرة الفرعونية ومقالاتهم « حتى خال بنو الاعمام في العراق والشام ان الامر جد ، وأن الفكرة عقيدة وأن ثلاثة من الـ... أمة ، وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات ، والمساجد معابد ، والكنائس هياكل ، والعلماء كهنة ! »

وبعد ان تحدث عن كون الاصول والانساب عرضة للزمن والطبيعة قال « فبأي شيء من هذا يتمارى اخواننا الجدليون ، وهم لو كشفوا في انفسهم عن مصادر الفكر ، ومنابع الشعور ، ومواقع الالهام ـ لرأوا الروح العربية تشرق في قلوبهم دينا ، وتسري في دمائهم ادبا ، وتجرى على السنتهم لغة ، وتفيض في عواطفهم كرامة » وقال « لا نريد ان نحاججهم بما قرره المحدثون من العلماء من ان المصرية الجاهلية تنزع بعرق الى العربية الجاهلية ، فان هذا الحجاج تتقطع فيه النفس ، ولا ينقطع به الجدل ، وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة . هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرنا وثلثا من التاريخ العربي ، سخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال ، وذلك هو ماضي مصر الحي الذي يصيح في الدم ، ويثور في الاعصاب ، ويدفع بالحاضر الى مستقبل شامخ الذرى ، عزيز الدعائم » .

وبعد حديث عن الماضي الأبعد تساءل « فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان وتشريع كتشريع الرومان ، وشعر كشعر العرب » ثم انتهى الى انه « لا تستطيع مصر الاسلامية الا ان تكون فصلا من كتاب المجد العربي ، لانها لا تجد مددا لحيويتها ، ولا سندا لقوتها ولا اساسا لثقافتها ، الا في رسالة العرب ، اما ان يكون لادبها طابعه ، ولفنها لونه ـ فذلك قانون الطبيعة ، ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه ، لان الآداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذاؤه الحس ، والحس موضوعه البيئة ، والبيئة عمل من اعمال الطبيعة يختلف باختلافها في كل قطر »

واراد الزيات بهذا ان يجعل « اللون المحلي » شرطا لصدق الاسلوب ، وسلامة الصورة فقال « وقديما كان لون الادب في الحجاز غيره في نجد ، وفي العراق غيره في الشام ، وفي مصر غيره في الاندلس ، دون ان يسبق هذا التمايز دعوة ، ولا ان يلحق به اثر » .

ثم صاح بالمتفرعنين « انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب اخبار

الهالكين ، وغالبوا البلى على ما بقي في يديه من اكفان الماضي الرميم ، ثم تحدثوا واطيلوا الحديث عن ضخامة الاثار وعظمة النيل وجمال الوادي وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائما ان الروح التي تنفخونها في مومياء فرعون هي روح عمرو ، وان اللسان الذي تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وان القيثار الذي توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وان اثار العرب المعنوية التي لا تزال تغمر الصدور وتملأ السطور وتغذي العالم ـ هي ادعى الى الفخر وابقى على الدهر واحدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة »

لن تكون غير ذلك

اما الاستاذ علي الجندي فقد كان عنوان مقاله « مصر عربية ولن تكون غير ذلك » ، وفيه « ان من الخير لنا ان نوحد جهودنا لترقية ثقافتنا العربية التي عرفنا بها وعرفت بنا كرهنا ام رضينا بدل ان نسلك شعابا متباينة تستنفد قوتنا ، ولا تفضي بنا الا الى الفرقة والدمار »

وفيها « يقول ان العاقل يصون اعماله من العبث ، ومن العقل الا يطلب ما يستحيل ، فما بالنا نوجه جهودنا شطر ثقافة بادت ولم يبق منها الا الذكريات ، كأنه لا يكفينا ما نرمي به من خمود وتأخر عن مسايرة الحضارة العالمية حتى نلتفت وراءنا الى ما قبل اربعة آلاف سنة لنفتش في تضاعيف القدم عن اكفان بالية نرتديها بين امم القرن العشرين »

وبعد حديث طلي وسخرية من الثقافة الفرعونية في النواويس المهجورة قال « ومصر وهي تحل الصدر بين شقيقاتها العربيات ، اذا غضبت يغضب لها مائة مليون لا يسألونها لم غضبت . رأينا ذلك رأى العين في كل أمر حزبنا ، وكل مصيبة نزلت بنا فلا ينكره الا من ينكر الشمس في النهار المبصر ، فما بالكم لأمر لا نعلمه او نعلم انه شر كله ؟ تدعون بدعاية الفراعنة ، فتوقظون فتنا نائمة وتقطعون ما امر الله به ان يوصل وتحلون الشقاق بين الاخوة محل الوفاق » وصرخ في وجه الذين يجورون على العروبة « لقد اسرفتم في التجني على الجيران الادنين وغلوتم في الادلال على الاخوان الكرام حتى صار ذلك غطرسة او مخيلة ، انفوا منها وبرموا بها ، هم يقولون لنا : « انتم قادتنا وزعماؤنا ، نستصبح بنوركم وترسم خطاكم ، وندفع به وراءكم » ، فنقول لهم بملء افواهنا « اليكم عنا لا رابطة بيننا ، لكم ثقافتكم ولنا ثقافتنا كأن الاربعة عشر مليونا التي يحتضنها هذا الوادي الضيق عصارة الانسانية وزبدة البشرية ؟ ان اشقاءنا لا يسوموننا شططا ، ولا يحبون لنا ان ننكر اجدادنا الاول ، وان نبرأ من مدنيتنا القديمة ، لا يريدون منا اكثر من ان نكون عضوا عاملا في الجسم العربي القوي لا ، بل راسا لذلك الجسم او قلبا له ، ولنا بعد ذلك حياتنا الخاصة ، ونظامنا الخاص ، وطابعنا الخاص المستمد من طبيعة اقليمنا الخاص ، فما علينا لو اخذنا المجد من اطرافه وجمعنا بين الطارف والتليد . . ايها الاخوان ان الجن والانس ـ ولو تظاهروا لأعجز من ان يجردوا مصر من هذه العلالة العربية المشرقة فمن ساءه ذلك فليمدد بسبب الى السماء ، ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ »

ضد الفرعونية

وكان محمد علي علوبة باشا مع السيد محمد امين الحسيني في جولة الى العراق والهند ، للدعوة الى انشاء جامعة المسجد الاقصى وجمع التبرعات لها ، تمهيدا لقرار المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس اواخر سنة ١٩٣١ ، وكان السيد الحسيني مفتي القدس رئيس المؤتمر وعلوبة باشاه وكيله ، ولمس علوبة باشا سوء اثر النغمة الفرعونية ، وهو في بغداد ، فبادر الى الادلاء ببيان نشرته الصحف العراقية ولا سيما جريدة « الاخاء » لسان حزب الاخاء الوطني الذي يتزعمه ياسين الهاشمي ، ونقلت بيانه صحف عربية في بلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين) وهو ـ بعد ان اعلن اغتباطه باجماع الاقطار العربية التي زارها ـ أعلن أن مصر هي الاخت الكبرى لهذه الاقطار ، وعلى زعامتها للامة العربية ، « مما يجعل واجب مصر عظيما ومسؤوليتها خطيرة امام التاريخ وامام اخوانها . » ثم قال . « اعلم ان حركة في مصر قامت اخيرا ترمي الى رواج الفكرة الفرعونية ، واني لا انكر ان لمصر ان تفخر بعصور قديمة كانت عصور مجد وسعادة ، ولكنها لا تعدو ان تكون ذكرى تاريخية مجيدة اما الفكرة الحديثة لمصر فانها فكرة عربية لا محالة من يوم

ن دخل عمرو بن العاص مصر وصارت اللغة المصرية لغة عربية والدين دينا اسلاميا ، وصارت التقاليد تقاليد عربية والعادات عادات عربية ، ولم يبق من الفرعونية في عقول المصريين ولا في اذواقهم شيء ، الا من التاريخ والذكريات ، وان الفكرة العربية تغلغلت في نفوس المصريين وصارت جزءا من كيانهم هي أجدى لهم وانفع ، فانها تجعلها زعيمة الاقطار العربية في الفكر والثقافة والعلم والذوق ، ولا ادرى ما هي الفائدة في الرجوع القهقري باحياء ثقافة مضت عليها آلاف السنين ، وما نعرف من امرها الا ما نجده في القبور ، بينما في عاداتنا ومخاطبنا ومسامراتنا ومنازلنا وقبورنا ومعابدنا في طراز عربي تغلغل في اعماق قلوبنا ، واستقر في نفوسنا ، في حين لا ترى لغة فرعونية موجودة على وجه الارض ، وهي لغة ماتت كما ماتت اللغة السنسكريتية القديمة !

وانهي حديثه ـ قائلا « ولهذا افاخر بانني كنت اول من قاموا بمحاربة الفكرة الفرعونية التي لا ارى فائدة منها ، بل ارى فيها كل الضرر ويمكنني ان اطمئنكم ان هذه الفكرة قد ماتت في مهدها ، وانها لن تجد من المصريين اية مساعدة »

وفي حشد كبير في مدينة البصرة جاء يحتفي بالوفد الاسلامي ـ وقف علوبة باشا يقول « لقد تركت مصالحي وعائلتي وحضرت الى فلسطين ، ومن ثم الى بغداد ومرضت . فقلت لنفسي مالداعي لتجشم هذه المصاعب ؟ وما الذى جمع بين آسيا وافريقيا على حد قول بعضهم مع ان التقسيمات الجغرافية لا قيمة لها ؟ فالداعي الى ذلك هو ما يربط فلسطين بمصر . ومصر وفلسطين من الصلات »

وبعد ان تحدث عن واجب الاخ العربي نحو اخيه قال « وان فلسطين منا ونحن منها وان مرض فلسطين مرض مصر ، واذا تقهقرت فلسطين تقهقرت مصر والعراق . ولما تركت مصر كنت اشعر بانني ذاهب لادافع عن شرفي وكياني وعن مصر » .

لقاء مع الكشافة

وحدث ـ زارت فرقة كشافة عراقية بلاد الشام ومصر ، وقد قال لها ملك العراق فيصل الاول قبل انطلاقها من بغداد حين جاءت تودعه « ان مهمتكم ان تدعوا الى الوحدة العربية ، كونوا رسل الوحدة العربية . » وكانت الحفاوات بها ولا سيما في مصر مظاهرات وحدوية عربية ، وحين زارت فرقة الكشافة الدكتور طه حسين في منزله بمصر الجديدة لتحيته ـ كان استقباله اياها فاترا ، ولعله كان متأثرا بالحملات التي شنت عليه ، وبلغ ذلك مسمع محمد علي علوبة باشا فكتب وهو في « سملا » في طريقه الى « لاهور » ، رسالة الى الدكتور طه حسين نشرتها جريدة « كوكب الشرق » وصف فيها رحلته من القاهرة الى العراق فالهند ومتاعبها ثم قال « وربما تسائلني علام هذا التعب وتلك المشاق ؟ فاجيبك ان الدافع هو العقيدة ، وللعقيدة سلطان على النفوس ، أنتم من يقدره حق قدره »

ثم قال « ورأيت الناس في العراق (في بغداد وكربلاء) يبثون لي شكواهم من الاستاذ طه حسين ويظهرون لي شديد ألمهم من المقابلة العنيفة التي قابل بها الكشافة العراقيين عندما ذهبوا اليه في منزله بمصر الجديدة لتحيته واظهار ما تكنه قلوبهم من الحب والاحترام ، ولقد سعيت في مقابلة هؤلاء الشبان وعلمت منهم التهمة الآتية وهي ان الدكتور قابلهم بشيء غير قليل من الجفاء واظهر اسفه ان العراق سبقت مصر في الحرية والاستقلال وانهم لم يحسوا عند زيارتهم له ذلك الحنو الابوى والتشجيع المرجو من زعيم كبير في الادب واللغة ، واشهد الله انني دافعت عنكم في هذه القضية الجديدة بمثل ما ارجو ان أدافع به في قضيتكم المعلومة ، لكن دفاعي في العراق كان سنده ، المعقول فقط ، لا المعقول والمنقول معا ، فهل لصديقي ان يكتب لمن يشاء في العراق بما اعتقد انه الحق الذى يزيل ما علق بالاذهان امة فتية صديقة تحب مصر حبا جما وتقدر علماءها أحسن تقدير ؟ »

احسب ان الحديث عن العربية في مصر بين الاشراق والتحدى سنة ١٩٣٣ لا يمكن ان يستوفى في مقال واحد فالى المقال التالي باذن الله . ■■

بيروت ـ اكرم زعيتر

بقلم : الدكتور شاكر مصطفي

قبل مائة سنة ، وبالضبط سنة ١٨٧٨ نزل الى السوق في لندن كتاب بعنوان « مناجم الذهب في مدين وخرائب المدن المدينية » بعد سنة آخرى لحقه كتاب اخر بعنوان « ارض مدين » صاحب الكتابين واسمه ريتشارد بورتون ، كان أحد قناصل انكلترا في دمشق وفي بعض مدن الشرق العربي ـ العثماني سنين طويلة ...

لم يتنبه للكتابين ـ فيما عدا المهووسين بالشرق ـ احد . ومن ذا الذي يهمه ان يقرأ عن امواج الصخور الموحشة وعن موت السراب على الرمال في بعض الزوايا المنسية من الشرق ؟ صحيح ان كلمة « مدين » التوراتية تحمل شيئا من وقع اقدام الانبياء ، من نواح القوافل القديمة على الونى ، من سحر الشرق العجائبي . ولكنها في تلك الايام لم تكن اكثر من ابعاد ترتجف الوحشة عليها وتضل الاصداء فيها ، في وديان تركض وراء وديان . بلى قد يكون بعض المتدينين او بعض الاستعماريين عرف الكتابين مجرد معرفة ولعل بعضهم قرأ منها عددا من الصفحات . ولكن رجلا واحدا فقط هو الذي التقط الكتابين . وشط اسطرهما في لهفة من سحقه العطش سنوات . قرأ . حفظ . درس ثم درس . و« فكر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر .. » وبنى على اساس الكتابين مشروع دولة !

هل هو هوس ؟

اهو نوع من الهوس ؟ قد يكون ! ولكن الرجل خطط المشروع بالفعل ثم قضى في التحضير له وفي الاتصالات سنوات ، ثم قضى في التنفيذ والمعاناة سنوات أخرى من مثلها . وانفق فيما بين هذا وذاك مائة وسبعين الف مارك ذهبي ، كانت في ذلك الوقت ثروة ضخمة وهي تعدل اليوم الملايين عددا . ولكن ما قصة كل ذلك ؟

اما ارض مدين فمعروفة . انها أرضنا التي تصل ما بين ارضينا المقدستين في فلسطين والحرمين ، والممتدة بين العقبة ومرفأ الوجه على البحر الاحمر . واما صاحب المشروع فهو بول فريدمان .. يهودي الماني ... من مدينة كونيكسبورغ ، زعم انه اعتنق ... سيحيه

البروتستانية وتعمد في الكنيسة ، ولكن يهوديته بقيت تحت جلده ووراء الصدر والروح .. واما المشروع فكان احد الاحلام الصهيونية وقلما يذكره الا الباحثون في الجذور والنابشون في الحضائر عن المشاريع الاولى ...

كان فريدمان عزبا وعلى شيء من الثراء سمح له بالرحلة والاسفار والاحسان ، وبالقيام ببعض ما سماه بالابحاث التاريخية في فينا وفي باريس ولندن . وبمساعدة اليهود الروس في محاولة لحل مشاكلهم وبدراسة المقربا ، الاثرية بفلسطين لعل فيها نسيم التراث اليهود .. ومنذ وقع الرجل على كتابي بورتوك حسب انه وق على هدف لحياته .. هدف يمنحه تلك الحياة . كانت مامرات الاستعمارية من امثال (رودوس) وكتشنر وغيرهما هي « موضة » العصر في تلك الايام . وغرق فريدمان الى الاذقان في نسج المغامرة المستحيلة ، يبلور ويخطط ويقتنع ويقنع !

وارض مدين يومذاك قبل قرن ، كانت شقة من الصحراء ينتشر فيها آلاف هنا والاف هناك من البدو ، يزيدون على ٢٣ الفا . وتنام في خباياها بعض القرى المسكينة ولكن الرحالة كانوا يسطرون ما يسطرون عن ثرائها المعدني .. اما ارتباطها الاداري فكان مع الحاكم المصرى في السويس ... فلما احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ كانت في اطراف نفوذهم السياسي . لهذا زين فريدمان مشروعه اولا للجمعيات اليهودية في اوروبا ، زعماء الاليانس الاسرائيلية العالمية في باريس . جمعية الانكليز في لندن جمعية كادها (قديمة) في فينا .. ثم جاء

مصر وزار منطقة مدين وعاد منها شهادة صناديق من الحجارة ، يدلل بها على الثروة المعدنية للبلاد ، وكتب كراسا من ١٨ صفحة بعنوان ارض مدين يريد ان يقنع اليهود والسياسيين في انكلترا والنمسا والمانيا ويبيعهم المشروع

ولم تتحول الحجارة البازلتية السوداء في هذا الكراس الى احجار كريمة فحسب ولكن تحول السكان ايضا الى اصول يهودية وتحولت العادات فهي من تقاليد اليهود الاولى حتى سكان العقبة ، فيما كتب فريدمان ، ليسوا الا احفاد بني العشيرة اليهودية القديمة ، والمنطقة كلها جزء من املاك سليمان ،

يهود لارض مدين !

وذهب الرجل بكراسه الى كرومر في لندن وكان كرومر المندوب السامي الانكليزي بمصر وملكها غير المتوج قرابة ربع قرن (ما بين سنتي ١٨٨٣ و١٩٠٧) وقابل بناء على نصيحته رياض باشا رئيس الوزارة المصرية في القاهرة وسالسبوري رئيس الوزراء في لندن والكراس في يده واعطاه الثلاثة الضوء الاخضر واذا تحفظ رياض باشا بعض التحفظ فان الآخرين رأيا في المشروع المريد من الضمان لحماية الممر البحري النشيط الذي فتحته قناة السويس عبر البحر الاحمر قبل ذلك بعقد من السنين فقط ، ومع هدين الاثنين فتح فريدمان صفحة اخرى من مشروعه ومن مكنونات صدره عرض مخططا لنقل بعض اليهود من روسيا ورومانيا وهنغاريا لاقامة مستعمرة يهودية في مدين ذات استقلال ذاتي وأتى على ذكر شيء آخر هو تأسيس قوة مسلحة من ٣٠٠ رجل يفرضون الاحترام على البدو ثم تحدث عن حلم مستقبلي ثالث ، هو بناء خط حديدي عبر اراضي مدين يختصر المسافة الى الهند عدة ايام كل « نواة » الدولة اليهودية العملية كانت تطوف في خاطره

واكتفى فريدمان بابتسامات الرضى والتشجيع التي سمعها من هؤلاء لينتقل مشروعه الى التنفيذ العملي الحلم لم يكن يحتمل التأجيل الرؤى الدينية ـ الاستعمارية تحولت سياطا من نار تلاحقه فهو على الركض الى كل باب ، وعلى الركوب الى كل [illegible] اقرب الوسائل الى عقلية هذا الالماني كانت [illegible] ولم يتردد في تدبرها استأجر ضابطا روسيا و[illegible] الى كراكوف في روسيا ليجند بعض اليهود هناك و[illegible] نواة لجيش الغزو واختار هذه المدينة لانه يعرف [illegible] وكر الجماعة التي كانت تعرف باسم « محبي صهيون » ومن هؤلاء جند عددا من العمال المهرة الاشداء فتعاقد معهم على العمل معه عامين شرطه الاول عليهم الطاعة العسكرية تدبر الاسلحة اللازمة ودرب الجماعة في المانيا ، ولم ينس اصطحاب عدد من اليهود الذين يتكلمون العربية ولا بعض الحاجات التي يضحك بها على البدو

وفي اواخر سنة ١٨٩١ كان يخت قديم اعطى اسم « اسرائيل » يبحر من ميناء ساوث هامبتون وهو يرفع العلم النمسوي ، وعليه مع فريدمان خمسون مجندا يرافقهم طبيب ويهودي يعرف الذبح على الطريقة التلمودية فلابد لفريق تسحقه الرؤى التوراتية من ان يكون لحم طعامه « كاشير »

تحت الشمس الحجازية

عبر اليخت قناة السويس ووصل فريدمان مع « فرقته » البارية على بعض شواطىء مدين واقام هناك المعسكر الذي يأمل يكون اول مدينة ولكن ما ان انتهت النزهة البحرية للمجندين وبدأ دور الاقامة « الصحراوية » مع الرمال حتى بدأت مشاكل فريدمان وبدأت معها كل الالوان الزاهية التي كان يزوق بها حلمه لنفسه وللناس ، اخذت تبهت سريعا تحت وقد الشمس الحجارية كل قصور الورق التي بنى اخذت تطير مع السافيات الذاريات

النظام البروسي العسكري الذي فرضه فريدمان لم يكن يتلاءم مع متطوعين لا يحملون للمغامرة العربية الحماسة المهووسة التي يحملها صاحبها والمنطقة بعض صخور جرداء سوداء تأكل الارجل والعيون [illegible] محدود ، ورطوبة تخنق الانفاس ، ورفض بعض المتطوعين الطعام السيىء ، فطردهم فريدمان [illegible]

المعسكر حفلة جلد وسحن ووحدوا انفسهم يضلون في الدروب الصحراوية ، يموتون من الوني والانهاك وقد يورمت الشـ ـه من العطش . ولكن التمرد استمر وتزايد حتى شمل الجميع وعند ذلك .

عند ذلك ارتدى فريدمان البزة العسكرية ووضع على رأسه تاجا مذهبا كان احضره معه تتمة للاحلام ، ورس بالاوسمة ، وخرج لجماعته وقد قبض بيمناه على مسدس وارخى اليسرى على سيف يجرره بحاسه واعلن بوصفه « ملك اليهود في مدين » تسريح جميع المطوعين !

فشلت ادن المغامرة التي لم يبق منها مع فريدمان الا سبعة افراد ، ولكن هل انتهت عند هذا الحد ؟

ما اهتم الرجل بحملات الصحف عليه حين تسربت اليها الأنباء ، ولا بوصفه انه تاجر « رقيق » جديد ، ولا باقامة الدعوى عليه في روسيا غيابيا بتهمة قتل احد المطوعين ما اهتم لكل ذلك ، حسب ان الفشل جاء من عدم اعتياد للمجندين المتطوعين اجواء الحجاز فذهب يغري بعض يهود مصر ويستأجر بعض المقاتلين من السودان ولكن المشاكل السياسية في هذه المرة هي التي اضافت الى مشاكله

ما كان للمغامرة ان تصل هذا الحد دون ان تثير قلق الدولة العثمانية ، قدر العثمانيون حين عرفوا بالمشروع والجنود والاسلحة على السفينة والمعسكر الاحتلالي ان الامر ، لابد مغامرة انجليزية جديدة ، وبدأوا يفكرون في الاهداف والنتائج في الجماعة اليهودية التي قد تكون طليعة احتلال وقد تقطع طريق الحج بين الشام وبين الحرمين وما وراءهما وقد وقد وبينا أحدوا يضغطون على البعثات الدبلوماسية لديهم من روسية والمانية ونمسوية وفرنسية ، ارسلوا الى ولاتهم والى حاصاتهم على طريق الشام ـ المدينة بالامدادات العسكرية والتعليمات لتطويق الجماعة المحتلة عن بعد ، وسال كل عرك ، وحين فشل (فريدمان) في حمل السلطات ـ سرية الانكليزية على حمايته ثم في حمل السدو والـ ـسة على محاربة الاتراك العثمانية الذين يتسرمون ـاق حوله ايقن ان حلمه مات على الرمال فقوض المعسكر وركب البحر بعد ان دون مع الحلم مائة الف غولدن ذهبي

انقاذا للشرف اليهودي

هل هذا كل شيء ؟ كان فريدمان من العناد بحيث بقي مصرا على انقاذ « الشرف اليهودي » كما قام بمعاودة جمع المال لمشروع الاستعمار ، وكان من الصفاقة بحيث اقام الدعوى على الحكومة المصرية يطالبها بالتعويض عليه ، وعلى الصحف الاوروبية لانها شوهت سمعته وعلى اليهود الآخرين الذين سخروا من مغامرته او استحمقوه او وصفوه بانه سيء التخطيط والتنفيذ او وصفوا المغامرة بانها مشروع « دون كيشوتي » حبلت به مخيلة يهودي اندماجي (اي يرضى الاندماج بغير اليهود) يهودي قبل ان يتلقى « المعمودية » واعتبر نفسه ملكا وباشا ، ويريد ان يتزعم اليهود

بقي ان نعلم ان هذه المغامرة المنسية كانت على صلة مباشرة بهرتزل ، صاحب الصهيونية وكانت التمهيد السابق لحركته الصهيونيون يقولون ان مغامرة فريدمان هي التي اشاعت ، عن طريق الصحافة واخبارها ، فكرة الدولة اليهودية التي التقطها هرتزل وجعلها عنوانا لكتابه الذي اصبح انجيل الصهيونية وربما كان اهم من هذا ان هرتزل حين تباحث مع وزير المستعمرات البريطاني تشمبرلن سنة ١٩٠٢ حول مشروعه الصهيوني اقترح انشاء مستعمرة يهودية في العريش واتي على ذكر قصة فريدمان كمثال لهذه المستعمرة وقبل اللورد كرومر في مصر هذه الفكرة وسافرت بعثة صهيونية لاستكشاف اوضاع العريش ثم عادت تتفاوض في هذا الشأن مع سلطات القاهرة ، كان يمثل الجانب الصهيوني ليوبولد غرينبرغ اما الجانب المصري فيمثله اللورد كرومر وبطرس غالي باشا (الحد)

اليس في هذا كله من بلاغ ؟ ■■

د شاكر مصطفى

ولد أم بنت؟

رحلة البحث عن اللغز الذي يشغل البشر

بقلم . الدكتور محمد مروان السبع *

مسألة نشوء الذكر والانثى في الانسان هي من اكثر المعضلات البيولوجية حساسية واثارة للجدل والتخمين ، واشدها لصوقا بحياة الناس وواقعهم اليومي ، واهمها خطرا في بنية المجتمعات وتركيبها البشري .

ولقد شغلت هذه المعضلة اذهان العلماء في كل العصور المتتالية للانسانية وستبقي هذه المسألة متمتعة بتأثيرها ووجودها على كافة المستويات والدرجات في المجتمع البشري وخاصة العربي والشرقي منه واضافة الى ذلك تتصف هذه المعضلة في الوقت الحاضر بانها اكثر المسائل مدعاة الى البحث والتمحيص ، وتخضع للكثير من التجارب لعل العلم يكشف شيئا من غموضها وابهامها

ولا بد لنا قبل ان نلم بجوانب مسألة الذكورة والانوثة ونستجمع خيوطها واطرافها ان نستشرف الآثار والندوب التي تطبعها في جبين المجتمع العربي وتصمه بوصمات واضحة المعالم عميقة التأثير لا تزول مع مر السنين .

فكل فرد في المجتمع العربي يحب ويتمنى أن يخلف نسلا كله أو معظمه ذكور لاعتبارات كثيرة لسنا بصدد بحثها ونقدها الآن ، وانما سنذكر بعضها ذكرا

ـ فمثلا يريد الرجل منا في عقبه ولدا ذكرا كي يحمل اسم العائلة ويتابع صيتها ووجودها في المجتمع دون [illegible] او انقطاع .

ـ وكذلك يرغب في الذكور لانهم اشد مراسا وتحملا لاعباء الحياة وهمومها ومشاكلها

ـ ولا يعلق بالذكر ايضا من همسات المجتمع وتشنيعاته واقاويله ، مثل ما يصيب الانثى من [illegible] ومحن ومصائب لدي اقل شاردة واوهى هفوة [illegible] ذلك .

---

* استاذ الوراثة والتحسين الوراثي في جامعة حلب

ومن مفارقات ان الانثى في مجتمعنا العربي عندما تحمل تتمنى لها بنات حنسها ان تلد ولدا ذكرا (!!) مهما كان شكله او لونه او درجة جماله وكذا الام الحامل دائما تدعو الله في سرها وعلنها ان يرزقها الله ابنا تملأ به عين والده ، وتفقأ به عيون الحساد والصرات والقريبات والجارات

ومن البديهي ان احتمالات ولادة الذكر تساوي تماما احتمالات ولادة الانثى ، طالما انه لا يوجد سوى حنسين اما ذكر واما انثى (ماعدا بعض الحالات النادرة الشاذة) . وطالما ان الام الوالدة ليس لها حيار في جنس حملها وولادة انثى اول مرة لا تمنع ابدا ولادة انثى احرى في المرة الثانية وكذلك ولادة انثى في المرة التاسعة ليس من المحتم قطعيا ان ياتي بعدها ذكر في المرة العاشرة

ولذلك نجد ان بعض العائلات فيها نسبة الاناث اعلى . وعائلات ثانية فيها نسبة الذكور اكبر ، وعائلات اخرى فيها نسبة الذكور والاناث متساوية او متقاربة ولا مراء في ان قانون الاحتمالات مهما اصاب في وقوعه ، ومهما امكن تطبيقه في مجتمع ما فانه يبقي اولا واخيرا فرضية محتملة تعتمد على الحدس والتخمين وتتعرض للزلل والشك وتبتعد عن الثبات واليقين وتجيبنا الآيتان الكريمتان من سورة الشورى حوابا شافيا فيه البلسم للقلوب والطمأنينة للنفوس وتوحي بالرضى والقبول

« لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » ٤٩ ، ٥٠ الشورى .

٢٦٢ فرضية !

لقد جانب كثير من العلماء الصواب عند تعرضهم لمسألة الذكورة والانوثة ، واشتط بعضهم في الزلل والاعتقاد حتى باتت آراؤهم موضع هزء وسخرية ، وامست لهم ضربا من التخبط والزيغ فمنذ عهد الاغريق اليونان ومسألة الذكورة والانوثة تشغل اذهان العلماء والفلاسفة والمفكرين فوضعوا لتفسيرها كثيرا من الفرضيات والنظريات التي لا تستند الى اي دليل علمي او حجة منطقية ، وقد وصل عددها تقريبا الى ٢٦٢ فرضية كلها تخبط خبط عشواء وتغرق في الجهالة والزيغ وتزيد الابهام غموضا ولبيان خرافة هذه الفرضيات وسخافتها سنستعرض بعضا منها

فقد زعم بقراط انه اذا قوى زرع المراة والرجل جميعا (ويقصد بالزرع نطاف الرجل وبويضات المرأة) كان الولد ذكرا وان رق زرعهما وضعف كان انثى واذا غلبت على الزرع الحرارة كان الولد ذكرا وان غلبت عليه البرودة كان الولد انثى

اما ارسطو طاليس فيدعي ان من علل الذكر والانثى هبوب الرياح لان الجنوب ترخي الابدان وتذيب الزرع فيخرج رقيقا بينا غير نضيج والشمال تصلب البدن وتمنع الحرارة من الانتشار فيخرج الزرع وقد انضجته الحرارة وذكر ان الرعاة يعرفون ذلك من فعل الرياح في نتاج غنمهم ولذلك صار المشائخ والعلماء اكثر ولدهم الاناث واكثر ولد الشباب الذكورة لقوة حرارة الشباب وضعف حرارة اولئك فالحرارة الشديدة تحرق الزرع والضعيفة تعجز عن انضاجه قال « والسمان من الناس وسائر الحيوان يقل زرعهم فيقل لذلك ولدهم وكذلك فان الزرع اذا جرى عن يمين الرجل الى يمين المرأة كان الولد ذكرا وان جرى الزرع من يسار الرجل الى يسار المرأة كان الولد انثى وان جرى من يسار الرجل الى يمين الرحم كان الولد انثى مذكرا وان جرى من يمين الرجل الى يسار الرحم كان الولد ذكرا مؤنثا

ويتابع عالم الاغريق فرضياته فيقول · وكذلك ان حسن لون المرأة الحامل دل على ان الجنين ذكر وان قبح لونها دل على أن الجنين انثى (كذا !!)

وقال بقراط « ان كان في الجانب الايمن من الرحم قرحة ثم حملت المرأة كان ولدها ذكرا وان كانت القرحة في الجانب الايسر من الرحم ثم حبلت المرأة كان ولدها انثى وان وجدت المرأة ثقلا في الجانب الايمن من الرحم وكانت حركتها وحركة عينها اليمنى اثقل دل على ان الولد ذكر وان وجدت الثقل في الجانب الايسر من الرحم

وثقلت حركة عينها اليسرى دل على ان الولد انثى وانك اذا دعوت امرأة حبلى وهي قائمة فرفعت قدمها اليمنى اولا دل ذلك على ان الولد ذكر وان رفعت اليسرى اولا فالولد انثى !!

موقف العلماء العرب

أما العلماء العرب المسلمون فقد تناولوا هذه المسألة بالشرح والتحليل ، ولم يقلدوا مزاعم العلماء الاغريق اعتباطا ، وكذلك كانوا حذرين من قبول المعتقدات والاقوال السائدة في مجتمعاتهم فالطبري مثلا في كتابه « فردوس الحكمة » لم يسلم بكل ما يقوله بقراط وارسطو طاليس واما ابن قيم الجوزية فقد استعرض مسألة الذكورة والانوثة في كتابه « تحفة المودود باحكام المولود » وحللها تحليلا علميا وشرعيا ، وفند الافكار والاراء المختلفة في هذا الصدد ، وبين ان ما تناولته الرواة والكتب والاساطير لا يتطابق مع النظر العلمي الثاقب ، ولم يقبل كل الذرائع والحجج التي وضعت لتعليل هذه المسألة وكذلك يذكر ابن قيم الجورية ان الذكورة والانوثة لا تستند الى سبب من الرجل ، وان كان يحصل باسباب غير ذلك وهي امور خارجة عن الروحين

وهنا يسند العلماء المسلمون موضوع الاذكار والايناث الى مشيئة الله تعالى وارادته في اقتضاء السبب لمسببه

واما الحديث الشريف الخاص بهذا الموضوع فقد اورده ابن قيم الجوزية ، ونحن هنا نجتزىء من الحديث القسم الخاص بالذكورة والانوثة قال « جاء يهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت اسألك عن الولد قال ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا وعلا مني الرجل مني المرأة اذكر باذن الله واذا علا مني المرأة مني الرجل آنث باذن الله تعالى فقال اليهودي - لقد صدقت وانك لنبي »

ويعقب ابن قيم الجورية على هذا الحديث فقال ليس من الشرط ان يكون مفهوم الحديث الشريف محققا لموضوع الذكورة والانوثة ويبقى الامر لله تعالى بان يعلو احد المنيين على الآخر (وطبعا ليس بمقدور [illegible] كانت قدرته ان يرغم امكانيته في التحكم [illegible] الرجل على مني المرأة او بالعكس)

وهكذا نجد ان فكر هذا العالم النير [illegible] بقبول كافة الآراء والافكار حول هذا الموضوع [illegible] ذي الالغاز المحيرة والتي لم تحل اشكالاته [illegible] حتى الآن

التخمين مستمر

رغم التقدم العلمي وتفتح اذهان الناس واتساع عقول العلماء ووفرة الوسائل العلمية الحديثة فان مسالة الذكورة والانوثة تبقى لغزا محيرا يأخذ بمجامع الالباب ويأسر القلوب لغموضها وابهامها فحتى العلماء المتأخرون ايضا - كما هو الحال بالنسبة للعلماء الاقدمين - قد وضعوا فرضيات تفسر نشوء الذكر والانثى ولكنها تبقى كلها ضربا من الحدس والتخمين وعلى الرغم من تغير التصورات الحديثة لهذا الموضوع وتطور وسائل الفهم فان مآل هذه الفرضيات قد اوصلها الى التنسيق والذكرى شأنها في ذلك شأن فرضيات العلماء الاقدمين

فقد ادعى بعضهم ان الجنس نتيجة صراع بين نطفة الذكر ونطفة الانثى فالاقوى يفوز في تعيين الجنس وقال غيرهم ان الزوج الاقوى يولد عكس جنسه وهناك اعتقاد مفاده ان الزواج المبكر يساعد على ولادة الذكور اما الزواج المتأخر في عصرنا فيجعل نسبة الاناث اعظم

وقال آخرون ان الحرمان وقلة التغذية تساعد على ولادة الذكور اكثر وقد استنتجوا ذلك من ولادات الصبيان بعد الحرب فعلى اعتبار ان سني الحرب حرب وشظف وجوع ظن ان لهذه الحالة الاجتماعية صلة بالاذكار والانتاث (ولادة التوائم) فقد لوحظ ان عدد التوائم قد كثر اثناء الحرب ولا سيما في فرنسا

ولقد ارتفعت نسبة الذكور في كل من [illegible] بعد ربع قرن من الحرب العالمية الثانية لتقترب من [illegible]

لاناث فقد كانت النسبة في كلا البلدين عام ١٩٤٥ ٤ ذكرا مقابل ٥٦ انثى لكل ١٠٠ فرد اما في عام ١٩٧ فقد اقتربت من النسبة المتماثلة تقريبا ٤٨ ذكرا مقابل ٥٢ انثى في كل ١٠٠ فرد

غير أن هذه الفرضية لم تعد مقبولة اليوم لانها لا تستند الى اي اساس علمي وقد بينت الاحصائيات اثناء الحرب العالمية الثانية ان مواليد الاناث تزداد بنسبة طفيفة قدرت ما بين ١ ـ ٦٪ وليس سببها تعويض الطبيعة او قلة عدد الذكور لان مثل هذه النسبة لم تحصل عند الامم المحايدة التي لم تدخل غمار الحروب ، رغما عن الحصار الشديد الذي كان ماسكا بخناقها وقد اعطى تعليل لذلك ان اكثر الرجال يكونون بعيدين عن زوجاتهم فيقل حملهن والذكور كما ثبت فعلا اكثر تعرضا للموت قبل الولادة والظروف المهيأة للانثى اكثر ملاءمة للعيش من الذكر

واما دور سنع فقد درس كل ما قيل في الاذكار والايناث وخرج من دراسته برأي يقول فيه اذا حدث نقص في احد الجنسين فالطبيعة تعوض هذا النقص بزيادة الجنس الآخر ! !

ومن اغرب ما ذاع في الولايات المتحدة الامريكية في اوائل الستينات ان الام الحامل التي ترغب في انجاب الذكور عليها ان تضيف الى غذائها فحمات الصودا (Na 2 Co 3) وقد عني الاستاذ دامور في جامعة دنفر باختبار هذا القول في الجرذان فوجد ان المادة المذكورة لا اثر لها على الاطلاق في جنس المولود

ومن الجدير بالتنويه ان العلم الحديث في الوقت الحاضر لم يستطع حتى الآن ان يصل الى نتيجة حاسمة ورأي فاصل فيما يتعلق بالتحكم بالاذكار والايناث في الانسان والكائنات الحية العليا ، رغم التقدم المذهل في الوسائل المخبرية والالات المجهرية والالكترونية ، والتطور الكبير في العلوم الفيزيولوجية والحيوية

وهكذا فان كل ما ذكرناه لا يعلل حقيقة الجنس انما سنعرض آخر الابحاث العلمية في تفسير الذكر الانثى في الانسان

فلقد اصبح في حكم الامور البديهية المعروفة لكل الناس المثقفين ان الذكر في الانسان والثدييات ينشأ من اجتماع النطفة الحاملة للصبغي Y مع بويضة الانثى الحاملة للصبغي X . وان الانثى في الانسان والثدييات يتحدد جنسها من التقاء النطفة الحاملة للصبغي X مع البويضة ذات الصبغي X ولقد امكن في بعض التجارب العلمية تحديد جنس الجنين بعد مرور اكثر من اربعة اشهر على حياته الجنينية بالتعرف الى كمية الهرمونات الجنسية السابحة في ماء المشيمة (السائل الامنيوني) فاذا كانت تسيطر الهرمونات الذكرية فمعنى هذا ان الجنين ذكر واذا كانت الهرمونات الانثوية هي الغالبة فهو دليل على ان الجنين انثى ومع ذلك فقد لا تصح التوقعات والتخمينات عن جنس المولود ولا ترتفع الى نسبة ١٠٠٪ بشكل مؤكد وحتمي

التحكم بالجنس

لا شك في ان النقطة الهامة في موضوع الذكورة والانوثة هي كيف يمكننا ان نتحكم في لقاء النطفة المختارة مع البويضة لينتج الجنس المرغوب ، ونستبعد في نفس الوقت النطفة غير المرغوبة حسب الحاجة والضرورة وهذا بعيد المنال في الوقت الحاضر على الاقل

ولقد اجريت ابحاث مستفيضة حول هذا الموضوع لم تصل جميعها الى نتيجة حاسمة ورأي فاصل وقد اعتمدت هذه الابحاث على الاسس والمبادىء التجريبية التالية

١ ـ فقد افترض مورجان ان الصبغي X اكبر في الحجم من الصبغي Y بما يعادل الضعف ولذلك فهو ابطأ سرعة في السائل المنوي من الصبغي Y ، وبالتالي يتقاعس في الوصول الى البويضة لتلقيحها (واحب ان اذكر بان الصبغيات هي العرى او الخيوط الملونة الرفيعة التي تحمل المورثات المسؤولة عن كل ما يتعلق بالفرد من صفات وطبائع وسلوك وذكاء وصحة وتناسل وغير ذلك وعدد هذه الصبغيات في الانسان ٤٦ صبغيا توجد في كل خلية من خلايا الجسم الحي مهما كان

حجمها وموقعها ووظيفتها) .

وبناء على ذلك وضع سائل منوي لثور في جهاز الطرد المركزي (المثقلة) كي يسبب الدوران الشديد فصل النطفة ذات الصبغي X عن قرينها ذي الصبغي y تبعا للثقل والحجم وحسب قانون الطرد المركزي يفترض ان تكون النطفة الاكبر في الحجم اي ذات الصبغي X خارج الدائرة ، واما النطفة الصبغي y فداخلها لانها اخف في الوزن وبعد ذلك اخذ علسائل النوي المطرود خارج دائرة الطرد المركزي ولقحت به ابقار على امل ان تنتج مواليد كلها اناث ، ولكن الناتج الواقع فعلا كان ذكورا واناثا ثم اخذ السائل المنوي المتبقي داخل دائرة الطرد المركزي ولقحت به ابقار على فرض انها ستنتج مواليد كلها ذكور ولكن الناتج حقا كان ذكورا واناثا

٢ ـ واعتمدت تجارب الباحثة الروسية شرويدر واستاذها على خاصية التقل الكهرباني التي تتصف بها اغلبية المركبات العضوية ومنها السائل المنوي وقد افترضت هذه الباحثة ان النطفة ذات الصبغي X سالب الشحنة الكهربائية ولذا من المفروض ان يتجمع عند المصعد (اي القطب الموجب) في جهاز الناقلة الكهربائية Electrophoresis واما النطفة ذات الصبغي y فقد خنت انه موجب الشحنة ، ولذا من البديهي ان يتكوم عند المهبط (اي القطب السالب) فاخذت سائلا منويا لذكور الارانب ووضعته في الجهاز المذكور ، وبعد تشغيل التيار الكهرباني وانفصال السائل المنوي الى قسمين ، واخذت القسم المتجمع على المهبط ولقحت الارانب على امل ان تنتج كلها ذكورا ، فأنتجت ذكورا واناثا ايضا الا ان الغلبة هنا في الاعداد للذكور ثم اخذت القسم المتجمع على المصعد ولقحت به اناث الارانب على فرض انها ستنتج كلها اناثا فأنتجت ذكورا واناثا ولكن الغلبة هنا في الاعداد كانت للاناث

٣ ـ وارتكزت الفرضية الثالثة التي وضعها الدكـ انتربرجر الى ان لتفاعل المهبل شأنا في الجنس فالنطـ التي تحمل الصبغي X تتميز عن تلك التي تحمـ الصبغي y بانها تقاوم الحموضة فان كانت القلو الغالبة ساعد ذلك على انتاج الذكور والاكان الايناث لان الصبغي y لا يقوي على حموضة المهبل وتموت النطفة بسببها ولذا من الممكن في هذه الحالة ان يغسل مهبل الانثى قبل عملية الجماع بالمحلول المناسب حسب الجنس المرغوب في النسل القادم وقد اجريت الابحاث والتجارب لتأكيد هذه الفرضية واثباتها في ثلاث محطات تجريبية ، الا انه ـ مع الاسف ـ لم تتحقق اية نجاحات في اي منها بهذا الصدد

٤ ـ وكذلك استندت فرضية اخرى الى درجة انصباغ الصبغيات الجنسية بالصبغات الملونة بحيث تكون درجة الانصباغ في النطفة ذات الصبغي X اعلى منها في النطفة ذات الصبغي y الا ان التلقيحات المجرية بهذا الخصوص لم تسفر عن نتيجة مرضية ايضا

وبعد فان خلاصة القول في موضوع الاذكار والايناث ما يزال غامضا ومعقدا ، وليس من الممكن تفسير نشوء الذكر والانثى بسهولة ويسر او التحكم فيه بهذه البساطة ويبقى عالمنا المبجل ابن قيم الجوزية مصيبا في حذره من قبول التفسيرات التي وضعت لشرح هذه المعضلة وثاقب النظر في تحليلاته العلمية لها وتسطع الآية الكريمة بالبرهان الوهاج والدليل الدامغ على عجزنا في العلم الاكيد بمسألة الذكورة والانوثة « ويعلم ما في الارحام » ■■

د محمد مروان السبع

بعد شهر العسل

● كتب جدي رسالة الى زوجته بعد مشاجرتهما التي وقعت عقب احتفالهما بالعيد الخمسيني لزواجهما قال فيها عروسي العزيزة ، فلنؤجل مشاجراتنا الى ما بعد انتهاء شهر العسل . زوجك المحب جون .

حكمتان بين ... وبوذا

غاندي

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة

لكل أمة من الامم الكبرى تصورها للوجود والحياة او فلسفتها ، ولهذه الفلسفة مميزاتها التي ترجع الى روح الامة وجملة ظروفها ومكانها في تاريخ الفكر الانساني وشعورها برسالتها

وللهند حضارة قديمة وحياة روحية - دينية وفكرية - فلسفية ترجع الى ما قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرنا ، وهي حضارة متعددة الجوانب كثيرة العناصر ، لان بلاد الهند واسعة الأرجاء كثيرة البيئات واللغات والنحل

والكتاب الاوروبيون سموا تلك الحضارة باسم اشتقوه من اسم « الهند » ، وجعلوه دالا على الحياة الهندية من جميع جوانبها ، وهو Hinduism ، وقد تبعهم الكتاب العرب المحدثون ، فقالوا هندوسية ، واحيانا . هندوكية

ويبدو ان الفكر الهندي نشأ مستقلا الى حد كبير وراء وفيما بين تلك الجبال الشاهقة وقد ظهرت بين الهنود ديانات مميزة لهم وفلسفة خاصة بهم وهم كانوا ، ولا يزالون ، شديدي الاعتداد بأنفسهم في هذ ويعتقدون ، كما حكى عنهم ابو الريحان محمد بن البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبول العقل او مرذولة » ، انه لا توجد بلاد مثل بلادهم ملوك كملوكهم ولا علوم كعلومهم وقد كان اعتدا بانفسهم واعتزازهم بتراثهم من اكبر العوامل ال ساعدتهم على الاحتفاظ بروحهم المميزة وشخصي الخاصة وعلى مقاومة المؤثرات الاجنبية عنهم ، على ا

من سيطرة خارجية قد تمتد مع القرون

ملك الحكمة

وللفكر الهندى مكانه الكبير في تاريخ الفكر البشري ، وكان له تقديره عند المؤرخين القدماء وقد لقي الكثير من عناية علماء الاسلام الذين اهتموا بمذاهب الهند ومللهم وعلومهم منذ اول اهتمامهم بعلوم الامم . واشتغل بدراسة مذاهبهم اول فلاسفة الاسلام ، وهو الكندي ، كما حكى عنه ابن النديم (كتاب الفهرست ص ٣٤٥ ، ٣٤٧ طبعة ليبتزج) . ويقول القاضي صاعد بن احمد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) وهو من مؤرخي علوم الامم بين المسلمين ان الهند امة كثيرة العدد فخمة الملك اعترف لها القدماء بالتبريز في فنون المعرفة ، « وكانوا يسمون ملك الهند ملك الحكمة ، لفرط عنايتهم بالعلوم وتقدمهم في جميع المعارف » . ويذكر هذا المؤرخ للعلوم ان أهل الهند كانوا على مر الدهور ، « معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفاضلة والامثال السائرة » . ويضيف الى ذلك طرفا من مذاهبهم

على ان البيروني (ت ٤٤٠ هـ) هو الذي سجل للأجيال آراء الهند ، وذلك انه صحب السلطان محمود الغزنوي في غزواته لارض الهند ، فأقام هناك عشرات السنين وداخل اهل البلاد وتعلم لغتهم ، ودرس علومهم وثقافتهم العقلية والروحية ونظام حياتهم ، ودون دراسته في كتابه الفريد الذي قدمنا ذكره

وقد كان فتح الاسلام لبلاد الهند واتصال المسلمين بثقافة الهند سببا في دخول التراث الهندي الى جانب غيره في جملة الثروة الفكرية عند المسلمين من ذلك الرياضيات وكثير من الحكمة (كتاب كليلة ودمنه)

واذا كان الفكر الهندى قد حظي بالتقدير عند القدماء فان له ، على ما فيه من غرابة ، جاذبيته عند المحدثين ، خصوصا من الاوروبيين الذين يتلمسون ، وهم في ازمة حضارتهم المادية ، فكرا روحانيا جديدا والكتب الحديثة باللغات الاوروبية حول الفلسفة الهندية كثيرة لا تحصى

والفكر الهندي ، في مراحله الاولى ، له صبغة دينية غالبة . وقد اشتملت عليه اناشيد ال « فيدا » Veda مما جمعت من كلام عن الألوهية وأصل العالم ومن أفكار حول قوى خفية تصوروها سارية في الأشياء ومدبرة لقوى الطبيعة

موحدون بالله

ومذاهب الهند كثيرة جدا ، ومن اهمها البرهمانية

شوبنهاور

بفروعها الكثيرة ونظرياتها المتعددة ، والبوذية وما فيها من تصور للعالم وتشاؤم بالحياة الانسانية . وهناك ايضا مظاهر للتفكير الميتافيزيقي نجدها في « الاوبانيشادات » Upanishads التي هي رسائل تشرح ال « فيدا » وتبرز لنا فكرة وحدة الوجود على صورة روحانية

واتجاهات الفلسفة الهندية متنوعة ، وقد يختلط بعضها ببعض او يشتمل على عناصر متضاربة او على الغث والسمين ، كما لاحظ البيروني ، بسبب قلة وجود المنهج وفي بعض مذاهبهم مفهوم الالوهية أو تعدد الآلهة ، وليس في بعضها مكان لهذا المفهوم وقد يتكلم بعضها عن عالم الظاهرات الذي نشاهده ، او يرى انه لاوجود الا لما هو مادي محسوس ، على حين يرى البعض ان هذا العالم وهم Maya وفي بعض تلك المذاهب اهتمام بالمعرفة النظرية والمفهومات التي تنظمها ، وغيرها يعرض عن البحث في المفهومات ويهتم بان يرسم للانسان طريق الخلاص من هذا العالم وهذه الحياة ، ومع ذلك فان العلماء قد اجتهدوا في الاحاطة بمعالم رئيسية تميز الفكر الهندي في جملته ويؤمن بها الهندوس = فمن ذلك انهم يقولون بحقيقة كلية او مبدأ Principle ازلي ابدي يشمل الاشياء كلها وهو مصدرها الذي تفيض منه واليه تنتهي ، وهو الذات Self (آتمان) في كل شيء ، وقد يتصورونه الها هو ذات حقيقية موصوفة بصفات الكمال ـ هذا ما يقوله الكتاب الاوروبيون المحدثون

والبيروني قبل ذلك بنحو من الف عام ، في كلامه عن اعتقاد الهند في الالوهية ، يشرح آراءهم بحسب الاصطلاح الذي جرى عليه علماء الاسلام ، فيقول انهم ـ ولابد ان هذا بوجه عام ـ قوم موحدون يصفون

لله بكل صفات الكمال وينزهونه عن كل صفات النقص ، وان اعتقادهم في الله تعالى انه « الواحد الازلي من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله ، القادر الحكيم ، الحي المحيي ، المدبر المبقي ، الفرد في ملكوته المنزه) عن الاضداد والانداد ، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء العالم بذاته سرمدا » منزه عن المكان ، لا تدركه الحواس لكن تدركه النفس وتحيط بصفاته الفكرة ، من تشبه به انحل عنه الوثاق وسهل خلاصه من قيود العالم المحسوس ويذكر ابو الريحان من آرائهم « ان الموجود شيء واحد » وان جميع الاشياء الهية ، والاله جعل نفسه ارضا يستقر عليها الحيوان وماء يغذوه وريحا ونارا ، ومع ذلك فهو « قلب » لكل واحد من الناس والطريق الى المعرفة بوحود الله وبالخير والمحسوب من الاعمال هو طريق العقل

ولا شك عند المؤرخ ان الفكر الهندي قد تأثر بالفكر الاسلامي في كثير من جوانب تصور الالوهية ، وذلك في اثناء القرون التي اتصل بها الهنود بالاسلام منذ دخوله بلادهم في اواخر القرن الاول للهجرة واستمرار تأثيره فيهم دون انقطاع وكثير من علماء الهنود كانوا يذهبون الى بغداد وحواضر الثقافة في شرق الدولة الاسلامية ، وقد سجل التاريخ مناظرات بين بعض مفكري الهنود وبين المسلمين منذ اوائل القرن الثاني للهجرة ، وكان ذلك في مدينة البصرة التي كانت نقطة اتصال بين مختلف الثقافات

احترام الحياة . والحيوان

= والهنود بوجه عام يؤمنون بما في ال « فيدا » ، ويرى المؤمن بها انها تشتمل على الحقيقة المطلقة ، واذا كان هذا ما يقوله الكتاب الاوربيون ، فان البيروني قد سبقهم الى ذكره واضاف أنهم يرون ان ال « فيدا » وحي انزله الله على براهم وان الله يتكلم في الازل وانه كلم براهم كما كلم غيره ، وال « فيدا » في نظرهم كتاب معجز لا يقدر احد منهم على ان ينظم مثله وان كان « المحصلون » منهم وهم اهل العلم والمعرفة ، يرون ان نظم مثله في مقدورهم ، « لكنهم ممنوعون عنه احتراما له »

ومن الواضح ان كل هذه الاراء ترديد علماء الهنود لما عرفوه من آراء المسلمين في القرآن الكريم ، لانه لم يكن في ظروف حياة الفكر والدين عند الهنود تلك العوامل التي ادت الى ظهور هذه الآراء بين المسلمين

= وعند الهندوس نظام الطبقات ، وفي قمته طبقة البراهمة الذين يتميزون بالتفوق في الطهر والروحانية والرزانة ، وهم الذين يحملون الفيدا ويعلمون ما فيه .

= ومن المعروف ان الهندوس يحترمون الحياة في كل الكائنات الحية ، وهم يتعاطفون مع الحيوان على اساس أن فكرة الحياة واحدة على الرغم من تعدد مظاهرها ، ومن هنا جاء اكتفاء بعضهم بالطعام النباتي ويمكن القول ان احترام الحياة من مفاتيح الاخلاق عند الهنود

= ومن اكبر مميزات الفكر الهندي القول بالتناسخ بمعنى « العودة بعد الموت الى الولادة من جديد في كائن حي آخر » يقول البيروني « كما ان الشهادة بكلمة الاخلاص شعار ايمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والاسبات علامة اليهود ، كذلك التناسخ علامة النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها »

والصورة التي يكون عليها الميلاد الجديد تكون بحسب الاعمال في الحياة السابقة له ، فاذا كانت حسنة ولد من جديد في صورة احسن ، والا في صورة اخس وهذا ما يسمى قانون « الكرمان » Karman اي قانون الاعمال وعواقبها

ولا خلاص من سلسلة الولادات الا اذا سار الانسان السيرة الفاضلة وراض نفسه حتى يفنى في ال « براهمان » اي في الحقيقة الكلية الشاملة

= والخلاص يكون من طريق العبادة واداء الشعائر والواجبات الاجتماعية ، ومن طريق معرفة النفس بذاتها

= والهندي الذي يمثل التراث الهندي الاصيل انسان يؤدي واجباته الاجتماعية والدينية ، ويتبع قواعد السلوك الخاصة باسرته وطبقته ، وهو يعمل بحسب مفهوم « الدهارما » Dharma اي نظام القانون والواجبات ويجتهد في ذلك لكي تتحقق في شخصه جملة صفات الاستقرار والاتزان التي تتمثل في الكون والطبيعة ، ويجب ان تتحقق في المجتمع

والفكر الاوروبي

وقد كان اتصال الهند بالفكر الاوروبي سببا في ظهور وعي جديد وقيام حركات تزعمها هنود تثقفوا بالثقافة الغربية ، فمنها حركات تريد الرجوع الى التوحيد القديم بعد تنقيته ، ومنها ما يريد العودة الى ما جاء في « الفيدا » ويحارب الديانات الاخرى ، وبعضها حركات دينية ذات اهداف اجتماعية وسياسية

ومن اكبر ممثلي النزعات الهندوسية الدينية والخلقية المهاتما غاندي (ت ١٩٤٨ م) الذي جمع بين روحانية الهند وثقافة اوروبا وظهر زعيما دينيا سياسيا وكان رمز التمسك بالمثل العليا الهندية القديمة ، من احترام الحياة واداء الشعائر ، مع العفة والزهد وانكار الذات والصدق في التمسك بمبادىء السلام والمصالحة والفضائل وكان

يرى ان مراعاة آداب الدين في العبادة والاخلاق تمد الانسان بالطاقة اللازمة لتحقيق مثله العليا ، ويؤمن بان الانسان اذا راض نفسه على الحياة الروحانية اكتسب قوة يغلب بها ميول الشر عند اعدائه

وقد وقفت الهندوسية دائما أمام الديانات الاخرى ، لكنها لم تستطع ان تغلبها ، فهي لم تستطع ان تغلب الاسلام الذي دخلها بعقيدته وجملة تصوره للوجود والحياة واستقر فيها ولا هي استطاعت ان تتصادى انتشار المسيحية بعد الاستعمار الاوروبي وفي موقفها من الديانات الأخرى يدخل العامل القومي الى جانب العامل الديني

وللفكر الهندي جاذبيته ، خصوصا نواحيه الروحانية ـ الخلقية ، واحيانا الخيالية ، التي تناسب ازمة الحياة الاوروبية ، ورغم ظهور كتابات حديثة حول الفكر الهندي ورغم جهود كبيرة للدعوة الى هذا الفكر وظهور شخصيات هندية تروج لجوانب من الهندوسية ، الا ان ذلك لم يستهو الا اصحاب الميول العاطفية الخيالية الذين يحتاجون الى استجمام روحي وسط صخب الحياة المادية الحديثة

ولقد اصبح الايمان في العصر الحديث وهو عصر العلم ، يحتاج الى اصول في المعرفة ومناهج في التفكير تناسب روح العصر وتصوره للكون

البوذية والعقل

ومن نماذج الفكر الهندي الفلسفة البوذية ، وهي فلسفة دينية اخلاقية ، كان لها شأنها في الحياة الروحية والفكرية والاجتماعية لامم الشرق الاقصى ، وقد اثرت في الفكر عند بعض المفكرين في أمم أخرى

وكان ظهور البوذية في القرن الخامس قبل الميلاد (تقع حياة بوذا بين حوالي ٥٦٣ و ٤٨٠ ق م في عصر ازدهر فيه البحث في الحياة الدينية والفكرية ، مع اجتهاد في شرح النصوص ونظر في امور الوجود وفي حياة الانسان

وتتميز البوذية بالايمان بما جاء في النصوص وبقوانين عامة تحكم حياة الانسان ، وكل ذلك على اساس استعمال العقل ، لكن دون اهتمام بالتحليل العقلي لمشكلات تتعارض فيها الآراء ، من قبيل البحث في هل هذا العالم محدود ام غير محدود ، وهل النفس والبدن شيء واحد ام هما متمايزان ونحو ذلك

وليس المهم في البوذية تصور الاشياء بالمعنى النظري ، بل المهم هو السلوك العملي ، بحيث يمكن القول ، كما يرى البعض ، ان البوذية ليست مذهبا فلسفيا بقدر ما هي سلوك طريق عملي يتفق مع العقل ويؤدي الى تخليص الانسان من عالم الشهوات والآلام وهذا على اساس الثقة في ان « البوذا » او الانسان الكامل المستنير السعيد كامن في كل انسان ويمكنه ان يتحلى اذا سلك الطريق

يحكي ان بوذا قرر ان يسلك طريق الزهد بعد ان لقي رجلا مريضا وآخر شيخا هرما وثالثا ميتا ، وأخيرا راهبا شحاذا لكنه بدا هادىء النفس تظلله السكينة فلاحت امام عقل بوذا فكرة تفاهة الحياة وظلال الموت والفناء التي تزحف عليها فترك بيته واهله وولده ولحق بالزهاد الروحانيين ، وعكف على طريقتهم الى ان انكشفت له الحقيقة ووصل كما يقول الى حالة الاستنارة في القلب

ثم اشارت عليه آلهة الهند بان ينشر فلسفته

في البوذية افكار اساسية مثل القول بانه لا توجد في العالم حقيقة ثابتة لا في الاشياء ولا في ذات نفس الانسان ، وانما توجد سلسلة من الظاهرات يعقب بعضها بعضا اما فكرة (الانا) الفردي ، اذا نحن تصورناه جوهرا ميتافيزيقيا ، وكذلك كل ما نضيفه اليه ، فهو عبارة عن وهم والمهم عند بوذا هو ان الذات الانسانية مركز شعور خلقي ومصدر فعل وسلوك عملي

ولا بد بطبيعة الحال من صرف النظر عما في هذا التصور من نزعة سطحية مادية ، لها نظائر في الفكر الاوروبي في العصور الحديثة ولا تصمد امام النقد ، لانه وبكل بساطة لابد لسلسلة الظاهرات الكونية او النفسية التي تتحدث عنها البوذية ، كما لا بد للمركب الانساني ولوظائفه الكثيرة ، من قوة ثابتة تمسك نظام الاشياء او المركب الانساني ، فتمسك الاول في الوجود وتمد الثاني بالفكر والحياة وما لهما من مظاهر ووظائف

مهما يكن من شيء فان المهم في البوذية هو تصورها للحياة الانسانية هي تتلخص في حقائق اربع تسمى « الحقائق الشريفة » ، وهي حياة الانسان شقاء والم وهما ينشآن عن اشتهاء اللذات ، والاشتهاء يمكن التغلب عليه ، والتغلب عليه يكون بسلوك الطريق

وأساس كل آلام الانسان جهله بالحقيقة وتشبثه بالمحسوسات والشهوات والخلاص لا يتسنى الا بالمعرفة الصحيحة والعمل الصحيح والتأمل الصحيح

وهذا التأمل يبتدىء بالتخلص من انطباعات الحواس ، بالتركيز الفكري حتى يسكن كل نشاط في العقل ، وهنا يظهر شعور بالسعادة ثم يزول وتأتي حالة النقاء والفناء عن الاشياء ، وهذه هي حالة النرفانا Nirvana التي كثيرا ما نسمع عنها ، وهي عندهم حال كمال وسعادة صافية

ولا شك ان بوذا لما رأى ما رأى فتشاءم بالحياة وقرر سلوك طريق الزهد ، قد وقف نظره في الحقيقة عند المظهر الخارجي ولم يدرك ان المرض والشيخوخة من طبيعة تركيب هذا النوع الذي نعيشه من الحياة ، وهو لم يتأن ويمعن النظر لكي يدرك الحكمة من الحياة على الارض بالنسبة للانسان وضرورة انتهائها بالموت ، وان الموت دخول في حياة اخرى ، هي حياة الحساب والجزاء .

والحق ان الانسان اذا تأمل نظام العالم ودلالته على وجود صانع حكيم ، ثم نظر في الانسان وما له من ملكات معرفة بالخير والشر ومن قدرة واختيار ، وتحير في معنى هذه الحياة ، وجد الجواب الكافي اذا تأمل قول الله تعالى في القرآن الكريم « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور » (س الملك /٢)

واذا كان يصعب على الانسان ان يتصور الظروف والاسباب التي ادت الى كثير من اراء الهنود ، فانه ليصعب عليه أن يتصور اي قيمة او فائدة تتحقق للانسان السليم الفطرة ، اذا هو انصرف عن هذا العالم الرائع واجتهد في أن يمحو كل خاطر او تصور او انفعال في الوعي وأي قيمة لوعي ليس فيه موضوع من اي نوع ؟

هل هي هروب ؟

ان الامر كله يبدو كأنه محاولة للتخلص من الحياة الطبيعية بطريقة مصطنعة ، بغية الوصول الى حالة ربما تكون وهما اشد خداعا من كل ما توهمه البشر وهي حالة اشبه بالموت وسط حياة حافلة بالفاعلية والحيوية والمتعة المتنوعة

ان الانسان في هذه الحياة يطلب السعادة بالمعنى المناسب له ، وهو شعور النفس بالرضا والبهجة والانسان يصل اليه من طريق قبول الحياة والاجتهاد في تشكيلها بحسب معايير فكره ومطالب شعوره وواقع حياته ، وهو يحاول ان يفهم الآلام ويتغلب عليها بالفهم والصبر والمعالجة الحكيمة ، مع الايمان بمعنى هذه الحياة والحكمة من كل ما فيها .

اما الفيلسوف البوذي فهو يريد ان يقتلع من طبيعة ابن آدم كل جذور الشهوات ، مع ان فيها تأكيدا للحياة ومجالا لامكانها والسمو بها وهو يريد أيضا من الانسان ان يمرن قلبه على احتمال الالم حتى يصل الى شعور ليس فيه لذة ولا الم لكن هذا كله سلوك سلبي وتجاهل للواقع الانساني الحي الغني بالامكانيات ، وهو هروب من رسالة الحياة واعبائها العظيمة ، فضلا عن مضادته للطبيعة البشرية بحرمانها من التفتح والازدهار في عالم ملائم لها ، على نحو يدعو الى الاعجاب ويفتح المجال امام العاقل الرزين لتفكير فلسفي علمي يؤدي الى معرفة عليا بهذا العالم الرائع وبمكان الانسان فيه ، ويرشد الى معرفة الصانع المبدع الحكيم

وعلى الرغم من غرابة هذا التصور البوذي وعدم الحاجة اليه ، بل استحالته من الناحية العملية ، فان التشاؤم المتصل به سري الى بعض المفكرين في الاسلام مثل محمد بن زكريا الرازي الطبيب (ت بين ٣٢١ و ٣٣١ هـ) ، الذي كان يرى أن الآلام والاحزان والشرور في حياة ابن آدم اكثر من الراحة والسعادة وان لذات الحياة ليست أشياء ايجابية ، وانما هي زوال آلام طرأت على الحال الطبيعية ، التي لا هي لذة ولا الم ويرى هذا الطبيب انه عند الموازنة بين لذات حياة الانسان وآلامها يتبين ان وجوده « نقمة وشر عظيم » !

وشيء من التشاؤم البوذي موجود عند ابي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، الذي كان مولعا بنقد الانسان وذكر نقائصه ونقائص الحياة وقد مال الى التشاؤم والزهد في الحياة ، وهو الذي يقول

وارحت اسائي فهم في نعمة الـ
ـعدم التي فضلت نعيم العاجل

تكلف لا مبرر له

وظهر التشاؤم البوذي ايضا عند الفيلسوف الالماني شوبنهور Arthur Schopenhauer (ت ١٨٦٠ م) الذي دعا الى مقاومة ارادة الحياة ، على اساس ان ارادة الحياة تتحقق من طريق الاشتهاء ، وان الاشتهاء مؤلم ، ولا بد من ارضائه ، فيسكن حينا ثم لا يلبث أن يعود بآلامه وهكذا فان حياة الانسان الم متقطع وليست اللذة الا شعورا سلبيا بزوال الالم

ومن الواضح ان هذا كله تكلف فلسفي زائف وادعاء لا اساس له ولا اخلاص فيه ولا صدق ، لانه مضاد لطبيعة الاشياء واسلوب الحياة الطبيعي عند الغالبية الساحقة من بني آدم فكلهم يؤمنون بوجود هذا العالم الذي تدركه الحواس ويتمثل في الوعي على نحو مباشر وكلهم يشعرون بنعيم الحياة ويقبلون على مباهجها ولذاتها بل ويتهالكون عليها ، رغم ما قد يظهره بعضهم .

ان نظرة الانسان لهذا الكون ولحياة الانسان فيه يجب ان تكون نظرة تأمل هادئ متزن يزاول فيه العقل وظيفته ليساعد الانسان على اخذ مكانه في الحياة ، في ثقة تامة ، وفي أمان ناشئ عن العلم الصحيح ■■

د محمد عبد الهادي أبو ريدة

أقوال معاصرة

■ السوفييت لا يهددون الخليج ، ولسنا بحاجة لحماية الامريكان

الشيخ صباح الاحمد الجابر
نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية الكويت

■ اذا اردنا مقارنة الشاه بمعظم حكام العالم الثالث فسنجد انه ليس اسوأ منهم بل هناك كثيرون اسوأ منه

كارتر

■ ما حدث في افغانستان مثال سيء جدا لكيفيه ابتلاع القوى للضعيف

الامير فهد بن عبد العزيز

■ الثوره لا تصبح جديره بان تحمل هذا الاسم اذا طلب الاوضاع الاجتماعيه للجماهير كما هي

الرئيس الايراني ابو الحسن بني صدر

■ كنت متأكدا دائما حتى قبل الاستقلال ان تونس قد تحتاج لفرنسا لاسباب جغرافيه

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه
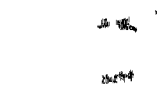
■ اذا نشبت حرب نوويه اليوم بين موسكو وواشنطن فان الاتحاد السوفيتي سيكون هو الرابح فيها بغير شك

د وليام تيلر
ابو القنبله الهيدروجينيه الامريكية

■ عندما يحل عام الفين ستسيطر ٢٠٠ من الشركات متعددة الجنسيه على ٧٠٪ من الاقتصاد العالمى .

المحامى الامريكي العربي الاصل
رالف نادر

■ فقدت الصناعة البريطانية ٢٩ مليون يوم عمل بسبب الاضرابات عام ٧٩

صحيفة الديلي ميل البريطانية

■ الناس يتحدثون عن سنة ٢٠٠٠ ولكن لا أحد يعرف بالضبط ما اذا كان العالم سيبقى حتى سنة ٢٠٠٠ ام لا !

الرئيس الكوبي فيدل كاسترو

المناقشة

قراءة في فكر رافض..

بقلم : فهمي هويـــدي

هذه قراءة في أوراق بعض الرافضين من الشباب المسلم ، تستحق أن نتدارسها ببصر ورفق ، لكي نعرف كيف يفكرون ، ثم لكي نتصور المستقبل ونتحسب له فعرس اليوم هو حصاد الغد ، كما أن شباب اليوم هم رجال الغد ، إن لم يصبحوا قادته وأولي الأمر فيه

ومنذ كتبت في شهر فبراير الماضي عن أسباب ازمة الشباب المسلم ، بمناسبة الاحداث الأخيرة ، والبريد يحمل الي « العربي » بين الحين والآخر خطابات ومطبوعات تسهم في المناقشة ، بعضها من مجهولين ، والبعض الاخر يحمل توقيعات رمزية ومبتسرة وكان مما أثار انتباهي في بريد « العربي » مطبوعتان احداهما تنتقد المجتمع ، والثانية تطرح منهجا لتغييره ، ولا علاقة بين الاثنتين في حقيقة الامر . فاحداهما قادمة من عاصمة اوروبية ، مكتوبة بخط اليد ومصورة ، والثانية من عاصمة عربية مطبوعة طباعة حديثة ، ومجهولة المصدر

ومن التعسف ان تعامل الرسالتان باعتبارهما تمثلان تفكير الشباب المسلم الرافض ، ولكنه قد يقبل منطقيا أن ننظر الى الرسالتين على أنهما تعبير عن فكر بعض هؤلاء الرافضين على الاقل خصوصا وأنني تحققت من أنهما تنطقان باسم تيارات حقيقية وليست وهمية فضلا عن أن بقية الرسائل التي تلقيتها من مختلف أنحاء العالم العربي تلتقي مع هاتين الرسالتين في الكثير من الافكار ، وتضيف اليها تفصيلا في قضية الشرك والايمان

الرسالة المطبوعة ـ التي تنتقد المجتمع ـ تحمل عنوان المفاسد والتلبيسات في المدارس والمعاهد والجامعات . وقد قدمت بهذا النص « هذه موعظة كتبها احد الاخوان ، حينما كان طالبا في كلية الشريعة ، ورأى ما يخالف الاسلام في هذه الكليات ، التي تتزعم دراسة الاسلام فكتب هذه الاسطر مع المصلحة من عدمها واقتنع بعدم سلامة سير هذه الكليات على النهج الصحيح وفي هذه الموعظة كفاية لمن اراد سبيل الهداية ، وبالله التوفيق » .

بعد هذا التقديم ، تجيء « الموعظة » ، المتضمنة ملاحظات طالب كلية الشريعة ، ومآخذه على الأساتذة والمدرسين والدارسين . وهذه بعض نصوص منها ، انشرها كما هي ، حتى بأخطائها اللغوية .

● اكثر المدرسين فسقة ، فهم ما بين مدخن وتارك للصلاة ، وحليق ومسبل إزاره معجب ... وصاحب عقيدة فاسدة ، وقليل من نجا والناجي على خطر عظيم ، وانا اعلم مدرسا في كلية الشر... مدخنا مخنفسا مسبلا ثوبه ومع هذا يريد ان يعمل مسرحية لشيخ الاسلام ابن تيمية باتفاق ... الكلية ، فيا لها من مصيبة

● ان نصحتهم ـ هؤلاء المدرسون المدخنون حالقو اللحي مسبلو الثياب ـ قال المتواضع منهم الله يعف عنا ، الحقيقة انت صادق ، ولكن فيه ما هو اهم من ذلك ، الشيوعية التي تأكل الاخضر والناس فهؤلاء اشغلتهم الشيوعية حتى عن معرفة دينهم وسنة نبيهم ، والعمل بذلك وهم يظنون انهم يحاربون الشيوعية ، فقل لي بربك ايها العاقل ، هل يجوز لمسلم ان يترك سنة رسول الله ويقول فيه ما هو اهم من ذلك ، الشيوعية

● هذا بعض شيء من كلام المتواضعين ، اما المجاهرون الذين انسلخوا من فطرة الاسلام فيقولون بجواز حلق اللحية واسبال الثياب ، لان هذا فيه مشاكلة لحال الفساق المنحرفين ، فيدخل الداعية بهذا المظهر عليهم ، فيقبلون منه وكأنهم يقولون أن من تمسك سنة رسول الله فانه غير مقبول منه النصح ، لأنه بمظهره ينفر الناس المنحرفين منه

● هب أن الطالب بعد التخرج امتنع من الوظيفة ، وقال انا لم اطلب العلم الا للاستفسار لا للوظيفة ، فهل يسمح له بذلك ، ام اخذ عليه (عهدا) بان يعمل مدة لا تقل عن السنوات الدراسة بالكلية والا عوقب بعدم تسليمه الشهادة والاستفادة منها في مجال آخر ، وهذا يفسر لنا معنى الدراسة وانها ليست لله ، وانما ليشغلوا بها الوظائف ، ويستخدمون بها الناس

● انا اجزم ان الدارسين والمدرسين والمدراء آثمون ، فان قيل فالمكره ، قلنا لا حجة في الاكراه لان الشخص يستلم راتبا مع الرغبة في المزيد من المعاش ، ولانه وازر الظلمة وشد على أعضادهم بجلوسه معهم وفي وظائفهم ، وسد شاغرا لهم في الوظيفة

● لا يمكن ان يلتحق (طالبا) باي مدرسة او جامعة وكذلك لا يمكن ان يتعين (مدرسا) الا بعد أن يرتكب المحرم فانتهاك الحرمة عندهم شيء معلوم من العلم المزعوم بالضرورة ، وهي الصورة في المقدمة فان ذلك لا يتم الا باحضار ست صور شمسية ، والا فطلب العلم عندهم حرام عليك وانا اعلم طالبا في كلية الشريعة ، امتنع عن اعطائهم الصور ، فمنعوا من اعطائه البحث الذي قدمه لهم حتى يأتي بالصور

● قد تقرر ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة او كلب ، كما في حديث جبريل عليه السلام (٢) فاذا كانت الملائكة تفارق مكانا فيه صورة ، والله يغضب منها ويكرهها ، فكيف نقول لمن يطلب العلم ، ويعلم في هذه الامكنة انه مأجور تحف به الملائكة ، كما في الاحاديث في فضل طلب العلم وتعلمه

● ولم يقف الحد بدعاة التصوير الى الضرورات على زعمهم ، بل وصل اي تصور الفنان وال... والملك والملكة ، وامتلأت الدنيا بالصور ، حتى اوراق العملة تحمل فيها الصور التي تعرس في القل...

بعميم الاشخاص وربما عادتهم فيا بعد ، فان قلتم الحكومة فعلت ذلك ، قلنا الحكومة تعمل لفتواكم ولا يخص لكم من تحمل اعبائها ، فان قلتم لم نفت بذلك ولا رضينا به قلنا لابد من ان تبرهنوا على موقفكم ، ولا برهان الا المفارقة ، فهل تستطيعون ؟

● لوصدر مرسوم يقضي بعدم صرف الراتب والشهادة ، فهل نجد هذا التراحم على المدارس لاجل طلب العلم ، سواء من الطلاب او المدرسين ؟ الجواب نتركه للعاقل المتأمل المنصف

● ليعلم كل شخص انه ما دامت سلطة الحل والعقد بيد من هو (ملترما) نظم العرب وقوانينه ، وله معهم علاقات وثيقة مادية ونظامية وتعليمية ، وتبادل اعياد الميلاد ، والثورات وتبادل العزاء والزيارات ، فهو لا يزداد الا بعدا عن الحق ، ولا يمكن ان يبصر الحق ، لان دعوة الحق مبنية على مصادمة دعوة الباطل وهل يمكن اعلان الجهاد على دول الكفر ، ولنا عندهم سفراء ولهم عندنا سفراء وخبراء واساتذة ، فلا نخدع بزخارف المزخرفين

● المعلوم ان قضاة المحاكم تخرجوا من كليات الشريعة ، فلماذا يسكتون عن المحامي الحكومي الذي في محاكمهم ، الذي يطبق القانون هل المحامي من الاسلام في شيء حيثما اقريناه في المحاكم ؟ عندما يحكم القاضي بسجن شهر على شخص فيحكم المدعو الحكومي بسجن شهرين ، والجلد نفس الشيء ، والقاضي ينفذ ذلك ، فهل هذا الشرع نزل من الروح الامين ؟ ام استدرك القوم على المشرع فالحقوا المدعو ؟

● وما معنى وجود هيئة الامر بالمعروف ، والافتاء والدعوة والارشاد والشريعة واصول الدين والدعوة وما معنى وجود الاذاعة والتليفزيون ، والسينما ودور اللهو ورعاية الشباب وادارة الفنون وغيرها ، وما معنى الاتفاق على هذه وتلك أليس هذا مهزلة وارضاء لاصحاب الشهوات ، واسكات للدعاة وضحك على المشائخ ؟

●

هذه هي نصوص ابرز انتقادات الرسالة المطبوعة التي تعمم على قطاعات الشباب المسلم ضمن كتيب من ٣٥ صفحة ، ويدعي الجميع الى استيعابها ، باعتبار ان في الموعظة « كفاية لمن اراد الهداية »

اما الرسالة الثانية المصورة بخط اليد والقادمة من اوروبا فبين محتوياتها ، صفحة كاملة سجلت فيها خطة او برنامج عمل هذه المجموعة (حزب القرآن والسنة) وهي في عشر نقاط نصها على الوجه التالي

١ ـ المحافظة على الصلوات وعلى أداء الفرائض والسنن النبوية دون تفريط او تهاون في سنة من السنن ، بما في ذلك التهجد والسواك وقص الشوارب واعفاء اللحي واستعمال الاذكار النبوية والسعي المستمر لبناء المجتمع الفاضل الاسلامي العلمي الصالح الذي يمكن ان يكون مثالا للبشرية حقيق الاقتداء به لما فيه من نظام وطمأنينة وعدل وامن

٢ ـ التخلق بالاخلاق الاسلامية الفاضلة بأقصى قدر يمكن والالتزام بالآداب الاسلامية العامة

كآداب الجلوس والحديث والبيت والشارع والمسجد والعلم وآداب المعاملات العامة مع المسلمين وعد
بعدم المجادلة الا بالتي هي احسن ما كان ذلك ممكنا ، والمسامحة والعفو من الاساءات والصبر و ط
النفس والعمل على تأمين كل فرد مسلم من الاخطار والالحاح على بذل الجهود الحكومية والشعبية
المحابية من خطر الفناء الذري الاشعاعي في حالة مغامرة الكافرين والقوى المفسدة في الارض باشعال
حرب ذرية

٣ ـ تعميق المعرفة بالدين من خلال الاكثار من قراءة القرآن والمطالعة المنتظمة في كتب الفقه

٤ ـ الابتعاد عن اللهو واللغو الفارغ وترك مواطن الغفلة والضياع كالمقاهي والمجالس البعيدة عن ذكر الله او عن طلب العلم النافع اسلاميا ، والاقبال على المسجد او على الاقل على مداومة الذكر والتسبيح بحمد الله في اوقات الفراغ الذهبي

٥ ـ ان خير انيس هو كتاب الله وخير حديث هو حديث محمد وخير عمل هو عمل خير أو بر لوجه الله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

٦ ـ عدم التعلق قلبا وفكرا وضميرا وهدفا بأي امر او مصلحة او شخص وصرف كل التعلق والولاء لله ولرسوله ولما انزله من قواعد الحق والعدل ولما سنه عبده ورسوله محمد (ص) وللمؤمنين المطيعين وعدم التعلق باي نظام غير النظام الرباني القائم على تطبيق الشريعة الاسلامية كاملة غير منقوصة لما فيه خير مجتمع المسلم وخير الناس عموما

٧ ـ اعتبار ان كل نظام على مبدأ تحريم ما حرمه الله وتحليل ما حلله الله وعلى الطاعة لله ولرسوله هو نظام فاسد وباطل ومفسد في الارض حتى يتراجع القائمون عليه بالتي هي احسن الى الالتزام قولا وعملا بهذا المبدأ الاسلامي الاصيل ، او يتمكن المسلمون من اجبارهم على هذا الالتزام.

٨ ـ اعتبار كل قاعدة او قانون تشريعي او تنظيمي او عسكري او حربي مخالفا لما شرع الله باطلا ، ورفض الالتزام به والعمل بمقتضاه حتى يتم الرجوع الى حكم الله ويحق الحق ويبطل الباطل.

٩ ـ تسليم دفة الحكم الى اكثر المسلمين تقوى وصلاحا وعقلا وحكمة وحرصا على امورهم

١٠ ـ توحيد جميع الشعوب الاسلامية في دولة واحدة تقوم على الكتاب والسنة والعلم والبناء والسلام.

●

متجنبا الخوض في مناقشة التفاصيل ، فاني اسجل على هذه الرسالة الاخيرة أنها أقرب الى المنهج التربوي منها الى برنامج الحزب الأمر الذي لم يفسح مجالا للرؤية السياسية ، وفتح الباب واسعا أمام العموميات التي تتسع لمختلف درجات الفهم والاجتهاد ، وربما التناقض

اما المطبوعة الاولى ، التي تعنينا بقدر أكبر لانها تمثل منهجا لتفكير سنة لا يستهان بها من تيارات الشباب المسلم الراهنة ، فانني أسجل عليها « بسرعة هذه الملاحظات الموجزة

ـ أن كثرها ينطلق من موقف محاكمة المجتمع لا هدايته .

ـ أنها تركز على الاعتقاد في جانب ، والعبادات في جانب آخر ، والاخلاق والمظاهر جانب ثالث

ـ أنها تدعو الى المفاصلة واعتزال المجتمع ، باعتباره « غير رباني »

ـ أنها تتعامل مع مستحدثات العصر بمنطق الرفض ، وليس الاستثمار والتطويع

ـ أنها تخلو من اي رؤية اجتماعية او اقتصادية ، في معالجة أوضاع المسلمين

وانها تحتاج الى حلقة ثانية « للمناقشة » ! ■

حل مسابقة العدد ٢٥٤

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
ن	و	ى	د	ا	ك	ا	■	م	و	ى	س	ل	ا	ك	١
د	■	م	ا	■	ب	ب	■	ا	ى	ر	ى	م	ر	ا	٢
ط	ه	■	ل	ا	ل	ه	■	ح	■	ب	■	ر		ر	٣
ع	ا	ا	د	د	■	ا	■	ل	ا	س	ا	■	ا	ا	٤
ر	ب	ل	■	و	ا	م	ع	ا	■	ا	د	ا	س	ر	٥
■	ب	و	م	ى	ل	■	ا	ر	ا	■		ل	ى	د	٦
ن	ا	م	ر	■	ب	س	ب	■	م	ت	■	ح	ر	و	٧
■	■	ى	ص	ر	ل	ا	ف	ى	ر	س	ل	ا	■	■	٨
ب	ا	ر	■	ه	د	ث	ح	و	■	ا	ا	د	و	ج	٩
ى	ر	ى	و	ى	■	ب	ك	ر	ا	ا	■	ى	و	ا	١٠
■	ر	و	ر	د	ا	■	م	ا	■	ا	ح	ا	■	ل	١١
ر	ا	م	د	■	م	ى	ب		ا	■		ا	ا	ا	١٢
ق	ر	■	ى	غ	■		■			ا	ح	■			١٣
ى	■	ى	ل	ا	ى	ج	■	و		■		ا			١٤
و	و	ر	■	ب	ج	ا	■	م	■	د			ا		١٥

افقيـــاً : **الشريف الرضى**
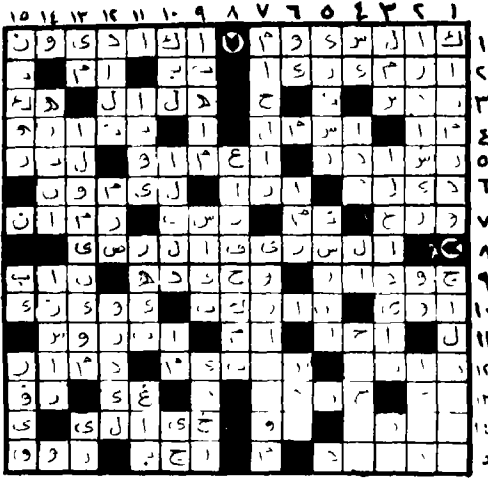
رأســـيًا : **عارف حكمت**

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا الشريف الرضى شاعر عربي كبير ولد وتوفى في بغداد عاش في عهد الطائع وبهاء الدولة البويهي له ديوان تغلب فيه القوّة والعذوبة والاحساس البدوي والجزالة أشهر شعره « الحجـــازيات » ، و « الاخوانيات »

(٨) رأسيا عارف حكمت من أشهر الشعراء الاتراك ، أصبح شيخا للاسلام في زمن السلطان عبد المجيد ، فأنشأ في استنبول مكتبة جمعت ٥٥٤٠ مجلدًا ، بينهـا مؤلفـات ثمينـة له ديوان بالعـربية والتـركية والفارسية

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها كامل مصطفى برهوم ـ مكة المكرمه/السعودية

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها الطويل محمد ـ طنجه/المغرب

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها عبد الرحمن احمد عبد الخالق ـ الحديدة/اليمن الشمالي

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ ـ خولة علي عبد القادر ـ عمان/الاردن
٢ ـ فيصل عبد الغني عبد الوهاب ـ بغداد/العراق
٣ ـ محمود محمد بكر هلال ـ الشويخ/الكويت
٤ ـ جمال عدلي الزعيم المنجد ـ طرابلس/لبنان
٥ ـ فتحي مصطفى ابو عبيد ـ دمشق/سوريا
٦ ـ محمد فتح الله رمضان عبده ـ دقهلية/مصر
٧ ـ مبارك سلمان محمد احمد ـ واد مدني/السودان
٨ ـ نزار امين ملاعب ـ الدوحة/قطر

نفثات أندلسية قبل الزوال

بقلم محمد عبد الله عنان

لم تستطع أمة اسلامية أن تتنبأ بمصيرها سوى الأندلس ، فهي قد شعرت به منذ أيام الطوائف في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وأخذت تترقبه من حين الى آخر في صبر وفزع ، مستسلمة الى قدرها ، مجاهدة ما استطاعت في الدفاع عن نفسها ، ملتجئة منذ أوائل القرن السابع الهجري ، الى معاونة شقيقتها المسلمة عبر البحر ـ المغرب

وهي لم تنس مطلقا ، أن اخوانها ، هؤلاء البواسل ، فيما وراء البحر ، قد أنقذوها من الفناء المحقق ، وذلك حينما اشتدت وطأة الجيوش النصرانية عقب سقوط طليطلة (٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥ م) على ملوك الطوائف ، وشعروا بأن الكارثة قد أضحت على وشك الوقوع ، واستنجدوا يومئذ باخوانهم فيما وراء البحر ، بالمرابطين ، سادة المغرب ، واستجاب المرابطون الى غوث اخوانهم أهل الأندلس ، وعبروا البحر الى اسبانيا ، والتقوا بالجيوش النصرانية الى جانب الطوائف الضئيلة ، في موقعة الزلاقة الكبرى ، وأحرزوا فيها نصرهم الباهر بسحق الجيوش النصرانية (٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦ م) وأنقذت الأندلس بذلك من الفناء المحقق ثم استولى المرابطون على الأندلس ، وحكموها زهاء نصف قرن وخلفهم في حكمها الموحدون الذين خلعوهم في سيادة المغرب ، وحكموها زهاء قرن آخر ثم جاشت الأندلس بالثورة ضد حكامها المغاربة ، واجتمعت فلول الثورة آخر الأمر في الجنوب ، حيث قامت مملكة غرناطة آخر الممالك الأندلسية ، وقدر لها ان تعيش مائتين وخمسين عاما اخرى

بل لقد ورد هذا النذير بالخطر على الأندلس ، قبل سقوط طليطلة ، في أقوال ابن حيان مؤرخ الأندلس الكبير في تعليقه على موقعة بربشتر من أعمال الثغر الأعلى (أراجون) وسقوطها في يد النصارى في سنة ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٣ م) ، في وابل من القتل والسبي وشنيع الاعتداء ، حيث يقول « وقد أشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة ، مؤذنة بوشك القلعة

طا. حذر أسلافنا لحاقها ، بما احتملوه عمن قبلهم من آثا ولا شك عند ذوي الألباب ان ذلك مما دهانا من داء التقاطع ، وقد أمرنا بالتواصل والألفة ، فأصبحنا من استشعار ذلك والتجاري عليه ، على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لا محالة »

ولما سقطت طليطلة ، وارتجت الأندلس فرقا ورعبا ، قال شاعرهم :

يا أهـل أنـدلس شدوا رحالكم
فما المقـام بهـا الا من الغلط
السلك ينثـر من أطرافـه وأرى
سلك الجـزيرة منثـورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمـن بوائقه
كيف الحياة مع الحيات في سفط

مخاوف غرناطة

وبعد سقوط طليطلة ، ونصر الزلاقة الساحق ، أحرز الموحدون بقيادة عاهلهم الخليفة يعقوب المنصـور ، نصرهم الحاسم على اسبانيا النصرانية وذلك في موقعة الأرك المشهورة (٥٩٣ هـ ـ ١١٩٥ م) ، فكانت زلاقة أخرى . ولكن الأندلس ما لبثت أن لقيت هزيمتها الحاسمة بعد ذلك بقليل ، على يد اسبانيا النصرانية في موقعة العقاب المشئومة (٦٠٩ هـ ـ ١٢٠٢ م) وكانت هزيمة العقاب ضربة شديدة لسلطان الموحدين ولاسبانيا المسلمة ، فعاد شبح الفناء يلوح للأندلس قويا منذرا ونرى هذا التوجس الى كتاب العصر وشعرائه ، وظهر واضحا في رسائلهم وقصائدهم ومن ذلك ما قاله أبو اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي ، معلقا على موقعة العقاب

وقائلـة أراك تطيـل تفكرا
كأنـك قـد وقفـت لدى الحساب
فقلت لهـا أفـكر فـي عقاب
غـدا سببـا لمعـركة العقـاب
فمـا فـي أرض أنـدلس مقام
وقـد وصـل البـلا من كل باب

هـذا ، وقـد كانـت مملكة غرناطـة ، آخر الممالك الأندلسية ، بالرغم من العمر الطويل الذي قدر لها تستشعر الخطر الداهم دائما ، وترقب نمو جارتها ، المملكة النصرانية الاسبانية في جزع وخوف أجل انها لقيت في اخوانها وراء البحر ، وهم بنو مرين سادة المغرب ، العون والانجاد باستمـرار ، عقـد التحـالف المستمـر بـين المملكتين ، وترك ملوك غرناطة لبني مرين ثلاث قواعد أندلسية ، لتكون مراكز للدفاع وتدفق القوى المتحدة ، هي جبل طارق (جبل الفتـح) ورنـدة والجـزيرة الخضراء وأبدى بنو مرين في هذه المهمـة الدفـاعية ، اهتماما واخلاصا ومقدرة ، واستعادوا جبل طارق من يد النصارى ، وكانوا قد استولوا عليها مدى حين غير أن مملكة بني مرين ما لبثت منـذ أواخر القرن الثامـن الهجري ، أن أصابها الضعف ، وكثرت بها الانقلابات ، ولم يبق في وسعها أن تهرع الى انجاد شقيقتها فيما وراء البحر وشعرت مملكة غرناطة ، أنه لم يبق في وسعها أن تعتمد على هذا الجانب الذي كان يحدها ، وأيقنت أنها لا بد أن تعتمد على نفسها في الدفاع عن مصيرها ، ان كان ثمة دفاع مجدي

ومنذ أواسط القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) نرى حساسية الشعور بخطر المصير ، يشتد لدى غرناطة ، وتصدر النبوءات بالخطر من أكابر رجالها ، فنرى الوزير لسان الدين ابن الخطيب مثلا يقول على لسان مليكه السلطان يوسف أبي الحجاج في رسالة كتبها الى السلطان أبي سالم المريني ملك المغرب بأنـه « اذا انحلت عروة تأميلكم عن هذا الوطن (أي الأندلس) استولت عليه يد عدوه » ونرى نفس الـوزير ابـن الخطيب يكتب في وصيته لأولاده ما يأتي ، وقد كتبها حوالي سنة (٧٧٠ هـ ـ ١٣٦٨ م) « ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الـذي لا يصلـح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه أن تغلب العـدو على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقا عن الانتقال أمام الـروب الثقـال واذا كان رزق العبـد على المولى ، فالاجمال في الطلب أولى » وقد كان ذلك قبل سقوط غرناطة بنحو مائة وعشرين عاما

اعتذار للرسول

وكان من دلائل الشعور بهذا الخطر الداهم على مصاير الأندلس ، ان ملوك غرناطة لم يقم أحد منهم بالسفر الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، لأنهم كانوا يخشون أن يقع المكروه في غيابهم الطويل عن المملكة ، وان ينتهز النصارى الفرصة للقيام بالهجوم على غرناطة والاستيلاء عليها ومن ثم فقد ابتدعوا فكرة الاستنابة بتوجيه الرسائل الملوكية الى الضريح النبوي الشريف وقد كتب الوزير ابن الخطيب الى التربة النبوية من ذلك رسالتين ، الأولى عن السلطان يوسف أبي الحجاج الذي حكم الأندلس من سنة ٧٣٣ الى سنة ٧٥٣ ، والثانية عن ولده السلطان محمد الغني بالله الذي حكم من سنة ٧٥٣ الى سنة ٧٩٣ هـ ، ومع كل رسالة قصيدة مديح نبوي والرسالتان آية في البلاغة ، ورقة التوسل النبوي ، الذي يذيب دموع العين تأثرا وخشوعا

ويعتذر السلطان يوسف أبو الحجاج في القصيدة التي نظمها عنه ابن الخطيب الى ضجيع التربة المقدسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في الابيات الآتية

عدتني بأقصى الغرب عن تربك العدا
حلالفة الثغر الغريب وروميه
أجاهد منهم في سبيلك أمة
هي البحر يعي أمرها من يرومه
فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى
لريع حماه واستبيح حريمه
ولما نأت داري وأعدر مطمعي
وأقلقني شوق يشب جحيمه
بعثت بها جهد المقل معولا
على مجدك الأعلى الذي جل خيمه

وجاء في الرسالة المنثورة التي كتبت باسم السلطان المذكور ما يلي

« استنبت رقعتي هذه اليك ، لتطير بجناح خافق ، وتشعر نيتي التي تصحبها برفق مرافق ، ليؤدي عن عبدك ويبلغ ، ويعفر الخد في تربك ويمرغ ، ويطيب بريا معاهدك الطاهرة وبيوتك ، ويقف وقوف الخ[illegible]ع والخضوع تجاه تابوتك ، ويقول بلسان التملق ، [illegible] غربتي وانقطاعي ، وتغمد بطولك قصر باعي [illegible] بالقبول نيابتي ، وعجل بالرضا اجابتي

« هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشط مزاره ، ولم يجعل بيده اختياره فان لم تكن هذه للقبول أهلا ، فأنت للاغضاء والسمح أهل ، وان كانت ألفاظها وعرة ، فجنابك للقاصدين سهل واذا كان الحب يتوارث ، كما أخبرت ، والعروق تدسس حسبما اليه أشرت ، فلي بانتسابي الى سعد عميد أنصارك مزية ، ووسيلة أثيرة حفية ، فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة التي افتتحت بسيف كلمتك على أيدي خير أمتك»

بديلا عن الحج

وتفتتح الرسالة الثانية ، في المديح والاستعطاف النبوي ، وهي التي وجهها ابن الخطيب الى التربة المقدسة ، عن مليكه السلطان الغني بالله ، بقصيدة نبوية عصماء تستهل بما يلي

دعا بأقصى المغربين غريب
وأنت على بعد المزار قريب
مدل بأسباب الرجاء وطرفه
غضيض على حكم الحيا ويهيب
يكلف قرص البدر حمل تحية
اذا ما هوى والشمس حين تغيب

ومما جاء في الرسالة المذكورة قوله « فقد سارت الركاب اليك ، ولم يقض مسير ، وحومت الأسراب عليك والجناح كسير ، ووعدت الآمال فأخلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأمثل ، الا على التمثيل ، ولا من المعالم الملتمسة التنوير ، الا على التصوير ، مهبط وحي الله ، ومتنزل أسمائه ، ومتردد ملائكة سمائه ومرافق أوليائه ، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه ، ورزقه الله الرضا بقضايه على جاحم البعد ورمضايه . ثم يقول بلسان سلطانه « واستنبت هذه الرسالة مانحة ~

دى المـ ع ، ومفاتحته باداء الهدى بفتح الفتـوح ، رعه المظ هر والصروح ، وباقية الرحل بمتنزل المليكة روح ، لمد الى قلبك يد استمباح ، وتطير اليك من ون المنت بجناح ، ثم تقف موقف الانكسار ، فان تحرها آمنا من الخسار ، وتقدم بأنس ، وبحجم بوحشة رية ، ويحس لطول الغيبة ، وتقول ارحم بعد داري ، ىعف اقتداري ، وانتزاح أوطاني ، وعلق أعطاني ، ٥ رادى ، وفراغ مرادي ، وتقبل وسيلة اعترافي ، وتغمد بوة اقترافي ، وعجل بالرضا انصراف تحملي لا براق »

وهذه الرسالة طويلة ضمنها ابن الخطيب قصة روات الناجحة التي قام بها سلطانه ضد مدن جيان ، وقرطبة واطريرة وحصن أشر ، وما فتح الله به على لمين من تخريب وانتهاب هذه المدن التي انتزعها عر من الأندلس المسلمة وبعث السلطان رفق رسالته س أجراء السواقيس التي انترعت من كنائسها رية

ونحن نعرف ، أنه الى جانب الرسائل السلطانية التي كانت ترسل الى التربة النبوية الشريفة ، كانت ترسل كذلك مصاحف مذهبة فاخرة يكتبها السلطان ، أو الأمير بنفسه ، وتوضع في أطار مذهب فاخر وكان من ذلك المصحف الشريف ، الذي كتبه السلطان الكبير أبو الحسن المريني ملك المغرب ، وأرسله الى حرم التربة النبوية عن طريق مصر في سنة (٧٣٩ هـ - ١٣٣٨ م)

غير ان الرسائل النبوية الغرناطية ، كانت ترمي الى غرض أهم وأبعد ، وهو قيامها بالنسبة لمرسليها مقام أداء الزيارة ، وقضاء فريضة الحج ذاتها ، وذلك لعجزهم وتوحسهم ، حسبما أشرنا عن القيام بالرحلة الشخصية الى المشرق [1]

وهذا الشعور بالقصور عن أداء الرحلة المشرقية ، حسبما بينا من قبل ، انما هو الشعور بالخوف من وقوع المصير المحزن ، الذي لبثت الامة الأندلسية ترقبه وتخشاه دائما ، خلال مراحل حياتها الطويلة ■■

الرباط - محمد عبد الله عنان

١) اعتمدنا على نصوص هذه الرسائل النبويه الواردة في مخطوط الاسكوريال لكتاب « ريحانه الكتاب ونجعة المنتاب » لابن الخطيب وتجري طبعه الآن بمدينه القاهره

تفضل مقعدى

● اشتد الحاح المعجبين الهواه في لندن على عازف البيانو روبنشتاين كي يعطيهم تذاكر من المقاعد المخصصه له لان جميع المقاعد في القاعه نفدت ، واضطر ان يرضخ لطلبهم وهو متضجر واخيرا بقي أحدهم يلح ، ولم يثنه عن الحاحه تأكيد العازف الكبير ان المقاعد كلها نفدت . فقال له : - لم يعد تحت تصرفي الا مقعد واحد . يسرني ان اتنازل لك عنه

- اين هو ؟

امام البيانو

وعندئذ فقط انصرف الهاوى اللحوح !

قصة قصيرة

بقلم محمد صالح القمودي

حكى لي عجوز من سكان الريف حكاية غريبة ساقصها عليكم

قال العجوز

كان ريفنا زاخرا بالخير ياسيدي ..

روابيه الخضر تعلوها طواحين الهواء فاردة اجنحتها تعانق السماء. بينما طوابير الدواب تصلها محملة باكياس الحبوب لتغادرها مثقلة بالدقيق الفواح

كان شباب القرى يلتقون أيام العطلات فوق تلك الروابي حيث يوزع عليهم اصحاب الطواحين المشروبات بالمجان، فيدب النشاط في اوصالهم، وترتفع اناشيدهم، وتتلاحق رقصاتهم

كانت الطواحين الهوائية يا سيدي عنوان الثراء والبهجة في ريفنا الاخضر السعيد

وذات يوم

هبط علينا من العاصمة ثري يبحث عن ثروات جديدة، وأنشأ طاحونة بخارية، فانصرف الناس عن طواحين الهواء وحملوا حبوبهم الى الطاحونة الجديدة

حاول اصحاب طواحين الهواء ان يقاوموا، لكن البخار عليهم بسرعة انجازه وانخفاض اسعاره. وهكذا اختفت طواحين الهواء الواحدة تلو الاخرى، واختفت معها الافراح والرقصات

طاحونة هوائية واحدة فقط قاومت التيار الجارف صاحبها ولد بها وترعرع ثم هرم وشاخ

ولكنه لم يغادرها

عندما انشئت الطاحونة البخارية استشاط غيظا

ظل يطوف بالقرى اياما عديدة وهو يصيح باهلها

ـ الثري جاء ليدس لكم السم في الدقيق !!

انه يستعمل البخار،

وهو من صنع الشيطان

اما انا،

فأستعمل الهواء، وهو من صنع الرحمن

ولم يستمع اليه احد، فالناس مولعون بكل ما هو جديد

وهكذا .

عاد الشيخ الى طاحونته فاروى بها لايكلم أحدا

حتى حفيدته طردها

كانت في الخامسة عشرة ، لا اهل لها ولا معارف طردها حدها ، فاحدت تطوف بالقرى بحثا عن العمل في البيوت والمزارع

ومع ذلك ،

فقد كان الشيخ يحب حفيدته

كان يقطع احيانا مسافة تريد عن الفرسخين تحت الشمس اللافحة او المطر الغزير ليراها وكان يجلس بالساعتين الى حوارها وهو يذرف الدمع في صمت

كان الناس يعتقدون ان الشيخ طرد حفيدته بخلا حتى لا يتحمل مصاريف رواحها

كان في نظرهم يرتدي الاسمال البالية تظاهرا بالفقر ، وهو يكتنز الذهب والفضة

الغموض كان يلف الشيخ

ما عاد احد يحمل اليه حفنة من الحبوب ومع ذلك فان مروحة طاحونته تدور كالعهد بها وفي الاماسي كان الناس يلتقون بالشيخ وهو يسوق دابته محملة باكياس الدقيق واذا ما سألوه

- اوما زالت طاحونة الهواء تعمل ؟ !

اجابهم

- بالطبع يا هؤلاء ! العمل لا ينقصني والحمد لله

واذا ما استغربوا قائلين

- ولكن من اين ياتيك العمل ولا احد منا يحمل اليك قمحا لتطحنه ! ؟

اجابهم وهو يرفع سبابته الى شفتيه

- صمتا يا هؤلاء ! انا اطحن الحبوب للتصدير

ولم يستطع احد ان يعرف منه اكثر من ذلك

اما دخول طاحونته ، فامر مستحيل لقد حرم دخولها حتى على حفيدته

اصبحت حياة الشيخ لغزا يحير الـ ... وراجت شائعات تقول بانه يكدس في طاحونته من الذهب والفضة اكثر مما يكدس من الدقيق والحبوب

وذات يوم

انكشف اللغز المحير ،

واليك كيف حدث ذلك

لاحظت ان اكبر ابنائي يحب حفيدة الشيخ

استوضحت الأمر من ولدي ، فاعرب لي عن رغبته الصادقة في الاقتران بها

صعدت الى الربوة لاخطب الفتاة من جدها

لم يفتح لي الشيخ باب طاحونته

كلمني بجفوة من وراء حجاب ، وارخى الحبل لكلبه فكاد ان يعضني لولا ان اطلقت ساقي للريح

اخبرت ولدي وفتاته بما حدث فطلبا مني الاذن بالصعود الى الربوة ، لعل توسل الحفيدة يلين قلب الشيخ

وصلا الى الطاحونة ، فلم يجدا بها الشيخ

تعرف الكلب على الحفيدة فاستكان

وتفحص الحبيبان المكان ، فعثرا على سلم ... الشيخ خارج المبنى فصعدا به الى نافذة مفتوحة ، وهبط داخل الطاحونة ليكشفا اللغز الذي حير الناس

ياللغرابة !

كانت غرفة الطحن فارغة

لا يوجد بها كيس ، ولا حفنة من حبوب او دقيق

اعشاش العنكبوت في كل مكان

لا زاد ولا مال

اكياس مليئة في زاوية ؟ !

ا سان اليها .

ا. بها

كيسا منها

راب ابيض ؟ !

و لغز الطاحونة وسر الشيخ الدفين

ي في الاماسي يحمل دقيقا للتصدير بل كان داته ترابا ابيض لينقذ شرف طاحونته ، ، وجهه

لبيان من الربوة واخبراني بالامر والـد مع خديهما

قلبي حزنا وانا اطلع على سر الشيخ

الى الجيران

م بالموضوع في كلمات قليلة

على حمل كل ما لدينا من حبوب على الفور الى سيخ

لدواب المحملة وصعدنا الى الربوة

اب الطاحونة مفتوحا على مصراعيه وكان سا فوق كيس من التراب الابيض وهو لا

ع سري وافتضح امري ما عاد لي غير

درف الدمع سخيا وهو يخاطب طاحونته وكانه حصا يحبه

في تلك الاثناء .

وصلت الدواب الى الربوة ، وارتفعت اصواتنا هاتفة

ـ اين انت يا صاحب الطاحونة ؟ ها قد جاءك الفرج !

ولم يصدق الشيخ عينيه

كان يفركهما ويجفف دمعهما صائحا

ـ رباه انها حبوب حبوب حقيقية !
دعوني اتاملها !

ثم كان يضيف وهو يغمرنا بنظرة ندية

ـ كنت اعلم انكم ستعودون لي ان صاحب الطاحونة البخارية يسرقكم

كنا نريد حمله الى القرية لاستضافته ، لكنه كان يصيح فينا

ـ كلا يا هؤلاء دعوني اطعم طاحونتي اولا ، لقد مضى عليها دهر لم تذق طعم الحبوب

ثم انشغل عنا بالحبوب يطحنها ، ونحن نتابع حركاته النشطة حابسين الدمع ان يسيل على وجوهنا

ومنذ ذلك اليوم يا سيدي

لم نترك طاحونة الشيخ بلا عمل يوما واحدا

الى ان توفي الشيخ فتوقفت مروحة الطاحونة عن الدوران واختفت الحياة البهيجة من فوق روابينا

باريس ـ محمد صالح القمودي
عن قصة للكاتب الفرنسي الكبير
ألفونس دو ديه

صراحة

● قال المريض لطبيب الاسنان بعد ان خلع ضرسه

ـ قد يؤلمك هذا قليلا ولكني اقول لك انني ليس معي ايه نقود !

خير الدين بربروسا

بقلم الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى

فالعصر هو عصر الكشوف الجغرافية التي كانت المبادرة فيها فى ايدى القوى الكاثوليكية اسبانيا والبرتغال ومن ورائها البابوية والروح الصليبية التي كانت تهدف الى حصار الاسلام انّ لم يمكن القضاء عليه وبرزت الدولة العثمانية باعتبارها القوة الاسلامية الرئيسية التي تتصدى للزحف الاوروبي كما طمع الانجليز - الذين كانوا قد اخذوا وشيكا بالمذهب البروتستانتي - الى مشاركة الاسبان فى الاستئثار بخيرات امريكا وفى ثنايا هذا كله زخر تاريخ القرن السادس عشر بالبطولات التي انبثقت عن كل هذه التيارات المتلاطمة ففي انجلترا نجد هنري الثامن وابنته اليزابيث ومن ورائهما ابطال الاصلاح الانجليزى عن كنيسة روما والبحارة المغامرون الذين تصدوا لمناجزة اسبانيا زعيمة الكاثوليكية ، ثم أوقعوا بها فى نهاية المطاف الهزيمة الكبرى المعروفة باسم « الارمادا » وهناك ايضا شارل الاول ملك اسبانيا الذى اصبح شارل الخامس حين اعتلى العرش الامبراطوري المقدس الذى كانت له الهيمنة النظرية على اوروبا الغربية ، الى جانب سيطرة هابسبورج على املاك اسبانيا فيما وراء البحار وعلى ايطاليا والاراضي المنخفضة وهناك مارتن لوثر وكلفن وزونجلي وغيرهم من الزعماء الدينيين الذين تحدوا سيطرة البابوية على شئون العقيدة والفكر واخيرا - وليس آخرا - هناك فى الجانب الاسلامي الشاه اسماعيل الصفوى وابنه طهماسب اللذان تزعما الاتجاهات الشيعية المناصلة التي ارغمت آل عثمان على التحول صوب الشرق الاوسط بعد ان كانت دولتهم قد اتجهت منذ نشاتها الى توسيع رقعة دار الاسلام فى اوروبا فالعصر اذن هو الذى ... مثل هذه البطولات التي لمعت هنا وهناك وملأت ... الفراغ او ذاك وتركت سجلات تاريخية باقية

في مواجهة التوسع الاوروبي

ففي عام ١٤٩٢ سقطت مملكة غرناطة فى ... الاسبان الذين ما لبثوا ان كشفوا العالم ... ظلوا فترة يعتقدون انهم قد وصلوا الى الهند ... (وكان حينئذ قد استقر الاعتقاد بان الارض ... وبعد قليل امكن للبرتغاليين ان يلتفوا حول ...

حبر الدين برباروس

بهدوا الملاحة العربية عند مداخل البحر الاحمر والخليج واخيرا استطاع البرتغاليون ان يطوروا ويحتكروا الطريق الجديد وان يقيموا القواعد التجارية في الهند مضيقين الخناق على التجار العرب ـ من مصر والشام الذين كانوا قد وطدوا اقدامهم في كلكتا ذاتها وعلى حين ان الضغط البرتغالي كان تجاريا في اساسه الى حد كبير ، قد امتزج به هدف ديني خاصة وان بابا روما كان يود توجيهه لتطويق العالم الاسلامي وتوطيد اقدام المسيحية في الشرق الاوسط والهند ، في الوقت الذى تلعب فيه اسبانيا دورا مماثلا في العالم الجديد

وهناك من المؤشرات ما يدل على أن السلطان العثماني سليمان الاول قد اهتم بوقف التوسع البرتغالي في المحيط الهندى وانه كان يعد العدة للقيام بهجوم كبير بهدف وقف التوسع البرتغالي في الشرق ، خاصة وان خطر البرتغالي قد شل موانيء السويس والاسكندرية والبصرة وطرابلس الشام ، وكلها كانت مراكز للاتجار مع الهند ومنطقة الخليج ولا يستبعد ان التوسع العثماني في المشرق العربي كان جزءا من هذه الخطة ، بل ان الدولة العثمانية قبل قضائها على دولة المماليك ، كانت قد حاولت مساعدتهم في جهدهم الخاص بالتصدى البحرى

للبرتغاليين في المياه الشرقية وكانت الاستانة وغيرها من مدن المشرق تعج بالمسلمين وغيرهم ممن هاجروا اليها بعد سقوط غرناطة ومن المهاجرين ـ وبخاصة من وفد منهم من جزر البليار والاندلس ـ من كانوا على علم وثيق بكل تفاصيل المشروعات الاطلسية والمشروعات القديمة الخاصة بارتياد افريقيا ومما يجدر ذكره ان القبطان بيري رئيس قد قدم للسلطان سليم بعد فتح مصر خريطته الجديدة للعالم التي اشتملت على شواطيء حوض المحيط الاطلنطي والاكتشافات التي قام بها كولمبس في امريكا

وقد وصلت الدولة العثمانية اوج اتساعها وقوتها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) الذي تولى عبء مواجهة التوسع الاوروبي وبخاصة في البحر المتوسط وشمالي افريقيا والمياه الشرقية وفي عهده سيطرت البحرية العثمانية على البحر المتوسط برمته وحولته الى بحيرة عثمانية ففي اثناء انشغال والده سليم الاول بحروبه ضد فارس ومماليك مصر والشام ، بحده يتجه الرح بنفسه في ميادين اخرى ، ومن ثم كانت التعليمات التي اصدرها الى قباطنته بعدم التعرض لبعض الدول المسيحية او مهاجمة سواحلها ولكنه عمل في

نفس الوقت على تحويل المراكز البحرية الرئيسية من قاعدتها الاصلية (غاليبولي) الى العاصمة حيث انشأ دارا لصناعة السفن سرعان ما احدث في بناء سفن اكبر من اي سفن جرى استعمالها حتى ذلك الوقت. وقد قيض لخير الدين ان يقود هذه الاساطيل العثمانية الجديدة وان يلقي بها الرعب في قلوب الاوروبيين من اعداء الدولة العثمانية

هل هو قرصان ؟

ولد خير الدين في جزيرة متلين (ميديللي) ، وهي احدى جزر بحر ايجه التي كان العثمانيون قد احتلوها قبل مولده بوقت قصير. وحوالي عام ١٥١٦ استقر هو واخوته في الجزائر التي اتخذها قاعدة للصراع المستمر مع قوة اسبانيا البحرية. وكان المسلمون الذين ارغموا على الفرار من الاندلس قد جعلوا من الشمال الافريقي قاعدة لتحديهم للسفن والسواحل الاوروبية ، مما جعل الاوروبيين يطلقون على هذه المنطقةاسم ساحل « القرصان ». وقد ظل هذا التحدي قائما الى ان استطاعت اوروبا مهاجمة اوكار هؤلاء البحارة ـ بل ان الحجة التي قدمتها فرنسا لاوروبا حين احتلت الجزائر في عام ١٨٣٠ هي انها بعملها هذا انما تنقذ العالم الاوروبي من براثن هؤلاء « القراصنة » المسلمين. وقد يحلو لنا ان نطلق على نشاطات هؤلاء البحارة المسلمين صفة « الجهاد » ، وقد نأخذ بصفة « القرصنة » التي اطلقها عليهم الاوروبيون. ففي العصر الذي ظهر فيه خير الدين لم تكن القرصنة شيئا مشينا ـ اذ ان كثيرا من قراصنة العصر قد اصبحوا ابطالا قوميين بالنسبة الى التاريخ البحري لبلادهم ـ ومن هؤلاء هوكنز ودريك وفروبشر ، الذين يعتبرون المؤسسين الحقيقيين لعظمة بريطانيا البحرية ـ بل ان الملكة اليزابيث قد نصبت دريك ـ بعد ان قام باعمال جسورة ضد الاسبان ـ « اميرا لقراصنة البحار » !

وقد استطاع الاخوان اوروج رئيس (المعروف في المصادر العربية باسم عروج) وخضر رئيس (المعروف في المصادر العربية باسم خير الدين وفي المصادر الاوروبية باسم بربروسا اي ذي اللحية الحمراء) ـ قبل استقرارهما في الجزائر ـ ان يؤسسا في حوليتا (حلق الوادي) ميناء تونس دولة قراصنة وان يكسبا ولاء معظم الملاحين المسلمين في المنطقة وذلك على اثر قيامهما بهجمات ناجحة على الملاحة والسواحل المسيحية. الا ان الاسبان قاموا ردا على هذه الاعمال بالاستيلاء على عدد من النقاط الحصينة على طول سواحل مراكش والجزائر وارغام الحصيين حكام مدينة الجزائر على الخضوع لسلطتهم والسماح لهم بانشاء قاعدة بحرية محصنة في جزيرة بنيون دارجيل المجاورة. وادى ذلك بدوره الى تحويل القراصنة المسلمين في شرقي البحر المتوسط نشاطهم الى غربيه ، واشتراكهم مع اخوتهم بحارة الشمال الافريقي في التصدي للمشروعات الاسبانية

وفي خلال المعارك البحرية التي نشبت في هذه المناطق برزت زعامة خير الدين وأوروج. وبعد استشهاد هذا الاخير طلب خير الدين مساعدة العثمانيين بعد استيلاء السلطان سليم على مصر. وقد اذن السلطان بالحصول على البحارة من سواحل الاناضول [1] ، ووعده بتزويده بالمدافع والبارود في مقابل سيطرة الدولة العثمانية على الجزائر على ان يقوم خير الدين بحكمها نيابة عن السلطان. ولم ينفذ هذا الاتفاق في اوائل عهد السلطان سليمان (القانوني) بسبب انشغاله باحتلال جزيرة رودس التي كان قراصنتها يأسرون أعدادا كبيرة من السفن التي كانت تحمل الغلال والذهب من الولايات العربية وتنقل الحجاج الى الاماكن الاسلامية المقدسة ، وبغزو المجر ومواجهة الصفويين حكام فارس وبناء اسطول جديد يمكنه من مواجهة البرتغاليين في المياه الشرقية وسفن آل الهابسبورج في مياه البحر المتوسط. لهذا اثر البحارة المسلمون في الشمال الافريقي الاعتماد على انفسهم ريثما تتمكن الدولة العثمانية من مد يد المساعدة لهم

ولقد قام خير الدين بسلسلة جديدة من الغارات مكنته من استرجاع الجزائر والاستيلاء على [illegible]

---

(١) بعد تفكك دولة السلاجقة في الاناضول ، وعلى حين كانت الدولة العثمانية في المهد ، كان البحارة المسلمون من سواحل الاناضول يقومون بالاغارة على شبه جزيرة البلقان

دارحا ١٥٢٩) وقيض لخلفائه من بعده ان ينترعوا من الا بان كل فتوحاتهم باستثناء وهران التي بقيت بايديهم حتى القرن الثامن عشر) وفي نفس الوقت قام خير الدين بسبع رحلات من الجزائر الى ساحل الاندلس امكنه خلالها نقل ٧٠،٠٠٠ مسلم كانوا يتعرضون لاضطهاد محاكم التفتيش وبذلك عزز قوة دولته

حلف فرنسا وتركيا

وفي تلك الاثناء حصل شارل الخامس على خدمات القبطان الجنوي اندريه دوريا الذي شرع في بناء اسطول ضخم ووطن فرسان القديس يوحنا - الذين كانوا يجعلون من جزيرة رودس قاعدة للغارات على الملاحة الاسلامية في شرقي البحر المتوسط ثم رحلوا عنها بعد ان استولى عليها العثمانيون - في جزيرة مالطة وطرابلس الغرب [1] بقصد توفير قاعدة للعمل ضد الملاحة الاسلامية في شرقي البحر المتوسط وحين هاجم دوريا سواحل اليونان استدعى سليمان القانوني خير الدين ونصبه قائدا عاما (قبطان باشا) للبحرية العثمانية وذلك في عام ١٥٣٣ وشرع في بناء اسطول جديد يمكنه من التصدي لقوة اسرة الهابسبورج وعلى حين الحقت الجزائر رسميا بالدولة العثمانية واصبح لقبطان العظيم حاكما عليها ، اخذ خير الدين يجمع بباطنته وبحارته لانشاء نواة الاسطول الجديد الذي خرج به لملاقاة العدو ولم يلبث ان استرجع كورون وليبانتو (في بلاد اليونان) وتونس واغار على سواحل ايطاليا الجنوبية ومن قاعدة في تونس اغار على جزيرة صقلية وفرض النفوذ العثماني على غربي البحر المتوسط وحرب جزيرة مينورقا ، ونهب سواحل ابوليا وكالابريا في اقصى جنوبي ايطاليا

وردا على نشاط دوريا عمل خير الدين على تسخير نفوذه في دوائر الباب العالي لعقد حلف مع فرنسا التي كان ملكها فرنسوا الاول في حرب مع الامبراطور شارل الخامس وحينئذ تم التوصل الى المعاهدة المعروفة باسم الامتيازات الاجنبية (Les Capitulations) وذلك في ١٥٣٦ التي اعفت رعايا فرنسا في املاك السلطان

السلطان العثماني
سليمان الاول « القانوني »

من تطبيق احكام القانون العثماني عليهم وجعلهم بدلا من ذلك خاضعين لاحكام ممثلي فرنسا المستقاة من القانون الفرنسي كما تمتع التجار الفرنسيون - طبقا للمعاهدة - برسوم على الصادر والوارد اقل مما كان يدفعه رعايا الدول الاخرى ، على ان يتمتع التجار العثمانيون بالمثل في فرنسا ، ومنحوا كل الحرية التجارية وحرية الملاحة في كل المواني العثمانية وتقرر فوق كل ذلك الا تبحر اي سفينة اجنبية في المياه العثمانية الا وهي تحمل العلم الفرنسي ، كما تمتع الفرنسيون ليس فقط بالحرية الدينية داخل املاك السلطان بل سمح لهم كذلك بحراسة الاماكن المقدسة في فلسطين

الامتيازات الاجنبية

ولما كان هذا الحلف العثماني - الفرنسي هو الذي ادى الى ارساء قواعد الامتيازات الاجنبية ، فيمكن القول بان خير الدين مسئول بطريقة ما عن ظهور هذه الامتيازات الشهيرة التي حصلت عليها فرنسا ثم بعد ذلك سائر الدول الاوربية الاخرى وقيض لها ان تنظم العلاقات بين الدولة العثمانية ودول اوروبا تلك العصور الطويلة على ان امر هذا الحلف بقي سرا مكتوما حتى لا يتعرض كل من سليمان وفرنسوا (الذي

[1] ظل الاسبان والعثمانيون يتبادلون طرابلس الغرب الى ان اصبحت نهائيا تابعة للدولة العثمانية في عام ١٥٨٧

كان يلقب بلقب الملك المسيحي جدا (tres chretien Leroi) لسخط شعبه.

وسرعان ما اخذ الطرفان يستعرضان حلفهما بهجومهما المشترك على ايطاليا ، التي تقرر ان يغزوها الفرنسيون برا من جهة الشمال على ان يهاجمها العثمانيون بحرا من جهة الجنوب . وعلى حين زحفت القوات الفرنسية على شمالي ايطاليا للاستيلاء على ميلانو وجنوه ، قام خير الدين بسلسلة من الغارات على املاك آل هابسبورج في عربي واواسط البحر المتوسط واعد سليمان جيشا قوامه ٣٠٠٫٠٠٠ حدي حركه صوب الباسا تمهيدا لقيام خير الدين بنقله الى السواحل الايطالية الا ان البابا توسط للتوصل الى مصالحة بين فرنسا وشارل تمهيدا لاتحاد اوروبا ضد المسلمين ـ فما لبث الفرنسيون ان احلوا عن شمالي ايطاليا ، واشتد عصب خير الدين لنكوص فرنسا ، فاستولى على معظم جزر بحر ايجه التي انترعها من البندقية وردا على ذلك تشكل حلف بحري صليبي يقوده دوريا الذي قام بقصف بريفيزا القاعدة العثمانية البحرية الرئيسية في الباسا ، الا ان خير الدين هزم الحلفاء بالقرب من هذا الميناء . وفي عام ١٥٤٠ عقدت الدولة العثمانية صلحا مع البندقية التي تخلت عما تبقى لها من املاك في شبه جزيرة المورة ، واعترفت بكل فتوحات خير الدين في بحر ايجه ووافقت على دفع غرامة ضخمة في مقابل موافقة العثمانيين على استمرار حكمها في جزيرتي كريت وقبرص وبذلك توقف رحاء البندقية على قيامها بالاتجار مع الاملاك العثمانية

وفي عام ١٥٤٣ عادت فرنسا فطلبت مساعدة السلطان العثماني من جديد ضد اسرة الهابسبورج وبعد ان اغار خير الدين على سواحل ايطاليا ابحر الى جنوبي فرنسا حيث استقبل هو ورجاله استقبالا حماسيا الا ان استياء اوروبا المسيحية لتعاون فرنسوا مع العثمانيين جعله يتحلى من جديد عن الوعود التي بدلها فيما يتعلق بالاشتراك في محاربة قوات اسرة الهابسبورج المتمركزة في ايطاليا وانفجر خير الدين غضبا فاحتل ميناء طولون دون اخطار السلطات الفرنسية التي ارغمها على تزويده ببعض المساعدة اللازمة لجهده الخاص بالاستيلاء على نيس قبل ان يعود الى شرقي البحر المتوسط وعلى انه بالرغم من فشله في احتلال ... فقد قام بتخريب سواحل اسبانيا وفرنسا وايطاليا خلال عودته وقد ادى تقاعس فرنسوا الاول الى توقيع هدنة بين سليمان وشارل (١٥٤٥) نصت على اعتراف الامبراطور بالفتوح العثمانية في البلقان وبعد ان توفي خير الدين (١٥٤٦) تحولت الهدنة الى صلح دائم .

●

مما سبق تتضح لنا اهمية الدور الذي قام به خير الدين في ابان صراعات القرن السادس عشر ، التي شكلت التاريخ العالمي بوجه عام وتاريخ البحر المتوسط بوجه خاص فبفضله امكن انقاذ الجزائر وتونس من الاستعمار الاسباني وبفضله ايضا اصبحت البحرية العثمانية مرهوبة الجانب في البحر المتوسط الذي تحول الى بحيرة عثمانية ، في الوقت الذي رفع فيه راية الاسلام والقى الرعب في قلوب الاسبان وغيرهم من الصليبيين الاوروبيين على أن سيطرة البحرية الاسلامية على الملاحة في البحر المتوسط لم تستمر طويلا ـ ففي معركة ليبانتو (١٥٧١) استطاع حلف بحري صليبي ان يدمر ما يقرب من نصف الاسطول العثماني ورغم تعويض هذه الخسارة في مدة وجيزة فلم يعد الاسطول العثماني خطرا يتهدد اوروبا بالصورة التي كان عليها تحت قيادة خير الدين حقيقة ا الدول الاوروبية اخذت تسيطر بالتدريج على الملاحة في البحر المتوسط بفضل ما تأتي لها من تطوير لاسلحتها ، الا ان الملاحين المسلمين ـ من قواعدهم في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ـ ظلوا محافظين على التقاليد التي ارساها خير الدين فكانوا يعترضون الملاحة ويرغمون مختلف الدول الاوروبية على ان تدفع لهم اتاوات في مقابل عدم اعتراض سفنها ويعتبرون السفن التي تقع في ايديهم غنائم حرب يحق لهم التصرف فيها وفيما عليها كما يشاءون وكان البابا يتزعم عملية جمع الاموال لافتداء الاسرى الى ان كان التوسع الاستعماري الاوروبي الذي قضى على هذه الممارسات التي تخلفت عن صراعات العصور الوسطى بين الشرق والغرب ـ الاسلام والمسيحية ■

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

« صنع الله الذي أتقن كل شيء » قرآن كريم

مطابع الحياة

بقلم دكتور عبد المحسن صالح

ما أكثر ما يخفي على السمع والبصر والحس والفؤاد ، اذ لو اطلعنا على ما يجري في داخل أية خلية من خلايا الكائنات الحية ، لعبدنا الله عبادة خاشعة ، لا سجود فيها ولا ركوع ، ولاسعدتنا فيها قراءة كتاب دقيق مخطوط ، كما يسعد المسلم الورع بقراءة القرآن الكريم ذلك أن اروع تجليات الله واياته ، تكمن في خلقه ، فلقد جاءت كل صور الحياة المنظورة وغير المنظورة ، على اساس فكرة محكمة موحدة ، ولقد بدأنا نقرا سطورها المرقومة من خلال نظم متقنة ، تتمحص عن قدرة فذة ، وحكمة بالغة ، وكأنما نرى فيها وحي الله يتجلى باعظم صوره ومعانيه ولهذا ، فعلينا الآن أن نتعرض لفقرات جديدة من كتاب الكون المفتوح على العقول المتعطشة الى معرفة تقربها اكثر من خالق هذه الاكوان التي تنطوي فينا ، او تمتد حولنا بغير حدود !

بادىء ذي بدء نقول ان جسم كل انسان أو حيوان أو نبات بمثابة « امبراطورية » بروتينية قائمة بذاتها ، فبروتينات جسمي غير بروتينات جسمك ، وغير بروتينات أي مخلوق آخر ظهر أو يظهر او سيظهر على هذا الكوكب ، الى ان يرث الله الأرض بمن عليها أضف الى ذلك أن لجسم كل مخلوق « ذاكرة » بروتينية مثيرة ، بها تتعرف على كل بروتيناتها التي تحتويها ، فجسم الانسان مثلا يحتوي على اكثر من مائة الف نوع من البروتين ، وهو يحفظ مواصفات بروتيناته عن « ظهر قلب » ، فاذا دخل الى ملكوته اي بروتين غريب فانه يرصده على انه ليس من « ملته » ، ولا بد ان يعلن عليه الحرب ، حتى يبيده من ساحته !

يكفي أن نذكر هنا على سبيل المثال أن هناك آلاف الأنواع من الميكروبات التي تحوم حولنا ليل نهار ، ولو نجح واحد منها في غزو أجسامنا ، فان الجسم يعرف ان هذه الخلايا الميكروبية الدقيقة غريبة عليه ! يعرفها عن طريق هوية بروتيناتها ، او جزيئاتها المعقدة ، ولا بد من استخدام « تاكتيك » مضاد ، والا كانت الكارثة

اذن كيف يعرف الجسم الغرباء من الأصدقاء ؟

لذلك قصة طويلة تتناول المناعة والخطوط الدفاعية التي امتلكها ، وبها يحافظ على امبراطوريته من أي « دس » قد يدس فيها ، لكننا نرانا الآن في حل من التعرض لهذا الموضوع المثير والطويل ، والا لخرجنا من موضوع الى موضوع

ان اختلاف صورنا وتقاطيعنا وأصواتنا وبصماتنا وألواننا الخ ، لا يوضح الا جزءا صغيرا من الظاهر ، لكن الاختلاف الاعظم يكمن في الباطن في اختلاف بروتيناتنا . ونعود لنذكر ان هناك مائة الف نوع منها ، وكل نوع مكتوب او مسطر بطريقة تختلف عن النوع الآخر في عدد مفرداته ، وطريقة تنظيمها ، ثم التصميم النهائي الذي يأتي به شكل البروتين ، حتى يتناسب مع رسالته التي نشأ من اجلها .

البروتين لغة مكتوبة !

نعود مرة اخرى لنقول اننا نستخدم في كتابة لغتنا ٢٨ حرفا ، نجمعها في كلمات في جمل في فقرات في صفحات في مجلدات ، ومن تبادل حروف اللغة ، نستطيع ان نخط بها بلايين الكلمات التي قد يكون لها معنى ، او قد لا يكون بداية من كلمة ذات حرفين أو ثلاثة او حتى عشرة !

والخلايا الحية في جميع المخلوقات ، وبدون استثناء ، تستخدم في « لغتها » البروتينية ٢٠ حرفا أو حامضا أمينيا ، ومن التباديل والتوافيق بين هذه الاحماض يمكن للحياة ان تخط بلايين فوق بلايين من أنواع البروتينات منها الصغير والمتوسط والعملاق

ولنأخذ الانسولين هنا كمثال ، فهو جزيء بروتيني متوسط الحجم أو الطول ، وله في الجسم رسالة هامة ، ولقد جاء من ٥١ حرفا أو حامضا امينيا من فقرتين احداهما تتكون من ٢١ حامضا ، والثانية من ٣٠ حامضا ، ويرتبط كل حامض منها بصاحبه بواسطة روابط اليكترونية لها مغزاها ، ولكي نوضح أكثر ، دعنا نأخذ جزءا من احدى الفقرتين ، ليتبين لنا روعة الفكرة التي قامت عليها الحياة ، ثم سجلتها في جزيئات تفرزها هكذا . فين فال اسب جلو هست لبو س حلا سير هست ليو فال الخ الخ ط الشكل الدال على ذلك ، ففيه الكفاية)

وقد يبدو أننا نكتب هنا ألغازا كالتي يخطها السحرة والمشعوذون ، لكنها ليست كذلك مهما خططناه ليس الا اختصارا لنظام الاحماض الأمينية في جزيئها واذا اردنا قراءتها ، كانت هكذا فينيل الانين فالين اسباراجين جلوتاميك هستيدين ليوسين سيستاين جلايسين سيرين الخ الخ

او خذ جزيئا عملاقا مثل الهيموجلوبين الموجود في الدم ، عندئذ قد نشغل صفحة او اكثر فيما لو اردنا ان نكتب أحماضه الامينية بالكامل ، ذلك ان جزيء الهيموجلوبين يتكون من حوالى ٦٠٠ حامض اميني متشابك ومتراص بهندسة جزيئية نعجز الان عن تقليدها

من كتبها ونظمها ؟ !

قد يقفز مصيح هنا ويقول الله كتبها ونظمها ! وهذا صحيح ، لكن كيف ؟

من خلال فكرة ونظام في المقام الأول فكأنما هو أوحى في الخلية أمرها من خلال سنن وشرائع متقنة ، اى أنه لا يمسك « بيديه » الحامض الأميني ليشبكه بالحامض الذي يليه ، ليخرج البروتين المعقد جزيئا سويا صالحا لاداء رسالته ، وحاشا لله « عما يصفون » ، بل انه يسر لكل ذرة وجزيء وخلية ومخلوق الوسائل الكفيلة والمناسبة ليتعامل مع مجتمعه الذي يعيش فيه ، ايضا من خلال قوانين يدرسها العلماء في معاملهم ، فيكتشفون ما ينطوي عليه الخلق من ابداع

اذن فانتظام الأحماض الأمينية في جزيئاتها البروتينية المعقدة لا يتم هكذا جزافا بل من ورائه سلسلة من الاحداث والنظم تتوه فيها العقول ، فهناك شفرات وشفرات مضادة ، وشفرات مضادة للمضادة وهذه حقا هي لغة الخلية المكتوبة بجزيئات كيميائية

وبكرة تنظيم الأحماض الأمينية في كل جزيء ... صغر شأنه أو كبر - موجودة في نواة الخلية إذ المرجع الحقيقي لكل جزيء يتكون لك مثلا في مائة الف نوع من البروتين، لهذا كان من المحتم يكون هناك مائة الف خطة مسجلة ولكل بروتين الخاصة به، او سجله المسجل في النواة، فاذا اريد نوع خاص من البروتين، كان لابد من فتح الف» المخصص له، ثم «ترجمة» هذه الخطة، لها رسول، وبها يخرج من النواة الى ساحة الخلية، العملية بحذافيرها على مطابع خاصة نعرفها باسم وسومات Ribosomes، لكن دعنا من هذه الآن، كيف يخرج الرسول برسالته، كيف يستوحي بها

ان رسولنا الكيميائي ليس - في الحقيقة - إلا شريطا ... دقيقا غاية الدقة، وقد لا يتجاوز طوله - في ... الحالات - جزءا من عشرة آلاف جزء من المليمتر، ... جزء من مائة الف جزء من المليمتر، ومع ذلك ... عليه مئات أو آلاف الشفرات الخاصة بتجميع ... هذا البروتين أو ذاك

ومن أين حصل على شفراته ؟

من «طبعة» حدثت على الشريط الوراثي الباعث ... دائما في نواة الخلية، فعندما يأتيه الأمر ... احد البروتينات (وهو يعرف هذا الامر عن ... احداث كيميائية موزونة بدقة متناهية، وقد ... لها فيما بعد)، فانه ينشق طوليا الى نصفين، ... قد سبق ان ذكرنا في المقالة السابقة ان هذا الشريط ... الكيميائي يشبه سلما حلزونيا، وان درجاته ... جدا تتكون من أربع مركبات كيميائية أساسية ... ث، ج، س الاولى دائما مرتبطة بالثانية، ... دائما مرتبطة بالرابعة، ولهذا فعندما ينشق سلما ... هذه الشفرات تظهر معلقة ومكشوفة على ... الدرجات، وعلى كل رمز أو شفرة يتم طبع ... الوراثي الرسول بما يقابله من الشفرات في ... الباعث، أي أن ث في الباعث يقابلها أ في ... ج في الباعث يقابلها س في المبعوث أو ... مع استثناء واحد هي الشفرة أ، اذ يحل محلها

في الجزيء المبعوث الشفرة «ي» (مركب اسمه يوراسيل) ومن هذه «السياسة» الكيميائية يصبح المبعوث أقل درجة من باعثه، فلا يحق له ان يرقى الى اختصاصاته !

وبعد الطبع، وتكوين الاف النسخ من الجزيء أو الشريط المبعوث (يتوقف العدد على حسب حجم العملية او احتياجاتها لخلية من البروتين المطلوب)، فان الجزيئات المبعوثة تترك النواة الى ساحة الخلية، في حين تلتحم أنصاف الدرجات وتعود الى سابق وضعها، في انتظار اشارة جديدة لبدء طبع مزيد من الجزيئات المبعوثة وهكذا تسري الامور مع أية عملية اخرى من آلاف العمليات التي تدير بها النواة شئون خليتها !

فرقة من المرشدين او المترجمين !

الجزيئات الوراثية المبعوثة تعرف الآن طريقها الى مطابع الخلية، وترتبط بها عن طريق شفرة محددة ذلك أن لكل مطبعة شفراتها، كما ان لكل مبعوث شفراته ولكل شفرة على المبعوث ما يقابلها على المطبعة أي أن هناك شفرة وشفرة مضادة ايضا عن طريق انتظام الرموز الاربعة التي سبق أن ذكرناها

لكن عملية طبع أو تجميع البروتين المطلوب لا يمكن ان تتم، رغم أن «حروف» الطبع (أي الاحماض الامينية) منتشرة حول المطابع بالملايين، ورغم ان الشريط المبعوث جاهز أيضا على مطابعه، ومع ذلك فلا يستطيع أي حامض أميني ان يتعرف على موقعه المناسب اثناء تجميع البروتين، ولا بد من نظام أخر يهيىء لأنواع الاحماض الأمينية العشرين من أمرها رشدا

وقد كان - فهناك عشرون نوعا من الأحماض، ولا بد ان يكون لكل نوع مرشده الذي «يترجم» له اللغة الكامنة على المبعوث في المطبعة وبدون هذه الترجمة، لا يحدث التفاهم !

ومن نواة الخلية أو إدارتها الحاكمة تخرج مرة اخرى شفرة جديدة، ولكل حامض شفرة او اكثر .. صحيح ان لغة الادارة تتكون من اربعة حروف لاغير اي ا،

A
B
C
E
F

ث ، ج ، س فكيف اذن تتوزع هذه الأربعة على الانواع العشرين ، ليكون لكل منها شفرته التي لا يشاركه فيها سواه ؟

لا تحمل لذلك هما فلقد تعلمت الادارة في النواة على هذه المشكلة باستخدام شفرة ثلاثية الرموز أو المركبات ومن التباديل بين أ ، ث ، ج ، س يمكن انتاج ٦٤ شفرة كاملة قد تكون « أ أ أ » على الشريط الباعث ، فتتحول على الجزيء المترجم الى « ي ي ي » وعندما يخرج المترجم بهذه الشفرة الثلاثية ، وينتشر بين الاحماض الأمينية العشرين ، فلن يتعرف بها الا على حامض اميني اسمه فينايل آلانين ، فيلتقطه من الطوفان الجزئي ، وينقله الى المطبعة (لهذا يسمى العلماء هذا الجزيء أيضا باسم الجزيء الناقل ، والبعض يفضلها المترجم)

وقد تكون الشفرة الثلاثية على الشريط الباعث ا ا ث ، فتطبعها على المترجم الى ي ي أ ، ويخرج هذا بدوره ليتعرف على حامض آخر اسمه ليوسين ، فينقله الى المطبعة . او قد تكون ي أ أ ، فتتحول الى ج ي ي ، وتتعرف على ثالث اسمه فالين وهكذا الحال مع باقي الأحماض الامينية أي ان لكل منها « سيارتها » التي تستقلها الى المطابع ، ولكل سيارة او ناقلة « النمرة » الخاصة بها ، ليكون لدينا أسطول من الناقلات قوامه ٦٤ « موديلا » مختلفا ، وكل « موديل » يخرج من النواة بالآلاف

لكن عفوا فلقد ذكرنا ان عدد انواع الأحماض الامينية عشرون نوعا ، وان عدد الطرز النقالة او المترجمة يمكن ان تصل الى ٦٤٠٠ فهل تبعث السجلات النووية او القيادة الخلوية بطرازات زائدة عن الحاجة ، لتكون هناك رفاهية في وسائل النقل ؟

نعم فللأحماض الامينية اكثر من ناقل او مترجم الحامض الاميني ليوسين مثلا له نصيب الأسد في عدد الناقلات .. اذ يمتلك ستة طرازات لها نمر مختلفة ي ي أ ، ي ي ج ، س ي ي ، س ي أ ، س ي ج ، وللحامض الاميني « فالين » اربعة ، وآلانين اربعة ، وسيرين اثنان الخ ، وسبحان مقسم الأرزاق ، حتى ولو كان ذلك على مستوى أحماض أمينية !

لكن الغريب أن العلماء قد اكتشفوا طرازين من هذه الشفرة الثلاثية هما « ي أ أ » ، « ي ... » وهذان الطرازان لا يعرفان شيئا عن أي حامض من الأحماض العشرين ، ولا يتم بهما ترجمة ولا نقل فلم جاءا اذن ؟

الواقع أن اي شيء لم يخلق عبثا ، فهذان الطرازان قد جاءا ليكونا علامة « قف » كالتي نستخدمها في حركة المرور ، لكن « قف » هذه لا تنظم حركة الناقلات في ساحة الخلية ، بل مكانها في المطبعة ، لأنها هي التي تعطي إشارة الايقاف عند الانتهاء من كتابة البروتين أو طبعه أو كأنما هي بمثابة النقطة التي نضعها في نهاية الفقرة ، لنبدأ فقرة جديدة !

وما يدرينا أن كل ذلك صحيح ؟

عن طريق التجارب العلمية العميقة والدقيقة ، والتي منحت اصحابها جوائز نوبل ، فلقد عزلت هذه الناقلات ـ كل على حدة ، أو قام العلماء بتخليقها في معاملهم ، وعند وضع الناقلة ي ي ي ، فانها لا تجمع إلا حامض فينايل آلانين في سلاسل طويلة ، ولا شيء غيره لكن تفاصيل هذه التجارب كثيرة ومثيرة ، ولا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، وفيما قدمنا الكفاية

الى مطابع الحياة .. اذن !

كل شيء الآن جاهز ـ الأشرطة المرسلة بتعليماتها أو شفراتها تدخل المطابع ، والناقلات أو المترجمات جاهزة بأحماضها الأمينية المختلفة ، وهي منتشرة حول المطابع بالملايين ، وتبدأ الطباعة ، وتدور الشرائط في مطابعها ، وتدفع الناقلات الى المطابع لتضع احمالها ، ثم تعود فارغة ، لتلتقط مزيدا من الأحماض حسب الشفرة الثلاثية المتفق عليها ، وتعود لتفرغ ، وبعد ثوان قليلة يخرج « المكتوب » على هيئة سلسلة من الاحماض الامينية المتشابكة هي البروتين ، مع ملاحظة ان كل حامض يعرف موقعه من السلسلة فأي تغيير في وضع حامض مكان آخر قد يؤدي الى كارثة الى ... وراثي !

ولدي نوضح كيف تطبع الخلية هذه المعلومات أو الحروف على مطابعها التي تنتشر فيها بالملايين ، وترتكز على أغشية رقيقة غاية الرقة (سمك الغشاء لا يتجاوز ثمانية اجزاء من مائة الف جزء من المليمتر ـ انظر الصورة الدالة على ذلك شكل ٦) لكي نوضح اصول هذه الطباعة البروتينية ، فان ذلك يحتاج الى صفحات ، لكن دعنا نختصر الأمر ونبسطه ، ولنأخذ مثالا واحدا ، وليكن المطبوع هو جزيء الانسولين الذي يتكون من ٥١ حامضا أمينيا مرتبطة بروابط اليكترونية في سطرين ـ كما سبق ان ذكرنا

إن أمر الطبع أو التوصيب » يخرج من النواة على هيئة شريط مبعوث ـ والشريط لا يزيد طوله عن ستة اجزاء من مائة الف جزء من المليمتر ، ومع ذلك فعليه ١٥٣ رمزا او شفرة متراصة واحدة بجوار الاخرى ولو قرأنا جزءا منها لكانت هكذا ي ي ي ج ي س ا ا ي ج ا ا س ا ي الى آخره ، أي أن الشفرة هنا أيضا ثلاثية ، وهي تعني بلغتنا اجمع فيما يلي الآتي ، بجوار فالين ، بجوار اسبارجين ، بجوار جلوتاميك ، بجوار هستيدين الخ والى المطابع يتوجه هذا الشريط أو آلاف النسخ منه ، ليتآلف معها عن طريق شفرة ثلاثية مضادة فللشفرة « ي ي ي » شفرة مقابلة هي « ا ا ا » ، وللشفرة « ج ي س » على الشريط المبعوث ما يقابلها ايضا على المطابع ، أي « س ا ج » (لاحظ ان لكل رمز ما يقابله ، وكأنما نحن نحيل الصورة النيجاتيف الى صورة بوزيتيف !)

الشريط المبعوث الآن يتآلف مع المطبعة حسب نظام كودي مضبوط ، وتأتي الناقلات بما حملت ، ولكل حاملة مقدمة ومؤخرة على المقدمة شفرة ثلاثية تتعرف بها على الحامض الاميني ـ كما اسلفنا ، وعلى المؤخرة شفرة ثلاثية اخرى لتتعرف بها على مكانها في الشريط المبعوث الدارس على مطابعه . فعليه معلومات لتجميع ٥١ حامضا بترتيب خاص ، ولكل حامض شفرة ثلاثية (اي جملتها ١٥٣ شفرة) ويأتي كل مترجم أو ناقل بما حمل ، وبشفرته الكامنة في مؤخرته يعرف شفرته المضادة على الشريط المبعوث ، وكأنما نحن امام ترجمة فورية

المهم ان الشفرة الثلاثية لهذا تتوافق مع ذاك .

وآلة الطباعة الحية هنا تتآلف من جزئين بينهما أخدود ضئيل للغاية ، وكأنما هما صدفتا محارة ، ويعتقد بعض العلماء ان الشريط الوراثي المبعوث يمر في هذا الاخدود ، فتفتح عليه المطبعة وتغلق كلما فتحت ، كان ذلك ايذانا بدخول ناقلة لتضع ما حملت ايضا على حسب ترجمة بين شفرتها ، وشفرة الشريط المضادة ، وعندما تغلق المطبعة شقيها ، يكون ذلك ايذانا بتفريغ الحامض الاميني من ناقلة ، فينطلق الجزيء الناقل الى الساحة ليشحن نفسه بحامض آخر ايضا على حسب الشفرة المتفق عليها !

وتفتح المطبعة من جديد شقيها ، فيتحرك الشريط المبعوث حركة لا تزيد عن جزء من مليون جزء من المليمتر ، ليضع الشفرة التالية موضع التنفيذ ، وتصبح جاهزة للناقلة التي تليها فتفرغ وتنطلق ، وتغلق المطبعة شقيها ، لتصل هذا الحامض بذاك وفتح وقراءة وتفريغ وضغط ووصل الخ ، وبعدها ينتهي الشريط من طباعة الرسالة التي حملها من القيادة ، وينتج من ذلك جزيء البروتين أي الانسولين ، ثم يعود الشريط ذاته من البداية ليطبع مئات او ربما آلاف النسخ من ذات الانسولين (تتم هذه الطابعة في خلايا البنكرياس)

الطباعة ـ لاشك ـ دقيقة ومنظمة ومتقنة وسريعة ، وتنتج في الثانية الواحدة آلاف النسخ من هذا البروتين او ذاك كل ذلك يتوقف على « النسخة » او الشريط المسجل عليه صفات البروتين الذي تحتاجه الخلية وهي كثيرة . كثيرة جدا مائة الف نوع من البروتين ، تحتاج لمائة ألف نوع من الاشرطة التي تتم ترجمتها وطبعها في جميع خلايا الجسم ليل نهار !

أليس هذا بكون ساحر تتوه فيه العقول ، وتجعلنا نقدر الله حق قدره ، ونعرف من خلال هذه الآيات التي كشف العلماء عنها الحجاب انه « صنع الله الذي اتقن كل شيء » . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

مفاتيح القلعة يضعها الحاكم الانجليزي في حراسته !

"مفاتيح" جبل طارق

استطلاع منير نصيف تصوير صلاح آدم

من هنا على الشاطىء المغربي عند مدينة طنجة عبر طارق بن زياد ، بحر الزقاق حتى بلغ الجبل . انه يقف شامخا شاهدا على صفحة رائعة من تاريخ العرب
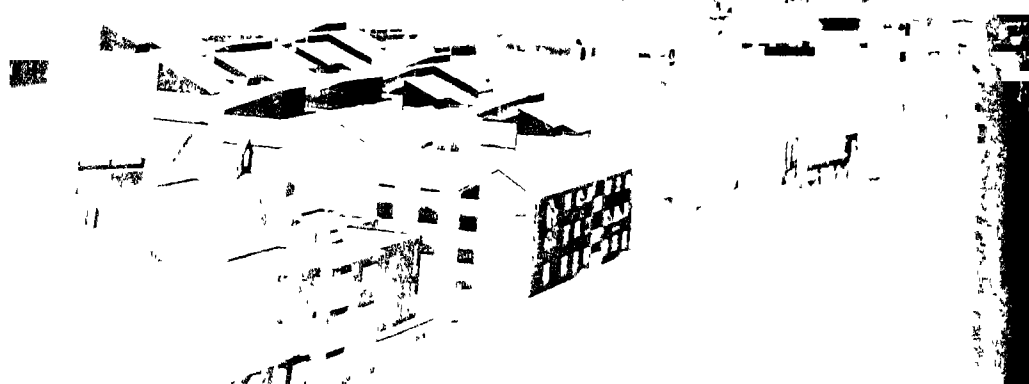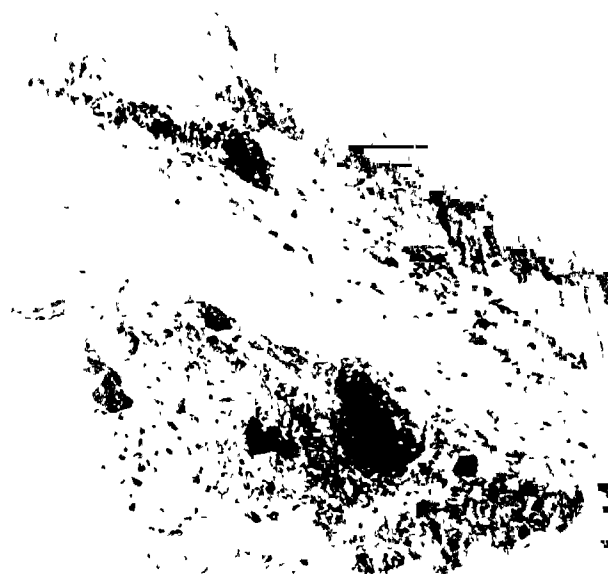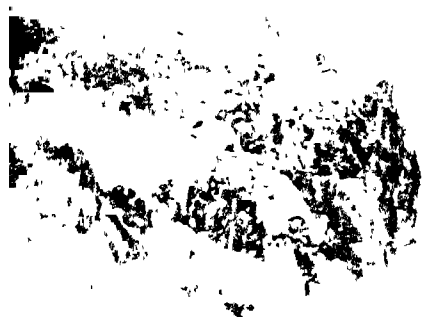
..وطرنا نكمل الرحلة التي بدأت شرقا الى مضيق هرمز في الشهر الماضي وكان
وجهتنا الطرف الغربي من القارة الافريقية عند البوابة التي تتحكم في الطريق البحري
المحيط الاطلسي ، والبحر المتوسط ، وتطل على بحر الزقاق او مضيق جبل طارق

نتوء صخري هائل في شبه جزيرة ايبريا او كما سميت في الازمنة القديمة احد اعمدة
هرقل .. وهي « البوابة » التي يضع الانجليز امامها مدافعهم ، ويحملون « مفاتيحها » في
خزائنهم ! فهي المنفذ الوحيد من البحر المتوسط الى المحيط الاطلسي وبالعكس او هكذا كانت
قبل قناة السويس فكانت السفن تدخل البحر وتدور حول نفسها ثم تعود من حيث اتت
فقد كان البحر المتوسط ، أشبه ما يكون ببحيرة كبيرة ذات منفذ واحد يطل عليه الجبل من
جانب . ومدينة طنجة المغربية من الجانب الاخر

بالامس كانت الصخرة ، وكان المضيق حرما من التاريخ الذي امتلأ بالبطولات والامجاد التي حققها اجدادنا العرب بعد الاسلام واليوم اصبحت مجرد ذكريات نعود الى صفحاتها ونتوقف عندها لنتذكر ونعيش احداثها الرائعة ، كلما نظرنا الى واقعنا المرير . كل قطعة حجر من هذه الصخرة العاتية . كل شيء من فوقها وحولها وعند سفحها يحكي لنا صفحة من هذا السجل الرائع الذي دخل التاريخ ودخلنا معه من اوسع ابوابه ، منذ قرون بعيدة مضت ، قبل ان يصيبنا ما اصابنا !

حضارة عظيمة

لقد عبر القائد العربي المسلم البطل ، طارق بن زياد بحر الزقاق عام ٩٢ هـ ، ٧١١ م واحتل الصخرة التي ما زالت تحمل اسمه حتى اليوم ، ثم مضى المسلمون بعد ذلك في طريقهم الى الاندلس ناشرين فيها حضارة عظيمة ، امتدت لاكثر من سبعة قرون ، وخرجوا منها ، وضاعت الاندلس العربية ، ولكن الحضارة التي حملوها اليها ما زالت تعيش فوق ارضها وتحت سمائها حتى يومنا هذا لقد خرج العرب حقيقة ، ولكن الآثار الاسلامية بقيت مرفوعة الرأس منصوبة الهامة ، تشد الملايين من الناس اليها فهم يجيئون الى اسبانيا اليوم واندلس الامس ، ليغوصوا في بحور التاريخ ملايين السائحين يأتون الى الاندلس كل عام ليروا ويتعلموا ويكتبوا عن العرب والاندلس عشرات بل مئات الكتب التي صدرت عن الاندلس العربية والفتح الاسلامي وغروب شمس العرب التي ظلت تشرق على هذه الارض ، وما جاورها حتى حدود فرنسا قرونا من الزمان !

ولم يكن غريبا ان نجد في جبل طارق ، بعض الصفحات المشرقة لتلك الحقبة من التاريخ كيف جاء طارق بن زياد الى الجبل وكيف دخل المسلمون الاندلس وهي قصص منقولة عن المستشرقين وعن ابناء الشرق انفسهم جمعوها في كتب بالانجليزية والفرنسية والاسبانية

لقد وصف موسى بن نصير الذي خطط لهذا الفتح الكبير وراح يعد العدة للقيام به ، بعد ان تم له فتح المغرب وصف دخول العرب الى الاندلس في رسالة بعث بها الى الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق بقوله « لم يكن فتحا كغيره من الفتوح يا امير المؤمنين فان الواقعة كانت اشبه باجتماع الحشر يوم القيامة »

وكان الوليد قلقا على حياة جنوده ورجاله المسلمين في هذه الحرب قبل ان تبدأ فكتب الى ابن نصير عندما بعث اليه يستأذنه لخوض غمارها قائلا « اوافق ولكن اياك ان تلقي المسلمين في بحر شديد الاهوال »

وانتصر المسلمون

وكانت الاهوال تنتظرهم فعلا . ولكن ايمانهم بالله

خريطة جبل طارق وشبه الجزيرة عند شاطىء اسبانيا المطل على البحر المتوسط

وقيادتهم ، حقق للعرب المسلمين النجاح رغم ضراوة المعارك التي خاضوها ففي يوم الاحد ٢٨ من شهر رمضان المبارك سنة ٩٢ هجرية ، ١٩ يوليو من عام ٧١١ م ، تحركت قوات المسلمين بقيادة طارق بن زياد من شواطيء مدينة طنجة ، التي اختارها موسى بن نصير مركزا لعملياته لقربها من الشواطيء الاسبانية واطلالها على بحر الزقاق او المضيق الذي يفصل بين القارتين ، وكان ابن نصير قد عقد تحالفا مع يوليان حاكم سبته الاسباني الذي كان ناقما ساخطا على ملك اسبانيا رودريك نتيجة لغرقه في ملذاته وشهواته !

وبمقتضى هذا التحالف ، قدم يوليان اربع سفن ، راحت تنقل جنود المسلمين من الشاطيء الافريقي الى الشاطيء الاسباني عند سفح الجبل وكانت كل جماعة تختفي في جهة محددة بمجرد وصولها الى الشاطيء حول الصخرة ، حتى تحقق عبور المضيق لكل القوات التي حشدها طارق بن زياد لحملته

علم الاسبان بامر الحملة التي نزلت الى شواطئهم ، [illegible]را بقيادة ملكهم رودريك اولوذريق في جيش هائل [illegible] اكثر من مائة الف جندي ، وعددا كبيرا من [illegible]ن . ودارت رحى معركة من اشرس المعارك في التاريخ ، ووقف طارق بن زياد وسط جنده وقال قولته الشهيرة

« ايها الرجال اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله ، الا الصبر والصدق »

وتحقق النصر للمسلمين « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » وكان يوليان صادقا في تحالفه ، فقد راح ينشر بين الجنود الاسبان ان المسلمين لم يأتوا الى الاندلس للفتح والاستعمار ، وانما جاءوا للقضاء على ملكهم الطاغية واسهمت هذه الرواية في بث الفرقة بين صفوف جنود لوذريق ، وتخلى عنه بعض جماعات الفرسان ، الى جانب الاعداد الكبيرة من العبيد الذين كانوا يحاربون في صفوف الاسبان ، وكانوا بطبيعة الحال ساخطين ناقمين على هؤلاء الذين اذلوهم واستعبدوهم . وحانت الفرصة التي طالما انتظروها وسط القتال ، فهربوا واستعادوا حريتهم

ودخل العرب الاندلس ، حاملين اليها دينا حنيفا وعلما وحضارة وانقضت سبعة قرون او اكثر قبل ان تتحالف القوى الغربية على اخراجهم بالقوة من البلاد التي عاشوا فيها وتزاوجوا وبنوا ورفعوا فوق جبالها راية الاسلام . ولكن الصراع استمر بين المسلمين والاسبان

صوره من الماضي القريب عندما سوى الانجليز بأيديهم نفقا في الجبل اثناء الحصار الكبير الذى فرضه الاسبان واستمر اكثر
من اربع سنوات وبمال لجندي « الامبراطوريه » ومدفع قديم وفي (اليسار) المغاره التي صنعتها الطبيعه داخل
الجبل منذ مئات الألوف من السنين لقد تحولت اليوم الى مسرح عالمي !

ره من الحولشه الحريرة التي يقع حبل طارق في طرفها المطل على البحر والمحيط تستطيع ان تراها بوضوح وانت تعبر
المضيق من المغرب

بعد ذلك حول جبل طارق . الى ان سقط اخيرا في يد غريبة على هؤلاء وهؤلاء وكان ذلك في عام ١٧٠٤ .

عودة الى الجبل

هي صفحات مضيئة مشرقة . لا يملك المرء ، كما ذكرنا ، الا ان يتوقف عندها ويتأمل . ثم لا يلبث ان يمضي في طريقه الى شيء آخر لا يمكن ان يكون امتدادا لهذا الماضي بحال !

ونعود الى الجبل ، والمضيق الى البوابة الاستراتيجية الهامة التي اثارت اطماع اكبر دولة استعمارية في ذلك الوقت ونعني بها بريطانيا فلم يكد ينتهي الصراع بين العرب والاسبان على الجبل ، بخروج العرب نهائيا من اول وآخر قلاعهم في الاندلس ، في عام ١٤٦٢ ، اي بعد اكثر من سبعة قرون ونصف قرن ، حتى بدأ الانجليز بعد مرور قرنين تقريبا ، يعدون العدة للاستيلاء على هذا المضيق الحيوي وجاء الاسطول الانجليزي ، يعاونه الاسطول الهولندي بقيادة الاميرال الانجليزي سير جورج روك واستولوا على جبل طارق في عام ١٧٠٤ م

ثم ما لبثت القلعة بعد ذلك ان آلت الى الانجليز وحدهم ، ولما يمض على تحالفهم مع الهولنديين ، اكثر من تسع سنوات من اجل الفوز بها ، فقد نجحت بريطانيا في عام ١٧١٣ في ابرام معاهدة بينها وبين الاسبان في اوترخت ، اطلقوا عليها زيفا اسم معاهدة « السلام والصداقة » وجاء ضمن نصوصها « ان ملك اسبانيا يعلن بالنيابة عن نفسه وعن ورثته ، تنازله عن جبل طارق بما في ذلك المدينة والميناء والقلاع والحصون ، وان لبريطانيا الحق في التمتع بملكية هذه الارض الى الابد ، بشرط الا تبيعها للغير ، او تتصرف فيها ، قبل التشاور مع اسبانيا صاحبة الارض ، التي لها الاولوية في استعادتها اذا شاءت !! »

باسم الصداقة

ولم تنقض بضع سنوات على هذه المعاهدة ، حتى اخذت فكرة استعادة جبل طارق تلح على الاسبان . اي صداقة تلك التي تتنازل بمقتضاها دولة . حرة عزيز من ارضها ، لدولة اخرى ؟ وراح الاسـ يجمعون رجالهم ويبدأون محاولاتهم لاستعادة الارض التي احتلها الانجليز باسم الصداقة وجمعوا رجالهم وضربوا حصارا حول جبل طارق . وفشل الحصار الاول في عام ١٧٢٠ ثم مرت بضع سنوات والانجليز يتشبثون بالارض التي انتزعوها وشيدوا فيها القلاع والحصون والأسبان من الناحية الاخرى يعدون العدة لتحرير ارضهم ، وكان الحصار الثاني في عام ١٧٢٧ ولكنه لم يكن اكثر حظا من الحصار الاول واخيرا رضيت اسبانيا بالامر الواقع ، واقرت انفصال جبل طارق عنها طبقا لنصوص معاهدة اشبيلية المبرمة في عام ١٧٢٩ !

وظن الانجليز ان اقدامهم قد رسخت في الجبل ، وكانت قد بدأت ترسخ في الهند البعيدة قبل ذلك بقرن او اكثر ، إلا أن الاسبان ما لبثوا بعد فترة هدوء نسبية دامت حوالي خمسين عاما ، ان بدأوا يستعدون من جديد كان الهدوء الظاهر يخفي وراءه طوال هذه الاعوام استعدادا لهجوم من اكبر الهجمات التي عرفت في التاريخ فالرس لا ينسى الشعوب حقوقها مهما طال كانوا فقط يتحينون الفرص واذا بها تجيء بعد كل هذا الانتظار وكانت فرصتهم الذهبية ، انشغال جيوش واساطيل « سيدة البحار » في ذلك الوقت بحرب التحرير الامريكية ، التي انتهت بطرد الانجليز من امريكا بقيادة الجنرال جورج واشنطون

الحصار الكبير

وبدأ هجوم الاسبان ، ثم ما لبث الهجوم ، عندما فشل في الوصول الى الصخرة المحصنة ، ان تحول الى حصار بحري وبري دام لاكثر من اربع سنوات كاملة من عام ١٧٧٩ حتى عام ١٩٨٣ ومرة اخرى فشل الحصار الكبير فقد نجح الانجليز ، ولاول مرة في اقتحام الصخرة الهائلة شقوا الانفاق في بطن الجبل احتموا داخلها وراحوا يصوبون مدافعهم الى مراكز الحصار من حولهم ، حتى وصلت السفن الانجليزية تحمل ... العداء والعتاد . لقد انقذتهم الصخرة الصامتة من ... عرق والموت !

النفق الطويل الذى حفره الانجليز في الحرب الثانية العالمية في
بطن الجبل ، واحتموا داخله طوال سني الحرب

وفي قصر الحاكم الانجليزي لجبل طارق ، تستطيع ان ترى القصة كاملة للنفق الذي حفروه بايديهم في قلب الجبل الجيرى ، من خلال الصورة المرسومة ، كما تخيلها الفنانون ، والكلمة المطبوعة في كتيبات تروى لك ما حدث عندما احست جيوش الامبراطورية انها هالكة لا محالة ! ومن الفتحات التي تخللت النفق راح الانجليز يطلقون قذائف مدافعهم على قوات الحصار الاسبانية تعاونها القوات الفرنسية التي كانت في الوقت نفسه قد اعلنت الحرب على الانجليز في امريكا ، وانضمت الى الثوار بقيادة واشنطون . الا انهم نجحوا هناك على الجانب الاخر من الاطلنطي وفشلوا هنا

مفاتيح الجبل

وبقيت « مفاتيح » الجبل في ايديهم حتى اصبحت قاعدة جبل طارق مستعمرة تابعة للتاج البريطاني رسميا في عام ١٨٣٠ .. ويصف المؤرخ الانجليزي الكبير ارنولد توينبي « يوم الطريق المختصر » ، بانه من اهم الاحداث في تاريخ الامبراطورية البريطانية « هذا الطريق الذي احتفل به الانجليز من الهند شرقا الى الجزر البريطانية غربا ، هو طريق قناة السويس وكان ذلك عندما بدأت عملية حفر القناة في اليوم الخامس والعشرين من شهر ابريل عام ١٨٥٩ ، في عهد الخديوي اسماعيل وتم حفر القناة وافتتحت رسميا للملاحة بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا . في ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ ، وكانت اول سفينة تمر عبر الطريق الجديد الى الشرق ، ترفع العلم الانجليزي ، وتطلق المدافع ايذانا بمولد القناة . لقد انتهت رحلة الموت والعذاب حول شواطيء افريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح .

وتضاعف تشبث الانجليز بالمضيق الاستراتيجي البحري مع تزايد مصالحهم في الهند ومصر ، ولعب جبل طارق دورا حيويا في الحربين العالميتين ، الاولى والثانية عندما اقام الحلفاء عند طرفيه المطلين على البحر والمحيط ، احدث قاعدة بحرية لتأمين عملياتهم العسكرية . .

اكتشاف الطاقة

ثم كان الاكتشاف الكبير لمصادر الطاقة الجديدة ..

(الى اليمين) السوق العربية التي اقامها ابناء المغرب في قلب المدينه السياحية مدينة طارق بن زياد (فوق) البلاح عند سفح الجبل يعج بالسائحين الذين يجيئون اليه هربا من برد اوربا وبحثا عن الدفء تحت شمسه المشرقه !

احدى السفن التجارية اثناء خروجها من حوض اصلاح وصيانة السفن في المضيق والشمس توشك على الغروب

البترول في منطقة الخليج وقد اكتشف النفط قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم اندلعت نيران القتال المدمر الذي استمر سبع سنوات ، فاعاد الانجليز اغلاق الآبار في هدوء حتى اذا ما انتهت الحرب اسرعوا الى الكنوز التي اخفوها عن العيون ، وبدأ اسطول الناقلات يرابط في موانيء شحن الطاقة لينقل « الذهب الأسود » ويعود به من الخليج الى مضيق هرمز الى البحر الاحمر الى قناة السويس الى البحر المتوسط ثم الى الاسواق العالمية في البحر او خارجه عبر مضيق جبل طارق وبقيت الثروة التي خرجت من بطن الارض العربية في ايدي الانجليز ، الى ان كانت الصخرة التي قلبت كل الموازين عندما وقفت شعوب هذه المنطقة تطالب بحقها في ثروات ترابها وتستعيده بعد اكبر عملية استغلال في التاريخ !

وتزايدت اهمية هذا الطريق الحيوي من الخليج الى المحيط ، وخاصة بعد أن اصبحوا يدفعون ثمن ما كانوا ينهبونه في الماضي واصبح النفط شريانا للحياة من المصنع الى البيت الى كل وسيلة من وسائل النقل بدءا بالناقلات نفسها التي تحمله عبر البحار والمحيطات !

ويقولون في جبل طارق « ان مفاتيح المضيق ، اصبحت اليوم في حراسة هرقل ! » ولكن هرقل لم يكن ابدا انجليزيا !

والاسبان لا يكفون عن المطالبة باستعادة هذا الجزء من ارضهم ، والمشاكل مستمرة بينهم وبين الانجليز وقد انتهت باغلاق الحدود بين الجبل واسبانيا !

والانجليز يرفضون الخروج منها ولكنهم يقولون « اننا انما نحتفظ بهذا المضيق من اجل دول حلف الاطلسي ! ! حقيقة نحن ننتمي الى هذا الحلف ، ولكن لا مانع عندنا من ان نتركه لغيرنا ، اذا شاء هذا الغير ان ينوب عنا في حراسته ! ! « ولكن جبل طارق يمثل بالنسبة للانجليز آخر موضع لقدم في اية بقعة من العالم انه آخر القلاع البريطانية !

والعرب في المغرب ، اصحاب الجبل الاوائل ، الذين حطوا فيه مع انحلال الامبراطورية الرومانية ، ماذا يقولون ؟ « اذا كان الاسبان حريصين على استعادة ارضهم ، فلماذا ينكرون علينا حقنا في استعادة السيادة على ارضنا نحن ؟ لماذا يرفضون الخروج من سبتة ومليلة ؟ »

احدى البوابات على الحدود بين بلدة جبل طارق واسبانيا الاسبان اغلقوا البوابة عندهم ، بينما فتح الانجليز بوابتهم مرحبين بهم ولكنهم لا يأتون ، انهم يريدون المدينة كلها والجبل !

سير وليام جاكسون حاكم جبل طارق جاء اليه منذ عامين ، شارك في وضع خطة العدوان الثلاثي على مصر

في الصخرة وحولها !

كيف تبدو صخرة طارق بن زياد اليوم ؟

وعندما اقتربت بنا الطائرة الصغيرة التي نقلتنا من مدينة طنجه والتي تقوم برحلتين يوميا من الجبل واليه بعد رحلة طويلة من الكويت الى باريس ، ومن باريس الى طنجه ، ثم منها الى الجبل في النهاية ، حين اقتربت الطائرة من الجبل والمدينة الصغيرة القائمة عند سفحه استطعنا ان نرى بوضوح من وراء نافذتها الصغيرة ، نقطة هذا اللقاء الابدي بين

قاعة الطعام في قصر الحاكم الذي كان ديرا للرهبان انها اقرب الى « المتحف » صورة ملكة بريطانيا تتوسط القاعة ، ثم ملوك الانجليز وحكام الجبل تزين جدرانها

البحر والمحيط ، ثم المضيق الصغير الذي يفصل بين قارتي افريقيا واوروبا . كانت جبال المغرب تملأ الافق بهامتها العالية من جانب ومن الجانب الآخر مرتفعات الاندلس ، واخيرا ، وامامنا مباشرة ، وقبل هبوط الطائرة بدقائق رأينا صخرة طارق بن زياد وكانت الطائرة تقترب منها كلما هبطت اكثر فاكثر ، حتى اذا ما لامست عجلاتها الارض وتوقفت تماما ، وبدأنا ننزل منها ، وجدناها هناك وجها لوجه امامنا ، لاول مرة صخرة ملساء ترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٤٠٠ قدم وقطرها لا يقل عن عشرة كيلو مترات تقطعها بالسيارة في حوالي نصف ساعة !

هذا الجزء الاخير من رحلتنا ، اي من طنجة في المغرب الى جبل طارق ، فلم يستغرق اكثر من ربع ساعة بالطائرة ، بما في ذلك وقت الاقلاع والهبوط . فالمسافة بين الشاطئين تتراوح بين ثلاثين وستين كيلو مترا تستطيع ان تقطعها بالبحر او بالجو في هذه الطائرة الصغيرة التي تقوم برحلات مكوكية يوميا

مصيف ومشتى

ودخلنا قلعة جبل طارق بلا تأشيرة دخول وهم يرحبون بكل زائر يأتي اليهم ما دام يحمل جواز سفر صالحا ، فهي مدينة مفتوحة لانها لم تعد قلعة فحسب ، بل هي ايضا مصيف ومشتى في آن واحد درجة الحرارة صيفا لا تزيد على ٢٨ درجة مئوية وفي الشتاء لا تهبط بحال عن ١٦ درجة مئوية كل هذا قالوه لنا في المطار وهم يرحبون بنا ويرشدوننا الى اقرب فندق .. فقد كان الوقت ليلا ، ولم نر من هذا المصيف او المشتى شيئا غير اضواء تنبعث من بعيد !

وفي الصباح ومن نافذة الفندق الذي نزلنا به رأينا جانبا من وجه المدينة ونحن نستعد للنزول الى

(فوق) القرده التي تسكن الجبل كادت تنقرض وابعدها تنرسل ، وابعد معها آخر قلاع الانجليز " (تحت) بعض الآثار العربية وبينها آنية فخارية كبيرة ، تجمعها كلها اليوم متحف يروى قصة الجبل منذ وصول العرب المسلمين اليه حتى اليوم ثم القلعة ، او ما تبقى منها ، التي شيدها المسلمون على الشاطىء عند سفح الجبل ، يرفرف فوقها علم الانجليز " (الى اليسار)

الشارع شيء لم نكن نتوقعه في هذه القاعدة او الجبل مدينة صغيرة جميلة نظيفة امتلأ جوها برائحة البحر، لا اثر يبدو امامنا لمدافع او قلاع انما اناس يمشون في هدوء يتأملون الطبيعة الجميلة من حولهم لا ضجيج ولازحام سكان المدينة كلها، بما فيهم السائحون الذين يأتون اليها في رحلات قصيرة، ثم يمضون لتأتي افواج غيرهم طوال اشهر السنة، لا يزيدون على الثلاثين الف نسمة! ينتشرون في بقعة من الارض لا تزيد على خمسة كيلو مترات مربعة هي كل مساحة المدينة!

هنا ليس عندهم زراعة، وباستثناء بعض الصناعات الصغيرة يعتمد اهل المدينة في رزقهم على العمل في ميناء اصلاح السفن المارة عبر المضيق وصيانتها، ثم في الفنادق التي تعج بالسائحين، وهم يستوردون كل شيء من الخارج ومن انجلترا والعرب بصفة خاصة، وتصلهم المواد الغذائية في ثلاجات ضخمة عائمة

ونزلنا كل شيء في البلدة الصغيرة اصبح انجليزيا مائة في المائة اسواقها مطاعمها فنادقها كل شيء فيها، ما عدا الناس «نحن لسنا انجليز» هكذا قال لنا مرافقنا الذي كان في انتظارنا ليأخذنا في اول جولة في المدينة الواقعة عند السفح قبل ان نصعد الى الجبل!

ابناء طارق

وقلنا نسأله «ماذا انتم اذن؟ ماهي الجنسية التي يحملها ابناء هذه البلدة الصغيرة؟

قال «نحن ابناء الجبل احفاد طارق!» وهي ترجمة بتصرف للكلمة التي ذكرها بالانجليزية اما الترجمة الحرفية فهي «طارقيون!

وكان موعدنا مع الحاكم البريطاني لجبل طارق سير وليام حاكسون، قد اقترب، فذهبنا اليه في قصره الذي كان ديرا للرهبان الاسبان، ثم هجروه عائدين الى اسبانيا، واستولى عليه الانجليز، وجعلوا منه مقرا لحكامهم الذين تعاقبوا على مر السنين

واستقبلنا الرجل مرحبا ثم جلس يحدثنا عن [illegible] الذي يحكمه، وعن الناس الذين يعيشون و[illegible] الجبل، قال «انني اعيش هنا في «[illegible]» وصدقناه فقد كان هذا هو انطباعنا بعد [illegible] القصيرة التي استغرقت حوالي ثلاث ساعات [illegible] بحول سيارتنا الصغيرة في الشوارع الضيقة [illegible] حتى بلغنا الشاطيء الجميل الذي يقسو بصخوره ويحنو برماله الناعمة

وقد ازدحم بالناس الذين جاءوا اليه ليتمتعوا بالشمس والدفء، في عز الشتاء!

وسكت سير وليام، بعد ان سألنا «هل صعدتم الجبل؟»

قلنا «لا، ولكننا سنفعل! ولكن هناك سؤال يلح علينا، هل تستطيع ان تشرح لنا معنى كلمة «طارقيون»؟

قال «انتم تعرفون بلا شك ان اهل هذه المنطقة، خليط من العرب والاسبان والانجليز ولعل هذا العنصر الاخير «الانجليزي»، هو الذي يميزهم عن بقية اهل اسبانيا، فنحن لم ندخل الاندلس ومن هنا ترون ان اكثر من نصف الدماء التي تجري في عروق ابناء الجبل، دماء عربية، والباقي خليط من الدماء الاسبانية والانجليزية وهم يفخرون بماضيهم وتاريخهم وانتمائهم الى جبل طارق بن زياد!»

بلا مجاملة

هل كان يجاملنا، بعد ان قدمونا له بوصفنا صحفيين عربا قادمين من دولة الكويت، لا اظن! لسبب بسيط وهو ان العرب لم يعرفوا المصيف او المشتى في جبل طارق بعد، باستثناء ابناء المغرب بطبيعة الحال، فعندما أغلق الاسبان حدودهم مع المستعمرة الانجليزية، و[illegible] المغرب، ومن مدينة طنجة بالذات، باعتبارها اقرب نقطة لهم، يأتون الى المدينة للعمل وفي الفنادق والمط[illegible] بصفة خاصة. كما اقاموا سوقا تجارية صغيرة في [illegible] المدينة يعرضون فيها كل المنتجات اليدوية التي اشـ[illegible]

بها اد المغرب ، وهي تلقى رواجا بين السائحين

ويؤكد ماذهبنا اليه الاحصائيات التي حصلنا عليها من مكتب السياحة ، فقد اتضح ان ٩٥٪ من السائحين الذين يزورون جبل طارق صيفا او شتاء من الانجليز وتشكل السياحة المصدر الاساسي للدخل القومي في هذه البلدة الصغيرة ففي عام ١٩٧٨ مثلا بلغ عدد السائحين الذين زاروا جبل طارق المصيف والمشتى ١٤٠ الف سائح ، انفقوا سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية

ثم كلمة عن حاكم جبل طارق نفسه ، لقد درس هذا القائد العسكري الذي شارك في الحرب الثانية العالمية ، التاريخ وتاريخ الشعوب بصفة خاصة ، وكان قائدا لكلية ساند هيرست العسكرية في بريطانيا ويقول انه فخور بأنه العرب الذين كانوا تلاميذ له في هذه الكلية ، ثم عادوا الى بلادهم وشغلوا مناصب عسكرية مرموقة ، ويذكر من بين تلاميذه الشيخ مبارك العبد الله رئيس هيئة اركان حرب الجيش الكويتي

ثم هو صاحب كتاب « حملة السويس » ، فقد كان سيرويليام جاكسون ، هو الرجل الذي وضع بالاشتراك مع الفرنسيين خطة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وكان وهو يخطط للحملة الفاشلة يقول لكل من حوله « لن يكتب لهذا العمل العسكري ان يعيش طويلا ! »

متحف انجليزي !

« انا اعيش في هذا الجناح الصغير من القصر ! » واشار سيرويليام الى غرفتين متجاورتين وهو يقودنا في زيارة للقصر الكبير الذي شيده الرهبان ! اما باقي القصر ، فهو اشبه بالمتاحف التي يحرص السائحون على زيارتها في كل مكان يذهبون اليه

في كل قاعة من قاعاته الفسيحة نستطيع ان تقرأ ... من التاريخ .. تاريخ بريطانيا منذ جاءت الى هذه ...ة من الارض .. صور الحكام الذين احتفظوا ...تيح » المضيق في خزائنهم تزين جدران قاعة الطعام ...ة . ثم المفاتيح نفسها داخل دولاب زجاجي ، فتحوه خصيصا لنا لكي نراها عن قرب ونصورها ! ثم صورة حديثة للملكة بريطانيا بالحجم الطبيعي وصورا اخرى للملوك الانجليز الذين تعاقبوا على عرش الامبراطورية قبل ان تغرب عنها الشمس

واخيرا الحديقة الرائعة التي تحيط به وقد امتلأت باشجار النخيل ، وشجرة التين ويقال ان هذه الاخيرة عمرها اكثر من الف عام وفوق كل هذا تطل الصخرة صخرة طارق فقد شيد القصر عند « اقدام » الجبل !

قلت اسأل الحاكم . « ان كتب التاريخ تقول ان العرب اول من جاء الى هذه المنطقة وان احدا لم يسبقهم اليها حتى الاسبان انفسهم ، انهم لم يدخلوها الا عندما احسوا بان العرب قد نزلوا فيها ، فجاءوا ليقاتلوهم ! »

سحر التين في حديقة قصر الحاكم ومن ورائها أشجار النخيل الوحيدة في الجبل عمر شجرة التين المعمور (الى اليمين) اكثر من الف سنة

(فوق) سائحة انجليزية مع زوجها ، واصبعها يشير الى فوهة المدفع الذى بقي مكانه منذ الحرب العالمية الاولى (تحت) حوض إصلاح للسفن وصيانتها ، تدخله كل سفينة ترفع اى علم ، اذا اصيبت بعطب خلال رحلتها عبر المضيق من البحر الى المحيط او العكس !

وقال سيروليام « هذا صحيح ، فلم يأت ذكر شيء عن اي احساس عاشت في هذه المنطقة قبل مجيء العرب الثابت انها كانت منطقة غير مأهولة ثم قال مبتسما سألنا « ما رأيكم فيها الآن ؟ »

قلنا « لم نر اثرا حتى الان للقاعدة الحربية حتى المطار العسكرى تسمحون للطائرات المدنية بالهبوط فيه وحتى المدينة نفسها مفتوحة لكل زائر يأتي اليها ؟ هل مازالت قاعدة للغواصات تحت البحر ، كما كانت في الحرب الثانية العالمية ؟

قال وهو يضحك « ولن تروا شيئا منها ، انتم هنا في زيارة لمدينة سياحية من الطراز الاول ونحن نشجع السياحة اليها ان المواطن الانجليزى يستطيع ان يأتي الى هذه المدينة الصغيرة ويمضي اسبوعا في فنادقها الفخمة المطلة على البحر ، باقل من مائة جنيه استرليني بما في ذلك ثمن تذكرة السفر بالطائرة والعودة »

داخل صخرة طارق

وقلنا ، ونحن نودعه « ربما وجدناها في الجبل ! »

وفي صباح اليوم التالي كنا نصعد الصخرة بالسيارة في طرق ممهدة تدور حولها في ارتفاع حتى القمة اذن فهذه هي صخرة طارق اخيرا ولم نكن وحدنا على الطريق كانت هناك عشرات السيارات الاخرى التي تتقدمنا ولكن كان هناك ايضا المئات من السائحين الذين صعدوا الى الجبل مشيا على الاقدام

وتركنا نمشي معهم . ان المشي ابطأ طريقة للوصول الى قمة الجبل ، فهناك العربة المعلقة التي تنقلك من السفح الى القمة في عشر دقائق . ولكنك لاترى معها شيئا ثم هنالك السيارة كما ذكرنا ونحن نريد ان نقف عند كل شيء ونسأل عن كل شيء ونسجل اى شيء له قصة وحكاية . وكان اول لقاء لنا مع الانفاق التي شقها الانجليز في بطن الجبل النفق الاول ، ايام الحصار الكبير ، والنفق الثاني في الحرب العالمية الثانية فقد انقذتهم الصخرة مرتين . وداخل الانفاق رابطت المدافع القديمة ومن ورائها تماثيل لجنود الامبراطورية بملابسهم العسكرية مدججين بالسلاح

ثم المغارة مغارة « سانت مايكل » ، كما يسمونها ، وهي اقدم اثر في الجبل ، صنعته الطبيعة ، ولم تمتد اليها يد انسان قبل مجيء العرب بمئات الالوف من السنين وهي تشبه الى حد كبير مغارة جعيتا في لبنان ، ولكن بلا ماء وتقول الكتب ان تاريخ هذه المغارة بدأ في العصر الجليدى منذ اكثر من ربع مليون سنة ، وهي اليوم مسرح طبيعي تقام فيه الحفلات الموسيقية والمسرحيات التاريخية والمباريات الرياضية ويزورها سنويا اكثر من مليون سائح !

وفي الجبل خزان المياه الكبير الذى يمد سكان المدينة بمياه الشرب العذبة فالمياه مشكلتهم وهم يجمعون مياه الامطار في فصل الشتاء وهي تكفيهم طوال اشهر السنة !

ليتها تتكلم

وفي منتصف الطريق التقينا سكان الجبل الذين استطابوا الاقامة هناك منذ اكثر من الف عام وهم ليسوا بشرا انها القردة التي حملها معهم العرب من افريقيا عندما جاءوا الى الصخرة كادت تنقرض في يوم من الايام ، وانقذها سير ونستون تشرشل عندما كان رئيسا للوزارة البريطانية في الحرب العالمية الثانية ، فقد زار الجبل ، ولم تخرج « لتحيته » كما تعود منها اثناء مروره لتفقد خطوط الدفاع وسأل عنها ، فابلغوه انها اوشكت على الانقراض ! وازعجه الخبر ، لانه كان يقول دائما ان اختفاء القردة من جبل طارق معناه « انهيار الامبراطورية » البريطانية وانهارت الامبراطورية فعلا ، ولم يبق منها غير هذا المكان الذى عادت القردة تعيش فيه وتتوالد وتتكاثر . ولكن الى متى ؟

قال لنا حارس القردة التي تحمل اناثها اسماء ملكات بريطانيا وتحمل ذكورها اسماء ملوكها فهناك وليام الفاتح ، وادوارد وهنري الثامن الخ .. قال الحارس ، وهو رجل عسكرى « ليتها تتكلم لانها لو فعلت لكانت اعظم من يستطيع ان يروى لنا التاريخ ! ! » ■■

منير نصيف

صبية

صبية شبابها ... حوى جميع الحسن
جميلة [1] مليحة [2] ... تكملت بالفطن
كأنها اغنية ... تمثلت للاعين
طويلة كآهتي ... مسكوبة كالفن
لو اشرقت بحة ... لجن احلى عصر
محاسن لا تنتهي ... في روض داك الدن
فيها سناء وسنا ... لالف وجه حسن
حديثها قصائد ... من ثعر صفو الرس
تعلقت بي فجأة ... وصرحت في العلن
ومال قلبي فعوى ... وقال (هذي سكني)
وصاح (حدها اليها) ... فقلت لا لا تهن

أيأستها فارتحلت ... على جناح الحزن
ودعتها واستودعت ... جنان قلب الادن
حكاية اكتمها ... تبكي فؤاد الوثن
ففي دمي نوازع ... من جرح سمع شجن
وفي فمي مواجع ... من ملح دمع هتن
تركتها وعينها ... تقول هل من ثمن ؟
آخر ما سمعته ... (يا ليتني لم اكن)
ابعدها عن خلدي ... فنلتقي في الوسن
ولم يكن ينقصها ... شيء ولكن صدني
ان لم تكن من امتي ... ولم تكن من وطني

دمشق **وهيب دياب**

---

(١) الجميلة هي التي تأخذ بصرك على البعد

(٢) المليحة هي التي تأخذ بقلبك على القرب

عادح مصعرة لعض السفن الكويتية السهيرة

سفينة
اسفين

وداعـــاً للعصــر الذهــبى !

استطلاع صادق يلي

تصــوير حسن الصفار

« ياها سفيه على الأموال أميه ، داب دسر والواح ، يحرى مع الرياح ، وتطير بعير حباح ، وتعتاص عن الحادى بالملاح ، بحوص وتلعب ، وترد ولا تسرب لها ملاع كالقلاع ، وسراع يحجب الشعاع ، وسكيبة وسكان ، ومكانة وامكان ، وحزحز وهمار ، واصلاع محكمه بالقار . معقود سواصيها الحير كالحيل ، لا بمل من سير النهار ولا من سرى الليل » .

لاشحاص وبيوت تمرست في المهنة وتوارثتها أبا عن حد

بهذه الكلمات المسجوعة يصف لنا ابن حبيب الحلبي ـ وهو أحد أدباء العصر المملوكي ـ السفينة بأحزاتها المختلفة من شراع وقلاع وسكان وفقار واضلاع محكمة بالقار

والسفينة عرفها العرب منذ آماد موغلة في التاريخ صنعوها وسافروا بها الى بلاد الله المحيطة بهم وتغنوا بها في أشعارهم وأدبهم لأن البحار تحيط ببلادهم من ثلاث جهات غربا وشرقا وجنوبا

هذه السفينة ما قصتها ؟ ومن هم الرجال الذين قاموا بصناعتها هنا في الكويت

منذ أن وطئت قدم الانسان هذه الارض واستقر به المقام فيها راح يتوجه الى البحر ليبحث فيه عن طعام ورزق ويستكشف المجهول البعيد

لقد بلغت صناعة السفن في الكويت أوج ازدهارها في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، وبقي الأمر كذلك حتى العشرينات واوائل الثلاثينات من هذا القرن حين بدأ عصر التراجع عن هذه الصناعة مع ظهور النفط ، والتخلي تدريجيا عن حياة الغوص والسفر بحرا للتجارة

وعبر الرحلة الطويلة هذه استمرت صناعة السفن محافظة على قيمتها نظرا للحاجة الملحة اليها ، طلبا للبقاء ودفاعا عن الشرف وان بقيت صناعة يدوية ، وبدأ الضمور والتجمد يظهر على هذه الصناعة ومضت تفقد أهميتها وبريقها ، لكنها لم تمت ، ولا تزال تجسد نفسها بفضل اصحابها الذين لم يرموا أدواتها الازميل والمطرقة والقدوم ، ورفضوا بعناد ان يمحوا من الوجود صورة (السنبوك) و (الشوعي) و (البتيل) و (الجالبوت) وغيرها ، من انواع السفن ، فانتقلوا الى منطقة الدوحة في الكويت ، ليتابعوا المسيرة ، وليسدوا احتياجات السوق من سفن خشبية تستخدم لاغراض النقل وصيد الاسماك في مياه الخليج .

وصناعة السفن كأي صناعة تطورت بفضل أصحاب هذه الصناعة انفسهم وظهر منهم عدة اسماء لاشخاص وبيوت تمرست في المهنة وتوارثتها أبا عن جد فاقترنت أسماؤهم بتاريخ تلك الصناعة بتاريخ الكويت نفسها ويطلق على هؤلاء اسم (القلاليف) حتى الان

« وقلف السفينة » كما وردت في المعاجم العربية بمعنى حرز الواحها بالليف وجعل خلالها القار » واسم الفاعل مع المبالغة « قلاف » وصناعته « القلافة »

ومن اشهر الأسر والبيوتات التي أسست وساهمت في هذا النوع من الصناعة والتي كان سيف الكويت وشاطئه هو المكان المعتمد لها أسرة الحاج حمود الدر ، واسرة الحاج صالح بن راشد ، واسرة الحاج احمد بن سلطان الشهير بالاستاذ ، واسرة الحاج علي عبد الله عبد الرسول

حديث ذو شجون

الحاج علي عبد الله عبد الرسول من أقدم الرجال الذين زاولوا هذه الصناعه ، ورغم السبعين سنة التي قطعها من رحلة عمره المبارك مع البحر والسفن العملاقة ـ لايزال يتمتع بحس مرهف ، واناملـ ذكية تحفر في الخشب بأمانة التاريخ ، لايزال يحمل ازميله ومطرقته في عمارته على ساحل الدوحة ، لتخرج من بين يديه تلك الأشكال البديعة من السفن الخشبية المتعددة الاشكال

حدثنا يا حاج عبد الرسول عن صناعة تلك المراكب التي تنطلق من شاطيء الكويت في كل اتجاه ؟

تنهد الرجل وقال انظر يابني ، ان هذا الشاطيء الذي يمتد امام ناظريك كان ـ قبل عشرات السنين ـ يحفل بورش البناء ، كانت هذه المنطقة من اكثر مناطق الكويت ازدحاما بالناس من كل لون وجنس سفن شراعية كانت تأتي من موانيء الخليج من عمان ومن مسقط ، ومن البحرين تأتي لاتمام عمليات الصيانة ودهانها بالقار والزيت لتثبيت عوارض ضربتها امواج البحر الهوجاء فاهتزت من مكانها ولم تعد قادرة على الصمود . لقد كانت صناعة السفن المورد الثاني للكويت بعد الغوص والصيد وتليها التجارة مع الخارج .

يقوم (القلافون) في مسحرة وزارة الاعلام بصنع نماذج لأشهر انواع السفن في الكويت

« لقد تعلمت هذه الحرفة عن والدي فمنذ ان كنت صبيا لا اتجاوز العاشرة كنت اخرج معه واعمل في صناعة السفن تعلمتها واتقنتها بالممارسة الطويلة والدربة فالقلاف ـ هو صانع السفن ـ هو الذي يشير على الصناع بدرجة التواء الخشب ، ووضع حدود المسافات ، بالنظر والخبرة ، وليس استنادا لاية آلة هندسية »

ويضيف الحاج علي عبد الله عبد الرسول . « ان السفن تصنع من خشب الساج ، وموطنه الهند ونيبار ، وخشب الساج يتحمل الماء بدرجة كبيرة لمدة قد تصل الى ٦٠ سنة دون أن يصيبه تلف . ويعدد الحاج علي عبد الرسول مجموعة من انواع السفن التي يصنعها وهي « الشوعي » « السمبوك » و « الجالبوت » و « البتيل » وتستخدم جميعها للغوص علي اللؤلؤ . ولكن احجامها تختلف من واحدة لاخرى اما « البوم » و « البغلة » و « الكوتية » فتستخدم لاعراض التجارة والشحن ونقل الناس »

والبوم هو الذى اتخذت الدولة صورته شعارا لها ورسمته على ورقة النقد الكويتية فئة العشرة دنانير والبوم سفينة شراعية يتراوح طولها ما بين ١٢٠ و ١٥٠ قدما وارتفاعها ما بين ٣٠ و ٤٠ قدما والعرض ما بين ١٨ و ٣٠ قدما وهي تستخدم للغوص والأسفار وتبلغ حمولتها ما بين ٣٠٠ طن و ٧٥٠ طن ـ « البوم » نوعان « بوم سفار » يستخدم في الرحلات البعيدة . « وبوم قطاع » ويستخدم في الاسفار القريبة الى موانيء الخليج العربي واخيرا بوم لنقل المياه العذبة من شط العرب الى الكويت . ويسترسل الحاج علي عبد الرسول في حديثه فيقول كان الصناع يجلبون الخشب من الهند وسواحل افريقيا ، اما المسامير فكانت تصنع محليا ، ولا اكون مبالغا اذا قلت ان السفن المصنوعة في الكويت اشتهرت بمتانة الصنع ، وقوة الاحتمال ، وقد مهر الصناع الكويتيون في هذا المضمار وتفهموا اسرار الصنعة .

هذه اللقطات تبين
جانبا من الحرف
العريق الذي اوشك
على الاندثار فلم يعد
هناك من ممارس تلك
الحرفة غير هؤلاء
الاشخاص الذين
رفضوا التخلي عنها

« الداو » اكبر سفينة

ويعتز الحاج علي عبد الله عبد الرسول بثلاث سفن صنعها لتجار من الكويت أولها سفينة صنعها للسيد ثنيان الغانم تحمل اربعة الاف (من) وقد سماها (فتح) والثانية صنعها للسيد عبد المحسن الخرافي وكانت حمولتها ثلاثة الاف (من) تدار بواسطة المكائن وسماها (ممتاز) اما الثالثة فكانت للسيد داود المرزوق وكانت حمولتها ٢٧٠٠ (من) « والمن » يزن ١٦٨ رطل

« والداو » أشهر واكبر سفينة خشبية صنعت في الكويت وكانت حمولتها خمسة الاف (من) وقد اشرف على بنائها عبد الله بن راشد ، وهو من أشهر صناع السفن « وكذلك السفينة (غالب) وكانت حمولتها خمسة الاف (من) وهي من صنع الحاج سلمان الاستاذ وهو من خيرة من انجبتهم الكويت في هذه الصناعة

يقول المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان انه في سنة ١٢٢٨ هـ بلغت السفن التي ابحرت من ميناء الكويت ١٨٠٠ سفينة ، وكانت مهمة هذه السفن الشراعية حمل التمور من ميناء البصرة الى شواطىء الهند وافريقيا حيث تعود بالاخشاب والتوابل من الهند وافريقيا وكان « النواخذة » (أي الربابنة) الكويتيون مشهورين بمهارتهم الفائقة ومعارفهم الواسعة بالطرق البحرية كما كانت مراكبهم الشراعية معروفة بمزاياها البحرية »

ومع وجود النفط وموارده الكبيرة بقيت هذه الصناعة قائمة ومستمرة لاستخدامها في استثمار الثروة البحرية في مياه الخليج العربي وهذه الثروة السمكية من أهم مصادر الثروة ، بالاضافة الى استخدام السفن الشراعية في نقل الاشخاص والبضائع بين موانىء الخليج جنبا الى جنب مع السفن والبواخر التجارية الكبيرة العملاقة ، ولا سيما ان بعض الموانىء غير مؤهلة لاستقبال البواخر الضخمة فيتم الاستعانة بتلك السفن الصغيرة

وقد كانت فترة الحرب العالمية الثانية مزدهرة لصناعة السفن في الكويت ، فقد كان الا[illegible] في حاجة ماسة الى نوع معين من السفن اطلق عليه اسم « دوبة » كانت تستخدم لتوصيل البضائع من المراكب الكبيرة الى الميناء وكانت تكلفتها لا تتعدى ٥٠ روبية في حين كانوا يبيعونها بمبلغ ١٨٠٠ روبية (١) وكان الكثير من الانجليز والامريكان يأتون الى ورش بناء السفن ، ليشاهدوا عشرات العمال وهم يصنعون السفن بأدوات كانوا يعدونها بدائية ، وكانوا في دهشة لتلك السرعة التي تصنع بها تلك السفن مع الدقة والمهارة الفائقتين

خيط وبلد وهندازة

ونترك الحاج علي عبد الله عبد الرسول لنذهب الى موقع آخر لصناعة السفن هو عمارة الحاج حسن عبد الله عبد الرسول وقد سألناه عن القواعد التي يتبعها في صناعة السفينة ؟ فابتسم الرجل الذي قضى ما يقرب من أربعين سنة في هذه الصناعة قائلا « الحقيقة انه ليست هناك قواعد ثابتة ، فنحن نصنع السفينة بالنظر » ، واخرج لي خيطا ابيض وقطعة من الرصاص مربوطة اطلق عليها اسم (البلد) ثم قطعة من النحاس مثلثة الشكل اطلق عليها اسم (هندازة) واسترسل قائلا هذه كل الادوات (الهندسية) التي استعملها في صناعة السفينة اضعها في جيبي دائما ، اقيس بالخيط واعلم بالطباشير والعمال يشتغلون على هذه الخطوط

والحقيقة ان صناعة السفينة تتم بطريقة هندسية دقيقة وفنية ينفذها (القلاف) الذي لم يدرس الهندسة ولا نظريات ، او علوم البحار ، وهو يصنعها بدقة لا تضاهى وبأدوات لاتتعدى القدوم والمنشار والمطرقة والمقدح ، واول ما يبدأ به (القلافّ) بصناعة في السفينة هو صنع (البيص) وهو اساس السفينة بل هو العمود الفقري لها ، ثم يصنع بعد ذلك المنحنيين [illegible] (ميل صدر) اي المقدمة (وميل تفر) اي المؤخرة ويثبتها على البيص) ويذكر لنا الحاج حسن [illegible]

(١) عملة هندية كانت مستعملة في الكويت وغيرها من دول الخليج العربي وتساوي نحو ٧٥ فلسا

نماذج لبعض السفن الكويتية تقدم هدايا لبعض السواح والزوار المهمين للبلاد

نوعة من الاسماء والاخشاب التي تدخل في ...عية بلغت نحو ٣٥ اسما

قسم لصناعة السفن

الحاج حسن عبد الرسول لماذا لا تدخل الآلات ساعدك في هذه الصناعة كالمشار الآلي وآلات ...ها ؟

ي « تعرف ـ اطال الله عمرك ـ ان هذه الالات استعدادت خاصة كدخول الكهرباء وتجهيز وصنع قواعد خرسانية لهذه الالات الثقيلة : يقول « ان صناعة اليد احسن بكثير »

...ته ما هي الطريقة التي تراها مناسبة للحفاظ الصناعة من الانقراض ؟

... في نبرات حزينة « أنني حزين جدا لان صناعة في سبيلها الى الانقراض ولا احد متحمس لها ، اولادى لم يقبلوا العمل معي ، وكلهم الان في وزارات الدولة »

...نال « انني اعرف ان هناك كلية صناعية تابعة للتربية وان بها قسما للتجارة ، فلواهتم المسؤولون ...لها فرعا لصناعة السفن بالقرب من عمائرنا ـ ...ل اتم الاستعداد كي اعلم الشباب هذه الصناعة ...ب في تعلمها ، وأحب ان احس في اذن شبابنا ان هذه الحرفة بفضل الله مكسبة جزيلة العطاء لمن يعطيها من روحه وعقله . ولا يفوتني أن اذكر هنا ان سمو الشيخ جابر الاحمد ـ اميرنا العالي ـ يشجعنا دوما على الاستمرار في صناعتنا وقد قال لنا « لا تهملوها فهي صناعة الاباء والاجداد وانتم فخر لنا » وهو يعرض علينا الفلوس وكل شيء

نماذج

لقد بدأت الحكومة منذ نحو ٢٠ عاما بالاهتمام ولوجزئيا بتلك الصناعة لا من اجل تطويرها بل لجمع تلك المجموعة الماهرة المتبقية من (القلاليف) في منجرة وزارة الاعلام لصنع نماذج مصغرة لهذه السفن ، ايمانا منها بان السفينة الكويتية هي تاريخ الكويت ، وهي التراث الخالد للآباء والاجداد ، فأخذ هؤلاء يصنعون نماذج لهذه السفن ، تخليدا للبحر الذى يحتضن الكويت ، والذى ارتبط تاريخها به كما يقوم هؤلاء بصنع جميع الاشكال التي نراها متناثرة فوق مياه الخليج بنفس اشكالها الحقيقية ، لكن باحجام مختلفة من حيث الحجم والغرض الذى تصنع من اجله

وهذه النماذج تقدم كهدايا رمزية لكبار الزوار ، وتوضع في الاماكن التي يزورها السواح عادة تخليدا لماضى الكويت وذكرياته الغالية . ■■

صادق يلي

النقود العربية كل أسمائها أجنبية !

تستعمل الدول العربية اليوم أنواعا مختلفة من النقود صارت تنسب الى العالم العربي ، بينما اسماء جميع هذه العملات ترجع الى اصول اجنبية ، وان كان بعضها قد جرى تعريبه قبل الاسلام ، وورد ذكرها في القرآن الكريم

ويكاد يكون مشهورا ان اول عملة جرى سكها في التاريخ كانت النقود الذهبية والفضية التي اصدرتها مملكة ليديا في القرن الثامن قبل الميلاد وحتى تأخذ النقود طابعا رسميا كانت تختم بختم الدولة ، وتسمى النقود المختومة « نومرماتا » من الكلمة اليونانية « نومور » بمعنى القانون ، ومن هنا جاءت الكلمة المعربة « نميات » حيث تطلق على علم النقود والاختام والاوزان

اما القوالب المعدنية التي جرى صهر النقود فيها فقد سميت « السكة » ، ومنها انتقلت الى الفرنسية Segum والانجليزية Click والايطالية Zecchino وغيرها

واذا استعرضنا اصول العملات المتداولة في العالم العربي فسوف تتأكد لدينا حقيقة الاصل الاجنبي لكل عملة ، على النحو التالي

● الدينار هو وحدة العملة في العراق والاردن والكويت والبحرين واليمن الجنوبية والجزائر وتونس وليبيا واصله من اللاتينية Denarius - Aureuss وهي ماخوذة من كلمة Dem اللاتينية بمعنى عشرة وكان اول دينار روماني قد صدر سنة ٢٦٨ ق . م وكان على احد وجهيه صورة الالهة ميرفا ، وعلى الوجه الاخر علامة « × » اى عشر ايسات

تعرف العرب الى الدينار الروماني والبيزنطي قبل الاسلام وتعاملوا بها ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم فجاء في سورة آل عمران « ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك » وقد ظل العرب بعد الاسلام يتعاملون بالدينار الرومي ، حتى قام الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان بضرب اول دينار عربي سنة ٦٩٦ ميلادية وبعد ذلك انتشرت الدنانير العربية المختلفة

● الدرهم استعمل العرب الدرهم الفارسي قبل الاسلام ، وكان من الفضة ، واصله بالفارسية د (بكسر الدال وفتح الراء) وعربها العرب باضافة هـ قبل الميم للتخفيف ، وان كان البعض يرجع اصل كلمة

يه ـ س دراخما Drachma اليونانية

ل دراهم عربية صربت في عهد عبد الملك بن
روان . رغم انه منذ زمن عمر بن الخطاب جرى صرب
بص العبارات العربية على الدراهم الفارسية
لبرطية ، وقد ورد دكر الدرهم في القران الكريم في
ورة يوسف « وشروه بثمن بحس دراهم معدودة »

وذكرت الدراهم في الاشعار العربية كقول احدهم
ان الدراهم في المواطن كلها
يكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحه
وهي السلاح لمن اراد قتالا

يروح الدرهم اليوم في المغرب ودولة الامارات
عربية وموريتانيا ، وفي العصور العربية العابرة
ستخدم العرب الدراهم البغلية والسميرية والطبرية ،
ما الاولى فنسبة لكبر حجمها واما الثانية فدعيت كذلك
سبة الى الذي سكها للحجاج بن يوسف الثقفي وهو
ودي يدعى سمير اما تسميتها بالطبرية فنسبة الى
ربها في طبرستان (شمال ايران وتدعى اليوم
ازندران)

● الجنيه هو العملة الرسمية اليوم لمصر
لسودان ، وكانت بريطانيا قد استخرجت من غينيا
Guinea دهبا بكميات كبيرة ، منذ القرن التاسع عشر ،
سكت منه عملة دهبية عرفت بالدهب الغيني ، ومنها
رفت في العربية الى جنيه ، وكانت بريطانيا قد جعلت
منه ٢ شلنا ، لكن لنقاء دهبه نسبة للانواع الاخرى
د ارتفع ثمنه في السوق السوداء الى ما يقرب من ٣٥
لنا

● الريال تتداوله السعودية واليمن الشمالية
طر وعمان ، وا[illegible] عد فضي اساسي اشتهر بالريال
الملكي وان كان اسمه الرسمي بيزو بدأ العرب
اولونه في القرن السابع عشر وما بعده ، وظل في
ستعمال في جنوب الجزيرة العربية الى سنوات قليلة ،
جانب ريال ماريا تريزا النمساوي ، ووحدة الريال
ـي النقشة ووحده الريال السعودي الفضية وكلتاهما
ستان ايضا

● الليرة هي العملة الرسمية في سوريا
ولبنان ، وهي مشتقة من الايطالية ، واصلها وحدة عملة
اصدرتها جمهورية البندقية الايطالية في مطلع عصر
النهضة باسم ليرا وجمعها لير ، وكانت سوريا ولبنان
تستعمل الليرة الذهبية التركية التي صدرت سنة ١٨٥٤
وكانت تساوي مئة قرش ، وظلت هي السائدة حتى سنة
١٩٢١ عندما صدرت الليرة السورية اللبنانية التي
تساوي مئة قرش ايضا ، وعندما خرج الفرنسيون من
البلدين اصدر كل منهما عملته الخاصة به

● القرش وهو وحدة عملة صغيرة تستعمل في
بلاد عربية كثيرة واصله من الالمانية Grochet او من
غروسيرو الايطالية ، وقد اصدر الاتراك اول قرش
عثماني وكان من الفضة في عهد السلطان سليمان الثاني
(١٦٨٧ ـ ١٦٩٠) ، كما ان اول قرش صدر في مصر
كان سنة ١٧٦٩ في زمن علي بك الكبير

كان القرش العثماني الصاغ يتألف من اربعين بارة
اما القرش الرابع او الشرك فكان اقل من ذلك بكثير
اما القرش المصري الحالي فقد صدر قانونه سنة ١٩١٦
وحددت قيمته بعشرة مليمات

● الفلس اصلها من اليونانية Follis ومعناها
كيس صغير ، وهو الكيس الذي كانت توضع فيه قطع
النقود الصغيرة ، كما ان هذا اللفظ اطلق على عملة
يونانية نحاسية صغيرة

ضرب الفلوس في زمن مبكر جدا في الدولة العربية
الاسلامية ، وكانت الفلوس غالبا من النحاس ،
ولشيوعها اصبحت تطلق على النقود بشكل عام

وهناك عملات عديدة استخدمت في البلاد العربية
في الماضي ، وانقطع استعمالها اليوم لاسباب عديدة ،
مثل الاقحة والزعبوب والمحيدي والشليك والمتليك
والبارة وهي تركية وزالت من التداول بزوال الدولة
العثمانية كما ان الروبية الهندية كانت متداولة في
منطقة الخليج الى ما قبل سنوات قليلة وكذلك المل
والمليم ليسا عربيين ايضا ■■

صيدا ـ طلال مجذوب

تعقيب على مقال .

نعم .. حواء من آدم

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

قرأت للدكتور عبد المحسن صالح مقالا ممتعا ، في العدد ٢٤٥ من « العربي » ، عنوانه الشريط الوراثي سيد جزئيات هذا الكون فأما المضمون العلمي له ، (وهو جوهر المقال ومبناه) فليست لي من وقفة عنده ، اللهم الا أن تكون وقفة استفادة واعجاب ولقد كنت ، ولا ازال ، اتتبع المزيد من المعلومات المثيرة حقا عن الصبغيات ، او هذا الذي يسمونه بالكروموزومات ، تلك المعلومات التي لن تبلغ ، مهما اتسعت وتكاملت ، الا ما يشبه غرفة ماء في اوقيانوس متلاطم ! ولكنها على قلتها هامة وخطيرة

غير ان الدكتور عبد المحسن مر - وهو يتحاور مقدمة مقاله - بعبارات اطلقها ، دون ان يعيرها اهتماما ، حتى لقد كدت (متأثرا بعفويته هذه) اتجاوزها أنا الآخر دون أي انتباه الى ما يكمن في تضاعيفها ، لولا اني صحوت منها الى صدام عنيف ظهر لي بينها وبين اليقين الاسلامي الذي لا اختيار لنا في تجاوزها ، مادمنا مسلمين حقا .

تلك العبارات ، هي قوله « . فمن قائل ان حواء قد جاءت من ضلع آدم ، ومن قائل ان الخالق امسك بقطعة من اديم الارض ، وسواها على هيئة الانسان ، ثم نفخ فيه من روحه فقام لتوه انسانا يسعى بكل اجهزته وخلاياه وشرايينه واعصابه .. الخ »

ومن حسن حظي في الحوار ، انني اقف مع الاستاذ الكاتب على قاعدة متينة من الايمان بالله عز وجل وهو ما قد امتعني بل اطربني من مقاله العلمي الايماني الهادى فلولا هذه القاعدة الجامعة ، لما اندفعت الى كتابة هذا التعقيب او الحوار ، ولرأيتنني اسعى ، في ذلك ، الى شيء لا طائل منه

أما وأن كلا منا يقف مع الآخر على هذه القاعدة الصلبة الجامعة ، فان بوسعي ان اتخذ منها منطلقا الى كلمات اقولها لاخي الدكتور عبد المحسن ، لا اقيمها على شيء من العاطفة او الاشراق ، او اي من المشاعر النفسانية ، مهما جاءت مكسوة بكسوة الدين ، معتمدة على قدسيته ، وهيمنته ولكني اقيمها على قواعد العلم ومستلزماته ومن غير الذين يكتبون في القضايا العلمية ، والذين يستمتعون بالافادة منها والاصغاء اليها ، اجدر بان يحتكموا الى قواعد العلم والمنطق السليم ، كلما غم عليهم امر ، او كلما اختلفوا في رأى

هو قول الله سبحانه

ان الذي قرر ـ ياسيدي ـ بان حواء خلقت من بعض اجزاء آدم ، هو الله عز وجل ، قال ذلك في اول آية من سورة النساء ، وهي قوله عز وجل (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها)

صحيح ان الآية لم تنص على انها قد خلقت من ضلعه ، ولكن الامر في ذلك سواء اذ لا اظن ان لنوع الجزء أي مدخل أو أثر في الاستنكار على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عين هذا الجزء بصريح النص ، وبما لا يدع مجالا لتأويل ، في حديث ، بل في احاديث ثابتة كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان « . فان المرأة خلقت من ضلع » .

وان الذي قرر هذا الذي تستنكره ، ياسيدي ، من الكيفية التي تم بها خلق آدم عليه السلام ، انما هو الخالق ذاته ايضا . نص على ذلك بعبارات صريحة واضحة في آيات متفرقات كثيرة في القرآن منها قوله عز وجل

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) ٢٦ الحجر

(واذ قال ربك للملائكه اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ٢٨ الحجر

(خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار) ١٤و١٥ الرحمن (واذ قال ربك للملائكه اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ٧١و٧٢ [1]

وانك لترى ان هذه الالفاظ ليست اشارات .. بل هي نصوص صريحة قاطعة تتضمن الاخبار بوقوع ما استنكرته ولا تدع مجالا لادخال اى تأويل عليها ، ان اردنا الا نحرج على قواعد اللغة العربية التي تنزل القرآن منضبطا بها كأى نص عربي آخر والا فما ايسر ان نتصور في كل آية تعبيرا عن كل ما نريد اوما لا نريد

ولكن ما هو محط انكارك لما تضمنته هذه النصوص ياترى ؟

ان كان محط الانكار ، ما قد يتصور من طفرة او من سرعة الانتقال من الهيكل الترابي او الطيني لادم عليه السلام ، الى بشر سوى ينطق ويعقل ، فان الامر في ذلك محتمل . والنصوص القرآنية ساكتة عن امد الفجوات الزمنية بين كل مرحلة واخرى في خلق آدم عليه السلام ، اذن فالخطب في ذلك يسير

موقف عويص

اما ان كان محل الانكار جوهر هذا التكوين بالشكل الذي يخبر به القرآن (وهذا هو الغالب ، اذ هو المفهوم من كلامكم : فالخلق العظيم لا بد له من فكرة عظيمة يقوم

[1]) الصلصال هو الطين المشوى او اليابس . والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور صورة انسان اجوف . والمارج اللهب المتناهي في صفائه عن الدخان .

عليها ويتأسس ، ثم يشق طريقه بعد ذلك في مكروب ودودة وحشرة ونبات وحيوان وانسان (الخ) اقول اما ان كان هذا هو محل الانكار ، فالموقف عويص اذن ، والخطب ياسيدى ليس بالسهل

وابدأ قبل كل شيء ، فاذكركم بالقاعدة العربية التي لا مناص من اتباعها ، بصدد تفسير النصوص القرآنية والنصوص العربية الاخرى ايا كانت وخلاصة هذه القاعدة ان الاصل في الكلام اذا اطلق ان يحمل على معناه الحقيقي ، فلا يجوز صرفه الى المجاز الا بعد تعذر الحقيقة ثم ان المجاز ايضا لا يعتد به ولا يسمى مجازا الا اذا كانت بينه وبين المعنى جسور واصلة طبق ضوابط وقواعد معروفة فلا جرم ان لتفسير النصوص قواعد عربية لا يجوز الاخلال بها في حال من الاحوال وهي تعد من الاوليات التي استخرجت من نحو هذه اللغة وصرفها ، ولا يتدانى اليها اي ريب او خلاف بين العلماء

فهل ترى ـ والحالة هذه ـ من سبيل الى تذويب الكلمات والنصوص القرآنية التي لا مفر منها ، للوصول من وراء ذلك الى انكار وجود اب لهذه الخليقة اسمه آدم ، وللوصول الى انكار الكيفية التي صور بها القرآن النشأة الاولى للانسان ، كل ذلك من اجل ان تنفرج امامنا الساحة لما نحبه او نتخيله ، من ان القصة بدأت بسلم من التطورات ، مرت الى صدر التاريخ الانساني عابرا من الدهور والازمنة المتراكمة ؟

هل ترى يا اخي من سبيل مقبولة ، في ظل القواعد العربية ، الى هذا الصنيع ، مع العلم بانك ان فعلت ذلك لن تبقي على حقيقة في التعبير القرآني عن هذه القصة ، ولا على مجاز ؟

وكأنك قد علمت هذا الذى اقوله ، ويعرفه جميع علماء العربية وقواعد تفسير النصوص ، فالتزمت بان القرآن لم يضبط نفسه بشيء من هذه القواعد ، واعتذرت له عن ذلك بانه لم يشأ ان يحمل العقول ما هو فوق طاقتها ! وانا اقول لك فلو ذكر القرآن للعرب آنذاك ، هذا الذى تقوله انت اليوم ، من ان هذه الخليقة انطلقت من مكروب ، فدودة ، فحشرة ، فنبات ، فحيوان ، فانسان افكانت عقول الناس اكثر [illegible] له واعراضا عنه مما استغربت قوله لهم ان [illegible] عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال [illegible] فيكون ؟ ومتى كانت عقول الناس تنفر عن [illegible] التدرج البطيء في التطور والخلق ، وتسرع [illegible] الطفرة المتمثلة في شعار كن فيكون ؟

وهل واجه الناس الى الآن شيئا اغرب في ميزان العقل ، وابعد عن التطور والخيال ، من القول بالنشأة الثانية للانسان بعد الموت ؟ فما للقرآن ، اذن ، قد ملا سوره وصفحاته بالاخبار عن هذه النشأة والتأكيد عليها ، مادام انه لايريد ان يواجه العقول بما هو فوق مألوفاتها ؟

لااعتقد ياسيدى ان القرآن قد الزم نفسه بهذا الذى تقولون كل ما اعلمه ان هذا القرآن كتاب ترسم لكل من العقل والسلوك ، وما اكثر ما تستدعي اصول التربية تصعيد الانسان من مستوى المعروف والمالوف الى سدة المجهول وغير المألوف

امام الحقيقة العلمية

وبعد ، فاني اعد هذا الذى قلته الى الان مقدمة بين يدى الغاية التي اريد ان انتهي اليها ذلك لاني لم ادعم حديثي الذى قلته الى الآن الا بنصوص ثم لم ادعم النصوص الا بقواعد التفسير والاستنباط وليس هذا وحده محور تعقيبي على العبارات التي وردت في مقال الدكتور عبد المحسن صالح

ان دعامتنا الاولى والاخيرة ، في اليقين بمقتضى اى نص ، وفي التمسك باى معتقد او دين ، انما هي الحقيقة العلمية الراسخة الصافية عن شوائب الفرضيات والنظريات وما دار ويدور في مستواها

لذا فاني ابدأ فاسأل الاخ الدكتور عبد المحسن [illegible] وكل عالم مختص في علوم الاحياء وما يتعلق بها من كيميائيات

هل يوجد اى تلازم علمي بين المعلومات [illegible] التي قرأناها عن الصبغيات وبعض من اسرارها [illegible]

مال : كتور عبد المحسن صالح ، وسين نقيض ما صرنا الله تعالى في قرآنه ، من حديث النشأة الاولى لاسار ، من خلال الآيات التي استعرضنا آنفا طائفة بها ؟

وهل يتنافى شيء من تلك المعلومات الهامة حقا مع إر الله تعالى في القرآن بان الله تعالى قد خلق حواء من ر مما قد مما خلق منه أدم ، أيا كان هذا الجزء ضلعا او بره ؟

واسي لاقول اذا ثبت بالبرهان العلمي ان شيئا من ه المعلومات تتنافى مع قرار القرآن بان الناس انحدروا ب اب اعلى لهم اسمه آدم ، وبان الله شكله بادىء ذى ، من طين شوى ، ثم نفخ فيه من روحه (والله اعلم كيفية كل ذلك ودقائق تفصيله) ـ فاسي على ستعداد للتخلي عن هذه النصوص ولسوف انفض منها لا من يدى وعقلي ، دون ان اخادع نفسي بمجاملتها عن ريق التعبير والتأويل

فاما لم استيقن شيئا مما انطوى عليه صريح كتاب ، تعالى وسنة رسوله الصحيحة الثابتة ، الا بعد ان ستوثقت من بصمات الحقائق العلمية الثابتة على كل لك [٢] واسي لعلى يقين بان كل ماقد يتصف به ين من القدسية والسمو ، انما يشتق من البراهين علمية التي ينهض عليها فاذا اكتشف الواقع يقيني عن خلاف ذلك ، فان كل ما يقال عندئذ عن موه وقد سيته ، لا يعدو ان يكون ريفا وتمويها

العلم والجهل بالحقائق

والى ان يتفضل اى باحث علمي مختص ، بالحجج علمية الموضوعية على وجود شيء من التلازم الذى حب السؤال عنه ، لا ارى مناصا من عرض يقيني ب الثابت في هذا البحث من خلال ايضاح النقاط ه

اولا ونقطع النظر عن وجود الخالق والايمان به ، نقول ان الوصول الى معلوم يقيني عن الكيفية التي نشأ او وجد بها شيء ما ، يأتي قمة المعلومات التامة المتعلقة بجوهره ودخائله فمن فاتته المعرفة التامة بجوهر الشيء وكوامنه ، فاحرى ان تفوته المعرفة الصحيحة بكيفية انشاق ذلك الشيء من العدم الى الوجود ذلك لان العلم بكيفية نشوء الشيء يتوقف على معرفة (جوهره) بينما قد لا تصل المعرفة به ، كما هو في واقعه الحالي ، الى اكثر من الاطلاع عن ظاهراته ، او حتى بعض ظاهراته فقط

وانا جميعا لنعلم بان كل الذى تنبه اليه العلماء من دخائل الخلية الحيوانية ونواتها ، لم يرد على ان دلهم على مبلغ جهلهم بالحقائق والاسرار العظيمة الكامنة في اعماقها وهذا ما قرره الاستاذ الكاتب نفسه في المقال الذى نتحدث عنه فكيف يتأتى لنا ـ مع هذا الجهل ـ ان ندلي باى قرار علمي عن كيفية نشأة هذه الجزيئات ، لا في ذاتها ، بل ضمن نشأة جنسها الحيواني الشامل البعيد ؟ !

نعم ، انا لا انكر ان الانسان طموح بطبعه الى معرفة وقائع الماضي ، كما هو طموح الى التنبؤات باحداث المستقبل ولكن كما ان تنبؤاتنا عن الاحداث المقبلة لا تسمى بوجه من الوجوه علما ، كذلك تخيلاتنا لتطورات الماضي وكيفياتها لاتسمى علما ، اللهم الا بعد ان تلقى هذه الاخيلة او التنبؤات دعما من البراهين والبينات العلمية الصحيحة ، فلاجرم انها تصبح بذلك حقائق ثابتة

ثانيا ما هي العلاقة العلمية الماثلة بين الحصيلة العلمية التي وصل اليها العلماء عن الخلية الحيوانية وما تنطوى عليه ، وما يمكن ان نفترضه علميا عن كيفية نشأة جنس الحياة على الارض وتطورها من حال الى حال ، حتى استقرت عند بدء الوجود التاريخي للفصائل الحيوانية التي نراها من حولنا اليوم ؟

---

[٢] ارجو التنبيه هنا الى مدى الخلط الذى ينحرف فيه كثير من الباحثين بصدد الفرق بين ما يسمى حقيقة علمية ، ساب ونظريات تطوف حول التطلعات العلمية المحتملة

اعتقد ان من العسير جدا العثور على هذه العلاقة او الجسور الواصلة

فحتى عندما يتاح للباحث ان يصل الى معرفة تامة بكنه الشيء وجوهره ، لايتمكن ان يبني على هذه المعرفة وحدها قرارا علميا صحيحا عن الكيفية التي انبثق بها الوجود الاصلي لذلك الشيء بل لابد ان يضيف الى معرفته تلك سلسلة من المعلومات اليقينية الاخرى (يطول الحديث عن طبيعتها ومتعلقاتها) حتى يتمكن من الوصول الى مثل هذا القرار

الخطيئة الكبرى

ثالثا لعلنا كثيرا ما نقع في تلك الخطيئة الكبرى التي يسميها العلماء قياس الغائب على الشاهد عندما نحاول ان نغوص بافكارنا وتخيلاتنا في ظلمات الماضي البعيد ، لنعود منها ببوارق الحقائق العلمية ، الضاربة جذورها في اصل التكوين ، ونشأة الحياة ونحو ذلك فنحن في حياتنا الراهنة متأثرون بما نراه حولنا من عادة كونية قلما تشذ ، الا وهي عادة التدرج في كل شيء التدرج في السير نحو القوة وتكامل الوجود والتدرج في السير نحو الضعف والزوال ، والتدرج في تحول الطاقات وتبدد العناصر ، والتدرج في سير الزمن وتبدل معالمه الخ ونظرا الى ان هذه العادة استقرت في اخيلتنا ، لكثرة ما يتكرر واقعها على نفوسنا منعكسا عن كل ما حولنا ، فقد اصطبغت اعيننا وافكارنا منها بنظارات ، جعلتنا لا نستطيع التأمل في اى امر غائب عنا الا وهو موضوع تحت هذا المنظار .

وتحت هذا المنظار يبدو كل شيء محكوما بسلطان التدرج البطيء ، مهما كان غائصا في لجة الماضي او غائبا وراء حجب المستقبل . مع انه سلطان وهمي لا يستند الى اى برهان علمي متحرر من تأثيرات النفس ووقوعها تحت سلطان العادة والالف . والانسان ـ كما يقول الامام الغزالي ـ شديد التأثر بما يفعله الوهم في كيانه ، حتى ان كثيرا من افكاره وتصرفاته لاتنهض الا على منطلقات من ردود الفعل الشرطية ، او ما يسميه الغزالي : سبق التصور الى العكس ، وهو يحسبها احكاما

علمية نزيهة

رابعا بالاضافة الى هذه النقاط الثلاث التي عرضناها ، بعيدا عن النظر الى وجود الخالق وا مان به نقول فاما اذا انطلقنا بعد ذلك من اليقين بان الله خالق كل شيء وانه قادر على كل شيء (وهو يقيننا العلمي الثابت ، وهو القاسم المشترك الذى يجمعنا مع الدكتور عبد المحسن صالح على صعيد واحد) فاى مسوغ علمي يبقى لاتخاذ قرار يقضي بحتمية ان تكون نشأة الحياة او الكون على شكل وباسلوب معين ؟ ان تصور اى قيد من شأنه ان يحتم وجود الحياة بطريقة ما ، فرع عن تصور عدم قدرة الخالق على كل شيء ، او هو فرع عن تصور ان هذه القيود المحتمة اقوى فاعلية من ارادة الله عز وجل وكل ذلك يتناقض مع اليقين بوجود الله سبحانه وتعالى وقدرته المطلقة على كل شيء

نعم ، لنا ان نجتهد في تصور اسلوب ما من اساليب الخلق الالهي للكون ، او لبعض مخلوقاته ، ويبقى الاجتهاد عندئذ ضمن دائرة الاحتمال العقلي لايتجاوزها ، ولكن هذا الاجتهاد على كل حال مشروط بعدم وجود اخبار صريح متعلق ببيان الامر وهذا معنى قولهم لا اجتهاد في معرض النص

×× ×× ××

أما ان كلا من الخلق العظيم والفكرة العظيمة انما يتحقق يا سيدى ضمن سلطان الارادة الالهية المطلقة ، التي لا يوجد لنا اى دخل في اصطفاء متعلقاتها وانما لنا دور ، شاء الله ان يشرفنا به ، هو دور الافادة واستخراج المعارف منها لحياتنا فلنتلق نصوص القرآن الصريحة كما وردت ، لانقتحم اليها باى تأويل ، ولنقف منها وقفة تسليم وخشوع ، كما نقف الوقفة ذاتها امام غوامض الاسرار العظيمة التي تكتنف الشريط الوراثي الذى حدثتمونا عنه . ولنردد معا بخشوع العبد الضارع لمولاه قوله عز وجل

(ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) ■

دمشق د . محمد سعيد رمضان البوطي

اعداد : يوسف زعبلاوي

الهيدروجين
هل يحل محل البنزين في وقت قريب

● بحثت احدى الشركات الامريكية في صنع سيارة تسير بالهيدروجين بدلا من البنزين او ان شئت بالبنزين بدلا من الهيدروجين حسب رغبة السائق، ومعنى هذا ان السيارة مزدوجة الاجهزة . اجهزة البنزين التقليدية، واجهزة الهيدروجين الجديدة

والهيدروجين هو بيت القصيد بالنسبة الى هذه الاجهزة الجديدة . كما لا يخفى الا انه هنا ليس في حالته الغازية وانما في حالة امتصاص ضمن قطع صغيرة من معدن . لا تكاد تسخنها حتى تفرز الهيدروجين الكامن فيها ولما كانت هذه القطع غير موجودة في الاسواق . وكانت الآلة التي تصنع الهيدروجين على هذا النحو الاخرى غير موجودة كان لابد بيع هذه الالة مع سيارة الهيدروجين

على ان الآلة صغيرة نسبيا . لا يزيد حجمها على حجم الغسالة المنزلية والخامة الوحيدة التي تحتاجها انما هي الماء العادي الذي تجده في كل المنازل وهي تحتاج ايضا الى طاقة تستمدها من تيار كهربائي بقوة ٢٢٠ فولت كالذي تجده في المنازل ايضا وما عليك الا ان تدير الازرار فلا يلبث مستودع السيارة ان يمتلىء بقطع المعدن المشبعة بالهيدروجين بالمقادير المطلوبة

ويسع هذا المستودع كمية ٢,٥ كيلوغرام من الهيدروجين بما يكفي لقطع مسافة (١٧٠) كيلو مترا أما السرعة التي تستطيع السيارة الجديدة الانطلاق بها بوقود الهيدروجين فتبلغ في حدها الاقصى (١٢٨) كيلومترا في الساعة واما الاستهلاك فلا يقل عن ٦٤ كيلومترا للغالون الواحد

وتجدر الاشارة الى ان شركة (بلنجز انرجي كوربوريشن (Billings Energy Curp الامريكية هي التي تصنع آلة الهيدروجين التي ذكرنا وتعدل السيارات العادية المعروفة بحيث تصبح مزدوجة الاجهزة وهي التي تتولى بيع هذه السيارات في الاسواق

تحويل الصحراء الجرداء الى مروج خضراء هل اصبح قريب المنال ...؟

● الظاهر ان القضاء على العلة الاساسية في التربة الصحراوية بات في متناول اليد ذلك ان احدى الشركات السويسرية نجحت في تخليق مستحضر جديد كفيل بتحويل التربة الصحراوية الى تربة زراعية .

فهو يضمن مضاعفة قدرة تلك التربة على امتصاص الماء بما قد يصل الى مائتي ضعف ولا عجب . فمستحضر الاجروهيد نفسه ، Agrohyd ، وقوامه حبيبات صغيرة تضاف الى التربة المراد معالجتها كما تضاف

ـسمدة يستطيع امتصاص ماء بمقادير كبيرة تبلغ اضعاف ـره (١٢) ضعفا في بعض الاحيان اضف الى ذلك ان الاحروهيد يمكك التربة المتماسكة قاسية بحيث تصبح اكثر قابلية حرث وسائر الاعمال الزراعية ، ـسمح بنفاد الهواء الى جذور ـبات هذا والمستحضر الجديد لا ـحل ولا يفقد خصائصه ويحافظ لى فاعليته سنوات وسنوات

بقي ان نذكر ان الأحروهيد ـذا كان موضع تجارب واسعة النطاق في المملكة العربية السعودية وقد دلت تلك التجارب التي طال امدها اكثر من سنتين ان البذور التي زرعت في التربة الصحراوية التي عولجت بالأحروهيد بقيت حية بنسبة ٩٥٪ وانها ظلت تنمو بصورة طبيعة طوال سنتين وكشفت تلك التجارب ايضا عن ميزة اخرى للمستحضر الجديد قابليته للاستعمال في تربة زراعية غير صحراوية أصلا ، وقدرته في تلك الحال على توفير ماء الري بنسبة تتراوح بين ٥٠ ـ ٨٠٪

ثم ان العمل يجري بصددها على قدم وساق لا في امريكا فحسب ولكن في بريطانيا والسويد ايضا حتى بدت مصانع الادوية المعنية وكأنها في سباق تحرص فيه اشد الحرص على ان تكون الفائزة الاولى التي تسبق منافساتها في تسويق حبوب الاجهاض

حبوب للاجهاض جديدة تتناولها الحامل فتسقط حملها بسرعة وبسهولة

● يبدو اننا مقبلون على ثورة ـفوق الثورة التي احدثتها حبوب ـمنع الحمل وتلك التي قامت ـما زالت قائمة بسبب اباحة ـعمليات الاجهاض ويبدو ـيضا ان الثورة المرتقبة من شأنها ـن تهز هزا عنيفا معتقداتنا الخلقية الاجتماعية والدينية ، وتحدث ـقلابا جذريا في مفاهيمنا وفي ـسلك مجتمعنا بمجتمع الانسان ـي كل زمان ومكان ذلك ان ـحبوب الاجهاض باتت قاب ـوسين او ادنى الحبوب التي تعني عن عمليات الاجهاض والتي تتناولها المرأة الحامل دون حاجة الى طبيب او جراح ودون رجوع الى اب او زوج او شقيق فتسقط حملها بسرعة وسهولة بحبة او تحميلة واحدة هذه الحبوب ، اصبحت في طريقها الى الاسواق

فقد تخطت حبوب الاجهاض هذه مرحلة التجارب المخبرية وكذلك التجارب البشرية ولم يبق امامها سوى بضع شهور لتباع في الصيدليات كما يباع الاسبرين

على ان هذه الحبوب تكاد تكون واحدة من حيث التركيب والفاعلية ، وان تعددت مصادرها فهي مركبات اصطناعية للبروستاجلاندين Prostaglandin تضاهي مركباته الطبيعية ، وتمتاز عليها انها تحاميل صنعت بحيث تقضي على الحمل في مراحله المبكرة وبفاعلية لا تقل عن ٩٠٪ ، دون ان يكون لها آثار جانبية تذكر

وسيسهل على الحامل تناولها دون الحاجة لاشراف طبيب او عناية ممرضة وسيسهل على المرأة شراؤها ، سواء كانت متزوجة ام لا ، وبوصفة طبيب او بدونها وقد لا تشترط هذه الوصفة اطلاقا ما دامت التحاميل المرتقبة لا تعود على احد بضرر ، ولا يترتب عليها اي خطر

فهي لا تعبث بالبويضة الملقحة من قريب ولا من بعيد ، وانما تحول دون انزراعها في جدار الرحم فحسب

دا اشتبه المرأة بأنها حامل ما يكون هذا في الاسابيع التي تكون فيها ... ملقحة وقريبة من جدار ... ولكنها غير ملتصقة به ، ... تلك المرأة تحميلة ... ، عملت هذه التحميلة ... الحيلولة بين البويضة وبين ... وقضت على البويضة ... ان تصبح جنينا بالمعنى ... فتنزف المرأة الحامل نزفا ... مضاعفا ، ثم لا تلبث ... الشهرية ان تعود الى سابق ... ها

وليس معنى هذا ان البروستاجلاندين لا يؤثر الا في مراحل الحمل الاولى فلطالما لجأ الاطباء في الماضي الى استعمال مركباته الطبيعية بقصد اجهاض الحامل واسقاط حملها في مراحل الحمل المتأخرة التي تزداد خطورة عمليات الاجهاض فيها ان لم يتعذر اجراؤها

والغريب ان مركبات البروستاجلاندين الاصطناعية آمنة من مركباته الطبيعية وقد تعمدوا في صنعها ان تكون فعالة في اشهر الحمل الثلاثة الاولى فلا يكون لها مثل الاثار الجانبية التي كانت للمركبات الطبيعية

السوية المطلوبة ، طيلة شهر كامل واثبتت كذلك ان تكرار الحقن بهذا العقار ليس له اثار جانبية غير ان التجارب حتى الآن انما أجريت اكثرها على الحيوان وقد بدأوا في المدة الاخيرة اجراء تجاربهم على المتطوعين من بني الانسان وقد لا يمضي وقت طويل حتى تعمم هذه التجارب الاخيرة لتشمل المستشفيات والمستوصفات المتخصصة عندها يصبح العقار الجديد جاهزا للانتاج على نطاق واسع والبيع في الاسواق ثم التصدير

ويعتقد البروفسور ميشيوري (Michio ui) من جامعة هوكايدو ان العقار الجديد الذي عمل على تطويره في تلك الجامعة في السنوات الاخيرة سيجعل طرق معالجة مرض السكري بحقن الانسولين او حبوب الدايابينير او الداؤنيل او الدياميكرون او ما الى ذلك التي يتعاطاها المرضى يوميا طرقا بالية وحسبك ان العقار الجديد قوامه البروتين لا المواد الكيماوية ويتناوله المريض مرة في الشهر وبمقادير ضئيلة للغاية ثم انه يمتاز في فاعليته التي تتوقف متى هبطت نسبة السكري في الدم الى مستواها السوي فيحافظ عليها عند ذلك المستوى ولا يخفضها

بشرى جديدة لمرضى السكري

● الجراثيم ليست كلها ... وتصدق هذا على جراثيم ... السعال الديكي التي قد تكون ... نعمة كبيرة ، كما اكتشف ... علماء في اليابان مؤخرا

... لهم ان في استطاعة ... م ان تنشط البنكرياس ... العمل وافراز الانسولين ... طبيعية

... من ذلك ان اولئك ... علماء ... حوا في تحديد البروتين ... مهمة التنشيط هذه ،

ونجحوا ايضا في عزل هذا البروتين عن جسم الجرثومة ، جرثومة السعال الديكي وهكذا اصبح في مقدورهم اجراء التجارب على ذلك البروتين وعلى فاعليته بالنسبة لمرض السكر على نحو من التركيز

وقد اثبتت تلك التجارب ، فيما اثبتت ، ان حقن جزء يسير من الغرام الواحد من ذلك البروتين في العضل كفيل بالمحافظة على محتويات السكر في الدم بالنسبة

نداء الغاب

بقلم : الدكتور عبد الواحد لؤلؤة

ولد الروائي الامريكي (جاك لندن) في كاليفورنيا عام ١٨٧٦ في احضان الفقر وتكسب في العمل على متون البواخر وفي عام ١٨٩٧ ساهم في (حملة الذهب) التي هاجت في (اقليم كلوندايك) في الطرف الشمالي الغربي من كندا على الحدود الشرقية من (الاسكا) هناك عثر على الذهب في حقول ماء يدعى (كلوندايك) فتسابق اليه الوف من الباحثين عن الثروة حتى زاد عددهم على ثمانية عشر الفا من المغامرين عام ١٨٩٨ بعد تلك الهجمة تناقص الذهب في ذلك الاقليم ، ولكن (حملة الذهب) ما تزال ماثلة في اذهان الاجيال الامريكية اللاحقة ، يزيد في ترسيخ ذكراها عدد من افلام هوليوود التي تمجد المغامرات الفردية والتكالب والطمع الذي تهون دونه كثير من القيم الانسانية في سبيل ذلك الأصفر الرنان

وقد كان من شان الخبرة التي كسبها (جاك لندن) نشأته الفقيرة وفي عمله على السفن ، وفي مصاحبة المغامرين على الذهب في المتجمدات الشمالية وفي رحلاته البحرية الى بحار الجنوب الدافئة ، اكبر الاثر في ميله الى الافكار الاشتراكية في السياسة

وقد ضمن افكاره وخبراته في الكثير من حكاياته واقاصيصه التي كان يغزلها حول مسائل عاشها ولم يقرأ عنها في الكتب ، لذلك جاءت طرية في واقعيتها ملموسة في تفصيلاتها ، تكاد تكون صورا مما يصوره الفنان بالريشة والقلم

وهي الى ذلك صور قاسية ، ولكنها صور صادقة نجد هذه الصفات جميعا في مجموعته القصصية الاولى « ابن الذئب » التي نشرها عام ١٩٠٠ ، وهي تدور حول ظروف الحياة في اقاصي الشمال الاميركي المتجمد ومثل ذلك نجده في رواية « نداء الغاب » التي نشرها عام ١٩٠٣ ، وفي (ذئب البحر) التي نشرها عام ١٩٠٤ ، وكذلك في « الناب الابيض » التي نشرها عام ١٩٠٦ ، أما خبراته ورحلاته في بحار الجنوب الدافئة فقد ضمنها في « حكايات بحار الجنوب » التي نشرها عام ١٩١١ كما نجدها في « مارتن ايدن ـ ١٩٠٩ وجون بارليكورن » ١٩١٣ والروايتان الاخيرتان في ادب السيرة الذاتية بالدرجة الاولى وفي عام ١٩٠٧ نشر جاك لندن رواية « العقب الحديد » وهي تدور حول موضوعات اشتراكية الطابع وتتنبأ بحدوث ثورة فاشستية ، ومثل ذلك رواية « وادي القمر » التي نشرها عام ١٩١٣

نعص حي

رهط الكلاب

ورواية « نداء الغاب » تقع في باب المغامرات التي كانت تجـري في الاسـكا عام ١٨٩٧ ، في (حملـة الذهب) ، وربما كانت هذه الرواية من امتع واشهر ما كتب (جاك لندن) وقد ترجمـت الى العـربية اول مرة ونشرت ببغداد عام ١٩٦٢

هنا نجد رواية ابطالها كلاب لا بشر ، ولكنها كلاب تتصرف تصرف الآدميين وتفوقهم في احيان كثـيرة في « حفاظها للود » ، « كما قال الشاعـر العبـاسي علي بن الجهم والرواية تدور حول التكالب على الذهـب من ادميين يريدون لنا ان نصفهم بصفات ترتفع عن مستوى الحيوان ولكن الكاتب يقدم اولئك الادميين في اشنع صورة لمخلوق هنا الطمع والهجوم الشرس على الفريسـة والتضحية بالقيم « الانسـانية » في سبيل الكسـب ، والتضحية بالراحة الشخصية والصحة وكل الصفـات « الآدمية » في سبيل الربح ولا ينجو من هذه العيوب الخلقية الا نفـر قليل في رهـط المغامـرين ، لاينساهـم الكاتب يقدمهم في ضوء كاشف ، لكنه يدوم حينـا او

في مقابل هذه الصورة المتجهمة عن « رهط البشر » نجد صورة اخـرى من « رهـط الـكلاب » يتصرفـون بشكل يوازي تصرف البشر من « تكالب » وتنافس على السلطة والربح والقيادة ، وعدم الاكتراث لواحد منهـم يسقـط جريحـا في عراك او قتيلا في تعب في سحـب الزلاقات على جليد الاسكا ، اذ لايلبث « صحبه » من الكلاب ان يتعاوروه فلا يبقي في جثته غير العظام هذه الصورة الشرسة القاسية في « عالم الكلاب » هي صورة ما يجري في « عالم البشر » ، حيث تكون الثروة ام الكبائر

بهذا المعنى يمكن ان نقول ان جاك لندن كان يحمل افكارا اشتـراكية وهـي ما يدعـوه فلاسفـة السيـاسـة « اشتراكية طوبـاوية » اشـارة الى يوتيبيـا اي المدينـة الفاضلة باللغة الاغريقية ، وهـي الاشتـراكية المثـالية التي دعا اليها بعض الكتاب والمفكرين في اواخر القرن التاسع عشر في اوربا ، ومنهم الشاعـر الاديب (وليم موريس) الاستاذ في جامعة اكسفورد الذي ضمن اراءه الاشتراكية المثالية في كتابـه الموسـوم (اخبـار من لا

مكان) . وكلمة « لا مكان » هي الترجمة الحرفية للكلمة الاغريقية « يوتوبيا » اى المدينة الفاضلة التي لا توجد الا في (اللامكان) في ذهن الفلاسفة من رهط افلاطون في جمهوريته .

في ظل قانون العنف

وحديث (جاك لندن) عن الكلاب في رواية « نداء الغاب » حديث عارف بالكلاب محب للحيوان وللاقاليم والاصقاع التي اشتغل فيها وراقب الاخرين من بني جلدته والبطل في هذه الرواية كلب ضخم اسمه (بك) ، ولكن الكاتب يتحدث عنه كأنه يتحدث عن انسان له عواطف حب وكره ومشاعر الفة وعطف وذكاء مدبر مخطط لدفاع او هجوم ، وصبر عارف بالامور بالعامة في مجتمع ينتظر لها ان تتغير فيغتنم فرصته لتحقيق شخصيته او اثبات قدرته على العمل والتصرف ، وحديثه عن عدو (بك) وهو كلب من سلالة المانية من نوع « سيتز » حديث عارف بعقارب الحقد والكراهية تنتظر فترة للانقضاض

كان (بك) زعيم الكلاب جميعا في مزرعة القاضي (ميلر) في كاليفورنيا وهو كلب مولد من سلالة (سانت برنارد) وهي كلاب تتميز بالضخامة والقوة وسرعة العدو وتستخدم في عمليات الانقاذ في الجبال ، ومن سلالة كلب الرعاة الاسكتلندى الذى يتميز بالذكاء والصبر واليقظة لذلك كان بك جمع من السلالتين احسن مافيهما من صفات اكسبته محبة القاضي وزوجته حيث كان يعيش معهما في قصر المزرعة في رغد العيش ، يتمتع باحترام الكلاب جميعا ويخشاه جميع الفلاحين والعمال في مزرعة القاضي (ميلر) لكن (بك) لم يكن يدرك ان حمى البحث عن الذهب قد انحدرت من جبال الاسكا الى دفء كاليفورنيا ، وان الناس هناك ايضا راحوا يسارعون الى اقاصي الشمال بحثا عن الثروة العاجلة من اجل ذلك كانت الكلاب التي تضارعه في القوة والصفات موضع طلب شديد من المغامرين الذين راحوا يشترون تلك الكلاب لتسحب لهم الزلاقات على جليد الاسكا ولم يكن (بك) على علم بما يخبئه له القدر حينما اخذه احد عمال المزرعة في نزهة صوب محطة القطار حيث سمع الكلب حديث النقود يدسها في العامل شخص غريب وفي الحال التف حبل حول ع(بك) ولما حاول ان يتخلص منه ضاق عليه الحبل وكاد ان يحبس انفاسه فسقط مغشيا عليه ولما افاق وجد نفسه في عربة الامتعة في القطار الصاعد الى (سياتل) مركز ولاية (واشنطن) في اقصى الشمال الغربي من اميركا وعندما افرغت عربة الأمتعة حاول (بك) الفرار من محبسه ولكن رجلا بقميص احمر انهال عليه بهراوة غليظة افقدته وعيه ولم يكن لهذا الكلب المدلل معرفة بالضرب بالهراوة في رحى العيش في كاليفورنيا ، لكن ذكاءه الموروث جعله يتعلم الدرس بسرعة ويحاذر الهراوة في يد رجل غليظ حيثما ابصر بها ثم وضع (بك) مع اصرابه من الكلاب في حظيرة محكمة الاغلاق ، وكان بعض الرجال الغرباء يأتون الى الحظيرة في كل يوم يحملون النقود ويعودون ببعض رفاقه من الحظيرة وجاء يوم حمله معهما اثنان من الكنديين الفرنسيين الذين اشتروا (بك) مع كلاب اخرى وضعوها على متن سفينة ابحرت نحو الاسكا كان الرجلان يتميزان بالانصاف رغم خشونة في طبعهما ، فكسبا بذلك احترام (بك) لم تكن الحياة على ظهر السفينة حياة ممتعة لكنها كانت فردوسا بالقياس الى ما كان ينتظر (بك) في الاسكا هناك وجد رجالا وكلابا لا يختلفون عن الوحوش ولا يعرفون غير قانون العنف

هناك كانت الكلاب تتصارع كانها الذئاب فاذا سقط أحدها انهال عليه الاخرون يفترسون حتى العظام كان (بك) يراقب احد رفاقه على ظهر السفينة وقد سقط في الصراع ، وكان الى جواره كلب ضخم من نوع « سيتز » الالماني يراقب مشهد المغلوب ولا يبدى حراكا منذ تلك اللحظة اصبح الكلب الالماني عدو (بك) المقيت

ولت أيام العز

اسرج (بك) مع كلاب اخرى الى زلاقة الرجلين الفرنسيين الكنديين اللذين كانا ينقلان البريد الى الباحثين عن الذهب في الاصقاع الشمالية النائية في الاسكا كان ذلك نوعا جديدا من الحياة لم يألفه

( ) ولكنه لم يعترض عليه كان الرحلان منصعين في معـ لة الكلاب وكان (بك) من الذكاء بحيث تعلم بسرعة ما جعل منه كلب زلاقة بارعا في عمله ، فقد تعلم كيف يحفر في الجليد بحثا عن مكان دافىء ينام فيه ، وتعلم كيف ينظف المسالك في الثلج ليسهل حركة الزلاقة واذا عصه الجوع بانه تعلم كيف يسرق طعامه بعد ان ولت ايام العز في قصر القاضي في كاليفورنيا وكلما ابتعدت الزلاقة في أقاصي الشمال ، كانت غرائز اجداده تتحرك فيه فيعود الى طبيعة الكلاب وبدأ يحس احساسا غامضا بدهاء الذئاب وحيلتها وقد كانت الذئاب احداد الكلاب القدامى في حياة الفيافي والقفار ومجاهل الادغال والغابات وبدأت عضلات (بك) تشتد وتقوى من جراء الرياضة العنيفة . لكن اقدامه عادت بحاجة الى ما يحميها من قرص الجليد كانت الكلاب تتساقط من ارهاق ، او تموت في صراع وكانت بعض الاناث تصاب بالجنون ولم يعد رهط الكلاب على زلاقة (بك) يعمل بصورة جماعية مكان على متعهدي نقل البريد التزام الحذر الشديد وذات يوم لاحت الفرصة مؤاتية امام (بك) كان الكلب الالماني قائد الزلاقة فتحين (بك) لحظة وانقض على عدوه القديم وارداه قتيلا وبعد ذلك خلا الجو امام الكلب الشجاع ليتسلم قيادة الرهط واثبت قدرة عظيمة في ذلك كان يرغم الكلاب المتمردة على الرجوع الى النظام في سحب الزلاقة فصار افضل كلب رأته عيان وسجلت زلاقة (بك) ارقاما قياسية في السرعة واصبح (بك) اشهر الكلاب في تلك الاصقاع وجاء يوم تسلم فيه الرحلان أوامر تقضي بتسليم القيادة الى كلب اسكتلندي هجين ، واشتدت وطأة الشتاء فجلس (بك) الى جوار النار يحلم باجداده في مجاهل الغاب وبدا عليه انه سمع نداء من بعيد يأتي في العمق يشبه عواء الذئاب

بدأت الزلاقة طريق العودة وقد نال التعب من الكلاب فما عادت تطيق حراكا وفي مرحلة توقف في طريق العودة ، بيعت الكلاب الى رجل وامرأة لاعلم لهما بشؤون الكلاب وجر الزلاقات وكان لا بد من الاستمرار في طريق العودة ولكن الاجهاد لم يعد معه حتى ضربات السوط ، فقد بلغ الارهاق مبلغه حتى ان (بك) نفسه رفض ان يتحرك توقف الرهط عند كوخ على الطريق اسمه (ثورنتن) فانهال احد الرحال يضرب (بك) بنفسه في محاولة لحمله على مواصلة المسير وهنا تدخل (ثورنتن) فطرح الضارب ارضا وانقذ (بك) من المعتدي فاضطر المالك الجديد ان يترك (بك) في رعاية ثورنتن الذي ضمد جراحه وعاد به الى سابق عافيته وهنا نشأ نوع من المودة والاحترام بين الكلب وصديقه الجديد وفي مرتين انقذ (بك) حياة صديقه الودود وفاء ما ابداه في حمايته ضد مالكيه وذات مرة كسب (بك) رهانا قام به (ثورنتن) اذ احنق اضخم الكلاب في زحزحة زلاقة صكها الجليد تحمل اكثر من خمسمئة كيلو من المتاع ولما زحزحها (بك) وانطلق بها كسب ثورنتن اكثر من الف دولار من الرهان ، استخدمها في رحلة بحث عن الذهب مصطحبا (بك) الى شرق الاسكا هناك ابصر (بك) رجلا يغطيه الشعر يصطاد بهراوة ، وسمع عواء الذئاب وكان احيانا يغيب في المجاهيل ثلاثة او اربعة أيام يعود بعدها الى صاحبه (ثورنتن) وذات مرة صاحب ذئبا كان يسير معه وكأنه يردد قول الحطيئة تعش فان عاهدتني لا تخونني/نكون كمن يا ذئب يصطحبان وذات مرة طارد جاموسا وحشيا فقتله وعندما عاد الى المخيم احس ان شيئا غريبا قد وقع خلال غيابه فقد وجد على الطريق عددا من الكلاب قتلى ، ثم وجد جماعة من الهنود الحمر ترقص حول جثث الكلاب بينها صاحبه (ثورنتن) تغطي جثثهم السهام انطلق (بك) في اثر صاحبه (ثورنتن) فوجد جثته ملأى بسهام الهنود الحمر عند ضفة النهر ، وثارت ثائرة الكلب الوفي فهاجم رهط الهنود فشتتهم بين قتيل وجريح

وبعد ان انفصمت اخر عرى علاقة (بك) بالبشر انتقل الى رهط من اصحابه الذئاب في مجاهل الغاب وصار الهنود الحمر يخشونه اذ حسبوه روحا شريرة دخل في جسد كلب وكانوا يتطيرون اذا سمعوه يخطف ازاءهم فيهربون من وجوده ولكن (بك) كان يعود مرة كل عام الى ضفة النهر الذي ضم جثة صديقه (ثورنتن) ، هناك كان يقف بخشوع ويطلق عواء طويلا يخترق ارجاء الفضاء ، وكان بذلك يقدم برهان الولاء من وحش الى صديقه الوفي من بني البشر ■■

بغداد ـ عبد الواحد لؤلؤة

ر يد الخير لجارك ، تلاقيه في دارك « مثل شعبي » ·

عن الأمثال الشعبية في سوريا

بقلم احمد ابراهيم السيد

غالبا ما تعتمد الامثال في سوريا على فكاهة السجع والتضاد ، مما يسهل حفظها وتوسع انتشارها فتراهم يقولون مقارنين بين الغني والفقير في الشتاء ، (الربكين ـ الغني بالركبة ـ يقول احا الشتا ولبس الفروات وحكي الحكايات واكل الكبابات ، والدرويش يقول احا الشتا ولبس الشراطيط وترق المحاطط ـ الحساء ـ واكل القرسط)

وفي الحقيقة ان المثل مرآة تعكس افكار الشعب ومطامحه ومادة خصبة يستفيد منها المؤرخون والباحثون الاجتماعيون . فالمثل (تركيا حوبة وبريطانيا محبوبة وفرنسا طاحوبة) ، يلخص فترة طويلة من تاريخ سوريا الحديث ، فبعد ان وعدت بريطانيا للعرب الاستقلال ، فيما اذا ثاروا على الدولة العثمانية ، فلما فعلوا ، تنصلت بريطانيا من وعودها المعسولة ، واعطت الشام للفرنسيين بموجب اتفاق سايكس بيكو ، ودخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق بعد ان سار على اشلاء شهداء ميسلون ، وفيهم وزير الحربية البطل يوسف العظمة ازاء هذه الاحداث ، حن السوريون الى رحمة العثمانيين ونعتوا الانجليز بالجنون ، والفرنسيين بالتخريب والوحشية ، وترجموا شعورهم هذا مثلا

وحدة النفس البشرية

لا فرق بين المثل الشعبي في سوريا وغيره في اى مصر عربي آخر ، هذا اذا استثنينا تعبيرا بسيطا مما تقتضيه اللهجات المحلية الدارجة ، ففي حين يقول السوريون (قالوا للقاق (الغراب في اللغة السريانية) ليش تتشل الصابونة ؟ قال لهي الاذى طبع) ، يقول المصريون ـ مثلا ـ (قالوا للغراب تسرق ليه الصابونة ؟ قال الاذية في طبعي) ، بل ان كثيرا من الامثال واحدة في غير لغة من اللغات ، واكثر من ذلك المتشابهة ، لان الاسرة الانسانية واحدة في فطرتها فالمثل (البطالة أم الرذالة) ، نجده بالفرنسية l'oisiveté est la mére de tous les vices

ونجد بالانكليزية adleness is mother of evils

كما نجده في تراثنا الشعري . قال ابو العتاهية

ان الشباب والفراغ والجدة
مفسده للمرء اي مفسده

وقال اخر « واسباب البلاء من الفراغ »

ونحن نستطيع ان نجد كثيرا من امثالنا في مجمع ل الميداني ، اى انها ترجع الى نحو سبعمائة سنة ، ذلك قولنا (اذكر الديب وحضر القضيب) كذلك ضربت اوجيع واذا اطعمت اشبع » ولا شك انها رة افصح

ويقول الاب يوسف قوشا فحي انه وجد هده نال الثلاثة (لورحنا للقبور نطلع لنا داقور ، هده ما ومائة هدى قلوب مليانه ، مطر نيسان يحيى قلب سان) ، [1] وجدها في كتاب الخط المحفوظ في خزانة رابية المارونية بحلب ، الذي نسخ في العام ١٦٦٦ دية ويقول ايضا انه وجد هذا المثل (ان ردت اسك نحر لو قصبان) في الكتاب المقدس ، في سفر نال « ١٣/٢٤ و ١٣/٢٣ » [2]

الامثال ذات الصبغة الدينية

ندعو السوري قائلا (فرجك يا رب قريب وقاصدك نحسب) وقول (المال هدا الاسداد والاسداد هدا سان) و (لا تتكبر الله اكبر) و (العمدة ع الاخرة) ويخاطبك بثقة (كون مع الله ولا تبالي) و (ان كنت مع الرحمان لا تخاف من تقلبات الزمان) و (ابو الوليدات لا تبات مهموم ، ررق الوليدات عند رب السما مقسوم) ويؤكد (الشكوى لغير الله مدلة) وان (الصلاة والصوم اخير من النوم) ويقول (لا ترهب الا ربك ولا تخاف الا دنبك) ، بل اننا نستطيع ان نسمع امثالا تحمل طابع الغيرة الصحيحة (متل ما الدين لله كمان الوطن لله) ، (قال لو تتعرف مين الشيطان ؟ (قال لو اى ، اللي ما يلقش كلمة الحق) [3]

روافد المثل الشعبي

نستطيع ان نقول ان اهم ما يرفد الامثال الشعبية لدينا هو القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والتاريخ فقولهم (ما يدوم غير وجهو الكريم) ، ماخوذ من قوله تعالى « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » [4]

والمثل (اللي يدل ع الخير مثل اللي يعملو) عن الحديث الشريف « الدال على الخير كفاعله » والمثل (ان عاب عنك اصلو دلك عليه فعلو) ، يحاكي بيتا من لامية الشيخ عمر بن الوردي

لاتقل اصلي وفصلي ابدا
انما اصل الفتى ما قد حصل

والمثل (الكريم كل ما تحتو ملكتو) مأخوذ من صدر بيت للمتنبي « اذا انت اكرمت الكريم ملكته »

---

(1) داقور مارع ، والمثل الثاني يضرب حين خصام شخصين بسبب تافه يتحدانه درجة ويكون النزاع لحقد متبادل .

(2) الامثال الشعبية الحلبية ، ج ١ ص ١٧

(3) للفس ارامية معناها يتكلم ، وغير خاف ان المثل مستوحى من الحديث الشريف « الساكت عن الحق شيطان »

(4) هده الآية الكريمة ممسوخة اللفظ باقية المعنى ، فنحن لا نجدها مكتوبة في القرآن مع ان معناها صحيح

اما المثل القائل (جادلت الغشيم غلبني ، جادلت الفهيم غلبتو) فلا ريب انه مأخوذ عن الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ اذ يقول « ما ناقشت عالما الا غلبته وماناقشت جاهلا الا غلبني » وحين نسمع السوريين يقولون في احدهم (انـدل من جحـي) ، يتبادر الى ذهننا قول اجدادهم العرب « اعيا من باقل » [٥]

قالوا عن المرأة

يتكلمون عن عمر المرأة فيقولون (بنت عشرة لوزة مقشرة ، بنت عشرين برهة للناظرين ، ست ثلاثين ام البنات والبنين ، بنت اربعين ابرد من الاربعين ـ اي اربعينية الشتاء ـ ، بنت خمسين عجوز في الغابرين ، بنت ستين حضروا لها السكين ، بنت سبعين الله يلعنها والملائكة والناس اجمعين) ـ استغفر الله ، فللمرأة المسنة وقارها وهيبتها ، وهذا وان كان على سبيل المزاح ، فانه غير مستحسن ، ومع انهم يقولون (البنت بسبع حسنات) فانهم يتشاءمون منها حين الولادة (صوت حية ولا صوت بنية) والغريب ايضا قولهم (الله يحمينا من شر الحكام والظلام والنسوان والشيطان) والمفروض ان تنتهي هذه النظرة منذ ان قال الرسول عليه الصلاة والسلام « النساء شقائق الرجال » وعلى كل فهذه الاقوال لا تعيش الا في الاوساط الجاهلية ، ومن ذلك قولهم (البنت ان سلمت من العار بتجيب العدو للدار) وقولهم (الشيطان قال انا اللي بعلم الرجال وبتعلم من المرا) .

ازاء هذه النظرة المظلمة نجد نظرة منصفة ، كقولهم (بنت مليحة ولا صبي فضيحة) وقولهم (قالت لو يا اخوي تصير امير القلعة ، قال لها يا اختي تصيري حفيانة وبالقرعة) ، فهم يؤكدون ان الفتـ صبي طـ واسلم نية وكما ان الولد ينشأ على سيرة ... فان الـ تكتسب خصال امها (طب اللقن على قعـ تطلع الـ لاباه ، طب الجرة على تمها بتطلع الست لامها) [٦] (ا ردت تبهدل رجال سلط عليه مرا ، وان ردت تبهدل مـ سلط عليها ولد) ويقولون عن الجميلة (رندها بـ لها مرايا) ويظهرون اهميتها (الرجال بلا مرا متل حاتـ بلا جوهرة) وعملها (الرجال يجبني والمرا تبني) وحيـ نزاعها مع زوجها يجرن اهلها ، فقد يؤدي هذا الى طلاقها وهو خطب عظيم (ايش اثقل من الرصاص غير رجوع البنت الى الاساس) ويقولون للزوج (اللي بدو ياخد بنات الناس بدو يرضيهن) ، وسرعان ما ترضى فتقول (جهم جوزي ولا جنة اهلي)

امثال العمل

اذا لم يخلقك الله جميلا فعلام هذا الخمول ؟ نعم (اكوس مني من الله اشطر مني ليش ؟) ويمجدون التعاون فيقولون (ايد فوق ايد من هون للسما) ذلك لان (ايدو وحدها ما بتصفق) ويحضون على العمل (الشغل صابونة القلب) واذا عملت باكرا لان (المال الكتير من الشغل بكير واصنع (فالصنيعة اذا ما غنت بتستر) وتاجر لان (التجارة امارة ولو كانت بحجارة) فاعمل فالتأوه لا يجدي (لو كانت كلمة آه تشفي قلب قايلها لاصل ـ لأظل ـ اقول كلمة آه لا اغيرها) ومثله التمني (زرعنا « لو » حصدنا « لا شيء ») واذا صنعت الخير فان ذلك لا يضيع عند الله ان ضاع عند العباد (اعمل الخير وارميه في البحر ، اذا ما بين مع السالق ، يبين مع الخالق) [٧]

---

(٥) باقل رجل من ربيعة ، بلغ من عيه ان اشترى ظبيا باحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريـ ـلظبي فمد يديه وطلع لسانه يريد « احد عشر » فشرد الظبي وكان تحت ابطه

(٦) اي ارم « اللقن على عقبه ، واللقن كلمة فارسية تعني طست النحاس .

(٧) السالق : تركية معناها السمك وقد اتت لتوافق الخالق قافية ، فالمقصود جميع الخلق

نظرة في الذوق

لابد ان يكون مظهرك حسنا في عيون الآخرين (كول ما يعجبك والبس على ذوق الناس ، لان الاكل لمدني واللبس لعين الناس) ، وحين الاكل (كول عند تحوع وقوم قبل ما تشبع) ومن ارائهم في المأكولات العز للرز والبرغل شنق حالو) و (الرز بحليب كلما برد طيب) وربما كان من اسباب تعلقهم بمدينة ما هو اكلها الشهي (قالوا بتحب حلب ؟ قلت لو بحب حلب باج المعالي والرتب ، ام المحاشي والكبب) والمسألة مسألة ذوق ، ولذلك (اللي مالو ذوق يقع عليه شيء من ذوق) ، وعليك بالاعتدال (اذا كان صاحبك عسل لا تلحسو كلو) ومن اصول الذوق السليم (لا حدايل سعة ولا طاول ع القرعة) وذوقك يجب ان يميز لانه (موكل شيء لمع صار دهب) والمتعة الروحية اهم من المادية (ان جاعت البطن بأيش ما كان قوتها وساعة السط عمرك ما تفوتها) ، وفي النهاية (اللي ما يراعي ذوق الاهالي تربيه الايام والليالي)

طباع وسجايا

لا ريب أن (الخط الاعوج من التور الكبير) ذلك لأن (الحكم ملح الارض) فان كان فاسدا فسدت ، والا صلحت ، ولأن (كل ديك على مزبلتو صياح ، وكل كلب على بابو نباح) وحيث يسود القانون الوحشي ، فان الناس (مثل السمك ، كبيره بياكل صغيره) ويؤكدون على أن النفس مجبولة على العزة (العين ما بتحب اعلى منها) وعلى الحرية (خبز وبصل وحرية ولا جيع وعسل وجيرية) و (الجيجة ـ الدجاجة ـ بتقول افلتيني ولا تطعميني) وعلى الاحتاع (جنة بلا ناس ماتنداس) وعلى شكر من أحسن اليها (الجيجة بتشرب وبتطلع لربها) ومن المعروف ان (صدور الاحرار قبور الاسرار) وان (الله يستر على اللي يستر) و (اللي يحفر لأخوه جبا يقع فيه منكبا) ولا جدل فـ (اللي نفسو شريفة أطباعوا لطيفة) و (الصديق وقت الضيق) و (بيت الضيق يتسع لألف صديق)

وتجب الاشرار (الخطأ والعار من القهار والاشرار) ولأن النهاية وخيمة (رافق السوم بدلك ع الخراب) ولكي لا تصبح منهم (تينة حنب تينة بتستوى) ويقولون في التعالي عن الدنايا (ابعد عن الشر وغنى له) و (الجواب على السفيه السكوت عنو) وأيضا (السعيه داريه واعمل كعك وطعميه) وفي مجال التربية (ابنك وهو صغير ربيه وان كبر خاويه) و(اللي ما بتأثر بالكلام ما بتأثر فيه عصا السنديان) وفي الاحسان (دين الجوعان بغنيك الرحمان) و (اعط الفقير والعوص على الرب القدير) وعليك وبالتواضع فان (الارض الواطية تشرب ماءها وماء غيرها) وفي الجوار يؤكدون (جارك مثل أخاك) و (ريد الخير لجارك بتلاقية في دارك) و (دكان حسب دكان والرزق على الله) واذا كنت عندهم (فالأكل على قد المحبة) و (أكل الرجال على قد فعالها) وفي الادب (يا غريب كون أديب ، البلد اللي ما هو بلدك احفظ فيه شرفك) ، ثم أختم بمثل في الذروة من التسامح والسمو ، اذ يقولون (أشو مسلم أشو نصراني وكلهن خلقة الرحمان) ■■

حلب ـ أحمد ابراهيم السيد

هكذا زوجتي !

● المليونير الامريكي لصديقه كنت انوي ان اقوم بأحاره اطوف فيها بالكرة الارضية ولكني اضطرت للعدول عن هذه الفكرة ، لان زوجتي كعادتها تقترح دائما مكانا غير الذى اقترحه

ماسويه المارديني

عالم الطب الذى نسيناه وتذكره الغرب !

هذا العالم الكبير - ماسويه المارديني - أهمله العرب فحجب عن بصيرة التاريخ وبصره .

بقلم : الدكتور فيصل دبدوب

الحياة حظوظ في معظم الاحيان ، او انها هكذا في بعض الاحيان ، او ان الحظ له دوره في باحة الذكر وحوله فحسب ، او اننا هكذا نحاول ان نعلل ونحلل بعض الامور ان اعوزنا التعليل العلمي فنقول بالحظ ، فان قلنا به على سبيل الفرضية وليس على سبيل اليقين ، قلنا على هذا القياس بان من الناس من يكون الحظ قريبهم فيسه ذكرهم فيظهرون ، وآخرون يعرض عنهم الحظ فلا يظهرون والحظ الذي يلعب دوره في خمول الذكر وساهته لا يستثني العلماء من الاطباء بل يلعب باقدارهم ويلهو بها ، فيرفع اقواما ويذر آخرين .

ومن بين هؤلاء الذين نسيهم الحظ او تناساهم فلم يرفعهم بل تركهم في زاوية النسيان ، ماسويه الماردينى الذى اهملته مصادرنا فعرفناه من الغرب ، وهو ما حفزني أن ابحث عنه حتى احده ، فان وجدته نفضت عنه غبار الاهمال كما ينفض الغبار عن تمثال عظيم نسيه التاريخ ثم تذكره ثم رفعه الى مكانه اللائق به بين الاعلام

ضآلة مؤسفة

ـ معلوماتنا عن ماسويه ضئيلة ضآلة مؤسفة فهي لا ... ولا تروي ولا تشبع نهم الباحث ، او المؤرخ ، او الـ... ، او غيرهم ممن تستهويهم السير بدافع من حب الا... مصاه او التاريخ او العلم او بدافع منها جميعا . ... ما نعرفه عنه أنه ولد في مدينة ماردين ، وهي مدينة ... في منقطة الجزيرة زمن الخلافة العباسية ومن مدن الجمهورية التركية في الوقت الحاضر ، وكانت ولادته في الثلث الثاني من القرن العاشر الميلادي ، في بيت من تلك البيوتات العربية التي لها حظ من علم ، والتي كانت تقيم في هذه البلدة ، وكانت أسرته على المذهب اليعقوبي (الارثوذكسي) فنشأ على دين آبائه ومذهبهم ، وبعد أن نال ما استطاع نيله في بلدته من معرفة لم تشبع نهمه غادرها الى بغداد عاصمة الخلافة ومركز الاشعاع الحضاري آنذاك ، فنهل فيها من علوم الطب والصيدلة والنباتات الطبية وما الى ذلك ما استطاع اليه سبيلا ولما ارتوى مما نهل او كاد ، وربت ثروته العلمية او قاربت ، غادر الى القاهرة صنو بغداد ومنافستها ، فاقام فيها يزاول مهنة الطب زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ، الى أن وافاه الاجل عام (١٠١٥ م) فدفن فيها عن عمر يناهز التسعين عاما

قلنا ان ماسويه يكاد ان يكون اسمه مجهولا عند مؤرخي الطب العربي ، بينما هو مشهور وذو مقام مرموق في أوربة في القرن الحادي عشر ، وربما كان كذلك ، لان مصنفاته ترجمت باكرا الى اللاتينية حينما كانت أوربة في أشد الحاجة الى المؤلفات الطبية ، أو لأن اسمه كان يدغم احيانا مع اسم ماسويه الاكبر (٧٧٧م - ٨٥٧ م)

والآن بعد ان ذكرت هذا الموجز او رسمت هذه الخطوط والظلال عن حياة ماسويه ، اود ان اعود الى المؤرخين الذين تحدثوا عنه وكلهم من الغرب ، اما ما

ورد عنه في المصادر العربية المعاصرة فانها لا تخرج عن كونها مقتبسات من المصادر الافرنجية .

ماكتب عنه

حدثنا السيد حكمت نجيب عبد الرحمن في كتابه « دراسات في تاريخ العلوم عند العرب » (جامعة الموصل ١٩٧٧/ص ٣٤١) قال ان ماسويه الماردبي (ت ٤٠٦ هـ = ١٠١٥م) اشتهر في بغداد وعاش في القاهرة ويسمى في اوربة ماسويه الصغير ، ومن أهم مؤلفاته كتاب في العقاقير يقع في اثنى عشر جزءا ، اشتهر في اوربة وبقي قرونا عديدة الكتاب المدرسي الاول

وحدثنا كذلك الدوميلي عن ماسويه في كتابه « العلم عند العرب » في ص ٢٤٠ - الكتاب مترجم قال . ونلتقي في مصر بما سويه الماردبي المسمى عند الغربيين Mesue Gunior الذي عمل في بلاط الخليفة الحاكم بامر الله وصار حجة في الصيدلة وقد عرف في الغرب بعد ذلك من كتابه Pharmacopoeia Evangelista .

وقال جورج سارتون في كتابه « المدخل الى تاريخ العلوم في Introduction to the History Of Science (ص ٧٢٨/الجزء الاول) . ان الغرب اطلق على ماسويه الماردبي اسم Mesue the Younger اي ماسويه الاصغر .

وورد في كتاب « تراث الاسلام » ترجمة جرجيس فتح المحامي (طبعة بيروت عام ١٩٧٢ م ص ٤٧٥) ما يلي · الف ابو منصور موفق الهراتي (من هرات في فارس) حوالي سنة (٩٧٥ م) مجموعة بالفارسية اسمها « اسس الخواص الحقيقية للعلاجات » وصف فيها خمسمائة وخمسة وثمانين عقارا . وقد احتوت ايضا على معارف يونانية وسريانية وعربية وفارسية وهندية ، وثم رسائل عربية من هذا النوع نفسه نذكر منها رسائل ماسويه الماردبي البغدادي والقاهري (ت ١٠١٥ م) .

وقد علق « المعرب » على ما جاء عن ماسويه في نفس الصفحة فقال : وماسويه يدعى بالأصغر تفريقا له عن (يوحنا بن ماسويه) . درس الطب ببغداد ومارسه زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله ، وتوفي في [illegible] واشهر تآليفه مجموعة مختصرة للوصفات الطبية [illegible] الى اللاتينية ويكاد اسمه ان يكون مجهولا من العرب بينما سطع في اوربة في القرن الحادي عشر وكان في مقدمة من ترجم لهم الى اللاتينية

ورروي لنا (ادوارد ثيودور وثنكتون) في كتابه (تاريخ الطب منذ العصور القديمة) Medical History From the Earliest Times (طبعة لندن / ١٩٦٤ م) (ص١٧٤ - ص ١٧٥) ان اخبار ماسويه الاصغر مستقاة من مصادر لاتينية كتبت في القرنين العاشر والحادي عشر ومصدرها الحقيقي ليو الافريقي Leo Africanus الذي قال : ان ماسويه الماردبي كان طبيب الحاكم بامر الله وانه توفي عام (١٠١٥ م) ، فاذا كان ذلك كذلك فانه من الراجح قد القى بعض المحاضرات في بيت الحكمة في القاهرة في موضوع له صلة بثقافته الطبية او الصيدلانية او ما يتعلق بهما من علوم . الا ان المصادر العربية قد سكتت ولم تفصح في هذا المجال

أساس أدوية الغرب

قال الدكتور ادوارد ثيودور ولنكتون في كتابه « تاريخ الطب منذ العصور القديمة » (ص ١٧٤ - ص ١٧٥) ان اقدم دستور ادوية Pharmacopoeia صدر في جنديسابور (في فارس) ولكن أكثر اهمية من هذا الكتاب هو كتاب « المادة الطبية » Meteria Medica المنسوب الى ماسويه الاصغر (الذي معلوماتنا عنه قليلة) ، وقد كان هذا الكتاب العامل الاساسي في ظهور الادوية في الغرب ، وكان العمدة في الصيدلة في اوربة ، وقد احتوى على ثلاثين جزءا ، وبقي على مكانته العلمية واثره الكبير في الطب والصيدلة الى امد بعيد يصل الى نهاية القرن الماضي وقد عرفنا من [illegible] الكتاب معظم الادوية التي حضرها العرب بانفسهم [illegible] جلبوها اليهم من اقطار اخرى لاستعمالها في فن المداواة منها . السنامكي Senna ، والراوند Rhubarb والكا[illegible] [illegible]ssia Fistula والخيارشنبر Cloves والقرنفل Camphor والمن Manna والمسك Musk وجوز الطيب Nut meg الهند Tamarin والكبابة Cubebs والبرتقال [illegible]ange

والليمون Lemon والذهب واللؤلؤ، والعنبر Ambergris ، وحجر البادزهر Bezor Stone والشراب Syrup والجلاب Juleps والمواد المستحضرة بالتقطير.

وقال الدكتور جورج سارتون ان ماسويه الف كتابا في الاسهالات والحقن الشرجية ، ولكن الكتاب الذي اكسبه الشهرة هو ـ Compositorum Antidotarum Siva Grabadin Medica Montorum ـ اي كتاب « الترياق والاقرباذين المركب » ويتألف الكتاب من اثني عشر مجلدا ، وهو يبحث في علم الادوية الطبية ومضادات السموم وقال عنه سارتون ان معلوماته مستقاة من علوم المسلمين في هذا الباب ، وانه كان الكتاب المدرسي المعول عليه في علم الصيدلة في الغرب لعدة عصور « انظر المدخل لتاريخ العلوم لسارتون / الجزء الاول / ص ٧٠١ ، ٦٩٩ ، ٦٩٨ »
وقال الدوميلي في كتابه « العلم عند العرب ص / ٢٤٧ » ان هذا الكتاب طبع في البندقية عام (١٤٧١م)

كما نشر كتابه المسمى في الغرب Practica Medicinarum Practicularum
ويسمى هذا الكتاب كذلك Liberde Appropriates وتوجد له طبعة نشرها Pietro dAlbono ، والطبعة التالية لذلك كانت في البندقية عام (١٤٧٩) وتحتوي على تكملة عنوانها Francisci de Pedimotium Comlementum كما تحتوي على كتب اخرى لمؤلفين اخرين وطبع بعد ذلك طبعات اخرى في البندقية في السنوات ١٤٨٤ م ، ١٤٨٥ م ، ١٤٨٩ م ، ١٤٩٠ م ، ١٤٩١ م ، ١٤٩٥ م ، ١٤٩٧ م ، ١٤٩٨ م وطبع الكتاب كذلك في ليون عام ١٥٣١ م و ١٥٣٣ م ، كما نجد طبعة له في باريس عام ١٥٤٢ م) لترجمة جديدة بقلم سلفيوس Jac Sylvius ، ولكن طبعات كتاب ماسويه لا تزال تتكرر كثيرا ومن احسنها طبعة Guinta في البندقية عام (١٥٤٩ م) ومع ترجمتان ، الترجمة القديمة ، وترجمة سلفيوس ، ومعها ايضا كتب اخرى عديدة عربية ومسيحية (وتوجد طبعات اخرى مشابهة عند جيونتا ، وفالجريزي في السنوات ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ومع حذف جزء من الترجمة القديمة سنة ١٥٨٩ م ، و ١٠٦٢ م (انظر العلم عند العرب لا لدوميلي / ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى / الناشر دار العلم ص ٢٤٨) .

اكثر الكتب قراءة

اقول وزيادة على هذه الطبعات الكاملة توجد طبعات جزئية كثيرة باللاتينية ، وست طبعات بالايطالية (مودينا ١٤٧٥ م ، البندقية ١٤٨٧ م ، فلورنسة نحو سنة ١٤٩٠ م ، البندقية ١٤٩٤ م ، ١٥٥٩ م ، ١٥٨٩ م) ومن هذه اللمحة عن كتب ماسويه يمكننا ان نرى انها كانت اكثر الكتب المقروءة من بين الكتب التي نقلت عن المكتبة العربية (انظر العلم عند العرب لالدوميلي / ص ٢٤٨) .

وقال الدوميلي كذلك في حديثه عن ماسويه انه جراح عربي له ترجمة اخرى لاتينية من عمل فراريوس Ferrarius ترجع تقريبا الى نفس الزمن المذكور ، وعنوانها جراحة ماسويه Cyrurgia Joannis mesue

لقد اطلع العلماء من اطباء الغرب ومن اولئك الذين يمتون بصلة الى العلوم الطبية على مصنفات ماسويه الطبية وعلى التي لها صلة بالطب من بعيد او قريب ، فدرسوها ودرسوها تلامذتهم في بعض الاحيان ، فكانت اكثر الكتب المقروءة من بين كتب المكتبة العربية المترجمة الى اللغات الافرنجية وقد دفعهم شغفهم بهذه المصنفات الى شرح بعضها او اضافة ما استجد لديهم الى بعضها الاخر ، او الى الاقتباس من ما فيها من علوم تعوزهم معرفتها فأضافوها الى مصنفاتهم .

وبعد . فهذه حصيلة ما جادت به على المصادر فيا يتعلق بسيرة ماسويه الماردیني وان جمع هذه الاشتات المؤتلفات لا يخلو من فائدة بل فوائد نرفعها الى سجل تاريخنا الحضاري الذي هو حلقات تربط بين اجزاء سلسلة التاريخ الحضاري العالمي ، ولا يخلو هذا البحث المقتضب عن هذه الشخصية العربية الرفيعة من اعتراف منا لماسويه بما اسداه للعلم والحضارة العربية والعالمية من جميل . ■■

د . فيصل دبدوب

بـــين الأدبـــين

الأنـــدلـــسى والمهـــجـرى

بقلم الياس قنصل

الادب العربي عامة ـ والشعر بخاصة ـ في المهاجر الامريكية فصل فريد في تاريخ الفكر ليس له غرار سابق في أمة على وجه الارض وارجح الظن الا يكون له نظير في المستقبل ولا يصح تشبيهه بالمجلى الادبي في الاندلس العربية والذين يضعون هذا وذاك في ميزان تتساوى كفتاه يبتعدون عن الواقع

وعندما نذكر الشعر ـ الاندلسي او المهجري ـ لا نطبق التعميم المطلق فيهما ـ ككل حقبة من ادب وكل مجموعة من مدرسة ـ ما هو نفيس وماهو تافه ولا نحدد مراتب التفضيل باحكام لا تحرم كلها تعديل هندسي، ولكننا نعتمد الانتاج في اجماعه وهو القسطاس الذي يحوطه أوفر حظ من الانصاف

دخل العرب اسبانيا تحدوهم حماسة نزيهة موصولة برغبة شريفة في نشر دينهم مجهزين بطاقات روحية فيها عقيدة لا يعنو النصر الا لمن كان قلبه عامرا بها وبسطوا ظلهم على تلك البقعة القصية وضموها الى ملكهم فاصبحت ـ وهي تؤتي ثمارها يانعات ـ جزءا منه لا يميزها عن غيرها من امصاره الا بعدها عن بلاط الامر والنهي واذا كانت العادات الانسانية قد تكيفت تلقائيا كما أراد السلوك العربي فان اللغة التي فرضت حروتها على البلاد هي لغة الضاد ـ لا نزاع ولا جدال ـ بمعنى ا[illegible] مسيلها المتتابع لم يتوقف ولم تحدث ثغرة من جمود ركود فيها منذ وطئت قدم « طارق بن زياد » تلك الارض الى ان غادرتها فلول الملك الاخير

وكان لابد ان يرافق الازدهار المدني العمراني [illegible] لم يعرفه اهل البلاد قبل ذلك ازدهار اخر لا يقل [illegible] الادب والفن ارتسم الروائع الفكرية التي رافقت [illegible] العربي تصف تقدمه وتعنى مكاسبه ثم تبكي [illegible] واستوت شعاره في التحف المعمارية التي لا [illegible] يومنا هذا تستثير الاعجاب في زواياها

ان الادباء الذين اتجهوا الى الاندلس ـ من [illegible] وكتاب ومورخين ونحاة ـ وصلوا اليها وقد [illegible] للعروبة سلطان مديد تحدده نظم معروفة وتكتنفه [illegible]

لا تحتلف في مؤداها عما العوه ، تسهل أمورهم ارادة حاكمه سارة يهتبلون منها مايريدون من نفوذ ، ويرقون بمودتها الى الدرجة التي يطمحون

والادباء الدين شأوا فيها ترسوا على عر مشسور وسطة في العيش وبرئوا من التكاليف فلا يصطدمون بعثار ولا تطؤ حطواتهم بعقبة ولا يحرب حواطرهم ضيق

اين هم من المهاجرين ؟

واين هؤلاء ـ مع الاعتراف بحميلهم لما استحدثوه في الشعر ـ من المهاجرين العرب الى الاقطار الأمريكية سيرهم حاجة ملحنة و يدفعون الى دنيا عريبة عنهم يجهلون لعتها وعاداتها ولا تشدهم الى اوطان عادروها عير رسائل يستلزم وصولها الى حيث ارسلت احونتها عشرات الاسابيع ؟

اين الدين برروا في الاندلس في حلبة الادب ، والسود العربية في كل راية من رواييها ـ اين هؤلاء من الدين قدموا الى العالم الجديد ليسترزقوا فلم يتوسموا في بواحيه همسة للصاد يتزودون منها الالفة واعوزهم أن يكون فيها بصة للعروبة يستندون اليها عندما تهد بواهم متاعب الكد المستعر ؟

واين الترف الاجتماعي الذى كان نعيا لقرائح الدين نظموا الشعر في اسبانيا من بيئة مهجرية ـ طابعها الخشونة ـ لا تجرى فيها الا مساومات متصارعة من الاحد والعطاء وتقتصر في مداها على نصع مربعات من مدن نطحن الوافدين عليها طحنا هاصما تصيع بين فكيه العبارات الوجدانية ؟

المقابلة بين الادبين ـ الاندلسي والمهجري مجال شائك طويل ، كل ملف فيه يتطلب دراسة تقص وكل تأييد يفتقر الى استشهادات تسل من بطون مؤلفات توشك ان يد سحقها ولكنا شير اليها على سنق اقرب الى بعض الرقيات منه الى بحوث العرفان

نحن من المعجبين بالادب الاندلسي وحسنا منه انه ... يساب رقة مئات السنوات فكون عاملا جرينا ... ـ بعض الشوء في الطراز الشعرى الذي كان متبعا ، واسبغ على عديله الاسباني سمة من التناسق لم تمح فخامتها العصور التالية

عير أن الحقيقة التي لا تنكر هي أن البون شاسع بين الادب الذى رافق الفتح الاندلسي وحادث الحكم العربي حيثما استقرت الاحكام في نصابها العادى ، وبين الادب الذي دبجته اقلام الدين اموا الاقطار التي اكتشفها « كولومبس » طلبا للكسب او فرارا من الاصطهاد

تجديد الشعراء في الاندلس لم يمس الجوهر واكتفى بالوشي والاصباغ هو تجديد امسك اللبوس الظاهر فرقشه وترك ما يستره لم يصلح فيه سوى ما اتسق مع الرحرف في مساه

ان الموشحات ـ وفيها رعة الانطلاق والتحرر ـ وفيها موسيقى باعمة تستطيبها الخواطر بمتقدها في بعض قصائد العالم العربي اد داك ـ يرتد ما فيها من عذوبة الى سببين في رأينا

اولهما ان اللغة كانت ـ بحكم التطور المدنى التدرجي ـ قد بدأت تهجر الكلمات الحوشية التي تجتمع فيها احرف يتنافر بعضها مع بعض في اللفظ

وثانيهما ان الوسط حكم بهدا التنويع ففي الاندلس كانت المشاهد متعددة الاشكال متباينة الالوان في اطار جميل واحد والموشحات التي هي مقاطع منفصلة في مجموعة يلملمها نظام تقليدي ـ وان اختلفت قوافيها ـ تكاد تكون نسخة طبق الاصل عن المرئيات الطبيعية في المقاطعات التي سيطر عليها العرب

أما القصيدة التي تتكرر فيها القافية في حرفها الاخير ـ وان انتقلت من موضوع الى موضوع ـ فانها في هيكلها صورة من الرتابة في البادية يسرح فيها البصر الى الافق البعيد على نمط نسيق

التجديد الاندلسي هو تبديل صناعة ومحاكاة ـ ولا نجد اصح من هذه العبارة لنعت هذا الانتقال من قالب الى قالب

أصيل لا محاكاة

أما التجديد في شعر المهاجرين فهو اصيل لانه

تناول الفكرة قبل من اساسها فخرج فيها عن التقليد خروجا بحتا ، وقبس من النفس ـ من اطباق سمائها الى اغوار ارضها لا من حاسة منظور او مسموع منها ـ قوة حولته الى ثورة بمعناها الاسمى

وما بدت طلائعه المتكرة في الاقطار العربية حتى رأى الشباب فيه ـ والشباب هو الذى يقبل أولا على الانقلابات الفكرية ـ الضالة التي ينشدونها ولا يعرفون كيف يعثرون عليها ولا اين وجدوه تعبيرا فيه صدق عن خوالج الانسان « الانسان » وتفسيرا فيه حماسة عن هواجس الانسان « المواطن » ومرآة ينعكس على صفحتها جمال عن مشاعر الانسان « الفنان »

في شعر المهاجرين احساس جديد للحياة عمر العالم بمحبته يندمج فيها كل شيء ويتساوى فيها الوجيه والحقير ، العالم والجاهل ، الشهير والنكرة ، لقد درسوا الناس بواقعية فتحولت حيرتهم الى فهم صحيح لمختلف العواطف فكشفوا اسرارها يشيدون بفضائلها ويشهدون في مآخذها لا بواعث انتقاد ، بل محاولات تواثب للتقرب من الكمال وانك لتقرأ لهم صفحة بسيطة العبارات فاذا بين سطورها أسفار من روايات القلوب تقف امامها موقف التأمل وترافقك محاليها لتحدد لك كل خطرة بحديد مما في دخيلتها

ادرك الشعراء المغتربون أن حولهم وجودا آخر غير وجودهم فأولوه ما في قلوبهم من حنان ولمسوا دبيب الحياة في جميع الملامح والاشياء وغاصوا الى اعمق الشعور البشرى فنال من قوافيهم ما هو حليق به من اهتمام

وحتى هؤلاء الذين تعالت النقمة على الانسانية في قصائدهم لا نستطيع ان ندمجهم الا في عداد المشفقين عليها لان نقمتهم صادرة عن تمنيهم أن يكون المرء أقرب الى العدل وادنى من الرشاد فهي اذن اعتصام من الشر الذي تقبع فيه النقائص والعيوب

شعر مهدد

وشعرهم الوطني ذاته الذي رافق الاحداث العربية وكان بوقها الصارخ مع ما فيه من الحملة على الذين اغتصبوا استغلال اوطانهم ـ أليست قد تأصلت فيه المطالبة بان يعاد الحق الى اصحابه وبان تمارس الشعوب سيادتها لا تبعية ولا انقيادا ، وبأن تتكامل شخصية المواطن العربي في بلاد حرة مستقلة وهل تهتدي البشرية الى السعادة الا اذا كانت الكرامة الموسومة محترمة لا يعبث بها عابث ؟

ما هو الظلم الذي حاربوه بقصائدهم ، فأصموا دونها اسماع الجائرين ؟ أليس هو تحقير للقيمة الانسانية وهم لا يريدونها الا في اعلى ما تسمح به الهيبة ؟

ان الشعراء العرب في الاميركتين لم يتترسوا في بروج عاجية كزملائهم في الاندلس الذين لم يغادروها الا ليعيشوا في اقفاص مذهبة من اقفاصهم على انفسهم

ان الشعراء المهاجرين تقدموا الى ساحة الحياة فعاركوها وذاقوا من وثباتها الحلو والمر وحسوا منها مرة الحبور ولم يظفروا منها مرة بطائل وكانوا الصادقين في حزنهم وقد اطبقت عليهم الدياجي وغير الكاذبين في ابتساماتهم وقد انقاد لهم عنان الدهر

كان الشعر الاندلسي انوارا اصطناعية تختلب العيون في انحدارها الطاغي وتسرج الاوهام ببريقها الخاطف ثم تخمد في حين ان قصائد المغتربين كانت أنوارا تألقها متواصلة تشرق في ميعادها وتتابع مع ما فيها من قوة احياء وانعاش غير آبهة بالغيوم تحجب اشعتها بعض الوقت وتعجز عن حجب وجودها

وكانت لشعر المغتربين هذه « السيرورة » التي جرت في شرايين الادب العربي العام دما حارا تأثر به حتى هؤلاء الذين شدت على ادواقهم قبضة المحافظة فتمسكوا بحبال الترمت المعلق تمسكا ضرب على بصائرهم سورا من الاستهتار به فانكروه جهرة وعبوا في السر من مناهله الثرة جرعات بردت اوارهم هذا الادب الذي لحنا انه باقتصاب وقد سطع عشرات الاعوام مال الى الغروب الان ، واستبد الضياع باجزاء منه كما استبد بمؤلفات عربية قديمة نأسف على ضياعها فلو بقيت لاضافت الى المكتبة العالمية ذخرا لا يقدر بثمن ■

الياس قنصل ـ عاصمة الارجنتين

أحد مشاهد مسرحية « العأر » اليمنية لماذا انهار سد مأرب ؟

في الكويت والامارات واليمن

بقلم . سعد اردش

المسرح العربي حقيقة بالرغم من كل الاعاصير · يخبو بعض الشيء ، ولبعض الوقت في ارض عربية ، ليظهر نبتا جديدا طازجا في ارض عربية اخرى ، وكأنما هو قبس من روح ذلك الشعب العظيم يأبى الا ان يتلظى ويستعر على الدوام ولقد يكون المسرح في اقطار الخليج والجزيرة العربية احدث المسارح العربية عمرا ، ولكنه لا يبدأ من فراغ انه يبني على خبرة المسارح العربية الاقدم ، ويسترشد بتجاربها ، ويتغذى على تراثها ، وهو مع ذلك يتطلع احيانا الى التجربة الجديدة التي تكسر الجمود وترنو الى التغلب على الصعوبات المعترضة

وهذه رحلة مع تجربة مسرحية جديدة في الكويت ، وجولة مسرحية في الامارات العربية المتحدة ، ثم مع ميلاد جديد لمسرح عربي جديد في اليمن الشمالية .

« الدار » في الكويت

« الدار » عنوان العرض المسرحي الذي قدمه المسرح العربي على مسرح عبد العزيز المسعود بالكويت في النصف الثاني من يناير واوائل فبراير ١٩٨٠ ، بمجموعة من شباب المسرح ، معظمهم من الهواة ، والقلة القليلة بينهم من المحترفين ، ولعل اقدمهم وارسخهم هو فنان الكوميديا الخفيف الظل حوهر سالم ، والفنانة المثقفة سعاد حسين

والجديد في « الدار » انها ليست نصا مسرحيا كتبه مؤلف وتسلمه المخرج ليبعث فيه الحياة ، ولكنه بدأ فكرة في رأس فؤاد الشطي ، المخرج الدي يبدل في هذه الايام كل ما وسعه من حهد ومن عناء ليعيد الى المسرح في الكويت شيئا من بريقه وتحولت الفكرة بعد ذلك الى شكل من اشكال التأليف الجمعي ، شاركت فيه المجموعة تحت اشراف فؤاد

وتبدأ الدار اسرة كويتية تضم الام وكثيرا من الابناء والاحفاد واحد عرف طريق التجارة ، ودرس جيدا لعبة العرض والطلب ، وهو يتاجر في كل شيء ، ويحقق الملايين ، وآخر حصل على الدكتوراه في الفلسفة ووجد طريقه في هيئة التدريس بالجامعة ، وهو يتعالى على الواقع ويتهمه بالتخلف ولا يفعل شيئا ، وواحد بدون جنسية ، او كما يقال بالكويت « بدون » ، وهو يبحث عن هويته ولا يجدها ، وابنتان ، احداهما مدرسة مطلقة ، تشغل نفسها بتحضير درس عن واجب الآباء والامهات نحو الاطفال ـ بمناسبة عام الطفل ـ ولكنها تنهر طفلتها عندما تلجأ اليها طالبة المعاونة في مذاكرة دروسها ، والاخرى طالبة تتفتح على الحب ، ولكنها لا تجد بالدار من يوجهها في هذه المرحلة الدقيقة من حياتها ، ولكن الجميع يهاجمونها كالوحوش عندما يراها احد اخوتها مع شاب على شاطيء الخليج ، فتحميها الام من هجمتهم متسائلة عما قدموا لها من توجيهات ونصائح .. انهم لم يفعلوا من ذلك شيئا بالطبع لان كل واحد بالدار غارق لقمة رأسه في مشاكله الخاصة .

وبين مجموعة الأبناء اثنان من الموظفين بالدولة احدهما يعمل « ساعيا » ، يذهب الى عمله في الصباح فيؤدي لبيت المدير بعض المهام ـ كشراء الا[illegible] ـ ثم يعود الى بيته لينام ، واما الثاني فهو موظف اداري صدر قرار بفصله لانه كشف كثيرا من الاختلاسات وفضحها ، اما الاخ الاصغر ، فقد عرف طريق الخمر ونسي طريق المدرسة وواضح من سرد هذه الانماط من سكان الدار ـ او افراد الاسرة ـ انها رسمت بعناية شديدة لتعبر عن كثير من السلبيات الاجتماعية والاقتصادية التي يشكو منها المجتمع الكويتي

عناصر ايجابية

وتعيش هذه الانماط كل مشاكلها في الفصل الاول ، لتقدم لنا صورة تفصيلية واضحة عن الآفات التي تدفع بالاسرة الى التآكل في مجتمع العالم النامي ـ النائم ـ الذي يفتقر الى عقيدة توحده ، والى اهداف اساسية تخفف حدة استهلاكيته ، وتلطف من تفرد الفرد وانانيته ، والى نوع من الانتماء يعطي لوجوده على ارضه معنى ما اما في الفصل الثاني فان حدثا جديدا يعطي للاسرة في هذه الدار معنى اوسع ، وان كان هذا الحدث الجديد يعبر عن النتيجة الحتمية للواقع المتردي لهذه الاسرة ان شخصا اجنبيا دخيلا يفرض نفسه على الدار ويدعي ملكيتها ، ويطرد افراد الاسرة من الدار وبطبيعة الحال فانهم جميعا لا يستطيعون مقاومته ، فهو مزود بطاقة سحرية تجعله قادرا على صرع الواحد منهم بمجرد نفخة او لمسة أصبع وتكون نصيحة الام ـ عندما يطلبها الابناء ـ ان يتحدوا في وجه الغاصب لانهم لن يستطيعوا ان يتخلصوا منه وهم على هذا التفكك واللامبالاة والعزلة

لقد تحولت الاسرة الكويتية بفعل هذا الحدث الى ما يمكن ان نعتبره الاسرة الخليجية ، او الاسرة العربية ، في مواجهة الاخطار التي تواجهها بين ركام الاحداث المتلاحقة التي تجتاح العالم في مرحلة جعلت كثيرين من اهل الرأي في السياسة يتحدثون عن « يالتا » جديدة ، او عن مناخ حرب ثالثة

كان فؤاد الشطي جريئا دون شك ، ولكن [illegible] لم تلق ترحيبا من النقد . ولست اريد هنا ان اناقش [illegible]

ان اللجوء الى منهج التأليف الجمعي في الظروف التي يعيشها المسرح العربي الآن ، خير على اية حال من حالة الجمود والانتظار . فللمسرح العربي بقيادة فؤاد الشطي اذن نقول الى مزيد من الاجتهاد والابداع

المخرج الكويتي
فؤاد الشطي

لا ان اناقش فكرة التأليف الجمعي في المسرح ، فانا من رفضي هذا الاسلوب ايا ما كانت مبرراته ، لسبب بدني وبديهي هو ايماني بالتخصص الدقيق في عصر التخصص الدقيق ، وهو ايمان ينبع في المسرح من طبيعة المسرح ، غير ان حدة رفضي للاسلوب قد خفت على اثر مشاهدتي لعرض مسرح الحكواتي الذي تحدثت عنه في العدد السابق من « العربي » ، ثم على اثر مشاهدتي عرض « الدار » ، ذلك اني تبينت في العرضين عناصر ايجابية قد لا يتاح لها الظهور امام الجماهير العربية اذا انتظرت هذه المجموعات الشبابية بانتظار الكاتب

ومن هذه العناصر الايجابية على سبيل المثال ذلك الكم الهائل من الصدق والترابط بين مجموعة الممثلين ، ما تتمسك به من المباديء التي تحكم مهنة الممثل ، وما تسعى اليه من تجويد في تقنياتها ويبدو لي واضحا ان الصدق ، وهذا الترابط ، وهذه التقنية العالية في الاداء تمثيلا كان او غناء او رقصا ، هو شكل من اشكال الايمان بالكلمة النابعة منهم ، ووسيلة من وسائل حمايتها والدفاع عنها

هذه الايجابية وحدها كفيلة بان تؤازر هذا الاتجاه في المسرح العربي ، وبان ندعو اصحابه من الشباب الى مزيد من الجهد لتعميقه واستكمال بعض نواحي النقص فيه ، وبوجه خاص الى الاستعانة بكاتب متخصص في الدراما تستند اليه الصياغة النهائية ... على ان يبقى التأليف دائما جمعيا .

في دولة الامارات

ذهبت الى دولة الامارات مدعوا من وزارة الاعلام لالقاء محاضرات وعقد ندوات بها ، ولم يتسع وقتي للاسف الا لالقاء محاضرة في ابي ظبي عن « الاصالة ومنهج العمل الجمعي في المسرح العربي الحديث » ، ولعقد ندوة مع شباب المسرح الوطني بالشارقة حول « المسرح في الخليج » والمسرح في الامارات العربية المتحدة مولود حديد يرجع الى بضع سنوات فقط ، وبالتحديد قد لا يتخطى عمره عقدا واحدا من الزمان ولقد بدا بدعوة استاذنا زكي طليمات لدراسة تخطيط لتنشئة المناخ المسرحي على اساس تواجد بضع عشرات من هواة المسرح في بعض العواصم ابو ظبي والشارقة وراس الخيمة ، ثم قام صقر الرشود الفنان الكويتي الراحل بتأسيس الفرق الثلاثة للمسرح الوطني بالامارات الثلاثة ، وخلفه كل من ابراهيم جلال في الشارقة ـ وهو من اهم رجال المسرح في العراق ـ وخليفة العريفي في راس الخيمة ، وهو من مؤسسي مسرح اوال في البحرين

وقد قدمت هذه الفرق بالفعل بعض العروض ، وتميزت فرقة الشارقة بعروضها كما وكيفا ، الامر الذي جعل الدولة تعجل بمشروع بناء دار مسرحية ممتازة بالشارقة ، كل ما ارجوه لها الا تخرج بنفس العيوب المعمارية والصوتية التي خرجت بها كثير من دور المسرح في الارض العربية ، لاسباب يمكن تداركها دائما في المشروعات التخطيطية .

كانت الندوة التي عقدتها مع شباب المسرح الوطني بالشارقة ، يزاملني صديقي ابراهيم جلال فرصة من امتع فرص النقاش مع جيل جديد من فناني المسرح ما يزال ينبي باظافره ، وكانت من الثراء الى درجة انها امتدت الى ما يزيد عن الساعات الثلاث .

من اهم القضايا التي اثيرت في هده الندوة قضية الحاجة الى النص المسرحي حيث لا يمكن في هده المرحلة التأسيسية الحديث عن كاتب المسرح المحلي ، وحيث يتطلع الفنانون بالدرجة الاولى الى عرض القضايا المحلية

قلت لاصدقائي من الشباب اننا بحاجة الى التواضع ، والى الصبر ، حتى نرسي أسس المناخ المسرحي المنشود ، وان ارساء المناخ المسرحي يحتاج بالضرورة الى زرع المسرح في المجتمع ، ابتداء من الطفل في مراحل التعليم الاولى ، ثم الى زرعه في التجمعات المهنية ، وفي سهرات السمر وقلت لهم ان مهمة زرع المسرح يجب الا تنتظر ميلاد النص المحلي ، او الكاتب المحلي ، وان التراث المسرحي العربي والعالمي يمكن دائما ان يعبر عن القضايا المحلية ، لانها في النهاية قضايا الانسان في كل زمان ومكان

والذي احب ان اهمس به هنا في اذن اصدقائي من شباب المسارح العربية الناشئة هو ان عليهم ان يتجنبوا الآفات التي زامنت المسارح العربية الاقدم ، ومن أهم هذه الآفات

١ ـ ان المسرح العربي نشأ بمعزل عن الجماهير الحقيقية ، فعاش مخلوقا ناقصا شائها ، يتعرض للجمود وللتوقف ، واحيانا للضرب وللموت ، لانه لا مسرح بلا جمهور ، ولان الجمهور لن يلتف حول المسرح الا اذا احس حذوة المسرح في قلبه ، والا اذا آمن بان ضرورة المسرح لحياته كضرورة رغيف الخبز وهذا لن يتم الا اذا درسنا جيدا كيف نزرع المسرح منذ البداية في قلب الانسان ، وفي قلب الاسرة ، وفي قلب المجتمع لا يكفي اذن ان يكون هناك مجموعة من الممثلين والكتاب والمخرجين ، وان تكون لدينا دور للمسرح ، بل انه من الاساسي ان نكتسب الجماهير اولا وقبل كل شيء

٢ ـ ان المسرح العربي قد حظي منذ البدايات بعطف الدولة ، ولكن الدولة قد تناقضت معه بعد زمان طال او قصر ، لان المسرح كما يقول الدكتور علي الراعي « فن طويل اللسان » ، وهو بالاضافة الى هذا فن جماهيري وعلني لهذا فان هذه المسارح الناشئة في الارض العربية مطالبة بالتأسيس [illegible] والتأسيس يعني بالدرجة الاولى زرع المسرح في الجماهير وفي قلوبهم ، حتى تكون للمسرح [illegible] الجماهير

٣ ـ ان المسرح العربي القديم قضى حقبه طويلة من عمره معتمدا على الهواية وحدها ـ حتى تم تأسيس المعاهد العلمية المسرحية على المستوى الجامعي ـ وان الهواية وحدها الان لم تعد تكفي ، ولابد ان تستند الى العلم ، وان العلم في المسرح الان لم يعد قاصرا على القواعد العلمية الحرفية للمهنة ، ولكنه يتجاوز ذلك الى كثير من العلوم الانسانية ، ذلك اننا نعيش الان عصرا تتشابك فيه السياسة والاقتصاد والفلسفة مع الفن ، والفنان اليوم لابد ان يكون بالضرورة واعيا ـ علميا ـ بواقع عصره وقضاياه ، حتى يستطيع ان يتحاور مع جمهوره من ناحية ، وحتى يتغلب بذكائه وعلميته على الحواجز والعقبات من ناحية اخرى

هذه بعض الخواطر التي اردت ان اهمس بها في اذان اصدقائي من الشباب بناة المسارح الجديدة في الارض العربية ، على امل ان يبنوا مسرحا عربيا قوي الجذور ، شديد المراس ، محصنا ضد الآفات التي احدثت تنخر في المسارح العربية التي ارست قواعدها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

في اليمن الشمالية

في المدة من ٢ الى ٩ فبراير ١٩٨٠ اقيم بالكويت الاسبوع الثقافي الاول للجمهورية العربية اليمنية بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب بالكويت وقد تضمنت نشاط الاسبوع المعارض التشكيلية والامسيات الادبية والشعرية ، والندوات حول الحضارة اليمنية القديمة ، بالاضافة الى العروض المسرحية ، وقد عرضت « فرقة المسرح الوطني » على مسرح جامعة الكويت مسرحية « الفأر قفص الاتهام » من تأليف محمد سعيد عبد الكافي الجمال وموسيقى احمد فتحي ، واخراج اميل جرجس وقد اختيرت للعرض بمنتهى الحذق اشعار للدكتور عبد العزيز

الملكة بلقيس تدلي شهادتها في المحكمة

المقالح وحسن اللوزي وعبد الصمد القليسي واسماعيل الوريث ومن اهم هذه الاشعار القصيدة الافتتاحية للعرض - وهي ختام العرض ايضا - للدكتور المقالح ، وهي تعبير عن تطلع الانسان اليمني الى يمن واحد قوي ناهض وناهض في مواجهة التحديات التي تحيط به يقول الشاعر

لي لساني يمن
لي ضميري يمن
تحت جلدي تعيش يمن
خلف جفني تنام وتصحو اليمن
صرت لا اعرف الفرق ما بيننا
انا يا بلادي يكون اليمن ؟

وقدم المسرح الوطني اليمني لنفسه ولعرض « الفأر في قفص الاتهام » بالكلمات الآتية في الكتيب المرافق للعرض . « المسرح في بلادنا ما يزال يحبو ، او انه يخطو خطواته الاولى في طريق النضوج والامتلاك الجاد لهذا الفن العريق

ومسرحية « الفأر في قفص الاتهام » تحدثكم عن قصة تاريخية لا تجهلونها ، الا وهي قصة انهيار سد مأرب ، ويحمل الفأر مسئولية ذلك الانهيار الرهيب والفأر كما تعلمون « يرمز » الى الاهمال والتسيب الذي يؤدي في النهاية الى الانهيار ان مسرحية الفأر ، وهي تعالج قصة تاريخية ، تعالج في نفس الوقت قضايا عربية معاصرة ، فالفأر كما تعرفون ما يزال يعيش بيننا »

الكاتب اذن لجأ الى الرمز ليعبر عن كثير من معوقات التطور الحضاري ، والفأر عنده رمز لكل السلبيات التي تواكب شعب اليمن وتنخر في جسمه وتشرب دماءه وتحول بينه وبين التوحد في سبيل تحقيق مستقبل افضل والكاتب يستدعي سلسلة من ملوك اليمن وأئمتها المشاهير من امثال بلقيس ، وابرهة الاشرم ، وسيف بن ذي يزن ، ليناقشهم في الحساب حول مسئوليتهم قبل صور الخراب المتتالية ، والتي تتجسد في حوادث انهيار سد مأرب ، ويحاول الملوك رفع المسئولية عن انفسهم والصاقها بالفأر ، ولكنك تحس من طرف

حفي ان بعضهم ـ وان لم يكن كلهم ـ يوظفون الفأر ، او يوظف لهم الفأر ، ليحمل عنهم مسئولية التخريب ، وليبقى الحال على ما هي عليه حتى يتمكن لهم في الارض ، وحتى يبعد شبح التعبير والتبديل والمسرحية تطرح في النهاية سؤالها الحاسم حول مسئولية الشعب ، مسئولية الجماهير ، غير انها تكتفي بمجرد الطرح ، فلا تتجاوزه الى تلقين الشعب كيفية مواجهة هذه المسئولية ولا تتجاوز ذلك الى الكشف عن الحقوق التي سلبت من هذا الشعب على مدى الاف السنين ، وعن الوسائل الفعالة لاستردادها

الفأر والذباب

« الفأر » في مسرحية المسرح الوطني اليمني يوازي « الذباب » في مسرحية سارتر ، الذباب او الندم » ، من ناحية القيمة الرمزية . ولكن شتان ما بين المسرحيتين من ناحية وضوح الفكر ، والالتزام ، والتعليمة ، وانضباط البناء الدرامي ، واتقان قطع الشخصيات الفنية الخ ولست اسعى هنا الى عقد دراسة نقدية مقارنة بين المسرحيتين ، على ما بين الكاتبين وظروفهما من فوارق زمنية ، ولكني اطرح بهذه الموازنة سؤالا طالما طرحته اذا كان التراث الانساني المسرحي يلبي حاجتي ، ويستجيب للقضايا الانسانية التي اتطلع للتعبير عنها كما ، فما هو الداعي للاصرار على التأليف المحلي قبل ان أتملك الوسائل العلمية ومناهج التطبيق التي تتيح لي ان احقق الحد الادنى من حسن الصياغة ؟ وليست القضية عندي قضية الحكم على النص فحسب ، ولكن الامر يتعدى هذا الى ما يجب ان اقدم للشباب من فناني المسرح الوطني من مادة ثرية تفجر طاقاتهم وتصهرهم في بوتقة من البناء الدرامي الاصيل ، حتى يتمكنوا من قياس قدراتهم وتطويرها وانضاجها وحتى يتاح لهم ان يكتشفوا عن مناطق القصور في ادواتهم العقلانية والتعبيرية ، فيسعوا عن اقتناع الى استكمالها بالعلم والتدريب

لقد احببت هذه المجموعة من الشباب التي تدوس خشبة المسرح للمرة الاولى ، وهي لا تحمل بين يديها الا موجة شابة فنية تتفجر ، وارادة واعية باجتياز الطريق نحو النضج ـ وهو يعرفون الطريق تمام المعرفة ، وقد كشفوا في لقاء علمي عن تطلعاتهم نحو العلم والخبرة ـ ولقد صفقت لهم طويلا مع الجماهير الغفيرة التي غصت بها صالة مسرح الجامعة صفقنا لهم طويلا استحسانا لثراء مواهبهم الصوتية ، غناء وتمثيلا ولصدق تعبيراتهم الحركية وبما يتحلون به من نظام دقيق ، ومن تقدير لمسئوليات خشبة المسرح ولمسئوليات الجماهير التي يتبادلون معها الحوار ، ولمسئوليات دورهم في تطوير مجتمعهم اليمني والعربي ، وبقدر حبنا لهذا التجمع الشاب ، الذي تحوطه وزارة الاعلام بالجمهورية العربية اليمنية باهتمام ورعاية واضحين ، فاننا ندعو الى تنظيم هذا الاهتمام ، وهذه الرعاية ، ضمن تخطيط علمي يضع في اعتباره الحاضر والمستقبل ، توصلا الى زرع المسرح كما يجب ان يزرع في الارض الجديدة ، من خلال هذه البشائر الشابة الموهوبة ، الصادقة الابداع

نريد ان نرحب وان نسعد ، وان نصفق لهذه المبادرات الجديدة في ارض المسرح العربي ، ونريد لها ان تتجاوز السلبيات التي احاطت سابقاتها في التاريخ القريب للمسرح العربي وأن تتنبه اولا وقبل كل شيء الى انها لا تبدأ من فراغ ، وانها تتملك ملكية كاملة كل تراث المسرح العربي والمسرح العالمي ، وانها يجب ان تتمرس بكل ذلك التراث وتهضم التجربة الانسانية والادبية والفنية فيه فاذا اضافت اليه بعد ذلك كانت اضافاتها على نفس المستوى من الاصالة ومن الانضباط ، ان لم تتجاوز هذا المستوى الى ما هو انضج واكثر تعبيرا عن الواقع

ونريد لهذه المبادرات الجديدة ايضا ان تتنبه الى ان القضية ليست مجرد انشاء فرقة او عدة فرق مسرحية بقدر ما هي خلق المناخ المسرحي في الارض العربية وزرع المسرح في التربة العربية ، توصلا الى مؤسسة مسرحية ثقافية عربية تسندها جماهير الشعب العربي تكون لها القدرة على استبدال مسرح عربي حقيقي بالمسرح السائد ، وهو بالفعل مسرح « اوروبي وقمعي » كما يقول بيان مسرح الحكواتي ■■

سعد دش[illegible]

آفاق جديدة فى

الجمال في اللغـــة هو الحسن ويقال جمـل الرحـل جمالا فهو جميل والمرأة جميلة . والجمال في الفلسفة هو صفة تسر العين وتسعد القلب ، وهو غاية ينشدها الانسان منذ بدء الخليقة .

بقلم : الدكتور شفيق نظام

والجمال في سنة التطور « الانتروبولوجيا » هو نهاية التطور في الثدييات أى هو الانسان آدمه وحواه وفي العهد القديم « خلق الرب الانسان على صورته » وفي القرآن الكريم « لقد خلقنا الانسان في احسن تقـويم » وجاء في القول المأثور « الله جميل يحب الجمال »

والجمال اطلاقا نوعان . « جمال الخلق » ـ اى الجمال المادى ، « وجمال الخلق » ـ اى الجمال المعنوى

وجاء في الحديث النبوي ـ اللهم كما أحسنت خلقي د ىس خلقي وهذا التقسيم نلحظه في القرآن الكريم ىىو ينص على الجمال المعنوي في آيات متعددة (فصبر -يل) ـ (فاصبر صبرا جميلا) ـ (فاصفـح الصفـح ـميل)

اما الجمال المادى ـ فيشير اليه في الآية الكريمـة الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين » . ويذكره نصـا ـ التعميم في الآية الكريمة ولكم فيها جمـال حـين تريحون وحين تسرحـون وسنـركز في هذه المقالـة على الجمال المادى

عن الجمال المادى

والجراحة التي تركز على الناحية الجمالية تسمى علميا الجراحة التجميلية . وتقسم الجراحة التجميلية تصنيفا الى ٣ اقسام ٠ ـ جراحة تزيينية ـ جراحة ترميمية ـ جراحـة اورام

والجراحة التجميلية عامـة لهـا ارض مشتـركة مع الجراحات الاخرى

فتشترك مثلا في جراحة الانف والاذن التجميلية ، مع جراحـة الاذن والانف والحنجـرة ـ وفي جراحـة اليد والاوتـار ، مع جراحـة العظـام ـ وفي تصـنيع عقـابيل الشلول المحيطية ، مع الجراحة العصبية ـ وفي تصنيع

الاحفان والحجاج [1] ، مع جراحة العين ـ وفي تصبيع الفكين ، مع جراحة الاسنان ـ وفي تصبيع الأحليل ، مع حراحة المسالك البولية ـ وفي حراحة ررع الاعضاء والاطراف ، مع الجراحات السابقة متكاتفة ومن حهة ثانية ـ يجب ان نشير الى ان الجمال المادى شيء سبي ويختلف معطياته بين الشعوب المتحضرة والشعوب البدائية ففي المنطقة العربية مثلا فالحرام [2] والوشم [3] كانا من صفات الجمال المتطلبة كما فاصبحا عيبا يسعى لاخفائه

كما ان الجمال يختلف حسب السن والجنس والازمنة ولنضرب مثلا توضيحيا يتعلق بالقوام العام للمرأة ففي مطلع القرن العشرين كان القوام الممتلىء فوق المتوسط ، هو الغاية المثلى للمرأة ، ويتجلى ذلك في جميع الصور التاريخية لتلك الحقبة الزمنية وفي اواخر العشرينات اصبح القوام المدنف النحيل جدا هو المطلوب ، بل اصبح الجنس اللطيف يستعمل المشدات المؤذية للحفاظ على الخصر النحيل وهذا الخصر النحيل هو ما كانت العرب تتغنى به

ولـــولا الـــردف يمسكه
لـطـار مـع الهـوا الخصر

والموجة الجديدة في جمال القوام في السبعينات هي الاعتدال مع تغلب اللياقة الرياضية

اما الجمال الموضوعي المتجلي باستدارة الوجه وتركيبة العين ولفة العنق فيختلف تقييمه حسب الزمان والمكان فالعرب تشبه حسن الوجه بالغزال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها
سوى ان عظم الساق منك دقيق

بينما لا يشاهد الاوروبيون هذا المخلوق ـ اى الغزال ـ الا في حديقة الحيوان ؛ اما بالنسبة لاختلاف الجمال حسب السن فيظهر لنا ذلك في الصور المتتالية المأخوذة لنفس الانسان في مراحل حياته الثلاث الكبرى

الطفولة ـ الكهولة ـ الشيخوخة ، ولنأخذ الانف مثلا .

ولو اخذنا شكل الانف في طور الكهولة فقط يختلف حسب الاحساس ويمكن تصنيفه الى ... الانواع ولكن المهم منها خمسة انواع

وبصورة عامة فالاوروبيون يعتبرون الانف المفرط في الضخامة متجافيا مع الاصول الجمالية ويمكن اجراء العمليات التجميلية للتخفيف من هذه الضخامة سواء كانت الضخامة عظمية ام غضروفية والعرب كانوا يشاركون في هذا الرأى فشاعرهم يقول

لك انف يا ابن حرب
انفت منه الانوف
انت في القدس تصلي
وهو في البيت يطوف

هكذا تطورت

ومن المهم ان نذكر ان الجراحة التجميلية قد تطورت في السنين الاخيرة لاسباب عديدة اهمها

١ ـ الدراسة الجنينية التطورية التي ساعدت في الحصول على نتائج مشجعة عند ترميم التشوهات الجنينية الولادية ـ كتشوهات شراع الحنك المضاعفة

٢ ـ الدراسة الطوبوغرافية للجسم وخاصة الدراسات الحديثة للخطوط الطبيعية الموجودة في الجلد

---

(١) الجوف العظمي الذى تسكنه العين

(٢) ثقب الانف

(٣) ررع الملونات تحت الجلد

الانـ ـي او ما تسمى بخطوط لانفرهانس ، أو خطوط الشد الاقل وخاصة تطبيقاتها في اخفاء او تمويه آثار العمليات المنتخبة او الترميات الاسعافية

٣ ـ استخدام المحاهر الجراحية التي تتيح للجراح رؤية مكبرة جدا وامكانية اجراء عمليات دقيقة جدا مثلا الخيط دو القياس ١٢٪ مع ابرته المندغمة فيه يمكن إمرارها من خلال شعرة صغيرة في رأس طفل كما يمر الخيط من خلال حبات المسبحة (وذلك تحت المجهر)

٤ ـ استخدام اللدائن الصناعية من اللاستيك والسيلاستيك واشباهها التي لا تثير الجملة الشبكية البطانية (جهة الدفاع المحلية) وبالتالي لا يطرحها الجسم وخاصة في العمليات التزيينية للانف والثديين وسواها فالاثداء المتهدلة المعلقة تسترجع ايام صباها ـ والوجه المتجعد ـ يشتد ازره وتختفي منه آثار السنين ويستعيد اشراقه ـ والانف المتموج الفائر كسرج الفرس ـ يصبح انفا اقنى جميلا . ـ والفك المتراجع المهدوم يصبح فكا متجانسا ومتلائما .

يضاف الى ذلك الاضافات التشكيلية التزيينية من اهداب للجفون ولون جديد للعيون واصلاح لما ـسدته السنون

٥ ـ زرع الاعضاء كاملة او جزئيا زرع الاطراف لاصابع المبتورة

ولم يكن ليتم ذلك لولا تعاون مختلف ـختصاصات في هذا المضمار ، بالاضافة لتشكيل ـريق جراحي متعدد الاختصاصات دائم التأهب للقيام بهذه العمليات مع توظيف جميع الدراسات المخبرية الحديثة الخاصة بتصنيف الانسجة محليا وعالميا ، مع الاستعانة بالعقول الالكترونية لاعطاء العضو المناسب (مثلا الكلية) للشخص المناسب في اي مكان

٦ ـ الجراحة الوعائية المجهرية ـ وذلك بنقل مساحات واسعة في الجلد او الانسجة المركبة من الجلد والعضلات والعظام من مكان من الجسم الى مكان آخر مع شرايينها واوردتها على ان توصل الشرايين والاوردة الخاصة بهذه الانسجة مع الشرايين والأوردة في المكان الجديد

وأخيرا

فان التقدم المستمر في آفاق العلم وتطبيقاته على الجسم الانساني سواء من الناحية العلمية او الجمالية اتاح للجنس البشري ان يحقق مالم يكن يحلم به من قبل

ولا يزال الانسان يستشرف ببصره آفاق المجهول ويسعى دوما نحو الامثل والافضل وتلك سنة الحياة ■■

دمشق ـ الدكتور شفيق نظام

مِنَ المَسْرَح العَالَمِيّ

وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٨٠

١٢٧

الزوار الثلاثة

«سكن تسلم» بل لا تسلم

من اظهر سمات الفصاحة العربية اعراب الكلمات ، اى ضبط أواخرها ـ خلال الكلام ـ بما تستحقه من حركة او سكون على حسب موقعها في الجملة ، والحركات ثلاث الضمة والفتحة والكسرة واما تسكين الكلمة فلا يكون الا عند الوقف ، اذ من قواعد الفصاحة ايضا عدم الوقف على متحرك ، وكذلك عدم البدء بحرف ساكن

و « سكن تسلم » من النصائح الشائعة ، وهي تعنى ان يقف المتكلم ـ محاضرا او خطيبا او محدثا او قارئا ـ بالسكون على آخر كل كلمة خلال كلامه ، ليأمن الخطأ في ضبطها بما تستحقه من الحركات ، عجزا منه عن ضبطها الصحيح

ومن هنا تنكشف الحيلة في هذه النصيحة المجردة من الحكمة ، لانها ـ ان سترت عيبا فهي تكشف عيبا أسوأ ، اذ هي تخرج بالكلام كله عن نظامه الفصيح ، وتجعله عاميا ، وان كانت كلماته فصيحة ، ومعلوم ان لكل لغة ـ مهما تبلغ من التقدم او التخلف ـ انظمتها الصوتية والنحوية ، والصرفية ، والاعراب اصيل في الفصيحة لا مفر منه بل ان الكلام يخرج عن حد الفصاحة اذا لم يلتزم في نطق اصواته او حروفه إخراجها من مخارجها الصحيحة في الجهاز الصوتي فكيف بمخالفة نظامها النحوى ، ومن ابرز سماته الاعراب ، فالتسكين خطأ في الاعراب او اسوأ ، وهو ادل على العجز وفساد الذوق الفصيح

والحيلة اخيب في الشعر ، وفي القرآن

واخيب ما تكون هذه الحيلة عند انشاد الشعر او قراءته ، لتوقيت حركاته وسكناته بحسب اوزانه وقوافيه ، وما علينا لمعرفة ذلك الا استماع بيت واحد ـ على طريقة « سكن تسلم » ـ لنعرف ان البيت قد فسد نظامه كله ، وصار ركاما من الالفاظ ، يصدم السمع والعقل لما يراه من فوضى فيه . والنتيجة كذلك أو هي اشنع اذا سمعنا آيات من القرآن الكريم على هذه الطريقة المضللة ، ، فاننا نجد اننا لانسمع شيئا يمكن ان يسمى « قرآنا » على اى وجه ، بل لفظا يصدم السمع والعقل والضمير ، وليس هذا مجرد خطأ ، بل خطيئة ايضا ، ولهذا كان انشاد الشعر او قراءته ، وترتيل القرآن ، في حاجة اشد وأكبر من الحاجة الى مجرد معرفة الحركات والسكنات ، ولهذا ايضا نشأ للقرآن علم خاص هو « علم التجويد » لخدمة تلاوة القرآن بخاصة ونطق العربية بعامة وليس معنى هذا ان قواعد علم التجويد كلها خاصة بالقرآن وحده دون سائر الكلام العربي ، بل ان بعضها خاص به كالتعوذ « أعوذ بالله » « والبسملة » ، وسائرها عام ينطبق على كل كلام عربي ، والاصل في ذلك كله ضبط تلاوة القرآن وفاقا لكلام العرب ،فقد نسب الى النبي عليه الصلاة والسلام انه قال « اقرءوا القرآن بلحون العرب » اى كما يتكلمون

للوقوف مواضعها

والوقوف قد تكون اضطرارية لاحيلة فيها اذا كانت من عجز او نسيان والا فهي اختيارية ، والمرء ـ ولو حاول جهده ـ لا يستطيع النطق بعبارة أبعد من مدى تنفسه ، والتنفس محدود ، فله ان يتنفس خلال الكلام وافضل ذلك في نهايات الجمل الجزئية ، لان معانيه جزئية ، وهكذا حتى يتم الكلام

ولهذا طلب منا القرآن ان نرتله « ورتل القر

بقلم . محمد خليفة التونسي

وقد فسره الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقال .
ـسن ، تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » اى اخراج
ـف من مخارجها الصحيحة (وهذا هو النظـام
ـي) ومعرفة مواضع الوقوف للانتهاء عندها بما
ـيا صوتيا ومعنويا ، والوقف قد يكون حسنا او
، او يكون قبيحا ، على حسب أداء المعاني ،
الالفاظ بعضها ببعض نحويا ، فالافضل في
ات المسجوعة الوقف على الفواصل ، واجمل ما
ذلك في الجمل القصيرة كما في قوله تعالى « انا
ـاك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو
ـ » وكذلك يظهر في الجمل المزدوجة كقوله تعالى
ـمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » ويسوغ
ـف الى جانب ذلك على لفظ الجلالة « الله »
ـحمن » ولكن يقبح ان نقف على كلمة « رب »
ـل بينها وبين ما أضيفت اليه ، لان المضاف
ـاف اليه معا يدلان على شيء واحد ، وكذلك لايجوز
ـل بين الجار والمجرور ، وهكذا كل ما يتعلق به
بعده ، كما في قوله تعالى « اهدنا الصراط
قيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
ـيم ولا الضالين » فلا يوقف على الموصول
ـين » لتعلق صلته به ، ولا على « المغضوب » لان
ـهم » متعلقة به ، واشد ما يقبح الوقف اذا اوهم
ـ المعنى المراد ، كما في الاية « ان الله لايستحيي
ـضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » فالوقوف على
ستحيي » يوقع في الخطأ والخطيئة وكذلك قوله
« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ـ اغنياء » فالوقف على « قالوا » واستئناف ما بعده
وصفا غير لائق بالله ، وهذا يوقع في الخطأ والخطيئة

ولهذا نجد ـ عند نظرنا في المصحف ـ ان كتابه
ـون على تعيين مواضع الوقف ، ارقاما لرءوس
ـت ، والرمز (ج) لبيان جواز الوقوف ، و (صلى)
ان الوصل اولى ، و (قلى) لبيان ان الوقف اولى

فكيف ينجو القارىء اذا وقف على مثل « قالوا »
ـرا او مختارا ؟ والجواب هو اعادة جزء مما سبق ليصله
بما بعده ، فيقول مثلا « قالوا ان الله فقير ، ونحن اغنياء » ، وبهذا يستقيم المعنى .

ومن الخطأ الفاحش قطع الكلام نهائيا لاى سبب اذا كان قطعه يخل بالمعنى او يفسده مثال ذلك قوله تعالى « لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى » فلا يجوز الاتيان بجملة « لاتقربوا الصلاة » مستقلة عن جملة الحال بعدها ، لان هذه الجملة الحالية قيد لما قبلها ، وبها يتحدد النهي ، ولابد من ذكر الجملتين الاصلية والفرعية معا متعاقبتين ولو كان السبب ايراد مثل في مجال التعليم على ان الفعل (تقربوا) ـ وهو من الافعال الخمسة ـ يجزم بحذف النون « لاتقربوا » او ايراد مثل على ان المفعول به « الصلاة » منصوب .

ثم ماذا تفيد قاعدة « سكن تسلم » اذا كانت الكلمات معربة بالحروف كالمثنى ، وجمع المذكر السالم ، والأسماء الخمسة أو الستة ، والأفعال الخمسة ؟

لافائدة منها ، فلا بد من معرفة الاعراب الصحيح للكلمات ، والتزامه في نطقها ، فيكون الكلام حينئذ فصيحا ، والحق أحق أن يتبع ، بل يلتزم ■■

● قصة ●

الدرّاجة

بقلم : فاضل السباعي

كنت ، ذلك المساء ، وحيدا في بيتي ، أستجمع شتات نفسي قبل أن أركن إلى غرفتي لأبدأ الكتابة ، حين أقبل عليّ ولدي « فراس » يستأذنني في الذهاب إلى « حديقة الجاحظ » ، التي تبعد عن بيتنا مسيرة اثنتي عشرة دقيقة ، حيث كان قد افتتح ، قبل يومين ، معرض الزهور الدولي

أعترف بأني أحسست فرحا غامضا لدى سماعي ابني وهو يفصح لي عن رغبته في زيارة هذا المعرض النادر ، الذي يقام للمرة السابعة في عاصمة بلادي دمشق ، فـ « الميول الجمالية » بدأت تثمر عند طفلي ، الذي لم يتم العاشرة من عمره ! ولكن فرحتي تلك كانت مقترنة بفرحة صغيرة أخرى ، هي أني ، في مغادرة طفلي البيت ، سيتاح لي أن أخلو إلى نفسي ساعة من الزمن ، مفكرًا متأملا ، وربما كاتبا أيضا ، دون أن أضطر إلى أن أقوم ، كل لحظة ، فأطل عليه من نافذة مكتبي ، أتفقده في الحديقة أهو يعتلي عريشة الدالية العالية ؟ أم يتسلق شجرة الكباد ذات الأشواك ؟ أم أنه يلعب ، مع بعض رفاقه ، لعبة « الطميمة » ؟ أم يتقاذف وإياهم الكرة ، فيدعسون لي الزرع والأزهار ، ويطلقون صراخا ينتزعني من عالم تأملاتي ويعود بي إلى الأرض ، فلا أملك إلا أن أناشد ابني « فراس ! قل لأصحابك أن يخفضوا من اصواتهم ، يا ولدي ، فإن أباك لا يستطيع العمل إلا بعيدا عن الضوضاء !! » .

ولكني لم ألبث أن تذكرت أن شقيقته الكبرى ، قد استأذنتني ، قبل قليل ، لزيارة المعرض ذاته ، فقلت لابني :

« ليتك أبديت رغبتك هذه قبل ذهاب أختك مع صويحباتها إلى المعرض ، لكنت كسبت الاستمتاع بتأمل الأزاهير وأنت في رفقتهن ! » .

ففاجأني ابني

« عرضت أختي علي ذلك ، ورفضت ! » .

ـ عرضت عليك ! ولماذا رفضت ؟

ـ لم تكن عندي رغبة . والآن أريد الذهاب مع بعض رفاق الحارة .

ـ حسن لك أن تغيب ، في هذه الجولة ، ساعة كاملة ودونك رسم الدخول إلى المعرض تناول المبلغ الذي نقدته إياه

ـ لن تستغرب ، يا أبت ، إذا بينت لك أني سأشترى به كيس « شيبس » (شرائح البطاطا المقلية) ، لأني لن أدخل المعرض !

ـ أنت تدهشني ، الليلة ، يا فراس !

ـ سنتجول ، أنا ورفاقي ، بدراجاتنا ، حول حديقة الجاحظ ، دون أن ندخلها . هذا ما اعتزمنا القيام بـ

ن ، بالاذن منك ، يا أبي !

الدراجة ! آه ، شد ما أثارت الدراجة من خلاف ي وبين زوجتي هي تراها مجلبة أذى لطفلنا الوحيد ، ترى فيها الخطر الكامن الداهم ، وأنا أؤيدها في بعض اوفها ، دون أن أبالغ أو أغالي

- ومن هم رفاقك في هذه الجولة ؟

- نضال وعامر ولؤي ..

- طيب ، إنها الآن السادسة إلا خمس دقائق ، هل تكفيك ساعة واحدة ؟

- تكفي شكرا

لسوف تكون في البيت ، يا فراس ، في تمام السابعة لن تتأخر ، حتى لا ينشغل بالي أنت تذكر جيدا « توصية » أمك ، التي أصرت قبل سفرها على ألا تمتطي الدراجة .. خارج حدود الحديقة !

- حاضر ، حاضر !

لدى وداع زوجتي ، قبل يومين ، في سفرها إلى حلب ، أعربت لنا عن أنها لن تهنأ بالا ، وهي في زيارتها لأهلها ، ما لم نقطع نحن الثلاثة - الأب ، وابنتنا الشابة ، وطفلنا الوافر الحركة الجم النشاط - على أنفسنا عهدا بأن الولد لن يجتاز بدراجته باب الحديقة باتجاه

الشارع ! وقد نزلت عند رغبتها ووعدت ، مستثنيا أحوالا نادرة للسماح يعود تقديرها إلى « رب الأسرة » ، الذي قلما يغادر البيت متى لجأ إليه ساعة الظهيرة !

حذرت ابني ، وهو يعبر بدراجته مسالك الحديقة .

« انتبه جيدا ، انت ورفاقك ، عند تقاطع الطرق خاصة »

بثقة مفرطة ، أجابني طفلي الصغير

« لا توص حريصا ، يا أبي ! »

●

يوم عزمت ، قبل عامين ، على شراء دراجة لولدي ، قمت أنا وإياه بالتجوال على عدد من المحال التجارية ، قبل أن يقع اختياري ، اختيارسا ، على هذه الدراجة الفاخرة ! وأذكر أن ابني كان كلما دخلنا محلا ، أبدى إعجابه بالدراجة التي يعرضها علينا البائع ، فهي في رأيه الأفضل . وكان لا يخفي امتعاضه من طلبي إليه أن يتريث حتى يرى ما عند المحل الذي يجاوره من دراجات ، قد يكون منها ما هو أفضل من هذه شكلا وصنعا !

وساعة عدنا إلى البيت بالدراجة المشتراة ، استحسنتها أمه ، بمقدار ما عبرت عن مخاوفها على صبي الأسرة الوحيد خوف مما سيعتريه ولا شك من نوبات طيش لدى انطلاقه بالدراجة في الطرقات ، وخوف آخر من رعونة سائقي السيارات في هذه الأيام ! وحتى أخفف من وطأة مخاوفها ، المبررة ، أخذت أملي على ولدنا ـ الذي كان يجهد ركوب الدراجة بطبيعة الحال ـ نصائحي وتوجيهاتي . كيف أن عليه أن يلتزم « يمينه » دائما ، وأن يهدي من سرعته عند كل مفترق أو منعطف ، وأن يصعد بدراجته إلى الرصيف إذا ما أبصر سيارة ما ، تندفع بسرعة غير اعتيادية ، يقودها أرعن أو مخمور !

وحرصا مني على أن أبث في نفس روجتي مزيدا من الطمأنينة ، فقد خرجت من فوري بابني إلى الشارع ، في أول جولة له على دراجته الجديدة ، ومضيت به إلى مغاني « أبو رمانة » و « المالكي » ، هو على دراجته ، يسير الهوينا تارة ويدعس أخرى ، وأنا أمشي وراءه ناصحا موجها :

« انتبه ! » .

« الآن تستطيع أن تدعس ! » .

« هل لاحظت السيارة التي برزت مقدمها في المنعطف ؟ » .

« حذار أن تستعمل مكابح الدولاب الأمامي وحدها دون مكابح الخلفي ! »

ـ ولماذا ، يا أبي ؟

ـ إن ذلك يشل حركة الدولاب الأمامي فجأة ، بينما يظل الدولاب الخلفي ، يتابع دورانه ، فينتج عن ذلك إذا كانت الدراجة مسرعة ، أن تنقلب براكبها رأسا على عقب !

ولم يفتني أن أدربه كيف يصعد ، وهو فوق دراجته ، إلى الرصيف ، بأن ينتر المقود إلى أعلى نترة خاطفة يصبح معها الدولاب فوق الرصيف ، ثم يرتفع عن السرج قليلا ، متابعا الضغط على الدواستين ، فتغدو الدراجة كلها على الرصيف !

●

قرأت ، تأملت ، كتبت ...

وأشارت عقارب الساعة إلى السابعة فالولد ، الآن ، أمام باب البيت يتهيأ للدخول . إن من عادته أن يرفع من صوت الزمور وهو يحوم أمامام الباب لم يرضه ما في دراجته من جرس ، فركب لها زمورا ببطارية ، ومرآتين ، وغطاء مخمليا للسرج ، وزينها بشناشيل ملونة وأضواء إضافية

لم يعد ولدي في الموعد الذي اتفقنا عليه ، رغم كل تأكيد صابرت النفس دقائق ، قبل أن أغادر غرفتي والحديقة ، منطلقا إلى رصيف الشارع لولا أني أكدت عليه ضرورة أن يعود في تمام السابعة ، لما ساورني هذ القلق كله .

وقفت أرصد مقدمه ثمة عدد من أولاد الحارة يلعبون « الطميمة » ، بينهم عادل وايهاب ومحمود وجمال

ريامي ووليد . وهـو ذا دانش ، الولـد ذو الأرومـة الركسية ، وقد نضا عن جسمه قميصه ، فهو يعدو هنا وهناك ، عاري الجذع حافي القدمين ، مثـل غـر صغـير شارد

ـ هل رأى أحد منكم ابني فراس ؟

أجابوني

« لقد ذهبوا بدراجاتهم .. إلى حديقة الجاحظ ! »

ألم يعودوا ؟

ـ لم نر أحدا منهم بعد

ولا أنا رأيت ولدي .. والساعة تشير إلى السابعـة والنصف !

تلك اللحظة ، كفرت بكل ما تمنيته من مبـررات اقتناء الدراجات ليمارس بها الأولاد نشاطهم الفـائض ! تواردت على خاطري الصور والمشاهد القاتمة ، التي حدثنا بها بعض أصدقاء الأسرة ، كيف أنهم رأوا ، رأي العين ، ولدنا فراس وهو يمرق بدراجته بين رتل سيارات عند مفترق « الجسر الأبيض » ! ورب صديقة ، هي أم لعديد من الأولاد ، أسهبت في حديثها إلى زوجتي كيف أنها لمحت ابننا وسيارة تكاد تدهسـه في شارع « أبـي رمانة » ، مختتمة قصتها بهذا السؤال المثير .. « أريد أن أعرف يا ست أم فراس . هل أنتم مستغنون عن ابنكم الوحيد ؟! » .. كنـت أفنـد هذه « الاقـاويل » ، زاعما لزوجتي أن هؤلاء الطيبين باسم المحبة يبالغون ! فلست بمستطيع أن أصدق أن ابني يعـرض نفسـه لمثـل هذه المخاطر المجانية ، وأنا الذي أبـذل جهـدي في تعليمـه وتدريبه وتوعيته ! « ثم لا تنسى ، يا زوجتي العزيزة ، أن للطفل ، أن للولد الذكر ، طاقة، فيضا من الحيوية ، يتسم البحث عن مجال مناسب لتفريغها ! وإذا سلمت معـ.. بضرورة إبعاد الدراجة عن بيتنا ، فترة قصيرة أو طـ..لة أو إلى الأبد ، فهل لك أن تضمني أن ولدنا لن يـ..عير من زملائه دراجاتهم ، أو يستأجرها ، وينطـلق .. في غفلة منا ، برعونة أشد ؟ .. » . ههنـا لا تتمالك .. نفسها من أن تصعد ، من قلب مفعم بالخوف ، .. الدعوة الحارة : « إلهي ! ليت هذه الدراجة اللعينة .. ع ، تسرق ، قبل أن يصاب فلذة كبدي ، بمكروه ...

يا الله ، يا رب !! »

أربعون دقيقة ، وقلبي يفور !

كم كنت ساذجا حين رفضت ، بعناد غريب ، أن أودع قصة واحدة ، من قصص الأصدقاء الغيورين ، تنفذ إلى قناعتي !

●

كنت قد عزمت على أن أتوجه إلى حديقة الجاحظ ، لحظة أقبل علي نضال ، أحد رفاق ابني في جولة اليوم ، مبهور الأنفاس ، ليقول

ـ أين هو ؟

ـ سرقت دراجته !

لحظة بدأ نضال الصغير حديثه ، كنت أحس ساقي تتخاذلان .. وأما بعد أن اتضح الموقف ، فقد أحسستني بحاجة إلى .. راحة طويلة المدى !

رفيق الجولة الآخر ، عامر ، زاد الأمر إيضاحا

ـ دخل دكان بياع العصير ليشتري كيس شيبس ، وخرج .. فلم يجدها !

وأضاف لؤي

« مضى علينا ساعة ونحن نبحث له عنها ، في كل مكان .. »

أراح قلبي أن مكروها ـ سوى سرقة الدراجة ـ لم يحل بابنـي . خبـر السرقـة هذا ، سرى بـين لاعبـي الطميمة ، فكفوا عن اللعب دفعة واحدة ، وتجمعـوا حولي ، وقد ارتسم وجوم عريض على وجوههم ، التـي يسيل منها العرق حتى الأعناق !

أخذوا يغمغمون .

« مسكين فراس ! سرقت دراجته ... » ،

« فراس ولد لطيف ! » ،

« كانت دراجته أجمل دراجة في الحارة ! » ،

« لم يكن يتردد في إعارتنا إياها ! » ،

« غـدا يشتـرون له بديلا عنهـا ، فهـو وحيد أبويه !! » ...

سألت

« وأين فراس ؟ »

- قرب الحديقة يبكي ، خائفا من العودة إلى البيت !

- إذهب إليه ، يا نضال ، وقل له أن يعود فورا

الحركي دانش ، ابن الاثني عشر ربيعا ، العاري الجذع الحافي القدمين ، أهاب برفاقه

« هيا نبحث عن دراجة فراس ، يا أولاد »

مدخلا رأسه في فتحة قميصه ، متلمسا بقدميه فردتي حذائه

مرارة ابتسمت يا له من بحث يستهدف العثور على دراجة سرقت في يوم معرض ! فكرت إن كان سارقها يسكن في الحادة السابعة أو الثامنة ، من « حي المهاجرين » المتسلق صدر جبل قاسيون ، فهو قد ارتفع بها الآن نحو مئة متر عن سطح حديقة الجاحظ ! ولسوف يمصص حصيه - وهو الذي لم يكن يملك دراجة قبل ليلته هذه - قرير العين ، حالما بامتطائها ، في باكر الصباح التالي ، تلك الدراجة الظريفة ، المتينة ، التي يريبها روحان من الشاشيل !

●

على رصيف الشارع . حمدت الله مرتين الأولى لأن المكروه انحصر في فقدان الدراجة ليس إلا . والثانية لأننا تخلصنا من الدراجة إلى الأبد !

ولكن أحزنني ، وأنا في مكتبي ، أن يفقد ولدي دراجته الأثيرة ! وضاعف من حزني أنه يعاني ، الساعة ، خوفا من أبيه ، قدر ما يعني من ألم الفقدان !

وفكرت عند الحديقة ، المنسوبة إلى « الجاحظ » ، العالم الأديب خفيف الظل ، سرقت دراجة ابني ! ما نعرفه أن كاتبنا العربي العظيم ، قد ألف ، قبل نحو ألف عام ، سفرا ضخما عن « البخلاء » ولم يؤلفه عن « السارقين » !

أحدث أهتف ، بيني وبين نفسي تعال إلي ، يا ولدي الحبيب ! خفف عنك أحزانك بالشجاعة ، التي نميتها في صدرك ، أريدك أن تتحمل تبعة خطأ أنت ارتكبته بمحض اختيارك إيداعك دراجتك ، على

رصيف ، في يوم ازدحمت فيه الخلائق ! ثم تس عما إذا كنت لن أضطر ، حقا ، تحت إلحاحه واستعط الى أن أشترى له دراجة أخرى ؟ !

بهذا كنت أناجي نفسي ، وأنا أعد فنجان قهـ على نار الغاز رن الجرس تواصل رنينه ، وكأنه مسـه جنون إذن ، فقد عاد ابني ، أعاده إلى أصحابه

ولكني لم أجده أمام الباب رأيت حشدا من اهل الحارة ، ليس بينهم ابني ، الذي ما يزال يكابد احزانه

كانوا يتحلقون حول دانش والولد الحركي يعتلي ، مشرق الوجه ، سرق دراجة لم تكن - للعجب ! - سوى دراجة ولدي فراس !!!

من خلال تصايحهم ولغطهم ، استطعت أن اتبين

- وجدناها وجدنا الدراجة هي ذي دراجة فراس !

كدت أفرك عيني ، غير مصدق ، وأنا اسألهم

« من ؟ كيف »

أجاب دانش ، مزهوا ، مثل خيال على صهوة جواد عربي

« عمي ! ما إن بلغت رأس الحارة ، حتى رأيت ولدا يركبها تشبثت بالدراجة سألته ، وأنا أعاينها بنظري « من أين لك هذه الدراجة ؟ » ، قال « وأنت ما لك إنها لي ! » تأكدت أنها دراجتنا وفورا وثبت عليه و « قدحته كفين » « تقول دراجتك ! إنها دراجتي وأنت سرقتها من أمام بياع العصير جانب حديقة الجاحظ ! » فتركها لي ، وولي الأدبار »

شكرت « الرجل الصغير الشجاع » دانش ، الذي ربي نفسه في الحارة - وهو الأخ الأوسط بين سبعة أولاد - أكثر مما اعتنى أبوه بتربيته ثم ناشدته أن يمضي ليبحث عن ابني بجوار الحديقة ، ويزف اليه خبر عثوره على دراجته الضائعة

●

كان صعبا على ابني ، الذي ما يزال يلاحظ الدراجات العادية الرائحة بعينين دامعتين أن يصـ

الحقيبة كما صرح له بها دانش

لقد اندفع نحوه ، ممسكا بتلابيبه ، قائلا في عتاب مر

« دانش ! كيف سمحت لنفسك أن تأخذ دراجتي من امام بياع العصير ؟ ! لماذا مرست معي هذه المزحة العليظة ؟ ! إني ، منذ أخذتها ، وأنا ألوب بحثا عنها ! مادا أقول لأبي في تبرير تأخري ؟ ! لن أعيرك إياها دقيقة واحدة ، بعد اليوم يا دانش ! »

ولقد حاول دانش عبثا ، وهو مقتعد كرسي الدراجة الملمي ، أن يقنع « سائقها » ، صديقه الملتاع ، بأنه لم يحصل عليها إلا من سارقها !

ولكني ، أنا ، لم أبذل جهدا كبيرا في سبيل إقناعه ، ما دمت رأيت الولد وهو منهمك في لعب الطميمة ، ثم وهو يدس رأسه في فتحة القميص ، مهيبا برفاقه « هيا سحث عن دراجة فراس ، يا أولاد »

ـ ولكن لم لم تقفلها ، لدى دخولك الدكان لشراء كيس الشيبس ، يا ولدي ؟

ـ ظننت أبي مشتريه في لحظة !
ـ حتى بعد أن لاحظت الزحمة على البياع ؟
ـ كانت عين لي عليه ، وعين على الرصيف !

ـ قبل مغادرتك البيت قلت لي « لا توص حريصا ، يا أبي » ! ومع حرصك ، الذي تظنه في نفسك ، فقد أضعت الدراجة ! أليس هذا من سوء التصرف يجب أن تقلع عنه ، يا ولدي ؟

ـ إنه « سوء حظ » ، فقط !!!

●

في عودتها ، ابنتي ، من معرض الزهور ، أبدت عدم إشفاقها على أخيها الصغير

ـ لو كنت ، يا فراس ، رضيت بأن ترافقنا ، أنا ورفاقي ، إلى المعرض ، لوفرت على نفسك عناء ذلك كله !

وفي عودة أم الأولاد من حلب ، كان أول ما صرتنا عنه هو الدراجة . ما إذا كنت سمحت للولد بأن يخرج بها إلى الحارة ؟

وبروح رواتي متمرس ، ما كان لي أن أتخلى عنها . رحت أحدثها ، حادا كل الحد

« أعترف بأني مكنته ، ذات مساء ، من أن يمضي بها في جولة إلى حديقة الجاحظ وهناك تركها ابنك ، سامحه الله ، على طرف رصيف ، دون أن يكلف نفسه عناء قفلها ، مع أن القفل معلق بها والمفتاح معلق في « حاملة مفاتيحه » ، ودخل إلى دكان ليشتري »

قاطعتني ، وكفها على صدرها
« هل سرقت ، دراجة ابني ؟ ! »

ـ فلما التفت ناحيتها ، لم يجدها كانت دراجة ابنك قد سرقت حقا !

قالت الأم في لوعة لم تعد خافية
« مسكين ابني فراس ! كم يعز علي أن يفقد دراجته ! »

ـ تقولين ذلك اليوم ، وأنت التي طالما دعوت الله أن تضيع ! ولكنه تعالى استجاب لدعوتك خلال ساعة واحدة ، ساعة واحدة فقط ذلك أن رفاق ابنك انتشروا في كل مكان بحثا عنها ، فعثر ابن جيراننا دانش عليها في رأس الحارة ، وعاد بها إلينا سليمة ! وهي ، منذ تلك الساعة ، في ركنها لم تمس !

●

وأصبح ابني ، منذ ذلك اليوم ، يطل علي ، في بعض الامسيات ، وأنا وراء طاولتي ، ليسألني

« بابا ! ألم تكتب ، بعد ، قصة ضياع دراجتي ؟ (ويضيف متباهيا) أرأيت كم ألهمك من القصص والحكايات ؟ !! »

وأما أمه ، فقد عادت ، كلما استبدت بها مخاوفها على فلذة كبدها ، تتضرع إلى ربها ، قائلة

« فراس ، ولدي ! إلهي ، تفتقدها ثانية ، هذه الدراجة ، ولا يعيدها إليك ذلك الجركسي العفريت ! » ■■

دمشق ـ فاضل السباعي

مسلموا الصين ايضا

● سررت كثيرا لدى مطالعتي استطلاعكم المصور المنشور في العدد الممتاز ٢٥٤ ، والذي يصور حياة الاسلام والمسلمين في الاتحاد السوفياتي ، واعتقد ان مجلتنا الغراء قد حققت ليس رغبتي المدفونة في ذاتي بل رغبة الوف من العرب والمسلمين والمتشوقين لمعرفة احوال اخوانهم في هذا البلد البعيد ؟

فشكرا للكويت ، وللعربي ، ورئيس تحريره ، ومحرريه وكل القيمين عليه ، واملي كبير ان يحقق العربي بجهوده الجبارة استطلاعات اخرى في الصين لنعرف عن اوضاع المسلمين هناك .

خليل حسن فخر الدين
بيروت / لبنان

خطأ مطبعي

● لاحظت وجود خطأ مطبعي في مسابقة العدد ٢٥١ من مجلة العربي ، حيث ورد في العمود الافقي ، انه حسان بن ثابت . وفي التعريف عنه كتبتم حسان بن مالك .

هدى بيطار
دمشق ـ سوريا

دفاعا عن شوقي

● في ركن « حوار القراء » بالعدد ٢٥٣ من مجلة « العربي » الغراء عقب قارىء من الاسكندرية بجمهورية مصر العربية ، على بيت امير الشعراء احمد شوقي ذلك القائل

أنا من بدل بالكتب الصحابا
لم اجد لي وافيا الا الكتابا

وغير خاف ان البيت مطلع قصيدة طويلة مؤلفة من ٧٣ بيتا قالها الشاعر بمناسبة تأليف حافظ بك عوض كتابه « فتح مصر الحديث » (الشوقيات جزء ٢ صفحات ١٨ ـ ٢٢)

قال السيد / ابراهيم عبد الله حسن في تعقيبه على البيت ما يلي

« ونرجو ان نوضح ان الباء في الاستبدال تسبق المتروك ، فاذ طبقنا هذا على قول شوقي ، فانه يكون قد ترك الكتب ، وانصرف عنها الى الصحاب ، بينما العكس الصحيح ويقول تعالى في محكم آياته مخاطبا بني اسرائيل « قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ؟ » صدق الله العظيم

« وعليه ، كان يتعين على شوقي ان يقول . انا من بدل بالصحاب الكتب ، او الكتب بالصحاب ، غير ان الوزن يستعبد الشاعر احيانا فينسف قاعدة لغوية هامة ، لا يصح مجافاتها بحال »

ونقول للقارىء الكريم الحق كل الحق في ان باء الاستبدال تدخل على المتروك ، ولكن هل كانت هذه الحقيقة ـ او هل كان يجوز أن ـ تخفى على شاعر مثل شوقي ، شاعر العروبة في عصرها الحديث ، شاعرها الذي اتته زعامة الشعر منقادة مختارة ، وقدم له شعراء الاقطار العربية المعاصرون ، تاج امارة الشعر العربي عن طواعية وطيب خاطر ؟؟ ان الشاعر الذي يستعبده الوزن ليس في الحقيقة الا « شعرورا » ، وهذه مكانة تتنزه عنها هذا العبقري الذي تسنم ـ عن جدارة واستحقاق ـ قمة الشعر العربي الغنائي ، ولم يكتف بهذا ، بل اضاف اليه نوعين آخرين بل ثلاثة انواع كان

تعوره هي الشعر الملحمي والشعر التمثيلي والشعر الطفلي .. معل كل هدا ـ رحمه الله ـ وهو الرحل المثقف ثقافة « حقوقية » لا ادبية

ان شوقي لم يكن ليستعبده وزن ، اذ كان في امكانه ان يقول مثلا

اما من بدل بالصحب الكتابا

فيستقيم الوزن ، ويصح المعنى ، وتدخل الباء على المتروك

وما كان شوقي ـ ايضا ـ « لينسف قاعدة لغوية هامة لا يصح بجاهاتها بحال » وهو ديدمان العربية ، وحارسها الامين ، ولسانها المعبر الصادق التعبير ، وما كان ـ احيرا ومن باب اولي ـ ليخالف اي نص قرآني محكم .

صحيح ان علماء الادب اصطلحوا على « ان يجوز في الشعر مالا يجوز في النثر » ، ولكنهم ـ كعادتهم في البحث العلمي والدأب عليه ـ استقصوا هذه التحاوزات الشعرية فوجدوها لا تتعدى عشرة ، جمعها العلامة الزمخشري في قوله

صرورة الشعر عشر ، عد جملتها
مد ، وقصر ، وتخفيف ، وتشديد
وصل ، وقطع ، وتحريك ، وتسكين
ومنع صرف ، وصرف . ثم تعديد

وصحيح كذلك ان صنيع امير الشعراء في بيته ـ بيت القصيد ـ لا يدخل ضمن هذه الضرورات العشر ، اذن ، كيف يمكن توجيه « البيت » وهو المطلع الذي يفترض فيه الا يكون محل مؤاخذة ، او محط عيب ، او مظنة خلل من اي صنف ، لانه مطلع القصيدة براعة استهلالها وعنوانها ، ومن ثم وجب ان يفرغ فيه الشاعر كل ما يعبر عن نفسيته ، وينم عن شخصيته ، ويبرز قدرته الفائقة في التعبير ؟

لتوجيه هذا البيت وجهته الصحيحة ، نلاحظ اولا وقبل اي شيء ان الشاعر لم يستخدم فعل « استبدل » الوارد في الاية المشار اليها (البقرة . ٦١) ، وانما استعمل كلمة « بدل » التي تعني في

القوتان العظميان

● من خلال اجابات قادة الرأي العام عن اسئلة العربي عن توقعات الثمانينات والتي طرحت عليهم في العدد (٢٥٤) ، وردت في حديث الدكتور مراد غالب وزير خارجية مصر السابق عبارة (القوتان الاعظم) ، ووردت عبارة (الدولتان الاعظم) في حديث الدكتور جورج طعمه مندوب سوريا السابق في الامم المتحدة

والصحيح ان نقول (القوتان العظميان) و (الدولتان العظميان) ، لان اسم التفضيل اقترن بأل ، ووقع صفة لما قبله ، لذا وجبت مطابقته لما قبله افرادا وتثنية وجمعا ، وتذكيرا وتأنيثا

ارجو الاشارة الى ذلك حرصا على استمرار الفائدة المرجوة من مجلة (العربي) مضمونا ولغة

عبد اللطيف السعيد
تلبيسة حمص ـ سوريا

استطلعوا مدينة القصر الكبير

● آمل ان تخصصوا لأول مرة في حياة مجلة « العربي » استطلاعا مصورا عن مدينة « القصر الكبير » التي لعبت دورا

دفاعا عن شوقي « بقية »

اللغة « غير » . فالتبديل والتغيير بمعنى ، وان كانت الكلمة الا في هذا المقام ، ادق من الثانية تعبيرا ، واحلى جرسا ، وادل على الذ الرقيق والذوق السليم ان شوقي في اختياره للكلمة لم يبعد عن اختيارات كتاب الله العزيز .

« فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه (البقرة ١٨١) » « وقال الذين لا يرجون لقاءنا . ائت بقرآن غير هذا او بدله . قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي » (يونس ١٥) « الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا »

ونختم دفاعنا عن شوقي بان ننشد ـ بدلا منه ـ بيته هكذا

اما من « غير » بالكتب الصحابا
لم احد لي وافيا الا الكتابا

فنجده رحمه الله لم يخرق عادة ، ولم يخرم قاعدة لغوية ، ولم يصادم نصا قرآنيا وبحده اخيرا ترك صحبة الصحاب ، واقبل على معاشرة الكتاب ، ولنعم العشير ! د عبد الله العمراني

تطوان / المغرب

حول المدينة المنورة

● ابي سعيد بكلية الشريعة بمكة المكرمة ـ قسم الحضارة والنظم الاسلامية . اخترت موضوع رسالة الماجستير حول « عمارة المسجد النبوي الشريف » ووجدت في الاستطلاع المنشور بالعدد ٢٥٢ لكاتبه مصطفى نبيل وعنوانه « المدينة المنورة طيبة الحجاز » . ولفت انتباهي ما تضمنه الاستطلاع من معلومات جيدة وجديدة ، ولوحات مفيدة للرسالة التي اعدها

فاين اجد كتاب الرحالة البريطاني بيرتون ، وكتاب الرحالة الايطالي المتضمن اللوحة المنشورة ص ٧٩ ، ولكم الشكر ..

محمد هزاع الشهري

كلية الشريعة ـ مكة

العربي بالنسبة لكتابات بيرتون يمكن الرجوع الى كتاب Travellers in Arabia للكاتب البريطاني روبين بدويل Robin Bidwell اما صورة المدينة المنورة ، والمسجد النبوي الشريف الذي يتوسطها فهي منشورة في كتاب The life and times of MOHAMMED لمؤلفه بول هاملن Paul Hamlyn

هاما في تاريخ المغرب بصفة خاصة وتاريخ العالم العربي والاسلامي بصفة عامة ذلك انها اقترنت بمعركة من اعظم معارك العالم الاسلامي والعربي ضد الاستعمار والصليبية انها معركة « وادي المخازن » وتسمى ايضا معركة « القصر الكبير » او معركة « الملوك الثلاثة » فبفضل هذه المعركة حافظ المغرب على عروبته واسلامه ولكن مع الاسف الشديد هذه المعركة يجهلها اخواننا العرب واخواننا في الخليج بصفة خاصة

احويبد المختار

القصر الكبير ـ المغرب

دعوة للحب

دعوتكُمْ للحبِ والصدقِ
دعوتكم للعدلِ والحقِ
دعوتكم يا اخوتي فاسمعوا
نصيحةً تُزَفُّ في رفقِ
لِمَ التجني بينكم سائدٌ
لِمَ التجافي بانَ في الافقِ
ألستُمُ فوق الثرى اخوةً
صوركُم - مصوِّرُ الخلقِ ؟
لا فرقَ بين الناسِ في خلقِهِمْ
فخبِّروا هل ثَمَّ من فرقِ ؟

الكويت ـ غادة وهبي

هل سألت نفسك يوما كيف استطاع الانسان ان يستمر في حياته العصور ؟ كيف وصل الانسان الى ما وصل اليه من علم وفن وفلسفة ؟ كيف أثرى الانسان حياته وسخر الطبيعة لخدمته ؟ ما هو ذلك السر الذى جعل الانسان يتميز عن غيره من الكائنات ؟ ان الاجابة على هذه الاسئلة ليست صعبة على الاطلاق .

فلو فكرت رويا لعرفت ان الانسان استطاع ان يتفوق على نفسه وعلى الطبيعة حين فكر في الجديد ، وعمل على أن يجعل المستحيل ممكنا .. حين استطاع ان يبتكر

وهـذا هو دون مارتنـديل ، احـد علماء الاجتماع البارزين ، يبرهن لنا في كتابه « الحياة الاجتماعية والتغير الثقافي »على ان العصور الابتكارية في تاريخ الانسانية هي التي تكونت فيهـا مجتمعـات جديدة فلقـد ادى ابتكار الانسـان في هذه العصـور الى خلق مجتمعـات جديدة .ولقد سعى الانسان الى خلق هذه المجتمعـات الجـديدة ، حـين انهـارت نظمـه التقليدية ، وتفـككت مجتمعاته القديمة حين حدث ذلك كان لا بد للانسان أن يكون مبتكرا ، والا انهارت حضارته وغرب وجوده عن الحياة

هل تملك يا صديقي الا أن تكون مبتكرا ؟ ! العالم من حولك يتغير بسرعة هائلة ، وهذا التغير يخلق لك مشكلات جديدة هل تملك الا أن تفكر باسلوب جديد لكي تتغلب على ما يجلبه لك التغير الهائل في المعلومات والمعرفة من مشكلات ؟ ! انك لاتملك الا ان تستجيب لتحذير كارل روجرز ـ احد علماء النفس البـارزين في عصرنا ـ وتكون مبتكرا لكي تتمكن من البقاء وتتمكن حضارتك من الاستمرار والنمو

في الولايات المتحدة الامريكية نبه جيلفورد رئيس رابطة علم النفس الامـريكية في خطابـه الرئـاسي عام ١٩٥٠ الى ان البحوث في مجال الابتكار لاتكاد تصل الى ٢ر٠٪ من مجموع البحـوث السيكولـوجية مـنذ ذلك الوقـت بدأ العلماء يهتمـون بدراسـة الابتـكار لكن اهتمامهم زاد ، وحماسهم تضاعف حين اطلقت روسيا أول قمـر صناعـي في ذلك الوقـت أصيب الامـريكيون بالذعر : ما الذي جعـل روسيا تسبقنـا في هذا المجـال الحيوي ؟ لذلك عقـدت النـدوات ، واقيمـت حلقـات البحث ، وفكر المفكرون ، فانتهوا الى نتيجة هامة . لقد تخلفنا عن روسيا لان نظامنا التعليمـي يهتـم بمـا هو مألوف ، ويعلم ما هو معروف ، دون الجديد والممكن . انه لا يهتم بالابتكار .

ومنذ ذلك الوقت ودراسات الابتكار تستمر . ولقـد استطاع العلماء ان يكتشفوا سر التفكير الابتـكاري ، ويتوصلـوا الى اسـاليب يستطيعـون بواسطتهـا تربية الابتكار في الانسان .

البروفيسور بول تورانس

ما هو الساتوري ؟

وكتاب « البحث عن الساتـوري والابتـكار » نتاج لجهد كبير في هذا الميدان ، وخلاصة لدراسات واحد من اشهر المبرزين فيه هو أ . بول تورانس .

شغل تورانس عدة مناصب علمية ، فقد كان مدير لمكتب البحوث التربوية بجامعة مينسوتا الامـريكية كما عمل رئيسا لقسـم علـم النفس التربـوي والقياس النفسي واستاذا لعلم النفس في جامعـة جورجيا ولقد منحته جامعة جورجيا لقب : الاستاذ المتميز

كما حصلت كتبه ودراساته على جوائز علمية ومهـ عديدة . ولقد كتب تورانس مقالات وكتبا تعد بالمئات ومن كتبه الموهبة والتـربية (١٩٦٠) توجيه الموهـ الابتكارية (١٩٦٢) السلوك البنـاء (١٩٦٥) تد السلـوك الابتـكاري (١٩٦٥) التعلـم والتـدريـ الابتكاري (١٩٧٠) .

وقد كتب تورانس « البحث عن الساتوري والابتكار » في مطلع هذا العام حين كان يعمل زميلا للجمعية اليابانية لتقدم العلوم ، واستاذا زائرا بجامعة مدينة اوساكا .

والساتوري هو اقصى درجة من الكفاءة والامتياز في الفكر والعمل يمكن اكتسابها ، بل هو ومضة من الاستنارة المفاجئة لكن الوصول اليه يتطلب سنين عديدة من التدريب المتعمق ، وقد كان علماء الغرب واعين بانه يجب ان يتدرب الفرد على التفكير الابتكاري مثلما يتدرب على رياضة التنس او السباحة او اللعب على البيانو او التزلج على الجليد ، لكن فكرة التدريب الشاق والطويل لم تكن تعبر عن جوهر الساتوري فاليابانيون يرون ان الوصول الى اكتساب الساتوري يتضمن عدة اشياء ، فهو يتطلب اخلاصا عميقا ، اذ يجب على الفرد أن يحب شيئا ما كما يتطلب تدريبا متصلا حتى على العمليات الصغيرة على مدى فترة طويلة من الزمن ، ويتطلب التركز والاندماج واستبعاد كثير من الامور الأخرى وعموما فهو يتطلب علاقة خاصة وعميقة وطويلة المدى بـ « معلم » وهو يتطلب - قبل كل شيء - عملا شاقا ومثابرة وتحكما في الذات وطاقة وجهدا وكفاءة وخبرة .

لذلك قرر تورانس ان يركز في هذا الكتاب على بعض المهارات التي يعتبرها مهمة للوصول الى الساتوري والابتكار

عبقري المستقبل

في الفصل الاول يعرض تورانس تصوره لمشكلة الابتكار ، فيبدأ بمعارضة ما يسود في الثقافة العصرية من الطرق القصيرة والحلول السريعة للمشكلات ويركز على اهمية التدريب الشاق ، ويذكر تورانس ان هذه الومضة من الالهام حدثت له في اليابان اثناء وجبة ... سورا رائعة اعدها طباخ عظيم في احد مطاعم طوكيو ... عمر هذا الطباخ ٦٩ عاما ، وكانت له خبرة ٦٠ عاما اعداد التامبورا ، فقد احب عمله وبدأه في التاسعة ... عمره ، ولا زال يستمتع به الى حد كبير وقد اخبر ... مطعمه انه يذهب الى السوق كل يوم في التاسعة صباحا ليختار افضل الاسماك والخضروات لكي يعد طعامه ، اما الطباخ الآخر فقد كانت له خبرة اربعين عاما ، وهو ماهر كذلك وقد انتشرت شهرة هذا المطعم واصبح من الضروري الحجز فيه قبل عدة اسابيع او عدة اشهر . هذه الخبرة ذكرت تورانس بما قاله ابراهام ماسلو من ان اعداد حساء جيد يمكن ان يكون عملا ابتكاريا مثل رسم لوحة او كتابة سيمفونية

حينما نواجه بمشكلات مثل استنفاد المصادر الطبيعية وزيادة معدل التغير وغير ذلك من مشكلات ستتحقق من اهمية الحاجة الى « ومضات من الاستبصار » والى الابتكار

وبالرغم من اننا لا نستطيع ان نتنبأ بماهية المستقبل ، الا ان هناك بعض الحقائق التي تزداد وضوحا ، واحدى هذه الحقائق هي اننا يجب ان نصل الى صورة غنية وممتدة واكثر دقة عن المستقبل ويجب ان تهتم المدرسة والمصنع والمؤسسات ودور الحكومة ورجال الدين بالوصول الى هذه الصورة وتوضح جوانبها بل يجب ان تهتم التربية كثيرا بهذا العمل وتوفر من الامكانيات في المنهج الدراسي ، لكي تساعد التلاميذ على ان يكونوا صورا دقيقة وغنية وكبيرة عن المستقبل.

وحقيقة اخرى من حقائق المستقبل هي ان معدل التغير الاجتماعي والتكنولوجي سوف يزداد . والواقع ان بعض التغيرات يحدث بسرعة لدرجة لا نستطيع معها ان نعتمد على الماضي باعتباره موجها للمستقبل ويحلل تورانس مغزى هذا التغير السريع بالنسبة للمنزل والمدرسة والصناعة ونظام الحكم ويوضح على سبيل المثال - ان مقدار المعلومات ونوع التعليم المطلوب لتنمية مهارات استخدام المعلومات سوف يزداد بسرعة ، وبالتالي فان الامر سوف يحتاج الى مراجعة مستمرة واعادة تنظيم للمعلومات والمهارات . وسيؤدي هذا الى الحاجة الى تغيير وظيفة المعلم من اعادة شرح الكتب الدراسية وتصحيح الاخطاء الى ادارة التعلم وتنمية المهارات ، مثل حل المشكلات والتفكير الابتكاري والعمل في الفريق ، وغير ذلك

وسيكون على الوالدين ورجال الادارة والصناعة

والمشرفين على الاعمال ان يقوموا بتنمية هذه المهارات. كذلك فان مهارات التكيف والتلاؤم يجب أن تصبح جزءا رئيسيا من المنهج الدراسي والحياة الاسرية والعمل والصناعة . ان عبقرى المستقبل سيكون هو العقل المبتكر الذي يتكيف مع مايأتي به المستقبل من حديد

ويشير توراس الى ان خبرته في اليابان قد اعطت معنى جديدا لدراساته الحديثة عن الدور الذي يلعبه تصور المستقبل والتفكير الابتكاري فحين تكون صورة المستقبل غنية وممتدة ودقيقة ، ربما تؤدى الى الدافعية التي تعتبر ضرورية للمثابرة التي تؤدى الى « الساتورى » وهو اقصى شيء يمكن ان يصل اليه اليابانيون

ويشير توراس الى مقال كتبه هلموت مورساخ وحصل على جائزة صحيفة التايمز اليابانية يصف هذا المقال الجوانب الاجتماعية والسيكولوجية للمثابرة والساتورى في اليابان ويوضح ان تحمل اليابانيين ومثابرتهم يتحققان عن طريق القدرة على تأجيل الاشباع وتحمل المشقة لدرجة لا يوجد لها نظير في اى مكان في العالم

وقد اثار اهتمام توراس قيام المصانع والمؤسسات بتدريب العاملين فيها على تأجيل الاشباع وقد كان هذا مثار دهشته ، لانه لم ينجح من قبل في اقناع الطلاب والمعلمين بان خصائص مثل المثابرة والتفكير الابتكاري وحل المشكلات يمكن ان تعلم ، اذ انه في الولايات المتحدة يعتبرون هذه المهارات شيئا اما يمتلكه الفرد اولا يمتلكه ولم يكن يخطر لاحد ان هذه المهارات يمكن اكتسابها بالتدريب ، لذلك يقوم كثير من الشركات اليابانية بتدريب العاملين فيها بانتظام على المثابرة والابتكار فبعد ان يلتحق الموظف بالشركة يعطي تصورا لمستقبل هذه الشركة ويتوقع منه ان يلتزم بمستقبله المهني في هذه الشركة

٢٥ ميلا مشيا

ويصف مورسباخ احد اساليب التدريب على المثابرة والابتكار فبعد ان يلتحق الموظف بالعمل ، يعطي تصورا لمستقبل هذه الشركة ويتوقع منه ان يلتزم بمستقبله المهني فيها ويصف مورسباخ احد [illegible] التدريب على المثابرة التي يقدمها احد البنوك و [illegible] لموظفيه في هذا التدريب يشترك الموظف [illegible] في مسيرة خمسة وعشرين ميلا تنقسم الى ثلاث مراحل في المرحلة الاولى يقوم ١٢٠ موظفا بالسير معا لمسافة تسعة اميال وفي المرحلة الثانية يقسمون الى فرق ، ويسير كل فريق مسافة تسعة اميال اما في المرحلة الثالثة فيسير كل موظف وحده مسافة سبعة اميال وقد منع المتدربون من تناول المرطبات بالرغم من ان زملاءهم كان يعرضونها بتناولها على جانبي الطريق ولم يكن هناك وقت محدد لاكمال هذه المسيرة ، اذ لم يكن ذلك سباقا وانما كان اكمال المسيرة هو الغاية الوحيدة

وقد وصف احد المشاركين في المسيرة هذه الخبرة فقال ان مجموعته سارت الاميال التسعة وهي تتجاذب اطراف الحديث وتضحك وحين تكونت الفرق بدأت المشاكل تظهر ، فبالرغم من انه لم يكن هناك حاجة الى المنافسة الا ان المنافسة بين الفرق بدأت تتكون وقد سبب ذلك مشكلات كبيرة للافراد البطيئين في كل فريق ، لكن المجموعة التي كان هذا الموظف عضوا فيها ، حلت هذه المشكلة بان جعلت الافراد البطيئين يسيرون امام الاخرين ، غير ان ذلك ادى الى ضغط كبير على كل فرد لكي يسير بسرعة ، وفي الظهر بدأت الفرق تتفكك حين وصل الافراد الى الميل الثامن عشر ، وبدون توقف كان على كل فرد ان يسير بمفرده في سكون ، فقد اختفى بريق المنافسة ، وحينما كان الافراد يسيرون بمفردهم كان عليهم ان يتحملوا الالم الجسمي بل والاحساس بالهذيان وقد ذكر الشخص الذي وصف هذه الخبرة نضاله من اجل الاحتفاظ بارادته ورغبته في الاستمرار ، وتصميمه على الا يصل الى هذه الحال من الألم ثانية ، ومع ذلك فقد بقي له شعوره بالانتهاج لانه قد انجز هذا العمل وتحقق من انه يستطيع ان يعمل اى شيء يصمم عليه

التفكير الابتكاري

ويشير تورانس الى ان هناك عدة وسائل يمكن استخدامها في تدريب الافراد على المثابرة واحد متطلبا

مقر « التفكير الابتكاري » الذي يدرسه في جامعة جورجيا هو ان يطلب من تلاميذه ان يحاولوا في خلال اسبوعين ان يحسنوا بطرق متعددة ومنظمة احدى مهارات التفكير الابتكاري وقد وجد ان تلاميذه يرون بخبرة مماثلة تقريبا ، وهي انهم يصلون الى نقطة لا يرون بعدها كيف يمكن ان يصلوا الى غاياتهم او يحصلوا اكثر مما حصلوا ومع ذلك ، فانهم تقريبا يصلون الى مستويات من التحصيل ابعد مما وصلوا اليه من قبل ، ومثل موظفي البنك الياباني الذين شاركوا في التدريب على المثابرة ، فانهم يتحدثون عن البهجة التي خبروها خلال هذه العملية الابتكارية بل اكثر من ذلك فانهم يستمرون في تلقي « ومضات من التنوير » اياما عدة بعد الخبرة .

ومن الممكن ان يقوم الوالدان والمدرسون والمشرفون بتقديم اعمال ذات اهداف يمكن الوصول اليها فقط عن طريق المثابرة والخبرة الساتورى فلهذه الاعمال في المدى البعيد تأثير دافعي قوي على التحصيل اكثر من الاعمال التي لها اهداف يمكن الوصول اليها بسرعة .

الاعتراف بالمشكلة أولا

يقدم تورانس في هذا الفصل نموذجا للابتكار ، يرى انه يمكن ان يكون مفيدا في فهم السلوك الابتكاري والتنبؤ وتنميته . ويقوم هذا النموذج على اسس ثلاثة هي - القدرات الابتكارية - المهارات الابتكارية - الدوافع الابتكارية

ويمكن ان نتوقع انجازا عاليا من الفرد الذى تكون دوافعه مرتفعة ، كما تكون لديه المهارات التي يتطلبها الانجاز الابتكاري كما يمكن للفرد الذى يكون لديه مستوى عال من القدرات والمهارات الابتكارية ان ينجز ابتكاريا ، اذا امكن استثارة دوافعه الابتكارية . كذلك يمكن للفرد الذى تكون لديه قدرات ودوافع ابتكارية ان ينجز ابتكاريا حينما يكتسب المهارات الابتكارية .

ويؤكد تورانس انه لابد من الوعي بالمشكلة وتحديدها لكي يحدث اى ابتكار او ساتورى اى انه لا يمكن حدوث اى ابتكار او ساتورى الا اذا كان هناك اعتراف بالمشكلة وتعريف لها والتزام بالتعامل معها وهناك مهارات يتطلبها تحديد المشكلات . فحينما يواجه الشخص موقفا مشكلا ، يجب ان يكون في قدرته التعرف على المشكلة ، كما يجب ان يكون في استطاعته ان يوسع المشكلة ، وان « يفتحها » ويعيد تعريفها ، ويحدد المشكلات الفرعية ذات الصلة بها ، والتي يمكن التعامل معها وايجاد الحلول لها

وقد حرص المؤلف على ان يؤكد ان المهارات الابتكارية يمكن اكتسابها بالتدريب والممارسة . فهي ليست كالذكاء ، اذ اكدت الدراسات عدم وجود علاقة بين الذكاء والمثابرة وحدوث الساتورى وهو اعلى مستوى في التفكير ، ويؤكد تورانس اننا يجب ان ننمي هذه المهارات والتعلم والتدريب المباشر ، ويقدم عددا من الاساليب التي تستخدم في تعريف المشكلات والوصول الى حلول ابتكارية لها

لابد من البدائل

وفي كل فصل من الفصول التالية يهتم تورانس باحدى مهارات التفكير الابتكارى فيشرح المهارة ويبين اهميتها ، ويحدد مؤشراتها في الحياة الواقعية ، وما يجمع عنها من حقائق ، وكيفية قياسها ومدى توافرها في كل مرحلة من مراحل العمر ، وصلتها بالانجاز الابتكارى ، ويقدم مقترحات للتدريب على هذه المهارة وتنميتها في المنزل والمدرسة ومجالات العمل والحياة وفي تقديمه لهذا كله يقدم الكثير من الامثلة ويحيل القارىء الى اجاباته على اختبارات التفكير الابتكارى التي قدمها في الفصل الاول ويساعده على تفهم مغزى ذلك كله .

في الفصل الثاني « انتج بدائل متعددة ودرسها » ، يناقش تورانس مشكلة الطلاقة في التفكير والوصول الى عدة حلول للمشكلات ويبين اهمية الحلول البديلة فيقرر ان هناك ادلة على انه بقدر ما يكون لدى الفرد من حلول بديلة لمشكلاته ، بقدر ما ينجح في حل هذه المشكلات ويعرض تورانس مجموعة من الاساليب التي تساعد على انتاج البدائل مثل

اسلوب اوزبورن الذى قدمه في كتابه « التطبيقي » ـ ومن المهم لانتاج الافكار البديلة ان يتعرف الفرد على المشكلة فقد اثبتت دراسات تورانس ان المدرسين الذى تعرفوا على مشكلات في اساليب تدريسهم كمفهوم ما ، قدموا اساليب بديلة لتدريس هذا المفهوم ضعف ما قدم زملاؤهم الذين لم يتعرفوا على مشكلات تدريسهم بهذا المفهوم .

ويخاطب تورانس قارئه في الفصل الثالث فيقول له قدم افكارا اصيلة ، وناقش مشكلة الاصالة التي تشتمل على الابتعاد عن الواضح والمألوف او الاقلاع عن التفكير الذى تحدده العادة ، والمفكر الاصيل هو الذى حين تواجهه مشكلة ما ، يقوم بالتفكير في الحلول المألوفة ، ويقيم فاعليتها ثم يفكر في بدائل ممكنة .

ويعرض المؤلف لبعض خصائص الخبرات التي تيسر التفكير الاصيل ، فيذكر

١ ـ ان يكون هناك وقت كاف لانتاج البدائل ، وقد وجد الباحثون انه حينما يعطى اختبار في الابتكار ، فان الافكار الأصيلة التي تأتي في الخمس دقائق الاولى تكون قليلة ، لكنها تكثر بعد ذلك

٢ ـ ان « يلعب » المرء بالافكار الغامضة وغير اليقينية ، بمعنى ان يحاول تجريب حلول اخرى ويفكر فيها ويربط بين بعض جوانبها والبعض الاخر .

٣ ـ ان يزداد الاهتمام بجدية واهمية المشكلة

٤ ـ ان نجعل التفكير الاصيل مشروعا ، اى ان ندعمه ونكافئه وقد اثبتت التجارب انه حينما يكافأ التلاميذ لتقديم افكار أصيلة فانهم يكثرون من تقديم مثل هذه الافكار

التدريب على تحديد الجوهر

ويناقش المؤلف في الفصل الرابع « تحديد الجوهر » ، فيشير الى ان كثيرا من الافراد لا ينتهون الى ما هو هام وأساسي ، وبذلك لا يحددون جوهر المشكلات ويحدث هذا حينما يكون هناك عدد كبير من المشكلات او عدد كبير من الحلول ، فيأخذهم الاضطراب الذى يكتشفون ، فيتجمدون او يختارون حلا عـ[illegible] ويشتمل تحديد الجوهر على عملية تفكير مجرد من ا[illegible] وصفها ، هي قريبة من التفكير السحرى وتشـ[illegible] نفس الوقت على التأليف واهمال الحلول الخاطـ[illegible] أو بالمعلومات التي لاصلة لها بالموقف ، وترك الحقائق والمعلومات التي لا تبشر بخير ، وتحديد اولويات ، وجعل مشكلة واحدة او فكرة واحدة تسود الموقف

وهناك عدة اساليب للتدريب على تحديد الجوهر منها ١ ـ النضال من اجل « وحدة الامتداد » ، ٢ ـ البحث عن الحلول الانيقة ، ٣ ـ التوصل الى الفكرة المتسلطة ، ٤ ـ تبسيط الامور بدون فقدان الجوهر

ويتطلب نجاح الحل الابتكارى للمشكلات ان توضع تفاصيل الحلول البديلة ، وتحدد الخطط لتنفيذها ، لكن تحديد تفاصيل حل ما قد يشغل المرء لدرجة كبيرة . لذلك يجعل تورانس عنوان الفصل الخامس « حدد التفاصيل ، لكن دون اسراف » ، فالذى يهتم بالتفاصيل قد يضحي بالطلاقة (تقديم عدد كبير من البدائل) والمرونة (تقديم بدائل متنوعة) والاصالة (تقديم بدائل جديدة غير مألوفة) ولكن تورانس يوكد أهمية التفاصيل ، فهناك امثلة كثيرة لافراد اخترعوا شيئا ، او فكروا في فكرة عظيمة ، لكنهم لم يهتموا بتحديد التفاصيل التي تنفذ بواسطتها الفكرة او الاختراع ، بينما أتى افراد آخرون وفكروا في نفس الفكرة لكنهم اجتهدوا في تحديد تفاصيل تنفيذها ، فنسبت اليهم . فالعمل الابتكارى كالقصة او الاختراع العلمي قد يصل اليه الفرد في ومضة تنوير لكن تنفيذه يتطلب ساعات طويلة من العمل الشاق

كذلك يتطلب العمل الابتكارى ان يكون الفرد متفتحا من الناحية السيكولوجية وهذه هي الخاصة التي يناقشها الفصل السادس « كن متفتحا » ، ذلك انه حينما يواجه الافراد موقفا غير مكتمل او مشكلة غير محلولة ، فان معظمهم يميل الى ان يقفز الى نتيجة ما وعادة ما تكون هذه القفزة غير مكتملة ، لان الفرد يأخذ وقتا كافيا ليفهم المشكلة ، ويدرس العوامل الهامة فيها ويفكر في حلول بديلة ، وعادة ما يؤدى هذا السلوك الاندفاعي الى حل يفتقر الى الاصالة ، بل يؤدى الى حـ[illegible]

امه قليلا من الحل المألوف الذى فشل في ان يؤدى الى نتائج مرضية •

وتتطلب العمل الابتكارى ان يكون الفرد واعيا بدور الوجدانات والعواطف (الفصل السابع) فقد كان الرأى السائد من قبل ان الوجدانات تتدخل في العملية الابتكارية وتعطلها اما الآن فهناك أدلة كثيرة على أن العوامل عبر العقلية وفوق العقلية والوجدانية اكثر اهمية للتفكير الابتكارى من العوامل المعرفية العقلية ، وهناك عدة اساليب لاستخدام الوجدانات في تيسير التفكير الابتكارى

ويستمر تورانس في الحديث عن انواع اخرى من مهارات التفكير الابتكارى فيتحدث في الفصل العاشر عن اهمية التصور البصرى الثرى ذى الالوان المتعددة للتفكير الابتكارى اما في الفصل الحادى عشر فيتحدث عن دور الخيال في العملية الابتكارية ، ويشير الى ان كثيرا من المبتكرين قد تحدثوا عن الدور الذى لعبته القصص الخيالية التى كانت تحكى لهم ، وخبرات الطفولة الخيالية والقراءات الادبية في انتاجهم الابتكارى ، ويؤكد أن كثيرا من المخترعين حتى الذين يقومون بالتخطيط العملي مثل المهندسين ، يستعملون الخيال في تخطيطهم وتنفيذهم لخططهم •

وفي الفصل السادس عشر يقول تورانس دع الفكاهة تنساب واستخدمها ويوضح لنا ان الفكاهة و « روح الفكاهة » هي اساسا عمل ابتكارى كما انها تيسر الابتكار وتنميه ، فالفكاهة تعتمد على الارتباطات غير الشائعة ، والمفاجأة وعدم الاتساق التصورى والادراكي . وقد لاحظ الكثيرون ان في حل المشكلات تكون الحلول التي تكتسب هي الحلول التي تطلقها روح الفكاهة ـ ومع ذلك لم تعط اساليب حل المشكلات الفكاهة اهتماما خاصا

« الابتكار لا نهائي . هو مصافحة المستقبل . العبقرى هو ذلك العقل المبتكر الذى يكيف نفسه مع ما يأتي به المستقبل من الاشياء . وهكذا يبدأ تورانس الفصل السابع عشر والاخير من كتابه ، تحت عنوان . لتحصل على لمحات لا نهائية » . ويقول ان عصر الفضاء وعصر ما بعد الصناعة يمتاز بالتحدى ، فقد كنا نظن اننا نعرف حدود الفضاء وقدرات الانسان والمعرفة ، لكننا نفاجأ كل يوم بالجديد ، لذلك يجب ان يعمل البيت والمدرسة وكافة المؤسسات على ان توفر للاطفال لمحات من اللانهاية في تصور الحياة ، وان تكبر وتثرى تصوراتهم للمستقبل ، وأن تجعلها اكثر دقة ، ولكي يتحقق هذا يجب ان تكون بيئة الطفل ذات عقل متفتح ، وباختصار فان على المجتمع ان يدرس احتمالات المستقبل وان يعد افراده لها

ترى هل نهتم في حضارتنا العربية الراهنة بالابتكار ، لكي نعيد امجادا سابقة ، ونعود من جديد قادة في العالم ؟! ■■

د . عبد الله سليمان

اذكر انني احببت

حسن عبد الله (شعر)

دار العودة ـ بيروت

هذا الديوان هو العمل الشعري الاول للشاعر اللبناني الشاب حسن عبد الله ويضعه النقاد الى جانب الشاعر محمد علي شمس الدين ، في طليعة الشعراء الشبان ، الدين شكلوا فيا بعد ، ما تم التواضع على تسميته بـ « شعر الجنوب » اللبناني طبعا !

الهم الجنوبي ، بما هو تكثيف لمأساة لبنان ، وبما هو الشاهد الباقي على فظاعة الحرب الاهلية ، يرتسم في هذا الديوان ويشيع في كل مقطع ولكن بعيدا عن اية مباشرة ، او غناء فردي احادي ومن يتوسلون الشعر « السياسي » لن يجدوا ضالتهم في هذا الديوان فالوضع السياسي ، يدخل في نسيج لوحة مركبة ، فلا يبدو نافرا صارخا

يصور الشاعر ويتكيء على معاناة مزدوجة الاتحاد بهموم الوطن ، ثم محاولة بناء قنطرة يجتمع منها التوق الشخصي والوجودي بالحضور الحي والفعال في قضايا الوطن هذه المعاناة تظل تنزف دون ان تستشرف افقا جليا للعبور

وكأي شاعر حقيقي فان حسن عبد الله ، يجهد في استنهاض التساؤلات وفي الايماء الى فضاء آخر ، دون ان « يعطي » قارئه خلاصة او قناعة او « حقيقة » ما باستثناء بعض القناعات الصغيرة صيدا ، الفقراء ، فاطمة ، ليلى المستحيلة

بقيت الاشارة الى ان معظم قصائد الديوان مطولة وتجنح الى ما يشبه السرد الشعري والتقطيع ، والحواريات في جهد واضح الى اضفاء قيمة درامية (تعدد الاصوات وصراع الحالات) بما يعبر عن طموح الشعراء العرب الشبان ، الى كسر دائرة الغنائية الذاتية

واذ يلمس قارىء الديوان . شجنا كثيفا يكتنف قراءة القصائد ، فانه يلمس في الآن داته ، دبيب فرح سري فرح العودة الى الاصول ، واحتضان بداهة الاشياء وغموضها الآسر

وخصص المؤلف ملحقا خاصا بعنوان المكتبة ، يشتمل على ثبت ، بالكتب الاساسية والمراجع التي يعتد بها في دراسة النقد الادبي وذلك في حقول الفن ، الادب ، الشعر ، القصة (الرواية والقصة القصيرة) ، المسرحية ، النقد الادبي ، تاريخ الادب ، اعلام (سير الادباء) السيرة الذاتية

والحق المؤلف « استدراكا » بالمكتبة ، يتضمن اشارة الى عدد من الكتب الاهم والاعم ، الصادرة حديثا ، خلال عامي ٧٨ ، ١٩٧٩

يتضح من هذا التعريف ان الكتاب ، يندرج في قائمة الكتب التأسيسية ، التي تقدم احاطة تمهيدية ومعرفية وتاريخية بموضوعها ، وهو من هذا المنظار يبدو مرادفا لكتاب مثل النقد الادبي الحديث ، لمؤلفه الدكتور محمد غنيمي هلال ، الذي يقدم بدوره عرضا تفصيليا وتاريخيا لتطور ادوات النقد ، عبر تطور المفاهيم الفنية لالوان القصة والشعر المسرحية الخ

الا ان الانطباع الذي يرد على ذهن القاريء في هذا المقام ، هو انه اذا كان الهدف هو تعريف القاريء ، والقاء الضوء والاخذ بيد الدارس الخ فهل التفصيل المسهب ، والافاضة في الشرح التاريخي ، تفي بالغرض الاساسي ام ان القاريء يحتاج بالفعل ، الى كتاب ميسر في حجمه ، وكمية مادته ، بالاضافة الى تيسير اسلوب العرض ، وبسط المعلومات والمفاهيم ؟

على ان ذلك لا ينفي قيمة الكتاب وفائدته ولا سيما انه حصيلة عمر ، لاستاذ عرف بمكانته الاكاديمية المرموقة

حكايات من الوطن العربي الكبير
(الجزء الاول)

احمد السقاف

الكويت ١٩٨٠

● تتصمن حكايات هذا الكتاب لمؤلفه الشاعر احمد السقاف ، سردا وعرضا لرحلاته باعتباره مسؤولا في وزارة خارجية دولة الكويت عن الهيئة العامة للجنوب والخيج العربي بالاضافة الى رحلاته « الادبية » بحكم موقعه في رابطة الادباء ، وتمتزج في هذا السرد الذكريات الشخصية ، بالمواقف الفكرية والقومية ، ويمتزج الشعر بالنثر ، والادب بالسياسة ، ويجمع هده جميعا شعور قومي فياض وانتماء قومي ثابت ومكين ، ينهل من القيم الروحية لهده الامة

يتحول قاريء هذا الكتاب في بقاع الارض العربية من الجزيرة والخليج واليمن الى المغرب والجزائر ، ودمشق ، حيث يتلمس الملامح والقسمات العربية الواحدة ، والهموم والصبوات المشتركة وادا كانت العفوية والارتجال هي ميزة للكتاب ، اد تعطيه طبع الشهادة الوجدانية فانها قد تكون في دات الوقت مأخذا على الكتاب ، الذي افتقد التبويب والتصنيف في موضوعاته ، وافقده التسلسل المطلوب خدمة للفكرة المتوخاة وهو مأخذ شكلي على اي حال لا يمس الكتاب كقيمة

استمع ايها الصغير ـ حديث عن الحرية الى رجل الشارع

ولهلم رايش

دار ابن رشد ـ بيروت

من هو رجل الشارع الصغير ، الدي يوجه اليه الكاتب ؟ انه الرجل الذي وصل بؤسه الى درجة من الشمولية والوضوح لم يعد بامكان اعمدة النظام القديم نفسه انكارها ، رجل الشارع الذي قامت باسمه وعلى اكتافه كل النظم الاستبدادية

الا ان هذا الرجل ينتمي تحديدا ، الى العالم الاوروبي والاميركي الذي تم سحقه على يد هتلر وستالين والذي ينوء الآن ، تحت هيمنة انسان الغرب ، لدى المفكر وعالم النفس ويلهلم رايش

والكتاب عبارة عن خطاب مفتوح ، يوجهه طبيب الى مريضه ، بعد علاقة طويلة بينهما كما يوجهه كاتب الى جمهوره في ما يلي بعض الاقوال الموضحة برسوم في الكتاب

ـ تلعب دور ناظر العبيد والعبد الذي تراقبه هو انت ـ في اعماقك هناك احتقار لذاتك حتى عندما ـ او بالذات عندما ـ تستعرض امامنا مقامك ومركزك ـ تخاف من التحليق ، وتخاف من الارتفاع والانخفاض ـ تطلب السعادة ولكن الأمن اهم بالنسبة لك من السعادة ـ تريد زعيما يرتدي الزي الرسمي لتسمره على عربة وتقوم دون حياء باستعراضه في شوارع المدينة ـ تختلس سعادتك اختلاسا تماما كما يفعل اللص في الليل ـ انت خائف ولهذا تعمد الى الصراخ ـ لا تتقبل اي تعبير حي ، ولا اية حركة صعبة عفوية من فترة لاخرى تخرج راسك من المستنقع لتهتف يعيش ـ خلف قناعك الاجتماعي ووداعتك تختفي وحشية كبيرة

تلك طائفة من الاراء التي يبثها المؤلف في كتابه باسلوب شديد التهكم ، مع تعمد « الايذاء » النفسي لاحداث الصدمة

ولا شك ان الكتاب من وجهة نظر مؤلفه ، يقدم للقاريء العربي ملامح جديدة لصورة انسان العصر ، انسان الغرب ، فضلا عن طرافته وعدوبته كمذكرات شخصية .

ترجم الكتاب اسامة حامد

* *

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥٧ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يونيو (١٩٨٠)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤسس الدولة الطاهرية ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم قائد اسلامي .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من أصحاب المعلّقات ـ رائد النسيبة .
٢ ـ آلة نفخ موسيقية ـ من أشهر علماء الرياضيات
٣ ـ أقطع ـ أسوّف ـ أسرة حاكمة فارسية .
٤ ـ تضيع ـ نبغي ـ يبرّ
٥ ـ متشابهان ـ حرف ـ يقابل ـ صاحب .
٦ ـ صوت الجرس ـ يابس ـ يتكوّن منها البناء
٧ ـ في مرحلة من مراحل العمر ـ رابحة ـ بيت .
٨ ـ مؤسس الدولة الطاهرية .
٩ ـ سبات ـ للتفسير ـ منافق ـ حيوان
١٠ ـ رمز هندسي ـ وفاء ـ علم ـ يرجع
١١ ـ من أنواع الزهور ـ هولندي كان أوّل من اخترع التلسكوب
١٢ ـ من الخضروات ـ أهدمه ـ للتمنّي
١٣ ـ لفظة ألم ـ نحرج ـ حول مجرى النهر ـ متشابهان
١٤ ـ وحدة قياس أطوال ـ الدكتاتور الوحيد في تاريخ انجلترا .
١٥ ـ المشاركة ـ متشابهان ـ نقاش .

الكلمات الرأسية :
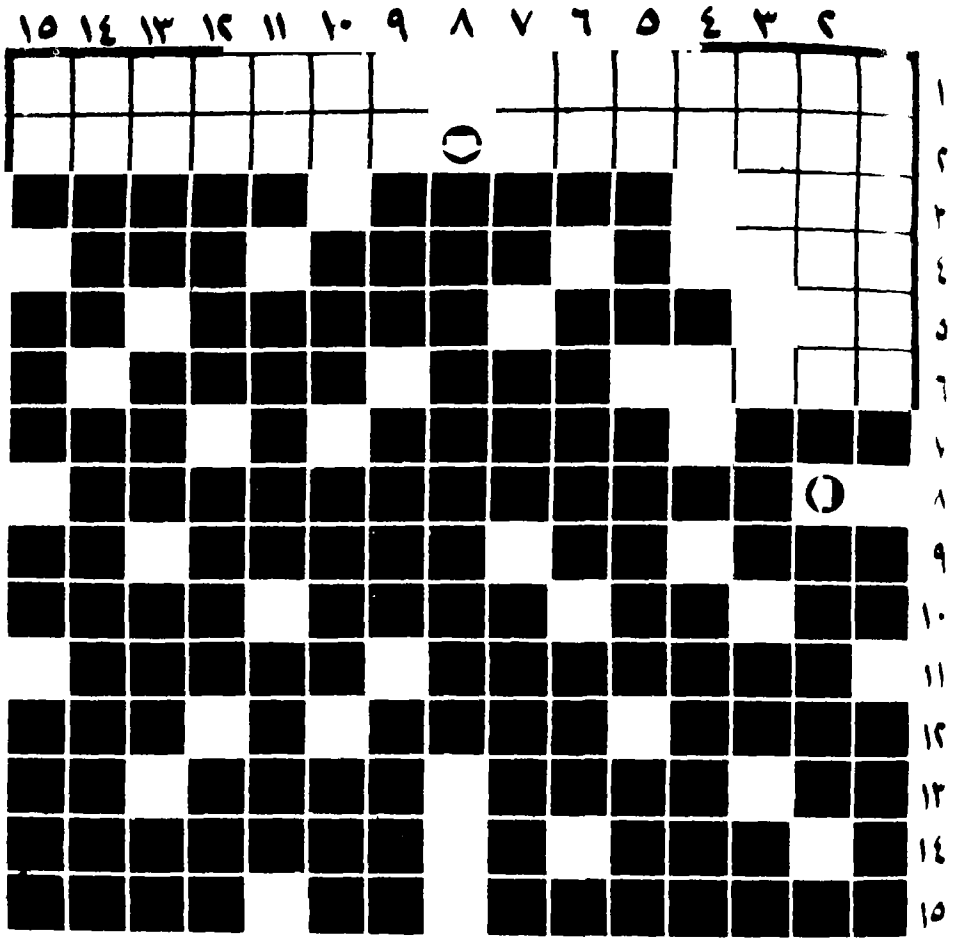
١ - أوّل رئيس جمهورية تركي - متشابهان - خشيا
٢ - ميناء أسباني معروف - صيانة
٣ - شعل - يضرب بالكف المفتوحة - مقام موسيقي - حرف استفهام
٤ - ى الجهار الدوري - حرف جر - من البحار
٥ - لة موسيقية شعبية - في الذرّة - جوهرة
٦ - حدة قياس زمن - تماشي - امتنع عن الأكل
٧ عية كبيرة لحفظ السوائل - أشتم - من العناصر
٨ - قائد اسلامي
٩ - نصف اليوم - من المحيطات - من الألعاب الرياضية
١٠ - للنداء - حرف أبجدي - لاعب - أبصر
١١ - غير طاهر - دميمة - أجري
١٢ - في الجهاز الدوري - وحدات قياس زمن - يلفظ
١٣ - تندم - رشاد - شهد - رغب
١٤ - شهر ميلادي - دولة اسيوية
١٥ - يفقد العقل - من أوجه القمر - مناص - دخل خفية .
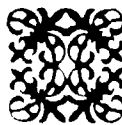
قصّاص عربي معاصر

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة . بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها بحيث تصنع الاسم الاول لقصّاص عربي معاصر ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها بحيث تصنع لقبه

الكلمات الأفقية :

١ ـ فاكهة
٢ ـ ينتفع
٣ ـ أبصر ـ مقام موسيقي
٤ ـ من الحبوب ـ عمّ
٥ ـ عودته
٦ ـ طائر من الجوارح ـ رغب

الكلمات الرأسية .

١ ـ البابا الذي أعلن الحرب الصليبية
٢ ـ حيوانات
٣ ـ أقبل ـ نصف كلمة (مصار)
٤ ـ نصف كلمة (نفوس) ـ شتم
٥ ـ ولاية أمريكية
٦ ـ تقام على الانهار

٦	٥	٤	٣	٢	١	
*					*	١
*		٧				٢
٧		■	*			٣
		٧	■			٤
■				٧		٥
		■	*			٦

				٧

					*
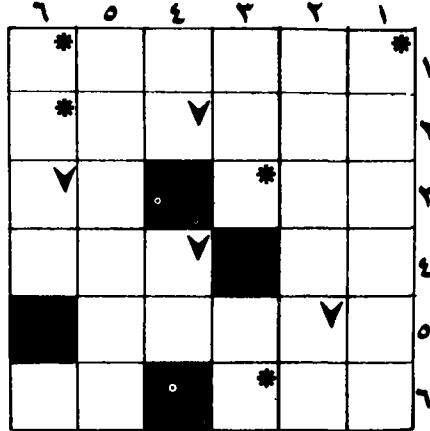
اين الصواب .. واين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح ، وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟..

١ ـ هاللي فلكي شهير اطلق اسمه على اشهر المذنبات .
٢ ـ هنري دونان مؤسس هيئة الصليب الاحمر .
٣ ـ وايندوت · نجم برلماني انحليزي من العصر الفكتوري .
٤ ـ ماتادور مصارع الثيران الرئيسي .
٥ ـ ليمور غازي مغولي معروف
٦ ـ كريزانتيم من انواع الزهور .
٧ ـ كارترايت مخترع النول الميكانيكي .
٨ ـ كاراكورم سلسلة حبال آسيوية
٩ ـ كيلوج بريان ميناء فرنسي معروف
١٠ ـ فيراكروز أهم ميناء مكسيكي .

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام ، يحلّ محلّ علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

يوسف ادريس .

أين الصواب ، وأين الخطأ ؟ :

كلّها صحيحة فيما عدا
(٣) وايندوت من سلالات الدحاج
(٥) ليمور نوع من القردة
(٩) كيلوج بريان ميثاق سلام في بداية القرن العشرين .

الشكل المطلوب .

رقم ٣ .

أورينت تذكرك بالوقت.. على أنغام الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
LIGHT
START-STOP
TIME SELECT
SET
12:00 00
MUSIC AUTO TIMER STOP W
NOR
MUSIC ALARM
إنيك آخر ما توصّلت إليه أورينت ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكّم. نغمات معدودة مثل
" أماريلّيس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
مُلِحّة أكثر، أو موسيقى دائمة في كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية العلاّقة لساعة أوريت، أول ساعة
في العالم تنبه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مُجرّد الوقت - بنعومة ورقة

تغلّب «رد أدير» وسَاعته رولكس عَلىَ آفة العَقبَات لدَى إخمَادهُ «ولاّعَة الشَيْطان»

يعمَل " رد أديْر» في إخمَاد حَرائق البترول . وأشهرهَا الحريْق المعْروفْ باسْم " ولاّعَة الشَيطان» في الصحْراء الكبْرىْ

كَانتْ نيرَان هَذه البئر الرهيبَة تندلع صَاخبَة مدوّية في عنَان السّماء الى عُلوّ يبْلغ ٢٠٠ مْتر ، وتأتي عَلىَ مَا يَزيد عَن ١٥ مليوْن مْتر مكعّبْ مْن البتْرول كْل يوم .

وبَعد مجهْود دائبْ ، تحتَ انهمَار أطنَان من الميَاه لمكافحَة الحَرارة ، إستطاع " رد أديْر» وَفريقه وضع ٢٥٠ كيْلو غرامًا مْن مَادّة متفجّرة خَاصّة عَلىَ بعْد نصفْ مْتر من فـ ـدة النيرَان الملتهبَة ، ثمّ قام بتفجْير هـذه المـ فتمّ إخمَاد الحريق في جزء من التابيَة

وداخِل مصَانع رولكسْ في حسْبمُ حَ تقلّ الحَرارة نسْبيًا ، يَقوم الحرفيوّن باستح سَاعَة مصَمّمة لاحتمال أقسَى وأصعَب الأحوا والأوضَاع .

فكل سَاعَة رولكسْ كرونومتر تخرج مِ مصَانعنَا ، تخضَع رسْميًا لاختبارات دقيقة لَيل وَطوَال أسبوْعين ، فضلاً عَن حَتمّية استمرار مدّة خمسَة عشرَ يَومًا تتعَرّضْ خلالهَا سَاعَ رولكسْ الى نهَايات قصْوى من درجَات الـ وهيَ مُدلاّة في معْزل عَن علبتهَا المتيسة أو يسـ ولكن ، مَن بامكَانه معْرفة الطريقة الى بهَا رولكسْ وَهيَ حَول معصَم رجُل مثل رد

في عَام ١٩٧٧ ، عَاد " رد أديْر» وفريقه مُ بَحرُ الشمَال رافعين رايَة النصْر ، وقد أخمد إخمَاد ثوران بئر " برَافو» يوم راحَت تقدف مِن فوهتهَا ، كمَا الصَاعقة ، نافورَة مْن والبترول في درجَة الغليَان ، ممّا رسته منا الكيْلوهَاتْ كْل سَاعة .

وتعْليقًا عَلى هَذا الحَدث ، كَتبَ مرا " الديْلي مَيل» . " كانتْ سَاعَاتْ رولكسْ الد مثبّتَة حَول معَاصِمهْم وكأنّهَا رمْز شركة شَركةٌ ما ، هيَ .
وَرمْزٌ ما ، هوَ .

ROLEX
رولكسْ

في الصورة : ساعة رولكس كرونومتر " داي ديت» من الذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سوار ينسجم معها .

ثوره المعلومات وأمان العالم الثالث
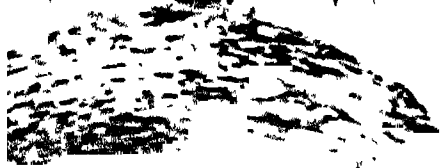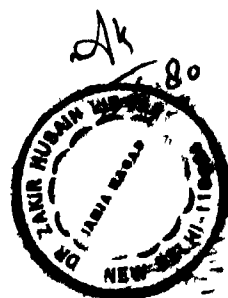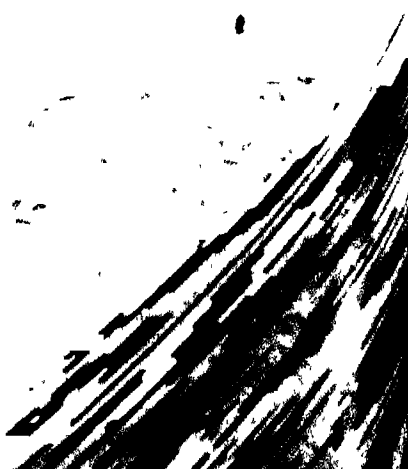
حمادى الآ

الطريق
الى
سمر

عزيزي القارئ

ليس حديدا موصوع هحرة العقول العربية الى العالم العربي والولايات المتحدة الامريكية لكن الجديد الذى شد انتباهنا هو هذا التفاقم في حجم الظاهرة ، حلال السنوات الاخيرة ، حتي ان بلدا عربيا واحدا اعلن رسميا منذ اسابيع انه حلال السنوات العشر الاخيرة هاجر من هذا البلد الشقيق ١٥ الف شحص من حيرة المثقفين والخبراء

ولسنا هنا في صدد تعديد الاسباب التي تدفع تلك العقول الى الهجرة الى الخارج ، فقد باتت هذه الاسباب معروفة ، وصار مستقرا انها خليط من العناصر الاقتصادية والبيروقراطية والسياسية لكن الذى يعنينا هنا هو محاولة الاجابة على سؤال محدد هو كيف يمكن حل هذه المشكلة ، ووقف ذلك الاستنزاف الذى يهدد بشكل أو بآخر آمال شعوبنا في مستقبل افضل

واجابتنا تتلخص في نقطتين الاولى ان هذا النزوح للعقول ليس مشكلة عربية ، كما انه ليس مشكلة العالم النامي وحده ، وانما هو مشكلة عالمية ، وان كانت آثارها اشد ضررا على العالم النامي ذلك ان هجرة العقول والخبرات من اوروبا الشرقية الى الغربية ، ومن اوروبا الغربية الى امريكا وكندا واستراليا ، هذه القوافل مستمرة ، ولم تتوقف بعد

النقطة الثانية هي ان وقف هجرة العقول لا يتم بقرار ، ولا يمكن حصاره باجراءات تنفيذية ايا كانت فعاليتها ، انما هذا الهدف يتحقق اذا توفر مناخ ايجابي يشكل عنصر جذب لهذه الخبرات المهاجرة ، بدلا من مناخ الطرد السائد الان

القضية شائكة وحلها صعب ويحتاج الى حكمة وصبر . لكن « مناخ الجذب » هو الحل الوحيد ، وعلى الذين يجهدون انفسهم في صياغة القوانين واللوائح ومحاولة احكام الحصار على العقول والخبرات ان يوفروا هذا العناء على انفسهم وعلى اوطانهم ، ويستثمروا قدراتهم في اعلان الحرب على « مناخ الطرد » ، فذلك احدى وانفع

« المحـــرر »

صورة الغلاف

● الاثار الاسلامية في آسيا الوسطى عالم مليء بعناصر الجمال والاثارة والفن الرفيع ، وغلاف هذا العدد يسجل جانبا من هذا العالم لقطة من آثار مجموعة شاه زندة الشهيرة في سمرقند ، ثم فتاة اوزبكية في مصنع للحرير تعرض ثوبا من القماش ذي الالوان التقليدية الزاهية انظر استطلاع الشهر

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

العربي

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

بقلم : أحمد بهاء الدين

عندما تصل هذه السطور الى يد القاريء .. قد يكون الماريشال تيتو على قيد الحياة ، وقد لا يكون ...

ولكن الامر لا يختلف في ضرورة الحديث عنه ، وهذا الشهر بالذات .

لا يختلف الامر ، لانه حتى لو كان مازال « على قيد الحياة » ، فان « وجوده » قد توقف في الحالتين . ودوره قد انتهى اما البقاء « الطبي » على قيد الحياة فهو لا يعني شيئا لرجل مثل تيتو . اذا توقف فيه الذهن ، والارادة ، والشجاعة ، والخيال ، والاحساس بالمسئولية . فقد توقف وجوده الحي النابض ..

وفي الشهر الذي انقضى ـ ابريل ١٩٨٠ ـ انتهى وجود تيتو كما نعرفه . وفيه مضت خمس وعشرون سنة على مولد حركة عدم الانحياز .

وقد كان صراع الماريشال تيتو مع الحياة طويلا . وكان صراعه الوطني ثم الدولي طويلا . وكأنه شاء إلا أن يكون صراعه مع الموت نفسه طويلا . فالطب يعترف علميا بان « ارادة الحياة » في مثل هذه الظروف لها اثر كبير في مدى صمود المريض . وقد أبدى تيتو ، وهو في الثامنة والثمانين ، رفضا مذهلا للموت . وقبل بقطع ساقه على ضآلة الامل . وكان الى ماقبل دخوله المستشفى بأيام آتيا من احدى جولاته العالمية المضنية ، مصمما على ايصال صوته الى كل مكان ، وطرح رأيه على كل دولة مهما كبر او صغر شأنها . غير مستكبر على مهمة ولا مستنكف عن مؤتمر حرج . وقد كان يمكنه ان يخلد للراحة ملكا غير متوج في بلده ، أو بالاحرى زعيما مكللا بكل اكاليل الغار في بلده .

ولكنه كان في الساحة دائما . وكانت رحلته مع الحياة كما كان صراعه مع الموت طويلا عنيفا مستبسلا .

ومرور ربع قرن
على "عدم الإنحياز"

ولا عجب . فقد عرف العالم اسم تيتو لاول مرة وهو فوق الخمسين من العمر اى في سن ينتهي فيها سواه ولكن القدر كان محتفظا له بدور بعد الخمسين اكبر واشمل واهم .

.. الى العالم الثالث المظلوم

ان الرجل ، اى رجل ، هو « موقف » .

يختلف الرجال في الذكاء والشجاعة والآراء . ولكننا قد نجد الذكي المتردد . او الشجاع المتهور . او صاحب الرأي السلبي . ولكن مزيج هذا كله يقود الرجل الى اتخاذ « موقف » . هذا هو الامتحان الاكبر ، والمعيار الاهم . في « الموقف » خلاصة عقل الانسان وضميره وصلابته ، فبالموقف الذي يختاره تتبدى ألوانه الحقيقية . وتتجلى كل جوانب ضعفه وقوته على حقيقتها

وقد اختار تيتو منذ تفتحه على الدنيا موقف الدفاع عن الفقير او المظلوم ، ايا كان المذهب الذي اعتنقه . ومن الفرد الفقير اختار جانب الوطن الممزق المظلوم . ومن الوطن الممزق المظلوم الى العالم الثالث المظلوم . كان هذا موقفه الذي لم يتغير . والذي دعا اليه ودافع عنه ببسالة لا مثيل لها ، و « استمرارية » واصرار لا ملل فيهما ولا كلل .

وقد دارت الدنيا والاحداث حول تيتو دورات هائلة . وانقلب العالم راسا على عقب عدة مرات . فقد ولد في القرن الماضي . وولد في البلقان ، الذي كان دائما بؤرة القلق والاضطراب وتصارع القوى ، في العالم كله . لكثرة ما فيه من قوميات . واديان . وسلالات . ولغات . وحدود رسمت واعيد رسمها اكثر من عشر مرات خلال قرن واحد .

ولعله ليس مصادفة ، ان يأتي من هذا البلقان بالذات ، اول من ادرك ان آمال الشعوب الصغيرة في تضامنها معا ، لدفع الوحوش الكبيرة في الغابة عنها . اليس هذا هو جوهر عدم الانحياز .

ولد تيتو وما يسمى اليوم يوغسلافيا مقسم بين الامبراطورية العثمانية والامبراطورية النمسوية . وانفجر اول حادث كبير في حياته وحياة الدنيا التي عاشها برصاصة اطلقت في « سراجيفو » من شاب صربي على امير نمساوي ، فاشتعلت الحرب العالمية الاولى .

ووجد جوزيف بروز ، صبي الحداد ، نفسه ـ كأحد ابناء كرواتيا ـ مجندا في جيش الامبراطورية النمسوية ، يحارب في الجبهة الروسية ضد جيوش روسيا القيصرية . ثم لا يلبث ان يقع في أسر قوات روسيا القيصرية . حتى يقع ثاني الاحداث الكبرى في العالم بقيام

الثورة البلشفية في روسيا ، وقيام دولة الاتحاد السوفيتي ، التي قلبت كل موازين اوروبا ، وكانت آخر شيء توقعه الاباطرة الذين بدأوا الحرب . ولكنه كان اخطر ما اسفرت عنه تلك الحرب .

وقد خرج تيتو من ذلك بمعرفة تامة باللغة الالمانية التي تعلمها في الجندية واللغة الروسية التي تعلمها في الأسر ...

ولكنه عاد الى بلاده وقد أعيد رسم خريطتها من جديد . حيث تم ضم سبع قوميات في اطار دولة واحدة هي يوغسلافيا . عاد وقد تعلم شيئا اهم من اللغات تعلم انه لا بد من النضال الوطني لايقاظ وتوحيد شعوب الدولة الجديدة وتعلم ان الامبراطوريات همها الاساسي الحفاظ على مصالحها ، اما الدول الصغيرة فلا مانع من ان تداس تحت الاقدام

ممثل القوى الوطنية كلها

وقضى تيتو فترة ما بين الحربين يعمل حدادا ليكسب عيشه ، ويعمل في الحركات السياسية السرية ضد النظام القائم .

مشوار آخر طويل ، ممل ، صعب . وكان قد قارب الخمسين عندما انفجرت الحرب العالمية الثانية . وكان موقفه اتوماتيكيا ضد الفاشية والنازية . وبدأ هتلر يجتاح اوروبا دولة بعد اخرى . ويهزم أعتى الجيوش في اسابيع . ويسحق اى مقاومة داخلية سحقا كاسحا رهيبا .

ما عدا يوغوسلافيا . فمع ان جيوش هتلر اجتاحت البلقان كله ، الا ان تيتو جمع رفاقه من كل مكان وصعد بهم الى الجبال . وبوسائله وامكانياته الخاصة ، قاد هذا الرجل في الخمسين من عمره حرب عصابات ، بدأت بالاستيلاء على الاسلحة من الالمان انفسهم . ثم تحولت حرب العصابات الى ما يشبه الحرب النظامية . واتخذ لنفسه اسما مستعارا هو « تيتو » وهو اسم شاعر كرواتي فلكلوري قديم . وعرفت يوغسلافيا كلها اسم تيتو وعرفت انه قائد هذا النضال . وعرف الالمان اسم تيتو وتأثيره ، فحاولوا حصاره مرارا ، واصيب مرة بجراح خطرة في احدى المعارك . ولكنه كان دائما يفلت ويواصل القتال ، وينظم فرقا جديدة من المناضلين . وبالتالي تسلل اسمه الى العالم الخارجي مقرونا بالدهشة البالغة سواء في موسكو ـ قيادة الشرق ـ او لندن ـ قيادة الغرب . فمن هو هذا الرجل ، الذي يمثل ورجاله المقاومة المنظمة الوحيدة داخل اوروبا التي تحتلها جيوش هتلر ؟

وبحثت الطائرات الانجليزية عن مواقعه ، حتى عرفتها بالتقريب وفي ذات ليلة ألقت عليه بالباراشوتات بعثة عسكرية يقودها جنرال ، ليقابلوا الرجل ويعرفوا الموقف بالضبط

وقد روى هذا الجنرال الانجليزي ـ اخيرا ـ قصته وكيف اخذوه الى تيتو ورد فعله الاول أنه امام رجل غير عادي وان سلطته على رجاله لا نزاع فيها وروى انه تعرض مع تيتو لحصار المدرعات الالمانية اكثر من مرة ، وانه اضطر للانتقال معه من كهف الى كهف في الجبال الوعرة ، والمقاومة لا تتوقف

ومن يومها صار هناك اتصال بين تيتو والعالم الخارجي وامكن تزويده بالسلاح والعتاد عن طريق القائها ليلا بالطائرات وسقط دور الملك اليوغوسلافي الذي كان في لندن ، واعترف الحلفاء بان يوغوسلافيا اذا تحررت فسوف يحكمها تيتو قطعا

وبالفعل ، صار جيش تيتو قبيل نهاية الحرب اكثر من نصف مليون وكانت قواته هي الوحيدة التي شاركت في تحرير بلادها قبل وصول قوات الحلفاء ودخلت بلجراد قبل غيرها

كان حلفاء الغرب يعرفون ان تيتو هو رئيس الحزب الشيوعي اليوغسلافي وبالتالي سوف يكون اقرب الى ستالين بعد الحرب ولكنهم قبلوا بذلك لانه لم يكن هناك مفر لانه هو ممثل القوة الوطنية الشاملة ، اكثر من الحزب الشيوعي فقط

ولم يتصور احد وقتها ان تيتو هذا نفسه ، سيكون اول الخارجين على ستالين بعد سنوات قليلة وان ستالين بجبروته سيخوض أول وآخر معركة خاسرة في حياته ضد تيتو ، وهو على حدود معسكره ، ويرأس دولة لا يزيد عدد سكانها على سبعة عشر مليون نسمة ، لهم سبع قوميات ويتكلمون سبع لغات

عدم الانحياز والصراع مع الموت

ان تاريخ الميلاد الرسمي لعدم الانحياز ، هو ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ ، تاريخ مؤتمر باندونج وبالتالي فقد مر عليه ربع قرن في الشهر الماضي ، وتيتو يصارع الموت فهل صار « عدم الانحياز » بدوره ، في صراع مع الموت ؟ ام انه ما زال قادرا على الحياة .

الواقع ان المولد الحقيقي لحركة عدم الانحياز ، كان قبل ذلك بسنوات ، عندما قام تيتو باول حركة انفصال عن كلا المعسكرين الشرقي والغربي .

جاء انفصاله عن المعسكر الشرقي لانه كان فيه ، ولكنه رغم انه كان محاطا به ، الا انه لم يلجأ الى المعسكر العربي رغم ان منطق ذلك الوقت ـ حروب روسيا وامريكا واستحالة العيش خارجهما معا ـ لم يكن يسمح بذلك

صحيح ان الغرب خف الى محاولة مساعدته وصحيح انه اخذ مساعدات من الغرب ولكنه لم يدفع اى ثمن سياسي او عسكري ثم انها كانت مساعدات بسيطة فقد نقل عن ستالين قوله « سوف اهز اصبعي الاصغر فيسقط تيتو » وكان اعتقاد الغرب ان هذا هو ما سوف يحدث ، فلا داعي للاسراف في مساعدة قضية خاسرة خصوصا ان اتفاقية (يالتا) بين تشرتشل وروزفلت وستالين تركت وضع يوغوسلافيا مطاطا

وعاش تيتو سنوات صعبة للغاية ، في وحدته في هذا الموقف ، منصرفا الى بث روح التصميم والوحدة في شعبه حتى التقي موقفه بموقف زعيمين آخرين جواهر لال نهرو في الهند وجمال عبد الناصر في مصر

وقاد الثلاثة حركة عدم الانحياز ، كل في نطاق تأثيره ووضعوا لها قواعدها واركانها

وكان اهم ما فعلوه أنهم ترجموا عدم الانحياز ترجمة ايجابية غير سلبية وقتها قال جون فوستر دلاس انه موقف غير اخلاقي لانه لا يختار وقال المعسكر الشرقي ان من يقف في وسط الشارع سوف تدوسه السيارات ،

ولكن القادة الثلاثة ترجموا عدم الانحياز ليس بمعنى الوقوف في الوسط وعدم الانتماء الى شيء ولكن بمعنى الاستقلال الوطني ، وتحرر الارادة الوطنية ، والانتماء مع الحق حيثما كان انتماء ايجابيا نضاليا وبالتالي مساعدة كل حركات التحرر والاستقلال الوطني ايا كان موقعها من العالم

ورحلة عدم الانحياز عبر ربع قرن من اصعب سنوات التاريخ ، معروفة

فمجرد رفض الاحلاف العسكرية ومنعها من الانتشار حدم القضية ، وخدم العالم ، والا لتصورنا امكانية وقوع صدام ذري منذ زمن بعيد

دور مستمر لعدم الانحياز

وقد استقلت منذ ذلك الوقت ما يقرب من مائة دولة ، ان سلما وان حربا وكان لدول عدم

الانحياز مع اتساع رقعتها تدريجيا ، دور في كل استقلال وفي عمق كل حركة تحرر وطني دين لحركة عدم الانحيار

وحيث كان متوقعا ان تعمد حركة عدم الانحياز بالدم في يوغوسلافيا ، عمدت بالدم في مصر ، بحرب السويس سنة ١٩٥٦ التي اسفرت عن تضعضع آخر امبراطوريتين الانجليزية والفرنسية اذ كانت فعلا اول معركة دامية شاركت فيها دول عدم الانحيار بأدوار مختلفة ، شعر الكبار خلالها لاول مرة بقوة ضغط رأي عام جديد لم يكن له وجود من قبل

والمجموعة الافريقية الآسيوية
ودول العالم الثالث
ودول الجنوب ازاء دول الشمال
وسياسة الوفاق بين الشرق والغرب
كلها حقائق ومواقف ، تنتمي بنسبها الاول الى حركة عدم الانحياز

وقد جاءت ذكرى مرور ربع قرن عليها ، ونهاية رحلة آخر مؤسسيها الاحياء ، تيتو ، في وقت يعاني العالم فيه من مواجهة عنيفة جديدة بين روسيا وامريكا مواجهة يعمل كل طرف فيها لا على تقوية نفسه بالسلاح فقط ، ولكن بالحلفاء ايضا الامر الذي احدث بلبلة في بعض دول عدم الانحياز ، واجتذب بعضها خارج الصف عن رغبة او عن رهبة وتعرض الوفاق لنكسة

ولكن هذا لا يعني نهاية دور عدم الانحياز

فهو لا يزال المظلة الواقية ، التي يعود اليها حتى الذين خرجوا عنها لضرورة او لاختيار

انه حزب الاغلبية في العالم . اغلبية الدول ، واغلبية السكان

وما يربطه صار اكثر من السياسة . صار يربطه اوضاع اقتصادية واجتماعية ازاء العالم الصناعي .

وقد يتغير اسمه . ولكن سيظل اسمه القديم واسماء رافعي لوائه الاوائل . محفورة في سطور التاريخ الحديث . ■■

احمد بهاء الدين

الاعتماد المتبادل

شعار جديد لاستمرار السيطرة على العالم الثالث

بقلم الدكتور جورج طعمه

عدما استعرض الكتاب والمفكرون في مطلع العام الجديد الاحداث التي تركت بصماتها على عقد السبعينات ، فقد احتلت الحروب والانقلابات والوقائع العنيفة مركز الصدارة بين هده الاحداث ، ولم يترك للافكار والمفاهيم غير مكان هزيل ، هذا ادا اعيرت اي انتباه على الاطلاق في حين شهد عقد السبعينات مد مطلعه بروز مفهوم « الاعتماد المتبادل » Interdependence كإطار ومبدأ وهدف للعلاقات الدولية وتفسيرها وترشيدها ، بحيث أن أي وثيقة او اعلان دوليين من اطراف اكثر ما تكون بعدا وتناقضا بعضها عن بعض ، كما ان أية خطبة لرجل دولة او مسؤول دولي كبير ، لم تخل من تشديد على هذا « المفهوم » او « الهدف » او « الاطار » حتى ان فكرة « النظام الاقتصادي الدولي الجديد » التي طرحت مد السبعينات ، ترتكز بين أمور اخرى الى « الاعتماد المتبادل » كاحد المبادىء الاساسية الموجهة لهذا النظام

وطوال عقود « السنوات العشر » ، التي اعقبت قيام ٠مم المتحدة والتي بيت بدورها وحسمت فكرة نظام ـيد جاء في اعقاب الحرب العالمية الثانية جديد ـياسته واقتصاده وعلاقاته البشرية ، وتعامل الشعوب ـضها مع بعض والحكومات مع شعوبها تعاملا افترض ـه ان يكون أخلاقيا قائما على احترام « حقوق ـسان » بل وتقديسها ، على اعتبار ان انكار هده ـقوق قد « جلب على الانسانية مرتين خلال جيل واحد احزانا يعجز عنها الوصف » اقول انه طوال هده العقود نجد انه قد تم التشديد على « مفهوم » او « مبدأ » او « هدف » اما ليصف بعض ظواهر العلاقات الدولية او مجموع هذه العلاقات

مرحلة انتقالية

ففي وقت او آخر من تاريخنا الحديث المعاصر صار

التشديد على «الاستقلال» ـ «عدم الانحياز» ـ «التعايش السلمي» ـ «الامن الجماعي ـ «التحرر من الاستعمار» ـ «السيادة» ـ «السيادة على الموارد الطبيعية» ـ «الامن الجماعي» ـ «حقوق الانسان»، هذا اذا اقتصرنا على اهمها ويتوقف التشديد في كل حالة على من ينادي بالمبدأ والاتجاه الذي يريد تأكيده.

وهكذا برزت في عقد السبعينات وما زالت لفظة «الانتردسدس» او «الاعتماد المتبادل» على انها مركز الوسط او «البؤرة» او الهدف والاطار لدراسة العلاقات الدولية الجديدة فعلى النظام الدولي المعاصر ان يفسر للاطراف المتعددة المتفاعلة ضمنه والمتفاوضة على اساس ما فيه من اتفاقيات وتقاليد القضايا التالية التي تهم البشرية جمعاء البيئة والمحيط، الغذاء والجوع، الموارد الطبيعية، التنمية الطاقة السكان التمويل والتجارة الدوليين التكنولوجيا الشركات عبر القارات قانون البحار الجديد وما يتفرع عن كل مشكلة من هذه المشاكل في نظام دولي آخذ بالتعقيد ومن المفروض انه تقوم قاعدة «الاعتماد المتبادل» «الانتردسدس» مثل هذا التوجيه فماذا تعني هذه اللفظة بالضبط التي صارت ركنا اساسيا في لغة التخاطب الدولي اليوم؟

وتزداد اهمية توضيح هذا المفهوم في جو دولي مشحون وعلاقات دولية سائرة نحو الشدة والعنف، وخلفية من الازمات المتلاحقة في العقد الذي انقضى وكنتيجة لهذه العوامل حدثت وتحدث تغيرات وظيفية عميقة في التنظيم الدولي، تبعها قيام منظمات جديدة، واخرى يخطط لها وبحث ذاتي عميق مستمر في العالمين الصناعي والنامي فكلاهما يعيد النظر في علاقاتها الدولية والتبادل القائم بينها، اما على اساس ثنائي او متعدد الاطراف او اقليمي ويستمر البحث عن نظام دولي جديد اكثر ترشيدا وعقلانية مما هو قائم حتى الآن وهنالك شعور بل شبه اجماع أن التنظيم الدولي يجتاز مرحلة انتقالية تستتبع الدورة الحضارية الآخذة بالتغير، والتي تلف العالم كله ويتم ذلك تحت سيطرة الشعار الجديد الشامل «الانتردسدس» او «الاعتماد المتبادل» وهو شعار او مفهوم أقل ما يقال فيه انه غامض مبهم، مزدوج المعنى، مضلل، مفروض فرضا على العالم الثالث

ومن هنا كان واجب المفكرين في الوطن العربي ازاء أمتنا وازاء العالم الثالث ـ ونحن جزء لا يتجزأ منه ـ ضرورة السعي لتوضيحه وتبديد الضبابية التي تغلفه

ذلك ان مثل هذه التعبيرات تفهم على اكثر من يقصد به في الاساس معنى، ويتداوله الآخرون آخر ويحدث ذلك خاصة عندما يطلق هذا المفهوم اميركا والغرب للعالم الثالث، فيتلقاه ويردده ومتحدثونا وهم لا يجدون فيه اكثر من حادثة اعلاميين بينما يجد فيه ساسة دول الغرب ومن وكتابه مضمونا خاصا يتصل بحريتهم المشتركة وتعاونهم الوثيق ومؤسساتهم المشتركة، الاقتصادية والمالية والثقافية الآخذة في الدمج والتوحيد اكثر فاكثر في حين ان الافكار في العالم الثالث عند سماع لفظة «الانتردسدس» لا يمكن ان تتداعى الا لمآسي الماضي القريب والبعيد وبقايا الاستعمار ومخلفاته، كما نرى مثلا في الاستعمار الاستيطاني كجنوبي افريقيا واسرائيل

ثمة صعوبة مزدوجة تقف في وجه مثل هذا التوضيح الاولى تعود الى النوع والجوهر ذلك ان مئات الكتب والابحاث المتخصصة والخطب والتصريحات وعدد كبير من الاعلانات والمواثيق الدولية تضمنت هذا المفهوم «الانتردسدس»، دون ان تأتي بأي تعريف له او تحديد دقيق لمضمونه ودا استعمل اي مفهوم كهذا بدون تحديد جامع مانع رافقه فورا بالضرورة غموض في المعنى وازدواجية في المضمون والتفسير، وخاصة كما اشرت عندما يكون التخاطب بين قادة دول الشمال وقادة العالم الثالث

اذكر على سبيل المثال لا الحصر مؤتمرا حضرته في جامعة اوروبية تناول التعامل الدولي حول الموارد الطبيعية والتنمية وتجب الاشارة هنا الى الشعور الدولي المتزايد بتناقص هذه الموارد وازدياد ندرتها، وان اهمها، وخاصة النفط، آيل للنضوب لا محالة مما جعل من تبقى من هذا القرن ان يكون ـ تاريخيا ـ دور العهد النفطي هذا بالاضافة الى مشكلة الجوع وارتفاع اسعار المواد الغذائية التي تصدرها اميركا ارتفاعا فاحشا قبل ارتفاع اسعار النفط بسنوات، وتخفيض قيمة الدولار وترعرع النظام النقدي الدولي، ثم في آخرها ازمة الطاقة وقد كانت هذه هي العوامل في السبعينات التي ادت الى التشديد على «الانتردسدس» وجاء استاذ صهيوني اميركي الى المؤتمر يتحدث كالعادة بلغة العلم ووضع العالم عن «ازمة الطاقة» ولكن لم تبق نتيجة القاموس الصهيوني يمكن الحاقها بدول النفط العربية يستعملها، مركزا على العرب دون غيرهم من الدول المصدرة للنفط حتى حمل العرب تبعة اهم المشاكل الدولية، كل ذلك بالفاظ فظة يفوح الحقد منها

.. كانت محاضرته تعج بلفظة « الانتردبنـدنس » مع ... ات الى فتنتها وجمالها ومثاليتها .

وجاء دور المتحدث العربي فرد بما تيسر وتضمنت ... بدوره عددا اكبر من المرات التي استعمل فيها ... لفظة ذاتها اي ان كل واحد استعملها بمعنى مختلف ... بل مناقض تمام التناقض للاول .

وجاء محاضرون آخرون من بلاد مختلفة واتجاهات ... مختلفة واستعملوا بدورهم اللفظة ذاتها ، ولكن في أطر ... مضامين تختلف تمام الاختلاف . وأمام هذه ... الضبابية » وتعدد المضامين ، لم يكن بوسعي الا ان ... بسبب هذه التناقضات الى ان هذا المؤتمر ـ « شبه ... علمي » هو نموذج واضح على برج بابل دولي فكل ... متحدث يبحث في « الانتردبنـدنس » كما يريد ، وكل ... فيه ما يريد ورحم الله احترام الفكر والـذات ... حرمة الكلمة وقدسيتها

والصعوبة الثانية تعود الى الكم فلو اخذنا عدد ... الاطراف ذات المصالح الخاصة من مستشرية ومتناقضة ... متشابكة ، المدعوة في النظام الدولي القائم للتفاوض ... والاتفاق لوجدنا احصاء كالآتي : يوجد مائة وستون دولة ... رسمية ومائة شركة رئيسية متعـددة الجنسية (دون ... الثانوية منها) وعشرون مؤسسة دولية غير حكومية ولا ... تسعى وراء الكسب كالصليب الاحمر الدولي وما يقرب ... من عشرين منظمة دولية متخصصة ـ الامم المتحدة ... والوكالات التابعة لها ـ وعشرون منظمة اقليمية ، ... تجتمع في ثمانمائة مؤتمر حكومي متعدد الاطراف ، وتعقد ... اكثر من ثلاثة آلاف مؤتمر دولي في السنة ومتحدثوها ... كلهم الآن يستعملون بشكل او بآخر لفظة « الاعتماد ... المتبادل » عند بحث المشاكل العالمية فكيف يمكن ... للنظام الاقتصادي الجديد ، ان يتقدم في اطار واسع ... معقد مبهم كهذا الذي وصفناه ، حيث تعطل المصالح ... المستشرية فكرة النظام ذاته وحيث ما زالت السيطرة ... للقوي على الضعيف في عالم قائم على اللامساواة . فلو ... فرضنا بداهة ان « الاعتماد المتبادل » لا يمكن ان يفي ... بشكل ذات المضمون لدول العالم النامي والعالم ... المتقدم في النمو ، مثلا اميركا او المانيا الغربية او الاتحاد ... السوفييتي من جهة ، وكوستاريكا وغانا وجزر المالديف ... من جهة اخرى

السيطرة هي الهدف

وهل الاعتماد المتبادل الذي اشار اليه كل من اعلان هافانا الاخير لدول عدم الانحياز ، او اعلان النظام الاقتصادي الجديد للامم المتحدة الصادر في ايار / مايو ١٩٧٤ ، او ميثاق حقوق وواجبات الدول الصادر عن الامم المتحدة في ديسمبر / كانون الاول ١٩٧٤ ، او اعلان الجزائر لرؤساء دول الاوبيك في مارس / آذار ١٩٧٥ .. هل هذا كله مثلا يعني ذات الشيء بالنسبة لدول الشمال والجنوب الذي انتهى حوارهما الى فشل فاضح كل هذا يجعل الصورة اقرب الى « بازار » دولي يبيع فيه البائعون ويزايد المزايدون ويستغل المستغلون ، منها الى نظام فيه الحد الادنى من احترام حكم القانون

بديهي انني لا استطيع في مقال سريع كهذا ان افعل اكثر من طرح المشكلة وضرورة الوعي بها ، وما انطوت عليه من تناقضات خطيرة بالنسبة لوطننا العربي وللعالم الثالث ففكرة « الانتردبنـدنس » في أساسها أميركية غربية ولو احصينا مائة كاتب وكتاب وبحث متخصص في هذا الموضوع ـ وقد فعلت ذلك ـ لوجدنا انهم يتناولون فقط العلاقات الاقتصادية والمالية والتجارية والثقافية والمؤسسات الغربية التي تجسمها كالسوق الاوروبية المشتركة وال أو أي سي . دي (OECD) والتي ضمت شعوبا ذات ثقافة وحضارة واحدة ، والتي تهدف الى تقوية هذه المؤسسات وهي ـ اعني الكتب والابحاث تخرج من اطار تخطيطها او تفكيرها دول العالم الثالث ، وشعوبه بل يشير بعض كتابها ومفكريها الى هذه الدول بعبارات مهينة

اما التفكير في العالم الثالث ففي اتجاه اساسي . كيف يمكن لاميركا والغرب اللذين تضمهما حضارة واحدة مشتركة ان يستمرا في السيطرة على استغلال الموارد الطبيعية الغزيرة عندنا ، استمرارا للسيطرة الاستعمارية القديمة ولكن باشكال جديدة هذا بصورة عامة وكيف يمكن تحت شعار « الاعتماد المتبادل » « الانتردبندنس » المزعوم استمرار تدفق النفط العربي ، هذا مع المحافظة على بقاء اسرائيل قوية متوسعة ؟

والموضوع من الاتساع بحيث انه قد تكون لي عودة لمعالجة النواحي الأخرى فيه . ■■

د . جورج طعمه

أفكار مغرضة

لست ممن يكيلون التهم جزافا على رؤوس المفكرين الغربيين فيما يكتبونه عن الثقافة العربية في شتى عصورها ، لا بي أعلم علم اليقين كم افادنا اولئك المفكرون حتى في فهم أنفسنا ، مضمونا ومنهجا ومن أضخم الافكار التي عرف بها نفر من قادة الفكر العربي في عصره الحديث ، والتي كانت من أسباب سيرورة ذكرهم بين الناس ، وسطوع اسمائهم على اقلام الكتاب ، افكار استعيرت في أساسها من هؤلاء المفكرين الغربيين ، فهو إجحاف في الحكم أن نوجه تهمة التعصب العرقي أو الديني أو الثقافي اليهم جميعا ، وفي جميع ماكتبوا وواجب الانصاف العلمي يقتضينا ان نأخذ كل فكرة من افكارهم على حدة ، لنميز على مهل بين الحق والباطل

وبرغم هذه الحيطة كلها ، وهذا الحذر العلمي كله ، فقد رأيتني في حالات كثيرة اقف امام ما أقرأه عما يكتبه رجال الفكر في الغرب أحيانا ، وقفة الذاهل المتعجب من العمي الذى يصيب به التعصب أولئك الناس حينا بعد حين ، حتى ليقولوا من الرأى مالا يجوز قوله من صغار الصبيان الذين لم يستقر لعقولهم منطق بعد ، انه « العرض » يعمي ويصم ، وحقا ان العرض مرض كما يقول عامتنا في احاديثهم الجارية

وخذ امثلة قليلة من كثير صادفته على تراكم الأيام .

ان من الحقائق المعترف بها ، والتي يتعذر انكارها حتى على الجاحدين ، ان الفكر العربي قد اضطلع بدور نادر الحدوث في تاريخ الفكر البشري كله ، ألا وهو تحطيم الحاجز العنيد الذي لبث قرونا طوالا يفصل بين حضارتين وثقافتين وطريقتين من الحياة ومن النظر ، واعني بهما بلاد الفرس وما وراءها تجاه الشرق ، وبلاد اليونان وما وراءها تجاه الغرب ، مما أجرى على الالسنة ـ بحق ـ تفرقة بين ما اسموه « شرقا » من جهة وما أسموه « غربا » من جهة اخرى ومن الاولى قامت امبراطورية الساسانيين ، ومن الثانية قامت امبراطورية البيزنطيين ، وانا لكثيرا ما نقرأ عن حروب الاسكندر الاكبر ، التي اكتسح بها الرقعة كلها ، انه كان يحتمل الحروب رائدا في الثقافة الانسانية ، الى جانب عبقريته العسكرية والمراد بتلك الريادة الثقافية هو انه ازال شيئا من الحاجز الحضاري الذي اشرنا الى قيامه بين « شرق » و « غرب »

لكن ما صنعه الاسكندر الاكبر في هذا السبيل لا يكاد يذكر بالقياس الى ما ادته في ذلك الفتوح الاسلامية وما صحبها بعد ذلك من فكر عربي ، لان الدمج لم يكتمل منه شيء على يدي الاسكندر الاكبر ، بينما اكتمل على ايدي المسلمين ، واصبح في حدود الممكن ، بل في حدود ما قد وقع بالفعل ، ان نقلت الثقافتان اليونانية والفارسية ، الى العربية فالتقى الضدان المزعومان في تركيبة فكرية واحدة ، هي التي صارت بعد ذلك تعرف بالثقافة العربية

كل ذلك معروف ومعترف به ، فمن ذا يلومني اذا قلت انني وقفت والدهشة تملأني ، حين وجدت مفكرا عربيا ـ بعد اعترافه بالدمج الفكري الذي صنعه العرب ـ عاد ليقول ان العرب برغم ذلك ظلوا « شرقا » لم يتأثروا بالصيغة الثقافية التي صنعوها بعقولهم . كيف كان ذلك يا مولانا ؟ وهل صنع العربي تلك الصيغة الجديدة لتكون مجالا للهوهم ، أو هم صنعوها ليصدروها لك وليحرموا انفسهم مما صنعوه ؟ وما كنا لنهتم بوصفنا « شرقا » لولا انهم هناك ، وفي مثل هذا السياق من الحديث ، يقرنون صفة « الشرق » بصفات ذميمة ، أقلها الطغيان

وجد مثلا اخر قال قائل منهم ان الرقعة العربية صنعت للعالم طريقة الكتابة بالحروف الابجدية (عظيم) ونقلت الكتابة من فينيقيا الى اليونان حيث تطورت هناك (عظيم !) فنتجت عن ذلك نتيجة تلفت النظر (ماذا يا ترى ؟) وهي ان العرب قدسوا ما هو مكتوب ، كأنما عبدوا الاحرف التي صنعوها ، على حين استطاع اليونان ان ينظروا اليها نظرتهم الى اداة للفكر ، لانظرتهم الى مقدس معبود ".(الله اكبر !) بدل ان يجعل ابتكار طريقة الكتابة بالابجدية لمعة ذكاء نادر ، ودليل ابداع حضاري ممتاز ، راح صاحبنا يلتمس لنفسه طريقا يصل به الى حرية الفكر عند اليونان وعبودية الفكر عند العرب ، مستندا في ذلك الى عبقرية العرب ـ أفرأيت أعجب من ذلك منطقا ؟ مرة اخرى نقولها حقا إن العرض مرض ، كما يجري على ألسنة الناس في حياتهم الجارية ■■

هي لعبة استعمارية بغير شك ، القول بأننا أمم شتى

مسائل قومية

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

عندما انتهى الفكر السياسي الى تقدير القاعدة السياسية المشهورة الامة مصدر السلطات كان يعني في الواقع امرين هامين جدا . الاول منهما ، سقوط هذا الحق الالهي الذي كان يدعيه الملوك والاباطرة لأنفسهم ، والذي كانوا يستندون اليه في تصريف امور الناس ، وتدبير شئون الرعية حيث كانوا يذهبون الى انهم إنما يفعلون ذلك بتفويض من الله وقد ترتب على هذا الحق انهم لا يسألون من قبل الرعية عما يفعلون ، فقد كان امرهم في ذلك الى الله الذي فوضهم هذا الحق كما كانوا يدعون كما ترتب عليه ايضا وجوب طاعة الناس لهم وتنفيذ ما يأمرونهم به ، والا وجبت العقوبة باعتبارهم عصاة الله بعصيانهم للملك او الامبراطور .

اما الامر الثاني فقد كان احلال الامة محل الله في تفويض الامور الى الملوك والاباطرة او الى رؤساء الدول الذين تختارهم الامة لذلك .

واحلال الامة محل الله في تفويض هذا الحق السياسي لرؤساء الدول يعني ايضا حق الأمة في حسابهم على اعمالهم في هذه الحياة الدنيا ، وحقها أيضا في كل ما يترتب على هذا الحساب من تزكية لهم ، او من عزلهم والثورة عليهم .

وهذا الحق هو الذي مكن الامم من تحقيق الدول القومية ـ الدول التي تنطبق فيها الحدود السياسية للامة على الحدود القومية لتلك الامة .

الأمم ودولها القومية

وترتب على ذلك ان اخذت الامم في المطالبة بالاستقلال لتكوين هذه الدولة القومية حين تكون الامة داخلة في تكوين دولة اخرى ، وبالمطالبة بالاتحاد والقضاء على التجزئة حين تكون هذه الامة موزعة بين دول عديدة ـ قومية كانت هذه الدول او غير قومية

وهذا الامر لم يتحقق في سهولة ويسر ، وما كان له ان يتحقق الا بعد نضال عنيف في مواجهة الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة يوم ان تطـ[illegible] الفكر السياسي وقرر هذه القاعدة ، وهذه الحقوق

كانت هناك امبراطوريات عظيمة تحكم اممأ عديد . وما كان لها ان تترك هذه الامم تستقل وتحقق ذواتها وتكون دولها القومية فى سهولة ويسر ، ومن غير نضال كانت هناك الامبراطورية النمساوية ، والامبراطورية العثمانية ، ووقفت كل واحدة منها في وجه الامم التابعة لها لتحول بين استقلالها وتكوين دولها القومية ومن هنا كان النضال في سبيل الاستقلال وتحقيق الذات ، وتكوين الدولة القومية

وكان هناك الى جانب هذه الامم التابعة التي ناضلت ، امم مستقلة ، ولكنها مجزأة ، وتقوم فيها دول عديدة يحكمها ملوك او امراء من ابناء هذه الامة - كما كان الحال فى كل من المانيا وايطاليا

وكان على أبناء هاتين الأمتين النضال في سبيل القضاء على التجزئة ، وتكوين الدولة القومية ، وكان النضال هنا فى مواجهة الملوك والامراء الذين يريد كل واحد منهم ان يحتفظ بمملكته او امارته ، ولا يريد ابدا تحقيق الدولة القومية ، من حيث أن ذلك سوف يكون على حساب مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية

وناضلت الامم فى مواجهة كل هذه الاوضاع السياسية والاجتماعية ، وانتهى النضال فى كل هذه الميادين التي ذكرنا الى تكوين الدول القومية ومن الغريب ان الامم التي كانت تكوّن - مع الامة العربية - الدولة العثمانية قد استقلت عن هذه الدولة ، وحققت ذاتها وكونت دولها القومية ، فعلت ذلك اليونان ، وفعله البلغار ، والالبان ، ومن اليهم من شعوب شبه جزيرة البلقان - ولم تفعله الشعوب العربية ، او لم يفعله ابناء الامة العربية

ولذلك اسباب من غير شك - ولكن لا يمكن ان يكون من بينها هذا الذي يذهب اليه دعاة الاقليمية الذين يذهبون مذهب الاستعماريين الذين يعملون حفاظا على مصالحهم ، الى ان هذا المجتمع المعروف بالمجتمع العربي انما يتكون من امم عديدة ، وليس من امة واحدة

المستعمرون ودعاة الاقليمية

والخطر كل الخطر فيما يذهب اليه الاستعماريون في ... يسوقون من يلوذ بهم من ابناء الامة العربية الى علمنة » هذا المذهب الاستعماري ومن خططهم في لعلمنة » امران جديران بالاهتمام حتى لا ننزلق في هذا لق الذي يجروننا اليه

واول الامرين ، الايحاء الى مراكز الدراسات في الوطن العربي بالقيام بنوع معين من الدراسات ينتهي حتما الى الغاية المرغوب فيها والوصول الى الغايات المبتغاة عن طريق الاساليب غير العلمية التي يحافظ فيها على الشكل فقط امر نعرفه في الدراسات الاجتماعية التي ينهج فيها اصحابها النهج الامريكي

تقوم بعض المراكز للدراسات في الوطن العربي بلون من الدراسات عن القومية العربية ، وتنهج فيها النهج الاستعماري الذي تحدد فيه الغاية اولا ثم يأتي الشكل العلمي ليثبت « علمنة » هذه الغاية

تقوم بعض هذه المراكز بتصميم استبيان يجيب عنه ابناء الامة العربية لتقرير ما اذا كانوا ابناء امة واحدة او ابناء امم عديدة ومختلفة والذين يوحون الى أوليائهم بهذا الاستبيان انما يستهدفون الوصول الى غاية استعمارية بعينها هي أنا أبناء أمم عديدة ومختلفة والنتيجة المترتبة على ذلك ان تبقى التجزئة ، وتبقى الدول الاقليمية ، ويتعامل الاستعمار والصهيونية مع كل دولة على حدة ليظل الاستعمار في مركز القوة ، وتظل الدول الاقليمية في مركز الضعف في مركز الدول التابعة

والسؤال هل هذه القضية من القضايا التي يصلح فيها الاستبيان ، ويكون فيها حقا اسلوبا علميا ؟

اما انا فاذهب الى ان ذلك لا يصح بحال من الاحوال ان المواطن العربي الذي يعلن في الاستبيان انه غير عربي لا يقبل قوله وترفض ارادته ان كون هذا المواطن عربيا لم يكن بارادته وانما كان من ظروف تاريخية واجتماعية تعمل عملها على الرغم من ارادته هذه

وعندي ان الذي يجيب مثل هذا الجواب يكون واحدا من اثنين ، جاهل او خائن

هو جاهل حين يكون غير مدرك لهذه التغيرات الجذرية التي لحقت بالمجتمعات التي كانت تعيش في المنطقة من الخليج الى المحيط قبل التعريب ، والتي تعرضت لهذه التغيرات الجذرية

لقد تغير من هذه المجتمعات كل شيء تغيرت اللغة ، وتغير الدين ، وتغيرت العادات والتقاليد ، وتغيرت القيم الاخلاقية والمعايير السلوكية واصبحت هذه المجتمعات كلها تمارس الحياة اليومية والحياة العامة بقيم ثقافية جديدة وحدت بينها ، واحالتها الى مجتمع واحد هو المجتمع العربي

ووضع القيم الثقافية القديمة التي كانت تميز هذه المجتمعات بعضها من بعض ، وتجعل منها أمما عديدة ومختلفة اصبح كالتالي:

قيم قدر لها البقاء بدخولها في المركب الثقافي الجديد ـ كجزء من مكوناته ـ وقيم قدر عليها الفناء من حيث تناقضها مع الآراء والمعتقدات ، والتقاليد والعادات ، والقيم الاخلاقية والمعايير السلوكية التي دخلت هذه المجتمعات ، واستقرت فيها ، واحدثت من التغيرات الجذرية في هذه المجتمعات ما أحالها الى مجتمع جديد يمارس الحياة على اسس حضارية جديدة .

وهنا نلفت الذهن الى ان ذلك لا يعني ابدا نسيان هذه المجتمعات لتاريخها القديم وحضارتها المحيدة ، وانما يعني أن هذا القديم انما يظل تاريخا ما دامت الحياة لا تمارس على اساس منه .

ان كل هذه الشعوب التي تعربت انما تمارس حياتها اليومية وحياتها العامة على اساس من الحضارة الاسلامية العربية ، وليس على اساس من الفرعونية او البابلية او الاشورية ، او الفينيقية ، او البربرية او ما اشبه

ان كل هذه الحضارات قد انتهت الى ذاكرة التاريخ ولم تبق لها صلة بالحياة اليوم ـ الا ذلك الجزء الذي قبلته الحضارة العربية الاسلامية واصبح جزءا من مركبها الثقافي

قد يجهل مواطن هذه الحقائق ، ويجيب على اساس مما يستمده من ذاكرة التاريخ ، وليس مما يستمده من واقع الحياة .

وهذا نرفض قوله لأنه جاهل

اما الخائن فهو ذلك الذي يعرف كل هذه الحقائق ولكنه يتجاهلها ، او يتعامى عنها ، لان المرغوب فيه والمطلوب منه ان يقرر انه ليس من ابناء الامة العربية ، او ان هذه الامة العربية امم عديدة ومختلفة وليست امة واحدة .

ذلك هو المطلوب من هذا الخائن

مفهوما الأمة والدولة

اما الامر الثاني المخطط له عند الاستعماريين ومن نحا نحوهم ، ولاذ بهم ، فذلك هو الخلط المقصود ، او اللبس المقصود بين مفهوم الامة ومفهوم الدولة .

يذهب هؤلاء الى أن الدولة هي الامة ، وأن [illegible] الدولة ـ يفعلون ذلك لان نظرتهم العلمية قاصر[illegible] تدرك كل الابعاد التي تحيط بهذه القضية ، فليس [illegible] الحالات يمكن ان ينطبق مفهوم الدولة على مفهو[م] الام[ة] وانما يحدث ذلك في حالة واحدة فقط .

وقصر النظر عند هؤلاء الذاهبين هذا المذهب [illegible] ترده الى عاملين ليس من شأنهما ابدا ان يثبتا أن مفهو[م] الامة هو مفهوم الدولة في كل الحالات

العامل الاول من هذه العوامل ان دوائر المعار[ف] القديمة جدا والتي وضعت من التعريفات ما يلا[ئم] الاوضاع السياسية يومذاك ، كانت قد وضعت للام[ة] مفهوما يماثل ذلك المفهوم الذي وضعته للدولة فعلت دا[ئرة] دائرة المعارف الفرنسية ، وفعلته دائرة المعار[ف] البريطانية

لقد كانت الدولة هي المملكة او الامبراطورية ـ ا[illegible] هي كل ما يدخل في حوزة وسلطة الملك او الامبراطور وكانا يستمدان سلطانهما من الله ، وليس من الامة

وهذا المفهوم التاريخي قد قضى عليه ، واحدث دوا[ئر] معارف الدولتين المشار اليهما ، فرنسا وانجلترا ، تمر[illegible] بين مفهوم الدولة ومفهوم الامة من حيث ان الاوضا[ع] السياسية والاجتماعية الحديثة قد دفعت بها الى ذلك

واذن فالتمسك بالمفاهيم المعدول عنها لا يكون [illegible] الا لهدف جديد ، هدف يفهمه الاقليميون وسادته[م] الاستعماريون الذين يقلبون الحقائق العلمية في سـ[illegible] الاهداف الاقتصادية والسياسية

والعامل الثاني الذي يستند اليه هؤلاء في الت[illegible] القوي الذي يقيمونه بين مفهوم الامة ومفهوم الدولة ذلك الاصطلاح الدولي العالمي ، هيئة الامم المتحدة

ان الهيئة ليست في الحقيقة هيئة للأمم وانما هي هـ[يئة] للدول ، من حيث ان عضويتها مقصورة على الدول الدول التي نالت حريتها واستقلت وكونت لها دا[illegible] مستقلة عن غيرها ، اما الشعوب التي تدخل في اط[ار] الاستعمار فليس لها حق الانضمام الى هذه الهيئة

وهنا يمكن ان نقف معا عند الاوضاع السياسـ[ية] والاجتماعية التي تكشف عن الحقيقة ، وتظهر لنا [illegible] وضوح وجلاء ان كل الاوضاع السياسية والاجتماع[ية] تثبت ان الامة شيء والدولة شيء آخر ، وانهما لا يتماثلا[ن] الا في حالة واحدة ، ووضع بعينه .

إثل مفهوم الدولة مع مفهوم الامة في حالة واحدة وفي ـع سياسي بعينه ، هو الذي تكون فيه الامة قد حقق ذاتها بالحرية والاستقلال وكونت دولتها التي تكو فيها الحدود القومية للامة .

اما في غير هذا الوضع فليس هناك تماثل او تطابق ، وانما تكون الدولة غير الامة .

الالمان والعثمانيون

والامثلة في ذلك عديدة تشير الى بعضها .

لم تكن المانيا وايطاليا قبل الوحدة الالمانية والايطالية دولة واحدة وانما كانت كل واحدة منها مجزأة الى دول عديدة

وحين تمت الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية اصبحت المانيا دولة واحدة وايطاليا دولة واحدة ، اي دولة تنطبق فيها الحدود السياسية على الحدود القومية ودولة هي الامة أو امة هي الدولة .

اما قبل الوحدة فلم يكن يصح ابدا ان يقال ان الدولة هي الامة وانما الذي كان يصح هو ان الامة الالمانية مجزأة الى دول عديدة

ويؤكد هذا القول الوضع السياسي والاجتماعي في الامة الالمانية اليوم .

بعد الحرب العالمية الثانية اتفق حلفاء الحرب على تقسيم الوطن الالماني والامة الالمانية ، وقامت تبعا لذلك دولتان المانيتان نعرفهما جميعا المانيا الشرقية التي تمارس حياتها على اساس من النظام الاشتراكي ، والمانيا الاتحادية التي تمارس حياتها على اساس من النظام الرأسمالي ، فهما دولتان في وطن واحد وفي امة واحدة .

وواضح تماما أنه ليس يصح علميا على حال من الاحوال ، أن يقال هنا ان الدولة هي الامة وان الأمة هي الدولة .

وهناك مثل آخر نسوقه هو مثل الدولة العثمانية التي انتهت بانتهاء الخلافة الاسلامية

من المسلم به ان هذه الدولة كانت تتكون من اوطان عديدة وامم عديدة كانت تتكون من العرب والترك واليونان ، والالبان ، والبلغار ، وغير ذلك من شعوب شبه جزيرة البلقان ، ولم يكن يصح ابدا ان يقال ـ مع هذا التكوين الذي تختلف فيه الامم جنسا ، ولغة ودينا ـ ان الدولة هي الامة ، وان الامة هي الدولة

ان هذه النغمة الاستعمارية انما تستهدف امرا واحدا من وراء هذا الخلط والتلبيس بين مفهوم الامة ومفهوم الدولة .

وهذا الهدف هو ان يعتقد ابناء الامة العربية ان كل دولة من هذه الدول العربية انما هي امة بذاتها

وهذا انما يعني ان يقف المواطن العربي الى جانب دولته ، على انه ابن هذه الدولة ـ اي هذه الامة .

ان المستهدف من هذا الخلط هو بعينه المستهدف من ذاك الاستبيان انه يثبت الاقليمية في الوطن العربي وبين ابناء الامة العربية

وليس من قبيل الصدفة ان يبرز الامران بين ابناء الامة العربية في وقت معا ، انه الامر المخطط والذين خططوا له هم من غير شك اعداء الامة العربية .

انهم الذين يخشون الوحدة ، وان تصبح الامة العربية قوة يحسبون هم حسابها منذ الآن ■■

د . محمد احمد خلف الله

هل أنت مريض

● لاحظ احد اعضاء مجلس الكونجرس الامريكي ان احد زملائه يحاول السخرية منه في كل مناسبة . فأحفظه ذلك وراح ينتهز فرصة للاخذ بالثأر ، وسنحت الفرصة أخيرا حين قال له غريمه · سمعت انك طبيب بيطرى فهل هذا صحيح ؟

فقال مجيبا بسرعة ـ نعم .. فهل أنت مريض ؟

زمن جديد

شعر : فاروق شوشه

وانتظرناك ، فلما جئت . ماذا في يديك ؟
الدم المسفوح ما زال ،
عبار الموت ،
انات الثكالى والسبايا
والصدى المذعور ما زال ،
هتاف الرعب ،
صوت الساعة الحمقى ،
ومدورون ذابوا في مواويل الصبايا
عشا صاروا ضحايا
ويد تقذف بالافعى ، فتلتف ،
وفتيان يخوضون المنايا
املا في شاطئيك !
تعب الجسر المدمى
تعبت كل انتظارات الايامي والعيايا
عندما صارت كهوف العمر للناس مرايا
سقطت عنها التجاعيد ،
وشاخ الوهم ،
وانزاح القناع الصلد ،
وارتد شظايا
وانتظرناك ،
وها انت هنا
ماذا لديك ؟

***

حين فتشنا عن الراية ، لم نلق الذي كنا رفعناه ، وغنيناه
عاما ثم عاما
النداءات التي بحت بها اصواتنا ذات صباح
في شقوق الارض غابت ،
- ارضنا العطشى -
وذابت في تلافيف الجراح
وأفقنا
فالثرى المخضوب حناء وافراح ، وساح
والندامى سكروا من غير راح

والدي يبرق في الايدي سلام ام سلاح !
نحن اغمدناه في احشائنا
ورقصنا رقصة الموت على اشلائنا
وعززناه وئيدا في الحنايا فاستراح
حين فتشنا عن الراية
لم نحرج على القول المباح !

* * *

ايها القادم ، في عمق قطار الموت ،
رفقا بالوجوه المتعبة
نحن خرسنا وحرنا كثيرا
وابتلعنا حية الوهم حسيرا ، وكسيرا
وتعلقنا طويلا بذيول الغربة
في الغبار الاسود الملعون نرتد ،
وفي وجه الليالي الجوف ،
في دوامة الصمت الحزين
ودهاليز الرؤى المضطربة
لم نفارق وتدا شدت اليه كل اعناق القبيلة
لا ، ولم نسأم اغانين هتاف الكذبة
لا ، ولم نبرح مكانا نحن فيه من سنين
نمل من غير حيلة
هذه الاعناق ديست ، داسها عام وعام
لا تكن اقسى ،
فما في منزع الصبر بقية
لا ، ولا نعص إباء في عروق الرقبة
أيها القادم ، في عمق قطار الموت ،
تطوي كل شيء
المدى ، والعمر ، والاحقاد ، والصمت المهين
دامغا وجه الليالي بالجنون
نعف الوطء ، فهم موتي
وهذي ارضهم مغتصبة !

■■

القاهرة ـ فاروق شوشه

أقوال معاصرة

■ كلما تعالى الصراخ حول الخطر العسكري السوفيتي ، يزداد عمقا واتساعا توغل الجندي الامريكي والدولار الامريكي في انحاء مختلفه من العالم

صحيفة برافدا السوفيتية

■ لا يهمنا ما اذا كان الدعم الاوروبي لحقوق شعب فلسطين ناجما عن انتهازيه او احساس بالعداله ، فكل ما نعنيه هو ان تقوم دوله ديمقراطيه حره للفلسطينيين

ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين

■ كلمه السر في سباق الرئاسه الامريكيه هي المال ، او الحاجه الى المال

الكاتب الامريكي الساخر ارت بوكوالد

■ احتياطات النفط في العالم تتناقص بشكل خطير ، ولا تستطيع السعوديه وحدها ان تسد النقص في الطاقه الى ما لا نهايه

الشيخ احمد زكي يماني - وزير البترول السعودي

■ ما من زعيم يدفع نفسه الى المقدمه ، ويحاول الانفراد بالحكم ، الا ويضع قدميه على بدايه طريق ملىء بالاخطاء المميته

جريدة الشعب الصينية

■ انا نسعى كثيرا ونحن نبحث عن السعاده ، بينما هي قريبه منا باكثر مما نتصور

كريستينا اوناسيس - ابنة المليونير اليوناني الراحل

■ عدم اتفاق الاوبك على سعر موحد للنفط ليس نهايه العالم

الشيخ علي الخليفة - وزير النفط الكويتي

■ اذا حكمنا على رجل الدوله من نتائج اعماله وليس من خلال نياته ، فيمكننا القول ان هنري كيسنجر الوزير السابق لخارجيه امريكا رجل فاشل تماما !

ويليام شوكروس - في كتابه حرب الظل

■ المستوطنات شرعيه ، وهي ليست عائقا ضد السلام ، لأنها تعززه !

مناحيم بيجين - رئيس وزراء اسرائيل

■ لسنا بحاجه لان نؤكد مشاعرنا الرافضه للسوفييت ، لكننا مع ذلك ندرك ان حل مشكله الشرق الاوسط لا يمكن ان يتحقق الا باتفاق السوفييت مع الامريكان

فيلي برانت مستشار المانيا الغربية السابق

هذه صفحة مثيرة من سجل
سياسي كبير في البرازيل .

نحن في اواسط سنة ١٩٦٢

المعركة الانتخابية لحاكمية سان باولو كانت على اشدها في تلك المدينة الديناميكية العجيبة التي يسمونها « قاطرة البرازيل » ! الاشاعات الخطب الملصقات الاعلام ! الابواق الجموع الاذاعات المثرثرة . كل اولئك كان يلقي المدينة فيما يشبه الحمى المرشح الاقوى كان يومذاك هو ديماردي باروس . السياسي العتيق وقد نجح بالفعل كان قد فاز قبل ذلك اكثر من مرة بهذا المنصب . لكن هذه المعركة كانت معركته الاخيرة . فقد مات بعد ذلك . وهم الآن قلما يذكرونه في مدينته . واقل من ذلك ذكره في البرازيل انطفأ تماما دخل كهوف النسيان مع أنه كان في الخمسينات من الاسماء التي تصقل وتلمع لدخول القصر الجمهوري البرازيلي

خلال المعركة الانتخابية سنة ١٩٦٢ كنت هناك رحت اسمع من اخباره الكثير على الافواه كان طبيبا ... صوا في الاكاديمية الوطنية للطب لم يمارس الطب وكان صاحب مصانع للاحذية وللمحفوظات ... شترك في تهريب البن والاعيب المقاولات والبنوك ... كنه لا يهتم لا بالصناعة ولا البن كان للسياسة ... والسياسة عنده ليست مغامرة مما يغامرون ولكنها ... مهنة مصدر للارباح والمال شركته الكبرى كانت الحزب السياسي الذي اسسه وحده باسم حزب البرازيل الديموقراطي !

ومن اجل هذه الشركة وتلك المهنة اتقن اللعبة الانتخابية وما قبلها وما بعدها واتقن فن جمع الانصار ، وللملمة المؤيدين واتقن عملية تجنيدهم حتى الهوس الاعمى .

احد انصاره القدامى ، وهو مغترب عربي ، روى لي في دكانه الذي يبيع به التبغ المفتول ـ وهناك يفتلون التبغ كالحبال ـ روى لي حكايته مع السياسي الكبير

ـ انا احدثك عن دي باروس ! . قال ، هذه الهياكل السياسية الضخمة نحن صنعناها بأيدينا لتسحقنا . بنيناها حجرا حجرا فوق اكتافنا والرؤوس لتخنق انفاسنا حتى النفس الأخير نعرف كل فراغها كل انانيتها نعرف انها تبني دون قلب انها « دراكولا » مصاص الدماء ومع ذلك نعجز عن تحطيمها . بمجرد ان تكبر تصبح اعظم من ان تحيط بها ايدينا هل تعرف البالونات الضخمة التي اذا طارت لا تطال ؟ ..
ماذا تريد ؟

لست الا واحدا من المنسيين على طريق دي باروس السياسي هناك المئات والالوف مثلي تساقطوا على طريقه وطريق غيره كورق الشجر الخريفي هل يذكر

احد اولئك الذين صنعوا للاسكندر مجد الاسكندر ، او اولئك الذين ذبحوا تحت السنابك ليكون نابليون هو نابليون ؟ التاريخ كله مزروع بالديماغوجيين الذين يقال انهم كتبوا التاريخ ، وانما كتبه بالفعل مئات الالوف بل الملايين الذين ماتوا تحت اقدامهم ، الذين صاغوا أساطيرهم

مهمة خاصة !

قطع محدثي الحديث ليقطع بعض التبغ ويلفه في ورقة من اوراق الدرة الرقيقة المحمصة وليبدأ التدخين وينفح الدخان بعيدا بعيدا كانه يغرق عيونه في بحر الذكريات الضبابي عاود الحديث كانه يتحدث من قعر بئر

ـ انا احبه ولا اكرهه هذا الـ (دي باروس) لقد تجاوزت ذلك بعد ان وصلت في خدمته حافة الموت الاخضر ! سأروي لك القصة في منتهى الحياد كما لو كانت قصة شخص آخر ولم لا أقول اني الآن شخص آخر ولد بعد قصة الموت في الغابة الامازونية سنة ١٩٥٠ ؟

عاد الرجل مرة اخرى الى الصمت كأنه يستعيد الذكرى على عينيه قال

ـ انت تعرف ان السنيور دي باروس متزوج من واحدة منا زوجته عربية وقد اخذت به في اوائل الاربعينات كنت مفتونا باطلالته الوسيمة بوداعته مع هذا وذاك مفتونا بخاصة ، بتدفقه الخطابي المتليء بالكلمات الضخمة والمثاليات ! ودخلت من أجله اكثر من معركة بالكلام ، وبالايدي واحيانا بالرصاص وكنت امتلئ زهوا حين تمتد يده فتخرجني من السجن الذي انما دخلته من اجله !!

وذات يوم من أوائل مايو سنة ١٩٥٠ استدعاني مع بعض المقربين المقربين استدعانا جميعا في مهمة خاصة ! ما ازال اذكر تلك التواريخ بوضوح مؤلم .

كانت محطات الاذاعة الثلاثون في البرازيل قد اذاعت بعد ظهر ٢٩ ابريل (نيسان) سنة ١٩٥٠ ان طائرة البوينغ « بريريدانت » التي تعمل على خط ريودي جانيرو ـ نيويورك تركت الريو عند منتصف الليل الماضي وفقد الاتصال معها وعلى الطائرة واحد واربعون مسافرا وتسعة ملاحين كان هذا الخط يعتبر اهم واغلى وأنق خطوط الطيران الدولي يومذاك . نصف المسافرين على الطائرة كانوا من اصحاب [illegible] والسياسيين الكبار في اطراف الشفاه ! وآخر [illegible] مع الطائرة كان قبل طيرانها فوق الغابة الأمازونية قرب مدينة (بيليم) (على اسم بيت لحم بالبرتغالية) الموجودة في اقصى شمال البلاد على احد فروع مصب الامازون ، النهر الاعظم !

الحكومة دنيا رجال الاعمال الصحافة الاذاعات الناس كلهم اهتزوا للخبر فالذين كانوا في الطائرة هم شيء كبير في البرازيل ارقام في السوق واسماء في السياسة وجسور في التجمعات الاحتكارية

في المساء اذاعت الانباء ان القائد العام للطيران كلف العقيد الطيار جوريه كارلوس دي سوزا ان يطير الى مدينة بيليم يبحث عن الطائرة حتى اذا وجدت نظم عمليات الانقاذ اربعون طائرة طارت بعد ذلك فوق المنطقة الامازونية تبحث ولكن الطيارين يعرفون انهم انما يبحثون عن ابرة في اكوام من القش ! يعرفون انها « جهنم الخضراء » هذه المجاهل الغابية هم يسمونها كذلك ، انها محيط لا نهائي من الخضرة ، من رؤوس الاشجار المتراصة المتشابهة ، بساط من الجلد المتجعد يملأ الارض وما بعد الافق ! لا يلتمع هناك الا الامازون وروافده الثلاثة آلاف في ادغال كأنها عرفت الخلق الاول تزيد على نصف مساحة اوروبا

ولا بد من العمل السريع جدا لاكتشاف مكان الطائرة ان كانت قد سقطت في ذلك البحر الغابي والا فان الركاب ان كانوا قد نجوا من الموت فانهم ليسوا ناجين من الف خطر وخطر هناك اقل الاخطار ان تغطي النباتات والاشجار السريعة النمو والسريعة الالتفاف كنبت الشياطين ، كل اثر للطائرة !

لا أحياء . لا أمل

فالاشجار الامازونية ترتفع أربعين وخمسين مترا ، ولا تترك اي منفذ للشمس الى الارض المغطاة بدورها بالادغال المتلبدة وبآلاف الزواحف الضخمة والنمل المفترس والحشرات الوحشية وعمالقة الخفافيش وقرود الليل ، ودبيب الفهود والعفاريت . وسهام الهنود [illegible] نفس منها ذائقة الموت !

بعد ثلاثة ايام من طواف الطائرات كالنحل [illegible] اجواء المنطقة ، جاءت من احد الطيارين اشارة تلقاها فريق الانقاذ المتجمع في مطار بيليم التائه باللهفة

ـ ني وجدت بقايا الطائرة بل هذه هي البقايا ، بعض حطام البقايا مبعثرة على الاشجار في نطاق مساحة سبع الكيلومتر المربع هذا يعني انها لم تهبط بالغابة ولكنها انفجرت في الجو لا امل في العثور على ركاب احياء لا استطيع ان ارى ما تحت الاشجار ابدا لكني اعتقد انه ليس ثمة احياء لا يمكن ان يكون !

كانت البقايا على بعد ١٢٠٠ كم من بيليم في منطقة من اعسر المناطق في الغابة العذراء واكثرها كثافة وخطرا وذعلا رهيبا !

الصحفيون المتجمعون في مطار البلدة الشمالية بيليم والذين اسرعت بهم صحفهم لتغطية الاخبار سجوا حول بقايا الطائرة الاقاصيص اليس ذلك دأب الصحفيين ؟ كتب المراسلون ما يحلو لهم وخرجت كل جريدة برواية بعضها يؤكد ان الطائرة كانت تحمل شحنة كبيرة من الذهب اخرى تجزم انه كان عليها حقيبة من الماس ثمنها اكثر من ثلاثة ملايين كروزيرو (٣٠ مليون دولار في ذلك الوقت) ثالثة تعلن ان الطائرة كانت تحمل شحنة من اليورانيوم وبعض الصحف ذكرت انها ضحية قنبلة شيوعية موقوتة

وبالرغم من ان بعثة من المظليين الامريكيين جاءت على عجل للمعونة ثم امتنعت عن الهبوط في الموقع واعلنت انه ليس ثمة من احياء لانقاذهم ولا حاجة للمغامرة من اجل دفن الموتى . ثم من الذي يستطيع اخراج المظليين من الغابة بعد النزول ؟ بالرغم من ذلك فان الصحف ظلت تردد ان الركاب احياء وانهم لا بد تائهون في الغابة وانهم ينتظرون الانقاذ وعلى الحكومة ان تنقذهم ، وصدق الشعب ذلك « ديموس » الملك هو اكبر الحمقى والاسطورة هي خبزه المفضل فلماذا لا يصدق الاساطير ؟

قافلة التضامن

كان قائد حملة الانقاذ خوزيه كارلوس هو الذي اتخذ قرار عدم هبوط المظليين . لهذا اضطر ان يقرر ارضاء للسحيج ارسال طائرة مائية الى اقرب موضع من المكان ثم اختراق الغابة الى حطام الطائرة ولم يرض ذلك الناس . اعتبروه هربا من الانقاذ . تباطؤا . ضحكا على الكوبين . اسر المفقودين وهم من هم في المجتمع البرازيلي ، اعتبروا هذا القرار اهانة . قالت صحيفة (لكوريو) « من هو ذلك العاقل الذي يستطيع بمثل هذه الاعصاب الباردة ان يجزم بعدم وجود احياء ، معرضا الناجين بذلك الى الموت من الجوع او من الاخطار ؟ . .

وكانت العديد من الاهواء والدسائس وراء مثل هذه الكلمات

وسافر الكثيرون الى بيليم يحلمون بان يظفروا بالذهب او الماس واليورانيوم المهجور ! هنا جاء دور الاستغلال السياسي ، ودخل في القضية صاحبنا دي باروس كانت معركة رئاسة الجمهورية البرازيلية على الابواب وكانت احلامها تملأ عينيه فدخلها وكان الشعار الذي طرحه ان البلاد بحاجة الى مدير يدير امورها وهذا هو المدير !

وبينما كانت جموع من الناحبين والطامعين تهاجم مطار بيليم في الشمال صائحة اعطونا طائرات ، متهمة خوزي كارلوس بانه « قاتل » ، كان السياسي الكبير دي باروس يعقد مؤتمرا صحفيا في منزله البادخ في سان باولو ويؤكد ضرورة انقاذ الاحياء الشاردين في الغابة ، ويوقع امام الصحفيين عقد شراء طائرة هليكوبتر واستئجار طائرتين صغيرتين وارسال حملة انقاذ من الرجال على حسابه الخاص سماها « قافلة التضامن » لانقاذ اولئك الاحياء ولم ينس تزويدها برشاش ، وقنابل يدوية « خوفا من الهنود » !

كان المشروع مشروعا احمق دسر في ليل ، لان التحضير له كان تحضيرا بدائيا يهدد باضاعة مجموعة من الناس في مجاهل الادغال دون اي امل بالعودة ، ولكن البرازيل كلها صفقت لدى باروس انها صفقة دعاية ضخمة !

وحاول خوزيه كارلوس ان يثني السياسي الكبير عن هذا الغرم قال له على الهاتف ان حملتنا للانقاذ جاهزة للمسير

فاجاب ولكنها حين تصل يكون قد قضي الامر .. واستغرب ان لا يستطيع جيش البرازيل كله ان يعمل اكثر من هذه المساعدة التافهة لاولئك التعسين الشاردين في الغابة وقال العقيد ولكن ليس هناك من احياء ... واجاب السياسي الكبير اثبت لي ذلك !

واتماما للعملية الدعائية اعطى هذا الحديث للصحف !!

واضاف محدثي وهو يرى انتظار النهاية في عيوني كنت واحدا من الرجال الخمسة عشر الذين ذهبوا في تلك القافلة يقودنا احد رجال دي باروس الموثوقين . الطائرة كانت مهترئة اشتريت من بقايا الحرب . وقائد « قافلة التضامن » كان واعيا كل الوعي انه انما يقود عملية دعائية ضخمة ، دبرت لها كل وسائل الدعاية . اما الامور اللازمة لعملية الانقاذ فعلى الله !

وسط الادغال

خرجنا من الريودى جانيرو في احتفال من احتفالات النصر والاعلام والخطب والاغاني المزغردة واخذنا ننتقل من مطار الى مطار باتجاه الشمال وفي كل بلد احتفال واعلام وخطب وزغاريد . وشرب انخاب ! لكن ما ان غادرنا المطار الاخر الى الغابة حتى بدأ الرعب الطائرة المهترئة نفسها كانت تهدد بالانفجار واخبار الحملة الحكومية كانت تشير الى انها سوف تسبقنا الى الموقع واللعبة الدعائية كلها كانت مهددة بان ينقلب السحر على الساحر !

وامرنا دي باروس ، باللاسلكي الذي كان يحمل اليه اخبارنا ، ان نهبط ولكن لا منبسط للهبوط وجاءت التعليمات بان نقفز بالمظلات وقفزنا على بعد كيلومترات طويلة من الحطام مات واحد منا وجرح ثلاثة بسبب الارتطام بالشجر فترك قائد القافلة خمسة منا لرعايتهم ولتمهيد مسطح من الارض لهبوط الهليكوبتر .. وسيلتنا الوحيدة للعودة الى عالم البشر ! وانطلق مع السبعة الباقين في الارض المظلمة ذات الدغل المستنقعي كان تقدمنا في الغابة مرعبا مرعبا . كان علينا ان نشق بسكاكين « الماشيت » ما يشبه الانفاق للمرور في قلب هذه الجدران المتماسكة من النبت الوحشي الكثيف بينما نغوص حتى اوساطنا احيانا في الوحول وفي الليل كان الوهم يصور لنا عيونا من الاف الهنود ترمقنا كنا بدون طعام كاف ولا ماء سوى وحل المطر ، وعلى حافة الانفجار من التوتر والرعب . لأقل صوت نسمعه كنا نلقي قنبلة يدوية ... تؤنسنا وتشعرنا بالقوة ! حين وصلنا الحطام بعد خمسة ايام لم نجد سوى الجثث معظمها متفحم وبعض قد التهمه النمل المفترس ! ولكن كيف نعود ، الهليكوبتر التي حتنا بها تعطلت تماما عند الهبوط وحاولنا الاتصال بصاحبنا دى باروس ولكن عبثا .

لا رد من اي مكان ! لا رد من اى مكان الصمت الكوني كله كان يخنق احسادنا بينما كانت الصدور ملأى بالعويل .. العويل !

ومضت ايام احلى منها الموت ..

عندما فشلت الحملة

وفي ١٤ مايو ، عند العصر .. ما ازال اذكر الوقت والمنظر

حين وصل خوزيه كارلوس الى الموقع ... المدير الامريكي ! وجدنا اشباحا ممزقة الروح و ... حسام والملابس ... الحشرات والجروح والجوع حولنا ... شرا آخرين معهم رشاش وقنابل ولكن ليس فيهم ... من البشر . بلى كنا نحمل ايضا ما وجدناه من الاوراق النقدية والاشياء الثمينة على الجثث وسأل خوزيه كارلوس قائد حملتنا بتهكم

ـ ماذا وجدت ؟ هل تأكدت انه ليس ثمة احياء ؟ واضطر قائدنا للاعتراف انهم موتى .

ـ ماذا وجدت ايضا ؟ هات المنهوبات

واضطر لاعطائه ٢٠٠ الف دولار من النقود وستة عقود من اللؤلؤ والماس وبعض الاحجار الثمينة الاخرى .

قضينا يومين آخرين في الدفن ونصب الصلبان وانتهى عمل البعثة الرسمية واخذت تتأهب للسير على الهيلوكوبتر الصحمة التي جاءت عليها كان واضحا انها لا تستطيع حملنا جميعا وقال قائدنا للطيار

ـ ونحن ؟ هل يمكن ان تأخذونا ؟ هل تعودون لاخذنا ؟

ـ لست ادري

وعوى القائد بالامر ، فطوقنا الطائرة واختطفنا خوزيه كارلوس والمدير الامريكي وقدناهما تحت الاشجار حياة هؤلاء مقابل اعادتنا نحن قبلكم في السفر ! وفي المعركة تعطلت الهيلكوبتر برصاص الرشاش . ايام الرعب والجوع عادت اذن والصمت القاتل جهاز الاتصال نفسه تعطل ودامت هذه المسرحية يومين ، ريثما تم الاتصال بالحكومة ووصلت جماعة اخرى وفرجت بعد ان تركنا هناك قتيلين ، وثالثا اخذته الحمى .. ! اما ديمار دى باروس فانقطع عنا خبره كله اختفى تماما . بدون اى احتفال عدنا الى (سان باولو) وحين رحنا نسأل عنه عرفنا انه منذ وصلنا الغابة كان قد يئس من معركة الرئاسة ، وتبين فشل محاولته الدعائية حول الاحياء في الغابة فسافر ... بكل بساطة سافر الى اوروبا للاستجمام !

لم يضف صاحب الحديث الى حديثه سوى كلمة

ـ قافلة التضامن بقيت من الضربات اللامعة في تاريخ دى باروس السياسي اما الذين ماتوا ... نحن ؟

يا حسرتا على المنسيين ! !

الدكتور شاكر مصطفى

حل مسابقة العدد ٢٥٥

افقيـًا :

سلمان الفارسي

رأسـيًا :

جعفر الصادق

اثنتان في واحدة :
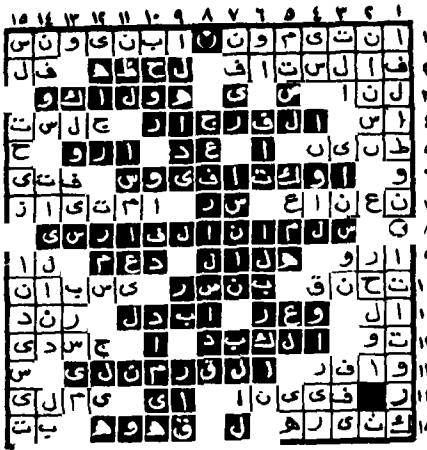
(٨) أفقيا . سلمان الفارسي . من صحابة الرسول . كان رقيقا ، وأسلم بعد الهجرة قال عنه الرسول (سلمان منّا آل البيت » . أشار على الرسول بحفر الخندق في غزوة الاحزاب . ولاّه عمر عاملا على المدائن . كان يأكل من كدّ يمينه ، ويتصدّق بالفائض .

(٨) رأسيا . جعفر الصادق . الامام السادس للشيعة ، واليه ينسب المذهب الجعفري الشيعي ولد وتوفي بالمدينة بلغ عدد المنتمين الى مدرسته في المدينة أربعة آلاف من كلّ الاقطار الاسلامية . شجّع التأليف فبلغ ما ألّفه تلاميذه أربعمائة كتاب

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها جمال محمد فرعلي ـ اسيوط/مصر .
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها حسن يوسف محمد ـ العين/الامارات العربية المتحدة
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها سكينة محمد ـ المحرق/البحرين .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فازبها كل من .

- عبد الحفيظ عثمان عبد الواحد ـ شندى/السودان
- السيدة سعد الدين صالحة ـ القنيطرة/المغرب
- حسن خليل اشتيوي ـ الرياض/السعودية
- منى وحيد مناع ـ حيطان/الكويت
- ٥ ـ حيدر حميد حسن ـ بغداد/العراق
- ٦ ـ وليد علي غالب الحريبي ـ عدن/اليمن الديمقراطي
- ٧ ـ علاء الدين ابو ريشة ـ حلب/سوريا
- ٨ ـ خالد عوض باشراحيل ـ همماريا

المناقشة

قراءة في فكر رافض

بقلم · فهمي هويـــدي

الذين لا يرون في الاسلام الا قائمة محرمات وممنوعات في جانب ، ثم لائحة عقوبات وزواجر في جانب آخر ، يفعلون بالاسلام تماما كما فعل الدب الذي أراد أن يحمي صاحبه فقتله، وان كانت النتيجة افدح ذلك ان المجني عليه في القصة الشهيرة هو مجرد فرد واحد ، ولكن المجني عليه فيما نحن بصدده هو عقيدة بأسرها !

ان هؤلاء يصغرون من شأن الاسلام من حيث لا يشعرون يحولونه من رسالة هداية للبشر ورحمة للعالمين الى "فرمانات" إلهية ، تأمر وتنهي ، وتوزع طوابير الناس على درجات جهنم ، حتى أسفل سافلين !

ولا نعرف دعاة لأية قضية ، مهما كان شأنها ، يستخدمون مثل هذا الاسلوب الفريد في التبشير، الذي يعتمد على التأثيم والتخويف سبيلا الى الهداية والاقناع فما بالكم اذا كانت الدعوة الى دين كالاسلام ، واذا كان الداعون اليه مأمورين ـ صراحة وبنص القرآن ـ بأن يخاطبوا الناس « بالحكمة والموعظة الحسنة » !؟

أقول ذلك بعد قراءة أوراق اصحاب « الفكر الرافض » ، الذين نشرنا في العدد السابق من العربي نموذجين من وثائقهم ، أحدهما ينتقد المجتمع ، ولا يجد فيه عيبا سوى ان الناس فيه لا يطلقون لحاهم ، ويرتدون ثيابا ضيقة ، ويستخدمون الصور والتماثيل ، ويدخنون السجائر ، وتلك كلها « محرمـات » سقطت فيها جموع العصاة والنموذج الثاني لوثيقة تطرح برنامجا لحزب اسلامي ، هو في الحقيقة لا يزيد على مجموعة من القواعد التربوية التي لا يختلف عليها ، من حفاظ على الصلوات الى تلاوة القرآن الى التخلق باخلاق الاسلام والبعد عن اللهو الفارغ ، واخلاص النية لله

ولست هنا في مجال مناقشة التفاصيل ، ولكني فقط سأحاول طرق الموضوع مما أتصوره منطلقات كلية ، تشكل ـ في حدود ما توفر لدي من بيانات ـ سمة غالبة على فكر الكثير من التيارات التي ترفع راية الاسلام في هذه المرحلة ، مؤكدا ـ ومكررا ـ أن الاستثناء وارد ، وان البيانات التي بين يدي لا تعني بالضرورة انها تشكل صورة متكاملة لواقع هذه التيارات المنسوبة الى الاسلام .

وليس من هدفي ـ ولا مقدوري ـ أن أنـاقش ما هو حلال ومـا هو حرام فيما نواجهـه من مواقف وسلوكيات ، انما القضية التي تعنيني هنا هي رؤية الاسلام لما هو حلال وما هو حرام من حيث المبدأ ومن

لذي يحدد الحل والحرمة ، وكيف يتعامل الله سبحانه وتعالى مع الناس ، من حيث انهم بشر ، وليسوا ملائكة

وسوف يقتضي منا ذلك ان نتوقف امام العديد من النصوص والوقائع التاريخية ، لنستدل ونسترشد

●

ذلك انه منذ نزلت آيات القرآن الكريم التي تعلن « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض » و « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » ، وغيرهما من الآيات المشابهة ، منذ ذلك الحين استقر رأي الفقهاء على قاعدة تشكل منطلقا اساسيا في التفكير الاسلامي ، هي « ان الاصل في الاشياء الاباحة » على اعتبار أنه ليس معقولا أن يسخر الله سبحانه هذا الكون للانسان ، ويعتبره من نعم الله عليه ، ثم يحرمه عليه

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الاسلام ضيقا شديدا ، واتسعت دائرة الحلال اتساعا بالغا وبقيت النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جدا ، وما لم يرد نص بحله او حرمته ، فهو باق على اصل الاباحة ، وفي دائرة العفو الالهي *

والاباحة المقصودة هنا لا تقف عند حدود دائرة الاشياء والاعيان ، بل تمتد لتشمل الافعال والتصرفات التي ليست من امور العبادة ، وهي التي سميها « العادات او المعاملات » ، فالاصل فيها عدم التحريم وعدم التقيد الا بما حرمه الله سبحانه ، وقوله تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » ، عام في الاشياء والافعال

وفي الحديث الشريف ما احل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئا .

وعندما سئل النبي (ص) عن السمن والجبن والفراء ، لم يشأ ان يجيب ، مكتفيا بقوله الحلال ما احل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنكم اي ان الرسول احال السائلين الى القاعدة التي تحكم الحل والحرمة ، اذ يكفي أن يعرفوا ما حرم الله ، فيكون كل ما عداه حلالا طيبا ! .

وفي هذا المعنى قال عبد الله بن عباس ما لم يذكر في القرآن فهو مما عفا الله عنه

اي ان الاسلام حدد السلطة التي تملك التحليل والتحريم ، فانتزعها من ايدي الخلق ، ايا كانت درجتهم في دين الله او دنيا الناس . وجعل هذه السلطة من حق الله سبحانه وتعالى فلا فقهاء او مفتين ، ولا ملوك ولا سلاطين ، يملكون ان يحرموا شيئا تحريما دينيا على عباد الله

وفي القرآن اكثر من تحذير واستنكار للذين يحاولون تجاوز هذه الحدود بالتوسع في التحريم : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟ (الاعراف ـ ٣٢) ـ يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين (المائدة ـ ٨٧) .

ان الله في هذه الآية الاخيرة لا ينهى فقط عن تحريم ما احله في كتابه ، ولكنه ينبه الى ان الوقوع في مثل هذا الخطأ بمثابة عدوان على حقه سبحانه في التشريع الديني .

---

* الحلال والحرام في الاسلام ـ الدكتور يوسف القرضاوي

ان التضييق على الناس وتوسيع دائرة الحرام ، هو في الوقت ذاته عدوان على الله ايضا

●

وبعد ان فتح طريق الحلال على مصراعيه امام البشر ، وحذر الله من محاولات اعتراض الهواة والمحترفين لهذا الطريق ، جاء التحذير الثاني موجها الى المؤمنين وهم هنا لا ينهون عن منكر او اثم ، ولكنهم يطالبون بالاعتدال في التدين ينهاهم الله ورسوله عن الغلو في الدين ، « وابطال جعله تعذيباً للناس » ، كما يقول الشيخ رشيد رضا

ومن النصوص التي استدل بها الفقهاء على ذلك الآيات يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (النساء ـ ١٧١) ـ ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين (الانعام ـ ١٤١) ـ تلك حدود الله فلا تعتدوها (البقرة ـ ٢٢٩)

ومنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام إياكم والغلو في الدين ـ ثم ، لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم ، فان قوما شددوا على انفسهم ، فشدد الله عليهم

وهؤلاء المتشددون هم الذين وصفهم النبي (ص) « بالمتنطعين » ونهى بشدة عن مثل هذا التنطع في قوله ثلاثا ألا هلك المتنطعون ألا هلك المتنطعون ألا هلك المتنطعون !

وحينما علم الرسول (ص) ان بعض الصحابة قد اخذ على نفسه ان يصوم النهار ويقوم الليل ، وقرر بعضهم ان يعتزل النساء ، عندئذ وقف بينهم وقال ما بال قوم قالوا كذا وكذا ، اما والله اني اخشاكم لله واتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني

وعندما قرر بعض الصائمين ان يقضوا يومهم في العراء ليكسبوا ثواب احتمال مشقة الحر والعطش الى جوار ثواب الصيام ، نهاهم الرسول عن ذلك ، وامرهم بالصوم في الظل ، لان الصوم في الشمس لغير مقصد شرعي الا المشقة ، فيه عصيان لاوامر الله ورسوله

أليس الدين يسرا ؟ ؟

نعم ، هناك تعميم ينبه الجميع الى ان الدين ليس أوامر ونواهيَ مطلقة وجامدة ، ليس عقوبة نافذة على البشر ، ولكنه « رحمة مهداة »

والتعميم وارد في نصوص عديدة يريد الله ان يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا (النساء ـ ٢٨) ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (البقرة ـ ١٨٥) ـ لا يكلف الله نفسا الا وسعها (البقرة ـ ٢٨٦) ـ وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج (الحج ـ ٧٨) ـ وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم (الاحزاب ٥)

وفي ذلك تقول عائشة عن النبي (ص) ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ، ما لم يكن اثما

وهو المعنى الذي اكده عليه الصلاة والسلام في اكثر من حديث ، بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ـ عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ـ لن يشاد الدين احد الا غلبه ، ولكن سددوا وقاربوا (ابذلوا جهدكم)

ازاء هذه المطلقات ، اباحة الاشياء في الاساس ، وتحديد المحرم بوضوح ، والنهي عن الغلو ، والتأكيد على اليسر في الدين ، كانت مهمة الفقهاء في الافتاء شائكة وصعبة للغاية اذ كيف يتحسب الواحد منهم هذه المحاذير ، ليقول رأيا يرضي الله فيما يعترض حياة الناس من معاملات وأقضية.

كان احمد بن حنبل يقول عن نفسه ربما مكثت في المسألة ستين قبل ان اعتقد فيها شيئا (اى استقر على رأى)

وابن حنبل هذا ، صاحب المسند الذي صنفه من بين ثلاثة ارباع مليون حديث منسوب الى النبي ، هو الذي كان يجيب على اكثر سائليه برد العالم الذي يخشى الله حق خشيته ، ويقول بتواضع جم لا ادري !

وفي مرض موت مالك ، علته البكاء ، وعندما سئل عن سبب بكائه ، كان رده ومالي لا ابكي ؟ ومن احق بالبكاء مني ؟ والله لوددت اني ضربت بكل مسألة افتيت فيها سوطا ، وقد كان لي السعي في كل ما سبقت اليه وليتني لم أفت بالرأي

ويروي عن مجلس ابي حنيفة انهم ظلوا ثلاثة ايام بلياليها يتناقشون في مسألة الحيض كما يروي عنه انه خرج ليلة من صلاة العشاء وبعله في يده فلقيه زفر ، احد فقهاء الكوفة ، فكلمه في مسألة ، وظلا يتحاوران حتى نودي على صلاة الفجر وهما قائمان ، فرجعا الى المسجد ، ثم عادا الى مناقشة المسألة ، ولم يفترقا الا وقد انتهيا الى رأي

هكذا كانوا يفتون ، يدققون ويتحررون ويزنون الامور بميزان الذهب ، قبل ان يتفوه الواحد منهم بكلمة في امور الحلال والحرام والمكروه والمستحب

وهو امر لا يقارن بسيل الفتاوى الذي ينهمر علينا عبر وسائل الاعلام وفي الكتب والنشرات كل يوم ما اسهل ان تقال كلمة حرام ، وما اسهل ان تطلق كلمة الشرك والكفر « وان احدهم ليفتي بالمسألة ، لو وردت على عمر بن الخطاب ، لجمع لها أهل بدر » ، كما يقول ابو حصين !

●

واخطر ما نتلقاه هو هذا التسرع في الحكم بتكفير المسلمين ـ « موضة » بعض الدعاة في هذا الزمان ، من ناقلي اقوال الخوارج ومقلديهم ـ وهو ما لم يجره الفقهاء الاربعة ، حتى قال ابو حنيفة اهل القبلة كلهم مومنون ، ولا يخرجهم من الايمان ترك شيء من الفرائض ولعلي اذكر اولئك الذين يروعهم ما يجرى الآن من مظاهر سلوكية تنافي تعاليم الاسلام (اكثر خطابات القراء تركز على هذه الناحية) ببعض ما تسجله صفحات التاريخ الاسلامي في هذا الصدد

فها هو ذا ابو ذر الغفاري يسمع من رسول الله (ص) قوله ما من عبد قال لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وقتئذ سأله ابو ذر وان زنى ، وان سرق قال النبي وان زنى وان سرق

فأعاد ابو ذر السؤال مرتين وثلاثا ، لم يكفه حتى قال رسول الله في المرة الرابعة وان زنى وان سرق ، على رغم انف ابي ذر !

وها هو ذا الامام الاعظم ابو حنيفة ، وقد جلس بالمسجد يوما ، فدخل عليه بعض الخوارج شاهري سيوفهم ، فقالوا يا ابا حنيفة ، نسألك عن مسألتين ، فان اجبت نجوت والا قتلناك قال اغمدوا سيوفكم فان رؤيتها يشغل قلبي قالوا وكيف نغمدها ، ونحن نحتسب الاجر الجزيل باغمادها في رقبتك !

قال سلوا اذن ، قالوا جنازتان بالباب ، احداهما رجل شرب الخمر فمات سكران والاخرى امرأة حبلت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة ، اهما مؤمنان ام كافران ؟

فسألهم من اي فرقة كانا ؟ من اليهود ؟ قالوا لا قال من النصارى ؟ قالوا لا قال من

المجوس ؟ قالوا لا . قال ممن كانا ؟ قالوا من المسلمين قال قد احبتكم .

قالوا هما في الجنة ام في النار ؟

قال اقول فيهما ما قال الخليل عليه السلام فيمن هو شر منهما (فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم) واقول كما قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم

فنكسوا الرؤوس وانصرفوا [١]

●

لقد كانت موجات التشدد في التاريخ الاسلامي بمثابة ردود افعال لانتشار موجات اخرى مضادة ، محملة بالبدع وصور الانحلال

فالترف الذي بدا على حياة الامراء والاغنياء ، وشيوع الملاهي والحانات في العصر العباسي الاول ، ساهم في تطور حركة الزهد الى تصوف يقوم على الرياضة الروحية ومجاهدة اغراءات الدنيا ثم لما اشتد الترف ، وضربت النفعية وفحشت الطبقية ، احتاجت الحياة الى النمط الفريد لابي العلاء المعري ، الذي فرض على نفسه اقسى ضروب الحرمان ، وقاوم المغريات المادية بمجاهدة تقرب من الاستشهاد فاحتمل ان يصوم الدهر كله ، وكان انسحابه من دنيا الناس احتجاجا عمليا على فكر العصر ، ورفضا معلنا لفساد المجتمع [٢] .

والمجون الذي ساد عصر الرشيد ومن بعده ، هو الذي افرز فقيها في تدقيق وتشدد احمد بن حنبل في الاعتماد على النصوص والتحلل الذي استشرى في اواخر عهد الدولة العثمانية ، والبدع التي انتشرت في الجزيرة العربية ، هي التي افرزت ذلك الموقف الحاد الذي اتخذه الامام محمد بن عبد الوهاب ، في اوائل القرن الثامن عشر الميلادي

واذا كنت قد قلت من قبل ان شبابنا الرافض الآن هو اخطر افرازات الهزيمة والاحباط (عدد مارس الماضي) ، فانني اضيف ان الهزيمة التي اعنيها لها وجهان وجه عسكري ، وآخر حضاري . فعندما فشلت الدعوة الى القومية في تحقيق أماني الشعوب العربية ، وانكسرت بهزيمة يونيو ٦٧ برزت تيارات الدعوة للعودة الى الله ، التي تمثلت في الحركات الاسلامية التي نشطت وتنامت منذ ذلك الحين والى الآن

ولكن فشل الدعاة الاسلاميين في الوصول الى صيغة ملائمة للتوفيق بين احكام الاسلام ومقتضيات العصر ، افرز رد فعل مضادا ، ترك بصمات واضحة على الموقف الفكري لهذه التيارات ، حتى اتسم اغلبها بالغلو في الدين ، وبالاغراق فيما يمكن ان نسميه الفكر السلفي ، الذي جعل قضيته هي اعلان الحرب على ما هو عصري ، والربط بين المعاصرة واعتبارها نوعا من الانحلال والتهتك والشرك في احيان اخرى

وايا كانت الاسباب ، فان المجني عليه في هذا كله يظل ـ كما قلت ـ هو العقيدة ، ومعتنقوها الذين تتقاذفهم هذه التيارات ، وتوقعهم في حيرة شديدة ، وشعور دائم بالاثم .

وتظل القضية هي : كيف يعود « للحنيفية السمحاء » وجهها الحقيقي ، بغير عدوان ولا افتئات ؟ وبغير تأثيم او تخويف ■■

---

(١) ابو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الاسلام ـ عبد الحليم الجندي .

(٢) الشخصية الاسلامية ـ للدكتوره عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) .

كتاب جديد

بقلم روز ماري صايغ

ان تعرض احد معاقل الاستعمار الثقافي ، واعني به الدراسة التي عرفت تقليديا باسم الاستشراق ، لهجوم متزايد يعتبر علامة من علامات الفترة الحرجة التي نمر بها فقد ظهر عدد من الدراسات الممتازة باللغة الانجليزية ، ولا ريب ان دراسات اخرى قد صدرت بالعربية والفرنسية ، ولكن احدثها ، واكثرها تدميرا بلا شك ، كتاب [1] « الاستشراق » ، لادوار سعيد ، الذي يلقي فيه نظرة فاحصة شاملة على هذه الظاهرة الثقافية الغربية منذ ان بدأت مع حماس البعثات التبشيرية في القرن الرابع عشر الميلادي حتى وقت تحولها الاخير الى « دراسات منطقة الشرق الاوسط » في الولايات المتحدة الامريكية ، ان المرء يشعر بالسرور وهو يسجل للدكتور سعيد انه عربي فلسطيني ربما لم يكن اول كاتب عربي يحمل بالنقد على الاستشراق ، ولكنه كان بكل تأكيد احسن من كتب في هذا الموضوع حتى ان كتابه أصبح الان بغلاف ورقي ـ طبعة رخيصة الثمن ـ وأصبح يصل الى جمهور من القراء ، اكبر بكثير مما يأمل غالبية الاكاديميين

ويستهل الدكتور سعيد دراسته استهلالا مناسبا بعبارتين يستشهد بهما ، الأولى رجل ينتمي الى اليمين والى الاستعماريين الأولين ، وهو دزرائيلي ، والثانية « لاسو » اليسار كارل ماركس إن كليهما يصنع مسافة ، ويؤكد نقطة ، وهي أن اليسار الاوروبي كان بطيئا في تحرير نفسه من أبعاد الاستشراق [2] ولكن كلا منهما يقدم لنا ايضا إحدى النقاط الاربع او الخمس الهامة التي تعرض لها الدكتور سعيد في كتابه ومن مؤلف دزرائيلي « تانكريد » ، الذي ذكر فيه عبارة « الشرق مستقبل » ، يلخص لنا الكاتب كيف كان الشرق يمثل دائما بالنسبة لاطماع اوربا التوسعية ، مجالا فارغا يمكن ان يحقق فيه مشروعاته (العسكرية والاقتصادية والثقافية والخيالية) ولم يكن هذا الفراغ اكثر من مجرد غياب قوة مضادة كذلك قول ماركس « إنهم لا يستطيعون ان يمثلوا انفسهم ، لابد لغيرهم ان يمثلهم ! » يوضح لنا عقيدة اساسية رسخت عند

(1) الاستشراق لادوار سعيد بانتيون برس ، نيويورك ١٩٧٨

(2) هذه الحجة يطرحها بريان ترنر بوضوح وقوة في كتابه « الماركسية ونهاية الاستشراق لندن « أكون وانوين ١٩٧٨ »

المستشرقين ، بأن « الشرق » « صامت » ، ميت ، غير قادر على فهم نفسه ، ولذلك فهو يعتمد على العلوم العربية من أجل أن يصل الى تفهم ذاته !

تركة موروثة

انها صفة مميزة للمؤسسات الثقافية ، وخاصة اذا كانت ، كما هو الحال في الاستشراق جزءا من تراث قبلي حتى أنها تبدو شيئا طبيعيا لا يرقى اليه الشك كما لو كانت ملامح منظر طبيعي ! كل جيل يأتي يضيف اليها شيئا ، او يغير من شكلها قليلا ، ثم يسلمها بوقار الى الجيل الذي يأتي من بعده وبهذه الصورة كبر الاستشراق وانتعش في الجامعات الاوروبية ، التي اصبح لديها السلطة للتحدث عن الشرق وللشرق ، دون تساؤل تماما كما ادعت هذه الجامعات أن الاستشراق علم ، وقبلت دعواها

ومع هذا فلم يكن هدف هذه الجامعات من دراسة « الشرق » ، اكثر من مجرد صندوق تلقي فيه بكل ما لديها من مخلفات لا تمت الى اوربا بصلة ، كما لو كان صندوقا مليئا بالقمامة !

وكان هذا موضوعا آخر من الموضوعات الهامة التي اثارها الدكتور سعيد في كتابه ، فالفكرة العامة أن « الشرق » ليس له وضع علمي ، وليس هناك تطابق ضمني للنظرية القائلة بالانتماء الى الاستشراق ، وبناء عليه يجب النظر الى هذه النقطة على اساس الواقع ، وهو أن الاستشراق مفهوم ينحصر الهدف الاساسي له في تقسيم العالم الى قسمين مختلفين تماما « نحن » (العرب) وهم ، (الشرق)

وداخل اطار هذا التقسيم كانت هناك قوة أوربا المتزايدة تدريجيا قوتها للتغلغل للاستكشاف ، للتنظيم ، للوصف ، للاستغلال ، وقوتها في التعبير بأساليب جذرية ، للحضارات القديمة والثقافات الدانية السائدة خارج حدودها

الاستشراق ... والاستعمار

وحتى القرن الخامس عشر لم يكن هناك اختلاف كبير بين أوربا وآسيا في الاقتصاد او في التكنولوجيا او القوة العسكرية ، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأت تحدث تغييرات حاسمة ومترابطة فقد اخذت التجارة الاوروبية مع العالم الثالث ، شكل التحدي والسيطرة ، وبدأ انتقال اوربا الغربية الى الرأسمالية الصناعية يتبلور

ومهما كانت درجة احتفاظه بالغموض الذي ... كمجرد ميدان من ميادين الدراسة فلم يكن ... الا ... يكون الاستشراق متورطا في هذه التطورات ... الذي بسط لهم اسباب السيطرة ، ونظم المعلومات ... عاد بها المستكشفون ، ووفر الخطوط الاساسية ... العزاة والفاتحين ، واخيرا تقدم للشعوب ... « نظريات » لخضوعهم ، وتخلفهم وافتقارهم ... التنمية ، وعدم قدرتهم على استيعاب العلوم ، ... للاسلام الخ

وبناء عليه ، وقد كانت هذه النقطة اهم ما جاء ... الحجج التي ساقها الدكتور سعيد نجد ان لا مفر ... النظر الى الاستشراق على اساس انه شيء ملا... للاستعمار ، حتى لو كانت الروابط بينهما معقدة وغ... مباشرة

واذا اخذنا اواخر القرن الثامن عشر كنقطة بداية تقريبية محددة ، فاننا نجد انه من الممكن التحدث ... الاستشراق وتحليله على انه المؤسسة المشاركة للاستعمار في التعامل مع الشرق التعامل معه عن طريق إصدار البيانات عنه ، واعتماد وجهات النظر الخاصة به وشرح صفاته وتدريسه وتهدئته ، وحكمه ، وباختصار فقد كان الاستشراق هو اسلوب الغرب للسيطرة واعا... البناء ، ثم فرض سلطانه على الشرق

من اشيل الى كيسنجر

ان الصور التي قدمها الدكتور سعيد لنمو الاستشراق في سيطرة الغرب على الشرق تشمل مج... واسعا للنصوص من أيام « أشيل حتى هنري كيسنجر حتى ليصعب ان نتصور ان احدا يمكن ان ينتهي بالتخاذل في إقامة الدليل على صدق دعواه

فهو قد رفض عامدا متعمدا ان يقصر حديثه هؤلاء المستشرقين الذين كانوا يرتبطون ارتباطا و... بالاستعمار السياسي ، لذلك فقد تناول في الوقت نفسه الكتاب الذين اصبحوا المجال لخيالاتهم مثل فلو... و لامارتن ، والكتاب الشواذ مثل داوتي ، والكتاب الذين يسعون للدراسة المجردة ، امثال لين ودي سا... وهذا الادماج يضيف إلى اتهامه في النهاية اهمية خاصة فهو يقول « اني اعتقد ان الاستشراق ... فشل في ان يكون دراسة إنسانية بنفس القدر الذي ... فيه بأن يقدم لنا دراسة ثقافية ، فهو بمواقفه اتسمت بمعارضة لا تلين تجاه منطقة معينة من ال...

بعتبرها غريبة عليه ، اظهر تقاعسا في التعاطف مع المرامي الانسانية « فبين هذا الحشد الكبير من الكتاب الذين تعرض لهم ، (٣) لم يجد الدكتور ادوارد سعيد ، كاتبا واحدا تحدى المغامرة التي كانوا جميعا مشتركين فيها او واحدا كان ارتباطه بالشرق الحقيقي ، او اي جزء منه اقوى من ارتباطه « بالاستشراق » »

حتى هؤلاء الكتاب الانجليز الشواذ ، امثال داوتي ولورانس وفيلبي ، الذين زاروا الشرق الرسمي ، وكانوا ينظرون اليهم في الغرب على أنهم « عرب اكثر من العرب انفسهم » ، او كما يصفهم سعيد « بالمستشرقين البيض » حتى هؤلاء بقوا سجناء داخل أبعاد الاستشراق معبرين عن مقدماته الاساسية ، بطرق اكثر فردية وابعد ما تكون عن المفهوم السليم

رأسمال مغلق

ان الدكتور سعيد لا يرى ان الاستشراق قد خدم السيطرة الغربية « كنظام للتمثيل البيروقراطي » فحسب بل اكثر من هذا فقد كان يمثل رأسمال مغلق من النصوص والكتاب الذين كانوا يستمدون رأيهم في موضوع كتاباتهم عن « الشرق » من اسلافهم لا من الشعوب الحقيقية والمجتمعات الحقيقية التي تمثل الشرق وتعيش فيه « فقد كان المستشرقون في عزلة دائما عن هذا الوجه الحقيقي للشرق بعيدين عنه ، والعداء موقفهم الاساسي تجاهه وهؤلاء المستشرقون الذين عاشوا معظم حياتهم في الشرق ، كانوا يشكلون اقلية ، اما الاغلبية فقد كانوا من هؤلاء الذين يزورون الشرق من حين لآخر للتعبير دائما عن خيبة املهم فيه ، وفي حالات معينة كانت الكراهية للشرق من القوة بحيث تثير السؤال الغامض يطرح نفسه « لماذا اذن كان يتحتم على البعض أن يقضي كل حياته يدرس الشرق ؟ » »

وبناء عليه ، فان قوة الاستشراق ، وقدرتها على النمو على مر الزمن ، لا يمكن ان يكون منبعها عوامل نظرية وتحليلية ، وانما نتيجة لوجود تلاحم داخلي ، ورؤيا متجانسة هذه الاسباب اعطت الاستشراق ، وما زالت تعطيه ، سلطانا يشير الى ما هو ابعد من الجامعات « الى المشتغلين بالسياسة والى الرأي العام كله » وقد بقي الاستشراق بمنأى من اي نقد يوجه اليه حتى الآن بفضل مصدرين كامنين ، الاول الدارسون ، نتيجة للحدود الفاصلة بين الميادين » الاكاديمية والثاني ، موضوعات الدراسة ، ابناء الشرق ، بنفس الاسلوب السياسي الثقافي اللامتوازن الذي اسهم الاستشراق في بلورته في عالم الافكار

مواقف الاستشراق من الاسلام والعرب

واهتمام الدكتور سعيد بهذا القسم من كتابه « الاستشراق » الذي يبحث في الاسلام والعرب شيء طبيعي يصدر عن دارس عربي ولكن هناك ما يبرر هذا الاهتمام اكثر واكثر ، نتيجة للدراسات الاسلامية الاثرية القائمة في اوربا ، والتي تدور بصفة عامة حول الاستشراق والى جانب ذلك نجد ان الكتابات الاوروبية عن الاسلام تقدم لنا نموذجا لقوة التصور التي وضعت لابطال الحقيقة وتحويل نظر البحوث عنها ، وينقل الدكتور سعيد نبذة من كتاب نورمان دانيل [٤] في هذا الصدد وهي توضح هذه النقطة توضيحا تاما

« ان الميل الثابت الى تجاهل ما معنى القرآن او ماذا يظن المسلمون انه يعني او كيف يفكر المسلمون او يتصرفون في مواقف معينة يدل على ان تعاليم القرآن وتعاليم الاسلام قد عرضت بصورة ترضي المسيحيين »

الخوف ، العداء ، الجهل ، عوامل يسهل تسجيلها في الكتابات الاوروبية عن الاسلام ويشير الدكتور سعيد الى دانتي كشاهد في زمن مبكر ، على ما ذهب اليه ، فقد وضع هذا الشاعر الايطالي محمدا عليه الصلاة والسلام ، في أدنى مقاعد الجحيم في المكان المخصص للملحدين والمنشقين الذين خرجوا عن صفوف المؤمنين ؛ (كذا)

وهناك ديربيلو ، العالم الفرنسي الذي عاش في القرن السابع عشر ووضع أحد المراجع المبكرة عن « الشرق » واسماه « المكتبة الشرقية » ، وقد وصف فيه الرسول عليه الصلاة والسلام بانه « دجال » وسمي مزيف

---

(٣) يستثني الدكتور سعيد من هؤلاء ولفريد سكاوين بلانت ، ولكن ربما غاب عن ذهنه بعض الشخصيات المعمورة امثال مارمدوك بيكتال ، الذي اعتنق الاسلام وترجم القرآن الكريم

(٤) الاسلام واوربا والامبراطورية ، لنورمان دانيل ، جامعة إدنبرة ١٩٦٦

(كذا) » ومن الصفات المميزة للدراسات الاسلامية انها بدلا من ان تعمل على تصحيح هذه الصور البدائية عن طريق المعلومات التي تجمعت لديهم ، راحت تعمل على دعمها وتعزيزها « وفي النهاية نجد ان الجهل العربي هو الذي اصبح اكثر نقاوة وتركيبا وليس شخصا معينا يتمتع بمعرفة عربية إيجابية ، تتزايد حجما ودقة »

خطر الاسلام على اوربا

فمنذ البداية ، كان الاسلام يشكل تهديدا حقيقيا لأوروبا بصورة لم تظهر من قبل في اي جزء من اجزاء « الشرق »

واكثر من هذا فان الرأي القائل بان المسلمين هم بشكل او بآخر مسيحيون ملحدون ، يمكن تحويلهم عن طريق بذل جهد ملائم الى عقيدتهم « الحقيقية » ، هذا الرأي كان قويا في المسيحية ابان القرون الوسطى ، وقد ساد الحديث عن اساليب التحول واصرار في اعمال معظم الكتاب المسيحيين الذين تعرضوا للاسلام في كتاباتهم امثال ماسينيون ، ومنذ البداية في عام ١٣١٢ م كان تدريس اللغة العربية في أوربا مرتبطا بالامل في تحويل العرب عن الاسلام ، ولعلنا نجد في بعض اعمال جيب او فون جرونيباوم ما يثبت أن الشوفينية الدينية ليست اقل قوة في الدراسات الاسلامية الحديثة

انه شيء يديس بكل تأكيد فرع الدراسات الاسلامية للاستشراق ، أن نجد بعض أحسن ما كتب عن الاسلام (اي باقل قدر ممكن من التمييز والايديولوجية) قد سجل باقلام كتاب بعيدين عن الاستشراق ، امثال جيرتز وجيلنير ، وهما من علماء الانثروبولوجيا او تاريخ الشعوب ، والياد وكامل ومارجريت سميث من المتخصصين في الدراسات الدينية

ان الكثير من العداء المكثف في نظرة الاستشراق الأيديولوجية للاسلام يختلف باختلاف النظرة الى العرب انفسهم ، فمن الملاحظ على سبيل المثال ، انه كلما ابتعد اي شعب مسلم عن اوروبا تضاءل تحيز الكاتب المستشرق ضد هذا الشعب (ويمكن المقارنة هنا بين موقف اوربا تجاه العرب والاتراك ، ثم موقفها تجاه الايرانيين والمسلمين في الهند) وفي بعض الاحيان نجد ان هناك ما يغري على الظن بان الازمة السياسية والبترولية المعاصرة قد ضاعفت من حدة التحيز ضد العرب بين المستشرقين ، ولا شك ان من بين الفوائد التي نجدها في دراسة الدكتور سعيد هو هذا الجهد الذي بذله في سبيل تسجيل مصدر هذا التحيز واستمراريته

رقع ورقية !

ومما ينير لنا الطريق ، ان نكتشف مثلا كيف كانت الدراسة العلمية للغات او « الفيلولوجيا » ممثلة بالعنصرية في القرن التاسع عشر ، ولو أن هذا التطور الجديد هو الذى اسهم في واقع الامر في تقوية دعوى الاستشراق باعتباره علما من العلوم ، فقد حدد رينان ، على سبيل المثال ، مكانا للسامية ، اقل شأنا من غيره ، في تسلسل اللغات ، وبذلك ارتفعت مكانة السنسكريتية ، لغة الهند الادبية القديمة ، التي تعتبر من أسلاف أسرة اللغات الهندية ـ الاوروبية

ويشير الدكتور سعيد الى صفة اخرى مميزة للدراسات الاسلامية والسامية ، وهي صفة يمكن ان تطبق بنفس القدر على الاستشراق عامة وهي « ذلك المركز المتردي الذي تميزت به بالقياس الى غيرها من العلوم الانسانية ، والتخلف الايديولوجي والميثودولوجي والعزلة النسبية عن التطورات التي حدثت في غيرها من الدراسات الانسانية ، وعن واقع العالم التاريخي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي » هذا التخلف الثقافي الذي يؤكده ايضا بريان تيرنر قد ربط الدكتور سعيد بينه وبين انتاج المتحجرات مثل « الساميين » و « العرب » و « الآريين » ، وكلها رقع ورقية لا تمت الى الانسانية او العلوم بصلة ، ومن شأنها ان تضفي نوعا بعد صفة الشرعية للمشاعر المعادية لليهود والمعادية للعرب والمعادية للسامية

انتشار الاستشراق في الشرق

ان دعوة الدكتور سعيد « الى الشرق الحديث بالاشتراك في استشراق ذاته ، قد فتحت الباب امام دراسة جديدة شاملة وفي كل ما يقول نجد حديثه متضمنا تأثير تقاليد المستشرق ونفوذها ودورها في تثقيف السيطرة العربية ، حتى ان دعوته قد نجحت الى حد كبير في نقل الهدف منها الى الشرقيين كوسيلة لرؤية انفسهم والتعرف على ذاتهم

ومن بين الذين كتبوا عن الامبريالية امثال (فا وكيرنان وبانيكار) ، ضمنوا كتاباتهم إشارة الى مدى حققته النظم التعليمية الحديثة (او بمعنى آخر العرب

العالم الثالث وكيف انها اقامت قاعدة لاستمرار نشر ثقافة العربية والسيطرة السياسية . ويذكر الدكتور سعيد امثلة لهذه العملية ، كما يراها في العالم العربي

دليل ذلك

(أ) صفحات الكتب والجرائد التي تصدر بالعربية مليئة بتحليلات من الدرجة الثانية عن « الفكر العربي » وعن « الاساطير » نقلا عن الاستشراق !

(ب) الاموال العربية تنفق على التوسع في الدراسات الشرقية الموجودة في الولايات المتحدة !

(ج) غالبية الطلبة العرب يذهبون الى الولايات المتحدة لاجراء الدراسات المتقدمة ويحفظون « كليشيهات » المستشرقين من المستشرقين الأمريكيين !

(د) العرب اصبحوا مستهلكين متنوعين لصنوف شتى من المنتجات الامريكية ، المادية والايديولوجية » !

والمزيد من الدراسة سوف يكشف بلا شك مدى نفاد ايديولوجية المستشرقين الى بطون كتب التاريخ العربي وحديث الناس اليومي

ان نظرية النهضة العربية ، او دور لبنان كقناة لهذه النهضة ، في حاجة الى اعادة النظر بصورة اكثر جدية ، وكذلك النظرية السائدة عن « التقليدي » او المتعارف عليه ، وتعارضه مع الحديث أو « المودرن » وقد كانوا يأخذون بها وكأنها حقيقة علمية في كثير من المناقشات التي كانت تجري في المجتمع العربي فيما قبل القرن العشرين

يختتم الدكتور سعيد موكدا الدور الرئيسي للصفوة العربية المثقفة في نقل السيطرة الثقافية العربية بغير اعتراض يذكر

« ان اقتصاد سوق العرب وتوجيهه نحو الشرق المستهلك قد انتج طبقة من الأفراد المتعلمين الذين اصبحوا يتجهون بفضل تكوينهم الثقافي ، الى اشباع متطلبات هذا السوق . هناك حاجة ملحة الى الهندسة والاعمال التجارية والاقتصادية ، وهو شيء واضح ولكن أهل الفكر انفسهم اصبحوا مجرد عامل مساعد لما يعتبرونه اتجاها رئيسيا قضي عليه في الغرب . وقد وصفوا لهم دورهم ومهدوا لهم الطريق اليه وهو دور التحديث او التعصير ، ومعنى هذا إضفاء الشرعية والقوة المقنعة للأفكار الخاصة بالتحديث والتقدم والثقافة التي تصل من الولايات المتحدة في اكثر الحالات

الحجر والرماد

ومن بين الكتب الحديثة التي صدرت اخيرا كتاب « الحجر والرماد » ، للدكتور هشام شارابي ، وهو يقدم لنا لمحة مثيرة للصراع الداخلي بين المثقفين العرب في مواجهة قوة الثقافة العربية . يقول المؤلف « وكان قادتنا ومعلمونا يكرهون العرب ويعشقونه في الوقت نفسه ، كان العرب بالنسبة لهم مصدر كل ما تشتهيه انفسهم ، وفي الوقت ذاته مصدر ذلهم وتعاستهم هكذا غرسوا فينا مركب النقص من العرب وعقدة تقديسه معا وغدت معلوماتنا القومية تعصبية بعيدة البعد كله عن المفهومات الاجتماعية والتاريخية الصحيحة ! ! »

من هذه الفقرة يتضح لنا ان الصراع ضد تأثير الثقافة العربية وبصفة خاصة في صولة ما يعرف باسم الاستشراق ، نوع خطير من انواع الصراع ضد السيطرة السياسية . هناك تقريبا اربعون عاما تفصل بين الدراسة بالنسبة للدكتور شارابي وصدور كتاب « الاستشراق » ، ولا شك انه شيء مشجع ان نرى انه ليس هناك من الاسباب التي تدفع اي طالب عربي الى الشعور بالضغط عليه من اجل « تقديس الغرب » ، او النظر الى مجتمعه العربي من خلال عيون المستشرقين . إن تحدي الدكتور سعيد لنفوذ المستشرقين هو عمل بطولي من الناحيتين الثقافية والاخلاقية

دعونا نأمل ان يكون لهذا التحدي في العالم العربي ، نفس الاثر الكبير الذي تركه بوضوح في العرب [5] ■■

روز ماري صايغ

(٥) تقوم دار الملك في بيروت باعداد ترجمة عربية لكتاب « الاستشراق »

« الديمقراطية الصحيحة لا تقوم بلا معلومات كافية ، كما ان اجهزة المعلومات في غيبة الديمقراطية قد تصبح كارثة على الحرية »

بقلم الدكتور حازم الببلاوى

منذ سنوات بدأ الحديث عن انشاء نظام اقتصادي عالمي جديد وها نحن أولاء نعاصر الان دعوة اخرى لانشاء نظام عالمي جديد للمعلومات ، يعكس مدى شعور دول العالم الفقيرة بالظلم الواقع عليها ، فالعلاقات الاقتصادية السائدة لا تجعلها فقط اكثر فقرا ، ولكن نظم تبادل المعلومات والاتصالات الدولية الحالية تساعد على تثبيت هذه الاوضاع وتأييدها ومن هنا جاءت الدعوة لنظام عالمي جديد للمعلومات كحلقة اخرى في مطالبة الفقراء لتعديل اوضاع العالم وانشاء نظام اقتصادى جديد

وقد تعددت التوصيات والقرارات الصادرة من منظمات الامم المتحدة والمؤسسات الدولية حول الحاجة الى نظام جديد يعيد التوازن بين دول العالم فيما يتعلق بحجم نوع المعلومات المتاحة ولا يترك العالم الثالث كمجرد ملحق يضاف الى نظام قائم ومكتمل فمنذ ١٩٦٢ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة توصية لليونسكو باستمرار البحث والتطوير لنظم المعلومات (قرار ٢٣/١٧٧٨) وفي خلال السنوات الخمس الاخيرة تعددت هذه القرارات والتوصيات بكثرة ، فقد اوصى الاجتماع التاسع لليونسكو في ١٩٧٦ المدير العام بدراسة موضوع المعلومات والاتصالات في المجتمع الحديث ، وادى ذلك الى انشاء لجنة دراسة الاتصالات برئاسة « ماكبريد » التي اقترحت تعريرها النهائي في اوائل ١٩٨٠ وفي الوقت نفسه تقريبا (ديسمبر ١٩٧٦) اتخذ قرار مشابه من الجمعية العامة للامم المتحدة ، واعيد بحث الموضوع من جديد في الاجتماع العشرين لليونسكو في ١٩٧٨ وفي ١٩٧٩ اصدر المؤتمر الحكومي للاتصالات ، المعقد في « كوالا لمبور » قرارات وتوصيات للاهتمام بموضوع الاتصالات والمعلومات والبحث في انشاء هيئة او جهاز دولي لتطوير ذلك لمصلحة الدول النامية ، وتأكد هذا الاتجاه من جديد في اجتماعات مؤتمر التنسيق الاعلامي للدول غير المنحازة حتى ١٩٧٩ المعقد في لا هاى ثم في اجتماع وكالات الانباء للدول غير المنحازة في بلجراد في نوفمبر ١٩٧٩

من صور التخلف

ومجرد نظرة على الاحصاءات المتاحة حول وسائل المعلومات والاتصالات تكفي لبيان مدى ما يعاني العالم الثالث من تخلف في هذا الميدان ، لا تجعله فقط غير قادر على اسماع صوته للعالم ، بل ـ وهو الاخطر ـ غير مستطيع ان يعرف نفسه ومشاكله فمن حيث توزيع الصحف نجد أنه ـ في حين ان معظم الدول المتقدمة توزع صحفا يومية فيما بين ٢٠٠ ـ ٥٠٠ لكل

ف نسمة ـ يكون الوضع في الدول النامية مختلفا
دا ، ففي افريقيا لا تعرف تسع دول صحفا يومية
ااتا ، ويبلغ توزيع الصحف اليومية في عبرها نحو ٢٠
كل الف نسمة ولا تختلف الصورة كثيرا فيما يتعلق
لاذاعة والتلفزيون ، فالتلفزيون قد وصل بجهد الى
ريقيا رغم التوسع الكبير الذى طرأ عليها خلال
سنوات العشر الاخيرة ، وفي معظم دول افريقيا تقل
سة التلفزيون عن ١٠ لكل الف نسمة والوضع في
سيا أفضل قليلا حيث تبلغ هذه النسبة ٥٠ لكل الف
سمة

وفيما يتعلق بشبكات الهاتف لوحظ ان توزيعها بين
'فراد يرتبط بشكل أوثق مع مستوى الدخل الفردى
ي الدول المتقدمة والصناعية يبلغ متوسط عدد
سواتف المتاحة اكثر من خمسين لكل مائة نسمة
نخفض هذه النسبة في الدول النامية ، فهي نحو ٨
كل مائة نسمة في الشريحة العليا من هذه الدول ، واقل
ن ٣٪ لكل مائة نسمة في الشريحة السفلى ، وقل مثل
لك في خدمات البريد وفي لحظات الارسال الفضائية
لارضية

العالم الثالث لا ينتج ، ثم هو يستهلك اقل ، ولكنه
ضا لا يعرف ، ولا يعرف عنه الا الاقل القليل وهو ما
تاج الى تصحيح ، لكن غلبة مستويات الانتاج
لاستهلاك المادى للسلع على تفكير رجال السياسة
والاقتصاد ـ قد القى بقضية المعلومات والاتصالات
بعيدا في قائمة الاولويات وهو ما قد يحتاج الى مزيد
التأمل واعادة النظر

المادة والمعلومات

التاريخ هو الى حد بعيد تاريخ التراوح بين امرين
اساسيين المادة والمعلومات فالانسان في تاريخه الطويل
قد حاول اخضاع المادة لسيطرته ، وتطويرها لحسابه
على ان هذا ما كان يمكن ان يتم دون تطور مماثل في
معلومات الانسان عن الوسط المحيط به وعن نفسه
ويمكن أن نقول من زاوية معينة ان مشكلة الاقتصاد
المعاصر هي التوازن اللازم بين المادة والمعلومات ففي
خلال العصر الحديث شاهدنا نوعا من ثورة الانسان في
سيطرته على المادة ، مع ما صاحبها من ثورة في
المعلومات ولكن التوازن في هذا التطور قد انقلب
لمصلحة المادة وعلى حساب المعلومات ، فتطوير المادة قد
اصبح السيد والهدف ، واستخدام المعلومات لم يعد اكثر
من الخادم والتابع ، وهو امر قد لا يكون فيه تقدم
الانسان وها نحن أولاء الان نعاصر ثورة في المعلومات
وهي ثورة في اساليب المعلومات ، ولعل تطورا مقابلا
يتم في اهداف المجتمعات ، بحيث تصبح المعلومات
سيدة لا خادمة ، وينظر اليها على الاقل ، على قدم
المساواة مع المادة ، بدلا من هذه التبعية الكاملة

وينبغي ان نفهم المعلومات هنا بمعنى واسع يشمل
العلوم والفنون والآداب والتاريخ وكافة صور المعرفة
حتى الاساطير ايضا ، فهي أمور تتجه الى عقل الانسان
وذوقه في الدرجة الاولى

لا احد يستطيع ان يعارض تحسين مستوى المعيشة
وتوفير السلع والخدمات اللازمة لتحقيق حياة متكاملة
من غذاء ومسكن ، وملبس ، ورعاية صحية ،
وترويح الخ بل الوجود الاساسي كله يتعرض
للزوال ما لم تتوفر هذه السلع والخدمات ، وهي امور
ترتبط الى حد كبير بالانتاج المادى وتطوير المادة ، ولكن
الخطر كل الخطر هو ان ينظر إلى سعادة الانسان والى
الهدف من الحياة باعتباره تجميعا لكمية اكبر من
« الاشياء » ، دون الاهتمام بامور اخرى قد لا تقل
اهمية ، وكثيرا ما نسمع عن ضرورة تحقيق التوازن بين
المادة والروح ، بين الاشياء المادية والعناصر المعنوية ،
وفي هذا عدم دقة او تحديد ، اما فكرة المعلومات فانها
يمكن ان تضيف الى هذه المطالبة مزيدا من الوضوح

ولعله من المفيد ان نبدأ بالاشارة الى انه ـ حتى في

انتاج الاشياء يكون دور المعلومات دورا اساسيا فانتاج السلع ليس مسألة مادة وحسب بل مسألة « معلومات » ايضا ، فلا بد من معرفة بخصائص الطبيعة وقوانينها ، وهذه معلومات ولا بد من تصميم لاجهزة الانتاج وهو ما يستند الى تصور مسبق مصدره معلومات ولا بد من عملية الانتاج ، وهي بالدرجة الاولى تنظيم لجهود كثيرة بما « تقتضيه سلسلة من القرارات والاوامر ، اى لابد من نقل للمعلومات ، ولابد اخيرا من اسواق تتبادل فيها المعلومات بين المنتج الذى يعرض سلعة والمشترى الذى ينفق دخله ، وهذا نوع من تبادل المعلومات حول خصائص السلعة واحتياجات المشترى وهكذا نجد ان الانتاج للاشياء يعتمد على فكرتي المادة والمعلومات

وقد ازداد في العصر الحديث الاقتناع باهمية المعلومات في الانتاج فالانتاج الصناعي لم يعد يعتمد على التجربة ، وانما على « النظرية » وهى معلومات مقننة والتنظيم الصناعي والادارى لم يعد يتوقف على مهارة المدير وفطنته ، وانما اصبح يستند الى نظريات فى الادارة والتنظيم والتسويق والقرارات لم تعد تصدر بناء على « انطباعات ، بل استنادا الى بيانات وهكذا اصبحت بنوك المعلومات وادارات الاحصاء والبياسات احدى خصائص الانتاج الحديث

على ان المشكلة تكمن واقعيا في علاقة المادة بالمعلومات فالى حد كبير وبنوع من التبسيط ، يمكن القول بان المجتمعات الحديثة تنظر الى تعظيم الاشياء باعتبارها الهدف ، والى المعلومات اللازمة لتحقيق ذلك باعتبارها وسيلة لهدف ، فأهداف اى مجتمع حديث هى زيادة النمو الاقتصادى ، وهذا يحسب بحجم ما يتاح من سلع وخدمات ، اما ما ينفق في سبيل ذلك من اعداد للمعلومات واستخدامها فهو من قبيل التكلفة ، اكثر منه من قبيل الاشباع المطلوب لذاته ومن هنا لم يكن غريبا ان نتحدث عن علم غير نافع ، وعن جهل غير ضار ، فالعلم وسيلة ، والمنفعة هي الهدف ، والمنفعة تتحقق بمزيد من الاشياء نضعها تحت تصرف الافراد

حدود النمو

وليت هذا التصور لاهداف المجتمعات قد اعطى نتائج طيبة ، وزاد في رفاهية الافراد وسيادتهم ، ولكن الحاصل هو اننا اصبحنا نجد ان مزيدا من الاشياء للافراد يزيدهم تبعية لاتحررا .

فالصناعة الحديثة تتفنن في انتاج المزيد والغريب من الاشياء ، واغلبها لا يشبع حاجة اساسية لدى الانسان وانما يقوم بخلق ضغط اجتماعي ونفسي على الناس يدفعهم دفعا للحصول عليها مسايرة للعدو ، لالسدحاجة ، وبذلك فقد الفرد حريته وسط هذا الضغط الاجتماعي المتزايد بدلا من ان يجد حريته مع مزيد من الانتاج والوفرة

على ان الامر قد اصبح اكثر خطورة الان ، وقد بدأ العالم يدخل مرحلة جديدة تتميز باقتراب الحدود والقيود على امكانياته ، فمي كل وقت من الاوقات تنازع فكر الانسان المستقبلي نزعة تفاؤل لعالم ذى امكانيات بلا حدود ، ونزعة تشاؤمية تركز عكسيا على هذه الحدود وقد بدأنا في السنوات الاخيرة نستيقظ من جديد على اجراس التنبيه بحدود النمو

وقد صدر فى ١٩٧٢ كتاب « حدود النمو » لنادى روما ليؤكد من جديد اننا نعيش فى عالم محدود ، وان حدوده اقرب كثيرا مما نتوقع ورغم ما أثاره هذا الكتاب من ردود افعال مختلفة فان أزمة النفط ـ بعد ظهوره بحوالي سنة ـ اكدت للعالم اننا نعيش على مورد ناضب ، وان البحث عن بديل له ليس بالامر اليسير ولا الهين ، وظهرت في الوقت نفسه مخاطر الانفجار السكانى وازمة الغذاء ، وبدانا نعرف أن نموا مستمرا بلا حدود هو امر غير ممكن ، فضلا عن انه غير مستساغ ، وفى هذا الجو بدأت نظريات النمو في الدول المتقدمة ترجع للعديد من الانتقادات ، وبدأ الحديث عن فكرة النمو من درجة الصفر ، والبحث عن صور اخرى للمجتمعات

فاذا ما انتقلنا الى دول العالم الثالث فاننا نرى ان الامر اكثر صعوبة ومرارة فرغم ما حققته الدول من تقدم خلال ربع القرن الاخير فان شعور الاحباط لا يفارق هذه الدول بالنظر الى اتساع الفجوة بينهم وبين العالم المتقدم واصبح الحديث عن اللحاق بالدول المتقدمة امرا بالغ الصعوبة ان لم يكن مستحيلا

وفي هذه الظروف نجد ان خصائص المعلومات يمكن ان تقدم للدول النامية ، بل للعالم اجمع ، بديلا معقولا لعالم لا يفكر الا في المادة ، فاذا كانت المادة بطبيعتها محدودة وان الاقتراب من حدود نفادها امر لا محال لكرانه ، فان المعلومات بطبيعتها غير محدودة ، فمجتمع يسعى لتعظيم المعلومات لدى افراده لن يصاب ابدا بالاحباط والعجز على عتبة الندرة ، والمعلومات تفتح أملا للنمو بلا حدود

ويرتبط بهذا امر آخر لا يقل خطورة فعلى حين ان المادة لا تقبل الاضافة بمعني ان مزيدا من الاشياء لزيد من الناس تعني بالضرورة نقصا في الاشياء لشخص

فالسلعة اما لي او لك ، ولكنها لا تكون لنا معا في نفس الوقت ، اما المعلومات فانها تتمتع بخاصية فريدة ، وهي القابلية للاضافة ، فنقل المعرفة من المعلم الى التلاميذ عليا ولاينقص علم الاستاذ ويرتبط بذلك ان عالم الاشياء بطبيعته يخلق سوءا في توزيع الثروات ، لأن استئثار البعض بقدر من الثروة يحرم الآخرين من الاستمتاع بها اما المعلومات فهي تخلق عالما يميل بطبعه الى المساواة في التوزيع بين الافراد ، فمزيد من المعرفة لافراد آخرين لا ينقص استمتاع احد ، بل لعله يزيد هذا الاستمتاع ، فكم تزيد متعة من يحب الموسيقى او الفنون بازدياد عدد من يشاركونه هذا الحب

مجتمع جديد

ويرتبط انتقال المعلومات بين الافراد بقيمة اخرى وهي الاستحقاق ، فالمعلومات لا تنتقل ولا تسلم بين الافراد او فيما بين الاجيال ، وانما لابد من اكتسابها وتعلمها فعلى حين ان الثروة تورث وتنتقل بين الافراد دون جهد فان المعلومات لابد وان تكتسب باستحقاق

واذا نظرنا الى اوضاع الدول الفقيرة ومقارنتها بالدول الغنية نجد ان قصور الاولى في اللحاق بالثانية يرجع الى حد كبير الى الوضع النسبي الذى بدأت به هذه الدول ، فالدول الصناعية ـ وقد بدأت التراكم الرأسمالي منذ قرنين ـ قد تركت لابنائها تركة هائلة من القواعد الاساسية ومن الطاقة الانتاجية في شكل طرق ومصانع وغير ذلك ، مما يجعل تقدمها أمرا ميسورا أما الدول الفقيرة فانها تبدأ من الصفر تقريبا ولا يخفي أن لهذا الأمر تاثيرا بالغ السوء للشعور بالاحباط المستمر واليأس من ملاحقة الأغنياء

ولكن اذ لاحظنا أن توفير الحاجات الأساسية ليس مشكلة ضخمة لتلك الدول ، فان امكانية السبق في عالم المعلومات تفتح آفاقا للامل والنجاح لهذه الدول وبذلك يكون في امكان هذه الدول ان تحقق نتائج تستطيع ان تفخر بها ، بدلا من هذا الشعور المستمر بالعجز والاحباط فضلا عن ان النجاح في عالم المعلومات لا يمكن الا أن يتم بناء على الاعتماد على النفس لا تصلح فيه هبات او قروض

ان البحث عن مجتمع يحقق مزيدا من التوازن بين المعلومات والمادة يتطلب تحرير المعلومات من عبودية المادة ، بحيث تصبح هدفا ايضا من اهداف المجتمع ، ليس مجرد وسيلة

على انه ينبغي ان نتذكر ان نمو اقتصاد المعلومات لا يمكن ان يتم دون اساس من المادة فالمعلومات تتطلب ـ وخصوصا الان ـ بنية اساسية لنقلها وحفظها وتطويرها فالامر لا يحتاج فقط الى مدارس ومكتبات ، ولكنه يتطلب بنية اساسية هامة من اساليب الاتصال والمواصلات فاجهزة الحاسبات الالكترونية اصبحت امرا ضروريا لعالم يقوم على تنظيم المعلومات وشبكات المواصلات السلكية واللاسلكية والاذاعة والتلفزيون كل ذلك اصبح جزءا من عالم المعلومات لامناص من توافره اذا أريد لمجتمع أن يعطي للمعلومات ما تستحقه من عناية واهمية ، وهذه امور تتعلق بالانتاج المادى للاشياء مما يميز مجتمع المعلومات ـ ليس في انفصام العلاقة بين المعلومات والمادة ، فهي علاقة دائمة في ترتيب اولويات واهداف المجتمع

المطلوب خلق مجتمع جديد يستند الى قيم تضع المعاني الذهنية والفنية في مرتبة عليا من اهتمام الانسان ، ولا تجعل السعي وراء حيازة الاشياء الامر الوحيد الجدير بالاهتمام ومتى توافرت القيم الجديدة فان الانطلاق في عالم المعلومات قد يفتح للانسان مجالا للنمو بلا حدود ، وللنجاح بلا حدود ، وللنجاح بلا ظلم

ضبط المعلومات لازم

على ان الامر لا يخلو من محاذير اذا لم توضع الضوابط والقيود فالمعلومات حقا وسيلة لتحرير الاذهان ، ولكنها اذا لم يتحقق لها الضوابط الحقيقية قد تنقلب الى وسيلة للسيطرة على الافراد والقضاء على حرياتهم

المعلومات اداة للتحرر ما دامت متاحة للجميع يساهمون فيها اسهاما خلاقا ، ولكنها قد تنقلب الى وبال شديد فيما اذا قامت دكتاتورية واستخدمت ماكينة المعلومات لتشكيل اذهان الافراد واخضاعهم بدلا من تحريرها ولذلك فان قضية المعلومات لا بد وان تستمر جنبا الى جنب مع قضية المشاركة والديمقراطية بل ان الديمقراطية الصحيحة لا يمكن ان تقوم بلا معلومات كافية ، كما ان اجهزة المعلومات في غيبة الديمقراطية قد تصبح كارثة على الحرية

العالم الثالث يحتاج الى نظام جديد للمعلومات ولكنه يحتاج بنفس القوة الى اعادة النظر في اهدافه من النمو وفي مزيد من المشاركة ■■

د . حازم الببلاوي

محاكم التفتيش

أسوأ استخدام لاسم الله !

بقلم : الدكتور عبد العظيم رمضان

محاكم التفتيش اسم رهيب في التاريخ الوسيط والحديث ، يقترن باصطهاد الفكر والرأي المخالف ، لا يذكره الناس الا ارتسمت في أذهانهم على الفور صور القسوة البالغة ، والتعذيب الوحشي ، والتصفية الجسدية ، والموت حرقا لكل من يحمل عقيدة مخالفة أو مذهبا معارضا أورأيا مناهضا للرأي الموجود فى السلطة ، سواء أكانت هذه السلطة دينية أم دنيوية

وهذا الاسم يثير تلك المفارقة العريبة بين الدين ورجال الدين فقد بعث الله بالدين لسعادة البشر بدعوتهم الى المحبة والتسامح والتكافل ، وتحول هذا الدين على أيدى رجال الدين في كثير من حقب التاريخ الى أداة قمع رهيبة جبارة تفتقر كل الافتقار الى المحبة والتسامح والتكافل ، وترتكب كل الجرائم تحت اسم حماية هذه المبادىء ! وهذه المفارقة لا تقتصر على الدين ورجال الدين ، بل تمتد الى أي مبدأ ، ورجال هذا المبدأ فقد أثبت التاريخ أن أشنع الجرائم ترتكب باسم أنبل المبادىء ، وعلى يد رجال هذه المبادىء أنفسهم والداعين لها ! فقد ارتكبت « جرائم عهد الارهاب » في فرنسا على أيدي أصحاب مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وارتكب « بول بوت » جرائمه في كمبوديا باسم نفس المبادىء التي تدعو الى حرية الانسان الاقتصادية والسياسية ، ويرتكب الحكام السياسيون جرائم اضطهاد الرأى المعارض تحت أسمي المبادىء الانسانية وشعارات حماية مصالح البلاد وحريتها وكرامتها ، بل باسم حماية الديمقراطية

لاضطهاد المسيحين اولا

محاكم التفتيش Inquisition ، اصطلاح مشتق من كلمة لاتينية هي Inquirere ، ومعناها يبحث ، يتقصى ، يفتش وقد أسسها البابا لوسيوس الثالث ثم انوسنت الثالث ، وخاصة في المجمع اللاتيراني الرابع سنة ١٢١٥ ، واستمرت في قمع الفكر المخالف بالحديد والنار والارهاب عدة قرون

ويرتبط اسم محاكم التفتيش في أذهان الشرق الاسلامي باضطهاد المسلمين على يد الكنيسة في اسبانيا ، وهذا غير صحيح ، فقد نشأت محاكم التفتيش أصلا لاضطهاد المسيحيين المخالفين لرأي الكنيسة ، ثم انتقل الاضطهاد الى المسلمين

ويرجع اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لرأى المخالفين لها الى أوائل العصور الوسطى ففي سنة ٣٨٥ قبض على المفكر الاسباني بريسيليان ، وأدين بسبب

آرائه . ثم أحرق بأمر الامبراطور ماكسيموس في بلدة تريف وقد اتسمت سياسة الامبراطور فالنتيان الأول ٣٦٤ ـ ٣٧٥) وثيودوسيوس الاول (٣٧٨ ـ ٣٩٥) باضطهاد المخالفين لرأي الكنيسة ، ودمغتهم السلطة الكنسية بلفظة « الهرطقة » ، وهي كلمة يونانية الأصل معناها الرأي المستقل أو الاجتهاد الفردي ، وقد استخدمتها الكنيسة لدمغ من لاتتفق اراؤه مع قانون الايمان الكنسي ، وما اتفق عليه في المجامع الكنسية المبكرة

وفي بداية القرن العاشر ، بدأت موجات الاضطهاد ضد الهراطقة ، وتصاعدت هذه الموجات حتى القرن الثاني عشر ، حين أكد فقهاء القانون الكنسي ما ورد في مجموعة جستنيان من ادانة للهراطقة والحكم عليهم بالموت على ان أول قرار بعقاب الهراطقة بالموت حرقا كان في سنة ١١٩٧ على يد بطرس الثاني ملك اراغون باسبانيا

ويهمنا هنا أن نبرز أن تصاعد العنف ضد أصحاب الرأي المخالف قد تواكب مع تصاعد الفساد وتزايده داخل الكنيسة فالعنف هنا ليس ظاهرة دينية لحماية الدين بقدر ما هو ظاهرة فساد ترتكب باسم الدين وهذا شأن العنف في كل زمان ومكان ان النظم الصالحة لا ترتكب العنف أبدا

وسوف نستقي نماذجنا عن فساد الكنيسة من الكتاب العلمي الجريء الذي كتبه الدكتور اسحق عبيد ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة عين شمس ، وهو أستاذ مسيحي ـ عن « محاكم التفتيش ، نشأتها ونشاطها » فهو يرجع الفساد في الكنيسة إلى القرن الحادي عشر عندما اشتبكت مع السلطة الرسمية في صراع دموي حوّل صعيد أوروبا الى ساحة من التوتر الدائم ، وفي أثناء هذا الصراع بين الأمير والكاهن خرجت البابوية عن حدود صلاحياتها ، فدخلت المعارك ولطخت يدها بالدسائس ، وذهل الناس عندما رأوا كاهن الله في زي قيصر ، ممسكا بالسيف وبيارق الحرب ، فراحوا يترحمون على السلام العالمي وعلى « مدينة الله »

وينقل الدكتور اسحق عبيد عن المؤرخ « لي » بعض الأمثلة ، فيذكر كيف كان الأسقف ليبولد من ورمز رجلا عسكريا ظالما حتى ان أحاه خاطبه في احدى المرات قائلا « يا أخانا الأسقف ، ان فرسان العالم الاقطاعي أقل ضراوة منك في مسلكك لقد كنت تخاف الله قليلا قبل دخولك سلك الدين ، ولكني أراك اليوم لا تخشى السماء » ! فرد عليه الأسقف قائلا « عندما نلتقي يا أخي أنا وأنت في جهنم ، قد ا...دلك مقعدك » !

كما يذكر كيف فاحت في سنة ١١٩٨ رائحة فضائح كبير أساقفة نيزانسون ، المدعو جيرارد دي روجيموت وكذلك مخازي « ماهي دي لورين » أسقف تول ، الذ[ي] كان غارقا حتى أذنيه في الرشوة ورحلات الصيد ، ب[ل] انه قام في سنة ١٢١٧ باغتيال خصمه « ريبو د[ي] سليس » وقد عرف عن مندوبي البابا (القاصد الرسولي) أن جيوبهم باتت تحشى بالفضة والذهب رحلاتهم التفتيشية ، حتى شكا رهبان الداوية الى البا[با] اسكندر الثالث بأن القاصدين الرسوليين باتوا يعبدو[ن] صنم المال وقد صاح روبرت جروستيست في احد[ى] المرات في وجه البابا انوسنت الرابع قائلا « الويـ[ل] لكم من صنم المال ، ها هو ذا يشتري كل شهوة مادية حتى في بيت الفاتيكان »

ويذكر عن مخازي البابا اسكندر السادس (بورجيا) أنه كان مغرما بالنساء ، وكان يحيط نفس[ه] بالراقصات ، حتى انه لم يكن ينام في فراشه بمفرده وكان للبابا اسكندر السادس أبناء كثيرون من سفاح خاصة من السيدة فانوزا التي رزق منها بكل من قيصر ، وجان ، ولوكريس ، وجوفري كما رزق م[ن] أخرى بكل من جرومين ، وارابيل ، وبيارلويس ولورا وكان من خليلاته السيدة جوليا فرابيري وكا[ن] البابا اسكندر السادس لا يتورع عن مسلك الفجور [في] وجود بناته وأفراد حاشيته الفاسدة ، حتى لقد أشار[ت] بعض الأصابع اليه بالاعتداء على المحارم كما اشتُ[هر] عن بورجيا ، مثلما قيل عن سلفه سكستوس ، باللو[اط] العلني وكان هذا البابا يبيع منصب الكرادلة بالمال وقد بلغت الرشوة في هذا المنصب مبلغ مليون ومائتي ألف مارك من الذهب ولم يكن بورجيا يتورع ع[ن] دس السم لمن يريد التخلص منه من معارفه ليرث أملاكه ولم يسلم من هذا الجرم علماني أو رجل دين [في] روما وقد ذاع عن « سم » بورجيا اسم خاص هـ[و] « كانتا ريللا » ، وكان يعده صيادلة مرموقون في روما

مواجهة دعوات التغيير

على هذا النحو « ـ كما يقول الدكتور اسحق عبيد ـ » تردى الفاتيكان وسيده وكرادلته ولذلك فا[ن] صيحة الاصلاح أحذت تعلو في عنان السماء تطالـ[ب] بالتغيير وتبشر بفجر جديد ولم تفلح أساليب الارهاب

والقمع في تعطيل مسار التاريخ والانعتاق من أغلال الكنيسة الرومانية »

وقد بدأت حركة الغضب العامة ضد الكنيسة في القرن الثاني عشر وامتدت هذه الحركة الى ربوع البلقان وشمال ووسط ايطاليا ، وجنوب فرنسا ، واسبانيا ، وبلاد الراين ، والاراضي المنخفضة ، وأواسط ألمانيا وعرفت غالبية المتمردين الساخطين باسم « الأطهار » أو « الأنقياء »

وسرعان ما هبت الكنيسة لاضطهاد خصومها والتنكيل بهم فقد عقد مجمع اللاتيران سنة ١١٧٩ برئاسة البابا اسكندر الثالث . وأصدر ضد هذه الجماعات قرارا « باللعنة » ، وحرض السلطات العلمانية على حمل السلاح ضد هؤلاء الخصوم وشن حربا « صليبية » ضدهم وفي مجمع فيرونا المنعقد سنة ١١٨٤ برئاسة لوسيوس الثالث وحضور الامبراطور الروماني المقدس فردريك بربروسة ، اتخذ قرار بمطاردة « الأطهار » ، وتسليم المهرطقين الى السلطات المدنية للقصاص ، وكلف كبار رجال الدين بالتفتيش عن أفراد هذه الجماعات بمساعدة الجواسيس للقبض عليهم ، وهدد من يقصر منهم في أداء هذا العمل بقرار الحرمان لذاته وقطع املاكه وفي سنة ١٢٣١ قرر البابا جريجوري التاسع تعيين الرهبان الدومينيكان لمحاربة الهرطقة ، مع عدم حرمان الأساقفة من حق التفتيش عنهم ومعنى ذلك ان البابوية قد وضعت محاكم التفتيش كلية تحت سيطرتها المباشرة مستعينة في هذا بأداتها الطيعة من رهبان الفرنسيسكان والدومنيكان

وفي عهد الملك الفرنسي لويس التاسع ، تقرر أن تقبض السلطات الكنسية للتفتيش على المتهم وتحاكمه ، واذا تمت ادانته تسلمه الى السلطات الزمنية « لاحراقه بالنار » وقد عين لويس التاسع « روبرت لي بوجر » مفتشا كنسيا عاما على الشمال الفرنسي ، فأخذ هذا يمارس أساليب القمع الوحشية باسم الملكية الفرنسية والبابوية معا

وسرعان ما انتقلت محاكم التفتيش الى كل أنحاء اوروبا . ففي سنة ١٢٣٨ أصدر الامبراطور فردريك الثاني قرارا ملكيا بتعميم تحريم الهرطقة على أرجاء امبراطوريته الرومانية المقدسة ، وعقاب الهراطقة بالموت وفي صقلية سيطر فردريك الثاني نفسه على محاكم التفتيش ، وكان يضم أملاك وأموال من تتم ادانتهم الى خزانته الملكية وانتقل النشاط من ألمانيا الى بوهيميا والمجر والبلاد السلافية ، ثم الى اسكندناوة وانجلترا ، بل وصل ايضا الى بيت المقدس وفي انجلترا قرر الملك جيمس في مايو ١٢٣٢ استدعاء المفتشين الكنسيين الى بلاده لتطهيرها من الهراطقة

ومن الغريب أن أهم سمة تميز جماعات المخالفين في أوروبا الذين كانوا يعاقبون بالموت باسم الهرطقة ، كانت تتفق مع جوهر الدين الصحيح ، وهي سمة « الزهد والدعوة الى البساطة الاولى » وقد ورد على لسان واحد منهم أثناء محاكمته في بلدة دوفيسي سنة ١٤٨٨ « نحن قوم مؤمنون ، وخدام للملك ومسيحيون حقيقيون لسنا نريد أبدا أن نقلد هؤلاء الذين وطئوا بأقدامهم الانجيل أو أولئك الذين بددوا تراث الرسوليين ، انما نحن نشد حياة تقوم على الزهد والطهر كما كانت في الايام الاولى للايمان الصحيح »

على أن خطورة هذا الفكر هو أنه ظهر في وقت كانت قد ترددت فيه الكنيسة في بيع المناصب الدينية ورواج رجال الدين ، وافتضحت البابوية وكبار الاساقفة والأساقفة ، وطرحت قضية الاكليروس على بساط الشك من أساسها وبالتالي أصبح هذا الفكر يهدد مصالح استقرت للكنيسة ونظاما يوفر لرجال الكنيسة كل ألوان الترف والاقبال على الدنيا تحت ستار الدين وبات من الضروري مقاومته وتصفيته بحجة حماية الدين

فقهاء كل زمان

وكما هي العادة ـ التي استقرت على مدى التاريخ الى عصرنا الحاضر ! ـ فقد أحدث الكنيسة تستعين بالمنظرين لضرب الخصوم على أساس نظري يخدع الناس فقد أقر فقهاء القانون الكنسي عقوبة الموت للهراطقة ، وسار على هدى فتواهم كبار الاساقفة وبعض الملوك ، قبل أن يقر الاعدام رسميا في مجمع اللاتيران سنة ١٢١٥ وكانت الحجة النظرية التي أعلنها البابا انوسنت الثالث أنه « اذا كان العيب في الذات الملكية يتوجب القصاص بالموت ، فكم بالأخرى يكون ذلك على من يتطاولون على الله من الهراطقة » ؟ وقد برر « توما الاكويني » هذه العقوبة بقوله اذا كان القانون يعرض مزيف المال للموت ، فكم هو حري اعدام الهراطقة ان افساد العقيدة التي تتصل بالروح أخطر من جريمة تزييف النقود ! » ويستند توما الاكويني في نظريته على ما ورد في الكتب المقدسة ، كما هي العادة في أمثال هذه الحالات حتى الآن ـ ومنها إن كان أحد لا يثبت في ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجفف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق » !

كانت اجراءات محاكم التفتيش تسير وفق قواعد البابا جريجوري التاسع على النحو الآتي

(١) التوجه الى البقعة المعينة (٢) الاتصال بأهل الثقة في البلدة للاستنارة بفكرة عامة عن الأحوال (٣) القبض على المشكوك في أمرهم (٤) الاستعانة بالشهود (٥) التثبت من الادانة (٦) الدفاع (٧) السجن (٨) التعذيب (٩) الحكم العلني ، مقرونا بالوعظ والارشاد لاهل البلدة

وكانت محكمة التفتيش عندما تحل ببلدة ما ، يقوم مفتشها الكنسي (القاضي) بالقاء موعظة عامة على مسامع أهل البلدة ، يدعو فيها من تساوره افكار مهرطقة الى المبادرة بالاعتراف والندم طواعية أمام المحكمة ، ويمهل هؤلاء شهرا على أكثر تقدير وقد عرفت هذه المهلة باسم « مهلة الرحمة والغفران »

وقد سمحت أساليب محاكم التفتيش في حر الأب لأن يشهد على ابنه ، والابن على أبويه ، والزوج ضد زوجته ، والزوجة على زوجها وقد هنأ البابا جريجوري التاسع في احدى المرات المفتش الكنسي العام في شمال فرنسا على « نجاحه المنقطع النظير في ارهاب الناس حتى شهد الكثيرون ضد ذويهم من لحمهم ودمهم ! »

وكانت وظيفة الدفاع تنحصر في التثبت من صحة الاتهامات ، وليس الدفاع عن موكليه ومعنى ذلك أن مهمته لم تكن تفترق كثيرا عن مهمة المحكمة نفسها

المؤبد او الموت

ووفقا لدراسة الدكتور اسحق عبيد العلمية التي استند في معظمها على المراجع اللاتينية بكفاءة ومقدرة ، فان تكوين محكمة التفتيش كان على الوجه الاتي المفتش العام ، ونائب المفتش ، والمسجل القانوني ، والمستشار القانوني ، والحليف ، والمحلفون

وكان المفتش العام يمثل سلطة القاضي ، وهو مفوض البابوية ويستمد منها صلاحياته وهذا المفتش الكنسي هو الذي يوجه الاتهام ، ويحكم في القضايا ، ويصدر احكام الادانة . وجميع الاراضي التي يقوم فيها المفتش الكنسي بالعمل تصبح طيعة لأوامره دون تدخل من اساقفتها أو أمرائها الاقطاعيين أو قضاتها المدنيين ، بحكم تمثيله للبابا وقد هددت هذه السلطة الجسيمة اساقفة المحليين بضياع هيبتهم أمام رعاياهم ، فلم [illegible]وا سوى أن يهرعوا لمعاونة محاكم التفتيش حفظا لهذه [illegible]ة وقد نظم مجمع فينا المنعقد في سنة ١٣١٢ العلاقة بين الأساقفة ومحاكم التفتيش ، فأذن للأساقفة كل في ابروشيته باقامة سجون خاصة لايداع من تثبت ادانتهم من الهراطقة

أما « الحليف » ، فقد كان عادة من رجال الدومنكان أو الفرنسسكان ، يختاره المفتش الكنسي لمعاونته في حيثيات التفتيش جميعا وهو يسكن معه ويقوم على شئون حياته الخاصة ويصحبه الى روما لانجاز الأعمال في البلاط البابوي أما « المحلفون » فهم نفر مختار من رجال الدين والعلمانيين ، للاستفادة بآرائهم ولاستكمال ما قد ينقص المحكمة من معلومات

وكانت المحكمة تستعين بعدد من المخبرين السريين ، يسافرون متنكرين الى خارج البلاد لتعقب الهراطقة الهاربين وقد ابتدع هؤلاء المخبرون ذلك التقليد الذي سار عليه رجال المخابرات المعاصرون الحاليون من الانضمام الى الفئات المهرطقة للتحقق من تعاليمهم وأسماء الأعضاء ، ثم العودة الى المحكمة للادلاء بآرائهم ضد المتهمين وكان هؤلاء على علم بخبايا جماعات الاطهار وبممارساتهم الخفية قبل العلنية ، وكانوا أكثر قسوة ووطأة عليهم

وكان لمحكمة التفتيش الحق كل الحق في استخدام أساليب الارهاب والتعذيب لكي تحصل من المتهم على الاعتراف بذنبه وكانت الذريعة التي تتذرع بها المحكمة في استخدام هذا الأسلوب هو ان « البلاء يفتح الافواه المغلقة للاعتراف » !

وقد جرت العادة احتجاز المتهم في سجن ضيق حيث يقيد فيه بالاغلال ويحرم من الطعام والشراب والنوم وكانت هذه الزنزانات لا تسمح لمن فيها بمجرد الوقوف على القدمين ! واذا فشلت هذه السبل ، تلجأ المحكمة الى درجات أشد وأقصى من صنوف التعذيب ، منها تعليق المتهم من يديه ورجليه على الحائط ، ومنها دفع المتهم الى مكان عال والقائه ليهوي الى الأرض ، ومنها أيضا الكي بشعلة ملتهبة ، وأيضا طرح المتهم على منصة في وضع مثلث مع ربطه بحبل يلتف على شكل عقد حول جميع أعضاء جسمه ، وينتهي براعة لتمزيق جسده وعرف من وسائل التعذيب تعريض قدمي المتهم ، بعد أن تطليا بالشحم ، الى نار ملتهبة ، ثم يظهر المفتش لانتزاع الاعتراف وفي كثير من الحالات كان الكثير يموتون قبل الادلاء بأي اعتراف

وكانت العقوبات التي تقررها محكمة التفتيش تنحصر في حكمين اما السجن المؤبد ، أو الموت

في دار الآمنين

وكان السجن لمن يعترف باثمه واستعداده للتوبة ، وكان أقسى من الموت نفسه ، فكان المحكوم عليه يلقي في زنزانة قذرة موثق القدمين لا ينال من الطعام سوى كسرة من الخبز وقدح من الماء كان يطلق عليه « خبز الاحزان وماء التعاسة » ، ويلقي من خلال طاقة صغيرة ومع ذلك كان يكتب على بوابة الزنزانة « دار الآمنين » .

وقد عمدت محاكم التفتيش الى مصادرة اموال المحكوم عليهم واملاكهم ، وهذا الموقف المتعسف يخالف ما ورد في القانون الروماني الذي يعطي الحق لابناء المحكوم عليهم في الميراث ، طالما ان هؤلاء الابناء ابرياء. كما لجأت البابوية الى هدم منازل الهراطقة وبواديهم من اساسها بل لقد ذهب البابا انوسنت الرابع في ١٥ مايو ١٢٥٢ الى الامر بهدم المنازل المجاورة لمنزل المحكوم عليهم ، خشية ان يكون قد تلوث بوباء الهرطقة ، ولما هدد هذا الامر بازالة المدن والقرى ، الغي بعد سبع سنوات .

وفي تلك الاثناء كانت اسبانيا تخرج من ايدي المسلمين الى ايدي المسيحيين ، ولكن الاسلام كان صامدا في نفوس الناس ، فاحتاج الامر الى محاكم التفتيش في الوقت الذي كانت تكاد تختفي من الوجود فقد طلبت اسبانيا من البابا سكستوس الرابع ادخالها في البلاد لمكافحة المسلمين واليهود في شبه جزيرة ايبريا ، واجاب البابا هذه الرغبة في نوفمبر ١٤٧٧ وفي السنوات التالية نالت محاكم التفتيش الاسبانية شهرة كبيرة في التنكيل بالمسلمين ، كما خرجت منذ عام ١٤٧٧ من رقابة البابا ، وأصبحت تحت سلطة التاج الاسباني مباشرة الذي احد بوجه نشاطها حتى تمكنت من اجتثاث كل عقيدة مخالفة وكل رأي مخالف ، واصبحت الكنيسة الكاثوليكية بمأمن من الاخطار

وقد انتهت محاكم التفتيش في اوروبا بعد ان افلحت في تحقيق أغراضها والقضاء على خصومها بطريق التعذيب والاضطهاد ، ولكن نفس الفكرة التي قامت عليها ، وهي فكرة تعذيب واضطهاد خصوم الفكر والرأي لم تنته بل انتقلت الى أيدي السلطات العلمانية ، فأصبحت تقليدا من تقاليد النظم الأوتوقراطية والدكتاتورية يعاني منه المفكرون والكتاب وأصحاب الرأي في كل زمان ومكان ■■

القاهرة د. عبد العظيم رمضان

خجلان

دعي « جون » لكي يحضر جنازة الزوجة .... لجاره فلم يذهب فسألته زوجته ولكن لماذا لا .... لجنازة هذه الزوجة وقد اشتركت في جنازة الزوجتين السابقتين ؟

ـ حسنا يا عزيزتي ماري ، انني اشعر بشيء من الخجل اذ انني دعوات جارنا العزيز دون ان ادعوه ولو مرة واحدة لمثل ما يدعونا اليه

سكر .. وضرب .. وقتل

تقول اسطورة عربية ان الشيطان قال ذات مرة لاحد الاشخاص « انك على وشك الموت ولا بد لانقاذ حياتك من ان تختار بين ثلاث : اما ان تقتل خادمك أو تضرب زوجتك او تشرب هذه الكأس من الخمر »

اجاب الرجل « دعني افكر » ان قتل خادمي الامين خطيئة كبرى ، وضرب زوجتي بدون سبب عمل لا استطيع الاقدام عليه . دعني اشرب هذه الكأس ولما شربها سكر فضرب زوجته وقتل خادمه حينما حاول تخليصها !

كتاب الاغاني في كلمات

لكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني قيمة فنية كبرى وقد حفل بالنوادر والفكاهات والاقاصيص التاريخية المليئة بالحياة ، في اسلوب شديد الروعة ، يتوثب انطلاقا ويتقلب مع نبضات الحياة خفيفا سريعا ، شديد التلون ، شديد الواقعية ، شديد المراعاة لمقتضى الحال ، ينطلق بلسان كل انسان في نزعاته المختلفة ، وعقليته الخاصة ولهجته الخاصة .

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

من كتاب الكون العظيم نوالي تقليب الصفحات ، لنطلع على آيات في الخلق من وراء آيات وفي كل آية منه علامة على عظمة الأفكار ، ودقة الاخراج ، وجمال التنسيق ، وروعة البناء . حتى لكأنما نحن نشهد تجليات الخالق ـ « الذى خلق فسوّى ، والذى قدّر فهدى » ـ وهى تعلن عن وحدانيته التي تنعكس على وحدة الوجود ، ووحدة الفكرة التي يراها العلماء باطنا ، رغم اختلافها ـ أمام أعين الناس ـ ظاهرا . والباطن هو الأساس ، وهو الجوهر الذى يرينا « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت » ولن يتحقق لنا معنى ذلك ، الا اذا رأينا بدورنا ما تنطوى عليه صفحات هذا السجل من أفكار تجسدت في نظم أصغر ، لتتآلف في نظم أكبر وأكبر

ما هى ـ اذن ـ مفاتيح الحياة وأقفالها التي اتخذناها عنوانا للمقال ؟

الواقع أن هذه المفاتيح والأقفال تتمثل لنا في عالم يختفي عن عيوننا وعيون الميكروسكوبات ـ الضوئية منها والاليكترونية . انه عالم البروتينات الذى تبنيه كل خلية حسب « بروجرام » دقيق مسجل في نواتها .. فالبروتين هو حجر الاساس الذى تقوم عليه أعمدة الحياة ، بداية من الميكروب الضئيل ، ونهاية بالانسان العظيم ، أو ما بين هذا وذاك من سائر أنواع النبات والحيوان !

فالبروتينات جزيئات كيميائية عضوية ، منها الصغير والمتوسط والكبير والعملاق ، وكل يأتي حسب خطة محدودة ، وتوليفة مقدرة ، ليؤدي عملية معينة ، فلا يشاركه فيها بروتين سواه .. اذ يكفي أن نذكر هنا أن جسم الانسان يحوى أكثر من مائة ألف نوع من البروتين ، وكل بروتين يعرف رسالته وتخصصه الدقيق ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من سياسة وقيادة محكمة ، حتى لا تسرى العمليات هكذا جزافا ، أو بدون ضابط أو رابط ، والا كانت الفوضى ، والحياة لا يمكن أن تقوم على فوضى « لو كنتم تعلمون » !

لكن . ما دخل كل هذا بالمفاتيح والأقفال ؟

لأن البروتين يقوم أساسا على هذه الفكرة التي أردنا

تبسيطها من واقع عالمنا بالقفل والمفتاح ، فكما أن لكل قفل مفتاحه الخاص الذي يغلقه ويفتحه ، كذلك كان لكل مادة أو تفاعل في الخلية الحية ، أقفالها ومفاتيحها لكنها ـ والحق يقال ـ من أبدع وأروع ما تمخضت عنه فكـرة الخلـق من « هنـدسة » فراغيـة وتشكيليـة وتصميمية .. الخ

الموضوع طويل جدا ، وعويص جدا ، وكتبت فيه عشرات فوق عشرات من المجلدات ، ولا يزال العلماء يكتشفون ويسجلون ويكتبون ، وكأنما هم يغوصون في بحر ليس له من قرار ، ومنه يحصلون على كم ضخم من الأسرار ، ولهذا فان أية محاولة هنا لعرض الموضوع عرضا أمينا ، لا شك محاولة جد متواضعة ، وعلينا ـ اذن ـ أن نتناول العموميات ، علنا نحصل على قطـرة من بحـر الألغاز التي يتضمنها كتاب الكون المجيد !

بنايات بروتينية بخطط ومواصفات !

لكي نستوعب ما ينطوي عليه هذا العالم الدقيق ـ عالم الجزيئات البروتينية ـ فلا أقـل من أن نتمعـن قليلا في المباني التي يصممها البشر . المبنى يتـ... من وحدات .. طوب أو حجارة أو خرسانة مسلحة أو ... شابه ذلك . لكن المهم في النماذج المختلفة التي جاءت ... تلك المباني . صغيرها وكبيرها ، رغم أنها بنيت جميعـ... من الوحدات الصغيرة التي أشرنا اليها .

وطبيعي أن الانسان من وراء هذه الانشاءات ... أي أن هناك خططا وتصميمات قد خطها على الورق أولا ، ثم تنفذ بعد ذلك على الطبيعة ، لنراها على هيئة بيوت أو عمارات أو مرافق شتى . فتكون الأحياء الكثيرة التي تتكون منها مدينة كبيرة !

والخليـة الحيـة أيضا تضع الخطـط والتصـميمات اللازمة لبناء مرافقها الداخلية ، وأسوارها التي تحدد بها معالمها . ولكي تبنى « مدينتها » الدقيقة ، كان لابـد من وجود خامات للبناء ، لكن هذه الخامات لا تبني نفسها ، بل لابـد من وجـود بنائـين متخصصين لكـل عملية ، والبناؤون بدورهـم لهـم مؤهـلات ومواصفـات دقيقة غاية الدقة ، حتى تأتي البنايات نموذجية ... وبناؤو الخلية الحية يتمثلون لنا في رتبة خاصة من البروتينات

يمكن تشبيه عمل الانزيمات على الجزيئات المعقدة بآلة نشر أو تقـطيع الكتـل الخشبيـة الى أقراص ثم تقطيع الأقراص الى أنصاف وهكـذا . جـزيء النشا مثلا يتكون من سلاسـل سكرية معقـدة ، فيأتـي انزيـ... ويحولها الى سكر ثنائي ، ... يتبعه انزيم آخر ويحول الثنائي الى أحادي بفصله الى نصفين

الخمائر أو الانزيمات ، وهذه بدورها تقوم بدور العمال المجهولين الذين يبنون الجديد ، أو قد يهدمون القديم ، وكل شئ يسرى بحساب ومقدار !

ولا شك أن المقارنة بين ما يجرى في داخل هذه « المدينة » الحية الدقيقة ، وبين ما يجرى في مدننا العظيمة ، لا شك انها مقارنة مجحفة ، اذ لو تخيلنا أننا كبرنا الخلية الحية ملايين فوق ملايين من المرات ، علنا نشهد الحركة الدائبة التي تدير بها مرافق ملكوتها الصغير ، لتوارى البشر خجلا ، حتى ولو أعجبتهم مدنهم بما فيها من ادارات وخطط وتنظيمات ومؤهلات ومرافق تخدم بعضها بعضا . لكن هذا قد يبدو شيئا بدائيا بالنسبة لما يجرى داخل خلية حية ، ولا وجه للمقارنة - اذن - بين ما شيد الانسان ، وما شيد الله ، ليسرى به طوفان الحياة !

ولكي يتضح لنا المعنى فيما قدمنا فأوجزنا ، كان لزاما علينا أن نمر مرا سريعا على ما تحتويه الخلية الحية ، من نظم دقيقة مازلنا نتوه في تفاصيلها أعظم تيه . فللخلية سور أو غشاء دقيق ، ولكي يبنى هذا السور بمواصفات تؤهله لرسالته ، كان لابد من خطة وتنفيذ . الخطة موجودة على جينةأو جينات (مورثة أو مورثات) . الجينات في كروموسومات . الكروموسومات في نواة .. النواة - بدورها - هي عقل الخلية المدبر ، أو ادارة التخطيط العليا التي تحتفظ بعشرات الالوف من الملفات . ولكل عملية ملف أو « دوسيه » خاص . فعند بناء « السور » الخلوى ، أو ترميمه وصيانته ، « تفتح » الادارة الملف الكيميائي الوراثي الخاص به ، وتطبع منه آلاف الصور ، وبها يخرج مبعوثون الى ساحة الخلية ، وعلى « مطابعها » الكامنة فيها ، « تطبع » الأمر مستخدمة في ذلك أحماضا أمينية مختلفة ، فيتراص الحامض الأميني بجوار الآخر ، ويتشابك معه ، كما تتراص حروفنا في كلمات وفقرات ، وبعد انتهاء طبع الأمر ، يخرج المطبوع على هيئة انزيم (خميرة) أو انزيمات بالمواصفات المضبوطة والمتخصصة تماما في بناء السور أو ترميمه ، وليصبح مطابقا لكل سور أتى قبله ، أو سيأتي من بعده لهذه الخلية أو تلك . فأسوار خلايا الكبد مثلا ، غير أسوار خلايا المخ ، غير أسوار خلايا العضلات أو الأمعاء أو الكلية أو الرئة .. الخ .. الخ ، ذلك أن كل خلية تصمم سورها بما يتناسب مع نوعها ووظيفتها (راجع مقالنا) « لغز أسوار الحياة » على صفحات هذه المجلة - العدد ٢٤٦ - مايو ١٩٧٩ ، وكذلك « نحن كتب مكتوبة » . « ومطابع الحياة » في العددين السابقين) .

ومن داخل هذا السور الخلوى أسوار وأسوار ، فللنواة سورها ، وللمطابع أسوارها ، ولمحطات القوى أسوارها ، وللقنوات الدقيقة التي تتخلل مادة الحياة أسوارها - الى آخر هذه المرافق الحيوية التي حاكت بدورها وكأنما هي بنايات من داخل بنايات ، ولكل بناء سور خاص مناسب تماما للمهمة المكلف بها ، لكي تسرى الحياة بنظام موزون في هذا الكون الدقيق .

والواقع أن الخلية الحية تحتوى على آلاف الأنواع من الانزيمات ، وكل نوع ينتشر في ساحتها بالآلاف ، أى أن هناك ملايين فوق ملايين من « عمال » مهرة ، تراهم دائبي الحركة ، لينظموا جماهير جزيئية أقل شأنا ، وأكثر عددا ، فاذا بالفوضى الظاهرية ، تتحول الى نظام . النظام الى مجتمعات . المجتمعات الى حياة متآلفة في الخلية ، ثم النسيج والعضو والمخلوق ككل !

البروتين .. رتب وفصائل !

وأنواع البروتينات لا تكاد تعد أو تحصى . وهى تختلف باختلاف المضمون والوظيفة ونوع التفاعل الحيوى المطلوب أداؤه . فأحيانا نراها تفك وتربط ، أو تهدم وتبني ، أو تنظم عملية في داخل الخلية ، او تسرع بتفاعل ، أو تغلق ملفا (جينة أو مورثة) بعد أداء المهمة ، أو تمتص جزءا من الطاقة ، أو تطلق أخرى ، أو تؤكسد تفاعلا ، أو تختزل آخر ، أو تدافع عن الجسم اذا غزاه ميكروب . الخ . الخ !

ولكي نوضح أكثر .. خذ لذلك مثلا ومثلا !

فهناك البروتين البنائي أو الانشائي . فالظفر أو المخلب أو الشعر أو الصوف . الخ ، تتكون من بروتينات مختلفة ، انتظمت بطريقة محددة ، على حسب خطة مقدرة ، لينشأ هذا البناء أو ذاك ، فرب شعرة تدل على صاحبها ، لأنها بمثابة « بصمة » بروتينية تختلف من انسان لانسان أو من حيوان لحيوان . وخبراء الجريمة يعرفون تفاصيل ذلك تمام المعرفة .

وهناك البروتين « الحربي » . ومهمته الدفاع عن الجسم ، ويعرف أحيانا باسم الأجسام المضادة ، وهى متخصصة جدا . فلكل نوع من الفيروسات بروتيناته « الحربية » المضادة ، وكذلك الحال مع كل انواع الميكروبات .. فاذا دخل ميكروب التيفود الى الجسم مثلا ، وتحرك هنا أو هناك بأهدابه الدقيقة المنتشرة على جسمه ، فان أجسامنا تجهز للأهداب البروتينات المضادة

التي تشلها عن الحركة . وكذلك يوجد على جسم ميكروب التيفود اكثر من موقع استراتيجي ، ولكل موقع بروتينه المضاد الذى لا يصيب موقعا سواه أى كأنما أجسامنا بمثابة « ترسانة » بروتينية ، لانتاج أعداد هائلة من أنواع الاسلحة الحربية المتخصصة ـ أى البروتينات أو الاجسام المضادة

وهناك البروتين الحاث أو الموجه أو الميسر لعمليات الحياة . فمعظم الهرمونات بروتينات فالانسولين الذى ينظم عملية امتصاص السكر وحرقه ، انما هو هرمون بروتيني ، وكلنا يعلم ماذا يحدث للجسم لو غاب عنه الانسولين . وهرمون النمو بروتين تفرزه الغدة النخامية ليشرف على عمليات النمو ، فان زاد عن حدوده ، أصبحنا عمالقة ، وان نقص ، كنا أقزاما ، والذى يتحكم في مقاديره نوع آخر من البروتينات يوجد في القيادة الخلوية (أى النواة) ، ويعرف باسم الهستونات ، فينظم لها « ادارتها » ، ليسرى كل شيء بحساب ومقدار !

وهناك البروتين البناء والبروتين الهادم والذي يبني البروتين بروتين آخر فمرافق الخلية مبنية من بروتينات متراصة بنظام خاص ، كما تتراص مثلا وحدات البناء في منشئاتنا ، والذي يشرف على هذه العملية الانشائية الدقيقة هي الانزيمات أو الخمائر ، وهي ـ كما سبق ان ذكرنا ـ أنواع كثيرة جدا من البروتينات كذلك تهدم البروتين الا بروتين اللحوم التي نتناولها من بروتينات ، ولكي تهدم ، فلا بد أن يفرز الجهاز الهضمي بخلاياه المتخصصة ، الانزيمات أو الخمائر المناسبة ولا تزال هذه تهدم فيها وتهدم ، حتى تحولها الى وحدات و جزيئات كيميائية بسيطة نعرفها باسم الأحماض الأمينية ، وهذه تمتص وتسرى في الدماء ، فتأخذ كل خلية منها ما تشاء ، وتبنيها ـ على حسب خطة مقدرة من لدن القيادة الوراثية في النواة ـ على هيئة بروتينات وأنزيمات تناسبها دون غيرها ثم ان كل مادة عضوية معقدة نتناولها في طعامنا (نشويات ودهون وبروتينات . الخ) ، لابد أن يكون لها انزيمات وخمائر متخصصة . فالنشا مثلا يتحول الى سكريات بسيطة ، فيمتص بدوره ، ويتوجه الى الخلايا ، ليسرى الى محطات « القوى » (الميتوكوندريا) وفيها يدخل في سلسلة طويلة من الأحداث الكيميائية المعقدة ربما أكثر من ١٢ خطوة ، ولكل خطوة انزيمها الذى يتكفل بها دون سواه

وهناك البروتين المشكّل وهو هنا بمثابة « الخياط »

رسم تبسيطي لفكرة عمل الانزيم

(١) لكل انزيم مرافق يتحد به ويؤهله للعمل

(٢) الانزيم مرتبطا بمرافقه + مادة يراد فكها
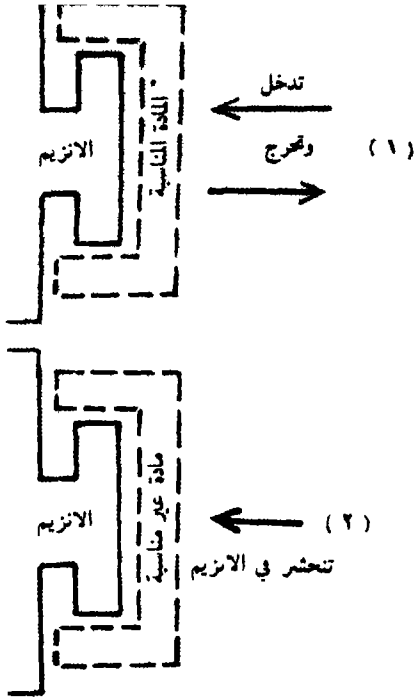
(٣) عندما تتآلف المادة مع انزيمها المناسب ، فانه يفكها او يحللها الى جزيئين اصغر ، وبعدها يتحرر ليعيد الكرة على اترابها .

الفنان التجسيدي أو الكيميائي الضليع في تخصصه ، تنطوي ذلك البروتين على أنواع كثيرة جدا ، ولكل نوع حدوده التي لا يتخطاها . فتشكيل الصبغة السمراء أو السوداء (صبغة الميلانين) على جلود البشر او الحيوانات ، تلزمها خامات او جزيئات بسيطة ، ولكي تسير هذه مع تلك من خلال حذف وإضافات ، كان لا بد ان يقف انزيم متخصص لكل حذف ، وآخر لكل اضافة ، اي كأنما هذه الانزيمات بمثابة المقص او الابرة في يد الترزي او الخياط - هذا يطرز حللا ، وتلك تطرز جزيئات ! كذلك تدخل انواع اخرى من هذه الانزيمات في جمع وتوصيب وتشكيل شفرات المادة الوراثية ذاتها ، ثم تأتي مجموعة اخرى ، لتجمع الشفرات في شريط وأشرطة وراثية . ومثل هذه العمليات تعد بالآلاف ، ولكل عملية انزيمها المتخصص فيها تخصصا دقيقا

حتى النشاط الفكري في داخل أمخاخنا تحكمه انزيمات تعلق وتفتح وتوجه وتشحن .. الخ الموضوع - كما سبق أن ذكرنا - طويل جدا ، وكتبت فيه عشرات من المجلدات . وحسبنا هنا تلك « القشور » العلمية التي قدمناها ، والا خرج الموضوع من أيدينا

يمكن تشبيه عمل الانزيم بفكرة القفل والمفتاح . فاذا تآلفت المادة مع الانزيم (١) فانها تتمي او تتفكك ، ثم تخرج لتدخل غيرها بسهولة ، لكن احيانا ما تنحشر مادة شبيهة في الانزيم ، فتوقفه عن العمل (انظر الشكل الذي يليه)

تعقيدات ونظم مذهلة

وطبيعي أن العلماء لا يتعاملون مع هذه المعمعة الكيميائية الهائلة ، الا من خلال اختيار جزء ضئيل جدا مما يجري في أنحاء الخلية ، فلا أحد - في الواقع - يستطيع أن يلم بكل تفاصيلها ، أو أن يستوعبها في عقله ، لأنها معقدة أشد التعقيد . ففي كل لحظة قد تتم آلاف العمليات ، وهذا يعني أننا نقف أمام ملكوت دقيق انتظمت فيه أسرار ضخمة غاية الضخامة . وفي هذا المجال يذكر لنا دكتور ستيفن وولف من جامعة كاليفورنيا في دراسة عن الخلية الحية يقول فيها « ان كل اكتشاف جديد في الكيفية التي تعمل بها هذه النظم ، يفتح لنا فيها آفاقا غير متوقعة من التعقيد والتنظيم الذي تتسم به التفاعلات الجزيئية داخل الخلايا ، ولربما كانت درجة التنظيم هي أعظم المفاجآت المذهلة التي تبدو لنا من خلال نظرتنا الحديثة الى الخلية الحية . ولقد جاء زمن كانت فيه النظرية التقليدية للخلايا على أنها « أكياس » دقيقة من الانزيمات التي تعمل بدون ضابط أو رابط على المكونات الذائبة التي تحتويها ، وكأنما هذه التفاعلات تتم في الخلية كما تتم مثلا في انبوبة الاختبار . لكن البحوث الحديثة قد اوضحت أن النظم الجزيئية قد جاءت على درجة هائلة من التنظيم ، وأن معظمها يترتب في صفوف وطوابير على أغشية رقيقة داخل الخلية ، وبحيث يبدو أن كل انزيم يتخذ موقعا محددا ، ليتفاعل بكفاءة مع جيرانه ، ولهذا فان الخلية تنظم كل مسائلها وأحوالها في المكان المناسب ، وللزمن المناسب ، أي أنها ليست « كيسا » فوضويا كما كانوا يعتقدون في الماضي . ان حدود معرفتنا الحالية بهذه النظم تجعل العلماء يعتقدون أنهم لا يزالون على مشارف المعرفة بالتفاعلات الجزيئية والكيميائية التي تتم داخل الخلايا . فعلماء بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذين اكتشفوا أن الخلية هي الوحدة الاساسية للحياة ، سوف تنتابهم دهشة بالغة لو أنهم اطلعوا على ما حققناه من اكتشافات مذهلة في وقتنا الحاضر ، ولا شك أن الدهشة ذاتها سوف تصيبنا لو أننا اطلعنا على الانجازات التي سوف يحققها العلماء بعد مائة عام من الآن » !

ولكي نوضح ذلك أكثر ، حتى يتبين لنا معنى التحديات الهائلة التي تجابهنا في أسرار الحياة ، كان لا بد أن نشير الى أن جزيء الانسولين (وهو بروتين) يتكون من ٥١ حامضا أمينيا مختلفا ، وكل منها يتراص

بجوار صاحبه ويتشابك معه من خلال روابط اليكترونية ، ولقد قضى فريق من العلماء ـ تحت اشراف البروفيسور سانجر بجامعة كمبريدج ـ عشر سنوات كاملة ، وهم يعملون ليل نهار ، حتى اكتشفوا وضع كل حامض اميني بجوار الآخر العملية لاشك مضنية ، وتحتاج الى ذكاء وصبر ودقة بالغة ، لأن أحدا لا يستطيع ان يرى الحامض الأميني كما نرى مثلا حروف لغتنا ، ولا أن يرى جزيء الانسولين نفسه على حقيقته أي حتى ولو كبرناه مئات الالوف من المرات ، وطبيعي أننا لا نستطيع أن نتعرض هنا للطريقة المعقدة التي « قرأ » بها فريق العلماء نظام الأحماض المختلفة في الانسولين ، فهذه تحتاج لصفحات وصفحات ، لكن يكفي أن نذكر أن البروفيسور سانجر قد حصل على جائزة نوبل تقديرا له على مجهوده الذكي والجبار

والواقع أن جزيء الانسولين ليس كبيرا ، فهناك جزيئات أضخم منه وأعتى ، فجزيء مثل الهيموجلوبين الذي يعطي كرات الدم الحمراء لونها يتكون من ٢٨٧ حامضا أمينيا موصولة « بوصلات » اليكترونية ثم ان أى خطأ في وضع حامض أميني مكان آخر ، سوف يؤدى الى نوع من الأنيميا أو فقر الدم ، ولقد قدر العلماء أن عدد البروتينات التي يمكن ان تنتج من هذه الأحماض ال ٢٨٧ في عمليات تباديل وتوافيق سوف تصل الى الرقم اربعة مسبوقا ب ٦١٩ صفرا ، وهذا في الواقع عدد كوني لا تستوعبه العقول ، وهو على أية حال أكبر من عدد الذرات الموجودة في الكون بلايين بلايين بلايين المرات الخ (عدد ذرات الكون تصل الى حوالى واحد مسبوقا ب ٨٧ صفرا لاغير) قارن هذا بذاك لتعرف أن الله يخلق ما يشاء بغير حساب

ان التباديل والتوافيق التي يمكن أن تتم في الأحماض الامينية التي تكون مثل هذه الجزيئات البروتينية الكبيرة لا شك ستتمخض عن أنواع من البروتينات المختلفة التي لو قدر لنا وعرفنا نظم أحماضها الأمينية ، ثم اردنا كتابتها ، فان ذلك يستلزم بلايين المجلدات الضخمة ، وهذا ينبئك بضخامة ما يمكن أن يحويه كتاب الكون العظيم ، او قد يجعلنا نستلهم عن علم معنى قوله تعالى « ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » !

ان هذا الكم الكوني الهائل من البروتينات المختلفة التي توجد في الكائنات الحية سوف تأخذ من العلماء كل أعمارهم ولأجيال أخرى كثيرة قادمة ، حتى يعرفوا مفرداتها التي تراصت في نظام دقيق ، لتؤدى مهامها كما قدر لها من قديم الأزل (الواقع أنهم حتى الآن قد حلوا ألغاز عشرات فقط)

القفل والمفتاح .. مرة أخرى

والواقع أن أحدا لا يستطيع أن يرى رؤية العين ما يجرى داخل الخلية الحية من أحداث ، حتى ولو استعان على ذلك بأقوى الميكروسكوبات الاليكترونية انما نرى فقط الأثر أو المحصلة النهائية بطرق التحليل الكيميائي الدقيق

فالانزيمات مثلا قد عزلت واحدا بعد الآخر ، وتم التعرف عليها وعلى رسالتها التي تؤديها نحو خلاياها ، والى هنا يطرأ على البال سؤال كيف يقوم الانزيم حقا بعمله الذى تخصص فيه ؟

ان أقرب تصور معقول لذلك هي فكرة القفل والمفتاح فالمادة التي يراد بناؤها أو تفكيكها هي بمثابة القفل ، والانزيم بمثابة المفتاح صحيح أن الانزيم عبارة عن عشرات أو مئات من الأحماض الأمينية المتشابكة في جزيء عملاق ، الا أن هذا التشابك يتخذ هندسة فراغية دقيقة ورائعة ، وبحيث تعطي الانزيم شكلا معينا ، وعلى حرفه أو أجزاء منه تكمن مواقع استراتيجية محددة لتلتصق فيها المادة الكيميائية المراد فكها أو ربطها مع غيرها أى كأنما هذه المواقع تشبه اسنان المفتاح التي تتناسب تماما مع قفله ، وطبيعي ان الانسان يستطيع أن يصنع عددا هائلا من المفاتيح المختلفة للاقفال المختلفة ، وبحيث لا يفتح كل مفتاح الا قفله ، وكذلك جاءت أنواع الانزيمات أيضا بالآلاف ، لتناسب آلاف الانواع من المواد التي تتناولها الكائنات الحية في تفاعلاتها الحيوية .

وما يدرينا ان عمل الانزيم في المادة يسير على نفس الوتيرة التي جاءت في القفل والمفتاح ؟

الواقع أن الأمثلة على ذلك كثيرة ، ولها تطبيقات عديدة لكن دعنا نوضح هذا الأمر بمثال واحد فأحيانا ما ندخل مفتاحا في غير قفله ، وقد ينحشر فيه ، فلا يفتح ولا يغلق . صحيح أن المفتاح الذى دخل كان قريب الشبه جدا بالمفتاح الأصلي ، لكن هناك اختلافا ضئيلا في واحدة من أسنانه والعلماء أيضا يعرفون كيف تنتظم الذرات في جزيئاتها ، لتعطيها شكلا محددا ، وقد يأتي جزيء كيميائي يشبه الى حد بعيد جزيئا آخر ، لكن فيه اختلافا طفيفا (انظر الشكل الدال

جزيئان من مادتين ، جزيء السلفانيلاميد (١) وجزيء حامض البزين الاميني (٢) لاحظ أنهما متشابهان في التركيب الذري ، عدا الذيل ففيه بعض الاختلاف لكن اذا انحشر الاول على انزيم ، فانه يوقف عمله ، ويمنعه من التفاعل مع المركب الثاني ، فتتوقف عملية حيوية تبعا لذلك (راجع المقال)

على ذلك) عندئذ لو وضعنا الانزيم مع مادته التي جاء مناسبا لها تماما ، فانه يؤدي عمله فيها بسرعة كبيرة ، لكن ما أن نضع معه المادة الأخرى الشبيهة ، حتى نراه وقد تكاسل في عمله ، وقد يتوقف نهائيا اذا كان تركيز الشبيه كبيرا !

وتعليل هذا الأمر لا يخفى على لبيب ، فلقد احتلت جزيئات المادة الشبيهة المواقع الحساسة على الانزيم ، أو كأنما هي انحشرت فيها ، كما ينحشر المفتاح في قفله غير المناسب ، وبهذا لا تستطيع المادة الأصلية أن تأخذ موقعها على الانزيم ، وهنا يتوقف التفاعل !

اننا نحارب بعض الميكروبات التي تغزو أجسامنا بمركبات السلفا عن طريق هذا المبدأ الهام فالميكروب مثلا يحتاج في حياته الى مادة كيميائية اسمها حامض البزين الأميني (اسمها بالتحديد بارا أمينو بنزويك أسيد) ، ولهذه المادة انزيم متخصص ، ولو توقف عن العمل ، لتوقفت حياة الميكروب تبعا لذلك ، ويجيء مركب السلفا (بالتحديد السلفانيلاميد) الذي يشبه الى حد بعيد المركب السابق ، فيحتل المراكز الحساسة على الانزيم ، أو ينحشر فيها ، وبهذا يوقفه عن أداء رسالته ، فيموت الميكروب

ومعظم السموم أيضا تسير على هذا المبدأ ، اذ يكفي ان « ينحشر » السم في انزيم واحد مناسب ، وقد يؤدي ذلك الى حلول الموت ، هذا مالم نسارع باعطائه جرعة من مادة مناسبة تتكفل أحيانا بتخليص الانزيم مما انحشر فيه ، فيعود الى وظيفته ، وتعود الحياة الى المخلوق !

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، وفيه من الأسرار ما تنوء بحمله عقول الرجال ، لكن قد يبقى السؤال الحائر دائما كيف تسري هذه الآلاف من العمليات المعقدة دون أن تطغى أحداث عملية على أحداث عملية أخرى ، وحتى لا تكون الفوضى ؟ وما الذي يحكمها ويكبح جماحها حتى لا تجري الأمور هكذا على علاتها ؟

الواقع أن الخلية تمتلك نظاما مذهلا أدق وأروع من نظمنا البشرية ، حتى ولو استعنا عليها « بالعقول » الاليكترونية ، اذ يبدو أن هناك تفاهما دقيقا وحساسا بين « القيادات » في الخلية ، وبين « الجماهير » الجزيئية ، وكأنما الأمر شورى بينهم لكن لهذا دراسة أخرى قادمة ليتضح لنا فصل جديد من محتويات كتاب الكون المفتوح لكل متدبر متأمل في عظمة الخالق هنا وهناك ■■

الاسكندرية ـ د عبد المحسن صالح

كل الناس الذين بين البحار الأربعة اخوة ـ كومفوسوس

بقلم الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة

الصين امة كبرى عريقة في التاريخ غنية في مظاهر الرقي الانساني ، حضارتها موغلة في القدم باقية على الزمان ، شهدت ميلاد حضارات كبرى ظهرت بعدها وشهدت انحلالها ايضا وبداياتها الاولى ترجع الى ما قبل الميلاد بثلاثة الاف عام ، وهي في صميمها ذات روح ومثل عليا انسانية بالمعنى العام ، واخلاقية اجتماعية بوجه خاص ، مع عناية فائقة بالفنون والصناعات التي تحتاج الى دقة وذوق

وقد عرفت بلاد الصين منذ قديم اصول الحكم وقواعد السياسة وتدبير امور البشر ، كما عرفت تقلب الاحوال ، من تعاقب الاسر الحاكمة وتتابع مختلف الملوك ، وتغير النظم ، ولكنها احتفظت بروحها وادابها واخلاقها القومية التي كانت أكبر عامل في احتفاظها بشخصيتها ، رغم ما كان يعرض من ظروف التعسف او الفوضى او انقلاب نظم الحياة ، وقد بقي في ضمير احيائها ومفكريها من أخبار الملوك الفضلاء ، ذوي الحكمة والسيرة الطيبة ما يجعلهم علامة على عصور سعيدة وقدوة حسنة ومثلا عليا يقاس عليها

ونالت أمة الصين تقدير مؤرخي الحضارة والعلماء باحوال الامم ، قديما وحديثا ، فيصفهم صاعد الاندلسي ، على بعد بلاده من بلادهم ، بأنهم « اكثر الأمم عددا ، وأفخمها ملكا ، واوسعها دارا » وهو يذكرهم بين الا[...] التي لم يكن لها عناية بالعلوم ـ ومقصوده ما كان [...] اليونان او العرب مثلا ـ ولكنه يقول « وحظهم [...] المعرفة التي بذوا فيها سائر الأمم اتقان الصنائع العم[...] واحكام المهن التصويرية ، فهم أصبر الناس على مطا[...] التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحـ[...] الصنائع » ـ وهذا حكم صائب تدل عليه الشواهد [...] كلام العلماء بعد صاعد ، ومن المعاصر الـ[...] للحضارة

وعني الباحثون الغربيون بتاريخ الصين وحضـ[...] وخصوصا منذ القرن الثامن عشر ، ووجدوا في د[...] جعلهم يعبرون عن تقديرهم العظيم لامة الصين [...] في روح الفكر والسياسة والفنون ، حتى قال [...]

الصين ، ويسميه الكتاب الاوروبيون التقوى البنوية (filial piety)

والى جانب العناية ببيان امهات الفضائل عني كونفوشيوس بآداب الاحتشام والذوق في الحياة اليومية وفي صروب المعاملات ، وكل ذلك يندرج في مفهوم الـ « لي » (li) الذي اكسب اهل الصين ادبا ولطفا ملحوظا في معاملاتهم

ونحن لو بحثنا في تراث القيم الاخلاقية العربية عن مقابل لمثل هذه المشاعر الانسانية عند فيلسوف الصين لوجدنا مفهوم « المروءة » القديم عند العرب ، وهو المفهوم الذي بقي على الزمان رمزا لفضائل الشجاعة والكرم والوفاء والحياء وعفة النفس ومن مظاهر ذلك مفهوم « العرض » ، بمعنى شعور الانسان بما لاجله يمدح او يذم ، ومفهوم « الحسب » وهو ما قد صار معدودا للانسان وآبائه من كريم الخصال والمآثر وجلائل الاعمال والعربي يرى في « المروءة » رمزا لمجموع الفضائل ومعيارا لها وهو يحافظ على مروءته وعرضه وحسبه ويضحي بنفسه في سبيلها

وايضا لو اردنا مقابلا عربيا قديما لمفهوم « الانسان الرفيع » فهو مفهوم « الفتى » او « الفتي السيد » الذي كان مفهوما واضحا في اذهان الناس ومثلا حيا يشاهدونه امامهم و « الفتي » يتحلى بصفات الشهامة والنبل ويهب لاداء الواجب ويحمل اعباء الحياة واعباء قومه ويضحي بنفسه في سبيل حياتهم وشرفهم

وكان حكيم الصين مؤمنا بقيمة المعرفة ، ولا يريدها مقصورة على أبناء الأشراف والكبراء ، فتفتح لأبناء الشعب ابواب الثقافة ليشق أمامهم طريق الرقي الذاتي بفضل الاجتهاد وليمكنهم من النهوض بخدمة المجتمع

والحاكم هو المثل الخلقي الكامل في نفسه ، وفي الحكمة ، وفي العناية برفاهية شعبه ، وهو يسمى « ابن السماء » ، ولما كان منتدبا من قبل السماء ، فانه في سياسته يحذو طريقة « السماء » ، فان خالفها صار غير اهل لولاية امور الناس لذلك يجب أن يكون حاكما فاضلا عادلا ، تتحقق في شخصه وافعاله صفات الحاكم الحق ، فيكون قدوة لكل من يلي أمرا من أمور الشعب بحسب وظيفته ومسئوليته وعلى هذا فان روح الحاكم او طريقته الصحيحة تسري في حياة الشعب في كل مظهر من مظاهرها ، وعلى جميع المستويات ، فالحاكم الصالح يصلح نفسه ، وبذلك يحترمها وهو يخشى السماء ، وهذه هي عظمته

هكذا حل السلام

ويتحدث كونفوشيوس في كتاب « تاهسويه » Ta Hsueh = التعليم الكبير ، عن الملوك القدماء ، ويذكر ان عهدهم السعيد كان عصر « الطريقة العظيمة » او عصر الانسجام الرائع ، فيقول « ان الملوك القدماء الذين كانوا اول من رتب امور دنياهم بدءوا بتنظيم امور ممالكهم وهم لما ارادوا تنظيم امور ممالكهم بدءوا بتنظيم أمور اسرهم ، ولما ارادوا تنظيم أمور أسرهم سموا بحياتهم ، وهم في سموهم بحياتهم نقوا أفكارهم ، وفي تنقيتهم لافكارهم ثقفوا عقولهم وفي تثقيفهم لعقولهم وسعوا دائرة معارفهم الى اقصى ما يمكن ، وفي توسيعهم لمعارفهم ادركوا طبيعة الاشياء وهم لما ادركوا طبيعة الاشياء كملت معارفهم ، ولما كملت معارفهم تثقفت عقولهم ، فلما تثقفت عقولهم صفت افكارهم وبفضل صفاء افكارهم سمت حياتهم ، فلما سمت حياتهم انتظمت امور اسرهم ، فلما انتظمت امور اسرهم ساد النظام في دولهم ، وهكذا حل السلام على الارض »

هذه الكلمات على بساطتها تتضمن الدمج بين القيم العقلية والخلقية على نحو عملي يتمثل فيمن يتصدى لتدبير أمور البشر

ونظرا لما يتميز به الملك من حكمة وفضيلة وانه منتدب من قبل « السماء » فان على افراد الشعب ان يمتثلوا لأمره ومن هنا كان كونفوشيوس ميالا الى الحكم الاستبدادي المستنير

وقبل أن يشتغل حكيم الصين بارشاد غيره كان قد تولى تثقيف نفسه ورياضتها على مكارم الاخلاق ورُوي عنه قوله « لست حكيما بالفطرة وانما صرت حكيما بجهد شاق » وهو يحدثنا عن تطور حياته باخلاص قائلا « لما كنت صغيرا كنا فقراء جدا ولما بلغت الخامسة عشرة أقبلت بقلبي على تحصيل المعرفة وفي سن الثلاثين رسخت قدماي ، حتى اذا بلغت الاربعين صرت اعرف أموري تماما وعند سن الخمسين عرفت ما تريده السماء ، وفي الستين اصبحت مستعدا لان اصغي اليها وامتثل للحق الثابت ولما بلغت السبعين استطعت أن أطيع رغبات قلبي دون ان اتعدى حدود ما هو حق وعدل »

وكان فيلسوفنا يعظم شأن الانسان ويقول « الانسان هو أعظم شيء بين كل ما ابدعته السماء والارض » ، وهو لذلك اهتم بالانسان وتربية الفضا...

موسر

الانسانية كما اهتم بحياة الانسان في مجتمعه من حيث الرفاهية والسيادة لمبادىء العدل ، وقد بين اداب الحاكم والمحكوم ومبادىء تدبير أمور الحياة الانسانية واذا اردنا ان نصف مذهبه من هذا الوجه فهو مذهب له صبغة انسانية اخلاقية ويجمع بين ما يسمى مذهب السعادة ومذهب المنفعة

ولم يكن حكيم الصين ضيق الروح بل كان ذا نزعة انسانية واسعة ، وهو القائل « كل الناس الذين بين البحار الاربعة اخوة »

كان لهذا الحكيم الذي ثقف نفسه وهذبها واراد ان يرى الثقافة والتهذيب حوله تأثير عظيم في الناس حتى قال احد المعجبين به من قومه « ان من ينكر ما لكونفوشيوس من شخصية آسرة فهو كمن ينكر ضوء الشمس او نور القمر »

مدٌ وجزر

وبعد كونفوشيوس بنحو قرنين جاء مينج تسو Meng Zu او منشيوس Mencius كما يسميه الكتاب الاوروبيون ، وهو قد عاش بين ٣٧١ و ٢٨٩ ق م فشرح فلسفة الحكيم الاول واستخلص منها المفهومات ووضع المبادىء النظرية ، فبين أن الطبيعة البشرية خيرة بفطرتها لانها عطية « السماء » والفضائل تنبع من القلب الانساني وما فيه من عواطف المحبة والرحمة والحياء ومن حس خلقي يميز بين الخير والشر

امهات الفضائل عند فيلسوفنا اربع المحبة الانسانية (jen) والصلاح والاستقامة (yi) ومراعاة الاداب الاحتشام واللياقة (li) والحكمة (chih) وقد

● من حكم الصين

اضاف اليها بعض الحكماء بعده فضيلة خامسة (hsin) ، وهي اجتهاد الانسان في أن يكون أهلا للثقة بفضل صدقه ووفائه وامانته

ويشدد فيلسوفنا على أهمية الثقافة والتهذيب بحيث يحتفظ الانسان بتلك الطيبة الفطرية التي يتميز بها قلب الطفل

اما من حيث سياسة الشعب فان منشيوس كان اميل الى الديمقراطية وهو يرى ان سلطة الشعب فوق سلطة الحاكم ، وكان يردد الحكمة القديمة القائلة « السماء ترى كما يرى الناس ، السماء تسمع كما يسمع الناس »

ولم تخل فلسفة منشيوس من روح التصوف ، فاذا تعهد الانسان نفسه بالثقافة والتهذيب واتبع طريقة السماء فانه يتحد بها ، وتصبح ارادته متفقة مع ارادتها

وكان يقول « من غاص الى أعماق قلبه عرف حقيقته ، ومن عرف حقيقته عرف السماء »

لكن الايمان بالمثل العليا لا يستمر دائما ، وحضارة الدنيا لا تسير دائما في طريق الخير فجاءت بعد عصر هؤلاء الفلاسفة ظروف وتغيرات جعلت البعض يشك في عناية السماء وفي خيرية الطبيعة البشرية ويقول انها شريرة معوجة ، ولا يستقيم اعوجاجها الا بالتهذيب القاسي ، ثم ظهر من يشك في قيمة التثقيف بل ومن يعادي الثقافة

وفي تطورات لاحقة جاء من يهتم بالعناية بآداب اللياقة والاحتشام وبمظاهر الرسوم والاحتفالات والطقوس والشعائر باعتبار انها من أهم وسائل التربية للشعب من جهة ، ومن وسائل الدولة في الحكم من جهة اخرى كما جاء من يربط بين افعال الطبيعة وسياسة الدولة فاذا اساء الحاكم فان سوء فعله يجر كوارث طبيعية من فيضانات وزلازل او جفاف وجدب ، وهي نذر من السماء للحاكم كي يصحح سياسته

ولم تخل حياة الفكر الصيني من مفكرين ذوي فكر ناقد حر ، يهدف الى محاربة الاوهام والخيالات ، ثم انشئت اول جامعة في الصين عام ١٢٤ ق م وكان اساتذتها وطلبتها يناقشون امور السياسة الوطنية ونظم التعليم في المدارس مشتملا على النصوص وكان في كل غرفة من غرف الدراسة لوحة خشبية نقشت عليها الكلمات السماء ، الارض ، الحاكم ، الوالدن ، المعلم ، وكان على كل تلميذ ان يبدأ يومه الدراسي وان يختمه بالانحناء امام هذه اللوحة

التاوية صوفية صينية

الى جانب الفلسفة العملية ـ الخلقية التي مثلها كونفوشيوس ومن اخذ بفلسفته ، كانت هناك فلسفة ميتافيزيقية صوفية تقوم على اساس حدسي لا على اساس تفكير استدلالي ، وهي الفلسفة التاوية التي يعتبر « لاوتسي » Lao - tse (ولد حوالي ٦٠٤ ق م) من اقدم واكبر ممثليها ، وتحيط شخصه وحياته الاساطير

والتاوية Taoism تسمية اوروبية تدل على ديانة صينية قديمة ذات صبغة صوفية ، ولكنها ميتافيزيقية عقلية خالصة ، وليس لها تعاليم ، كما في الكونفوشية مثلا ، وليس فيها عقيدة محددة ولا مجموعة قواعد يمكن اتباعها هي قبل كل شيء ديانة كونية Cosmic Religion او دراسة للكون ومكان الانسان ووظيفته فيه ، هو وكل المخلوقات والظاهرات

ولفظ Tao يمكن ترجمته بلفظ طريق ، وهو يتألف من جذرين الاول يدل على الرأس او الدليل ، والثاني يدل على الطريق او التقدم على درجات ، وهذا يشير الى ان على الانسان ان يسير بكليته سيرا مفكر ، فيتبع كل ما هو حق وصواب وخير ومتفق مع قوانين الطبيعة في الوجود والعمل

اما عند لاوتسي فان « التاو » ليس مجرد طريق ، بل هو ايضا مصدر الاشياء كلها ، والمبدأ الاول الذي لم يصدر عن شيء وهو فوق الزمان ، ليس كالأشياء ، وهو الذي يجعل لها طبيعتها ويسري فيها ولا يمكن تعريفه ولا وصفه الا سلبا

ولا يدل كلام لاوتسي على ان « التاو » اله ذات كما يدل عليه هذا اللفظ في الديانات المنزلة ، وانما هو كائن غير شخصي impersonal being

والفضيلة Te عند لاوتسي هي الاستقامة ، ويرمز اليها بخط مستقيم ، اشارة الى وجوب سلوك الطريق ومفهومها هو ان يصل الانسان بفضل ظهور « التاو » فيه الى الانسجام العام في داخل ذاته وهنا يكون سلوك طريق الخير على نحو تلقائي بسيط ، وهو ثمرة الاستنارة وتجلي « التاو » ، دون شعور بما يجب وما لا يجوز ، لان الحكيم التاوي الكامل يكون قد تجاوز ذلك وصارت الفضيلة في طبيعته صفة باطنة وحالة عليا للتاو

وليس في الفكر التاوي مفهوم المعصية او الشعور بالذنب ، لأن ذلك في رأيهم من سمات المجتمعات

كنفوشيوس

الساقطة ، وبدلا من ذلك نجد مفهوم الجهل والعـ والخرق ، « لانه ليس من احد سليم العقل يفعل ع وعي ما يجر عليه العقاب على نحو آلي ، وبذلك يـ نفسه ومخالفة قوانين الطبيعة تحلب على صاحبها عق لا مفر منه ، فالشخص المؤذي يصل الى نهاية مؤدية له ومن يسترسل في هواه يفسد شهوات نفسه ، ثم يقضـ عليها ومن يثري على افقار ابناء جنسه او يؤذيهم يـ المجتمع على نفسه ، والمعصية في نظر التاوي احرى بـ تكون خرقا للانسجام في الكون من أن تكون اعتداء ع امر الهي ، وبذلك تسبب الاضطراب ، ولذلك فا تحدث الضرر في الفرد خاصة ثم في المجتمع بوجـ عام »

تكلم كونفوشيوس وشارح فلسفته عن « السما وعن حكمتها ، وكان يوصي باتباع هذه الحكمة ، لـ كلامه لا يدل في وضوح على أنه يقصد من السـ « الاله » كما تتحدث عنه الديانات المنزلة وتكلمـ التاوية عن سلوك الطريق ، لكننا لا نجد في هذا كـ شيئا واضحا حول مصير الانسان بعد هذه الحياة فـ كونفوشيوس مثلا ان جزاء من يتبع طريقة السماء هو يشعر بالرضا وبأنه سعيد لأنه أحسن العمل في حياتـ

ولكن ان لم يكن هناك خالق عادل خلق كل شـ « بالحق » ، وهو يجازي كل انسان بحسب عمله وانـ ان لم يكن هناك حياة بعد هذه الحياة يكون فيهـ الحساب والجزاء لهذا الكائن العاقل القادر المختـ الـ يفعل الخير والشر ، اعني الانسان ، فكيف يمكن ـ نظام الخير وتستند الاخلاق والفضائل الى سند ـ

واذا كان العدل من قوانين الوجود والحياة فـ

العد ـ لم يكن للانسان مصير حقيقي معروف يرى
به انسان ما قدمت يداه ويجاري عليه

ك تحتاج حكمة البشر الى حكمة خالقهم احكم الحاكمين « نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء »

العالم هو عقلي

وفي عصون قرون كثيرة امتدت حتى العصور الحديثة ظهرت تصورات شتى حول الكون والانسان بعضها كان بتأثير الفلسفة التاوية ومنها

ما ذهب اليه تشوهسي Chu Hsi (١١٣٠ ـ ١٢٠ م) من القول بمبدأ اعلى غير مادي فوق الاشياء كلها ، وهو الذي يعطيها طبيعتها ، وشيء مادي تتكون منه الاشياء فيتخذ كل منها صورته الخاصة به

وفي الانسان هذان العنصران الاول هو العنصر الانساني المشترك ، والثاني هو الشخصية الخاصة بكل فرد على حدة ، وهو يكون في بعض الافراد نقيا صافيا ، وهم الحكماء ، وفي بعضهم الاخر يكون كدرا ، وهم الحمقى والسفلة وهكذا يتوفر اساس ما لتفسير وجود الشر والنقص في البشر ، لكن الانسان يستطيع بفضل المعرفة والمران ان يحارب الضعف ويصل الى الاستنارة ويصير حكيما

ثم جاء لوتشيويوان Lu Chiu yuan فذهب الى القول بالوحدة بين العقل والكون حتى قال « العالم هو عقلي وعقلي هو العالم » ، وهذا من قبيل تصورات القائلين بالمثالية الذاتية Subjective Idealism

وهناك من انكر كل حقيقة وراء هذه الاشياء التي نراها ، وهذا رأى Yen Yuan (١٦٣٥ ـ ١٧٠٤ م) ومن عارض التأملات الصوفية وضم الى ذلك القول بأن مبادىء الاشياء موجودة فيها ويجب ان ندرسها فيها ، وهذا ما ذهب اليه Tai Chen (١٧٢٤ ـ ١٧٧٧ م)
وبعد اتصال الصين بالفكر الاوروبي منذ القرن التاسع عشر ، حدث تجديد في حياة الفكر والثقافة ونظام التعليم ، ولكن مع المحافظة على الاسس المعنوية ، خصوصا الانسانية والخلقية

وعلى الرغم من تغير الكثير من مظاهر الحياة في الصين بعد تطبيق النظام الشيوعي فان جملة القيم والفضائل الانسانية ستظل عناصر باقية في حياة تلك الامة العظيمة ، لانه لا يمكن ان تنسى اي امة تلك المفهومات والمعايير والاحاسيس والقيم التي كونت روحها واستقرت في عقلها ووعيها

وكما كان لتراث الفكر الهندي جاذبيته وتقديره في اوروبا ، كان لتراث الفكر الصيني ايضا تقديره عند من ذكرنا في صدر هذه المقالة وعند كثيرين غيرهم من الادباء والشعراء والفلاسفة

وكما نقل الفكر الهندي الى لغات الغرب نقل الفكر الصيني ايضا ، والمصنفات حوله تظهر بكل اللغات

وجدير بالباحثين والمؤرخين ان يهتموا بدراسة الفكر الانساني في كل من هاتين الامتين ، وكل منهما قد تلعب دورا كبيرا في تاريخ هذه الدنيا [1] ■■

د . محمد عبد الهادي أبو ريدة

---

(١) اذا أراد قارىء بعض المعرفة بالفكر الصيني فليرجع الى

1 - Encyclop. Brit - Knowledge in Depth Confucianism, Taoism

2 - Betty Kelen Confucius, Sheldon Press, London, 1974

3 - J C Cooper Taoism, The Way of the Mystic, the Aquarian Press, Great Britain, 1976

مات صديقـــي

● مات صديقي عندماجاء الى يقول : لم أعد أحب الناس • لم أعد أحتمل الحياة •• كل شيء من حولي يصرخ جريمتك أنك تعيش وحدك في عالم آخر كيف أعود الى الارض مرة اخرى ؟ »

« صاموئيل جونسون »

قصة :

ما القا[illegible] يمرون

بقلم : عباس أحمد

لما افقت ، وجدت نفسي ملقى خارج السور • كنت موثوق اليدينوالقدمين والفم• في اول الامر كانت الاشياء غامضة ، ثم هجمت على دفعةواحدة• شعرت بجسدي يؤلمني • ابتسمت مع ذلك لانني تذكرت كوثر •كانت تقول لي دائما ، لو انهم امسكوك وضربوك ، فلن تستحمل •• وتشير باصبعها على جسدي الصغير ، وتلتقي عيوننا ونحن نضحك •

كان المساء يهجم أيضا على الافق الملبد بالسحب طمس السور ، وطمس قصر علوابي من ورائه • عمرتني موجة برد لاسعة • قلت في نفسي أنني ساموت • حركت أعضائي قليلا ، تصورت جسدي على خريطة الدلتا • الخريطة ملونة، وتبرز براري الشمال باللون الاخضر الداكن • كانت كوثر تضحك أيضا وتقول :

ـ الغاشعة دي اصلها ايه يا محمود •

وكنت أخجل معها ، من انني لا اعرف اصل اسم بلدي • ولكن هل كان لهذا اية أهمية على الاطلاق ـ حينما دهموا « محمد علي » بالسيارة •

في لمح البصر صرنا اثنين بعد أن كنا ثلاثة • لما وضعنا جسده ، وكان يزال ساخنا ، في حجرة العميد ، هرع بعضنا وجاؤوا باوراق الجرائد ، وغطوه بها • وساعتها نظرت الى الطلبةوالطالبات في حجرة العميد ، وافتقدت كوثر • كان يجب أن تكون حاضرة • لماذا لم تات الى الجامعة بالامس • حاولت أن أقول شيئا • لاحظت أن صوتي يتسرب رغم الاربطة ، التي تكمم فمي • تكلمت مرة أخرى • قلت لنفسي يا محمود ان كوثر تحب عادل• انه أيضا لم يكن موجودا • كيف يمكن لفتاة مثقفة مثلها أن تحب هذا التافه • رأيت العميد يهرع الى حجرة الاجتماعات ثم يختفي• لقد هرب• ليس شيء بمستبعد• لم استطع أن افهم كيف يمكن لشخص أن يقرأ افلاطون وارسطو قراءة حقيقية ، ثم يهرب • في النيل ونحن ننقل جثة محمد على الى كلية الطب قال نصار :

ـ كنا نتمشى على الرصيف • كنا ثلاثة ، و[illegible] أصبحنا اثنين• كانوا ثلاثة في السيارة• والس[illegible] رقمها ١٠٠١ ، لا بد أن نطالب بالتحقيق ، ونك[illegible] رجال الملك •

لم يعلق أحد. نصار نفسه تكلم دون أن يريد. لما أوشكنا على الحلية تطاير الينا هتافها الموحد الطليق • أقشعرت أبداننا • نظرنا الى جسد محمد على الملفوف بالبطانية • كلما اقتربنا انصهرت أرواحنا • نشج نصار بالبكاء •• ثم صاح :

ـ الكلاب •• الكلاب •

كان الليل ، قد اطبق تماما • اننى اعرف ليل الخاشعة فى الشتاء• من حسن الحظ أن الارض منحدرة• تدحرجت •• حتى صرت على حافة الطريق• قد يعثر على أحد الفلاحين • حاولت أن اتدحرج اكثر •• ولكن جسدى سقط فى تجويف • شعرت بدفء عريب • تصور لى وجه سائق اللورى وهو يرلنى فى الخاشعة •• كانه وجه قناع • لما جمعت له ما معى من النقود ، رفع يده معترضا •• لعله قال : لا يا بنى أنت أحوج اليها • لعله قال: هل هذا يكفى لكى انقلك من القاهرة الى الخاشعة•

على مرمى منى كانت قناة صغيرة ، وبعدهـــا شجر البوص والحسك • العشب ينمـو حولى • أحاول ان اتدحرج من الحفرة • ابذل مجهودا فوق الطاقة • سال دمى من جبهتى ومن ذراعى الايسر • خرجت من الحفرة اخيرا •• رأيت سور القصر كانه خط داكن فى الظلام • علوانى ايضا مات • القصر كانه مجـرد صخرة • لماذا مات دون ان يقـول لى شيئا • رجال الملك • رجـال الملك • الظـلام • التقاطع • النظارات السوداء تتراقص بين الاستدارة والتربيــع • بـدت الشرفات والشبابيك فى قصر علوانى لامعة صماء كعيون العميان • أدرت رأسى نحو القصر • هتفت علوانى •• علوانى • ولكنى كنت أذهب فى الظلام ، واغيب عن الوعى •

انا اطرق باب القصر بشدة •

ـ افتح يا علوانى • افتح يا علوانى •

دفعت البـاب بكتفى دون جـدوى • نزلت من الشرفة • جريت الى الباب الخلفى للقصر • حديقة القصر بدأت تهجم على باشجارها الطويلة المتوحشة• الباب من خشب الزان الغليظ • جريت الى تكعيبة العنب • هجموا علينا بالدبابات •طلقات الرصاص انهمرت كالمطر فى ساحة كلية الطب • ترام نمرة ٣٠ من شبرا الى مصر القديمة توقف • اسلاكه تقطعت تحت وهج النيران • تعلقت بالتكعيبة ، وثنيت جسدى فوقها فى حركة رياضية متعود عليها• كوثر لم تكن تعلم أن جسدى يستطيع أن يقوم بهذه الحركه • علوانى قال : الفـلاحون هم الاصـل •

لكنه غير موجود • وبينما انا مختبيء وسط غصون العنب ـ خطر لي : لعله خرج ، وسوف يعود •

كان القصر من الداخل هادئا هدوء الموت • ازحت الباب قليلا • نظرت • لم استطع ان اميز شيئا• تذكرت الآن متى عرفت علواني • فبينما انا احتضنه واحده الى السرير ، لانه كان متعبا •• قبلت يده ، ودعكت خدودي في كفيه • ولكنه لم يقل شيئا ••

ومع انني كنت اصيح •• الا ان علواني ظل صامتا • تنقل بي بين ارجاء القصر • من قوة اعصابه الى ، راح يخرج الى الشرفات ويصيح •• الفلاحون هم الاصل •• الفلاحون هم الاصل • كنت اظن حينما قفزت من اللوري هنا ، انني اصبحت في مأمن • ها هم يقبلون علينا• صرخت• يا علواني حاسب • يا علواني حاسب • ولا بد ان يكونوا قد ضربوه بشيء سري • لقد كنت احتضنه واذهب به الى السرير ، فسقط بين يدي • مددته على السرير • تمليت في وجهه • جست بيدي في اعضائه• لم اجد اثرا لاي جرح• عيونهم صفعتني• لما تاكدت من موت علواني ، رجعت الى الوراء قليلا ، لأراه بشمول • وكان وجهه وجه طفل • رجال الملك يفتشون القصر • نظاراتهم السوداء تطوق كل شيء • اندسست بجانب علواني، وتمثلت الموت • كان الملك في عربة حمراء ، يمرق في الشوارع • الذي يراه او يلمحه يصبح مفضلا • جاء رجاله واقاموني من الفراش •

ـ من انت ؟

ـ انا محمود •• اذن خذ •• خذ •

وتقاذفتني الضربات • تركت نفسي اطير • لا اشعر بالم •

كيف لكوثر ان تحب هذا الولد التافه عادل • نصار يصرخ : اهرب •• اهرب • قفزنا من سور كلية الطب ، قرب الفجر • (وكان السور في تلك الايام مناسبا على ما ميل) • قرب المياه سقطت • قرب المياه نزحف • اجسامنا الضئيلة تقاوم • اصوات كثيرة تنتشر •• يسقط النقراشي •• يسقط النقراشي •• ومن اعماق كل شيء انطلق الرصاص ، وتبدد الباشا في الفضاء •

ـ الملك سقط وانتهى الامر •

ـ لا • لم يسقط • ولم ينته الامر •

لما القوا بي خارج السور ـ جاءني علواني وهو في كفن الموت ••• وانتني بوجهه فوق وجهي •

قال :

ـ افتح •

قلت :

ـ سنفتح أيها السيد •

قال :

ـ قولوا دائما ، افتح يا علواني ••• افتح لم

قلت :

ـ سمعا وطاعة ، أيها السيد •

وطار علواني في الفضاء ، وبدد السحب ، وجعل الشمس تشرق على جسدي الصغير الملقى خارج السور •

في هذا الوقت على التحديد ، اينعت في نباتات كثيرة • انا ملقى وسط البراري • ثمة احد يعرف الخاشعة في شمال الدلتا • هذه بلدي • الماء العذب هنا قليل • جسدي ملقى قرب البحار • لما تدحرجت مرة اخرى ، احدثت هذه اللفة ثلاث لمات • سمعت ساقي في القناة • ادركت بفرح أن مياه القناة تجرى • ثمة شخص ادن قريب • الماء العذب يتدفق في قدمي • يملأ روحي بالامل • الماء نفسه • الماء نفسه ايا كان •

ان البدء بدا وانتهى •

ثمة احد رآنا ونحن نهدم تمثال الملك • صاحبي نصار قال اطر •• وقذف وجه التمثال بحصوة • وانهالت عليه الحصوات حتى غمرته • في الظلمة والنور توهج صوت •• بيني قبر « محمد علي » في ساحة الكلية ـ ما داموا لا يريدون ان نخرج به في جنازة • ثمة احد صاح تسقط الاصنام • تسقط الاصنام ثم ساد الصمت •

لو اسقط نفسي في هذه القناة ••• وهي ليست اعرض من كتفي الا قليلا ، سيتوقف تدفق المياه • سيعرف الفلاح على الساقية ـ ان ثمة عينا طرأ على القناة • ولففت لفة جديدة سقطت بها في الماء • المياه تتعرى الا رأسي • انعش انتعش لما ابتلت قيودي لانت • فتحت كتفي على القناة وعطيتها • فاضت المياه • فاضت •• ولم يعد له شيء يستطيع ان يحول دون فيضانها الدائم • ■■

عباس أحمد

ومنذ ذلك الحين لم تقم قائمة لبخاري ، ولم تعد ... منذ اكثر من متحف للفن والعمارة وتقدمت طشقند ... عوف صارت هي المدينة الأولى ، واحتلت سمرقند المركز الثاني ، وادار الزمن ظهره لبخارى الشريفة ، التي اصبحت قرية متقدمة نسبيا ، تعيش على الذكريات القديمة ، وتنتصب فيها بعض شواهد المجد الذي ولى وهي التي خاطب مندوب القيصر أميرها نصر الله ، قبل سنوات قليلة من سقوطها بقوله « الى مرجع الحكمة والشرع ، المحل الكامل ، الامير العظيم الخطير ، أس الحامات الكريم ، مصدر العرفان والمجد ، مشيع السعادة والرجاء ، يقدم احلص احتراما واحلالا ، ثبتك الله على عرش المملكة والعز ، وحفظك الله من كل سوء وشر ، ومد في عمرك » الى احر الخطاب

كانما اريد بابعاد بخارى وسمرقند عن مسرح الاحداث طي صفحة التاريخ الاسلامي في بلاد ما وراء النهر ، وبدء صفحة جديدة من عاصمة جديدة وبديله هي طشقند

اي انه بقدر ما ترتبط بخارى وسمرقند بديار الاسلام فيما وراء نهر جيحون ، فان طشقند تبقى مرتبطة في الاذهان بالسيطرة الروسيه على هذه الديار ، وعزلها عن العالم الاسلامي بعد اكثر من ١٢ قرنا من الاتصال عبر اواصر العقيدة والدم

وذلك سر الود المفقود بيني وبين طشقند ، وهو أيضا سبب الحاحي في أن استقل اول طائرة تغادرها متجهة الى سمرقند

دوق موسكو يدفع الجزية !

لماذا سمرقند وليست بخارى ؟

لان ما تبقى في الواقع من اثار المرحلة الاسلامية في سمرقند اكثر منه ، في بخارى ، بعد التشويه والمسخ والاهمال الذي احتصت به تلك المدينة الشريفة عبر القرن الاخير ، منذ عهد القياصرة ولأنني من زيارة سابقة قبل عشر سنوات حرجت بانطباع أن بخارى التي بدونها قد اثرت الانطواء والعزلة ، وأنها رضيت بقدرها الذي ألقى بها في بحر النسيان والاحزان !

ثم ان بخارى الوقورة قد بلغت سن الشيخوخة ، ... سلمت له ، بينما سمرقند الفاتنة منذ الازل لا تزال ... ظ سقية من حيوية وشباب ، رغم انهم احتفلوا قبل ... ات بمرور ٢٥ قرنا على ميلادها !

كانت الطائرة الروسية التابعة لشركة « ايروفلوت » والمتجهة من طشقند الى سمرقند ، مزدحمة بالسياح الذين تملأ خيالاتهم تلك الاساطير والقصص التي روجتها السينما العالمية حول مملكة تيمور الاعرج العظيمة جميعا يحملون الات التصوير انتظارا للحظة يقفون فيها على عتبات عاصمة فاتح العالم وسط السياح اندست جماعات من الأوزبك المسلمين ، تميزهم وجوههم المغولية وأغطية رؤوسهم السوداء المطرزة بخطوط بيضاء حريرية وهؤلاء يحملون حقائب يد منتفخة ، مكدسة بالفواكه والقدور تماما كما يفعل أهل الريف عندنا ، الطعام هو هديتهم المفضلة ومخاطبة البطون اسلوب تقليدي في كسب الود والتعبير عنه

من الطائرة تظهر بلاد ما وراء النهر المترامية الاطراف ، يظهر نهر جيحون بروافده التي تفوق الحصر ، ومجارى المياه الاخرى الهابطة من قمم الجبال العالمية ، مياه وصفها الاصطخرى بانها اعذب المياه وابردها واخفها ، ثم زراعات القطن الشاسعة وحدائق الفاكهة التي ذكرها كل الرحالة العرب في كتاباتهم ، حتى قال الاصطخرى انه رأى « من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق ، حتى ترعاها لكثرتها دوابهم »

طوال ١٢ قرنا على الأقل ، كانت هذه البقعة الممتدة وراء نهر جيحون مسرحا لاحداث جسام كان يمكن أن تغير وجه آسيا كلها ، لو مضت في مسارها الصحيح ، منذ فتحها باسم الاسلام قتيبة بن مسلم في عام ٦٨ هجرية (كانت غزوات المسلمين للمنطقة قد بدأت منذ عام ٤٦هـ) ، وتقدم الاسلام منها الى الصين والهند ، وانتشر في روسيا ذاتها ، حتى ظلت الاراضي الروسية خاضعة للسيطرة التترية الاسلامية على مدى ثلاثة قرون ، بل كان دوق موسكو ذاتها يدفع الجزية سنويا لامير بخارى ، وكانت روسيا مع اسبانيا وشعوب البلقان هي البلاد الاوروبية الوحيدة التي رفعت عليها راية الاسلام

لكن المسلمين اساءوا ، وتحول اكثرهم في هذه المناطق ، من مبشرين وفاتحين الى غزاة واصحاب ملك وسلطان وهزموا انفسهم ، فهزمهم غيرهم وتكررت القصة بحذافيرها في الاندلس وصقلية والبلقان وروسيا وكانت النهاية واحدة ، لان الله ـ بنص القرآن الكريم ـ يدافع ـ فقط ـ عن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات بداهة

بستان كار كتان في بخارى - لاحظ تدرج الاحزمة وتكوين الرأس . (الى اليمين)

وجموع السياح يتزاحمون وسط منشآت شاه زنده في سمرقند . القليل من يستطيع ان ينفرد بجدار ويتأمله في هدوء ...

السلام عليكم

حلقت الطائرة فوق سمرقند وهي قابعة وسط الخضرة بدت ـ واضحة ـ معالم سمرقند الجديدة بعماراتها العالية ذات النمط الواحد ، والمتراصة على مساحات شاسعة ، ثم المدينة القديمة بشوارعها الضيقة وبيوتها الواطئة ، ومادبها وآثارها البديعة تلمع بفسيفسائها تحت ضوء الشمس الساطع ، ثم مجرى نهر زارافشان او ناثر الذهب ، الذي تتمدد سمرقند على ضفافه في دلال على مدار التاريخ تماما كما سجل ياقوت الحموي وصفا لها في « معجم البلدان » كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للاشراق ، ونهرها المجرة للاعتراض ، وسورها الشمس للاطباق

فقط كانت سمرقند بغير سور تداعي سورها القديم والشهير ، الذي ذكر الحموي ان احد ظرفاء العراق كتب بخط يده عليه

وليس اختياري سمرقند محلة ودار مقام لاختيار ولا رضا
ولكن قلبي حل فيها فعاقني واقعدني بالصغد عن فسحة الفضا
واني لممن يرقب الدهر راجيا ليوم سرور غير مغرى عما مضى

وهي احدى مفارقات القدر ، ان يقام مطار سمرقند في نفس موضع الباب الشمالي الذي كان يتخلل سور المدينة القديم ، وهو الباب المؤدي الى بخارى الشريفة وهو ايضا الباب الذي قال الاصمعي ان كتابة بالحميرية (اليمنية القديمة) وجدت عليه هذا نصها بين هذه المدينة وبين صنعاء الف فرسخ وبين بغداد وبين أفريقية الف فرسخ ، وبين سجستان وبين البحر مائتا فرسخ ومن سمرقند الى زامين سبعة عشر فرسخا

ألقى موظف المطار الاوزبكي نظرة ملية على جواز السفر ، ثم رفع رأسه وابتسم في ود شديد ، وقالها بحرارة ظاهرة السلام عليكم !

حصني الرجل بالتحية من دون الواقفين ، ومنحني ذلك احساسا مرضيا ، قلل من شعوري بالغربة في هذه المنطقة النائية التي استخدمها حكم القياصرة كمنفى للمشاغبين والمرفوضين (كان هؤلاء هم نواة الاحزاب الشيوعية في تلك المناطق فيما بعد)

وايا كانت دوافعه ، فقد بلغتني الرسالة ، وشعرت بالألفة والأمان

اقتادني المرافق الى فندق سمرقند ذي الطوابق الاثني عشر ، والمطل على شارع مكسيم جوركي وافهمته من البداية أني قادم لأجل سمرقند القديمة ، أما المدينة الجديدة فاني أستطيع أن اتصورها من خلال النشرات والكتب ، ومن خلال المرور اليومي في شوارعها

قلت لمرافقي أيضا انه قد يكون بيني وبين سمرقند الجديدة اعجاب هي جديرة به ، ولكن ما بيني وبين سمرقند القديمة هو علاقة حب شاب من « اول نظرة » قبل عشر سنوات خلت ، تحولت الى عشق من النظرة الثانية على سمرقند في كتب الرحالة والمؤرخين

ولم أقل لمرافقي أني لست قادما الى المدينة باعتباري سائحا ولا حتى صحفيا ، ولكني قادم اليها باعتبارها جزءا من وطني الذي اغترب ، وفي صحابة اقاربي الذين القى على احدهم سلام الله في المطار

ابن الاثير ليتني مت !

على مسرح الحقيقة يصبح لكل شيء لون مختلف ومذاق مختلف ، فما بالكم اذا كان المسرح تمتد بطول ٢٥ قرنا ، يقف فيه قرب نقطة البداية اسكندر الاغريقي فاتحا لسمرقند ، وعند النهاية يقف اسكندر الروس قابضا عليها وبين « الاسكندرين » تتابعت عروض وتقوضت عروش ، وتقلبت سمرقند بين السعد والنحس وبين النعيم والجحيم ، والمجد والذل

عبر الكتب تتابع العروض من مقعد المشاهد لكنك عندما تصل الى سمرقند وتطأ ترابها بقدميك فانك تلقائيا تصعد الى خشبة المسرح ، وتقف وسط عناصر الحية تكاد تسمع صوت قعقعة السيوف وصهيل الخيول وزئير المحاربين ، وأنات الجرحى بل تكاد تغمض عينيك لتحميها من غبار المعارك الطاحنة التي دارت فوق أرض سمرقند ، وأسفرت عن تدميرها ثلاث مرات مرة عندما هاجمتها قوات الاسكندر المقدوني في عام ٣٢٩ قبل الميلاد (كانت تعرف وقتئذ باسم مرقندا) ومرة عندما اجتاحتها وهي في اوج مجدها الفكري العمراني جحافل جنكيز خان ، او تنكيز النعس كما يصفه ابن بطوطة ، في عام ١٢٢٠ ميلادية (٦١٦ هجرية) وسويت مدينة سمرقند وحصنها بالأرض وحدث الهول الذي أتي على الحرث والنسل مما تحدث كتب التاريخ

وهو ما وصفه ابن الاثير (الجزء ال ١١ من الكامل

الكامل) بقوله لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة ، استعظاما لها كارها لذكرها ، اقدم اليه رجلا وأؤخر اخرى فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت امي لم تلدني ، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، ثم مضى يسرد ما فعلته جيوش جنكيزخان ممهدا لذلك بقوله ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة ، الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا ،

وكان التدمير الثالث على أيدى الأوزبك حوالى منتصف القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، وقد كانوا قبل اسلامهم مثلا للبرابرة الاجلاف الذين اثاروا الفزع في قلب آسيا ويصفه الشيخ كمال الدين عبد الرازق ، والذى شهد الحادث في مؤلفه « مطلع السعدين » هجومهم على سمرقند بقوله ان صور الفسيفساء الجميلة التي كانت قد حليت حصيصا من السنين قد حطمها هؤلاء الاوزبك بهراواتهم وكانت ت ن جدران بهو الصور « جين خانه » ، كما ترعب ز رف الذهب ، وهكذا حطمت تحطيما تاما فى مدى - عات قليلة ، الاشغال الفنية التي استغرق انجازها - وات باكملها

تدهش كيف جرى هذا كله لسمرقند ، وكيف انها بعد كل غزوة كانت تقيم العمائر والمدائن فوق الخرائب ، وتعود تخطر من جديد على ضفاف نهر زارافشان ،

الاضرحة وجميلات سمرقند

على مسرح الحقيقة فى سمرقند ، تثير الانتباه ظاهرة انتشار الاضرحة ، والاقبال الشديد للناس عليها خاصة في أيام الجمع والمناسبات الدينية وتستغرب ما يفعله الناس امام هذه الاضرحة ، من صور التقديس ، حتى كادت تصبح اصناما جديدة تلتف حولها طوابير المؤمنين والمؤمنات من ذوى النوايا الطيبة وتلتقي هذه الصورة الى حد ما مع ما سجله المؤرخون عما أصاب الحياة العقلية والفكرية في سمرقند وبقية آسيا الوسطى بعد غزوة « تنكيز اللعين » ، وكيف ان الدمار لم يكن مقصورا على جسم سمرقند وبخارى مثلا ، ولكنه اصاب في الصميم « عقل » المدينتين ، الامر الذى فتح الباب واسعا لانتشار التصوف والبدع ، واشتغال الناس بشئون العبادات دون غيرها

وقد كانت جولة ابن بطوطة في بلاد ما وراء النهر فى اعقاب هبوب اعصار « تنكيز اللعين » على تلك المنطقة ، فكتب يقول فمساجدها الان ومدارسها وأسواقها خربة

السلام عليكم

حلقت الطائرة فوق سمرقند وهي قابعة وسط الخضرة بدت ـ واضحة ـ معالم سمرقند الحديدة بعماراتها العالية ذات النمط الواحد ، والمتراصة على مساحات شاسعة ، ثم المدينة القديمة بشوارعها الضيقة وبيوتها الواطئة ، ومادهما وآثارها البديعة تلمع بفسيفسائها تحت ضوء الشمس الساطع ، ثم مجرى نهر زارافشان او نائر الذهب ، الذى تتمدد سمرقند على ضفافه فى دلال على مدار التاريخ تماما كما سجل ياقوت الحموى وصفا لها فى « معجم البلدان » كأنها السماء للخضره وقصورها الكواكب للاشراق ، ونهرها المجرة للاعتراض ، وسورها الشمس للاطباق

فقط كانت سمرقند بغير سور تداعي سورها القديم والشهير ، الذى ذكر الحموى ان احد ظرفاء العراق كتب بخط يده عليه

وليس اختيارى سمرقند محلة
ودار مقام لاختيار ولا رضا
ولكن قلبي حبا فيها معاقبي

اقتادني المرافق الى فندق سمر... الاثني عشر ، والمطل على شارع م... وافهمته من البداية أني قادم لأحل... المدينة الحديدة فاني أستطيع أن ات... النشرات والكتب ، ومن خلال الم... شوارعها

قلت لمرافقي أيضا انه قد يكون... الحديدة اعجاب هي جديرة به ، ولك... سمرقند القديمة هو علاقة حب نشأت... قبل عشر سنوات خلت ، تحولت الى... الثانية على سمرقند فى كتب الرحالة...

ولم أقل لمرافقي أني لست... باعتبارى سائحا ولا حتى صحفيا ،... باعتبارها جزءا من وطني الذى اعتم... اقاربي الدين الفى على احدهم سلام...

ابن الاثير · ليتني ...

على مسرح الحقيقة يصبح لكل... ومذاق مختلف ، فما بالكم اذا كان الم...

● من بقايا مسجد ... بي خانم في سمرقند رغم الزلزال بقيت ... القبة كما هي

● فلاحات الاوزبك في البيوت يقمن باعد... الخبز تفاصيل الحـ... اليومية لم تتغير كثيرا

● جدران مسجد بي ... خانم ، شامخة وصحم... رغم عوادي الزمن

امام الاطلال وقف الرجل يدعو الله مأخوذا بهيبة ا... وجلاله

الا القليل واهلها أذلاء ، وشهادتهم لا تقبل بحوأرزم وغيرها ، لاشتهارهم بالتعصب ودعوى الباطل وانكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ، ولا من له عناية به

وهو يصف مشهدا رايته للناس وهم يتعاملون مع ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي عليه السلام ، الذي يقال انه استشهد في فتح سمرقند ، واقيم له ضريح اية في الجمال والروعة يقول ابن بطوطة ويخرج اهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة لزيارته والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة ، ويأتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير ، فيصرف ذلك في النفقة والوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك ، وعليه قبة قائمة على اربع أرحل ، ومع كل رحل ساريتان من الرخام ، منها الخضر والسود والبيض والحمر وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب ، وسقفها مصنوع بالرصاص ، وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسو بالفضة ، وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة ، وفرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هناك ، وعلى حافتيه الاشجار ودوالي العنب والياسمين

ترى في عيون جميلات سمرقند اصلا لقصة « الرقيق » التي حاول كثير من المستشرقين ان يمحوا فيها ، حتى اعتبروها السبب الاساسي الذي دفع المسلمين الى فتح بلاد ما وراء النهر ومن الثابت فعلا ان مناطق اسيا الوسطى كانت احد المصادر التي كان يستجلب منها الرقيق الى الشرق ، نساء ورجالا ، وما من واحد من الرحالة العرب مر بتلك المناطق الا واشار بشكل او باخر الى موضوع الرقيق وهو امر كان طبيعيا في الزمن القديم ، بل كان الارقاء لهم وضع مقنن عند اليونان والرومان ، وايده المشرعون والفلاسفة مثل افلاطون وارسطو

ومع التسليم بهذه الحقيقة ، الا ان الاعتراض الوحيد هو ان يكون السعي وراء الرقيق والجواري هو « سبب فتح المسلمين لهذه المناطق » ، لقد كان استجلاب الرقيق من أثار ما بعد الفتح ، وفي عصور الانحطاط الفكري ، وليس سببا للفتح باي حال

وليس أدل على ذلك من انه عندما توجه جيش المسلمين بقيادة قتيبة بن مسلم ليفتح بلاد ما وراء النهر ، بامر من الحجاج بن يوسف الثقفي ، والي العراق عام ٨٦ هجرية (٨٠٤م) ودخل قتيبة بجيشه مدينة سمرقند عند ئذ توجه وفد من أهلها الى خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز ، وشكوا اليه من ان قتيبة دخل ديارهم من غير ان يخيرهم بين الاسلام او العهد او القتال فاتلهم من غير تخيير ، فكلف عمر بن عبد العزيز قاضيا بان يستمع الى الشكوى ، ويتحقق من وقائع الحدث فان تبين له أن دعوى اهل سمرقند صحيحة ، فليأمر ان يامر قتيبة بان يعود بجنوده الى ثكناتهم ، ويخرج من الارض التي فتحوها ، ثم يخيرهم بين الامور الثلاثة

وقد درس القاضي الموضوع ، وتحقق من صدق شكوى اهل سمرقند ، فامر قتيبة وجنوده بان يخرجوا من ديار سمرقند ، وان يخيرهم وجند المسلمين في ثكناتهم بعيدا عن المدينة ، بين عهد عادل ودخول الاسلام ، او القتال ، وبعد قتيبة بن مسلم الامر

وكانت هذه هي المرة الاولى في التاريخ ـ وربما الاخيرة ـ التي يخرج فيها جيش من بلاد فتحها ، بناء على حكم قضائي صادر من الدولة الغازية

ومع ذلك ، يتجاهل بعض المستشرقين هذا الحدث الفريد من نوعه ، ويصر على ان المسلمين ذهبوا الى بلاد ما وراء النهر جريا وراء جميلات سمرقند ذوات الاعين الكحيلة الواسعة ، والضفائر التي لا تحصى ، والثياب الفضفاضة الزاهية الالوان

وجبة طوال اليوم

حتى على مائدة الطعام ، تستحضر أوصاف الرحالة والمؤرخين ، وتكتشف صحة رواياتهم عن خيرات سمرقند ، ووفرة فاكهتها « حتى يرعاها لكثرتها الدواب » ، كما قال الاصطخري

مجلس الطعام على الارض او فوق اريكة خشبية مربعة على احسن الفروض وهم يبدأون أي وجبة بالفواكه التي هي في الاغلب خليط من الرقوق والتفاح والخوخ والعنب قد يضاف البطيخ والشمام في موسم الصيف ، والى جانب سلال الفواكه ترى صحون مليئة بالزبيب واللوز المقشور ، وتتناثر في الاركان ارغفة الخبز السمرقندي الشهير (نون)

بعد هذه المشهيات « البسيطة » ، توضع امامك شطائر محشوة باللحم الضاني ، كملحق اضافي لفتح الشهية ويحين اوان تقديم « الوجبة » ، فيقدم الحساء وقد دسّ فيه قطع اللحم والبطاطس ، يعقبه الكباب وفي الختام يقبل الأرز البخاري (يسمونه خزرية) الذي تضرب به الامثال ، والمكون من أرز وجزر مخروط وزبيب وسمن وفي هذا كله تظل تتعاطى الشاي

الا .ر الخالي من السكر في اكواب صغيرة لا تفرغ ابدا

حتى تقدم هذه القائمة الطويلة من الاطعمة ، وبرفع صحون وتوضع صحون ، لا بد ان تستغرق العمد، وقتا طويلا ، وتكاد تصل المدة التي تستغرقها الوجبة ما بين ساعة وساعة ونصف ، حتى يقولون هناك ان وجباتهم تكاد تكون متصلة طوال اليوم

والنكتة التي يتداولونها امام الضيوف تقول ان اوزبكيا سأل عربيا كم وجبة تتناولون كل يوم ، فرد العربي ثلاثا عندئذ قال الاوزبكي بدهشة ثلاث وجبات على مدار اليوم ؟ اننا نأكل وجبة واحدة في النهار ، تبدأ في الصباح وتنتهي في المساء »

نقوش على المرمر

لكن ذلك كله في جانب ، وآثار سمرقند القديمة في جانب آخر

وليس معروفا على وجه الدقة لماذا اطلق على الشارع الموصل بين سمرقند القديمة والجديدة اسم اديب روسيا الكبير مكسيم جوركي وقد يكون من بين هذه الاسباب ان جوركي استلهم عصر تيمور ، في بعض رواياته ، مثل « نشيد الام » ، وقصص من « ايطاليا »

لقد كانت العمارة فنا رفيعا في مدن اسيا الوسطى حتى قبل الاسلام ،كما تؤكد اكثر المراجع وعندما قال الاسكندر المقدوني عن سمرقند في القرن الرابع قبل الميلاد كل ما سمعت عن محاسنها صحيح ، باستثناء انها اجمل مما تصورت ، عندما قال الاسكندر ذلك فانه كان يعبر عن تقديره للمسات الجمال النسبية التي تتمتع بها سمرقند منذ ذلك الوقت وعندما صعد نجم هذه المدن بعد الاسلام ، وصارت تموج بحياة جديدة ، حافلة بمختلف صور التقدم العلمي والرواج التجاري ، كان لابد ان ينعكس ذلك على فنون العمارة والتشييد ، التي مضت على الطريق ذاته ، حتى أفرزت هذه الاعمال المعمارية البالغة الروعة والجمال والمنتشرة في كل مدن بلاد ما وراء النهر ، وفي مقدمتها سمرقند .

كانت المساجد اول ما ابدعت فيها يد فنان هذه المنطقة ، وحينما انتشرت الاضرحة في مرحلة لاحقة اصبح عملها الذي يرتكز على فكرة التقديس ، مجالا آخر للابداع ، ومع كل خطوة تقدم تالية كانت تتسع قاعدة الخصة المعمارية ، حتى امتدت الى القلاع والمدارس وقصور الحكام ومنشات الدولة وأسوار المدن

وقد كان منطقيا ان تبني بعض هذه المنشآت حتى القرن التاسع الميلادي ، من اللبن والطين وان يعوض المعماريون بساطة الخامات بجهد كبير بذلوه في زخرفة واجهات تلك المنشات وتزيينها ، حتى استخدمت الزخارف والنقوش على الجص المرمري منذ عصور الميلاد الاولى (اقول ان ذلك منطقي وطبيعي ، انما الغريب في الأمر أن يطول عمر هذه المنشات في ظل ظروف المناخ القاري التي تسود آسيا الوسطى حتى يعيش بعضها الى وقتنا الراهن ، وزخرفة محراب مسجد شير كبير في مدينة داهستان ، مثال رائع لذلك اذ لا يزال قائما محراب المسجد الذي بني خلال القرنين التاسع والعاشر ولا يزال محتفظا بنقوشه الجميلة على مسطحات المرمر اللامعة

ومع تقدم عمليات الانشاء ، استخدم الطوب الاحمر استخداما واسعا ، مما سمح بزيادة احجام القباب والأطواق ، وكافة المنشآت بوجه عام ، كما ادى استخدام هذا الطوب الى تحسينات في واجهات المنشات ، التي استخدم فيها طوب احمر ، مزخرف ، وكان هذا التطور بمثابة مرحلة تحول في مسيرة ابداع فنان آسيا الوسطى ، بلغت ذروتها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين وهي المرحلة التي بلغت فيها مدن ما وراء النهر ذروة مجدها .

والدراسات المعمارية تعتبر بوابة مسجد « مغطاك عطاري » ، المقام في بخارى خلال تلك الفترة ، نموذجا بديعا تمثلت فيه جميع انواع الزخرفة المعروفة في ذلك العصر ، من الطوب الصغير المصقول ، الى صفائح الفخار المنقوشة ، ثم النقش على المرمر الذي كان أرضية لرسوم الطوب مضافا الى ذلك كله مختلف اشكال الزخارف النباتية ، والهندسية والكتابية .

ونستطيع ان نعثر في كل مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر على نموذج او اكثر ، لا يزال ينطق بالتقدم الباهر الذي بلغته فنون المعمار ، مئذنة مسجد كلان في بخارى التي يبلغ ارتفاعها الحالي ٤٦ مترا ، ولا يزال جزؤها السفلي مغروسا في الارض ، ومئذنة جرقورغان القريبة من ترمذ ، التي يتكون برجها من ١٦ عمودا مربوطة في اعلاها بنطاق كتبت عليه آيات من القرآن الكريم ، وضريح سنجر في مرو (عاصمة السلجوقيين) ، يعد واحدا من اعاجيب فن المعمار العالمي . اذ غطيت قبته بقبة اخرى خارجية مكسوة بالطوب الازرق ، حتى كتب ياقوت الحموي ان قبة الضريح الزرقاء يمكن رؤيتها من مسيرة يومين ، اذ يبلغ

ارتفاع القبة الداخلية عن الارض ٣٦ مترا ، وقطرها ١٧ مترا ، اى أنها اكبر قبة فى اسيا الوسطى

غزوة « تنكيز اللعين »

لكن هذه النهضة المعمارية العريضة ، لقيت اسوأ مصير تحت سنابك خيل « تنكيز اللعين » فى القرن الثالث عشر

ولعل ابلغ ما وصفت به الحال فى اسيا الوسطى بعد غزوة جنكيز ، هو ما كتبه المستشرق المجرى ارمينوس فاميرى فى تاريخ بخارى اذ قال لقد سويت مدينة سمرقند العامرة ، وحصونها ايضا بالارض ، كما جرد الناس من كل ما يملكون وسير مهرة الصناعيين من اهلها الى الشرق الاقصى ليربوا عاصمة المغول الصينيين بمترفات على نمط معابي سمرقند اما مهرة الصناع ، لا سيما ناسجي الحرير والقطن منهم ، فقد الحقوا بخدمه زوجات جنكيز واقربائه ، بوصفهم ارقاء نافعين ، او سيروا مع الخان المغولى نفسه الى خراسان ثم يستطرد قائلا فلا عجب اذن ان نرى فى مدى خمس سنوات من هذه الحروب ، طرق اسيا العظيمة ، التي كانت بواسطتها تنقل حاصلات الصين والهند الى اسيا العربية واوروبا ، وقد هجرت وان الواحات التي اشتهرت بخصبها قد باتت جرداء مهملة ، او نرى اخر الامر ان تجارة الاسلحة والجواهر والحرير ونقوش الميناء ، التي ذاع صيتها فى العالم الاسلامي قد انهارت الى الابد

وسط هذا المناخ المقبض الكئيب ، ظهر تيمورلنك ، واختار سمرقند عاصمة له ، وحدثت القفزة المعمارية الضخمة في المدينة التي استعادت لبس نمط جمالها المعمارى ، ولكنها استعادت لقبها باعتبارها « ياقوته » بلاد ما وراء النهر ، وتحولت الكلمة من وصف يسعى به الشعراء الى حقيقة يلمسها الجميع

امام الآثار في سمرقند تتسمر السياح ، ويكاد ينتزعهم ممثلو مؤسسة السياحة السوفييتية بالقوة من أماكنهم ، ليواصلوا الطواف على بقية المعالم المدرجة فى البرامج وسبب هذه الآثار الشامخة والباهرة ، حسبت مرافقي الذى بدأ يشك في دوافعي واهدافي ، بعدما غبت عن بصره وسط الزحام مرات عديدة ، كان هو يدير ظهره للآثار ليتابع السائحين والسائحات ، واذا التفت الى النقوش والقباب والمآذن ، فانه يلقي عليها نظرات غير مبالية ، ويتعامل معها بملل ظاهر ربما لانه مر امامها عشرات المرات ، وحفظ ما يقال عنها الف مرة وهو ما يذكرني بسلوك بعض المطوفين اثناء زيارة الاماكن المقدسة في موسم الحج

وبالنسبة لى فقد كانت الوقفة امام كل اثر تنقلني الى عوالم بعيدة فى رحلة لا تعني المرافق بأى حال وقد كان يشغله الشاغل ان يسلمنا الى مسئولى العلاقات الخارجية فى طشقند فى الموعد المضروب فى نهاية الزيارة ، ومن دون اية خسائر فى العتاد والارواح

في دنيا « الملك الحي »

مجموعة « شاه زنده » عالم كبير بحد ذاته

وشاه زندة معناها الملك الحي والمقصود به هو قثم ابن العباس ابن عم الرسول (ص) الذى يقال انه استشهد عام ٥٧ هـ فى احدى الغزوات التي سبقت فتح بلاد ما وراء النهر وتقول الاسطوره المتداولة هناك ان قثم عندما سقط قتيلا ، اخذ بين يديه رأسه المقطوع ، ونزل الى بئر عميقة تؤدى الى حديقة تحت الارض ، ولا يزال حيا هناك حتى الان !

وهم يستشهدون على صدق القصة ، بالاية الكريمة المحفورة على قبره البديع ، « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون »

فوق اطلال مدينة افراسياب التاريخية ، والتي يقول الاثريون ان سمرقند القديمة بنيت فى مكانها ، هناك اقيم قبر قثم بن العباس ولانه ابن عم النبي (ص) ، فضلا عن هالة التقديس والاحترام التي تحيط به ، فقد اعتبر المكان بقعة مباركة ، كان يدفن فيها الامراء والشخصيات الهامة فى عهد تيمور اختار هذا المكان ليصبح مدفنا لآل تيمور ، بوجه اخص

وهذه الملابسات كلها كانت كفيلة بان توفر للاضرحة المقامة ، والمساجد التي انشئت حولها اسباسا قويه للعناية والانفاق الباذخ ، جعلت منها فى النهاية قطعا فنية رائعة ، اجتمعت لاجلها قدرات امهر الفنانين والبنائين فى عهد تيمور وبعده حتى اصبحت مجموعة شاه زندة على رأس المجموعات المعمارية الفريدة فى اسيا

فى البداية يجتاز الزائر مدخلا طليلا ، واول ما يصادفه مدرسة حديثة العهد نسبيا حاول بناتها ان ينقلوا على واجهتها الزخارف والنقوش التي تحمل الابنية الاخرى الداخلية ، ثم مسجد يقولون عنه انه كان معدا للصلاة فى الشتاء فقط ، ولكنه الان صار متحف تاريخ الفن والحضارة في اوزبكستان ( ) والى يساره مسجد اخر ـ صيفي ـ يرتفع ايوانه

اعمد خشبية ، بينما ركب سقفه من الخشب ، وربن بالوان بهيجة ورقيقة ، ووزعت على نقوش ذات اشكال متنا .

بينما الدرج يتجه ، عريضا وعاليا ، نحو مجموعة الاضـ الداخلية ، يجذب الانتباه الى اليسار ضريح جميل من طابقين ، يتميز ليس فقط بفخامة زينته ، ولكن ايضا بتركيبه الفريد وتناسق سمه والضريح مبني فوق قبر عالم الفلك قاضي زاده الرومي ، معلم اولوغ بك حفيد تيمورلنك وامير سمرقند فيما بعد ، وعالم الفلك البارز

واذا مضينا مع الدرج حتى نهايته ، فسوف نجد مجموعة من الاضرحة ، التي ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما اختار تيمورلنك سمرقند عاصمة له

على الجانب الشرقي للممر يواجه الزائر ضريح لاحدى الاميرات ـ طوغلو تكين ـ وقد استخدمت في تكسيته الفخارات المنقوشة المطلية بدقة متناهية ، والى جواره ضريح على نفس النسق اصطلح على تسميته « امير زاده » وان لم يعرف صاحبه بعد وفي ركن جانبي من الحجرة فتحة تؤدى الى مصلى صغير (زيارة خانه) غطيت جدرانه بنقوش كثيفة تلمع رغم الظلام النسبي الذى يسود المكان

بعد خطوات خمس ، يجتاز الزائر باب حجرة تالية غطيت جدرانها بالفسيفساء المنقوشة ، بينما تمت تكسية الضريح الذى يتوسط الحجرةبلون أزرق مذهب والحجرة مع الضريح تحفة معمارية ناطقة ، واضح فيها الاهتمام الزائد الذى يليق بصاحبة المكان ، الاميرة (شيرين بيكه اقا) ، شقيقة تيمورلنك

وفي مواجهة هذا المتحف الصغير حجرة اخرى تخطف واجهتها البصر اذ ان طوابير السياح تقف مشدوهة امام تكسية البوابة ، وتصميم الواجهة ، اذ لا يصبح الامر مقصورا على نقوش وزخارف وفسيفساء غاية في الرقة والابداع ، ولكن تضاف الى هذا كله اعمدة ركنية مقامة في تجويفات داخل الجدار ، والاعمدة مغطاة بنقوش دقيقة بلون الفيروز ، وتقف على قواعد معقدة ومشكلة ، وتغطي حيطان التجويف الجانبية رسوم من المايوليكا ، يزين الضريح من الداخل بالواح مايوليكية ذات حواش بكتابات ، اغلبها آيات من القرآن الكريم

هنا ايضا في هذا المتحف الثاني ترقد شقيقة اخرى لتيمور هي الاميرة (تركان اقا) في الجانب الاخر سيت مجموعة كاملة من المباني بأمر من (ترمان آقا) ، زوجة تيمور ، وتضم حجرة متوسطة للخدمة ، ومسجدا (خانقاه) وضريح ترمان اقا ، الذى لا يقل روعة وجمالا عن اى ضريح آخر في شاه زندة ، بل ويتميز عليها جميعا بوابة مكسوة بالفسيفساء ليس كمثلها بوابة اخرى

وتتكرر القاعات والاضرحة ، وتتكرر معها اللوحات الفنية التي تكسو الجدران ، وتطوق بالأعمدة وتلمع في السقوف حتى يمكن القول بحق انها بمثابة متحف اصيل للطلاء الزخرفي ، حيث تلتقي في كل لوحة نماذج باهرة للفخارات المنقوشة المطلية ، والمايوليكا المزخرفة والترابيع البارزة ، والفسيفساء التي لا نظير لدقة وجمال الوانها

يجتاز الزائر ممرا مظلما ورطبا ، ليصل الى مقر « الامير الحي » قثم بن عباس والمقر او الضريح مكون من ثلاث قاعات واحدة فسيحة يتوسطها قبر ابن عم النبي (ص) ـ (كورخانه) ـ ثم مسجد صغير في القاعة الثانية (زيارة خانة) والقاعة الثالثة ، وهي حجرة صغيرة مختفية تحت المسجد ، يقال انها كانت مخصصة للعبادة والصوم لمدة ٤٠ يوما ، ويطلق عليها اسم (تشيلا خانة)

بني قبر قثم بن عباس اكثر من مرة كما تؤكد شواهد المكان ، فاذا صح ان قثم استشهد في سنة ٥٧ هجرية ، فان تاريخ البناء الحالي لضريحه هو ٧٥٣ هجرية ، الامر الذى يعني أن هذا التاريخ لآخر بناء اقيم في المكان

ويعجز المرء عن وصف الجمال الذى يتمتع به غطاء القبر ، الذى لا بد أن يكون الجهد الذى بذل في تصميمه وتجميله أضعاف أضعاف ما بذل في التحف المعمارية الاخرى المماثلة

وهذا الغطاء الحالي للقبر أقيم في عهد تيمور ، وهو يتكون من أربع دوائر تصغر على التوالي ويزين بألوان تربيعية تسود فيها الألوان الزاهية الأزرق والسماوى ، والاصفر والابيض فصلا عن لون أحمر احمر ، ويتخلل هذه المجموعات من الألوان عروق من الذهب ، به كتبت ايضا بعض ايات القرآن على الاسطح الجانبية للدائرتين الثالثة ، والرابعة من الغطاء اكثرها وضوحا الاية التي تقول ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الى آخر الآية

ريكستان عالم متميز

ومجموعة ريكستان تنقل الزائر الى عالم آخر متميز

ـ قبر قثم ابن العباس (او الملك الحي) ابن عم الرسول (ص) ، وهو احدى التحف الفريدة في مجموعة شاه زنده (فوق) ثم ولـمة سمائية في عيد الربيع ، تتاثرت الارغفة السمرقندية الشهيرة في أرجائها (تحت) ـ والى اليسار مقطع من رسم على الجدار تم العثور عليه في انقاض افراسياب ، المدينة القديمة التي قامت في مكانها سمرقند ، والصورة اساسا لموكب في حفل عرس

وقد كان ميدان ريكستان هذا هو قلب سمرقند على عهد تيمور (ريكستان تعني المكان الرملي) . اذ كانت مقرا للسوق الرئيسي ، يمكن تصور أهميته في بلد تموج بالرواج التجاري وتتوقف فيها القوافل المتجهة بين الشرق والغرب ، ومع النهضة العلمية التي رافقت حكم (أولوغ بك) اوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، اختلفت وظيفة الميدان ، وظهرت فيه على التوالي ثلاث مدارس ضخمة توزعت على أركانه مدرسة أولوغ بك ، ومدرسة شيردار (عرين الأسد) ومدرسة طلا كاري (المطلية بالذهب) ويقال ان الميدان الذي يتوسط هذه المدارس كان فيه حتى عهود متأخرة بقية من المحال التجارية ، تتوسطها ساحة واسعة ، كانت بمثابة مسرح يقدم فيه الحكاءون والمداحون اعمالهم ، من اناشيد وتمثيليات تروى مآثر الاولياء وبطولة المحاربين الامجاد في الايام الغابرة

وكل من هذه المدارس بمثابة عمل معماري ضخم ، التقت فيه عناصر الجمال والفن والابداع التي تجسدت في التحف التي اقيمت على عهد سمرقند . وهو أمر له دلالته التي تشرف تلك المرحلة ان تلقى المدارس هذه العناية التي تضعها في صف واحد مع اعظم القصور

ومدرسة أولوغ بك ـ التي تولى بنفسه التدريس فيها ، ذات واجهة مهيبة وعالية ، يتخللها قوس حاد ، اقيمت في داخله البوابة الرئيسية ، وتنتصب حول البوابة مئذنتان عاليتان بينما تبدو من على البعد قبة حلقية في ركن جانبي ، والكل حافل بالنقوش البديعة التي تظهر فوق البلاط المطلي ، وتضم المدرسة ٥٠ غرفة للدراسة والاعاشة كان يدرس بها مائة طالب في البداية وكان المبنى يشتمل على طابقين واربع قباب عالية فوق قاعات الدراسة الركنية (درس خانه) ، مع اربع منارات في الاركان ، وقد لحق التلف والدمار ببعض هذه المعالم فلم يعد للقباب وجود ، وبقيت مئذنتان فقط من الأربع

ومدرسة شيرا دار او عرين الاسد ، كانت في الاساس زاوية للصوفيين ، او مسجدا لهم طبقا لما قاله الدليل الذي يرشد السياح ثم اقام حاكم سمرقند في المكان ذاته هذه المدرسة العظيمة ، المواجهة لمدرسة أولوغ بك على مدى ١٧ عاما . وزين واجهتها الضخمة بنقوش جميلة ودقيقة ، لأسود وقطط وحيوانات خيالية ، احاطت بقوس البوابة ، بينما غطيت بقية البوابة والمئذنتان اللتان تحيطان بهما بنقوش مماثلة لزخارف مدرسة أولوغ بك . لكن الجمال المذهل يطل من قبة داخلية كبيرة كسيت كلها بزخارف تتميز بقدر هائل من الدقة وبراعة تفوق الوصف لاستخدام اللون في اشاعة جو من البهجة والوقار . وتخللت هذه النقوش والتكوينات آيات قرآنية كتبت باستدارة القبة جميعها .

اما مدرسة طلا كاري ، الضلع الثالث في المساحة المعمارية الشامخة التي تنتصب في رشاقة وكبرياء حول ميدان ريكستان ، فان دلالة اسمها فيها الكفاية ، ولا ان اطلاق وصف « المدينة الذهبية » على المدرسة والمسجد الملاصق لها ، يوحي على الفور بالطبيعة الجمالية التي يتميز بها البناء ، فضلا عن ثروة الألوان والزخارف التي تنطق بكل عبارات الروعة والجمال . ما هذه الألوان والزخارف قد حظيت بميزة اضافية هو استخدام المينا المذهبة ، التي لا يستطيع المرء ان يتخيل المدى الحقيقي للابداع فيها ، الا عندما تنكسر عليها اشعة الشمس عند الظهيرة

ولان المدرسة بنيت حوالي منتصف القرن السابع عشر (١٦٤٦) ، فقد قال دليلنا انها كانت أخر اثر معماري كبير ذي كساء غني بالالوان ، قالها صاحبنا بلهجة عادية ، وبغير اكتراث ، ولم يكن يعلم انه في الواقع كان يعطي الينا خبرا محزنا وأليما ، خلاصته ان مسيرة الجمال وسط آسيا قد توقفت الى الابد بعد هذا البناء البديع

هل هي مدارس أم واجهات ؟

سؤال قد يتبادر الى الذهن ، ذلك انني اذا كنت وقفت وسط الميدان مأخوذا بالواجهات الثلاثة ، فلا يعني هذا انه ليس في الصورة سوى واجهات فحسب ، لان العكس هو الصحيح . اذ انه خلف كل واجهة هناك صفوف من الحجرات على مساحات اربعة شاسعة ، وهناك زخارف واقواس وشرفات ، مما يحتاج الى كتب لتسجيل معالمها ، ونقل هذه المعالم بدقة وتفصيل عميقين .

تقول الكتابات السوفيتية ، انه في عام ١٩١٨ بعد اقامة السلطة السوفيتية في سمرقند توقفت رسالة مدارس ريكستان كمدارس دينية ، وتحولت بعد ذلك الى مبان أثرية تستثمر لاغراض السياحة وتجميل المدينة

على ان ميدان ريكستان ذاته ، الذي تحول الى منتزه عام ، يذكر في الكتابات السوفيتية ايضا باعتباره الميدان الذي رفع فيه العلم الاحمر لاول مرة في سمرقند بعد ثورة ١٩١٧ ، وعقدت فيه الاجتماعات الثورية التي اسفرت عن الاستيلاء على السلطة ، ويذكر ان فيه « احرقت النساء والبنات الاوزبكيات والتاجيكيات

براقع والحجب الكريهة (« رمز العبودية والظلم - » - ونقض عام ١٩٢٧ - في صفوف النساء الشيطانات الجديدة

مسجد بي بي خانم

وفي جهة الشرق من ميدان ريكستان ، في شارع طشقند ، ترتفع اطلال مبنى المسجد الضخم الذى بني في اخر القرن الرابع عشر ، ويطلق عليه اسم زوجة تيمورلنك الكبرى الحسناء بي بي خانم ، وان كان الاثريون يقولون انه لا توجد زوجة لتيمور بهذا الاسم ، وأن زوجته الكبرى كانت تحمل اسم سراى ملك خانم ويضيف الأثريون ان تيمور ذاته هو الذى وضع اساس المسجد في اعقاب حملته المظفرة الى الهند

ومسجد بي بي خانم الذى ظللت طريقي بين اطلاله عبارة عن مجموعة منشآت معمارية تحيط بها الأسوار على شكل مستطيل ، طوله ١٦٧ مترا ، وعرضه ١٠٩ امتار ، وتقع وسط الاسوار باحة داخلية (٧٦ × ٦٣ مترا) في جهتها الشرقية بناية ضخمة للمسجد الرئيسي ، وفي جهتها الشرقية بوابة المدخل الرئيسي ، وعلى جانبيها مئذنتان ، وكان يتوسط الجهتين الشمالية والجنوبية مسجدان صغيران ، وقد اتصلت هذه المنشآت جميعها ، بعضها ببعض برواق ارتكزت سقوفه ذات القباب على ٤٠٠ عمود من الرخام ، بينما ارتفعت المآذن في اركان الاسوار التي تحيط بالمجموعة

وكانت جدران المسجد الرئيسي مزخرفة بالتوشية الهندسية الكبيرة ، على شكل شبكة من الطوب الازرق ، المطلي بالميناء التي نقشت عليها آيات من القرآن الكريم كتبت بخط كوفي وعلى عكس ذلك تتميز بوابة المسجد والمئذنتان ذواتا الاضلاع الثمانية والمجاورتان لها بكثافة عناصر الزينة ، التي يشترك فيها الرخام والاحجار المنقوشة وفسيفساء التراببيع وترتفع قبالة البوابة قبة فيروزية ضخمة ، وصفتها مخطوطة من القرن الخامس عشر بأنها « كانت قبة وحيدة لو لم تكن السماء تكرارا لها »

وفي الجانبين الشمالي والجنوبي يقوم مسجدان صغيران ، لكل منهما قبة تواجه الاخرى ، وكان الفناء مصمما في الماضي بشكل مدهش ، اذ كان مرصوفا بألواح مرمرية وفسيفساء خزفية ، وقد وضع أولوغ بك داخل المبنى الرئيسي دعامة مرمرية ضخمة للقرآن الكريم ، نقلت عام ١٨٧٥ الى وسط الميناء .

غير أن المسجد الهائل ، كان قد شيد على عجل ، مما ادى الى حدوث انهيارات فيه منذ السنوات الاولى لانشائه ، كما ساهمت الزلازل في تشويه وانهيار القباب ، وزادت من التصدعات في الاقواس ، حتى دمر زلزال عام ١٨٩٧ جزءا كبيرا من بوابة المدخل الرئيسي الملبسة بالمرمر (الالواح لا زالت محفوظة في فناء المسجد) ، مما حول الساحة التي كان مقدرا لها ان تشهد نموذجا آخر لروعة الفن المعماري ، الى بقايا وانقاض غير مكتملة متناثرة هنا هناك

ومع ذلك ، تظل هذه البقايا شاهدا ابديا على عظمة الاشكال وبهاء الزينة الزخرفية

الامير والفقيه واللغز

وعلى اتساع هذه الآفاق وثرائها وتميزها فان زيارة سمرقند تظل ناقصة بغير مرور على ثلاثة مواقع ، ترتبط بأسماء ثلاثة اشخاص مرصد اولوغ بك ، الامير العالم ، وقبر الامام البخارى أمير الفقهاء ورواة الحديث وقبر تيمورلنك الامير اللغز !

لكن انه الى ان هذه المعالم ليست هي كل ما في سمرقند ، فالقائمة طويلة ، والرحلة بين آثارها تستغرق في حالة الهرولة والاستعجال والاستنفار التي اصابت مرافقنا - ثلاثة ايام على الاقل ، ويعلم الله كم تستغرق من الصفحات ، ولم يكن هناك مفر - في النشر - من الوقوف امام اهم المعالم المتميزة في سمرقند الجميلة والعزيزة او القديمة كما يقولون هناك !

مرصد اولوغ بك المقام عند سفح هضبة تشوبان اتا ، قيمة علمية وتاريخية هامة ، أكثر منه قيمة معمارية او جمالية فقد بناه هذا الامير العالم ما بين عامي ١٤٢٨ و ١٤٢٩ ، واقل ما يمكن ان يقال في حقه انه كان من اكبر المراصد العلمية في الشرق ، وان أولوغ ذاته يوصف بانه من رجال الفلك البارزين في العالم ، وانه كان صاحب الكلمة الاخيرة في علم الفلك بالشرق ، خلال العصور الوسطى ، وله مؤلف ضخم باسم « الجداول الفلكية الجديدة » ، من بين ما يضمه « كتالوج » لـ ١٠١٩ نجمة مرتبة وفقا للابراج ولكل نجمة رقم ووصف مختصر لوضعها في البرج وقد حدد أولوغ بك السنة النجمية بـ ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٠ دقائق و ٨ ثوان والمقدار الفعلي للسنة يساوى ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ٩,٦ من الثواني

وتشير الدراسات الاثرية الى ان مرصد أولوغ بك كان مقاما من ثلاثة طوابق ، وانه كان اسطواني

من نابليون

الحياة المصرية
على طقم من الصينى فى "اللوفر"

اعداد . ليلى خليل
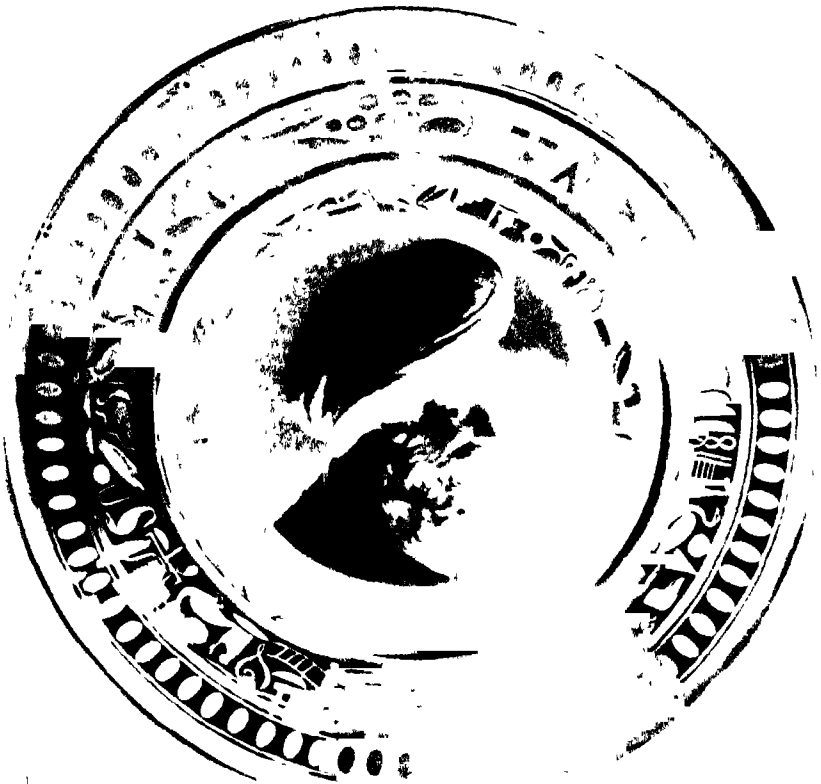
طبق من الصين عليه وجه مولاي سلام ، احد امراء المغرب ، وقد احاطت بصورته نقوش فرعونية
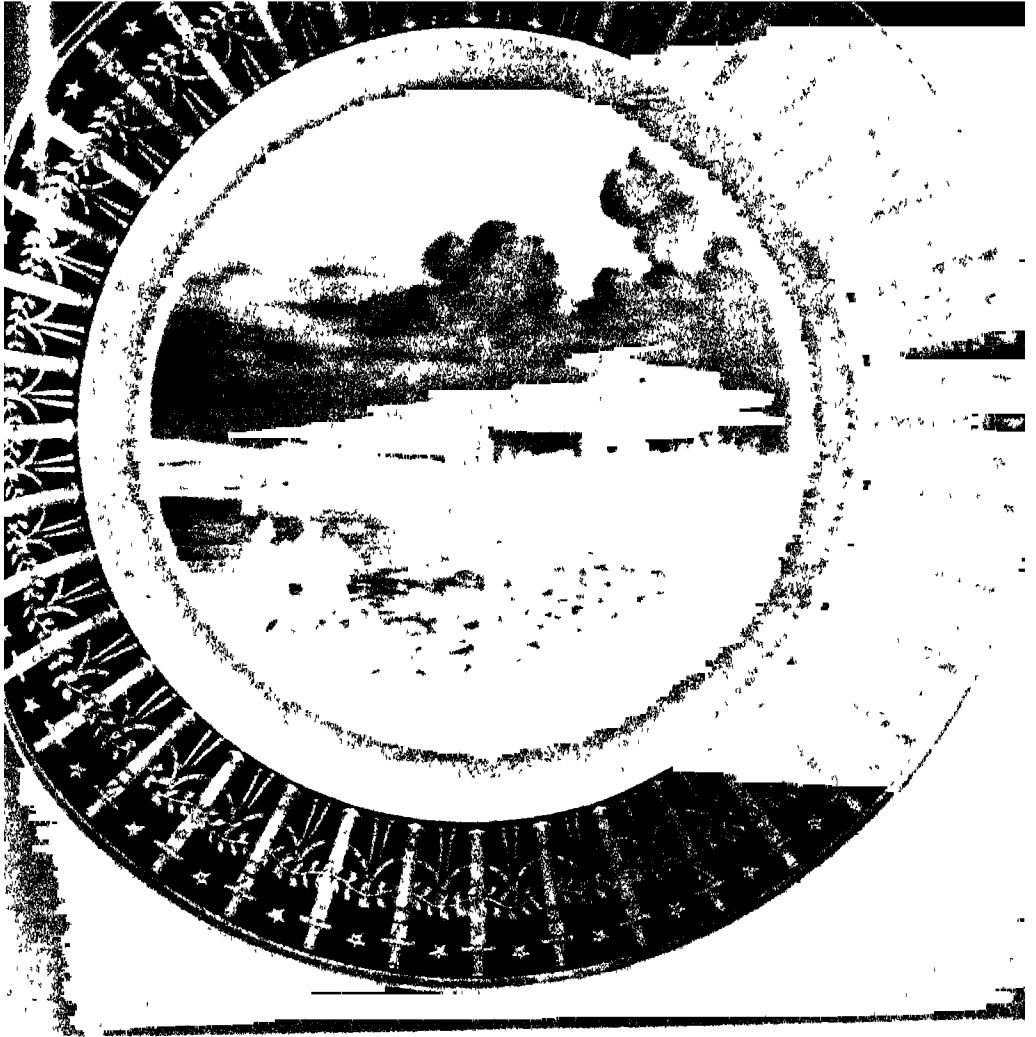
القاهرة عبر النيل في القرن الثامن عشر ، وجنود نابليون يعبرون المنطقة الضحلة في مياهه

قطع الطاقم البديع الذي امر نابليون بصنعه كل قطعه لوحة فنية بذاتها

مثلما نقلت حملة نابليون عام ١٧٩٨ بعضا من ريح الحضارة الغربية الى مصر ، فان حضارة وادي النيل والحضارة المصرية القديمة والحضارة الاسلامية تركت آثارها على قائد الحملة الفرنسية

وفي متحف اللوفر بباريس أحد هذه الآثار ، ممثلة في عمل فني استوحى نابليون فكرته من وجوده في مصر ، ونفذته مجموعة من الفنانين العاملين في مصانع « سافر » الشهيرة بصناعة الخزف في فرنسا

وهذا الاثر ، عبارة عن طقم مائدة وطقم للقهوة ، تمثل نقوشه وزخارفه الحياة المصرية ومظاهر الحضارة القديمة والمعمار الاسلامي والطبيعة كما تمثل الصـ بعض الشخصيات المصرية التي تأثرت بها ، او تعامل معها بونابرت اثناء وجوده في مصر .

ويعتبر مؤرخو الفن الفرنسي ان هذا الطقم قد شارك بشكل مباشر في انقاذ صناعة الخزف الشهيرة التي كـ تتميز بها مصانع سافر الملكية ، والتي حاولت الثورة

...ط من الكتابة الهيروغليفية المذهبة

... عند مشاهدة هذا الكتيب بدا للمهتمين بالامر اهم ... ايديهم على شيء هام ولذلك اتجهوا على الفور الى ... سيف مصنع السافر ، ومن خلال هذا الارشيف عرفوا ، ان مصنع السافر قد انتج سبعة اطقم تحمل رسومات مصرية وذلك في الفترة من ١٨٠٨ ـ ١٨١٤

الاول كان موجها الى الكسندر قيصر روسيا ولم يكن ملونا ، وعند الوصول الى الطقم الثالث تبين انه مماثل تماما للطقم المعروض للبيع في صالة دروو وهكذا اشترى متحف اللوفر هذا الطقم ، ليخصص له مكانا هاما في الصالة التي تعرض حاجيات نابوليون الاول

ما هي قيمته الفنية ؟

والخصائص الفنية لهذا الطقم ترجع الى اولا اللون الاخضر الرائع الذى يكسو الخلفية والذي ابدعه حديثا الكيائي فاكولان ، وبدا استخدامه في سافر ابتداء من عام ١٨٠٢ فقط

ثانيا الخلط او المزج بين الحديث والقديم بين اختيار الاشكال ومزجها مع الفنون النابوليونية الاخرى

ثالثا ملحمة نابوليون كلها مسجلة بالالوان على حرف صلب ، وهي الخامسة الحديثة التي استخدمها مصنع السافر مع بادية عام ١٨٠٠

والى جانب ما تقدم ، يجب الاشارة الى الاسلوب الذى اتبع في انتقاء الصور التي زينت هذا الطقم البديع ، ٧٢ طبقا تحمل صورا للقصور والمدن ، تتلاءم ... مع مناظر طبيعية مختلفة ، ومع الخيول التي ركبها نابوليون في مصر ومختلف الدواب التي شاهدها ، والاحداث المختلفة مثل عرق الجنرال كفاريللي في قناة السويس

الاصول الايقونوجرافية

وتستحق الاصول الايقونوجرافية لهذا الفن ان توقف عندها قليلا ، لانها توضح العناية الفائقة التي بذلت لانتاج هذا العمل فقد قام شواساح وديغونتان ، وهما المختصان برسم المناظر العسكرية بمصنع السافر ، برسم الخيول التي كان يستخدمها نابوليون في مصر ، وذلك بالرجوع الى رسومات « دنون » الذي رافق نابوليون في حملته وتنقلاته بين الوجه البحري والوجه القبلي كما قام الفنان كريستو والفنان فردناند برسم بعض الحيوانات التي تعيش على ضفاف النيل

وكان يقوم بالعمل في مصنع سافر ، الى جانب متخصصين في صنع القوالب ، عدد من النحاتين والرسامين ، والمتخصصين في التذهيب ، الى جانب اربعة عشر سيدة لتلميع الخطوط الذهبية

وهكذا بفضل الروح الجماعية لهذا الفريق تحقق هذا العمل الفني النادر ، الذى ما زالت قطعه متفرقة في انحاء كثيرة من العالم حتى الآن ويدين هذا الطقم بوجوده في المقام الاول الى حب نابوليون للادب والفن ورعايته لهما ، فهو من يعتبر راعيا لصناعة الخزف في فرنسا

وفي ارشيف مصنع السافر يجد الزائر الاصول الخطية لهذا العمل وهي وحدها الدليل الكامل الذي نعرف من خلاله ان العدد الصحيح لهذا الطقم هو ٢٤ فنجانا للقهوة مع اطباقها وصينية مربعة عليها رسومات مصرية رسمها ليبال ـ واطباق رسمت عليها وجوه لكبار المشايخ المصريين رسمها بيروجار ، وانية للسكر رسمها ليبال وثلاث أوان للحليب رسمها روبيه وليبال وقام برسم الخطوط الفرعونية ميكو ، وترجمها الى الفرنسية لوجران وعن هذا الطقم الذى رافق نابوليون منذ زواجه بماري لويز وخلال منفاه بسانت هيلين ، كتب السير جورج بنجهام في خطاب موجه الى زوجته « لقد دعاني نابوليون الى العشاء في بيته بلونجوود بسانت هيلين ، وبعد العشاء ، قدمت لنا القهوة في طقم لم تر عيناي اروع منه على كل فنجان رسوم مصرية جميلة وعلى طبق الفنجان وجه مصرى يرتدى العمامة ■■

باريس ـ ليلى خليل

العاقل الوحيد

● « الرجل الوحيد الذى يتصرف بعقل هو الترزى فهو يأخذ مقاسى فى كل مرة أذهب فيها اليه لتفصيل بدلة جديدة ! اما بقية الاشياء التى استخدمها فهى تناسب المقاسات القديمة فى كل الاحوال ! »

برنارد شو

بقلم : جمال الغيطاني

عرفت النرجيلة منذ خمسة عشر عاما ، عرفتها كصديق صامت ، يأنس اليه الفؤاد عندما ينوء تحت وطأة الاحزان واكدار الواقع الصعب صديق يساعد العقل على التركيز واقتناص شوارد الفكر من هنا هناك بدون ان يفرض مطالب خاصة ، او ازعاجات ، او يمر بمراحل التقلب من حب وكره وبغض . اذا ما تضاعفت الوحدة تبعث قرقرة الماء ونسة ، وتوحي الجمرات المتوهجة بحدود عالم سحري مبهم . عرفت النرجيلة وزمانها يولي ، ومجدها يندثر ، فلا شك انها تذوي ، ويدهسها ايقاع العصر السريع ، في كل بلد ذهبت اليه كنت ابحث عنها ، وعرفتها في مقهى هافانا بدمشق وفوق جبل قاسيون ، أرقب الافق الاخضر البعيد من خلال صحبتها ، نرجيلة دمشقية أنيقة بزخارفها ودقة صناعتها ، وفي اللاذقية يحيطها اطار تاريخي ، ووقار المدخنين من ابناء المدينة الرقيقة وهم في ازيائهم الشعبية ، تلك السراويل السوداء الفضفاضة وفي رحلة فوق جبل لبنان ، وفي مقاهي بيروت ، اما النرجيلة البغدادية في مقهي الاورفلي بشارع السعدون ، فهي غنية بالتمباك الجيد خشنة المظهر ، يشرف على تقديمها رجل عجوز يحيط خصره بفوطة حمراء ، صامت دائما وكأنه يؤدي طقوسا خاصة لا يجوز الاطلاع على مكنونها

اما النرجيلة القاهرية ، او السكندرية ، او البور سعيدية فهي انسانية ، يحيطها مجتمع خاص ، يتجمع حوله الاصحاب ، اصحاب تجمعهم هواية التدخين ، وحولها تنمو علاقات وتحل مشكلات وتتبادل خدمات ، وبعد ان كانت تقدم في اماكن خاصة ، وفي ازهى الاشكال ، انزوت الآن في مقاه قليلة ، وفي القاهرة كلها لا يعني بها الا مقهى في وسط المدينة ، وآخر في ضاحية مصر الجديدة

اما النرجيلة التركية فقد كادت تختفي ، ولا تقدم الا في عدد قليل من المقاهي ، بائسة المظهر دلت بعد ع كبقايا الامبراطورية العثمانية يقبل عليها شباب الم الاوربيون وكأنها اعجوبة ، يبعثون دخانها ويحملقون الى مياه القرن الذهبي من موقع ذلك المقهي تحت كوبري جلطة ، قد تختلف النرجيلة من هنا الى هناك ، ولكنها بشكل عام آخذة في الافول ، والزوال ، مع زحف ايقاع العصر السريع ، على روح الشرق التأملية ، ولن يمضي زمن طويل حتى يولي عصر النرجيلة تماما

التبغ

كانت البداية من أمريكا ، عندما رأى البحارة الاوربيون هنود القارة الجديدة يدخنون ها مادة (التبغ) التي تبعث خدرا خفيفا ، ومنها انتقل الى اوروبا ، ثم الى الشرق ، وظهر الدخان في مصر سنة ١٠١٢ هـ ، واثار ظهوره خلافات حادة بين علماء المسلمين ، وتمسك معظمهم بتحريمه ولا يزال الوهابيون يحرمونه حتى الآن وكانت الاوامر تصدر بمنعه احيانا في حوادث سنة ١١٥٦ هـ يذكر الجبرتي ان الوالي العثماني اصدر امرا بمنع التدخين ونزل ومعه الأغا ، وتابع بنفسه تنفيذ المنع ، حتى انه كان يعاقب المدخن باطعامه الحجر الذي يوضع به الدخان بما فيه من النار ، لكن المتصوفة تعصبوا للدخان ، كما تعصبوا للقهوة وبعضهم للحشيش من قبل ، ونظم ابو المواهب البكري قصيدة في الدخ

هاـ سفني التبغ ان تبغ الصفا سحرا
ـتى اخدر مه وهو اعشاه
واـ ـل اسوار شمع من يدى رشأ
ـد زانه قامة بالحسن هيفاء
لعـ ، مارا بالبعد قد وقدت
ومـا يكون لها بالقرب اطفاء

ولم تكن لفائف التبغ معروفة وقتئذ ، انما كان التدخين يتم بواسطة الشبك ، او النرجيلة . وكان المدخنون يحملون الشبك اما بين ايديهم ، او مع الخادم خلفهم اذا كانوا اثرياء ، ويبلغ طول قصبة التدخين ، كما يصفها ادوارد لين ، اربعة اقدام او خمسة ، ويغطي بالحرير الذى تحد طرفيه سلوك ذهبية محبوكة بالحرير

اللون او تحدها ما سورتان من الفضة المذهبة ، ويتدلى من الغطاء الحريرى في الحد الاسفل شرابة حريريـة ، وكان هذا الغطاء مخصصا بادىء الامر ليبلل بالماء فيبرد بالتبخر الشبك وبالتالي الدخان اما الحجر الذى يوضع فيه التبغ فهو من الآجر ولايزال يصنع من نفس المادة حتى يومنـا هذا ، كانت توضع تحت الحجـر صينيـة نحاسية صغيرة لصيانة السجاد او الحصير من النار ، اما « الفم » فيتكون من قطعتـين او اكثـر من الكهرمـان الفاتح اللون ، يصل ما بينهما زخارف من الذهب المرصع بالميناء والحجر اليماني واليشب والعقيق ، وخلاف ذلك من الاحجار الكريمة والفم أثمن جزء في الشبك وقد يرصع بالماس وكان الشبك يحتاج الى تنظيف متواصل شأنه في ذلك شأن الغليون الآن ، لهذا كان كثير من الفقراء يعيشون على تنظيف الشبك ، ويبدو أن العائلات المسماة بالشكش كانت اصلا تتاجر في الشبـك ، او تقـوم بتصنيعه وهناك سمة مشتركة بين الشبـك والنرجيلـة وهي طول قصبة التدخين وبعد الحجر عن المدخن ويبدو ان ذلك ناتج عن الطبيعة الحارة للبلاد الشرقية ، بعكس البايب الغربي ، الذى يحيطـه المدخـن بيديـه فيسرى اليهما الدفء من الحرارة المشتة في الخشب لقد انقرض الشبـك الآن تمامـا ، واصبـح معلقـا في المتـاحف على الجدران ، او في مراكز بيع الانتاج الفولكورى القديم ، خاصة في بغداد حيث يضم المركز الفولكلورى انواعـا متعددة من الشبك ، ولا شك ان النرجيلـة ماضيـة في الطريق ذاته فبعض النرجيلات الثمينة المصنوعة من الزجاج الملون ، والمرسوم عليهـا صور بعض سلاطـين الاتراك او الحكام العثمانيين او بعض المناظر الطبيعية ، امـا نراهـا الآن في المتـاحف ، او معـروضة في بيـوت الاثرياء

الاصل

النرجيلة مشتقة من لفظ « النارجيل » الفارسي الذى يطلق على ثمر جوز الهند ، يمكن القول ان ترجمته الحرفية تعني « الجوزة » وهي الاسم الذى تعـرف به النرجيلـة الشعبية في مصر ، لانها كانت مكونة فعلا من ثمرة جوز هند مفرغة ، تثقب مرتين ، ثقب يكـون فوق الحجـر ، وثقب جانبي تنفذ من خلاله انبوبة خشبية يتم من خلالها استنشاق الدخان الذى يمر خلال الماء الموضوع في الجوزة نفسها . وصف الرحالة والعالم الدانمركي « الجـوزة » المصرية التي لم تتغير ملامحها حتى أوائل هذا القرن ، عندما ارتفعت اسعار ثمار الجوز فاستبدل به كوز صفيح فارغ ، او زجاجـي . وهـذا ابسط الاشكـال الشعبيـة للنرجيلة ويدخن بواسطته المعسل وهو الدخـ ال
بالعسل ويعرف في المقاهي المصرية باسم « ور
« المصرى » ، وهـو نوع مصـرى خالص مـ ال
ولكنه يشبه الى حد ما ، « الجـداك » الـذي يدخ
السعودية واليمن ، والجداك عـبارة عن فواكـه م
مخلوطة ببعض الزيوت ويأتي من الهند ، وعند وض
الحجر يجب تغطيته بقطعة رقيقـة من الفخـار
فوقها الفحم المشتعل ، بعكس العسـل او التمباك
يلتصق به الجمر مباشرة يقول كارستين نيبـو
العامة يدخنون الجوزة للتدفئة ايضا ، ولكن الـ
الانيقة التي تستبدل بالجوزة فيها « برطمان » ز
فان كارستين نيبور يطلق عليها « النرجيلة الفار
ويقول ان اثرياء فارس يتخذون هذه النرجيلة وك
تكون كلها مصنوعة من الفضة ، او النحاس وت
خان الخليلي الآن نرجيلات من النحاس المنقوش
ان يدخن منها عدة اشخاص في وقت واحد عن
عدة ليات تخرج منها ، ومثل هذه النرجيلات تنت
بعض بلدان الجزيرة العربية خاصة اليمن والسـ
ويقـول نيبـور ان شيراز كانت مشهـورة بصـ
النرجيلات الزجاجية الانيقة واحيانا كانت توضع
زهور مختلفة مشتة من الداخل ، والنرجيلات الـ
كانت منتشرة في الهند ايضا حتى القرن الماضي .
ادوارد لين يقدم الينا وصفا ادق للنرجيلة في مصـ

الشيشة

الشيشة كلمة فارسية تعني زجاجا ، وهو الاسـ
تعرف به النرجيلة الآن في مصر وهـذا الاسم
للوعاء الزجاجي الذى يملأ بالماء الى قدر معين ليمر
من خلاله ويقول ادواردلين ان التدخين يتم مـ
انبوبة طويلة لينة (تسمى لي) ويغسل التبـ
مرات بالماء ثم يقطع ويوضع في حجر الشـ
رطب ، وتوضع عليه جمرتان او ثلاثة ، ويقول
للتنباك عطر لطيف مقبول ، لكن شدة استنشاق
في هذا النوع من التدخين يضر الرئة الضعيفة

ان الوصف الذى كتبه ادواردلين منذ حوالـ
وخمسين عاما لم يتغير كثيرا حتى الآن ، ولكن الـ
هو شكل النرجيلة ونوعية الدخان ، حتى الخمـ
كانـت هنـاك انـواع متعـددة من التمبـاك ،
ولا ذقاني (نسبـة الى اللاذقيـة) وازميـرلي ،
ويمني ، وعدني . ولكن الآن تنقسم الشيشة في
نوعين رئيسيين ، عجمي ، وهو نوع خاص من

مع ايران او تركيا ، ويوضع بكمية اكبر فوق الحجر ورقة تمباك صحيحة لم تقطع ، بعد ان تبل بالماء وتشب الشيشة العجمي مثيلاتها في دمشق وبغداد واستمبول . لكن نوعية التمباك الذي يصل الى مقاهي القاهرة اردأ . ولهذا فان النرجيلة العجمي يعتبر دخانها قاسيا ويحتاج الى صدر قوى لتحمله اما النوع الثاني هو الشيشة (الحمي) ، وكمية الدخان هنا اقل ، ونوعية الدخان اهدأ ، وهذا هو النوع الاكثر انتشارا الآن

المقاهي والنرجيلة

اشهر مقهى في القاهرة لتدخين النرجيلة الآن مقهى الندوة الثقافية في ميدان باب اللوق وكان صاحبه محمد حسين يمتلك مقهى بناه في سنة ١٩٢٠ شارع منصور ، بالقرب من مكان الغرفة التجارية الآن ، ثم هدم المقهى عام ١٩٥٩ ، وانتقل اصاوه رشاد وحلال وعلي الى هذا المقهى القائم حتى الآن . والذى يؤمه عدد كبير من الكتاب والفنانين من هواة تدخين النرجيلة ، لكن حتى منتصف القرن كانت هناك اماكن متعددة ، ومشهورة لتدخين النرجيلة اهمها مقهى الاوبرا او كما كان يعرف في الثلاثينيات والاربعينيات باسم «كازينو بديعة» نسبة لصاحبته بديعة مصابني كانت تقدم فيه النرجيلات للزبائن ، كل زبون له « لى » خاص مكتوب فوقه اسمه لا يدخن به شخص اخر ، وكان الحجر يقدم محفوفا بالزهور ، وفي الماء توضع ثمرات من الكرز وكان يجلس بالمقهى عدد من كبار رجال السياسة والاقتصاد ، والادباء واهمهم نجيب محفوظ المدخن العريق للنرجيلة ، وكان منظرا مألوفا ان ترى السيدات المحجبات يجلسن بهذا المقهى ينفثن دخان النرجيلات بوقار ، بينما تمر بديعة مصابني بنفسها تتأكد من وفرة الحجر وراحة الزبائن كانت هناك مقاه اخرى مشهورة بالنرجيله مثل مقهى ... في ميدان الجيش ، ومقهى الفيشاوي في الحسين ، والذي كان يجلس امامه المرحوم فهمي الفيشاوي لا يفارق الفم فمه ليلا ولا نهارا ، كان ذلك بعد ان فارق الشباب وهجر الفتونة والشقاوة وكان هناك مقهى نوبار الذى كان يغني فيه عبده الحامولي ويرتاده خليل مطران ، وسليم سركيس الصحفي ، ومقهى الكتبخانة امام دار الكتب ، وكان يقدم الشيشة لحافظ ابراهيم الشاعر والشيخ عبد العزيز البشرى ، وغيرهما وكان هناك مقهى الشيشة في شارع الجمهورية ، ومكانه الآن بنك للتجارة ، وكان يجتمع فيه هواة التدخين ، وهواة المصارعة بالكلاب اما مدينة الاسكندرية فتزدحم حتى الآن بعدد من المقاهي المشهورة بتقديم النرجيلة مثل مقهى التجارة ومقهى جابر بالمنشية ومقهى فاروق بحي بحرى ومقهى وادى النيل بالرمل

وتصنع النرجيلات في منطقة القاهرة القديمة ، وتوجد عدة متاجر متجاورة بشارع بين القصرين تبيع النرجيلات ، وادوات التدخين ، من حجارة وليات وغيرها ويبلغ ثمن النرجيلة المصنوع قلبها من النحاس وهو الجزء الذى يصل بين البرطمان الزجاجي والحجر حوالي خمسة عشر جنيها اما النرجيلة المصنوعة من النحاس الخالص المنقوش والتي تباع في متاجر التحف بخان الخليلي فيبلغ ثمنها عدة مئات من الجنيهات ، واذكر قسما خاصا بالنرجيلات يحتل احد فروع سوق الحميدية بدمشق بالقرب من المسجد الاموى وفي الثلاثينيات كان متوسط سعر النرجيلة من التبغ عشر مليمات في مقاهي القاهرة ، وفي الاربعينيات كان ثلاثة قروش اى ثلاثين مليما وخضع سعر النرجيلة للتطور ككل شيء الآن في القاهرة يبلغ سعر النرجيلة الحمي عشرة قروش ، والعجمي تصل الى اربعين قرشا ، اما الكيلو من التبغ الخاص بالنرجيلة فثمنه ثلاثون جنيها وكان في اوائل الخمسينيات بثلاثة جنيهات في دمشق تستطيع أن تدفع نصف ليرة سورية مقابل تدخين نرجيلة فاخرة وكذلك في بيروت في بغداد ثلاثون فلسا وفي استنبول تبلغ قيمة النرجيلة لحجر واحد ما يوازى نصف جنيه مصرى

على اية حال فالنرجيلة ماضية في طريق الانقراض ، ولن تمر سنوات طويلة قبل ان توضع في المتاحف واسي لأرثي لهؤلاء الذين سيأتون في الازمان المقبلة ، فلن يجدوا صديقا صامتا مستجيبا يلجأون اليه اذا ما ازداد الكرب واعتم الواقع وادلهمت الظروف ، وبدت الايام رمادية مثقلة بكل باعث للضيق والكتمة نحن نلجأ الى النرجيلة ، ولكن هم الى من سيلجأون ؟؟ ■■

جمال الغيطاني

المرء بأصغريه

رأى سقراط مرة رجلا وسيما بدينا شديد القوى ، فقال له يا هذا كلمني حتى اراك !!

الأم

شعر :
القاضي محمد شمس الدين

مستشار محكمة استئناف ـ طرابلس ـ لبنان

ياعيدَها في الموسمِ الاحصر
عانق شذى الليمون والعنبر
واحمل لها الاشواق
من أعمق الأعماق
أنشودة أشواقها اكثر

....

ياما احيلاها على المهد
والريح تعصف ليلةَ البرد
تحنو ، ولا احمل
ترعى ، ولا اكمل
للمرتجى ما هم ان تسهر !

....

كم تعبت في رحلة العمر
كم رُوِّعَتْ في النبأ الشر
احلامها الدنيا
والنجمةُ العليا
تهدى الى محبوبها الأصغر

....

في عيدها . تحلو حكايانا
هل تنتهي ؟ والحب نجوانا
يانفحةَ الذُكرى
انشدتك الشعرا
للمته من عيدك الاحضر !

رحلة الأدب العربي في المهاجر الأمريكية

للدكتور عيسى الناعوري

الطفرات القويّة المؤثّرة في حياة الأدب والفكر والشعر ، هي لحظات خالدة في تاريخ الانسانيّة تستحقّ أن يعاود المرء دراستها ، وتذكُّر خطاها ، على الرغم من أنها قد تكون قصيرة ، وقد تمر سريعة ، ولكن مرورها السريع يجعل منها أشياء عزيزة ، ويجعل دراستها شيئا يجدّد النشاط ويجدّد العافية في حياة الفكر الانساني

من هذه الطفرات القصار الأعمار ، والبالغات التأثير في حياة الأدب العربي المعاصر ، كانت مدرسة الأدب المهجري ، التي يمكن أن نحدد عمرها ما بين عام ١٩٢٠ ـ عام ظهور (الرابطة القلمية) في أميركا الشمالية ـ وعام ١٩٤٥ ـ عام وفاة (العصبة الأندلسية في البرازيل ـ فتلك كانت زهوة هذه المدرسة ، ثم تأخذ الزهوة بعد ذلك في التضاؤل والانطفاء شيئا فشيئا بعد رحيل الكبار من أعلام المدرسة التحديدية المهجرية ، واختفاء المجلات الكبرى التي كانت تنقل أفكارها وآمالها الرائعة

ولقد كانت مدرسة المهجر مدرستين مختلفتين ، في الواقع : مدرسة الشمال ـ وهي تتمثل في الرابطة القلمية ، وعميدها جبران خليل جبران ـ ومدرسة الجنوب ـ وتتمثل أكثر ما تتمثل في العصبة الأندلسية التي تعاقب على رئاستها ثلاثة شعراء ، هم ميشال معلوف ، ثم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، ثم شفيق معلوف

وسأتحدث في ما يلي عن هاتين المدرستين ، وعن سواهما في غير الولايات المتحدة والبرازيل مما ظهر من أسماء ومن رابطات أدبية في الأدب المهجري .

في الشمال

بدأت هجرة العرب ، السوريين واللبنانيين خاصة ، الى البلاد الأميركية في بواكير القرن التاسع عشر ،

وانتشروا في الشمال الأميركي وفي الجنوب ومع بواكير الهجرة أخذوا ينشرون الصحف بالعربية ولكن الصحافة العربية المهاجرة ظلت محدودة الرقعة والانتشار بين الجوالي العربية ، فما نكاد نعرف عنها غير القليل

وفي الربع الأول من القرن العشرين بدأ أدب المهاجرين يصل الى المشرق العربي شيئا فشيئا وكان بين أولئك المهاجرين عدد من نوابغ الشبان في الشعر والنثر وقد استفاد هؤلاء الأدباء من أجواء الحرية التي أتاحتها لهم البيئة الجديدة ، والتي كان الشرق العربي كله محروما منها ، بسيطرة الاستعمار الأجنبي ، والاقطاعيين العرب الذين كانوا يدعمونه ويمدونه بالحياة وبالقدرة على البقاء ، وسيطرة رجال الدين المتعاونين مع هؤلاء وأولئك ، لأجل حماية نفوذهم ومصالحهم

ومنذ عام ١٩١٦ ظهرت في أميركا الشمالية مجلة (الفنون) للشاعر نسيب عريضة ، وحولها تكتلت مجموعة من الأدباء الشبان المهاجرين ، كان أبرزهم جبران خليل جبران ، وأمين الريحاني ، ونسيب عريضة نفسه • ثم انضم اليهم ميخائيل نعيمة ، فايليا أبو ماضي وتلت (الفنون) جريدة (السائح) لعبد المسيح حداد ومن هؤلاء وبعض رفاقهم الآخرين تألفت (الرابطة القلمية) عام ١٩٢٠ ، واستبعد عنها أمين الريحاني بسبب خصومة كانت بينه وبين عميد الرابطة ، جبران وكان عدد أعضاء الرابطة عشرة فقط ، لم يكونوا كلهم على مستوى واحد من النبوغ والاستعداد الفكري ، وبعضهم لم يكتب شيئا ، وانما كان (نصيرا) للرابطة ومؤازرا لمبادئها وأهدافها وكان الهدف الأكبر للرابطة تجديد الأدب العربي ، وادخال حياة مشرقة في أوصاله التي أنهكتها عصور التخلف والركاكة ، وعصور الحكم الأجنبي وأنواعه المختلفة من الحكم العثماني الطويل الذي عمل جاهدا على عثمنة العرب ولغتهم حتى كاد ينجح في سلخهم عن أصلهم وقوميتهم ، الى الحكم البريطاني والحكم الفرنسي اللذين شاءا نقل العرب الى مظاهر الحياة الغربية والفكر العربي ، دون أن ينقلاهم الى حقيقة المدنية الحاضرة ، فألهيا العرب بالقشور ، وصرفاهم عن اللباب والروح ، كما سلخاهم عن عناصر قوميتهم وأصالتهم

وعاشت الرابطة بمجموعة أعضائها احدى عشرة سنة ، حتى وفاة جبران عام ١٩٣١ ، ثم أخذت حباتها تنفرط ، ولكن بعد أن عاشت حياتها القصيرة بالعرض والطول معا ، وأدت رسالتها كاملة ، وتركت بصماتها واضحة في الأدب العربي المعاصر المشرقي منه والمهاجر على السواء

كان زعيم مدرسة الرابطة ، جبران خليل جبران ، يمدها بروحه الغنية وأفكاره وأخيلته الجديدة • كان ناقدها ومشرعها الأدبي ميخائيل نعيمة • وكان شاعرها الأكبر ايليا أبو ماضي يليهم الشاعر نسيب عريضة ـ شاعر الحيرة والتأمل ـ والشاعر رشيد أيوب ـ شاعر الحنين والحب ـ والشاعر ندره حداد ، شقيق عبد المسيح حداد وكان عبد المسيح ناثرا ، ولكنه لم ينشر من الكتب في عهد الرابطة القلمية غير مجموعة من القصص دعاها (حكايات المهجر) ، الى جانب كتاباته في جريدته (السائح) التي كانت جريدة الرابطة ، ومسرح أفكارها ، وميدان عملها التجديدي في اعادة تكوين الأدب العربي بروح جديدة وأسلوب جديد ثم يليه وليم كاتسفليس ، وهو ناثر مقلّ

جبران ناثرا وشاعرا

جبران كتب الشعر والنثر ، وكتب القصة القصيرة والطويلة ، وكتب بالعربية والانكليزية • وكان النثر هو الجانب الأكثر من انتاجه الأدبي وكانت فيه ثورة على ركود الأدب العربي ، وثورة على الحكم والاقطاعية وكذلك على ترمت رجال الدين في لبنان وفي الشرق أطلق على الأدب المهجري الجديد اسم (الأدب الجبراني ـ والأسلوب الجبراني ـ والانشاء الجبراني) لأن جبران كان أبرز أدباء المهجر على الاطلاق ، وكان باعث الروح الجديدة في الأقلام المهجرية والقسم الأهم من انتاجه الأدبي كتبه بالانكليزي ، ثم ترجم الى العربية وكان كتابه (النبيّ) ثورة في الفكر ، تركت أصداء واسعة في أميركا خاصة

وكان ميخائيل نعيمة ناثرا ـ الا في كتاب شعري واحد هو « همس الجفون » ، الذي صدر بعد انفراط الرابطة القلمية ، وعودة نعيمه الى لبنان ـ وأما مؤلفاته الأخرى فكانت نثرا كلها تأملا ، ونقدا أدبيا ، وأقصوصة ، ورواية ، وخطرات فكرية

وكان ايليا أبو ماضي شاعرا فقط ونسيب عريضه كتب شعرا وكتب نثرا ورشيد أيوب أصدر أربعة دواوين شعرية فقط ، ولا نعرف له شيئا من النثر

وكان أمين الريحاني من أبرز أدباء المهجر الشمالي • وقد أسلفت أنه لم يكن عضوا في الرابطة القلمية ـ وك... يختلف عن الرابطيين بأنه كان داعية للقومية العربية والوحدة العربية • ومن أجل هذه الدعوة كتب

الا ...رية مدافعا عن العرب ، وناشرا لأدبهم لقد ...اهم في الغرب ، وكتب بالعربية داعيا العرب الى لوحـ . ويجول في البلدان العربية من أجل اصلاح ذات البين بين ملوكهم وقادتهم ، ومن أجل اصلاح الحياة الاجتماعية في بلادهم ولعله أعزر المهجريين انتاجا ، كما كان من أبرزهم أثرا في الأدب العربي المعاصر بروحه الانسانية ، وبأفكاره الثورية الاصلاحية وكان مثل جبران ناقما على الحكام والاقطاعيين ورجال الدين في لبنان

ولم يكن هؤلاء كل أدباء المهجر الشمالي ، بل كان هنالك آخرون يكتبون الشعر والنثر ، أذكر منهم الشاعر القومي مسعود سماحة ، والشاعر الرقيق أمين مشرق ، والشاعر نعمه الحاج الذي توفي عام ١٩٧٩ فقط في أميركا بعد أن تجاوز الخامسة والثمانين من عمره كما كان هنالك أيضا الشاعر الخفيف الروح والفكه الشاعرية سعد رستم

ولم يبق على قيد الحياة من الرابطيين غير ميخائيل نعيمه ، وهو يعيش الآن في قريته بسكنتا ، في سفح جبل صنين ، وقد تجاوز الحادية والتسعين من عمره

في الجنوب

بعد أن انفرطت مسبحة الرابطة القلمية في الشمال الأميركي ، تداعى أدباء البرازيل ، في الجنوب الأميركي ، وعلى رأسهم الشاعر شكر الله الجر ، الى تأليف رابطة لهم ، تجمع شملهم ، وتوحد عملهم وأهدافهم الأدبية والفكرية ، وتبرز جهودهم وانتاجهم ، على غرار ما فعلت الرابطة القلمية واستجاب الأدباء والشعراء للدعوة وولدت (العصبة الأندلسية) هناك في بداية سنة ١٩٣٣ برئاسة الشاعر ميشال معلوف ، خال الشعراء الثلاثة الاخوة فوزي وشفيق ورياض المعلوف وقد ضمت العصبة مجموعة من أبرز أعلام الشعر والنثر العرب في البرازيل ، كان منهم شفيق المعلوف ، الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، يوسف البعيني ، حبيب مسعود ، وتوفيق ضعون ، ونظير زيتون ، ونصر سمعان ، وشكر الله الجر ، والياس فرحات ، ونعمه قازان ـ وقد عاد الأخيران فانسحبا منها بعد فترة قصيرة من تأسيسها ، كما انسحب منها توفيق ضعون ـ وكان هنالك عدد آخر من الشعراء والكتاب الى جانبهم

ولم تلبث العصبة الأندلسية أن أصدرت مجلة دعتها (العصبة) تقوم لها مقام (السائح) للرابطة القلمية في الشمال وعاشت مجلة العصبة من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٥٦ ، وتركت هي أيضا بصماتها بارزة في الأدب العربي المعاصر

غير أن الفرق الكبير بين أدب الشمال وأدب الجنوب هو أن أدب الشمال كان ثورة في اللغة والأدب ، روحا وشكلا معا ، فقد حدد الشماليون الرابطيون في المعاني والأفكار والأخيلة ، وجاءوا من ذلك بالشيء الكثير الملموس ، وجددوا في أساليب اللغة وبيانها ، اذ كتبوا بعبارة ملأى بالرقة والنعومة والهمس والذين فعلوا ذلك هم بشكل خاص جبران ، والريحاني ، وميخائيل نعيمه ـ في النثر ـ وأبو ماضي ، ونسيب عريضه ، ورشيد أيوب ـ في الشعر وأما أدباء الجنوب فلم يعرفوا الثورة اللغوية ، وان يكن قسم منهم قد كتبوا الشعر والنثر بلغة سهلة مأنوسة ، وبعبارة قوية مؤثرة وكان اتصال الجنوبيين بالوطن وأحداثه ، وحنينهم اليه ، أقوى وأكثر تأثيرا في انتاجهم الأدبي ـ أستثني الريحاني من الشماليين من حيث التأثر الدائم بالوطن العربي ، والعمل المباشر على توحيده واصلاحه ، بحيث لا يشاركه في هذا أديب مهجري آخر في شمال ولا جنوب ، كما أستثني نعمه قازان ، من الجنوبيين ، من الثورة اللغوية ، ولا سيما في معلقته الشعرية الطويلة التي دعاها « معلقة الأرز »

العصبة الاندلسية

قبل انشاء العصبة الأندلسية ، لمعت في الجنوب أسماء أدبية قوية ، كان أشهرها اسم الشاعر الرقيق النابغة فوزي المعلوف ، ابن المؤرخ واللغوي والنسّابة الشهير عيسى اسكندر المعلوف ، وصاحب مطولة (على بساط الريح) ، الذي قضى في ميعة الشباب ومنها كذلك اسم الشاعر الوطني الملتهب وطنية وحماسة ، الياس طعمه ـ الذي عُرف فيما بعد باسم (أبو الفضل الوليد) ومثله الشاعر عقل الجر وأخوه الشاعر شكر الله الجر وكان شكر الله فيما بعد أحد مؤسسي العصبة الأندلسية

اقتصرت العصبة الأندلسية على الأدباء المقيمين في البرازيل ، ولكن مجلتها كانت ميدانا لكل الأقلام المهجرية حيثما وجد أصحابها ، كما انفتحت صفحاتها لكتاب وشعراء من المشرق العربي ، وكان صاحب هذا المقال واحدا منهم في زمن ما من أوائل الخمسينات وأواخر الأربعينات

ولم يعش رئيسها الأول ، ميشيل معلوف ، طويلا وبعد وفاته خلفه الشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري ، ثم تنحى هذا عن الرئاسة ، فتسلمها الشاعر شفيق المعلوف ، وظل رئيسا لها حتى آخر أيامها ، حين بدأت تنفرط حباتها بدورها ، بوفاة بعض أعضائها ، وعودة بعضهم الى الوطن ، ثم بتوقف مجلة (العصبة) عن الصدور بشكل حاص ، مما أدى الى بعثرة شمل الأحياء منهم .

كان بين أعضاء العصبة عدد من الشعراء البارزين ، من أمثال القروي ، وشفيق المعلوف ، وشكر الله الجر وكان بينهم عدد من الناثرين ، منهم حبيب مسعود ، ونظير زيتون ، ويوسف البعيني وكان حبيب مسعود رئيس التحرير لمجلة (العصبة) منذ صدورها حتى احتجابها ، كما كان خطاطا جميل الخط ، وقد كتب بخطه الجميل كل (ملحمة عبقر) لشفيق المعلوف كما كان هنالك توفيق ضعون ، وجورج حسون معلوف ، من مشاهير الناثرين المهجريين

وكان القروي ، وكذلك فرحات ، ومن قبلها أبو الفضل الوليد ، شعراء الوطنية العارمة المجلجلة ، وكانت أصواتهم الشعرية الوطنية تصل الى الشرق مدوية ، فتتردد أصداؤها في كل مكان وكان أول بروز القروي على أثر الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) في ديوانه (الأعاصير) ، الذي منعت السلطات الاستعمارية الفرنسية دخوله الى سوريا ولبنان ، ولكن قصائده انتشرت في سوريا ولبنان والبلاد العربية انتشارا عجيبا رغم المقاومة الفرنسية ، لما فيها من ثورة عاصفة على الاستعمار الفرنسي ، ونقمة على تخاذل اللبنانيين عن مشاركة اخوانهم السوريين في ثورتهم ، ومن ثورة على الطائفية المفرقة بين الاخوان وكان كل ذلك مليئا بالعنفوان وقوة الشعر المثير ، والدافع الى العليان الوطني

وأما شفيق المعلوف فقد تميز بالشاعرية الرقيقة ، والخيالات المحلقة ، والصور الناعمة ، والعبارة الدافئة الحلوة ويتجلى ذلك كله في جميع دواوينه الشعرية ، كما يتجلى في ملحمته المبدعة (عبقر) ومما يجدر ذكره أن شفيق المعلوف قد مهد لعبقره الشعرية بمقدمة نثرية طويلة لم يسبقها مثل بحثها المفصل الواسع في الأساطير العربية

وكان شكر الله الجر شاعرا رقيقا كذلك ، جميل الصور والخيالات الشعرية ، كما يظهر ذلك في دواوينه الشعرية المتعددة ، من (الروافد) و (زنابق الفجر) المطبوعين في البرازيل ، الى آخر دواوينه العديد التي صدرت في لبنان ، حتى وفاته عام ١٩٧٥ وكان كذلك ناثرا ، وله كتابان نثريان مطبوعان في البرازيل هما (المنقار الأحمر) و (ببي أورفليس) ، كما صدرت له في الوطن روايتان طويلتان

في غير البرازيل

وفي غير البرازيل كان هنالك عدد من الكتاب والشعراء البارزين ، أذكر منهم جورج صيدح ، الذي برزت شاعريته أولا في مصر ، قبل هجرته الى أميركا ، ثم توقفت فترة طويلة من عهد الهجرة في فنزويلا ، حتى عادت الى البروز بقوة في أواخر هجرته في فنزويلا ، اذ ظهر أول ديوان له عام ١٩٤٧ بعنوان (المراحل) ، ثم تلاحقت دواوينه الشعرية ، ولا سيما بعد عودته الى لبنان ، ثم معاودته الهجرة الى فرنسا ، حيث ظل يقيم حتى وفاته في أواخر عام ١٩٧٧ ، وهو في قمة الشيخوخة . وكان هنالك أيضا الشاعر جورج كعدي ، الذي كان يقيم في بوليفيا ، ثم عاد الى لبنان ومات هناك سنة ١٩٧٥

وفي الأرجنتين اشتهر الأخوان الشاعران الياس وزكي قنصل وهما اليوم أبرز شعراء المهجر الذي لم يضعف شعرهم ولا يزالان يواليان الانتاج القوي الجيد ، رغم انتهاء عهد المهجر الزاهر المجدد

وحين كان صيدح في الأرجنتين ، بعد مغادرته فنزويلا ، عمل هناك على تأليف رابطة أدبية ضمت عددا من الأدباء والشعراء ، وكان هو قطبها ومصدر الحياة فيها ثم غادر الأرجنتين عائدا الى المشرق ، وظلت الرابطة حية بعده ، ولكن أبرز أعضائها الأخوان الياس وزكي قنصل ، ومدى فاعليتها محدود جدا ضمن حدودها فقط ، وليس لها أي صدى في المشرق ولا في المهاجر الأخرى

تجمعات أخرى

قامت محاولات مختلفة في الشمال الأميركي وفي الجنوب لانشاء تجمعات أدبية فقد أنشأ الشاعر المصري أحمد زكي أبو شادي ـ خلال هجرته القصيرة في نيويورك ـ جماعة دعاها (رابطة منيرفا) كان هو قطبها ومحركها ، وانضم اليها بعض الأدباء والشعراء المهاجرين ، كان منهم عبد المسيح حداد ، ونعمه الحاج ، والدكتور سليمان داود . ثم توفي أبو شادي وماتت معه

مير   ن أن تنتج أدبا يسمع به الناس

لى أثرها حاول الدكتـور سليمان داود أن يؤلف رابطة احرى ، ولكنها لم تعش كذلك وقد دعاها (حامعة الأدب العربي في أميركا الشمالية) ولسنا نعرف عنها شيئا ذا أهمية .

وفي البرازيل قامت السيدة مريانا دعبول ماخوري ، صاحبة مجلة (المراحل) الشهرية التي تصدر في سان باولو ، البرازيل ، بانشاء رابطة هناك تخلف العصبة الأندلسية وكان ذلك سنة ١٩٦٥ ، وانضم اليها عدد من بقايا الكتاب والشعراء ، منهم فيليب لطف الله ، وشاكر الدبس ، وبرسردس القزي ، وببيه سلامه ، وغيرهم وما تزال الرابطة تعمل الى الآن باشراف السيدة مريانا ورعايتها ، وميدانها هو مجلة (المراحل)

وفي عام ١٩٧٨ تألفت في البرازيل جماعة جديدة ، أطلقت على نفسها اسم (عصبة الأدب العربي) ، برئاسة نواف حرداں ، ويشترك فيها عدد من الكتاب العرب هناك ولسنا نعرف شيئا عن هذه العصبة

هذه الجماعات والروابط كلها جاءت في عهد شيخوخة الأدب المهجري وغروب شمسه ، بعد أن ذهب الأعلام البارزون من شعراء المهجر وكتابه ، وبعد أن أصبح الأدب المشرقي متقدما جدا على الأدب المهجري ، ولم يعد في وسع المهجر أن يقدم للمشرق شيئا جديدا ذا قيمة أدبية حقيقية ولهذا لم يستطع أي من هذه الجماعات الأدبية أن يوصل صوت الأدب المهجري الحالي الى أبعد من محيطه الضيق المحدود ، لأن هذا الصوت قد انتابته بحة لا تسمح بوصوله بعيدا

وليس في وسع أحد أن يبث في الأدب المهجري اليوم شيئا من الحياة التي فقدها ، فهذه سنة الطبيعة ، تجيء على الناس والأشياء على السواء ، وتبدأ بالولادة ، ثم تنتهي بالشيخوخة ، ثم بالرحيل .

ومع ذلك فان هذه الفئات المؤمنة ، الحريصة على بقاء الحرف العربي حيا في ديار الهجرة البعيدة في الأميركتين ، جديرة بكل تحية وتقدير ، وجديرة بتشجيع العرب في كل مكان ■■

عمان ـ د عيسى الناعوري

طبائع الاستبداد

● قيل ان الحكيم الصيني كونفوشيوس كان سائرا ذات يوم في نفر من تلاميذه عند سفح جبل تاي ، فشاهد عن بعد امرأة تنوح على قبر ، فحث السير اليها ، وعندما اقبل عليها بعث بتلميذه « تزي لو » يسألها ما مصيبتها ، فدنا منها وقال . انك تنوحين نواح من نكب مرة بعد احرى .

فقالت والصواب ما قلت ، ان وحشا افترس أبي هنا ، وبزلت المصيبة نفسها بزوجي ، وها هو ذا ابني يسقى الردى من كأس واحده

فقال الحكيم ولماذا لا تبرحين هذا المكان وتلجأين الى آخر

فقالت لانه لا توجد حكومه مستبده هنا

فقال الحكيم تذكروا يا ابنائي هذا واحفظوه ان الحكومات المستبده شر من الوحوش المفترسه

اول من منح قدرة التنقل بين عالم الروح

العالم المتصوف

في خلال فترات من التاريخ قد تتباعد وقد تتقارب ، يظهر رجال عظماء نصيبهم موفور من العبقرية وامتياز الشخصية ، ولكنهم برغم نباهة شأنهم وكثرة اتباعهم من الدارسين لهم والمعجبين بهم ، لا تزال جوانب من حياتهم المتألقة الحافلة بالمنجزات الباهرة والاثار الباقية تشير التساؤل ، وتختلف فيها مذاهب التأويل ، مما يثير الصعاب في استيعاب شتى نواحيهم ، وسبر اغوارهم والاحاطة بمدى عبقريتهم وفي حدود معرفتي المتواضعة أرى ان من امثال هؤلاء الافذاذ النوادر ـ العالم المتصوف السويدي امانويل سويدنبرج

وقد ولد هذا الرجل العجيب الشأن المتعدد الجوانب في استكهلم سنة ١٦٨٨ م في اليوم التاسع بعد العشرين من شهر يناير ، وكان والده الاسقف يسبر سويدنبرج . وقد اسماه امانويل ومعناها « الله معنا » وذلك لكي لا يغيب الله عن ذاكرة ابنه ، وكان يؤمن بوجود الملاك الحارس والاتصال بعالم الارواح غير المنظورة ، وكان في الوقت نفسه قليل الاحتمال للضعف البشري ، شديد الحماسة للاصلاح الاخلاقي ، وكان هذا هو الاتجاه الديني الذي نشأ فيه هذا العالم المتمكن والمتصوف الذي رزق نفاذ البصيرة ، وتراءى له ان الكثير من الاسرار الكونية الخفية قد كشفت له ، وانه رأى ما لا يراه الناس العاديون في العالم المالوف

يتقن كل شيء

وكان سويدنبرج يتقن كل عمل يقوم به ، وكانت قواه العقلية تيسر انجاز كل ما يوجه الذين إليه اهتمامه من الاعمال المختلفة المنوعة ، وفي العشرينات من عمره اكب على الدراسة العلمية وكتب الكثير من البحوث المختلفة ، وتنقل في انحاء أوروبا فزار انجلترا والمانيا وهولنده ، وكان من اهدافه في زيارة انجلترا زيارة العالم الكبير نيوتن ، وقد قام بهذه الرحلات بعد ان اتم دراسته في « أبسالا » واختير بعد ذلك للاشراف على المناجم في السويد ، وقد توصل الى الكثير من الكشوف العلميه

وبعد اتمامه الدراسة في « أبسالا » الى اخر حياته كان الرجل العملي جمع بين براعة المهندس وتمكن العالم البيولوجي والاقتصادي القدير وكان اول من كتب في السويد رسالة تتناول حساب التفاضل والتكامل وحل مشكلة ايجاد خطوط الطول في البحر ، ونظام الكسور العشرية في سك العملة ودراسة المد والجزر في البحر ، ودرس تكوين الجسم البشري وسائر العلوم الطبيعيه وفي اشرافه على اعمال المناجم ادخل طريقة دحرجة المثقلات ، وكان يتقن كل عمل يتولاه بحدسه الموفق وبراعته الفنية ، وانتقل إلى الفلسفة يعالج مشكلاتها بعد تبريزه في النواحي العلمية ، وجاءت بعد ذلك فترة التصوف وقد سجل في مذكراته الاحلام العجيبة والرؤى التي كانت تعرض له ، والاصوات الغريبة التي كانت تصل الى سمعه ، وقد أدهش اصدقاءه هذا التغير المفاجيء والتحول غير المنتظر لرجل في طليعة علماء عصره ، وكان يقول ان السيد المسيح قد زاره ، وتلقى من هذا المصدر العالي رسالة لتفسير الكتب المقدسة تفسيرا جديدا ، ووقف الجزء الباقي من حياته التي امتدت الى الخامسة بعد الثمانين للقيام باعباء هذه

سويدنبرج

بقلم : علي ادهم

الرسالة ، وجاب الاقطار وقضى حاسا كبيرا من وقته في انجلترا ، والف الكثير من المؤلفات لتأكيد رسالته ، ووصف في مؤلفاته العالم السماوي وسكانه ، وكان يبلغ بعض الاحياء رسائل من اقاربهم الموتى

ومن السهل ان يرفض ذلك ، ويعزى الى اضطراب الم بالاعصاب احدث تأثيره في القوى العقلية ، ولكن هناك اشياء تثير التساؤل فقد كان سويدنبرج يدعي القدرة على رؤية الاشياء غير المنظورة ، واستطلاع بعض الاحداث الغيبية ويمكن من هذه الناحية اختبار بعض ما كان يزعم الوقوف على حقيقته ، وفي حياته احداث مسجلة توضح ذلك ، منها ان العالم الديني البريطاني « جون وسلي » تلقى رسالة من سويدنبرج يذكر له فيها ان الارواح اخبرته ان « وسلي » يريد لقاءه فاجابه « وسلي » ان هذا حق ، وحدد له ميعادا لهذا اللقاء ، فرد عليه سويدنبرج قائلا « انه في هذا التاريخ يكون قد حانت منيته التي ستحدث يوم ٢٩ مارس سنة ١٧٧٢ » وهو تاريخ سابق للتاريخ الذي حدده له وسلي ، وهذه الرواية تكشف ناحيتين من نواحي امتياز سويدنبرج ، الناحية الاولى قدرته على استطلاع ما في نفوس غيره من الناس ، والناحية الثانية قدرته على استشفاف احداث المستقبل

انباء عن بعد

ويروى عنه انه كان يتناول طعام العشاء في جوتنبرج مع جماعة من اصدقائه وهو وادع النفس كثير البشاشة ، ولكنه لم يلبث ان علت وجهه لمحات من الكدر والهم ، فعجب من ذلك اصحابه وسألوه عن سبب ما الم به من التعبير فقال لهم « ان النيران قد اشتعلت في منزل احد اصدقائه في استكهلم وكان منزل هذا الصديق قريبا من منزله ، وذكر ان النيران كانت قوية الاشتعال سريعة الانتقال ، وان منزله معرض لاخطارها » ، وقد ظل ساعتين في قلق وحيرة ، وفجأة اشرق وجهه وزال اضطرابه وقلقه ، وقال لاصحابه « ان النيران قد خمدت واطفئت عند المنزل الثالث القريب من منزله » ، وانتشر الخبر في جوتنبرج وبينها وبين مكان الحريق اكثر من مائتي ميل ، وبعد يومين جاءت اخبار الحريق الى جوتنبرج

وفي برلين اخبرت ملكة السويد اخاها الملك ان احدى سيدات حاشيتها قد تعرضت لازمة نفسية شديدة من جراء مطالبتها بمبلغ من المال كان زوجها المتوفى قد استدانه ، وكانت هذه السيدة واثقة من ان زوجها قد قام بسداد ما عليه من الديون قبل وفاته ، ولكنها لم تستطع الاهتداء الى المكان الذي احتفظ فيه زوجها بالمستندات والوثائق الخاصة بما كان عليه من ديون ، فذهبت السيدة الى سويدنبرج ، وتوسلت اليه راجية ان يسأل روحها عن المكان الذي احتفظ فيه بالايصالات الخاصة بسداد ما كان عليه من دين ، وفي اليوم التالي اخبرها سويدنبرج عن المكان الذي به هذه المستندات في القصر الرحب ، وانه قد طلب من زوجها ان يظهر لها ، وفي الوقت المناسب رأت السيدة زوجها في رؤية حالمة وقد ارتدى الملابس التي كان يرتديها حينما ادركه الموت .

وفي ذات يوم كان هذا السويدي الموهوب في سفينته وقد تولى قيادتها القبطان ديكسون ، فسمع احدى السيدات تسأل هل بالسفينة من المأكولات المحفوظة ما

يكفي ركابها في الرحلة التي سيقضونها بها ، فاجابها سويدنبرج ان الاغذية الموجودة كافية وان السفينة التي بدأت رحلتها من لندن ستصل الى استكهلم في ثمانية ايام في الساعة الثانية وكان هذا ما حدث

بعيدا عن المال والشهرة

وقد عاش سويدنبرج في عزلة ، ولم يبد اية رغبة في تحصيل المال او كسب الشهرة ، ولم يعمل على ايجاد انصار واتباع ولم يكن يفضي بأسراره الا لعدد قليل من اصحابه الذين يثق بهم ويطمئن الى حكمتهم وحبهم له

وقد عرف بدقة يوم وفاته والساعة التي سيدركه فيها الموت فهي يوم الاحد ٢٩ مارس سنة ١٧٧٢ سأل اصحابه عن الساعة ، فقيل له « انها الساعة الخامسة فاجاب « لقد قضي الامر بارك الله لكم جميعا » وبعد عشر دقائق اسلم روحه

ولقد اعتاد بعض الباحثين في حياته ان يقسموها الى ثلاث مراحل ، المرحلة الاولى تبدأ من نشأته واشتغاله بالمشكلات العلمية والبحث في عالم الطبيعة ، وانتقل منها الى الاقبال على الفلسفة ، ثم فرغ بعد ذلك للاتجاه الصوفي ولكن اغلب الباحثين في حياته يرون انها مرت بمرحلتين المرحلة العلمية حتى سنة ١٧٤٣ ، وتبع ذلك المرحلة التصوفية التي اكد فيها اتصاله بعالم الارواح ، وقضى في هذه المرحلة اكثر اوقاته في استكهلم ولندن وامستردام

ومن اشهر مؤلفاته كتاب « اقتصاد عالم الحيوان » وقد دهش الفيلسوف الالماني « امانويل كانت » حينما وجد في بحوث سويدنبرج بعض اوجه الشبه من فلسفته كما اعجب بمؤلفاته الشاعر الفيلسوف الانجليزي كولردج ، وقال عنه « لا اتذكر اشياء في مؤلفات لورد بيكون ترتفع الى مستوى ما كتبه سويدنبرج ، سوى القليل في الثراء الفكري ، وعمق التفكير ، وبلاغة التعبير ، ورجاحة وزن الحقائق » كما اعجب به توماس كارلايل واثنى عليه ، وقد كتب مقدمة ترجمة كتابه عن « الحب المقدس والخلق » الى الانجليزية العالم البحاثة الانجليزي المعروف السير اوليفر لودج

من حكمته

وكان من متتبعي اخباره ، والمتسائلين في أقواله احد الانجليز ، وقد تتبع خطواته حتى لقيه في باريس ، وقد روى ان الابواب في منزله كانت لا تغلق ، ولما اشتكى من ذلك احد الخدم خشية تعرض المنزل للسرقة [illegible] تدعو الى الاشتباه في امره قال سويدنبرج « ان [illegible] في هذه الشكوى ولكن ليطمئن باله فانه لا يرى [illegible] غير المنظور المشرف على حراسة المنزل »

ومن كلماته ان الله جل شأنه لا يسمح بقاء احد في الجحيم الى الابد لآثام تورط فيها أثناء حياته القصيرة ، والمقصود بالعقوبة الاصلاح والتقويم ، وبرغم ان موارده المالية كانت محدودة فقد كان يقدم مبالغ من المال ضخمة لانقاذ بعض الشركات من الافلاس ، وكان لا يخيب رجاء احد من الذين يلتمسون مساعدته ويقول المؤرخ البحاثة جورج جودويس في كتابه عن « عظماء المتصوفين » « ان سويدنبرج في العصر الحاضر يثير اهتمام رجال الدين وجماعة المتصوفين ولكن هذا كان احد جوانب سويدنبرج الذي كان خبيرا في علم طبقات الارض وعلم المعادن والعملة والرياضة والفلك واللغة وشتى الوان المعرفة ، والانسان في تقديره هو الارادة فاذا كان سيدخل النار فلأنه قد اختار ذلك ، والخلاص يجيء للانسان عن طريق الايمان والحب »

والحكمة الرئيسية عند سويدنبرج هي ان « كل الناس الذين عاشوا في هذا العالم ورائدهم الصلاح واجتناب الشر سيتقدهم الله ويشملهم برحمته » ، وكان يقول « انه رزق القدرة على الاتصال بالموتى ، ومحادثتهم ، والتنقل في المدن السماوية ، والعوالم غير المنظورة » وكان يقول عن نفسه « انه اول انسان سمحت له القدرة على التنقل في العوالم الروحية والعيش في الارض والسماء » ، والفيلسوف « كانت » الذي عني ببحث هذا الموضوع كان يقول لمن يظهرون الدهشة والاستنكار « اني لا اعرف ان احدا قد عهد في ميلا الى وجود العجائب او الضعف الذي يميل بالانسان الى سرعة التصديق والعجيب في امر هذا الرجل العبقري هو الجمع بين التفوق التعليمي والقدرة العلمية التي ظهرت في كل ما عهد اليه القيام به ، او الاشراف عليه ، وهذه النزعة الصوفية الغريبة الشأن المحفوفة بالغموض ولكن ليس هذا بالكثير على الكون الذي يعيش فيه ، الحافل بالاسرار والخفايا والعجائب ، والذي لا نستطيع ان نزعم اننا نحن البشر قد استوعبنا حقائقه ، وادركنا كنهه وسبرنا اغواره ، واحطنا بمداه ، وقد يكون استيعابه من جميع نواحيه ، وحل طلاسمه وكشف مجاهله من وراء قدرتنا المحدودة ولهذا اختلفت مذاهب التأويل وتلونت الاحتمالات برغم الامعان في الدراسة والتعمق في البحث » ■■

على ادهم

نقسم الثقافة الى علمية وأدبية ؟؟

في الطريق الى الثقافة الثالثة

بقلم : محمود محمود

لقد درجنا على ان نقسم المثقفين طائفتين طائفة ثقافتها علمية واخرى ثقافتها ادبية وبالثقافة في هذا الصدد نعني التعلم او المواد التي عني الفرد بدراستها سواء في ظل نظام تربوى معين ام بجهده الشخصي واهتماماته الخاصة

وبالثقافة العلمية نعني العلوم الطبيعية كالفيرياء والكيمياء وعلم الأحياء والرياضيات وبالثقافة الادبية نعني دراسة مأثور الكلام الذي يتميز بجمال التعبير ، ويتمثل في قصيدة من الشعر أو في قصة او رواية او مسرحية او مقال ادبي وغير ذلك من فنون القول وتدخل في هذه الثقافة كذلك العلوم الاجتماعية والانسانية وبعض الدراسات النفسية والفلسفية ، وتخرج من هذا التقسيم الفنون التشكيلية من نحت أو تصوير وكذلك الموسيقى والدراسات الدينية ايضا لان الاحساس بالجمال الذى تعبر عنه الفنون ، والشعور بعجز الانسان أمام قدرة الخالق عز وجل من صفات النفس البشرية ، على تفاوت بين الناس في درجة الحس وعمق الشعور

وعلى هذا التقسيم للمعارف الانسانية الى علوم وآداب نبني نظمنا التعليمية فنقسم المرحلة الثانوية بوجه عام الى شعبتين ، احداهما أدبية والأخرى علمية وتتوزع الدراسات في الكليات الجامعية كذلك على اساس هذه التفرقة بين العلم والادب .

ومن العلوم ما هو نظرى بحت تختص به كليات العلوم ومنه ما هو تطبيقي ، نلمسه اساسا في دراسة الطب والهندسة ، وانك لتكاد تجد هذا التقسيم في اكثر النظم التعليمية في ارجاء العالم كافة ، على الرغم مما يؤدي اليه من تعذر التفاهم واتفاق وجهات النظر بين الفريقين بل وسخرية رجال العلوم من رجال الاداب ، ورجال الاداب من رجال العلوم ، واعتقاد كل مجموعة منها بانها الاصلح من الاخرى لتولى شئون الحكم في البلاد . لا يتخيل الاديب ان انسانا ما ـ مهما كانت حدود معرفته ـ لم يقرأ شيئا من مسرحيات شكسبير مثلا ، ولا يتصور رجل العلم ان انسانا في العصر الحاضر يجهل القانون الثاني للديناميكا الحرارية ، وهو قطعا اعمق اثرا في الوجود من كل ما جادت به قريحة

شكسبير او غيره من الكتاب والشعراء وهذه التفرقة الحادة بين ما هو علم وما هو ادب حديثة العهد نسبيا في تاريخ الانسان ، فلقد كان فلاسفة اليونان كما كان علماء العرب ، يجمعون في دراساتهم بين الطرفين ولبث تاريخ الفكر البشري يسير هكذا حتى كان النصف الثاني من القرن الثامن عشر حينما بدأ تعذر المعرفة الانسانية واستحال على المتعلم ـ او كاد ـ ان يلم ولو بصورة عامة بنتائج القرائح في مختلف الميادين فجنح الى التخصص في فرع واحد من فروع المعرفة

واكدت الثورة الصناعية التي احتدم أوارها في القرن التاسع عشر هذا الاتجاه واثبتت اهمية العلم ، لان الصناعة تقوم اساسا على العلم ولا تحديها الاداب فتيلا

ثم اعقبت الثورة الصناعية ثورة اخرى نسميها الثورة العلمية ، وهنا ينبغي التنويه بان الثورة الصناعية شيء والثورة العلمية شيء آخر فنحن نعني بالاولى استخدام الآلات لتحل محل الايدى ولجمع الرجال والنساء في المصانع الكبرى للانتاج على نطاق واسع ، مع اختفاء العمل الفردى الى حد كبير والانتقال من الريف والاشتغال بالزراعة الى المدن والاشتغال بالصناعة وتوزيع المصنوعات

اما الثورة العلمية فقد جاءت بعد ذلك ، ونستطيع ان نقول انها بدأت مع استخدام الاساس للحسبات الذرية في القرن العشرين ، لان المجتمع الذى يعتمد على الالكترونات والطاقة الذرية والتشغيل الاوتوماتيكي يختلف اختلافا جذريا عن كل المجتمعات التي سبقته وهذا التحول من العصر الآلي الى العصر الذرى هو الذى نسميه بالثورة العلمية

ومن الحق ان العصر الذى نعيش فيه يؤمن بالعلم اكثر مما يؤمن بالادب ، لان العلم هو اساس التقدم المادى الذى هو معيار الحضارة الحديثة

ومن اسف أن العلميين لا يدركون ان الصناعة نفسها التي تستند الى الكشوف العلمية بحاجة ايضا الى تنظيم اجتماعي ودراسات نفسية هي الى دراسة الانسان اقرب منها الى دراسة المادة «وليس بالخبز وحده يحيا الانسان» . ولا بد من تضافر الجهود العلمية مع الجهود الاجتماعية لكي نحقق للبشرية النظام الامثل

تقسيم ساذج

حول هذه الافكار العامة القى اللورد سنو احد الكتاب الانجليز المعروفين في العصر الحديث سلسلة من المحاضرات في جامعة كمبردج بانجلترا في عام ١٩٥٩ ، كانت ومازالت مثار جدل عنيف بين رجال الفكر في جميع أنحاء العالم فلقد أوضح هذا العالم الاديب أن العالم على وجه الجملة تسوده ثقافتان ـ ثقافة العالم وثقافة الاديب ـ وان الهوة سحيقة بين هاتين الثقافتين ، ولابد من الوصل بينهما لكي يتم التفاهم بين افراد الشعب الواحد ولكي تسير كل أمة من الامم نحو الوحدة التي تنشدها

غير ان سنو لم يفته ان هذا التقسيم ساذج الى حد كبير والواقع ان كل تقسيم ثنائي فيه تجاوز شديد للامر الواحد ، وليس اللون اما اسود واما أبيض واما بين السواد والبياض اطياف متعددة وبين الواحد والاثنين كسور لا نهاية لها ، فكما ان هناك العالم والاديب فهناك العالم الاديب والاديب العالم (كما كان سنو نفسه) وبين العلماء انفسهم متخصصون في فروع مختلفة ، وقد تكون الفرقة بين أحدهم والآخر أبعد شقة من الفرقة بين عالم واديب

ولم يرد سنو ان يقول ان الثقافة اما علمية واما ادبية ، والا كان الى التعصب اقرب منه الى سماحة الفكر وانما كان هدفه ان يضع لنا مؤشرات عريضة لأوجه الخلاف بين نظرة الى الكون تحلل وتعلل ، ونظرة أخرى شمولية عامة تستند الى الحس المباشر ، لان الثقافة في الواقع ضروب واشكال ليست لها نهاية ، ولا يجوز ان نحصرها في قالبين اثنين ـ العلم والادب ـ فهناك ثقافة ثالثة ورابعة الخ وكل من هذه الثقافات مزيج من المعارف مختلف المذاق غير ان سنو قد تأثر فيما عرضه من آراء بحياته الخاصة فلقد كانت العلوم دراسته والكتابة الادبية حرفته ، ونشأ في أسرة فقيرة ، فأحس احساس الفقراء بحو الحاجة الماسة الى اصلاح المجتمع بحيث تضيق الهوة بين الغني والفقير ، ويتوافر لكل امرىء حد ادنى من الحياة الكريمة في مأكله وملبسه ومسكنه وتربيته وصحته ، وكل ذلك لا يمكن احداثه الا بالحس المرهف الذى ينفعل بما في الحياة من مآس ، وبتطبيق العلم لتوفير المستوى المادى المنشود

فالعالم الاديب اذن هو نموذج الرجل المصلح وتضافر العلماء والادباء في كل من البلاد أمر لا محيص عنه غير أن سنو لاحظ أن العلماء في بلده ولعهده يتعاطفون مع العلماء في البلاد الاخرى ويشاركونهم أفكارهم اكثر مما يتعاطفون مع الادباء في وطنهم او يشاركونهم احساسهم ، وذلك بسبب الصراع بين ثقافتين كان

الا ... بهما ان يتفقا في الهدف وان اختلفتا في الوسيلة

كما فطن بسنو الى ضرورة التآلف بين العالم والاديب ادرك كذلك ان المثقفين الذين يعملون بادهانهم سواء كان ذلك في مجالات العلم والأدب ، لابد لهم من تقدير الجهد الذي يبذله العاملون بايديهم من سعتهم بغير المثقفين في ميادين الزراعة والصناعة فالجانب العملي ليس اقل من الجانب النظري في حياة الشعوب

تجربة انجلترا

والحكم الرشيد يستند الى قوائم من العلم الطبيعي ودراسة الانسان وجهوده العلمية ولكن ما نشاهده في اكثر البلدان هو استيلاء اصحاب الدراسات الاجتماعيه والانسانية على مقاليد الامور وتنحية او تنحي رجال العلم عنها وقد استرعي انظار الانجليز ان تصل درورة الحكم في البلاد لاول مرة امرأة خلفيتها الدراسية هي الكيمياء « وان تكن قد درست القانون فيما بعد » ـ واعني بها السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا الحالية

ولعل من مزايا العالم كحاكم انه اكثر تفاؤلا من زميلة دارس الآداب ، من حيث امكان الاصلاح الاجتماعي ، مهما كان متشائما في حياته الخاصة ، ومهما بلغت مأساة حياته من الشدة والخطورة فهو يرى ان العلم يستطيع ان يحرز الكثير بالعمل الايجابي ، ولا كذلك الادب بسلبيته

الا ان رجال الادب ـ الى جانب ذلك ـ يعتقدون أن دراسة القصص والمسرحيات والشعر والتاريخ وغير ذلك من الانسانيات تساعدهم على تفهم حاجات المجتمع وسلوك الافراد كما تعاونهم على تقويم الاخلاق ، وفي ذلك بعض الحق ولكن فيه كذلك بعض المبالغة في الراي فكثير من رجال العلم الذين لايتعمقون الآداب يحسون حاجات المجتمع وهم على خلق كريم وليس من المعقول ان تحول دراسة الفيزياء او الرياضيات دون الحس الاجتماعي المرهف او الرغبة في خدمة الآخرين غير أنه مما لا شك فيه أنهم اذا اضافوا الى دراسة العلوم الالمام بالآداب التي تحلل سلوك الافراد والجماعات كانوا اوسع خيالا واغنى نفسا وليس معنى ذلك ان دارس الادب لا يقع في هذا الخطأ ، فهو ايضا قد تخصص فيقصر همه على دراسة شاعر من الشعراء او فترة معينة من فترات التاريخ دون سواها ويكون شأنه في ذلك شأن العالم الذى يتعمق ناحية واحدة من نواحي المعرفة

دون أن يكون على المام بخريطة المعارف الانسانية كلها

والواقع ان الانجازات العظيمة في التاريخ لم تتم الا بالتقاء الثقافتين لدى الافراد والجماعات على حد سواء وكذلك يرى سنو ضرورة دمج العلوم في الآداب بحيث لا يتعرض الكاتب للكتابة الا بعد ان يهضم علوم عصره وليس ثمه ما يدعو الى تقسيم الدراسة في معاهد التعليم الى ادبية وعلمية بل يتحتم علينا لكي نخرج المواطن الصالح ان نزوده بطرف من هذا وطرف من ذاك ، وأن نزيل الحواجز بينهما بحيث لا يشعر أن المعرفة الانسانية فيها هذا التقسيم الصارم ، أو أن بين الناس هذا الفارق في الثقافة ، ولا يتميز فرد عن آخر الا بالتعليم ولا يكون لدارس علم فضل على دارس ادب

وقد تنبهت الى ذلك الولايات المتحدة الامريكية فرست نظم التعليم فيها على هذا الاساس واكدت في مناهج الدراسة على ضرورة الجمع بين العلوم واللغات وكذلك تنبهت الى ذلك دول ناهضة في الصناعة كالصين التي اولت العلم والتكنولوجيا في مناهجها أهمية بالغة بعد أن كانت لا تأبه الا بدراسة التراث كما كانت الحال في بلادنا العربية حتى عهد قريب وبذلك استطاعت

الصين كما استطاعت اليابان من قبلها ان ترفع هامتها الى هامات أهل الغرب في مجال الصناعة . ولم تكف نفسها فحسب بل استطاعت كذلك ان تغرق بمنتجاتها الاسواق العالمية .

نحو ثقافة ثالثة

نادى سنو بهذه الاراء في كتابه « الثقافتان » الذى اشرت اليه فيما سبق ، فانهال عليه النقاد تارة بالتأكيد وتارة بالمعارضة فجمع كل ما قاله عنه المفكرون والنقاد ، ثم قام بمراجعة الكتاب في عام ١٩٦٤ ولم يلحق به كثيرا من التغيير واكتفي في اكثر الحالات بالمزيد من الايضاح فذكر ـ مثلا ـ انه عندما ذكر « الثقافة » انما عني بها معناها في المعاجم وهو « التنمية العقلية » باية من الوسائل علما كان أم أدبا ام احترافا كما قصد بها في الوقت نفسه معناها الفني الذى يأخذ به الانثروبولوجيون وهو « مجموعة من الافراد يعيشون في بيئة واحدة ، وتربط بينهم عادات مشتركة ، وطريقة للعيش واحدة » وبهذا المعنى ايضا تميز الادباء عن العلماء ، فلكل مجموعة منهما أسلوبها في الحياة الخاص بها . الأدباء يتأثرون بالعواطف والعلماء يحكمون العقل ، ولذلك فان سنو يقبل بتعبير بروسكي الذى يستبدل « بالثقافتين » « نظامين عالمين » ويضيف الى ذلك انه حينما يذكر في حديثه الطريقة العلمية في معالجة الامور فهو يعني بها دراسة العالم الطبيعي واستنباط القوانين التي يسير بمقتضاها من ناحية كما يعني بها محاولة السيطرة على هذا العالم والتحكم فيه من ناحية اخرى فالطبيب لا يكتفي بتشخيص المرض ، لكنه يصف له كذلك الدواء ولا ينبغي للعالم ان يقف عند اكتشاف القوانين الكونية لان من واجب العالم حتميا ان يستخدم هذه القوانين فيما فيه مصلحة البشر فقد يعرف كل ما يتعلق بالذرة كخطوة اولى ثم تأتي بعد ذلك الخطوة الثانية التي ترسم لنا طرق استغلال هذه الطاقة فتوجهها نحو البناء والتعمير ولا نستخدمها في الهدم والتدمير وفي الفصل بين العلم وتطبيق العلم مخاطر جمة

وفي مراجعة الكتاب يؤكد سنو ضرورة انشاء « الثقافة الثالثة » التي تجمع بين « الثقافتين الادبية والعلمية » كما يؤكد أن الدراسات الاجتماعية ينبغي ان تتبع في اسلوبها المنهج العلمي من الاستقصاء والفرض واستخلاص النتائج ثم وضع هذه النتائج موضع التطبيق لاختبارها والوثوق من دقتها وصحتها

وانني اذ اعرض هذه الاراء هنا عرضا خاطفا لارجو ان نتوسع فيها ونتخذ منها ركيزة لنا عند وضع استراتيجيات تطوير التربية العربية والمجتمع العربي . فلا تكون لنا ثقافتان متمايزتان تفرق صفوف المفكرين في امتنا العربية وتباعد بين الناس ، بل ثقافة واحدة ، هي ما يسميها سنو « الثقافة الثالثة » ■■

محمود محمود

علاج حاسم

● التقى بول بوبكور السياسي الفرنسي مع سول بلوم عضو الكونجرس الامريكي لاول مرة فبادره قائلا . ولكنك تبدو اصغر بكثير مما كنت انتظر ؟

سأل بلوم . وكم سنة تحسب عمري ؟ اجاب بونكور : حوالي الستين !

قال بلوم : كلا ، انني اكبر من ذلك بكثير . وإني لاعزو مظهر الشباب الذى لا زلت محتفظا به الى شيء واحد هو الفتيات !

هز الرجل الفرنسي رأسه في دهشة ـ وقال : حسنا ، لقد عرفت .

وتابع بلوم حديثه فقال بصيغة الجزم . نعم البنات فلا شأن لي بهن !

ألمانيا الاتحادية: بون

صناعة جديدة اسمها الاستجمام

بقلم : عبد المقصود حبيب

لم يعد الاستجمام ترفا مقصورا على الاثرياء وذوي المكانة الرفيعة ، ولكنه صار صناعة كبيرة لها دورها المؤثر ، في عالم يتزايد فيه القلق والتوتر

في ألمانيا العربية ، تعطي مؤسسات التأمين الصحي نفقات استجمام ضحايا الارهاق اليومي حتى تذكرة الطائرة والقطار !

وبالرغم من أن فئة قليلة ـ لو قيست بأعداد الشعوب ـ هي التي تعرف الاستجمام وتذهب اليه لتستمرئه فقد أنشئت له المشافي وأقيمت الاماكن التي يستجم فيها من يستطيع الاستجمام

وقبل أكثر من خمسين عاما تحدث عن الاستجمام كاتب ألماني ساخر هو كورت توخولسكي (ولد في ١٨٩٠ ومات منتحرا في ١٩٣٥) يصف فترة استجمام قضاها في احدى دور الاستشفاء ، وما مر به خلالها فكتب يقول « لقد قال لي الطبيب انها الاعصاب ، وما تحتاج اليه هو الراحة والاسترخاء والتدليك والتريض مع متابعة نظام خاص للطعام ينحصر في تناول الخضر . وفكرت بيني وبين نفسي بأن الامر سيكون مبهجا . وبالفعل كان كذلك ، اذ اقتصر طعامي على ثريد بالخضار ونصف ورقة من الخس ونصف برتقالة وكان على أن أتم كل يوم تنفيذ برنامج معقد فيما بين السابعة صباحا كل يوم حتى الثانية عشرة والنصف ، أتنقل خلاله بين المدرب البدني والممرضة المشرفة على وزن الجسم وبين مدرب السباحة والمدلك ثم أنتقل الى عهدة الطبيب ثم الممرضة المراقبة وفي الحقيقة كانوا مهتمين بي جميعا الى أقصى الحدود وبدأت أتخيل أني مريض بالفعل وما ان يظهر على ذلك الشعور حتى يصرحوا جميعا في وجهي بأن لاداعي مطلقا لكل هذه المبالغة لأن صحتي تحسنت جدا جدا »

كان ذلك عام ١٩٣٠ عندما سمع « توخولسكي » النصيحة بالاستجمام من طبيبه الذي لم يجده مريضا في بدنه ولكنه اعتقد أن أعصابه مريضة واضطر توخولسكي للانصياع لهذه النصيحة رغم أنه فقير ومن هذه الفئات التي لا تعرف الاستجمام لم يكن واحدا من علية القوم الذين سبقوه أو لحقوا به ويعرفون تماما ما هو الاستجمام وأين أماكنه ويذهبون اليها حتى دون استشارة طبيب

وقبل توخولسكي امتدح كل من الشاعر جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) والموسيقار بيتهوفن (ولد في بون في ١٧٧٠ ومات في فيينا ١٨٢٧) منافع الاستجمام والعلاج

الاستشفائي وان كان حتى الآن لا يعرف الدافع الذي كان وراء استجمام حوتة عندما سافر وهو في سن الخامسة والثلاثين الى مدينة (كارلسباد) ينشد الاستجمام كما قال الا أن بعض الكتب (البيليوغرافية) عنه قالت ان التحاقه بهذا المشفى لم يكن للعناية بصحته بقدر ما كان يهدف الى الهرب ولو لبعض الوقت من متاعب مهنية ألمت به انذاك وذكرت أنه تقابل هناك مع الموسيقار بيتهوفن وكان الاثنان ينحنيان تحية كلما تقابلا كما كانت العادة بين أهل تلك المدينة

الا أنه بالرغم من ذلك فقد استمتع العملاقان بكل معاني الراحة والاستجمام من هدوء وشاعرية ونظام صحي دقيق واحتساء مياه الينابيع الصحية والاستحمام في المياه المعدنية والبعد عن كل ما يمكن أن يؤرق شعرة فيهما

يهربون من الاستجمام

وكان كل ذلك بالفعل هو أركان الاستجمام

فهل بقي من ذلك شيء الآن أم دهب الى غير رجعة ؟ لنر

في هذا العصر الذي يتسم بالواقعية ويتحلل كل شيء فيه وقع المادية والسرعة والتقدم الصناعي تحول الاستجمام الى صناعة متقنة تستثمر فيها الاموال مثل أية صناعة ثقيلة وتفتح لها المكاتب في مختلف أرجاء الارض تقوم بالدعاية للاستجمام في مكان ما بجانب اعلانات السجائر التي يقف فيها عمر الشريف يدخن سيجارته ممتعة ، أو مثل اعلانات السيارات التي يقف فيها محمد علي كلاي رمزا لقوتها وبالطبع لو دهسته رغم قوة دراعيه لضاع هباء منثورا

ودخلت تحت عنوان الاستجمام أشياء كثيرة لكي تجتذب هذه القاعدة العريضة جدا من الجماهير التي لا تعرف معنى الاستجمام ولا تحبذه ولا تريده أن يدخل حياتها فدخلت مثلا كلمة سياحة وبالطبع يرغب فيها كل من يستطيع وبالتالي فهو لن يستجم في سياحته . اذ أن السياحة كما هو معروف لف ودوران حول الآثار وبين أعمدتها بأقدام حافية على سطح الرمال .. أو ركوب الجمال (فاكهة عند الاوروبيين) واستلقاء تحت أشعة الشمس الحارقة في افريقيا أو آسيا كي يعودوا الى بلادهم يزورون الاطباء مما أصابهم .

وعلى سبيل المثال للاموال التي تستثمر في هذه الصنعة الجديدة فقد استثمر في ألمانيا العربية وحدها ما يزيد على ٣٥ مليارا من الماركات على شكل مؤسسات لحمامات المياه المعدنية والطمي والحمامات الحرارية والطبية أو دور للاستشفاء ويؤم تلك المنشآت سنويا ما يزيد على ٣٠ مليون شخص يقدر ما ينفق عليهم ١٠ مليارات مارك ويشرف عليهم ربع مليون شخص من العاملين في تلك المنشآت يسقونهم هذا الاستجمام

ومن منطق أن ذلك الامر أصبح صنعة فان نظام التأمين الصحي والاجتماعي في ألمانيا تقوم به مؤسسات رهيبة التكوين ، رهيبة رأس المال ، رهيبة الارباح هذه المؤسسات هي التي تدفع هذه التكاليف التي يتكلفها المستجمون ، ففي ٩٩٪ من الحالات ينصح الطبيب المعالج الشخص المعني بزيارة احدى دور الاستشفاء للاستجمام مدة معينة ويرسل بذلك تقريرا طبيا الى مؤسسة التأمين التي في حوزتها هذا المريض فترسل بدورها لتستدعي المريض لاجراء فحص طبي لدى أحد الاطباء المعتمدين لديها الذي يعتمد في فحوصاته على الوثائق الضرورية التي يحصل عليها من الطبيب المعالج أصلا وتتم الاجراءات وتتحمل المؤسسة جميع النفقات حتى تذكرة القطار أو الطائرة ذهابا وايابا

وبذلك اتسعت بالفعل دائرة الاستجمام وكما يهرب الموظفون الآن من أعمالهم تحت شعار الاستجمام أو كما يسمى في اللغة الالمانية (الكور)

وبما أن الامر أصبح صنعة وأصبح مرتادا من قطاعات كبيرة في المجتمع فلم يعد له الوضع القديم من قصور فاخرة ومبان فوق قمم الجبال أو بين الغابات القديمة وعلى شواطىء البحار أو المحيطات كما كان على أيام الملوك الكبار والقياصرة والاباطرة ..

لذلك أصبح الاستجمام مثل السياحة العامة فلا داعي لان تكون دوره الآن فنادق فخمة يعيش فيها النزيل على هواه يفعل ما يحب ويعرض عما يكره . ولم تعد العملية في داتها عملية تبجيل واحترام ومحاولة للارضاء والتفاني في خدمة المستجم . بل غالبا ما يشكو النزلاء الآن من البرنامج اليومي الدقيق والصارم ومن التحدير من هذا وحظر ذاك من الامور فيجب ـ مثلا على النزيل أو النزلاء في غرفة واحدة أن يطفئوا الانوار قبل الساعة العاشرة والنصف ، بدعوى أن يأخذوا النصيب الكافي من النوم .

بالعلاج الحركي

كان الاستجمام في الماضي متعة كما وصفها وحولسكي .. وكما ذهب اليها بيتهوفن وجوته الا أنه لأن أصبح له مفهوم آخر فالنزلاء لا يحضرون الى ماكن الاستجمام للمتعة وانما لاستعادة قدرتهم على لعمل مثل الآلة التي يقفون أمامها حتى تستنفد ؛ أعصابهم فحسب بل وحياتهم أيضا . مجتمعات جعلها لتقدم التقني قسوة من وراء قسوة .

حتى النزلاء أنفسهم لم يعودوا كما كان نزلاء لاستجمامات من قبل ـ وكما يقول الاطباء ـ أيام عزها يام أن كان المستجم يجد في استجمامه جنة من جنان الله لى الارض

وهذا هو توماس كاريت طبيب نزل للاستجمام نطقة تسمى الهارتس يقول « ان معظم النزلاء الذين أتون الينا مصابون بأمراض السكر وحصوة المرارة المثانة والقرحة المعدية وأمراض البروستاتا والكليتين العدة الدرقية واضطرابات ا لدورة الدموية وأمراض قلب المزمنة . »

ثم يستطرد قائلا . « لقد أصبح المكان مستشفى اما ، وفي الحقيقة فان هؤلاء لا يحتاجون الى استجمام .. ل الى علاج وان كان القسم الاكبر من علاجهم في دبهم وهم في عقر دارهم ، فمعظم هذه الامراض هي من بيعة العصر تنتج عن التصرف الخاطىء للمريض . هذا التصرف الخاطىء ينحصر في عادة التدخين الادمان على الكحول والسمنة بجميع ما ينجم عنها لاضافة الى الارهاق العصبي وقلة الحركة الرياضية لحرة . أليس في مقدرة انسان العصر الحديث بما أتيحت له من وسائل التثقيف والوقوف على العلوم المختلفة أن يدرك مثلا ضرر التدخين فيقلع عنه ؟

أو يقدر مثلا ماذا له أن يأكل وما عليه أن يترك حتى يحتفظ بوزنه المناسب . ؟ أو مثلا يخصص الوقت للتريض مشيا على الاقدام حتى تظل دورته الدموية منسجمة وتظل عضلاته في حركة وحيوية أو التنزه فوق دراجة أو القيام ببعض الاعمال اليدوية . ؟ ان ما ينقص الانسان في العصر الحاضر هو شيء كان يملكه ثم وضعه بعبقريته في الآلة والكمبيوتر .. كأنه حمل ألقاه عن كاهله . هذا هو النظام الذي تدور به الآلة ونسى الانسان أن يدير به آلة الجسم حتى يعود الاستجمام متعة كما وصفها توحولسكي من قبل خمسين عاما ومن قبله بأعوام عندما ذهب اليها كل من جوته وبيتهوفن »

لقد تغيرت عملية الاستجمام من عملية ممتعة للنفس والروح والجسد الى صناعة لها قيود الصناعات الاخرى حتى أصبحت أماكن الاستجمام الحديثة والتي دعت اليها التوسعات في هذه الصناعة أصبحت نزلا مثل نزل الامراض العقلية لا يخضع فيها فرد لنفسه الا لحظات قليلة مما تحولت معه هذه النزل الى مراكز للتوعية الصحية فلم يعد يكفي الجلوس بعد الظهيرة في حديقة منسقة الزهور والورود والزروع والاستماع الى فرق الموسيقى تؤدي الحانها الهادئة الشاعرية كما كان الامر في مطلع هذا القرن . وانما أصبحت هناك برامج جديدة للاستشفاء يطلق عليها اسم العلاج الحركي . بعد أن أوشكت كلمة الاستجمام بمعناها أن تضيع من قاموس الحياة ■■

عبد المقصود حبيب
بون ـ ألمانيا الاتحادية

شكرا حسب الظروف

● دعى طالب صيني لتناول الشاى على مائدة رجل اعمال امريكي ـ ولما كان الطالب لا يجيد عبارات المجاملة باللغة الانجليزية ، فقد ابتاع كتابا « للاتكيت » وحفظ العبارات عن ظهر قلب . وحدث ان قدم اليه الرجل الامريكي بعض الحلوى فشكره الطالب بقوله : « شكرا يا سيدى او سيدتي .. حسب ما تقتضيه الظروف » .

رسالة باريس :

الابحاث العلمية بلغة السينما

بقلم : محمد صالح القمودي

السينما في فرنسا لم تعد فقط وسيلة للترفيه والابهار ، بل اصبحت اداة لنشر الابحاث العلمية في اطار من الفرجة يجعلها في متناول الجميع

لقطة من فيلم (ايكار)

المخرج ريبيه .

العالم لا بوريت

هذا الاتجاه الجديد للسينما الفرنسية ، برر مؤخرا من خلال فيلمين الاول عنوانه (ايكار) والثاني عنوانه (عمي القاطن في امريكا)

(ايكار) هو الفيلم رقم ٢٨ الذي يخرجه (هنرى فيرنوى) منذ ان احترف الاخراج في مطلع الخمسينات ، وتخصص في لون يجمع بين الترفيه والابهار ، لكنه لا ينتزع اعجاب النقاد رغم ما يدره من ارباح

يقول المخرج عن عمله الجديد

ـ ثمة اسئلة تؤرق عصرا باكمله ويحاول الفنان ان يجيب عنها بأدواته مثلا . الحقيقة كالشمس ، والشمس نور ونار ، فهل يحترق من يقترب كثيرا من الحقيقة ؟ !

السؤال صعب والجواب أصعب

أنطلق من حادث اغتيال . اغتيال رئيس الجمهورية في دولة عظمى كل مشاهد سيفهم أنني تناول اغتيال الرئيس (جون كينيدى) لقد قرأت تقرير لجنة (وارن) وهي اللجنة الرسمية التي حققت في اغتيال الرئيس الأمريكي وأكدت أن الذى اقترف الجريمة شخص فرد هو (أوزو ولد) قرأت أيضا كافة الكتب التي تحدثت عن القضية وأيقنت أن اللغز ما زال قائما لذلك تخيلت وكيلا للنيابة اسمه (هنرى فولنى) ، وهو شخص حلمت به الولايات المتحدة الأمريكية ولم تعثر عليه ، رجل يستأنف التحقيق ويقترب من الحقيقة لكن الحقيقة كالشمس تحرقه ، وحماة الحقيقة لا يسمحون لأحد ببلوغها

في البداية ،

يخيل للمشاهد أن المخرج يبحث عن العصابة التي اغتالت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وربما وجدها في وكالة المخابرات المركزية وعلاقاتها المتشابكة مع (المافيا) ومع بعض الحكام في أمريكا اللاتينية لكن المشاهد سرعان مايوقن بأن المخرج قد اتخذ اغتيال (كينيدى) اطار اغتيال ليجره الى تجربة علمية غاية في الأهمية هي تجربة العالم الأمريكي (استانلى ميلجرام) عن الاستسلام للسلطة

يقول المخرج عن ذلك

ـ أبحاث الأستاذ (ميلجرام) التي أجراها في جامعة (ييل) هي التي أوحت الي بفكرة الفيلم ، وعندما كتبت قصته عرضتها على هذا العالم الكبير وهو الذى وجهني في كل خطوة خطوتها

الاستسلام للسلطة

نقاد السينما الفرنسية أجمعوا بأن مشهد التجربة العلمية هو قمة الفيلم يقول المخرج

ـ الأستاذ (ميلجرام) كان يستقطب الناس في مختبره ليساهموا في اجراء تجربة تبدو للوهلة الأولى وكأنها لعبة لا خطر فيها التجربة تعرض على المشارك معاقبة زميل له بشحنات كهربائية متزايدة كلما خانته الذاكرة يبدأ العقاب بشحنة قدرها ٢٥ فولت ثم يتضاعف بالتدريج بعض المشاركين في التجربة وصلوا الى الشحنة القاتلة ٤٥٠ فولت تقد برات الأستاذ (ميلجرام) وزملاؤه قبل بدء التجربة افترضت أن نسبة ٢٪ من المشاركين فقط هي التي ستصل الى الشحنة القاتلة ذهل الأستاذ (ميلجرام) وزملاؤه عندما وجدوا أن أكثر من ٦٠٪ من المشاركين في التجربة قد وصلوا الى الشحنة القاتلة ومن حسن الحظ أن التجربة كانت مغلوطة حتى لا تسبب أذى لاحد ، فالذى يتلقى

ايف مونتان بطل (ايكار)

الصدمات الكهربائية ممثل تابع للمختبر والتعليمات الصادرة اليه تجعله يتظاهر بتلقي الصدمات الكهربائية لكن الذى يشارك في التجربة لايعلم أنها مفلوطة ، ولا يعرف أن زميله ممثل .

تجربة الأستاد (ميلجرام) ماذا تثبت ؟ !

تثبت أن الدكتاتور المتسلط لا يستطيع ـ بمفرده ـ تصفية كافة أعدائه ، ولذلك يستعين بآلاف الامعات الذين ينفذون أوامره الاجرامية متسترين خلف (أداء الواجب) . و (تنفيذ الأوامر)

خلاصة القول أن بعض المجتمعات المعاصرة قد حولت الفرد الى ترس في آلة ، إلى إنسان بلا ارادة غالبا ما ينفذ التعليمات والأوامر بصورة آلية ، وان أدى ذلك الى ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام انه إمعة مستسلم للسلطة استسلاما تاما ، وهذا خطر فادح على الحرية

ورغم أن مشهد التجربة يحث على التفكير العميق ، فان الفيلم يجمع بين الترفيه والتفكير ، ويستحوذ على المشاهد بمفاجآته الى آخر لقطة

المخرج أمضى أربع سنوات طويلة في القراءة والتأليف والمراجعة والاخراج ليقدم فيلما رائعا أجمع النقاد على اعتباره اتجاها جديدا في السينما الفرنسية ، واستحق عن جدارة جائزة (لوى ـ لوميير) الشهيرة

العلم والسينما

ما الذى يجمع بين عالم أحيائى ومخرج سينمائى ؟ !

سؤال حير الصحافة الفرنسية قبل أن تطلع على التفاصيل التالية

● المخرج الفرنسي الشهير (آلان رينى) يستعين بأبحاث عالم الأحياء الكبير (هنرى لا بوريت) لاخراج شريط روائى عن السلوك البشرى

● هنرى لا بوريت . جراح تفرغ للبحث العلمى ، وخاصة في مجال الأحياء ، فتوصل الى نظرية للسلوك تفسر تصرفات البشر في حبهم وكرههم ، في سلمهم وحربهم ، في مرضهم وصحتهم

● أبحاثه أثارت ضجة في العالم . الولايات المتحدة منحته جائزة (الأوسكار) ، والاتحاد السوفيتي سلمه جائزة (فيشنيفسكي) .

● سنة ١٩٧٤ م .. طلبت منه شركة ألمانية للأدوية تحقيق فيلم علمى عن دواء ينشط الذاكرة إشترط (لا بوريت) أن يقوم (رينيه) باخراج الفيلم لأنه الوحيد القادر على فهم أبحاثه ، بدليل الفيلم الروائي الذى أخرجه عن الذاكرة تحت عنوان (السنة الماضية في مارينباد) وافقت الشركة الألمانية ، فبدأ التعاون بين العالم الأحيائي والمخرج السينمائي

ما أن اجتمع العالم والفنان حتي أدركا أن بامكانهما أن يقدما عملا أهم من شريط علمى قصير وهكذا أمضيا خمس سنوات في كتابة قصة روائية تقدم احدى نظريات (لابوريت) الى جمهور السينما العريض

العالم والفنان اتفقا على اختيار نظرية الاعاقة ، وهي نظرية تثبت بأن الاعاقة الباطنية لحرية النشاط أو التعبير عند الانسان تولد غما ينجم عنه المرض .

لاثبات ذلك . أجرى العالم تجاربه على الفئران

أخذ قفصا حديديا به حاجز يقسمه الى جهتين : يمنى ويسرى . الحاجز به فتحة تسمح بالتنقل من جهة الى أخرى

ـبع بالجهة اليمنى من القفص فأرا ، وأرسل
عليها ـة كهربائية . أمام هذا الاستفزاز ، لجأ الفار الى
الجهة ـسرى من القفص

أعاد العالم تجربته عدة أيام ، ثم عدة أسابيع
فلاحظ أن رد الفعل كان دائما الهروب

تجربة الاستفزاز

خلال التجربة الثانية أغلق العالم الحاجز بين جهتي القفص ، ثم وضع فأرين في جهة واحدة ، وسلط على أحدهما شحنات كهربائية . فلاحظ أن رد فعله على الاستفزاز ينعكس هجوما على زميله الفأر ثم فحص الفأرين بعد عدة أسابيع من تكرار التجربة ، فلم يجد هما قد أصيبا بمرض .

خلال التجربة الثالثة وضع العالم فأرا في الجهة اليمنى من القفص ، وأغلق عليه الحاجز ليمنعه من الهروب ، وتركه وحده حتى يحرمه من التنفيس عن الاستفزاز المسلط عليه ثم بدأ يخصه بالشحنات الكهربائية انها الاعاقة الباطنية لحرية النشاط أو التعبير بعد أيام من تكرار التجربة ، لاحظ العالم أن الفأر يفقد الشهية ويصاب بالهزال . فاذا ما أطعم جسمه بخلية سرطانية فانه يصاب بالسرطان وكذلك الحال مع بقية الأمراض الخطيرة

يقول العالم في ذلك

ـ الفأر كالانسان ، اذا ما تعرض الى إعاقة باطنية لحرية النشاط أو التعبير ، فان جسمه يفرز مواد كيميائية ضارة لا يستطيع التخلص منها

نظرية الأستاذ (لابوريت) تأكدت صحتها من خلال دراسة أجريت في مستشفيات الأمراض النفسية ، حيث ظهر أن الذين يعانون من انفصام الشخصية ويعيشون في عالم وهمي هروا اليه أقل تعرضا للاصابة بالسرطان من غيرهم

هذا جانب من أبحاث العالم (لابوريت) لكن كيف ستقدم أبحاثه في اطار روائي يلفت انتباه المشاهد العادي الذي أفسدت ذوقه عشرات الأفلام الزاخرة بالتسلية الرخيصة ؟

هنا تبرز براعة المخرج ، وقدرته على تحويل البحث العلمي الجاف الى صور حية نابضة بالمواقف الانسانية التي تشد الانفاس

المخرج يستخدم صوت العالم في شرح سلوك الشخصيات ثم يحجب سياق الاحداث وهي في قمتها ، لينقل المشاهد الى المختبر ، وليعطيه تفسيرا علميا للسلوك الذي شاهده

يقول المخرج

ـ أريد انبهار المشاهد

اريده ان يخرج من القاعة ـ بعد مشاهدة الفيلم ـ وقد فهم لماذا يحب ويكره ، لماذا يسعد ويشقى ، لماذا يضحك ويبكي

وبعد ، هذا اتجاه جديد للسينما الفرنسية ، لا يقتصر على الترفيه وإنما يجتازه ، مستعينا باعمق الابحاث العلمية ، وصولا الى الادراك المستنير والوعي الصحيح وهو اتجاه طيب ، اذا ما حافظ على نقاء البداية ، ولم ينحرف في مساره كما انحرفت اتجاهات عديدة سبقته ■■

باريس ـ محمد صالح القمودي

هذه بضاعتكم !

● السيدة . هل تتفضل بان تزن لي هذه الحزمة ؟

القصاب . بكل سرور يا سيدتي انها تزن ثلاثة ارطال ونصف رطل .

السيدة شكرا لك . هذا هو العظم الذي وجدته في ارطال اللحم الاربعة التي اشتريتها منك امس !
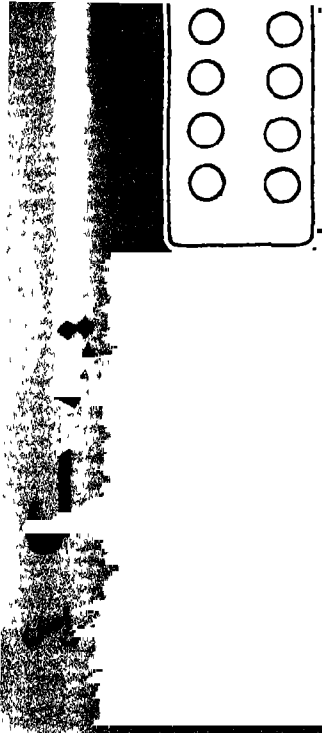
بقلم : الدكتور سامي عمران

لعل البشرية في تاريخها الطويل وتجربتها التي لا تنقطع مع المرض والعقار لم تجمع على دواء واحد ولسنوات طويلة مثل اقراص « منع الحمل » ففي بريطانيا وحدها تتعاطاها ٣ ملايين امرأة بانتظام وقد قررت منظمة الصحة العالمية أن ما لا يقل عن أربعين مليون امرأة يتناولنها في العالم اليوم ، حتى اصبحت من علامات هذا العصر

ان مزايا هذه الاقراص معروفة وذائعة ، ومن اهمها بالطبع انها تتحكم في النسل والانجاب بطريقة منظمة وعلمية وتكاد ان تكون مضمونة مائة في المائة ، (لا تتعدى نسبة الحمل ٠,١٪) ولكن لها اثارا جانبية عديدة لا يجوز اغفالها ومن الغريب انه بسبب هذه الاثار الجانبية المعدودة والمدروسة جيدا الآن ، فان الناس قد درجوا - بما فيهم الكثير من الاطباء - الى القاء اللوم على اقراص منع الحمل عند اي شكوى او مرض يصيب السيدة التي تستعمل هذه الاقراص ، وربما كان موجودا قبل ان تستعملها ، مما قد يسبب رأيا عاما مضادا لهذه الاقراص بين النساء وتنتفي بذلك العائدة منها

ويكاد يجمع كل الاطباء الآن أن أقراص منع الحمل عقار لا ضرر منه ، والدليل على ذلك هذه العشرات من الملايين التي تستعمله في العالم بدون اضرار تذكر بل ان الضرر الذي ينتج لا يقارن بالضرر الذي يلحق بالسيدة عند الحمل والولادة الطبيعيين ، ناهيك بغير الطبيعي منها

ومع ذلك فانه من الواجب تبصير الناس دائما « بالآثار الجانبية » لها المعروفة والثابتة علميا ، حتى لا يضيع الناس في متاهات الظن والتخمين والصاق الامراض بهذه الاقراص وهي منها براء

يمكن تقسيم الآثار الجانبية الى ثلاث مجموعات رئيسية ظاهرة - ونادرة - وخفية

أولا : الآثار الجانبية الظاهرة

وهذه عادة ما تخف وتزول بعد الشهور الثلاث

وهذا يعتبر من اهم عيوب اقراص منع الحمل لما يسببه من اضطرابات نفسية بسبب السمنة الزائدة ، وقلق زائد لدى السيدات عامة وخاصة في المجتمعات الحديثة التي ترفض السيدة البدينة . كما انه يعتبر السبب الرئيسي في التوقف عن استعمال هذه الاقراص بعد فترة من تعاطيها .

في الشهور الاولى تكون زيادة الوزن بسبب احتباس الماء في الجسم تبعا للتأثير الهرموني للاقراص اما في الشهور التالية فتكون نتيجة لازدياد الشهية نحو الطعام وهذا قد يحتاج الى اتباع نوع من انواع الحمية الغذائية للسيطرة على هذه الزيادة غير المرغوبة وخاصة اذا زاد الوزن عن ٣ كجم

٣ ـ الصداع غالبا ما تشكو السيدات من صداع (الم بالرأس) ينتابهن في الاشهر الاولى من بدء تناول الاقراص ويخف بالتدريج بعد ذلك ولكن اذا تحول الى النوع النصفي (مرض الشقيقة) فهذا ايذان بالتوقف عن استعمال الاقراص

٤ ـ الغثيان والقيء وذلك شائع الحدوث في الايام الاولى لاستعمال الاقراص وهو يشبه قيء وغثيان الحمل المبكر الى حد كبير لدرجة ان السيدة تظن نفسها قد حملت اثناء تناولها مما قد يسبب ارتباكا وقلقا حتى لدى بعض الاطباء ، ولكن سرعان ما تخف هذه الاعراض وتزول بتعود استعمالها .

٥ ـ الاكتئاب والاضطرابات النفسية الاخرى . غالبا ما تكون السيدة مصابة بهذه الحالة قبلا او لديها استعداد نفسي او وراثي لذلك ، وتكون الاقراص المانعة للحمل شيئا عرضيا في سير المرض وتطوره وعلاج هذه الحالة يكون بواسطة فيتامين ب ٦ (بيرودوكسين) واحيانا تشكو السيدة من « عصبية زائدة » فهي تثور وتغضب لاتفه الاسباب وربما انتابتها نوبات هستيرية من الغضب والانفعال كما انها قد تصاب بالقلق في كثير من الاحيان وقد يكون ذلك سببا لتوقف السيدة عن تكملة استعمال الاقراص

ومن الملاحظ ان تفاعل السيدات ورد الفعل لديهن بالنسبة لهذه الاقراص يختلف باختلاف طبيعتهن النفسية وهذه الاعراض تكون واضحة اكثر لدى السيدات اللائي لديهن استعداد نفسي لذلك وخاصة اذا كن من النوع الهوائي المتقلب الذي يسهل التأثير عليه .

٦ ـ تغيرات الرغبة الجنسية ، وذلك قد يكون عن طريق ازدياد الرغبة الجنسية او فقد هذه الرغبة

الاولى وبتعود استعمالها ، ومن هذه الآثار

١ ـ اضطرابات الدورة الشهرية ، عن طريق

ـ قلة دم الحيض وهذا في الحقيقة من مزايا الاقراص لانه يوفر كمية النزف الدموي التي كانت تفقدها السيدة كل شهر (حوالي ٦٠ سم) ـ لذا كانت نسبة مرض فقر الدم اعلى في النساء من الرجال

ـ انقطاع الطمث تماما ، وهذا قليل الحدوث ، وربما انقطعت الدورة الشهرية لسنوات حتى بعد التوقف عن تناول الاقراص

ـ نزول الدم بصفة متقطعة اثناء تناول الاقراص وهذا عادة يصاحب الاقراص ذات التركيز الهرموني المنخفض (١٥٠/٣٠)

ـ ازدياد الطمث الشهري عن المعتاد

٢ ـ زيادة وزن الجسم
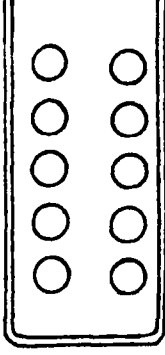
وتقلصها ، او ازدياد النشاط الجنسي ، او الوصول الى الارتواء الجنسي ، او الشعور باللذة الجنسية ، او الرضاء الجنسي ، او التخيلات الجنسية ، او التناسب او التناسق الجنسي .

وهذه الاعراض تختلف باختلاف السيدات وتعتمد اعتمادا كثيرا على الشريك الجنسي (الزوج) وثقافته الجنسية ، والحالة النفسية للسيدة . ولكن غالبا ما تشعر بعض السيدات ببعض الفتور الجنسي في الاشهر الاولى الذي يخف بالتدريج وبالتعود على الاقراص

٧ ـ تغيرات الثديين . وذلك ايضا له عدة ظواهر مثل ، زيادة حجم الثديين ، وظهور افرازات صفراء او حتى افرازات لبنية من حلمة الثدي ، وآلام الثدي ـ وهذه الاعراض ايضا تخف بالتدريج .

٨ ـ الاعراض الجلدية مثل كلف الوجه ويشبه كلف الوجه اثناء الحمل ، وزيادة القشر في شعر الرأس ، وسقوط شعر الرأس جزئيا ، واسمرار البشرة ، وظهور بثور الوجه التي تشبه حب الشباب ، والاصابة بالحكة الجلدية (بسبب ترسب املاح الصفراء) واصفرار الجلد (بسبب الصبغة الصفراوية) والعرضان الاخيران بسبب تأثير الاقراص في وظائف الكبد

٩ ـ التقلصات العضلية ، وهي تؤدي الى مجموعة من الاعراض آلام الظهر بسبب تقلص عضلات الظهر ـ آلام الفخذ بسبب تقلص العضلات الفخذية أو عضلات الساق ـ آلام اسفل البطن بسبب تقلص عضلات البطن وقد تكون حادة مما قد يؤدي الى تشخيص حالة حادة في البطن ، كالزائدة الدودية مثلا اذا كان في الجهة السفلى اليمنى

١٠ ـ الطمث المؤلم ، وتشعر به السيدة ـ وخاصة تلك التي انجبت العديد من الاطفال لاول مرة بعد استعمالها للاقراص ، وذلك بسبب التأثير الهرموني على عضلات الرحم واسباب اخرى غير معروفة .

١١ ـ الاعراض المهبلية ، وتكون عن طريق قابلية المهبل للاصابة بالفطريات كفطر المونيليا بسبب ازدياد الافرازات المهبلية وتغير حموضة المهبل مما يشجع نمو وتكاثر هذه الفطريات مسببة الالتهابات المختلفة ـ او ازدياد الافرازات المهبلية زيادة محسوسة وتكون ذات رائحة غير مقبولة اذا كانت مصحوبة بالاصابة بالفطريات المهبلية ـ كما ان بعض انواع من الاقراص تسبب جفاف المهبل

١٢ ـ الاتصال الجنسي المؤلم وله عدة اسباب منها الالتهابات المهبلية او جفاف المهبل او عدم الرغبة الجنسية وكلها من الآثار الجانبية لاقراص منع الحمل

١٣ ـ التهابات عنق الرحم ، وهذه ينتج عنها ازدياد في افرازات عنق الرحم مما يسبب زيادة في الافرازات المهبلية التي سبق ذكرها ، ومنها اصابة عنق الرحم بالقرحة ، والتهابات الغشاء المخاطي الداخلي لعنق الرحم

١٤ ـ ازدياد حجم الرحم والاورام الليفية يزداد حجم الرحم قليلا باستعمال اقراص منع الحمل ، وكذلك الاورام الليفية اذا كانت موجودة وكثير من الاطباء يحجم الآن عن وصف أقراص منع الحمل لسيدة يعلم ان لديها اوراما ليفية في الرحم وقد تسبب هذه الاقراص زيادة كبيرة في هذه الاورام بسبب تحللها كما يحدث في الحمل

١٥ ـ بعض التغيرات المتعلقة بالتمثيل الغذائي وهذه تشبه الى حد كبير التغيرات التي تحدث اثناء الحمل مثل . ارتفاع في نسبة عنصر الايودين (اليود) المتحد بالبروتين في الدم ـ ارتفاع في النسبة الكلية لهرمونات الكورتزون ـ تغير في وظائف الكبد تغير طفيف غير محسوس بواسطة الفحوص المخبرية العادية ، ولكن اذا حدث وظهر مرض الصفراء فتوقف الاقراص فورا ـ تغير في التمثيل الغذائي لفيتامين حمض الفوليك .

١٦ ـ الحمل ، اذا حدث الحمل اثناء تعاطي الاقراص فهناك احتمال اصابة الجنين بالتشوهات الخلقية عند الولادة ، كتشوهات الاطراف المختلفة او الاورام المهبلية او بعض عوارض الذكورة في الجنين الانثى

١٧ ـ عوارض الذكورة ، قد تسبب الاقراص ازد... نمو الشعر في الشفة العليا او على الذقن تحت تأثير هرمو... البروجيستيرون ، الذي يتحول في بعض مراحل تمثي... في الكبد الى هرمون الذكورة تستستيرون .

ب ـ الآثار الجانبية نادرة الحدوث

ويمكن حصر المعروف منها فيما يلي .

١ ـ ارتفاع ضغط الدم من المعروف ان الذي يتحكم في ضغط الدم هو التوازن بين هرمونين الاول تفرزه الكلية واسمه رينين والاخر يعرزه الكبد واسمه انجيوتنسين وينظم ضغط الدم في الانسان بطريق مباشر وبطريق غير مباشر اما الطريق المباشر فبواسطة الهرمونين السابقين على الشرايين المتوسطة السعة اما الطريق غير المباشر فبواسطة تحكم الجهاز العصبي المركزي على لب الغدة فوق الكلوية والتي تستجيب لشتى المؤثرات العصبية والنفسية (كالخوف والغضب) ، وتفرز هرموني الادرنالين والنورادرنالين وايضا تأثيره على قشرة نفس الغدة لافراز هرمون الاولدستيرون

وقد وجد ان اقراص منع الحمل تحدث اضطرابات في هذا الجهاز الهرموني الدقيق ، فقد تسبب ارتفاعا في نسبة هرموني الانجيوتنسين والاولدستيرون في الدم ، مما يسبب ارتفاعا في ضغط الدم ولكن الغريب انه بالرغم من هذه الزيادة الكبيرة في نسبة هذه الهرمونات في دم السيدات اللاتي يستعملن اقراص منع الحمل ، فان نسبة ضئيلة منهن تستجيب لهذه الزيادة بارتفاع كبير في ضغط الدم والغالبية العظمى يرتفع لديهن ضغط الدم ببطء ارتفاعا طفيفا في السنتين الأوليين من استعمال الاقراص

٢ ـ الجلطة الدموية ، بدأت القصة عام ١٩٦١ عندما اكتشفت حالة جلطة دموية مزدوجة في الشريان الرئوي لامرأة كانت تعالج بهرمونات المبيض (نفس هرمونات اقراص منع الحمل)

ثم توالت الاحصائيات المتضاربة بعد ذلك ، ففي عام ١٩٦٣ صدر تقرير عن هيئة الغذاء والدواء الامريكية بتحليل ٣٥٠ حالة من حالات الجلطة الدموية بانه لم يتوفر اي دليل بان هذه الاقراص ترفع من نسبة الوفاة بسبب الجلطة الدموية بين مستعملات هذه الاقراص وفي عام ١٩٦٥ صدر تقرير مخالف عن [لجـ]ـنة « سلامة الدواء » البريطانية بانه اكتشفت ١٦ [حالـ]ـة جلطة دموية خلال ١٢ شهرا بين مستعملات [اقـ]ـراص منع الحمل (في حين ان نسبة الجلطة الدموية [عـ]ـلى المستوى السكاني هي ١٣ حالة بين كل ٤٠٠,٠٠٠ [سـ]ـيدة تستعمل هذه الاقراص)

وتبلور التضارب بين كل هذا السيل من الاحصائيات من مختلف المراكز الطبية في العالم ، في ان السيدة السليمة التي تتناول اقراص منع الحمل عرضة بنسبة خمسة اضعاف للاصابة بمرض الجلطة الدموية عن السيدة التي لا تستعملها وقد هبطت هذه النسبة الى اربعة او ثلاثة اضعاف بتخفيض نسبة الهرمونات في الاقراص

اي انه بين كل مائة الف سيدة تستعمل الاقراص هناك ٢٠ أو ٣٠ سيدة سوف تدخلن المستشفى للعلاج من الجلطة منهن واحدة أو اثنتان قد تموتان كل سنة من مختلف انواع الجلطات الدموية

ولذلك يحظر استعمال الاقراص للسيدات اللاتي اصبن سابقا بالجلطة الدموية ، او اصبن بمرض قلبي شديد ، او ببعض انواع امراض الدم مثل سرطان الدم

وعلاقة مرض الجلطة الدموية باقراص منع الحمل علاقة معقدة وهي تزيد من قابلية الدم للتجلط بتأثيرها على الصفائح الدموية ، والعوامل التي تتحكم في الجلطة الدموية فقد وجد ان الهرمونات المكونة للاقراص وخاصة الايستروجين تسبب ارتفاعا في العامل رقم ٢ والعامل رقم ٧ والعامل رقم ١٠ وكذلك في نسبة مادة الفيبرينوجين في الدم كما تسبب انخفاضا في نسبة المادة المضادة لعامل الثرومبين التي تتحكم في هذا العامل في الدم مما يزيد من فرص الاصابة بالجلطة الى ٣ ـ ٥ اضعاف كما اسلفنا كما انها ايضا تسبب ارتفاعا في مادة الكولسترول في الدم ، التي تلعب دورا كبيرا في جلطة الشريان التاجي بالقلب ويبدو ان الآسيويات والافريقيات لديهن مناعة ضد الجلطة الدموية كما ان ذوات الفصيلة (A) من فصائل الدم اكثر تعرضا للجلطة من ذوات الفصيلة (O) ويجب علينا الا ننسى ان الحمل ايضا يسبب الاصابة بالجلطة الدموية وان حملا واحدا يساوي في الخطورة ١٥ عاما من تعاطي الاقراص

٣ ـ سرطان الثدي والرحم والمجاري التناسلية السفلى ، وهذا اثر جانبي افتراضي وليس هناك اي دليل علمي او عملي على ذلك وقد وجد ان تكرار الاتصال الجنسي اخطر كسبب لهذا المرض الوبيل من اقراص منع الحمل .

٤ ـ التأثير على تمثيل مادة الكربوهيدرات في الجسم تؤثر اقراص منع الحمل في منحنى السكر في الدم . وقد تزيد من فرص الاصابة بمرض البول

السكري الكيميائي وقد تسبب ازديادا في الحساسية للجلوكوز ، وتسبب ارتفاعا في نسبة الانسولين في الدم وبتأثيرها على الكبد تؤثر على تكوين الانزيمات المتداخلة في تمثيل الجلوكوز في الجسم

٥ ـ التأثير على تمثيل الدهنيات في الجسم قد تحدث اقراص منع الحمل ارتفاعا في نسبة الدهنيات في بلازما الدم مثل « التراجليسرايدن » ، والدهنيات الفوسفورية ، والكوليسترول والدهنيات ذات الكثافة المنخفضة وهذا الارتفاع قد يؤدي الى بعض الظواهر الاكلينكية غير الحميدة في الجسم

٦ ـ التأثير على الفيتامينات فقد يؤدي تعاطي اقراص منع الحمل الى نقص في فيتامين ب ٦ اللازم في بعض خطوات التمثيل الغذائي لبعض الاحماض الامينية في الجسم وربما ادى ذلك الى حالة الاكتئاب العصبي او النفسي الذي سبقت الاشارة اليه وقد ثبت ان بعض من حاولن الانتحار وجد لديهن انخفاض في نسبة السيروتينين في الدم ، وهي احدى هذه الاحماض

فيتامين ب ١٢ ، فيتامين حامض الفوليك ، فيتامين ح ، وهذه قد يؤدى تعاطى الاقراص ، الى انخفاض نسبتها في الدم وخاصة في الكريات الدموية البيضاء والصفائح الدموية

ويؤدي نقص الفيتامينات ايضا الى بعض امراض الجلد النادرة كالالتهاب العصبي الجلدي وبعض امراض الاوعية الدموية النادرة مثل تقلص شرايين الاصابع ـ اضطرابات الابصار وامراض الحوصلة الصفراوية وبعض الامراض العصبية ـ اختفاء الطمث نهائيا ـ التهابات المثانة البولية ، قرحة الاثني عشر ـ الانفلونزا المعدية ، الحساسية الانفية ـ الطمث الزائد .

ومن ناحية اخرى ، تؤثر اقراص منع الحمل تأثيرا سلبيا على كل من مضادات الجلطة الدموية ، مضادات الصرع ، مضادات الاكتئاب ـ مهبطات ضغط الدم ، المضادات الحيوية ، مضادات مرض السكري ـ المهدئات العصبية

ففي كل هذه الحالات تبدل جرعة الدواء للتحكم في المرض ، والا حدث الحمل بالرغم من تعاطي الاقراص المانعة له كما قد يصبح التحكم في مرض (كالبول السكري) صعبا مع تعاطيها

ثالثا : الآثار غير المرئية

وهي التي لا تظهر الا بعد تحليل الدم او البول ، ويمكن رصد هذه الآثار على النحو التالي

ـ الاملاح المعدنية كالكالسيوم والفوسفور والحديد والزنك والنحاس ، قد تزيد وقد تنقص نسبتها في الدم

ـ الفيتامينات وقد سبق الاشارة الى بعضها

ـ الهرمونات مثل هرمونات الغدة الصنوبرية وهرمونات المبيض وهرمونات الغدة الكظرية (الكورتزون ومشتقاته) قد تزيد وقد تنقص في الدم

ـ بروتينات الدم كالزلال وبروتينات التجلط الدموي ومضاداته وبروتينات ملتصقة بالهرمونات ـ والاحماض الامينية معظمها ينقص وبعضها يزيد في الدم

اخيرا ، فان الخلاصة التي يمكن ان ننتهي اليها من هذا الاستعراض هي

ـ قد تعطي هذه التغيرات في العناصر المكونة لبلازما الدم تفسيرا لبعض الآثار الجانبية

ـ لم تزد الاقراص في نسبة الوفيات بين النساء ـ فما زالت نسبة الوفيات المتعلقة والمتسببة بالحمل ومضاعفاته كما هي

ـ تعاطي هذه الاقراص ادخل في الطب الوقائي حقلا جديدا باعطاء أشخاص أصحاء تماما عقارا قويا ولسنوات عديدة فوجب توفير كافة الضمانات والسلامة لهن

ـ لا توجد دلائل على ان الاقراص تسبب سرطانا في الجنس البشري (ربما في حيوانات التجارب)

ـ بتغيير الاقراص يمكن التغلب على كثير من الاثار الجانبية

ـ حتى الآن فالاقراص هي الوسيلة الاولى للحد من الانفجار السكاني الرهيب الذي يهدد بعض دول العالم

ـ تلعب الحالة النفسية للمرأة دورا هاما في ابراز الآثار الجانبية لهذه الاقراص

ـ يجب الاحتياط عند تعاطي عقار آخر لامراض معينة حتى لا يحدث الحمل ■

د سامي عمر

قوانين غريبة ٠٠ عجيبة

– فى (ماين) احدى المقاطعات الشمالية فى الولايات المتحدة يمنع قانونا خروج المرء الى الشارع دون ربط اشرطة حذائه !

– وفى مريديان بولاية ميسيسبى الامريكية يمنع الباعة من الضرب على الطبول اثناء فترة التمشى بعد الغداء فى الشوارع ٠

– أما فى لاكروس بولاية ويسكونسن فيرتكب المرء خطا قانونيا اذا قام بلعب الورق (الكوتشينة) فى الاماكن العامة ٠

– ويشترط أحد قوانين (برايناردفى مينسوتا) على كل رجل اطلاق لحيته لكى تكبر وتطول ٠

– وفى (هاموند/انديانا) يرتكب الفرد عملا مخالفا للقانون اذا قام برمى بدور البطيخ على الرصيف المخصص للمشاة ٠

– وفى لوس انجلوس ممنوع قانونا كتابة الرسائل البريدية التى تحمل شكوى حول وجود نفايات المطابخ فى غرف الفنادق ٠

– أما من يقوم بتقبيل انسان حسب العادات والتقاليد فانه يمنع فى مقاطعة انديانا من اطلاق شواربه ، بل يجب عليه قصها ٠

– وفى (ويسكونسن) هناك نص قانونى على انه اذا تناول المرء وجبة طعام تكلف أكثر من ٢٥ سنتا ٠ فمن حقه ان يحصل على ١٩ جراما من الجبن مع الوجبة ٠

– وفى شمال (كارولينا) ممنوع بتاتا تناول الماء او الحليب فى القطار ٠

– فى (ريفرسايد/كاليفورنيا) يرتكب الانسان خطا قانونيا اذا قام بتقبيل آخر على الشفاه ٠ واذا حدث ذلك فعلى الطرفين غسل شفاههم بسائل خليط من حامض الكاربوليك وماء الورد ٠

– وفى (كونكورد نيوهامبشاير) يمنع العمال والموظفون قانونا من العمل وهم حفاة ٠

– ولاجل اصطياد الفئران يجب على المرء (فى كاليفورنيا) ان يحصل على اجازة صيد بنصب الفخ المخصص لذلك ٠

– وفى كنتاكى (ولاية الدواجن) يمنع منعا باتا رمى القطع الفخارية اثناء فترة تفقيس البيض ٠

– وكل شخص يركب دراجة هوائية فى (بويبلو/كولورادو) يجب ان يحمل ناقوسا للتنبيه ٠

– أما فى نيويورك فيمنع قانونا ادخال الهيكل العظمى (للانسان) الى الشقق المؤجرة ٠

– كما يمنع منعا باتا تخويف الاطفال الصغار فى (ميلوى/ميسورى) ٠

أوروبا تسأل

والسينما تجيب ولا تجيب

بقلم : الفاروق عبد العزيز

ايها السادة ان اسهام اوروبا في خلق وتطوير الفن السينمائي عبر قرن كامل من الزمان يوشك ان تحمله العواصف بعيدا عن شطآننا لننقذ السينما الاوروبية من أزمتها فقد حان الوقت

هكذا تحدث الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان في رسالته الى المجلس الثقافي الاوروبي المنبثق عن السوق الاوروبية المشتركة منذ بضعة شهور

واسك المجلس يدرس ما اسماه بأزمة السينما الاوروبية والصعوبات التي تواجهها امام ما اطلق عليه الكاتب والسياسي الفرنسي جان جاك سيرفان شرايبر « التحدي الامريكي » في كتاب بنفس العنوان أصدره قبل عشرة اعوام لم يكن شرايبر يتحدث صراحة عن التحديات الثقافية (وربما اعتبرها اقوى المواقع في مواجهة التحدي الامريكي بل اقتصر حديثه على الاقتصاد والسياسة . ولكن المجلس اعتبر ان اوروبا يمكن ان تحقق في احداث اي تقدم - بالنسبة الى امريكا - الا في ميدان الثقافة !

هذا اعتزاز اوروبي قومي !

وتوالت الآراء حول نقص السيولة وهجرة الفنانين والفنيين الى الولايات المتحدة الامريكية ومشكلات التوزيع واستغلال الاستوديوهات لخدمة الانتاج الامريكي وانحسار تأثير الفيلم الاوروبي امام المنافسة

عادت بنا الذاكرة الى حالة السينما الاوروبية في نهاية الستينات ومطلع السبعينات سينما تمور بالحركة الموجة الجديدة وسينما المؤلف والسينما السياسية الثانية (بعد السينما الاولى وهي الهوليوودية الامريكية) ورؤى جديدة تماما للعالم ولكن الى ماذا انتهى هذا كله ؟

ولماذا تزخر اوروبا اليوم بتساؤلات تجيب عنها سينماها حينا ولا تجيب احيانا ؟

هذا هو السؤال الاساسي الذي اجتمع من ا... المجلس الاوروبي وهذه هي ابعاد الموقف على ا... الثمانينات في اوروبا الغربية

« مسلسل اسود » تنويعات فرنسيه على عالم دوستويفسكي .

هؤلاء يتساءلون ويجيبون احيانا ، لماذا « توقف المسيح في ايبولي »

هذا هو عنوان فيلم المخرج الايطالي الكبير فرانشيسكو روزي وفي الوقت نفسه هو عنوان كتاب الدكتور كارلو ليفي الذي رحب بفكرة اخراج روزي لفيلم عن كتابه قبل ستة عشر عاما . وقد ذكر روزي أنه تحمس كثيرا للفكرة « وخاصة بعد ان شاهد الدكتور ليفي فيلمي « سلفاتوري جوليانو » في عام ١٩٦٣ ولكن مشاغل كثيرة طارئة حالت دون اخراج الفيلم وقتها والآن جاء وقت انتاج هذا الفيلم . فايطاليا اليوم ما تزال في الواقع كما كانت عليه في الكتاب الذي الفه ليفي قبل اربعة وثلاثين عاما . وهذا هو تاريخ كل يوم التاريخ الحي المعاش الذي ينبغي ان تتوقف عنده السينما »

لم يكن من الصعب على احد ان يدرك ان روزي سار عن خط متصل من الفكر انتظم فعله وقوله منذ عشرين عاما فروزي (الذي ولد بنابولي عام ١٩٢٢) قد جاء مما يعرف في المدن الكبرى - « بالاحياء القذرة » . وقد اختار روزي منذ بداية عمله في السينما عام ١٩٥٨ ان يقف الى جانب كل قوى التعبير في المجتمع فردية كانت أو جماعية وقد امكن لروزي كمجدد سينمائي خلاق ان يبتكر اسلوب التحقيق السينمائي (على غرار التحقيق الصحفي) الذي برع فيه في « الايادي فوق المدينة » (التحقيق بالوقائع) وفي « قضية ماتي » (التحقيق الصحفي) وفي « جثث اصحاب السعادة » (التحقيق الجنائي) في « ايبولي » هناك نوع من التحقيق يقوم به البطل . وهو بطل يختلف عن الابطال الذين اعتدناهم ، فهو لا يقدم الحدث الرئيسي ولا يؤخره ولكنه يشارك بالملاحظة والتسجيل والمشاركة المحدودة ، وتتطور شخصيته وتنمو بفعل التطورات المحيطة ذاتها الى ان تصل الشخصية الى درجة عالية من الايجابية مع الواقع المحيط والدكتور كارلو ليفي شخصية واقعية ولد في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٠٢ في تورين في شمال ايطاليا ودرس الطب وبدأ الرسم في الوقت ذاته وفي عام ١٩٢٩ انضم الى جماعة فنية اطلقت على نفسها اسم « رسامو تورين الستة » وفي العام التالي اسس الدكتور ليفي حركة نضالية مناهضة للفاشية أسماها حركة العدالة والحرية وخلال هذا العام ايضا قام ليفي بعرض اعماله في لندن للمرة الاولى ثم اصبح يدير صحيفة في روما ، بعد اعتقاله بسبب اشتراكه في المقاومة وقد كتب

الدكتور ليفي ثمانية مؤلفات ، بينها « توقف المسيح في ايبولي » وبطلنا في هذا الفيلم رحل مثقف ثوري وفنان وكاتب وطبيب نفي من الشمال العني الى قرية منسية في الجنوب حيث يتلقى عقوبته وقد كانت العقوبة هنا مجالا حصبا ورائعا لتأجيج نار الثورية في صدر المنفى فهذا بطل مناسب لواقع مناسب ولكن الدكتور يؤثر الصمت ومتابعة ما يدور حوله حتى النصف الاول من الفيلم قبل ان يتحول الى شخصية مشاركة مع نهاية الفيلم وايبولي هي محطة ينتهي عندها القطار ليبدأ بعد ذلك رحلة سيارة الارياف المتهالكة الى القرية المنسية وقد أورد روزي في مقدمة الفيلم هده الكلمات (بصوت جيان ماريا فولنتني الذي قام بدور الدكتور ليفي) « لم يصل المسيح ابدا الى هده النقطة ولا حتى الزمن او الذات الفردية او الامل او العلاقة بين السبب والنتيجة او بين العقل والتاريخ » بعد ايبولي بدأ الدكتور ليفي يكتشف الثقافة المعاشة في تفاعلها مع الواقع وهو واقع يعترف في كتابه بأنه لم يكن يتصور وجوده قط عناصر القرية التقليدية حاضرة القس والبرجوازي الصغير الممثل في العمدة وبعض الملاك المحدودي الدخل ، والعالبية من الفلاحين المعدمين في القرية المنسية يتوقف التاريخ فهم لا يسمعون عن ايطاليا او العالم الخارجي شيئا ولا يتابعون مع راديو العمدة العتيق سوى خطاب الدوتشي موسوليني وهو يعلن « غزو الحبشة » ويصفق اهل القرية دون ان يسوا ان يتساءلوا عما تكون الحبشة واين تقع ولماذا يغزوها الدوتشي

يسجل الدكتور ليفي نفسه في سجلات العمدة الذي يحذره من الاتصال بأي من المنفيين العشرة الآخرين في القرية ويخرج الدكتور ليفي الى طرقات القرية ليعاين البؤس المنتشر وتحيط به نسوة القرية بعد ان علمن بأنه طبيب ، ويطلبن منه بالحاح معالجة اطفالهن ولا تفيد احتجاجات الدكتور بانه لم يعد طبيبا ولم يمارس المهنة منذ زمن طويل

يكتشف ليفي ان علاقات اهل القرية بذويهم المهاجرين الى الولايات المتحدة اقوى من علاقاتهم مع حكومة روما ، سواء كانت حكومة فاشية ام ديمقراطية ام اي شيء آخر

وعندما تزوره اخته لبضعة ايام يجد ليفي ساسا يستطيع ان يسمع له وان يناقشه . ويقول لها ، هذا الاقليم كله ـ الذي لم يكن يعرف عنه الكثير في الواقع ـ محكوم ببرجوازية صغيرة مضطرة لاستغلال الفلاحين لانه لا يوجد سبيل آخر للعيش وان هذه البورجوازية ، تتحول بسهولة الى فريسة للفاشية وتوفر دعاية لها نتيجة لهذا الوضع وتكون زيارة اخته بالنسبة له بمثابة نقطة تحول فيقرر الدكتور العودة الى رسم الوجوه المكدودة والكتابة عنها ، الى ممارسة الطب رغم معارضة السلطات المحلية ويستمع الى الناس والى المرأة القروية (جوليا) وتلعب دورها ايرين باباس ويستمع الى خرافاتها واساطيرها الشعبية التي تكشف له عن ثراء الخيال وخصوبته لدى اهل الجنوب

بروفة الاوركسترا « الخطر يكمن في اعماقنا » ـ فيلليني

« لم اشأ تقديم عمل سياسي ولكني اردت رواية حكاية اخلاقية لقد سعيت ببساطة الى دفع المشاهدين الى الشعور بشيء من الخجل كما لو كانوا قد اصيبوا بمرض » ـ

« ان الخطر يكمن بداخلنا وليس فيما هو خارج عنا ولكي اقول الصدق فاني كنت افضل الا يناقش « بروفة الاوركسترا » لكي يظل محتفظا بعرائه وتأثير الانفعال القدسي على كل مشاهد وفي رأيي فان الفيلم يجب ان ينقل الى المشاهد نوعا من الشعور بالرعب وبالعاطفة ، نوعا من الشعور بالعار وبلوعة الارهاب اليومي الذي نعيشه »

والحكاية هنا اننا بصدد بروفة في يوم عادي لاوركسترا سيمفوني واصل كلمة « سمفوني » يعني ان تعزف كل آلة في تناغم وفي وقت واحد تقريبا مع الآلات الاخرى ، الامر الذي يبدو عسيرا للغاية مع هذه الاوركسترا فكل عازف يحمل رؤيته للاوركسترا ولدوره وللموسيقى السيمفونية وتحليله الخاص لدور المايسترو ولآلته التي يعزف عليها العازفون ليسوا جميعا من روما وبعضهم يتحدث بلكنة ساردينية والآخر صقلي والبعض من الجنوب النابوليتاني الاوركسترا خليط

ل ان يحضر المايسترو يقدم كل عازف نفسه والته ـ شكل « انترفيو » (لقاء تلفريوني) فيحدثنا مباشر في عين الكاميرا عن همومه وتصوراته كل في واد وكل يعتقد بأهمية آلته وخطورة دورها في الاوركسترا وكل لا يحترم المايسترو

عندما يحضر المايسترو يسكت الجميع ويبدأون البروفة ولكن « عناصر » من هنا وهناك تبدأ النشاز ويوقف المايسترو البروفة يعيد من جديد يوقفها ومع كل وقفة ترتفع درجة التوتر يستريح المايسترو في حجرته قليلا الشعارات على الجدران « تسقط الفاشية » و « تحيا الفاشية » كل الاحزاب الايطالية تمثل كلها تقريبا في معارك شعارات الجدران أناس يبكون وآخرون يضحكون

وفي وسط العازفين الذين يبدون ككرنفال عشي يظهر المايسترو من جديد بقميصه الاسود ليلقي خطبة فاشية رهيبة نصفها بالايطالية والآخر بالالمانية وسط صياح العازفون ويخرج اللحن هذه المرة متساعيا والاوركسترا في كامل استعداده

فهل تنتظر ايطاليا ـ في رأي فيلليني ـ عودة الفاشية ؟

من يخرجهم من عنق الزجاجة ؟

في مطار تشيامبينو في روما تحط طائرة يهبط منها رجل اعمال ديناميكي ، يتوجه الرجل الى حيث ينتظره سكرتيره امام سيارة « جاجوار » فاخرة يجري رجل الاعمال بعض الاتصالات من سيارته وهي تنطلق في الطريق الرئيسي الى المدينة فجأة تبرز زحمة سير ما تلبث ان تتكاثف ليختنق المرور فوق الطريق الذي يتحول الى عنق زجاجة حقيقي

من سوء طالع رجل الاعمال الكبير ان تتوقف سيارته بجوار سيارة فيات مصعصعة تتكدس فوقها عشرات المنقولات وداخلها كومة بشرية (زوج وزوجته وجدة واولاد وبنات من كل الاعمار) اسرة من نابولي

من هذا التناقض ينطلق المخرج ليعرض بانوراما

اوسكار عازف الطبلة يشارك الافراد استعراضهم « قررت ان اوقف نفسي عن النمو لكيلا ادخل عالم الكبار

كاملة للوضع الايطالي برمته . ولكن على الطريقة الايطالية ، انه لا يركز على حالة واحدة يعالجها انه فقط يمضي بكاميرته ليصور ـ باسلوب الموزايكو او الفسيفساء المعمارية ـ قطعا قطعا من المشهد الشامل ، وعليك انت ان تتولى تجميع هذه القطع في نسق واحد متصل لكي ترى صورة واحدة متكاملة

وغير « بعينات » مختلفة .

سيارة جديدة . زوجان في حوالي الخمسين . متحابان في طريقهما للاحتفال بمرور ٢٥ عاما على رواجهما شاب في فولكس واحن عصبي المزاج ، مثار يريد ان يصل الى ماريا التي يتصور انها تنتظره بأية وسيلة مرسيدس فاخرة فيها رجال اربعة مسلحون يضحكون كالمتخلفين عقليا . سيارة إسعاف بها مصاب ينزف بسبب صدمة باص عند تقاطع المشاة على اليمين محطة وقود ومقبرة للسيارات ، والى اليسار كوخ معزل مصنع كياويات ، يلوح في الافق ومشروع طريق علوى للسيارات لم يكتمل

ماذا يفعلون ؟

مصور فوتوغرافي لموضات ملابس النساء يصور موديلاته الحسناوات في سيارته فتاة وحيدة في سيارة ستروين قديمه معها جيتار تعزف عليه شبان ثلاثة في رينج روفر يبدون واثقين من أنفسهم يعاكسونها فتصدهم شاب اوتوستوب يقف وسط « العنق » حاملا لوحة يرجو فيها دوي القلوب الرحيمة توصيله الى نابولي . وامرأة تترك سيارة الاخرة ، لان السائق رفض ايقاف العداد وتنضم لفتى الاوتستوب في طريقها الى نيبال ممثل شهير يغادر سيارته فيتحلق الناس حوله لانه مرهق فيقتاده معجب الى حيث يسكن في الكوخ المجاور تخرج الناس من السيارات بأجهزة راديو ترانزستور ويتابعون مباراة للكرة ويصيحون ويرقصون ويرفعون الاعلام ايطاليا فازت

مع حلول الليل يتصاعد التوتر ، الشبان الثلاثة يغتصبون فتاة الجيتار الوحيدة ويضربون شابا ، حاول الدفاع عنها الكل يرى ولكنه لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم الممثل يبيت ليلته في الكوخ ويقوم من نومه حره ... لممارس الجنس مع زوجة مضيفه ولكنه يفشل ... ع الماء الزوجان السعيدان يتشاجران الاسرة الفقيرة ... وبعض المأكولات الاسرة ذاتها تتشاجر حول لاسم الشابة التي ترفض الاجهاض وهي غير متروجه

من السهل ان تكتشف رموز هذا العمل فما نراه هو في الواقع صور وحالات فردية لكنها على المستوى الرمزي (القراءة الاخرى للعمل) تكشف عن حالة عامة ذات دلالات متشعبة

وفيما يبدو فان معظم المخرجين الايطاليين يشعرون بنوع من الفوضى بعد ان وصلت كافة اشكال الازمات الى عنق زجاجة حقيقي وقد شاهدنا في فيلم « بروفه الاوركسترا » لفيلليني معالجة اخرى لنفس الموضوع على مستوى رمزي ايضا ولكن الحل الذى طرحه فيلليني ـ على طريقته ـ هو دخول كرة حديدية صماء ضخمة ، الى القاعة التي تجرى فيها البروفة لتحطم الجدران ، ويسود صوت المايسترو ذي القميص الاسود

من يقرع الطبلة ؟

« طبلة الصفيح » هي الرواية الشهيرة للكاتب الالماني المعاصر جونتر جراس . وليس في الفيلم ـ السيناريو الذى كتبه فولكر شلنيدروف بالتعاون مع كاتب السيناريو الكبير جان كلود كابير ـ حكاية تقليديه تبدأ من موقف وتتطور الى عقدة تنتهي الى حل ولكنه متابعة لجانب من قصة حياة طفل هو اوسكار ماتريرات (لاحظ ان العائلة يهودية) وتبدأ حكاية اوسكار قبل مولده حين يفتتح الفيلم برجل مطارد يختبىء تحت سروال امرأة قروية من أعين الشرطة ويتزوج الرجل هذه المرأة وينجب منها ولدا يكبر ويتزوج اخرى ويعمل الابن الكبير بقالا في مدينة دانزيج البولندية (الالمانية فيما قبل النازية) والمعروفة حاليا باسم جدانسك وترتبط الام (انجيلا ويكلر) بعلاقة غرامية بشاب بولندى يعمل في مكتب المدينة هو دابييل او لبرخسكي وتثمر علاقتهما المحرمة ميلاد اوسكار وهكذا يكون للطفل القادم الى عالم الكبار ابوان احدهما شرعي والاخر شرعي ويظل الاب غير الشرعي على علاقة بالام وبالعائلة طوال الوقت

سكار في عام ١٩٢٤ ملاحظ ان
من سنه طوال الوقت مهو يتعاطف
ع الواقع الخارجي ـ الموجودات
ـة تشككية واضحة فهو لا يقبل اى
تصرفات صغيرة ويكسر في عينيه
ففي احتفال بعيد ميلاده الثالث
ت المائدة ليرى قدم والده الحقيقي
د الى حجر والدته وفي هذه اللحظة
ن رفضه الكامل لهذا العالم

ر طويلا يلقي اوسكار بنفسه من فوق
نتيجة هي ما اراده اوسكار وحلم به
ويتوقف نموه الجسماني فلا يصير كبيرا
وتبدأ رحلة اوسكار مع طبلته
وعد بها في عيد ميلاده هذا وتمثل
ستظل معه طوال حياته ـ وسيلته
الذي يعلن به احتجاجه على ما سيراه في
مد

ره يكتسب اوسكار ميزة جديدة قدرته
راخ الى الدرجة التي يتحطم عندها اى
ويظل اوسكار وطبلته وصوته بمثابة
ج والتمرد الوحيدة في العصر الذي شهد
طرتها

ل نازى بعرض عسكرى وجماهير حاشدة
الى اسفل منصة الاحتفال ويدق بطبلته
ل احتفال اصحاب « القمصان البنية »
لرقص الفالس على انغام الدانوب

ان ايضا يتعرف على اصدقاء له يعملون
ميعهم اقزام ويجوب معهم اركان المانيا
لجبهة ويقع في غرام قزمة جميلة تموت في

الرسمي وتموت امه بمرض غريب تأكل فيه
. ويموت أبوه الفعلي في هجوم على مركز
يج ـ وهو الهجوم الذى شهد اول طلقة في
العالمية الثانية ويطرد ماركوس (شارل

الدكتور كارلو يسافر الفن في العربه المسية في « راسولي » في منتصف الثلاثينات الفاشيه تؤكد التخلف »

ازنافور) التاجر اليهودى الذى كان يعطيه الالعاب مجانا (لاحظ اختيار شخصية اليهودى هنا حبيب الاطفال البرىء القلب)

ويصر اوسكار على ان يعاشر زوجة ابيه الشابة ويفعل وتغمره تساؤلات مطلقة حول الموت والجنس والحياة وتنتهي قصته

في الرواية كما في الفيلم ، هذا الميل الشديد الانحدار الى مرح الواقع باساطير ما وراء الواقع الغريبة الشديدة الالمانية وكأنها مستمدة من حكايات القبائل الجيرمانية المتوحشة في الالف الاول للميلاد

ان كثيرا مما هو كامن في اوسكار ماتريراث يمكن ان نعثر عليه اليوم في جيل الحاضر الشاب ان كثيرين يودون لو أمكنهم الفرار من عملية التحول الى البلوغ بما تنطوى عليه من مسؤوليات تقتحم حياتهم لهذا تبدو لي شخصية اوسكار شخصية حية معاصرة لانها مأسورة بشكل دائم في نطاق الحاضر »

هير تزوج يسأل عن فويتسيك !

ما هي حكاية الجندي فويتسيك التي سجلها الاديب الالماني الشاب جورج بوشنر في عام ١٨٥٠ ؟

دخل فويتسيك (وهو شخصية حقيقية) الجندية بين عامي ١٨٠٧ ـ ١٨١٨ وتقلب في اسلحة مختلفة وتزوج وانجب طفلا في ٢١ يونيه ١٨٢١ ذبح فويتسيك زوجته واوقف واعدم بعد محاكمة وتحقيق وفحص لقواه العقلية في ٢٧ اغسطس عام ١٨٢٤

واسترعت هذه الفكرة المختصرة انتباه الاديب الالماني الشاب جورج بوشنر ، الذي ترك رغم عمره القصير ٢٤ عاما اعمالا روائية عديدة ويكفي ان اذكر ما قاله الاديب الطبيعي الالماني الكبير جيرهارد هاويتمان عن بوشنر « لقد كانت اعماله بمثابة وحي وكشف للادباء الالمان في القرن التاسع عشر ان روحه معنا وفينا »

لقد بنى بوشنر ومن بعده هيرتسوج احداث الرواية في الفيلم بناء على وقائع من حياة فويتسيك وفي مدينة صغيرة في منتصف القرن التاسع عشر كان يعيش الجندي فويتسيك . يقوم بأعمال عديدة لاسعاد زوجته ماري وطفلها ولكن لا احد يدري ماذا اصاب فويتسيك فهو يتخيل انه يسمع اصواتا ويرى رؤى يشعر بالقلق ويحادث نفسه . يفحصونه ولا يكتشفون شيئا

وذات يوم تقف زوجته بالشرفة فترى فرقة موسيقى الوحدة العسكرية قائد الفرقة يعازلها وتستجيب لعزله وتصير الزوجة فريسة سهلة للكابتن الذي يراقصها على مرأى ومسمع من فويتسيك يترك فويتسيك انطباعاته عن كل شيء وتأملاته العلوية الى صديقه اسدريه ويذهب الى محل اليهودي من فوره ويشترى سكينا ويستدرج ماري قرب الغدير ويذبحها

ماذا في « فويتسيك » ؟

في الفيلم إحساس قوي بالعنف . وقد يكون العنف وثيق الصلة بالادب وربما بالشخصية الالمانية ولكن العنف هنا يصب في العمود الفقري للعمل عنف الواقعي الذي يعيشه فويتسيك في حياة الجندية عنف الطبيب وقائده وعنف الكابتن الذي يسرق زوجته والمثير ان رد فعل فويتسيك في البداية كان الامعان في هلوساته وتصوري ـ وهذا جانب من ثراء قصة بوشنر ـ ان الهلوسة كانت محاولة من الجندي للهرب من ضحالة وشظف وعنف الواقع الذي يعيشه فالتحقيق الفعلي قطع بأنه كان صحيح العقل عندما ذبح زوجته وهذا قد يدعم التفسير الذي اتصوره بادعائة الهلوسة

« الشقية » والمسلسل الاسود وغياب الفن العظيم

في مهرجان كان الاخير وقف فيليب لوكا وزير الثقافة الفرنسي ليعلن عن حلول مقترحة لما اسماه « ازمة السينما الفرنسية » وفيما يبدو فان لوكا قد نجح في تشخيص الداء بقوله « ان السينما الفرنسية قد اكتفت من السينما بالتجريب وتركت لاميركا التجارة » ورغم ان هذا قول شديد العمومية ولا ينطبق بالضبط على انتاج السينما الفرنسية الفعلي الا انه مقبول بشكل عام

فنظرة سريعة خلال قائمة انتاج ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ لشركة واحدة رئيسية ـ مثلا ـ كأوبيفرانس فيلم ، تجد ١٠٠ فيلم جاهزة للتوزيع العالمية العظمى منها افلام قليلة التكاليف انتجت لاعراض تجارية القليل هو الذي يصمد فنيا لاستناده لاسماء جديرة بالاحترام

فورة الخمسينات والموجة الجديدة بسبب هجمة مخرجي الموجة انفسهم الى قلعة الصناعة السينمائية العالمية في هوليوود ففرانسوا تروفو يؤلف عن هيتشكوك ويشترك في تمثيل « لقاءات النوع الثالث » لسبيلبرج وشابرول يخرج في هوليوود فيلمين قبل ان يعود الى فرنسا « بفيوليت نوزيير » وجودار التجريبي الوحيد الباقي « محلك سر » وماري ستراوب غارق في التجريب ولوى مال الى هوليوود ايضا ليخرج علينا « بالصغيرة الجميلة » (الذي عرض بكان الماضي)

لقد صار مطمح السينمائيين الفرنسيين هو « أمركة » الفيلم الفرنسي .

المدي فويتسيك ، هل اتابه مس من الشيطان ام قتلته الغيرة ؟

الشقية تركض بلا نهاية

حريا وراء موضة اكتشاف الصغيرات خاصة الفتيات اللواتي يخرجن عن التقاليد قبيل السن القانونية قرر جاك دوابون اختيار الشقية مادلين ديديبير (من مواليد مارس ١٩٦٧) التي تهوى افلام وقصص المغامرات في الواقع لتقوم بالدور امام كلودايبير (من مواليد مايو ١٩٥٧) والذي قام من قبل بادوار هامشية

وحكاية « الشقية » تبدأ حين تتعرف على فرانسوا ذي العشرين عاما والذي يرفضه الجميع بما فيهم امه وزوجها يعيش المراهق وحيدا كأنما حكم عليه سحر اندي مادو في الحادية عشرة تعيش مع والدتها التي تعاملها احيانا بخشونة ومع شقيقتيها اللتين تتجاهلانها طوال الوقت الحياة بؤس والوحدة قاتلة لا تعلم ما الذي تريد بالضبط ان تكونه في المستقبل ربما بائعة

فرانسو يخطف مادو يعيشان سويا في ركنه القصي ويهمسان خشية أن يسمعهما « السيد » لعبة حلم . ما هو الخيط الرفيع بين التمرد ومعايشة قسوة الحياة ؟

هذا هو ما حاول دوابون الاجابة عليه

ولكن اجابته جاءت ناقصة الشقيان يعيشان سويا ، وهناك تبرير كاف لعزلتهما عن المجتمع ولكن الحل غير المفتوح الذى يضعه دوابون القائل بامكانية التصالح يضع مبررات التمرد موضع الشك الشكل الفرنسي ؟ حسنا ثمة سمات اتضح انها « عالقة » شكل الافلام الفرنسية بوجه عام القسوة عندما تقدم خلف غلاف رقيق والوحدة عندما تصنع منها اغنيات رومانسية نجح هذا الشكل عند ليلوش في فيلميه الاولين فقط « رجل وامرأة » و « الحياة للحياة » ولكنه اخفق بعد ذلك غير انه يبدو ان هذا الشكل قد صار تراثا سينمائيا فرنسيا لافكاك منه

● السينما في اوروبا

مسلسل تومسون ـ دوستويفسكي الاسود

قد يكون « مسلسل اسود » اهم ما عرض من افلام فرنسية مؤخرا وهو بالتأكيد اهم فيلم للممثل الفرنسي باتريك ديوار

والفيلم مأخوذ عن رواية للكاتب الاميركي جيم تومسون بعنوان « جحيم امرأة » اشهر روايات تومسون والذى بدأ عمله في الصحافة في مطلع الثلاثينات ـ هي « الهروب » و « لا شيء اكثر من الكثرة » و « مدينة قاسية » و « رحل اللاشيء » و « عدد السكان ١٫٢٧٥ » و « جحيم امرأة »

وعالم تومسون هو عالم يشبه عالم دوستويفسكي في تفاصيله وهذا ما جلب له المتاعب لان رواياته تدور حول شخصيات سحقتها الفوارق الاجتماعية السائدة فاضحت ضحايا مصدر عذابها واضح وهذا ما أوقعه في مشاكل مع صحيفته التي كانت تكلفه بمهام شبه « مطاردة عربات المطافىء » وبالطبع وضع في القائمة السوداء ايام المكارثية الى ان مات وهكذا طغت على شخصياته احاسيس قهرية ومشاعر قوية بالاضطهاد وكل ما فعله جورج بيريك (كاتب سيناريو « مسلسل اسود ») ان قام بتحديث الرواية فجعلها تدور في ضواحي باريس في وقتنا الراهن .

فرانك بوبار بائع ملابس متجول ـ من الباب للباب ـ يقع ذات مرة على منزل في إحدى ضواحي باريس حين يبحث عن صديق له هو اسدرياس تيكيديس المرأة العجوز صاحبة المنزل تعرض عليه مقابلا لبيعها معطف حمام من الصوف الناعم . تعرض

عليه جسد ابنة اختها مسى ذات الثمانية عشر ربيعا

يرفض بوبار الصفقة ويحتقر المرأة العجوز وبوبار ليس مواطنا فاصلا لكنه مهووس بسبب الفقر الذى يعيش فيه واضطراره الى الرضوخ لاستغلال ستانلاس التاجر الذى يعطيه الملابس

تدل مسى بوبار على المكان الذى تخبىء فيه خالتها اموالا كثيرة وتقرر مساعدته في قتل العجوز البخيلة ويقتلها بوبار ويقتل صديقه اندرياس ايضا وعندما تكتشف روحته الجريمة يقتل زوجته ايضا اولع بوبار في الدماء وكل هذا له مبرره الاخلاقي لديه ولكنه بالطبع غير واع بالعناصر الاجتماعية الاخرى المشاركة في دفعه الى الجريمة ورغم ان الفيلم ينتهي باكتشاف الجريمة الا ان المشاهد لا يشعر بان الحق الاجتماعي قد انتصر بالقصاص من الباطل الفردى (الذى يمثله بوبار)

وهذه هي بالضبط نقطة الامتياز في هذا الفيلم هذه أمانة مع رواية تومسون

اين بريطانيا .. والآخرون ؟

بريطانيا السينما الحرة انتهت منذ زمن طويل الانتاج السينمائي البريطاني متوقف تماما أو يكاد ، ولكن زيارة الى استوديوهات بانيوود او تويكنهام او الى مكاتب شارع واردور الشهير سوف تكشف لك عن الوجه الآخر للصناعة السينمائية البريطانية صحيح ان « الانتاج » البريطاني كجزء من أزمة السينما الاوروبية في مجملها ولكن الاصح هو ان « الصناعة » لم تتوقف لحظة وهي تشهد على اعتاب الثمانينات اقوى واشد فترات الازدهار في تاريخها

فقد رضيت الصناعة السينمائية البريطانية ان تتحول الى دور الممول الوسيط الانتاجي معا وتتحكم في هذا كله وبشكل أساسي اسهامات اللوردين ولموت وجريد اللذين اسمتهم « النيوزويك » الامريكية مؤخرا بالارقام ـ كعنصرين فاعلين من عناصر قوة « المغول » الاربعة الجدد في السينما الامريكية « » والآخران هما المخرج السورى الاصل الامريكي الجنسية مصطفى العقاد والثاني هو الصيني تشو وهوبج كويج لأرن في زعم المجلة يسيطرون على الحجم الفعلي سيول النقدية المستثمرة في صناعة السينما الامريكية اكـ صناعة سينمائية في عصرنا الراهن

هذا باختصار شديد هو دور بريطانيا الان

اسبانيا تتسع لابداعات كالوس ساورا وحوان بارد في مرحلة ما بعد الفرانكوية وسينماها تستحق منا و حاصة لا يتسع لها هذا المقام اذا انها ـ في تقديرى ـ أهم السينما القومية في اوروبا في الوقت الراهن تطـ اسئلة جوهرية وتسعى الى الاجابة عليها وتبدو كما كانت تعرف في توافق حساس مع أطروحات المحنـ الكبرى

بلجيكا السويد اليونان الدنمارك سويـ هولندا البرتغال سينما الهمرم الذاتية والتساؤلا المحدودة هذا « حكم » بالغ التعميم ولكنه يتسق في رأيي مع الطرح الاساسي لمقالنا هذا

فقد حاولنا ان نعالج « اهم » معالم الوضع الرا للسينما الاوروبية في « اهم » مراكزها من خلال « اه ما انتج مؤخرا

هل استطاعت السينما ان تجيب على اهم التساؤلا الاوروبية في مطلع الثمانينات ؟

من خلال العرض الذى قدمناه يبدو ان مقولة السينما تجيب ولا تجيب قد باتت صحيحة لست ا بالاجابة وعدم الاجابة دورا مزعوما للسينما في المحر المطلق ولكننا نتحدث عن مشكلات معينة مجتمعات معينة ونتساءل الى اى حد تجاوزت الـ معها

لقد صارت القدرة على الاجابة او الصمت اساسيا من ازمة السينما الاوروبية في مطلع الثمانينا الفنانون الخلاقون ما زالوا يواصلون تقديم ابداعا خاصة في ايطاليا واسبانيا ، والمانيا ، ولكن الا الشاملة تحيط بالجميع ويبدو ان المسألة الاساسية كيف يواجهون التحدي الامريكي ؟

الفاروق عبد العـ

ما كان مجنونا وان سخروا به لكن يرى ما لا يَرونَ ويسمعُ
ساهي الجفون كأنما نظراته شدَّت الى نورٍ بعيدٍ يلمع

***

أبصرتُه في السوق يخطب مرةً والناس من احواله تتجمع
هيا اعشقوا مثلي وعنوا حبكم وتزودوا من دهركم وتمتعوا
فالحب ريحان الحياة وروحها وضياؤها واريجها المتضوع
وانا المحب المستهام بفاتنٍ ملأ الوجود جماله المتنوع
ضاقت به الدنيا ورحب فضائها ونجومها وحنت عليه الأضلع
ولقد أناجيه فاسمع صوته واحسّه في مهجتي يتربع
هامت به الافلاك في عليائها والهاتفات على الغصون السجَّعُ
والبرق والرعد المدوّي والحيا والزهر والروض الجميل الممرع
كلٌ يسبح باسمه متشوقا لوصاله وهو العزيز الأمنع
حتى الحجارة تغتلي ذراتها شوقا اليه فقلبها متصدِّع
دارت على أقطابهن رواقصاً طربا على نغمٍ لهنَ يوقِّع
فهي الدراويش الصغار فديتها باهاجعين وليلها لا يهجع

***

سكت الخطيب وأدركته حسرة كادت لها أحشاؤه تتقطع
فتضاحك النظار من اقواله ورثوا له من رحمة وتوجعوا
ومضى وفي يُمنى يديه هراوة يزوِي بها الصبيانَ عنه ويردع

حلب ـ عمر ابو قوس

لا يولد الاطفال صادقين ، ويتعلمون الصدق والامانة شيئا فشيئا من البيئة ، اذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم . ولكن اذا نشأ الطفل في بيئة تتصف بالخداع وعدم المصارحة والتشكك في صدق الآخرين ، فأغلب الظن أنه سيتعلم نفس الاتجاهات السلوكية والاساليب في مواجهة مواقف الحياة وتحقيق أهدافه .

ومن الخطأ الظن بأن الطفل الصغير لا يفرق بين الكذب والصدق ، فالطفل في مقدوره تماما ان يفرق بين ما هو صادق وما هو كاذب خصوصا فيما يتعلق بالامور والرغبات الخاصة به

والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكوين اتجاه الصدق والتدريب عليه ، يسهل عليه الكذب ، خصوصا اذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان ، وكان أيضا خصب الخيال . فكلا الاستعدادين مع تقليده لمن حوله ممن لا يقولون الصدق ويلجأون الى الطرق الملتوية وانتحال المعاذير الواهية ، يدربانه منذ طفولته على الكذب .

وعلى هذا الاساس فان الكذب صفة أو سلوكا مكتسبا ، نتعلمه كما نتعلم الصدق وليس صفة فطرية او سلوكا موروثا .

والكذب عادة عرض ظاهري لدوافع وقوى نفسية تجيش في نفس الفرد سواء كان طفلا او بالغا ، وقد يظهر الكذب بجانب الاعراض الاخرى كالسرقة او شدة الحساسية والعصبية ، او الخوف الى غير ذلك من الاعراض

اسلوب خاطيء

يلجأ بعض الآباء الى الزج بأبنائهم في مواقف يضطرون فيها الى الكذب ، وهذا أمر لا يتفق مع أصول التربية السليمة . كأن يطلب من الابن أن يجيب السائل عن أبيه ، كذبا بأنه غير موجود او يقول لطارق باب المنزل كذبا ان الاب أو الاخ لم يحضر بعد من الخارج او ما شاكل ذلك ان الطفل في هذه المواقف يشعر بأنه أرغم فعلا على الكذب ودرب على أن الكذب أمر مقبول ، والا لما لجأ اليه مثله الاعلى الوالد او الوالدة أو الاخ الأكبر ، كما انه يشعر بالظلم عند عقابه عندما يكذب هو في أمر من أموره كما يشعر بقسوة الكبار الذين يستحلون لانفسهم سلوكا لا يسمحون له به

هذا كما أن بعض الادباء يلجأون الى المبالغة في تنشئته على الصدق ، فيضيقون عليه في كل صغيرة وكبيرة وفي كل عبارة يقولها . ويصرون ان تكون صادقة مائة في المائة وفقا لما ينشدونه من صدق ـ هذا الاسلوب الصارم لا يغرس في الطفل صفة الصدق بل العكس ، قد يُدفع الطفل الى الكذب كمحاولة للظهور بالمظهر الذي يطلبه الوالدان ، كما انه لا يجدي كوسيلة لاقلاع طفل عن الكذب ...

ان مثل هؤلاء الآباء يسون أن كل طفل لا بد ان يمر بفترة من حياته يكذب فيها ويلفق ، بما قد يوحي له خياله قبل أن يصل في طريقه الشاق الطويل الى مرحلة الصدق كما انه من النادر ان نجد شخصا كاملا في صفة الصدق منذ طفولته

والكذب عند الاطفال انواع مختلفة ، تختلف باختلاف الاسباب الدافعة اليه ، ومن هذه الانواع ما يأتي

الكذب الخيالي

كل الاطفال يمرون بفترة في صغرهم لا يفرقون فيها بين الحقيقة والخيال وهو أقرب ما يكون الى اللعب بل أنه نوع منه ووسيلة للتسلية ، كما انه احيانا يكون تعبيرا عن احلام الطفل .. احلام اليقظة التي تظهر فيها آمال ورغبات الطفل ، تلك الامال والرغبات التي لا يمكنه ان يفصح عنها بأسلوب واقعي . وواجب الآباء تهيئة الفرصة للاطفال ليعبروا عن أنفسهم بهذا الاسلوب الخيالي ، وفي نفس الوقت يجب عليهم أن يبصروهم ويساعدوهم على التفرقة بين الواقع والخيال .

ولا أدل على أن هذا النوع من الخيال أو الكذب الخيالي ـ ليس كذبا يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي من أن الاباء والامهات والجدات يقصصن على الاطفال في كل المجتمعات قصصا خيالية اثناء النهار تسلية أو قبل النوم ليتراخوا ويناموا .

ويعتبر سن الطفل عاملا مهما عند تقدير خطورة أو عدم خطورة ميله الى الكذب ، فالطفل في سن الرابعة مثلا قد يلفق قصة من نسج خياله الواسع ، ولا يمكن أن نعتبرها كذبا بالمعنى المتعارف عليه بين البالغين . وذلك لان الطفل الصغير تختلط في ذهنه الافكار ولا يفرق بين الصحيح منها وغير الصحيح كما أن خياله يصور له أفكارا بعيدة عن الواقع والحقيقة ويتصور أنها واقع وحقيقة ولعل هذا هو سبب شغف الاطفال بسماع القصص الاسطورية من الجدات . بل انهم لا يدركون عدم واقعية القصص الخرافية لدرجة أنهم يعيشون في أجوائها ويتخيلونها بشغف ولذة وسرور ، وقد يتخيلون أنفسهم ابطال هذه القصص

ولا شك ان ميل الطفل الى القصص الخيالية أو تأليفه لها ، لا يعتبر جنوحا او ميلا الى الانحراف والكذب المرضي بل يدل على أنه لا يزال صغيرا لا يفرق كثيرا بين الواقع والخيال

ثلاثة أمثلة

ومن نماذج الكذب الخيالي هذه الامثلة الثلاثة :

ـ طفل لم يتجاوز الثالثة من عمره ذكر أنه رأى كلبا ذا قرنين وذلك بعد أن احضر والده خروف العيد ... لقد انتزعت مخيلته قرون الخروف وركبتها على رأس الكلب ... كان يؤكد ما رآه ويصر على أنه حقيقة كلما نهاه والداه عن هذا القول

لقد كان من واجب الوالدين أن يفطنا الى العلاقة بين أحضار خروف العيد والكلب والقرنين . ويوضحا السر في خلطه صفات الخروف بصفات الكلب ويمدا يد العون للطفل ويساعداه ليفهم الفرق بين الكلب والخروف ، وتصبح هذه فرصة طيبة لتعليمه بعض المعلومات ، وذلك بدلا من التصميم على نهى الطفل واتهامه بالكذب والسخرية منه ، الامر الذي جعله يصر اصرارا شديدا على ان ما رآه كان حقيقة وليس كذبا

ـ طفل عمره أربع سنوات ذكر أنه رأى ثعبانا تحت مكتب أخيه فارتعبت العائلة كلها وقاموا بتفتيش الحجرة تفتيشا دقيقا واخيرا قرر الطفل ان الثعبان كان في كتاب أخيه وهو في الواقع صورة لثعبان في كتاب يدرسه أخوه

مثل هذا الطفل لا يجب أن نعاقبه أو نؤنبه انما يجب أن نفهمه الامر برفق وعطف

ـ ولد عمره ١٢ سنة على درجة كبيرة من الذكاء رائع الخيال ، طلق اللسان كان يكتب القصص منذ صغره وكان والده مولعا بالعلوم النفسية فساعده على تنمية قدراته ، ولذلك فأن الابن نبغ في كتابة الادب وفي كتابة القصة وقد انقسم مدرسوه قسمين قسم يشجعه وقسم آخر يعارضه على اتجاهاته هذه الناحية وكانوا يتهمونه بأنه يضيع وقته وقد انصمت والدته للقسم الاخير بل أخذته الى احصائي في الامراض النفسية ، وشكت له من أن ابنها منذ طفولته كان يسترسل في حديثه ويسرد أشياء خيالية وانها لم ترجره وتمنعه ، ولم تكن تدرك ان الامر سيتطور معه في الكبر ، فما كان من احصائي الامراض النفسية الا انه نصح الام بتشجيع ابنها ما دام ناجحا في دراسته ، وبذلك اصبح هذا الولد من كتاب القصص والروايات الناجحة في كبره

وكلنا يعرف قصة « ساجان » الكاتبة الفرنسية المشهورة ، فهي حالة مماثلة للحالة السابقة وحالات أخرى كثيرة في جميع البلاد

لذلك يجب على الآباء الا يقلقوا اذا كان الطفل خصب الخيال ، ولا يحاولوا بكثير من الجهد علاج هذا النوع من الكذب ، بل على العكس يتركون الامر للزمن ، فهو كفيل بانتهائه كسلوك عند الطفل هذا ان لم تنم هذه الملكة وتصبح موهبة عند الطفل في الكبر يكفي أن يؤكد الآباء للطفل بأنهم يدركون أن ما يقوله هو نوع من اللعب وانهم يحبون هذه التسلية ويؤكدون له في نبرات الصوت وفي سلوكهم انهم يدركون أن ما يقوله ليس صدقا كما أنه ليس كذبا بل أنه مداعبة ..

الكذب الالتباسي

هذا النوع من الكذب لا يدل على انحراف سلوكي وسببه أن الطفل يلتبس عليه الامر لتداخل الخيال مع الواقع بحيث لا يفرق بينهما . . مثال ذلك أن يسمع الطفل قصة خرافية او قصة واقعية تمتلك مشاعره وبعد أيام يتقمص احداث القصة في نفسه أو في غيره

وكثير من الكذب الالتباسي مرجعه احلام الطفل وكمثل لهذا الكذب أن طفلا عمره خمس سنوات كان يكره الخادم الذي يعمل عندهم لغلظته في معاملته قام من النوم يبكي في الصباح ويقول أن الخادم ضربه وسرق منه طعامه ورمى له لعبه في الشارع والواقع ان الطفل حلم حلما بهذا المعنى أثناء الليل ولم يفرق في الصباح بين الحقيقة والحلم بل كان من وقت لآخر بعد ذلك يذكر للخادم أنه سبق له ان سرق طعامه وضربه وحطم له لعبه ، والعلاج لمثل هذه الحالة هو ان نفهم الطفل بأن ما حدث له كان حلما وليس واقعا ، ثم نكرر له ذلك من وقت لآخر

والواقع أن هذا ليس كذبا بالمعنى المعروف ويزول من تلقاء نفسه مع مضى الوقت ، فكلما زادت خبرات الطفل وكلما تقدم في السن أمكنه التفريق بين الواقع والخيال

وكما يحدث هذا الكذب نتيجة الاحلام التي يحلمها الطفل أثناء الليل ، فأنه قد يحدث نتيجة أحلام اليقظة فقد يتصور الطفل أن كلبا هجم عليه ويقص قصة يصورها على أنها واقعية رغم انه ليس في محيطه كلاب ، ورغم أنه بعيد عن مثل هذه التجربة كما قد يتصور أن شخصا ما تكرهه العائلة وهو يعلم بذلك قد قابله في الطريق أو حضر له في المدرسة وضربه أو شكاه للمدرس أو المدرسة ، وكل هذا مرجعه خيال الطفل الواسع وليس له صلة بالواقع اطلاقا وسببه طبعا أحلام اليقظة التي يستغرق فيها ثم يلتبس عليه الامر بين الواقع والخيال

ان الطفل في مثل هذه الحالات يلجأ الى الكذب دون قصد ، وذلك لان الحقائق تلتبس عليه ، وتعجز ذاكرته عن أن تعنى حادثة معينة بتفاصيلها ، فيلجأ دون أن يدري الى ان يحذف منها بعض التفاصيل ويضيف اليها أخرى من عنده ، حتى تصبح مستساغة لعقله

الـ... ومنطقه المحدود ، وحتى تصبح مألوفة لديـه ، وا... سها بدت لنا كذبا وهو من الكذب براء .

الكذب الادعائي

يلجأ بعض الاطفال الذيـن يعانـون من الشعـور بالنقص الى تغطية هذا الشعور بالمبالغة فيما يملكون او في صفاتهم ، او صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز في وسط أقرانهم او استجابة لمؤثرات يتعرضـون لها في البيئة او بهدف النزوع للسيطرة عليهم

ومن أمثلة ذلك أن يدعى الطفل ان لديه لعبا كثيرة وكبيرة جدا . بل قد يتخيل شكل لعبة حجمهـا غـير واقعي ، ويدعي ملكيتها والواقع انـه ليس لديـه من اللعب شيء يذكر . وقد يدعى أن والده يشغـل مركـزا مرموقا او انه يعمل في مهنة بعيدة كل البعد عن حقيقة مهنته ، وذلك لمجرد التفاخر وتعظيم الذات ، ذلك لان الشعور بالنقص يحمل الطفل على تلفيق حقيقة مشاعره بالادعاء والمباهاة .

ومن الامثلة التي صادفتني في العيادة النفسية ان تلميذا في التاسعة من عمره على درجة كبيرة من الذكاء ، متقدم في دراسته وفي مدرسة خاصة من مدارس اللغة الانجليزية ، مستواه كمستوى باقي الطلبة من حيث أنه مرتفع اقتصاديا وهو ابن لاحد كبار موظفـي الدولـة ، وكثير من زملائه في الصف ابناء لكبار موظفي الدولة أو رجال السلك السياسي ... كان نظام المدرسة أن يحضر والد أو والدة التلميذ كل شهر لاستلام تقرير بنتيجـة أعماله ، وليقابل مدرسي الفصل للوقوف على أداء وسلوك التلميـذ بالمـدرسة . . وكـان هذا التلميــذ من الخمسة الاوائل في أغلب الشهور وكان كلما حل موعد استلام الشهادات او التقارير لا يخبر والده . ويقول لمـدرس الفصـل أن والـده مسافـر خارج الجمهوريـة وكـذلك والدته . والحقيقة عكس ذلك أو السر في ذلك يرجع الى أن بعض اباء الطلبة زملائه يسافرون للخارج من وقت لأخر في اعمال ومهمات حكومية .. ويحضرون لابنائهم هدايا وملابس . وهؤلاء التلاميذ يطلعون زملاءهم عليها ويفاخرون بها . وكان والد التلميذ المذكور رغم كون مركزه مرموقا فانه لا يسافر للخارج ، وكان التلميذ رغم نجاحه في المدرسة وتفوقه . قصير القامة بشكل ملحوظ ويعاني من اعوجاج في أسنانه .. وكان التلاميذ يعيرونه بذلك ... فاخترع قصة سفر والديه مرارا ليفاخر بذلك أمام زملائه الطلبة ... وليشعرهم أنه سيحصـل قريبـا مثلهم على لعب وملابس وهدايا من الخارج .

والكذب هنا سببه واضح وهو الشعـور بالنقص ، ومحاولة الطفل تغطية هذا الشعور بتعظيم نفسه بأمل أن يتحقق له الشعور بالتقدير من أقرانه ومـن ثم يشعـر بالمركز في وسطهم .

وهذا النوع من الكذب شائع بين أغلب الاطفال ولا ضرر منه ، خصوصا بين الاطفال الذين يتواجدون في بيئة أعلى من مستواهم في أي ناحية من نواحي الحياة ولا يمكنهم الوصول اليها

وكما أن الكذب الدعائي وسيلـة لتعظيـم الـذات والحصول على الشعور بالمركز فأن الاطفال يلجأون اليه لاستدرار العطف وللشعور بالقبـول في البيئـة ولكـي يصبحوا مركز اهتمام الغير . .

ويلجأ الاطفال للكذب الادعائـي عادة لاستـدرار العطف عن طريق التمارض والادعاء كذبا بالمرض . أو بمحاولة ايهام الطفل للغير بأنه مغمى عليه أو أنه أرجع ما أكله ، الى غير ذلك من الوسائل التي يسيطر بها على البيئة ويحدث ذلك عادة من الاطفال الذين لم ينالـوا درجة معقولة من العطف من الوالدين في طفولتهـم . وأيضا للاطفال المدللـين في الصغـر وتغـيرت معاملـة الوالدين لهم على أساس أنهم لم يعودوا بعـد اطفـالا صغارا . بل جاوزوا سن الخامسة مثلا .

هـذا كما قد يلجـأ بعض الاطفـال الى الكـذب الادعائي . فيتهمـون الغـير بتعذيبهـم او ضربهـم أو اضطهادهم ، كأن يدعى تلميذ عند والديه أن المدرس أو المدرسة دائمة الاضطهاد له وهو بذلك يحاول أن يستدر عطف الوالدين ويجد لنفسه سببا ليبرر عدم نجاحه في دروسه .

وهذا النوع يجب الاسراع في علاجه بتفهم الحاجات النفسية التـي يخدمهـا ومحاولـة اشبـاع هذه الحاجـات بالطرق الواقعية المعقولة . والا نشأ الحدث على المبالغة في كل شيء واختلاق الاقاويل مـما يؤثـر على مكانتـه الاجتماعية في الكبر .

وقد يكذب الطفل بغرض الاستحواذ على الاشياء المختلفة كالنقود ، او الحلوى او اللعب ، كما قد يكذب لانه يخاف العقاب فيلصق ما يتهم به بطفل آخر بريء وكل هدفه من الكذب الدفاع عن نفسه ، كما قد يكذب الطفل تقليدا للاباء والامهـات الذيـن يكذبـون على أطفالهم في كثير من الامور . ■■

طرابلس ـ د . ملاك جرجس

لا يشكر الله من لا يشكر الناس

الشكر معرفة النعمة واعلانها والثناء على صاحبها بالخير . والفرق بينه وبين الحمد انه خاص والحمد عام فالشكر لا يكون الا عن نعمة تسبقه ، فهو جزاء عليها ، واما الحمد - ومثله المدح - فيكون عن نعمة سابقة او غير نعمة ، ويكون ثناء بالخير على الصفات الجميلة في صاحبها ولا شكر على صفة جميلة ويكون الحمد والشكر بالنية او القول او العمل ، او ببعض ذلك والقرآن الكريم يستعمل « الحمد » في جانب الله تعالى ، وقد اورثه في لغتنا صبغة علوية ، ونحن اكثر ما نستعمل « الحمد » في جانب الله ايضا ، اتباعا للقرآن من حيث ندري ولا ندري ، ولما رسخ في نفوسنا من ايمان بان الله جميل في ذاته وصفاته واعماله ، والتسليم بكل ما يأتينا منه ولو ضقنا بأثره ، ولذلك نقول عند الضيق شيء« الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه » وكما نحمد الله لهذا المعنى الايماني ، نشكره ايضا لان نعمه متواصلة من حيث نعيها او لا نعيها باعيانها او حدودها ، وكذلك هو يحمدنا ويشكرنا اذ يقبل طاعتنا واعمالنا الصالحة تفضلا منه ، ويغفر اخطاءنا ، وقد وصف الله في القرآن مرات بانه « حميد » كما وصف مقام النبي بانه « محمود » ففي سورة الاسراء « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا »

و « الشكر » لا يكون الا مقابل نعمة تسبقه ، ففي القرآن بصدد التطوع بالحجة أو العمرة « فمن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » ويقول الشاعر

شكرتك ان الشكر حبل من التقى
وما كل من اوليته نعمة يقضي

اي ليس كل من تقدم له نعمة يقابلها بحقها من الشكر لك .

وقد ينطق المرء بالشكر في غير موضعه اي لمن يبخل عليه بمعونة ، او لمن يسيء اليه فيقهره ، فيكون استعماله مجازيا ، ويكون الباعث عليه لرغبة في استجلاب مودة او رضا ، او اتقاء اذى يخاف ، او على سبيل الاعتذار او التبكيت ، او السخرية تشفيا وقصاصا ، او للاستعلاء على الاساءة ، وشبيه بذلك الشكر على نقمة اعقبت نعمة والقرآن يقول « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » والمثل العربي يقول « رب ضارة نافعة »

وعكس الشكر في المعنى « الكفر » لا بمعنى الشرك بالله او الالحاد ولكن بمعنى عدم الاعتراف بالنعمة نية او قولا او فعلا كما في آيتي النمل « ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم » و « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر »

و « شكر » فعل متعد ، ولكنه قد يستعمل كاللازم فيكتفي بالفاعل إذا اريد به مجرد حدوث الفعل ، وامثلته في القرآن كثيرة ، منها في آية ابراهيم « لئن شكرتم لازيدنكم » فلا ذكر هنا للنعمة المشكورة ولا لصاحبها

ويستعمل متعديا مباشرة الى مفعول به واحد كما جاء في البيت السابق « شكرتك » وكما في القرآن على لسان سليمان « رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي » ويتعدى مباشرة الى مفعولين كقول الشاعر عبد الله بن الزبير

سأشكر عمرا - ما تراخت منيتي -
أيادي لم تمنن ، وان هي جلت

والمفعولان هنا « عمرا » وايادي » (جمع « يد » بمعنى النعمة) وجملة معنى البيت ، سأشكره - مهما تمتد حياتي - على نعمه فهو لا يتبعها بالمن وان كانت جليلة

وقد يتعدى باللام الى مفعول به واحد ، كما في الآية « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله » او الى احد المفعولين مباشرة ، والى الآخر باللام كما في قولنا « شكر

بقلم : محمد خليفة التونسي

لكم ...لكم » واللام في الحالين تدخل على المنعم ، او بالباء كقولنا « شكركم بفضلكم » او « على » كقولنا « اشـ ... كم على فضلكم » ويلاحظ في هاتين الصيغتين الاخرتين ان اللام و « على » تدخل على النعمة كما يلاحظ ان الصيغة الاخيرة اكثر استعمالا بيننا اليوم

ويرى بعض اللغويين ان « أشكر لك » افصح من « اشكرك » وكان شيوخنا في المدارس يتابعونهم الى حد التحريح علينا في استعمال « اشكرك » ويرونها ضعيفة او ركيكة ونحن نرى ان لا مسوغ لهذا التفضيل وهذا التحريج ، لان الصيغتين وردتا في القرآن ـ وهو الحجة العليا الكافية الشافية ـ وفي كلام الفصحاء ايضا كما جاء في بعض الأمثلة السابقة ومن الجذر « ش ك ر » جاء الفعل في القرآن ماضيا ومضارعا وامرا ، ولهذا الفعل ثلاثة مصادر هي « شكر وشكور ، وشكران » وقد ورد المصدران الأولان في القرآن هكذا « اعملوا آل داوود شكرا » و « وانما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » و « وشكر شكورا » مثل جلس جلوسا ، وقعد قعودا ويجوز ان يكون « شكور » جمعا للمصدر « شكر » ونظائره في الفصيحة تبلغ العشرات ، مثل « بيع بيوع و « شر شرور » و « خير خيور » والمصدر يكون مفردا اذا كان يدل على مجرد الحدث ولكن اذا كانت له انواع يثنى ويجمع تبعا لتنوعه ، وقد يستعمل المصدر اسما او صفة فيعامل مثلهما تثنية وجمعا مثل عهد وعهدان وعهود وهذه مثل عدل وعدلان عدول وهذه صفات فان « عهد » مصدر استعمل اسما و « عدل » مصدر استعمل صفة

واما المصدر « شكران » فبزيادة الألف والنون فيه للدلالة على زيادة الشكر وعلماؤنا يقولون « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » وكل فعل ثلاثي فمصدره اصلا ثلاثي ، وكل ما زاد على الثلاثة فهو دليل الزيادة في معناه ، وللمصدر « شكران » نظائر كثيرة في الفصيحة ، مثل كفران وخسران

وكثير منا اليوم في مختلف اقطار امتنا العربية يتحد لانه اسم « شاكر » ، واقل منه انتشار « عبد الشكور » وان كان القرآن قد وصف الله بهذين الوصفين « ان الله شاكر عليم » و « ان الله غفور شكور » وكذلك جاءت فيه الكلمتان وصفين للانسان « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » « وان في ذلك لآيات لكل صبار شكور »

وفي القرآن وصف العمل بانه مشكور « وكان سعيكم مشكورا) ويمكن ان يوصف به البشر فيقال « المحسن مشكور لاحسانه او باحسانه او على احسانه »

و « شكور » وصف للمذكر والمؤنث على سواء ، فيقال « هو شكور » ، و « هي شكور » اي كثير الشكر وكثيرته ، لأن كل ما كان على وزن فعول بمعنى فاعل يستعمل وصفا للزوجين الذكر والانثى ، مثل « صبور وغيور » واذا نظرنا الى معنى الفعل جاز ان يقال هي « شكورة » بل اذا نظرنا الى معنى الفعل ـ ولو كان خاصا بالانثى ـ جاز ان تزاد في الوصف تاء التأنيث ، فيقال « الذئبة ولودة » و « الدجاجة بيوضة »

ونحن اليوم نستعمل « الشكر » و « التشكر » في الدارجة كثيرا ، ويقال في الفصيحة تشكرت له أو « وتشكرت لفضله » و « تشكرت بفضله ، ومنه قول الشاعر

واني لآتيكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما هو في غد

وقد يستعمل « شكور » للدلالة على الطبع والخلق اللازم فيكون صفة مشبهة للدلالة على الثبوت فيقال « هو شكور » اي من اخلاقه الشكر لا بمعنى كثير الشكر كاسم الفاعل للمبالغة الذي يدل على تكرار الفعل او الشدة فيه ، وخلق « الشكر » من اكرم الاخلاق ، وفيه دلالة على طبع سوى اصيل ، وحسبنا دليلا على ذلك قلته بين البشر ، وفي الاثر « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » اي لا يتقبل شكر المرء له على احسانه إذا كان يكفر نعمة سواه ، او لا يؤدي حق الشكر لله حتى يؤديه للاخرين ، ومهما يعظم خلق المرء فانه يغتبط بشكر الاخرين حين يحسن اليهم ، وييأس لمن يكفرون نعمته لانه هذا الكفر دليل على تشوه الاخلاق ، واشد ما يألم له من كفر النعمة ان يجازى احسانه بالاساءة ولذلك قيل (اتق شر من احسنت اليه) وهذا الكفر يغشي النفس كما يغشيها كل تشويه ، ويترك فيها ندما مريرا ، وقد يحمل المحسن على الانقباض عن كافر نعمته وعن غيره ايضا ولهذا يقول عنترة

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي
والكفر مخبثة لنفس المنعم

وقد يكون الباعث على انكار النعمة شعور المنعم عليه بالتدني امام المنعم فيدفع ذلك عن نفسه بكفر النعمة وصاحبها ، وقد يشتط فيسيء اليه جعلنا الله من الشاكرين الشكورين ، وصدق رسول الله « لا يعرف الفضل لأهل الفضل الا ذوو الفضل » ■■

كسرى واليمن

● اطلعنا في العدد ٢٢٥ فبراير ١٩٨٠ صفحة ١٤١ من العربي الغراء على اتهام وجهه الينا الفاضل سالم محمد مخنف من تعز في مقالنا عن القادسية بعدد العربي اغسطس ١٩٧٩، ينفي فيه ان كسرى برويز بعث الى عامله على اليمن ليحضر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدلل على ذلك بانه لم يكن لفارس اي ولاة في اليمن وانها تخلصت من النفوذ الفارسي قبل الاسلام بزمن طويل

ولما كنا قد درجنا على التحقق مما نكتب - دائما - فقد ازعجنا ما قرأنا وحسبنا ان الصواب قد جانبنا وجل من لا يسهو، وقمنا نبحث عن مصدر ما سقناه في مقالنا المذكور، ونكتفي من ذلك بما وجدناه في القسم الثاني من الجزء الاول من الطبقات الكبرى لابن سعد، من ان كسرى كتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث من عندك رجلين جلدين الى هذا الرجل الذي بالحجاز الخ، وقد جاءت الواقعة اكثر تفصيلا (في صفحتين) في تاريخ الطبري ضمن احداث العام السادس من الهجرة، قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يزيد بن حبيب قال: كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين مليأتياني به، فبعث باذان قهرمانه و (يعني وكيله وهو بابويه وكان كاتبا حاسبا بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخسرة وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى الخ كما جاء ذكر باذان في أسد الغابة وفي الاصابة باعتباره عامل كسرى على اليمن واول من أسلم من ملوك العجم

احمد عادل كمال

القصص المترجم

● كثيرا ما تنشر الصحف العربية ومنها مجلة العربي قصصا وابحاثا تذكر فقط انها مترجمة ودون ان تذكر اسم كاتبها الا ترون معي ان الواجب يدعو لذكر اسم المؤلف لتمكين القارىء من ان يطالع بقية كتاباته ان رغب في ذلك وكنوع من عرفان الجميل ادبيا لاسم المؤلف

جورج خوري

الرياض / السعودية

اليهود في العالم

● ذكرت احصائية عن الامم المتحدة نشرتها دائرة المعارف البريطانية في كتابها السنوي ان مجموع اليهود في العالم هو

في منتصف عام ١٩٧٤ بلغ المجموع ١٤,٣٨٦,٥٤٠ يهودي

في منتصف عام ١٩٧٨ بلغ المجموع ١٤,٣٩٣,١٠٠ يهودي

اي بزيادة قدرها ٦٥٦٠ يهوديا

وهم موزعون كالتالي

٤٠٪ من يهود العالم في امريكا (اي نحو من ستة ملايين)

٢٠٪ من يهود العالم في فلسطين المحتلة (اي نحو من ثلاثة ملايين)

١٥٪ من يهود العالم في الاتحاد السوفيتي (اي نحو من مليونين وربع)

١٠٪ من يهود العالم في انجلترا وفرنسا والارجنتين بواقع نصف مليون في كل منها

صبيح شاكر الاوسي

بغداد

كلمات فقدت سمعتها

● نادى الاستاذ احمد بهاء الدين رئيس تحرير مجلة العربي في كلمته الافتتاحية في محرم ١٤٠٠ « كلمات فقدت سمعتها » ، نادى الى اعطاء الكلمة حق قدرها ، وحذر من مقت الله للقائلين ما لا يفعلون

ومع الصدق الواضح في كلمة رئيس التحرير الا ان نداءه صرخة في واد ، وظني ان لو اخبر العالم العربي ان مرضا فتاكا سيجتاحه غدا فلا يبقي ولا يذر لا حيوانا ولا نباتا ولا بشرا ما حرك هذا التحذير همم الناس فقد مرض الجميع بمرض اللامبالاة

ان طريق النجاة معروف ولا بد للعرب ان يغيروا طريقتهم في معالجة الامور ، ويطهروا قلوبهم وليسيروا على هدى دينهم ويتخلصوا من الصغائر والكبائر ، وحب الدنيا والرئاسة ، والاستبداد بالرأي وخنق الرأي المخالف وليعلموا انهم جميعا اخوة امروا بالاعتصام ، وحذروا من التفرق

سيد خليل الدراوي
الاسكندرية ـ مصر

شريعة الانسان

اذا ذكر الأحبة والصحاب فروحي منزل والقلب باب
أحب الناس حب الناس دأبي واعلم ان بعضهم ذئاب
كأني لم أصب منهم بسوء ولم يغرر بقلبي العض ناب
ولا زرعوا بدربي الشوك حتى تدمى من دمي الجاري التراب
ولو يجدي العتاب عتبت لكن مع الاوباش لا يجدي العتاب
يقيني بدوه بألف شك وهل في الناس الا الارتياب
احبائي ومـا في الناس حب لان شريعة الانسان غاب
اقول احبتي والقلب ادرى بأن احبتي شيء سراب

جعفر علي جاسم

ابن النفيس وليس هارفي

● اود ان اصحح خطأ في حل مسابقة الكلمات المتقاطعة لمجلة العربي الصادرة في شهر شباط ١٩٨٠ حيث ذكر اسم وليم هارفي للدورة الدموية

والصحيح ان مكتشف الدورة الدموية الكبرى هو بن العباس المجوسي الذي ولد في القرن العاشر الميلادي ، اما الدورة الدموية الصغرى فقد اكتشفها علاء الدين بن ابي حزم القرشي الملقب بابن النفيس الدمشقي من مواليد (٦١٠هـ ـ ١٢٧٧م)

بينما الطبيب الانكليزي (وليم هارفي) اثبت بنظريته ان في الجسم دورتين

اكون شاكرا اذا نشرتم هذا التصحيح

عبد الرضا فرهور
النجف العراق

الفلسطينيون

● الا ترون معي ان هناك حاجة ملحة لان تقوم هيئة بعمل احصاء لعدد الفلسطينيين . ان احصاء كهذا ضروري جدا . وباعتقادي ان منظمة التحرير الفلسطينية قادرة على اجرائه سواء لمن هم داخل فلسطين ام خارجها .

نبيل صائب الناظر
الاردن

أرصفة السكة الحديد تمتد ، متينة وم، ـة ، متجاورة بلا نهاية عريضة وخالية

والسماء المعتمة فوقي شاسعة ومنفصلة الليل الذى فيها لا سحاب والنجوم ثابتة ، صغيرة ، لن تد ـ ى أي فجر

أسأل نفسي لماذا هذا الخواء في هذا العالم الذى ليس لي غيره ولا أعرف كيف أخرج منه لا أعرف ايں الباب أعرف انه لابد ان يكون هناك ، ولكني لا اعرف طريقا اليه ، أي طريق

كأنني خرجت من تحت سقف المحطة الزجاجي العالي ، وكأن أمي واخواتي البنات الاصغر مني قد خلت منهن المحطة ، وتركنني وحدى أتلفت حوالى ، تحت

محطة السكة الحديد

قصة ادوار الخراط
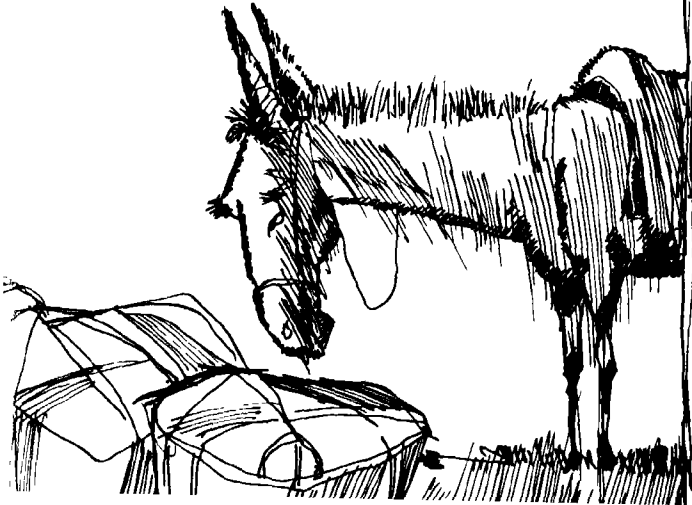
ضـ لهفة المحكوم الهادىء ، ولا ارى سور المحطة من وراء رصفة المتكررة ، رصيفا بعد رصيف ، على يميني وعلى يمالي ، بلا آخر . القضبان الحديدية بينها ساقطة على رض ، مدورة ، ملتوية ومستقيمة ، متشابكة ومتو ية ، عيناي تعرفان مدى صلابتها التي لا يمكن أن تكسر ، شديدة اللمعان من فرط احتكاك العجلات الدوارة بها ليل نهار ، الاقراص الحديدية الهائلة التي لا تقصم منها جذاذة ولا تصنع شرخا ، بل تزيدها عنادا والقطارات الضخمة سوداء ، مربوطة بلا جدوى بقاطراتها الهامدة ، لا أعرف من فيها .

يجب عليّ أن أجد الشباك الذي أقطع منه تذكرتي شبابيك التذاكر حوالي من وراء قضبانها الوثيقة المتقاربة ، منيرة ولكن مغلقة ، ليس فيها وجه ، ليس فيها امل والوقت يفوت ، والساعات الكبيرة المدورة الوجوه ممسوحة ليس فيها عقارب ولا أجد من أسأله

كنت أعرف أن الباب هناك تحت ممر واسع ومرتفع ودائري العَقْد والهواء فيه نظيف ، في وسط جدار المحطة الداخلي السامق العريض الاحمر ، وانه معلق الصلفتين ، ومصنوع من الحديد الرقيق المشغول ، أطرافه المدببة على شكل السهام المرشوقة في اعلاه ، مطلية بالذهب ، ولا يفتح الا عندما يأتي الملك في قطاره الابيض ذي الشرفات المزركشة ويفرش البساط الاحمر ويمتد تحت قدميه من عتبة القطار على طول الرصيف وعبر الباب والممر العريض المنير حتى الساحة الخارجية

وتمتلىء المحطة بالجنود والزهور في صفوف وثيقة ومتلاصقة لا ينفذ منها شيء . ولا يقف عمال الابواب على رؤوس الارصفة عند الحاجز الحديدي المنخفض ، لا يثقبون التذاكر بمقراضهم الحديدي الشرير الشكل ولا يقتضونها منك عند الخروج ، فلا يمكن أن تدخل او تخرج الآن مرة واحدة لمحته من بعيد ، الملك ، من بين ظهور الجنود والناس الواقفين بجلابيبهم وطرابيشهم وعمائمهم وشيلانهم وربطات العنق الرفيعة الضيقة الخناق ، ورأيت اهتزاز ذيل « السموكنج » الطويل الذي يلبسه على جسمه الثقيل ، غريبا على ساقيه الممتلئتين ، وجانبا من وجهه المحتقن المزدحم بالدم ، وشاربه القائم بذؤابتين رفيعتين مشدودتين « بالكوزماتيك » المشمع . كان أبي يقبض على يدي بقوة ، ونحن نخرج في الزحام ، وأشم الرائحة الحريفة من معطفه وسجائره ورجولته ، وهو يمسك بعصاه الرفيعة السوداء الحديدية الكعب ذات المقبض الابيض المحفور بزخرفة عرفت عندما كبرت انها اسمه « قلته فلتس » من العاج المخروم . كان في ميدان المحطة قره قول من تلاميذ المدرسة الحربية بالشريط الاحمر الذي يشق البنطلون الداكن الضيق المستقيم حتى تحت الحذاء الاستيك اللميع ، وبلوك من الجيش البريطاني ، وموسيقى القرب الاسكتلندية بأصواتها الثاقبة الملحة ، والجونلات ذات الطيات المتعددة ،

وقطرات العرق تتفصد ببطء على الوجوه المحمرة ولا يمسحونها . والموسيقى النحاسية تضرب بقرقعات بهيجة وايقاع واحد لا يتغير . وجندي قصير يحمل طبلا ضخما على بطنه الكبير يدق عليه بانتظام دون توقف ، كأنه وحده في العالم

جنود بلوك النظام ينزلون جريا من عربات الجيش المربعة العمودية الجوانب ، على سلالم قصيرة مثبتة في مؤخرة السيارات ، ويطاردوننا ، بقمصانهم الطويلة المهدلة وسراويلهم التي تنزل تحت الركبة بقليل ، وسيقانهم السوداء مربوطة بلفائف « الألشين » الكاكي الرمادية التي ترتفع الى ما تحت الركبة بقليل ونحن نجري في ميدان المحطة الفسيح بين عربات الترام الصفراء اللون التي توقفت ، واحدة بعد الأخرى ، على خطوطها ، والناس ينظرون منها بفضول وكان تلاميذ المرقسية ورأس التين قد انضموا الينا وكنت أهتف ، ولا أسمع صوتي · تحيا فلسطين يسقط وعد بلفور . الاستقلال التام حلت العلم يا عبد الحكم الشمس حارة في دماغنا ونحن نجري . والشتائم البذيئة من العساكر تلاحقنا ، والعصى القصيرة في أيديهم . وكانت الشتائم موجعة حدا والغضب يلف العالم ، ولا ينجاب أبدا .

كان الجدار الخارجي الجانبي للمحطة ، أمام باب الدرجة الاولى ، يرتفع حتى الشارع العلوي تتخطر عليه عربات الحنطور التي تبدو صغيرة ، واجراسها دقيقة مصلصلة الصوت ، فوانيسها النحاسية الامامية بزجاجها المصقول المكعب المسطوح كأنه معمول من ماس كثيف ونقي تحس شعلات صغيرة صفراء محمرة تتقد في النهار وقع حوافر الحصان على بازلت الطريق له موسيقى رشيقة وكنت أنظر الى إعلانات « شركة الادرياتيك وتريستا للسفريات والملاحة » ، والباخرة تمخر مياه الحلم المتموجة بزرقة فاتحة الصبغة ، دون أن تتحرك ، مستقيمة الخطوط وهفهافة الريح في وقت معا ، ثابتة في سرعتها الساكنة التي لا زمن فيها ، ونوافذها ، في البطن المسطح ، بصفحته المستوية ، فتحات كاملة الاستدارة ومسدودة بلون الزجاج المعتم الشفافية .

كنت أرقب « الدبور » الذي صنعته من ورق كراسات المدرسة ، مدببا أبيض حاد المقدمة ، أشد طيرانه بالخيط الطائر في السماء ، بحزم ورفق ، فوق رؤوس النخل ، وأنا على سطح بيتنا في غيط العنب . وقلت لنفسي بفرح انني عندما أكبر جدا ، واصبح في العشرين ، سوف أسافر في بعثة ، كما سافر رفاعة رافع الطهطاوي ، الى مارسيليا ، وأركب البحر على باخرة شركة الادرياتيك وتريستا ، وأعرف فنون الحـ[illegible] في ماريس كما لم يعرفها أحد في مصر قط وكنت [illegible] انني لم أركب هذا البحر ، ولم أمخر عباب هذه [illegible] وان القلب الطفلي ما زال يطفو فوق أحلامه القد[illegible] وإن كان الآن قد تصدع بشقوق رقيقة وقاتلة

أنزل السلم العريض بدرجاته الحديدية المفـ[illegible] لأقدامي عليها رنين معدني ، كسلالم الحريق [illegible] الدائري يهبط معي الى دور سفلي في المحطة معقدة المسالك ، خاويا أيضا ، متكرر الارصفة ، أيضا ، بلا نهاية والسماء نفسها فوقي ، وفوق الارصفة العلوية الاخرى ، منفصلة لا تزال ، لا يهب فيها النسيم

وأجد امامي المصعد الكبير الذي ينزلق على بابه الحديدي المصمت ، بهدوء وثقة في مجراه المحفور ويصطك بالجدار المعدني بصوت ثقيل نهائي وفي الموط البطيء احس في قلبي الروع الذي يريد أن يمحو هذا الباب لن ينفتح على قط لن يسمع أحد صوتي عندما أنادي النجدة . لن ينجدني العالم

وتسكت حركة المصعد الفسيح ، وتمر ثانية واحدة كأنها لن تمر ، من الصمت التام الباب معلق ، لا ينبض

ثم يرتعش الباب ببطء ، على الرغم منه ، وينزلق مفتوحا .

وأفلت منه كأنما خرجت من قبر ذي أصداء ، مضيء بمصباح كهربي مدور تتحلق به شبكة أسطوانية من الاسلاك الحديدية عليها سحابة ضعيفة الحركة من الهاموش .

وتمتد أمامي الارصفة المتكررة المفتوحة مرة أخرى وتزداد السماء وليلها الملتبس ابتعادا الادوار العلوية دورا فوق دور ، مدكات شاهقة من الاسمنت معلقة باحجار البازلت اللامعة .

لا اريد الاستسلام للفزع الذي في ساقي ، ولا أريد أن أجري في شوط لا أعرف له وجهة ولا نهاية . أرفض اليقين الذي في جسمي بأنني ضللت الى الابد بين هذه الامتدادات الشاسعة من الارصفة المتعاقبة والمتقاطعة والمتراكبة ، بين اسوار البازلت الشاهقة ، ترتفع عليها مصاعد البضاعة الهائلة وتسقط مغلقة الابواب

العناد ، كاليأس ، لا ينكسر .

صفارة القطار تنطلق فجأة في الصمت المـ[illegible] الرحيب التي تقطعه مصابيح عالية صغيرة . ويتردد [illegible]

الـ . الوحيد صدى أجوف الصدر ، يصطدم بالسقف
الـ ي المحدب البعيد ، قضبانه العلوية المتشابكة في
ـ ندسي رقيق التصميم ، تبدو مفصلاتها القوية
الـ ـل هشة وحساسة أمام عيني المرفوعتين

والقطار يتخم نفسي ، أخيرا ، بدقاته الرتيبة ، مرة أخرى ، كأنها دائما هي المرة الأولى وهو ينطلق في نور الظهر القاسي ، بايقاعه المتراوح الذي يتضخم وينفجر في حبطة مكتومة ثم يهبط يتضخم ، ويمتلىء ويفرقع في هدة مكبوحة ، ثم يخفت هزيمه المتصل المتناوب الصدمات يصطفق في داخلي ، دون هوادة ، في عزم ليس له انقطاع

أسأل نفسي السؤال الممزق ، وأنا صامت ، جامد الجوارح . أين يقف هذا القطار ؟ واذا وقف ، فكيف أعرف انها محطتي ؟

ايقاع دقات العجلات على القطار ، منتظما ، لا يفرغ ، وطنين المحرك الملىء بالقوة لا يبالي شيئا ، هو صمت خاص

الزجاج المحكم على السخونة المفهافة في العربة المكيفة الهواء يبدو منيعا ، لا يخترق

وكأنما على الرغم مني ارتفعت يدى ، لا أملك لها ردا ، تبحث وتتلمس بلهفة مضغوطة متطلبة يدى تريد أن تجد مقبضا أمسك به ، مفتاحا أديره ، زرا كهربيا أضغط عليه ،حلقة معدنية أجذبها ، أريد أن أفتح الزجاج ، أنشق الهواء البارد الذى أراه يهز أشجار الغيطان وعيدان الذرة ، أعرف نسمته المتربة المحببة . لا يُنال .

جدار القطار المعدني ، منبسطا وناعما ، ليس فيه أدنى خدش ولا نتوء ، لا يقطع سطحه المصمت شيء والستائر الكريتون الصفراء بلون المستردة الغامق تنسدل على جانبي الزجاج بريئة ، بيتية ، أحس فيها مع ذلك قصدا خبيثا ، وهى مصنوعة بمكر وأناقة متكررة ، كلها متطابقة .

ترتفع يدى مرة بعد مرة ، بارادة خاصة ، أكابد الحيرة التي لا تنقضي . وأجاهد حتى لا تبدو عليَّ هذه المكابدة الوحيدة ، فأسترق النظر الى الركاب الصامتين ، كل منهم وحده ايضا . حتى الأزواج والرفقاء ، متفارقين . وأعرف أنهم يسترقون النظر اليَّ ، في أعينهم اتهام غير معلن ، مترصد ، هل ينتظرون اللحظة التي يفصحون فيها عن شيء كالاثم قد اقترفته ، لا أعرف ما كنهه ، لكني أعرف انه هناك ؟ وأفاجىء نفسي بالسخرية من نفسي : تظن نفسك من أصحاب الآثام ، وتظن ذلك بطولة مقلوبة على وجهها ، من غير شريك ؟ والشركة في الاثم لا هى تبرئك ولا هى تمجدك .

وقلت لنفسي ليس بين هؤلاء الذين يركبون معي من يثير الاهتمام .

هذه المجموعة المعتادة من ركاب « الديزل » الدرجة الثانية المكيف أواسط كبار الموظفين بعيونهم المتورمة وذقونهم المتهدلة اللحم وحقائبهم « السمسونايت » الاصلى والمقلدة التي تحمل أوراق الادارة أو الشركة أو تصميات المشروعات المربحة للجميع ، وضباط الجيش الشبان ، والذين ليسوا شبانا جدا ، بملابسهم الكاكى المكوية وقد خلعوا الكاب ووضعوه على الرف العلوى المزدحم بحقائب جديدة صغيرة ومتوسطة وبأكياس النايلون المنبعجة بما فيها ، والزوجات ـ أو غير الزوجات ـ المُنهكات جفت النيران الوجيزة التي عرفنها بسرعة ، مكحولات ومصقولات الخدود وشفاههن داكنة الاحرار بالماكياج المستورد ، صدورهن المشدودة لم تعد لها حدوى ، والمقاولون ، والسماسرة والتجار ورجال الوكالات وشركات التصدير وخصوصا الاستيراد ، لاتخطئهم العين ، ملابسهم غالية ولكنها مازالت توحى بالجلباب الحرير والقفطان الشاهي والمعطف البلدى ، عيونهم صلبة ومعدنية . وقلت لنفسي لا ، لا يهمونني ، لست منهم وأعرف أنني لا اختلف عنهم في شيء ولعلهم يعرفون انني معهم . وقلت لنفسي لا ، لست منهم ، لست انا . ثم قلت لنفسي ومع ذلك فانت هنا ، معهم ، في قطار واحد ، وعربة مكيفة الهواء واحدة ، وسوف ينتهي القطار بنا جميعا الى محطة واحدة . ويداى تحترقان فجأة برغبة لاجدوى منها في أن أجد مفتاحا يشق انسداد هذا الزجاج المغلق عليَّ وعليهم . ورأيت فأس الحريق الحمراء الصغيرة ، في صندوق زجاجي مغلق باطار معدني من الالومنيوم الثقيل ومعها تعليمات مطبوعة عن كيفية استخدامها عند اندلاع النار . أين رأيت هذه الفأس ؟

هل يمنعوني من النزول عندما تأتي محطتي ؟ وما محطتي هل يعرفون انني ليس معى تذكرة ، يعني أنه لا مكان لي هنا ، في حقيقة الامر ؟ وهل هذا صحيح ؟ لا أذكر هل اشتريت تذكرة ، ولا أريد أن أبحث عنها الآن في جيوبي ، في المحفظة ، بين صفحات مذكرة الجيب ، لا أريد أن أثير شبهاتهم ، لا أريد أن أستعدى اتهامهم ، لا أريد أن أستفز هجومهم . لست أخافهم ، صحيح ، لكن ما الداعي لانواع من سوء الفهم والخبط المقاصد ؟ سأنتظر حتى يأتي المفتش وتنتهي المسألة ، إما ان أجد التذكرة أو أدفع الثمن مضاعفا ، والغرامة ، وبدل

التكييف والدمغة والرسوم . أم ان المفتشين يرفضون قبول الثمن ، ينتظرون حتى ألوصول الى أول محطة ، ويأخذون المسافر الذى اقتحم القطار الى مكتب الناظر لكي . ما هي الكلمة ؟ لكي .. لكي .. يُطوّق . نعم هذه هي الكلمة . يطوّق ، أو يحبس . لا . لا كان هذا من زمان . في طفولتي . اليس كذلك ؟ لم يعد الامر الآن على هذا النحو . لم هذا الفزع المستكنّ لا يريم ، بذرة أثرية قابلة للانفجار ، لا تريد ان تنفجر عن شجرتها السامة ، ولا تريد ان تموت . غريب ان المفتش لم يجيء حتى الآن لابد اننا سافرنا ساعات وساعات . هذا القطار مباشر صحيح ، لا يعرج على المحطات الوسطى . إلام يذهب ؟ ماالمحطة التي يجب على ان انزل فيها ؟ عندما تأتي سوف اتعرف عليها سوف اعرفها سوف اعرف اسمها من شكل الارصفة ، وشبابيك التذاكر ، والابواب الجانبية ، والسقف ، سوف اعرفها ، من نداءات الحمالين ، ممن ينتظرون يجب ان اعرفها

كان القطار قد ارتفع فجأة فوق جسره ، يتسنم طريقا له وحده وهبطت الاشجار تحتي ، ورأيت ذؤاباتها الكثيفة تنوس برشاقة غير انسانية موسيقية ، حبطات القطار قد ازدادت عمقا ، ولها صدى ، وهو يشق السماء المحايدة المحجوزة وراء الزجاج المسدود . حدائق البرتقال تمتد تحت الجسر ، تبدو نائمة ، شجرها قصير ومدور وخضرتها داكنة والحبات الصفراء المخضرة مرشوقة في الكثافة التي تنضم عليها ، بنهم ، كأنها ملصقة هناك ، غير حقيقية ، فواكه الشمع التي كنا نضعها في فسحة بيتنا وانا صغير ، خداعة لا تؤكل ولا رائحة لها . وعلى حواف الجناحين اشجار الموز القميئة ، مفلطحة الاجنحة ، عقيمة ، تآكلت اطراف ورقها العريض الذى يتهدل هش النسيج والطرق تتشعب ، تحت جسر السكة الحديد ، الى معترقات وممرات ضيقة بين الغيطان الصفراء المحشوشة الزرع ، والبرك الصغيرة بمائها الاسود الراكد عليها وز قليل يجرى فجأة مفزعا لا أسمع صوته ، تحت اسوار حجرية تعلوها اسلاك حديدية مدببة ، تحيط بخرابات مهجورة فيها طوب وكتل من الاسمنت ولافتات زرقاء واسعة تحمل بالحروف الانجليزية والعربية اسماء شركات وبنوك ايرانية وسعودية مصرية مشتركة ونوايا مصانع لاجهزة التكييف وثلاجات للخضر والدواجن ومناطق حرة للتصدير والتوريد ، وربوة مضطربة الارتفاع تأتي فجأة ، وعليها الشواهد ومكعبات القبور المحدبة جديدة التلوين ، تحت شجرة الجميز العتيق

وخطفت تحت بصرى فجأة ، على حافة الترعة طينة الجريان ، سيارة مرسيدس واقفة متنمرة ، فاجرة لمعان تحت ورق الموز المسطح الجاف ، وبالقرب منه نساء سميات وجوههن كالخزف الاملس ، مشقوقة الافواه والعيون ، يأكلن بتصميم وصمت من طواجن ممددة ، يجلسن على ملاءة سرير وردية اللون مفروشة على تراب الغيط ، وايديهن لا تتوقف ، تحمل قطعا كبيرة من اللحم والخبز الملىء بالطبيخ الى الافواه المصبوغة وكانت افخاذهن عارية وسمراء وكثيفة في جلستهن على الارض ، وأولادهن يتحلقون حول الطواجن وترامس الماء الكبيرة البطون وبينهن فلاحات عجائز ، كأن اجسامهن خشبية ، بالطرح السوداء الجديدة ، يقفن غير بعيد ، بلا حركة اندفع القطار ، وارتفعت وجوه النساء الىّ ، الافواه تتحرك ، والعيون جامدة من اللذة المكررة المعتادة ، واختفين وراء القطار

نافذة القطار المزدحم مفتوحة ، وانا اقف بين الناس والقفف واللفف والربط والسلال والحقائب الكرتون المقوى المصبوغ بلون الجلد ، أضع قدما واحدة على ارض القطار المهتز ، واستند بذراع اثقلها التعب والتوتر على مسند المقعد الخشبي وراء رؤوس الفلاحين واولاد البلد المتلاصقين باللبد والطواقي والطرابيش ، وقدمي الاخرى مرفوعة محشورة بين السيقان والشنط والكراكيب التي يكتظ بها ممر العربة الرياح يجرى تحت القطار بمياهه الحمراء عفية العضلات ، أمواجها الصغيرة تسابق القطار وتتقلب عليها كتل صغيرة من الطين والقش والاعواد الخضراء هواء العصر في هذا اليوم من اواخر سبتمبر يهب على وجهي ، باردا وقويا ، من النافذة الخشبية المفتوحة ، ويدخل بنفث الدخان الدقيق الذى أحس ذراته السوداء على يدى وأعلى صدرى تحت القميص غير المكوى المفتوح من غير كرافته ، والجاكتة الصوف الجاهزة الاشرعة البيضاء شامخة فوق اجسام المراكب المدببة الصدر ثابتة الجريان على مياه الترعة التي تبدو فجأة ضيقة ومزدحمة

قرقعة القطار لا تتوقف ، والافندى ، بجانبي ، يتحدث بثقة من تحت شاربه الكث ومن كرشه الكبير ، ويقول لفتى اسكندراني امامه ، ملوّح الوجه وأزرق العينين ، بالـلاسة اللامعة واللباس الاسود الواسع المتهدل الطيات ، أن الحكومة عملت وزارة جديدة اسمها وزارة التموين ، وسوف تعطى الناس كوبونات للجاز ، وبطاقات ، دفاتر صغيرة مخصوصة يعني ، فيها اسماء العائلة وتصرف لهن السكر والزيت بها . وامرأة ممتلئة القوام في ملاءتها التي تراخت على كتفها ،

وكشف من صدرها النازل من فتحة فستانها الواسعة ، مصمص . نفمها الشهواني ورفعت حاجبيها المحفوفين ، فوسع بعينين على عينيها اللامعتين من الالتصاق باحسن الرحال ، تحت قمطة شعرها المحبوكة على جبهتها المدوره وسألت كيف تترك الواحدة أسياء ضناها ، اسم الله عليهم ، عند الحكومة والقفالين ومن يسوى ومن لايسوى ؟ هذا لا يرضى ربنا ، حتى ونظرت الى الولد الاسكندراني العترة الى جانبها ، بطمع صريح وتذكرت أمي وكانت صحوة رحولتي الجديدة مدسة وكان حسمي كله مشدودا من الوقفة المترعرعة والرحمة واليقظة في الفجر وركوب الحمار مع أختيّ الصعيرتين وانتظار القطار الفرعي في محطة كفر داود الذى يتوقف كل خمس دقائق ، ثم الانتظار في محطة ايتاى البارود للحاق بقطار الاسكندرية ولم يكن قد أكلنا الا القراقيش التي عملتها لنا جدتي باللبن الرايب والزبدة ، وأوصتني على اخواتي ودعت لى بأن يكتب لى في كل خطوة سلامة وان يحوطني ، بحق اسمه يسوع ، ببركة الصليب في كل مطرح أحط فيه رحلي ، وقبلتني على خدى شفتيها الجافتين وشممت رائحة الحطب والخبيز من طرحتها السوداء وهي تضع حولى ذراعيها الصعيرتين

أستند بحزم من ظهري الى القفة الكبيرة التي وصعنا فيها الوزة المدبوحة المنتوفة الريش ، والقراقيش ، وصفيحة الزبدة التي سوف تسيّحها أمي لتعمل منها السمنة والمورتة ، وأستند بجزء من جنبي الى حقيبتنا الكبيرة التي ربطنا فوقها ، بدوبارة غليظة ، لحافنا القديم ولم يكن اللحاف نظيفا جدا ، كنا قد تعطينا به مد كنا صغارا جدا ، انا واخواتي ، عاما بعد عام والهواء يندفع من نافذة القطار فيمصع رائحة اللحاف والفتاة التي تجلس امامي ، ملتصقة حدا بأختي من ناحية ، وبالست العجوز المهدمة التي لا بد انها أمها ، او خالتها ، من ناحية اخرى ، تحولّ وجهها عن الحقيبة كلما انحرف القطار في طريقه فاشتد تيار الهواء واحس العرق الخفيف يحز وجهي بفتات دخان القطار الدقيق وكان وجهها جميلا وسمرتها صافية وحيّة ، وعيناها حادتان متقلبتان بموج صغير فاتح الخضرة وجسمها لمزحوم يبدو لعيني قويا ومتوفزا ، مدور البطن ، وكان صدرها كبيرا ومحبوكا ومثيرا وتنظر الىّ . ولا أجرؤ على فهم ما تقول عيناها وقلت لنفسي هل هي تلميذة الثانوي تعود للمدرسة ، مثلنا ؟ أو بائعة في سيدناوى ، مثلا ، او هانو ؟ وسرحت في قصة عن أنها تحب ولدا مثلها وانه يحبها ويشتاق اليها وقالت لي فجأة بصوت غاضب الا أستطيع أن أزحزح هذا من

أمامها ؟ ألم يكن هناك مكان آخر أضعه فيه ؟ وأصابعها المكترة الدقيقة الاطراف بعيدة كأنها تحترق ، حارجة ، ربطة اللحاف التي يضطرها الزحام ان تصعط بساقها عليه فرددت عليها بصوت هادىء ومؤدب ومثقف انني متأسف ولكن الامر لم يكن بيدي فقالت بصوت حار وثاقب ان هذا غير ممكن وغير لائق حتى ووجدت نفسي أجيب بصوت مستثار ومستغمر أنها ترى بعينها هذه الزحمة وانها لو تستطيع ان تجد طريقة فلتتفضل بأن تقولها ، وقالت هذه الربطة هل يعني من نصيبها ان توضع أمامها ، وما هذه الربطة ؟ أهذا يصح يعني ؟ ولم أتنبه الى ان سؤالها كان سؤالا حميا ، وكانت عيناها الآن مشتعلتين وكان صوتي الآن عدوانيا ومهاجما وأنا اقول انه يجب ان نتحمل بعضنا ساعة زمن على اقل تقدير وانني لست السبب في قيام الحرب وزحمة القطارات وان المسألة ليست ما يليق وما لا يليق بل مسألة ظروف لانتحكم فيها ، وضبطت نفسي اوشك ان أفلسف اخلاقيات زمن الحرب فسكت مرة واحدة وسكتت هي بعد ان تنبهت الى الناس حوالينا وكانوا ينظرون الينا ، وكانت السيدة الملفوفة التي تبدو في عنفوان نضوجها المتأخر قد مالت على الولد الاسكندراني جارها ، تتابع الخناقة ، ورفعت يدها تسوى مدَورتها بسرعة على شعرها ، وانحدرت الملاءة السوداء على ذراعها العارية البيضاء المتموجة المياه ، وكان جانب ثديها الآن ملتصقا بكتف الفتى وبدا كأنه محبوس وممتلىء وعادت قرقعة القطار تتتابع وتدق ، مرتفعة مرة أخرى ، وتعرق همهمة الكلام ونداءات البياعين الذين يقفزون وينحشرون بين الركاب والقفف والحقائب ، يحملون على رؤسهم مقاطف اليوسفندى الطازة العشرة بقرش . واكتشفت فجأة وهي تنظر الىّ بعينها الخضراوين ، فيها غضب وفهم ، انني متوتر وصلب جدا ، وان بطنها دمث وراسخ ، وصدرها يهتز ، بثقة ، مع هزات القطار الرتيبة

عندما ماتت اختى بالتيفويد في آخر ذلك العام تذكرت نظرتها الوديعة الىّ وهي بجانب هذه الفتاة ، كأنها تعمر لي ، وتذكرت اننا لن نجد عربة حنطور تقبل ان تحملنا الى البيت من المحطة بثلاثة قروش وهي كل ما كان معي ، وانني حملت الحقيبة وتركت لها القفة الكبيرة وكانت ثقيلة عليها ، فرفعتها وحملتها فوق رأسها ، وهي ماتزال طفلة بالكاد في الرابعة عشرة ، وكانت نحيلة وشديدة السمرة وشعرها مجعد وعيناها فيهما شجن لا أفهمه وهادئتان ، ومسحوبتان كحبات اللوز ، وصعيدية جدا ، وكانت أقربنا شبها بأبي . وبكيت عندما تذكرت كيف كانت تسير الى البيت بصبر

وصعوبة ، أمام المقاهي والدكاكين المنيرة المزدحمة في اول الليل ، وتقول أنها ثقيلة فأقول هانت وسنصل بعد دقائق ، وكانت دموعي صافية لاول مرة وعرفت ان البكاء لا معنى له وان الالم الذى يمزق القلب شي لا وزن له ولا يجدى شيئا عند أعز الناس الى القلب وتعلمت شيئا آخر عن الوحدة وانا أبكي الان ، بعد السنوات الطويلة ، بلا ضرورة أيضا وكنت حزينا وأنا افكر انني سأجد اختى تنتظرني على الشباك وسوف أرى وجهها الصعيدى الناعم السمرة وعينيها العميقتين المجولتين بسوادهما الذى تخفيه عني ، وانها ستقدم لي فنجان القهوة المضبوط الذى تعرف كيف تصنعه لي ، لكي أسهر طول الليل أنهي كتاب تاريخ الحضارة وأرده غدا للمكتبة البلدية وقلت لنفسي انى لن اصرنها على وجهها بعد الآن لانها تقرأ رواية غرامية من روايات الجيب وسأقول لها ألا تسهر تنتظرني حتى أعود بعد منتصف الليل وبعد ان ينام كل من في البيت وتعد لي عشائي وتسألني اذا كنت اريد فنجان القهوة المضبوط ، لا داعي ان تسهرى ، نامي أنت ، سأعد لنفسي العشاء وكنت أفكر أن الحزن ورقة القلب غريبة وقد فات اوانها من زمن بعيد ، وليس لها الآن أدنى اهمية

كان زجاج النوافذ مصمتا والستائر الكريتون الداكنة الصفرة تبدو كأنها ورق ديكور قديم وكركرة تكييف الهواء الخافتة قد سكتت والناس صامتين يتحركون كأنهم مرغمون على النزول ضباط الجيش من غيرة حماسة الآن ، والنساء اللاتى بهت الماكياج على عيونهن المرهقة الظالمة ، والمقاولين بعد غلظة الاكل والبيرة وحسابات المكاسب العقلية وغير العقلية راضين جدا ومثقلين بأجسامهم التي كأنها ماتت عنهم

والقطارات المنطفئة قد توقفت اخيرا في ساحة المحطة الداخلية التي تتوقد فيها مصابيح متناثرة على اعمدة عالية ، بقعا باهتة تسقط ضوءا قليلا على القضبان الحديدية وتعريشة نباتات طازجة الخضرة في النور المصنوع ، تتسلق على جدران كشك خشبي مفتوح الباب ، ووراءها أوراق التين الشوكي العريضة الكثيفة الجسد ، أيديها ممدودة مرفوعة مدببة الـ[illegible] حصرتها غضة وشرسة وتوشك أن تتفجر بدمائها [illegible] تراب الفحم عالية ولامعة السواد بجانب ثمرات [illegible] الشوكي المغلقة المستكنة بين لفائف الخضرة القد[illegible] قد أفرغت من سكانها ، ونوافذها فوهات محترقة ، [illegible] سواد الدخان والدبابات القاتمة اللون في الليل [illegible] ومعمورة ، خارج السور الحديدى الطويل ، مدافعها ثابتة تخترق الظلام ، مترصدة

طلقات الرصاص بعيدة ، تتجاوب متقطعة لها أصداء تتردد بين الشوارع التي انحسر عنها الناس ، فاتسعت وهي تشق قلب المدينة الصامتة والبيوت خارج سور المحطة مرصوصة ومتطابقة ومسدودة النوافذ ، غارقة في الماء ، مظلمة كلها ، أعرف أنها معلقة على نفسها ، حقل من ازهار عباد الشمس الحجرية في الليل طوت أوراقها القديمة الصلبة على بذورها وتصامت أعمدتها الساقطة التيجان واقتربت بدون صوت من بعضها البعض فلم تترك بينها فسحة لاعتداء الليل

وقع خطواتي ثابت وواثق على الحجر وأنا أرتفع ، في الظلمة ، على حافة بناء شاهق يقف على طرف جسر ترابي مرتفع ، وتحته الماء الراكد كأنه مرآة ساكنة السطح ، مدت عليه الواح من الخشب تصل بين الرصيف وحائط البناء المتين الاحجار أصعد السلالم الخارجية المنحوتة خارج البرج ، من غير سياج ، كتلا صغيرة ضيقة وعرة ، مرصوصة فوق بعضها البعض ، من حجر أبيض ثقيل الملمس تحت قدمي

أرتقي السلالم الحجرية بعزم معقود وأساسي ، وانا أترنح بالنشوة والغضب ، معلقا على حافة هذه السماء التي امتلأت بجسد الليل أعرف انني لا أستطيع النزول ، انني لا يمكن ان أنزل الآن ، وانني أصعد الى هذا الوجه بسمرته الصافية ، وموج عينيه ، الى هذا الجسم الناعم الراسخ الذى سيبقى معي الى يوم موتي ، وانه لا يمكن أن يفصل بيني وبينها شيء ■■

ادوار الخراط

سؤال وجيه

● احذت ام ايطالية تعظ ابنها الصغير مبينة له انما انما وجدنا في هذه الدنيا لكي نعين غيرنا من الناس . ففكر الولد قليلا ثم سألها في لهجة الجاد المهموم .

« وما الغرض من وجود غيرنا من الناس ؟ »

* *

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي · مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يوليو (تموز) ١٩٨٠

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من أوائل المؤلفين في الاسلام ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم زعيم هندي راحل .

الكلمات الأفقية :

١ ـ حاملات العناصر الوراثية في الخلية الحية ـ تحدث في أثر بعضها

٢ أعلى شلالات العالم ـ عاصمة أوروبية

٣ اكتمل ـ موسيقى عالمي من أصل روسي ـ نصف كلمة (رقصت) .

٤ حرفان متشابهان ـ يلاحظه ـ حلف .

٥ تشارك ـ حرفان متشابهان ـ خراب

٦ ـ شاعر ايطالي من القرن التاسع عشر ـ مست

٧ ـ ضمير ـ نصف كلمة (سائد) ـ للتمني ـ مؤلف اغريقي تكلم بلسان الحيوانات

٨ ـ من أوائل المؤلفين في الاسلام

٩ ـ بحيرة افريقية ـ كتاب شهير لتشارلز داروين .

١٠ ـ لاذ ـ من الفواكه ـ حاكي

١١ ـ تصنع فيما بينها زوايا قائمة ـ ولاية أمريكية .

١٢ ـ نصف كلمة (نعجة) ـ رسام معروف من عصر النهضة الايطالي .
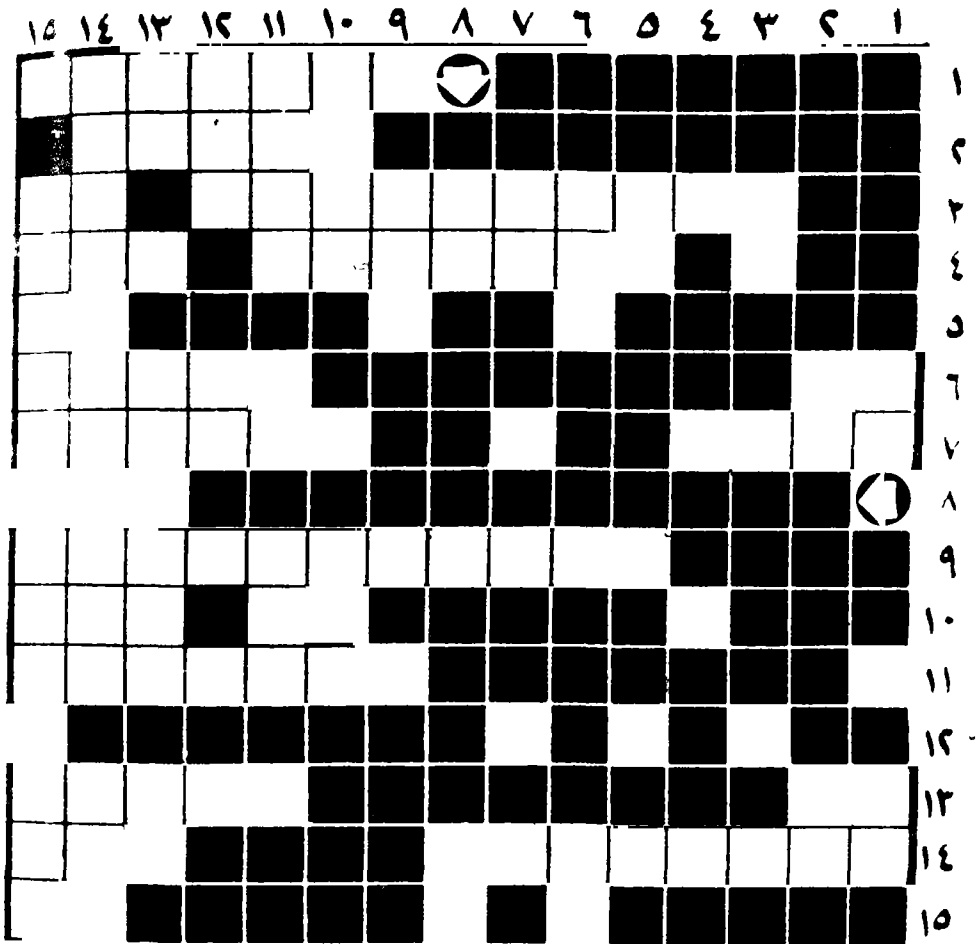
١٣ ـ من رواد التحديد الموسيقي في الوطن العربي ـ مسئوليات عمل

١٤ ـ شاعر عباسي معروف ـ في القرآن الكريم ـ حرف نفي

١٥ ـ أقل منها ـ في الدرة

الكلمات الرأسية :

١ ـ من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ـ أرض مرتفعة ـ من الحشرات

٢ ـ حيوان ـ تنقض عليه ـ للنمي

٣ ـ عظم ـ اتحاد بين نابين يعيشان معا ـ من الدهون

٤ ـ يتفاخر ـ حرفان متشابهان ـ خالفت أمره

٥ ـ ضياء ـ أوان ـ حرفان متشابهان ـ اقترب

٦ ـ ألود ـ مضيق معروف

٧ ـ تنفيها ـ يرتقي ـ رصاص

٨ ـ زعيم هندي راحل

٩ ـ مرور ـ آلة تدور على محور ـ كلمة تحذير

١٠ ـ يظهر ـ فك ـ أشيعه

١١ ـ فوقهم ـ من الزهور العطرية ـ حرفان متشابهان

١٢ ـ في الوجه ـ قطر عربي ـ آلة الحصاد في عقا- الاعريق

١٣ ـ قوام ـ من الحبوب ـ صيانة

١٤ ـ في الكف ـ نصف كلمة (سوار ـ مجلة شهرية عربية

١٥ ـ تراسل ـ حصم ـ من الأحجار الكريمة

أديب فرنسي معاصر

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لأديب وكاتب فرنسي معاصر ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه

الكلمات الأفقية .

١ ـ من المضادات الحيوية
٢ ـ دولة أوروبية
٣ ـ لفظة ضيق ـ من امارات الخليج العربي
٤ ـ من الفاكهة
٥ ـ من الاقارب ـ مقام موسيقي
٦ ـ تقهقرت

الكلمات الرأسية :

١ ـ تضاف الى الطعام لتحسين مذاقه
٢ ـ شهر ميلادي
٣ ـ من الأمراض ـ ضمير
٤ ـ عاصمة أوروبية
٥ ـ يسير على قدميه ـ اترك
٦ ـ سبيح صناعي
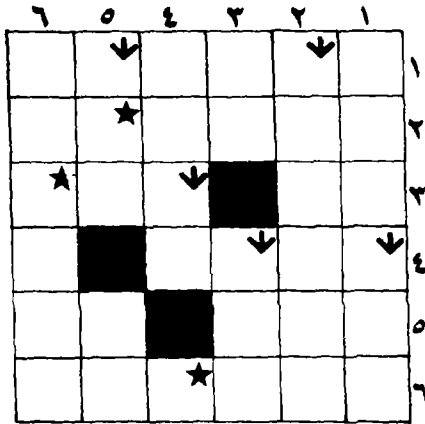
أين الصواب ؟ .. وأين الخطأ ؟ ..

هذه المعلومات بعضها صحيح ، وبعضها خطأ . هل تستطيع التمييز بينها ؟

١ ـ فيلولوجيا   علم دراسة النصوص القديمة .
٢ ـ شق رولاند   خليج استرالي
٣ ـ سيمون بالاس   واضع أسس علم السلالات البشرية
٤ ـ ريفولي   معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا
٥ ـ قطر الندى   ابنة الأمير خمارويه ، وروحة المعتصد بالله
٦ ـ سنحاريب   ملك آشوري قديم
٧ ـ زواج أخضر   الاسم الشائع لكبريتات الحديد
٨ ـ راديولوجي   علم اللاسلكي
٩ ـ كاتوللوس   شاعر روماني قديم هجا يوليوس قيصر
١٠ ـ لاكوست   غازي أوروبي قديم

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصمين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم .

اندري جيد

اختبار معلومات

كلها صحيحة فيا عدا
(٢) شق رولاند   من نواحي المخ البشري
(٨) راديولوجي   علم الاشعة
(١٠) لاكوست   مبتكر صناعة السينما الناطقة

الشكل المطلوب :

رقم ١ .
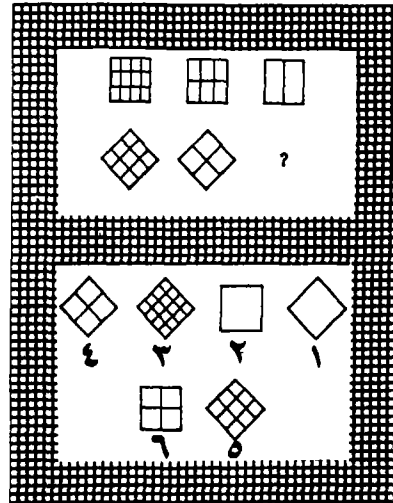
وســـــــت إنـــــد

تحفظ الوقت بدقة

الآن .. ساعات كوارتز الجديدة

لوكيل العام :

يعقوب يوسف بهبهاني

ـب : ٣٣٤ ـ الصفاة ـ الكويت ـ هاتف : ٤٣٣٥٨٥ / ٢١١٣١

استثمارات

أدخلوا مع ك.د.ب. الالمانية الغربية عالم استثمار الأموال في أسواق العملة العالمية.

فاستثمار الأموال فى البورصات العالميه لم يعد حكراً على طبقه معينه فقط وانما يتطور ليشمل طبقات رجال اعمال جديده ظهروا على السطح بفعل الثوره الاقتصاديه الحديثه. ونحن ندعوك لمشاركه زبائننا في ارباحهم الجيده التي حصلوا عليها من خلال استثمار اموالهم لدينا. وقد حصل زبائننا على نسب صافيه من الأرباح بلغت:

عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	عام ١٩٧٩
٪٢٩،٤٣	٪٤٣،٨٤	٪٣٣،٣٣	٪٢٤،٩١

معفاة تماماً من أيه رسوم او ضرائب. اذا كنتم راغبين انتم ايضاً في الانضمام الى عداد زبائننا العرب والاوروبيين الراضين تماماً عن نجاحنا في اداره واستثمار اموالهم في اسواق الانتاج العالميه فيمكنكم الاتصال بنا. ويسرنا ان نعطيكم المزيد من المعلومات فى الكتب العربية والانكليزية معاً. الحد الأدنى للمشاركه: خمسة آلاف دولار اميركي. نعمل في مجال الاستثمار وادارة الاعمال وبنجاح منذ عام ١٩٦٥.

اكتبوا الينا باللغة العربيه او الانكليزية على العنوان التالي:

KDB DEPOTBETREUUNG GmbH

HANS-THOMA-STR. 19
P O BOX 700650
6000 FRANKFURT/MAIN 70
WEST-GERMANY

مِنَ المسرح العالمى

وزارة الإعلام فى الكويت

أول مايو ١٩٨٠

العدد ١٢٨

من الأعمال المختارة

برانيسلاف فوشيتش - ٢

ممثل الشعب

ترجمة وتقديم : د . فوزى عطية محمد

مراجعة : د . سمية محمد عفيفى

رولكس "آرنولـد پـالمـر"
دائـــمًا تـــدور ســتّين

في نـادي غـولفْ
" بـيرَكـدَيْل" الملكيْ لوحَـة
تـحيي ذِكرَى أشهَرِ ضربَات
اللاعِبِ " آرنولـد پَالمـر"
حدَث ذلكَ أثنـاء المبَاراة
التي أقـيمت عَـام ١٩٦١
في بريْطانيَا للاعبين المؤهّلين فنيًّا
لـدخول المـاراة ،
عندمَا انتهتْ رمية " پالمر"
الخامسَـة عَشـرَة - وكـان
" داي ريـس" الويلزي يَستحثّه
ويحفـزه - بأنْ استقرّتْ الكـرَة
تَحتَ شـجَيرة خفيْضـة .
ومَـا أنْ امسَـكَ " پـالمـر"
بالمضْرب "رقـم ٥"،
حـتى أدركَ
جُمهُور النظّـارة أنـّه يُحَـاول
قَـذفَ الكُرَة
الى المرج الأخضـر
عَلى بُعد ١٥٠ يـاردة .
وفـيمَا بَعد ، قـال" پالمر"
أنـّه لـم يسْـبق لـه
أنْ ضَـربَ الكُرَة بهَـذه القوّة،
حَيث انه قطع الشجَيرة بمضربه
وفصَـلهَا عن الأرض وانطلقت
الكرَة بعيـدًا نحوَ الهَـدفْ .
ضـربَاتٌ جـَريئـة كهذه هيَ التي أكسَبتْ
" آرنولـد پَالمـر"، المقـام الرّفيْـع
وجَـميعَ ألقَـابْ البطولـة في هـَـذه اللعبَـة .
والسّـاعة التي يتَقلّدهَا شـبيهَة بـه من حَـيثُ
القـوّة والـدقّـة والشُـهرَة .

إنهَـا " رولكـ داء
التي اكتسبَت هو يصر
أرفـع مقـام مُستط ود
لقبْ" الكـرونومتـر الـ
الـذي يَصبُـو اليـه كـثير
الـوَاقـع، وعلى الـ
مُن أنّ إنتـاجهَـا
لا يُشـكّل سِوَى جـزء
من الإنتَـاج الإجْمَالي
للسّـاعَاتْ السّويسريّة ، د
حَصَـلتْ رولكـس
عَلىْ مَـا يَقـرُبُ مِنْ
نصفْ الشَـهادات التي مـ
في أيّ وَقـت مَضَى
لِصَـانعي السّـاعَات الكرو
عنـدمَـا يقـذفْ " بـ
الكـرَة بمضْـربه تـ
بسُـرعَة ١٥٠ ميـلاً في
ويسَـاويْ وَزنْ
قـوّة الصّـدمَة الدافعه الـ
مَا يَـزيدُ عَلىْ الطـنْ
ومَـع ذلكَ ، يستطيع
" پـالمـر"، بضربَة فنّية
أنْ يُدخِـل الكُرَة في الـ
ويُحـرز معهَـا
قـصَبْ السّـبق .

هذا الجَـمع بَين القوّة العَـارمَة والدقـة
هوَ الذيْ جعَل من " آرنولـد پـالمـر"، أشهَر
عَـرفَـه مضمَـار الغولفْ .
إحسَـاسُ كَهَذا
ليسَ غَـريبًا عنـّا .

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس " داي-ديت" كرونومتر مصنوعة من ذهب عيار ١٨ قيراطًا ، مع سوار ملائم

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو - أيار
١٩٨٠ م

تأليف :
الدكتور محمد عمارة

الكتاب التاسع والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

COPFORD COLLEGE, ENGLAND

كلية كوبفورد الداخلية بانجلترا

دورات لتعليم الانكليزية أثناء الاجازة الصيفية

ثمة دورتان للاجازة الصيفية ، احداهما للطلبة الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٠ و ١٤ سنة ، والاخرى للطلبة الذين تزيد اعمارهم على ١٥ سنة ـ وكلتاهما تيسر فرصة فريدة للطلاب الذين يلمون بعض الشيء باللغة الانكليزية او لا يلمون بها اطلاقا ومدرسونا المؤهلون خير تأهيل ، خبرة وتخصصا ، في تعليم الانكليزية كلغة ثانية يقدمون دورات تعليمية مكثفة ويعقد اختبار للطلبة عند وصولهم لالحاقهم بمجموعات تناسب مستواهم في اللغة ولا يزيد عدد الطلبة في كل مجموعة على ثمانية . ويتيسر مختبر للغة ذو ١٢ مقصورة للدراسة الشفوية ، بالاضافة الى جميع وسائل التدريب الحيوية العصرية الاخرى التي هي تحت تصرف الطلاب

وتعد الكلية فريدة من نوعها اذ تنظم دروسا خصوصية اثناء وقت الفراغ لمن يرغب من الطلبة وخاصة الذين يحتاجون تقوية لامتحانات الملاحق او امتحانات القبول بالجامعات او المدارس بانجلترا

وتحتل الكلية بقعة مثالية في قرية كوبفورد التي تؤلف مجتمعا وديا غير فاسد في قلب مقاطعة اسكس الريفية .

ومع ذلك فانها لا تبعد عن لندن سوى ساعة واحدة بالقطار وتقوم كلية كوبفورد وسط منطقة مساحتها ٢٢ فدانا من الحدائق والاحراج ، وتتيح الفرصة للطلبة الذين هم في العاشرة ويريد ـ بينما هم يتعلمون الانكليزية ـ ان يتشربوا طريقة الحياة البريطانية · ثقافتها ، وتقاليدها ، والهوايات التي تمارس فيها في اوقات الفراغ

وتشجع الكلية على بث روح الزمالة بين طلابها دون اية تفرقة في الجنس او العرق او الدين . والطلاب الذين يعصمون تحت لواء هذه الجماعة المتعددة الجنسيات لا يسعهم الا ان يتطوروا في جو مفعم تماما بالتسامح والوئام .

وتنظم الايام بشكل يتيح للطلاب الانتفاع الكامل بوسائل كثيرة تتيسر في الكلية لاوقات الفراغ ، من امثال مسبح ساخن المياه ، وملاعب للتنس ، والغولف والكريكيت ، وكرة القدم ، والكرة الطائرة ، تنس الطاولة ، والرماية ، كما توجد سيارات سباق للطلبة سرعتها القصوى ٣٠ ميلا في الساعة وتتوفر فيها شروط السلامة ، وهناك فرص لركوب الخيل في ناد مجاور ، وايضا التجديف بالقوارب وتنظم بالاضافة زيارات متعددة لاماكن سياحية .

وصحة الطلاب والترفيه عنهم هما في عداد المسؤوليات الاولية الملقاة على عاتق « الام الحاضنة » صاحبة الاختصاص في رعاية الصغار وتقدم قاعتنا للطعام اطباقا خاصة تفي بشتى المتطلبات سواء من الناحية الدينية او صحية وتنظم وجبات خاصة للطلبة الذين يصومون رمضان ، كما تحتفل الكلية بعيد الفطر المبارك وتقيم حفلات اعياد ميلاد الطلبة .

للحصول على معلومات اضافية يرجى الكتابة باللغة الانكليزية او باللغة العربية الى .

Mr. M. Ibrahım , Copford College , Colchester , Essex , England

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

دعـــــوة
الى الترشيح لجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

تمشيا مع اهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والاداب والفنون وذلك وفق برامجها السنوية وخططها على المدى البعيد والقريب

ومن خلال هذه الجوائز تسجل المؤسسة اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين

أ ـ على مستوى الوطن العربي بما فيه الكويت

تمنح المؤسسة في كل من الحقول الخمسة الآتية

١ ـ العلوم الاساسية في مجال العلوم البيولوجية Biological Sciences
٢ ـ العلوم التطبيقية في مجال الهندسة المدنية Civil Engineering
٣ ـ الفنون والآداب في الشعر الغنائي العربي Arabic Lyric Poetry
٤ ـ احياء التراث العربي والاسلامي في تاريخ الرياضيات عند العرب History of Arabic Mathematics
٥ ـ العلوم الاقتصادية والاجتماعية في مجال التغيير الاجتماعي في الوطن العربي خلال العقدين الماضيين
Social Changes in the Arab Nation in the last two decades

جائزة سنوية قدرها خمسة الاف دينار كويتي (٥٠٠٠ د ك) لكل من (واحد أو اكثر) اسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل

ب ـ على مستوى دولة الكويت

تمنح المؤسسة في كل من الحقول آنفة الذكر جائزة سنوية قدرها خمسة آلاف دينار كويتي (٥٠٠٠ د ك) لكل كويتي (واحد أو اكثر) اسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل

ويشترط فيمن يحصل على جائزة المؤسسة

(١) ان يكون انتاجه مبتكرا وذا اهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية
(٢) ان يكون المرشح من ابناء الاقطار العربية
(٣) تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية
(٤) يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وانتاجه العلمي ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة
(٥) لا يعاد الانتاج المقدم الى مرسله فاز المرشح او لم يفز
(٦) لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشان منح الجوائز للفائزين
(٧) على الفائز ان يقدم محاضرة عن الانتاج الذى نال الجائزة عنه
(٨) تقبل الترشيحات ابتداء من ٨٠/٣/١ الى ١٩٨٠/١٠/٣١
(٩) ترفق مع الترشيحات اربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان التالي

السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ ص ب (٢٥٢٦٣) الصفاة ـ الكـويت

وتقوم المؤسسة بالاعلان عن هذه الجوائز كما تقوم بارسال دعوات الى الجامعات والهيئات العلمية

كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية تقديرية وشهادة خاصة تبين مميزات الانتاج واهميته بصورة مقتضبة

NEW DELHI
رحلة في مصايف العراق
الخليج والإسلام.. والغرب
تقول : لا

عزيزي القارئ

في هذا العدد ، يعود الى قارىء العربي الجزء الخاص بمناقشة « القضايا الحيوية » بعد غيبة طويلة ، ظلت خلالها خطابات القراء تلاحقنا بالسؤال والاستفهام ، والاشارات المبطنة الى الاسباب التي ربما تكون قد ادت الى اختفاء هذا الجزء من صفحات العربي ، وهل هي سياسية ام فنية ؟ !

وربما كانت الفائدة الوحيدة التي تحققت نتيجة هذه الغيبة ، هي ان احساسنا قد ازداد عمقا بحاجة الامة العربية الى الحوار ، حتى ولو كان ذلك في حدود القضايا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لقد ازددنا يقينا باننا بحاجة ملحة الى الانتقال من حديث الذات الى الحديث مع الآخرين ، من « المونولوج » الى « الديالوج »

ورغم ان ذلك امر محزن للغاية ، ورغم اننا لاندعى ان العربي ستسد هذه الثغرة وتعالج ازمة الواقع العربي ، الا اننا على ثقة من ان اى اسهام على اى مستوى في توفير فرصة الحوار حول اى قضية ، هو غرس لبذرة طيبة لابد انها سوف تؤتى اكلها بعد حين

لقد ساهم الواقع العربي ـ من ناحية ـ في اختفاء مناقشات القضايا الحيوية ، ذلك ان وصول المجلة الى القارىء كان يستغرق وقتا اطول مما ينبغي ، ووصول رسائل القراء والكتاب المشتركين في تلك المناقشات كان ايضا يستغرق وقتا أكثر مما ينبغي ، الامر الذي عطل الى حد كبير اتصال الحوار في الكثير من القضايا التي اثيرت

ومن حاسا ، فقد تم حل مشكل وصول العربي الى القارىء ، وبقيت مشكلة وصول رسائل القراء في الوقت المناسب ، وهو ما نأمل ان يحل « يوماما » !

رجاؤنا الاخير ان يقتصد الكتاب والقراء في كتاباتهم التي يسهمون بها في المناقشات ، حتى تتاح الفرصة لدائرة الحوار ان تشمل اوسع مساحة ممكنة وحتى لاتضاعف من مشكلاتنا بدلا من حلها اى لاتصبح المشكلة هي تلقي المواد في موعد مناسب فقط ، بل تضاف اليها بعد ذلك مشكلة اختصار المقال في الحيز المناسب

وغاية ما نرجوه ان نشعل شمعة وسط الظلام الدامس ، وان نخترق حاجز الصمت الثقيل ، ولو بهمسة متواضعة !

المحــرر

صورة الغلاف

مشكلة ان العرب يعرفون عن السياحة في اوروبا وامريكا باكثر مما يعرفون عن السياحة في وطنهم الكبير . لن تحل الا بمحاولة « اكتشاف » منابع الجمال ومواقعها في بلادنا الشاسعة ، والحافلة بكل ما هو جذاب وعريق من مظاهر الطبيعة وامكانياتها ورحلتنا الى العراق في هذا العدد خطوة في هذا الاتجاه (راجع استطلاع الشهر على الصفحات ٧٢ ـ ٨٢)

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

سارتر

الخليج .. والحركات

الإسلامية .. والغرب

بقلم : أحمد بهاء الدين

من اكبر المآسي التي عرفنا منذ الحرب العالمية الثانية ، ان الولايات المتحدة القوية ذات الامكانيات الهائلة ، كانت دائما تفهم العوامل الاجتماعية والسياسية المؤثرة في العالم الثالث ، متأخرا . أحيانا بعد فوات الاوان ، ودائما بعد ضياع وقت ثمين جدا واهدار جيل او جيلين على الاقل من الصراع العقيم

وطبعا يأتي بعد ذلك من يسأل في امريكا من المسئول عن ضياع الصين ؟ من المسئول عن ضياع ايران ؟ الخ .

ورد هذا على خاطري منذ اسابيع ، وان كان المثل خارج الموضوع ، عندما فوجيء العالم في انتخابات زيمبابوي روديسيا ، بفوز روبرت موجابي فوزا ساحقا ، وفجأة انقلب موجابي في الصحف البريطانية من « الشيطان » الى « رجل الاستقرار » ، حتى ايان سميث رحب بفوزه .

تذكرت انني عرفت موجابي سنة ١٩٥٧ او سنة ١٩٦٠ في غانا ، عندما عقد اول مؤتمر للاحزاب الافريقية في اول دولة تستقل في افريقيا السوداء . كان هناك موجابي . ونكومو ، ونكروما ، لومومبا ، وكان جومو كينياتا مسجونا فحل محله توم بويا .

لم يكونوا شيوعيين ولا ماركسيين بل وليست لهم اي صلة بالعالم او ببعضهم البعض . كانوا وطنيين يريدون زوال الاستعمار في تعاون مفيد مع الدولة المستعمرة ، ولم يكونوا قد حملوا

السلاح بعد . باستثناء جومو كينياتا ، الذي كان مسجونا كما قلت ، وكانت الصحف الغربية تصور حركة المقاومة المسماة « ماوماو » في كينيا على انها حركة متوحشين وقد رأينا كينياتا بعد ذلك عاد في الاعتدال ، وكان هناك الشاويش الذي يحارب مع الانجليز ضد ماوماو ، ويكافأ بالترقية بعد الترقية على عنفه ضد الثوار ، اسمه عيدي امين

هل لم يفهم العرب حقا العوامل السياسية في افريقيا مثلا . فطال العذاب عشرين عاما ؟ ! ان القوى المسيطرة في الغرب كانت ببساطة لا تحب ان تفهم ، وتتصور انها قادرة على البقاء بالقوة اطول فترة ممكنة ؟

واحيانا يحدث العكس !

فنرى الباحثين الاكاديميين في الغرب ، يركزون على تفاصيل صغيرة جدا ، ربما تثبت تعمقهم في البحث ولكنها لا تثبت قدرتهم على الحكم الصحيح ، اذ يسون في خلال هذا البحث الميكروسكوبي العوامل الكبرى الاساسية في منطقة ما

وهذا النوع من التصور ، يجعل الرأي العام العربي يعتقد ان ما يجرى في بلد ما سببه ان اهل هذا البلد أساس مختلفون عن البشر وان ما يحدث عندهم لا يقاس عليه وانهم شواذ

وآخر مثل على ذلك ، ما حدث في ايران ، كانت ثورة ايران مفاجأة تامة في عنفها ، وجماهيريتها ، ونوع قياداتها ، وكان اول رد فعل تحليلي ما رأيناه من عكوف الباحثين على تحليل المذهب الشيعي الذين يدين به اغلبية الايرانيين وانواع الشيعة ومذاهب الشيعة واضطهاد الشيعة منذ ١٤٠٠ سنة وفلسفة الاستشهاد والفرح بالموت عند الشيعة اذ يستحم الرجل ويتطهر ويلتف بكفنه ليحرج الى الموت فاتحا صدره لقذائف الدبابات

ملامح مشتركة لثلثي العالم

هنا ايضا يمكن ان نقول انه لاشك ان العوامل الاجتماعية لها صفاتها الخاصة في كل قطر او في كل كتلة حضارية مثل العالم الاسلامي ، او افريقيا السوداء ، او جنوب شرق آسيا

ولكن ما أعترض عليه هنا ، هو الاسراف في تجسيم هذه « الخصوصية » ، لان الاسراف والانحصار فيها خطأ مثل خطأ تجاهلها تماما

اذن ، لكي يأتي حديثنا هذا متوازنا يجب ان نتعرض لأمرين

الاول ـ العوامل الديناميكية التي يشترك فيها العالم العربي ، والاسلامي ، ومنطقة الخليج ، مع ثلثي العالم كله تقريبا . وهي في ايجاز قضية الفقر والتخلف .

والثاني ـ العوامل الخاصة بالمنطقة العربية الاسلامية .

هذا العنصر الاول المشترك جوهري جدا وهام لانه العنصر المشترك فيما يسمى العالم الثالث كله واحيانا ما تكون الفروق بين المناطق مجرد خلاف في طريقة التعبير المناسبة لكل بيئة

الخميني

وكلنا على علم بقضية العالم الثالث ارتفاع نسبة الامية . انخفاض مستوى الصحة العامة بدائية وسائل الانتاج اعتماد الاقتصاد على الخامات اساسا . قرب عهدها بالاستقلال والمسئولية عن نفسها . وبالتالي عدم قيام مؤسسات دستورية ثابتة تحقق لها درجة من الاستقرار انعدام وجود طبقة وسطى كبيرة تكون هي اساس الاستقرار الاجتماعي ، واتساع الفجوة بين نخبة قليلة العدد وقاعدة فقيرة وغير متعلمة

تلك بايجاز هي ملامح العالم الثالث كله ، مع فروق طفيفة وهي بالتالي ملامح كل بلاد العالم الاسلامي او اغلبيتها الساحقة .

ولابد ان نضيف الى ملامح العالم الثالث التي سبق ذكرها عنصرا آخر، هو ما ادت اليه سهولة وسرعة وسائل الانتقال والاتصال والاعلام من قيام ما سماه مارشال ماكلوهان « القرية العالمية » ، او ما ادى اليه هذا التقدم من حقيقة سماها يوجين بلاك بحق ثورة الآمال الكبيرة ، في كتابه الذي يحمل هذا الاسم والذي يعتبر فيه ان هذه الثورة هي اخطر الثورات ، وهو حقيقة كبرى بالفعل فالفرد في أفقر قرية الآن يرى في السينما وعلى شاشات التليفزيون انواعا من الحياة الباهرة ، وعالما مسحورا لم يكن يعرف بوجوده من قبل ، ومتعا متاحة لملايين غيره من البشر وقد لا يصل طموح هذا الفلاح الى ان تكون له مثل هذه الحياة ولكنه بالتأكيد يشعر شعورا عارما ان من حقه ان ينال نصيبا منها ، حتى ولو طرفا صغيرا من ذيلها والشباب بالذات يرفضون ظروفهم التي تبدو لهم غير مؤدية على الاطلاق الى نيل أيسر قسط من هذا

بل ان مجرد الانتماء المعنوي امر هام . وفي الريف المصري تجد الفلاح في جيبه عادة علبتا سجائر علبة سجائر مصرية ـ وهي سجائر جيدة ـ لاستعماله . وعلبة سجائر امريكية باهظة الثمن ، يقدم منها لاي زائر « افندي » من القاهرة ، وهو يعطيك السيجارة الامريكية ، ثم يخرج علبة سجائره هو ويأخذ منها ، ولكنه يشعر انه اثبت وجود خيط بينه وبين ابن المدينة الزائر .

الفقر المدقع يحبس ملايين الناس من جهة ، واعلانات السلع الاستهلاكية المثيرة تطارده من جهة اخرى فيكون شعوره بمأساته اعمق وبالظلم الواقع عليه افدح .

من احتكاك هذين العاملين تخرج شرارة الانفجار

وهذا العنصر المشترك في العالم الثالث ، هو نفسه الموجود في معظم العالم العربي والاسلامي

وبالتالي فان اهم عنصر استقرار هو في ايجاد صيغة نظام اقتصادي جديد، وعلاقة جديدة بين ما يسمونه دول الشمال ودول الجنوب .

الفقر والغنى .. معا في الخليج

فاذا انتقلنا من العام الى الخاص ، ومن العالم الثالث بوجه عام الى العالم الاسلامي بوجه خاص ، فسوف نجد في هذا العالم الاسلامي ، بالاضافة الى الظروف التي ذكرناها ، ظروفا اخرى خاصة به ، تجعل الموقف اصعب واخطر وربما اعنف .

ان منطقة الخليج ، التي لا يمكن فصلها عن العالم العربي والاسلامي ، اذا اردنا تحليل مصادر التوتر فيها فان فيها بغير شك اسبابا اخرى للتوتر فوق الاسباب التي لدى العالم الثالث كله

المنطقة تعتبر من العالم الثالث ، بمواصفاته السابقة ولكن الظروف شاءت ان تتفجر فيها ثروة هائلة في قيمتها المادية والاستراتيجية معا ، وهي البترول ، حتى صارت صورة البترول في العالم مقترنة بصورة العربي والمسلم

ان هذا الواقع المفاجيء اضاف الى توتر الفقر في العالم الثالث توترا آخر ، وهو تجاور الفقر والغنى

كان طبيعيا ان يسبق المال نفسه ، الاثار التي يمكن ان تترتب عليه

فالمال في صورة البذخ الشخصي ، والسفر الى الخارج ، والشراء الفوري لما هو متاح من طائرات خاصة وسيارات وكل انواع الرفاهية الموجودة في العالم كان يصل اسرع من اشياء اخرى تستغرق وقتا اطول مثل شق الطرق ، واقامة البنية الأساسية ، وبناء المساكن ، والمدارس والمستشفيات وارسال البعثات الى الخارج الامر الذي خلق خلخلة عنيفة في الهيكل الاجتماعي التقليدي للمجتمع

بعض الدول احسنت التصرف في هذا الثراء الجديد بشكل او بآخر ، وكان هذا سهلا بحكم قلة عدد السكان في هذه الاماكن الصحراوية النائية وبعض الدول لم يحالفها نفس التوفيق

ان الاحصاءات الدولية تضع بعض دول البترول على رأس دول العالم من حيث متوسط دخل الفرد ، ولكن هذا مضلل تماما فالفقر في بعض مناطق دول البترول ما زال اشد مما نراه في بلاد فقيرة كمصر فطهران عاصمة الشاه السابق ، ليست طهران البذخ والثراء الذي كانت تنشره المجلات العربية الفاخرة ، ففي قلبها وضواحيها اماكن تقارن بأي عاصمة فقيرة في العالم ، فضلا عن سائر اطراف الدولة

وكما ان ظهور الثروة بهذا الحجم الهائل خلق توترات في داخل كل قطر بترولي على حدة ، فانه خلق توترات من نوع اخر ، بين البلاد العربية على الأقل تمتد الآن الى مناطق اخرى من العالم الاسلامي

فالعربي بوجه عام مهما كانت خلافاته يشعر بنوع من الانتماء والمشاركة في المصير وبالتالي فالعربي في بلد غير بترولي ، لا يشعر بشيء ازاء ظهور البترول في بحر الشمال مثلا ولكنه يشعر ازاء ظهوره في بلد عربي مسلم آخر شعور مختلف يشعر بان له نوعا من الحق عليه ، لاعتباره

ـكرة وحدة الاسلام والعروبة ، بالمعنى التاريخي والحضاري وان لم يكن بالمعنى السياسي . خصوصا وانه يرى حكامه وزعماءه لا يكفون دون استثناء عن المناداة بالوحدة العربية . وهو يرى صراعاتهم على انها صراعات حكام وليست تصادم مصالح بين الشعوب

فالبترول بعد ان يصل الى صاحبه يجب ان يصل شيء منه الى ابناء عمومته . وهو امر يخلق توترات اخرى في المنطقة بمعنى انه لا يمكن الحديث عن فلسطين دون التفكير في ردود فعل في الخليج كما انه لا يمكن الحديث عن الخليج دون ردود فعل في كل انحاء العالم العربي والاسلامي .

الفارق الاخر القوي ، بين عالم الاسلام وبين معظم بلاد العالم الثالث هو ان ضغوط العصر الحديث لم تأت هنا في فراغ حضاري ، ولكن في مجتمع له تاريخ معقد طويل ، فخور بدينه وتراثه ، رغم كل المحن التي مر بها

خصوصية عالم الاسلام

ان الانسان يمكن ان يتصور نظريا ان عملية التحديث يمكن ان تمضي بشكل اسرع ـ لو توفرت لها الظروف ـ في مجتمع بدائي حقا ، ليس لديه اي تركة ضخمة من ماض او دين او تراث

ولكن في العالم الاسلامي والعربي يدرك الناس تمام الادارك ان ارضهم كانت مهدا للديانات الثلاث العظيمة فاذا اضفنا الى هذه الحقيقة مركزهم الجغرافي المتميز ، والحضارات القديمة التي قامت في منطقتهم ، وجدنا ان كل هذه العوامل مجتمعة جعلتهم محط الانظار على مدى التاريخ ، اما كمصدر اشعاع للاخرين خلال ايامهم المجيدة ، واما كهدف لاطماع الغير ابان قرون الانحطاط والتدهور

وفي الوقت ذاته ، نجد ان الاسلام ، كديانة سائدة في المنطقة ، كان له دائما الاثر البالغ القوة على الشعوب عبر اربعة عشر قرنا فقد اعلن الاسلام عن نفسه كوريث لكل الاديان السالفة ، وآخر هذه الاديان ، ونبيه ، خاتم الانبياء والرسل ، وكتاب المسلمين المقدس « القرآن » منزل من عند الله ، وليس كتابات منقولة عن المسيح مثلا بعد قرن من وفاته كل هذا اعطى المسلمين والعرب شعورا بان الاسلام فريد في نوعه

ولان الاسلام ـ عبر القرآن والرسول ـ لم يقف كسائر الاديان عند حدود شرح الفضائل والرذائل او وصف العبادات بين الله والانسان ، ولكنه جاء بنظام كامل للحياة ، وكيان كامل للدولة . متحدثا عن نظام الحكم الى قضايا الزواج والطلاق ، فقد جعل هذا مهمة دعاة التحديث عسيرة جدا ومع ذلك فالتحديث ذاته مطلب للجميع ، ومن هنا فان اهم صراع في العالم الاسلامي هو الصراع بين دعاة التحديث ، والرافضين له بحجة ان مثل هذه الدعوة تعد خروجا على الدين او انها تشكل خطرا يهدد بفقدان الهوية ومع ان المسلم يرى ان الكلام الوارد في القرآن هو كلام الله مباشرة ، وأن هذا القرآن وضع قواعد واحكاما لكل شيء الا ان هذا لم يمنع من ان يختلف المسلمون خلافات عميقة بمجرد وفاة الرسول وبعد خمس وعشرين سنة فقط من وفاة الرسول ، دارت اول

معركة حربية كبرى وقف فيها علي ، ابن عم الرسول واقرب أصحابه ، في صف ، وعائشة زوجة الرسول المفضلة في صف آخر . ووضعت بذور اول واكبر انشقاق في الاسلام بين اهل الشيعة واهل السنة . انشقاق قامت به دول وامبراطوريات وانهارت به دول وامبراطوريات ، وتعددت المذاهب السياسية والفكرية والفلسفية تعددا هائلا ، مع انتشار الاسلام خلال مائة سنة فقط من الهند والصين شرقا الى الاندلس غربا

وكانت آخر امبراطورية ، جمعت كل بلاد الاسلام تحت سلطتها هي الامبراطورية العثمانية ، وقد كانت سنية متطرفة ، وكانت امبراطورية بكل معاني الامبراطورية الاستعمارية فاضطهدت العرب اضطهادا شديدا واضطهدت الشيعة بالذات اضطهادا اشد

هكذا دخل الاسلام القرن العشرين وبين اهله حسابات لم تصف بعد ورغم ان اهميتها قلت كثيرا ، الا انها تطل برأسها في الوقت المناسب ، حتى نجد دائما أناسا يحاربون معارك انتهت منذ الف واربعمائة سنة

على ان القرون المتعاقبة ، باعدت بين حقائق الحكم والسلطة والفكر وبين حقائق الاسلام ، خصوصا فترة الظلام العثماني التي دامت اكثر من ثلاثة قرون

وعندما بدأت النهضة الاوروبية تواجه العالم الاسلامي بحقائق جديدة من جهة ، والظلام العثماني يقيده في الاغلال من جهة اخرى ، كان لا بد ان ينشأ نوعان من رد الفعل

رد فعل ينادي بالتحديث الى اقصى الحدود كوسيلة وحيدة للحاق بالعصر

ورد فعل ينادي بالعودة الى الاصول والاشكال الاولى للاسلام

وليس الخميني هو اول من نادى بالعودة للاصول في تاريخ الاسلام الحديث ولعله لو لم تكن ثورته في اغنى بلاد العالم بالبترول ، لما حظيت بكل هذا الاهتمام

فهناك المهدي الكبير في السودان ، الذي ربما هزم عسكريا ولكن قتاله اسفر عن ايجاد كيان السودان الحديث ، وقد كان هدفه تحرير السودان ومصر من حكم الاتراك والانجليز معا .

وهناك المهدي السنوسي ، الذي أثر ان لا يحمل السيف ولكنه عن طريق نظام الزوايا جمع العدد القليل من السكان في هذه الصحراء الليبية الشاسعة في شعب واحد

وهناك الحركة الوهابية التي نشأت في شبه الجزيرة العربية ، وكانت الاساس الفكري لحركة الملك عبد العزيز ال سعود في ضم اطراف المملكة العربية السعودية وحكمها حكما مركزيا موحدا بعد تمزق طويل .

وقد اقترن هذا بكلام كثير في صحف الغرب ، صحيح في جوهره ، عن صحوة اسلامية في كل مكان .

وهذا صحيح ، والبعض يرجع هذا ، كما حدث في حالة ايران ، إلى ان الشاه حاول التحديث أسرع مما يجب ، وهو تبرير غير صحيح . ويكفي ان نقول بصدده نقطتين

محمد علي باشا

ان التحديث لم يكن سريعا ولكن المشكلة انه كان اولا مشوها كان اخذا بقيم العرب والسطحي منها ، دون شعور بقيم المجتمع الاصيلة ، واقترن بالظلم والفساد

التحديث ليس تقليدا للآخرين

ومن اهم الاسباب الدفينة لعنف هذا التيار ، ان الاسلام دخل القرن العشرين مهزو ومخدوعا ، وقليل الثقة بالعرب

فقد بدأت يقظة الشرق مع اتجاه اوروبا للاستعمار محمد علي الكبير في مصر هزم الخلا العثمانية ، فلما وصل الى اطراف اسطنبول ، تحالفت عليه القوى الكبرى وقتذاك ـ انجلترا وفر والنمسا وروسيا القيصرية ، وهزمته اذ كان يناسبها اكثر دوام وضع الامبراطورية العثما المريض ، اكثر من قوة شابة تنفخ فيها الروح

وعندما قامت الثورة العربية منطلقة من الحجاز ، شجعها الانجليز مقابل وعد لهم بالاستقلا ولكن كانت انجلترا وفرنسا في نفس الوقت توقعان معاهدة سرية لتقسيم العالم العربي بينهما

وبعد الحرب العالمية الثانية اقيمت بالقوة دولة اسرائيل على اشلاء شعب فلسطين الذي « من أرضه بكل الوسائل الوحشية

وبذلك بلغ التحدى مداه ، وبلغت الاهانة اقصى حدودها

ومن هنا فالقول بان سبب احداث ايران هو سرعة التحديث ، خطأ ، انما السبب هو ان الم الايراني رأى من التحديث جوانبه السوداء رأي القهر ، والظلم الاجتماعي ، والحكم الاستبدادي ورأى التطور السريع يتجه نحو تقليد أعمى للعرب ، وتذهب خيراته الى قلة قليلة بغير حق

وقد اسمى احد المؤلفين هذا الاسلوب ، في ايران وغيرها ، The Modernization of Poverty « تحديث الفقر »

ولعل الأصح ان نقول ان مشكلة التحديث في العالم ، هو ان البعض اعتبر التحديث التقليد الحرفي للغرب ، الا في حرياته واحترام حقوق الانسان فيه .

فالاتجاه الى التصنيع بشكل غير مدروس والتمركز في المدن دون وجود وجوه رزق كافية فيه أدى إلى إهمال الزراعة والريف والصناعات الصغيرة

الاصح ان نقول ان العالم الثالث عليه ان يجد اسلوبا مناسبا له للتحديث لان تقليد الغرب نتيجة له ، إلا اللهث المستمر وراءه ، والبقاء دائما في المؤخرة .

فاذا اخذنا في اعتبارنا ، كل العوامل التي سبق ذكرها كمؤثرات في العالم العربي والاسلامي

فمعنى ذلك انها تنطبق بالتالي على منطقة الخليج وان كان هناك مجال لتسجيل بعض خصوصيات الوضع في منطقة الخليج ، وفي علاقة هذه المنطقة بالغرب او بالولايات المتحدة بشكل خاص

العلاقة غير الصحية مع الغرب

هنا نجد مصادر محددة واضحة للتوتر يمكن تركيزها كما يلي

١ ـ اعتماد الغرب المطلق على بترول الخليج وتزايد مطالب الغرب من هذا البترول ، دون بذل اى جهد جدى من ناحية الغرب في تقليل الاستهلاك ، او في التنقيب في اماكن اخرى او في البحث عن مصادر بديلة للطاقة

هذا الاعتماد الساحق يجعل الغرب متوترا ازاء منطقة الخليج باستمرار وهذا التوتر والانزعاج الغربي يزعج اهل الخليج ايضا ، فهم يخافون ان يقدم الغرب على حركة طائشة ولا يسمعون منه إلا تبرعا بالدفاع عنهم وهم يكرهون ان يروا انفسهم محاصرين باساطيل القوى الكبرى ومنطقة مرشحة لان تكون محل صراع دولي .

٢ ـ ظهور رأي عام شامل في منطقة الخليج لا يوافق على هذه العلاقة غير الصحية بالغرب وهم يرون أنها علاقة غير صحية من زاويتين

ـ ضغط الغرب المستمر على المنطقة لتستخرج اكبر كمية من البترول تلبية لحاجات العالم الصناعي ، لا تلبية لحاجات دول البترول انهم يعتقدون ان لديهم ثروة ناضبة ويفضلون الاحتفاظ بها اطول مدة في باطن الارض وان لا ينتجوا الا بقدر ما يحتاجون لمشروعاتهم ولكن الغرب يرغمهم ارغاما على استنزاف البترول تمديدا لرفاهيته على حساب فقرهم الطويل

ـ هذا الرأي العام نفسه لا يوافق على اساليب الغرب في استرداد ما يدفعه ثمنا للبترول كما يحدث مثلا عن طريق صفقات سلاح هائلة يعلم الكل جيدا انها لن تستعمل وانها مجرد تصدير حديد ميت مقابل البترول او مشاريع باهظة التكاليف قليلة الجدوى

هذا الرأي المزدوج في علاقة الغرب غير الصحية بالخليج ، ستجدونه عند السعودي المتخرج من جورج تاون او عند البدوى الذي لم يترك « ابوظبي » على السواء

٣ ـ ان الغرب وخصوصا الولايات المتحدة الامريكية ، ليس مستعدا لدفع اى ثمن سياسي في مقابل ما يرى اهل البترول العربي انه ظلم اقتصادي والثمن السياسي بات معروفا واضحا ، وهو القضية الفلسطينية والمطلوب هنا هو اعطاء الشعب الفلسطيني حق تقرير مصيره فوق ارضه ، وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتوالية فهو يطلب الانصاف ويطلب عدم الاعتراف بشرعية الغزو بالقوة

٤ ـ في غمرة هذا الشعور السلبي ازاء الغرب ـ سياسيا واقتصاديا ـ جاء تطور الموقف السوفيتي وتواجد الروس في اماكن جديدة على درجات مختلفة من افغانستان الى عدن وقد زاد هذا في ازعاج اهل الخليج ، ولكن محاولة امريكا تحويل هذا إلى تيار لحسابها لم تفلح أولا للاسباب

جمال عبد الناصر

السابقة ثانيا ، لأن الناس هناك تعودوا سلوك امريكا الطريق الخطأ وان البترول هو الهدف وليس حماية الاسلام

عندما غزا الروس افغانستان ردت امريكا باستعدادها لارسال سلاح الى باكستان وحشد اساطيل في بحر العرب وقد اعتبر اهل المنطقة هذا امرا ساذجا ، فهم يعرفون ان هذا غيرة على البترول وليس على الاسلام وقد قالوا في مؤتمرهم لتنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة وتنسحب روسيا من افغانستان ولكن العرب لم يأخذ بهذا الرأي

ثم إن رد الفعل الامريكي بدا وكأن الجيش السوفيتي سيزحف بعد افغانستان فورا الى باكستان ورغم غلطة الاتحاد السوفيتي المميتة في افغانستان ، الا انه ليس ساذجا الى هذا الحد . انه لا يوجه ضربة من هذا النوع الا مرة كل عشر سنوات وعندما تنضج ظروف كثيرة

فالرد بتقوية الجيش ليس ردا فلا يوجد جيش قوي في شعب تنقصه اساسيات الحياة

الذي قاد المقاومة وافشل المحاولة لم يكن حلف بغداد ولا حلف السنتو ولا استنفار امريكي لحماية الاسلام

انما قاد المقاومة جمال عبد الناصر وخاض في العراق معركة ضارية استخدمت فيها كل الاسلحة العسكرية والاعلامية والمعنوية والسياسية ذلك ان عبد الناصر كان يمثل تيارا حقيقيا موجودا بالفعل ، هو تيار الحركة القومية العربية ، الذي رفض أساسا تقسيم العالم العربي الى شرق وغرب على طريقة تقسيم أوروبا

٥ ـ ان الابنية السياسية في المنطقة ليست قوية متماسكة بعد ، ففي داخل دولة الامارات المتحدة مثلا ست امارات ، كل إمارة لها علم وأمير وقبيلة وفي الخليج كله لا مبرر لعدم اقامة كيانات اكبر ، او روابط اكبر كتوحيد العملة او خلق سوق خليجية مشتركة

٦ ـ في ظل هذه الظروف كلها لا بد ان تظهر تيارات اكثر تطرفا يمينا ويسارا وحركات اسلامية أكثر تطرفا ، استجابة لحلم غامض بالتخلص من تركة القرون الحديثة واقامة عالم عربي اسلامي قوي جديد وهو تيار لن يرتمي في احضان روسيا ولكنه لن يكون إلا سلبيا ازاء الغرب حيث يقترن الغرب في ذهنه بجوانب الفساد والاستغلال في التحديث وبالعلاقة الاقتصادية غير الصحية في البترول وصفقات السلاح ووجوه صرف المال ، وبالظلم السياسي في رضاء امريكا باحتلال اسرائيل لأراضيه بل وتشجيعها عليه ■■

احمد بهاء الدين

الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

أسطح بغير أعماق !

ليس من قبيل التشاؤم الاحمق ، ان نقول عن (الادباء) من رجال هذا الجيل ، انهم يحيون في ادبهم حياه على الاسطح لا تعرف الاعماق ، ومن هنا نراهم وقد جاءوا عبئا على مسيره الثقافه العربيه اكثر مما جاءوا ليكونوا محركات لها نحو الامام

ليس من حق الكاتب ـ اى كاتب ـ ان يلقى باللفظه على الورق دون ان يضمر لها في نفسه دلالات محدده ، يخرجها الى العلانيه اذا ما طلب اليه تحديد معانيه واذا كان ذلك كذلك بالنسبه لاى كاتب بصفه عامه ، فاني اشعر انه الزم لى بصفه خاصه ، لكثره ما دعوت الى ضروره الجام كلماتنا بمعانيها المحدده ، حتى لا تشطح بنا الى عالم الاوهام

وها هنا جاءت لفظتان تريدان شيئا من التحديد قبل المضي في اتهام ابناء هذا الجيل بما اتهمناه ، الا وهما لفظه « السطح » ولفظه « العمق » حين يكون الحديث منصبا على ادب وفكر وثقافه

●

ونقولها باختصار انه اذا كان ثمه من فكر او ادب او ثقافه بصفه عامه فلابد ان يكون مدار الحديث آخر الامر هو « الانسان » ، وحتى اذا كان الموضوع مأخوذا من الطبيعه التي تحيط بنا ، فانما يأخذه الكاتب مأخذا يمس به حياه الانسان من قريب او من بعيد ، وقد نستثني من هذا التعميم « العلوم » بنوعيها العلوم الرياضيه والعلوم الطبيعية ومع ذلك ، فحتى هذه منسوبه الى الانسان مبدعها بوجه من الوجوه

لكن لنقصر حديثنا على « الادب » حتى لا يتشعب بنا الحديث بغير طائل . فالادب في اي شكل من اشكاله (الشعر ، والقصة ، والمسرحية ، والمقالة حين تكون مقالة ادبية) اوله انسان وآخره انسان ، لكن هذا الانسان اذا كان سلوكه يظهر امام الابصار ، فسهل وصفه في الكتابة لادبية ، فان وراء السلوك الظاهر دوافع تخفى عن الاعين ، الا عيني الادب ، ومعنى ذلك ان الوقوف عند الجانب الظاهر هو وقوف عند « السطح » والتماس ما وراءه في خفاء النفوس هو غوص الى « العمق »

وواضح ان الادب اذا كان من شأنه ان يغير قارئيه ، فانما يجيء هذا التغيير بكشفه عن الخبيء من اغوار النفس ، فحياة القوم لا تتغير الا اذا تغير ما بأنفسهم من الداخل ، كما تنضبط سير عقارب الساعة بضبط تروسها

والذي نزعمه هنا هو ان ادباء هذا الجيل ، لا يكتبون ما من شأنه ان يغير احدا ، استغفر الله بل انه يشد الى الوراء ، لانهم لا يغوصون باقلامهم اوتار القلوب ، لانهم (وهذه نقطة لها اهميتها البالغة) لا يكادون يجعلون لادبهم « شكلا » (اعني الفورم) واذا خلا الابداع الادبي من شكله فهو لا شيء

اقول ذلك وفي ذهني « الفورم » بادق معانيه ، والذي هو الطريقة التي ترتب بها اجزاء القطعة الادبية ، ترتيبا يخطو به القارىء خطوة خطوة الى ان يصل الى النتيجة المطلوب رسوخها في النفس ، شكل القطعة الادبية هو نفسه « فكرتها » وفكرتها هي شكلها ، فاذا قلنا ان ادباء هذا الجيل تفوتهم طريقة البناء المؤدية الى التأثير المطلوب ، فقد قلنا بالتالي ان ادبهم يخلو من « الفكرة » ، كانما هو لغو بغير مضمون .

●

لسنا نريد للشاعر او للكاتب ان يعرض علينا « عملية مجردة » لان هذه مجالها العلوم لكننا نريد لكل انتاج ادبي ذي قيمة ان يجسد افكارا عامة في صور فردية جزئية لنراها باعيننا فنتأثر فمسرحية « اوديب » ـ مثلا ـ جسدت نظرية التحليل النفسي في موقف معين ، وبهذا فهي تبلغ من نفس القارىء او المشاهد ، مبلغا اعمق ، مما تبلغه النظرية العلمية المقابلة لها عند الدارسين

ومن جهة اخرى لانريد للادب ان يجعل الافكار التي يجسدها في ادبه ، عائمة على السطح حتى لا ينقلب الادب الى وعظ اخلاقي فينعدم تأثيره ان معظم ما يكتبه كتابنا اليوم ، واعني الكتابة الادبية ، لا يثير في الناقد شهوة النقد ، اذ ماذا يكون عمل الناقد الا ان يقرأ لنا القطعة الادبية من « اعماقها » التي تخفي عادة عن اعين عامة القراء ، فاذا كان المكتوب سطحا تراه كل عين وليس له اغوار يحتاج الى ناقد فاحص فقيم يقوم النقد الادبي ؟

كثيرا ما اسأل نفسي لقد بدأت نهضة الامة العربية منذ اول القرن التاسع عشر ، اي انها بدأت قبل أن تبدأ النهضة في اليابان بنحو سبعين عاما ، فلماذا تلكأ بها السير ؟ ويكون جوابي كلما القيت السؤال هو علتنا هي وقوفنا عند الاسطح ، ولا نغوص الى الاعماق ■■

بقلم : الدكتور.فؤاد زكريا

لم يكن فيلسوفا عاديا ذلك الذي نعته أسلاك البرق في منتصف أبريل (نيسان) الحالي بل كان طرازا من الفلاسفة يتحدى جميع الصور النمطية التي ترسبت في اذهان الناس عن شخصية الفيلسوف .

كان سارتر ابعد الناس عن صورة ذلك المفكر المتوحد العارف عن صغائر الامور ، المترفع على المشكلات اليومية ، المنصرف بكل طاقته الى التأمل والنظر الى الاشياء من موقع رفيع شديد العلو ، لا تتكشف فيه الجزئيات او الدقائق ، وانما تتجلى فيه المعاني العامة والافكار الشاملة في نقائها وتجردها ، فقد كان سارتر إنسانا مدمجا في العالم ، وفي مشاكله ، بكل ما تحمله كلمة « الاندماج » من معنى كان في مراحل مختلفة من حياته محاربا يحمل السلاح ، ومعلما وأديبا ومؤلفا مسرحيا وصحفيا ، وسياسيا ، ومناضلا نشطا في سبيل قضايا الانسان ، يدافع عن وجهة نظره في المحاكم ويقود المظاهرات ، وخلال ذلك كله ، لم يتوقف قلمه عن الكتابة بكل انواعها ولكن اعماله الكبرى ، التي بدأت منذ اقترانه من الثلاثين ، كانت تسير في خطين متوازيين خط الادب ، وخط الفلسفة ، وكان كل من الخطين يكمل الآخر ويفسره وحين يتأمل المرء خصوبة انتاجه ، لا يملك الا ان يتساءل من اين اتاه الوقت الذي اتاح له كتابة كل هذه المؤلفات ، التي كانت تمتاز كلها بطابع شخصي فريد ؟ وكيف استطاع ان يوفق بين حياته الصاخبة ، الحافلة بالأحداث ، وبين الاستقرار والهدوء الذي تقتضيه كتابة رواية او مسرحية عميقة المغزى ، او كتاب فلسفي ضخم شديد التجريد ؟ اكان حقا يكتب « في المقهى » ، كما قيل عنه في احصب فترات حياته ، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ؟ وكيف يمكن ان ينبثق انتاج اصيل كهذا من صخيج المقاهي ؟

انه ، على اية حال ، نمط فريد للفيلسوف ، يمثل القطب المضاد لذلك النمط المنظم المنهجي الهادىء ، الذي تجسد في شخص فيلسوف المانيا الاكبر « كانت » ، الذي كان كل شيء في حياته يسير وفقا لنظام مطرد لا يتخلف ، والذي كان يحرص على هدوئه وسكينته حتى لا يعكر شيء برنامج حياته المألوف احل ، سارتر فيلسوف يضبط الناس ساعاتهم على موعد جولته اليومية ولم تكن قدماه تدسان بانتظام دقيق في « طريق الفيلسوف » ، بل كان اساسا يتقلب مع الاحداث ويتفاعل مع متغيرات عالم شديد الاضطراب ولم يكن يملك الا هذا ، فقد كان « محكوما عليه » بأن يكون ابنا لعصره

ليس مجرد مذهب فكري

ارتبط اسم سارتر « بالوجودية » الى حد اعتقد معه بعض الناس ـ من غير المتخصصين ـ انه مؤسسها وفيلسوفها الاكبر ، وحقيقة الامر ان سارتر هو الشخصية الكبرى في الوجودية الفرنسية على حين ان هذا الاتجاه الفلسفي كان له ممثلوه الكبار منذ اواسط القرن التاسع عشر ، في الدنمرك والمانيا وحتى في حالة فرنسا لم يكن سارتر اول الفلاسفة الوجوديين ، ولكنه كان بغير شك اهمهم واشهرهم ويذكر الكثيرون ، ممن ينتمون الى جيل الكبار ، ذلك الطابع الخاص ، الملفت للنظر الذي اتخذته الحركة الوجودية في فرنسا ثم في بلدان اوروبية عديدة ، بعد الحرب العالمية الثانية كانت افكار سارتر تسري بين الشباب الفرنسي ، والاوروبي بوجه عام ، بوصفها التعبير الصادق عما يحس به الانسان المنتمي الى شعب طحنته الحرب وافقدته الكارثة كل إحساس بما في العالم من حكمة وتناسق وجمال ولعل الكثيرين من هؤلاء الشبان لم يفهموا افكار ذلك الفيلسوف حق الفهم ، ولكنهم تعلقوا بها لانهم وجدوا فيها « طريقة

للحياة » ، لا مجرد مذهب فكري نظري وسرعان ما ظهرت بينهم « ملابس وجودية » ومقاه ومنتديات « وجودية » بل واسلوب « وجودي » في الاخلاق والحديث والتعامل مع الناس اصبحت الحركة « موضة » وبقدر ما افادها ذلك في الانتشار على أوسع نطاق ، فقد اساء اليها اذ شوه افكارها وغلب مظاهرها السطحية على جوهرها الحقيقي وبعد ان خفت آلام الحرب وبدأت ذكرياتها السوداء تتباعد عن اذهان الناس انحسرت الموجة الجارفة ، وبدأت الحركة تعود الى حجمها الاصلي ، بوصفها فلسفة تعبر عن نظرة معينة الى الانسان والعالم ، وليست بالضرورة اسلوبا كاملا في الحياة ، كما بدأ الناس يدركون ان الوجودية ، وان كانت قد اشتهرت في فرنسا على يد سارتر ، كان لها ممثلوها الاقدم منه عهدا بكثير ، وكانت نشأتها الاولى في بلدان غير فرنسا ، فضلا عن ان لها اتجاهاتها المتعددة التي يصل الاختلاف بينها احيانا الى حد التعارض

ولكن ، على الرغم من هذا التباين الشديد بين مجموعة الاتجاهات الفكرية التي يطلق عليها اسم جامع هو « الوجودية » ، فلم يكن من الصعب ان يدرك الناس تلك السمات المشتركة التي تجمع بينها كلها ، واهمها ارتكازها على الانسان ، وخاصة في تلك الجوانب التي كانت تهملها الفلسفات التقليدية فقد كانت الفلسفات السابقة تتعامل مع الانسان بوصفه « عقلا » فحسب وحتى حينما كانت تتحدث عن العواطف ، والانفعالات ، والقيم ، كانت تعالجها بطريقة عقلية خالصة كانت تجرد الانسان من وجوده الحي ، الملموس ، لكي تستبقي منه هيكلا عقليا خلا من كل نبض ومن هنا فقد جاءت الوجودية لكي تضيف بعدا جديدا تجاهلته الفلسفات التي سبقتها هو البعد النابض بالحياة في الانسان . فهي تتابع رحلة الانسان بطريقة تتيح لكل منها ان يتعرف عليها في نفسه ، وتقدم الينا صورة للانسان بلحمه ودمه ومشاعره وضعفه وقوته ، وتصف احوال حياته اليومية ، وهمومه في موقع زمني محدد ، أما الانسان الأزلي الذي لا يتغير ولا يتحول ، الانسان الذي هو « عقل خالص » ، فلا شأن لها به

الانسان .. محورها وهدفها

وتتمثل هذه السمة اوضح ما تكون في فلسفة سارتر ، التي وصفها هو ذاته بأنها « نزعة انسانية » ، وكان يعني بذلك ان محورها وهدفها هو الانسان ، بالمعنى الذي حددناه من قبل ولقد لوحظ في تاريخ الفكر ان الفلسفات تعود ، في اوقات الازمات الكبرى ، او في نقاط التحول الرئيسية ، الى الانسان ، ولعلنا لاحظنا شيئا من هذا القبيل في عالمنا العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ حتى انهال سيل من الكتابات والبحوث التي تحاول كلها ان تدرس الانسان العربي وتتعمق نظرته الى الحياة واسلوبه في التفكير وجوانب القصور في تربيته وتكوينه العقلي وطريقة معالجته للامور مثل هذا الانسحاب الى الداخل يبدو امرا طبيعيا حين يمر مجتمع بأزمة طاحنة تزعزع أسسه وتدفعه الى مراجعة مواقفه من الجذور واغلب الظن ان شيئا من ذلك قد حدث في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ، واثناءها وبعدها . وكانت وجودية سارتر هي المظهر الفكري لعملية الانطواء على النفس وتأملها من الداخل في فترة المحنة هذه

ومما يدل على ان الأزمة التي عانى منها المجتمع الاوروبي ، والفرنسي بوجه خاص ، في تلك الفترة الحاسمة من تاريخه ، كانت من وراء اتجاه سارتر الى تركيز فلسفته على الانسان ، وان محاسبة النفس في وقت المحنة كانت عاملا حاسما في تحديد معالم هذا الاتجاه ـ ان المجتمع الاوروبي ذاته قد عرف ، في اوقات التفاؤل والاحساس بالقدرة على اخضاع كل شيء للمنهج العلمي الدقيق ، فلسفات هامة ترتكز اساسا على مفاهيم مستمدة من العلوم الطبيعية او الرياضية ، وتدرس الانسان ذاته من خلال هذه المفاهيم ولكن سارتر لم يكن يؤمن اصلا بهذا الاتجاه ، وكان من بين اولئك الذين ظلوا يعتقدون الى النهاية بان الانسان مختلف في جوهره عن العالم ، ومن ثم فان طريقة فهمه والنفاذ الى كيانه الباطن ينبغي ان تختلف عن تلك الطرق التي تصطنعها العلوم من اجل فهم الطبيعة صحيح ان الانسان ، بمعنى ما ، جزء من الطبيعة ، ولكن اهم ما فيه لا يخضع للقوانين التي تسري على الطبيعة ، ومن ثم فان الاستبصار الفلسفي والنفسي يظل هو وحده القادر على التعبير عن اعمق ما في الانسان ويكتمل هذا الاستبصار بنواتج الادب والفن والانسانيات ـ فهذه كلها هي وسيلتنا الى الكشف عن اغوار الانسان ، والوصول الى تلك الاعماق التي يستحيل ان تنفذ اليها اية دراسة تعتمد على الاساليب المتبعة في العلوم الطبيعية او الرياضية ومجمل القول ان الوصول الى « الذات » البشرية يحتاج الى طريقة في المعالجة تختلف عن تلك التي نعالج بها « الموضوع » ، ومن هنا كانت فلسفة سارتر في اساسها فلسفة « للذات »

الانسان .. والجبل !

لم يكن من المستغرب اذن ان يكرس سارتر جزءا

..ه الفكري ، سواء في كتبه الفلسفية وفي
، للبحث عما يميز طريقة وجود الانسان ،
له « ذاتا » متفردة عن الطبيعة فنحن
حر الملقى في الطريق ، او الجبل الراسخ في
وجود ، ونقول عن الانسان الحي ايضا انه
، من المؤكد ان هناك فرقا اساسيا بين
و ؟ ان الاول « وجود في ذاته » ، والثاني
ل ذاته » وبرغم الصعوبة الظاهرية التي
..يء في هذه المصطلحات ، فان الفكرة
وضوح فالاشياء موجودة في ذاتها ، بمعنى
على نفسها ، يستهلك وجودها كله في تلك
، تكون عليها في اية لحظة معينة اما
يمكن ان تستنفد جميع ابعاده في اية لحظة
كن ان تحدد سماته كلها من خلال مجموعة
الجاهزة المعدة سلفا ذلك لان الانسان
شيء « مشروع » ، يتجه نحو المستقبل
قيق غايات يرسمها مقدما وهذا الاتجاه
م يتحقق بعد ، هو سمة اساسية تميز وجود
رق بينه وبين وجود الاشياء فوجود
كتمل ، وعدم اكتماله هذا صفة ايجابية فيه
للنقص ، لانه لو كان مكتملا لأصبح
اكتسب جميع صفاته ويستحيل ان يغير

..ود الانسان يسبق ماهيته

..ح سارتر هذا الطابع المميز للانسان في
، مشهورة في الفكر الفلسفي ، وهي ان
..ن يسبق ماهيته » والمقصود بالماهية هو
لاساسية التي تميز جوهر اي شيء ولا يعرف
ذلك فان معنى عبارة سارتر هذه هو أن

الانسان يتميز عن سائر الكائنات بانه لا يملك طبيعة جوهرية ثابتة تتشكل على اساسها حياته وطريقة وجوده ، بل انه يوجد اولا ، وتتخذ حياته طابعا معينا ، ويظل يكتسب صفاته المميزة له من خلال افعاله والطريق الذي اختاره لحياته وبعبارة اخرى فان ما يقيد مسار بقية الكائنات ، ويحكم عليها بالا تتحرك الا في اضيق الحدود ، لا يؤثر على الانسان الذي تتاح له بدائل لاحد لها ، ويصنع طبيعته بنفسه ، ان جاز هذا التعبير ومن هنا قال سارتر ، موضحا فكرته هذه في كتاب « الوجودية نزعة انسانية » « ان الانسان يوجد اولا ، ويواجه ذاته ، ويقذف به في العالم - ثم يعرف نفسه فيما بعد والسبب الذي يجعل الانسان ، في نظر الفيلسوف الوجودي ، غير قابل للتعريف ، هو انه في البدء لا يكون شيئا ، ولن يصبح شيئا الا فيما بعد ، وعندئذ سيكون ما يصنعه بذاته »

على هذا النحو تخلى سارتر عن تراث فلسفي كامل ، كان يضع للانسان طبيعة محددة المعالم ، او جوهرا ثابتا يتحكم في تشكيل كل فعل يقوم به ، ويصبغ وجوده بصبغته الخاصة كما تخلى سارتر عن كل محاولات الفلاسفة المتأثرين بالعلم في تفسير الانسان كما لو كان نتاجا للطبيعة ، يسري عليه ما يسري عليها ، وركز جهده على كشف ما يتفرد به الانسان ، وما يختلف فيه « وجوده » عن وجود اي كائن آخر

هذه النظرة الخاصة الى وجود الانسان هي التي ادت الى تأكيد معنى « الحرية » في فلسفة سارتر ذلك لأن قدرة الانسان على صنع وجوده بنفسه تعني ان امامه امكانات لامتناهية ، وان عليه ان يختار مساره ، ويختار بذلك ما يكونه وما يصنعه ، في كل فعل يقوم به فالحرية هي قدر الانسان الذي لا يستطيع ان يهرب منه ، وهي الشيء الوحيد الذي لا يمكن ان يكون الانسان « حرا » في رفضه او التهرب منه وهكذا استطاع سارتر ان يقول ، في لغة لا تخلو من المفارقة ان الانسان « محكوم عليه » بالحرية ولكن هذه الحرية تحمل في طياتها مسئولية فادحة اذ ان الانسان حين يتخذ قرارا ما ، او حين يختار واحدا من الممكنات المتاحة امامه ، انما يختار نوع الوجود الذي يريده لنفسه ، ويضفي على عالمه المعنى الذي يريده

الايمان الزائف

ازاء هذه المسئولية الفادحة ، لا بد ان يستشعر الانسان « القلق » وهو يرى نفسه كائنا محدودا تتاح

امامه امكانات لا نهاية لها والقلق هنا تعبير عن وضع الانسان او موقفه ، وليس مجرد حالة نفسية يمكن التغلب عليها بالنصح او العلاج او التحليل انه ذلك الوضع الذي يظل ملازما لكل انسان يدرك معنى انفتاح المستقبل امامه ، ويرى تلك الهوة السحيقة التي تفصل بين قدراته المحدودة وبين الامكانات الهائلة التي يتعين عليه الاختيار بينها ولا شك ان كثيرا من الناس يتحننون هذا القلق عن طريق الانشغال بأمور حياتهم اليومية ، فيوهمون انفسهم بانه لا يحتل مكانا في حياتهم،ولكن القلق جزء لايتجزأ من وعي الانسان وادراكه لطبيعة وجوده ، ومهما هربنا منه الى ذلك « الايمان الزائف » الذي نتصرف في ظله وكأننا لسنا احرارا ، ونتعامل مع العالم وكأننا « اشياء » في هذا العالم ، فانه لا بد ان يعاودنا في مواقف الاختيار الحاسمة وهي مواقف لا تخلو منها حياة اي انسان

فماذا يمكن اذن ان يكون نوع الاخلاق التي يدعو اليها مفكر مثل سارتر ، يؤكد خصوصية الانسان وذاتيته الى هذا الحد ؟ لاجدال في ان مثل هذه الاخلاق لا بد ان تكون مختلفة اختلافا اساسيا عن تلك المذاهب الاخلاقية التقليدية ، التي يجد فيها الانسان قيما اخلاقية جاهزة يتعارف عليها المجتمع ، وكل ما يتعين عليه عمله هو ان يعرف كيف يطبقها على سلوكه بطريقة سليمة متسقة مع نفسها ذلك لأن الانسان ، عند سارتر ، هو الذي يصنع قيمه الخاصة ، وهو يحدد بنفسه القاعدة والمعيار اللذين يسلك وفقا لها ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان يتحلل المرء من كل اساس للسلوك ويستبيح لنفسه كل شيء بحجة ان هذه قيمه ومعاييره الخاصة ذلك لأن الشعور بالمسئولية هو الضابط ، وهو الضمان ، في عالم لا نستطيع ان نحتمي فيه بقيم تعلو علينا وتتجاوز نطاق اختيارنا الحر فمع كل اختيار اقوم به اكون ملتزما ، والزم معي البشرية كلها وفي كل فعل يصدر عني احدد نوع الانسان الذي اكونه ، ونوع العالم الذي اريد ان احيا فيه

معارك سارتر

الى هذا الحد تبدو فلسفة سارتر « فردية » تماما ، حتى بالرغم من كل ما قاله عن المسئولية والالتزام ، « لأن هذه هي مسئوليتي تجاه ذاتي في نهاية الامر » وهكذا تبدو فلسفته معامرة فردية لا تخلو من الشجاعة المأساوية ، يتحمل الفرد فيها اعباء افعاله وقراراته ، ويلتزم بها ازاء نفسه ، ويشكل حياته وفقا « للمشروع » الذي يختطه لها وبالفعل كان هذا الطابع الفردي هو السائد في فكر سارتر خلال مراحله الاولى ، ومن اجله دخل معارك عديدة مع كل مذهب ، قديم او حديث ، يحاول ان ينسى فلسفة تتجاوز نطاق الذات الفردية وتدمجها في كيان اوسع وبلغ الامر بالنزعة الفردية عند سارتر حدا اصبح يرى معه ان « الجحيم هو الآخرون » ، ويغرق نفسه في تحليلات معقدة للعلاقة بين وجودي ووجود الآخرين ، وتأثير حضور الآخرين فيّ ، ونظرتهم اليّ ، وكيف ان هذه النظرة تفقدني احساسي بفرديتي وخصوصيتي وتحيلني الى « شيء » ـ وكلها تحليلات تدل بوضوح على ان سارتر لم يكن يتجاوز ، في تلك المرحلة ، نطاق الذاتية الخالصة

على أن امانة سارتر الفكرية جعلته يزداد ادراكا بالتدريج لاهمية العوامل الاجتماعية ، حتى اصبحت هذه العوامل تلعب دورا ملموسا في فلسفته المتأخرة فقد ادرك ان استقلال الانسان الاخلاقي ، وحريته ومسئوليته ، يمكن ان تهدد وتنهار كلها في ظل ظروف معينة ، كمعيشة المرء في مجتمع استغلالي مثلا وهكذا اخذ يزداد وعيا بأن مفاهيم « الحرية » و « المسئولية » و « الاختيار » لا تعني شيئا بدون السياق الاجتماعي الذي تقال فيه ، وبأن « الاخلاق » ليست مغامرة فردية بطولية ، بقدر ما هي ممارسة ذات ابعاد اجتماعية يستحيل تجاهلها وكان من نتيجة هذا الوعي المتزايد بالابعاد الاجتماعية للشخصية الانسانية ان ازداد اقترابا من الماركسية ، بعد ان كان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، خصما عنيفا لها وهكذا بدأت كتابات سارتر تستخدم المفاهيم الماركسية استخداما متزايدا ، وتجاوز الى غير رجعة مرحلة العداء السافر الذي عبر عنه تعبيرا صريحا في مسرحية « الايدي القذرة »

حرية الانسان

ومن المؤكد ان الممارسات العملية قد لعبت دورا حاسما في احداث هذا التغير ذلك لان الدور الايجابي الذي قام به سارتر من اجل مساندة حركات التحرير في الجزائر وفيتنام وافريقيا السوداء ، قد اقنعته بأن حرية الانسان ليست « وضعا » او « موقفا » يجد نفسه فيه وانما هي شيء يكتسب وينتزع بعد كفاح طويل صحيح انه لم يتخل تماما عن النوع الاول من الحرية ولكنه اخذ يزداد ادراكا بأن النوع الثاني هو الأهم ، وهو الذي يمكن ان يقضي على جميع امكانات النوع الاول ففي ظل اوضاع اجتماعية معينة ، كأن يعيش الانسان خاضعا لاستعمار غاشم او لدكتاتورية سافرة او لاستغلال اقتصادي بشع ، يمكن ان تضيع تماما قيمة

ملك . ية التي يعتقد الانسان انها تميزه عن عالم الاش . ويضيق تماما نطاق الامكانات التي تتيح له ممارس قدرته على الاختيار واستشعار المسئولية عن افعال وهكذا تبين له ان الحرية الفردية تفترض شروط ، وليست على الدوام شيئا محكوما علينا به ، وتبين له ان هذه الشروط ذات طبيعة اجتماعية قبل كل شيء

وهنا نجد انفسنا ازاء سؤال اساسي « هل كانت فلسفة سارتر ادن تتحدث عن « الانسان » بوجه عام ، ام عن انسان معين يعيش في ظل ظروف واوضاع معينة ؟ « لقد تصور سارتر ، في المراحل الاولى من تفكيره ، انه يصف وضع الانسان ، بالمعنى المطلق لهذه الكلمة ولكن ادراكه المتزايد لتأثير العوامل الاجتماعية في هذا الوضع الاساسي كان لا بد ان يؤدي به إلى تحديد ادق لنوع الانسان الذي تتناوله فلسفته ونقدر ما يمكننا ان نحكم ، فقد كان سارتر يتحدث في كتاباته الفلسفية ، لا عن الانسان بوجه عام ، بل عن الانسان الاوروبي المغترب في ظل اوضاع المجتمع الصناعي المعقد ، بما فيه من ازمات وحروب ونظم حكم تسلطية او ديمقراطية هشة

« إنسان سارتر »

ولو امعنا النظر في مقولات سارتر الفكرية لوجدنا انها لا تعني الشيء الكثير بالنسبة الى انسان العالم الثالث فالقلق والاغتراب و« الجحيم هو الآخر » ـ كلها مفاهيم تعني الكثير لدى الانسان الاوروبي في مرحلة معينة من تاريخه ، ولكنها ليست مقولات انسانية عامة كما اراد لها سارتر ان تكون واسط مثال على ذلك ، ان انسان العالم الثالث ، والانسان العربي على وجه التحديد ، يمكن ان يدرك معاني الحرية والاختيار والمسئولية على النحو الذي حددها به سارتر ، ولكنه لا يستطيع ان يستشعرها في ذاته ويعيشها بوصفها جزءا من تكوينه الفكري الخاص ذلك لأن الانسان في هذه المجتمعات يندمج في جماعات كثيرة ، كالاسرة والاصدقاء والجماعة الدينية ، الخ ، ويرتبط بها الى الحد الذي يتيح لها ان تحمل عنه قدرا كبيرا من المسئولية ، ولا تسمح له بأن يشعر بذاته بوصفه فردا ذا مسئولية مطلقة عن كل ما يفعل ، ولا تدع له مجالا للشعور بذلك الفراغ المخيف الذي يحس به انسان سارتر امام ممكنات المستقبل وليست المسألة هنا مسألة تفضيل بين هذا الانسان وذاك ، وانما هي مسألة نمط مختلف من انماط الوجود ، لا يكون فيه لمفاهيم سارتر معنى واضح يعبر عن خبرة معاشة ومن هنا كان الحديث عن « وجودية عربية » او « اسلامية » ، في رأيي ، تعبيرا يجمع بين اطراف لا اتساق بينها

ان مفاهيم القلق ، والحرية « المكتوبة على الفرد » ، والاختيار المطلق ، يمكن ان تفهم وتستوعب بسهولة في المجتمع الغربي الرأسمالي ، حيث الاسرة الصغيرة التي يستقل افرادها ويتحملون كافة مسئولياتهم منذ وقت مبكر ، وحيث يطلب الى المرء ان يتولى المسئولية الكاملة عن حياته وعمله وتعليمه ومرضه في ظل نظام « الاعمال الحرة » الذي يتركك وشانك في اهم امور حياتك • وحين يقترن هذا النظام بالازمات الاجتماعية والاقتصادية ، والحروب المدمرة او التهديد المستمر بالفناء والعيش على حافة الهاوية ، يكون للمفاهيم الوجودية معنى لا يدركه العقل وحده ، بل يجربه الانسان ويعايشه

وهكذا كانت الوجودية عند سارتر ، وعند غيره بطبيعة الحال ، ذات بعد اجتماعي لا يمكن تجاهله ، حتى لو كانت هي ذاتها تنكر هذا البعد وحتى في الحالات التي تعبر فيها المفاهيم الوجودية عن رفض للمجتمع الذي ظهرت فيه ، او عن تمرد عليه ، فان هذا الرفض او التمرد ، انما يمثل رد فعل على هذا المجتمع ، منطلق من داخله ، ولا معنى له الا في اطاره

واذن فقد كان سارتر ، في نهاية المطاف ، ابنا لعصره وحضارته وفي هذا الاطار وحده تكتسب فلسفته معناها الكامل ، وتتضح دلالة المواقف التي انفرد بها بين مفكري عصره ، سواء منها مواقفه الايجابية ، كتأييده لحرية انسان العالم الثالث في وجه الاستعمار الاوروبي والعدوان الامريكي ، او مواقفه السلبية ، كتردده وممالأته ـ كما فعل معظم الاوربيين ـ في اصدار حكم قاطع لصالح العدالة في الصراع العربي الاسرائيلي ■■

د فؤاد زكريا

أقوال معاصرة

■ طلبات امريكا من حلفائها كثيرة . وبعضها تصعب الاستجابة له

المستشار الالماني هلموت شمث

■ لقد اصبح شعار الوحدة العربية محفوظا ولا يفجر موقفا ، وافضل ان نسميه شعار القضاء على التجزئة العربية

صلاح الدين البيطار

رئيس وزراء سوريا الاسبق

■ الارهاب يهاجم من الخارج كاشفا العجز عن عجز مؤسسات الدولة ، والفساد يهاجم من الداخل مثيرا التساؤل حول جدوى الحفاظ على هذه المؤسسات

فانكو فيراتوري

من علماء الاجتماع الايطاليين

■ لا نؤمن بمقولة انه لا بد من الاعتماد على قوة خارجية للتوصل الى الاستقرار الداخلي

الامير سعود الفيصل

وزير خارجية السعودية

■ لا بد ان نفرق بين شرعية القوة التي تشكل الامر الواقع ، وقوة الشرعية التي يتمحور من حولها النضال

صلاح خلف (ابو اياد)

نائب رئيس منظمة فتح

■ اني اطلب منكم ان تستخدموا نفوذكم الروحي لتحذير الحكومة الامريكية من عواقب اعمال النهب والظلم والاكراه ، ولنصح الرئيس كارتر باتباع تعاليم المسيح

من رسالة لآية الله الخميني الى بابا الفاتيكان

■ لقد أعطينا الامريكان تسهيلات ، وعندما طلبنا منهم مساعدات ، لم نتلق منهم ردا !

الرئيس الصومالي محمد سياد برى

■ كون المرء عربيا ام غير عربي ، قضية لم تعد مطروحة في الجزائر

الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد

■ الموقف الاوروبي يتجه الآن الى مزيد من الاستقلالية عن الركب الامريكي

ميشال جوبير

وزير خارجية فرنسا الأسبق

بدون الاسلام لن تكون لنا شخصية مستقلة ، وبدون هذه الشخصية المستقلة لن تكون هناك ايران

الرئيس الايراني الحسن بنى الصدر

لقد توقفت ساعة الضمير العربي وسكتت ، ولم نعد نسمع الا دقات ساعة عصور الانحطاط .

الشاعر نزار قباني

من السذاجة بمكان ان يتصور احد ان اى مراسل صحفي في العالم يعمل بعيدا عن دوائر المخابرات

ستانفيلد تيرنر

مدير المخابرات المركزية الامريكية

حملة منظمة الصحة العالمية ضد التدخين ، هدفها تدمير اقتصاديات الدول النامية المنتجة للتبغ

من تصريح لمسئول شركة التبغ التنزانية

لو كان لي وطن لقلت ان الوطن لا يتأسس الا بالديمقراطية والحرية ، والا صار سجنا .

الشاعر محمود درويش

كيف يمكن ان يثق المرء في كفاءة قوة عسكرية يعتمد عليها أمن نصف العالم ، بعدما فشلت في انزال طائرتين في الصحراء الايرانية .

صحيفة لوموند الفرنسية

في اوربا يجتمع وزراء الخارجية ٢١ مرة في السنة ، بينما وزراء الخارجية العرب يجتمعون مرة واحدة في العام ، وحتى في تلك المرة الوحيدة فانهم يدخلون الاجتماع ، بينما كل منهم ينظر الى ساعته !

محمود رياض

الامين العام السابق لجامعة الدول العربية

الميزانية الجديدة في انجلترا ستحول الانجليز الى شعب من البقالين !

صحيفة « التايمز » اللندنية

لان الاوضاع العربية لا يمكن ان تكون اشد سوءا مما هي عليه الآن ، فيمكن اذن ان تبدأ بالتحسن !

الملك حسين ملك الاردن

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

حتى عصر قريب كانت المهنة الطبية في العالم كله تسبغ على الجنين حرمة الحياة البشرية ، وكانت القوانين تمنع ان تمتد يد الطبيب بالاجهاض الا في حالات استثنائية كأن تكون الام مصابة بمرض من الامراض التي تتفاقم بالحمل فتهدد حياة الأم ، فيباح الاجهاض استنقاذا لحياة الأم ، ولو ضحينا بالجنين

ولكن شهد ربع القرن الاخير ـ فيا شهد ـ ثورة على القيم التي سادت منذ القدم ، ولم يكن حملة هذه ، من داخل المحيط الطبي ، ولكنها رفعت الوية دة كان منها تحرير المرأة وكان منهـا التقـدم عي ، وكان منها توقي مخاطر الانفجار السكاني منها تحرير الفكر الاساسي من القيم البالية ، ها من الثورات بدأت متخافتة ثم تحركات ونمت ـ حتى استطاعت ان تغير تشريعات الاجهاض في دول العالم « المتقدم » وتضع مكانها تشريعات ـ من الناحية العملية ـ لكل انثى ان تحصل على اض ان ارادت ، لان المسوغات اللازمة اصبحت ، الى « تسـديد الحاجـة » منهـا الى التمحيص ق

ما الجديد في الامر ؟

قد عرف الاجهاض على مدى التاريخ الانساني بول جديدا اذ نقول ان العديد من النساء في كل كن يحصلن على الاجهاض خفية سواء لدى طبيب ي او لدى عجوز الحي أو داية القرية ولكن هناك كبيرا بين هذا وبين ان تسبغ على الاجهاض الشرعية وبية ، فانـه اذن ينتشر انتشـارا وبيلا وتفتـك عاته بالمجتمع فتكا ذريعا وحجة السـادة حين في ذلك هو انه مادام الشيء يحدث على كل فلماذا لانجعله حلالا مقبولا وهي نفس الحجة تذرعوا بها في بريطانيا حتى جعلوا اللواط امرا عا لا يأباه القانون ونظموا المظاهرات في امريكا تحمل اللافتات العريضـة مطالبـة بالحقـوق الكاملـة للمنحرفين جنسيا حتـى لو كانـوا مدرسـين في مدارس الصبيان او في مناصب يؤتمنون فيها على اسرار الدولة

ولقـد كنـت في زيارة علمية لاحـدى امهـات المستشفيات في امريكا وشهدت ضمن البرنامج قائمة عمليات اجهاضية ، فكان الذى هالني هو ان المريضات كلهن كن اوانس غير متزوجات ، وادركت حقيقة الحاجة التي لبتها اباحة الاجهاض

ومالنا ولهذا ؟

ولسنا أبدا بمعزل عما يحدث عند الآخرين بل بحكم عملي اعلم ان هذه الافكار بدأت تطرق ابوابنا طرقا مؤثرا واستمالت اليها نفرا من اهل القمم رجالا وسيدات ، وجمهورا كبيرا من اصحاب المكانة في الطب والاجتماع والاقتصاد والتشريع منهم المخلصون ومنهم الماكرون ولكنهم جميعـا في نطـاق واحـد من الدعـوة والترويج بل اني شهدت في وقت من الاوقات غرفة اسمها غرفة الاجهاض هيأها استاذ جامعي في المستشفى الجامعي في بلد عربي يحرم قانونه الاجهاض وبينما يقف الطلاب وراء ساتر يرون خلاله العملية دون ان تراهم المريضة ، يذاع شريط مسجل باللغة الانجليزية عليه محاضرة بصوت الاستاذ هي مرافعة في غاية البلاغة عن الاجهاض ، تستـدر العـطف على تلك المسكينـة ذات الاولاد الكثيرين الذين لا تملك الاسرة لهم ثمن الخبز ، وتستنـزل الشفقـة على تلك الضعيفـة التـي اغواهـا الشيطان فحملت سفاحا وتخشى الفضيحة ، وما الى ذلك

مما يؤثر ويقنع من لم يكن على بينة من الاوجه الاخرى للمسألة وهي اوجه نلخصها هنا في اعتبارات طبية واجتماعية ودينية

موقف المهنة الطبية

وظيفة المهنة الطبية كانت ولاتزال الدفاع عن الحياة وتحسينها وتصميمها بما تملك من وسائل وقائية وعلاجية وليس للمهنة الطبية اطلاقا ان تجوز لنفسها حق ازهاق الحياة ويبقى السؤال المطروح اذن هل الجنين كائن حي ؟

والاجابة واضحة لدى المهنة الطبية فلقد نشأ فيها على مدى العقود الاخيرة تخصص طبي جديد اسمه الطب الجنيني يقوم على حسن رعاية الجنين في رحم امه ، وتشخيص طائفة من الامراض التي تصيبه ، وتقديم العلاج اللازم بوسائل بعضها جراحي وعلى الرغم من ان فريقا من اهل هذا التخصص يرون اجهاض الجنين المصاب بعلة مهلكة الا ان قيام هذا التخصص في ذاته اعتراف بالجنين كائنا حيا وقبول له « ربونا » من حقه دفع الاذى عنه مادام الى ذلك من سبيل ولهذا فان المهنة الطبية تقع في تناقص فادح يزلزل كيانها ان استباحت في نفس الوقت ان تمتد ايدى افراد منها الى الجنين السليم الصحيح فتجهز عليه باقتلاعه من رحم امه لالسبب الا لانه غير مرغوب فيه ويعلم الاطباء ان الجنين منذ بدأ كائن حي مستمر النمو ، ولايوجد ابدا حظ من قبله يكون الجنين ميتا ومن بعده يكون حيا

والتفريط في حياة الجنين اذن تفريط في قيمة اساسية هي حرمة الحياة الانسانية ، وهي بداية لها استمرارها المنطقي في قتل المرضى المستعصي شفاؤهم ، ثم في قتل المخابيل او المشوهين ، ثم في قتل العجزة او المسنين الذين لاينتجون وانما يستهلكون من نتاج الارض الذى لم يعد يفي بحاجات اهلها ولقد وجد تعبير « القتل الرحيم » مكانه في لغة العصر في بعض بلاد الغرب واصبحت المحاكم تنظر بعض قضاياه

آثار اجتماعية

الغريب ان بعض الدول التي كانت من اسبق الحكومات الى اباحة الاجهاض قد راجعت موقفها مؤخرا على ضوء ما جنت من ثمار ، فدارت دورة كاملة وجدت ان مجموع الاجهاضات قد تجاوز مجموع الولادات ثم وجدت بعض الدول انها بلغ رقم الصفر في النمو اى ان عدد المواليد يسا عدد الوفيات دون زيادة في تعداد الامة كما حدث في [illegible] منذ عامين ووجدت دول اخرى انها تتناقص [illegible] الان من يموتون فيها أكثر ممن يولدون وانتبهوا على [illegible] مروعة عبروا عنها بأن الشعب يمارس الانتحار بالانقراض ووجدوا ان الزراعة والصناعة والتوسع فيها لن تجدا العدد الكافي من السواعد للعمل [illegible] شباب اليوم سيكتهلون ويتقاعدون ويعيشون اعمارا طويلة نتيجة التقدم في الرعاية الصحية ، وبهذا تصبح الشريحة العاملة في المجتمع شحيحة جدا بينما تزداد الشريحة المحمولة غير المنتجة

وارتفعت الانذارات وتغيرت القوانين بالفعل وعادت بلاد كثيرة في شرق اوربا وغربها تضيق قوانين الاجهاض مرة اخرى وتسحو باجارات الامومة والحوافز المادية على انجاب الاطفال في صورة مكافآت او اعفاءات ضريبية كذلك ظهر ان اباحة الاجهاض انما هي جزء من صورة اكبر واشمل ، تمثل اتجاها عاما للترخص والتحلل من التراث الاخلاقي الذى صعد به الانسان في مدارج حضارته ، واحلال تقاليد جديدة تفضي الى حضارة الاباحة وما صحبها من عودة الامراض السرية بصورة وبائية ، وعدم التقيد بالزواج كشرط للمعاشرة الجنسية ، والانحراف الجنسي ، وغير ذلك مما يعاني منه المجتمع الغربي معاناة يتاح لمثلي بحكم المهنة ان يطلع على مدى ما تسببه من تعاسة وشقاء وان كان اربابها يزينونها ببريق من الحرية والمتعة والجمال

رأى الدين

ورغم اني سأورد رأى الاسلام فانني اؤكد بحكم اتصالاتي وقراءاتي ان الرأى المسيحي كذلك يحرم الاجهاض ولم تتسامح فيه الا الكنائس التي تسامحت في غيره من امهات المسائل (مثال ذلك ما ورد في مجلة التايم ٢٨ اكتوبر عام ٦٦ عن لجنة من مجلس الكنائس البريطاني في تقرير عن الجنس والفضيلة ، تستنكر فيه الاستغلال الجنسي ، وتبارك الصلة الجنسية في الزواج ولكنها ترفض ان تساند الرأى الداعي الى العفة قبل الزواج والالتزام بعده ورفضت ان تأخذ بقول الاتجاه ضد الزنى الذى وجدته مسموحا في بعض الاحوال ا شكل امتزاجا شاملا بين بالغين راضيين ! ! ولست ادرى كيف يجرؤ هؤلاء على الانتساب للسيد المسيح الذى قال من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه)

و ـل راى الاسلام ان حياة الانسان حياة محترمة في
، ارها بما فيها الدور الجنيني وللجنين في الشريعة
لا ـة اعتبارات تدل بداهة وقطعا على ان له حق
؛ فانه ان مات رجل عن زوجة حامل لم تورع
ـة ـلى الورثة الا بعد حفظ ميراث الحمل ، ويستظر
ن حتى يولد ، وعلى الورثة ان يتعهدوا ان وضعت
اكثر من وليد ان يردوا على الوليد الثاني نصيبه

وانه ان حكم على امرأة بالاعدام وتبين انها حامل
ـه تمديد العقوبة حتى تلد وقيل حتى ترضع ، حتى
كان حملها من سفاح ، مما يدل على ان مثـل ذلك
ن له ايضا حق الحياة كذلك فانه لو اسقط حين في
مرحلة ثم ظهرت عليه اية علامة من علامات الحياة
كة او عطسة ثم مات الجنين ، فانـه يرث ايا من
وثيه الشرعيين ممن مات بعد بدء الحمل ، ثم يرث
ن بعد موته ورثته الشرعيون هذا فضلا عن ان في
لام عقوبة مالية على الاجهاض اسمها « الغرة »
عشر الدية التي تدفع عن قتـل البالغ بطريق
ا يدفعها من تسبب في الاجهاض وياخذها ورثة
ـ الشرعيون ، فان كان منهم مشارك في الجرم دفع
ـه في الغرامة وحرم نصيبـه المستحـق له منهـا
حق العقوبة حتى بغير قصد اجرامي ، فقد استدعى
ن الخطاب امرأة فخافت فأجهضت فدفع لها الغرة

ولقد كانت هناك في الماضي بعض اختلافات الرأى
فقهاء المسلمين سببها انها كانت في ازمنة ما قبـل
م المعاصر ونشـأة علـم الامبريولـوجيا (تـكوين
ن) وما استقر الان بين ايدينـا من حقائـق علمية
ـ على عهدهم مجهولة او مظنونة

فمنهم من رأى أن دبيب الحياة في الجنين يبدأ لدى
اس الام بحركته في رحمها عادة بعد أربعة اشهر من
ـ ولهذا اجاز بعضهم الاجهاض قبل ذلك ولكننا
نعلم ان الجنين يتحرك من قبل ذلك بزمان طويل
يمنعـه صغـر حجمـه وقصر أطرافـه من أن تبلغ
ـاته وركلاته جدار رحم امه فتحس به ، وهـو في
ـ يسبح في السائل الامنيوسي كما تسبح السمـكة
ـيرة دون ان ترتطم بالجدار .

وعرض بعضهم لحديث الاربعينات عن النبي عليه
ـلام ذاكرا ان المرء يودع رحم امه اربعين يوما نطفة ثم
ـا علقة ثم مثلها مضغة ثم يأتي الملك فينفخ فيه
ح ويكتب شقـي ام سعيد وهـو حديث نأخـذه
ـيقا عن الصادق المصدوق صلـوات الله وسلامـه
ـ ، ولكن تظل الروح من بعد ومن قبل من امر الله

وحده « يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي
وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ولهذا لم يأخذ به في
تجويز الاجهاض الا فرقة من الحنابلة اما بقيتهم ونفر
من اهل المذاهب الاخرى الذين رسموا للاجهاض رقعة
من الاجازة فقد جعلوها في الايام الاربعين الاولى على
اساس ان النطفة من بعد ذلك تكون قد تخلقت وهنا
نعود فنقول ان التخلـق سابـق على ذلك ، وان عالـم
الامبريولوجي اليوم يعلم ان التخلق قد بدأ وقطع شوطا
حتى قبل حلول موعد البيضة المرتقبة التي ان غابت
بدأت المرأة ترتاب في انها ربما قد حملت وهكذا ينحاز
الرأى العلمي الحديث الى منطق الغزالي الذى جعل افساد
الحمل جناية من اول الحمل ، وجعل الجناية افحش بعد
نفخ الروح ، واوصلها منتهى التفاحش بعد الانفصـال
حيا فيما كانت الجاهلية تقترفـه من قتـل البنـين اوواد
البنات

ان من الاحكام الشرعية مالايمكن الوصول اليه الا
بالاحاطـة العلمية التامـة والمتخصصـة للقضية
المطروحة وكما استنبط السابقـون احكامهـم مما بـين
أيديهم من معلومات طبية فليس لنا ان نكتفي بالنقل
عنهم وبين ايدينا دقائـق وتفصيلات علميه جديدة لم
تكن في زمانهم ولما كنت من اهل الاختصاص الطبي
الدقيق في هذا الموضوع فقد وجدت من الامانة ان اضع
امام اشياخنا وفقهائنا حقيقة ان الجنين حي من بدء حمله ،
وانه ينساب ناميا في تناغم واتصال ، وان قلبه ينبض
بالدم في شرايينه منذ أسبوعه الخامس ، وان جنين الاشهر
الثلاثة تام الخلقة وان كان صغير الحجم وانه تكون وانما
يكبر وينضج بعد ذلك ، وان الجنـين يتحـرك ونرصـد
باجهزتنا حركته ونسمع دقات قلبه قبـل ان تحس امـه
بحركته بزمان طويل

واعلم من الناحية الطبية ان قتل الجنين قتل نفس
واصونه واحافظ عليه الا ان كان في استمرار الحمل تهديد
لحياة الام وآنذاك فقط اهدر حياة لانقاذ حياة ولكن ليس
لما دون ذلك من اسباب

واود ان اجعل ذلك امانة في رقاب السادة المفتـين
والمشرعين والمصلحين والاطبـاء وفي رقـاب الاغلبية
الصامتة التي تتيح بصمتها للاقلية الهادفة الدائبة ان
تخطط لها وترسم لها مصيرها .

ألا هل بلغت !

اللهم فاشهد !

■■

د حسان حتحوت

أم ؟

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

كان يوما كيوم القيامة
« يوم ترونهـا تذهـل كل مرضعـه عما
ارضعت ، وتضع كل ذات حمـل حملهـا ،
وترى الناس سكارى ومـا هم سـكارى
ولكن عذاب الله شديد »

يكون سمعت بخبر « بومبي » المدينة الايطالية التي رت في شواظ من نار ودخان فيا يبرحان ان لم يكن سمعت فالناس يروون لك انه قبل الف وتسعمائة سنة ثـ البركان الهادىء الذي يجاور هذه المدينة ، بركان فيزوف ، فارسل عليها سحبا من الرماد الناري عطتها من فيها وما فيها فاجأها القدر بغتة فما تزال على الجثث المتفحمة آثار المفاجأة واضحة متجمدة داعت القصة وشاعت ، والمدينة الملعونة اليوم من موارد السياحة الايطالية والناس يشهدون من امر شرهها المتفحم وتماثيلها المهوية وحماماتها ومسارحها ومركباتها واعلاناتها الانتخابية ما يشهدون ولكن ما سمع احد بالقصة المماثلة المنسية ، التي حدثت في العهد القريب ، قصة مدينة « سان بيير »

كان ذلك منذ ٧٨ سنة وان شئت الدقة في مايو ١٩٠٢ كل شيء هادىء كان في « سان بيير » النائمة على ساحل البحر الكاريبي في جزيرة المارتنيك ⁕ الفرنسية ما عدا الجو السياسي المدينة الممدودة على الشاطىء سكانها الثلاثين الفا ، كانت قد خاضت الانتخابات لاختيار نائبها للمجلس التشريعي وقصر المرشحان مرشح الاكثرية ومرشح الاقلية عن الوصول الى الحد القانوني من الاصوات للنجاح فكان على الاثنين خوض المعركة مرة اخرى بعد اثني عشر يوما معركة « البالوتاج » !

لا وقت للحديث

واحتدم الزحام العنيف المحموم بين انصار الطرفين وشارك في ذلك كل من في البلد رئيس البلدية واستاذ الفيزياء في المدرسة الثانوية وصاحب مصنع السكر الوحيد في المدينة واسقف الكنيسة وصاحب الصحيفة الوحيدة في سان بيير ، كانوا هم ابرز الوجوه في الحملة الانتخابية وفي حلبة الصراع ولكن جميع السكان كانوا غارقين فيها اي غرق حتى الرحلات التي كانت تنظم كل يوم احد للصعود الى قمة بركان بيليه ⁕ المحور فوق جبل البلدة للاطلال على فوهته التي لم تتنفس منذ خمسين سنة الى ان نبت عليها بعض الشجر وزحف عليها العشب الاخضر ، حتى هذه الرحلات تعطلت ذلك الاسبوع بسبب الانتخابات البيانات الانتخابية والمجادلات لم تسمح للناس ان يأبهوا كثيرا لبعض الدخان الذي احد يتسلل منذ اسبوعين من الفوهة البركانية المشرفة بهدوء العجائز على المدينة

وحين قام استاذ الفيزياء ، اثناء اجتماع المجلس البلدي صباح يوم ٢٨ ابريل (نيسان) يلفت نظر المحافظ الى ما يخامره من القلق لهذا الدخان اسرع المحافظ يعاتبه

- اهذا وقت مثل هذا الحديث ونحن نكاد نخسر الانتخابات ؟

ان البركان في مكانه هذا منذ الاف السنين ولا يتحرك دعه ينفس عن نفسه باطلاق بعض الدخان القضية الملحة الآن هي ان بيننا وبين المرشح المعارض ٣٠٠ صوت فقط ويجب ان نبذل الجهد لكسب المستقلين فلديهم ٨٠٣ اصوات ! والا كان للمعارضة نائب يوم ١١ مايو هل هناك من اقتراح ؟

في يوم ٢٨ ابريل نفسه جاءت راهبات الدير القائم على السفح كالعصفور المعلق ، الى الاسقف - ابانا نحن قلقات ديرنا منذ عدة ايام لم نر عصفورا واحدا هربت العصافير وكثرت الافاعي فوق الارض .

- اعلم ! اعلم ! ان البركان يطلق بعض الدخان والدخان ارعب العصافير هذا كل شيء والافاعي دوما موجودة انصرفن الآن الى الصلاة

في ذلك اليوم نفسه على بعد كيلو متر من شمال المدينة كان صاحب معمل السكر يستقبل وفدا من عماله

- انا نسمع هديرا مخنوقا وهديرا كأنه في الاعماق والمصنع تماما على مسيلة القمة !

- يا اصدقائي هذا البركان منذ خمسين سنة اطلق بعض الدخان بل اخرج بعض اللهب ثم عاد من نفسه الى الصمت والهدوء انه عجوز سوف اصعد بنفسي الى القمة لارى وارحوا ان يطمئنكم ذلك ! وبالرغم من انه لاحظ ان ماء السيل الجاري في الوادي اضحى فاترا

⁕ هي احدى جزر الانتيل في البحر الكاريبي مساحتها ١١٠٠ كم^2 وسكانها ٣٠٠ الف تقريبا اليوم

⁕ بركان Pelee هو اسم هذا البركان في جزيرة المارتنيك

الا انه حين عاد من القمة قال لعماله ·

ـ الى العمل ايها الجبناء . لا شيء هناك !

شخص واحد فقط في المدينة كان لا يأبه للانتخابات ولا لدخان البركان . ذلك الشخص هو النزيل الوحيد في السجن رنجي محكوم بالحبس منذ شهرين في بعض السرقة ! كان همه ان يشتم الحارس السجان لانه قد اودع في قاع غرفة كالحجر شديد الرطوبة والعمق والظلمة ! في اليوم التالي لاحظ بعض الذين صعدوا القمة ان الفوهة قد امتلأت بالماء الساخن وكانت من قبل لا تحتفظ الا ببعض الماء في القاع . وسحب من البخار كانت تنعقد فوق الفوهة ولم يكن فوقها من قبل سحب ولا بخار

مصادفة سيئة

« اننا نشهد انفجارين بركانيين واحد في الرؤوس والثاني في الجبل واحد من الخطب والاموال واوراق الاقتراع ، والثاني من الدخان والرماد الساخن ، ان البركان الانتخابي يدخن بدوره ولن يهدأ قبل ١١ مايو المقبل اما الثاني فمتى يهدأ يا ترى ؟ »

وحين بدأ البركان يقذف بعض الحجارة مع الدخان رأى الاسقف ان مقاعد المصلين بالكنيسة قد امتلأت وان صف المنتظرين امام كوة الاعتراف يطول اما البحر فكان هادئا . واولئك الذين كانوا يمتلكون بعض القوارب ركبوها ليتأملوا صورة البركان من بعيد وهو يزمر كالحوت العظيم المنظر شديد الروعة من البحر

السجين وحده كان في السجن لا يدرى بشيء ولا يأبه لشيء !! ومثله كان حاكم المدينة لانه كان غائبا في العاصمة تلك الايام .

بعد يومين تغير الوضع قليلا اشتدت نيران المعركة الانتخابية مع اقتراب يوم الاقتراع . ولكن القلق البركاني كان بدوره قد اشتد في تصاعد متواز كانا يشتدان . كل الناس قد اخذوا بسحب الدخان التي احدث تتكاثف بعض البروق النارية التي تنطلق برائحة الكبريت التي جعلت تفوح بالرماد الذي بات يلعب في الجو ويتساقط على الارض كل الناس قد اخذوا الا اصحاب المعركة الانتخابية كانوا يخشون ان يؤثر ذلك كله على النتائج التي يرجونها . كانوا يلعنون هذه المصادفة السيئة ويصرون على ضرورة تهدئة الخواطر فلا شيء هناك !

في ليلة ٣ مايو لم ينم الرنجي السجين كان يجره اقسى من الغضب الذي في صدره تملأ الارض ... صرخ وصرخ ضرب الباب بيديه ورجليه لم يرد عليه احد وفي الصباح كانت المدينة كلها قد وقعت في بحر من الرعب الدعر المجنون اخذ يتحول في العيون وعلى الدروب

ولكن القسيس كان يأمر المصلين في الكنيسة بتلاوة صلاة « اومن بالله » بينما كانت ارتال طويلة من طالبي الاعتراف تتزاحم امامه وكان صاحب المصنع يطمئن امرأته

ـ ان اشتدت الحال فليس امامنا سوى مائة متر نقطعها ونصل المركب في المرفأ وسحر ! لا تتركي الصغير يبكي هدئيه

وكان رئيس البلدية يستيقظ مبكرا ليبرق الى الحاكم النائب

ـ وضع البركان يزداد خطرا الناس في ذعر نطلب تعليماتكم ! وجاء اليوم التالي ولم يصل اى رد وفي اجتماع طاريء بالمحافظة وقف استاذ الفيزياء يقول

ـ اعتقد انه يجب الا ننتهي نهاية بومبي يجب ان نخلي المدينة

وصاح به رئيس البلدية

ـ هل تدرك ما تقول ؟ هل بعلمك من استطاع النجاة فلينج لاثنين وثلاثين الف ساكن ؟ وفي قلب المعركة الانتخابية ؟ وبيننا وبين الاقتراع اسبوع ؟ انا لن احمل هذه المسئولية ! ليحملها الحاكم اذا شاء »

ولكن الحاكم لم يشأ حملها بدوره ابرق لهم يقول « الا تدركون الوضع الانتخابي الخطر طمئنوا الجميع وليبق كل في عمله سأطلب التعليمات من باريس ✱»

كان الرجل بعيد النظر يدرك ان في القضية خسارة الحكومة لمقعد في المجلس النيابي . وجاءت برقية الوزير متأخرة ولكنها تؤيد راى الحاكم « نذكركم باهمية الانتخابات نعتمد عليكم بان تفعلوا المستحيل لادارة الامور بشكل طبيعي ريثما ينتهي الدور الثاني من الاقتراع ثم لكم مطلق الحرية في اتخاذ ما ترون

✱ كانت جزر المارتينيك هذه تابعة لفرنسا ، وما تزال

من تدابير لمواجهة الموقف »

سباق اذن كان بين البركان وبين موعد الاقتراع بعد اسبوع ! في ذلك اليوم تجمع عمال مصنع السكر امام بوابة عند الظهر بظاهر المدينة يتوجسون الخيفة قال لهم صاحب المصنع :

ـ تستطيعون الانصراف ان كنتم مدعورين وتعودون للعمل يوم الاثنين ! ساقضي عطلة الاسبوع على المركب كان المركب على بعد مائة متر وكانت زوجته واسرته على باب المنزل حين صاح احد العمال

ـ الجبل ينهار الجبل ينـ

ولكن الصيحة لم تتم لان جدارا من المهل الناري يزيد في الارتفاع على ثلاثين مترا كان قد طوى المصنع والعمال وصاحب المصنع واسرته واستقر عند الشاطىء يعلو ربوة من الصخر الاحمر المسود تفور بما حوت من الاجساد وتصعد الدخان والابخرة والشرر كعاصفة من عواصف الجحيم !

اخذ ذلك كله ثواني معدودات

قضي الامر كله في ثوان !

ثم عاد البركان بغتة الى الهدوء كأن شيئا لم يكن !

في المدينة على بعد كيلومترين ، كان استاذ الفيزياء قد شهد دفعة اللهب الصخرى تندفع وعرف انها لا بد احدث المصنع وتحمم فيها ٣٥ جثة على الاقل ! وركض الى رئيس البلدية القسيس الذي كانت الراهبات قد حش اليه وتعدين عنده رأى سيل النار المنقض فقال لهن

ـ لا شك ان الله الهمكن ترك الدير اليوم لقد طوى كطي السجل للكتب رحم الله الدير لقد قبر في النار !

الصحفي الذي كان يجهل ما جرى للمصنع كتب لجريدته لقد انفجرت دفقة من المهل وثمة تلاطم في موج البحر يزيد على ثلاثين مترا لا بد انها هزة ارضية تحت قاع البحر

اما السجين في قاع زنزانته فقد شعر بالارض تضطرب تحت اقدامه وضرب الباب بكلتا يديه ولكن احدا لم يسمعه الحراس كانوا في شغل عنه . يجمعون حوائجهم احتياطا للاحداث المدينة كلها استبد بها ذعر الفرار .

واجتمع في المحافظة اركان الانتخابات ماذا نفعل ؟

وقال رئيس البلدية

ـ التعليمات واضحة لا سماح باى اضطراب قبل ان يجرى الدور الانتخابي الثاني وقال استاذ الفيزياء ولكننا نهزأ من تعليمات الحاكم انه على بعد ٣٠ كيلو مترا منا ، انه في مأمن ، والبركان فوقنا يهدد فوقنا نحن يجب اخلاء المدينة

ـ ليست هي تعليماته ولكنها تعليمات الوزير ، من باريس ، وزير المستعمرات

وقال الصحفي ـ لا بد ان تعطيني تصريحا للجريدة

ـ انه جاهز اكتب لا تدعوا الذعر يستبد بكم بدون مبرر ، تابعوا اعمالكم المعتادة ، الانتخابات قائمة

وجاء الحاكم يوم الاثنين ٥ مايو

اخذ البركان يطلق الزمجرة التي تفتت الاعصاب ويبصق غيوما من الابخرة والدخان

وجاء استاذ الفيزياء الى رئيس البلدية يرجوه

ـ يجب ان نخلي المدينة في نظام . ان نغلق الادارات والبنوك

ـ لا مجال لذلك الحاكم لم يأمر به

ـ ولكن قل له ان يأتي البلد ليرى اين هي انتخاباته ؟ الست ترى ان بعض الناس يهربون وبعضهم بدأ النهب ؟

ـ صحيح ولكن

الثلاثاء ٦ مايو .

الزحام والخصام امام كاهن الاعتراف بالكنيسة يبلغان الاوج قدموا النساء والاطفال اولا بعض الناس يتدافعون على الشاطىء لركوب المراكب الموجودة شيخ شهد حادث المصنع عن قرب وفقد ابنه فيه كان يصيح في صوت النذير

ـ غادروا هذه المدينة الملعونة غادروا سدوم !

اما الحاكم البعيد ثلاثين كيلومترا عن سان بيير

فتلقى برقيتين الاولى من باخرة كانت في عرض الميناء بالمدينة تقول لقد انتهينا من تحقيق مكان انقطاع الخط التلغرافي البحري خرائط الاعماق تحدد انه كان على بعد ٢٦٦٠ مترا من هنا من الواجب ان نشير الى انه الآن على بعد ٣٠٠٠ متر

الثانية من رئيس البلدية

اضحينا عاجزين عن امتلاك زمام المدينة ، حالة الذعر والفوضى تستبد بالاهلين عجلوا بعمل شيء »

واراد الحاكم ان يفعل شيئا فارق « ابي قادم »

وقال لزوجته تذهبين معي ان ذلك من شأنه ان يهدىء المدينة ويبعث الاطمئنان في الناس

وابحر مركب الحاكم وزوجته نحو سان بيير وعليه ايضا لجنة علمية من بعض الاساتذة بوصفهم خبراء اوضابط كبير فانه قد يكون ثمة ضرورة لوجوده لكبح جماح الفوضى ان وضع الانتخابات اضحى في خطر ان نقصت اصوات مدينة سان بيير

تصريح صحفي

وهدأت المدينة بالفعل حين وصل هذا الوفد الذين كانوا يسرعون الى المراكب تباطأوا الجامعون لحاجاتهم على عجل توقفوا الراكضون على الارصفة اخذوا يتساءلون ان كان الحاكم وزوجته قد حضرا وحضر هؤلاء العلماء فلا بد ان الامر ليس بتلك الخطورة وسرى في الدروب تيار الاطمئنان كما لو اطلقت تيارا من الهواء البارد في افواه جهنم وكتب الصحفي في جريدته البلاغ الرسمي التالي « ان المدينة وما حولها في اتم السلامة واللجنة العلمية سوف تتابع الدراسة للاحداث وتبلغ الاهلين بما تراه اولا باول ، والامر لا يتعدى ان البركان اطلق ما يحويه من الرماد »

وحده البركان كان لا يأبه لكل ذلك والسجين الوحيد في السجن ، أما استاذ الفيزياء فكان يهمهم بينه وبين نفسه

ـ انهم لا يرون الا يوم « البالوتاج » يريدون ابقاء الناس بأي شكل في المدينة حتى ذلك اليوم

في المساء كان الحاكم واصحابه ضيوفا على رئيس البلدية في العشاء وكان الصحفي يدبج مقالا في تهدئة الناس ويتهجى اسماء اعضاء اللجنة العلمية المجهولين ، وقسيس الكنيسة يصلي بالراهبات بعد يومه المرهق من الاعترافات واستاذ الفيزياء مثقوب الفؤاد يتساءل اليست ٣٢ ضحية بالكافية لانذار هؤلاء العم...

اما السجين في قاع الزنزانة السوداء فكان عيناه فقط هما اللتان تلمعان في العتمة

شهران قد قضى هناك في انتظار باقي المدة لا يعلم شيئا عما يجري ، انهم ان يعلم ؟

صباح الخميس ٨ مايو سنة ١٩٠٢ قبيل الساعة الثامنة بدقائق استيقظ السجين على تيار محرق من الهواء نفذ من كوة زنزانته لقد احرق البخار الساخن اطرافه ووجهه واحدث رائحة واحدة عميقة من الكبريت تدمر انفه فاقبل يضرب بكل قوته على الباب افتحوا لي اني اختنق ! استجار صاح ، زمجر عوى زفر جأر سح ليس من جواب ظل يفعل ذلك ثلاثة ايام.

في اليوم الرابع اخيرا اجابوه جاء بعض الجنود فكسروا الباب واخرجوه الى سطح الارض الى النور الذي اعشى عينيه فترة من الوقت ، حين استطاع ان يرى ، لم ير شيئا ، لم يكن ثمة مدينة كان ثمة فقط جثث متفحمة بكل مكان الاستاذ والصحفي ورئيس البلدية والقسيس ومرشح الحكومة ومرشح المعارضة والحاكم وزوجته واللجنة العلمية كانوا كلهم في المصير سواء لا يتميزون عن ٣٢ الف جثة اخرى سوداء حتى العظم ، موزعة بين البيوت المدمرة والطرق المعمورة بالمهل والرماد

لم يكن الناس قد قرأوا بعد ما كتبه الصحفي في تطمينهم صباح الخميس الفاجع ، وخلال ثوان لا تجاوز الخمس قبيل الساعة الثامنة ، كانت ابواب جهنم تفتح تتفجر قمة البركان تتحول الفوهة الى مجموعة من الفوهات النارية وسيل جار من الحمم واللهب يهوى بعرض السفوح كلها وبارتفاع عشرات الامتار ، فالمدينة كلها بما فيها ومن فيها كتلة من اللهيب الاحمر ومن سحب الصهاب حتى المراكب في الشاطىء احترق بعضها وغرق الآخر

وامحت مدينة سان بيير سكانها الـ ٣٢ الفا احترقت ما بين انتخابين وحين جاءت فرق الانقاذ بعد ثلاثة ايام سمعت في غرفة السجن طرقا شديدا وما يشبه العواء انه السارق الثائر سجين المدينة الوحيد الناجي الوحيد من المدينة التي دهست ، وذهب الانتخاب ، وامل الحكومة في الاصوات وكان هذا الناجي هو الوحيد الذي لا يحق له الانتخاب !

د شاكر مصطفى

قراءة في فكر رافض :

الله
ليس منحازاً لأحد

بقلم : فهمي هويــدي

غاية الامر أن المسلمين يسمون أمة الاجابة ، وغيرهم يسمون أمة الدعوة ، فالجميع أمته

بهذه العبارة يتحدث شيخ علماء المغرب ، عبد الله كنون ، عن ميزان العدل في الاسلام ، « بين جميع الطوائف والعناصر ، من غير اعتبار لون او نزعة ايا كانت » *

وفي هذا الاتجاه ، تصب افكار واجتهادات العديد من فقهاء المسلمين ، الذين يبنون مواقفهم على حقيقة أن بني آدم خرجوا « من نفس واحدة » ، وأن « الخلق كلهم عيال الله »

وهو اتجاه تحدد معالمه ابعاد قيمة العدل الالهي ، بكل تجرده وسموه اذ لا انحياز ولا محاباة لاحد ، لا في الدنيا ولا في الآخرة بل إنه امام « الموازين القسط يوم القيامة » ـ بالتعبير القرآني ـ ، تسقط الهويات والانساب والالقاب ، ويبقى شيء واحد يحتكم اليه في الثواب والعقاب ، هو العمل الصالح اولا ، والعمل الصالح اخيرا !

وعندما وقف النبي عليه السلام فوق الصفا ، ليقول لقريش كلها ، ولاهله وابنته فاطمة على وجه الخصوص . لا اغني عنكم من الله شيئا ، فقد كان على وعي تام بتلك الحقيقة ، منذ تلقي التوجيه الالهي وأنذر عشيرتك الأقربين وعندما سجل القرآن الكريم في قصة سيدنا نوح ، كيف انه اراد أن يشفع لابنه عند الله ، جاءه الرد بالرفض القاطع ، والسبب « إنه عمل غير صالح » .

لا النسب ، ولا مكانة الأب الرفيعة عند الله ، حالا دون أن ينفذ عدل الله ، لان الاهم طبقا « للموازين القسط » ، ماذا قدمت يداه هو ، ماذا كان موقفه هو ، أين موقعه هو بين الخير والشر

ان الله ليس منحازا لاحد هذه واحدة من الحقائق الاساسية في التفكير الاسلامي ، التي ينبغي التنبيه والتذكير بها ومن التبسيط الشديد للامور ، ومن الفهم المسطح والقاصر للاسلام ، ان يروج

* عبد الله كنون ـ الاسلام أهدى .

البعض لفكرة ان الطريق الى السماء حكر على نفر من الناس ، بل انه من الاساءة الى عدل الله ان يعلن كائنا من كان انه صادر لحسابه مفاتيح الجنة وهو قاعد فى مكانه ؟ !

●

لقد حسمت النصوص القرآنية الأمر منذ نزل كتاب الله قبل ١٤ قرنا عندما تخاصم أهل الاديان ـ والرواية لابن عباس (مختصر تفسير ابن كثير ـ المجلد الاول) ـ فقال اهل التوراة كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الانبياء ، وقال اهل الانجيل مثل ذلك وقال اهل الاسلام لادين الا الاسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وامركم وامرنا ان نؤمن بكتابكم ، ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم ، ونزلت الآية ليس بأمانيكم ، ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (النساء ـ ١٢٣) ، وخير بين الاديان فقال ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا (النساء ـ ١٢٥)

يضيف ابن كثير ان الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال وليس كل من أدعى شيئا حصل له بمجرد دعواه ، ولاكل من قال انه هو على حق سمع قوله ، بمجرد ذلك ، حتى يكون له من الله برهان

وفى تفسير الآيتين يقول الامام محمد عبده (الاعمال الكاملة ـ الجزء الخامس) « ان الاديان ما شرعت للتفاخر والتباهي ، ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء اليها والمدح بها ، بلوك الالسنة والتشدق فى الكلام بل شرعت للعمل وانما سرى الغرور الى اهل الاديان من اتكالهم على الشفاعات ، وزعمهم أن فضلهم على غيرهم من البشر بمن بعث فيهم من الانبياء لذاتهم ، فهم بكرامتهم يدخلون الجنة وينجون من العذاب ، لا بأعمالهم »

ثم يضيف الاستاذ الامام ان كثيرا من الناس يقولون تبعا لمن قبلهم فى ازمنة مضت ، ان الاسلام افضل الاديان ، اى دين اصلح اصلاحه ؟ اى دين ارشد ارشاده ؟ اى شرع كشرعه فى كماله ؟ ولو سئل الواحد منهم ، ماذا فعل للاسلام ؟ وبماذا يمتاز على غيره من الاديان ، لا يجد جوابا !

وفى هذا السياق نزلت الآية ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (النساء ـ ١٢٤) ، التي يعقب عليها الشيخ محمد رشيد رضا (تفسير المنار ـ الجزء الخامس) بقوله اى ان كل من يعمل ما يستطيع عمله من الصالحات ، وهو متلبس بالايمان مطمئن به ، فأولئك العاملون المؤمنون بالله واليوم الآخر يدخلون الجنة بزكاء أنفسهم وطهارة ارواحهم

ثم يضيف معقبا على الآيتين (١٢٣ ـ ١٢٤) ان فيهما « من العبرة والموعظة ما يدك صروح الاماني ومعاقل الغرور التي يأوى اليها الكسالى الجهال والفساق (كذا) من المسلمين ، الذين جعلوا الدين كالجنسية السياسية ، وظنوا ان الله العزيز الحكيم يحابي من يسمي نفسه مسلما ، ويفضله على من يسميها يهوديا او نصرانيا بمجرد اللقب ، وان العبرة بالاسماء والالقاب لا بالعلم والعمل »

●

وثمة ايات قرآنية اخرى ، من رب الناس ، تطل على كل الناس من منظور اكثر اتساعا وشمولا ، وتعطي قيمة العدل عند الله سبحانه ، ابعادا وآفاقا بغير حدود

والآيات ثلاث هي

ـ ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم (البقرة ـ ٦٢)

ـ ان الذين امنوا ، والذين هادوا ، والصابئون والنصارى ، من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (المائدة ـ ٦٩)

ـ ان الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئين والنصارى والمجوس ، والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ـ (الحج ـ ١٧)

والآيتان الأوليان تسويان بين الجميع اماء الله سبحانه ، وتشترطان فقط الايمان بالله والعمل الصالح ، ليثاب الخيرون عما فعلوا ، وليطمئن الجميع الى عدالة الله « ولموازين القسط » يوم القيامة

ولا بد ان نلاحظ ان « الصابئين » ذكروا في هاتين الآيتين ، وهم ليسوا من اصحاب الاديان السماوية على اى حال ، وان قيل انهم يؤمنون بالله ، وببعض الانبياء وحتى هؤلاء ، من عمل منهم صالحا فله اجره عند ربه

وفي الآية الثالثة اضافة للمجوس والمشركين ، وتذكير بأن حسابهم على الله يوم القيامة ، وليس على احد من الناس في هذه الدنيا

وفي تفسيره للآية الاولى من سورة البقرة يقول الامام محمد عبده (الجزء الرابع من الاعمال الكاملة) ان انساب الشعوب وما تدين به من دين وما تتخذه من ملة ، كل ذلك لا اثر له في رضاء الله ولا غضبه ، ولا يتعلق به رفعة قوم ولا ضعتهم بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز بخيرى الدنيا والآخرة ، انما هو صدق الايمان بالله تعالى

ويزيد هذا التفسير ، ويردده ، محمد رشيد رضا صاحب « المنار » ويضيف عليه قوله ان حكم الله العادل سواء ، وهو يعاملهم ـ الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ـ سنة واحدة ، لا يحابي فريقا ويظلم فريقا وحكم هذه السنة ، أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله على لسان رسولهم ، ولا خوف عليهم من عذاب الله

ومن المفسرين من يخالف هذا الرأى ، ويرى ان هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (آل عمران ـ٨٥) من هؤلاء الطبرى وابن كثير وسيد قطب ، الذي يشير في « الظلال » الى ان « العبرة بحقيقة العقيدة ، لا بعصبية جنس او قوم ، وذلك طبعا قبل البعثة المحمدية ، اما بعدها ، فقد تحدد شكل الايمان الاخير »

غير ان محمد عبده ورشيد رضا والشيخ دراز ، مثلا ، يرون ان الاسلام المقصود في الآية ، والذى لا يقبل الله سبحانه سواه ، هو « الايمان بالله « واسلام القلوب له والايمان بالآخرة ، والعمل الصالح مع الاخلاص » بتعبير الامام محمد عبده

وربما ساعدت قراءتنا للسياق على استنباط المعنى الصحيح ، فالنص القرآني في هذا الموضع يبدأ بالآية « قل امنا بالله وما انزل علينا ، وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » ـ ثم تجيء الآية التي نحن بصددها « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين »

بهذا التصور ، فان آية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا . » ، لا تتعارض مع الآية التي نحن بصددها « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى » ولا مبرر للقول بان الآية الاخيرة منسوخة بالاولى

ان العلاقة بين الآيات هنا ليست فقط علاقة تكامل ، لا مكان فيها للتناقض او التناسخ ، ولكن هذه العلاقة تنسج في الوقت ذاته اطارا أمثل لعدالة الله ، باعتباره ـ سبحانه ـ « رب الناس وملك الناس » جميعا .

ويذهب الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان) الى ان « الاسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص وانما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الانبياء وانتسب اليه كل اتباع الانبياء » ويستدل على ذلك بقوله « هكذا نرى نوحا يقول لقومه (أمرت أن أكون من المسلمين ـ يونس ٧٢) ويعقوب يوصي بنيه (فلا تموتن الا وانتم مسلمون ـ البقره ١٣٢) وأبناء يعقوب يجيبون أباهم « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ، ونحن له مسلمون ـ البقرة ١٣٣ » وموسى يقول لقومه (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ـ يونس ٨٤) والحواريون يقولون لعيسى (آمنا بالله واشهد باننا مسلمون ـ آل عمران ٥٢) بل ان فريقا من اهل الكتاب حين سمعوا القرآن (قالوا آمنا به ، انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ـ القصص ٥٣)

ويتساءل الدكتور دراز ماهذا الدين المشترك الذي اسمه الاسلام ، والذي هو دين كل الانبياء ؟

ويجيب الشيخ الجليل على السؤال قائلا ان الذي يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين انه هو التوجه الى الله رب العالمين ، في خضوع خالص لايشوبه شرك ، وفي ايمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على اى لسان وفي اى زمان او مكان ، دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصي او طائفي او عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه ، او بين رسول ورسول من رسله

ثم يضيف الدكتور دراز غير ان كلمة الاسلام قد اصبح لها في عرف الناس مدلول معين ، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد (ص) أو التي استنبطت مما جاء به ، كما ان كلمة اليهودية او الموسية تخص شريعة موسى ، وما اشتق منها ، وكلمة النصرانية او المسيحية تخص شريعة عيسى

●

ولعلي اضيف ان منطق القرآن ذاته في التعامل مع البشر ينطلق من هذه الرؤية الأرحب والأرحم بخلق الله جميعا وهو المنطق الذي يبدو شديد الوضوح في هاتين الآيتين

ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلاتظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفي بنا حاسبين (الانبياء ـ ٤٧)

ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (الزلزلة ٧ و٨)

ويرى الامام محمد عبده (الاعمال الكاملة ـ الجزء الخامس) ان الآيتين تشملان المؤمنين والكافرين على حد سواء « فمن يعمل من الخير ادنى عمل واصغره ، فانه يراه ويجد جزاءه ، لافرق في ذلك بين المؤمن والكافر غاية الامر ان حسنات الكفار الجاحدين لاتصل بهم الى ان تخلصهم من عذاب الكفر »

ويضيف الاستاذ الامام أن حسنات الكافرين لاتنجيهم من عذاب الكفر ، وان خففت عنهم بعض العذاب الذي كان يرتقبهم على بقية السيئات الاخرى وقوله تعالى « فلا تظلم نفس شيئا » اصرح قول في ان الكافر والمؤمن في ذلك سواء ، وان كلا يوفى يوم القيامة جزاءه

ثم يقول وما نقله بعضهم من الاجماع على ان الكافر لاتنفعه في الآخرة حسنة ، ولا يخفف عنه عذاب سيئة ما ، لا أصل له فقد قال بما قلناه كثير من ائمة المسلمين رضي الله عنهم

ويلتقي الالوسي ـ مفتي بغداد الاسبق والاشهر ـ في «.تفسير روح المعاني » (جـ ٣) مع ماذهب اليه محمد عبده في تفسير سورة الزلزلة فهو يقول بأن النص على ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره « يشمل المؤمن والكافر وان حسنات الكافر تخفف عنه عذاب الله في الاخرة » ، مدللا على ذلك بالاحاديث الصحيحة التي وردت في ان حاتما (الطائي) يخفف عنه لكرمه ، وان ابالهب (الموعود بنص القرآن بأنه سيصلى نارا ذات لهب) يخفف عنه كذلك لسروره بولادة النبي (ص) واعتاقه لجاريته ثويبة

حين بشرته بذلك ، والحديث في تخفيف عذاب ابي طالب مشهور . (وهي احاديث استشهد بها محمد عبده ايضا)

وبعد ان يستعرض الالوسي وجهات النظر المختلفة في تفسير الاية ، مرجحا ما يراه ، فانه يؤكد على انه « ليس صحيحا القول بان اجماعا على ان حسنات الكافر لاتنفعه في الآخرة » .

●

وللامام الغزالي رأي يلقي مزيدا من الضوء على الموضوع من زاوية اخرى فهو يقول في كتابه (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) ان غير المسلمين « ثلاثة اصناف » ، صنف لم تبلغهم دعوة الاسلام ولم يسمعوا باسم النبي محمد (ص) فهم معذورون ، وناجون من عذاب الله .

« والصنف » الثاني بلغته الدعوة على وجهها الصحيح ، ولم ينظر في ادلتها إهمالا او عنادا واستكبارا ، وهم « الكفار الملحدون » ، وهؤلاء مؤاخذون حتما

والصنف الثالث بين الدرجتين ، بلغته دعوة الاسلام على غير وجهها ، « بل سمعوا منذ الصبا ان كذابا اسمه محمد ادعى النبوة « على حد تعبيره » فهؤلاء عندي في معنى الصنف الاول (من الناجين) فانهم مع انهم سمعوا اسمه (النبي عليه السلام) سمعوا ضد او صافه . وهذا لايحرك داعيه النظر والطلب »

وفي هذا المعني يقول الشيخ محمود شلتوت في كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » ان من لم يؤمن بوجود الله ، ولابرسله ، ولا بكتبه ، ولا بالآخرة من لم يؤمن بشيء من هذا لا يعد بالضرورة كافرا عند الله « اما الحكم بكفره عند الله ، فهو يتوقف على ان يكون انكاره لتلك العقائد او لشيء منها ، بعد ان بلغته على وجهها الصحيح ، واقتنع بها فيا بينه وبين نفسه ، ولكنه ابى ان يعتنقها ويشهد بها عنادا واستكبارا ، او طمعا في مال زائد ، او جاه زائف ، او خوفا من لوم فاسد . فاذا لم تبلغه تلك العقائد ، او بلغته بصورة منفرة ، او صورة صحيحة ولم يكن من اهل النظر او كان من اهل النظر ولكن لم يوفق اليها ، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق ، حتى ادركه الموت اثناء نظره ـ فانه لا يكون كافرا يستحق الخلود في النار عند الله »

ثم يضيف الشيخ شلتوت والشرك الذى جاء في القرآن ان الله لا يغفره ، هو الشرك الناشيء عن العناد والاستكبار الذى قال الله في اصحابه « وجحدوا بها ، واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » ـ سورة النمل ـ ١٤

وقيمة هذه الاشارات انها تعكس مدى الحذر الذي يبغي ان يتحلى به الدعاة وهم يستخدمون كلمات الشرك والكفر والايمان كما انها تعكس مدى سماحة التصور الاسلامي الحق في التعامل مع الآخرين وقبل هذا وذلك فان هذه الاشارات تعبر بوضوح عن مدى رحابة ابواب السماء واتساعها لكل بادرة خير ، وتلمس الاعذار للآخرين ، ليس فقط من أصحاب الاديان الاخرى ، بل أيضا من الذين يبقون على شركهم لان رسالة الاسلام لم تبلغهم على الاطلاق ، او بلغتهم على غير وجهها الصحيح ، أو حتى بلغتهم على وجهها الصحيح « ولم يكونوا من أهل النظر » !

●

في اول رسالة « الحسبة » ، يقول شيخ الاسلام ابو العباس بن تيمية ان الناس لم يتنازعوا في ان عاقبة الظلم وخيمة ، وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا يروى ان الله ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة ، ولاينصر الدولة الظالمة وان كانت مؤمنة !

والكلام غني عن أي تعقيب !

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

ان لغز الحياة وما حوت ، لا يقل شأنا عن لغز السماوات وما طوت اذ كلما زادت محصلة الانسان من المعرفة ، وحسب أنه أصبح من الحقيقة قاب قوسين أو أدنى ، أشاحت هذه الحقيقة بوجهها ، لتتجلى لنا بأوجه شتى ، حتى لكأننا لن نصل الى الجوهر أبدا لا في ذرة ولا خلية ولا سماء ، فكلها تنطوي على أسرار وألغاز ضخمة غاية الضخامة

وكلما توصلنا الى حل لغز من هذه الألغاز ، تجلت لنا من ورائه ألغاز أضخم محتوى ، وأعمق غورا ، لكنها - في النهاية - ترشدنا الى اكتشاف نظم مذهلة توضح « صنع الله الذي أتقن كل شيء » ولن يتجلى لنا ذلك الا بالبحث والتنقيب في أسرار تلك النظم ، لتصبح امامنا بمثابة كتاب مفتوح يسعد العقول المتفتحة على معرفة تقربها من خالق هذه الأكوان ، علها تقدره حق قدره - فالى فقرة جديدة اذن من فقرات هذا الكتاب البديع كتاب الكون المفتوح !

لا أحد - حتى الآن - بقادر على أن يعرف لغز السرطان لكننا نعرف بالتأكيد أنه ينشأ من خلية من الجسم ذاته خلية واحدة منشقة تكفي لتدمير مجتمعها الذي يضم حوالي ٦٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ خلية (أي ٦٠ مليون مليون !) إن هذا المجتمع الخلوي الضخم - في جسم الانسان - موضوع تحت رقابة دقيقة ، وتشرف عليه موازين غاية في الحساسية والانضباط ، ولهذا فان أي خلل فيها - حتى ولو كان طفيفا - قد يؤدي الى المرض والموت !

وادا أردنا أن ندرك سر الخلية السرطانية ، وكيف
ما ، كان لابد أن ندرك اولا ما تنطوي عليه الخلية من
ة حرينية معقدة ، ونبحث في موازينها الحساسة التي
حكم في مجتمعاتها صحيح أن الخلية قد لا يتجاوز
رها ثلاثة اجزاء من مائة جزء من المليمتر (وهي بهذه
دود لا ترى بالعين الشرية) ، لكن لا يجب علينا أن
تهين بهذه الضآلة ، اذ انها تنطوي على اكثر من مائة
ون مليون درة ، تآلفت في جزيئات عضوية وغير
سوية لتصبح اكثر عددا من سكان الأرض بمئات
ات . أضف الى ذلك أنها تحتوي على الاف الأنواع
، المركبات الكيميائية الأساسية والمتخصصة ، وبين
ه المركبات تجرى الاف التفاعلات الحيوية ، ولابد ـ
لحال كذلك ـ من وضع ضوابط وروابط ، حتى يسرى
، تفاعل في حدوده المرسومة ، فلا يحيد عنها ولا يميد ،
، الحيود قد يؤدى الى خلل في أحد الموازين ، مما قد
نكس على خلل فيما حوله ، ذلك أن هذه الالاف من
بام والعمليات التي تجري في الخلية متشابكه
تفاهمة ادق ما يكون التفاهم والانسجام مثلها في
ك « كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ،
اعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ـ على حد
ل الحديث الشريف

أي لو أننا نظرنا الى ما يجرى في داخل الخلية ،
وقارناه بمعاييرنا الشرية ، لوجدنا أن مختلف التفاعلات
الكيميائية ، تبدو كما لو كانت تتأرجح على هيئة الاف
المؤشرات ، فاذا مال أحدها جهة اليمين او اليسار ، كان
لابد أن يعود الى توازن له معناه ، أي كأننا في هذه الحالة
نقف أمام « كمبيوتر » او حاسب اليكتروني جبار ، وفيه
يسري كل شيء بحساب ومقدار ، وطبيعي أننا ندرك سر
حاساتنا الاليكترونية ، وما وضعنا فيها من
« بروجرامات » ، لأننا صنعناها بعقولنا وايدينا ، لكننا لا
ندرك ـ الان على الأقل ـ اسرار هذه الحاسبة الدقيقة ،
نعني الخلية الحية ، لأن « بروجراماتها » وموازينها
معقدة غاية التعقيد صحيح أننا عرفنا من ألغازها
الكثير ، لكن ما عرفناه لا يعدو قطرة من بحر المعرفة
الذى ينتشر فيها بغير حدود !

وسر عدم معرفتنا بنشأة الخلية السرطانية ، يرجع الى
جهلنا النسبي بالاف التفاصيل التي تسيطر على حياتها ،
اذ مما لاشك فيه أن هذه الخلية الخبيثة ، كانت قبل ذلك
خليه « عاقلة » متزنة ، ولا شك انها كانت تتبع شرائع
الجسم وأحكامه ، ثم انشقت على المجتمع الذى فيه
تعيش ، وكأنما هي قد اصيبت بالجنون ، فتبدأ في
الانقسام والتكاثر دون ما داع لهذا الانقسام ، في حين أن

بعض خلايانا المتزنة تعاود الانقسام والتكاثر اذا ما دعت الضرورة الى ذلك، كأن يكون هناك جرح أو كسر او ما شابه ذلك، ثم يأتيها الأمر بالتوقف عندما تنتهي من مهمتها، فتطيع وتستكين الا هذه الخلية السرطانية، فلا حاكم لها ولا رادع اللهم الا من جراحة مبكرة تستأصل الورم الذي انتحته من جذوره!

ومما لاشك فيه أن جنون هذه الخلية يرجع الى انفلات في أحد مؤشراتها أو موازينها، لكن أين موقع هذا الخلل؟ او ما هو المؤشر الذي فقد توازنه، ليؤثر على ما حوله، لا أحد يعرف ذلك بالضبط، ففي الخلية ـ كما ذكرنا ـ معمعة هائلة، وتفاعلات متداخلة، وأحداث متلاحقة، وكأنما نحن نقف أمام غابة متشابكة، دون أن نعرف يقينا كل ما يجري في داخلها من حياة خافية!

وطبيعي أن دراستنا هذه ليست مخصصة للأورام السرطانية، رغم أن بدايتها قد توحي بذلك، لكننا قدمنا ما سبق من فقرات، لنعرف قيمة الموازين الحساسة التي تسيطر على كل خلية من ملايين الملايين التي تحتويها أجسامنا، ولنترك هذا «الخلل» الخلوي اذن، لنقدم بعض ما وعيناه من موازين لها في حياتنا وحياة الخلية شأن يذكر!

الرئاسة أولا من فضلك!

لكي يسري كل مشروع ضخم عظيم، سواء على مستوى الدولة أو المدينة أو الجماعة، كان لابد أولا من وجود رئاسة وقيادة لتخطط وتشرع وتوازن وتنفذ والحال كذلك مع الخلية الحية، مع فرق جوهري، فرئاستها أعظم، وتخطيطها أقوم، وتشريعها أتقن، وتوازنها أروع، وتنفيذها أبدع فلقد جاء كل هذا بقدرة فذة لا يستطيعها البشر، حتى ولو اجتمعوا لها!

خذ الانسان على سبيل المثال فلقد نشأ من خلية ملقحة، وفي الخلية كل المخزون الوراثي الذي سيحدد كل صغيرة وكبيرة الشكل وتناسق الوجه والأطراف ولون العينين والبشرة والشعر والبصمات والطول، وكل تفاعل حيوي يخفي عن العيون، وبالاختصار يوجد «كتاب مكتوب» يحدد عشرات الألوف من الصفات المختلفة التي نجيء بها الى الحياة

وفي هذا «الكتاب» حوالي مائة ألف خطة كل خطة مسجلة على شريط وراثي دقيق غاية الدقة الشريط مطوي في جينة أو مورثة الجينات متراصة واحدة بجوار الأخرى بالآلاف أو عشرات الالاف، لتصبح على هيئة «خريطة» وراثية أو ملف كامل اسمه كروموسوم، والخلية الملقحة تحتوي على ٤٦ ملفا أو كروموسوما، تسكن جميعها في ساية كروية دقيقة، نطلق عليها اسم النواة والنواة هنا بمثابة الرياسة أو القيادة أو الحكومة المركزية، لأنها تحتفظ بكل الخطط التي تحتاج الى تنفيذ!

وطبيعي أن كل خلايا الجسم وأنسجته وأعصابه وعظامه قد اشتقت من هذه الخلية الأولى بطريق الانقسام والتكاثر، وكل خلية من ملايين الملايين، تحتفظ بنسخ طبق الاصل من كروموسومات النسخة الأولى ـ أي الخلية الملقحة لتصبح لكل خلية قيادتها او رئاستها المستقلة

والى هنا قد يتبادر على الذهن تساؤل اذا كانت كل هذه الخلايا والأنسجة المختلفة قد اشتقت من خلية اولى، فلابد ان تكون طبق الأصل منها أو شبيهة لها، لكننا لا نرى ذلك في الواقع، فخلايا الكبد، غير خلايا الجلد والعين والأمعاء والرئة والطحال والكلية والعظام المخ النخ اذن كيف حدث هذا التشكيل المثير؟

حدث عن طريق برنامج زمني لا زلنا نتوه في تفاصيله أعظم تيه (لمزيد من التفاصيل راجع مقالنا في هذا المجال على صفحات العربي بعنوان «تشكيل الجنين هذه الرحلة المثيرة» ـ صفحة ٢٣ ـ أغسطس ١٩٧٩)، ففي كل فترة زمنية محددة اثناء بداية تشكيل الجنين، نرى الخلايا المتشابهة، وقد تغيرت اشكالها وطبائعها ومواقعها اذن هناك سر أو أسرار عظيمة تجري في الخفاء، اذ لو استخدمت كل خلية كل مخزونها الوراثي في تسيير دفة العمليات التي تموج في داخلها عندئذ لن يحدث تميز أو تشكل أو اختلاف ولابد والحال كذلك من وجود «ادارات» على مستوى عال من

رسم توضيحي للتبسيط يبين ان الشريط الوراثي لا يعمل بذاته ، بل تأتيه الاوامر بالترجمة والتنفيذ والتوقف من خلال جزيئات تحفزه وتثبطه ليسير كل شيء متواترا

الكفاءة والتنظيم ، لتوجه هذه الخلية فتكون بداية للعين ، وتلك للكبد ، وغيرها للمخ الخ

ولقد اكتشف العلماء بعض هذه « الادارات » في السنوات القليلة الماضية . وهنا نكون قد اقتربنا من الحقيقة ، وتعمقنا في أكثر اسرار الحياة غموضا ، اذ كلما اكتشف عالم من العلماء سرا واحدا ، حاز على جائزة نوبل في العلوم البيولوجية ، وكأنما هو قد حصل على السر من أبواب الأسد ، ليفتح لنا به آفاقا واسعة لنعرف بها دقة الاتقان والتنظيم الذي يسري في هذا العالم غير المنظور عالم الخلية الحية التي تجعل من هذا انسانا ، وذاك ثورا أو ثعبانا أو نباتا او طحلبا الخ الخ

اذن فالرئاسة ممثلة في نواة الخلية هي التي تقرر الأمر كله ، لكن بدون دكتاتورية او صلف أو أحكام تعسفية ، اذ لو فعلت ، لدبت الفوضى ، وانتشر الفساد في ارجاء مملكتها الدقيقة لكن الأمر شورى بينها وبين البلايين من جماهيرها الجزيئية أي أن هناك تواترا وتفاهما بين الحكومة المركزية (أي النواة) وبين الجزيئات التي صنعتها على هواها ، أو جاءت على حسب الخطط الكامنة فيها صحيح أن النواة تضع السنن والشرائع ، لكنها محكومة ايضا بما حولها ، اي كأنما الأمر هنا أيضا « للجماهير » منتهى الديموقراطية والاشتراكية الجزيئية !

أوقف هذا وبعد ذاك !

ان أعظم الشعوب وعيا وتقدما وحضارة هي التي تضع نصب أعينها تواترا ورقابة بين الحكام والمحكومين فاذا أخطأ الحاكم أو تجبر وتكبر ، قوموه أو عزلوه ، واذا أخطأ المحكومون كانت هناك أيضا القوانين الرادعة للخطأ والانحراف ، او على حد قول الرسول الكريم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » واذا صلح الراعي ، صلحت الرعية » ونضيف ايضا ان صلاح الرعية ينعكس اثرها على الراعي ، اي لابد أن يراقب احدهما الآخر ويقومه

لكن .. ما دخل كل هذا بموضوع جينة أو كروموسوم أو جزيئات في خلية لا تعي ولا تعقل ؟

له دخل مع الفرق طبعا بين تفاصيل حياتنا وتنظيماتها وشرائعها ، تفاصيل حياة في خليةلا تدرك كما

ندرك نحن بعقولنا التي قد تصيبنا شيء من الغرور، ونحسب انه ليس في الامكان أحسن مما كان لكن الخلية ـ والحق يقال ـ تقدم لنا أروع مثال في هذا المجال، او بمعنى آخر نقول ان الله سبحانه وتعالى قد أوحى فيها نظاما فذا تتوارى بجواره نظم البشر وما يدعون!

قلنا ان نواة الخلية بمثابة الحكومة المركزية، لكن هذه «الحكومة» الدقيقة تصدر الأوامر والتشريعات التي تراقبها وتحد من سلطاتها، حتى لا يصبح الأمر كله في يدها، فتكون الديكتاتورية البغيضة التي لا تستقيم معها أمور الحياة لا في خلية، ولا في شعوب!

في كل خلية من خلايا الانسان الجسدية اكثر من مائة الف جينة او مورثة تسكن نواتها كل جينة مسئولة عن تشريع وراثي محدد يجب عليها تنفيذه كلما تطلب الأمر ذلك، لكن ذلك التشريع لا يصدر هكذا جزافا، بل من ورائه هيئة جينية معقدة، وطبيعي أن كل عملية يجب أن تكون مضبوطة غاية الانضباط، حتى تتوازن مع غيرها من آلاف العمليات، بمعنى أن الجينة ـ وكل جينة ـ تعرف متى تبدأ، وكيف تتوقف، لكنها لا تعرف ذلك بذاتها، رغم أنها المشرعة، بل يأتيها الانضباط من جهاز رقابة على أدق المستويات!

وجهاز الرقابة يتكون من جينات وبروتينات نعني «الحكومة» المركزية للخلية جينات اسمها الجينات الكابحة Repressor Genes اي التي تكبح او تثبط او تقمع ما حولها من الجينات المسئولة عن اصدار الأمر الوراثية بتنفيذ العمليات في الخلية، لكن الجينة الكابحة لا تقوم بعملية الكبح بشخصها، بل تطبع على ذاتها أمرا وراثيا يحمله رسول، وبه يتوجه الى «مطابع» الخلية (أو الريبوسومات Ribosomes) الموجودة في ساحة الخلية بالالاف، فتطبع الامر الوراثي، وتحوله الى بروتين اسمه البروتين الكابح، ويعود هذا البروتين الى النواة، ويتوجه الى منطقتين تقعان على يمين ويسار الجينة الكابحة، وهاتان المنطقتان تعرفان باسم الموجه أو المنفذ الأيمن، والموجه او المنفذ الأيسر، فتحد البروتينات الكابحة من نشاطها من خلال احتلال مواقع محددة على سطوحها، وكلما زاد تركيز البروتينات الكابحة، زاد الكبح او التحكم في جهاز الحكومة المركزية ـ اي في الجينات المسئولة عن إصدار التشريعات الوراثية التي تدير بها الخلية شئون مملكتها الصغيرة!

لكن ما هو دور الموجه في هذا العالم الدقيق؟

له دور هام وحيوي للغاية، فهو الذي يعرف من اين ومتى وكيف يسمح للجهاز الوراثي الحاكم بفتح «ملفاته» الوراثية، ليستخرج منها الامر الخاص بعملية من آلاف العمليات الحيوية التي تجرى في انحاء الخلية تماما كما نعرف نحن مثلا كل حرف وكلمه وسطر وفقرة في كتبنا المكتوبة اذ لو اخطأ هذا الموجه، وبدا بحرف قبل حرف، لكانت الكارثة، اذ ان ذلك

شكل مبسط للغاية ليوضح عمل «هيئة الرقابة» الجينية على الشريط الوراثي فمن خلال المقاطع التى نراها على هذا الشريط المبسط تتحد مناطق التنفيذ والايقاف بطريقة منظمة غاية التنظيم

سي تكوين بروتين خاطيء من البروتينات التي تقوم بها أعمدة الحياة ، ويعني أكثر ظهور مرض وراثي قد كون قاتلا . لكن كيف يعرف الموجه ذلك ؟ لسنا ف ، وعندما نعرف ذلك مستقبلا ، فلا شك أننا سنقع عن صيد علمي ثمين يوضح لنا نظما أخرى مذهلة لا زلنا عنها تائهين لكن كل ما نعرفه في هذا المجال ، ان الموجه بدوره يمتلك جهازا جزيئيا دقيقا على منطقة خاصة من تكوينه تعرف باسم المنطقة الحاثة او الحافزة Promoter region أي التي تحث جزءا من جهاز « الحكومة المركزية » في النواة بفتح ملفاته ، واصدار اوامره بتصنيع بروتين أو انزيم تحتاجه الخلية لتنفيذ عملية واحدة محددة ، وطبيعي ان العملية لها حدود ومعايير حساسة ، فاذا زادت عن حدودها ، وجدت أمامها من يكبح جماحها ، واذا تباطأت ، جاءها من يحثها ويشجعها ، وكل شيء هنا بحساب ومقدار !

ضوابط وقتية ودائمة !

ومما لاشك فيه ان تحكم « الجماهير » الجزيئية (وعلى رأسها البروتينات والانزيمات) في قياداتها ، ثم استجابة هذه القيادات لتوجيهات أجهزة الرقابة ، يضع أمام اعيننا وفي عقولنا أعظم تنظيم ، وأدق تكوين ، وأكفأ تشغيل لآلاف من العمليات الكيميائية المتداخلة والمضبوطة بموازين حساسة لا خلل فيها ولا تفريط !

كأنما الخلية الدقيقة هنا بمثابة مصنع اوتوماتيكي ضخم لانتاج الاف السلع المختلفة ، ولكل سلعة مواصفات وخطة وخامات ، والذي يشرف عليها جميعا « عقل » اليكتروني جبار ، وبداخل ذلك « العقل » بروجرامات محددة لكل سلعة ، والبروجرامات على اشرطة ، وللأشرطة ذاكرة تحدد بها السلع المطلوبة وكمياتها وحاجة الأسواق اليها ، فتوازن بين الانتاج والاستهلاك ، وعند الحاجة لسلعة أو اكثر ، يدور شريط من اشرطة العقل الاليكتروني ، ليعطي الأمر بالعمل للآلة المخصصة لصناعة تلك السلعة ، وعندما تدور الآلة اوتوماتيكيا ، تلتقط الخامات قطعة من وراء قطعة من وراء قطعة وهكذا ، وتمر هذه القطع على خط تشغيل اوتوماتيكي ، وفي كل مرحلة من مراحل التشغيل تقوم أذرع اليكترونية مخصصة بتجميع هذه القطع واحدة وراء الأخرى ، وفي نهاية الخط تخرج السلعة متكاملة وبالمواصفات المضبوطة تماما ، ويستمر الانتاج على حسب المطلوب في الاستهلاك بالتمام والكمال ، وعندئذ يعطي الشريط الخاص بهذه العملية (والكائن داخل العقل الاليكتروني المتطور جدا) اشارة الايقاف ، فتكف الآلة عن العمل ، ويتوقف خط التشغيل تبعا لذلك ثم يعود ليعمل عندما تنخفض الكميات المعروضة . ثم علينا أن نتصور ان هناك مئات او آلاف السلع المختلفة التي يجب على العقل الاليكتروني أن يديرها في وقت واحد ، وعليه ايضا ان يوازن بين الانتاج والاستهلاك لكل سلعة من هذه السلع الخ الخ

ولا شك أننا سنبهر وسندهش لو رأينا مثل هذا المصنع الضخم وهو يدير نفسه بنفسه دون تدخل من الانسان ، ثم نراه - اي المصنع - وهو يحسب الطاقة اللازمة للتشغيل ، ويقدر الانتاج والاستهلاك ، ويعرف متى يبدأ ، ومتى يتوقف ، وكيف يسحب خاماته من البيئة المحيطة به بحساب ومقدار الى اخر هذه العمليات المعقدة التي تشرف عليها آلات كثيرة بعدد السلع المطلوبة ، لكن انبهارنا بما تمخضت عنه عقولنا سوف يتوارى خجلا عند مقارنته بما يجري داخل خلية حية ، اذ ليس الأمر فيها مقصورا على خطط تشغيل وتصنيع وانتاج واستهلاك ، بل من جوهرها تنبع اعظم ظاهرة في الكون على الاطلاق تلك هي ظاهرة الحياة التي توجت مشوارها الطويل بانسان مدرك عاقل كان في الأصل خلية وتلقحت ، ثم رأيناها تتميز الى خلايا وأنسجة وأعضاء متباينة ، وهذا بلا شك يدعونا مرة أخرى الى التساؤل كيف حدث ذلك التشكل ؟

حدث من خلال الضوابط الكيميائية أيضا فكما أن للخلية ضوابط وقتية ، أي التي تدير بها شئون حياتها اليومية ، كذلك كان لها ضوابط مستديمة تبقى معها العمر كله

خذ لذلك مثلا ومثلا ، فخلايا الكبد تقوم بعمليات

متخصصة ، وهذه ـ بلا شك ـ غير التي تقوم بها خلايا المخ أو الأمعاء او القلب او الكلية الخ ، فعند بداية المراحل الأولى في تشكيل الجنين ، لا تستخدم كل خلية جميع مخزونها الوراثي ـ أي المائة ألف جينة أو مورثة ـ في ادارة شئونها الداخلية ، بل يتحتم عليها ان تشتغل بنسبة قد لا تتجاوز ٥٪ من « بروجرامها » الذي ورثته من الخلية الأولى الملقحة ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من الغاء معظم « البروجرام » ، اذ هي ليست في حاجة اليه ، والالغاء هنا مستديم ولا رجعة فيه ، ويتم ذلك عن طريق تصنيع بروتينات كابحة مانعة ، ولقد توصل العلماء الى عزل بعض هذه البروتينات التي تندس في الجهاز الوراثي للخلية (يطلقون عليها اسم الهستونات Histone Proteins) فتطمس أجزاء كثيرة من الأشرطة الوراثية ، وتحول بينها وبين الانزيمات او الجهاز التي تقوم بترجمة معلوماتها ، لتحولها الى خطط عمل ، في حين ان الأجزاء القليلة من الاشرطة الوراثية تبقى محررة ، لكنها ـ مع ذلك ـ موضوعة تحت ضوابط وقتية ، فتسمح لها بالعمل في حدود ، أي بالمعايير المضبوطة التي تحتاجها الخلية ، وهذا ما سبق ان أشرنا اليه عن طريق جهاز الرقابة الذي يتمثل في الجينات الكابحة وما يتصل بها من هيئة حزيئية معاونة .

ان خلايا المخ مثلا لا تستطيع ان تقوم بعمل حلايا الكبد او الرئة او الطحال أو ما شابه ذلك ، رغم انها تمتلك الخطط المفصلة للقيام بعمل هذه الأنسجة ، والفضل في ذلك يرجع الى الضوابط المستديمة التي طمست في خلايا المخ العمل المقرر للكبد والرئة والطحال . الخ ، وسمحت لها فقط باستخدام نسبة محدودة من بروجرامها الوراثي المتكامل ، لتدير بها شئونها التي تؤهلها لأن تصبح حلايا مخ ، ولا شيء غير ذلك ، ثم ان خلايا الكبد تطمس معظم البرنامج الوراثي المخصص لادارة العمل في حلايا الكلية أو الأمعاء او الغدد أو المخ . الخ ، وتسمح بتشغيل حزء آخر مخصص لعملها كخلايا كبد ولا غيرها ، وعلى هذه الوتيرة تسير مع حلايا الانسجة الأخرى لكن كيف تقرر الخلايا طمس اجزاء من برامجها ، وتشغيل حزء آخر ، ثم ما هي الوسيلة التي تحدد بها ذلك ، فلسنا نعرف الميكانيكية المعقدة الكامنة في هذا النظام المذهل كل ما نعرفه هو ظاهر الأمور ، أي تميز الخلايا وتشكلها عن طريق برو-رام زمني تلعب فيه البروتينات الكابحة ـ الوقتية ـ ـها والمستديمة ـ لعبتها الغامضة ، وبهذا تحيرنا ألغازها ، علم حيرة !

أي كأنما الحياة بجميع صورها واشكالها ود استحدمت في مخلوقاتها مجلدا محفوظا ، للمجلد فصول وأبواب وفقرات وجمل . وطبيعي ان لكل خلية مجلدها الدقيق المتكامل ، وكأنما هي تعرف كيف تلغي فصولا وابوابا لا تحتاجها ، وتنفذ الفصول او الفقرات التي تقوم عليها حياتها ، وبهذا تتميز عن أترابها ، وتقوم بمهامها التي القيت على عاتقها من أجل صالحها ، وصالح المجموع الذي يتعاون معها ، ليكون التناسق والتآلف والتعاون والتوازن الذي تسري به الحياة في الكائنات جميعها !

ثم ان هذه الضوابط أو اجهزة الرقابة على الجهاز الوراثي الحاكم في كل خلية هي التي تحدد لها طريقها الموروث ، وبدونها قد تتحول الى خلايا سرطانية ، اذ يعتقد العلماء الآن أن السرطان يبدأ ببداية التحلل من هذه الضوابط الجزيئية المعقدة ، فيترك لها الحبل على الغارب ، وكأنما هي تعود الى حالتها الجنينية ، فتنقسم بدون رابط ولا ضابط ، فتؤدي الى ورم يدمر الجسم تدميرا

والواقع أننا لا نعرف السبب أو الأسباب الكامنة من وراء هذه الضوابط الموروثة ، ولا ندرك الميكانيكية البيولوجية التي تؤدي الى تحللها وانفلاتها ، ويوم نتعمق في اسرار الحياة اكثر ، وندرك من الغازها أكبر ، عندئذ قد نضع أيدينا على سر حدوث السرطان ، ونبحث عن الأساليب الممكنة ، التي قد توقف هذه العمليات المدمرة ، ويصبح ذلك اعظم انتصار للانسان على « غول » السرطان ، او على الكثير من الأمراض الوراثية الناتجة عن اخطاء تنبع اساسا من « الحكومة » المركزية الممثلة في نواة الخلية ، ولهذه دراسة قادمة لنعلم منها مالم نكن نعلم ، وما أكثر ما لا نعلم من اسرار الكون والحياة ■■

الاسكندرية ـ د عبد المحسن صالح

● حل مسابقة العدد ٢٥٦ ●

محمد الشهرستاني

محمد الشافعي

اثنتان في واحدة

(٨) أفقيا محمد الشهرستاني ولد في شهرستان (خراسان) ويعتبر من أشهر مؤرخي الاديان في القرون الوسطى من مؤلفاته « الملل والنحل » ، استعرض فيه المذاهب الدينية الفلسفية

(٨) رأسيا محمد الشافعي امام ومؤسس المذهب الشافعي ، أحد المذاهب السنية الاربعة أسس علم الاصول ولد في غزة ونشأ في مكة ، ودرس على الامام مالك بن أنس بالمدينة سجن ثم عفا عنه الرشيد توفي في مصر ودفن في سفح جبل المقطم

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها سعادة حسن عباس ـ صيدا ـ لبنان

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها محمد عبده عبد الرزاق ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها نعيم اصطيفان ربوة ـ البصرة / العراق

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من .

١ ـ سلمى محمد عصفور ـ الزرقاء / الاردن
٢ ـ سعاد حلال الدين مصطفى ـ دمشق / سوريا
٣ ـ عبد الرحمن محمد المختار ـ الرياض / السعودية
٤ ـ سميرة سلامة يوسف ـ الزقازيق / مصر
٥ ـ اليوسفي احمد ـ مكناس / المغرب
٦ ـ محمود رشيد عرابي ـ الكويت
٧ ـ عبد العزيز عبد علي ـ المنامة / البحرين
٨ ـ فيصل الكايد ـ الكهومار / امريكا

لقد انتهى عصر التسطيح والاحالة الميكانيكية لسلوكية الانسان !

عودة إلى ساحة الإيمان من أبواب العلم التجريبي

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

بعد رحلة طويلة وشاقة في التاريخ ، يعود العلم ، بعد ان شب عن الطوق وبلغ رشده ، لكي يلتقي بالدين ، واستبعدت الفكرة التي ترفض قبول كل ما لا يخضع للفحص والتحليل لان الاجسام الفيزيائية نفسها ابت ان تخضع للفحص والتحليل ، ولم تسلم لنا نفسها لكي نعريها ثوبا ثوبا

كل ما قدمته هذه الاجسام لنا ، كما تؤكد احدث المعطيات العلمية ، هو ملامحها الخارجية ، اما في الباطن على مستوى الحقائق النهائية للتركيب والماهية ، فلا جواب وإذا كان ذلك كذلك اذا كنا نحكم على الاجسام من خلال تأثيراتها ومؤشراتها ، فان هنالك في حياتنا البشرية ظواهر لا يحصيها العد تؤثر في صميم هذه الحياة وتمد مؤشراتها الى كافة الاتجاهات ، كالدين والجمال والاخلاق الى اخره ومن ثم فان نكرهها ـ لاننا لم نعرف عن ماهيتها شيئا ، لم نعرف سوى تأثيراتها ومؤشراتها ـ يقودنا بالضرورة الى الغاء العلم نفسه لانه لم يتعد الكشف عن التأثيرات والمؤشرات ، اما الماهيات فلا جواب ومن ثم كان لذلك الكشف الخطير على مستوى العلم والذي بلور العالم الشهير (ادينغتون) ملامحه النهائية ، التأثير الايجابي الهام على مستوى الحياة البشرية

انها ارادة الله سبحانه ، الذي ركز الايمان به وحده في فطرة بني ادم ، تعود بهم ثانية الى ساحة الايمان تعود بهم من الف طريق وها هو حشد كبير من العلماء يرجعون الى الله والروح والجمال والحق والخير كحقائق موضوعية مستقلة عن ذواتنا ، يرجعون من خلال منهج علمهم نفسه من الواضح ، يقول سوليفان في كتابه القيم (حدود العلم) ان حقيقة كون العلم مقصورا على معرفة البنى ، هي حقيقة ذات اهمية انسانية عظيمة لانها تعني ان مشكلة طبيعة الحقيقة لم يبت فيها بعد ، ولم يعد يطلب الينا الآن أن نعتقد بعدم وجود مقابل موضوعي لاستجابتنا للجمال ، او شعورنا السحري بالاندماج مع الله ان مثل هذه الامور يمكن ان تكون مفاتيح لطبيعة الحقيقة ، وقد اعتبرت كذلك في كثير من الاحيان وهكذا فان تجاربنا المختلفة قد اصبحت كما كانت على قدم اكثر تساويا ان تطلعاتنا الدينية وحسنا

اذن ليسا بالضرورة ظواهر وهمية كما جرى افتراض في السابق ، وان من حق الرؤى الباطنية Mystics) ايضا ان يكون لها مكان في هذا العالم علمي الجديد)

ان تطلعاتنا الدينية وحسنا الجمالي اذن ليسا بالضرورة ظواهر وهمية كما جرى الافتراض في السابق ، يوم ان اندفع العلم المراهق والنظريات الاجتماعية والنفسية التي بنيت عليه ، يضرب هذه التطلعات ويسقط تلك الاحاسيس ، رادا الحياة البشرية الى مجموعة ميكانيكية محدودة صارمة من الافعال ، مسطا هذه الحياة الكثيفة المعقدة المتشابكة ، جاعلا اياها تتحرك على خط واحد وفق امتداد واحد ، وباقل قدر من تبادل التأثير بين الذات والموضوع واشده احتزالا

والانسان (ذلك المجهول) اذا استخدمنا تعبير العالم الشهير الكسيس كاريل ، اصبح ظاهرة مادية اخضعت للتحليل والاختبار ، من اجل الوصول بالقسر والاكراه ، الى تفسير نهائي لسلوكه فكان يندفع حينا بتأثير دافعه الجنسي ، وكان يتحرك حينا اخر على هدى ضرورة عمياء للبقاء والارتقاء وكان يتطور حينا آخر ، مسلوب الارادة ، بضغوط التبدل في وسائل الانتاج ، وكان يمارس حياته حينا رابعا من خلال عقل جمعي لا يأبه بحياة الافراد

انماط مختلفة من التفاسير اريد بها الوصول الى المستحيل والمستحيل هو فهم الانسان وادراك طبيعة علاقته بالمادة وكان الاعتقاد السائد يومها ، ان المادة قد حسم امرها ، وان ما تبقى هو الانسان '

انتهى عصر التسطيح

لقد انتهي عصر التسطيح والاحالة الميكانيكية او البايولوجية لسلوكية الانسان ، ما دام قد تبين ان الاجسام المادية نفسها فقدت تسطحها وقادت الى دهاليز واعماق وسراديب ضيعت العلماء بعد ثلاثة او اربعة قرون في البحث في المادة دون ان يدروا انهم لا يزالون يتحركون على السطح ان بعض العلماء يرون ان الموجات الالكترونية التي تشكل بنية المادة ، كما هو معروف حتى الآن يمكن ان تكون موجات احتمالية (Waves of probability) من غير وجود مادي مهما كان نوع هذا الوجود (ص ٤٠ ـ ٤١ من كتاب سوليفان السابق الاشارة اليه) اي انه لا اساس مادي للاشياء على الاطلاق

ويتفق علماء آخرون مثل ادينغتون وجينز على ان الطبيعة النهائية (ultimate natural) للكون هي طبيعة عقلية وفي هذا يقول ادينغتون ان مادة العالم هي مادة عقلية « ويردف ان المادة العقلية منتشرة عبر الزمان والمكان ، بل ان المكان والزمان جزء من المخطط الدوري الذي هو في نهاية المطاف مشتق من المادة العقلية نفسها »

واحدث النظريات التي طرحها عدد من كبار العلماء في مطلع السبعينات ، ونشرت خطوطها العريضة مجلة (العلم والحياة) الفرنسية تقول بالمقابل او المعادل اللامادي للتراكيب المادية في البنية الذرية والذرية على السواء وانه ما من الكترون او بروتون او نيوترون او جسم كوني كذلك ، الا وتتواجد قبالته معادلته اللامادية ، ومعنى هذا ان اكثر النظريات الفيزيائية حداثة تقدم تأكيدا اشد على تهافت المادية وتشير بلسان العلم المختبري والمعادلات الرياضية المركبة الى التواجد الروحي في قلب الكون وفي صميم الذرة " وانا لنقف هنا خاشعين امام واحد من جوانب الأعجاز القرآني تلك المجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثنا عن تسبيح الكون والذرات للخالق العظيم (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ـ الحديد ـ الحشر ـ الصف ، مع اختلاف اللفظ فقط

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) الاسراء ـ ٤٤ ـ (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) الرعد ـ ١٣ الى اخر الآيات في ذات المعنى

ذلك الجانب الغامض

ان التسبيح ها هنا لا يقتصر على كون الذرات والاجسام الفضائية تخضع للنواميس التي وضعها الله فيها ، فهي بهذا تسبح بحمد الله سبحانه فهنالك ما هو ابعد من هذا واقرب الى مفهوم التسبيح الحي او التقديس الواعي ان هذه المواحيد المادية تملك ارواحا وهي تمارس تسبيحها وتقديسها بالروح ، وربما بالوعي الذي لا نستطيع استيعاب ما هيته وان هذا ليقودنا ثانية الى مقولة ادينغتون « ان مادة العالم هي مادة عقلية » " كما يقودنا الى الآية الكريمة (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) حقا ان ادراك الطرائق التي تعمل بها الذرات والاجسام لما يصعب تحقيقه ومهما تقدم العلم وخطا خطواته العملاقة ، فسيظل جانب من اكثر جوانب التركيب

المادي اهمية ، بعيدا عن التكشف النهائي مستعصيا على البوح بالسر المكنون

واذا كانت المادة نفسها ذات بعدين على اقل تقدير . افلا يكون الانسان ذا ابعاد اكثر بكثير ؟ ومن ثم فلا التفسير الجنسي منفردا ، ولا التفسير المادي منفردا ، ولا التفسير الارتقائي منفردا ، ولا التفسير الجهالي منفردا ، ولا التفسير السلوكي منفردا ولا غيرها من التفاسير بقادرة على فهم الانسان وانه لا بد من الدين اذا ما اريد للمعادلة الصعبة المركبة ان تجد حلا والذي يقول هذا اليوم هم العلماء انفسهم ابناء المختبر والتجريب والتعامل العلمي الرصين مع الظواهر والاشياء والموجودات

اقتراب المادة من عالم الفكر !

ومهما يكن من أمر فثمة اهمية ذات بعد اساسي تشتق عن التحليل السابق تتجلى كما يرى اصحابها « في انها تترك لنا مجالا اكبر من الحرية لكي نصغي الاعتبار او المعنى التقليدي على حيراتنا حول الجمال والدين ، او لنقل بالاختصار الخبرات الباطنية انها لا تعرض بصورة ايجابية ايا من التفسيرات التي جاءت بها الاديان للعالم ، لكنها تقطع الطريق على تلك المناقشات التي قامت لتثبت ان ايا من هذه التفسيرات الدينية ما هو الا مجرد وهم

لقد فعلت هذا عندما اظهرت ان العلم لا يعالج الا ناحية جزئية من الحقيقة وانه لا يوجد ادنى سبب يبرر الافتراض بان كل ما يجهله العلم او يتجاهله هو اقل حقيقة مما يعرفه ص ٤٨ - ٤٩ »

ليس هذا فحسب بل ان العلم في عهد مراهقته والفلسفة والآداب التي اقامت صرحها عليه كانت اسيرة اعتقاد اشد خطأ يقوم على افتراض ان كل ما يجهله العلم او يتجاهله لا وجود له على الاطلاق ، وهو موقف ساذج يتشبث به كثيرون من ادعياء العلمية في بلادنا اولئك الذين اخذوا على عاتقهم ، او حملوا شكل ادق ، مهمة اعلان الحرب على الغيبيات ، دون ان يدركوا ان المواقع الاخيرة لمسيرة العلم الجاد قد كشفت عن حقيقة ان المادة نفسها تحمل في تراكيبها بعدا غيبيا ان هؤلاء ليذكرون الانسان بالنعامة التي اذا دهمها خطر ما دفنت رأسها في الرماد معتقدة نوع من خداع الذات - انها ما دامت لا ترى الخطر فانه ليس بموجود وتكون النتيجة أن تضيع المسكينة في بطون السباع

ان المادة اليوم - يقول العقاد - « لا تصد الفكر عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة فان الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد على اصولها حتى تؤول الى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الاثير وميدان الفضاء . فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته واصبحت في تقدير الثقات (عملية رياضية ، او نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب وقد حار لعالم كبير كالسير جيمس جينس (Geans) ان يعترها كذلك ، وان يقول كما قال في ختام كتابه (الكون العجيب) « ان المعرفة الجديدة » لاحظ كلمة الجديدة « تضطرنا الى تنقيح خواطرنا العجلى التي اوحت الينا انا وقعنا في كون لا يحفل بالحياة ، او لعله يعمل على مناصبتها العداء ويلوح لنا ان الثنائية العتيقة (لاحظ كلمة العتيقة) التي تقول بالعقل والمادة ويرجع اليها افتراض العداوة المزعومة ، آخذة في الزوال ، لا لأن المادة تدخل باية حال من الاحوال في ظلال واشباح ، او لأن العقل تحول الى وظيفة مادية لأن المادة الجوهرية تحيل نفسها الى شيء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف ان الكون يبدي الدليل على قدرة مدبرة او مسيطرة لديها العقل الذي يماثل ما نفهمه بعقولنا)

وحار كذلك لعالم آخر كالسير ارثر ادنجتون Eddington ان يقول في ختام كتابه عن كيان الدنيا الطبيعية ان نظرات المتصوفة لا تهمل ، وان ملكات الانسان التي يمارسها الشعور الديني هي من وقائع الكون اذا كان الانسان قد استبقاها بفعل الانتخاب الطبيعي ، وهو من اهم العوامل الكونية وفي كتابه (فلسفة العلم الطبيعي) يقول - نحن حتى في العلم ندرك ان المعرفة ليست بالامر الوحيد الذي نعتد به ، ونسمح لانفسنا ان نتحدث عن روح العلم وان اعمق من كل قضية من قضايا النكران لهي العقيدة التي هي قوة خالقة اهم مما نحلله وفي عصر العقل تظل العقيدة راجحة لان العقل بعض مادة العقيدة .. » - (عقائد المفكرين)

ان هذه المعطيات تعرض النظرة الديالكتيكية بصدد القول بمادية العالم ، ورفض الغيب او ما وراء المادة ، لهزة قاسية ، وتصبح مقولات الديالكتيك من مثل « ان موضوعية العالم اي وجوده خارج وعينا ومستقلا عنه تعني انه مادي*» ومن مثل « لقد اثبت

* بودوستنيك وياخوت - عرض موجز للمادية الديالكتيكية - دار التقدم - موسكو - ص ٣١

العد قاطعا بانه لا وجود لعالم غير مادى لعالم العد . لعالم الآخر ، ومن غير الممكن ان يكون له وجو وفعلا طالما ليس هناك اى شيء غير المادة فان المد وجوده هو عالم واحد فقط ، العالم المادى لذا تعلن الفلسفة الماركسية بان العالم واحد »

يصبح مقولات قاطعة كهذه ، تشنجا غير علمي ، واصرارا غير مبرر - على عدم بذل المزيد من الاهتمام في تفحص بناء العالم والتنازل ولو قليلا عن مواقف سبق وان اتخذت في بيئات القرن التاسع عشر

لقاء من نوع جديد

ان انفتاح العملية العلمية على الخبرات الانسانية كالدين والجمال الى آخره ، أخذ بالاتساع وان مناعة العالم المستندة الى فكرة السببية التي جعلته ينغلق على نفسه ، لا يبدو واضحا كما يقول سوليفان انها ستثمر ان الاكتفاء الذاتي ، اذا صح التعبير « ينطبق فقط على فيزياء الحقل (Fieldphysics) التى تعطي جزءا كبيرا جدا من الفيزياء لكنها لا تعطي كل الفيزياء والامل في (حقله) يعطي كل الفيزياء أحد بالتناقص ففي الظواهر الدرية وتحت الدرية (Sub - atomic) يبدو ان الحالة التي يواجهها العلماء تقع خارج المخطط الدورى « السببي » تماما - ان اكثر الامور مدعاة لعدم الارتياح في هذا الصدد هو ان قاعدة السببية التامة تشكل افتراضا رئيسيا في العلوم ، لا تبدو قابلة للتطبيق في هذا المجال فيما يتعلق بحركة الذرات المفردة وحركات الالكترونات ، يبدو ان هناك عنصرا من الارادة الحرة ان قاعدة الحتمية قد تصدعت لتأخذ مكانها قاعدة اللاحتمية واذا استطاع هذا المبدأ ان يثبت اقدامه نهائيا فمن الواضح انه ستكون له نتائج فلسفية هامة سوف يسهل علينا الاعتقاد بان ادراكنا او شعورنا بالارادة الحرة ليس وهما ، وسيكون في مقدورنا ان نكون اكثر حرية في ان ننسب للطبيعة تقدما حقيقيا مبدعا ، بدلا من ان نعتبرها تسير وكأنها آلة هائلة جميع منتجاتها مقررة سلفا ، وكما اشار ادينغتون فان الفرق بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة سوف يتناقص . حقا ان ذلك المبدأ لو قبل بصورة قطعية فان ذلك سوف يؤدى الى اعظم ثورة تحدث حتى الآن في الفكر العلمي وفي الفلسفة المرتكزة عليه

ثورة عظيمة ، كما عودنا العلم دائما . انه ليس ثمة مسلمات نهائية ، وان كشوفات العلم قد تكون - احيانا - من الحدة والعنف بحيث انها تغير انماط تفكير بكاملها فتقلبها رأسا على عقب .. انماطا في منهج البحث وفي المعطيات وفي النتائج الفلسفية المترتبة على هذا وذاك . ان عصر الاتكاء الكلي على حقائق علمية معينة قد انتهى ، وحل محله اعتقاد سائد ، اخذ يتسع شيئا فشيئا ، في ان ميدان العلم لا يشهد تغيرات فحسب . بل طفرات وثورات ..

ان المادية الديالكتيكية مثلا اقامت بنيانها في بعض جوانبه على اسس المعطيات العلمية للقرن التاسع عشر وقد تبدلت تلك الاسس وتغير الكثير من تلك المعطيات .. ومازال اتباع التفسير المادى يصفونه بالعلمية وما يقال عن التفسير المادى يمكن ان يقال عن معظم النظريات الفلسفية والنفسية والاجتماعية ، وجل الاداب والفنون التي نهضت على تلك الاسس المتغيرة .

ان جانبا من اخطر الجوانب الفيزيائية واهمها ، وهو (الظاهرة الذرية) تمردت على السببية التي اتكأ عليها العلماء في حقول الفيزياء والتي شكلت افتراضا اساسيا في العلوم وان نوعا من الارادة الحرة في العلاقات الذرية اخذ يحل محل القاعدة الحتمية التي تعرضت للتصدع ونتساءل اذا كان التركيب المادى - الذرى نفسه يتحاوز الحتميات صوب الحرية فكيف يتسنى لنا ان نخضع الحياة البشرية في صيغتها الفردية والجماعية لنوع من الحتمية الصماء . الا يعد هذا نوعا من العمل الخاطيء (علميا) لانه يتحرك باتجاه مضاد لنواميس العالم والاشياء ان نتائج فلسفية هامة ستتمخض حقا عن هذا التغير اذا حدث وان ثبت اقدامه كحقيقة مسلم بها ان الفرق بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة سوف يتناقص . الفرق بين الطبيعة وما وراء الطبيعة والحضور والغيب ، والمادة والروح ، والقدر والحرية وستلتقي معطيات العلم مع حقائق الدين في عناق حار . لقد حدث وأن التقت مرارا ، اما ها هنا حيث تنهار الحواجز المادية وتمتد الحرية الى صميم التركيب الذرى ، وحيث يقف الانسان سيد العالم وخليفة الله في ارضه ، حرا في ان يتحكم بالطبيعة التي سخرت له ، لا ان تتحكم به كما صورت فلسفات (الحتمية) في القرن الماضي . ها هنا سيكون لقاء من نوع آخر .. لقاء كثيرا ما حدثنا عنه القرآن كتاب الله المعجزة .

ان المعجزات التي يحدثنا عنها القرآن هي لقاء من نوع ما بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة او بعبارة اخرى ، تجاوز للفرق بينهما .. وان نقل عرش بلقيس من مكان بعيد في لحظات معدودات - على سبيل المثال - هو نموذج من عديد من النماذج على تمكن الانسان

الحي ، المدعم بتأييد الله ، من التحكم بالتركيب الذرى (الحي) للاشياء وتطويعها لارادته وان الطاقات الطبيعية وما وراء الطبيعة الهائلة التي منحها الله سبحانه لنبيه سليمان (ع) تمثل تمكن الانسان من تحقيق وفاق بين الطبيعي واللاطبيعي من اجل تحقيق (تقدم حقيقي مبدع)

الوفاق المرتجى

ان ارادة الله سبحانه تتجاوز « اعتبار الطبيعة آلة هائلة ، جميع منتجاتها مقرر سلفا » ، فتصوغها كما تشاء (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات ٤٧ ، وهي بهذا تحدث توافقا فذا بين القانون وبين الابداع بين القدر وبين الحرية

فاذا ما حدث وان استمد الانسان المؤمن من ارادة الله هذه ، كان بمقدوره ان يمارس ، بالنسبة التي تسمح ودوره في العالم ، تحقيق وفاق كهذا يحدث (تقدما حقيقيا مبدعا) ما دام انه حر ، وما دامت الطبيعة نفسها ، وفي صميم تركيبها الذرى ، مخلخلة الى الحد الذي يمكن هذه الحرية من ان تنفذ اليها لكي تصوغها لصالح الانسان

ان العلم قد بلغ اخيرا هذه المرحلة الخطيرة المرحلة التي يلتقي فيها المادي بالروحي في وفاق وانسجام ويتصالح الانسان مع الطبيعة لتحقيق التقدم المنشود ، سيدا في العالم وخليفة عن الله في الارض ■■

الموصل ـ د عماد الدين خليل

على من تغضبين ؟

اشترى رجل بطيخة لامرأته ، فوجدتها غير طيبة فغضبت ، فقال لها على من تغضبين ؟ اعلى البائع ام على المشتري ام على المزارع ام على الخالق ؟ فاما البائع فلو كان منه لكان اطيب شيء يرغب فيه واما المشتري فلو كان منه لاشترى احسن الاشياء ، واما الزارع فلو كان منه لانبت احسن الاشياء فلم يبق الا غضبك على الخالق فاتقي الله وارضي بقضائه

حقيقة ان مصر ـ في العهدين الملكي والجمهوري خاضت اربع حروب ضد الدولة الصهيونية خلال الاعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ـ فهل كان خوضها هذه الحروب في سبيل فلسطين بالذات ام كان من وراء السعي الى تأمين حدودها الشمالية الشرقية وهل كان قرار الحرب في كل هذا المرات نابعا عن السلطة الحاكمة وظروفها الداخلية والخارجية ، ام ان السلطة الحاكمة كانت بقرارها تتجاوب مع مطلب شعبي ملح وما هي حقيقة العلاقة بين القرار المصري الخاص بخوض الحرب وتقلبات الاوضاع العربية ؟

هذه هي بعض التساؤلات التي ترتبط بموقف مصر من القضية الفلسطينية والتي يوفر الاجابة عليها لب اي بحث يتصدى لمثل هذا الموضوع الذي لم يحظ حتى الآن بكثير من الدراسات الموضوعية المتزنة التي ترتفع فوق مستوى الاتهامات وانصاف الحقائق فهل قصرت المؤلفة اهتمامها بالفترة التي عرضت لها ايثارا منها للعافية والبعد عن اشواك الفترات التالية لعام ١٩٤٨ والمعاصرة منها بوجه خاص ؟ وما دامت قد تصدت لعرض الموضوع منذ بدايته فنطمع منها ان تستكمله حتى الامس القريب ؟ والحق انها استهدفت من بحثها تحقيق هدفين هما

اولا ـ ابراز موقف القوى السياسية والرأي العام في مصر من القضية الفلسطينية منذ اوائل القرن العشرين حتى مايو ١٩٤٨ .

ثانيا ـ تأكيد نضال الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور وحتى قيام دولة اسرائيل ولما كان هذا الهدف الثاني قد تحقق على ايدي باحثين جادين سواء من المصريين او من الفلسطينيين او غيرهم من المهتمين بهذا الموضوع ، وقد نشرت بعض ابحاثهم ويرجى ان ينشر بعضها الآخر ، فقد كان الاولى بالمؤلفة ان تجمل القول في هذا المضمار وان تركز على الهدف الاول وتتبعه الى نهاياته المنطقية

وعلى اي حال فقد صدر الكتاب الذي نعرض له في عدد فبراير ١٩٨٠ من سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت اما مؤلفته فقد عملت بالصحافة بعض الوقت ، وهي الآن مدرسة للصحافة بجامعة القاهرة وهكذا نجدها تهتم في المحل الاول برصد ما نشرته كبريات الصحف المصرية حول « مصر وفلسطين » خلال الفترة التي تصدت لها ، وان كانت قد اتبعت الطريقة الرسمية في تقسيم موضوعها ، وبالتالي جاء السياق مليئا بالتكرار ، بحكم ان الصحف ذات الاتجاهات الحزبية بوجه خاص لا يتوقع منها ان تخرج عن خطها الرئيسي بصدد موضوع هام كالقضية الفلسطينية ، ما دامت تعبر عن وجهات نظر كتل حزبية لها برامجها الخاصة ازاء سياسة البلاد الداخلية والخارجية

تجاوز ملحوظ

وقد قسمت المؤلفة بحثها الى مقدمة وثلاثة ابواب

ـ ففي المقدمة تستعرض خطة بحثها ومصادرها . وقد ابدت رأيها في بعض هذه المصادر ومنها كتابي عن « تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة » الذي حكمت عليه بالتحيز الواضح للتيار الاسلامي في مصر ، علما بأن بعض النقاد قد حكموا عليه وعلى اعمالي الأخرى بالتحيز للتيار الليبرالي وكلا الحكمين قاصر . . اذ انني حين أستعرض موضوعا ما احاول بقدر الامكان ان اتجرد عن ميولي الشخصية والا اغلب اتجاها على آخر جريا وراء الموضوعية التي هي مطلب بعيد المنال . فاذا ما ركزت على اتجاه ما في وقت ما لانه طفا على السطح ، فليس معنى هذا انني استفيض في عرضه حبا فيه ، ولكنني ما كنت قادرا على تجاهل اهميته النسبية في وقته . وقد استعرضت في الكتاب المشار اليه تطور الفكر السياسي في مصر من خلال العلاقة الجدلية بين الخلفية الاسلامية التي قامت عليها دعائم المجتمع المصري عدة مئات من السنين ، وبين المؤثرات الغربية التي ضغطت على التركيبة الاسلامية ولا تزال تضغط عليها حتى الوقت الحاضر ومثل هذه العلاقة الجدلية هي اسس منهاج لتناول موضوع التطور في التاريخ العربي الحديث والمعاصر

ـ وفي البــاب الاول (الواقــع المصري وقضية فلسطين) ، استفاضت المؤلفة في استعراض التيارات الفكرية والسياسية التي تلاطمت في مصر خلال فترة ما بين الحربين فهناك التيار الاسلامي القوى الذي يستمد جذوره من الشريعة الاسـلامية والاتجاهات السـلفية وحركة الجامعة الاسلامية وهناك التيار المصري البحت الذي يستمد فاعليته من كل من ماضي مصر السحيق والفكر القومي الاوروبي الذي وفد اليها مع انفتاحها على الغرب وبخاصة في عهدي محمد علي واسماعيل وفي فترة الاحتلال البريطاني وقد ساعد على تبلور هذا الاتجاه انشغال المصريين بمقاومة التدخل الاوروبي والاحتلال البريطاني ، في الوقت الذي نمت فيه القومية العربية في المشرق العربي ـ باتجاه من الفكر العربي كذلك ـ وتطلعت الى تأكيد ذاتها اما في نطاق الدولة العثمانية او في ظل الاستقلال التام ، وقد جاء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في اعقاب ثورة ١٩١٩ ليعطي لهذا الاتجاه الذي انبثق عن « نعمة » فرعونية دفعة لم يتعد اثرها المجال الثقافي

اما التيار العربي فقد احتجب في مصر متواريا خلف التيار الاسلامي بحيث لم يلعب دورا ما في اخراج المصريين عن قوقعتهم ، خاصـة وان بعض الشـوام المقيمين في مصر قد تعاونوا مع الاستعمار البريطاني وطعنوا الحركة الوطنية المصرية من الخلف يتضمن ما تشير اليه المؤلفة حول مسئولية العرب عن اسقاط مصر من حسابهم قدرا من التجاوز : خاصة وان لتاريخ لا بد ان يفسر في سياق تياره العام بدلا من القاء التهم ذات اليمين وذات اليسار . فقد عمـل الاستعمار الاوروبي في عنفوانه على الحيلولة دون قيام اى جهد مشترك لمقاومة السيطرة الاجنبية فقد تطوع بعض المصريين لمساعدة الشعب الليبي في وجه الاحتلال الايطالي ، ولكن بريطانيا وقفت لهم بالمرصاد وتضامن السودانيون مع المصريين خلال ثورة ١٩١٩ وفي اعقابها ولكن الانجليز استغلوا مقتل السردار في عام ١٩٢٤ لطرد مصر نهائيا من السودان واقامة ستار حديدي بين البلدين اما ما يسمى بالثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين ضد الدولة العثمانية فلا اعتب على المصريين عدم الترحيب بها ، خاصة وانها استندت الى قوة الاستعمار البريطاني الذي قلب للعرب ظهر المجن عقب انهيار الدولة العثمانية

وهكذا تستطرد المؤلفة في استعراض شتى التيارات التي تلاطمت في مصر الى ان بدا وجهها العربي وبخاصة بعد اتضـاح الخطر الصهيوني على حدودها الشمالية الشرقية ومثل هذا الاستطراد قد ابعدها في كثير من الاحيان عن المحور الرئيسي لبحثها وهو المحور الذي كان لا بد ان توجه المادة المتاحة لابرازه بغض النظر عن الاهمية النسبية للمسائل الجانبية .

وموقف التيارات السياسية

وفي هذا الباب تناولت المؤلفة ايضا موقف القوى السياسية في مصر من القضية الفلسطينية وتأرجحت في العرض للحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية ، عائدة الى تفسير كل منها تفسيرا طبقيا مبالغا فيه ، وموجهة اليهما بين الفينة والفينة اتهامات قد لا تستند الى اساس واقعي فهي تذهب الى افتقاد كل منهما للنظرة الشاملة ، في الوقت الذي كانت فيه الصحافة المصرية تتابع القضية الفلسطينية وتبدى تفهما عميقا لابعاد الصراع الفلسطيني البريطاني ـ الصهيوني ـ الا انا لا نتفق معها في بلورة كل من الحركتين الوطنيتين في تلك الكيانات الحزبية التقليدية التي لم تلتحم مع القاعدة الشعبية العريضة ، ولم تتبين طموحاتها المشروعة في سبيل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، بل اكتفت بالجرى وراء صيغ الاستقلال المنقوص التي لوح بها المستعمر ففي الوقت الذي سعت فيه جماعة الاخوان المسلمين الى تحريك الرأي العام المصري تجاه القضية

الفلسطينية ضرب على الوتر الديني ، نادى اليسار المارك بقيل عصبة لتحرير البلدان العربية وساند بصا ب الفلسطيني ضد الصهيونية والامبريالية .

ستعرضت المؤلفة في هذا الباب موقف كبريات الصحف المصرية حزبية وغير حزبية من القضية الفلسطينية ، وهو الموقف الذي ارتبط بطبيعة الحال بوجهات نظر الكتل السياسية التي تحركها وقد اشارت الى وجود صحافة صهيونية واخرى فلسطينية في مصر وعلى حين عملت الصحافة الصهيونية على الترويج لدعاواها بصورة سافرة احيانا ومستترة احيانا اخرى ، فقد دأبت الصحافة الفلسطينية على التحذير من الخطر الصهيوني واستنكار السياسة البريطانية الموالية للصهيونية كما سعت الى خلق وعي بالقضية الفلسطينية وتصحيح كثير من الافتراءات التي كانت تتداولها بعض الصحف المصرية والصهيونية المعادية للقضية الفلسطينية

موقف النحاس باشا

وفي الباب الثاني (الصحافة المصرية وقضايا العشرينات والثلاثينات على الساحة الفلسطينية) استعرضت المؤلفة السياسة البريطانية في فلسطين والنشاط الصهيوني والحركة الوطنية الفلسطينية وموقف كبريات الصحف المصرية منها ، وقد سبق ان اشرنا الى ان تبويب الكتاب ذاته الذي حمل هذا الباب يكرر كثيرا من المقولات التي سبق للمؤلفة ان اشارت اليها في مواضع سابقة افردت المؤلفة اهتماما خاصا بالثورة الفلسطينية الكبرى التي شبت في عام ١٩٣٦ واثارت رد فعل قويا في مصر في المجال الشعبي لا الرسمي وهكذا كانت الجمعيات الاسلامية ـ كالشبان المسلمين والاخوان المسلمين ورجال الدين وطلبة الجامعات والاتحاد النسائي المصري من أكثر الهيئات سعيا الى مساندة الثورة الفلسطينية ـ ومن ثم تشكيل لجان لاغاثة منكوبي فلسطين وتنظيم المحاضرات وجمع التبرعات وارسال برقيات الاحتجاج الى سلطات الاحتلال كما عبر بعض الشعراء المصريين عن تعاطفهم مع الشعب الفلسطيني وقامت المظاهرات الضخمة استنكارا لمشروع تقسيم فلسطين الذي اقترحته بعض الدوائر البريطانية اما موقف الاحزاب والحكومات المصرية من الثورة الفلسطينية فقد اتصف بالسلبية ، خاصة وان حزب الوفد ـ اقوى الاحزاب المصرية التقليدية ـ كان يخشى اغضاب بريطانيا وبخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ التي اقامت حلفا شكليا بين البلدين ثبت على محك الواقع انه لمصلحة بريطانيا وحدها . على ان النحاس باشا ـ زعيم حزب الوفد ورئيس *مجلس الوزراء ، ارسل مذكرة الى الحكومة البريطانية* طالب فيها بايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، واعرب عن اسفه واستنكاره لمشروع التقسيم وعن قلقه ازاء احتمال وجود دولة يهودية على حدود مصر الشرقية وتبني الحل الذي يهدف الى ايجاد دولة عربية فلسطينية مستقلة ومتحالفة مع بريطانيا . كما طالب النحاس بتقييد الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وان يكن قد ابدى رفضه لفكرة العمل المشترك مع الدول العربية في سبيل ايجاد حل للقضية الفلسطينية .

وفي عام ١٩٣٧ شاركت مصر في المؤتمر العربي العام الذي انعقد في بلودان حيث انتخب محمد علي علوبة رئيسا له وابدت في عصبة الأمم ـ التي انضمت اليها بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ـ رفضها لمشروع التقسيم وحين استؤنفت الثورة الفلسطينية في اكتوبر ١٩٣٧ لقيت تجاوبا متزايدا في مصر ففي اول فبراير ١٩٣٨ ارسل عدد كبير من نواب مصر وشيوخها احتجاجا الى السفير البريطاني وطالبوا دولته بضرورة ايجاد حل عادل يتضمن الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . كما شاركت مصر في مؤتمر المائدة المستديرة الذي انعقد في فبراير ١٩٣٩ .

اما الصحافة الحزبية المصرية فقد عبرت عن مواقف احزابها . ومن أبرز الصحف التي تحمست للثوار صحافة الاخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة ـ وقد ركزت هذه الاخيرة على الجوانب العنصرية والشعارات الشوفينية وهاجمت الحكومات العربية واتهمتها بالتخاذل .

في المرحلة الدقيقة

ـ وفي الباب الثالث تناولت المؤلفة الرأي العام المصري وفلسطين في الأربعينات فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٤٨ مرت القضية الفلسطينية بأدق مراحلها بعد ان تبنت الولايات المتحدة قضية المهاجرين اليهود من اوروبا الذين تدولت الاقاصيص الخاصة بما واجهوه من اهوال تحت الاحتلال النازي ـ ومن ثم مختلف التطورات التي تمخضت في النهاية عن اعلان الدولة اليهودية في مايو ١٩٤٨ ، ودخول جيوش بعض الدول العربية الى فلسطين .

وبينما هذا يجري على الساحة الدولية لعب كفاح مختلف الدول العربية ضد الامبريالية الغربية دوره في

تقريب المشاعر والاهتمامات القومية ، وبالتالي اصبحت الشئون العربية بالتدريج جزءا لا يتجزأ من النضال اليومي للحركة الوطنية المصرية ، وبدأت شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية تطرح نفسها بقوة على الساحة المصرية ورغبة من الملك في تحويل الانظار عن السخط الشعبي وفي كسب نقطة في نضاله ضد الوفد وسعيه الى عرقلة قيام كتلة هاشمية قوية بامكانها عزل مصر عن الشرق العربي اتخذ قرار دخول مصر الحرب الى جانب الاردن وسوريا والعراق

وما زلت عند احساسي بأن قرار دخول حرب ١٩٤٨ لا يخلو من ايحاء بريطاني بحيث تستطيع بريطانيا ان تلتف حول الضغوط الامريكية المساندة للصهيونية وتسترجع نفوذها المتضعضع في الشرق الاوسط

عن امريكا وروسيا

وكالعادة تفرد المؤلفة عدة صفحات لموقف الصحف المصرية من القضية الفلسطينية خلال هذه الفترة ، وان يكن هذا الباب برغم اهميته ـ لا يوازي في حجمه الابواب السابقة على ان ثمة نقطتين في هذا الباب لا يصح المرور عليهما مرور الكرام ، ففي ص ٢٨٥ تذهب المؤلفة الى ان القوات الصهيونية خلال حرب ١٩٤٨ كانت تتزود بالاسلحة من المعسكر الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة ورغم ان الولايات المتحدة تتحمل قسطا كبيرا من المسئولية عن قيام اسرائيل وحمايتها ودعمها ، فان الموقف الرسمي الامريكي من الحرب كان يقوم على حظر تقديم الاسلحة الى طرفي النزاع ، وان تكن بعض الهيئات الامريكية غير الرسمية قد تحايلت على ارسال السلاح الى الصهيونيين بأساليب عدة ورغم مسئولية الاتحاد السوفيتي هو الآخر عن قيام اسرائيل ، فان موقفه الرسمي من الصراع كان مماثلا ، وان يكن الصهيونيون قد توصلوا الى شراء صفقة سلاح هامة من تشيكوسلوفاكيا التي كانت قد انضمت الى المعسكر الاشتراكي الذي تزعمته موسكو « الهاجاناه » ارسلت بعثة الى براغ للتدريب الاسلحة الجديدة التي حسمت الموقف لـ الصهيونيين في اواخر مراحل الحرب [1]

وفي ص ٢٨٩ تذهب المؤلفة الى وجود اتفا بريطانيا والولايات المتحدة قبل نشوب حرب يقضي بترك فلسطين للولايات المتحدة مع بقاء في مصر ولا اعرف من اين اتت بالمعلومات مثل هذا الاتفاق الذي لم ير النور اغلب الظن يرى النور لعدم اتفاقه مع سياق الاحداث [2] العربيتان برغم اتفاقهما على الخطوط الا لاستراتيجيتهما في مواجهة المعسكر الاشتراكي كا عرحلة يشوبها الصراع المستتر ازاء سياستهما في الاوسط ، وهو الصراع الذي تمخض في نهاية المط انحسار النفوذ البريطاني وتفوق النفوذ الامريكي

ومرة اخرى اكرر في هذا المجال حاجة الدراسات العلمية التي تخدم قضايانا القومية الذي لا تحققه الشعارات والاتهامات وانصاف والتخمينات

واخيرا فبالرغم من هذه الملحوظات ، فا الدكتورة عواطف عبد الرحمن يسد فراغا هـ المكتبة العربية وحبذا لو اتبعته ببحث آخر يـ قصة موقف مصر ـ الشعبية والرسمية من الفلسطينية منذ حرب ١٩٤٨ حتى الوقت ا. وافتقاد المكتبة العربية الى الابحاث الجادة المضمار هو المسئول عن الخلط والاتهامات المتب الموقف المصري من القضية الفلسطينية وما بمشكلة الشرق الاوسط خلال السنوات الاخيرة

د احمد عبد الرحيم مـ

---

(1) Arnold Krammer, The Forgotten Friendship Israel and the Soviet Block, 1947 - 53 (University Illinois Press, 1974)

(٢) راجع كتابي « الولايات المتحدة والمشرق العربي » ـ سلسلة عالم المعرفة ـ عدد ابريل ١٩٧٨

● في احدى المحاكم الايطالية قال القاضي للمتهم . اني لن احكم عليك بالسجن بل سأحكم عليك بعقوبة اقسى .. سوف اطلق سراحك لتقاسي الغلاء والبطالة والازمات والضرائب والمشاكل السياسية !!

حدث هذا منذ نحو ألف عام ، وسمع الحاكم بأمر الله في مصر بأمر ابن الهيثم وعلو مقامه في العراق وأنه قال «لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص فقد بلغني أنه ينحدر من مكان عال وهو في طرف الاقليم المصري » فأرسل اليه أموالا وهدايا وناشده الحضور الى مصر فلما قبل ابن الهيثم خرج الحاكم بأمر الله لاستقباله خارج القاهرة ، والتقى به في قرية قرب أحد أبواب القاهرة مرحبا ، وأكرم وفادته

وانتظر الحاكم أياما حتى استراح ابن الهيثم من عناء السفر ، ثم طالبه بما قاله في أمر النيل وسار ابن الهيثم ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة بأيديهم ـ وكأنه على رأس بعثة هندسية بأدق المعاني الحديثة لهذه الكلمة ـ يتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوب أسوان حتى وصل مكانا يقال له الجنادل (ولعله الشلال) ولم يجده ابن الهيثم ـ كما بلغه من قبل ـ موضعا عاليا ينحدر منه النيل فعاينه واختبره من جوانبه ، وفكر وقدر ، فلم يجد الامر متفقا مع الفكرة الهندسية التي خطرت له فعاد الى القاهرة خجلا واعتذر للحاكم

واذا علمنا أن الحاكم بأمر الله كان دكتاتورا سفاكا للدماء ، شديد التقلب في مزاجه ، على الرغم مما عرف عنه من تشجيع للعلم والعلماء ـ فقد يخطر في بالنا أن عنق ابن الهيثم كان مصيرها السيف على يد جلادي الحاكم بعد هذا الفشل المبين ، أو أنه على الاقل طرده من البلاد وحرمه من نعمته

وليس هذا ما حدث على أي حال ، فالثابت أن الحاكم قبل اعتذاره واقتنع مما أبدى من الاسباب بل ولاه منصبا من مناصب الدولة وقد تتفاوت التفسيرات في فهم هذا الموقف من جانب الحاكم بأمر الله ، فمن قائل أنه تظاهر بقبول عذر ابن الهيثم حتى يبقيه في مصر فلا ينتفع به أحد حكام الدول العربية الاخرى ، وربما كان ابن الهيثم نفسه متشيعا واعتبر القاهرة المكان الطبيعي له في ظل سلطة الفاطميين عندما كانت بغداد معقل السنة المتعصبين

على أنه من الثابت أن ابن الهيثم كان كارها لهذا المنصب الذي ولاه الحاكم فقد كان بطبعه كارها للمناصب لا يستسيغ أعمال الدواوين ، ميالا الى الانقطاع للبحث العلمي واجراء التجارب وتأليف الكتب . ففكر في حيلة يتخلص بها من هذا المنصب دون أن يجلب على نفسه غضب الحاكم بأمر الله فلم يجد وسيلة غير أن يتظاهر بالجنون وخبال العقل وأشاع ذلك عن نفسه حتى بلغ الحاكم فعزله عن منصبه وصادر أمواله وعين عليه من يقوم بخدمته .

وظل ابن الهيثم في هذا الوضع المأساوي حتى مات الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ ، فلما تيقن من لمسر استوطن غرفة بجوار الجامع الازهر وعاد الى البحث والانقطاع للعلم ، ولبث بعد ذلك حينا أكثر من ثمانية عشر عاما أصدر خلالها كتاب « المناظر » أكبر أعماله العلمية وأجلها شأنا .

العقل العربي الاصيل

لكي ندرك حقيقة عبقرية العالم العربي ابن الهيثم ينبغي أن نعود الى ما كتبه مؤرخو العلم الغربيين في العصر الحديث فكم حاول كثيرون منهم التقليل من أهمية الاضافات التي أضافها العرب في ميدان البحث العلمي ، وكم قالوا عن العلماء المسلمين النوابغ انهم فرس وليسوا عربا ومع أنه من المتفق عليه اليوم بين هؤلاء المؤرخين الغربيين قاطبة أن أوربا القرون الوسطى قد شقت طريقها الى عصر النهضة من خلال التراجم العربية للتراث العلمي والفلسفي اليوناني التي كانت موجودة بالاندلس وصقلية الا أن هؤلاء المؤرخين يتفاوتون حول قيمة الابتكار والاصالة العربية في هذا الميدان

ورغم ذلك فهم جميعا وبدون استثناء يتفقون على أن ابن الهيثم كان عالما عربيا أصيلا ، وأنه كان أشد العلماء العرب أصالة وابتكارا وحسبنا أن نشير الى ما يقوله العالم البريطاني البولندي الاصل ـ ج برونوفسكي في كتابه « ارتقاء الانسان » ، فهو يقول ما يلي بالنص عند تعرضه لحركة الترجمة الاوربية للتراث اليوناني في الاندلس

« أن أشهر المترجمين وأسعهم كان جيرار دي كريمونا الذي جاء من ايطاليا خصيصا للبحث عن نسخة من كتاب بطليموس في الفلك (المجسطي) ، والذي أقام في طليطلة لترجمة أرشميدس وهيبوقراطس ، وجاليوس وإقليدس ـ عمالقة العالم اليوناني ومع ذلك ففي رأيي أن أروع الرجال الذين ترجمت أعمالهم ـ وأشدهم نفوذا في المدى الطويل ـ لم يكن يونانيا . ومصدر حكمي هذا أنني مهتم بتصور الاجسام في الفراغ ، وهو موضوع كان اليونانيون فيه على خطأ بين .

لقد فهم هذا الموضوع لاول مرة حوالي عام الف ميلادي على يد رياضي عربي غريب الاطوار يدعى ابن الهيثم ، وهو وحده العقل العربي الاصيل الذي انجبته الثقافة العربية » .

« لقد ظن اليونانيون أن الضوء ينطلق من العين الى الاجسام ، ولكن ابن الهيثم أدرك لاول مرة أننا نرى الجسم لان كل نقطة عليه ترسل شعاعا الى العين وتعكسه منها . »

« أن التصور اليوناني لم يكن قادرا على تفسير كيف أن أي جسم ـ يدي مثلا ـ يبدو وقد تغير حجمه عندما يتحرك أما في تفسير ابن الهيثم فهذا أمر واضح ، اذ أن مخروط الاشعة يصدر عن اطار يدي وشكلها يأخذ في الصغر كلما حركت يدي بعيدا عنك وكلما اقتربت يدي منك أخذ مخروط الاشعة الذي يدخل عينيك في الكبر وكانت زاوية رأسه أكبر . »

« أن هذا ـ وهذا فقط ـ هو الذي يفسر تغير حجم اليد ـ بالنسبة للمشاهد ـ عند الحركة ان فكرة ابن الهيثم من البساطة بحيث يبدو مدهشا أن العلماء لم ينتبهوا لها الا بعد ستمائة عام من نشره لها (باستثناء روجر بيكون) أما الفنانون فقد تعاملوا مع هذه الفكرة بطريقة عملية قبل العلماء بزمان طويل إن مفهوم مخروط الاشعة الصادر عن الجسم الى العين هو أساس فكرة « المنظور » ، والمنظور هو الفكرة الجديدة التي منحت الرياضيات حيوية جديدة »

« لقد انتقلت هذه الفكرة المثيرة ـ المنظور ـ الى الفن في شمال ايطاليا وفلورنسا وفينيسيا في القرن الخامس عشر الميلادي وفي مكتبة الفاتيكان بروما توجد نسخة لاتينية مترجمة من كتاب ابن الهيثم (المناظر) وعليها تعليقات وحواشي لورنز جبرتي الذي وضع المنظور البرونزي المشهور لابواب الكنيسة المعمدانية في فلورنسا ولقد مثل لورنز مع آخرين مدرسة متميزة في الفن هي مدرسة المنظور . انها مدرسة في الفكر لان هدفها لم يكن مجرد تصوير الاجسام كما تبدو في الحياة ، وانما خلق هذا الاحساس بحركة الاجسام في الفضاء »

هذا ما يقوله برونوفسكي ، وقد تعمدنا أخذ هذا النص المطول من كتابه ليتبين منه الميدان الاساسي لبحوث ابن الهيثم التي تميزت بالابتكار والاصالة ولنرى منه تأثير هذه البحوث على تطور العلوم الرياضية من ناحية وعلى الفنون من ناحية أخرى .

الثلاثة الكبار

أما برنال في كتابه « العلم في التاريخ » فانه يقول شيئا مشابها لما قاله برونوفسكي ، ولكنه يؤكد من ناحية أخرى على الاهمية الفسيولوجية للوصف الدقيق الذي قدمه ابن الهيثم لتركيب العين في مناطق شديدة الحرارة كثرت فيها امراض العيون وعلاقة هذا بضعف البصر والحاجة الى العدسات المكبرة للقراءة .

وفي كتاب ألدوميلي « العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي » يقول المؤلف في باب « أوج العلم العربي في المشرق » .

« قبل أن نشرع في دراسة نتاج العلوم المختلفة على وجه التخصيص يجدر بنا أن نفرد مكانا لثلاثة من العلماء الكبار يؤلفون ـ مع الرازي ـ أعظم المفكرين والعلماء الاسلاميين الاربعة بالمشرق ، وهم البيروني ، ابن سينا ، ابن الهيثم وكان الاخير من هؤلاء الثلاثة عراقيا ، على حين يمكن عد الاولين ـ بحق ـ ايرانيين »

ثم يعود الى ابن الهيثم في نفس الكتاب فيقول ص (٢٠٦) : «

« كان ابن الهيثم رياضيا وعالما بالطبيعيات على وجه الخصوص ولكنه تجاوز بعيد في مجاله المحدد أهمية جميع الفيزيائيين الآخرين عند العرب وكتابه (المناظر) ترك أثرا عميقا ، بل كان فيما بعد باعثا الى البحوث والاعمال التي قام بها كل من روجر بيكون وفايتلو

« لقد تميز ابن الهيثم بأبحاثه في ظواهر انعكاس الضوء وانكساره والعدسات ، وفي وصفه الدقيق للعين ، ودراساته في الرؤية المزدوجة ، وهو أول من استخدم الغرفة المظلمة في الدراسات الضوئية وهذه الدراسات في الانعكاس والانكسار أدت به الى حل معضلات رياضية ومنها المشكلة المعروفة باسمه وتتلخص كما يلي :

أفرض دائرة في سطح ، وافرض نقطتين خارجتين عن الدائرة ، المطلوب ايجاد نقطة أ على هذه الدائرة بحيث يكون المستقيمان اللذان يربطان هذه النقطة أ بالنقطتين الخارجتين زوايا متساوية مع نصف قطر الدائرة لقد احتوى حل هذه المشكلة على معادلة من الدرجة الرابعة حلها ابن الهيثم بواسطة خط تقاطع دائرة وقطع زائد »

ينسخ ليأكل !

ربما كان هذا الاستعراض لاراء ثلاثة من كبار العلماء ومؤرخي العلم الغربيين في ابن الهيثم كافيا لنستخلص عددا من النتائج الهامة منها :

أولا : أنه ليس هناك أي شك حول « عروبة » ابن الهيثم ، وحول أصالة بحوثه العلمية .

ثانيا . أنه ليس هناك أدنى شك حول الاهمية البالغة لكتابه (المناظر) وحول الاثر البالغ المدى الذي تركه هذا الكتاب على العلم الاوربي في عصر النهضة ، وعلى تطور فن الرسم الاوربي بما قدمه من مفهوم « المنظور »

ثالثا : أن ابن الهيثم كان عالما بالمعنى الشامل لهذه الكلمة ، باحثا في الطب وفي الرياضيات وفي الفلك ، وفي الفيزياء . ومع أن أهم انجازاته كانت في الفيزياء الا أننا لا ينبغي أن نقلل من انجازاته الرياضية وبحوثه في تركيب العين فيرونوفسكي يعتبره رياضيا تحول الى الفيزياء ، والبحوث الهندسية ـ ويشير ألدوميلي الى واحدة منها ـ التي كان عليه أن يواجهها في دراساته لعلم الضوء هي من أجل الانجازات الهندسية في عصره

واذا اضفنا الى هذا ما كان معروفا عنه من اهتمامات في ميادين المساحة الارضية وبناء العمائر وتخزين مياه الانهار لاستطعنا أن نخرج بفكرة اولية عن حجم هذه العبقرية العربية التي تفتحت منذ أكثر من الف عام

أن الانسان يقف مشدوها أمام مثل هذه الظاهرة عندما يتذكر أنه في هذا العصر البعيد لم تكن هناك مدارس نظامية يتعلم فيه الناس ولم تكن هناك منح علمية تمنح للمتقدمين حتى يعطوا أفضل ما لديهم كما هو الحال في عصرنا هذا لقد كان على كل انسان طموح أن يعلم نفسه بنفسه ، وهذا ما فعله ابن الهيثم عندما لجأ الى كل الترجمات العربية للتراث اليوناني في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب ، مدرسها ثم الف منها تصنيفات بلغت ثلاثة وأربعين في الفلسفة والعلم الطبيعي ، وعشرين في الرياضيات والفلك ، وواحدا في الطب ، وهذه التصنيفات لم تكن تلخيصا لما قرأه وفهمه فحسب ، بل تضمنت إضافات وتصحيحات ونقد لعدد من آراء من سبقوه

أما من اين كان يأكل ويعيش وهو مشغول بهذه الابحاث فاننا نجد أجابة مأساوية على هذا في الكتاب الهام لمصطفى نظيف (ابن الهيثم) حين يورد . ساسا من كتاب ابن القفطي « اخبار الحكماء يقول بيه « سمعت أن ابن الهيثم كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن أشغاله ، وهي اقليدس ـ والمتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة سنة فاذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها خمسين ومائة دينار مصري وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج فيه الى مواكسه ولا معاودة قول فيجعلها مؤنة لسنته » .

هكذا اذن كان حال هذا العالم العبقري العربي ينسخ الكتب ليجد قوت يومه ، وهو الرجل الذي سماه المؤرخون العرب « الحكيم بطليموس الثاني » ، أن هذا هو مناخ حياته اليومية عندما كتب درة أعماله (المناظر) بعد وفاه الحاكم بأمر الله

ثم يزداد الانسان دهشة عندما يتذكر طبيعة العصر الذي عاش فيه ابن الهيثم لقد ولد ابن الهيثم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ومات بالقاهرة في النصف الاول من القرن الخامس الهجري وفي هذا العصر أصيب العالم الاسلامي لاول مرة بالانقسام الكبير الذي لم يلتئم بعده أبدا

لقد وقعت بغداد في أيدي الوزراء الاتراك ينهبون ويفسدون ، وانفصلت فارس وأصبهان والجبل في ايدي بني بويه ، ووقعت كرمان في ايدي محمد ابن الياس ، والموصل وديار بني ربيعة وديار بكر وديار مضر في ايدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد الاخشيديين ، والمغرب في يد الفاطميين ، والاندلس في يد عبد الرحمن الناصر ، واليامة والبحرين في يد القرامطة ، والاهواز وواسط البصرة في يد البريدين الخ ، ووصلت حالة التدهور السياسي الى قتل الخلفاء في بغداد على يد الاتراك والتمثيل بجثثهم فاذا طلب الاتراك من الخليفة أن يخلع نفسه وأبى خلعوه وسملوا عينيه . وهكذا شوهد الخليفة القادر يسأل الصدقة على باب المسجد .

ظاهرة شاذة

أن هذا العصر لم يكن عصر التدهور السياسي فحسب ، بل كان عصر التدهور الفكري في معظمه ، عصر التهاب نيران الخلاف بين الفقهاء بعضهم مع بعض ، وبين السنة والشيعة ، وبين الفقهاء والمتصوفة ، وبين الاغنياء والفقراء ، عصر سد فيه باب الاجتهاد في الدين والتحجر الفكري والتعصب الاعمى وكانت الاحوال الاجتماعية والاقتصادية على أسوأ ما يكون

ما ... يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرا ، والمظالم والمصادرات تزداد لملء خزائن الخلفاء والامراء ، وكل هذا أدى في النهاية الى انتشار ظاهرة التصوف ، والى اتساع ظاهرة « الشطار » أي اللصوص ، والى انحلال الأخلاق وامتلاء القصور بالمؤامرات والدسائس والقتل ، والى انتشار مجالس الشرب والقيان وبيوت الدعارة (بيوت النخاسين) ، والى اتساع نفوذ الخرافات والسحر والتنجيم على يد عناصر اتخذت من التصوف ستارا للتدجيل (راجع « ظهر الاسلام » لاحمد أمين ـ الجزء الثاني)

ولم يمض على موت ابن الهيثم بالقاهرة اكثر من خمسة عشر عاما حتى كان ـ القائد طغرل بك يضرب بخيامه تحت أسوار بغداد ثم يدخلها دون مقاومة !

ان من الغريب أنه في هذه الحقبة التي تميزت بالانحلال السياسي والتدهور الفكري استطاع ابن الهيثم أن يحافظ على تفكيره العلمي بصورة تذكرنا بفكر العلماء الاوربيين في القرن التاسع عشر . فقد بدأ شبابه متشككا ثم وجد طريقه الى البحث العلمي من خلال معرفة فلسفة أرسطو ، فهو يقول في أحد مقالاته ، « ورأيت أني لا أصل الى الحق الا من خلال آراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية . فلم أجد ذلك الا فيما قرره أرسطو طاليس من علوم المنطق والطبيعيات والالهيات التي هي ذات الفلسفة وطبيعتها »

ويقرر مصطفى نظيف في كتابه (ابن الهيثم) بأنه « كان من فرقة الواقعيين من العلماء الذين يصح أن نجمل مذهبهم في أنهم يرون العالم الطبيعي موجودا في ذاته وجودا عينيا ، خارج الذهن أو العقل ، وان الحواس أدوات ادراكه »

وهو يجعل همه الاول في بحوثه ونظرياته وتجاربه الكشف عن احكام وقوانين الطبيعة ، اذ هو من المقتنعين أن الامور الطبيعية تنتظمها قوانين يستوى في ذلك ما يدركه الحس وما يتعذر على الحس ادراكه

وهو فوق ذلك يتبع طريقة في البحث تقوم على الاستقراء والقياس والتمثيل ، وهي العناصر الجوهرية الثلاث التي لا تزال تميز البحث العلمي حتى اليوم .

ابن الهيثم اذن كان ظاهرة شاذة في مناخ غير موات ، وليس هذا بالامر المستحيل ، فكم قدم التاريخ من أمثلة هذه الظواهر الشاذة التي لا تهدر القاعدة . فنحن نستطيع أن نتصور عالما فردا ـ كابن الهيثم ـ ينكفىء على نفسه يدرس في عزلته ويتعمق مستفيدا من التراث اليوناني وذكائه الخارق ثم يخرج على الناس بكتاب في أصالة كتاب (المناظر)

لكننا لا ينبغي أن ننسى أن من علامات هذا العصر الاغبر أن ابن الهيثم قد اضطر الى التظاهر بالجنون عندما أراد أن يتفرغ للعلم ! ■■

د . عبد العظيم أنيس

ان كان ثمة صديق

● كان من الكتاب المسرحيين المزهوين ، فلما دنا موعد افتتاح مسرحيته الجديدة ارسل الى محافظ المدينة تذكرتين لحضور الحفلة ومعهما رسالة قال فيها : ان للمحافظ ان يصحب معه صديقا « ان كان له صديق » .

فاعاد المحافظ التذكرتين مع رسالة توحي فيها غاية الادب وقال : ان ارتباطه السابق بموعد آخر يحول دون حضوره حفلة الافتتاح ولكنه يرضي ان يشترى تذكرتين للحفلة الثانية « ان كانت ثمة حفلة ثانية » .

قصة من الجزائر :

بقلم . عبد الحميد بن هدوقه

ـ اركب !
ـ لكن ياسيدي هذا المطعم لي وانا صاحبه
ـ قلت لك اركب ولا تتكلم !
ـ لكن . لم اعمل شيئا مخالفا للقانون ، لم اقترف دنبا

ـ كفى كلاما ، عندما تصل الى المركز اشرح للمحافظ حقيقتك

ـ ارجوك لحظة ، أوصي فيها على المحل أحد مواطني

ـ انك أكثرت الترجي . اركب والا اضطررت لاستعمال العنف

ركب « المولود » سيارة الشرطة مع عيره من العمال الجزائريين وسيقوا الى مركز الشرطة بدون أن يعرفوا السبب ، وفي الواقع لم يكن احد من أولئك العمال يستغرب هذه الحادثة ، فهم قد تعودوا على ذلك ، منذ وطئت أقدامهم فرنسا

أما « المولود » فقد كان في أشد الحيرة والاضطراب ، فهو يعتبر نفسه ليس كبقية العمال انه تاجر ، صاحب مطعم رقم ١١٨ شارع قابريال بيرى في سانت وان من ضواحي باريس فلو كان عاملا كغيره من العمال لهان الأمر ، ولكنه ليس كالآخرين . ثم ترى ماذا سيقع لمحله أثناء تغيبه هذا ؟ انه لم يستطع حتى توصية من يخلفه في تسييره بل لم تمنح له الفرصة حتى لغلقه ! وهذا غير معقول عير معقول !

وخاطب رفاقه في السيارة !

ـ عير معقول ، غير معقول أن أساق هكذا ! انا تاجر ، صاحب مطعم عير معقول أن اعامل هكذا عير معقول ! لو وقع حادث في المحل أثناء عيابي ، ترى من المسئول ؟ أنا المسؤول طبعا ، صاحب المحل هو المسؤول دائما

نظر اليه أحد العمال مليا وبسمة ساخرة تعلو شفتيه ، ولكنه لم يجبه بكلمة لا هو ولا عيره ، ولم يكن المولود ينتظر من أحد جوابا فهو لم يكن مثلهم ، مجرد عامل بسيط انه تاجر ، صاحب مطعم ١١٨ شارع قابريال بيرى من ذا من عمال الناحية لا يعرف « ١١٨ » ؟ من دا لم يأكل كسكسيه اللذيذ ؟ بل من دا لم يغازل يوما ، ولو في خياله ، الفتاة العاملة « كوليت » ؟

كان هذا المطعم مشهورا بثلاثة « كوليت » العاملة الفرنسية اللطيفة ، والمولود صاحب المطعم دو القبعة البوهيمية والمنديل الحريرى الاحمر الدى لا يفارق عنقه ، والكسكسي اللذيذ ، وكانت تجارته رابحة وقصاده كثيرين ، ليس من العمال الجزائريين فقط بل حتى من الاحانب هواة الكسكسي

واصلت السيارة السوداء طريقها الى المركز تشقه بصفارتها شقا ، وواصل المولود احتجاجه وتدمره من هذه المعاملة السيئة التي سوى فيها بين تاجر مشهور وعمال نكرات

ـ « أقاد هكذا الى مركز الشرطة بدون سبب غير

مطقي ، غير معقول حمع الساس بهذه الصورة وحشرهم في سيارة سوداء عرفناه أيام الثورة أما الآن فما السبب ؟ غير معقول غير معقول . البارحة فقط تناول الطعام عندى المفتش « رازول » البارحة فقط أه لم يسمحوالى حتى بأن أوصى على المحل ، قال لي « اركب ولا تتكلم » ! شرطي بسيط ، قال لي هذا أرأيتم ايها الاخوة ! شرطي بسيط يأمر صاحب محل بهذا الأسلوب ! مع اني لم أعمل شيئا ، ولم يقع في محلي ما يستحق هذه المعاملة . لم يعلم أحد بسبب لمجيء الشرطة ولا بوقت مجيئها . وقفت السيارة أمام الباب ، ونزلت الشرطة شاهرة في وجوهنا أسلحتها وقالت « الجميع الى السيارة » !

كان من حقهم أن يسألوا عن هوية الناس ، أن يطلبوا أوراق التعريف ويأخذوا المشبوه في أمره ..

أما أن يحشروا الناس هكذا ، حشرا في سيارتهم فغير معقول وغير منطقي الثورة انتهت منذ سنوات . والجزائر مستقلة . . كل الناس يعرفون هذا فلماذا جمع الناس بهذه الطريقة المتغطرسة ؟ ان لم يريدوا رؤية الجزائريين في أرضهم كان عليهم أن يتفاهموا مع حكومتنا ، لا أن يجمعونا هكذا كالاغنام ، كالمجرمين . غير معقول ! غير معقول أن يستمر حقدهم علينا الى هذا الحد ، والثورة المسلحة قد انتهت منذ سنوات . » .

●

وصلت السيارة الى المركز ، وانزل العمال منها بأعقاب البدقيات وحشروا في أحد الممرات حشرا حيث لم يكونوا فيه وحدهم فقد كانت هناك مجموعات أخرى من العمال جيء بهم من مختلف الضواحي . وكانت ظروف ايقافهم ونقلهم الى المركز مماثلة . تقف السيارة أمام المقهى وتحاصر الشرطة من فيه ، ثم تأمرهم بالركوب وتقودهم الى المركز حيث تفرغهم في ذلك الممر الطويل الذى يشبه الدهليز .. وهناك ينتظرون الساعات الطويلة قبل أن يشرع في التحقيق معهم ، وكانوا أحيانا يقضون الليلة والليلتين ثم يطلق سراحهم ، بدون أن يتعرضوا لأي تحقيق وغاية هذه العمليات هي غالبا اشعار الجزائريين بأنهم غير مرغوب فيهم ، على الأقل من طرف الشرطة

كان المولود واقفا الى جانب شخص جيء به الى هناك قبله ، تظهر عليه علائم الترف فخاطبه قائلا

- « أرأيت ؟ انهم لا يفرقون بين عامل وعاطل وتاجر ! لم يسمحوا لي حتى بغلق المحل . حاولت عبثا أن أفهمهم أنه لا يمكنني أن أدع المحل وحده انهم يسلكون معنا سلوكهم ازاء المجرمين ، بيد أن الجزائر مستقلة منذ سنوات ، والحرب بيننا وبينهم قد انتهت ومع ذلك فالجزائري هو الجزائري في نظرهم

ومضى يروي قصته من جديد وصلوا عند الساعة الثامنة في الوقت الذي كان فيه المحَل مكتظا بالناس ، أغلبهم لم يتناول طعام العشاء وساقونا الى هنا كالبقر هل نستطيع أن نحتج أو نعمل شيئا ؟ كلا يفعلون بنا ما يشاؤون نحن كالبقر تماما في الواقع لو كنت عاملا كسائر العمال أو عاطلا لهان الامر ، ولكني تاجر يا أخي ، مسؤول عن محل يشتمل على مقهى ومطعم وغرف للنوم وأنا وحدي هل تستطيع « كوليت » أن تقوم بكل شيء في غيابي ؟ كلا ثم انها ليست زوجتي ، هي عاملة عندي فقط صحيح أنها ثقة ، منذ اكتريت هذا المحل وهي معي عرفتها وأنا عامل بمعامل « سطرويس » ولكنها لا تستطيع أن تعمل شيئا في غيابي امرأة عاملة لا تستطيع تولي مسؤولية تسيير محل لم ينبس الرجل بكلمة فسكت المولود قليلا ثم استأنف قائلا

- « أعرف أنهم سيطلقون سراحي بعد أن يطلعوا على هويتي ولكن ولكن الطريقة التي ساقوني بها منافية لكل القوانين ، لكل القوانين ! أنا تاجر يا أخي ، ومحلي يعرفه العام والخاص ، حتى الشرطة تعرفه من بين زبائني مفتش شرطة اسمه راؤول ، يأتي دائما للمطعم لتناول طعام العشاء او الغداء هو ورفاقه ، ومع ذلك ساقوني هكذا كبقية الناس ، أليس هذا مثيرا ؟ لم يروا لا اوراقي ولا أي شيء أقضي الليلة هنا أو في مكان آخر لا يهم ، ولكن المحل ، المحل تركته وحده ماذا تستطيع أن تفعل « كوليت » في غيابي ؟ ثم ما هو أهم المسؤولية ! لو وقع في غيابي حادث في المحل ، ترى من المسؤول عن ذلك ؟ هو أنا طبعا ، أنا المسؤول ، لأني أنا صاحب المحل « كوليت » عاملة ليست مسئولة ليست زوجتي على كل حال كثير من الزبائن يظنونها شريكتي لأنها تتولى الصندوق المالي ولكنها في الواقع عاملة فقط . وليتها المسائل المالية لأنها تتقن الحساب ، ولأنها ثقة ، عرفتها منذ سنوات مسألة الثقة هي ثقة لا شك في ذلك صدقني يا أخي ، انني أعرف من اثق فيه ومن لا اثق .. » .

- « سيدي المحافظ أؤكد لك »

- أوراقك

- « قلت لك ياسيدي المحافظ تركتها بدرج [illegible] بالمحل »

- « ماذا تعمل ؟ »

- « أنا سيدي المحافظ ، صاحب مقهى ، مطعم ، فندق « أنا علالي المولود صاحب محل ١١٨ [illegible] فاربيل بيري ، سانت وان ، المفتش راؤول ورفاقه يعرفونني جيد المعرفة يأتون لتناول الكسكسي عندي تستطيع أنت أيضا أن تأتي سيدي المحافظ لتناول الكسكسي ، تستطيع أن تأتي متى شئت ستجد لدينا كل حفاوة ، يجب أن تأتي الى ١١٨ سيدي المحافظ »

- « متى دخلت الى فرنسا ؟ »

- « متى دخلت الى فرنسا منذ احدى عشرة سنة ، دخلت في سنة ١٩٥٩ »

- « أين كنت تشتغل ؟ »

- « في معامل « سيطروين » سيدي المحافظ

- « أعندك كشوف الاجرة ؟ »

- « لست ادري ان احتفظت بها ، لا شك أن هناك كشوفا باقية في اوراقي بالبيت »

- « منذ متى وأنت عاطل عن العمل ؟ »

- « لكن ياسيدي المحافظ ، لست بطالا ، انا أعمل ، أنا صاحب محل كما قلت لك »

- « متى توقفت عن العمل في معامل « سيطرويس » ؟ »

- منذ سنة تقريبا

- « ومن أين جئت بالأموال التي اشتريت بها مقهى ومطعما وفندقا ؟ »

- « لم أشتر هذا المحل ، اكتريته فقط »

- « من أين جاءتك الاموال لاكتراء محل مثل هذا ؟ »

- « من العمل سيدي المحافظ ، من عرق الجبين ، اقتصدت طوال السنوات الماضية لاستطيع اكتراء محل »

- أنا لي عشرون سنة في الشرطة ولم أستطع توفير ما اكترى به شقة في فندق ، فكيف استطعت أنت توفير كل هذه الأموال ؟ »

- « لكن سيدي المحافظ ، أنت لا تستطيع أكل الخبز والطماطم سنوات

- « لست أضحك معك لا شك أنك سرقت هذه الاموال والا فأجرتك كلها لا تمكنك من اكتراء محل كالذي تتحدث عنه ! »

ـ « سيدي المحافظ ، أؤكد لك ، ان المال الذي اكتريت به المحل من عرق جبيني »
كيف أسرق أنا ؟ أؤكد لك سيدي المحافظ اني عامل نظيف ! »
ـ « هل لديك ما يثبت أقوالك ؟ »
ـ « اسأل عني رئيس قسم الدهن في معامل « سيطروين » سوف يجيبك بأني كنت من العمال المتفانين في عملهم »

ـ « هذا كلام لا معنى له فان لم يكن عندك ما يثبت اكتساب الاموال التي اكتريت بها المحل فانك سارق »

ـ « أؤكد لك سيدي المحافظ ، لم أسرق أحدا في حياتي واذا أعطيتني فرصة فسوف آتيك بكل الحجج التي تثبت صحة كلامي »

ـ « طيب ، عندما تصل الى الجزائر ، هيىء حججك للمطالبة بحقك »

ـ « الجزائر سيدي المحافظ ؟ ولك محلي اوراقي ، حساباتي ، أموالي »

ـ « هيا اغرب عن وجهي شرطي ! الذي بعده »

●

واصل المحافظ استنطاق العمال الآخرين بنفس الطريقة وبنفس التهكم أما المولود فقد نزلت عليه كلمة الرجوع الى الجزائر نزول الصاعقة ان كل السنوات التي قضاها بفرنسا كان وراءها هذا الحلم المتمثل في اكتراء محل وامتهان التجارة ، ولما تحقق الحلم وصار تاجرا وجد نفسه أمام هاوية !

كم عد أيامه وساعات تلك الايام ، وهو مغمور بدهس السيارات وبعاراته السامة ! كم بات على الطوى ، وكم حمل نفسه ما لا تطيق والزمها من ظروف قاسية ليوفر من اجرة يومه ما يريحه في غده ! فرح رفاقه من العمال بعطلهم الاسبوعية ولهوا ما وجدوا الى اللهو سبيلا ، وكبح هو نفسه عن كل جنوح الى اللهو وتبذير المال أكل رفاقه وشربوا ما حلا لهم ، وألزم نفسه بان تقنع بالضروري من العيش ، والساتر من الملبس وكان راضيا بحياته تلك ، مغتبطا بها حتى جاء اليوم الذي تيسر له فيه اكتراء هذا المحل وأصبح تاجرا حرا ، وأصبحت حياته ذات محتوى وقد حقق ما كان يصبو له ، ولكنه نسي شيئا واحدا ، وهو انه جزائري يحيا في ارض ليست أرضه ، وتحت حكم سلطة لا تعرف معنى لقانون او مبدأ اذا كان الامر يتعلق بالجزائريين

خاطب المولود شخصا كان الى جانبه قائلا في تذمر يائس

ـ « أعود الى الجزائر هكذا بدون أن أضبط شؤوني وأبيع المحل ، وبدون أن آخذ حتى ملابسي ودراهمي أليس هذا هو الظلم الاحمر ! انني تاجر ، لست لصا ولا عاطلا عن العمل ومع ذلك أطرد بهذه الصورة أعود الى الجزائر ولا أملك حتى ثمن حبرة أصبح متسولا في الطرقات ، وأموالي أتركها للضياع ! خمسة عشر عاما من الاعمال المرهقة والتقتير لأصبح متسولا ! أليس هذا هو المكر بعينه ! ياحسرتاه ! لو ظننت أني سوف أطرد بهذه الصورة لما فكرت في عمل ولا في تجارة ، بل لكنت قمت بكل الافعال الشنيعة ، ما الفرق بيني وبين أي مجرم ، ما الفرق ؟ قل لي بالله ! جمعت الثمن الذي اكتريت به المحل فرنكا فرنكا طوال خمسة عشر عاما والنتيجة ماذا ؟ ذهب مهر « السين » بما قترته على نفسي ! يالهي ! كيف افعل بنفسي عندما أنزل بالجزائر ؟ ماذا اقول للناس ؟ من يصدق قصتي ؟ يالهي ! »

واستمر المولود في أحاديثه وتحسراته المحمومة ، متنقلا من شخص الى آخر حاكيا قصته ، قصة السنوات الطويلة التي أخذت منه جهده وشبابه مقابل أشياء لم يستطع في النهاية أن ينال منها الا الحرمان ولم يكن يصدق أنه ، سيغادر فرنسا حقا ، وبتلك الصورة الى أن أركب القطار المتجه الى مرسيليا من الغد ، وعندئذ ادرك أن مأساته لم تكن كابوسا عابرا وانما هي حقيقة مرة عليه أن يجابهها أحب أم كره ، وفتش في أعماق عينيه عن قطرات دموع ليسيلها حزنا على هذه النهاية ، ولكن عينيه كانتا يابستين منذ زمان بعيد ، منذ ان قطع كل رسائله وأخباره عن أهله بالجزائر ، منذ ان راود خياله حلم التجارة والاستقرار بباريس
وقال لنفسه
« حتى البكاء لا أستطيع أن ابكي فقدت في لحظة كل شيء ، فقدت السرور وفقدت الحزن أتألم تألما يائسا ، لادمع ولا حزن فيه ، يالهي ! كيف اقابل معارفي وأهلي ؟ أعود الى وطني عودة المجرم المطرود لماذا كل هذا يالهي ؟ لماذا ؟ »

وتحرك القطار المتجه الى مرسيليا يحمل عشرات الجزائريين المطرودين من فرنسا ، وكل منهم كانت تتراءى له من خلال المناظر المتلاحقة التي تقدمها لهم نوافذ القطار ذكرياته وشبابه الذي تركه وراءه تحت مداخن المعامل السوداء في مكان ما ، بفرنسا ! ■■

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقه

صفحات مثيرة من تاريخ باب زويلة

بقلم : جمال الغيطاني

« منذ عشرات السنين فقد باب زويلة أهم وظائفه ، فلم يعد يمثل أحد مداخل القاهرة بعد أن اتسعت المدينة ، وقد امتدت مباني الاهالي خارجها فيا تلى العصر الفاطمي من حقب ثم بطل تعليق رؤوس المتمردين عليه منذ اوائل القرن الماضي ، حتى متولي حسبة القاهرة الذي كان يتخذ مكانا مجاورا له

لم يعد يجلس في نفس المكان لان الوظيفة نفسها بطلت منذ القرن الماضي ، ولم تترك اثرا الا على السنة بعض الناس الذين سبوا الباب الى المتولي ، فصار اسمه باب المتولي ، ما بقي لباب زويلة حتى يومنا هذا قيمة مستمرة من عمره الضارب في الزمن لمدة الف سنة ، وبقايا اعتقاد قديم لدى بعض نساء العامة ان من لا تنجب ، تستطيع ان تدق مسمارا وتعقد عليه بعض الخيوط ، عندئذ قد تتحقق امنيتها ، وتنجب ولدا ، غير ان باب زويلة لا زال يحتفظ بعلامات من الوظيفة التي ظل يمارسها لاطول فترة من الزمن انه المكان الذي كانت تعلق عليه الرؤوس ، واذا دققت النظر فقد تلمح بقايا دماء جفت منذ قرون ، في هذا الموضع علقت رؤوس فلاحين فقراء ، واغراب ، واعداء ، وسلاطين حكموا مصر

من مر بالباب

مع الفتح الفاطمي لمصر جاءت قبائل مغربية عديدة ، احداها كانت تسمى « زويلة » ، وزويلة اسم ضاحية في القيروان ، كما انه اسم بلدة صغيرة بجوار المهدية التي بناها عبد الله المهدي (٢٩٧ ـ ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ م ـ ٩٣٣ م) . وعندما جاءت قبيلة زويلة احتلت حيا كبيرا من القاهرة ، مكانه الآن حارة اليهود شارع الموسكي اليها ينسب هذا الباب الذي كان احد ثمانية ابواب اختطها جوهر الصقلي في السور الذي احاط بالقاهرة . ويبدو ان باب زويلة كان في البداية مكونا من جزءين متجاورين ، وعندما جاء المعز لدين الله الى القاهرة مر من أحد القسمين ، فتفاءل الناس بذلك واهملوا المرور من القسم الثاني الذي قيل عنه ان من •

.. لم تقض له حاجة ، واستمر الامر حتى سد . وفي
.صر الفاطمي كانت القاهرة مقصورة فقط على سكنى
لفاء وكبار رجال الدولة وكان المواطن القاهري لا
تطيع اجتياز ابواب القاهرة الملكية الا بتصريح
خاص . عاشت اسوار القاهرة التي بناها جوهر الصقلي
ثمانين عاما ، كانت من الطوب اللبن ، ولم تعد صالحة
للاعراض الدفاعية ، فيما ان استوزر المستنصر امير
الجيوش بدر الجمالي حتى انشأ سورا آخر من الحجر ، بعد
ان مد مساحة القاهرة بمقدار ١٥٠ مترا الى شمال السور
القديم ، وحوالي ثلاثين مترا الى الشرق ومثلها الى
الجنوب

ويقول المقريزي ان بدر الجمالي استعان بثلاثة
اشقاء احضرهم من مدينة الرها شمال العراق في بناء هذا
السور وبواباته ، وكان باب زويلة هو البوابة الرئيسية
في السور الجانبي ، وهو المتبقي حتى الآن ، الى جانب
ثلاثة بوابات وصلن الى عصرنا من البوابات الاصلية ،
باب الفتوح ، بوابة النصر ، بوابة البرقية ، ويقول
المقريزي « وقد اخبرني من طاف البلاد ورأى مدن
المشرق انه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب
زويلة ، ولا يرى مثل بدنتية اللتين عن جانبيه ، ومن
تأمل الاسطر التي كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد
فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه ،
وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير ، هدم أعلاهما
الملك المؤيد شيخ المحمودي لما بنى الجامع داخل باب
زويلة ، وعمل على البدنتين مارتين » والمئذنتان
قائمتان حتى الآن

لماذا تعلق الرؤوس

حتى الآن وخلال العصر الفاطمي لم يستخدم باب
زويلة مكانا لتعليق رؤوس المتمردين ، لقد كان احد
ابواب المدينة المقدسة ولا تسجل المراجع التاريخية اي
حادثة اعدام تمت عند الباب ، ويبدو ان طبيعة العصر
الفاطمي وما حفل به من استقرار كانت لا تتيح فرصا
كثيرة لمظاهر الشنق العلنية ، صحيح ان ثمة اضطرابات
عديدة وقعت ، وكثير من القتلى راحوا خلال المعارك بين
الاطراف المتنازعة ، ولكن تعليق الرؤوس بشكل علني
لم يسجله لنا التاريخ كما سيحدث خلال العصور
التالية ، واذا رحلنا مع المؤرخ ابن اياس في كتابه
« بدائع الزهور في وقائع الدهور » فسنجده يسجل اول
حادثة صلب علنية في النصف من شعبان سنة ٦٦٥ هـ ،
عندما شن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري حملة
لابطال الحشيش ، واضراب الخمارات ومنع العاهرات .
في تلك الاثناء ظفر والي الشرطة بشخص يسمى ابن
الكازروني ، وكان سكرانا ، فاشهره في القاهرة ، وعلق
الجرة والقدح في عنقه ، وصلبوه على باب النصر ، لم
يصلب على باب زويلة ، ويبدو ان الصلب كان يتم في
الاماكن الظاهرة للناس بدون تخصيص مكان معين
لذلك واحيانا كان يتم على باب القلعة ذاتها كما حدث
في شهر ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ ، عندما وقعت فتنة بين
الامراء والسلطان ، وتم القبض على خمسة امراء هم الامير
ارغون شاه ، والامير صرغتمش ، والامير بيبغا
السابقي ، والامير بشتاك الكريمي ، والامير ارغون
العزي الافرير ، تم اعدامهم وعلقت رؤوسهم على باب
القلعة ، ولكن يبدو ان مثل هذا « الشرف » لم يكن
حظي به الا الامراء ، وذوو المراتب العليا عند تمردهم
ووقوعهم في قبضة السلطان ، والقصد من تعليق
رؤوسهم على باب القلعة هو ارهاب الامراء الباقين ولا
علاقة للشعب بالامر اذن لماذا تعلق الرؤوس على باب
النصر أو باب زُويلة ؟

أول حادثة صلب

في سنة ٦٩٤ هـ ، وفي يوم عاشر المحرم ، ركب
جماعة من المماليك تحت الليل وفتحوا باب سعادة ،
وهجموا على اصطبلات الناس ، واخذوا خيولهم ، فلما
طلع النهار ارسل الامير كتبغا فقبض على من فعل ذلك
من المماليك ، وقطع ايديهم ، وطاف بهم القاهرة ، ثم
صلبهم على باب زويلة ، ووسط منهم جماعة (أي قسم
اجسادهم بالسيف الى نصفين ، نصف علوي وآخر
سفلي) تلك أول حادثة صلب يخبرنا بها ابن اياس في
كتابه تتم على باب زويلة ، ويبدو اننا لن نسمع منذ
الان فصاعدا الا عن مكان واحد تتم فيه هذه المهام وهو
باب زويلة ، وهكذا اصبح من نصيب هذا الباب ان
يكون مقرا للرؤوس المقطوعة ، وليبث الذعر والخوف في
النفوس ، بينما نجد الباب المقابل له والذي يقع عند نهاية
الطريق باب الفتوح يمثل الباب الرسمي للمدينة ، فعنده
تبدأ مواكب السلطان اثناء عودته ، او تنتهي اثناء
خروجه وكان السفراء يقبلون الارض امامه ثلاث
مرات قبل دخول المدينة متوجهين الى القلعة ، مقر حكم
السلطان

في سنة ٧٣٩ هـ ظهرت بالقاهرة امرأة تسمى
« الخناقة » ، فاشتهر امرها بين الناس فكانت تحتال على
الاطفال والنساء وتخنقهم وتأخذ ما عليهم من الثياب فلما
شاع امرها وبلغ السلطان رسم لوالي القاهرة ان يقبض

عليها فلا زالوا يتبعونها حتى قبضوا عليها وشنقوها على باب زويلة

وفي مثل هذه المناسبة يتجمع الناس للفرجة ويبلغ الزحام أشده عند باب زويلة الذي يبدو ان اختياره لهذه المهمة تم نتيجة لكثافة حركة الناس عنده ، انه الباب المؤدي الى اشد مناطق القاهرة ازدحاما ، ثم انه يتوسط مجموعة من الاسواق المتتالية التي لا تخلو من الرواد ليلا أو نهارا ، ومنه يخرج الناس متجهين الى مناطق القاهرة الجنوبية التي كانت عامرة بالناس ، كما ان اي متجه الى القلعة لابد ان يمر به سواء كان أميرا أو سفيرا أجنبيا كان الباب صرة القاهرة ومركز الرعب فيها والنقطة التي تنطلق منها اشعة الارهاب لتخويف الناس ولتلقينهم العظة . وعنده لم تتوقف الدماء عن التدفق تترحم عذابات الشعب ومعاناته

القتل ظلما

وكثيرا ما كانت تختفي المأساة وراء بعض الذين عرفت رؤوسهم الطريق الى باب زويلة في رجب سنة ٧٨٢ ، أرسل الاتابكي برقوق مرسوما الى خليل بن عرام نائب الاسكندرية ليقتل الامير المملوكي بركة الذي كان مسجونا ، وعندما اشيعت اخبار القتل ثار مماليك بركة على الاتابكي برقوق ، فأنكر برقوق انه امر بقتله وارسل من امر بالقبض على خليل بن عرام نائب الاسكندرية الذي راح يصبح « والله ما قتلته الا بمرسوم الاتابكي برقوق ، وقد سرق المرسوم مني ، بيني وبينكم الله » ، لكن امور السياسة لا تعرف الهزل ، ولا مجال كما يبدو للاخلاقيات فيها ، لقد أمر برقوق بقتله فدقت المسامير في كفيه واركبوه على جمل ونزلوا به من القلعة وهنا هجم عليه مماليك بركة وقطعوه وشقوا بطنه واخرجوا قلبه ثم علقوا ما بقي منه على باب زويلة ، يقول ابن اياس ان هذه الواقعة صارت مثلا عند المصريين « نعوذ بالله من حول ابن عرام »

ويورد ابن اياس شعرا مناسبا للواقعة .

مخالط السلطان في محنة
يرتقب الاوقات في عكسه
ان سرّه اسخط حلانه
او ساءه خاف على نفسه

ومن الملاحظ ان معظم الامراء الذين يتآمرون على السلطان كانوا يشنقون أو يعدمون بعيدا عن باب زويلة ، أما في بيوتهم أو في القلعة ، او يرسلون الى سجن الاسكندرية الذي كان بمثابة منفى ايضا للسلاطين المخلوعين ، ولم يسجل التاريخ ان سلطانا قد قطعت رأسه وعلقت على باب زويلة من الذين حلموا ، استثناء واحد فقط حدث في احدى اللحظات الحاسمة في التاريخ ، عندما علق السلطان الشهيد طومانباي ، بعد شنقه على مرأى من الاهالي بواسطة الجنود العثمانيين الذين غزوا مصر وحولوها من سلطنة مستقلة الى ولاية تابعة لقد قاومهم طومانباي حتى الرمق الاخير ثم علقت جثته فوق باب زويلة ، واعيد تمثيل المشهد في المقياس امام السلطان المنتصر سليم العثماني ، عندما صنع المخايل ديكورا يشبه باب زويلة وصور اعدام السلطان طومانباي وانقطاع الحبل به مرتين ، فانشرح ابن عثمان لذلك وانعم على المخايل بمائتي دينار ، والبسه قفطان مخمل مذهب ، ودعاه الى استامبول ليتفرج ابنه على ذلك !

وكان باب زويلة يشهد تعليق رؤوس بعض الامراء احيانا كما حدث في شوال عام ٨١٨ هـ ، عندما علقت رؤوس بعض الامراء الصغار الذين تآمروا مع الامير قايتباي ضد السلطان المؤيد . ويبدو ان باب زويلة كان قد صار مثارا للرعب ، فعند تعيين شخص اسمه صدر الدين العجمي في منصب الحسبة في محرم سنة ٨٢٤ هـ يذكر لنا المؤرخ ابن اياس ان الامير ططر احد كبار رجال الدولة وقتئذ قال له « لا تظلم أحدا من السوقة والا شقتك على باب زويلة »

واحيانا كان الباب الدامي يشهد نهايات بعض الاحداث الغريبة

ثورة العبيد

في شهر ذو القعدة سنة ٨٤٩ هـ ، قام جماعة من العبيد السود بتعدية النيل الى بر الجيزة ، واقاموا في الخلاء ونصبوا خيما وعلقوا على احدى الخيام الكبيرة سنجقا وجعلوا له سلطانا ووزيرا وداودارا وجعل سلطانهم يجلس على دكة ويحكم بين العبيد ، ويطلب من العبيد من هو معاد لهم ويأمر باعدامه بين يديه ، ثم اصدر عدة قرارات بتعيين امير كبير وحاجب حجاب وارباب وظائف باختصار بدأ ينشيء نظاما موازيا لنظام السلطنة بما في ذلك نائب الشام ونائب حلب ونواب لجميع البلاد ، يقول ابن اياس .

« فلما بلغ السلطان ذلك انحصر الى الغاية ، وصار العبيد يقطعون الطريق على الناس ، وينهبوا المغل

ويأخذوا خراج المقطعين وضيافتهم ، فعين السلطان لهم تجريدة ، فتوجهوا اليهم في المراكب ، فتقاتلوا معهم وكسروا سلطانهم وشنتوهم ، وسجنوا جماعة منهم وهرب الباقون ، ثم ان السلطان نادى في القاهرة بأن كل من عنده عبد كبير يطلع به الى باب السلسلة ويقبض ثمنه »

أمر السلطان باعدام قادة هذه الثورة ، ونفى ما بقي من العبيد الى بلاد العثمانيين ، وانتهى وجود العبيد « الشناترة » من مصر

وكثيرا ما كانت تعلق رؤوس العربان الثائرين في صحاري مصر على البوابة ، وكان بعض الذين يلقون حتفهم على تلك البوابة قد ارتكبوا حوادث طفيفة للغاية ونلاحظ تكرر ذلك بعد الغزو العثماني لمصر عام ٩٢٢ هـ ، اذ يشنق ملك الامراء حايربك فلاحا فقيرا لانه اقتلع عمودين من خيار الشنر (نبات طبي) ، كما انه طوال الوجود العثماني تكررت حوادث الشنق والاعدام بحوار البوابة لاتفه الاسباب حتى يذكر لنا الجبرتي في حوادث شعبان سنة ١٢٣٢ هـ انهم شنقوا شخصا بباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة وعلقوا بأنفه ريال ويقول الجبرتي معلقا « مع ان الزيادة سارية في المبيعات والمشتروات من غير انكار » لكنه الظلم الفادح ولا معقولية ما جرى خلال هذا العصر

الى جانب ذلك فان بعض الذين سلكت حياتهم طرقا غير عادية كانوا احيانا يلقون مصيرهم فوق هذه البوابة الدموية

الصعود والهبوط

في يوم الاثنين الثالث والعشرين من محرم سنة ٩٠٩ هـ امر السلطان الغوري بشنق علي بن ابي الجود على باب زويلة ، فشنق وظل جثمانه معلقا لمدة ثلاثة ايام ، كان علي بن ابي الجود قد وصل الى اعلى مناصب الدولة ، تولى نظارة الاوقاف وعدة مناصب اخرى هامة في الدولة منها ديوان الوزارة ، والاستادارية ، واصبح متصرفا في امر المملكة واظهر الظلم الفاحش بالديار المصرية فخاف الناس منه ودخل في قلوبهم الرعب الشديد منه وكان على هذا اصله من العامة وكان ابوه نجارا اسمه المعلم حسن ، ثم بدأ يصنع الحلوى وسمى نفسه ابو الجود واتخذ له مكانا امام حمام شيخو ، واستمر حتى مات ، عندئذ حل مكانه ابنه علي ، الذي كان يقلي المشبك بيده ، ثم بدأت رحلة صعوده عندما التزم بتوريد مال معين على احده المناطق الصغيرة وهجر بيع الحلوى،

ثم التحق بوظيفة صغيرة عند تغري بردي الاستادار ثم انتقل للعمل مع الامير طومانباي ، ثم انتقل للعمل مع الامير الغوري قبل ان يتولى السلطنة ، فلما اصبح سلطانا اصبح مقربا منه ، وجاء على الناس بالظلم ويبدو ان البعض صار يدس له عند السلطان حتى وقع المحظور في رمضان سنة ٩٠٨ هـ عندما تغير خاطر السلطان عليه

وتلك العبارة « تغير خاطر السلطان » يوردها ابن اياس وسائر المؤرخين عندما ينقلب مزاج السلطان على امير مقرب ، أو صديق له ، فيتبدل حال الامير عنده وينقلب لقد قبضوا على حاشية علي ابن ابي الجود وغلمانه واحتاطوا على موجوده (اي على ثروته) ، وسلمه السلطان الى موظف جديد صاعد هو الزيني بركات بن موسى ليعاقبه ويظهر ما خفي من امواله ، ثم قام السلطان بضربه بنفسه ثم سلمه الى الوالي ليواصل تعذيبه ثم امر بأعدامه ثم استقر جثة هامدة فوق باب زويلة

معتقدات

واحاط الناس باب زويله بالعديد من المعتقدات ، فقد اعتقد الكثيرون انه مركز لاقامة القطب المتولى ، ويقول ادوارد لين في كتابه « المصريون المحدثون » ان بعض المشايخ اخبروه بوجود القطب المتولي الذي يراقب الاولياء جميعهم مثل النقباء والانجاب وكثيرا ما يظهر القطب ، لكنه لا يعرف ، وهو يظهر دائما متواضعا ، رث الثياب ، ولا يشتد في مؤاخذة من يخالف الدين او يتظاهر بالتقوى ، ومع انه يختفي دائما فان اماكن وجوده معروفة ، لكنه قليلا ما يظهر فيها ، والمعتقد ان القطب يكون فوق الكعبة ، وهو يصيح مرتين في الليل قائلا « يا ارحم الراحمين » فيردد المؤمنون حينئذ ذلك الدعاء من مآذن الكعبة ، ان سطح الكعبة هو المركز الرئيسي الذي ينطلق منه القطب لكن بوابة زويلة هي مكانه المفضل في القاهرة ، ومن هنا اصبح الناس يسمونها ، « بوابة المتولي » ، وحتى الآن يطلق عليها ذلك الاسم ويقرأ المارة الفاتحة عند مرورهم بها ويتصدق البعض على الشحاذين الجالسين هناك ، ويذكر الجبرتي في حوادث شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ ، ان واعظا روميا جاء وجلس في مسجد المؤيد وراح يهاجم ما يفعله المصريون عند ضرائح الاولياء من ايقاد شموع وقناديل وتقبيل اعتابهم وقال ان ذلك كفر وهاجم وقوف الفقراء عند باب زويلة في ليالي رمضان وتسبب في فتنة كبيرة بالقاهرة

ويصف ادوارد لين احد الشحاذين الذين كانوا

..لسون عند الباب ، ويقول ان الناس كانت تعتقد انه .. « حدام القطب » ، ويدق المصابون بالصداع ..سمارا في الباب لفك السحر ، أما المصابون بوجع الأسنان فيخلعون سنا ويولجونها في احد الشقوق ، او ..لصقونها به بأي حال آخر ، وكثيرا ما يحاول بعض المصوليين الاختباء وراء الباب ، آملين عبثا اختلاس النظر الى القطب ، في لحظة من لحظات ظهوره النادرة ، ويصف ستانلي لين بول في سيرة القاهرة معتقدات الناس في القطب المختفي عند الباب ، ويقول ان له قدرة عجيبة في التنقل من مكان الى آخر مخفيا عن الانظار ، والمؤمنون يسبحون اثناء مرورهم بالباب ، بينما يدفع الفضول غيرهم الى النظر خفية خلف الباب لعلهم يرونه ، ويستنكر ستانلي لين بول ما يقوم به القاهريون من دق للمسامير ، او التماس العلاج عند البوابة ، ويبدو ان من كان يرتبط بالبوابة يصبح مقدسا في احداث سنة ١١١٥ هـ يذكر الجبرتي موت الشيخ المجذوب احمد ابو شوشة حفير باب زويلة ، وكانت كراماته ظاهرة وكان يضع في فمه مائة ابرة ، ولا تعوقه عن الاكل والشرب والكلام

وتذكر مراجع تاريخية اخرى ان سبب تسمية البوابة بالمتولي كان لوجود متولي حسبة القاهرة على مقربة من المكان ، ولكنني ارجح السبب الاول الخاص باقامة القطب المتولي ، خاصة واني سمعت الكثير من روايات اهالي المنطقة ومعتقداتهم في البوابة حتى يومنا هذا

لقد احتلت هذه البوابة موقعا في الادب المصري ، فثمة رواية كاملة تدور حولها كتبها محمد سعيد العريان وتجري احداثها خلال السنوات الاخيرة للسلطنة المملوكية المصرية قبل زوالها على ايدي العثمانيين ، وفي الف ليلة وليلة نجد باب زويلة مسرحا لاحدى حوادث النشل . وتدور « السكرية » احد اجزاء ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة في حارة تقع ملاصقة لبوابة زويلة

وحتى الان لا تزال البوابة العتيدة ، تقوم في وسط البيوت التي تزاحمت حولها وكادت تخفي معالمها ، رمادية بأحجارها ، قانية بتاريخها ، يلفها غموض وابهام لكثرة ما تسبح حولها من اساطير ، لكن ابرز ما يتعلق بها ان الآلاف لاقوا حتفهم هنا فوقها ، بعضهم من افراد الشعب المصري المغلوب على امره ، وآخرون ارتكبوا جرائم قد تكون صغيرة أو كبيرة ، وامراء متمردون واسرى انتهت حياتهم في ذلك المكان ، وسلطان واحد ، شنق وهو يدافع عن آخر رمق تبقى في سلطنة مصر المستقلة ■■

القاهرة ـ جمال الغيطاني

اضواء على السويس

ان السويس كان اسمها « كليزما » في عهد الفراعنة ، وكانوا يطلقون عليها باليونانية في عهد البطالمة «كلياس» ، وكان اسمها في عهد الرومان هيا (كيزما وارسينوس) ثم اطلق عليها العرب بعد فتح عمرو بن العاص لمصر اسم (القلزم) ثم سماها خارويه بن احمد بن طولون (السويس) ويوجد بالسويس ٣٧ مسجدا بخلاف الزوايا الصغيرة وتمتاز بنت السويس بانها لا تدخن ولا تشرب الخمر مهما بلغت درجة ثقافتها واندماجها في المجتمع

النوم الصحيح

قرر احد الاطباء الفرنسيين ان افراد العالم المتمدن لا يعرفون كيف ينامون فعند استلقائهم في الفراش يضعون رؤوسهم على وسادات عالية فتبقى مرتفعة والاقدام واطئة وبذا تمتنع دورة الدم ويتعذر الهضم قال ان احسن طريقة لحفظ الصحة ان توضع تحت قدمي النائم وسادة عالية ويضع رأسه على الفراش بدون وسادة

الناس والزمان

غضب الخليفة على الخطاط ابن مقلة فانصرف عنه من كانوا يتقربون اليه عند حظوته ، ولكن محنته لم تطل الا نصف يوم وعاد الخليفة فقربه وارضاه فقال

تحالف الناس والزمان
فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم
فانكشف الناس وبانوا
يا ايها المعرضون عني
عودوا فقد عاد لي الزمان

آق

فتنة محجوبة عن الأعين

استطلاع : صادق يلى   تصوير : فهد الكوح

شلالات مصيف بيخال تتدفق مياهها العذبة الباردة لتصب في نهر الزاب الكبير . (الى اليسار) .شلال كلي علي بك في شمال العراق اشهر شلال في مصايف العراق ، وابتسامة عذبة لاحدى المصطافات (الى اسفل) .

قد تبدو هذه الصورة لمصايف العراق اكتشافا « بالنسبة للكثيرين ، اولئك الذين ارتبطت السياحة في اذهانهم بمناطق محدودة في العالم العربي ، مثل لبنان او مصر ، او تونس والمغرب ، او اولئك الذين لا يرون جمال الطبيعة وظروف الراحة والمتعة الا على شواطيء اوروبا ومصايفها ـ لكنها حقيقة كبيرة مشرقة ، ان العراق تتوفر له ظروف مواتية ، تمكنه من أن يلعب دورا بارزا في عالم الاصطياف والسياحة ، .

وهي ايضا حقيقة محزنة ، ان هذا الوجه البديع للطبيعة في العراق بعيد عن اعين الكثيرين ، وبعيد عن معرفتهم '

لقد كانت بداية جولتنا في مصايف العراق من مصيف دوكان ، الذى يبعد عن مدينة السليمانية بنحو ٧١ كيلومتر ، ويمتاز بوجود بحيرة دوكان الجميلة التي ستوعب ما بين ٨,٧ مليار متر مكعب من المياه العذبة ، يسد دوكان الذى اقيم على نهر الزاب الصغير يستطيع وليد قوة كهربائية هائلة تعادل ٢٠٠ الف كيلوات وتقع لبحيرة على سلسلة جبال (قره سرت) الجميلة التى بعث في نفس المصطاف البهجة والسرور ، وأمتع وقت يستطيع أن يقضيه المرء خلال وجوده في دوكان حين يقوم بنزهة بحرية بواسطة أحد القوارب الآلية التي خصصتها المؤسسة العامة للسياحة للمصطافين للتنقل في هذه البحيرة الجميلة التي تحيط بها التلال من كل جانب وباستطاعة المصطاف ان يستكشف البحيرة العميقة الاغوار وأن يمارس هواية صيد السمك

ويقوم المجمع السياحي في دوكان بتزويد المصطافين بالادوات الخاصة بصيد السمك والتزلج على الماء وهناك زورقان يستوعبان مائة مصطاف للرحلات الجماعية وهما مزودان بكافتريا ومشرب

وقد تم بناء مجمع سياحي يضم ٦٠ دارا او كابينة من البناء الجاهز وهي مزودة بكافة المرافق السكنية ، وتستطيع ان تقضي فيها الأسر اجازات نهاية الاسبوع بايجار لا يتجاوز ستة دنانير في اليوم ، كما جهز المجمع السياحي هذا بمطعم جاهر يتسع لقرابة مائتي شخص ويعد من الدرجة الأولى رونقا وخدمة ويحق للنزلاء في هذه الدور السياحية ارتياد المطعم لتناول الاطعمة والمشروبات او الاستمتاع بالالعاب المتوفرة في الصالة مثل لعبة البليارد وتنس الطاولة والعاب اخرى مسلية

يقول السيد نعمت الطالباني مدير المدينة السياحية في دوكان ان هناك عدة مشروعات مستقبلية يوشر في تخطيطها ، منها بناء ٦٠ دارا جاهزة الى جانب فندق سياحي يتسع لمائة سرير ومسبح وسوق مركزي وملاح واقامة قاعة كبرى متعددة الاغراض وملعب للاطفال ، كما تهتم ادارة المدينة السياحية في دوكان حاليا بتشجير المنطقة وجعلها قطعة سكنية خضراء لتكتمل الصورة المشرقة لهذه المدينة السياحية

مصيف صلاح الدين

وهو من المصايف العراقية القديمة الذى يتقاطر عليه المصطافون من شتى انحاء البلاد ، ويقع هذا المصيف على جبل (بيرمام) ويمتد في منطقة واسعة تطل على السهل الممتد الى جبل (سفين) من الجهة الاخرى « وهذا المصيف يقع على ارتفاع ١٠٩٠ مترا فوق سطح الارض واقصى درجة حرارة فيه صيفا لا تتعدى ٣٥ درجة مئوية ، ويمتاز بجمال طبيعته حيث تكثر اشجار السرو والبلوط

ونظرا لاهمية هذا المصيف فقد قامت عدة مشاريع سياحية ترفيهية ، منها فندق صلاح الدين وهو من فنادق الدرجة الاولى وتتوفر فيه الغرف والصالات الواسعة وتحيط به حدائق جميلة وفيه ناد ليلي تقدم عليه الانشطة الفنية من رقص وغناء كما يبيت فيه ٣٢ دارا سياحية مؤثثة ومزودة بوسائل الراحة ، وهي موزعة مجموعات لكل مجموعة منها حرف ابجدي ومكتب استعلامات خاص بها ، وفي مركز المصيف تقع معظم الدوائر الرسمية مثل مصلحة البريد ومصلحة المبيعات الحكومية ثم كازينو بيرمام السياحي حيث تقام على مسرحه الانشطة الفنية وهذا المسرح يتسع لخمسمائة شخص تقدم فيه الفرق المسرحية العراقية اعمالها الفنية ، ثم الاسواق السياحية التي تعرض انواع البضائع ، بأسعار معتدلة ، وهذه الاسواق منتشرة في كافة المصايف العراقية المهمة

وهناك قرية سياحية نموذجية تطل على واد جميل وهي ... من الدور الجاهزة والمزودة بكافة وسائل الراحة و... تتسع لاكثر من ٢٠٠ سرير وتتوفر في هذه القرية السياحية حوانيت لبيع المواد الاستهلاكية ومحلات للخدمات الاخرى ومطعم حديث يستطيع المصطاف ان يتناول فيه الوجبات الغذائية بأسعار معتدلة

اما القطاع الخاص فهو الآخر يقدم خدمات طيبة للمصطافين اذ يقوم هذا القطاع بادارة بعض الفنادق الصغيرة والمطاعم الشعبية التي تساهم بدور هام في تنشيط السياحة ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة العامة للسياحة تقدم قروضا وسلفيات للاهالي لبناء الفنادق والشقق السياحية والمطاعم والكازينوهات حيث يقدم صاحب المشروع طلبا الى المؤسسة للحصول على قرض وبعد دراسة المؤسسة للمواصفات الخاصة بالمشروع والموافقة عليه تقوم المؤسسة بمنحه قرضا طويل الاجل وبفوائد لا تتعدى ٢٪ لصاحب هذا المشروع . وهناك عدة فنادق وكازينوهات أقرضتها المؤسسة مبالغ من المال قد تصل الى ١٠٠ الف دينار

يقول السيد ملا حسين وهو أحد المستفيدين من هذه القروض وهو يدير فندقا سياحيا اهليا لقد اعدت بناء فندقي هذا العام وادخلت عليه بعض التحسينات وقمت بتجهيز الفندق بأثاثات حديثة وقد اقرضتني المؤسسة مبلغ اربعين الف دينار للقيام بهذا المشروع

في سره رش

وعلى بعد ٩ كيلومترات من مصيف صلاح الدين وعلى قمة الجبل يقع مصيف « سره رش » ومعناها القمة السوداء باللغة الكردية ، وهذا المصيف هو احدث مصايف العراق حيث قامت المؤسسة العامة للسياحة ببناء ٦٦ دارا جاهزة تتسع كل دار لستة اشخاص وهي ثلاثة انماط مختلفة منها المثلث الشكل والمربع والمستطيل تتوفر فيها كافة مستلزمات السكن وهناك فندق من البناء الجاهز يحوي ١٠٠ غرفة كل غرفة مزودة بسريرين ، مع كافة متطلبات أي فندق من صالات ومطاعم ومشرب بالاضافة الى تسع عمارات سياحية تحتوي على مائة شقة مؤثثة بأثاثات من الدرجة الاولى الى جانب قرية سياحية دورها بلاستيكية جاهزة تحوي ٣٧٥ سريرا ومطعما سياحيا وسوقا مركزيا يحوي آلات حديثة لغسل الملابس ومخابز آلية وسوقا لبيع المصنوعات اليدوية الشعبية بالاضافة الى صالة متعددة الاغراض تصلح أن تكون صالة اجتماعات او قاعة للسينما او مسرحا تقدم فيها بعض الفرق المسرحية امسيات غنائية او تمثيلية .

ومصايف أربيل تتقارب فيها المسافة وتختلف في التضاريس من أعلى القمم الى سفوح الوديان تربطها شبكة مواصلات حديثة وطرق معبدة . ومن (سره رش) تستطيع ان تزور مصايف شقلاوة وجنديان وكلي علي بك وبيخال وحاج عمران فمصيف شقلاوة يبعد عن مصيف صلاح الدين مسافة ٢١ كم ويبلغ ارتفاعه ٩٦٦ مترا عن سطح البحر واقصى درجات الحرارة فيه لا تتعدى ٣٠ درجة مئوية ويمتاز مصيف شقلاوة بروعة جماله لتوسطه قمم الجبال التي تحيط به ، وبكثرة بساتينه حيث تنمو اشجار الجوز واللوز والعنب والرمان

يضم هذا المصيف عددا من الفنادق والمنشآت السياحية منها القرية السياحية وتستوعب ٢٠٠ سرير وفندق شقلاوة السياحي وفنادق ومنشآت أخرى ، كما تكثر في هذا المصيف الفنادق الاهلية والمقاهي والمطاعم ويخترقها شارع رئيسي على جانبيه تصطف الدكاكين الصغيرة التقليدية التي يباع فيها بعض المصنوعات الفولكلورية الخشبية والجلدية التي برع في صناعتها ابناء هذه المنطقة مثل الاحذية الجلدية وقوالب صناعة الكيك والحلوى وسلال الخوص المزركشة الألوان ، كما تجود المنطقة بأنواع عديدة من المكسرات مثل الجوز والبندق

شلال كلي علي بك

وفي طريقنا الى مصيف كلي علي بك نمر على سهل « حرير » وهو سهل خصب مشهور بعيون مياهه الغزيرة وزراعة التبغ وحتى العسل ، وهناك عدة قرى زراعية ، كما يشاهد المصطاف تلولا اثرية يرجع تاريخها الى عصور موغلة في القدم ، ثم يأخذ الطريق في تسلق جبال حرير ويتعرج بعدة دورات ثم يمتد مرة اخرى ليصل قرية خليفان الواقعة على بعد ٢١ كم من بلدة حرير وهنا يبدأ مضيق كلي علي بك ، وهذا المضيق اخدود طوله ١٠ كم تمر فيه ثلاثة فروع من فروع نهر الزاب الكبير وهذه الأفرع الثلاثة تكون شلال كلي علي بك الشهيرة ، ويبلغ ارتفاع موقع الشلال عن مستوى سطح البحر ٨٠٠ متر ويمتاز الموقع بجمال الطبيعة والجبال الشاهقة وهدير الشلال ، في هذا المصيف كازينو ومطعم يشغل مساحة واسعة بالاضافة الى كبائن خاصة تؤجر للمصطافين وزوار المنطقة .

١

في حاج عمران مياه معدنية يقال انها تشفي مرضي الكلي ـ في مصيف سره رش قرية سياحية وبيوت مثلثة الشكل (الى اليمين اعلا) .. فرقة استعراضية غنائية تقدم نشاطاتها الفنية على مسرح مصيف صلاح الدين (الى اليمين) . امتع وقت يقضيه المصطاف في دوكان هو قيامه بنزهة بحرية بأحد القوارب الآلية وصيد الاسماك (الى أعلا) .
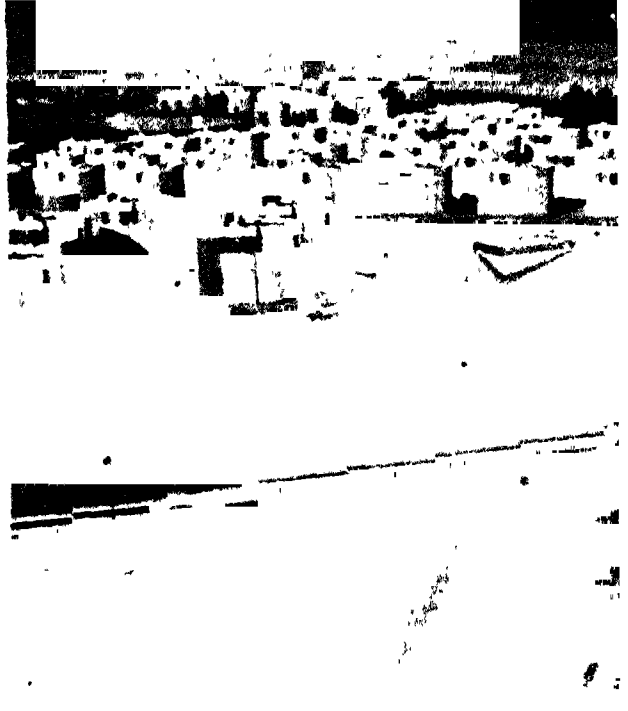
السياحية في مصيف صلاح الدين وتظهر الدور الجاهرة المتعددة الالوان

عيت المؤسسة العامة للسياحه بصدد

ولكن مصيف كلي علي بك لا يزال يطلب المزيد من الاهتمام والعناية بنظافة الكاريسو والمطعم وأكثر ما يفتقده التنظيم هذا الواقع تجده كلما توغلت بعيدا نحو مصيف جنديان وبيخال الشهير بشلالاته وجمال مناظره الخلابة وبرودة مياهه الهادرة

ومن مصيف كلي علي بك ينتهي بنا الطريق الى مصيف حاج عمران الذى يقع على الحدود الشمالية الشرقية من الحدود الايرانية ويبلغ ارتفاع هذا المصيف ١٧٨٠ مترا عن سطح البحر ويمتاز ببرودة طقسه وخاصة في الليل واعتداله في النهار - اذ تبلغ اقصى درجة حرارة فيه الى ٢٥ درجة مئوية خلال النهار وفي موسم الشتاء تهبط درجة الحرارة الى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر وتتساقط الثلوج في هذا الفصل

وهناك عين ماء معدنية يقال انها تشفي الذين يعانون من الحصى في كلاهم ويشتهر هذا المصيف بمناظره الطبيعية حيث تلفه سلسلة جبال حصاروست ، ويحتوى المصيف على دور سياحية جميلة ومنتدى ومطعم كبير وسوق مركزية تلبي كل متطلبات المصطاف ، كما ان المصطاف يستطيع قضاء امسيات ثقافية وفنية طيلة موسم الاصطياف .

يقول احد المسئولين من هذا المصيف ان المنشأة العامة للخدمات السياحية بصدد انشاء ناد رياضي للعبة التزحلق على الجليد في هذه المنطقة لأنها منطقة مناسبة لهذه الرياضة الشتوية في فترة الشتاء .

مصيف سرسنك

ومصيف سرسنك من أقدم مصايف شمال العراق اذ عرف هذا المصيف منذ الاربعينات ويمتاز ببساتينه وفواكهه وكثرة مياهه وشلالاته وقد كان هذا المصيف يعتمد كل الاعتماد على القطاع الاهلي اذ يقوم الاهالي بتأجير بساتينهم ومنازلهم الى المصطافين الذين يتخذونها بيوتا لسكناهم ، وكان ايجارها زهيدا لا يتعدى الخمسة دنانير شهريا ومن ضمن الأقامة حصوله على فواكه تلك البساتين وكان هذا متبعا في كافة المصايف العراقية

يقول الاستاذ سامي امين الألوس مدير مكتب وهوك السياحي لقد أولى المسؤولون عناية فائقة لدعم وتنشيط الحركة السياحية في البلاد فقامت المؤسسة العامة للسياحة بمسح سياحي عام للمناطق السياحية في شمال البلاد كما قامت بانشاء فنادق وشقق سياحية ومطاعم وقرى نموذجية وصالات العاب وصالات سينما ومكتب وهوك سياحي يشرف حاليا على ثلاثة مجمعات سياحية هي مصيف سرسنك ، ومصيف انشكي ، ومصيف

في المطعم الجاهز في مصيف سره رش اسرة كويتية تتناول وجبة الغداء

طرق الموصلة الى كافة مصايف الشمال

سولاف ففي مصيف سرسنك فندق سرسنك الذى يحتوى على ٦٢ غرفة ومطعم ومشرب وحمام سباحة وتدار هذه المنشآت ادارة مباشرة من قبل مكتب سياحة وهوك وقد حددت اسعار الاقامة في الفندق بأربعة دنانير ونصف للغرفة الواحدة اما المرفق السياحي الثاني فهو المطعم وهو من المشاريع السياحية العاجلة الذى تقوم بتنفيذه المؤسسة العامة للسياحة ، ويسع هذا المطعم ٢٠٠ شخص وهو مكيف تكييفا مركزيا ويحتوى على احدث وسائل الراحة كما تقوم فيه الحفلات الموسيقية والفنية خدمة وترفيها للمصطافين

اما المرفق الثالث فهي الصالة المتعددة الاعراض ، وهي ايضا من البناء الجاهز وهذه الصالة تستخدم لعرض الافلام السينمائية والمسرحيات والانشطة الفنية واقامة المعارض الفنية ولعدة اغراض اخرى اجتماعية ، وعلى ذكر النشاطات الفنية فقد اقام المكتب معرضا للفنون التشكيلية ساهمت فيه جامعة الموصل خدمة منها في تنشيط الحركة السياحية ، كما اعدت برنامجا موسميا للنشاطات الفنية وهذا البرنامج ينفذ في كافة المرافق السياحية في منطقة الشمال وهناك قرية سياحية تضم ٥٩ دارا وبأحجام مختلفة يسع كل منزل ما بين اربعة الى تسعة اشخاص بأجرة تتراوح بين ٨ و ١٤ دينارا حسب سعر الدار ، علما بأن هذه الدور مؤثثة ومعدة لايواء المصطافين بكامل احتياجات الاقامة صيفا وشتاء وقد الحقت بهذه الدور محلات لبيع احتياجات المصطافين من مواد غذائية وغيرها

ومن الابنية التي على وشك الانجاز فندق سرسنك الذى يحتوى على ١٠٠ غرفة تتسع لـ ٢٠٠ شخص وهو من فنادق الدرجة الاولى ومن المؤمل ان يبدأ العمل به خلال هذا الموسم

كهف فريد

اما مصيف اينشكي الذى يبعد عن سرسنك نحو ١٥ كم فيقع في منطقة جميلة تطل على سهول سرسنك وتمتاز ببرودة طقسها وجمال شلالاتها وهو من المصايف الحديثة ويحوى هذا المصيف ٣٠ (كرفانا) تتسع لستة اشخاص بالاضافة الى ٧٦ شقة سياحية من البناء التقليدى وهي مؤثثة وتتوفر فيها كافة سبل الراحة للمصطاف ، ويضم هذا المصيف كهف اينشكي وهو كهف فريد من نوعه في مصايف شمالي العراق ، وقد اجريت عليه بعض التعديلات ويستغل الآن كمطعم غريب فريد من نوعه ، وتقام فيه الحفلات الفنية والموسيقية ترفيها للمصطافين اما المشاريع المستقبلية في هذا المصيف فهو المنتدى الليلي وفندق اينشكي الذى

كهف جنديان تنساب منه
مياه عذبة وكازينو سياحي
شعبي اقيم بالقرب من
الكهف (الى اعلا) حمام
سباحة يقع في مصيف
شقلاوة (الى اليسار)
اطفال يلهون في مياه شلال
كلي علي بك الذى يبلغ
ارتفاعه عن سطح البحر
٨٠٠ متر (على الصفحة
المقابلة)

سوف يتسع لمائة غرفة على سفح جبل اينشكي ولا يفوتنا أن نذكر أن مصيف اينشكي يحوى سوقا مركزية تقدم للمصطافين حاجاتهم من مواد غذائية مختلفة مثل اللحوم والالبان والمعجنات اضافة الى مخبز آلي ومصبغة لغسيل الملابس وفرع للبريد

ـ وآخر مصيف يشرف عليه مكتب وهوك السياحي هو مصيف سولاف ، وهو يبعد عن سرسنك نحو ٢٦ كم ويقع على ارتفاع ١١٥٠ مترا فوق سطح البحر بين شلالات رائعة عديدة واشجار الجوز والبلوط ويحتوى هذا المصيف على فندق من الدرجة الاولى يتسع لمائة شخص وهو مؤثث تأثيثا جيدا ومكيف مركزيا ومطعم يتسع لـ ١٣٠ شخصا بالاضافة الى ملحقات سياحية منها محل لبيع المصنوعات الشعبية ، كما الحق بالفندق مجمع سياحي يحتوى على ٧٦ شقة سياحية ينتظر ان يتم تشغيلها في هذا العام بالاضافة الى ٣٠ « كرفانا » تستقبل المصطافين اما اسعار كل من هذه الدور فلا تتعدى أربعة دنانير لليوم الواحد وقد استغل مسئولو السياحة شلال سولاف فقاموا بتشييد كازينو سياحي يقدم للمصطافين المأكولات والاطعمة

مدرسة فندقية

ولما كانت الحاجة ماسة لايجاد الكوادر الفنية المؤهلة التي تتطلب خبرة عملية لادارة المرافق السياحية المنتشرة في شمال العراق ومع وجود هذه النهضة الكبيرة في المرافق السياحية كان من الطبيعي أن يفكر المسؤولون عن السياحة في ايجاد مدرسة فندقية تغطي المشاريع السياحية وأماكن الاصطياف

عن هذه المدرسة تكلم الاستاذ سامي نجم عبد الله المدير العام للمنشأة العامة لادارة المرافق السياحية قائلا . لقد كانت الحاجة ماسة لتوفير الكادر المؤهل لادارة المرافق السياحية المختلفة فقد شرعنا في وضع خطة لتهيئة الكادر المطلوب في ضوء المشاريع المنفذة او التي ستنفذ في المستقبل لذلك وضعت المؤسسة العامة للسياحة خططا قريبة المدى وأخرى بعيدة المدى ، اذ شرعنا بارسال بعثات تدريبية الى خارج البلاد الى كل من تونس والمغرب وايطاليا وسويسرا بلغ عددهم ٨٨ شخصا ، وهناك معهد بغداد للسياحة والفندقة يضم ما يقرب من الف طالب وطالبة موزعين على أربعة اقسام وهي قسم الخدمة وقسم المطبخ وقسم التدبير الفندقي وقسم الاستقبال ، والطلبة في هذا المعهد يتلقون دروسا تطبيقية وعملية اما الموقع الذى يدرسون فيه الآن فيقع في فندق القناة التابع للمؤسسة العامة للسياحة ، والدراسة في هذا المعهد تمتد ثلاث سنوات منها سنتان للدراسة النظرية ، اما السنة الثالثة فتكون الدراسة فيها عملية حيث يقوم الطلبة بتطبيق ما تعلموه ، في الاماكن التي يرشحون للعمل فيها مثل فنادق الدرجة الاولى او المرافق السياحية المنتشرة في شمالنا الحبيب ، فضلا عن ان النية تتجه حاليا لارسال الطلبة المتفوقين منهم لاستكمال دراستهم في الخارج ■■

صادق يلي

منطق !

● اعتقل أحد الجنود رجلا انجليزيا اعتاد ان يقوده السكر وعيه فيعربد في الطريق ولما وقف امام ضابط الشرطة سبه الضابط وقال له

ـ منذ عشرين سنة وانا اراك هنا كل يوم ، وهذا دليل على انك مدمن تستحق العقاب

فاجاب الرجل :

ـ بالعكس انه دليل انك محروم من الترفية .

قضايا حيوية

من الرياض :

لماذا لا ننضم للنادي الذري ؟

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

ليس من شك في أن معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، التي وقعها أربع وثمانون دولة والتي أنقضى على توقيعها نحو عشر سنوات ، قد فشلت في تحقيق أهدافها وفعاليتها ، وليس سرا أن كثيرا من الدول تعمل سرا أو جهرا في صناعة الأسلحة النووية وتتحلى صخامة هذا الفشل ، سحاح الهند في المشاركة في عضوية النادي النووي ، ونجاح تفجيرها النووي تحت الأرض فقد أثبتت الهند بذلك ، وهي الدولة النامية الفقيرة قدرتها على اللحاق بالدول الخمس الكبرى في هذا المجال ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، وانجلترا ، وفرنسا ، والصين وانما يكمن هذا الفشل في عدم الالتزام بوقف التجارب النووية ، ووقف الاستباق في تصنيع الأسلحة النووية بل أن الدولتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية ، وروسيا السوفيتية ، لم تلتزما بنصوص المعاهدة ومضتا في تجاربها النووية ، بل وتطوير أسلحتهما النووية فلسطر كيف تدهورت الأمور من سيء الى أسوأ ؟ وعلينا أن نقرر بادىء ذي بدء ، أن التفاعل النووي واحد ، سواء كان للسلم ام للحرب ، وانه ليس هناك فرق بين انفجار نووي لأغراض سلمية ، وآخر لأغراض حربية ، انه التفجير الذي يحدث ثقبا هائلا في الأرض ويجمع ركاما على هيئة بركان عند فوهته ، هو نفسه الذي يدمر مدينة بأكملها . فيجعل عاليها سافلها ، ويقضي على سكانها

وقد قدر حجم التفجير النووي الهندي بعشرين « كيلو طن » من مادة ت ن ت « انه نفس التفجير الذي دمر هيروشيما وناجازكي في سنة ١٩٤٥ ولم يكن من فرق بين التفجيرين الا العرض الظاهري أو المزعوم من التفجير ، فقد أعلن زعماء الهند أن الغرض من التفجير سلمي ليس الا ، وأنها لاتهدف الى تصنيع الأسلحة النووية مع أن تعديل هذا القرار أو اهداره مسألة شخصية داخلية بحتة ، لاتحتاج الى اعلان وذلك في غياب الشرعية الخلقية أو القانونية التي ينبغي الالتزام بها ، فتستطيع الهند استعمال تفجيراتها النووية لأغراض حربية وقتما تشاء وعلى ذلك ينبغي أن تعد الهند من الآن في عداد الدول ، التي تستطيع استعمال الأسلحة النووية متى أرادت وأنى أرادت

لقد أضاءت الهند الطريق ، أمام الدول الأخرى ، التي تسعى الى الهدف نفسه ، من تصنيع للأسلحة النووية من المضي في تجاربها النووية ، تحت ستار الأغراض السلمية

لقد أنقضى أكثر من خمسة وثلاثين عاما على القاء أول قنبلة نووية على اليابان في الحرب العالمية الثانية ، واذكر أن مجلة الهلال الغراء ، كانت قد سألتني في موضوع « نحن والقنبلة الذرية » في أعقاب ذلك ، وكانت اجابتي واضحة لا لبس فيها ولا ابهام « فلنصنعها ما استطعنا الى ذلك سبيلا » ، ولو قد فعلنا منذئذ لما تعذر علينا خلال هذه الحقبة الطويلة ، وما أظننا أقل علما أو مالا من الهند ، ولكنه العزم والتصميم والايمان بالهدف والآن فانه حتى الدول التي وقعت المعاهدة تفكر في التنصل من تعهداتها ، اذ أن ذلك لا يكلفها الا اعلانا قبل ثلاثة أشهر من التنفيذ ، يذكر فيه أنها تجرى تجارب تفجيرات نووية لأغراض سلمية ويلاحظ ان الدول النووية الخمس الكبرى ، قد أعلنت أنها انما تصنع الأسلحة النووية ، بقصد الدفاع لا

قضايا حيوية

وم وعلى ذلك فقد عدت « الاعراض السلمية »
ة المرور الى الأعراض الحربية والآن نشاهد فصلا
دا في قصة « نواة الدرة » مما على الدول التى تريد
صنع القنابل النووية ، الا أن تبدأ بالاعلان عن
ضها السلمية ، ثم تمضي في تصنيع القنابل النووية
لصواريخ ذات الرؤوس النووية

ويصر زعماء الهند على القول بانهم لم ينتهكوا
ا ، ولم يلغوا اتفاقا ، ولم ينقضوا معاهدة باجرائهم
ير « راجاستان » وهم على صواب ، فان اتفاق سنة
١٩ الذى وقعته الهند يحرم التجارب النووية في الجو ،
لفضاء الخارجي أو تحت الماء ، ولكنه لم يحرمها تحت
ض ، وانما كان التحريم بالنسبة للتفجيرات تحت
ضية ، تلك التي ينشأ عنها بقايا اشعاعية يمكن أن
ل خارج نطاق الاقليم وحدوده ، وقد أجرت الولايات
حدة الأمريكية وروسيا السوفيتية من التجارب ، ما
فضلات اشعاعيه خارج حدودها واعتبر ذلك مجرد
رات تكنولوجيةغير متعمدة ، ومع ذلك فان تجربة
لم تترك مثل هذه الآثار

ان معاهدة منع انتشار النووية ، هي الوثيقة
ولية الوحيدة التى تحرم التفجيرات النووية لأغراض
مية على الدول التى لاتملك أسلحة نووية ، كما تنص
ة الثانية من المعاهدة أما التفجيرات النووية
راض سلمية فتجريها الدول النووية لفائدة الدول
النووية وذلك نص المادة الخامسة ، وكما جاء في
مة المعاهدة المذكورة وعلى أية حال ، لم تكن الهند
عة على المعاهدة المذكورة وفي الحق أن الهند قد
نت رفضها لها واحتفاظها بحقها في اجراء تجارب
فجيرات النووية لأغراض سلمية وعلى ذلك فان الهند
كن أن تتهم بنقض حرفية المعاهدة ولا روحها ومن
ة أخرى فان الهند عضو نشيط مشارك في الهيئة الدولية
لطاقة الذرية « أيا » ومقرها فينا ـ فان النظام الأساسي
كالة الذى أقر في سنة ١٩٥٧ ، يحظر استعمال الطاقة
رية لأغراض حربية ولكنه يشجع اجراء التجارب
ووية لأغراض سلمية ، وفيما بين سنة ١٩٥٨ وسنة
١٩٦ عقدت عدة مؤتمرات ، كلها تدعو الى تأكيد
تعمالات الطاقة الذرية للأغراض السلمية

ولا مراء في ان انضمام الهند الى النادى النووى ، قد
خلق جوا من التوتر بين دول العالم الثالث ، وخاصة
باكستان ، وللصين معها علاقات ودية وثيقة كما ان
الهند مرتبطة بروسيا السوفيتية بعلاقات مماثلة ومن هنا
كان الأثر السياسى لهذا التفجير النووى في الهند ، أقوى
من أثره الحربى ولعله يشجع « تيوان » على اقتفاء اثر
الهند ، وتغدو نووية هي الأخرى ، مما يثير الصين في
ناحية أخرى ، وقد يجر دولا أخرى مثل كوريا الجنوبية ،
وأندونيسيا ، وايران واستراليا ، فمن يدرى لعلها جميعا
أن تعمل جاهدة على دخول النادى ومن جهة أخرى فان
ذلك يثير شكوك الدولتين العظميين اللتين تتبنيان
معاهدة حظر استعمال الأسلحة النووية وكذلك
الحال ـ في فرنسا وانجلترا ، مما يدل على أن هذه الدول
كل تعمل على السبق في هذا المجال تحت ستار
« الأغراض السلمية » ، وما تزال كل تجرى بحوثها
وتفجيراتها في الجو كما تجريها في البحر وتحت الأرض وقد
أعلنت الولايات المتحدة أن ما تقدم من « بلوتونيوم » ناتج
من الوقود النووى لاينبغى ان يستعمل في أى تفجير ،
ولمالم تحصل على ما تريده من ضمانات فانها أخرت
تسليم اليورانيوم المزود ليكون وقودا لمفاعل « طارابور »
الذى أقيم بمعاونة أمريكا فنيا وماليا ويبدو أن الهند
مستعدة لتقديم هذه الضمانات ، وأن الولايات المتحدة
ستوالى تقديم اليورانيوم للهند ولقد أصبحت باكستان
وأعلنت انها ستعمل على أن تكون دولة نووية ،
واقترحت على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، انشاء
منطقة محايدة في جنوب اسيا ، وهو اقتراح رفضته الهند
ابتداء

وهناك دول أخرى مثل كندا واليابان والسويد ،
لديها المقدرة الفنية والمالية على اجراء تجارب التفجيرات
النووية ، انها تقف موقف معارضا للهند ، وقد قطعت
كندا كل تعاون نووى مع الهند ، وقد شجبت تفجيرات
الهند سواء في الجمعية العامة للأمم المتحدة أو في
المؤتمرات الخاصة في جنيف ، وكذلك فعلت استراليا
وهولندا اما الدول النامية فقد رحبت بالهند (هذه
الدولة الفقيرة) عضوا في النادى النووى أما
يوغسلافيا فقد هنأت الهند وكذلك فعلت نيجيريا التى

اعلنت ان ـ تجارب الهند لم تكن مفاجأة لها ، وان الدول الخمس الكبرى لم تنجح في وقف التجارب والتفجيرات النووية وبالتالي لم تنجح في وقف التسابق في التسلح النووي ، كما ان الدول النامية لم تلمس بعد الفوائد المتوقعة من الأغراض السلمية ، ولعلها قد لمست فعلا فوائد ان تكون نووية كما فعلت الصين ثم الهند ، وانها لو بحثت في ان تكون نووية لأنطلقت هذا التهديد المستمر من الدول ـ النووية لقد حاولت الهند عبثا أن تحصل على ضمانات أمن ضد الاسلحة النووية ، ومن ثم سعت حثيثا لتلحق بالنادي ، وكان لها ما أرادت ولو قد بحثت في أن تحميها المظلة النووية من الدولتين العظميين لتراخت في تجاربها وتفجيراتها النووية ، ولما بحثت بهذه السرعة في الالتحاق بالنادي النووي

للأغراض السلمية

والان ، ماذا عسى ان تكون الاغراض السلمية للطاقة النووية ، لقد عقدت آمال عريضة لخير الانسانية منذ كشف الانشطار النووي ، فقد استهدف العلم الافادة من مفاعلات القوى ، ثم من استعمال النظائر المشعة في العلم والطب والزراعة والصناعة وقد بذ منذ حين استعمال التفجيرات النووية في حفر القنوات وانشاء الموانىء وما أشبه من مشروعات ، نظرا لما تخلفه من فضلات اشعاعية تنتشر في الجو وتسيء الى السكان ، ثم رؤى استعمال هذه التفجيرات تحت الأرض في تفتيت الصخور حاملة الزيت او الغاز لتيسر تدفق الزيت أو الغاز ، وكذلك لانشاء جرانات وانفاق لتجميع هذه الثروات واختزانها تحت الارض ، سواء كانت بترولية أو معدنية مثل خامات النحاس ، ومع ذلك فان تجارب الولايات المتحدة في هذا المجال لم تحقق نجاحا يذكر ، فقد تبين أنه لابد من مئات واحيانا آلاف من التفجيرات لتحقيق مثل هذه الأهداف ، مما يكلف كثيرا من النفقة والجهد ، فضلا عن أن الآثار الجانبية للنظائر والنفايات المشعة لم تنجح بعد في التوقي منها

ومن الغريب أن الخبراء الأمريكان أنفسهم قد أخذوا يفقدون الأمل في الأغراض السلمية للتفجيرات النووية تحت الأرض ، على حين أن نظراءهم الروس ، مازال يحدوهم الأمل في تحقيق هذه الاغراض السلمية ، بل انهم ليحدوهم الامل في تحويل مياه المحيط القطبي عبر قناة خاصة الى نهر الفولجا ثم الى بحر قزوين وان احتاج ذلك الى عدد من تفجيرات الانفاق يتراوح بين ٢٥٠ ، ٤٠٠ انفجار وقد نجحوا في اقامة سد ، وانشاء بحيرة ، والتحكم في خزانين للغاز ومع ذلك فلم يثبت بعد أن هذه المشروعات كانت تكون أقل تكلفة ، لو أنشئت بالوسائل العادية ومن هنا كان يأس الدول النامية من محاولة الاستفادة من الطاقة الذرية في الأغراض السلمية ، انما هي ستار يحجب الأغراض غير السلمية

وهناك اقتراح بالحد من التفجيرات النووية تحت الارض والا تزيد التجارب على ١٥٠ كيلو طن ، مما يساوي عشرة أضعاف قنبلة هيروشيما ولو أن ذلك يحد من استعمال الاسلحة النووية وأن ذلك يشعر الدول النامية ، بأنها خدعت بأمثال هذه القرارات والمعاهدات ولاسيما الغواصات النووية التي يتزايد عددها كل حين كما أن ما تحمل من صواريخ نووية يتزايد عددها

فضلا عن عدد الرؤوس النووية التي يحملها كل صاروخ ، وكذلك لم تحدد حجومها ، ـ والمعتقد أن الروسية أكبر حجما وأكثر عددا من الأمريكية ، وما تزال البحوث تجرى لزيادة العدد والحجم ودقة التصويب وطول المسافة التي يقطعها في كل من الدولتين وقد قيل ان كلا من الدولتين تملك ما يقل عن ٢٠,٠٠٠ من الرؤوس النووية في صواريخ عابرة القارات

وغير خاف أن هذه القوة التدميرية الهائلة التي تمتلكها كل من الدولتين العظميين كفيلة بتدمير مدن وسكان نصف الكرة الشمالي على الأقل ، وانها لكفيلة كذلك بتلويث جو الكرة الأرضية كله ، فكأنه انتحار جماعي لسكان الأرض جميعا

والآن يتزايد أعداد طلاب العضوية في النادي النووي من الدول المختلفة ، سواء منها من سبق أن وقعت معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، أو تلك

من الكويت :

تجربة المشروع العام في بلاد النفط

بقلم . الدكتور محمد غانم الرميحي

على الرغم من اختلاف النظم والاجتهادات والشعارات السياسية التي ترفعها أقطار عربية متعددة في وطننا العربي ، طارحة عبرها ومن خلالها حلولا مختلفة للمشاكل التي تواجه شعوبها والتي تتشابه نوعيا في معظمها ، وعلى الرغم من اختلاف التركيبة الاقتصادية ومصادر الدخل من قطر الى آخر وكذلك اختلاف حجم الثروات كما ونوعا

على الرغم من ذلك كله نلاحظ قاسما مشتركا بين هذه الاقطار في اطار تعاملها الفعلي مع مشاكلها الاقتصادية وطرق حلولها ، وتشترك أقطار الوطن العربي في هذا القاسم المشترك مع الكثير من أقطار العالم الذى أطلق عليه مجازا اسم « العالم النامي »

التي لم توقعها ، وشعار « الأغراض » يظلل الجميع ، ومن هذه الدول من تعلن رأيها في صراحة ، ومنها من تعمل في الخفاء ، دون جهر بالاعلان ، ومن أمثلة الاولى « باكستان » ومن أمثلة الثانية « اسرائيل » أما الأولى فقد أعلنت ذلك صراحة ، وخاصة بعد أن بحثت الهند جارتها « اللدود » في الالتحاق بالنادي ، وأما الثانية فتقول انها لن تكون الأولى في ادخال الأسلحة النووية في منطقة الشرق الأوسط ، ومع ذلك فقد نشرت بعض الصحف الأجنبية (مجلة تايم) أن لدى اسرائيل ثلاث عشرة قنبلة نووية ، مجربة وجاهزة للاسقاط .

وهناك دول أخرى عديدة تعمل جاهدة على رفع كفاءتها التكنولوجية في المفاعلات النووية لتلحق بالركب ، ان عاجلا أو آجلا ، ان في السر أو في العلن ، ومظلة الأغراض السلمية تظل الجميع مثل البرازيل وشيلي ، وجنوب أفريقيا ، وكوريا الجنوبية ، واندونيسيا ، وتيوان ، واستراليا والنرويج والسويد وايطاليا وبلجيكا والمانيا شطريها وتشكوسلوفاكيا ، وكندا والسويد والارجنتين واليابان وايران والبقية تأتي وعلى ذلك يمكن أن يقال انه اذا كان أعضاء النادى النووى ست دول هى الولايات المتحدة وروسيا ، وانجلترا وفرنسا والصين والهند ، فان عشرين دولة أخرى توشك أن تنضم الى النادى ، اذ لديها الامكانات العلمية والفنية ، لتشرع فورا في صناعة الأسلحة النووية .

ونلاحظ أن بعض هذه الدول غنى ومتقدم علميا وتقنيا ، وبعضها الآخر فقير ، لايجد ما يكفى قطانه من غذاء ، ومع ذلك فان شعار « الأمن قبل الغذاء » هو السائد في هذا العصر فما جدوى ثراء علمى وفنى ومالى ، لايحمى صاحبه من شراسة المعتدين

أفلا تستطيع دولنا العربية الممتدة من المحيط الى الخليج ، أن تخصص جانبا مما افاء الله على بعضها من ثروات لاجراء البحوث النووية ، واقامة المفاعلات النووية ، واجراء التجارب والتفجيرات النووية ، تحت سطح الأرض - كما تنص معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، وذلك كله تحت راية الأغراض السلمية

وهذا القاسم المشترك هو اعتماد هذه الاقطار على المشروع العام أى المشروع الممول والمسير كليا أو في معظمه من قبل الدول ومؤسساتها المختلفة

وقد يبدو لأول وهلة تضاد منطقي أو مدني بين اعتماد بعض الاقطار العربية على المشروع العام في سياساتها التنموية ، وخاصة تلك الاقطار التي تميل الى الأخذ بمبدأ سياسة (الاقتصاد الحر) العربية المنشأ

ولكن هذا التضاد يتضاءل عندما نأخذ طبيعة مصادر الثروة في هذه الأقطار بعين الاعتبار ، هذه المصادر التي تتكون في معظمها من أموال يحصل عليها من جراء تصدير مواد خام مملوكة للدولة

ووجود الأموال ومصادرها في يد الدولة يعني وجود امكانات التمويل للمشاريع التنموية الضخمة في يدها كذلك ان لم يقتصر هذا الوجود المالي في ظرف تاريخي معين على الدولة فقط

ولقد زاد اعتماد عدد من أقطار الوطن العربي على المشروع العام في خططها الاقتصادية وخاصة بعد الارتفاع الكبير في أسعار النفط سنة ١٩٧٣ حيث زادت امكانيات الاقطار النفطية بشكل خاص على تمويل المشاريع الكبرى وخاصة في مجال الانشاءات ومشروعات البنية التحتية والبتروكيماويات وغيرها

وكان لتوسع أقطار النفط في الاعتماد على المشروع العام في خططها الاقتصادية الطموحة نتائج تحوى في طياتها بعض السلبيات من حيث عدم تحقيق عدد من المشاريع الأهداف المرجوة منها ، مما طرح اسئلة كثيرة حول السبب أو الأسباب التي تعيق القيمين على هذه المشروعات وتمنعهم من تحقيق ما يرسم لمشروعاتهم من أهداف

دراسة هامة

وكمحاولة لايجاد اجوبة مقنعة على الاسئلة والتساؤلات المطروحة والمتعلقة بالسلبيات المرافقة لتأسيس المشاريع العامة وتسييرها ، ولوضع دراسة منهجية جدية حول هذا الموضوع ، فلقد عقدت لهذا العرض ندوة في ابو ظبي بدولة الامارات العربية المتحدة في الفترة ما بين ٢٦ ـ ٢٩ ديسمبر الماضي (١٩٧٩) ، جرى التحضير لها قبل ذلك التاريخ بحوالي السنة والنصف ودعى اليها مجموعة من الشخصيات المعنية بالمشاريع العامة في أقطار الجزيرة العربية كمدراء شركات ، ووزراء صناعة ، مهندسين ، محاسبين ، مخططين ، وكلاء وزارات ، مع بعض المختصين بالادارة وترشيدها

وقد اتبع في منهج المناقشات اسلوب طرح اسئلة استهلالية متعددة في كل جلسة عمل حول موضوع رئيسي يختص بمشكلات الادارة في المشروع العام ، حيث تجرى بعد ذلك مناقشات للاجابات المتعلقة بهذه المشكلات للبحث بعد ذلك عن حلول لها بناء على الخبرات السابقة

وقد جرى التمهيد والبحث في هذه المشكلات وحلولها من خلال ما قام به مدير مشروع الدراسة (د علي الكوارى قطر) الذي اجرى مجموعة من اللقاءات والمناقشات لواحد وخمسين (٥١) شخصية ادارية رئيسية في (٤١) مشروعا من المشاريع العامة الرئيسية والتي يتراوح رأس المال المستثمر فيها ما بين مائة مليون دولار وما يزيد على الالف مليون دولار (٨٣٪ من المشروعات المذكورة)

ويشغل عدد لا بأس به من هذه الشخصيات مناصب سياسية حساسة في بلادها

وقد شملت هذه اللقاءات والحوارات أسئلة تتعلق بطبيعة المشاريع احجامها ، وتطورها ، ادارتها ، سياساتها ، أهدفها ، نجاحها أو فشلها الخ

ولقد تمكن الدكتور الكوارى عبر لقاءاته التي فرعها في ورقة العمل التي قدمها للندوة من الحصول على نتائج مشيرة الى حد ما ، فيما يتعلق بالفكر الادارى والاقتصادى المسيطر على المشاريع العامة التي تناولتها الدراسة

وسنحاول طرح الأمور التي ستنتجها من هذه

قضايا حيوية

الدراسة وما دار حولها من نقاشات متدئين من القمة ، أي من الشخصية الأساسية صاحبة القرار في المشروع العام (المدير العام)

لقد أبرزت الدراسة فيما يتعلق بقمة الهرم الاداري للمشروع العام الأمور التالية -

٥٥٪ من المدراء العامين يتم تعيينهم من قبل السلطات العليا (فوق المستوى الوزاري) بينما يعتقد ٣٧٪ فقط من هؤلاء المدراء بوجوب هذا التعيين من قبل السلطات المشار اليها

٨٪ (ثمانية) فقط من المدراء العامين رغبوا ذاتيا في منصبهم الاداري

٥١٪ من المدراء العامين عرفوا بتعيينهم قبل أقل من شهر واحد من حدوثه

لا يوجد بين المدراء العامين للمشروعات - موضوع الدراسة - من عمل في منصب مشابه في مشروع خاص ، ولا يوجد بينهم سوى ١٦٪ ممن عملوا في مناصب مشابهة في مشاريع عامة ، غير مشابهة نوعيا للمشاريع التي يديرونها

مدير السلطات العليا

لو نظرنا الى هذه الصورة التي نأخذها من المعلومات السابقة لوجدنا - بالاضافة الى عنصر الاثارة فيها - بان ما سيرد ذكره لاحقا حول اسلوب ادارة المشاريع العامة في اقطار الجزيرة العربية التي خضعت للدراسة ، ماهو الا نتيجة بديهية لهذا الخلل الواضح في القمة الادارية

فالمدير العام الذي يعين من « السلطات العليا » في وظيفة « لايتشبث بها » وبشكل ارتجالي حيث لايعرف غالبا شيئا عن تعيينه قبل « شهر » من حدوث التعيين هذا المدير العام هو عنصر فاقد للاستقلالية في عملية اتخاذ القرار ، اي انه عنصر غير ديناميكي ، فحركته محدودة وامكانياته على اتخاذ القرار المناسب ضعيفة بحكم ضعف خبرته حيث لم يعمل في وظيفة مشابهة في مشاريع خاصة وكذلك لم يكتسب خبرة في مشاريع عامة مشابهة (فقط ١٦٪ من المديرين عملوا في مشاريع عامة غير مشابهة للمشاريع التي يديرونها كما ذكرنا)

ولذا فمن البديهي أن ينظر معظم المدراء الى أساليب التعيين المتبعة نظرة سلبية ٣٣٪ لايرون فيها حافزا ايجابيا لتطوير قدرات المدير (لاتأثير) و ٤١٪ يرون تأثير أسلوب التعيين المذكور بمنظار سلبي

وتنسحب نظرة المدراء العامين الى أساليب معاملتهم ، تعيينهم ، مراقبتهم ، على أساليب ممارستهم العملية حيث نجد ان ٩٦٪ منهم لايرون اية علاقة بين عمل مؤسساتهم التي يديرونها وتطوير العنصر البشري العامل فيها اجتماعيا ، وفي نفس الوقت يعترفون بأن اعاقة الانتاج في مؤسساتهم باتجاه نسبة ٤٤٪ عن نزعاتهم الشخصية او نزعات مدرائهم الذين لاسلطة لهم في تعيينهم الا نسبة ١٤٪ وهذه النسبة تنطبق كذلك على تعيين الاعضاء البارزين في الهيكل الاداري الذين يعينون بنسبة ٤٥٪ من قبل مجلس الادارة وما تبقى تعينهم جهات « اخرى » اي وزارة او سلطات عليا

ان ضعف المدير في الخبرة وضعف استقلاليته الادارية وضعف علاقاته من حيث فعالياتها في اتخاذ القرار يجعل عملية ايصال المعلومات من القاعدة الى القمة عملية صعبة وبطيئة واذا ما أضفنا الى ذلك حقيقة مؤلمة وهي ان هذه المعلومات المتعلقة بقدرة العنصر البشري في المؤسسة على اداء مهمته - سواء كان موقعه في القاعدة او في القمة - لا تخضع لتحليل ودراسة اطلاقا اكتملت الصورة السيئة بل المأساوية التي سنستنتجها عن هذه المؤسسات

ففي القمة نجد ان مجلس الادارة لايهتم بشكل جدي بقدرة الادارة للمشروع العام على تأدية وظيفتها

٣١٪ من المدراء يعتقدون بأن مجلس الادارة « مهتم بعض الشيء » بهذه المقدرة على الاداء و ٣١٪ يعتقدون بأن المجلس المذكور « غير مهتم » بهذا الموضوع

وبينما يجرى تدقيق مالي بنسبة ١٠٠٪ على ميزانية المشاريع العامة ، لايجرى أي تدقيق اطلاقا على مقدرة العاملين في المشروع العام على الأداء حسب اقوال ٩٤٪ من المدراء ، بل ان ٩٨٪ من هولاء المدراء يجرمون بأن أي

تطبيق على الاداء لم يجر في مؤسساتهم خلال الثلاث اعوام الماضية سوى ٢٪ (اثنان) « يعلمون » بوجود مثل ذلك التدقيق " والغريب في الامر ان هؤلاء المدراء غير راضين عن مستوى الاداء في مشروعاتهم برغم اعترافهم بعدم وجود معلومات تحليلية حول هذا الموضوع تساعد على اتخاذ قرار بهذا الشأن

٢٩٪ من المدراء غير راض عن الاداء
١٢٪ غير راض اطلاقا
٢٥٪ راض الى حد ما

لعل من السابق لأوانه الان وبالرغم من الانطباع الاولى المؤلم والذى تعطيه هذه المعلومات عن سير الامور في المشاريع العامة في اقطار الجزيرة العربية النفطية ـ لعل من السابق لأوانه اصدار رأى نهائي في مستقبل هذه المشاريع او طرح اسئلة تتعلق بالمسببات ، ولهذا فلعل من الافضل انتظار صدور معلومات اوفى حول نفس الموضوع ، والتى يتوقع صدورها قريبا في كتاب للدكتور على الكوارى مدير الندوة المذكورة وكاتب الدراسة التي اعتمد عليها هذا المقال ، وسيصدر كتابه تحت عنوان « تقييم كفاءة اداء المشروع العام في الاقطار المنتجة للنفط في الجزيرة العربية » ■■

من دمشق :

حول إعادة كتابة التاريخ

بقلم : الدكتور احسان حقي

قرأت في العدد ٢٥٦ من مجلة العربي الزاهرة كلمة مستفيضة للاستاذ احمد بهاء الدين يتحدث فيها عن اعادة كتابة التاريخ الاسلامي ومع انه قد وفى الموضوع حقه فاني ارى انه موضوع يحتمل الزيادة لأنه موضوع ذو شأن عظيم ولا تضر فيه كثرة الآراء لا سيما وان فكرة اعادة كتابة التاريخ الاسلامي احدث منذ زمن تداعب افكار علماء المسلمين وادبائهم وحيث انه كان لي رأي بالموضوع رأيت ان ادلى بدلوى على صفحات « العربي » التي عودتنا الاهتمام بكل ما هو نافع ومفيد واقول

لقد جاء في كلمة الاستاذ رئيس التحرير قوله « ان التاريخ ليس شيئا يكتب مرة واحدة بل هو مادة تكتب مئات المرات » وهي كلمة عالم بصير بالحقائق وذلك لأن التاريخ ليس مادة جامدة لها مقدمات ولها نتائج ثابتة لاتختلف من شخص لآخر ، او بمعنى آخر انها تقوم على حادث حدث وكاتب كتب ، بل هي مادة حية متحركة يدخل في تركيبها الحادث في حد ذاته ونظرة المؤرخ وعاطفته وميله وتحزبه الى ذلك الحادث ومثال ذلك ان حادثا يحدث امام شخصين او ثلاثة او اكثر فينقله كل واحد بشكل يختلف قليلا او كثيرا عن الشخص الآخر تبعا لهواه وعاطفته وميله الخ ، فكيف اذا كان يروى رواية او يحدث بخبر ؟ ومن هنا كان الاختلاف في سرد الحوادث التاريخية وتفسيرها ، فحادثة ما جريمة ومرتكبها مجرم في نظر بعض المؤرخين وهي ذاتها بطولة وفاعلها بطل مقدام في نظر الآخرين والشخص الفلاني بطل مغوار في نظر احدهم وهو عميل خائن في نظر الآخرين

وليس في هذا الاختلاف من عجب لأن المؤرخ ليس بآلة تصوير تلتقط الصورة كما وقعت بكل دقائقها ولا هو ملاك مبرأ من العيوب ومعصوم عن الخطأ بل هو انسان يخطيء ويصيب ويعصب ويرضى ويحب ويكره وله شعور واحساس وله رأي ولذا فانه ينقل الحادث ممزوجا

قضايا حيوية

بشعوره واحساسه ورأيه وهو في كثير من الاحيان مخلص فيما يفعل ولكن اخلاصه من وجهة نظره هو لا من وجهة نظر الحقيقة والواقع

واذا كان السابقون قد شوهوا التاريخ ، عمدا او جهلا ، الى حد ما فان تشويه التاريخ الذي يحدث تحت سمعنا وبصرنا اعظم وافظع لأننا شوهه عن علم وقصد لقد عاش ستالين شبه إله في قومه وكتب المنافقون والمخدوعون مئات الكتب في مدحه وتحدثت عنه الصحف ورفعته فوق البشر ولكنه ما كاد يلفظ انفاسه الاخيرة حتى رأينا الشتائم تكال له ، من بني قومه ، بالقناطير المقنطرة ورأينا الفئوس تنهال على تماثيله المقامة في كل البلاد الشيوعية ، فتحطمها ورأينا الكتاب يمثلونه شيطانا رجيما ومجرما محترفا حتى ابنته ، التي فرت من الاتحاد السوفيتي ملتجئة الى الولايات المتحدة الامريكية ، كتبت عنه كل مقذع ومثله كان امر ماوتسي تونج ، الذي بلغ من تقديس الصينيين له انه كان اذا مرض احدهم قرأوا له شيئا من كتب ماوتسي تونج لشفائه ، وعاش يتمتع بين اتباعه بمقام الآلهة ولكنه ما كاد يغمض عينيه حتى زالت عنه هالة القداسة المزعومة

غير ان الانصاف يقتضينا الا نتهم كل من كتب التاريخ بتعمده تزييف التاريخ ولكننا نستطيع ان نتهم بعضهم بذلك ، ونحن مطمئنون الى ما نقول ، كما اننا نستطيع ان نتهم آخرين بالسذاجة والنقل بلا روية ولا تمحيص ونتهم الجميع بغلبة العاطفة عليهم وهذا شيء طبيعي لا مفر منه ، ولولا هذه العاطفة لكانت آراء الناس واحدة

الذين يزورون التاريخ

قد يظن بعض الناس ان كتابة التاريخ لا تحتاج الى اكثر من حادث وكاتب ، ولكن الحقيقة غير ذلك لأن العين تخطيء والسمع يخطيء والذهن يشرد والعاطفة تميل الى ما تهوى وفي مثل هذه الحالة لا يكون التاريخ تاريخا بل رواية تحتمل الصدق والكذب ، وقد رأيت بعض الاخصائيين بالتاريخ يستهينون بكتابة التاريخ فمن ذلك ان شابا كان يعد اطروحة لشهادة دكتوراه دولة من الصوربون اطلع على ما كتبته عن الهند وباكس[تان] فقال لي اريد ان اكتب كتابا عن اندونيسيا على غر[ار] ما كتبت عن هذين البلدين فقلت له ، وقد كنت اعر[ف] موضوع اطروحته ، هل زرت اندونيسيا ؟ قال كلا قلت وهل اطلعت على جغرافيتها على وجه الدقة[؟] قال كلا قلت وهل تعرف اللغة الاندونيسية لتقرا[أ] كتب اهل البلاد عن بلادهم ؟ قال كلا قلت كي[ف] تجرؤعلى التفكير ، اذن ، بكتابة كتاب عن بلاد لا تعر[ف] عنها شيئا ؟ قال اقرأ ما كتبه غيري واكتب مثله بلغتي قلت دع عنك ما كتبه الناس للناس ولا تـ[...] عالة على التاريخ واظن انه لقي من غيري ما لقـ[ي] مني فلم يكتب شيئا عن اندونيسيا

والذين يزورون التاريخ ، عمدا او جهلا ، كثير[ون في] هذا العالم ومن ذلك انني كنت في باريس وكان [لي] صديق فيها صاحب مجلة كبيرة قال لي ذات يوم ار[يد] ان آخذ رأيك بمقال كتبته عن الشرق الادنى واحد [...] علي مقالا كتبه عن زيارته لمصر واجتماعه ببعض زعما[ئها] فما كاد يقرأ بضعة اسطر حتى شعرت بأن الرجل يخ[لط] خلطا فاحشا ، فقلت له متى ذهبت الى مصر واجتمـ[عت بـ]هؤلاء الاشخاص ؟ قال انني لم اذهب قط الى مصر [ولا] اعرف واحدا من هؤلاء الناس وانما هو ما قرأت و[ما] سمعت قلت انصحك اذن بعدم نشر هذا المقال [لأنه] كذبه ظاهر فقال انني لا اكتب لأمثالك بل اكتبه [لمن] لا يستطيع ان يفرق بين الصدق والكذب

قلت ولكن كل عربي يقرأ هذا المقال سيعرف كذبك [فيما] ذكرته عن الثياب والاثاث والعادات وغير ذلك فامتـ[ثل] الرجل لقولي ولم ينشر مقاله فلو كان هذا المقال [نشر] وأراد تلميذ يعد اطروحة للدكتوراه ان يستعين بما [جاء] فيه من معلومات فكيف تكون تلك الاطروحة ؟ و[اذا] كان صديقي هذا لم ينشر مقاله فان هناك عشرات لا [بل] ومئات من المقالات والكتب التي كتبت ونشرت وقر[أها] الناس وصدقوها وهي خيال ودجل

وبهذه المناسبة اذكر انني كنت سنة ١٩٣٨ في بار[يس] وقد عرضت بعض دور السينما فيلما عن الثورة السور[ية] لعام ١٩٢٥ والتي عرفت باسم (ثورة الدروز) فأحب[بت] ان ارى الفيلم لأستعيد في نفسي ذكريات هذه الثو[رة]

العظيمة فوجدت ان الفيلم لا يمت الى سوريا ولا الى الثورة السورية بشيء بل هو فيلم خيالي اخذت كل مناظره في ارض الجزائر ورأيت من كانوا يسمونهم (ثائرين دروز) هم في الواقع جنود جزائريون بلباسهم الجزائري فكتبت كتابا الى محافظ باريس الفت نظره الى هذا الفيلم وانصحه بعدم عرضه لأن مفعوله عكسي على فرنسا

وبالتالي ان اعادة كتابة التاريخ الاسلامي امر لازم ولكن يجب ان تتم كتابته على الطريقة التي كتبت بها الاحاديث النبوية اي الا تكتب حادثة الا بعد معرفة قائلها وتعديله وتجريحه ، ثم اني ارى الا يكتب التاريخ شخص واحد بل لابد لكتابة التاريخ من بضعة اشخاص ذوي اختصاصات متنوعة منهم المؤرخ والجغرافي والجندي العالم الاجتماعي وغيرهم بحسب الموضوع وادكر اني شاركت ندوة تلفزيونية عقدت حول كتابة التاريخ وكان رأيي ان التاريخ الصحيح يجب الا يكتبه شخص واحد فلم يحتمل بعضهم هذا الاقتراح وعده تحقيرا لشأن المؤرخين وكأنه معصوم عن الخطأ والدليل . اني ما زلت عند هذا الرأي وادعو اليه على صفحات هذه المجلة التي عودتنا ان تهتم بالامور العامة من غير تحيز او محاباة

الفريق هو الذي يكتب

لقد لعبت بتاريخنا ايد كثيرة وشوهته على هواها وما زالت هناك ايد تلعب وتشوه وتنسخ وتمسخ وتتصلل مستعينة بما لها من سلطة ونحن بأشد الحاجة الى اعادة كتابة التاريخ وقد فكرت دار النفائس البيروتية للطباعة والنشر ، منذ سنوات ، باعادة كتابة التاريخ الاسلامي من جديد وعرضت علي الفكرة فقلت لها ان التاريخ لايستطيع ان يكتبه واحد بل لابد من جماعة اذا كنا نريد تاريخا صحيحا الى حد ما ، اذ من يستطيع ان يقول الحقيقة فيما تم بين عثمان وعلي وبين معاوية وعلي وبين الحسين ويزيد ثم يسلم من الانتقاد ؟

فاذا قال قائل ان هؤلاء الرجال ليسوا هم التاريخ الاسلامي ويمكن تجاوزهم قلت نعم ، انهم ليسوا هم التاريخ الاسلامي كله ولكنهم هم نواة هذا التاريخ وما لم تحل هذه العقدة سيظل سنيا وشيعيا وخارجيا ويزيديا وسيظل التاريخ مشوها والمغالاة تزداد حدة وشدة

وطلبت الى سيدة فضلى تعد اطروحة للدكتوراه نسخة من مذكراتي لأنها لم تجدها في السوق ، فقلت لها اني لم اكتب مذكرات ولا افكر بذلك لأني انسان عادي وليس في حياتي ما يستحق ان يدون او يعرفه الناس . فقالت هذه السيدة كما قال لي غيرها من قبل ، انك قد عاصرت كل زعماء البلاد العربية وغير البلاد العربية وعاشرت اكثرهم وكانت لك صلات صداقة مع بعضهم وتعلم عنهم ما لا يعلمه غيرك فكتابتك عنهم تفيد الجيل الصاعد في معرفة الحقيقة بالمقارنة بين ما كتبوه هم عن انفسهم او كتبه غيرهم فقلت لهذه السيدة ان ما تقوليه هو حق ولكني ارى ان تظل هالة الاحترام تحلل هامات الراحلين ما دام ذلك لا يمس الا اشخاصهم وادكر بهذه المناسبة ان احدهم كتب منذ بضع سنوات كتابا يتهم فيه الشيخين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده بالعمالة للانكليز فسألني صديق لي رأيي بالامر فقلت له هب ان ما قيل صحيحا فماذا يفيد التشكيك بأمرهما الا هدم الثقة برجالنا وعاصينا ؟ الم يخدما الاسلام والمسلمين فما لنا وللطريقة التي سلكاها لبلوغ هذا الهدف اقول قولي هذا وانا احلهما عما نسب اليهما

وحاصل القول اننا بحاجة الى اعادة كتابة التاريخ على ان يكتبه بحرية تامة وتجرد ودقة وصبر وان يكتبه بضعة علماء من مختلف الطوائف لا يكتبه شخص واحد بل يكتبه بضعة اشخاص حتى اذا مال احدهم او حنف عن سواء السبيل سدده الآخرون ويجب ان يكون هؤلاء المؤرخون احرارا في تفكيرهم جريئين في اقوالهم غير ملتزمين بفريق او طائفة أو فكرة ، قادرين على ان يزيلوا هالة القداسة عن رؤوس بعض الناس وان ينزلوهم منزلة البشر الذين يصيبون ويخطئون وان يعيدوا الى بعض الناس اعتبارهم فاذا وجد من يقوم بهذا العمل على هذا الوجه كان لدينا تاريخ اسلامي صحيح ، والا فالاولى ان نترك التاريخ على ما هو عليه ولا نزيده تشويها فوق تشويه ■■

« ... لم أذق جمال التمثيل الصحيح الا حين شاهدت جورج أبيض يمثل قصة (اوديب ملـ[illegible]) وغيرها من التمثيليات »

طه حسين

بقلم . فؤاد دواره

اخيرا ، ها هودا موق خشبة المسرح العربي العتيدة ، التي تخرج من فوقها مئات من اعلام المسرح لم تبق امامه سوى خطوة واحدة ، يتحقق بعدها امله الاوحد ، الذي عانى من اجله الكثير

خطوة واحدة يخطوها موق هذه الخشبة العتيقة ، ومشهد واحد أجاد حفظه والتدرب عليه ، ويصبح اول طالب عربي يدرس فن التمثيل بكونسرفتوار باريس

ألا فلتتماسك ايها القلب المضطرب ، ولتهدئي من خفقانك ، ولتبارك السماء هذه الخطوة ، ليكتب لك الفوز بين جسمانة متسابق

ولكن لم كل هذه الظلمة المتكاثفة حتى لا تكاد تتبين موقع خطوك ، ولا ترى لجنة الامتحان القابعة هناك لا تدري اين ويمضي الوقت بطيئا متثاقلا قبل ان يقطع الصمت صوت حاد ينادي اسمه حاول ان يتبين صاحبه فلم يفلح جمع شتات نفسه وخطا الخطوة

ها هودا وسط الاضواء وبدأ يلقي دوره ، جملة ، وثانية ، وقبل ان يقول الثالثة قاطعه نفس الصوت الحاد

ـ كفى

لماذا ؟ هل نجح ؟ هل رسب ؟ هل ؟ هل ؟

ويعود الصوت الحاد ليضيف

ـ لا انكر ان لك مزايا واضحة هيئتك خطواتك تعبيراتك الواضحة كلها تلائم المأساة ، ولكن صوتك لا يصلح للمسرح ابدا نصيحتي اليك ان تجمع حقائبك وتعود من حيث اتيت ولا تفكر بعد ذلك في المسرح ابدا "

مسافر بلا متاع !

هكذا في لحظة واحدة انهارت كل القصور الشامخة التي ظل جورج ابيض الفتى يشيدها في خياله منذ كان صبيا صغيرا يتعلم بمدرسة « الفرير » ببيروت ، ويلهث كل فجر خلف ابيه وهو يصعد الجبل يستنشق هواء الشفق النقي ، ويتأمل جمال الطبيعة ثم ينشد بعض محفوظه من الشعر قبل ان يعود الى عمله بفندقه الصغير

لم يلبث الصبي ان استظهر محفوظ ابيه ، وبدأ يبارية في القائه والاب يستمع اليه طربا ويصحح له بسعيده

والتحق الصبي بمدرسة الحكمة الثانوية ببيروت ، وشغف بصفة خاصة بدروس اللغة العربية وادابها ، فقد اتاحت له زيادة محفوظه من الشعر والنثر واصبحت هوايته الاثيرة جمع رفاق الحي والخروج بهم الى الخلاء ، ليشدهم الشعر ، او يشركهم فيما يتذكره من العاب وتمثيل مرتجل

ويموت الاب ، ويجد الصبي في دراسته حتى ينال شهادة اتمام الدراسة الثانوية وهو في السادسة عشرة من عمره وفي حفل التخرج يضطلع ببطولة مسرحية باللغة الفرنسية وكان الممثل الفرنسي « جان فريج » بين الحضور ، فهنأه وشجعه على المضي في طريق التمثيل ، ونصحه بدراسة فن التمثيل في فرنسا

وقرر جورج ان ينفذ النصيحة ولكن كيف ؟ لا هو يدري ولا الايام تدري وهو لا يملك غير الموهبة والعزيمة ولم تعد بيروت تتسع لطموحاته ، فلم تقدم له سوى وظيفة عامل برق بمرتب هزيل واذا كانت فرنسا بعيدة ، فمصر اقرب ، وله فيها عم مستقر بالاسكندرية ، واهم من ذلك فيها حركة مسرحية بدأت تزدهر ، ودار للاوبرا ، وفرق مسرحية عديدة

واذا كانت صرامة امه تمنعه من مجرد مناقشة الامر ، فلا مفر من ان يضعها امام الامر الواقع وها هو ذا فوق باخرة متجهة الى الاسكندرية ، بلا حقيبة ، ولا تذكرة ، ولا نقود ويقدر ربان السفينة ظروفه ، ويعجب بالقائه لشعر « هوجو » و « لامرتين » فيستضيفه

ناظر محطة سيدي جابر

ويرحب العم باس اخيه ، ويصحبه الى متجره ليُعاونه في عمله ولكن جورج يحرص على الاستقلال بحياته ، فيتقدم بالعديد من طلبات التوظف ، حتى يفوز في النهاية ، وبعد امتحان شاق ، بوظيفة ناظر محطة سيدي جابر في مدخل الاسكندرية ، بمرتب معقول

ويقضي وقت فراغه في التمثيل بالفرنسية مع جمعية خريجي كلية « سان مارك » ، وبالعربية مع بعض

موظفي السكة الحديد وبعد ان ادى دور البطولة في مسرحية فرنسية ، تلقى تهنئة من قنصل فرنسا ، ختمها بقوله

ـ ان مكانك الحقيقي في كونسرفتوار باريس

فيعود الامل ليخفق في قلبه من جديد ، ويكتب لشقيقته في بيروت يرجوها ان تتوسل لوالدته لتعطيه نصيبه في ميراث ابيه ، ليتمكن من السفر الى باريس ، فلا يصله منها سوى اللعنات

وذات صباح من عام ١٨٩٩ يفاجأ جورج بوصول خديوي مصر عباس حلمي الى محطة سيدي جابر في قاطرة يقودها بنفسه وتنشأ علاقة استلطاف بين الشابين شجعت جورج على الكتابة للخديو بآماله ، فلما لم يتلق ردا عاد وكتب رسالة اخرى في تسعين صفحة عن قضية المسرح في مصر والوطن العربي وكيف ان المسرح المصري القديم سبق المسرح الاغريقي والهمه بالرغم من انكار الاوروبيين ولا مجيب

وفي سنة ١٩٠٤ يكتب جورج للخديو مرة ثالثة ، ويرفق رسالته هذه المرة بدعوة لحضور مسرحية « برج نل » التي سيمثلها على مسرح « زيزينيا » ، ويستجيب الخديو ويحضر الحفل وبينما جورج يتهيأ للفصل الرابع اذا بكبير الياوران في حجرة خلع الملابس يعلنه بموافقة الخديو على سفره الى باريس لدراسة التمثيل على نفقته

ولكن ويرن الصوت الحاد في اذنيه مرة اخرى

ـ صوتك لا يصلح للمسرح ابدا . نصيحتي اليك ان تجمع حقائبك ولا تفكر في المسرح بعد ذلك ابدا

ويمضي يجرجر قدميه في شوارع باريس ، والدموع تملأ مآقيه لم يشعر بالمطر الغزير المنهمر فوق راسه ومع أضواء الفجر الاولى كان قد استعاد صلابته ، وقرر ان يحاول من جديد

جمع عددا من زملائه الراسبين في امتحان القبول ، واتخذوا « غابة بولونيا » مقرا للقاءاتهم وبدأوا يراجعون ويتدربون ، ويفقدون انفسهم ويمرحون بين الحين والاخر .

منار التمثيل

ودار العام دورته ، وها هو ذا يقف مرة اخرى في دائرة الضوء امام لجنة القبول ، وعلى راسها مسيو « لي لوار »

يوسف وهبي

نفس الرجل الذي حطم آماله في العام الماضي فاذا به يقاطعه هذه المرة ايضا ولكن ليسأل باعجاب

ـ من صاحب هذا الصوت الذهبي الساحر ؟!

واثناء دراسته في الكونسرفتوار اعجب بمحاضرات الممثل الكبير « سيلفان » فقرر ان يستزيد من خبرته في دروس خاصة كان يعلم انها ستكلفه الكثير ، ولكن الفنان الكبير اعجب بمواهب جورج فضمه الى دروسه الخاصة دون اجر وحين انهى دراسته الحقه بفرقته ، واسند اليه العديد من الادوار الهامة ، بل سمح له بان يؤدي بعض ادواره كلما اصابته وعكة وطوف معه معظم مدن فرنسا والمغرب العربي

وكان باستطاعة جورج ان يبقى بفرنسا ، ويبلغ اقصى درجات النجاح الفني ولكنه لم يحتمل كل ما احتمل من اجل هذا الهدف فقد كان عليه واجب لا يحتمل التأجيل نحو مصر التي اتاحت له فرصة الدراسة على نفقة حاكمها ، ونحو المسرح في الوطن العربي كله الظمىء الى كل خبراته ومواهبه

وهكذا شهد ميناء الاسكندرية في ١٠ ابريل ١٩١٠ استقبالا حافلا لجورج ابيض على راس فرقة من الممثلين الفرنسيين المجيدين وبعد يومين بدأت عملها على مسرح دار الاوبرا الخديوية بمأساة « هوراس » لكورني ، ثم تتابعت عروضها وسط ترحيب كبار المسئولين والصحافة والجمهور باول مسرحي عربي درس فن التمثيل في الخارج ، ووصل الى تلك المكانة الرفيعة يقول محمد تيمور

● جورج أبيض

ولم يكن جورج ابيض يتوق لشيء اكثر من ذلك ، فحل فرقته الفرنسية ، وعهد بثلاث من روائع المسرح العالمي الى كبار ادباء العصر لترجمتها « اوديب ملكا » لسوفوكليس يترجمها فرح انطون ، و « عطيل » لشكسبير يترجمها الشاعر خليل مطران ، و « لويس الحادي عشر » لكازمير دى لا فيني يترجمها الياس فياض واعلن في الصحف عن حاجته الى ممثلين من المحترفين والهواة وكون فرقته العربية من افضل العناصر المحترفة بالاضافة الى عدد كبير من الهواة الموهوبين ، وبدأ تدريباته على المسرحيات الثلاث معا ، واستمر عاما وبعض العام ، بلغت تكاليف الفرقة حتى يوم الافتتاح اكثر من عشرة الاف جنيه ، وهو مبلغ ضخم بالقياس الى تلك المرحلة

ولم يشأ جورج ان يفتتح عمل فرقته بنص اجنبي ، فعهد الى الشاعر الكبير حافظ رمضان بتأليف مسرحية شعرية عن احداث لبنان وقتذاك ، وكان الايطاليون قد اعتدوا عليها ردا على مقاومة تركيا لغزوهم لليبيا ، فكانت « جريح بيروت » هي المسرحية التي افتتحت بها الفرقة في ١٩ مارس ١٩١٢ ، ثم تبعتها المسرحيات الثلاث المترجمة التي ظلت ـ على كثرة ما قدم من مسرحيات ـ اثيرة الى نفسه والى جمهوره اكثر من نصف قرن يقول فؤاد رشيد عن الموسم الاول للفرقة

« امتلأت الدار عن آخرها طوال الموسم ونجح جورج نجاحا كبيرا في ادواره الثلاثة ، حتى انه لم يصل في اي دور من الادوار التي مثلها بعد ذلك طول حياته الى الدرجة التي وصل اليها في تلك الروايات الثلاث . ورأى الجمهور والممثلون في جورج ممثلا يستطيع ان يخلق لكل دور الشخصية التي تناسبه ويمكننا ان نؤكد ان ذلك الموسم كان انجح المواسم اطلاقا في تاريخ التمثيل العربي »

المسرح قبل الجامعة

وتتابعت بعد ذلك مسيرة جورج ابيض الفنية بين صعود وهبوط مد وجزر صعود مع المثل الفنية الرفيعة حينا ، ومساحة مع التيار احيانا اخرى . حتى اذا امن الفرق عاد الى استئناف طريقه الفني الاصيل ، ولكن الى حين . مما لا يتسع المجال لتفصيله . حسبنا ان نحاول رصد ابرز آثاره على تطور المسرح العربي ، وهي كثيرة

قبل جورج ابيض كان المسرح العربي يتجاذبه

زكي طليمات

فتوح ساطي

« اصبحت العاصمة في هرج ومرج ، ترى الناس على القهاوي لا حديث لهم غير ابيض ، وتسمع الطالب يقول لصاحبه امام مدرسته (هل اشتريت الاشتراك الاول او الثاني ؟) وفي كل مكان ابيض تلمع لذكره الوجوه وتبرق الاسرة احل كان ابيض منار التمثيل في ذلك الوقت وبه استقلت الشبهة واستقرت المحنة »

« جريح بيروت »

في تلك الفترة كان الزعيم المصري سعد زغلول وزيرا للمعارف ، وكان يخوض معركة ضارية ضد سلطات الاحتلال البريطاني ومستشاريهم في الوزارة لتعريب مناهج الدراسة بالمدارس ، وكانت كلها تدرس باللغة الانجليزية وحضر مسرحيات ابيض الفرنسية واعجب بها وبه ، ودعاه الى زيارته في مكتبه حيث طلب منه ـ تمشيا مع سياسته في تعريب المناهج ـ ان ينشيء فرقة تمثيل عربية ، تسهم في تثقيف الجماهير ، وتكمل الجهود المبذولة في التعليم ، ووعده بتقديم كافة المساعدات التي يحتاجها

تياران رئيسيان تيار غنائي تطريبي بدأه السوري ابو خليل القباني ، وظل مسيطرا على المسرح في مصر اكثر من نصف قرن ، وخاصة بعد ان تربع على عرشه سلامة حجازي وتلاميذه ومقلدوه وتيار اخر فكاهي بدأ بالفصول المضحكة التي كانت تقدم عقب المسرحيات الغنائية ، وتطور فيما بعد الى المسرحيات الغنائية ، وتطور فيما بعد الى مسرحيات كاملة ، وبرز فيه نجيب الريحاني « شخصية كشكش بك » ، وعلى الكسار شخصية « بربرى مصر الوحيد »

وما اكثر ما امتزج التياران ، فاستعانت المسرحيات الفكاهية بالغناء والرقص واعتمدت المسرحية الغنائية على موضوعات فكاهية وممثلين مضحكين فجاء جورج ابيض ليمثل تيارا ثالثا جادا ، بتقديم المآسي العالمية المشهورة في ترجمات دقيقة ، واخراج مدروس ، واداء تمثيلي منضبط يقول د محمد يوسف نجم عن المرحلة السابقة على ظهور جورج ابيض

« الحقيقة اني وجدت بعد طول الدراسة والتمحيص ان هذه الفترة من تاريخ ادبنا « المسرحي » كانت فترة تخبط ، يظهر فيها الخطأ الكثير الى جانب الصواب القليل وكان التقليد هو الطابع الواضح لهذه الفترة ولكنه تقليد ضعيف لم يخرج بالممثلين الى رحاب الابداع والابتكار إلا حين عاد جورج ابيض من فرنسا ، واخذ في وضع اسس جديدة للمسرح العربي »

على ان جورج ابيض لم يكن مجرد ممثل موهوب دارس طور تقنيات الاداء التمثيلي ووسائل العرض المسرحي ، بل لعل اثره الاكبر يتمثل في تعريف جماهير المسرح بكلاسيات المسرح الاوربي وهذا ما يقرره توفيق الحكيم بوضوح

« من عجيب الامر ان يكون المسرح في بلادنا قبل الجامعة هو الذى عرفنا بروائع الادب اليوناني وكان صاحب الفضل في ذلك هو الممثل خالد الذكر جورج ابيض ثم اتسع فضله فشمل الادب الانجليزي بتمثيله (عطيل) لشكسبير ، واحاط بالمسرح الفرنسي فمثل (لويس الحادى عشر) ذلك التمثيل الذي ظلت تذكره الاجيال فاذا قلنا ان فضل جورج ابيض على الثقافة المسرحية الحقة قد سبق فضل الجامعة والجامعيين فانما نقرر حقيقة واقعة لا ينكرها احد وان تاريخنا المسرحي سيظل يذكر هذا الفضل ويدين لجورج ابيض بانه كان أول من أدخل حب المسرح الراقي في الشرق العربي لذاته بغير ظهير من الالحان . ووضع بذلك نهضتنا المسرحية على اساس سليم »

مؤلف ببنطلون قصير

وبالرغم من تقديم جورج ابيض للعديد من المسرحيات ـ الاجنبية المترجمة ، فقد كان حريصا على تشجيع المؤلفين المصريين وتقديم الجيد من مؤلفاتهم . فهو الذي قدم اول دراما مصرية وهي « مصر الجديدة ومصر القديمة » لفرح انطون ، واول ملهاة مصرية وهي « دخول الحمام مش زي خروجه » لابراهيم رمزي بالاضافة الى العديد من المسرحيات المؤلفة لعباس علام ، ومحمد الحداد وحسين رمزي وانطون يزبك ، واحمد شوقي ، ومحمد لطفي جمعة وغيرهم وهو يؤكد هذه الحقيقة بنفسه فيما نقلته عنه ابنته سعاد ابيض

« يعتقد الكثيرون من انصار المسرح والمهتمين بشئونه انني لست من انصار الرواية الاجنبية ولا من اعدائها ، بل انا من انصار الرواية التي تتوافر فيها الشروط الفنية للتمثيل المسرحي ويوم كانت لي فرقة باسمي كنت حريصا كل الحرص على تقديم روايات محلية واتاحة الفرصة للمؤلف المصرى الصميم ليعالج المشاكل الاجتماعية في بلادنا وقد كان لفرقتي هذه فضل كبير في خلق المؤلف المصرى واظهار عدد كبير من المؤلفين المصريين الذى غذوا النهضة المسرحية بروايات ناجحة »

ولعل مما يؤيد صدقه في كل ما ذهب اليه ما رواه الكاتب ابراهيم المصرى من انه ، وهو صبي صغير لا يزال يرتدي البنطلون القصير ، الف مسرحية اغريقية بتأثير اعجابه بجورج ابيض وحملها وذهب اليه في بيته ، فرحب به وجلس يقرأها ويصيف

« لم يستكثر علي ، ولم يسخر مني ، بل اقبل علي متلطفا ومشجعا ، وقال لي ان هذه الرواية تصلح للجمعيات وان فيها مع ذلك عبارات تدل ابلغ الدلالة على اني احذق الاسلوب المسرحي واني لو اجتهدت وثابرت ووضعت يوما رواية محبوكة حقا وطريفة فهو لن يتردد لحظة في اخراجها وتمثيل الدور الاول فيها ولكي يسري عني كتب لي اذنا بدخول مسرح الاوبرا في الغد بالمجان وامسك بي ، واني الا ان اتناول طعام الغداء معه »

فاذا كان هذا تصرفه مع صبي صغير يحاول التأليف ، فلك ان تتصور كيف كان يشجع كبار المؤلفين الناضجين ويرعاهم

جمعية انصار التمثيل

ولا يقل تأثير جورج ابيض في مجال التمثيل عنه في

عبد الوارث عسر

مجال التأليف ، فبالاضافة الى اسلوبه الجديد المنضبط يقول « لاندو »

« يرجع فضله الى قيامه بتربية زملائه وتلاميذه على اضاعة اصناف جديدة من القيم الفنية كالحاجة الى ترجمات دقيقة امينة للنصوص الاجنبية ، والى الاعداد الحاذق لكل مسرحية »

واذا قلنا تلاميذه ، فمعنى ذلك ان نذكر غالبية معاصريه ، فما من ممثل منهم الا وتأثر بجورج ابيض على نحو من الانحاء ، ومن بينهم نخبة من خيرة الشباب المثقفين هجروا ـ نتيجة افتتانهم به ـ اعمالهم الناجحة لينخرطوا في فرقته ، كالمحامي عبد الرحمن رشدى والاديب الشاعر فؤاد سليم والمهندس محمد عبد القدوس ، وطالب مدرسة المعلمين زكي طليمات ، ويوسف وهبي ، واحمد علام وفتوح نشاطي وعبد الوارث عسر وشريكة حياته دولت ابيض وعشرات غيرهم ممن كان لهم اكبر الاثر في تطور الحركة المسرحية بعد ذلك

وبفضل حرصه على الاسهام في انشاء معهد التمثيل والمشاركة بالتدريس فيه في مختلف مراحله وحتى اخر سنوات حياته ، امتدت استاذيته الى عدة اجيال من كبار ممثلينا المعاصرين

وعن طريق اخراجه للعديد من مسرحيات كليات الجامعات المصرية تضاعف عدد تلاميذه والمتأثرين بمدرسته في الاداء اتيح لي وانا في مرحلة الدراسة الثانوية ان اشهد بعض جلسات التدريب على مسرحية « اوديب ملكا » التي اخرجها جورج ابيض سنة ١٩٤٣ لكلية الاداب بجامعة الاسكندرية واضطلع ببطولتها

● جورج أبيض

محمود مرسي الطالب بقسم الفلسفة وقتذاك ، ولمست مدى الجهد الذي كان يبذله جورج ابيض في تدريب محمود وزملائه مما ترك اعمق الاثر في تكوين فناننا القدير وتوجيهه للاشتغال بالفن بعد ذلك والامثلة المشابهة كثيرة

ويتصل بهذا الجانب رعايته لفرق الهواة العديدة التي تكونت متأثرة بفنه ، وابرزها جمعية انصار التمثيل برئاسة الاديب الناقد محمد تيمور ، وقد ظل جورج ابيض مستشارا فنيا لها حتى اخريات ايامه

تجسيد لعروبة مسرحنا

وفي فرقة جورج ابيض الاولى ظهرت لاول مرة وظيفة المخرج بكل مسئولياتها التي نعرفها عليها اليوم وعهد بها الى العبقري البوهيمي عزيز عيد ، كما اهتم باعداد المناظر والملابس المناسبة لكل مسرحية بسخاء ودقة لم يعرفها المسرح العربي قبله وكون فرقة موسيقية كاملة برئاسة عبد الحميد علي ، ومجموعة من راقصات الاوبرا الاجنبيات ، وعهد الى الشيخ سلامة حجازي بتلحين اناشيد الجوقة في اوديب وغيرها من المقطوعات الغنائية ، فكانت اول الحان للشيخ سلامة تسجل بالنوتة الموسيقية وتنشدها جوقة من المنشدين المدربين مع فرقة موسيقية حديثة

ولم تقتصر جهود جورج ابيض على العاصمة وحدها بل توسع في التقليد الذي بدأته الفرق السابقة عليه فامتدت عروض فرقته الى معظم المدن المصرية ، وخرجت الى جولات عديدة في غالبية الاقطار العربية ، حيث كان يقابل بترحيب حار ويلتف حوله هواة المسرح وعشاقه ، وبصفة خاصة في تونس التي اقام بها عامين منذ سنة ١٩٢١ ، وانشأ اول معهد للتمثيل واول فرقة مسرحية منظمة درب ممثليها واخرج مسرحياتها بنفسه ، فاصبح بذلك تجسيدا حيا لعروبة مسرحنا ، فهو اللبناني الذي اختار مصر وطنا ثانيا له ومركزا لعمله ونشاطه ثم هو منشيء الحركة المسرحية في تونس وباعثها في الكثير من اقطار العروبة

بكل هذه الجهود وضع جورج ابيض اسمه بجدارة الى جوار رواد المسرح العربي من اللبنانيين والسوريين والمصريين ، واصبح يمثل مرحلة هامة وحاسمة في تاريخ تطوره ، رأينا ان نعرف بها في ذكرى مرور قرن على مولده في الخامس من شهر مايو الماضي ■■

فؤاد دواره

للهجرة الاسلامية الى استراليا قصة تنبض فصولها بالحياة المفعمة بالعزيمة والايمان وتحكي احداثها ما يبعثه الاسلام من قوة في قلوب الذين يثبتهم الله بالقول الثابت فينزل السكينة على قلوبهم ويهديهم بنور اليقين ، وهم يواجهون المستحيل ويقابلون المصير المجهول .

ومحاولة البحث والدراسة المبنية على الاستقصاء للهجرة الاسلامية الى استراليا محاولة يكتنفها كثير من الصعوبات ، فليس هناك من المصادر المكتوبة ما يمكن للباحث الرجوع اليها والاعتماد على ما فيها من معلومات . ولم يفكر احد من المسلمين الأولين الذين جاءوا الى استراليا ، أو من الاجيال المتعاقبة ، تأريخ دخولهم القارة الجديدة ـ كما فعل غيرهم ـ ومن ثم فلا أدعي حين اتعرض لهذه الدراسة اني وصلت فيها الى درجة الاحاطة الكاملة والاستقراء التام

وانما هي محاولة تكشف الطريق وتشد الاهتمام لتتبعها محاولات اخر ، تتعرف على الحياة الاسلامية في الطرف الآخر من العالم

والمصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث امور ثلاثة

اولها السجلات الرسمية الاسترالية

والثاني المشافهة والنقل من المسلمين المعمرين من ابناء الرواد المسلمين واحفادهم في الولايات المختلفة ، وهم منتشرون في طول البلاد وعرضها

والثالث التعرف بالمسلمين المعاصرين في استراليا والاشتراك الفعلي في انشطة حالياتهم ، والوقوف على مشكلاتهم ، ومحاولة جمعهم في اتحاد اسلامي عام يرعى مصالحهم ويرفع من شأنهم ، وذلك طوال عامين قضيتهما استاذا زائرا في جامعة ملبورن باستراليا

وتبدأ القصة قصة دخول الاسلام استراليا مع بداية الحياة الجديدة في تلك القارة بعد اكتشافها ، فقد دخلها المسلمون مع الافواج الاولى من المهاجرين الاوربيين الذين جاءوها ليكتشفوا مجاهلها ، ويعدوها لانشاء وطن في مستعمرة جديدة ، وعاصروا مراحل تطور القارة السادسة المجهولة وانسان العالم القديم يدب عليها فيستخرج خيراتها ويملأها بالحياة

القارة المعزولة

واستراليا ـ كما هو معروف ـ احدث قارات العالم اكتشافا ، او هي القارة الجديدة القديمة ، الجديدة بالنسبة لنا نحن سكان العالم القديم ، لانها لم تكتشف الا في القرن السابع عشر ولم تبدأ المدنية في عروها وتعميرها الا في القرن التاسع عشر ، ومع جدتها وحداثة معرفتنا بها فهي قديمة قدم الزمن الضارب في بطون الماضي السحيق وكانت تتصل بآسيا وامريكا الجنوبية ثم فصلتها الزلازل والبراكين وعوامل الانفصال الجغرافية من ملايين السنين وعزلها المحيط الهندي من ناحية والباسيفيك من ناحية اخرى ، فتوارت عن الانظار ودخلت في عالم النسيان

والقارة المعزولة المنسية لم يكن وجودها مجهولا تماما لدى جيرانها القدامى من جنس الملايو ، بل كانت معروفة لديهم معرفة مشوشة غير محددة [1] فقد حدثت زيارات متعددة على مر الزمان لساحل استراليا الشمالي

---

(١) طهرت في اساطيرهم وقصصهم الشعبية اشارات اليها ، وكنوا عنها بالبلاد المجهوله تارة والبلاد البعيده على الساحل الاخر تارة اخرى وتارة ثالثه بالبلاد التي تسكنها الحيات وتسحب حياتها قوارب الصيد ليحطفن الرحال ويتروحن هناك فلا يعودون

مر سكان اندونيسيا والملايو ، وهي زيارات تحدث حتى اليوم وسواء كانت هذه الزيارات لصيد السمك واللؤلؤ من الشاطىء الشمالى لـ... ، وهو عمي بها ، ام اضطرارية حين تدفع الريح والانواء القوارب فتصل حتى تصل اليه ، فقد وجد العلماء اثارا ومخلفات لزيارات قصيرة احسية عن البلاد ، اثبت البحث العلمي انها مخلفات تنسب الى جنس الملايو والشعب « الابوريجينير » وهو الشعب الاصلى لاستراليا ، الذي وجد بعض افراده مختلطين بدم جيرانهم الاسيويين

وكأن الشاطىء الشمالى للقارة وهو الصحراوي القاحل الخالي من المياه والزرع والحياة وقف سدا منيعا ليصد عنها غزو جيرانها من اهل سومطرا وجاوه وماليزيا ، فلم يكن عنوانا جذابا يغري بالهجرة اليها من تلك البلاد المجاورة التي كانت تفيض بالخير والنعمة ، واعتقدوا ان القارة كلها على هذه الوتيرة من الجفاف والقحط ، فتحموها ، واطلقوا عليها اسم « الارض المجهولة » وساد الاعتقاد في الزمن القديم بينهم انها وجدت لتقوم بمهمة التوازن بين نصف العالم الشمالي المليء بالسكان ، ونصفه الجنوبي بسكانه القليلين

وكان الهولنديون اول من اكتشفها من الاوروبيين عام ١٦٠٦ ، واطلقوا عليها اسم « هولندا الجديدة » ولكنهم كانوا في شغل عنها بمستعمراتهم الواسعة الثراء في اسيا كأندونيسيا وجزر الهند فأهملوها ، وظلت مهملة حتى عام ١٧٧٠ حين وفد اليها « جيمس كوك » الانجليزي وطاف حولها ، وعرف بعض شواطئها الاخرى واكتشف صلاحيتها للزراعة والحياة فاعلنها مستعمرة بريطانية ، وفي عام ١٧٨٨ اتخذتها بريطانيا منفى للمجرمين من بلادها وظلت كذلك حتى عام ١٨٤٠ فأزالت عنها هذه الوصمة واعلنتها مستعمرة للاحرار ، وفتحت ابواب الهجرة اليها لمن شاء من مواطنيها ، وبدأت القارة تأخذ نصيبها من الحياة الحرة الكريمة

٣ عصور للاسلام

ولم تمض سنة واحدة على اعلانها مهجرا للاحرار - اي في عام ١٨٤١ - حتى بدأت الهجرة الاسلامية اليها ، واخذ المسلمون يتقدمون الى استراليا فرادى اولا ، ثم وفدوا اليها بعد ذلك جماعات ولو نظرنا في تاريخ الهجرة الاسلامية الى استراليا منذ بدأ عام ١٨٤١ حتى الآن ، وقد قارب أن يصل عمره قرنا ونصف قرن لأمكن تقسيمه الى عصور ثلاثة

العصر الاول عصر الرواد فبعد ان سمحت بريطانيا عام ١٨٤٠ بالهجرة للمدنيين العاديين الى استراليا ، وفد اليها طلاب الثروة ، والباحثون عن المغامرات ، وهاجر اليها الوان شتى من العلماء والمكتشفين ، والمنفيين والافاقين ، ثم الهاربين من الاضطهاد الديني كالكاثوليك ، ومن الاضطهاد السياسي كالاسكتلنديين والايرلنديين

وسكن القادمون الجدد ومن عفي عنهم من المسجونين المنفيين ، سواحل القارة الشرقية والجنوبية والغربية ، وذلك لوفرة المياه فيها وصلاحية ارضها للزراعة ، وسهولة المواصلات بينها من ناحية ، وبينها وبين الوطن الام انجلترا من ناحية اخرى بطريق البحر ثم اخذت انظارهم تتجه الى قلب القارة الغني بأرضه وثرواته ولكن السبل وقفت بهم دون التوغل داخلها ، وعاقتهم مشكلة المواصلات عن اقتحام مجاهلها ، ولم يستطيعوا اختراق المساحات الشاسعة من الغابات التي تغطي السهول والجبال ، وعجزوا عن عبور الآفاق المترامية من الصحراء في شمال القارة وغربها

ولم يستسلم سكان استراليا الجدد لليأس وهداهم التفكير الى الاستعانة بسفن الصحراء ، قوافل الجمال ، فكانت الحل العملي للمشكلة ، والوسيلة الموفقة لاكتشاف المجاهل الداخلية للقارة في وقت لم تكن المواصلات الآلية قد اكتشفها الانسان في قائمة مخترعاته بعد واستقدموا قوافل الجمال من سهول الهند وجبال افغانستان ، وكان الجمالون الذين وقع عليهم الاختيار ليقودوا القوافل مسلمين ، وقد خبرهم الانجليز في الهند وافغانستان فوجدوهم اصحاب سمعة طيبة سواء من الناحية الخلقية ، او في اداء العمل الذي يوكل اليهم

نقلت هذه القوافل الحملات الاستكشافية والمواد التجارية وحملت المعدات والاجهزة والمكتشفين واقتحمت الجبال القارة المستعصية على الاوروبيين ، ووصلت بين اطرافها ، واكتشفت اماكن جديدة ، وشقت طرقا في مجاهل استراليا وادغالها وصحاريها ، ثم سعت بالقوت والتجارة للذين وجدوا مستقبلهم في قلب القارة يكتشفون ثرواتها وخيراتها ، ومع هذه القوافل دخل الاسلام استراليا ، دخلها مع قواد القوافل وحراسها وكان منظرا مألوفا للاستراليين - الذي ينتظرون هذه القوافل بصبر نافد ، يهرعون لاستقبالها فهي تحمل لهم البريد والطعام والصحف وحاجياتهم ومطالب الحياة - ، ان يروا القوافل من المسلمين وقد ادوا للصلاة واقاموا

شعيرة الله ، ومن ثم اطلق الاوروبيون لقب « شيخ » عليهم ليسبق اسماءهم الاسلامية

وحملت القوافل الدين الاسلامي معها في حلها وترحالها ، حملته الى كل بلد سافرت اليه ، والى كل طريق سارت فيه ، من « اديليد » جنوبا الى « داروين » شمالا ، ومن « بيرث » غربا الى « سيدني » شرقا ومن « برمريس » في اعلا القارة الى « ملبورن » في ادناها ، وقرىء القرآن في « اليس سبريج » وصحراء فيكتوريا قبل ان تقرأ التراتيل المسيحية ، وارتفع صوت المؤذن بالدعوة والتكبير حى على الصلاة في مجاهل « كوينزلاند » والصحراء العربية قبل ان يدق الناقوس فوق الكنائس هناك

ولم يمض وقت طويل حتى كانت قوافل الجمال تمثل جزءا هاما من الحياة في القارة المكتشفة ، فقد اشتركت في حملات البحث عن الذهب ، وفي التنقيب عن المعادن ، وكان لها الجهد الكبير في انشاء المزارع ومراعي الابقار والاغنام داخل القارة ، فحملت اليها المعدات والآلات ومواد البناء ونقلت المصانع الخفيفة لتصنيع المنتجات الزراعية والحيوانية فيها ، واصبحت كالشرايين تحمل الحياة ، بين انحاء القارة واطرافها

رواد مسلمون

وعلى الخريطة التاريخية والجغرافية لاستراليا ترك هؤلاء الرواد من المسلمين آثارا واسماء تخلد ذكراهم ، وترمز الى ما أسهموا به من جهود في اكتشافها واعدادها للحياة ، فهناك اماكن ما زالت تحمل اسماء اسلامية اطلقها هؤلاء الرواد من المسلمين عليها حين اكتشفوها ومنها تل بيجا وحليفر ، وقنطرة ، وكيب حافا ، ويطلق على خط السكك الحديدية الذي يصل بين « اديليد » و « اليس سبريج » اسم « غان » وهو اختصار لكلمة « افغان » تخليدا للقافلة الافغانية القديمة التي اكتشفت الطريق ، وظلت تقطعه بجمالها تحمل الحياة والطعام للذين يسكنون داخل القارة حتى اكتشفت المواصلات الآلية وانشىء طريق السكة الحديدية

ويسجل تاريخ استراليا لقواد هذه القوافل من المسلمين اسهامهم الحقيقي في اكتشاف القارة وفضلهم على كثير من المكتشفين الاوروبيين الذين دينوا لهم بحياتهم وقد انقذوهم من موت محقق ، حين ضلوا في متاهات الصحراء ، او في قلب الادغال المترامية الاطراف ، وحين لم تغن عنهم شيئا ، وسائل الارشاد الحديثة لمعرفة الاتجاهات ، قادهم الجمالون عندئذ بحاستهم الفطرية وبهدى ايمانهم وثقتهم بالله ، الى الامل بعد اليأس والى السلامة بعد الخطر المحقق

ومن الاعلام المسلمين الذين حفروا اسماءهم على صفحات التاريخ الاسترالي « بيجاه درويش » وكان رئيس الجمالين في حملة كالفيرت « Calvert » الاستكشافية المشهورة وكانت تحت قيادة المستكشف « ويلز » Wells وكتب « ويلز » في مذكراته يقول « لقد اظهر شيخ بيجاه قوة فائقة على الاحتمال وانا ادين له بحياتي ، فقد انقذني ومن بقي معي من رجال الحملة من الموت واذكر عندما وصلت حملة الرحلة الى اسوأ مراحلها ، بعد ان عمي علينا الطريق ، وبعد ان أمضت الجمال سبعة وعشرين يوما من غير ماء اخترته ، والالم يعتصر قلبي ، ان الجمال سوف تضطر الى الصوم عن الطعام كذلك ، لننقذ بغذائها الآدميين ، فلم تتغير ملامحه بل رأيت الهدوء والسكينة على وجهه ثم ادهشني بقوله وانا معها سوف اصوم !!

وذهب اثنان من اعضاء الحملة للبحث عن بئر في طريق حذرهما منه شيخ بيجاه ، لكنهما مضيا ولم يستمعا لنصحه ، وبعد خمسة ايام تبعهما « بيجاه » ، ثم عاد والاسى على وجهه ينطق بنهايتهما ، ووضع امامي بعض حاجياتهما ، وانصرف ليخفي دمعة ترقرقت في عينيه الجامدتين !!

ومضى « ويلز » في مذكراته يقول « واشترك « شيخ بيجاه » معي في قيادة الحملة فسار بنا في درب ما كان يخطر ببال احد انه طريق مأمون ، ولم نلبث الا اياما قليلة حتى لاحت لنا مدينة « اديليد » في الافق البعيد ووقفت ومن بقي معي امام « شيخ بيجاه » وقوف الخاشعين لمن وهبهم الحياة »

ويتابع « ويلز » بقية القصة فيقول « ولم نشأ ان ندخل المدينة على صورتنا المتهالكة فناديت بحط الرحال وبعثت من يأتينا بطعام وشراب ويخبر الناس بحالتنا وبالدور الذي قام به « شيخ بيجاه » في هذا السبيل وقضيت الليل افكر في المصير الذي كان ينتظرنا ، فيما انقذنا ، اهو اله بيجاه وصلواته المخلصة للكعبة

هي حاسته الفطرية لمسالك الارض وشعابها ؟ و ... بحاه » على تساؤلاتي بقوله انه ربي اسلمت له ... فهداني الى الطريق ومن يسلم وجهه اليه ... يهديه سواء السبيل وفي الصباح استقبلته « اد لمد » استقبال الابطال ، واقام له نائب الملكة الحاكم العام لجنوب استراليا مأدبة ملكية احتفاء وتكريما ، ومنحه وساما رفيعا اعترافا بفضله »

وتاريخ الحملات الاستكشافية في استراليا مليء بامثال « شيخ بيحاه » من المسلمين الذين قاموا بادوار عظيمة في هذا المجال

من الهند وافغانستان

وادرك الاستراليون المستوطنون ضرورة هذه القوافل لحاجياتهم الجديدة ، بعد ان اصبحت كخيط النور الذي يربط الذين يعيشون في قلب ادغالها البعيدة المظلمة والعالم والمدينة على سواحلها ادركوا ذلك فاغروا قواد القوافل باستقدام اسرهم واقربائهم من الهند وافغانستان ليستقروا معهم ليشاركوهم الحياة الرغدة والرزق الموفور في الوطن الجديد وكانت اسر هؤلاء الرواد وعائلاتهم الطلائع الاولى للحياة الاسلامية المستقرة ، ونواة الجالية الاسلامية في استراليا

وفي الهند وافغانستان سمع اقرباء هؤلاء الجمالين ومواطنوهم بالنجاح الذي احرزوه ، وبالغنى الذي اكتسبوه وبالرخاء واليسر الذي يعيشون فيه وبفرص الحياة الموفورة في القارة الجديدة فشدوا الرحال اليها فرادى واسرا وجماعات وارتفع الخط البياني لتعداد المسلمين بهذه المهاجرات . فبعد ان كان تعدادهم عام ١٨٤٤ سبعة وخمسين مسلما فقط وصل عددهم عام ١٨٦١ الى ٦٦١ مسلما ، ثم بلغ عام ١٨٨١ خمسة الاف وثلاثة من المسلمين ، ثم ستة آلاف واحد عشر عام ١٩٠١

وكان من الطبيعي ان يقيم رحال القوافل اول امرهم حول الآبار ومصادر المياه ، ولكنهم بعد ان استقرت بهم الحياة ، وفاضت عليهم القارة بخيراتها اتخذوا « اديليد » في جنوب القارة اول موطن اسلامي في استراليا و« اديليد » في ذلك الوقت لا تزيد على بضعة منازل وعدة اكواخ خشبية

ومن الرواد الاوائل الذين اسهموا بنصيب كبير في استقرار الحياة للجالية الاسلامية في استراليا « محمد غلوم » ، وكان قد جمع ثروة كبيرة من العمل في قوافل الجمال والتجارة ، لكنه انفقها على المسلمين ، فكان يتعهد القادمين منهم ويغدق عليهم حتى يجد لهم عملا يتكسبون منه وامتدت يده الطولى بالخير الاسلامي الى انجلترا فأنفق على المجلة الاسلامية التي تصدر في مدينة ووكنج « Woking » واعاد طبعها في استراليا ليقرأها من فيها من المسلمين

وازداد تعداد الجالية الاسلامية في « إديليد » وبدأت فرص العمل تقل امامهم فانتشروا في بقية ولايات القارة ، واتخذوا اعمالا اخرى غير قيادة الجمال ، فاشتغلوا بالتجارة والزراعة والعمل في المناجم ، وفي البحث عن الذهب ، ووضعوا بذلك لبنات الاستقرار الاولى للجاليات الاسلامية في غرب استراليا ، وفكتوريا ، وكوينزلاند ، ونيو ساوث ويلز ، وتارمانيا ، لكن المدد البشري لهذه الجاليات تجمد من مصادره الرئيسية عام ١٩٠٢ وذلك بصدور قانون يمنع دخول الاسيويين والملونين استراليا ، وقد صدر هذا القانون عقب مطالبات جماهيرية من المستوطنين الاوروبيين الذين داخلهم الخوف من الطوفان البشري الاسيوي الذي لا يفصله عنهم سوى شريط ضيق من مياه المحيط ، وكان شعارهم الذي نادوا به وجعلوه مطلبا « فلتبق استراليا بيضاء Keep Australia White »

توقف تيار الهجرة الاسلامية من الهند وافغانستان بعد صدور القانون الذي عرف باسم « استراليا البيضاء The White Australia » ، وانقطعت الصلة بين المسلمين في استراليا وبلادهم ودفع الحنين الى الوطن الكثيرين منهم الى العودة لديارهم ، واخذ عدد المسلمين يتناقص ، فنزل من ٦٠١١ عام ١٩٠١ الى ٢٠٢٠ مسلما عام ١٩١١ ، وبدأت فترة الضعف والركود والاضمحلال في الجاليات الاسلامية

ولم يكن النقص العددي هو اهم اسباب ذلك الضعف ، بل النقص في الثقافة الاسلامية كان اهم هذه الاسباب ذلك ان تيار المعرفة والثقافة الاسلامية الذي كان يفد اليهم متواصلا مع القادمين من بلادهم قد توقف بذلك القانون وتجمدت ثقافة المسلمين الاستراليين الدينية ، ثم اخذت معارفهم بأمور دينهم تتناقص ، وبمرور الزمن تأثرت معنوياتهم بالحياة الاوروبية الجديدة ثم جرفتهم متاهات المدينة بمدارسها وحياتها الاجتماعية

ولم تقف معرفة الاباء والاجداد بالمعلومات القليلة عن الاسلام امام الدعايات المسيحية المنظمة ، وتزوجت الحفيدات المسلمات وتزوج الاحفاد بالمسيحيات ، ثم كانت ثالثة الاثافي حين تمكن الضعف من بعضهم فتخلى

عن الدين كله " ومن صمد لم يبق من اسلامه غير الاسم والرسم ، ومن قبض على دينه منهم كان كالقابض على الجمر "

المرحلة الثانية

وفي عام ١٩٢٤ بدأت مرحلة جديدة من الهجرة الاسلامية الى استراليا تلك هي المرحلة الثانية فقد سمحت استراليا لعدد من الاوربيين الذين شردتهم الحرب العالمية الاولى بالهجرة اليها فجاء مع من جاء عدد محدود من المسلمين الاوربيين وكان اكثرهم من البانيا ، واشتغلوا بفلاحة الارض وادخلوا لاول مرة زراعة الطباق في استراليا ، كما سمحت في هذه الفترة لعدد قليل من الروس المسلمين الذي فروا بدينهم من الثورة الشيوعية ، كذلك جاءها عدد من المسلمين الالمان

ولم يكن القادمون من المسلمين في المرحلة الثانية احسن حالا في ثقافتهم الاسلامية من المستوطنين المسلمين في استراليا ، فقد كانت معرفتهم بالدين وتعاليمه محدودة ، ومصادر الثقافة الاسلامية لديهم شبه معدمة لكن تيار المسيحية لم يؤثر على احد منهم كما حدث مع سابقيهم في استراليا ، وظلوا متمسكين بالدين الاسلامي وان كانت علاقتهم به مع مرور الزمن اصبحت شبه صورية تتمثل في اقامة الشعائر دون فهم لمعانيها واهدافها ، ودون ادراك لحقائق الاسلام وتعاليمه ويمكن اعتبار هذه المرحلة امتدادا لفترة الركود والاضمحلال التي بدأت عام ١٩٠٢ بصدور ذلك القانون الذي اوقف المد الاسلامي من البشر ومصادر المعرفة والنور

دم جديد

وامست الحياة الاسلامية في استراليا في فترة ما بين الحربين العالميتين تعيش في ظلمة من الجهل قاتمة ، وباتت تنتظر واحدة من نهايتين

فجر جديد يضفي عليها النور ويوقظها من مرقدها ويبعث فيها الحياة ، او رقدة ابدية تنتهي بها الى الزوال والفناء ، وابى الله الا ان يتم نوره ، فجاءت استراليا اشعاعات جديدة تمتلىء بالحياة والثقافة والقوة مع امواج الهجرة الثالثة الاسلامية وهي الهجرة المعاصرة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ، وما زالت مستمرة

والمسلمون الوافدون الى استراليا في المرحلة الثالثة لم يفرضوا انفسهم عليها ولم يأتوا الى الوطن الجديد مشردين او فارين من بلادهم ، بل دعوا الى الهجرة بشتى المغريات مع من دعي ليهاجر الى القارة الخالية تنفيذا للمخطط الاسترالي الجديد ، ذلك ان استراليا ادركت قبيل الحرب العالمية الثانية واثناءها ان سياسة وقف الهجرة اليها حتى تظل الى الابد محتفظة بحياة الرغد والغنى والمستوى المرتفع لسكانها القليلين سياسة غير سليمة ، فقد تحققت من ان المطامع الاسيوية ممثلة في اليابان قبل هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، وفي الصين واندونيسيا وبلاد الشرق الاقصى بعد الحرب تتجه اليها وكانت سياسة العزلة من ناحية اخرى تشكل خطرا عالميا عليها ، فالقارة لم تستغل ثرواتها وسكانها قبل الحرب لا يزيدون على ٦ ملايين مستوطنا مع انها تكفي لتسعين مليونا يعيشون عليها في مستوى لا يقل عن مستوى الذين يعيشون في الولايات المتحدة الامريكية ، وتواجهها على الضفة الاخرى من المحيط وعلى عشرات من الاميال اسيا التي تغص بمئات الملايين من البشر الذين يقتلهم الجوع وتفرصهم الفاقة وتطحنهم قلة الموارد الطبيعية مع كثرة السكان والحل الطبيعي امام الضمير العالمي الذي لا بد وان يفيق يوما ، هو ملء الفراغ السكاني الذي تعاني منه استراليا بالفائض البشري والزيادة السكانية التي تشكو منها اسيا

وقد دفع ذلك استراليا الى فتح باب الهجرة على مصراعيه للرجل الابيض ومن يلحق بالرجل الابيض كسكان الشرق الاوسط بمختلف جنسياتهم ودعتهم الى الهجرة اليها واغرت المهاجرين بحياة افضل ، ومستقبل اكثر ضمانا ، ومستوى اعلا للحياة ، وطلبت الايدي العاملة من اوروبا وبلاد الشرق الاوسط لتعمر القارة الغنية الخالية من السكان ، ولتستغل مصادر الثروات الضخمة فيها ولتواجه السياسة الجديدة في التوسع بالتطوير والاسكان ، ولتذر الرماد في عيون الضمير العالمي بدعواها انها تساعد اوروبا والشرق الاوسط على حل مشكلة ازدحامها بالسكان

جاء الى استراليا بعد الحرب العالمية الثانية

المه البيض من كل صوب وحدب ، ودخلتها الـ ،ينة ومختلفة ، ولم يكن يسأل المهاجر عن شيء من او دينه او هدفه والسؤال الذي يوجه اليه هو عن مذهبه السياسي ، فان كان شيوعيا منـع من الهجرة ، وان كان غير شيوعي فتحت له الابواب حتى من ىدهم المجتمع ودمغتهم الجريمة ، ووفد اليها من الذين حلفتهم الحرب بلا مأوى وبلا وطن ، فجاءها كثيرون من دول البلطيق والبلقان وبولندا والمجر وايطاليا ، وهاجر اليها كذلك فريق كبير من دول البحر الاسص المتوسط رغبة في حياة افضل

نقطة تحول

في موجات هذا المد من الهجرة الى استراليا جاءها مـ ون من لبنان وقبرص وفلسطين وسوريا والباسيا ومصر وروسيا ويوجوسلافيا وتركيا ، وهؤلاء هم الموجة الثالثة من الهجرة الاسلامية الى استراليا والتي ما زالت متواصلة الى اليوم ، ومسلمو المرحلة الثالثة من المهاجرين يمثلون الدم الجديد الذي يتدفق اليوم في شرايين الحياة في الجاليات الاسلامية في استراليا

ومرحلة الهجرة الاسلامية الثالثة هذه هي اعنى المراحل واقواها ولا اتجاوز الحقيقة حين اقول انها نقطة التحول في تاريخ الاسلام في القارة السادسة ، فقد انقذت مصيره فيها ، وحولت طريقه من درب الاختفاء والزوال الى جادة القوة والازدهار والانتشار ، ادركت بقايا المرحلة الاولى من المهاجرين المسلمين ، وانقذتهم من ضياع ديني محقق ، وبعثت فيهم روح الحياة الاسلامية من جديد ، وعدت مهاجري المرحلة الثانية بدمائها الشابة وثقافتها الاسلامية المعاصرة فبثت في حياتهم الاسلامية الجامدة تطور الاسلام ومعاصرته للحياة ، وهي بذلك بدأت عصر البعث والنهضة لتاريخ الاسلام في استراليا

فقد جاءت وفود هذه المرحلة من المهاجرين المسلمين ملأهم الحماس والثقة في دينهم ، وتدفعهم عناصر الاستجابة للتطور الذي طرأ على العقلية المسلمة في فهم الدين فهما صحيحا خاليا من الشوائب ، والجمود في التقليد الذي لحق بالاسلام في عصور الظلام الفكري هؤلاء اليوم هم السواد الاعظم الذي يسود الجاليات الاسلامية في الولايات الاسترالية

وهناك تيار آخر يدخل الاسلام عن طريقه استراليا ذلك هم الطلاب الاسيويون المسلمون الذين يأتون طلبا للعلم في معاهد استراليا وجامعاتها ، وهم من الهند والباكستان والملايو وأندونيسيا والفلبين وتايلند والدول الاسيوية الاخرى ، يأتون على منح دراسية تقدمها استراليا او المنظمات الدولية او يأتون على نفقتهم الخاصة للتعلم ، هؤلاء الطلاب المسلمون يمثلون ركنا مهما من الحياة الاسلامية في استراليا ، فهم يختلطون بزملائهم الاستراليين في معاهد العلم وبالاسر الاسترالية ، ويحتفلون بالمناسبات الدينية الاسلامية ، ويشركون معهم زملاءهم الاستراليين ومعارفهم من الاسر الاسترالية ، ويقيمون الشعائر الدينية ، ويشتركون في النشاط الثقافي والاجتماعي والديني مع الجاليات الاسلامية المستوطنة

وفريق آخر من المسلمين يعيشون في اقصى شمال القارة قرب « داروين » عاصمة الاقليم الشمالي في استراليا وفي الجزر المجاورة لها كجزر « كوكو » و « بارو » واكثرهم من جنس الملايو ، ويعملون في صيد اللؤلؤ وقد جاءوا الى هذه المنطقة من زمن بعيد ، وانقطعت صلتهم بالعالم الاسلامي والثقافة الاسلامية فتحولت الحياة الدينية عند بعض المسلمين من سكان هذه المنطقة المتفرقين الى مزيج من تعاليم الاسلام وبقايا من العادات والتقاليد الدينية لقبائل « الابوريجينز » سكان استراليا الاصليين

ولعل اكثر ما يشد انتباه الباحث في الهجرات الاسلامية الى استراليا سكان جزيرة « فيجي » وهي احدى الجزر القريبة من استراليا ، وكانت الى عهد قريب تحت الوصاية الاسترالية ثم نالت استقلالها فالجالية المسلمة في هذه الجزيرة اقرب جاليات المنطقة الى الاسلام الصحيح ، واكثرها شبها بالعرب بملامح افرادها وسمتهم العربي الخالص ، وقامتهم الفارعة واسمائهم العربية ، واعتزازهم بالنفس والكرامة والدين

وفي نهاية هذا البحث الذي اضطررت الى ايجازه فلم يتعرض بالتفصيل الى المسلمين في كل ولاية او الى اتجاهاتهم الدينية والفكرية ، ارجو ان تتجه انظار العالم الاسلامي الكبير الى اخوانهم في تلك البلاد النائية البعيدة ويمدونهم بالعون الادبي والثقافي ، فيقيمون جسور الاتصال معهم ويزودونهم بنور المعرفة الاسلامية ويحمونهم من الحملات التبشيرية التي تلاحقهم هناك وذلك بالتبصرة الدينية والمعرفة الحقيقية بامور دينهم عقيدة وشريعة ، حتى يشتد ساعدهم ويثبت كيانهم وتمتد جذورهم في تلك الارض ، وتقوى كلمتهم فتعلو بها كلمة الحق وترتفع منارة الاسلام ■■

د علي الحديدي

عبدالحميد بن باديس

بعلمه وبقلمه قاد الجماهير الى ربوع المجد لقد حارب هذا الفتى القسطيني عبد الحميد بن باديس فرنسا وتحدياتها ، ودعوتها لمسخ اللغة العربية وطمس الاسلام وهو القائل « والله لو طلبت مني فرنسا ان اقول لا اله الا الله ما قلتها » وهو صاحب هذا النشيد الذي ردده الشعب الجزائري ضد الغزاة الذين كانوا يقولون ان الجزائر فرنسية الى الابد

شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات فقد كذب
أو رام ادماجا له
رام المحال من الطلب
ياشىء أنت رجاؤنا
وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها
وخض الخطوب ولا تهب
فاذا هلكت فصيحتي
تحيا الجزائر والعرب

سمعت باسم عبد الحميد بن باديس لاول مرة ، من الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، الذي كانت محاضراته في مساجد الكويت ومحافلها الثقافية ، تجتذب الشباب قبل الشيب ، وكان ذلك في عام ١٩٥٢ وكان يرافقه في جولته الشيخ الفضيل الورتلاني العالم الجليل والابراهيمي هو القائل عن ابن باديس

« باني النهضتين العلمية والفكرية في الجزائر ، وامام الحركة السلفية ، وسيف المصلحين ، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية ، والهدى المحمدي ، وعلى التفكير الصحيح وغارس بذور الوطنية الصحيحة ، واول مؤسس لنوادي العلم والادب وجمعيات التربية والتعليم »

ومرت الايام فوجدت نفسي بعد عشر سنوات ، أحد أعضاء سفارة الكويت بتونس وعندما تشكل وفد الكويت الرسمي للتهنئة بأول عيد وطني للجزائر في غرة نوفمبر ١٩٦٢ كنت أحد أعضائه غادرنا تونس الى عاصمة الجزائر عن طريق البحر فبتنا ليلة في قسنطينة مدينة عبد الحميد بن باديس وصلنا قسطينة عند الغروب وغادرناها في الصباح ولكني اغتنمت فرصة وجودي في قسنطينة ، فهمت على وجهي أجوب شوارعها وسككها ، وحاراتها العربية القديمة ، والتقيت بطريق الصدفة بمواطن جزائري قسنطيني هو رابح طبس ، الذي

. احد الاعلام البارزين في التاريخ الجزائري الحديث مكافح ومـ ـل في سبيل الحرية والاستقلال ، وان لم يحمل سلاحا آليا ولم يخ ـ معركة حربية فلم يكن سلاحه الا العلم ، ولم تكن معركته الا القلم

مناضل بالعلم والقلم

بقلم :
فاضل خلف

كان دليلي في تلك الجولة حتى بعد منتصف الليل وبرغم لهجته الجزائرية الجبلية فقد استطعت ان افهم منه بعض الكلمات ، وخاصة ما كان يتعلق منها بالشيخ عبد الحميد بن باديس

وعندما وصلت الى عاصمة الجزائر زادت معرفتي بهذا العالم الديني المناضل ، الذي تحدى فرنسا وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ، وذلك بنشر الثقافة العربية ، والتعاليم الاسلامية ، في قسنطينة حيث دار اقامته ، وفي سائر بقاع الجزائر حيث بلغت دعوته المباركة

حياة عريضة

لم يعش عبد الحميد بن باديس حياة طويلة فقد ولد في ٥ ديسمبر ١٨٨٩ وتوفي في ١٦ ابريل ١٩٤٠ ، وبين هذين التاريخين خمسون سنة ، هي عمره الذي عاشه في هذه الحياة لم يعش اذن حياة طويلة ، وانما عاش حياة حافلة بالامجاد

وكان لهجرته الى تونس في سنة ١٩٠٨ أطيب الاثر في تكوينه الثقافي ، فقد وجد في جامع الزيتونة ، وفي المحافل الثقافية في تونس ، ماكان ينشده من علم وثقافة وادب وكان جامع الزيتونة على مر العصور منارا يهتدي به طلاب العلم والمعرفة وقد اثر في حياة ابن باديس أثناء دراسته في جامع الزيتونة ثلاثة من الاساتذة هم حمدان لونيسي ومحمد النخلي والطاهر بن عاشور وبعد خمس سنوات عاد الى قسنطينه للاسهام في تثقيف مواطنيه ضد اكبر معركة قادها الغزاة لطمس الشخصية الجزائرية العربية المسلمة

أما أعمق الاساتذة اثرا في نفس ابن باديس فهو الشيخ محمد النخلي الذي أوصاه بقوله « واجعل ذهنك مصفاة لهذه الاساليب المعقدة ، وهذه الاقوال المختلفة ، والاراء المضطربة ، يبقي الصحيح وتستريح »

وحج ابن باديس في ١٩١٣ وهناك في البقاع المقدسة ، في مكة والمدينة التقى بالشيخ محمد البشير الابراهيمي فأصبحا منذ ذلك اللقاء صديقين حميمين يعملان جنبا الى جنب في سبيل الجزائر المناضلة ، ضد الغزو والاحتلال

وعندما تأسس المؤتمر الاسلامي في الجزائر في ١٩٣٦ ، كان ابن باديس أحد أعضائه وكون المؤتمر وفدا لزيارة باريس ، للتعريف بالقضية الجزائرية ، فكان الشيخ عبد الحميد أحد أعضائه البارزين ولكن الوفد لم يحقق نجاحا في مهمته

وكانت فرنسا متخوفة دائما من مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس ، لمواقفه الصريحة الواضحة ضدها في كل تصرفاتها واعمالها ، وعندما اقترح نفر من جمعية العلماء في الجزائر تأييد فرنسا قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقف ابن باديس ضد هذا الاقتراح لذلك عندما نشبت الحرب فرضت عليه الاقامة الجبرية ، فلم يغادر قسنطينة حتى وفاته

فتنة اليهود

وكان التسامح من ابرز صفات بن باديس وهو تسامح الاسلام المعروف منذ ان بزغ نور الاسلام وقد برز هذا التسامح واضحا في عدة مواقف في حياته ومن اشهرها موقفه من تلك الفتنة التي أشعلها ذلك اليهودي

المسمى « الياهو خليفي » عندما شتم النبي محمد والاسلام والمسلمين ، أمام جمع من المصلين بعد صلاة العشاء ، وهم يخرجون من الجامع الاخضر في اليوم الخامس من شهر اغسطس عام ١٩٣٤ ولولا هذه الوقفة الحازمة المتسامحة التي وقفها الشيخ عبد الحميد لحماية اليهود من غضبة المسلمين لما بقي يهودي واحد في قسنطينة ولم يسفر الصدام الا عن مقتل عشرين يهوديا ، بينما استشهد من المسلمين اثنان ، رجل واحد وطفل صرعه شرطي يهودي غدرا

وقد وصف ابن باديس نتيجة الصدام بين المسلمين واليهود فقال « وكان قتل النساء والصبيان دليلا على ان المعتدين لم يكن اندفاعهم عن عقيدة الاسلام ، الذي معلوم « مشهور » عند اهله ، انه يحرم قتل النساء والصبيان ، حتى في الحرب المشروعة وعلى ان تلك الفظاعة هي من آثار الجهل وتلك الحالة النفسة الخاصة الطارئة ، لا من آثار الاسلام »

وهذا كلام رجل يدل على انه لم يكن راضيا عما حدث ولكن مشاعر المسلمين تهيجت ، واعصابهم توترت ، وصدورهم ضاقت ، وهم يسمعون سب نبيهم من شرطي يفترض فيه ان يكون رجل امن واخلاق ، قبل ان يكون رجل اسلام او يهود وقد ثار المسلمون ثورتهم الجامحة وبخاصة عندما رأوا جماعة اليهود يحمون المعتدى ، ويسندونه بألسنتهم ومسدساتهم ، التي وصفها الشيخ عبد الحميد بقوله « فلو صحت من اليهود ربودهم كما صحت في القتل قصودهم ، لكان القتلى من المسلمين كبارا وصغارا ـ يعدون بالمئات »

ويصف الشيخ ابن باديس كذلك اصابة دكاكين اليهود بقوله « اذا كانت دكاكين اليهود قد اصيبت فان دكاكين المسلمين التي في حومة اليهود قد اصيبت كذلك واذا كانت خسائرها قليلة فذلك لانها قليلة ، ولانها ضعيفة كأصحابها الضعفاء بخلاف دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة ، لانها هي كثيرة ولانها قوية كأصحابها الاقوياء »

على ان يهود قسنطينة بعد عشرين سنة من هذه الحوادث ، أثاروها فتنة شعواء اخرى وذلك في ١٢ آيار (مي) عام ١٩٥٦ ، وارتكبوا مجازر رهيبة ضد المسلمين ، مستغلين غياب الرجال في اعالي الجبال ، وهم يحاربون فرنسا في ميادين الشرف ، فبطشوا بالنساء والاطفال والشيوخ وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس عند حدوث الفتنة الاخيرة في عالم الخلود بعد ان ودع الدنيا منذ اثنتين وعشرين سنة

المعلم والكاتب

تعدت شهرة الشيخ عبد الحميد بن باديس قسنطينة ، مسقط رأسه ودار اقامته الى جميع انحاء الجزائر ، بل تعدت شهرته العلمية وكفاحه لتحرير وطنه ، ونضاله لتخليص الثقافة العربية من براثن الهيمنة الفرنسية ، وصراعه لانقاذ البقية الباقية من العقيدة الاسلامية التي حاول الغزاة طمسها بشتى الوسائل والطرق الى جميع انحاء العالم الاسلامي ومن الباحثين الاجانب الذين تناولوا سيرة الشيخ عبد الحميد ، المستشرق الانجليزي جيب في كتابه « زعماء الاصلاح في الاسلام » حيث قال « نظمت في الجزائر جمعية علماء جزائريين لنشر مذهب المنار والجمعية تعارض بصفة خاصة « المرابطين » والطرق الصوفية »

وذهب الجزائريون الى ابعد مما ذهب اليه حزب المنار زيادة عن دعايتهم المطبوعة والشفوية شرعوا في احياء المدارس القرآنية الابتدائية ، وانشائها في جميع انحاء البلاد للتأثير على الجيل الصاعد وقد تكللت جهودهم بالنجاح ، اذا اخذنا في الاعتبار العراقيل التي اصطدموا بها »

كان الشيخ عبد الحميد مدرسا للغة العربية والفقه الاسلامي ، يلقي دروسه في المدارس وعلى منابر المساجد ، وخاصة الجامع الاخضر وكان الى جانب القاء الدروس والمحاضرات ، كثير الاتصال برجال السياسة والاقتصاد والحزبيين يناقشهم ويدعوهم للاتحاد ، وتغيير اساليبهم القديمة في سبيل مستقبل جزائري افضل مستقبل تسوده الحرية ، وتظلله راية الاستقلال ، حيث لا لغة الا اللغة العربية ولا دين الا دين الاسلام ، ولا ثقافة ولا عادات ولا تقاليد الا ثقافة وعادات وتقاليد الاجداد

ولكن القاء الدروس ، والاتصال بالشعب عن طريق الكلمة السائرة ، لا يؤديان الى نجاح كامل شامل ، كالكلمة المنشورة المقروءة لذلك فكر في اصدار جريدة حرة فكانت جريدة « المنتقد » في سنة ١٩٢٥ وبعدها كانت جريدة « الشهاب » وفكر في انشاء مطبعة تعينه في مهمته فكانت هي « المطبعة الجزائرية الاسلامية » التي كانت تطبع جريدة الشهاب ثم جريدة « البصائر » لسان حال جمعية العلماء التي كان يرأس تحريرها الشيخ محمد البشير الابراهيمي

ونظرة عجلة نلقيها على عناوين مقالاته في الشهاب ، تعطينا صورة واضحة عن ثورة هذا المصلح ضد الغزاة مثل « الشعب الجزائري لن يموت ، دفاع عن العربية ، الدفاع عن الاسلام والقرآن ، أيها المسلـ

الجز. . هل آن أوان اليأس من فرنسا ، العرب في التا ح . العرب في القرآن ، فلسطين الشهيدة

ريا ن ثورة الشيخ عبد الحميد بن باديس كانت ثورة المبدأ والعقيدة لذلك فقد كان مستعدا أن يساند اي قوة تعلن الحرب على فرنسا وقال أمام حشد من مريديه « انني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر ايطاليا عليها الحرب »

وعندما وقعت باريس في قبضة الالمان في سنة ١٩٤ سارع السيد احمد بوشمال (وهو احد مريديه) الى قبره وكان الشيخ عبد الحميد قد ودع الدنيا منذ عدة اشهر وقال مخاطبا روحه « ابشر يا شيخ عبد الحميد فقد سقطت باريس عاصمة الطغيان تحت اقدام الالمان »

وبسبب هذا التصلب في عدائه لفرنسا رفض الشيخ عبد الحميد بن باديس ان يتولى اية وظيفة تحت الادارة الفرنسية لذلك فقد كانت وظيفته تشمل عمله في الصحافة ، والقاء المحاضرات ، ومتابعة شئون جمعية العلماء ، والاتصال المباشر مع الشعب وعدم تعاونه مع الادارة الفرنسية ربما كان بتأثير من أستاذه حمدان لونيس المدرس في جامع الزيتونة بتونس ، الذي حذره وهو شاب وناشيء من قبول أية وظيفة قد تتعارض مع افكاره وارائه ومعتقداته وتكون بالتالي عائقا لتنفيذ مشاريعه الاصلاحية في خدمة الوطن كما يشاء الله والوطن

نضال قسنطينه

وقسنطينة هي مدينة عبد الحميد بن باديس وهي مسقط رأسه وهي دار إقامته وهي مسرح جهاده وقد بقيت قسنطينة تجاهد في سبيل الله بضعة اعوام بقيادة البطل الحاج احمد باي ، حتى سقطت شهيدة في سنة ١٨٣٨ أي بعد سقوط العاصمة الجزائرية بسبعة اعوام وبعد مرور مائة سنة احتفلت فرنسا احتفالا مشهودا بهذه المناسبة وذلك في سنة ١٩٣٧ ، أي انها ارادت ان تجعل هذا الاحتلال شرعيا يتقبله اهل قسنطينة بفرحة وابتهاج ولكن هيهات هيهات لقد دخلت فرنسا قسنطينة على جسور كثيفة من جثث أبنائها الشهداء الا ر فهل يقبل الأحفاد بعد مرور مائة سنة ان شـ كوا الغزاة فرحتهم الكبرى بهذا الغزو والاحتلال ؟ ابـ لذل ادى وخدش العواطف وجرح الاحاسيس

وهذا التحدي السافر من قبل قوات الاحتلال جعل حـ القلوب تنزف دما ، بعد ان كاد الزمان بعد مرور د كامل ان يضمدها فوجه الشيخ عبد الحميد بن باديس منشورا الى المجتمع القسنطيني يدعو فيه الى مقاطعة هذه الاحتفالات المهينة ، في شهر نوفمبر ١٩٣٧ ولكنه كعادته كان متسامحا واوصى في هذا المنشور بالهدوء والسكينة ، والاكتفاء بالمقاطعة ولو اراد غير ذلك لاستطاع اي لو اراد الاصطدام بالسلطة الحاكمة لأيده في ذلك كافة المواطنين في قسنطينة ولكنه كان يتحاشى اسالة الدماء بدون فائدة فهو يعلم علم اليقين ان فرنسا بطغيانها كانت تستطيع ان تسحق كل مقاومة مسلحة بدون شفقه أو تسامح

لذلك دعا الى المقاطعة فلباه مواطنوه وسكتوا على الاهانة لأن أوان الثأر والانتقام كان في عالم الغيب وكان على الشعب أن ينتظر سبعة عشر عاما أخرى بعد ان صبر اكثر من مائة عام مر اكثرها بصدام مسلح ومناوشات سافرة وتحديات صادقة دون ان تؤثر في موقف الغزاة لذلك فقد كانت دعوة الشيخ عبد الحميد للمقاطعة ، كافية لتذكير الشعب بكفاح الاجداد ، والابتعاد عن كل ما يأتي به الغزاة من اباطيل ، بالاضافة الى عدم الالقاء بالايدي الى التهلكة

وهكذا انتصر ابن باديس بحكمته التي كان يتحلى بها في كل الاوقات

وقد بلغ تسامحه الذروة في حادث محاولة اغتياله اذ دبرت السلطات الفرنسية اغتياله في ليلة ظلماء ، وعقب صلاة العشاء وهو خارج من المسجد في طريقه الى المنزل ، عندما هاجمه شخص مسلح بخنجره وعصاه ولكن الشيخ الشجاع استطاع ان يعرقل الجريمة ، حتى تمكن المارة من القبض على المجرم وشرعوا في البطش به ، ولكنه منعهم بشدة ، ثم عفا عنه واطلق سراحه ، وفي ذلك يقول شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة

حماك يد المولى وكنت بها اولى
فيالك من شيخ حمته يد المولى
فيا لوضيع النفس كيف تطاولت
به نفسه حتى أسر لك القتلا
مواقفك بالنصر العزيز طلائع
مباركة تترى من الملأ الأعلى
وان أنس لا أنسى الذين تصافروا
على الفتك بالجاني فقلت لهم مهلا

ان هذا التسامح لهو قمة في الاخلاق ، وان هذه الاخلاق لهي قمة في التسامح وان الشيخ عبد الحميد ابن باديس قمة في التسامح والاخلاق ■■

فاضل خلف

روبير حسين

بقلم : محمد صالح القمودى

ثمة ظاهرة في المسرح الفرنسي اسمها (روبير حسين) تنتزع الناس من بيوتهم الدافئة ، وتحرمهم من شاشاتهم الملونة ، وتحرمهم على الوقوف في طوابير طويلة ودرجة الحرارة تحت الصفر ليشاهدوا عرضا مسرحيا في قاعة تضم من أربعة الى خمسة آلاف متفرج

لنبدأ أولا بتوضيح عن الاسم

روبير حسين فنان فرنسي الجنسية ، إيراني الأب ، روسي الأم كان ـ قبل عقد من الزمن ـ نجما لامعا من نجوم (السينما) الفرنسية عاطه ما أصاب المسرح الفرنسي من انحلال وضعف في نهاية الستينات ، فعاد اليه بأفضل ما في (السينما) من أساليب فنية فيها من الابهار ما يفوق اغراء الشاشة الصغيرة ببرامجها المسلية والمنوعة

عاد حسين الى المسرح ، فأحدث فيه ثورة ، والتزم بأسلوب سرعان ما تحول الى ظاهرة تتلخص في سطور إعادة الثقة الى المسرح بتقديم عروض شعبية باهرة الشكل ، سهلة الاستيعاب ، رفيعة المحتوى لا بذاءة فيها ولا اسفاف حتى يشاهدها الأهل مع أطفالهم الصغار عروض تحطم الجدار الرابع ، وتقذف بالممثلين وسط القاعة ، فاذا بالمشاهدين يشاركون في العرض ويتفاعلون معه وبه

حسن الاختيار

وحسين يحسن اختيار مسرحياته ، اذ يفضل أرفع المواضيع الانسانية ، وأكثرها شهرة ، واشدها تعقيدا التنفيذ

ما ان يقع اختياره على موضوع حتى يسلمه زميلين له يتعامل معهما دائما أحدهما كاتب مسرحي ـ جورج صونيا والآخر كاتب تاريخي ، الان ديكون

وجوه الثورة الفرنسية

هذا الثلاثي اشترك في تقديم ثلاثة عروض مسرحية ضخمة شاهدتها عشرات الآلاف من الناس

العرض الأول عنوانه (بوتمكين) وقد وضع على الركح بارجتين العرض الثاني عنوانه (أحدب الكنيسة) عن رواية الكاتب الكبير (فيكتور هوجو) وفيه وجد المشاهدون أنفسهم أمام كنيسة بحجم ثلاثة أخماس كنيسة (نوتردام) الشهيرة في باريس أما العرض الثالث فعنوانه (دانتون وروبسبير) ، يتناول الثورة الفرنسية ، لكنه لا يضع على الركح بارجة ولا كنيسة حتى المقصلة تظهر على شاشة وبطريقة سينمائية

قبل أن ينتهي عرض هذه المسرحية ، بدأ في باريس عرض مسرحية أخرى من اخراج ـ وتمثيل ـ روبير حسين تذكرة المسرحية الجديدة تحجز قبل مشاهدتها بشهر كامل ، وهي مأخوذة من رواية شهيرة للكاتبة بريطانية (إميلي برونتي)

التاريخ والمسرح

الذين شاهدوا عرض مسرحية (أحدب الكنيسة)ظنوا أنهم سيشاهدون في (دانتون وروبسبير)رؤوسا تطيح بها المقصلة ، وجيوشا تتقاتل ، وقلاعا تدك كم كانت دهشتهم كبيرة عندما وجدوا الركح لا يحمل غير أثاث رمزي يوحي بغرفة (دانتون) الفاخرة على اليسار ، وغرفة (روبسبير) المتواضعة على اليمين ثم تسعين ممثلا (بينهم ممثلتان فقط) يتنقلون في قاعة تسع أربعة آلاف مشاهد ، يذرعونها صعودا الى الركح وهبوطا منه ، وكأن قاعة العرض قد تحولت الى قاعة لاجتماع الفرنسيين أيام ثورتهم ، وكأن المشاهدين قد تحولوا الى مواطنين يعيشون السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر في باريس كل ذلك في عرض مدته ١٦٠ دقيقة ، لاينقطع لحظة ، ولا تفتر قوته أبدا

يقول (صوريا) الكاتب المسرحي

ـ لم نحاب أحدا من رجال الثورة الفرنسية لقد تعاملنا معهم بشرف لم نعد كتابة التاريخ اكتفينا باظهار الأحداث كما وقعت حسب وثائق عصرها ثلثا النص مأخوذان رأسا من المحفوظات التاريخية

الثورة الفرنسية

نص فكرى

عندما يتناول اثنان من ألمع كتاب فرنسا احداثا تاريخية غاية في التعقيد ، مثل أحداث الثورة الفرنسية ، وبعد حوالى قرنين من وقوعها يحتم على ذلك التناول نص فكرى قد لا يصلح عرضا شعبيا يستمتع به أربعة آلاف مشاهد فى كل عرض

يقول حسين فى ذلك

ـ لو أردت نجاحا مضمونا ، لأخرجت (الفرسان الثلاثة لدوماس) أنا أمام نص تاريخى فكرى اذا ما حقق عرضه نجاحا شعبيا ، فمعنى ذلك أن امكانيات المسرح غير محدودة النص يقدم لي الأحداث كما وقعت على أن أبعث فيه حياة تهز المشاهد وتمتعه

كان حسين يتساءل عن حظوظ العرض من النجاح الشعبي لقد شاهدت هذا العرض في شهره الثالث ، وكانت قاعته (قصر المؤتمرات في باريس) تغص بأربعة آلاف مشاهد ظلوا يصفقون اعجابا أكثر من عشر دقائق في نهاية العرض

لقد تحول حسين الى صانع ماهر ، يعد المشاهد وكأنه يعد حلية يرتب أجزاء الفسيفساء وكأنه يجمع أجزاء لوحة متكاملة قسم النص الى لوحات ، وجمد اللوحات المتحركة فى اللحظات التاريخية الحاسمة ، لتطابق اللوحات المعلقة فى متحف (اللوفر) ، والتى رسمها الفنانون الفرنسيون تخليدا لأحداث بلادهم

الهـــرة

قالوا عن الثورة الفرنسية أنها كالهرة أكلت أبناءها صدرت عنها مئات الكتب استعرض الفرنسيون وجوهها في حبور ، أو اشفاق ، أو رعب أغلبهم لم يدرك أسباب الصراعات ومعراها

وجاء عرض حسين ليجعل وجوه الثورة الفرنسية تجلس الى جوار المشاهد ، فيسمع تلاحق أنفاسها ، ويلمس طرف ثوبها ، ويشاركها الغضب والسرور ، اليأس والأمل ليخرج في النهاية وقد فهم أسباب الصراعات ، وأدرك لماذا سقطت الرؤوس بعد أن شمخت ، ولماذا تدحرجت في الطين بعد أن تعالت

أما اذا كان المشاهد مسلما قد صلح ايمانه فانه يخرج من العرض وقد ازداد يقينا من أن عملا لا يبتغى به صاحبه وجه الحق لا يثمر ■■

باريس ـ محمد صالح القمودى

اعداد : يوسف زعبلاوي

موارد الغذاء في تناقص وعدد السكان في تزايد

● ثمة دراسات خطيرة ...در بين الحين والحين وتندر ...شرية من الطامة الكبرى ...ي ستحل بها لا محالة ، ما لم ...ول العلماء التخطيط المناسب ...تخاذ الأحرازات الضرورية ...بل فوات الأوان من تلك ...راسات التقرير الذي اصدره ...ى رومه بعنوان « حدود ...مو » سنة ١٩٧٢ فقد تنبأ ...سار العلماء في هذا التقرير ...ضوب الموارد الاقتصادية ...قلص عدد السكان في مستقبل ...يب اقرب بكثير مما توقع ...كثيرون

ومنها ايضا كتاب « الربيع ...صامت » الذي ظهر في مطلع الستينات للكاتبة « راشيل كارسون » والذي لفت الانظار لمخاطر التلوث والحشرات وتفشي الآفات الزراعية اما الدراسة الاخيرة في هذا المجال فقد صدرت في مطلع شهر مارس الماضي ودقت الناقوس بأقوى مما دق في السابق ولكنها لم تقف عند التحذير والانذار ، بل وضعت رؤوس الاقلام لطريق الخلاص وكشفت النقاب عن مجموعة من الحقائق والمعلومات المذهلة ولعل هذه الدراسة الاخيرة ، التي تعاونت على وضعها ثلاث هيئات دولية كبيرة مختصة في شؤون البيئة ، هي اوسع وادق واعمق ما صدر من دراسات من هذا القبيل حتى الآن ، اما الهيئات المعنية فهي « الاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة » والهيئة المتفرعة عن المنظمة الدولية وتعرف باسم « برنامج البيئة » وكذلك « صندوق الأحياء البرية العالمي » . ونشير فيما يلي الى بعض ما تضمنه هذا التقرير الخطير الذي يعرف باسم « استراتيجية البقاء العالمية »

ـ التربة . التربة التي لا تقوم للزراعة قائمة بدونها آخذة في التلف والاختفاء بمعدل ٦٠٠٠ مليون طن سنويا وذلك تبعا للتعرية التي تحدثها الانهار

والرياح الخ والعريب أن الانسان لم يقم وزنا كبيرا للتربة .. ولم يدرك انها ثروة عزيزة وضرورية لبقائه الا في السنوات الاخيرة ولو ذكرنا أن التربة الصالحة تحتاج الى ٣٠٠٠ سنة لتتراكم على عمق قدم واحد فقط لقدرنا خطورة المأزق الذي تعاني البشرية منه في الوقت الحاضر

- لا تشكل الارض الصالحة للزراعة في العالم سوى ١١٪ من مساحة سطح الكرة الارضية ومع ذلك فان اعمال البناء والتعمير وانشاء المدن ماضية على قدم وساق ، واحدة في نهب الارض المزروعة او القابلة للزراعة في العالم بسرعة مفرعة (٢٠٠) فدان في كل دقيقة واحدة فلو استمرت تلك الاعمال بهذه السرعة لفقدت البشرية ثلث الاراضي الزراعية المتاحة لها (ونسبتها كما اسلفنا ، ١١٪) في غضون ٢٠ سنة

- وقل مثل ذلك في الغابات غابات السهول والوديان وغابات المنطقة الاستوائية الممطرة فلو واصلت الحضارة الانسانية اجتياحها لهذه الغابات بالسرعة التي تجتاحها بها حاليا - وهي قابلة للزيادة كما لا يخفى - لاختفت الغابات نهائيا ولن يبقى منها شيء على سطح الكرة في مدة اقصاها ٨٥ عاما .

- ستشهد السنوات العشرون الباقية من القرن العشرين انقراض نصف مليون نوع من انواع الحيوان والنبات نذكر منها على سبيل المثال النمر والذئب . ولا يخفى ما يترتب على انقراض هذا العدد الكبير من صنوف الاحياء من احتلال في موازين البيئة وما يترتب على هذا الاحتلال من تقلص في فرص البقاء للانسان وسائر المخلوقات

- ويبلغ من شمول الدراسة التي نحن بصددها انها تناولت فيما تناولت مشكلة (الأوزون - Ozone) والغلاف الجوي فطبقة الاوزون التي تمتص الكثير من اشعة الشمس القاتلة وكذلك الاشعة التي تسبب السرطان هذه الطبقة آخذة في الانكماش او التلف بنسبة ١٥٪ ، وذلك تبعا لأقبالنا على استعمال المستحضرات التي يدخل في تركيبها الأيروزول والتي غالبا ما تكون معبأة ضمن علب رشاشة ، معدة لاغراض الزينة او لمكافحة الآفات الزراعية

- خمس سكان العالم (اي ٨٠٠ مليون نسمة) فقراء لا يتجاوز دخلهم السنوي (٥٠) دولارا . ! وهم يسهمون في « تعمير » العالم في بحثهم عن الوقود وبالتالي في تعرية التربة وزحف الصحراء من جهة ، ويستهلكون من جهة اخرى حوالى ٤٠٠ مليون طن من المحاصيل المهملة أو التالفة وروث الحيوانات سنويا فهم أدنى لا يسهمون زحف الصحراء فحسب ، ولكنهم يفوتون على التربة المعراة فرصة استرداد الحياة عن طريق تلك الملايين من الاطنان من ذلك الروث وتلك المحاصيل ، فيما لو ابقوا عليها ولم يجردوا سطح التربة منها

نكتفي بهذه الامثلة ، وهي قليل من كثير لنخلص الى لب المشكلة التي تعاني منها البشرية والتي تشخصها هذه الدراسة الفريدة ولن نحتاج الى كلام كثير لايضاح هذه المشكلة فالصور الايضاحية الثلاثة المرافقة لهذا الكلام تغني عن ذلك

ففي غضون العشرين سنة القادمة سيحل الدمار بثلث الاراضي الزراعية في العالم (وهي التي يرمز اليها بسنبلة القمح) وبنصف غابات الارض (ورمزها في الرسم هو الشجرة) هذا في الوقت الذي يتضاعف عدد سكان العالم فيه بنسبة ٥٠٪ ليصبح ٦٠٠٠ مليون نسمة و ... هذا المأزق سوءا وحرجا ... العشرين سنة الثانية . ... تبدأ بحلول القرن الواحد والعشرين .

بنك العباقرة بين الحقيقة والشعوذة

● كثرت بنوك المنويات في بلاد الغرب في المدة الاخيرة وشاع التلقيح الصناعي بين النساء اللواتي حرمن نعمة الحمل بسبب عقم الازواج الا ان واحدا من تلك البنوك لفت النظر واحتلت اخباره الصفحات الاولى من الصحف العالمية في مطلع شهر مارس الماضي

ذلك هو البنك الذي اسسه روبرت جراهام احد كبار رجال الاعمال الاغنياء في ولاية كاليفورنيا وقد اشتهر المستر جراهام هذا قبل حين بالجهود التي بذلها في سبيل تطوير عدسات البصر البلاستيكية، وكذلك بملايين الدولارات التي جناها منها غير ان باعثه على انشاء بنك المنويات الجديد ليس تجاريا. فهو لا يدفع شيئا لقاء المنويات التي يحصل عليها من اصحابها المتبرعين ولا يقبض اي ثمن مقابل هذه المنويات من المرأة التي يوافق المستر جراهام على اعطائها اياها. هذا في الوقت الذي درجت فيه سائر بنوك المنويات على دفع ٢٠ دولارا وقبض ٣٨ دولار ثمنا للجرعة الواحدة.

اما الهدف الذي يسعى اليه المستر جراهام والذي ينفق ويخسر المال والجهد في سبيل تحقيقه اما هو « السوبرمان » فهو يطمع الى انجاب المواليد المتفوقين ذهنيا وعقليا، بل قل النوابغ والعباقرة، وذلك عن طريق بنكه الفريد الذي اقامه في بلدة سان دييجو، او بالقرب منها فهذا بنك منويات يختلف جوهريا عن سائر البنوك فهو لا يقبل المنويات الا اذا كان المتبرع بها من الفائزين بجائزة نوبل، وذلك في احد الميادين العلمية بالذات لا في الادب او الاقتصاد. ويشترط ايضا ان يكون المتبرع متفوق الذكاء منذ طفولته وقل مثل ذلك في المرأة التي تتوق الى الحمل وقد حرمته بسبب عقم زوجها.. ينبغي ان تكون عضوا في جماعة منسا (Mensa) او ما يعادل ذلك. اي من اذكى الاذكياء، بحكم نتائج امتحانات الذكاء التي حصلت عليها تباعا منذ الصغر. ولا يطلب من هذه المرأة سوى ٢٥٠ دولارا، تأمينا على قارورة المنويات، ويرد اليها المبلغ لدى اعادة القارورة.

فهذه العلبة او القارورة مصنوعة من رصاص خاص لحفظ المنويات ووقايتها من الاشعاع والتلوث. ووضع المنويات داخلها ضمن النيتروجين السائل... اما المستودع الذي تحفظ فيه فمبني تحت سطح الارض، على عمق ٦ اقدام. وقوامه الثلاجات ذات التبريد العميق Deep Freeze

ويقول المستر جراهام انه حصل على منويات ثلاثة من العلماء الفائزين بجائزة نوبل. احدهم الدكتور وليم شوكلي Shockley وهو الوحيد الذي اعترف بذلك، وعبر عن حماسته للمشروع.. والامل معقود على الحصول على مزيد من امثاله، علما بان عدد العلماء الفائزين بجائزة نوبل في ولاية كاليفورنيا وحدها لا يقل عن عشرين.

اما النساء اللواتي لقحن بهذه المنويات تلقيحا صناعيا فثلاث. وقد حملن ويتوقعن الوضع عما قريب..

وعندئذ تبدأ المهمة التي تهم المستر جراهام اولا وآخرا، وهي القيام برصد صحة المولود البدنية والعقلية على نحو متواصل.. وموافاة المستر جراهام بنتائج الفحوص الطبية وامتحانات الذكاء الواجب اعطاؤها للمولود باستمرار..

وتجدر الاشارة الى ان بنك « العباقرة » هذا تعرض لانتقادات لاذعة وجهها اليه عدد من المفكرين ومن بينهم الفائزون بجائزة نوبل أنفسهم.

العودة الى الارض .. الى مصدر العطاء صيحة هذا الثلث الاخير من القرن العشرين .. ومع التطورات الاقتصادية التي يمر بها العالم اليوم . والانكماش المتوقع في رقعة الارض المنزرعة نتيجة للزيادة المخيفة المتوقعة ايضا في عدد سكان العالم ، بدأت الحكومات والشعوب تضاعف من اهتمامها بالارض والماء .. اصل الحياة منذ كانت حياة

وقد شهدت الكويت في السنوات الاخيرة تقدما ملموسا في هذا الاتجاه بعد جهود ضخمة بدأت منذ اكثر من عشرين عاما من اجل بحث ودراسة امكانية استزراع اكبر مساحة ممكنة من الارض الصحراوية الجافة ، وما يمكن ان يقام بجانب هذه الزراعة من صناعات اخرى متصلة بها مثل صناعة تربية الحيوانات والدواجن .

فالكويت ، كما نعلم بلد مصدر للطاقة التي كانت وما زالت شريان الحياة في كل بلاد العالم المتقدمة منها والنامية سواء بسواء منذ كان اكتشاف النفط في مطلع هذا القرن العشرين

والاهمية الاقتصادية للنفط واضحة ، ويقول تقرير البنك عن الاوضاع الاقتصادية في الكويت ، انه يشكل ما بين ٨٥ الى ٩٠٪ من الدخل القومي و ٩٠ الى ٩٥٪ من عائدات الصادرات

والكويت في الوقت نفسه ، بلد مستورد ، وباستثناء بعض الصناعات الاستهلاكية التي قامت في السنوات الاخيرة ، تنفيذا لسياسة تنويع مصادر الدخل القومي ، تعتمد الكويت على الواردات ، والمواد الغذائية بصفة خاصة .

الخبراء .. ماذا قالوا ؟

من هنا أولت الدولة مزيدا من الاهتمام بالعمل في الاتجاهين عدم الاعتماد على البترول وحده كمصدر اساسي للثروة في البلاد ، وعدم الاعتماد كليا على الواردات ، وخاصة الغذاء لان المواد الغذائية التي تستوردها الكويت او غير الكويت اليوم قد لا يتوفر منها فائض للتصدير غدا ، او لان هذا الغذاء نفسه قد يصبح سلاحا في يد الدول المصدرة يمكن ان تستخدمه متى تشاء !!

وفي شهر اكتوبر من عام ١٩٧٨ ، زار الكويت مجموعة من خبراء البنك الدولي للانشاء والتعمير ، لاجراء مسح شامل للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية ، مساهمة منهم في تحديد استراتيجية انمائية متكاملة على المدى البعيد ، واعد الخبراء تقريرا بعد انتهاء مهمتهم ، ننقل منه ما يتصل بالزراعة والانتاج الزراعي ، موضوع هذا الكلام

قال الخبراء في تقريرهم ان نسبة الاراضي الصالحة للزراعة في الكويت لا تزيد على ٦ر٨٪ فقط من حوالي ١٨ مليون دونم او ١٨ الف مليون متر مربع ، وفيما عدا تربية الدواجن وانتاج البيض والخضروات ، فان امكانية زيادة الانتاج الزراعي محدودة بسبب الظروف المناخية وطبيعة التربة وبناء عليه فان مهمة الحكومة هنا تتركز في القيام بالابحاث والدراسات اللازمة وتوفير المياه الصالحة للزراعة وتشجيع ومشاركة المنتجين حتى يمكن تغطية احتياجات السوق المحلية بتكاليف معقولة

ويمضي التقرير بعد هذا في شرح الخلاف في الرأي حول المعنى المقصود « بالتكاليف المعقولة » ، فهناك راى لا يهتم بتكاليف الانتاج في سبيل تحقيق عدم الاعتماد بشكل كبير على الواردات ، بينما يرى الرأي الآخر ان دعم الانتاج الزراعي يشكل عبئا على الاقتصاد ويخلق الميل الى الاعتماد على الحكومة ، الأمر الذي سوف يؤثر على مستقبل البلاد اقتصاديا على المدى البعيد .

النفط .. من اجل الغذاء

ولكن يبدو ان المسؤولين في الدولة يميلون الى الاخذ بالرأي الاول ، ما دام المال متوفرا ، وهو ما يحدث الآن بالفعل ، ويقول السيد سالم المناعي وكيل وزارة الاشغال المساعد لشئون الزراعة شارحا الأسباب التي حدت بالدولة الى تبني كل المشروعات الزراعية ودعمها « في البداية ، ربما تكون تكلفة الانتاج اكبر بكثير من الاسعار التي نستورد بها المواد الغذائية من الخارج ، ولكن هذا في البداية فقط ، اذ اننا سوف نجد مع مضي الوقت ان تكاليف ما ننتجه محليا ، سيعادل ماكنا ندفعه مقابل استيراد هذه المواد وربما أقل ، ثم ما الذي يضمن لنا ان هذه الدول التي نستورد منها ما

السيد سالم المناعي وكيل وزارة الاشغال المساعد
النفط من اجل توفير الغذاء في ارضنا العربية

نحتاج اليه الآن وما سوف نحتاج اليه بعد سنوات ، وهو اكثر ، سيكون لديها فائض للتصدير ؟ ! »

عائدات النفط اذن من اجل تأمين الغذاء

ـ هل يأتي اليوم الذي تحقق فيه الكويت اكتفاء ذاتيا في بعض المواد الغذائية التي تستوردها ؟ يقول السيد المناعي الذي قضى اكثر من اثنى عشر عاما يشرف على التجارب التي تقوم بها محطة التجارب الزراعية في منطقة العمرية ، بعد تخرجه من كلية الزراعة في جامعة القاهرة وبعد ان انهى دراساته العليا في الجامعات الامريكية وتحتل المحطة رقعة تزيد مساحتها على ستمائة دونم او ٦٠٠ الف متر مربع من الارض الغنية باشجارها الوارفة وحيواناتها من الابقار والماعز والخراف ، والدواجن ومن حولها اشجار الخضروات والفاكهة يقول : « استطيع ان اؤكد اننا قد وصلنا بالفعل الى مراحل ما قبل تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بتربية الدواجن وانتاج البيض . ونحن نعمل الآن بالتعاون مع الشقيقة العراق في تكوين شركة جديدة لتربية الدواجن . وقد نجحت تجربة تربية الدواجن في رأيي نجاحا اكبر مما كان متوقعا لها ولن ندخر جهدا في سبيل توفير كل ما تحتاج اليه الكويت من دجاج وبيض »

● الكويت تصدر الدجاج والبيض

بعد عشر سنوات

ـ والانتاج الحيواني ؟

ـ ربما خلال سنوات او اقل او اكثر اذا مضينا في تنفيذ المشروعات التي لا بد من قيامها لتنمية الثروة الحيوانية في مزارع تربية الابقار وتسمين العجول وتوفير الاعداد اللازمة من الماعز والخراف ومن اهم هذه المشاريع واضخمها مشروع إنتاج « الفصة » او « الجت » كما يعرف بين اهل الخليج ، او البرسيم ، مستخدمين في ذلك مياه المجاري بعد معالجتها ومساحة هذا المشروع الجديد تصل الى تسعة ملايين دونم ، او تسعة الاف مليون متر مربع في منطقة الصليبية ، وبدأ العمل في تنفيذه منذ ثلاث سنوات فقد اثبتت التجارب نجاح زراعة « الجت » في الكويت نجاحا كبيرا وهناك مشروع آخر في مرحلة التنفيذ لزراعة حوالي عشرة الآف دونم اخرى في منطقة الصليبية ايضا »

ـ والمياه ؟

قال السيد المناعي « لا أتصور انها ستكون مشكلة ، فسوف تتوفر لنا المياه من شط العرب بإذن الله ، ثم هناك المياه الجوفية ، ونحن في بحث دائم عن مصادر جديدة لها ، غير المصادر المتاحة حاليا ، ان مستقبل المياه سيكون مشرقا ، وإذن فلن تكون هناك مشكلة » .

ان الحكومة تشجع تنميه مزارع الالبان في الكويت ، كما ذكرنا ، ويقول تقرير البنك الدولي « في سنة ١٩٧٦ كان هناك ٤٢ مزرعة لمنتجات الالبان ، يصل انتاجها الى ١٢ الف طن من الحليب ، وتقدم لها الحكومة الخدمات الفنية والطبية كما تقوم في الوقت نفسه بدعم سعر الحليب ، كما بدأت الحكومة في السنوات الاخيرة بمشاركة القطاع الخاص في انشاء مزارع لتربية الدواجن ، بحيث يمكن القول بامكانية تحقيق اكتفاء ذاتي من البيض ولحوم الدواجن ، بل قد تصبح الكويت مصدرة للبيض والدواجن . »

الكويت تصدر الغذاء

وشدتنا هذه التوقعات التي جاءت في تقرير البنك الدولي « الكويت تصبح دولة مصدرة للبيض ولحوم الدواجن « هل هي بداية الثورة الزراعية في ارض النفط ؟

تي من انتاج الشركة الكويتية المتحدة للدواجن . يحتمى
ن عرضه في الجمعيات الاستهلاكية ؛ انه طازج دائما .

محص البيض ال
الأســواق ، للتـ
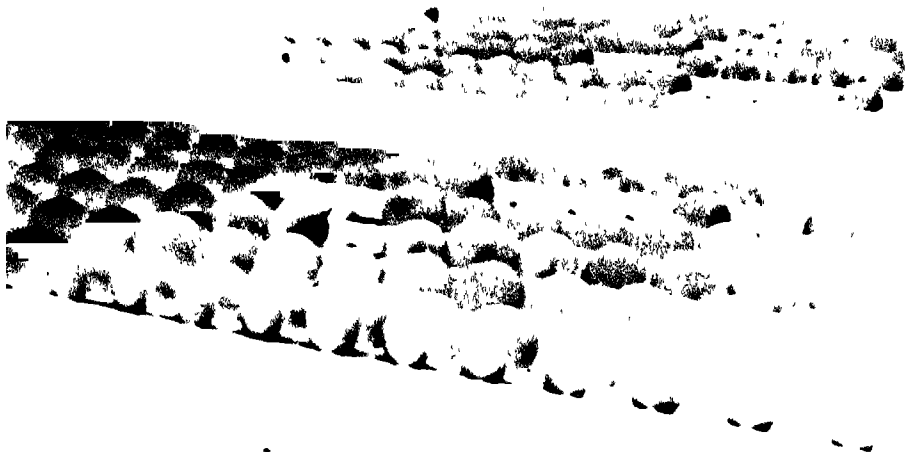
المهندس الزراعي ابراهيم محمد حجيج في احدى حظائر تربية الماعز
بمحطة التجارب الزراعية (مراقبة الثروة الحيوانية)

قبل عرضه في
صلاحيته للاستهلاك)
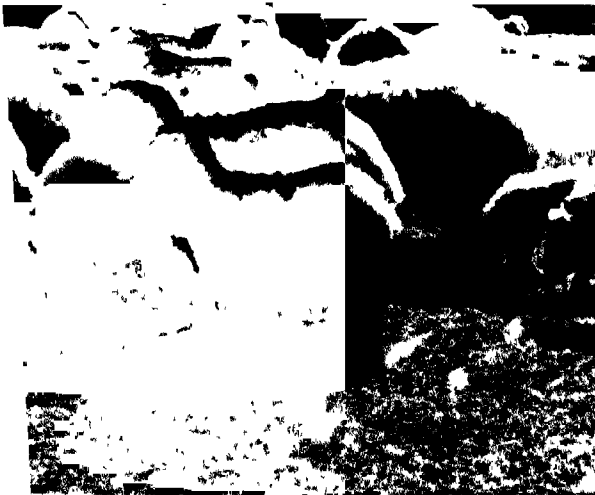
مجموعة من الاغنام التي تجرى التجارب عليها في مراقبة الثروة الحيوانية
للتوصل الى افضل الانواع التي يمكن تربيتها في الكويت

وذهبنا لنرى ، اين وكيف ؟

وكان لنا لقاء بالسيد محمد الفريح ، المدير العام لشركة الكويتية المتحدة للدواجن ، وعنده وجدنا الجواب على السؤال « متى تحقق الكويت اكتفاء ذاتيا ؟ » وهي مرحلة تسبق بطبيعة الحال توفر الفائض للتصدير

وقال السيد الفريح « في خلال عامين باذن الله لقد نجحت تربية الدواجن نجاحا فاق كل التقديرات ... تحقيق الاكتفاء الذاتي من البيض ولحوم الدواجن ممكن اقتصاديا وعمليا وفنيا ، فكل مقومات النجاح متوفرة »

وذهبنا الى حيث يجري هذا العمل الكبير الذي لم يمض على البدء فيه اكثر من خمس سنوات مزرعة هائلة تعتبر من نوعها اكبر مزرعة لتربية الدواجن في الشرق الاوسط ، وتحتل مساحة من الارض تزيد على ثلاثين مليون متر مربع ، وتقع في منطقة الشقايا التي تبعد عن قلب الكويت العاصمة بحوالي سبعين كيلو مترا تقطعها السيارة في ساعة واحدة زودت بكل الاجهزة والمعدات الحديثة لانتاج الدجاج اللاحم ، ومفاقسات نموذجية ومراكز لفرز وتصنيف البيض وحظائر لتربية الدجاج البياض وحصادات واخيرا مصانع لانتاج الاعلاف وكلها من احدث ما توصل اليه العلم في تربية الدواجن لقد بلغ راس مال الشركة اربعة ملايين دينار تساهم الدولة فيها بنسبة ٥٨٫٧٪ ، والباقي في شكل اسهم يمتلكها المواطنون

كتاكيت بالطائرة !

قال لنا مدير الشركة « نحن نستورد الدجاج البياض من هولندا وانجلترا وامريكا وهو يصل الينا بالطائرة كتاكيت صغيرة او صيصان ، في اليوم الاول من عمرها بعد خروجها من البيضة مباشرة ، لان الصوص او الكتكوت قد وهبه الله عز وجل قدرة على العيش بلا ماء ولا غذاء في الايام الثلاثة الاولى بعد خروجه من البيضة ، فهناك داخل جسمه الصغير يوجد كيس يمده بالماء والغذاء وهو يكفيه طوال هذه الايام الثلاثة وتصل الكتاكيت كلها سليمه وتنقل فورا الى مزرعة الحضانة حيث تجد العناية والرعاية حتى الشهر الرابع من عمرها ، وبعدها تصبح دجاجا بياضا »

ـ وكم يتكلف نقل هذه الكتاكيت ؟

ـ نحن ندفع مبلغا يصل الى ٦٩ الف دولار ، اجر الطائرة الخاصة من طراز بوينغ ٧٠٧ لنقل الصيصان من موطنها الى الكويت وتتسع الط... لحوالي ١٢٠ الف كتكوت ، ومعنى هذا ان نقل الص... الواحد يتكلف ١٣٠ فلسا او اكثر قليلا

ويمضي السيد الفريح يكمل لنا قصته مع الدواج... التي تخصص في انتاجها وتربيتها في الجامعة الامريكية ويقضي معظم ساعات عمله بينها يتفقد احوالها ، ويستمع الى آراء العاملين معها يقول « ان المفقس الآلي ينتج حاليا ما بين ٧٠و٩٠ الف صوص اسبوعيا ونحن نستطيع بسهولة ان نميز بين الذكر والانثى من لون الريش وطول الريش ، ومن الجهاز التناسلي ولكن عدد الاناث من الكتاكيت البياضة لا يكفي ، ومن اجل هذا نستوردها ، اما استيراد الكتاكيت اللاحمة فقد توقف ، ونحن نطرح في الاسواق يوميا ما يزيد على العشرة الآف دجاجة معدة للاستهلاك بعد ذبحها وتجهيزها في مصنع تجهيز الدواجن الذي يعد الاول من نوعه في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج ، حيث يذبح طبقا لاصول الشريعة الاسلامية ، ويتم اعداده للاستهلاك الادمي بصورة آلية لا تقربها الايدى »

وفي المزرعة اليوم ٤٨ حظيرة لتربية الدجاج اللاحم وتنقسم هذه الحظائر الى ثماني مجموعات كل مجموعة منها تضم ست حظائر ، يتم فيها تربية الصيصان ابتداء من الاسبوع الاول حتى يبلغ عمرها ثمانية اسابيع وتصبح معدة للذبح

ربع مليون بيضة يوميا

والبيض ؟

ويقول السيد الفريح . « هناك ربع مليون بيضة تنتج محليا وتطرح في الاسواق ، وتختفى بعد ساعات قليلة ، لانها طازجة دائما »

ثم يحكي لنا قصة اهل الكويت مع الدواجن والماعز والابقار تلك التي عرفها الانسان منذ ان بدأ يستقر ويزرع الارض ويلتصق بها ولم تكن في كويت ما قبل النفط زراعة بالمعنى المعروف ، ولكن علاقة اهل الكويت بالدجاج والماعز والاغنام قديمة ، قدم وجودهم في هذه البقعة من الارض الطيبة ، وكان « الشاوي » او الراعي يجمع الاغنام من بيوت الاهالي ، ويخرج بها الى الصحراء ترعي . فاذا اقبل المساء ، عاد بها ، وخرج ابناء

الاسر كان هو من بينهم ، ليجمعوا اغنامهم من « الش ي » ويعودون بها الى بيوتهم

« الشاوي » اصبح شركات !

لقد اختفى الشاوي وقامت الشركات لتبدأ أول صناعة من نوعها في الكويت وقصدنا اول واكبر هذه الشركات « الشركة الكويتية للالبان » وهي تقع في منطقة الصليبية ، قريبا من قلب العاصمة ، وعلى بعد عشرين كيلو مترا ، وتحتل مساحة تزيد على المائتي والثلاثين دونما (او ٢٣٠ الف متر مربع) ، وتضم اليوم ١٧٥٠ بقرة حلوب ، وهذا العدد يتزايد سنويا بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ ويتراوح ثمن البقرة الواحدة بين ٣٥٠ و ٧٠٠ دينار واعلاها سعرا البقرة الامريكية أو الكندية التي يصل انتاجها من الحليب يوميا الى اربعين كيلو . لقد جاءت من هذه المناطق الباردة وعاشت وتأقلمت في الكويت ، ولم يعد الصيف بحره الشديد مشكلة بالنسبة لها !

ولكل قصة بداية

في عام ١٩٦٠ بدأت فكرة انشاء اول مزرعة لتربية الابقار في الكويت هكذا قال لنا الدكتور عبد الرحمن سليمان المستشار الزراعي لشركات الانتاج الحيواني في الكويت ، الذي عاش التجربة قبل بدايتها

قال عندما ذهبنا للقائه في الشركة او في ارض المزرعة بين حظائر الابقار « كانت تربية هذه الحيوانات تشد اهل الكويت ، شأنهم في ذلك شأن كل مجتمع يعتمد على الحيوان والانتاج الحيواني ولكن الى حد ، فقد كان اهل الكويت اقل اعتمادا من غيرهم من المجتمعات الاخرى في العالم العربي وفي غيره على الانتاج الحيواني ، لعوامل عدة ، اهمها الرزق الذي كانوا يجدونه في مياه البحر وفوقها مع سفنهم التي يبحرون بها شرقا حاملين تجارتهم الى البلاد البعيدة والقريبة ، عائدين منها بما هم في حاجة اليه . هذه ناحية ، اما الناحية الاخرى فقد كانت تتمثل في طبيعة جو الكويت القاسي ، والبيئة .. فهنا صحراء ، لا ماء ولا كلأ باستثناء مياه الآبار والنبات الذي ينمو حولها !

اول واكبر مزرعة

ثم يقول . « وكانت هناك بعض المزارع الصغيرة في هذا الوقت المبكر من اوائل الستينات الى جانب الابقار

السيد محمد الفريح مدير الكويتية المتحدة للدواجن

التي كانت تربى في بيوت الاهالي ، وعددها اكبر بكثير مما كان موجودا في هذه المزارع وبدأ الشركاء مشروعهم الجديد ، بدافع من روح التحدي وبقدر كبير من الشجاعة وكان هدفهم من البداية اقامة اول واكبر مزرعة من نوعها في الكويت والخليج على ضوء ما شاهدوه خلال رحلاتهم وجولاتهم في مزارع تربية الحيوانات في اوربا وضاعف من تصميمهم عدم وجود مزارع انتاجية منظمة في المنطقة وحاجة المواطنين الى الانتاج الحيواني بشكل عام والحليب بشكل خاص ، في الوقت الذي كانت هذه المنتجات تستورد كلها من الخارج

« وبدأت المزرعة بخمسين بقرة حلوب استوردت من الدانيمرك ، ونظرا لعدم توفر الخبرة الكافية محليا ، فقد رافقها في رحلتها بالباخرة الى الكويت ، احد الخبراء في تربية وتغذية الحيوان من الدانيمرك ايضا ..

« وبدأت المزرعة تكبر وتكبر ، حتى كان عام ١٩٦٢ ، عندما استوردت الشركة مائة بقرة اخرى . ولكنها - اي الشركة - مالبثت ان اصطدمت باول مشكلة تواجهها ، وهي تسويق الحليب وكيفية ايصال

جهاز تعبئة الالبان آليا في معمل الستترة بالشركة الكويتية للالبان ، وهو من احدث الاجهزة التي استوردتها الشركة ، وقد اسهم في شرائه اصحاب ١٤ مزرعة لتربية الابقار في الكويت (أعلا)

رراعة البرسيم نجحت في الكويت ، وقد اعدت مساحات كبيرة من الاراضي لزراعة البرسيم واستخدام مياه المجاري في ريها بعد معالجتها الصورة في مزارع الشركة الكويتية للالبان (أسفل)

مجموعة من الابقار الفريزيان في
التجارب الزراعية ، بقسم مراقبة ال
الحيوانية .. لقد تأقلمت الأبقار واستط
ان تعيش وتنتج في جو الكويت ولم
حرارة الجو صيفا تسبب مشكلة لـ

ازجا الى المستهلك ، فلم تكن هناك اية اجهزة لبسترة 'لبان وتعبئتها وتوزيعها

« ولكنها لم تدم طويلا ، فقد جاء الحل بوصول ل اجهزة لبسترة الالبان في نفس هذا العام ، وكانت اقتها صغيرة ، ولكنها كانت النواة الاولى على اية حال سنع الالبان الذي يقوم الآن في الكويت وينتج يوميا ا يزيد على الثلاثين الف لتر من الحليب . ومع ذلك ہي لا تغطي اكثر من ١٥٪ من احتياجات الكويت »

الارض ..الارض ..

ـ وعن المستقبل كيف تراه ؟

ويقول الدكتور سلمان « اذا اردنا ان نسير على لمريق توفير الغذاء والتقليل من اعتمادنا على الواردات ، ىلا بد في رأيي من ان تقوم الحكومة بتشجيع اصحاب ؤوس الاموال على استثمار اموالهم في القطاع لزراعي وهذا يتطلب قيام الدولة بضمان هذه الاستثمارات من ناحية ، ودعم الانتاج من ناحية اخرى ، كما تفعل الآن بالنسبة للدعم الذي تقدمه للحليب حتى يمكن ان يصل الانتاج للمستهلك بسعر معقول ولو انني اعتقد ان هذا الدعم لن يستمر طويلا بعد التوسع في زراعة الاعلاف ، فسوف يأتي اليوم الذي تقف فيه هذه الشركات على قدميها وتعطي نفقاتها وتحقق ربحا معقولا إنني اعتقد ان اهم انجاز حققته الشركة بعد النجاح الكبير الذي حالفها ، هو استيراد اول مصنع من نوعه في الخليج لبسترة الالبان ، وهو جهاز جديد من خصائصه انه يبستر الحليب فيصبح صالحا للاستهلاك فترة طويلة قد تمتد الى عدة اشهر بحيث يحتفظ به في درجة حرارة عادية خارج الثلاجات وقد تكلف هذا الجهاز مليون دينار بما في ذلك تكاليف الانشاءات والتركيبات ، وشاركت فيه اربع عشرة شركة من شركات انتاج الحليب ، وهي تنقل انتاجها يوميا الى هذا المصنع لبسترته .

ارقام

في عام ١٩٦٠ كان عدد الابقار لا يزيد على ٦ الاف بقرة في البيوت والمزارع الصغيرة ، و ١٤٠ الف راس من الماعز والاغنام و ٢٠ الف دجاجة بياضة و ٦٠٠ الف دجاجة لاحمة .

في عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ (اخر احصاء)

ارتفع عدد الابقار الى ١٢ الف بقرة ، والاغنام والماعز الى ٢٠٣ آلاف راس والدواجن البياضه ٢٩٤ ألفا والدواجن اللاحمه الى ٥ ملايين و ٣٦٧ ألفا

« عن وزارة الاشغال الكويتية »

ـ كم بلغت الاموال المستثمرة حاليا في تربية الابقار في الكويت وانتاج الالبان ؟

يقول الدكتور سلمان . « حوالي سبعة ملايين دينار ويمكن ان تصبح سبعين مليونا اذا شئنا ان العالم كله يتجه اليوم الى الارض والماء اصل الحياة ان المعجزة الحقيقية في امريكا واوربا بدأت بالزراعة وما زالت فالزراعة عندهم غذاء وحياة وأمن . بينما الزراعة عندنا ـ عند العرب تخلف وفقر وجوع ، والزراعة غذاء ، والغذاء في النهاية هو استمرار للحياة عندهم وعندنا على السواء فهو صحة وهو اقتصاد وهو أمن للمستقبل » ■■

منير نصيف

لماذا احبه

● أنا احب هذا الرجل فهو لم يقل لى يوما أننى على حق ! حتى عندما كنت أصيب الهدف فى بعض الاحيان ، كنت أرى فى عينيه نظرة اشفاق فاذا سألته « وأين الخطأ الان ؟ » قال : « انك لم تخطىء ولكننى أخشى عليك من الغرور !! »

جيلبرت هاردنج

رسالة بون :

معرض تشكيلي
لأسماء الله الحسنى

بقلم : عبد المقصود حبيب

تعتبر التشكيلات الفخارية والتنويعات الخزفية من أول المعطيات التي أنتجتها يد الانسان في صحون وأطباق وأوان للاستعمال في الحياة اليومية وليس أدل على ذلك من أن كل كشف عن أثر من آثار الانسان القديم توجد فيه أنواع مختلفة من هذه الاواني الفخارية .

وأحدث كشف في هذا السبيل ما توصلت اليه منذ شهرين البعثة الاثارية الفرنسية الباحثة عن أصل الانسان فقد اكتشفت آثارا تدل على وجود الانسان القديم وترجع تاريخها الى ٥٠ ألف سنة مضت فوجدت في المكان آثار عظام انسانية وبجانبها آنية مختلفة من الفخار

لقد اكتشف الانسان الخزف من أقدم العصور لتوظيفه في احتياجاته اليومية وبدأ فن الخزف منذ بدأت الحياة على الأرض حينما كان الانسان يبحث عن الماء وكيف يحفظه عندما مد يده الى ينبوع ماء ليغترف منه ما يروى به ظمأه .. فصنع من هذه المادة ما يا في نقل طعامه وشرابه من قدور وأوان وصحاف .

ثم ألحت عليه رهافة الحس الفني بعد أن استوفى الخزف جميع الاغراض النفعية وبدأ يعطيه ملمسا يهدف منه الى تصوير الجمال وبث الزينة وتجم الحياة .. فلم تعد الفخاريات عنده مجرد جرة أو قلة ؛ بالماء ولا مجرد طبق يتناول فيه طعامه بل تناول الفخار أعمالا فنية رائعة التكوين خالدة الحياة الى هذا تزهو بألوانها الرفيعة وتشكيلاتها الدقيقة لا

● الملك القدوس السلام ●

● سلام هي حتى مطلع الفجر ●

تقف معها ـ عند المقارنة ـ أحدث المنتجات الفخارية في يومنا هذا

وكان في الـعـد الانـاء الـذى توصـع فيه الزهور (الفازة) وحمل التاريخ لنا على مدى العصور أشكالا من ذلك وألوانا ثم تعامل مع الوجوه والاجسام والتماثيل الحركية التي تدل على مهنة ما مثل الخباز أو الكاتب أو الفخارى ثم مع قطع للزينة مثل تلك التي وجدت بين الاثار المصرية القديمة في قصر نفرتيتي ورمسيس الثاني . ومثل ابداع الفخارى القديم في تشكيل فرس النهر والصفدعة والعقرب والجعران وتماثيل الحيوانات الاخرى أو أدوات الزينة مثل الأقراط أو الفازات المختلفة والاطباق المعلقة وغيرها مما يستعمل في (ديكورات) المنازل والقصور وكذلك الجدران والأرضيات المطعمة بالفخار الملون أى الطلاءات الزجاجية كما في قصور الفراعنة والنبطيين والسومريين ويكشف التاريخ الفني عن نشأة هذه التحف التي اكتشفت أعمارها بالاشعاعات وتثبت العلماء من حقيقتها وطبيعة المواد المصنعة منها باستخدام أحدث الاساليب العلمية والاكتشافية في هذه المجالات . يكشف كل ذلك أنها تصل الى فترات ما قبل التاريخ .

الا أن هذه التشكيلات التجميلية الفخارية ظلت كسجن كبير يدور فيه أى فنان يريد أن يشكل من الفخار شيئا . وكما يقول الفنان والناقد المصرى حسين بيكار :

(نقى الاناء أو الزهرية سجين هذه الوظيفة الى ا ظهر ما يمكن أن سميه بالنحت الخزفي حيث رؤى الافا من معطيات الخزف من ملمس ولون وبريق في اضا قيم جديدة على الكتلة المحسمة)

اضافة جديدة

فقصة الخزف ادن قصة طويلة تبدأ باعداد الطي الصالحة للعمل والتي لها الخصائص المميزة من حي المرونة والقدرة على تحمل درجات الحرارة وقابليته للطلاءات الزجاجية فالخامة طيعة ولدنة ويستطي الفنان أن يؤدى بها كل ما يمكن أن يؤديه واستع

الفنان الشعراوي يشرح احدى القطع لزوار معرضه

الفنان على مر العصور هذه المواصفات في خامة الخزف وأخذ يصنع منها غير مادرج عليه سابقوه فأوجد الشكل الاساسي والتمثال الحيواني والقطع الزخرفية الى غير ذلك للاستفادة من معطيات هذه المادة الطبيعية .

وعلى هذا الطريق بدأ الخزاف محمد الشعراوي تجربة جديدة بأن اتجه الى الخط العربي كعنصر تشكيلي لينقله من مجال المسطحات الى مجال المجسمات فصنع من هذا الخط تشكيلات مركبة ذات ايقاعات متجددة واستخرج منه تراكيب مبتكرة تجمع بين النحت والعمارة وأشكال الخط العربي الاصيل .

ويقول الفنان الشعراوي نفسه عن هذا الاتجاه انه نوع جديد وأسلوب خاص استلزم البحث الطويل والدراسة الجادة الشاقة على مدى نصف قرن لكي أصل الى مفهوم أسلوب فني اسلامي معاصر . والتزم بالفن الاسلامي في الحروف العربية وكلمات من القرآن الكريم تضمنت (أسماء الله الحسنى أو فواتح السور القرآنية)

ويستطرد قائلا لقد كانت الكتابات الاسلامية في مختلف العصور الاسلامية توضع على شكل معلقات على الجدران اما بالحفر أو النقش على الجدار نفسه أو على هيئة ملصقات ولكنى تجاوزت هذا كله واستطعت أن أحقق تشكيل الكلمات أو الحروف العربية على هيئة مجسمات وكان ذلك من خلال (تكنيك) جديد لم يطرقه أحد من قبل ، حيث أن البناء الكلى للكلمة يبنى وهو مفرغ قابل للحريق والتزجيج وما تم على هذا الطريق هو بداية لطريق طويل يتيح للفنانين المشتغلين بفن الخزف أن يتجهوا بهذا الفن الى مسار أوسع حيث أن على الفنان الذى يعيش هذا العصر مهمة اضافة جديدة الى ما طرقه غيره من الفنانين القدامى والسابقين عليه ، وليس المقصود بالاضافة انتاج أعمال فنية متكررة بشكل او بآخر ولكن الاضافة هى تلك التي تحدد مكان الفنان بل وتحدد وجود عصره بين العصور)

والفنان محمد الشعراوى قد تمكن من هذا الفن الى درجة كبيرة ، أصبح بها الرائد الاول في هذا المجال وذلك كما جاء على لسان أحد النقاد الفرنسيين وهو المسئول الفنى في التلفزيون الفرنسى عن معرض الشعراوى في بارس فقال (ان الاضافة الحقيقية التى قدمها الفنان الشعراوى في أعمال السيراميك يبدو بشكل خاص في أنه تجاوز ذلك الاستخدام التقليدى النفعى المباشر لفن أوانى السيراميك لينتقل الى آفاق التجريد والصياغة للحروف العربية في أحد الاشكال الجديدة لفن النحت) .

● أسماء الله الحسنى

في عواصم العالم

انها تجربة رائدة ولا شك .. لأنها نابعة من أصول الحضارة الدينية والتراث الاسلامي ثم انها محاولة لادخال الموضوعية في التجريد من غير الاستعانة بالمشخصات وذلك باستخدام المعاني الصوفية التي يوحي بها الخط العربي كما يتضح من احدى القطع المعروضة في معرضه في بون وهى من كلمات ثلاثة الملك القدوس السلام . حيث تتوازن هذه الكلمات وتتشابك في تأليف مبتكر جميل فيه روحانية الدين وعبق الشرق وأصالته وفيه تسبيح صوفي تستشعره حواس الانسان . بعد أن كان التسبيح مقصورا على اللسان والوجدان وحدهما . أو في قطعته باسم (محمد) عليه الصلاة والسلام . أو لفظ الجلالة (الله) أو « الله نور السماوات والارض » أو « يس » . أو « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

والفنان محمد الشعراوى من مواليد ١٩١٦ ودرس الفن في مدرسة الفنون العليا وحصل على الدبلوم منها عام ١٩٣٩ ثم دبلوم في التربية وعلم النفس ١٩٤٧ ومنذ عام ١٩٦٣ عمل رئيسا لقسم المعارض الخارجية بوزارة الثقافة المصرية ويعمل الآن خبيرا للفنون التشكيلية بالوزارة نفسها منذ عام ١٩٧٤

ولقد بدأ العمل الفنى المتميز على هذا الطريق الجديد في فن الخزف منذ أكثر من أربعين عاما أسهم فيها من خلال عمله الرسمي في اقامة معارض أجنبية كثيرة في مصر ومن ناحية أخرى تنظيم اقامة معارض كثيرة للفنانين المصريين في الدول الاجنبية وفي مجاله الفنى أقيمت له المعارض الكثيرة في مصر وخارجها واقتنى كثير من المتاحف العديد من قطعه الفنية مثل متاحف برلين وايطاليا وفرنسا . وفي الوقت الذى كانت ترتبط فيه مصر مع الدول الشرقية أقام معارضه في العديد من هذه الدول مثل الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريا ثم في السنوات الاخيرة بدأت تقام المعارض لاعماله الفنية التي تحمل هذه النزعة الجديدة في مسيرة الفن الخزفي في الدول غير الشرقية فقد أقيم له معرض مؤخرا في باريس ومعرضه الحالي في مركز الهيئة الالمانية للتنمية الدولية في مدينة بادنهوف القريبة من بون عاصمة ألمانيا الاتحادية . وينتقل بعد ذلك الى واشنطن ■■

المانيا الاتحادية ـ عبد المقصود حبيب

ثم قالوا: "تحبها؟" قلت: "بهرا"

بقلم: محمد خليفة التونسي

في احدى ندوات شيخنا عباس العقاد قبل ثلاثين سنة « سمعت هذه القصة - فيا لأذن - من المربي الفلسطيني الكبير الاستاذ خليل سكاكيني رحمه الله، وكان مع وقاره وجلال قدره سمحا كريم العشرة كما كان محدثا لبقا كثير النوادر الطريفة، ومؤدى القصة ان احد القضاة حكم على لص حكما عجيبا هو: ان يقف اللص في مفترق طرق، حتى اذا اجتمع حوله الناس اعترف أمامهم بقول. « انا لص ». ونفذ هذا اللص الماكر الشاطر ذلك حتى اذا التف به السابلة نطق الجملة التي أمره بها القاضي، ولكن بنبرة الاستفهام قائلا « انا لص ؟ » وبذلك فوت على القاضي غرضه، وان كان لم يخرم حرفا من الجملة.

والحروف واحدة في الجملتين ولكن الفرق في النبرة فقد أرادها القاضي خبرية، فجعلها اللص استفهامية

الاستفهام بغير اداة

فهل يجوز ان تنطق مثل هذه الجملة استفهامية، دون اداة استفهام كالهمزة او هل ؟

في كتاب « ليس في كلام العرب » لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) يقول ما نصه « ليس في كلام العرب ألف استفهام حذفت، ولا دلالة عليها الا في بيت واحد لابن ابي ربيعة :

ثم قالوا : « تحبها ؟ » قلت « بهرا
عدد الرمل والحصى والتراب »

ثم أورد بيتا آخر، وعقب بقوله « انما يجوز حذفها اذا كان بعدها « ام » لان « ام » تدل عليها كقول امريء القيس :

تروح في الحي ام تبتكر ؟
وماذا يضرك لو تنتظر ؟

وعلى هذا تقول : قام زيد ام قعد ؟ لأنك تريد ان تقول : أقام زيد ام قعد ؟. »

ولا خلاف بين النحاة في جواز حذف همزة الاستفهام اذا جاءت ام « بعدها، لدلالة » ام عليها وانما الخلاف في جواز حذفها بغير « ام » بعدها وهو في نظرنا خلاف لا مسوغ له ولا مبرر. وقد وقع هذا الخلاف بين العلماء قبل ابن خالويه وبعده حتى الان، بصدد قول عمر بن ابي ربيعة « تحبها ؟ » في بيته السابق، وممن تشددوا قبله في انكار حذفها العلامة المبرد (٢٨٥ هـ) في كتابه « الكامل » (٣٨٢/١ - ٣٨٤) وصرح بان القول بحذفها في البيت « خطأ فاحش » وهذا شطط من المبرد

وممن اجاز حذفها بعد ذلك العلامة ابن هشام (٧٦١ هـ) في كتابه « مغني اللبيب ص/١٣ - ١٦ فقد ذكر هناك اختلاف العلماء في جملة « تحبها ؟ » ثم اشار الى رأي حكيم للأخفش الذي يجعل حذفها قياسيا في الاختيار عند أمن اللبس.

ولا نريد هنا ان نتعرض بتفصيل ولا اجمال - لما قاله هؤلاء العلماء من الموافقين والمنكرين. مما لا يتوخاه ولا يصبر على متاعبه غير المختصين، بل نكتفي بالنظر لما هو اعمق وابسط من كل ما قالوه. فقد جرت عادة الناس - ايا كانت اللغة التي يتفاهمون بها، حتى بالاشارة - ان يميزوا بين الخبر والاستفهام، فاذا تكلموا ميزوا بالنبر بين المعنيين، فهم يعتمدون في الاستفهام على نبرة صوتية خاصة سواء ذكروا الاداة او حذفوها.

وسواء كان الاستفهام حقيقيا « اي طلب الفهم » او مجازيا حين يخرج الاستفهام الى التعجب او التهكم او الأمر او التوبيخ ... فليست الاصوات وحدها هي التي تؤدي المعاني بل نبرتها او لونها معها. وهذا امر شائع في اللغات، لا شك في حدوثه بين المتكلمين والسامعين، فالمتكلم ينطق ملونا صوته او اصواته، فيفهم السامع مقصوده. ولا تشذ لغتنا الفصيحة عن ذلك، وهو في

الدارجة عندنا يتكرر يوميا على ألسنتنا بلا انكار من احد ، وهو يجري تلقائيا بغير انتباه من المتكلم والسامع .

يسألك سائل مثلا « فرغت من قراءة الكتاب ؟ » والجواب « نعم » في الاثبات ، و « لا » في النفي . ويسأل « ما حفظت القصيدة بعد ؟ » فالجواب « بلى » في الاثبات و « نعم » في النفي . ولا حاجة الى أداة استفهام مثل الهمزة او « هل » ولا الى « ام » وجملة اخرى بعدها معادلة .

وقد يكون في سياق الكلام ـ الى جانب النبر ـ ما يدل على انه استفهام ، ولو كان ذلك مجازيا كالتوبيخ في قولنا « تتعاطى الربا وهو حرام ؟ » والتهكم في قولنا « دينك يأمرك بالظلم ؟ » والامر « تصدقت على الفقير ؟ » ونحوه من المعاني المجازية التي يخرج اليها الاستفهام ، ولا حاجة فيها الى جواب .

ولسنا نريد ان نأتي بالشواهد الشعرية الفصيحة التي تؤيد جواز الاستفهام بغير أداة عند الضرورة ولدينا منها كثير لان للشعر ضروراته من اوزانه وقوافيه ، ولكننا نكتفي بنص واحد يؤيد ذلك قياسيا في الاختيار عند أمن اللبس ، وهو حديث نبوي رواه البخاري ومسلم باسنادهما عن ابي ذر ، وروى عن غيره ايضا في المسانيد الاخرى ـ انه سمع النبي يقول : « ما من عبد قال : لا اله الا الله الا دخل الجنة » واستهول ابو ذر ذلك ، فسأل النبي « وان زنى وان سرق ؟ » فأجابه « وان زنى وان سرق » . وعاوده ابو ذر في ذلك ثلاثا فعاوده النبي بالجواب نفسه ثلاثا ثم قال في الرابعة « على رغم انف ابي ذر » فخرج ابو ذر يقول « وان رغم أنف ابي ذر » .

بين المنطوق والمكتوب

هذا ما يحدث في المنطوق ، وفي هذا النطق وسياق الكلام ايضا ما يدل على الاستفهام . ولكن ماذا يحدث عند كتابة هذا الكلام ؟ المفروض في الكتابة ان تكون صورة صحيحة للكلام على وفق نطقه وان عجزت كل « الابجديات » عن تحقيق ذلك في اللغات حتى اليوم .

ورأينا أن المشكلة الآن أسهل حلا ، فقد صرنا نستعمل في الكتابة ما يستعمله الغربيون من علامات الترقيم Punctuaion ، ومنها علامة الاستفهام (؟) فاذا كانت العبارة استفهامية وضعنا هذه العلامة في آخرها مثل « حضر الضيف ؟ » واذا اردنا الخبر كتبناها هكذا « حضر الضيف . »

ولكن ما الحيلة فيما نقرأ من كتابات لم تستعمل فيها علامة الاستفهام كما في الكتب القديمة ؟ قد يعني السياق احيانا ، كما مر بنا في الحديث النبوي ، وكما في قول الكميت الاسدي :

طربت وما شوقا الى البيض
ولا لعبا مني ، وذو الشيب يلعب ؟

اذ لا شك ان الكميت لم يرد اخبارنا هنا ان ذا الشيب يلعب ، ولكنه يعجب ، وينكر ان ينسب طربه الى حب اللعب بعد ان شاب ، لان الشيب يحول دون اللعب ، كانه قال : « او ذو الشيب يلعب ؟ » فنضع علامة الاستفهام بعد عبارته لنبين انها استفهامية

ومثل قول المتنبي :

أحيا ؟ وايسر ما قاسيت ما قتلا
والبين جار على ضعفي وما عدلا

فالمتنبي لا يخبرنا بانه يحيا مع هذا البلاء الساحق الذي يعانيه ، بل يريد التعجب من حياته مع محنته ، فهو يستفهم متعجبا

ثم نعود الى بيت عمر بن ابي ربيعة الذي فيه « تحبها » ونستوعب الموقف كله ، وتبدأ القصيدة بقوله :

قال لي صاحبي ـ ولم يدر ما بي :
« أتحب القتول أخت الرباب ؟ »
قلت : « وجدي بها كوجدك بالما
ء ، اذا ما فقدت برد الشراب»

ثم قال بعد ابيات وضح فيها اثر حبه اياها في بلبلة عقله :

ابرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا : « تحبها ؟ » قلت : « بهرا
عدد الرمل والحصى والتراب »

فهل حكايته الاخيرة الا صورة من حكايته الاولى فيما سئل عنه واجاب عليه .

لكن اذا لم يكن في سياق الكلام او جملة الموقف ما يدل على استفهام فلا بد ان يقع لبس ، ولا سبيل معه للترجيح بين الاستفهام والخبر والقارىء هنا حر في الاختيار لان الوجهين محتملان على سواء . ■■

التنويم المغناطيسي
بين الحقيقة والخيال

بقلم الدكتور عبد الرحمن عيسوي

يحيط بهذا الموضوع من جملته في اذهان الكثيرين منا الغموض والاسرار والمخاطر بل والاهوال ، ولذلك فهو جدير بالبحث العلمي الموضوعي الدقيق لتوضيح طبيعته وحدوده والاسس العلمية التي يرتكن اليها .

وجميع العلوم وان كانت قد انحدرت عن السحر والخرافة الا ان التنويم المغناطيسي كان اكثرها بطئا في التحرر عنها ونحن اذا ما اخترنا مجموعة من الشباب العربي المثقف وطلبنا منهم ان يدونوا ما يدور بخلدهم من اسئلة حول عملية التنويم لتعجبنا من كثرة هذه التساؤلات وتنوعها مما يكشف حاجتهم الملحة الى المعرفة العلمية ومدى الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع ولقد قام بمثل هذه المحاولة فعلا عالم النفس ماركيوس

F. L. Marcuse حيث سأل مجموعة مكونة من الف طالب امريكي ان يدونوا الاسئلة التي يبحثون عن اجابة لها حول موضوع التنويم .

ولعملية التنويم المغناطيسي سمعة سيئة في اذهان الناس ولقد سأل احد الباحثين مجموعة من الطلاب ان يذكروا اول كلمة ترد الى اذهانهم عند سماع كلمة تنويم مغناطيسي وكانت معظم الاجابات سلبية كالقول انه شيء رديء ، غامض غريب ، مخيف ، عين شريرة .. الخ وفي تصوري انه يرتبط في عالمنا العربي المعاصر بعمليات النصب والاحتيال والغش وادعاء التطبيب ، ومعنى ذلك ان الرأي العام مزود بمعلومات خاطئة عن التنويم . وسوف نتناول في هذا المقال الحديث عن طبيعة عملية التنويم وتقنياتها واثرها في العلاج النفسي وفي الحياة اليومية .

للتنويم المغناطيسي المعاصر تاريخ طويل فقد استخدمت الفاظ متعددة للدلالة عليه عبر العصور ، ونحن الآن نستخدم الكلمة اليونانية Hypnosis التي تعني النوم وهو اصطلاح استخدمه بيرايد Braid في القرن ١٩ ، وحاول ابتكار لفظ آخر ولكنه فشل . في القرن العشرين اصبح التنويم يستخدم دون ان يتضمن انه يعني النوم . ومن المصطلحات المستخدمة ايضا للدلالة عليه Mesmerism نسبة الى العالم مسمر . لقد بدأ تاريخ التنويم الحديث بعمل الطبيب النمسوي انطون مسمر (١٧٣٣ - ١٨١٥) Anton Mesmer ، الذي يعتبره البعض قديسا بينما يعتبره البعض الآخر شريرا . ولقد تحدث عن امور غريبة كمغنطة الاخشاب والماء كما استخدمه في العلاج النفسي وخاصة في العلاج الجماعي Group Therapy حيث استطاع مغنطة عدد كبير من الافراد يصل الى نحو ثلاثين شخصا عن طريق امساكهم بقابض معدنية ممغنطة . وكان يضيف الى جو المكان جاذبية باستخدام الموسيقى ، والمشي في وسط الحجرة بطريقة ملكية وهو يرتدي الملابس الحريرية الفضفاضة . وكان في اثناء سيره يلمس بعض افراد الجماعة ، ويضيف بذلك الكثير الى جو المغنطة .

حقيقة واقعة

لقد عرف التنويم أو الاستهواء المغناطيسي Hypnotism منذ اقدم العصور ، فاستخدمه كهنة اليونان قبل الميلاد ، حيث كانوا يؤثرون على شخصية أتباعهم في معابد ابولون وسرس وانسدور ، كذلك استخدمه فقراء الهنود وما يزالون يستخدمونه . ويرجع الفضل في وضع اصوله كعلم الى الطبيب النمسوي مسمر في أواخر القرن الثامن عشر ، وبعده ظهر كثير من العلماء الذين استخدموه في علاج الامراض النفسية والعقلية والعصبية . والتنويم المغناطيسي عبارة عن نوم صناعي ينتج عن تأثير الايحاء والملل من تكرار تأثير منبه معين ، وليس بواسطة المواد المخدرة . وهو نوم جزئي يشبه النوم الطبيعي في كثير من مظاهره ، ولكنه ليس نوما طبيعيا . ويعرفه جيمس دريفر بانه حالة اصطناعية تشبه في كثير من خواصها النوم وتمتاز بقابلية الفرد الشديدة ، والواقع تحت تأثيره ، للايحاء او الاستهواء واستمرار الاتصال او الرابطة العاطفية مع المحلل او المنوم . اما اصطلاح Hypnotism فيشير الى الدراسة العلمية للتنويم المغناطيسي وممارسته .

حقيقة إن موضوع التنويم المغناطيسي يثير كثيرا من التساؤلات في اذهان الخاصة او العامة ، ويرتبط بكل من العلم والوهم والخيال والنصب والاحتيال ، ويتصل باساليب العلاج النفسي والحسي وباستطلاع الغيب . ولقد اكد التنويم المغناطيسي عبر العصور ، انه حقيقي وانه مؤثر الى الحد الذي حمل الجمعية الطبية البريطانية في سنة ١٩٥٥ ، بعد ان قضت عامين في تقويم المعطيات الناتجة عن العلاج التنويمي تقرر ان للتنويم تطبيقات هامة وانه اسلوب مستقر من اساليب العلاج .

التنويم حقيقة واقعة لا جدال فيها ، اما طبيعته فما زالت مجال جدال مستمر . فهل يؤثر الذكاء في التنويم ؟ وهل تتغير موجات المخ اثناء الخضوع له ؟ وهل من الممكن اجراء الجراحات تحت تأثيره دون حدوث النزيف الدموي ؟ مثل هذه التساؤلات توضح اننا ما زلنا في حاجة لمزيد من المعرفة العلمية حول موضوع التنويم . ومن اجل هذه الصعوبات يميل ماركيوس الى تعريفه بفعله اكثر من تعريفه بما هو في ذاته فيقول إنه حالة متغيرة للكائن تنتج اصلا وغالبا بواسطة تكرار المثيرات وفيه يصبح الايحاء اكثر فاعلية عنه في الحالة الطبيعية . ولكن هذا التعريف تعريف وصفي اكثر منه تفسيري . ويعرفه انجلش بانه حالة تنتج صناعيا تمتاز بقابلية شديدة لايحاء المنوم . وفي العادة يمر الفرد بحالة نعاس تشبه النوم ومن هنا كانت التسمية . ويصل الفرد لـ الحالة عن طريق الاسترخاء الجسدي والانتباه ، بناء على ايحاء المنوم ، الى شيء محدود او لفكرة محددة .

في الحياة اليومية

وهناك مظاهر كثيرة في الحياة اليومية تشبه ◄

التنويم . فقد يسبح الفرد في قراءة كتاب ما وهو مستغرق في الافكار . وعلى حين فجأة يكتشف انه قطع عدة صفحات من الكتاب دون ان يدري . والشخص الجالس وسط مجموعة من الناس قد يأخذه التفكير بعيدا عن جو المناقشة الدائرة . وعلى حين فجأة يفيق ليجد نفسه قد فاته قدر كبير من تلك المحادثات والشخص المستغرق في ذكريات الماضي قد يلتهم « طبق اللحم المشوي الشهي » الذي كان يحلم به من زمن بعيد دون ان يستشعر لذة طعمه .

وحالات فقدان الحس الذوقي والسمعي والبصري تشبه مثيلاتها في التنويم . ولكنها ليست هي ذاتها . وهناك حالات اخرى ولكنها عرضة للجدل منها فقدان الحساسية بالالم . في حلبات الملاكمة والمصارعة . في مثل هذه الحالات ينخفض معدل الانتباه ويقل الادراك البصري والسمعي والذوقي هذه الظواهر تحدث للاشخاص الاسوياء تماما . وفي بعض الطقوس الدينية توجد حالة من الجو التنويمي حيث يخيم الظلام على المكان مع الموسيقى الناعمة . والتركيز على نقطة معينة عادة ما تكون الصليب . مع جو الرتابة والتكرار والتأمل مع تحريم الحركات ولا شك ان هناك بعض النداءات التي تخاطب العقل واخرى تخاطب العاطفة

ويتميز الاتجاه نحو التنويم المغناطيسي في الوقت الحاضر بالموضوعية والعلمية بالقياس لما كان عليه الوضع في الماضي . ولذلك فقد التنويم كثيرا من مبالغاته والواقع ان علماء النفس لم يهتموا بدراسة مشكلات التنويم الا في العشرينات من هذا القرن . وان كان يستخدم منذ قرون عديدة في العلاج بواسطة الاطباء ورجال الدين وغيرهم . ومع ذلك فما زالت دراسته مسألة صعبة ومن بين هذه الصعوبات تعدد المصطلحات التي يقابلها الباحث في هذا الميدان . فهناك مصطلحات مثل الاسترخاء المتتالي . والنوم النفسجسمي . والايحاء الآلي . وغيرها .

والاتجاه الطبي نحو التنويم يعتبره حالة تشبه النوم . ناتجة عن وضع اشياء امام العين او تكليف العميل بالنظر والحملقة في نقطة معينة براقة لامعة . وتحدث هذه الحالة عندما تسترخي قوة ارادة العميل . ولكن مثل هذا الاتجاه يهمل دور الايحاء . ومن الناحية الاكاديمية فاننا ما زلنا نجهل الكثير عن طبيعة التنويم ويرجع ذلك الى قلة البحوث في هذا الميدان لانها تقابل بكثير من المعارضة .

في الوقت الحاضر تتلخص عملية التنويم المغناطيسي في جلوس العميل على مقعد مريح حيث تطفأ الاضواء ويسود الهدوء التام ارجاء المكان . واذا كانت هناك ثمة تساؤلات في ذهن المريض حول التنويم فان المنوم يجيبه عنها اولا باختصار . وفي حالة استخدام التنويم للاغراض العلمية فان المنوم يعرف العميل بعدم توجيه الاسئلة الشخصية واذا كان العميل من المرضى فان المنوم يوضح له بان حالة النوم العميق التي يسى فيها العميل كل شيء لا تنفع في العلاج وفي كل الاحوال يعرف العميل بانه لن يفقد وعيه . ويطلب منه التعاون . كما يعرفه انه لن يغط في نوم عميق بالمعنى العادي وانه سوف يظل قادرا على الحديث دون ان يستيقظ من نومه ثم تبدأ عملية التنويم الفعلية

يقول المنوم : انني اريدك ان تنصت الى ما اقوله جيدا (يكرر هذه العبارة عدة مرات) ان عينيك مغلقتان (تتكرر) انت تشعر بالراحة والاسترخاء . انت لا تفكر في شيء الا فيما اقوله لك . ان عينيك مغلقتان . مغلقتان . بارتياح . انك تفكر في لا شيء . لا شيء الا ما اقوله لك ذراعاك ورجلاك تشعران بالثقل ذراعاك ورجلاك تشعران بالثقل وانت مسترخ كل جسدك مسترخ كل جسدك يشعر بالاسترخاء (تكرر) عضلاتك ووجهك وذراعاك ورجلاك مسترخية جسدك يشعر كما لو كنت تعود الى حالة الظلام . وبينما انت ترتد الى حالة الظلام فانك تشعر بمزيد من الاسترخاء . ومزيد من الراحة (تكرر) . انك تستمع الى صوتي فقط تفكر في لا شيء على الاطلاق . تركز على صوتي فقط تستمع الى ما اقول (تكرر) انت تشرع بالراحة والاسترخاء وبينما انت ترتد الى الوراء فانك تبدأ في الشعور بالنعاس القوي انك لا تفكر في شيء سوى صوتي . انك تشعر بالراحة والاسترخاء (تكرر) انك تتنفس بانتظام وبعمق انك تستغرق في النوم . نوم عميق مريح وصحيح .. نومك آخذ في العمق ... أعمق وأعمق وأعمق . وكلما ذهبت للخلف للظلام اصبح نومك اكثر عمقا . انك نائم .. نائم ... نائم وبينما اعد انا من واحد الى عشرة فان نومك يصبح اكثر عمقا .

ثم يسكت المنوم لمدة خمس دقائق . وفي اثناء هذا الكلام يجعل المنوم كلامه اكثر انخفاضا ونعومة وليونة وبطئا واكثر رتابة ...

قبل بدء عملية التنويم يطلب من العميل الحملقة في عين المنوم او في شيء لامع . كقطعة العملة التي تبعد حوالي قدم عن عين العميل ونحو ٨ بوصات فوق مستوى خط ابصاره . وبهذه الطريقة تشعر العين بالارهاق . وعندما يخبر المنوم العميل بان عينه مرهقة فانها

تكون كذلك بالفعل . وبعد ذلك يطلب منه غلق عينيه

عرقلة القلب والمخ

بعض المنومين لا يميلون لاستخدام هذه الطريقة في الحملقة لانهم هم انفسهم ينظرون الى الاشياء اللامعة ويشعرون هم انفسهم بالنعاس . على كل حال اذا لم يقبل العميل غلق عينيه فان المنوم يقوم بغلقها بحزم وبرقة . وعلى المنوم ان يتحاشى ذكر الاشياء التي تثير انفعال العميل وحساسيته فاذا كان العميل فتاة مثلا ذات ارجل ضخمة ، فانه لا ينبغي ان يذكرها ان ارجلها اصبحت ثقيلة لان ذلك يعوق عملية التنويم . وعلى المنوم ان يتحقق من حدوث الاسترخاء . ومن علاماته حدوث تغيرات في الوجه منها فتح الفم واسترخاء عضلات الوجه وقلة المبادأة وكثرة البلع . ويستطيع المنوم ان يجري اختبارا بسيطا للتأكد من استرخاء العميل بان يرفع ذراعه الى اعلى الى الوضع الافقي ثم يتركه ، فاذا كان العميل مسترخيا فان ذراعه سوف تسقط « كالخرقة » ، اما اذا لم يكن مسترخيا فان الذراع تبقى كما هي في اعلى .

وفي نهاية عملية الايحاء يتوقف المنوم عن اعطاء التعليمات للعميل حتى يتعمق النوم . ولا تختلف هذه الاجراءات في حالة التنويم الجماعي عنها في حالة التنويم الفردي باستثناء ارتفاع صوت المنوم في حالة التنويم الجماعي . وهو اقتصادي من حيث الزمن اللازم وفي عملية اختيار الافراد اللازمين للاغراض التجريبية والقابلة للاستهواء .

ويستفيد المنوم من التغذية الرجعية اي بما يقرره العميل من احساسات اثناء العملية .

وهناك مناهج اخرى تعتمد على عرقلة نشاط القلب والدورة الدموية للمخ . وذلك بالتأثير على وعاء دموي قريب من الاذن ولكنه منهج خطير في يد غير المتخصص . انه منهج فسيولوجي حيث يشعر العميل في خلال دقيقة واحدة بالدوخان والاغماء والاضطراب ويصبح مستجيبا للايحاء . وهناك منهج آخر يستخدم النمط اللفظي آنف الذكر دون استخدام كلمة « نوم » على الاطلاق . ويطلق على التنويم في هذه الحالة التنويم المتيقظ ، لان كلمة النوم تعني فقدان الوعي ، وهناك اشخاص كثيرون يترددون في قبول فقدان الوعي وتستخدم كلمة « استرخاء » بدلا من كلمة نوم . ويصلح هذا المنهج للاشخاص المصابين بالقلق .

وهناك منهج آخر يصلح للاشخاص الذين يرفضون الاعتراف بانهم تأثروا بالايحاء او بالتنويم ، ويطلق عليه منهج « الاضطراب » . وفي هذا المنهج يأخذ المنوم في الايحاء للعميل بسرعة بان ذراعه الايمن اصبحت ثقيلة ، ثم اصبحت خفيفة ، ثم دافئة ، ثم باردة وهكذا بالنسبة لاطرافه الاخرى وكنتيجة لهذا الخلط او اليأس فان العميل يستسلم ويقبل الايحاء من المنوم .

ومن بين المناهج المتطورة تنويم الفرد « دون ان يدري » ويتم ذلك في اثناء نوم العميل ، حيث ينقله المنوم دون ان يدري من حالة النوم الى حالة التنويم المغناطيسي ، ويتم ذلك باستخدام صوت منخفض يجذب انتباه العميل بواسطة الاتصال الفيزيقي بايدي المنوم ويصبح النائم قادرا على الكلام

وفيما يختص بالفترة الزمنية لحدوث التنويم فانها تتراوح بين الخمس والعشر دقائق ويمكن حدوث التنويم بواسطة اجهزة التسجيل . كما تستخدم بعض الالات للمساعدة على حدوث عملية التنويم من ذلك المترونوم والساعات والات التسجيل والنغم والاضواء . الخ . حيث تساعد على التنويم المعتمد على المجهود اللفظي . كذلك من الممكن حدوث التنويم بواسطة الراديو والتلفزيون

كما يمكن حدوثه عن طريق الهاتف . ويمكن استخدام العقاقير للمساعدة على حصول التنويم . ويمكن الايحاء للمستقبل حيث يوحي للعميل بانه سوف ينام بصورة اعمق في الجلسات القادمة ولا يمكن ان يحدث التنويم بصورة آلية ميكانيكية وحدها . ذلك لان توقع الفرد انه سوف ينام بصورة اعمق في الجلسات القادمة يساعد على سرعة نومه . ولقد وجد ان التنويم الذي يعتمد على اللمس والاحساس السمعي والبصري اكثر فاعلية .

ويمثل الطريقة التي تم بها التنويم يتم بها اعادة العميل لعالم اليقظة ويطلق على ذلك Dehypnosis . ولتحقيق ذلك يقول المنوم للعميل بعد دقيقة سوف أوقظك (تكرر) وعندما تستيقظ ستشعر بالانتعاش والتيقظ ... ستشعر بالانتعاش الكلي واليقظة الكلية ..انت الآن آخذ في التيقظ .. ان نومك آخذ في الخفة . انت الآن آخذ في الاستيقاظ بينما انا اعد من ١٠ ـ ١ سيخف نومك (عملية العد نفسها) انت الآن مستيقظ .. وهكذا . ■■

د. عبد الرحمن عيسوي

في عام ١٩٠٦ نشرت مطابع جامعة اكسفورد مجموعة قصصية للاديب الروسي الكبير ليو تولستوي الذي هز العالم آنذاك بعظمة اخلاقه ونبله واستقامته . وذلك حين وزع املاكه وعاش حياة فقيرة بائسة كغيره من الفلاحين . تماما كما عرفنا من قبل برواياته الرائعة امثال الحرب والسلام وانا كرينا وقد كانت هذه هي احدى القصص التي نشرها الكاتب وقالت « انها قصة فرنسية للقصصي الشهير جي دي موباسان ، وان تولستوي اقتبسها عنه »

للاديب الروسي ليو تولستوي

تعريب : سليم الصويص

قرب الحدود الفرنسية ـ الايطالية تقع امارة صغيرة اسمها امارة موناكو ، لا يتجاوز عدد سكانها سبعة الاف نسمة . اما مساحة ارضها فانها لو وزعت على السكان لما نال النفر منهم اكرا واحدا . ومع ذلك فان على رأس هذه الامارة امير له قصر وحاشية ووزراء واسقف وقائد جيش وليس الجيش جيشا ، بمعنى الكلمة الدقيق ذلك ان تعداده ستون جنديا فقط ، ومع ذلك فهو جيش وهناك ضرائب تجبى في هذه الامارة . ضريبة على التبغ ، وأخرى على الخمور ، وثالثة تعرف باسم ضريبة الرأس ومع ان شعب الامارة يشرب الخمور ويدخن التبغ كغيره من الشعوب الا ان الامير كان سيضغط على فئة قليلة لاطعام رجال حاشيته وضباطه ونفسه لو لم يجد موردا خاصا هو بيت الالعاب ، حيث يلعب الناس الروليت ـ فسواء ربح اللاعب ام خسر فان حارس اللعبة يقبض نسبة مئوية من دوران الروليت ومن هذه العائدات يغطي القسم الاكبر من دخل الامير

والسبب هو ان موناكو هي المكان الوحيد المسموح فيه بممارسة هذه اللعبة بعد ان اصدرت حكومة المانيا مرسوما منعت بموجبه الحكام الصغار من ادارة هذه اللعبة في املاكهم وذلك لما تلحقه من اضرار وتدمير للناس فالمرء يجيء ليجرب حظه ، وقد يقامر بكل ما يملك ويخسر ثم قد يقامر بمال يخص الغير فيخسر ، ومن ثم وفي حالة يأس يقدم على الانتحار باطلاق النار على نفسه . ولهذا السبب منعت المانيا حكامها من جمع المال بهذه الوسيلة ، ولكنها لم تستطع منع امير موناكو الذي ظل السيد المحتكر لهذه اللعبة .

وهكذا اصبح المقامرون يفدون الى موناكو للعب . وسواء ربحوا ام خسروا فان الامير يربح دائما . ان المثل يقول « انت لا تربح حجارة القصر بالعمل الشريف » ، والامير موناكو يعرف ان هذا عمل قذر ، ولكن ما العمل ؟ فهو مضطر الى ان يعيش ، فيفرض الضرائب على الخمور والتبغ فيعيش ويحيط قصره بكل مظاهر ابهة الامراء .

فهو يحتفل بيوم تتويجه ولديه أختام ، ويقدم الجوائز ويوقع العقوبات او يصدر احكام العفو ، ولديه مقابلات ومجالس وقوانين وقصر عدل ، تماما كغيره من الملوك ولكن على نطاق ضيق

وقد وقعت جريمة قتل في مركز العاب الامير قبل عدة سنوات وهو امر لم يحدث ابدا ولم يعرفه الاهالي المسالمون فعقدت محكمة اصولية حضرها قضاة ومدعون ومحامون وبعد مناقشة ومداولة اصدرت المحكمة حكمها باعدام القاتل على المقصلة . ورفع القرار الى الامير للمصادقة عليه فوقعه وقال « اذا كان الحكم واجب التنفيذ فنفذوه » .

ولكن كانت هناك ثغرة في الحكم . اذ لم يكن في الامارة مقصلة ولا جلاد ، فتدارس الوزراء في الامر ، وقرروا الطلب الى حكومة فرنسا اعارتهم مقصلة وجلادا وخبيرا في قطع الرؤوس . وجاء الرد بعد اسبوع متضمنا ان بالمقدور ارسال المقصلة والجلاد وان الثمن ١٦ الف فرنك . ووضع الرد امام الامير ففكر مليا : ١٦ الف فرنك ؟ ولكن الشقي لا يساوي هذا الثمن وسأل الا يمكن تنفيذ حكم الاعدام بثمن ارخص ؟ ان دفع ١٦ الف فرنك معناه فرض ضريبة على كل رأس تزيد على فرنكين . وهذا ما لا طاقة للاهالي به ، وقد يؤدي الى تمرد !

واجتمع مجلس الوزراء لتقرير ما العمل · فقرروا ارسال كتاب مماثل الى ملك ايطاليا ، فحكومة فرنسا جمهورية ولا احترام للامراء عندها ، بينما ملك ايطاليا شقيق امير موناكو . وقد يوافق على سعر ارخص ارسل كتاب بهذا الشأن وجاء الرد متضمنا سرور الحكومة الايطالية لتوريد مقصلة وجلاد خبير بكلفة ١٢ الف فرانك بما في ذلك اجور النقل وسفر الخبير ، ومع ان العرض ارخص الا انه ما زال باهظ الثمن ، والشقي يساوى هذا المبلغ الذي يعني فرض ضريبة فرنكين على كل رأس . فدعي مجلس الوزراء الى عقد اجتماع ثالث وتباحث وتداول في كيفية تنفيذ الحكم بثمن اقل ، هل من الممكن تكليف احد الجنود بتنفيذ الاعدام ولو بطريقة فظة ؟ واستدعي قائد الجيش وسئل هل عندك جندى يستطيع قطع رأس الرجل فالجنود لا يبالون بقتل الناس في الحروب وهم معتادون على ذلك ، ونقل الجنرال المشكل الى الجنود فتناقشوا فيه ، ولكن الجنود رفضوا المهنة وقالوا ، « نحن لم نتعلم ذلك في تدريباتنا » .

ما العمل ؟ اجتمع مجلس الوزراء مرة اخرى لاعادة النظر ، وشكل لجنة ولجنة فرعية واتفق على ان خير وسيلة (هي أن تستبدل بالأعدام عقوبة السجن المؤبد) وبهذا يظهر الامير رحمته وتكون الكلفة اقل

صادق الامير على الاقتراح وصدر مرسوم بتخفيض عقوبة الاعدام الى السجن المؤبد ، ولكن ظهرت هنة صغيرة في القرار ، اذ ليس في البلاد سجن يليق برجل محكوم عليه بالسجن المؤبد فقد كان هناك « نظارة » يوقف الناس فيها مؤقتا ، ولم يكن هناك سجن حصين للاستعمال الدائم .وتدبر الوزراء الامر وعثر على مكان يصلح لذلك ، ووضع السجين فيه واقيم عليه حارس لحراسته واحضار طعامه من مطبخ القصر

بقي السجين الشهر تلو الشهر رهين محبسه حتى انصرم عام وفي نهاية العام وبينما كان الامير يدقق الموازنة وقعت عينه على بند جديد في النفقات ، وهو يتعلق بحراسة المجرم ولم تكن النفقات يسيرة . فقد عين حارس خاص وكانت هناك نفقات اطعامه البالغة ٦٠٠ فرنك في العام . واسوأ ما في الامر ان السجين شاب قوى معافى ، وقد يعيش خمسين عاما ـ وحين يفكر المرء مليا في المسألة تبدو له جد خطيرة ، فاستدعي الامير وزراءه وقال لهم : « يجب ان تعثروا على وسيلة ارخص للتعامل مع هذا الشقي ، فقراركم الاخير باهظ التكاليف » . فاجتمع مجلس الوزراء وتداول في الامر وتداول ، الى ان تفتق ذهن احدهم عن مخرج وقال : « ايها السادة في رايي انه يجب صرف الحارس ـ فاجابه وزير آخر « في هذه الحالة يهرب السجين » فرد عليه « ليهرب » ونقل مجلس الوزراء قراره الى الامير فوافق عليه ، فعرف الحارس وانتظر ما سيقع ، ولكن ما حدث هوان السجين خرج عند الظهر ليبحث عن حارسه وحين لم يجده توجه الى مطبخ القصر لاحضار غذائه بنفسه . فاخذ قصعته وعاد الى السجن واغلق الباب عليه وتكرر الامر ذاته في اليوم التالي حيث ذهب في الوقت المحدد لاحضار طعامه ، ولم تظهر عليه ادنى بادرة في انه ينوى الهرب مالعمل اذا ؟ كان لابد من التداول مرة اخرى

قالوا « يجب ان نفهمه اننا لا نريد سجنه وكلفوا وزير العدل بابلاغه القرار . فاستدعاه الوزير وسأله « لم لا تهرب ، وليس هناك حراسة عليك تستطيع الدهاب اني شئت والامير لا يعارض

اجاب الرجل : « اعرف ان الامير لا يعارض ولكن لو هربت فماذا اعمل ؟ لقد افسدتم طبعي بسجني والناس سيديرون وجوههم عني ، ثم انكم عاملتموني معاملة سيئة . وهذا ظلم كان عليكم ان تنفذوا حكم الاعدام بي ولكنكم لم تفعلوا . ولم احتج . ثم خفضتم العقوبة الى السجن المؤبد ، واقمتم حارسا علي لاحضار طعامي ، ثم صرفتموه بعد فترة ، وصار لزاما على ان اذهب بنفسي لاحضار طعامي . ولم احتج . والآن تريدون ان اذهب ، لا استطيع قبول ذلك افعلوا ما شئتم ولكنني لن اهرب

ما العمل اذا ؟ استدعي مجلس الوزراء للاجتماع مرة اخرى وفكر في المسألة وامعن الفكر واستقر رأيه على ان يقدم له تعويضا مقداره ٦٠٠ فرنك ، ونقل القرار الى الامير للمصادقة عليه . فصادق عليه ثم ابلغ القرار الى السجين

فاجاب « حسنا اوافق شريطة ان تدفعوه بانتظام ، بهذا الشرط اوافق على الخروج » .

وهكذا سويت المسألة . فتلقي ثلث التعويض السنوى سلفا وغادر الامارة . وما كادت تمر ربع ساعة على سفره بالقطار حتى صار خارج حدود الامارة . فهاجر واقام عند الحدود ، حيث اشترى قطعة ارض وبدأ يزرعها بالزهور ويتاجر بها . وهو يعيش الآن مرتاحا . ويذهب في الوقت المحدد لقبض التعويض ـ وما يكاد يقبضه حتى يذهب الى موائد القمار فيقامر بفرنكين او ثلاثة ليعرف حظه ثم يعود الى بيته حيث يعيش في امان وراحة . ■■

خطر يهدد الاطفال

داء الكزاز

بقلم : الدكتور هشام الناظر *

لا يزال الطب يحاول الوقوف بالمرصاد لكل الامراض التي تصيب الانسان ، تدعمه كل يوم اكتشافات جديدة لتقضي على مرض أو آخر من هذه الأمراض ، فالعقل الانساني الذى أزاح الستار عن اسرار الكون يزيح الستار ايضا عن اسرار الجسم الانساني ويسهم بنصيب فعال في الحرب التي يشنها الانسان على الامراض التي تفتك به لكي يحافظ على حياته ومركزه من الحياة فنجده يكافح باستمرار ضد الامراض واسبابها ويمضى في الكفاح بدون توقف للابقاء على الدور الفريد الذى يلعبه في الحياة .

ومن بين ضروب الكفاح القاسية كفاح الانسان ضد اعداء لا ينقرضون لا يصيبهم الفناء مثل الاحياء الدقيقة التي تعيش عيشة الطفيليين على جسم انسان فتسبب له الامراض . ولهذا فقد تم اتخاذ اجراءات وقائية لحماية الانسان ضد هذه الجراثيم وتمثلت هذه الاجـ في نشر وسائل الصحة العامة وبرامج التطعيم الهاـ شتى انحاء العالم للوقاية من هذه الامراض و الجراثيم والاحياء الدقيقة التي تسبب الامراض الخـ

* مدرس طب الاطفال كلية الطب ـ الجامعة الاردنية

ولعل احد هذه الامراض الخطيرة المعدية التي تمكن العلم من الحد من خطورتها مرض النكاف الذى حظي كبعض الامراض المشيله به بكثير من الالقاب مثل (ابو كعب) وابو دغيم وغيرها

النكاف (Mumps) مرض حاد ومعد تسببه حمى (فيروسية) معينة تنتمي الى مجموعة الحمى المخاطية (Paramyxovus) التي تهتم اول ما تهتم بالنسج العصبية والغدد وخاصة السكفية (Parotid Gland) القريبة من منطقة الاذن

ولقد ثبت ان هذا المرض معروف منذ القديم اذ كان اول ما وصف في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ، وعرفت بعض مضاعفاته مثل التهاب الرسغ والخصية منذ زمن الاغريق

ويصاحب هذا المرض الم شديد وخاصة عندالشرب والمضغ وخاصة في منطقة الغدة ، كما تصاحب هذا المرض ايضا اعراض مختلفة في اجزاء اخرى من الجسم كالتهاب السحايا والبنكرياس والخصية

ولقد اكد العالم هاميلتون (Hamilton) عام ١٧٩٠ ميلادية اصابة الخصية بهذا المرض واكتشف مضاعفاته على الجهاز العصبي المركزى

ويشكل الانسان العائل الاساسي الوحيد لهذا المرض وتكثر الاصابة بهذا المرض بين الاطفال الذين يشكلون حوالي ٩٠٪ من الحالات الا انه قد حدثت اصابات للاطفال حديثي الولادة وللمسنين

وتزداد نسبة الاصابات المنتشرة عبر اشهر السنة في الشتاء واوائل الربيع وتحدث بشكل أوبئة كل ٥ ـ ٦ سنوات وخاصة في اماكن التجمع كالمستشفيات والمدارس الداخلية والمحيات

ولم يتمكن العلم من اكتشاف الجرثومة المسببة للمرض الا في عام ١٩٣٤ حيث ذكر العالم جود باستير ان هذا المرض تسببه حمى فيروسية ذات الاحجام المتفاوتة من ١٠٠ ـ ٦٠٠ ميللي ما يكرون في قطرها .

كيف تتم الاصابة ؟

تتم عملية نقل العدوى بالنكاف عن طريق الرذاذ واللعاب والفضلات ، اذ تدخل الحمى الفيروسية عن طريق الفم خلال فترة الحضانة التي تتراوح من اسبوعين الى ثلاثة وتتكاثر في الغدد اللعابية حيث تنطلق منها عن طريق الدم الى اعضاء مختلفة من الجسم مثل سحايا الدماغ والبنكرياس والقلب والكبد والكلى والغدة الدرقية واعصاب الدماغ والقلب

ومما يدعو للغرابة القول بأن شدة الاصابة والعدوى لا تعتمد على درجة تضخم الغدة النكفية او اذا كان المرض احادي او ثنائي الجانب ، كما ان المناعة المكتسبة من اصابة الطفل بالنكاف سواء باعراض سريرية ظاهرة على اختلاف شدتها او اذا كانت الاعراض تحت سريرية غير ظاهرة فانها تكتسب مناعة أبدية ، وحتى لو لم يصب المرض ظاهريا الا غدة نكفية واحدة ، ومما هو جدير بالذكر ان العدوى تكون في اقصى درجاتها قبل ظهور التضخم بيومين ثم تبدأ بانحصار تدريجي حتى اسبوع او اكثر بعد زوال تضخم الغدة

ومن الطبيعي ان تختفي هذه الاعراض مع احتساء التضخم المصاحب للغدة وتصل الغدة عادة اقصى درجات التضخم في خلال بضعة ايام ثم تبدأ بعدها في الضمور وكما يلاحظ فان الغدة النكفية لا يمكن جسها في الاحوال الطبيعية

وهناك بعض الاعراض التي قد تصاحب المرض مثل التهاب البنكرياس والقرنية والقزحية والكلى والكبد وشلل الاطراف واصابة الشبكية والصمامات الدموية والمفاصل وعضلة القلب وتضخم في الطحال الخ

مضاعفات المرض

مضاعفات داء النكاف عديدة وتشمل اكثر من جهاز من اجهزة الجسم الضرورية وتختلف حدة هذه المضاعفات من شخص لآخر ولو ان الشعور العام بان هذا المرض يردون مضاعفات تذكر الا انه لا يجب تجاهل مضاعفاته والاعراض الاخرى المصاحبة له ومن اهم هذه المضاعفات

● الصم (فقدان السمع) اذ ان التهاب الغدة النكفية من الاسباب الرئيسية المؤدية الى فقدان السمع في سني الطفولة وقد يصيب ذلك اذنا واحدة او اثنتين ، ومن الجدير بالذكر ان فقدان السمع في الاذن المصابة يسبب عادة عاهة دائمة عند الطفل وفقدانا تاما وليس جزئيا وحيث ان ٧٥٪ من الاصابات تكون في اذن واحدة عملت الاذن الثانية على تعويض النقص في الاذن المصابة وتخفيف هول المصيبة

● التهاب البنكرياس من الظواهر الرئيسية المصاحبة لمرض النكاف حتى انه اصبح هناك اعتقاد بوجود صلة بين المرض المذكور ومرض السكرى

(Brittle Diapetes) الذى قد يظهر بعد داء الكاف ويصعب علاجه مقارنة بالاحوال العادية

● التهاب السحايا وهذا ليس بالامر النادر اذ دلت بعض الاحصائيات ان حوالى ١٠ ـ ١٥٪ من التهاب السحايا الفيروسى (Aseptic Meningitis) سببه فيروس داء الكاف وقد يحدث ذلك بعد ظهور تضخم الغدة النكفية بايام او حتى قبل ظهور الانتفاخ وفى حالات اخرى بدون ظهور الانتفاخ

● التهاب الخصية والربخ وتحدث بنسبة عالية بين الذكور البالغين المصابين بهذا المرض بنسبة تصل ٢٠ ـ ٣٠٪ حيث تنتفخ الخصية او الخصيتان بعد اسبوع او اكثر من المرض احيانا تسبق هذه الاعراض المرض ذاته وفى حالات اخرى حتى بدون ظهور انتفاخ فى الغدة النكفية وبنسبة ٧٥٪ من الحالات تكون الاصابة بخصية واحدة وقد يتبع هذا الالتهاب ضمور فى حجم الخصية فى ٥٠٪ من الحالات اما بالنسبة للعقم الناجم عن ذلك ، فلقد بالغ العامة فى ذلك اذ قلما حصل العقم عند الشخص المصاب بذلك . وهناك مضاعفات اخرى ناجمة عن هذا المرض مثل التهاب عضلة القلب والتهاب المبيض والتهاب الكلى

ومن المؤكد حاليا انه اذا ما نجا الطفل من مضاعفات هذا المرض فان المناعة المكتسبة من هذا المرض مناعة ابدية اذ لن يصاب الطفل بالمرض مرة ثانية

ما هو العلاج ؟

ان خطورة هذا المرض تتجسم بمعرفة ان هذا الداء لا علاج فعال محدد له . لذا يقف الطبيب مكتوف الايدى امام علاج هذا المرض ولحسن الحظ فان اغلب هذه الاصابات تمر بدون مضاعفات ويركز فى العلاج عادة على صحة الطفل العامة والفم بصورة خاصة مع اعطاء المسكنات حسب حدة الالم وشدة المرض ويلزم المريض فراشه الى ان تزول السخونة عنه . كما ان حركة الطفل البسيطة فى البيت لم تثبت علاقتها المباشرة وغير المباشرة بالمضاعفات المعروفة عن المرض خاصة التهاب الخصية والربخ ولا شك ان العلاج يجب ان يشمل علاج المضاعفات المصاحبة لهذا المرض

ومن الجدير بالذكر ان الجاما جلوبولين (Ordinary & Globulin) غير فعالة فى منع اصابة الطفل للمرض ولكن العلم تمكن حديثا من تحضير مستحضر (Mumps Immunoglobulin) الذى اثبت جدواه فى تخفيف حدة المرض والمضاعفات خاصة التهاب الخصية والربخ اذا ما اعطى بعد يوم او يومين من تعرض الطفل لطفل مصاب بالداء اما الشيء الاكيد فهو ان اعطاء المضادات الحيوية لا يؤثر على مجرى المرض

ويجب التأكد من عزل الطفل المصاب حتى يزول الانتفاخ والاعراض الاخرى المصاحبة له ولكن علينا ان لا ننسى ان الطفل المصاب قد قام بعدوى الاطفال المرضين والملاصقين له فى ايام فترة الحضانة فمن الاشخاص من اصيب بالمرض ولكن دون اعراض سريرية مما يدل على ان التمسك بالعزل فقط غير كفيل بمنع انتشار المرض الى اطفال آخرين

مما سبق تتضح صعوبة الوقاية من المرض اذا ما أصاب احد اطفال البيت او المدرسة ولكن هناك سبل وقائية متبعة حاليا واهمها اعطاء مطعوم داء الكاف (جرثومة الحمى المضعفة) ولقد اثبتت فعالية المطعوم فى حماية الطفل من الاصابة بالمرض بدرجة تفوق ٩٧٪ ولا ينتقل المرض عن طريق المطعوم للاشخاص القريبين والملاصقين للطفل الذى اخذ المطعوم

ومع ان المناعة المكتسبة من المطعوم تقل عن تلك الناتجة من الاصابة بالمرض الا ان الدلائل تشير الى ان المناعة المكتسبة من المطعوم كافية لدرجة كبيرة فى حماية الطفل من الاصابة بالمرض مدى الحياة

ويعطى المطعوم عادة فى السنة الثانية من العمر عن طريق ابرة تحت الجلد وهناك حالات لا يعطى هناك فيها المطعوم مثل السيدة الحامل والاطفال المصابين بحساسية للبيض والدجاج او اذا كان الطفل مصابا بمرض فى الدم مثل السرطان خاصة اذا كان يتعاطى ادوية ضد المناعة او ادوية الكورتيزون ومشتقاتها وفى الطفل المصاب بنقص فى معدل الجاما جلوبولين . ولا تتعدى مضاعفات المطعوم عن السخونة وانتفاخ الغدة النكفية مع الم فى منطقة الغدة

لذا ، فانني انصح الاسرة ان تعمل على اعطاء مطعوم او طعم داء الكاف لطفلها فى السنة الثانية من العمر خاصة وان هذا المطعوم قلما تصاحبه اعراض تذكر ، ولكنه اثبت فعالية فى حماية الطفل من الاصابة بمرض قد تتبعه مضاعفات خطيرة منها ماله علاج ومنها ما يقف الطب امامها مكتوف الايدي بندم حيث لا ينفع الندم ■■

عمان ـ د هشام الناظر

بريد القراء

احياء لذكراه

● الدكتور احمد زكي رحمه الله كان اول رئيس لتحرير مجلة العربي ... اعطاها عصارة فكره وقلبه .. وحقه علينا وعلى مجلتنا خاصة احياء ذكراه وذلك بان تجمع « العربي » مقالاته في كتاب اشباعا لرغبات قرائه الكثر ، واستنهاضا لهمم الباحثين عن النموذج في زمن عزت فيه النماذج

السيد علي السلاموني
عين شمس / مصر

المسلمون في الاتحاد السوفيتي

● اطلعت في العدد « ٢٥٤ » صفر ١٤٠٠ هـ على استطلاعكم المصور عن المسلمين في الاتحاد السوفيتي

ولكن التبس على البعض أمر حجهم اذ اني قلت انهم يحجون الى مكة المكرمة وبيت الله الحرام بينما قال بعض اصدقائي انهم يذهبون الى موسكو فقط نيابة عن الحج بدليل ان نشرات السعودية الدورية الرسمية عن عدد الحجاج لا تذكر اى حجاج قدموا من الاتحاد السوفيتي فيرجى بيان ذلك

عبد الله قره محمد
حلب ـ سوريا

المحرر المعلومات التي ذكرت في الاستطلاع صحيحة ، والحجاج من المسلمين السوفيت يذهبون الى السعودية كل عام ، بالارقام المتواضعة التي تضمنها الاستطلاع

عالمية الانسان

● ضمن قراءتي للعدد (٢٥٥) ربيع الاول من مجلتكم الغراء لا حظت التشابه الكبير والملحوظ بين ـ حكم من الصين ـ والحكم والامثال العربية التي يتداولها الخاصة والعامة من الناس عندنا ومثالنا على ذلك

ما ترجمه السيد جان لي للعربية كقوله

كلما كبرت السبلة انحنت ، وكلما تعمق العالم تواضع وفي العربية نقول السنابل الملأى تنحني تواضعا والفارغات منهن شامخات . وكذلك من استهان بالوقت بدد الزمن . وقيل عند العرب الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الامم والشعوب مهما تباعدت بينها المسافات فان

رسالتي للماجستير عن العربي

● ان شغفي بمجلة العربي قد بدأ مذ بدأ ميلي الى المطالعة والادب ، بل لا أغالي اذا قلت انه كان لها اليد الطولى والفضل الاول في صقل ذوقي الادبي وتهذيب اسلوبي . هذا الشغف تبلور اليوم في اختياري « العربي » موضوعا لرسالتي للماجستير في الادب العربي

واني اذ اتوجه لكم بكتابي هذا ، وكلي ثقة وايمان بمساعدتكم لي كتزويدي نبذة عن « تاريخ العربي » ونشأتها او ارشادي الى المراجع التي يمكن ان استقي منها هذه المعلومات وهل من كتب او مقالات او رسائل تناولت هذا الموضوع ؟ وهل بالامكان في حال وجودها ارسال نسخ عن هذه المصادر او المراجع مع كامل استعدادي لدفع التكاليف ، ذلك ان امكانياتي المادية لا تحتمل اعباء السفر الى الكويت والاقامة فيها لاستقصاء هذه المعلومات

كمال عتريسي
بيروت

الفكر الانساني والحضاري بحد ذاته متشابه ـ ولو بشكل نسبي ـ فالفرح هو الفرح والحزن هو الحزن والتواضع هو التواضع فالانسان عالمي بطبيعته وكينونته ابنما وجد وحيثما حل ان هو الا غصن قد رفد من شجرة الحياة . .

بشار اوبرى
حلب / سوريا

بين الامس واليوم

● عندما كانت معظم البلاد العربية ترزح تحت نير الاستعمار ، كنا نسمع هدير الشعوب العربية يأتي من كل زاوية من زوايا هذه البلاد فيأخذ شكل المظاهرات والاضرابات ومقاومة المستعمر بالحجارة والهراوات ورفع شعارات الاستقلال والوحدة العربية الخ ..

اما اليوم وبعد ان زادت الهجمة الاستعمارية ، وتعددت اشكال الاستعمار .. فمن استعمار استيطاني الى استعمار مبرقع الى استعمار سافر . فقد سكتت هذه الشعوب ولم نعد نسمع لها صوتا وتوقفت عن المشاركة وجلست على مقاعد المتفرجين ... تتفرج على بؤسها وذلها وقهرها وباختصار اصبحت الشعوب العربية سلبية ازاء الاحداث ولم تعد فاعلة كما كانت في الماضي ما السبب يا ترى ؟

المهندس محمد زاهي الخياط
عمان ـ الاردن

امريكا واسرائيل

● ان العلاقة الخاصة القائمة بين امريكا واسرائيل ليست علاقة تابع بمتبوع كما يحلو للبعض ان يصورها ... ولكنها علاقة مصالح متبادلة بين هاتين القوتين .. فاسرائيل تقدم خدماتها لكل من امريكا واوروبا في هذه المنطقة المسماة الشرق الاوسط . ومن هذه الخدمات الحيلولة دون توحد شعوب الامة العربية .. وابقاؤها ممزقة متناحرة عن طريق تعميق كل التناقضات بين شعوبها . كاثارة النعرات الاقليمية والطائفية والعرقية والشعوبية حتى تسهل لأمريكا نهب هذه الشعوب واستعبادها ويسهل لاسرائيل سرقة المزيد من أرضها وخيراتها .

وقد عبر مناحيم بيغن عن هذه العلاقة عندما حاولت امريكا كبح شهية اسرائيل عن ابتلاع المزيد من الاراضي العربية ، اذ قال ارجو الا تنسى يا مستر كارتر ان التأييد والمساعدات التي تقدمها لنا ليست صدقة ولكنها ثمن ما نقدمه نحن لامريكا واوروبا من خدمات جلى .

ورغم هذا نجد ان مصالح امريكا في العالم العربي مصونة مصونة .

فما الذي يجبر امريكا على تغيير نهجها ما دام المقتول راض عن القاتل .

الدكتور هشام الظاهر
الاردن

يامي

الهوى يامي صعب	كيف اشكوه وأصبو ؟
كل ما فيه عذاب	كل ما فيه يُحَبُّ
أاذا كنت عميدا	فيه أرمى وأسب ؟
من له منه نصيب	أيُرجى فيه طب ؟
حب من كان بقلبي	اذ بدنياك أشب ؟
ودواعي الحب فيما	بيننا تنمو وتحبو ؟
نزرع الارض ونمضي	همنا جرى ووثب
وكلانا في اغتباط	حسبنا في الجرى رحب

علي عرقة رحيباني
دمشق

ابواب القدس

● قرأت التصحيح الذي نشره السيد رشاد غريبين في باب حوار القراء العدد ٢٥٠ من العربي عن ابواب القدس القديمة ، وبدا لي ان تصحيحه يحتاج الى تصحيح ، فانا ابنة القدس واكتب لكم من القدس ، لاقول بأن أبواب القدس القديمة سبعة أبواب هي باب العامود ، الباب الجديد ، باب النبي دواود ، باب الاسباط ، باب الخليل ، باب الساهرة والباب الذهبي وهو من ابواب القدس الرئيسية ولكنه مقفل في الوقت الحاضر لانه يطل على مقبرة الصهاينة .

خ ط

القدس المحتلة

زيدوا حصة سوريا من العربي

● قرأت في العدد ٢٥٦ من مجلة العربي ان كمية القطر السورى قد زيدت منذ ديسمبر ١٩٧٩ وقد ادهشني الخبر لأني حتي الان لا استطيع الحصول على نسختي الشهرية من العربي الا بشق الانفس وبضعف السعر الرسمي .

آمل ان تضاعفوا كمية سوريا من العربي حتى يتمكن القارىء من الحصول عليها

محمد عدنان شعبان

ادلب / سوريا

كوكب زحل

● في عدد العربي رقم ٢٥٥ فبراير شباط ١٩٨٠ وضمن مقال السيد مجدى نصيف تحت عنوان (بيونير ١١ تكشف اسرار الكوكب العملاق زحل) ورد ما يلي

(وزحل هو ثاني اكبر الكواكب بعد المشترى في المجموعة الشمسية وهو اكبر من الأرض حوالي تسع مرات ونصف مرة لكنه يتكون من غازات لذلك فهو خفيف حتى انه يمكن ان يطفو على سطح احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة على سطح الماء)

ولي هنا تصحيح واعتراض

والتصحيح ان كوكب زحل اكبر بكثير من الرقم الذى اورده الكاتب اذ يبلغ قطره ٧١٥٠٠ ميل وبذلك يفوق حجمه حجم الكرة الأرضية اكثر من ٧٣٥ مرة كما ان كتلة الكوكب تفوق كتلة الارض باكثر من ٩٥ مرة اذ ان كثافته حوالى ٠,٧ /غرام/ سم مكعب اما الرقم ٩,٥ والذى اورده كاتب المقال فينطبق على البعد وليس على الحجم اذ ان بعد كوكب زحل عن الشمس قدر بعد الارض عن الشمس حوالي تسع مرات ونصف المرة (٩,٥ وحدة فلكية)

اما الاعتراض فعلى ما جاء في المقال من أن زحل يمكن ان يطفو على سطح احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة على سطح الماء ، قد يكون هذا الكلام للدلالة على قلة كثافة المادة للكوكب زحل والتي تبلغ كما ذكرت ٠,٧ غرام / سم مكعب ولكن كيف يمكن من الناحية العملية ان نتصور كوكبا يزيد حجمه عن حجم الارض ٧٣٥ مرة ويزيد وزنه عن وزن الكرة الأرضية باكثر من ٩٥ مرة ان يطفو فوق احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة فوق سطح الماء . من المستحيل ان نتصور ذلك حتى في الخيال

محمد اسماعيل حسن رمضان

بيادر وادى السير / الاردن

الجائع

والاخيرة في التنقيب عن البترول واستخراجه وتصفيته وتسويقه .

ولم تكن الدول صاحبة المصالح الحقيقية تحصل من هذه الثروات الاسطورية إلاعلى « عوائد » رمزية ، بينا يجنى الاجانب ثمار كنوز ليست لهم ، ضاعفت من رخائهم وترفهم على حساب الذين يملكون الثروة ويزدادون فقرا .

وعندما حدث اخيرا ما كان يجب ان يحدث منذ عشرات السنين ، لم ينفرد اصحاب الثروات البترولية بثمار هذه الثروات ، بل ظلت الشركات الاجنبية حتى الآن (باعتراف المصادر الغربية) تحقق الاف الملايين من الدولارات ، بالحق او بالباطل .

ومع ذلك تأخذ الحملة الاعلامية والسياسية المعادية لمنتجي البترول في العالم الثالث ابعادا جديدة وخطيرة يوما بعد يوم ، حتى ليرى فيها البعض شيئا من التعبئة المكثفة للرأى العام الاوربي والامريكي ، لكي يؤيد ، او على الاقل لايعترض على اى اجراء او مغامرة عسكرية للاستيلاء بالقوة على منابع البترول في دول العالم الثالث في المستقبل

لكن المشكلة الحقيقية التي تواجه العرب وتدفع أعلامه الى هذا الاتجاه الخطير ، هي ان العربيين « رتبوا انفسهم » واقتصادياتهم منذ عشرات السنين على ان تستنزف ثروات العالم الثالث (او المستعمرات السابقة) لكي يزداد الامريكيون والاوربيون رفاهية ، ولم يكن البترول فقط هو الهدف منذ الثورة الصناعية الاوربية وحتى اليوم تستنزف جميع المواد الخام والثروات الطبيعية والحاصلات الزراعية بابخس الاسعار ، ثم تصدر المنتجات العربية الى المستهلكين في الدول « المتخلفة » بأفدح الاسعار وعندما استردت الدول المنتجة للبترول بعض حقوقها المسلوبة لم يستطع المستهلكون في الغرب حصار هذه الخطوة وقتلها في المهد . لان البترول « بالصدفة » ليس هو « الكاكاو » او « البن » او غيره من المحاصيل او المنتجات المعدنية التي يمكن مقاطعتها حتى يعود منتجوها الى « جادة الصواب » ، ولان الظروف العالمية لم تكن مواتية لشركات البترول الاجنبية .

لكن البترول يمكن ان يكون البداية ، لكي يسترد منتجو المواد الخام بعض « حقوقهم » ازاء عمليات الاستنزاف التاريخية التي مازالت قائمة . واذا كان عنصر واحد ، رغم خطورته الانتاجية والاستراتيجية ، لم يؤد بعد الى ان يعيد « المترفون » النظر في اقتصادياتهم ، التي بنيت لتحقق الرفاهية هناك والفقر هنا ، فربما يصعب تجاهل الحقائق الراسخة اذا ما لحقت بالبترول عناصر اخرى ابتداء من المحاصيل الزراعية وحتى اليورانيوم ، التي مايزال الاقتصاد العربي يعيش وينتعش على استنزافها .

وفي هذا الكتاب الذى اصدره كاتب بريطاني هو « ادريس كوكس » بعنوان « النصف الجائع (دراسة في الاستغلال الواقع على العالم الثالث) » ، صورة حيه للاستنزاف الحقيقي الذى ادى ، ومايزال يؤدى بالفعل ، الى ثراء ورفاهية اقلية من البشر في العرب على حساب فقر وجوع غالبية سكان العالم سنة ٢٠٠٠ ، الذين يشكلون الآن اكثر من نصفه ، وهم شعوب العالم الثالث

ودون ان يتعرض المؤلف لعنصر البترول بالتحديد ، الا انه يؤكد بالارقام والوقائع ان فقر وجوع سكان العالم الثالث يرجع في الاساس لعمليات الاستنزاف التاريخي لثروات « الفقراء » مرتين مرة باستيراد المواد الخام بابخس الاثمان ومرة اخرى بتصدير السلع المصنوعة بافدح الاثمان اما الخلل الاساسي في اقتصاديات العرب فهو مسئولية اصحابه اولا واخيرا فليست الازمات شبه الدوريه لذلك الاقتصاد مسألة طارئه ولا يمكن ان يستمر جنون الاستهلاك الترفي في عالم يموت فيه البعض جوعا ، ثم يتحمل الجوعى او الفقراء مسئولية التضخم او الانكماش او الافلاس الذى يهدد اقتصاد العالم .

٢٠٠ طفل كل دقيقة

خلال العام الحالي (١٩٨٠) سيصل تعداد العالم الى حوالي ٤٣٣٠ مليون نسمة . واكثر من نصف هذا العدد او حوالي ٢٢١٠ مليون نسمة هم سكان مايسمى الآن بالعالم الثالث . اما تعداد الدول الاشتراكية فيقدر بحوالي ١٣٠٠ مليون نسمة ، والباقون وهم ٨٢٠ مليون نسمة يعيشون في الدول الرأسمالية

والظروف التى يعيش في ظلها غالبية سكان العالم الثالث او الدول النامية اسوأ بكثير ، كما يرى المؤلف ، من الاحوال الرهيبة التي سادت بريطانيا في الفترة المبكرة للثورة الصناعية منذ مائتي عام . وينطبق ذلك بدرجات متفاوته على آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . فقلة قليلة من سكان هذه القارات هي التي تعيش في مساكن ملائمة . والباقون يعيشون اما في اكواخ من الطين في القرى ، بدون اى مياه جارية او نظام صحى

للمحاري او كهرباء او غاز (للوقود !) ، او في اكواخ وحرانب داخل المدن تنقصها بالطبع كل مستلزمات الحياة الادمية ايضا من مياه او صرف صحي او كهرباء الخ

ويرجع ادريس كوكس السبب في عدم حدوث تغير كبير او اساسي في مستوى المعيشة في العالم الثالث ، بعد تحقيق الاستقلال ، الى استمرار الاستغلال الاجنبي لموارد العالم الثالث بأرخص الاسعار ، وتصدير السلع والمنتجات العربية الى العالم الثالث باعلى الاسعار .

وازاء الزيادة التي لاتتوقف في معدل النسل في العالم الثالث ، الى جانب الاسباب المذكورة آنفا ، ظل معدل الناتج القومي للفرد في العالم الثالث لايتجاوز ١/١ مثيله في الغرب .

ومنذ عشرة اعوام فقط كشفت احصائيات الامم المتحدة عن ان ميزانية الخدمات الصحية والعلاجية في العالم الثالث عامة لاتتجاوز ما بين اربعة وسبعة شلنات » في السنة ، بينما تصل مثيلتها في الدول الرأسمالية المتطورة الى مابين عشرة واربعة عشر جنيها استرلينيا للفرد الواحد في السنة

لكن اخطر آثار الاوضاع الاقتصادية في العالم الثالث هي التي يتعرض لها الاطفال ، وهم اكثر من ١٠٠ مليون تحت سن الخامسة عشر في العالم الثالث وفقا للارقام المؤكدة في بيانات الامم المتحدة يولد ٢٠٠ طفل في كل دقيقة في العالم الثالث ، يموت منهم ٤٠ طفلا خلال عامهم الاول

ولايحصل غالبية الباقين على اى عناية طبية حديثة خلال طفولتهم ويعاني نصفهم على الاقل من امراض سوء التغذية ومن بين الذين يعيشون حتى سن الالتحاق بالمدرسة لايتمتع بهذا « الامتياز » سوى نصفهم فقط .

ومن بين كل عشرة يلتحقون بالمدرسة لايزيد عدد من يكملون مرحلة الدراسة الابتدائية عن اربعة اطفال واقل من واحد بين كل عشرة من هؤلاء هو الذى يلتحق بعد ذلك بمدرسة ثانوية .

حصار محكم

لكن هذه الشعوب التي تلهث دون ان تحقق الحد الادنى للحياة الانسانية الكريمة ، هي التى قدمت للدول الصناعية في الغرب خلال المائتي عام الاخيرة اهم اسباب التقدم والرخاء ، التي ادت بدورها الى انماط الاستهلاك الترفي في عالم لايجد اكثر من نصف سكانه مايملأون به بطونهم .

يقول « كوكس » ان النمو الاقتصادى في العالم الغربي في القرنين الماضيين ادى الى ازدياد الحاجة الى المواد الخام والمنتجات الاولية وادى ذلك الى عمليات الاستغلال المكثفة للبلاد التي تملك المواد الخام وتنقصها الوسائل الحديثه لتحويلها الى سلع تامة الصنع . ومن ثم اصبحت ضحايا الشهية المتفتحة لرءوس الاموال الاجنبية المتوسعة . »

وتطورت الامور من مجرد الاستغلال الى السيطرة الكاملة على البلاد ومواردها ، بحيث اصبح اقتصاد هذه البلاد يعتمد على انتاج محاصيل محددة بهدف خدمة الصناعة الاجنبية ، التي تستنزف ايضا بقية ثرواته من المناجم والمعادن والمواد الخام

وعندما حصلت غالبية دول العالم الثالث على استقلالها خلال الاعوام الثلاثين الماضية كانت اوضاعها الاقتصادية ، التي فرضت لصالح الصناعات الاجنبية من قبل ، من اهم العقبات التي عرقلت تقدمها ورفع مستوى معيشة شعوبها

واضافت السيطرة الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية الكبرى اسبابا اخرى للحد من محاولات دول العالم الثالث للخروج من دائرة الفقر ، بسبب ما تعرضه هذه الاحتكارات من اسعار منخفضة للمواد الخام التي تستوردها واسعار مرتفعة للسلع المصنوعة التي تصدرها .

ورغم كل هذه الظروف ـ كما يقول الكاتب البريطاني ـ استطاعت دول العالم الثالث ان تحقق بعض التقدم الاقتصادى في السنوات الاخيرة

فخلال الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٧ بالتحديد وصل معدل النمو السنوى بالنسبة لمحمل الانتاج القومي في ٧٠ دولة في العالم الثالث الى ٥٪ ، وفي ٢٠ دولة اخرى الى ٦٪ ، وكان معدل النمو في العالم الرأسمالي عامة في نفس الفترة لايتجاوز ٤٫٨٪ .

الفجوة تتسع

ويحاول بعض الدوائر ارجاع ذلك النمو او التقدم الى « المعونات الاجنبية » لدول العالم الثالث لكن « ادريس كوكس » يقول بالارقام ان ٨٥٪ من التقدم

الاقتصادي في دول العالم الثالث يعود الى الاستثمار القائم على المدخرات المحلية المحدودة ولا يساهم راس المال الاجنبي والمعونات الخارجية في التنمية الاقتصادية لدول العالم الثالث باكثر من ١٥٪

ومع ذلك فمن الواضح ان دول العالم الثالث لاتزال في قبضة الاقتصاد الرأسمالي الغربي الى حد كبير وتقول الارقام ان ٧٣٪ من صادرات العالم الثالث تذهب الى الغرب ، وهي عادة من المواد الخام والمعادن والمنتجات الاولية ورغم ان الدول الغربية تحدد اسعار المواد الخام في « السوق العالمي » بما يتلاءم مع مصالحها ، الا انها تصدر ٢١٪ من منتجاتها المصنوعة الى دول العالم الثالث بأفدح الاسعار وهذه ـ في رأى المؤلف البريطاني ـ اكبر عقبة في طريق تحقيق تنمية سريعة لاقتصاديات العالم الثالث وهو ما تؤيده لجان الامم المتخصصة ، مثل اللجنة الاقتصادية لشئون افريقيا التابعة للامم المتحدة ، التي قالت في تقرير لها حول ظروف التنمية الاقتصادية في القارة الافريقية بان « اخطر العقبات في طريق افريقيا هي انخفاض عائد ما يصدره ، مما يحد بالتالي من قدرتها على استيراد سلع رأسمالية »

وبسبب الانخفاض الواضح في اسعار صادرات العالم الثالث الى « السوق العالمي » وزيادة اسعار ما تستورده من سلع رأسمالية ومصنوعة ، في نفس الوقت ، زادت الفجوة بين العالمين اتساعا ، وخسر العالم الثالث فيما بين عام١٩٦١ وعام ١٩٦٦ فقط ما يساوى ١٠٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا في ذلك الوقت ، او ضعفه على الاقل بالاسعار الحالية

ووفقا لارقام النشرة الاحصائية للامم المتحدة ارتفعت مثلا اسعار المواد الغذائية التي تصدرها دول الغرب في عام ١٩٦٦ بنسبة ١٣٪ عن اسعار عام ١٩٥٨ ، بينما هبطت اسعار نفس المواد الغذائية المصدرة من دول العالم الثالث بنسبة ١١٪ عن نفس الفترة اى ان الثغرة بين العالمين لا تتسع فقط فيما يتعلق بالمواد الخام والسلع المصنوعة لكنها تتسع ايضا حتى اذا تشابهت السلع !

حجة الاجور

وفي مؤتمر الامم المتحدة الاول للتجارة والتنمية (اونكتاد) الذى انعقد في جنيف منذ أعوام تبين الفارق الرهيب بين ما تحدده الدول الغربية لصادراتها وما تحدده في نفس الوقت لوارداتها من دول العالم الثالث

ولكي تستورد دول العالم الثالث طنا واحدا من الصلب كان عليها ان تصدر مقابلا له ٢٠٢ رطلا من الكاكاو عام ١٩٥١ ، ثم ٥٧١ رطلا من الكاكاو في عام ١٩٦١ ، او ١٣٢ رطلا من المطاط عام ١٩٥١ ثم ١١ رطلا في عام ١٩٦١

وهذه العملية تضع العالم الثالث في موقف صعب ليس فقط لان حوالي ٩٠٪ من صادراته من المنتجات الاولية ، لكن لان اكثر من نصف ما تصدره دول العالم الثالث يتكون عادة من محصول واحد وبذلك يواجه العالم الثالث عقبتين خطيرتين ، الاولى هي الضغوط التي يمارسها الغرب على الاسواق لتخفيض ثمن المنتجات الاولية ، والثانية هي نمو انتاج بدائل صناعية في الغرب لتحل محل كثير من المنتجات الطبيعية مثل المطاط والجوت والقطن وغيرها

وربما يثير بعض المدافعين عن الاوضاع السائدة في السوق العالمي بعض المبررات لانخفاض اسعار منتجات العالم الثالث ، مثل القول بان انخفاض الاجور في الدول النامية هو الذى يؤدى الى انخفاض قيمة الانتاج لكن « ادريس كوكس » يرد على هذه « الحجة » بان الاجور ليست ثابتة بشكل ابدى ، وان تحسين الظروف الاجتماعية يعني زيادة الاجور ، وذلك لن يتم اذا لم ترتفع اسعار تلك المنتجات

وهو يرى في نفس الوقت ان الاحتكارات العالمية الضخمة ، والمؤسسات التجارية العملاقة ، وغيرها من القنوات الاقتصادية التي يسيطر عليها الغرب قادرة دائما على التأثير في الاسعار في السوق العالمي ، وفرض الحصص والتعريفات وحيث ان ٧٣٪ من تجارة العالم الثالث مع الغرب ، يصبح الفكاك من الاسعار المفروضة المجحفة امرا شبه مستحيل

ومن جهة اخرى تواجه المنتجات المصنوعة ونصف المصنوعة لدول العالم الثالث قيودا اخرى في التصدير يفرضها نظام الحصص وقوانين الحماية الجمركية التى وضعتها الدول الغربية لتحد من اى منافسة لمنتجاتها

والهدف من هذا كله بالطبع هو تحقيق اكبر قدر من الربح للاستثمارات الاجنبية ، بصرف النظر عما يلحق بالعالم الثالث من خسائر وعلى كثرة ما يتردد من ارقام عن الاستثمارات الاجنبية في العالم الثالث ، يقول المؤلف ان كل تلك الارقام تقريبية ، وليس هناك حساب دقيق لقيمة الاستثمارات او للارباح التي تجنيها من العالم الثالث

اما التقارير الرسمية فتعتمد اساسا على ما تقدمه الاحتكارات والمصارف ، التي تحدد بنفسها ما تكشفه وما تخفيه .

ومما يساعدها على ذلك ، النمو المتواصل لرأس المال الاحتكارى العالمي ، والتداخل او الاندماج الذى يتم من حين لاخر بين الشركات الكبرى وتملك تلك الاحتكارات مؤسسات كثيرة ملحقة ، بعضها معروف وبعضها الاخر مجهول ، بحيث تستطيع ان ترحل على الورق ماتريد ترحيله من ارباح او خسائر ، لكي تخفى اكثر مما تظهر

وقد ذكرت صحيفة « التايمز » البريطانية ان الشركات الدولية نمت بشكل متزايد في الستينات حتى اصبح عدد الشركات التي يزيد دخل كل منها عن مجمل الناتج القومي لايرلندا (١٣٠ مليون جنيه استرليني) اكثر من عدد بلاد العالم الثالث التي تتجاوز ميزانياتها هذا الرقم

وبعد عشرة اعوام بلغت ارصدة واستثمارات الولايات المتحدة الامريكية في الخارج اكثر من ١٢٠ الف مليون دولار ، واستثمارات بريطانيا حوالي ١٣٫٥٥٥ مليون جنيه استرليني

وفي اكثر التقديرات تواضعا تحصل امريكا وبريطانيا على ارباح سنوية تقرب من ٥٠٪ من قيمة رؤوس اموالها

لكن كل هذه التقديرات كما يقول « كوكس » تتم على اساس نظرى ، اما القيمة الحقيقية ، على اساس اسعار السوق ، فتزيد كثيرا عن هذه الارقام .

قصة المعونات

ويبدو للبعض احيانا ان عمليات الاستنزاف الهائلة لموارد ومصادر ثروات العالم الثالث تتناقص مع قيام الدول العربية بما يسمى ببرامج « المعونة الاقتصادية » لدول العالم الثالث لكن المؤلف لايرى في تلك البرامج ، التي بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، الا محاولة للتغطية على عمليات الاستنزاف الاقتصادى المتزايدة من ناحية ، مع تزويد بلاد العالم الثالث بالبناء التحتى اللازم لتسهيل مهام الشركات الاجنبية مثل الطرق والمواصلات ونظم الرى والمدارس والخدمات الصحية والطاقة وغيرها ، من جهة اخرى .

وهو يقدم الدليل على ذلك من تقرير للبنك الدولي ومن وثائق الامم المتحدة يقول تقرير البنك الدولي « ان غالبية قروض البنك تستهدف الخدمات الاساسية مثل الطرق السريعة ، والسكك الحديدية ، ومصادر القوى ، والرى ، وماشابه ذلك ، مما يعد اساسيا لنمو المشروعات الخاصة »

وفي نفس المعنى تقول النشرة الشهرية للامم المتحدة « يجب ان يكون هناك حد ادنى من الطرق ، ومحطات القوى ، والمدارس ، والمستشفيات والمباني الحكومية والمساكن وقد بينت التجربة ان الانتاج يمكن ان ينمو دون عراقيل وتلعب المبادرة الفردية دورها الكامل عندما تتوفر تلك الاسس ولا يكتفي المؤلف بهذه الشواهد التي ظهرت في تلك التقارير منذ امد طويل ، لكنه يضيف اليها شهادة حديثة فيما سمى بتقرير ليستر بيرسون للبنك الدولي ، تحت عنوان « شركاء في التنمية » مما يؤكد ان الامر ليس مجرد موقف عارض ولكنه سياسة ثابتة . يقول التقرير « ان المعونة الرسمية التي تقدم في الحقيقة ، لغالبية الدول ، تستهدف تمويل بناء المدارس والطرق والمستشفيات وغيرها من عناصر البناء التحتى ، تعد متطلبات ضرورية وحوافز للاستثمار الخاص »

لكن ذلك لا يعنى ان كل مجالات نشاط الامم المتحدة قاصرة على تنمية مصالح القطاع الخاص في العالم الثالث ، مثل غيرها من معونات الدول العربية وربما كان الرئيس الامريكي الراحل جون كيندي هو اكثر المسئولين في الغرب صراحة في هذا الشأن ، حيث اعلن عام ١٩٦١ ان « المعونة الخارجية هي اسلوب تتبعه الولايات المتحدة للحفاظ على النفوذ والسيطرة في مختلف انحاء العالم ، ومساندة حكومات بلاد كثيرة كان يمكن ان تنهار او تنتقل الى الكتلة الشيوعية »

بينما ترى مجلة « يو اس نيوز اند ورلد ريبورت » الامريكية ان « القصة الحقيقية للمعونة الخارجية هي انها عملية دعم للاقتصاد الامريكي »

ويضرب المؤلف الكثير من الامثلة المدعمة بالارقام عن ضآلة المعونات الاجنبية لدول العالم الثالث ، مع اشتراط ضرورة انفاقها في شراء سلع من الدولة التي تقدم المعونة ، والمطالبة بنسبة فوائد تثقل كاهل اى دولة من دول العالم الثالث.

قروض لتسديد الديون !

ويقدر ادريس كوكس ، بناء على المعدل المعروف

لمديونية دول العالم الثالث ، حجم مجموع الديون في هذا العام حوالي ١٠٠ الف مليون دولار .

وفي تقرير للبنك الدولي عام ١٩٦٨ يتضح ان ٣٤ بلدا في العالم الثالث تدفع كأقساط لديونها سنويا اكثر من نصف « المعونة » المقدمة لها كمنح وقروض ، واصبح الآن من المعروف ان جانبا كبيرا من القروض المقدمة لدول العالم الثالث تستخدم في تسديد ديون سابقة .

وكأن ذلك كله ليس كافيا لتعقيد مشاكل العالم الثالث ، اذ تزداد مشكلة الفقر والجوع حدة بسبب النمو السريع في عدد السكان ، مما يتجاوز كثيرا ما تستطيع هذه الدول توفيره من طعام . ورغم ان عدد السكان في العالم كله سجل زيادة مطردة في القرنين التاسع عشر والعشرين الا ان أكبر نسبة من الزيادة تسجلها دائما الدول التى تدخل الان في نطاق العالم الثالث ومن المتوقع وفقا للارقام الحالية ان يصل عدد سكان دول العالم الثالث في عام ٢٠٠٠ الى حوالي ٥٠٠٠ مليون نسمة اى ما يساوى خمسة اسداس (٥/٦) سكان العالم كله

اما الوضع السائد حاليا فهو ان تعداد اوربا وامريكا الشمالية حوالي ٢٨ر٦٪ من سكان العالم ، لكنهما تملكان ٥٦ر٥٪ من غذاء العالم كله ، و٧٧ر٥٪ من الدخل

وعلى العكس من ذلك يبلغ تعداد العالم الثالث اكثر من ٦٤٪ من سكان العالم ، لكنه لا يملك من الطعام اكثر من ٣٦٪ ، وما يزيد قليلا عن ١٦٪ من الدخل العالمي

صعوبة تحديد النسل

ويرى « ادريس كوكس » ان مسألة تحديد النسل تبدو مغرية تماما كأسهل واسرع الحلول لمواجهة مشكلة نقص الغذاء . وبنفس الدرجة تبدو نظرية « مالتس » عن حتمية زيادة عدد السكان عن الزيادة في انتاج الغذاء . ومن ثم يرى من يأخذون بها ان تحديد النسل يجب ان يسبق اى محاولة للتغيير الاقتصادى والاجتماعى .

لكن ذلك الاغراء يجتذب الذين يبحثون عن حل « سهل » ، رغم أن مشكلة تحديد النسل ليست في الواقع العملي من المسائل السهلة التنفيذ .

ويؤكد المؤلف ان الحل الاساسي للمشكلة هو توسيع وتكثيف مجال البحث في انتاج الطعام . فما زال الحر المستغل زراعيا من الارض في العالم كله في حدود ١٠٪ فقط من المساحة الكلية . ومازالت التجارب لانتاج الطعام من النبات والحشائش ومن البحر في بدايتها

ومشكلة دول العالم الثالث تبدو اكثر تعقيدا ، بسبب ما ورثته من نظم اقتصادية وانتاجية واجتماعية متخلفة وما يسود مجتمعاتها من وسائل بدائية للانتاج ، وما ينقصها من رؤوس اموال ومن الفنيين والعمال المهرة

وفي مثل هذه الاوضاع لاتحقق برامج تنظيم الاسرة وتحديد النسل شيئا كثيرا ، طالما طبقت هذه النظم بمعزل عن اجراءات التغيير الاجتماعى والاقتصادى الجذرية

ومن ثم لايقلل المؤلف من أهمية برامج تحديد النسل ، لكنه لا يرى لها اى جدوى اذا لم تقترن بتغيير شامل وجذرى في الانماط المتخلفة السائدة في مجتمعات العالم الثالث ■■

القاهرة ـ فيليب جلاب

لا .. يا مارشال

● كان نابليون يبحث عن كتاب في مكتبه الخاص واكتشف اخيرا انه موضوع على رف لا يستطيع اخذه منه لقصر قامته ...

فتقدم المارشال لونكي ـ اطول رجال الجيش قامة قائلا : ـ اسمح لي يا سيدى فانا اعلا من جلالتك ..

فاجابه الامبراطور عابسا : ـ بل قل انك اطول مني قامة يا مارشال .

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي . مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥٩ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول اغسطس (١٩٨٠)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم خطيب وشاعر من الصحابة ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم واحدة من حكيمات العرب في الجاهلية .

الكلمات الأفقية :

١ ـ جزيرة يابانية كبيرة ـ سهل منبسط كبير بالارجنتين .
٢ ـ من كلاب الرعاة الممتازة ـ نصف كلمة (جياد) ـ كي .
٣ ـ من المقامات الموسيقية ـ من الانهار الصناعية ـ غطاء .
٤ ـ قنوط ـ سر يرها ـ رخص .
٥ ـ للوقاية من الغازات السامة ـ عقيدة آسيوية .
٦ ـ يشيدان ـ طلاء ـ بدون
٧ ـ حظيت بك ـ منح ـ رشاد ـ نصف كلمة (أجير) .
٨ ـ خطيب وشاعر من الصحابة .
٩ ـ حلوها ـ نسق ـ حينها .
١٠ ـ لقب تبتي ـ أحصاها .
١١ ـ الطل ـ رضيع ـ أعنف .
١٢ ـ عمودي ـ هبوط ـ تجدها في كلمة (يراع) .
١٣ ـ بحر ـ حرمه الدين ـ لاعبة .

١٤ ـ أقتصده ـ ظاهرة جوية ـ من المقامات الموسيقية
١٥ ـ تشرع ـ ظهر ـ أفزعها

الكلمات الرأسية :
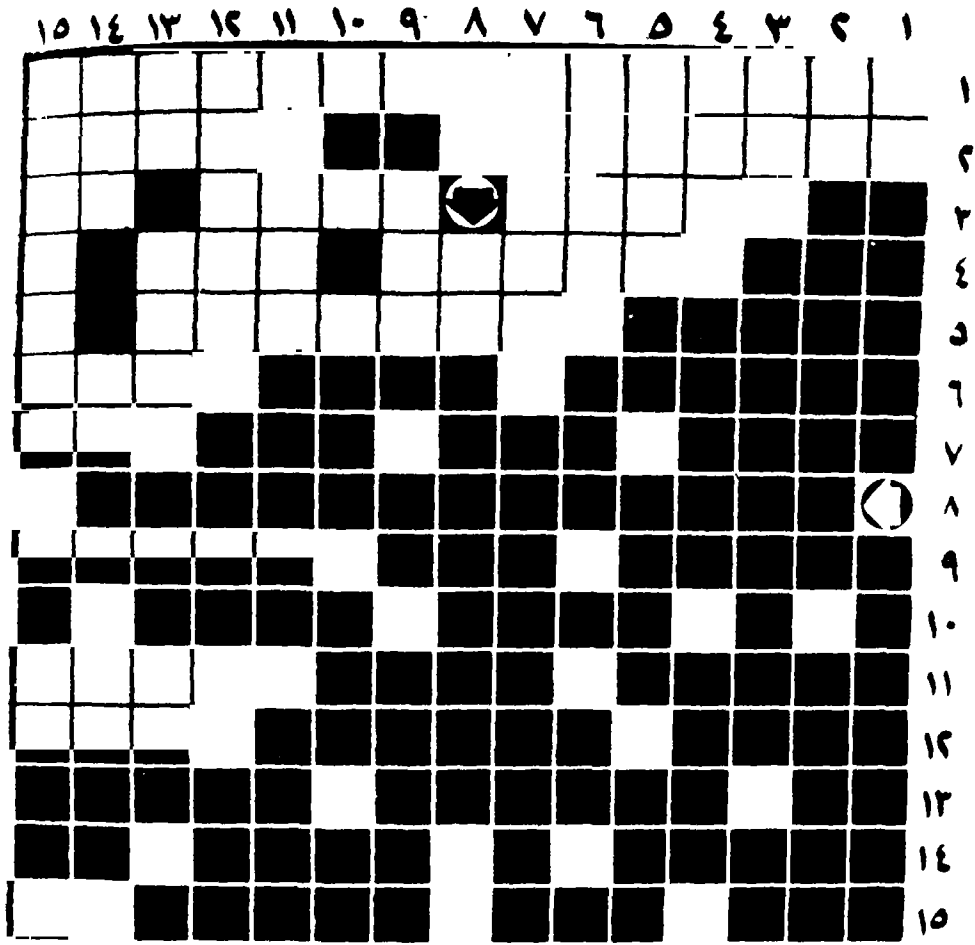
١ ـ اعصار ـ من قبائل المملكة الحيوانية
٢ ـ شاعر انجليزي معروف ـ حيوان
٣ ـ رمز الروح عند الفراعنة ـ نهر معروف بأمريكا الشمالية ـ حرفة .
٤ ـ غاب ـ تشغيل آلي ـ بيوت
٥ ـ يبتغيها ـ مرتفع ـ في النار
٦ ـ قذيفة ـ كرى ـ من الاقارب
٧ ـ على السرير ـ آلة موسيقية
٨ ـ من حكمات العرب في الجاهلية .
٩ ـ أسلافه ـ حرفان متشابهان ـ يمليه
١٠ ـ حيوان مفترس ـ ضعيف ـ جرى ـ نصف كلمة (بائد)
١١ ـ من شخصيات ألف ليلة وليلة ـ غي .
١٢ ـ الموت ـ يكسرها ـ اهتم
١٣ ـ حرف استفهام ـ سلب ـ يقابله
١٤ ـ وقر ـ عملة عربية ـ للنوم .
١٥ ـ من المنكهات والتوابل ـ الضعيفة .

من رواد المسرح العربي

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لأحد رواد المسرح العربي . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها لتصنع لقبه .

الكلمات الافقية :

١ ـ من الزهور العطرية .
٢ ـ مركز صناعة السينما الامريكية
٣ ـ نصف كلمة (وبيل) ـ غاب
٤ ـ وعاء ـ نصف كلمة (قارة) .
٥ ـ يظهره
٦ ـ فزع ـ نظير .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من الاديان السماوية
٢ ـ طائر مفرد
٣ ـ مقام موسيقي ـ على شاطيء البحر
٤ ـ وحدة قياس كهرباء (معكوسة)
٥ ـ يقتصدهن
٦ ـ ترشده
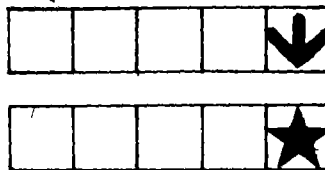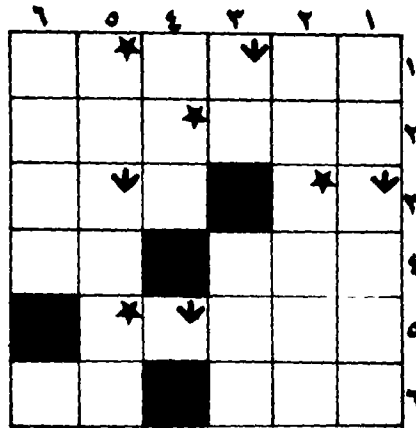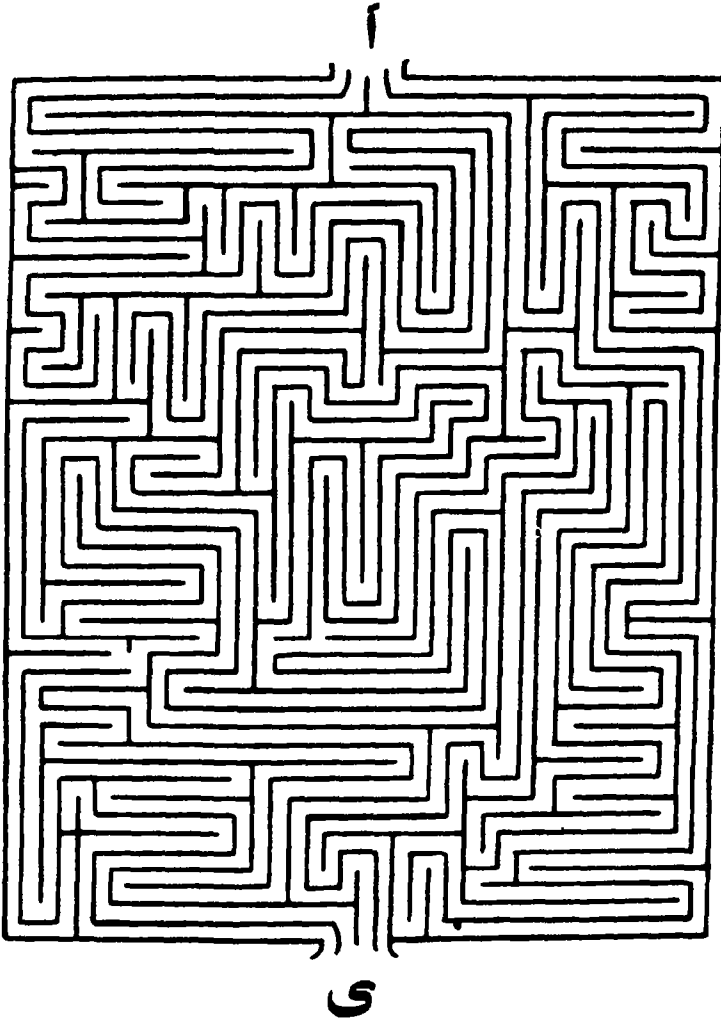
الممر السري

اكتشف العالم الأثري هذه المدينة العجيبة التخطيط ، وما أن دخل من المدخل (أ) حتى ادرك صعوبة الخروج من المدخل (ي) . هل تستطيع أن تدله الى الطريق السليم ؟.

أين الصواب ؟ .. وأين الخطأ ؟ ..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟

١ ـ فيدياس . فيلسوف اغريقي .
٢ ـ شارل جوديير . أول من اكتشف فلكنة المطاط بالكبريت للاستخدامات اليومية
٣ ـ سيف الله لقب خالد بن الوليد .
٤ ـ رومانوف اسرة حاكمة روسية قديمة .
٥ ـ قصي بن كلاب قرشي انتزع السيادة على البيت الحرام من خزاعة .
٦ ـ سلامبو محرر العبيد
٧ ـ زرقون من الاحجار الكريمة .
٨ ـ رامسيوم · معبد جنائزي بناه رمسيس الثاني .
٩ ـ كاجلياري · حيوانات من فصيلة القطط .
١٠ ـ ليبانتو من أكبر المعارك البحرية في التاريخ بين الاتراك والاوروبيين

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام يحل محل علامة الاستفهام في الصف الثالث .

الحلول

النجمة والسهم :

يوسف وهبي

اختبار معلومات :

كلها صحيحة فيما عدا

(١) فيدياس . نحات اغريقي صاحب تمثال زيوس ، أحد عجائب الدنيا السبع .
(٦) سلامبو · قصة من تأليف الاديب الفرنسي فلوبير .
(٩) كاجلياري : عاصمة جزيرة سردينيا .

الشكل المطلوب :

رقم ١

الممر السري :

كل ما نستطيع أن نساعدك به ، هو أن ننصح بالبدء من ناحية المدخل (ي) ، على أن يكون العبور من الفتحة الثانية الى يسار المدخل .

إليك آخر ما توصلت إليه أورينت. ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة مثل
"ماريليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
مُلحّة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاّقة لساعة أورينت، أول ساعة
في العالم منبّه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر من مُجرّد الوقت - بقوّة ودقة.

ORIENT اورينت

Manufacturers **ORIENT WATCH CO., LTD.**

Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East

JAPAN OVERSEAS CORPORATION

7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku Tokyo TEL 407-5901, TLX J26898 TIMETEST

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

١٥٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة

[illegible]

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولديها تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة تمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم بأقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم لديها ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم

نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط محددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة

ايداع ذو الأخطار

حد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في حد المدة المتفق عليها تستحق الفائدة اعتبارا من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف الى الحساب

ايداع ذو مدة محددة

حد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني لمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا

ايداع ذو دخل منتظم

حد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة

لتفاصيل أكثر عن برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم

Lombard North Central
Bankers

إلى :
LOMBARD NORTH CENTRAL LTD , DEPT W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND
Telephone 491 7050

الاسم : ______________________

العنوان بالكامل : ______________________

____

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيه - حزيران
١٩٨٠ م

العدالة والحرية
في
فكر النهضة الحديثة

تأليف :
عزت قرني

الكتاب الثلاثون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

استثمارات

أدخلوا مع ك.د.ب. الالمانية الغربية عالم استثمار الأموال في اسواق العملة العالمية.

فاستثمار الأموال في البورصات العالمية لم يعد حكراً على طبقة معينة فقط وانما تطور ليشمل طبقات رجال اعمال حديدة ظهروا على السطح بفعل الثورة الاقتصادية الحديثة٠ ونحن ندعوك لمشاركة زبائننا في ارباحهم الجيدة التي حصلوا عليها من خلال استثمار اموالهم لدينا٠ وقد حصل زبائننا على نسب صافية من الأرباح بلغت:

عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	عام ١٩٧٩
٪٣٩،٤٣	٪٤٣،٨٤	٪٣٣،٣٣	٪٢٤،٩١

معفاة تماماً من أية رسوم او ضرائب٠ اذا كنتم راغبين انتم ايضاً في الانضمام الى عداد زبائننا العرب والاوروبيين الراضين تماماً عن نحاحنا في ادارة واستثمار اموالهم في اسواق الانتاج العالمية فيمكنكم الاتصال بنا٠ ويسرنا ان نعطيكم المزيد من المعلومات في اللغتين العربية والانكليزية معاً٠ الحد الأدنى للمشاركة: خمسة آلاف دولار اميركي٠ نعمل في محال الاستثمار وادارة الاعمال وبنحاح منذ عام ١٩٦٥٠

اكتبوا الينا باللغة العربية او الانكليرية على العنوان التـــالي:

KDB DEPOTBETREUUNG GmbH

HANS-THOMA-STR. 19
P.O. BOX 700650
6000 FRANKFURT / MAIN 70
WEST-GERMANY

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يونيو ١٩٨٠

العدد ١٢٩

الناشزون

تأليف : آرثر ميللر

ترجمة وتقديم : د. محمد رجا الدريني

مراجعة : د. طه محمود طه

خطأ النواة الوراثية فى الإنسان !

أهل الحل والعقد : من؟ وكيف؟

عزيزي القارئ

لعلنا نكتب هذا الكلام ونكرره في مثل هذا الوقت من كل سنة . ولكن ، هل نملك غير ذلك ؟

فمع موسم الصيف ، تنشط السياحة العربية نشاطا شديدا . وتعلن الصحف عن انواع من الرحلات .. ابتداء من رحلات حول العالم .. الى رحلات الى امريكا .. واوروبا .. والصين وآسيا . وتقدم مكاتب السياحة وشركات الطيران في تلك البلاد تسهيلات كبرى .. وطبعا من المفروض ان تكون تلك البلاد قد استعدت لا ستقبال هؤلاء السياح ..

ولانجد في بند السياحة في البلاد العربية الا النزر اليسير ..

اننا طبعا لا نريد ان ننغلق على انفسنا . ولا أن نستغنى عن العالم وعن معرفة الغير . ولكن هذا لا يمنع ان معرفتنا بانفسنا هي أول المعرفة ولا ننسى ان هناك شرائح كثيرة في بلادنا تفضل قضاء اجازاتها في مناطق عربية اخرى كمصايف ومشاتي . ولكن البلاد التي فيها هذه الطبيعة هي المقصرة . فاذا استثنينا مجهود تونس والمغرب ، فاننا نتساءل ، اين مرافق السياحة الحديثة في باقي الشواطىء العربية التي تحيط بالبحر الابيض من سوريا الى المغرب ؟ ولماذا اكثرها غابات وصحراوات مهجورة ؟ وماذا لدى شواطىء اسبانيا الرملية احسن منها ليقوم هذا العمار . وجبال شمال العراق ؟ .. وجبال الاطلس في الشمال الافريقي ؟ ..

ماذا يجعل شواطىء بلغاريا ورومانيا اكثر جاذبية من شواطئنا هذه ؟ والمال العربي موجود وجاهز لانشاء مصايف عالمية في كل مكان ؟

لاشيء .. الا اننا لا نريد ان نلحق بالعالم الذى يجرى ويتطور !

« المحـــرر »

صورة الغلاف

● احمليني على ظهرك وسأحملك على ظهري لنتعاون على مصاعب الحياة صورة تذكرنا بالماضي عندما كان الاطفال الصغار يلهون في ساحة البيت والصغيرتان تلعبان بكل براءة لعبة « طق حبة طبق ماش » هل لا تزالون تذكرون هذه اللعبة الشعبية الكويتية القديمة ؟ ام انها دخلت في تراث الماضي ؟ (اقرأ الاستطلاع ص ١١٦)

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

ادب وفنون

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٣٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج ٠ م ٠ ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها ، ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها ، ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧٦٤١
تلغرافيا « العربي »

ALARABI — No. 260 — July 1980
P.O. Box 748 — KUWAIT

حديث الشهر

كلية الحقوق

بقلم : أحمد بهاء الدين

في الشهر الماضي ، احتفلت كلية الحقوق في جامعة القاهرة بمرور مائة سنة على انشائها فهي اقدم كلية من نوعها في العالم العربي والشرق الاوسط

ولعل خريجيها ، من كل ابناء العالم العربي ، وخريجي حقوق « الاستانة » او القسطنطينية ، ايام كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية المسيطرة على العالم العربي كله سوى مصر ، هم الذين قادوا وشكلوا السياسة في كل العالم العربي خلال حقبة طويلة من الزمن . ربما سادت هزيمة حرب فلسطين الاولى سنة ١٩٤٨ ، اذ بدأ حكم « الحقوقيين » يتزعزع ويتراجع بعد ان طغى السيف على القانون وربما كانت هزيمة ١٩٤٨ ذاتها هي التي اقنعت العرب زمنا طويلا بعدم جدوى القانون امام السيف ، مهما كانت القضية عادلة

وان « الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة » كلمة جميلة اطلقها اشهر حاملي شهادات القانون ، سعد زغلول ، اهتزت بها اعواد المنابر زمنا ولم يهتز بها شيء آخر بعد !

وكم كنت حزينا ، لانني كنت بعيدا عن القاهرة يوم احتفلت كلية الحقوق بالعيد المئوي لها ذلك انني احد خريجي تلك الكلية العتيدة ، التي طبعت موجات الاثير على جدرانها عددا من اعظم الأصوات التي عرفتها مصر والعروبة واذا كنت لم اشتغل بالقانون الا قليلا ، الا ان الاثر الذي تتركه كلية الحقوق في نفس تلميذها لا ينمحي ، اذا كان قد دخلها عن حب وشغف ، لا عن طريق تقليعة « مكاتب التنسيق » ثم انني اذا كنت قد تركت العمل بالقانون الى مهنة الكتابة والصحافة بعد حوالى خمس سنوات فقط ، الا انني كثيرا ما اكتشف فجأة انني ما زلت اشتغل بالقانون من ناحية ، ربما تركت ما نسميه « بالقانون الخاص » وهي القوانين المدنية والجنائية وغيرها ، الا انني بقيت ، ككاتب ـ على صلة دائمة بما نسميه « القانون العام » اى الاقتصاد والعلوم السياسية والقانون الدولي والقانون الدستوري والقانون الاداري اى القوانين التي تنظم حياة المجتمعات والشعوب والدول ، وليس الحياة الخاصة للافراد . كما هو الحال في كل ما نسميه « القانون الخاص » .

سعد زغلول

وحديث الذكريات

ومعنى «القانون»

ولكن الاهم من ذلك ، اني فعلا اكتشف عادة اني ما زلت اشتغل بالقانون ، لانني دائما اجد نفسي متلبسا بالتفكير في اى موضوع بطريقة « قانونية » او بطريقة متأثرة بالتفكير القانوني الى حد بعيد

ذلك ان دراسة القانون تعلم المرء طريقة خاصة في التفكير . تزود صاحبها بما يشبه « الترموستات » او منظم درجة الحرارة ، يقرأ الانسان في الآداب ، ويحلق وراء الفنون ، ويجوب آفاق الفلسفة وهذه اشياء ربما كانت هي جوهر الفكر ، ولكن من درس القانون ـ فيما يخيل لي ـ يجوب هذا كله وقد ربطه التفكير القانوني الى ارض واقعية معينة فهو ينظم تفكيره ، ويضع في صدره ميزانا دائما يزن به كل ما يعرض له من افكار وأمور ويخلصه من تيارات « الفن للفن » و« الفكر للفكر » في حين يربطه بان الفن للحياة والفكر للحياة والسياسة للحياة وكل شيء وبدءه ومنتهاه الحياة . والناس وان الرؤية المتأثرة بالقانون هي الفرق بين احلام اليقظة واحلام التطبيق . او بين تهويمات الخيال ورؤى الحقيقة

ولست هنا أفاضل بين شيئين فحياتنا بلا احلام لا تساوى شيئا وبغير الاحلام لا تتحقق الاشياء العظيمة ولكن حياة تقوم على الاحلام هي بالونات ملونة تطير في الهواء وتضيع . وليست مركبات فضاء محددة الغرض ، محكمة التوجيه .

ثم .

هل هناك قضية دارت حولها حياة المجتمعات الانسانية منذ نشأت ، ولا تزال ، اكثر من قضية « الحق والواجب ؟ » وهي قضية القانون واليس القانون هو الوسيلة البشرية لتنظيم الحياة .. ابتداء من تنظيم حركة المرور في الشارع الى علاقات الدول ببعضها البعض في البر والبحر والفضاء ؟

كل انسان يتفتح وعيه لاول مرة على شيء مختلف . هكذا الحياة لو كانت زهورها بلون واحد واشجارها بطول واحد لفقدت جمالها . بل لصارت جحيما . ونفس الحال في البشر . لو كانوا على شاكلة

واحدة ونمط واحد لفقدت الحياة مذاقها بل وربما مغزاها والاخوة في البيت الواحد كثيرا ما يتبا...
رغم كل عوامل الوراثة الواحدة والتربية الواحدة

بالنسبة لي .. لا اذكر مهما حاولت التذكر ان امرا استبد بي منذ البداية اكثر من تلك القضيـ...
الحق والواجب ، الظلم والعدل وبالتالي الاداة في كل هذا وهي القانون

وكانت ترجمتها في سن المراهقة هي الشغف الهائل بحضور القضايا الكبرى والاستماع الى المرافعات الرنانة . وكنت اذا قرأت عن محاكمة سياسية كبرى حدثت منذ عشرات السنين ، ذهبت الى دار الكتب ، وطلبت مجلدات صحف تلك الفترة لاقرأ القضايا والمرافعات ومناقشات المحكمة كاملة بالتفصيل . وكان كل تاريخ مصر الوطني في الفترة السابقة في يد المحامين ، وكانت المحاكم احدى اهم ساحات الكفاح

وكنت ارى نفسي وانا صبي في شتى الادوار داخل تلك الحلبة الرائعة · قاعة المحكمة احيانا ذلك القاضي الجالس على عرشه ، او ذلك المحامي بصوته المدوى واحيانا المتهم الواقف في قفص الاتهام في ثبات بوصفه بطلا وسبب تلك الدراما كلها !

واستقر رأيي على ان اكون قاضيا فهذه الهيبة والرهبة وهذه الدقة والمتابعة واليقظة ثم اخطر واصعب شيء حين يخلو الى نفسه ، وقد سمع اقوى الحجج من الجانبين ، وعشرات الشهود المتناقضين ، وكيف يمسك من وسط هذا كله بخيط الحقيقة ، وتصدر من فمه الكلمة حاسمة ونهائية

على انني حين دخلت كلية الحقوق فعلا ، دخلت في الواقع الجامعة باكملها . وتفتحت امامي مع سنوات الشباب كل فروع المعرفة . وكنت احضر محاضرات كلية الحقوق وكلية الآداب واحيانا غيرها . وتلك ميزة الجامعة انها تعطيك كل المفاتيح هذا ما يفرقها عن المدرسة وحين يقرأ المرء الادب والفلسفة ومذاهب الفكر المتلاطمة يجد ان العثور على الحقيقة ليس سهلا بل انه يكاد يكون مستحيلا ؟ هذه مجالات تعلمك أن لكل رأي الف وجه ، وان كل موقف له الف تفسير . وان المذنب قانونيا قد يكون هو البريء فكريا او احتماعيا او حتى فلسفيا ، ووجدت ان مهنة القضاء صارت لا تناسبني . انها مهنة مستحيلة اى عذاب وأرق وألم يكابده المرء حتى يقول « هذه هي الحقيقة » ! مستحيل انها ضد طبيعتي ، عمل كل الموازنات وحساب كل الاعتبارات سوف يفضي بي الى الشلل ...

واتجه ذهني الى ذلك المترافع البليغ . انه يأخذ جانبا واحدا ويحاول اثباته . وهذا امتع واسهل وافخم . حتى لو كان يدافع عن قاتل . فقد قرأت ايامها ـ فيما قرأت من كتب المحامين الكبار ـ كلمة لمحام انجليزي كبير يقول « حين يقف المتهم في القفص ، مجردا من كل سلاح ، محروما من أي صديق . والعالم كله يشير اليه بأصبع الاتهام . هنا لا بد ان يقف الى جانبه شخص . هذا الشخص هو المحامي . وفي هذا الموقف يكمن دوره المقدس ! »

ما اعظم هذا !

ولكني حين تخرجت من كلية الحقوق ، ومن الجامعة كلها ، لانني مرة اخرى كنت اشعر انني طالب بالجامعة كلها . استمع الى عبد المنعم بدر يدرس القانون كما استمع الى يوسف مراد يدرس الفلسفة .. اكتشفت ان مهنة المحاماة هي آخر ما يناسبني ! على الاقل ذلك النوع من المحاماة .

فليس من طبيعتي الانطوائية ان اواجه الجمهور والتحدث كأنني على خشبة مسرح ! ثم انني كنت

من السن القانونية لممارسة المحاماة ' ثم ان الكلمة المكتوبة
رت اوسع انتشارا من اعظم كلمة تقال في قاعات المحاكم '

وكان حظى من ممارسة القانون اصعب جوانبه . بالنسبة
وكيل نيابة مهمتى ان اضيق الخناق على المتهم وان
بت جريمته بدل ان اثبت براءته ومرة اخرى جريمة بالمعنى
قانوني . التي قد يكون في نفسي الف سبب ضد اعتبارها
ريمة

وبعد سنوات قليلة قفزت من زورق القانون بشكله
المباشر . الى زورق الصحافة والكتابة والبحث عن الحق
والواجب والقانون بمعانيها الاوسع

وبعد
فقد بدأت هذا الحديث وفي ذهنى ان يكون حديث ذكريات
عن اساتذة عظام حتى ان خالفتهم في الرأى ولكنني سرت
وراء فكرة القانون ربما لأنها ناقصة في حياتنا . أو لأنها غير
مفهومة على وجهها الحقيقي ولكني قبل أن أستطرد وراء فكرة
القانون أستأذن في رواية الذكرى القانونية الوحيدة بعد تفرغي
للصحافة

كان المرحوم عبد الرزاق السنهورى باشا اكبر عقل قانوني
انتجه العالم العربي في هذا القرن بغير شك . ولم الحق به
تلميذا في كلية الحقوق . وان كانت كتبه ظلت هي الاساس في
مجال كتب فيه ، واذا كانت شهرته في القانون عالمية ، فانني
كنت اراه من افصح من كتبوا باللغة العربية . فكانت كتاباته
القانونية من ارقى الكتابات الادبية في تقديرى .

ولم اكن ـ على البعد طبعا ـ من المعجبين بدوره في الحياة
العامة سواء في أرائه في التعليم كوكيل لوزارة المعارف ، او
لتعاطفه مع احزاب الاقلية ضد حزب الوفد

فلما تأسس مجلس الدولة لاول مرة ، وكان أول
رئيس له ، قبل ثورة ١٣ يوليو ٥٢ بسنتين تقريبا ،
صار بطلا قوميا لدى كل فئات الشعب في مصر .
كانت المعركة السياسية على اشدها قبل الثورة ،

عبد الرزاق السنهوري

وكانت معظم المواجهات السياسية تنتهي الى مجلس الدولة ، وكان يصدر احكاما قضائية بلغت في شجاعتها ، ونزاهتها ، ودقتها في مراعاة القانون ، وعمقها في تطبيق « روح القانون » . و الاصعب والاهم كانت رئاسة مجلس الدولة احدى التحولات الكبرى في حياة مصر قبل الثورة

وبعد الثورة ، اقترب منه منصب اول رئيس لجمهورية مصر اقترابا شديدا ولكن تقلبات الثورات في ايامها الاولى عصفت به . وانتهى معزولا ، معتزلا جالسا في بيته ، غير مسموح حتى بذكر اسمه في صحيفة

وكنت كاتبا صحفيا مبتدئا وذات يوم اتصل بي المستشار المرحوم زكي بك حسين وكان صديقا لأبي . وقال لي انه جاء ذكرى في حديث مع السنهوري ، وانه ابدى اعجابا بما اكتبه كاسم جديد وانه يحب ان يراني . وكان الرجل وقد انسحبت عنه الاضواء لا يزور ولا يزار

ووجدت في ذلك تشريفا عظيما

وذهبت لجلسة هادئة في بيته في مصر الجديدة ، كان لها وقع التنويم المغناطيسي واتفقنا على ان ازوره عصر كل خميس وقد واظبت على ذلك حتى سافر في مهمة حين استعانت به حكومة الكويت

ذكرت هذه الواقعة ، لانني لم أر في حياتي رجلا تجسدت فيه روح القانون مثل السنهوري لست اتحدث هنا عن علمه ومؤلفاته واثاره ولا حتى عن الحوار معه حين يكون حول القضايا الجدية ولكن ، حتى حين يكون الحديث حول أبسط الاشياء اليومية ، يشعر المرء ان هذا الرجل قد « تشرب » روح القانون ، حتى عقله لا يتحرك ويعمل في الصغيرة والكبيرة الا وقد نهل من هذا المنبع كان قد ترك الدنيا والسياسة وعواطفها وانفعالاتها وصار عقلا خالصا وضميرا خالصا أي حكاية يأتي ذكرها ، لا تلبث اذا علق عليها أن تجدها وكأنها كانت كومة من الاشياء وقد انتظمت فجأة ووضعت كل جزئية في مكانها بسحر ساحر

وكان رحمه الله يحثني وقتها على ترك الصحافة التي لم ابدأها الا من قريب ، بعد أن عرف مني انني سجلت رسالة دكتوراه في السوربون في باريس ، عن مرحلة من تاريخ مصر السياسي ، وكان ميله الغريزي الى ان بحثا طويلا ممتعا هو أعظم شيء ولكن التيار جرفني الى مجرى الصحافة بغير رجعة

وما اقل ما نختار ما نفعله في هذه الحياة

ولكن ماذا عن القانون وعن روح القانون ؟

كنا نظن في بدء دراسة القانون انه نصوص وان الدنيا تتغير بتغيير النصوص العدل يسن بقانون ، الظلم يزول بقانون الخطأ يحدد بقانون والصواب يحدد بقانون

كلا

علمتنا الايام ، وعلمنا الاساتذة الكبار ، ان القانون شيء غير هذا ، شيء اعمق وابعد من هذا بكثير

القانون الجدير بهذا الاسم هو المعبر حقا عن روح المجتمع ، الصاعد من أعماقه تماما كالتعبير الفني حين يكون صادقا

بدليل ان هناك مجتمعا فيه قانون غير مكتوب « عادة » او تقليدا ، يعيش قرونا محل احترام الناس ومراعاتهم

في حين ان هناك قانونا يحمل كل انواع الاختام ختم حاكم او ختم برلمان ولكنه لا يحظى بأي
راي او احترام من الناس ، حتى من يوم صدوره
ليست كل ورقة تحمل سلطة تشريعية او تنفيذية ، قانونا بهذا المعنى
قانون بمعنى الفرض ، نعم
قانون بمعنى قرار السلطة ، نعم
ولكنه ليس قانونا بمعنى تعبيره عن روح المجتمع ، واتساعه لرغباته وأمنياته ، وتجاوبه مع أفئدة
الناس في هذا المجتمع
لذلك نرى احيانا قوانين تهطل كالمطر ، لكن سرعان ما تجففها الشمس ، وتمسحها الرياح
ونرى قطاعات الناس في تصرفاتهم ، تسير في مسالك اخرى تماما .
ونرى قوانين تنقل من الكتب او تؤخذ من بلاد شتى متنافرة ، كمن ينتقي اصنافا من دكان
العطار ولكنها تبقى غريبة
هل تزرع شجرة بلاستيك مصطنعة ، وتثمر ؟
مستحيل
هل تزرع شجرة حقيقية في اي مكان ؟ ان كل نبتة لها بيئة وطقس عليها بالعقم او بالاثمار
كذلك القانون
منذ اسابيع ، اشغلت انجلترا بقصة طريفة
سيدة تملك فندقا صغيرا في انجلترا على شاطيء البحر ، وذات يوم جاءها الصياد الذي يبيع لها
السمك عادة ، يحمل خبرا مثيرا انه اصطاد سمكة من نوع « السترجون » وهو السمك الذي ينتج
الكافيار ذلك ان هذا السمك لا يوجد في بحار انجلترا عادة اللهم الا نادرا جدا وكأنها سمكة ضلت
طريقها ولا يحدث هذا الا مرة كل عدة سنوات
واشترت السيدة السمكة ، واعلنت عن وليمة عشاء لنزلاء الفندق والبارزين في القرية الصغيرة
واذا برجل عجوز من المدعوين يقول لها ان هناك قانونا منذ القرن السادس عشر يقضي بان اي سمكة
من هذا النوع يتم صيدها تكون ملكا لملك انجلترا !
واسقط في يد السيدة واتصلت تليفونيا بموظف في قصر ملكة انجلترا تسأله ، فقال لها نعم ان
هناك قانونا موجودا بهذا المعنى وما يزال ساريا . ولكنه لا يظن ان الملكة ستطالب بالسمكة
ولكن السيدة الغت العشاء وحملت السمكة في احسن وعاء لديها وركبت القطار الى لندن وهناك
توجهت الى قصر بكنجهام حيث اصرت على تسليم السمكة للملكة . وطاردتها الصحف حين علمت
بالقصة ، فقالت انها سعيدة جدا
قانون سخيف طبعا
وحين صدر كان صورة لظلم القرون الوسطى وعصر امتيازات النبلاء
ولكن مع الزمن ، وتطور النظام في انجلترا ، واحساس تلك السيدة بأن قوانين بلدها بوجه عام تعبر
عنها ، وتتسع لمشاعرها ، وجدت سعادة في تنفيذ قانون ميت ، حتى لو سخرت منها الصحف والناس
لم تكن بذلك تنفذ قانونا او تخشى عقابا كانت تعبر عن ذاتها من خلال بناء عام تشعر انه يعبر
عنها وهذا هو القانون . ■■

احمد بهاء الدين

الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

حضارة الأخلاق

شهدت الانسانية حضارات يزيد عددها على العشرين (إذا اخترنا بمقياس « توينبي » في دراسته للتاريخ) ، وكان لكل حضارة فيها مذاق خاص ، والا لما تميزت من سواها ، ولابد ان تكون تلك الخاصة المميزة للحضارة المعينة هي التي عملت على نشأة تلك الحضارة وظهورها ، وذلك عندما كانت تلك الخاصة المميزة في عنفوان قوتها ، ثم لابد كذلك ان تكون تلك الخاصة نفسها عندما اصابها ضعف وفساد ـ هي علة اندثار الحضارة التي تميزت بها ، وهذه كلها مقدمات اراها واضحة بذاتها ، او تكاد تكون كذلك

ومن تلك المقدمات الواضحة ، انتقل بخطوة واحدة الى ما اردت ان اقوله في هذه السطور ، وهو ان الخاصة التي ميزت الحضارة الاسلامية من سائر الحضارات ، هي انها ادارت رحاها على محور « الاخلاق » ، فاذا كانت حضارات اخرى قد ارست قواعدها ـ في المقام الاول ـ على « الفن » او على « العلم » ، او غير ذلك من اسس كالزراعة والتجارة او الصناعة ، فان الحضارة الاسلامية قد اختارت « الاخلاق » اساسا لها

على اننا في هذه التفرقة ، لا يفوتنا ان الجوانب كلها قد تجتمع في كل حضارة على الاطلاق وذلك بمقادير تتفاوت هنا وهناك ، لكننا هنا إذ نميز الحضارة المعينة بخاصة ما ، فانما نريد ان تكون تلك الخاصة ـ اكثر من سواها ـ ركيزة اولى يقام عليها البناء ، وبناء الحضارة الاسلامية ركيزته « الاخلاق »

قف معي لحظة تتأمل فيها هذه الآيات الكريمة من سورة الفجر . « الم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد »

فأول ما يلفت النظر للوهلة الاولى ، بل ويلفته للوهلة الثانية ، والثالثة ، والعاشرة ، هو ان هذا العدد القليل من الآيات الكريمة ، قد اوجز لنا القول ايجازا بليغا ، في ثلاث حضارات سبقت ظهور الاسلام ـ ضمن ما سبقه ـ وهي حضارات ثلاث تشابهت كلها في انها جعلت

« الفن » اساسا لصروحها ، وان اختلفت بعد ذلك في نوع الفن الذي اختارته كل واحدة منها فقوم « عاد » الذين عاشوا حضارتهم فيما هو الآن الجزء الشمالي من الجزيرة العربية كانت براعتهم في فن بناء المدن ، واقاموا مدينة « إرم » على نحو يذهل خيالك ذهولا اذا قرأت شيئا من تفصيلاته كما ذكرها المؤرخون ، فهي مدينة قوامها قصور شوامخ ، من ذوات الطوابق ، وكانت طريقتهم في بناء الطوابق العليا ، ان يقيموها على « عمد » ، والعمد بدورها تقام على اسطح الطوابق السفلى ، لا على الارض ، فكانت تلك العمد تبدو للقادم من بعيد وكأنها غابة كثيفة من الجذوع الصخرية العاتية ، وصدق الله العظيم في وصفها بانها « إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد »

واما قبيلة ثمود فقد عاشت هي الاخرى في منطقة قريبة من موطن عاد ، وكان مقرها واديا صخريا اوشكت حياة النبات وحياة الحيوان الا تجد لها فيه موردا للماء ، فدارت براعتهم ـ أعني قبيلة ثمود ـ على فن النحت بصفة اساسية ، وحتى بيوتهم نحتوها في صخور الجبال كالكهوف واخير يأتي ذكر فرعون وما اختارته حضارة مصر يومئذ من فن المسلات والمعابد ، (الاوتاد) فليس هو فن المدن كما رأينا عند « عاد » ولا هو فن النحت كما رأينا عند « ثمود » لكنه فن المعابد وملحقاتها ، وفيها ما فيها من قوائم ذات جبروت وشموخ .

هي اذن حضارات قامت على « فنون » ، ولم يكن في ذلك ما يعاب لولا انها قرنت فنونها تلك بطغيان ، اعني انها أقامت فنا عظيما في ذاته ، لكنها لم تدعمه بأخلاق التعاطف بين الانسان والانسان

« . الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك صوت عذاب ، ان ربك لبالمرصاد »

ونمضي في قراءة سورة الفجر ، فنقرأ أمثلة من أخلاق السلوك التي اعوزت حضارات الفنون السابق ذكرها فهم لم يكونوا يكرمون اليتيم ، ولم يكونوا يطعمون المسكين ، وكانوا يأكلون التراث اكلا لما ، ويحبون المال حبا جما .

وجاءت حضارة الاسلام لتكون اولا وقبل اي شيء آخر ، حضارة اخلاق ، تعتمد على بناء الضمائر في الصدور ، قبل ان تعني ببناء مدينة في فخامة مدينة « ارم » او براعة يبدونها في تشكيل الصخر العصي بيوتا وتماثيل ، او الارتفاع بأوتاد الهياكل والمعابد ، فبالضمائر الحية التي ترسم لاصحابها كيف يكون التعامل الودود بين الناس ، تطمئن النفوس ، وان سورة الفجر تختتم آياتها بخطاب الى النفس التي اطمأنت

« يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي »

للحضارة الاسلامية ان تضيف الى نفسها فنا ، وعلما ، وما شاءت ان تضيف ، لكنها اذا لم تميز نفسها بركيزة الاخلاق ، فربما بقيت « حضارة » لكنها لن تكون حضارة « اسلامية » . ■■

اذا أصبح الجيش والسياسة مترادفين ، زال مضمون كل منهما !

انهيار السياسة

كثير من دول ودويلات العالم الثالث يكاد يستكمل خلال التهابات الدورة الاولى من دورات تطوره السياسي بدأت هذه الدورة بالتبعية « المفروضة » وتطورت الى الثورة السياسية ثم الى الاستقلال السياسي ومحاولات الاستقلال الاقتصادى ، الى أن دخل التطور مرحلة سكون ثم بدأ يتراجع ثم يتآكل الى ان بدأ مرحلة التبعية « المرغوبة »

وككل مراحل التاريخ لم تنشأ مرحلة من مراحل هذه الدورة التي مر بها العالم الثالث من فراغ ، بل كانت كل مرحلة ستا وحصادا لبذور غرست في المرحلة التي سبقتها فمرحلة الثورة السياسية تمتد جذورها في مرحلة التبعية التي فرضها الاستعمار الاوروبي ، حين غرس الاستعمار مفاهيم جديدة عن الحريات والديموقراطية كما تفهمها اوروبا . وادخل تعديلات اساسية على النظام الاقتصادي السائد في مستعمراته ، وحطم اسس التناسق والتوافق والصراع والتنافر كما عرفتها شعوب هذه المستعمرات . ووضع محلها قواعد وقوانين نشأت في اوروبا استجابة لظروف نمو اجتماعي واقتصادي وسياسي مختلفة كل الاختلاف عن ظروف النمو في المستعمرات

وحين كان الاستعمار يدرب افرادا « محليين » لادارة المستعمرات أو حماية امنها الداخلي لم يكن يعرف انه ينشيء بهؤلاء الافراد « صفوة » ستفجر وتقود الثورة السياسية ضده ثم نشبت الثورة السياسية في العالم الثالث ، وظهرت على الخريطة عشرات من الدول والدويلات ، اكثرها لم يكن يحمل المواصفات الكافية ليشكل دولة مستقلة ، وبعضها تدخل الاستعمار المنسحب في انشائه لاعتبارات تضمن الضعف الدائم لهذه الدول ، وتزيد من احتمالات الصراعات المحلية والاقليمية وبسبب السرعة في قيام هذه الدول وبسبب ضخامة المشكلات التي واجهها قادة الثورة السياسية كانت تصوراتهم « عالمية » الابعاد لم يكن التضامن الداخلي في أي دولة كافيا لضمان سلامة استقلالها أو انطلاقها نحو الاستقلال الاقتصادي

وكان من الضروري ان يتم التكتل مع بقية الدول المحررة حديثا لاكتساب رصيد سياسي دولي يحمي هذا الاستقلال و يشجع على تعبئة الجماهير لتعويض ما فاتها من رخاء ورفاهية . وكانوا على حق اذ لم تمض اعوام قليلة على نيل الاستقلال الا وكشف الاستعمار عن خطط يهدف من تحقيقها الى استعادة روابط التبعية والاعتماد غرس اسرائيل وروديسيا البيضاء في قلب العالم الثالث وطرح موضوع الاحلاف العسكرية وقاوم بالقوة المسلحة تدعيم استقلال حواتيمالا ومصر وكوبا والكونغو والدومنيكان ، وتدخل في لبنان والاردن

عبدن مس — موكاسا — لوموب — سكووري

فى العالم الثالث

بقلم . جميل مطر

حين كان التيار القومي في الوطن العربي يسعى لاكتساح بقاياه وبناء صرح عربي جديد

اتسمت هذه المرحلة من مراحل التطور السياسي في العالم الثالث بصفة الهوس . كانت الشعوب معبأة ، والأحلام كبيرة ، والقيادات حادة في محاولاتها تشييد هوية لشعوبها . لذلك كان نكروما وسيكوتوري تجسيدا لخطر كبير على المصالح الاوروبية والامريكية في القارة الافريقية لانهما تحاسرا فتحديا التحرنة التي عرسها الاستعمار في افريقيا ، واقدما على تأميم المصالح الغربية ، وبالمثل في الوطن العربي كانت الاحلام العربية وآمال الوحدة تزداد وتقوى

ثم سكنت الثورة وسقط قادتها ، كانت الاحلام ضرورة لتدعيم الاستقلال وتعبئة الجماهير ، ولكنها كانت اكبر من قدرة القادة على تحقيقها اد انه حين استقرت الامور بدأت الشعوب تنتبه الى ان عائد الثورة اقل كثيرا من الوعود البراقة والاحلام الزاهية التي دفعت الى الثورة ودفعتها . ولم تنجح محاولات القادة لاقناعها ان تخلف مئات السنين لا يزول في اعوام قليلة ، كما لم تنجح محاولاتهم في عزل هذه الشعوب عن مظاهر الاستهلاك والرفاهية التي تعيش فيها الدول الاوروبية والامريكية ، اد كانت وسائل الاتصال العصرية قد انقلبت من سلاح في يد القادة يعبئون بها الجماهير الى سلاح موجه ضدهم لانه صار ينقل صورا من حياة الاستهلاك العربي تتحدى جميع قيم التخطيط الاقتصادي والاجتماعي في الدول حديثة النشأة

عوامل التآكل السياسي

لا يمكن انكار الدور الايجابي الذي تقوم به عملية تعبئة الجماهير وراء اهداف محدده ، فالتعبئة الشعبية اساسية لحماية الاستقلال ومقاومة العدوان الخارجي وتحويل المسار الاقتصادي نحو تخطيط علمي وتعديل التوازنات الاجتماعية ، ولكنها تصبح عنصرا سلبيا في بناء الامم حين يطول أمدها وتتحول الى اسلوب حكم فاذا ما صارت اسلوبا للحكم زال الفاصل الواسع بين الحكم والتحكم ، او بين بداية السياسة ونهاية السياسة فالتعبئة المرتبطة بأهداف شعبية محددة تستطيع ان تربط اطراف الامة بمركزها ، وان تجعل من تناقضاتها الداخلية حافزا للبقاء ، وان تجند لقيادة الجماهير افضل ابنائها وتدربهم على الحكم ولكن التعبئة حين تطول وتتشعب اهدافها تفقد الحماس لها لان الشعوب لا تستطيع ان تبقى مشدودة طول الوقت ، فكأي كائن حي لها حاجة طبيعية الى الراحة والتمتع بعائد الجهد والمشقة الى جانب ذلك فان التعبئة الطويلة ـ ما لم تكن في اطار ثورة ايديولوجية متكاملة ـ لن تجند للقيادة سوى الانتهازيين والمتسلقين لانها تضع للثقة اولوية على غيرها من شروط العمل السياسي ومع استمرار هذا الوضع تضيق حلقة السياسة تدريجيا حتى تتركز داخل اقوى مؤسسة في الدولة ، وهي الجيش ،

واذا اصبح الجيش والسياسة مترادفين زال مضمون كل منهما ، لان القيم السائدة في واحد تفسد القيم السائدة في الآخر الجيش اذا دخل السياسة الغى قيمة

التنافس السلمي على السلطة والسياسة اذا دخلت الجيش ادخلت معها التنافس على السلطة . والنتيجة هي افقار القيم السياسية في المجتمع وفي النهاية الانهيار الكلي للسياسة فمع طول ترادف الجيش والسياسة تقل الفرص المتاحة لتحييد كفايات عسكرية سلمية وتحييد قيادات سياسية تنشأ وتتربى في بيئة طبيعية لذلك كثيرا ما نسمع من مواطنين في دول نامية عبارات يائسة عن المستقبل بحجة ان بلادهم لم تعد تنجب قيادات سياسية ، وانه لا أمل في انشاء جيل « سياسي » قادر على انتشال السياسة من اعماق الانهيار التي تدنت اليه كيف ينشأ هذا الجيل في دول أصبح الاستفتاء الشعبي أو الانتخابات الرئاسية اداة بموجبها يتحول الرئيس الى « ملك جمهوري » والجمهورية الى « مملكة رئاسية » وهي دول اغلقت باب التنافس في السياسة ، وجعلت السياسة نشاطا محرما ، ووصمت السياسيين بين المجرمين العاديين ، واستحلت من الدول العظمى اسلحة وخبراء لمطاردتهم وحماية النظام من خطرهم

في مثل هذه الدول ـ وهي كثيرة ـ يكون الرئيس هو الزعيم والقائد والمعلم ، تخضع له الناس ومقدراتهم ، وارزاقهم ملك يديه ، وارواحهم رهن مشيئته باقة من العبقريات في شخص واحد بعبقرية القائد ، يقرر الحرب ويرسم خططها ، وبعبقرية الفيلسوف يصوغ فكرا اساسيا صالحا لكل البشر في كل زمن وعلى كل أرض وبعبقرية الآلهة التي ساقته لانقاذ شعبه يضع الحدود ويشرع القوانين ويوزع الارزاق ويزهق الأرواح هو الحدث التاريخي الذي لا يتكرر كيف يمكن مع هذا « الكل في واحد » أن يظهر رأي آخر ؟ واذا ظهر فانه رأي الخيانة ، أو الجهل ، أو الالحاد ، أو اخطرها رأي طامع في السلطة

كذلك ساهم الانفجار الاعلامي مساهمة كبيرة في انهيار السياسة في العالم الثالث في نواح ثلاثة على الاقل

الاولى انه جعل كثيرا من الزعماء يصدقون أنهم فلتات ذكاء وعبقرية من كثرة ما رأوا انفسهم على شاشات التلفزة ، خاصة حين يشعر الزعيم انه موجود وبكثرة في كل مكان ، تماما كما يشعر الطفل في قصر المرايا ، وان الكلمة التي ينطق بها تتردد اصداؤها مثنى وثلاث ورباع

والثانية أنه بعد أن كان الزعماء يتصلون بالجماهير مباشرة عبر مكبرات الصوت حلت كاميرات التصوير محل الجماهير ، وأصبح الزعماء يتحدثون الى كاميرات وهي ليست آلات صماء بلا ارادة ، فقد اثبتت انها تملي على المتحدث اليها سلوكا تعينه ، ووراء تحدده وأثبتت انها تفرض عليه سياسة ترسمها وتخططها

والثالثة ان الاعلام كطاقة محدودة لا يتسع لصناع الاعاجيب والاعمال الملفتة للنظر ، وكم من جهد ووقت يضيعان حول صياغة اعمال عجيبة ترضي او تزعج هذه القوة القاهرة سقط عيدي امين لانه كان يتفنن في صنع الاعمال الكفيلة بازعاج هذه القوة بينما صعد زعماء غيره لانهم عرفوا وسيلة ارضائها ، ولو جاء هذا الرضا على حساب شعوبهم ومصالحها

وخطورة هذه القوة الجديدة انها تقدم نفسها لزعماء العالم الثالث رخيصة سهلة ولكنها تقدم نفسها في شكل متتالية منسقة الحلقات ، كل حلقة تبني على سابقتها ، وفي نهاية المتتالية يكون الزعيم قد استكمل التحول في شخصيته او استكملت دولته التحول في سياستها ، او كليهما معا

عودة الاستعمار

ويبدو انه من الظواهر الملازمة لانهيار السياسة ظاهرة زوال عقدة الاستعمار ، وهي العقدة التي يقال الآن ان زعماء الاستقلال والتحرر الوطني كانوا يعانون منها كثير من حكام اليوم تخلصوا من هذه العقدة ، ومنهم من يعتبر ان هذه العقدة كانت سببا في عدم الانطلاق نحو التنمية وتوقف اللحاق بقطار الحضارة ولذلك حذفت كلمات متعددة من المفردات التي تستعملها الصحف المحلية واجهزة الاعلام فحذفت « الاستعمار » و « الامبريالية » و « النفوذ » و « الاستغلال » و « الاحلاف » و « القواعد العسكرية » وحلت محلها « الحضارة » ، التكنولوجيا ، الانفتاح ، الصداقة ، تبادل المشورات والآراء ، زيارات الاصدقاء الاعزاء

وتظهر سخرية الموقف من انه في كثير من الحالات لم تشجع الدول الاستعمارية تهافت دول العالم الثالث عليها او ارادت ان يعلن هذا التهافت بأعلنة اكثر استحياء الا ان زعيما كبوكاسا لم يعدم وسيلة حتى الرشوة ليكسب بها حماية المستعمر واجباره على تغطية مذابحه ووحشيته وبعد ان كان التلويح بالخطر الخارجي يأتي من جانب الدول الاستعمارية لتحافظ على نفوذها في الدول الحديثة الاستقلال صار هذا التلويح يصدر من زعماء العالم الثالث لتشجيع الدول

... ستعمارية على العودة واقامة قواعد عسكرية ، لتحمي ... ف بهم وتردع المعارضة الداخلية ولا يعني هذا ان الدول الاستعمارية صارت اقل رغبة في العود او الاستغلال ، فالواقع يشير الى انها تتسع ولا تمتنع ، بدليل ان التدخلات العسكرية الاوروبية والتهديدات العسكرية الامريكية اصبحت اكثر عددا من أي وقت مضى

مستقبل العالم الثالث

يتطلب توقف انهيار السياسة وانتعاشها توافر عدد من الشروط اهمها

أولا حد ادنى من القبول العام بالاطار السياسي وحد ادنى من الشعور العام بالانتماء الى هذا الاطار ، والرضا العام بان هذا الانتماء يسبق كل الانتماءات الاخرى هذا الشرط غير متوفر حاليا ، بل توجد مؤشرات متعددة تدل على ان الاتجاه السائد في معظم الدول النامية يتجاوز الانتماء الاساسي لاكثرية شعوب العالم الثالث في خيبة الامل التي نتجت عن فشل « الدولة » كاطار سياسي في الدول النامية في اشباع حاجة الانسان الاساسية في الامن وعدم الاغتراب والاطمئنان للمستقبل

ثانيا حد ادنى من الالتزام العام بمجموعة افكار متكاملة تلخص تراث الشعب وتحدد مشكلاته الاساسية المعاصرة وترسم احلامه وطموحاته ولا يعني هذا الايمان بنظرية كاملة تصلح لكل الشعوب في كل الازمنة والعصور ، او الاخذ بنظريات نشأت في التراث في ظروف سياسية واجتماعية بعيدة كل البعد في تفصيلاتها وابعادها عن الظروف المعاصرة وانما تعني اطارا « سياسيا » يضمن على الأقل حريات وحقوق المواطنين ، يحمي الاقليات من ظلم الاغلبية ، ويحمي الاغلبية من انانية الاقلية الاجتماعية الحاكمة ، ويستبعد خطر تحكم الفرد او الاسرة او اي مؤسسة منفردة في مقدرات الناس وبلدهم ، وهذا الشرط كذلك غير متوفر في معظم دول العالم الثالث ، بل وحتى تلك الدول التي استطاعت خلال مرحلة من مراحل ما بعد الاستقلال ان تضع ملامح لنظرية شبه متكاملة تخلت عنها عندما تغيرت قيادات الحكم فيها او تحت ضغوط القوى الكبرى

ثالثا حد ادنى من الكفايات السياسية المدربة على العمل السياسي (حزبي ـ نقابي ـ تنظيمي) والمؤمنة بقيمة التنافس السلمي من اجل الوصول الى السلطة السياسية وقد توافر هذا الشرط الى حد كبير في بعض الدول حديثة الاستقلال ، وخاصة الهند ومصر وباكستان كما توافر لفترات أطول في بعض دول امريكا اللاتينية وخاصة شيلي والارجنتين وبدرجة اقل في البرازيل والأوروجواي الا انه تحت تأثير الضربات المتلاحقة التي وجهتها المؤسسة العسكرية في معظم هذه الدول للعاملين بالسياسة انهارت الاحزاب والنقابات ، وتحولت الطموحات السياسية للافراد الى العمل السري والارهابي تبحث من خلاله عن حق مشروع في ممارسة « العمل السياسي » واذا كانت الهند فلتت من سطوة العسكريين مما ساعد على استمرار وجود حياة سياسية ، الا انها لم تفلت من عناصر الانهيار الاخرى وفي مقدمتها الفساد ومشكلات التنمية وانتعاش الانتماءات الاولية والفراغ الايديولوجي

ينتج عن عدم توافر هذه الشروط مجتمعة او منفردة ظاهرة « الفرد ـ الذرة » انسان منفرد يبحث عن هوية أو عن جماعة يشعر بنفسه فيها وعن زعامة غير سياسية تقوده الى هدف أي هدف انسان يخشى المستقبل ويحن الى الماضي ، ويريد حلولا وطمأنينة تأتيه من قوة لا يدركها عقله ومن هذا الانسان المنفرد ـ من ركام « السياسة » ـ قد تبدأ دورة جديدة في دول العالم الثالث . واظن انها بدأت !

القاهره ـ جميل مطر

الحرية .. الحرية

اذا اهتمت الامم باي شيء آخر اكبر من الحرية ، فسوف تفقد حريتها ، واذا كان هذا الذي تهتم به اكبر هو المال والرفاهية فلن يبقى لها منها شيء بعدما تفقد حريتها !

« سومرست موم »

■ التحدي الحقيقي الذي يواجه أوروبا يكمن في ارتفاع نسبة البطالة . ان الدولة الديمقراطية التي لا تستطيع ان توفر عملا لكل مواطن تفقد ثقة الشعب العرب في حاجة الى قدر اعظم من العدالة الاجتماعية .

« برونو كرايسكي »

■ فرانكو لم يمت ان نظامه الدكتاتوري ما زال يسيطر على اسبانيا الاحكام التعسفية التي صدرت اخيرا ضد بعض الصحفيين تذكرنا بعهد النازي وحكم الدكتاتور عيدي امين

« صحيفة اي بيه » او السلام
اكبر صحف اسبانيا

■ ضد الاحكام العرفية ، وضد فشل الحكومة في الوفاء بعهودها ، وفي عسة الدستور الجديد الذي تعهدت به وعدم تحديد موعد للانتخابات العامة ، ب الشعب في كوريا الجنوبية

« سيوروبك »

■ استقلت لانني اشعر انني لم اعد قادرا على الاستمرار في خدمة بلادي في ظل الظروف الحاضرة

« سيروس فانس » وزير خارجية امريكا

■ مات آخر اعمدة الحياة ، الجندي الذي حقق المعجزة في بلد مزقته الحروب والاطماع والقوميات

« ديستان » في تأبين المارشال تيتو

■ كانت زيارتي للسودان نقطة البداية في طريق تأكيد علاقات حسن الجوار بين بلدين شقيقين ، مهما اتسعت الخلافات بينهما

منجستو ميريام
« في أول زيارة يقوم بها رئيس اثيوبي للسودان منذ نصف قرن »

■ ان الامن والاستقرار في منطقة الخليج هو مسئولية دول المنطقة وحدها بعيدا عن اي تدخل خارجي

بوسلاف شنوبيك
وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا

من هم .. وماوظيفتهم ؟

بقلم : الدكتور محمد فتحي عثمان

في السنوات الاخيرة ، تتابع التحرك نحو تحكيم الاسلام وانفاذ شريعته على الافراد والمجتمع والدولة ، سواء أجاء هذا التحرك من (أعلا) بتوجيه اولى الامر وتأليف اللجان المختصة لاعداد دساتير اسلامية ، او جاء هذا التحرك من (أسفل) بمطالبة الهيئات الاسلامية بذلك

ومن اوجب الواجبات ازاء هذا الاتجاه الصحيح السديد ، ان يواكب ذلك رؤية توضح قسمات النظام السياسي الاسلامي ومعالمه البارزة وخصائصه المتميزة ، بحيث تكون هذه الرؤية (معاصرة) .

. وأعني بالرؤية المعاصرة لنظام الحكم الاسلامي التي تضطلع بمهمتين جليلتي الخطر

تمييز الثابت والمتغير

ـ اولاهما : تمييز المضمون من الشكل ، بحيث يتجلى في نظام الحكم الاسلامي ما هو أصل وقواعد ، ويتجلى ما كان تجربة تطبيقية تاريخية اسهمت في قيامها ظروف معينة في الزمان والمكان . وربما تبدو هذه القضية واضحة دون اى لبس في مبدأ « الشورى » مثلا ، فلطالما ردد الفقهاء والباحثون المعاصرون ان الاسلام أتى بمبدأ الشورى دون ان يحدد شكلا معينا لها ، ومن ذلك : « اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام وتركت لاولياء الامور ان يضعوا القواعد اللازمة لتنفيذه تبعا لاختلاف الامكنة والجماعات والاوقات . فمبدأ الشورى مقرر بنصين ظاهر منهما انهما عامان مرنان الى آخر حدود العموم والمرونة (يقصد الآيتين « وشاورهم في الأمر » ـ آل عمران / ١٥٩ ، « وامرهم شورى بينهم » ـ

شورى / ٣٨) ، بحيث لا يمكن ان يحتاج الامر الى بديلها او تبديلها . ولكن الامر يبدو اقل سوحا في قضية اهل الحل والعقد وكيف يمكن تحديدهم لاختيار من بينهم اذا كانوا كثيرين الى درجة يحس معها مثل هذا الاختيار اذ يتداخل في الرؤية هنا مثلا تجاه الغض من طريقة الانتخاب وبخاصة الانتخاب شعبي المباشر ، سواء أكان هذا الاتجاه مبنيا على اساس ديني مثل « طالب الولاية لا يولى » ، او على اساس ما قيل كثيرا عن عيوب الانتخابات عندنا وعند غيرنا ، مما سهم فيه من جانب المفكرون الديمقراطيون بما مارسوه من (نقد ذاتي) هذ للنظم الديمقراطية ، واسهم فيه من جانب آخر الفكر الماركسي بما اثاره حول مدى حدية « تصويت الجياع » ، ومدى تعبير البرلمانات عن الشعوب بجميع طبقاتها ولا سيما الطبقة الفقيرة صاحبة الغالبية العددية ، ووجوب اقتران الحقوق السياسية بالحقوق الاجتماعية ، واقتران تقرير الحقوق بما يكفل ضمانها ونفادها

ويبدو الامر غامضا كل الغموض في قضية « الخلافة » مثلا ، وهل هي شكل « تاريخي » لنظام الحكم الاسلامي او اصل شرعي ثابت وأعانت الظروف « المأساوية » التي اقترنت بانسحاب الخلافة من حياة المسلمين ، وانقضاض الاستعمار على الجسد الاسلامي يقتسم اشلاءه من جهة ، وقيام اتاتورك بسلخ تركيا عن الاسلام سياسيا واجتماعيا ايضا من جهة اخرى ـ اعانت هذه الظروف على اعتبار سقوط الخلافة عقدة مشاكل المسلمين ورمز ضعفهم وهوانهم ، وأن رد اعتبار المسلمين لا يكون الا باعادة الخلافة كما كانت وادكر انني كنت أحاضر طلابا للدراسات العليا عن « الفكر السياسي الاسلامي » ، وتناولت « الخلافة » باعتبارها نظاما « تاريخيا » فاحتاج ايضاح تلك الفكرة وتأكيدها مني الى جهد جهيد ، والذين لم يستسيغوا مني مثل هذا التصور طلاب كبار وتفكيرهم فوق المتوسط على الاقل ، ومنهم من كان يشغل وظائف ذات اهمية

ان تمييز اصول الحكم الاسلامي الثابتة من الاشكال والقوالب المتغيرة عنصر اساسي لتقديم الرؤية « المعاصرة للنظام السياسي الاسلامي

ـ وثاني ما تتطلبه تلك الرؤية « المعاصرة » الافادة من الافكار والتطبيقات السياسية الحديثة وتوظيفها لخدمة النظام السياسي الاسلامي فليس من المعقول اهدار هذه التجارب النافعة واسقاط هذه الخبرات التمية والبدء من الفراغ ، مع تسليمنا بان لنظا[م] خصائصه المتميزة فمن الواضح ان قيام « الد[و]ل الحديثة » المعروفة تاريخيا قد اقترن بفكر سياسي [...] تبرز فيه كتابات مكيافلي ولوك وهوبز وروسو ومونتسكيو وماركس ودیجي وبارتلمي وغيرهم ، عل[ى] احتلاف الوانها واتجاهاتها وتبرز فيه تطبيقات الانظمة الجمهورية البرلمانية والرئاسية وما بينهما (مثل النظا[م] الفرنسي منذ ايام ديجول) ، والانظمة الملكية الدستورية التي يملك فيها الملك ولا يحكم والتي غدا بعضها يجعل للملك ان يحكم ايضا بصورة ما ، مثل ما غدا لرئيس الجمهورية البرلمانية ان يحكم بصورة ما ولا يستطيع الفكر السياسي الاسلامي المعاصر ان يتجاهل ان في هذه التجارب الفكرية والعلمية ما يمع الفكر الاسلامي ويتفق مع اصوله ومبادئه العامة ومقاصد الشريعة كما انه يدعم هذه الاصول والمقاصد في مجال التفصيل او التطبيق

بدلا من الشعارات

ولقد كانت دراسة الاستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد التي قدمتها مجلة العربي (في عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٠ هـ ـ ابريل ١٩٨٠ م) بعنوان « الشورى والديمقراطية ورؤية الاسلام السياسية » دراسة هادية منيرة من عالم مفكر ممارس للعمل السياسي وللحركة الاسلامية بالذات والمسلمون احوج ما يكونون الى مثل هذه الدراسات الواعية التي تضع النقط على الحروف ، وتواجه واقعنا الاسلامي بجانبيه الفكري العلمي والحركي السياسي ، فتغوص وراء الحقيقة بما في ذلك من كد ومخاطرة ، ولا تقنع بالطفو على السطح والاكتفاء بترداد ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، او ان الاسلام كفيل بحل كل المشكلات بمجرد ان يوضع موضع التطبيق وان الانشغال بمشكلات التطبيق قبل الشروع في التطبيق هو من قبيل اللهو والعبث او من قبيل الترف الذهني ـ ان لم يكن من قبيل المؤامرات المدبرة والخيانة المقصودة لتعويق المسيرة الاسلامية وتثبيط الهمم والعمل على تسرب القوة الدافعة

وقد توقفت بصفة خاصة عند قول عالمنا المفكر بان الشورى في النظام الاسلامي تمارس في « مجال اختيار الحكام » ، كما تمارس في « مجال المشاركة في اتخاذ القرارات » ، ومن ثم « فقد عرف الاسلام طائفتين تتوليان ممارسة الشورى في المجالين الاولى اهل الحل والعقد ، والأخرى اهل الاجتهاد »

واذا كان « اهل الاجتهاد » من اليسير تحديد مقوماتهم ومؤهلاتهم بصورة منضبطة . فان تحديد ما قصده فقهاؤنا « باهل الحل والعقد » يحتاج الى جهد ليس باليسير ، وان محاولة تحقيق طرق التوصل الى هؤلاء في مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة هي اكبر مشقة وعسرا

اجتهادات فردية

وقد ذكر عالمنا المفكر بحق ان ما حواه تراثنا الفقهي او الفكري بعامة عن « اهل الحل والعقد » من آراء متعددة » انما تمثل اجتهادا فرديا يعكس تصوراتهم لمهمة تلك الهيئة « ويمكن ان يضاف الى ذلك ان تفكير فقهائنا ومفكرينا كان الى حد ما « نظريا » وقت تدوينه ، فقد انحصر في « تنظير » تجارب صدر الاسلام وتقييمها ، نتيجة ما قام من فجوة في مجال الفكر السياسي الاسلامي بصفة خاصة بين النظر والواقع ، وبحكم عدم تطور الفقه السياسي الاسلامي ونموه ونضجه بمثل ما حدث لاحكام العبادات والمعاملات مثلا نتيجة ظروف خاصة بالمجتمعات الاسلامية ، الى جانب ظروف عامة للمجتمعات الانسانية حتى كان النمو الاخير للفكر السياسي والواقع السياسي في العصور الحديثة حين هيأت عوامل التغيير المناخ الملائم لهذا النمو ، بحيث بدت « جمهورية افلاطون » او « سياسة ارسطو » فكرا ساذجا عتيقا وهكذا جاء تراثنا في مجال النظام السياسي اما في صورة صياغة فقهية للتجارب التاريخية المبكرة ، او في صورة توجيه مواعظ اخلاقية للحكام ، ومن امثله النوع الاول كتاب « الاحكام السلطانية » للماوردي « المتوفى ٤٥٠ هـ) ، ومن امثله النوع الثاني كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي (المتوفى ٥٢٠ هـ) ولعل ما بدا محاولة من فقهائنا لمواجهة تطور النظام السياسي للخلافة قد انحصر في محاولة صياغة الاحكام لما تحقق في الواقع من « امامة الغلبة » و « امارة الاستيلاء »

ومع ذلك يبقى تحديد المقصود لدى فقهائنا باهل الحل والعقد محاولة لها قيمتها في نظرى علميا وعمليا وارجو ان اسهم في هذه المحاولة في مقال تال . واتناول في هذا المقال ما ذكره الاستاذ الدكتور ابو المجد عن « الوظيفة التشريعية في حدودها المقررة في الدولة الاسلامية » وما ارتآه من اضطلاع اهل الاجتهاد بهذه الوظيفة وقد قرر انهم « هم الذين يمثلون الجماعة في ممارسة تلك الوظيفة » . ولم اتبين اذا كان هذا التمثيل « مفترضا » او انه « يتحقق » بصورة من صور تعبير الجماعة عن ارادتها باختيار افراد بذواتهم من الحائزين على مقومات الاجتهاد وقد ذكر الباحث اسه « لا بد بطبيعة الحال ان يكون هؤلاء مؤهلين لتلك الممارسة بان يكونوا حائزين على درجة من درجات الاجتهاد في استخراج الاحكام واستخلاصها من ادلتها وفي معرفة الواقع الذي تطبق عليه تلك الاحكام »

ولقد سبق ان قرر هذا المبدأ ايضا استاذنا الجليل الشيخ عبد الوهاب خلاف حيث قال « في الدولة الاسلامية الذي يتولى السلطة التشريعية هم المجتهدون واهل الفتيا وكل دولة اسلامية في اى عصر لاتستغني عن وجود جماعة من اهل الاجتهاد الذين استكملوا شرائطه »

هيئة الناخبين بامريكا

وقد ارتأى الاستاذ الدكتور ابو المجد أن يختص أهل الحل والعقد باختيار الامام ، وله ملاحظة بارعة رائدة تذهب الى ان « تصوير الماوردى لهيئة اهل الحل والعقد يجعلها عظيمة الشبه بهيئة الناخبين الرئاسيين او المندوبين electoral college المعروفة في انتخابات الرئاسة الامريكية » وهو يشير الى قول الماوردى « فاذا اجتمع اهل العقد والحل للاختيار تصفحوا احوال الامامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم اكثرهم فضلا واكملهم شروطا ومن يسرع الناس الى طاعته ولايتوقفون عن بيعته فاذا تعين لهم من بين الجماعة من اداهم الاجتهاد الى اختياره عرضوها عليه ، فان اجاب اليها بايعوه عليها وانعقدت ببيعتهم له الامامة ، فلزم كافة الامة الدخول في بيعته والانقياد لطاعته ، وان امتنع عن الامامة ولم يجب اليها لم يجبر عليها لانها عقد مراضاة واختيار لايدخله اكراه ولا اجبار ، وعدل عنه الى من سواه من مستحقيها » ويعرض الماوردى لحالة تكافؤ عدد من المستحقين للامامة ، وحالة تنازع المتكافئين وطرق الترجيح كما يعرض لحالة انفراد المستحق للامامة « وذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى ان امامته لاتنعقد الا بالرضا والاختيار ولكن يلزم اهل الاختيار عقد الامامة له فان اتفقوا اقروا ، لان الامامة عقد لايتم الا بعاقد . وقال بعضهم . لايصير المتفرد (بالصلاحية للقضاء قاضيا وان صار المتفرد (اى بالصلاحية للامامة) اماما وفرق بينهما بأن القضاء نيابة خاصة يجوز صرفه بقائه مع على صفته فلم تنعقد ولايته إلا بتقليد مستنيب له ، والامامة من الحقوق العامة المشتركة بين حق الله تعالى وحقوق الآدميين لايجوز صرف من استقرت

اذا كان على صفته ، فلم يعتقر تقليد مستحقها مع تميزه الى عقد مستثبت له »

وحتى بالنسبة لولاية العهد ـ ان وجدت ـ تظل مهمة اهل الحل والعقد قائمة ، فهم الذين يقبلون المبدأ والنظام وهم الذين يولون ولي العهد اماما حين يتوفى الامام الذى كان قائما وعهد اليه يقول ابن تيمية (المتوفي ٧٢٨ هـ) « وكذلك عمر لما عهد اليه ابوبكر انما صار اماما لما بايعوه واطاعوه ، ولو قدر انهم لم يعدوا عهد ابى بكر ولم يبايعوه لم يصر اماما »

ويوضح الفقيه الحبلى القاضي ابو يعلى (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) ان عقد ولاية العهد ليس هو عقد الامامة ولايتم به بحال . وانما تتحقق الامامة بعقد آخر لاحق هو عقد الامامة نفسها يعقده اهل الحل والعقد اذا ارتأوا ذلك عند وفاة الامام الذى كان قائما وعهد الى شحص معين . ومن ثم فان ولاية العهد عقد شخصي من الامام القائم لاداعي لان يدخل اهل الحل والعقد فيه لانه مجرد ترشيح مسبق يجوز لصاحبه العدول عنه قبل وفاته . وانما تبدأ مهمتهم عند وفاة الامام بالنظر في صلاحية المعهود اليه وعقد الامامة له اذا ارتأوا ذلك او عقد الامامة لغيره اذا كان اولى بها وانفع فيها يقول ابو يعلى « ويجوز للامام ان يعهد الى امام بعده ، ولا يحتاج ذلك الى شهادة اهل الحل والعقد في ذلك ولا بعضهم والدلالة على انه لايعتبر فيه رضا بعض الامة ان عهده الى غيره ليس بعقد للامامة . بدليل انه لو صار عقدا له لادى ذلك الى اجتماع الامامين في عصر وهذا غير جائز . واذا لم يكن عقدا للامامة لم يعتبر فيه حضور عدد من اهل الحل والعقد واذا عهد الامام الى رجل كان له ان يعزله قبل موته والدلالة عليه ان امامة المعهود غير ثابتة مادام العاهد باقيا حيا اماما ويجوز عهده الى من ينتسب اليه بولادة وقرابة اذا كان المعهود اليه على صفات الائمة لانه قد ثبت ان الامامة لاتنعقد للمعهود بنفس العقد وانما تنعقد بعهد المسلمين له . فاذا كان كذلك فالتهمة تنتفى لانه قد يختار ولايته لقرابته ولايختار المسلمون بعده فلا يصل الى غرضه فانتفت التهمة »

اختيار الامام وحده

ومهمة جماعة اهل والعقد في اختيار الامام هى محل اتفاق . ولكن هل تنحصر مهمتهم في هذا فحسب ؟ ؟

اعتقد ان « الوظيفة التشريعية » اشمل واوسع من ان تقصر على الجانب الشرعي او القانوني (الفني) ، فان هذه الوظيفة طابعها (السياسي)) الذي يحـ لكفاية اهل الحل والعقد السياسية وخبراتهم الاجتـ العملية واوثر ان تظل هذه الوظيفة في ايدى اهل ا والعقد ، الذين قد يكون من بينهم علماء لما لهم مـ مقدمات اجتماعية او سياسية اخرى ويمكن صـ الرقابة الشرعية (الفنية) من قبل هيئة المجتهد الذين ينبغي ان يراجعوا صياغة الانظمة واللوائح والقرارات الهامة قبل ان تصدرها الجهة المختصة . كما تكون لهم اختصاصاتهم الاخرى في الفتيا والقضاء الدستورى والاداري ، على نحو يقارب ما هو معروف من نظام « مجلس الدولة » conseil detat الفرنسي او المحكمة العليا supreme court في الولايات المتحدة او يمزج بينهما ، وقد يضيف اليهما لمسات من نظام « ديوان المظالم » ايضا المعروف في تراثنا التاريخي والفقهي على ان تكون « الوظيفة التشريعية » ذاتها لجماعة اهل الحل والعقد

ذلك ان كثيرا من الانظمة واللوائح والقرارات مما ليس فيه نص شرعي قد يكون مبنيا على تحقيق المصلحة وسد الذريعة ـ شأن الكثير من الاجتهادات المبكرة في عهود الصحابة والتابعين وتابعيهم وما الى ذلك من مجالات الاجتهاد التي لايقتصر الراى فيها على الفقهاء المجتهدين ، وانما يطلب الرأى من كل صاحب راى ومن كل منتفع بهذه الانظمة والقرارات ومستفيد من تحقيق المصالح وسد الذرائع او من ممثلي المنتفعين والمستفيدين وهم جمهور الامة ويكفي من اهل الحل والعقد علم محدود بمبادىء الشريعة العامة وقواعدها الكلية ومقاصدها ، لكن يظاهر ذلك خبرات اجتماعية وكفاية سياسية لايسعى اهدارها

السياسة الشرعية فن

فالسياسة علم وفن ، وقد يكون جانب الفن فيها اوفر ، حتى بالنسبة للسياسة الشرعية ولايعني في ذلك ان يشترط في « اهل الاجتهاد » « معرفة الواقع الذى تطبق عليه الاحكام » الى جانب « حيازة درجة من درجات الاجتهاد في استخراج الاحكام واستخلاصها من ادلتها » . فالشأن في هؤلاء الذين توفروا على العلم وتفرغوا لطلبه وافنوا فيه اعمارهم ان يكونوا بطبيعة حياتهم وظروفهم بعيدين عن الالتصاق بالواقع الاجتماعي ، وان تحقق هذا لبعضهم كان ذلك استثناء يؤكد الاصل والقاعدة ، وجاز لهؤلاء ان يلجوا باب « اهل الحل والعقد » باعتبار ما تحقق لهم من قوة اجتماعية او

...سية وتكفي المراجعة الفنية للانظمة واللوائح والقرارات الهامة من قبل هيئة الفقهاء المجتهدين ، لكن تظل جماعة اهل الحل والعقد هي الاولى والاقوم بالوظيفة التشريعية بما لها من طابع سياسي بحكم خبراتهم وكفايتهم السياسية ما كان من الافعال اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد وان لم يشرعه الرسول ولانزل به وحي » ـ على ما قرره ابن عقيل ونقله عنه ابن القيم (المتوفى ٧٥١ هـ) في « اعلام الموقعين » و« الطرق الحكمية » ولم يغفل الفقهاء انفسهم عن ان يشترطوا في الامام مثلا « الرأى المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح » ـ على حد تعبير الماوردي ، وان ماورد من اشتراط « الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو » ليتطلب الشجاعة الادبية والقدرة على المبادرة باتخاذ القرارات المصيرية الخطيرة دون تردد او توان عند الاقتضاء ـ تماما مثل اتخاذها دون تسرع وتعجل ، ولا تقل هذه الشجاعة بحال عن الشجاعة في ميدان القتال عند مقارعة الاعداء ومن المعروف اعتياد اهل الفقه واهل الفكر جميعا التأني وتقليب الامر على وجوهه عند بحث اى امر مما قد يضيع الوقت المناسب لاتخاذ القرار فيولد بعد ذلك ميتا كذلك اشترط الفقهاء في اهل الحل والعقد « الرأى والحكمة المؤديين الى اختيار من هو للامامة اصلح وتدبير المصالح اقوم » ـ كما ذكر الماوردي ، والرأى والحكمة لها اهميتها ومزيتها عند اصدار الانظمة والقرارات ، ولايغني فيها العلم باحكام الشريعة والاجتهاد في استنباط مالم يرد فيه نص شرعي وفقا لمناهج الاستدلال كما هو معروف عند المجتهدين مهما وسعنا الدلالة المقصودة من « الاجتهاد » ، ذلك ان اهل الاختصاص قديما وحديثا يشغلهم التعمق في تخصصهم العلمي وحده عن الثقافة العامة العريضة والخبرة الانسانية الواسعة « والكفاية » عند ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ) تشمل « الجرأة على اقامة الحدود واقتحام الحروب والصبر بها وكفالة حمل الناس عليها ، والمعرفة بالعصبية (اى بالقوى الاجتماعية وفعلها) واحوال الدهاء والقوة على معاناة السياسة ، ليصح ما جعل من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح » ـ على ما قرره في مقدمته المشهورة

و« السياسة الشرعية » مجال فسيح يحتاج للنظر البعيد والافق الواسع ، ولا يشترط ان يضطلع باعباء السياسة فقهاء ولكن يشترط ان تسير السياسة الشرعية على مبادىء الشريعة العامة وقواعدها الكلية وأن تحقق مقاصدها وان لاتصطدم بشيء من احكامها الجزئية ، ويضطلع المجتهدون بالجانب الفنى وفقا للسياسة التي يتعاون على تخطيطها الامام واهل الحل والعقد ، ويتولى الوظيفة التشريعية بطابعها السياسي جماعة اهل الحل والعقد

من سوابق الشورى

وتبدو خلال وقائع الشورى التي بنيت عليها قرارات سياسية وتنظيمية جليلة الخطر في تاريخنا اسماء شخصيات من سلفنا الصالح ، هي اقرب الى ان تكون ضمن اهل الحل والعقد من ان تعتبر من العلماء المجتهدين

لقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة قريش حربيا يوم بدر ، بعد ان افلتت العير وخرجت قريش لحمايتها ، وهذه شورى في قرار سياسي وليست في امر ، فنى من امور الحرب كمنزل الجيش ، وكان من المشيرين المقداد بن عمرو وسعد بن معاذ واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب بمصالحة الاحزاب على ثلث ثمار المدينة فابى السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشار صلى الله عليه وسلم في القتال يوم الحديبية ، وخطب صلوات الله وسلامه عليه في حادث الافك فقال اشيروا على معشر المسلمين في قوم ابنوا اهلي ورموهم

وروى البلاذري عن محمد بن سعد عن الواقدي خبرا اسنده يقول « ان عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال علي بن ابي طالب تقسم ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا » ، وقال عثمان ارى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم يأخذ خشيت ان ينتشر الامر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فدون ديوانا وجند جندا ، فاخذ بقوله « وروى البلاذري ايضا عن وكيع عن سفيان الثوري خبرا اسنده يقول ان عمر « لما وضع الديوان استشار الناس بمن يبدأ ، فقالوا ابدأ بنفسك . قال لا ، ولكني ابدأ بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بهم » « لما وضع عمر الديوان قال ابو سفيان بن حرب أديوان مثل ديوان بني الاصفر (الروم) ؟ انك ان فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة فقال عمر لابد من هذا فقد كثر فيء المسلمين »

وروى القاضي ابو يوسف (المتوفى ١٨٢ هـ) كتابه « الخراج » قال « وحدثني غير واحد من ع

اهل المدينة قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب جيش العراق من قبل سعد بن ابي وقاص شاور اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في تدوين الدواوين ، وقد كان اتبع راى ابي بكر في التسوية بين الناس فلما جاء فتح العراق شاور الناس في التفضيل وراى انه الرأى ، فاشار عليه بذلك من رآه وشاورهم في قسمة الارضين التي افاء الله على المسلمين من ارض العراق والشام ، فتكلم قوم فيها وارادوا ان يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا ، فقال عمر . مكيف بمن يأتي من المسلمين . فاكثروا على عمر... فكان عمر لا يزيد على أن يقول . هذا رأى قالوا فاستشر ، قال فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا ، فاما عبد الرحمن بن عوف فكان رأيه ان تقسم لهم حقوقهم ، ورأى عثمان وعلي وطلحة وابن عمر راى عمر . فارسل الى عشرة من الانصار . خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم واشرافهم »

« قال . وحدثني الليث بن سعد عن حبيب بن ابي ثابت قال . ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارادوا عمر ابن الخطاب ان يقسم الشام كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، وانه كان اشد الناس عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رباح »

بين العالم والقاضي والامام

وقد فطن فقهاؤنا الى الفارق بين العالم والقاضي والامام من حيث المهمة والوظيفة وهو اساس صالح يرشد الى صور اخرى للتفرقة والتمييز منها التفريق بين (سياسة) اصدار الانظمة والقرارات ومراعاة (الجانب الفني) في الانظمة والقرارات صياغة ومضمونا . يقول القرافي الفقيه المالكي (المتوفي ٦٨٤ هـ) مثلا « قال العلماء . واذا كان (معاذ) اعلم بالحلال والحرام فهو اقضى الصحابة ، فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام اقضاكم (علي) ؟ اجابوا . بان القضاء يرجع الى التفطن لوجوه حجاج الخصوم ، وقد يكون الانسان اعلم بالحلال والحرام وهو بعيد عن التفطن للخدع الصادرة من الخصوم والمكايد والتنبه لوجوه الصواب من اقوال المتحاكمين ، فهذا باب آخر عظيم يحتاج الى فراسة عظيمة وفطنة وافرة وقريحة باهرة ودربة مساعدة واعانة من الله تعالى عاضدة ، فهذا كله محتاج اليه بعد تحصيل الفتاوى . فقد يكون الاقضى اقل فتيا حينئذ ، فلا تناقض بين قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي ، وبين قوله صلى الله عليه وسلم . اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وظهر حينئذ ان القضاء يعتمد الحجاج والفتيا تعتمد الادلة ، وان تصرف الامامة الزائد على هذين يعتمد المصلحة الراجحة او الخالصة في الامة ـ وهي غير الحجة والادلة

وظهر ان الامامة جزؤها القضاء والفتيا ، وا[illegible] اشترط فيها من الشروط ما لم يشترط في القضاء والمفت[illegible] من كونه قرشيا عارفا بتدبير المصالح وسياسـ[illegible] الخلق »

ونستأنس ايضا بما هو معروف من امكان تجزيء الاجتهاد ، وعليه يمكن ان يعتبر اهل الحل والعقد مجتهدين في نطاق « السياسة الشرعية » او « سياسة الانظمة واللوائح والقرارات » ان كان لا بد من اشتراط الاجتهاد على نحو ما للقيام بالوظيفة التشريعية وقد بين ابن تيمية ان العامى اذا امكنه الاجتهاد في بعض المسائل جاز له ومما قاله في (المجموع) « وكذلك العامي اذا امكنه الاجتهاد في بعض المسائل جاز له الاجتهاد ، فان الاجتهاد منصب يقبل التجزأ والانقسام ، فالعبرة بالقدرة والعجز » وذكر ابن القيم في (اعلام الموقعين) « الاجتهاد حالة تقبل التجزأ والانقسام ، فيكون الرجل مجتهدا في نوع من العلم مقيدا في غيره او في باب من ابوابه فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه ، وهل له ان يفتى في النوع الذى اجتهد فيه ؟ فيه ثلاثة اوجه ، اصحها الجواز ، بل هو الصواب المقطوع به »

ان قيام جماعة اهل الحل والعقد ، او اهل الشورى ، بالمهام التي تضطلع بها المجالس النيابية عادة ولكن في حدود مبادىء الشريعة ، ييسر الرؤية المعاصرة لمهمة الشورى وأهلها ، كما يجمع الاختصاصات العليا بين ايدي الكفايات السياسية القيادية فيستفاد من هذا الجمع في الاختصاصات ومن هذا التنظيم في الجهد والانتفاع بالكفايات القيادية وهي بطبيعتها محدودة ، كذلك تنتفي الشبهة التي تزعم ان الاسلام يقيم « حكومة مشايخ » ولكن هذا بطبيعة الحال لا تعنى الغض من قدر العلماء المجتهدين او التقليل من الحاجة اليهم ... ففقهاء القانون المبرزين في دول العالم لم يكونوا اعضاء في مجالسها التشريعية ، ومع ذلك كانوا دائما هاديا لهذه المجالس وظهيرا لها ، بالرأى المتزن المتئد على طريقة اهل العلم .. والدولة الاسلامية احوج ما تكون لعلماء الشريعة المجتهدين . وسنتناول كيف الافادة منهم بما يناسب اختصاصهم وظروفهم في المقال القادم ان شاء الله . ■■

الرياض ـ د . محمد فتحي عثمان

« لما ان حلفت له باني صائم ضحكا ! » ـ ابو نواس

البخل عند العرب

بقلم : الدكتور
احسان النص

ادب الامة مرآة لحياتها الاجتماعية والفكرية والوجدانية ، سواء قصد الاديب ان يكون ادبه تصويرا لهذه الجوانب من الحياة او لم يقصد ، لان الاديب لا يملك ان يخرج عن نطاق عصره وبيئته مهما يحاول ذلك دلك ان اسلوبه في التفكير ، وتفاعله مع الاحداث ، واستجابته للمؤثرات ، وسلوكه الاجتماعي . كل اولئك امور يحكمها المناخ الفكري الذى يعيش فيه الاديب ، والبيئة التي ينمو في ظلها والاعراف الاجتماعية التي تبسط سلطانها على ابناء مجتمعه وتدين كل محاولة للتمرد عليها

ومن هنا فان الظواهر الاجتماعية التي يصورها ادب امة ما لا تكون فى جميع الاحوال مماثلة للظواهر الاجتماعية في اداب الامم الاخرى ، وان اتفقت التسميات ، فالدوافع قد تكون مختلفة ، والنظرة اليها ليست واحدة في شتى المجتمعات الانسانية ، ومواقف الادباء منها متباينة بل ان ادب الامة الواحدة لا يتناول هذه الظواهر على نحو واحد في مختلف العصور والبيئات

فكذلك نرى ان الادب العربي حين تناول هذه الظواهر انما تناولها على النحو الذى يتلاءم مع المجتمع الذي وجدت فيه وسأحاول ان اعرض هنا هذه الاحاديث وكيف صور ادبنا القديم طائفة من الظواهر الاجتماعية والمعاني الانسانية ، والظاهرة التي اتناولها اليوم هي البخل

والبخل آفة عرفتها المجتمعات البشرية كلها وصورتها آداب الأمم جميعا ولكن صورة البخل لم تكن واحدة في هذه الآداب ، بل انها لم تكن واحدة في ادبنا نفسه ، لان النظرة الى هذه النقيصة كانت تختلف من بيئة الى اخرى ومن عصر الى اخر

كرماء بالضرورة

البخل في نظر الجاهليين خروج على الاعراف الاجتماعية التي افرزتها حياة الصحراء وضروراتها ، والتي كانت تفرض مع كل عربي ان يقدم القرى (الطعام) الى اى ضيف ينزل به ، عملا بمبدأ المعاملة بالمثل ، وامتناع الرجل من اداء هذا الواجب يجعله عرضة للاحتقار والازدراء من قبل مجتمعه ، وبخله بالقرى يلصق به سبة لا يمحوها تطاول الايام بل ان هذا العار يتجاوز الرجل الى قبيلته فيغدو لطخة سوداء تشين صحيفتها مدى الدهر ، وتسليط الضوء القوى على هذه النقيصة انما يفسره مدى حاجة المجتمع الجاهلي الى توفير القرى لكل مسافر يضرب في مفاوز الصحراء المترامية الاطراف ، ولا سيما حين تهب الاعاصير العاتية فتعوق سفره وتلجئه الى الاحتماء باول خباء يجده في طريقه ولا يطالب من ينزل به الضيف في هذه الاحوال باكثر من تقديم شيء من اللبن والتمر للوافد ، والمأوى في بعض الاحيان والاخلال بهذا الامر يجعل الانتقال في مجاهل الصحراء امرا غير مأمون العواقب ، ومن هنا جاء الحا الشعراء العرب القدامى على ذم البخل وعده من اشد النقائص ومن هنا ايضا كانت القبائل تتحامى ، جهدها ان تعير بهذه النقيصة ببذلها القرى لكل وافد

ومن عجب ان الشاعر الذي اكثر من ذم البخل عصرئذ كان هو نفسه معروفا بهذه النقيصة ونقصد به الحطيئة ، حتى عرف عنه هجاؤه لأضيافه . يذكرون مثلا ان رجلا اسمه ابن الحمامة مر به وهو جالس بفناء بيته فقال له السلام عليكم فقال قلت مالا ينكر قال اني خرجت من عند اهلي بغير زاد فقال ما ضمنت لأهلك قراك . قال افتأذن لي ان آتي ظل بيتك فأتفيأ به ؟ قال دونك الجبل يفيء عليك . قال انا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن اي طائر شئت

واتاه رجل مرة ، وهو في غنمه ، فقال له يا صاحب الغنم ، فرفع الحطيئة عصاه وقال انها عجراء من سلم ، فقال الرجل اني ضيف فأجابه للضيفان اعددتها

وقد ذكروا انه ما نزل به ضيف الا هجاه ومع هذا كان الحطيئة كثيرا ما يهجو البخلاء ويشيد بالكرم والكرماء وتنسب اليه قصيدة فريدة في شعرنا القديم تصور كرم العرب في صورة تكاد تكون اسطورية فما تعليل هذا التناقض في سلوك الحطيئة ؟

تعليله - فيما يبدو لي - ان الحطيئة عانى الفقر والاهمال في نشأته الاولى فتولدت لديه عقدة الحقد على مجتمعه ، ووجد في نفسه القدرة على قول الشعر فاستغلها في توفير الرزق لنفسه ولعياله ، وسلط هجاءه المقذع على كل من قصر في اكرامه واتخذه اداة ينتقم بها من مجتمعه المسؤول عما لحق به فاسمعه يقل مثلا في رجل التمس منه عطاء فلم يلب طلبه ويرسم له هذه الصورة الكاريكاتورية الساخرة

كدحت بأظفاري واعملت معولي
فصادفت جلمودا من الصخر املسا
ساعل لما جئت في وجه حاجتي
واطرق حتى قلت قد مات او عسى
فقلت له لا بأس . لست بعائد
فأفرح تعلوه السمادير ملبسا[1]

وأصبح المال قبل العلم

وقد ظل البخل في عصر بني امية نقيصة رئيسية تصم من قدر من يرمي بها وتؤلم المهجوها اشد الايلام ، ولا سيما اذا كان من اشراف قومه ولا غرو فان القيم الجاهلية الاصيلة ظل كثير منها حيا في العصر الاموى - ولا سيما في مجتمع البادية - ومن اطرف صور البخل التي ابدعها شعراء ذلك العصر هذه الصورة التي . بها الاخطل بخل بني كليب ، رهط خصمه جرير

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لأمهم بولي على النـ[ـار]

فقد جعل القوم لشدة بخلهم يسارعون الى اطفـ[ـاء] نارهم اذا طرقهم ضيف ، وجعلهم يكلون اطفاء النار الـ[ـى] امهم وجعل نارهم من الضآلة بحيث تطفئها بولة

على انه حين اطل العصر العباسي اختلفت صور البخل في نتاج الادباء عما وجدناها في نتاج سابقيهم فالمجتمع العباسي غدا مجتمعا حضريا خليطا من عناصـ[ـر] عربية وعجمية ، وللعجم عاداتهم التي تغاير عادا[ت] العربي ، هذا من جانب ومن جانب آخر نرى ان هذ[ا] المجتمع سادت فيه قيم جديدة افرزها تطور الحياة فيه فالمال غدا ركنا اساسيا من اركان الحياة التي تعقدت مظاهرها وكثرت متطلباتها ، فلم يعد المرء يقنع باليسير من المأكل والبسيط من الملبس ، وانما همه ان يحقق لنفـ[ـسه] رغبات كثيرة متنوعة لا يحققها الا توافر المال بين يديه واصبح السعي وراء الكسب الوافر غاية اساسية في حيا[ة] الناس ، وانفاق المال ينبغي ان يكون بحساب هذ[ا] فضلا عن ان الكرم لم يعد منقبة يفخر بها الا لدى طبقـ[ـة] من العرب الخلص المحافظين على تراث اسلافهم [و] حين ظهرت طبقة اخرى - جلها من غير العرب - تهتـ[ـم] بتوفير المال وادخاره ، بل لقد وجد من يدافع عن البخـ[ـل] ويتخذه مذهبا يفاخر به وفي كتاب البخلاء للجاحـ[ـظ] تصوير لهذه الطبقة يعكس لنا صورة المجتمع الذ[ي] كانت تعيش فيه فسهل بن هارون ، كاتب العباسـ[ـيين] الذائع الصيت ، يضع رسالة في الدفاع عن مذهبه البخل والاحتجاج له ، حتى انه قدم المال على العلـ[ـم] « لان المال به يعاش العالم وبه تقوم النفوس ، قبل [ان] تعرف فضيلة العلم »

وأثر عن ابي محمد الحزامي كلام في البخل « وهـ[ـو] احد من ينصره ويفضله ويحتج له ويدعو اليه » وكا[ن] اذا قيل له انت بخيل اجاب لا اعدمني الله هـ[ـذا] الاسم ، لانه لا يقال فلان بخيل الا وهو ذو مال ، فسـ[ـلم] الى المال وادعني باي اسم شئت والمسجديون من اهـ[ـل] البصرة كانوا يرون ان مذهبهم في البخل بمثابة النسـ[ـب] الذي يجمع بينهم ، ويصفهم الجاحظ فيقول اجتمـ[ـع] ناس في المسجد ، ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتثمير للمال ، من اصحاب الجمع والمنع وقد كان هـ[ـذا]

---

(١) افرح : ذهب روعه . السمادير : ما يتراءى للمرء من رؤى حين يشتد به السكر والمرض

ـب عندهم كالسـب الـذى يجمع على التحاب ، لحلف الذى يجمع على التناصر وكانوا اذا التقوا فى هم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماسا لذة واستمتاعا بذكره

وكان اهل خراسان المشهورون ببخلهم يرون ان ود انما يكون بالكلام لا بالفعال وكان المروزى يقول للزائر اذا اتاه ، وللجليس اذا طال جلوسه ديت اليوم ؟ فان قال نعم ، قال لولا انك تغديت ديتك بغداء طيب وان قال لا قال لو كنت ديت، لسقيتك خمسة اقداح ، فلا يصير في يده على وجهين قليل ولا كثير »

ومن اطرف ما رواه الجاحظ من اخبارهم قصة لمروزى الذى كان كلما قدم العراق ينزل على تاجر من اهلها فيكرمه كرما كثيرا و يدعوه الى زيارته بمرو ليكافئه على صنيعه ، ثم عرضت للبغدادى حاجة فى مرو بعد دهر ، فلما قدم على صاحبه المروزى انكر معرفته به وقال له ـ بعد ان خلع عمامته وقلنسوته وقناعه ليعرفه ـ قولته التي ذاعت بعده « لو خرجت من جلدك لم اعرفك »

ومحدثوا النعمة

فقد وجدت في العصر العباسي اذا طبقة ترى ان البخل ليس نقيصة يعاب بها المرء ، وانما هي فضيلة يعتزون بها وهذا التطور فى النظرة الى البخل مرده الى تغير بنية المجتمع عصرئذ على ان البخل فى العصر العباسى لم يكن يقصد به دائما الضن بالمال والقوت ، وانما وجدت له صورة اخرى ، فقد ظهرت طبقة من الاثرياء المحدثي النعمة جمعوا اموالهم بشتى السبل ، واراد هؤلاء ان يظهروا بمظهر اهل النعمة وسراة القوم ، فكانوا يدعون الناس الى موائدهم ؛ ولكن وضاعة اصلهم وفطرتهم المبنية على الجشع والبخل ، كل ذلك كان يدفعهم الى ان يسلكوا خلال هذه المآدب سلوكا ينم عن بخلهم الاصيل فمنهم من كان يتظاهر بالشبع ، والناس بعد في اول طعامهم ، ليصرفوهم عن الاكل ومنهم من كان يسأل احد مدعويه المشهور بشدة الاكل عن حديث طويل يشغله عن الطعام ، الى غير ذلك من الوسائل والحيل التي تحدث عنها الجاحظ في كتابه الطريف .

ومن هنا وجدنا بعض الشعراء في اهاجيهم للبخلاء يلحون على جانب البخل بالطعام ، ويديرون هجاءهم على الرغيف وابرز من نجد فى شعره هذه الظاهرة ابو نواس ، فقد اولع بهجاء طائفة من البخلاء الذين ضنوا عليه بما كان يرجوه منهم ، وكان مدار حديثه في هجائه لهم على الرغيف دائما ، فهو يقول في هجاء احدهم

فتى لرغيفه قرط وشنف
وخلخالان من خرز وشذر
اذا فقد الرغيف بكى عليه
بكا الخنساء اذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا
وحرب مثل وقعة يوم بدر

ويقول في بخل الخصيب صاحب مصر

خبز الخصيب معلق بالكوكب
يحمى بكل مثقف ومشطب
جعل الطعام على الصحاب محرما
فوتا وحلله لمن لم يصحب
فاذا هم رأوا الرغيف تطربوا
طرب الصيام الى اذان المغرب

ومن اوجع هجائه بالبخل قوله في الفضل

رأيت الفضل مكتئبا
يناغي الخبز والسمكا
فقطب حين أبصرني
ونكس رأسه وبكى
فلما ان حلفت له
بأني صائم ضحكا

هذه جوانب من ادبنا صورت نقيصة البخل ، وهي تعكس نظرة المجتمع الى هذه الآفة واختلاف هذه النظرة باختلاف الاعصر والبيئات ■■

د احسان النص

يشهد العالم حدثا رياضيا هاما يوم ١٩ يوليو الحالي ، وعلى مدى خمسة عشر يوما عندما تبدأ الالعاب الاولمبية في موسكو ، ومع هذا المهرجان الرياضي تواجه الالعاب الاولمبية لاول مرة منذ ٨٤ عاما « انشقاقا » يهدد استمرارها بعد امتناع اكثر من اربعين دولة عن حضور الدورة الحالية احتجاجا على الغزو السوفيتي لافغانستان وبعد اتصال الالعاب الاولمبية في الحضارة الاغريقية القديمة زهاء ١١٦٠ سنة كاملة لم تستطع حضارة العصر الحديث الاستمرار « ملتقي » للجميع اكثر من ٨٤ عاما فقط ، ووقع الانشقاق الذى يعرض مستقبل الالعاب الاولمبية كلها للخطر ، فربما لا تحضر روسيا وحلفاؤها الاولمبياد في دورته التالية في لوس انجلوس ! وهكذا !

قصة الألعاب الأولمبية

- افريقيا . مهد الالعاب الاوليمبية القديمة
- اساطير كثيرة . حول اسباب تنظيم الالعاب الاوليمبية
- الالعاب بدأت . برشوة !
- العقيدة الوثنية . مزجت بين طقوس العبادة والرياضة
- كورويوس .. اول بطل اوليمبي كان . طاهيا
- عندما تنفس هرقل !
- هيبوداميا والمطاردات الدامية !
- اوليمبيا . كانت سوق عكاظ الاغريقيه !
- بدأت الالعاب بسباق طوله مائتا متر !!

حدث رياضي ضخم وعيد رياضي ضخم يسمونه من بين ما يسمونه « اعظم مهرجان رياضي في كوكب الارض » او بالاحرى الالعاب الاليمبية » !

ففي هذا الشهر ستنظم موسكو دورة الالعاب الاوليمبية الصيفية الحديثة الثانية والعشرين ، و ولكن

لماذا « صيفية » ؟! و لماذا « حديثة » ؟!

صيفية .. وشتوية !

كانت الالعاب الاوليمبية منذ بدأت « رسميا » في عام ٧٧٦ قبل الميلاد تقام عقب ظهور البدر التالي للانقلاب الصيفي ، اي في حوالي شهر يوليو ، ولكن المحدثين اضافوا اليها ألعابا اوليمبية ، شتوية تقام مرة كل اربع سنوات اسوة بالالعاب الصيفية ، منذ عام

السعله رمر الالعاب الاولمه
سد حدوبها في اليونان وفى موقع
لالعاب الاولمه الاولى ثم ساقلها
لرياضيون حتى تصل موقع الالعاب
الاولمبه بموسكو في هذا الشهر

بقلم . عادل شريف

١٩٢٤ والطريف ان البلد العربي الوحيد الذى يحرص على الاشتراك في الالعاب الاوليمبية الشتوية هو لبنان ، وذلك رغم ممارسة العاب الجليد - او الالعاب البيضاء كما يطلقون عليها - في العراق وسوريا والجزائر والمغرب

قديمة وحديثة !

وعلى الرغم من ان الالعاب الاوليمبية القديمة قد بدأت قبل عام ٧٧٦ ق م الا ان هذا التاريخ هو التاريخ « الرسمي » لهذه الالعاب الاوليمبية بساطة لان اسم اول فائز اوليمبي لم ينقش على الحجر الا في عام ٧٧٦ قبل الميلاد ، وقد اتصلت تلك الالعاب حتى عام ٣٩٣ ميلادية ثم الغيت حتى بعثت من جديد في عام ١٨٩٦

اغريقيا ... واوليمبيا !

و ولكن كيف نشأت الالعاب الأولمبية القديمة التي اتصل اهتمام البشر بها واحتفالهم بها مرة كل اربعة اعوام على مدى حوالي ثلاثة الاف سنة باستثناء اعوام « الوأد » ؟

كانت « اغريقيا » هي مهد الالعاب الاوليمبية القديمة واغريقيا هي « ارض هيلاس » اي ارض اليونان فكلمة « هيلاس » باليونانية تعني اليونان ،

وكانت بلاد الإغريق « اليونانيون القدامى » بلادا وثنية تتعدد فيها الالهة طبقا للاساطير الدينية القديمة وكان للآلهة رئيس أو كبير او « رب ارباب » اسمه « زيوس » .

وكانت تلك الالهة خبيثة الدم والطل والعقل رغم أن احداها كانت ربة للحكمة وهي « أثينا » ..

فهي ـ اي الالهة الاغريقية ـ تحسد وتحسو وتحب وتكره وتغار وتلهو وتحقد وتلعب وتثأر ، تثأر من البشر ومن بعضها البعض وتدبر المقالب ..

وكانت آلهة الاغريق ـ تحت زعامة زيوس وزوجته هيرا ـ فالهة الاغريق كانت تتراوح وتحب صبايا وبنات تعيش فوق قمة اعلى جبل في اغريقيا وهو جبل اوليمبوس (٢٨٠٠ مترا) الذي تتوج الثلوج هامته الشديدة الارتفاع اذ لا يمكن للالهة ان تعيش في مكان يستطيع البشر بلوغه

ورغم ذلك الارتفاع الشاهق كانت الصلة متينة بين الاغريق الوثنيين وارباهم المتعددين فكانوا يقيمون لها التماثيل والمعابد ويقدمون القرابين في مراكز كثيرة كان اهمها واقدسها « اوليمبيا بولاية ايليس الاغريقية »

ثم نصل الى سر تنظيم الالعاب الاوليمبية القديمة فقد مزجت العقيدة الاغريقية الوثنية بين طقوس العبادة والرياضة ، ويقال انهم اخذوا ذلك المزج عن الفينيقيين من سكان لبنان القديم ومن هنا نشأت الالعاب الاوليمبية نشأت تكريما لزيوس واعوانه من الالهة ،

فقد كان زيوس يكره المركزية فعليه أرباب او ربات لكل مجال من مجالات الحياة للحب والكره وللرياح والبحار للاخصاب والحصاد للحكمة والجهال وكانت هناك ارباب مقربة تولت اكثر من مجال ويبدو ان زيوس كان معجبا بالتحيز ومراكز القوى

ولعل اصحم واهم فارق بين الالعاب الاوليمبية القديمة والحديثة هو تثبيت مكان اقامة الالعاب الاوليمبية القديمة في « اوليمبيا »

على عكس الحديثة التي تقام في بلد مختلف في كل مرة

اقفش .. رشوة

وقد تعددت الاساطير حول اسباب نشأة الالعاب الاوليمبية القديمة كما لم تتعدد حول نشأة اي حدث من الاحداث

وتقول احدى تلك الاساطير ان الالعاب الاوليمبية القديمة نشأت برشوة

وقبل سرد التفاصيل تجدر الاشارة الى بطل ... في « اغريقيا » القديمة فقد كانت اليونان القديمة ... من « دويلات » اسموا كل واحدة منها « المدينة الدولة » او « الدولة المدينة » فقد كان الاغريق يعشقون الحرية والاستقلال عشقا مبرحا ويكرهون الوحدة كرها ساحقا

وكانت كل مدينة تحكم المنطقة من حولها بما تضمه من مدن وقرى أصغر وبسبب تلك الفرقة طمعت القوى الاجنبية في بلاد الاغريق وجاء الفرس من اخر الدنيا لغزوها ولكن فيليب ملك مقدونيا (والد الاسكندر الاكبر) نجح في توحيد دويلات الاغريق في عام ٣٣٨ ق . م

ونعود الى قصة الرشوة وبالتالي لاسطورة « هيوداميا » الدامية ، وكانت هيوداميا ابنة اونوموس ملك دويلة بيزا ـ وهي غير بيزا الايطالية ذات البرج المائل ـ في القرن التاسع قبل الميلاد وتقع في جنوب غرب اليونان واعلن اونوموس انه سيزوج ابنته الساحرة الجمال لا لصاحب سلطان او مال بل لمن يقدر على اختطافها في عربته ذات الجياد ثم يطارد الملك بعربته سارق ابنته وان لحق به الملك ليسترد ابنته قتله الملك برمحه ولحق أونوموس ثلاثة عشر خطيبا من خطاب هيوداميا وقتلهم اذ كانت مركبته امتن عربة في اغريقيا وجياده اسرع الخيول ورمحه امضى الرماح وكان اونوموس « ملك دقة التصويب والتسديد »

ثم جاء الخطيب الرابع عشر وكان اسمه (بيلوبس) وكان شابا مليحا قويا ذكيا بل شديد الذكاء وادرك بيلوبس ان مصيره رمح حاد تلقيه ذراع اونوموس المدربة ، يستقر في ظهره وينفذ من قلبه

و والحرب خدعة وكذلك الخطبة على عهد الاغريق القدامى وقدم بيلوبس كيسا من الذهب الى ميرتيلوس سائس عربة اونوموس مقابل العبث بصواميل عجلات العربة الملكية و بدات المطاردة الدامية بيلوبس وهيوداميا في المركبة الاولى وتلاحقها عربة الملك وضاقت المسافة بين العربتين واستقل اونوموس رمحه ليرمي به السادح الرابع عشر وقبل ان يطير الرمح الحاد في الهواء طارت عجلات عربة الملك وانفصلت عن المركبة بفعل عبث

● قصة الالعاب الاولمبية القديمة

اطلال الهراايون او معبد هيرا اقدم المباني التي عرفتها اولمبيا اليونان وكان الهيرايون هذا مركزا دينيا ورياضيا هاما في حياة قدماء الاغريق سنة ٦٠٠ ق . م وذلك على انقاض المبنى الحسي الاسس

رسم هندسي للمباني التي اقامها الاغريق في بلدة اولمبيا حيث اقاموا العابهم الاولمبية ومهرجاناتهم الدينية والمبنى الذي يشير اليه السهم في الرسم يمثل الهيرايون السابق الذكر

ميرتيلوس بصواميلها فانقلبت العربة ومات الملك ومات ميرتيلوس

فبعد ان تزوج بيلوبس من أميرة أحلامه هيبوداميا اتصلت الاحداث المأساوية فقد امر بيلوبس بالقاء ميرتيلوس من فوق قمة جبل عال !

اروع بقعة في « هيلاس »

واحتفالا بانتصاره التاريخي وفوزه بأجمل أميرات هيلاس « قرر بيلوبس اقامة مهرجان كبير تخليدا لنصره المؤزر (١) وتكريما لزيوس كبير الآلهة

ومزج ذلك المهرجان بين طقوس العبادة والرياضة
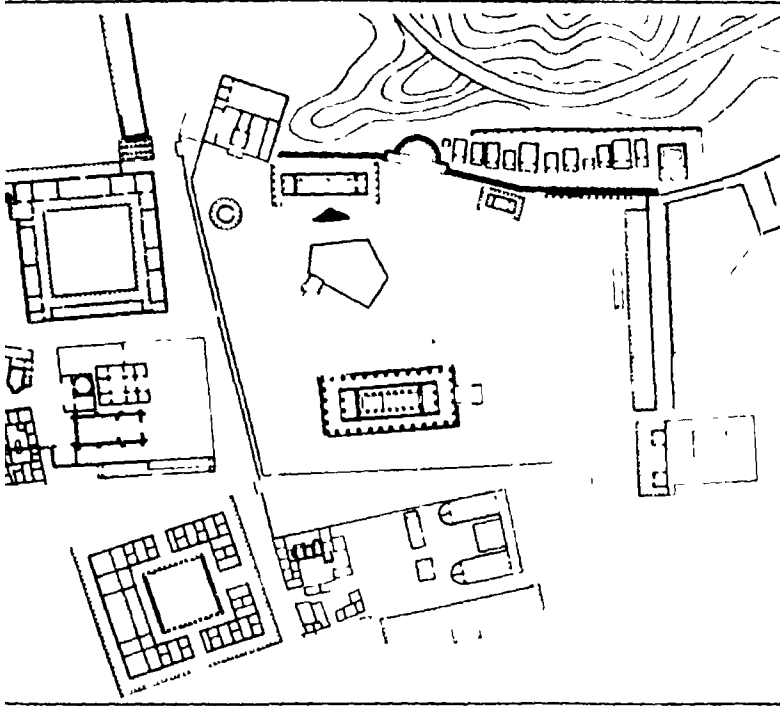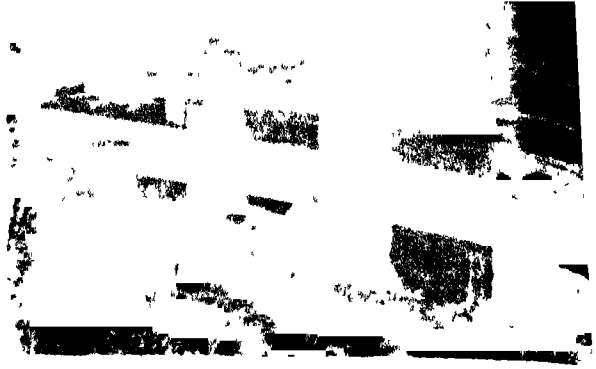
وكان « اول » العاب اولمبية قديمة

ولكن اين يحتفي بيلوبس بنصره ؟

آه ان شعراء الاغريق يتغنون بجمال بقعة ساحرة الجمال في وادي اوليمبيا وصفوها بانها « اجمل مكان في ارض هيلاس »

ويقع وادي اوليمبيا على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة اليونان قرب نهر ايلفيوس وروافده ويطل عليه جبل « اوليمبوس » الأشم المعمم بالجليد حيث تعيش الآلهة فوق قمته وتلهو وتحقد وتكره وتحب ففي ارباب الاغريق كانت سمات كثيرة من تصرفات بني البشر

لوحه فنيه من
نحاتي القرن
عشر تبين الـ
المباريات الـ
التي اقامها وعـ
قدماء اليونان
حسب تصور الـ
النحات

ومن اجل ارضاء الآلهة وتكريمها اقام بيلوبس في اوليمبيا اول العاب اوليمبية في مهرجان فخم ضخم اقاموه مرة كل ثماني سنوات ثم خفضوا الفترة الفاصلة اى « الدورة » الى اربع سنوات وتحولت اوليمبيا الى عاصمة دينية بل وفنية وأدبية وثقافية فمع مر الايام وكر الاعوام اصبحت اوليمبيا مثل سوق « عكاظ » يحج اليها عشاق الرياضة والفن والادب والفلسفة والشعر والخطابة مرة كل اربعة اعوام من اجل ارضاء الآلهة

عندما يتنفس . هرقل .

ولكن اسطورة اخرى تقول ان اخيلليس هو الذي بدأ الالعاب الاوليمبية في عام ١٢٥٠ ق م تكريما لصديقه الحبيب باتروكلوس الذي قتله هيكتور تحت اسوار طروادة قبل انتهاء حرب طروادة باشهر خدعة حربية في التاريخ خدعة « حصان طروادة » وكانوا يواظبون على تنظيم ذلك المهرجان الديني الرياضي على امل عودة باتروكلوس العزيز من « دار الفناء »

وتقول اسطورة اخرى ان هرقل هو منشىء الالعاب الاوليمبية القديمة وانه الذي حدد طول « الاستاديون » الذي اشتقت منه كلمة « ستاد » اى « ملعب » وكان الاستاديون سباق جرى يشكل المسابقة الوحيدة في الالعاب الثلاث عشرة الاولى قبل تصعيد البرنامج الرياضي ليضم العابا اخرى كثيرة مثل الملاكمة والمصارعة و « اليانكر يشن » وهي مزيج من المصارعة والملاكمة والجودو وسباق الخيل وسباق العربات التي تجرها الجياد ومباريات الناشئين في الجرى والملاكمة والمصارعة فقد كانت الالعاب الاولى لا تضم سوى « الاستاديون » وهو سباق جرى طوله ١٩٢ مترا و ٢٧ سنتيمترا !!

فقد اخذ هرقل ـ ابن زيوس ـ والكمين وهي انثى من البشر كما تقول الاساطير نفسا عميقا وكتم انفاسه وسار مسافة حتى اخذ نفسا جديدا وقاسوا المسافة التي مشاها وهو يكتم انفاسه وقرروا انها مسافة تشكل طول « الاستاديون »

واكدت اسطورة اخرى ـ فأساطير زمان تؤكد اسوة باشاعات الآن ـ ان منشىء الالعاب هو اثليوس ملك دويلة « ايليس » والذي اشتقت من اسمه كلمة « اثيليت » اى « الرياضي »

فقد وعد اثليوس ابناءه بمنح تاجه لمن يفوز منهم بسباق « الاستاديون »

وتقول اسطورة اخرى ان نزاعا قام بين زيوس وابيه كرونوس « الذي عرف باسم آكل الاطفال » على عرش الاوليمب وقررا حسم الموقف بينهما بمباراة مصارعة وقهر الابن اباه واصبح زيوس رب الارباب فبدأ اقامة الالعاب الاوليمبية تكريما لفوزه على ابيه .

ثم جاء سترابون . وسترابون هو المؤرخ والجغرافي والرحالة الاغريقي الشهير « ٦٣ ق م حتى ٢٤ ميلادية تقريبا !) الذي درس في الاسكندرية ، وسافر في النيل حتى منابعه . وقام ذلك المثقف المستنير بدراسة كل تلك الاساطير وغربلتها .. وانتهى الى رأي يقول ان منشىء الالعاب هو اوكزيلوس زعيم القبائل « الأيتولية ـ الدورية » التي احتلت منطقة ايليس ـ حيث توجد قرية اوليمبيا ـ وبسطت نفوذها على سهل

اولـ ا « والحرم المقدس » حيث يوجد معبد زيوس وروجته حيرا وحيث أقيمت احدى عجائب الدنيا السبع القديمة وهو تمثال زيوس المعطى بالذهب الخالص وعلى قاعدة تلك الاعجوبة كتبوا

« صنعني فيدياس بن شار ميديس » ، وفيدياس الاثيني هو اعظم فنان ورسام ونحات ظهر في التاريخ الاغريقي كله

وعلى بعد خطوات من اعجوبة فيدياس كانت الالعاب الاوليمبية القديمة تقام حيث يوجد الاستاد ومضمار سباق الخيل وسباق العربات التي تجرها الجياد وحمامات البخار وحرار الزيت لتدليك اللاعبين وحمام السباحة وثلاثة « حمارات » للتدريب العنيف المطم المقدس فقد كانوا يشطبون اللاعب الذي يحضر للتدريب في اوليمبيا تحت اشراف مدربين صارمين قبل ثلاثين يوما من بدء الالعاب

وكان اللاعبون يتدربون عراة ويحضرون شهادات تؤكد انهم تدربوا عشرة شهور في بلادهم قبل حضورهم الى اوليمبيا كما كانوا يشتركون في الالعاب الاوليمبية عراة تماما فهكذا كانت تقاليد اغريقيا الوثنية وهي التقاليد التي حرمت على النساء حضور الالعاب الاوليمبية وقتل اية حواء تضبط وهي تتلصص لمشاهدة الالعاب ولم تنج من الموت سوى فيريبيس لان اباها وزوجها واخوتها وابنها كانوا ابطالا اوليمبيين فقد كانت مكانة البطل الاوليمبي في ذلك العهد الغابر سامية رفيعة

ارسطو .... يتدخل

ورغم كل تلك الاساطير وغيرها ـ فهناك اجماع على ان الالعاب الاوليمبية القديمة بدأت في عام ٧٧٦ ق م لانها السنة التي نقشوا فيها على الحجر اسم اول فائز اوليمبي وهو طاه من ايليس اسمه « كوروسوس » وهي السنة التي استخدمها الاغريق في تاريخ احداثهم ووقائعهم

وكان كل شيء في اوليمبيا او يرتبط بها مقدسا وهكذا « الهدنة الاجبارية » التي كانت توقف الحروب بين دويلات الاغريق المتنافسة والمتناصرة . لتتيح الامن والامان والسلام للمشتركين والمشاهدين في ذهابهم الى اوليمبيا وعودتهم منها

وقد وقعت معاهدة الهدنة الاجبارية في عام ٨٨٤ ق م وحفروا بنودها على القرص الذي كان يتدرب به ايفيتوس ملك ايليس في داخل خمس دوائر متشابكة . وهي الدوائر التي تمثل الآن الحلقات الاوليمبية الخمس التي ترمز لقارات العالم الخمس

واكد جميع الفلاسفة الاغريق وعلى راسهم ارسطو توقيع تلك المعاهدة المقدسة في ذلك التاريخ ومن فرط حماسة أرسطو للألعاب الاوليمبية كان يعقد حلقات دراسية في أثناء اقامة المهرجان الكبير بل واشترك في تنقيح وتصحيح قائمة الفائزين في الالعاب الاوليمبية التي كان هيبياس قد وضعها قبل مائة عام من عهد ارسطو الذي توفي عام ٣٢٢ ق م وتعتبر قائمة ارسطو أدق قائمة للفائزين الاوليمبيين

فرحان ..... جائر

وكان الاشتراك في الالعاب الاوليمبية مقصورا على الاغريق الخلص ولما قامت الامبراطورية اليونانية القديمة سمحوا « للاجانب » بالاشتراك فيها دعما لسياسة « اغرقة » ولايات الامبراطورية

و والايام دول . فقد قامت الامبراطورية الرومانية في ١٤٦ ق م وسقطت اغريقيا ومعظم ولاياتها في يد الرومان الذين كانوا يغارون من حضارة اليونانيين وتقدمهم الفكري والفني والادبي والرياضي ولكنهم أبقوا على الالعاب الاوليمبية لان الرومان كانوا وثنيين اسوة بالاغريق

وقد استمرت الالعاب الاوليمبية القديمة ١١٦٩ عاما ثم اصدر الامبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني في عام ٣٩٣ ميلادية فرمانا ديكتاتوريا بالغائها وكان السبب انها مهرجانات وثنية لا يليق اقامتها في دولة مسيحية وكان ذلك بعد ان اصبحت المسيحية دين الرومان الرسمي

وعلى مدى كل تلك السنين نظموا الالعاب الاولمبية القديمة ٢٩٣ مرة

وقضت غزوات القبائل البربرية والزلازل والفيضانات على « اجمل مكان في أرض هيلاس » وبعد طول رقاد كشف الاثريون الالمان عن بقايا « اوليمبيا » في حوالي منتصف القرن التاسع عشر وبعد طول كفاح نجح البارون الفرنسي بيير دى كوبيرتان في بعث الالعاب الاوليمبية ونظم اول العاب اوليمبية حديثة في اثينا عام ١٨٩٦ ■■

عادل شريف

أهم وثيقة حول مستقبل الاقتصاد العالمي

الدول الصناعية مهددة بكارثة اذا لم تستمر التنمية فى عالم الفقراء

بقلم : الدكتور عبد الكريم الارياني

Pan World Affairs

NORTH-SOUTH:

A PROGRAMME FOR SURVIVAL

The Report of the Independent Commission on International Development Issues under the Chairmanship of Willy Brandt
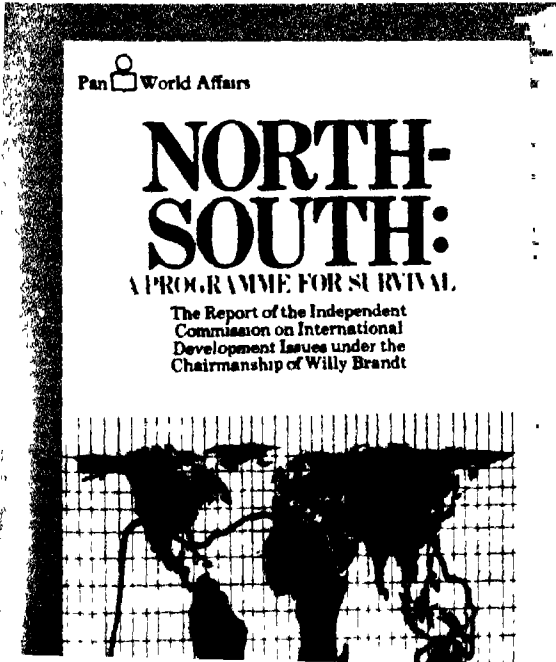
انقسم العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة الى محورين رئيسيين يفصل بينهما برزخ من الفلسفات المتنافرة في القضايا الفكرية والاقتصادية والسياسية ، هما المعسكران الشرقي والغربي ، ويقع كلاهما في شمال الكرة الارضية . الا انه كان وما زال لكل معسكر حلفاؤه في اجزاء اخرى من العالم .

ففي بداية النصف الثاني من هذا القرن كانت معظم دول أفريقيا وآسيا ترزح تحت نير الاستعمار الغربي ، وبالتالي فقد كانت تابعة للمعسكر الغربي . وكذلك الحال بالنسبة لدول امريكا اللاتينية التي كانت كلها تدور في فلك الولايات المتحدة الامريكية رغم استقلالها . اما بالنسبة للمعسكر الشرقي فقد كان اهم حليف له حينئذ هو الصين الشعبية ، التي ما لبثت الا قليلا ودارت في فلك خاص بها . ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ايضا هبت رياح التحرر الوطني في دول العالم الثالث وبدأت معها عوامل انقسام جديد يقع محوره شمال خط الاستواء ، ولكنه يقسم العالم الى جزئين غير متساويين يطلق عليهما الشمال الغني والجنوب الفقير مع ملاحظة ان استراليا ونيوزيلاندا تقعان جنوب خط الاستواء الجغرافي ولكنهما تنتميان الى محور الشمال

لقد كانت الهوة العسكرية والاقتصادية التي تفصل

الشرق والغرب واسعة جدا عند بداية انقسامهما ، ولكن المعسكر الشرقي تمكن خلال سنوات قليلة من سد الفجوة العسكرية على الاقل ، واصبح المعسكران اليوم متوازيين في ثقلهما وقدرة كل جانب منهما على تدمير العالم بأسره .

اما الهوة التي تفصل بين الشمال المترف بمعسكريه الشرقي والغربي والجنوب البائس بما في ذلك الصين الشعبية فهي في اتساع مستمر وقد جاء في آخر تقرير للبنك الدولي للانشاء والتعمير عن حالة الاقتصاد العالمي (١٩٧٩) انه يوجد اليوم في محور الجنوب ٨٠٠ مليون نسمة تعيش تحت خط الفقر المدقع وان هذا الرقم في ازدياد كل عام

يجمع علماء الاقتصاد وفلاسفة علم الاجتماع على ان الهوة التي تفصل بين محوري الشمال والجنوب هي من الاتساع بحيث لا يمكن سدها خلال سنوات اوحتى عقود من الزمن . فمحور الشمال الذي يأوي ٢٥٪ من سكان العالم يستحوذ على ٧٥٪ من الدخل العالمي بينما يقطن في محور الجنوب حوالي ثلاثة آلاف مليون نسمة « ٣ بلايين » تعيش على ٢٥٪ من ذلك الدخل وينجم عن هذه المقارنة المفزعة فوارق اخرى بين سكان الشمال والجنوب ففي حين يصل معدل عمر الانسان في الجزء الشمالي الى ٧٠ عاما او اكثر لا يزيد هذا المعدل في الجنوب عن ٥٠ عاما كذلك لا تزيد نسبة الوفيات بين اطفال الشمال على ٢٪ ولكنها تصل الى ٢٠٪ بين اطفال الجنوب

اما بالنسبة للتعليم فان ٥٠٪ من اهل الجنوب لن تتاح لهم فرصة الالمام بالقراءة والكتابة بينما تتاح فرصة التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية على الاقل لجميع سكان المحور الشمالي ، وكما ذكرنا سابقا فان ما لا يقل عن ٨٠٠ مليون نسمة من ابناء الجنوب يعيشون في مجاعة دائمة ، في الوقت الذي يندر ان ينام فرد شمالي ، وهو جائع وفوق ذلك كله فان الجنوب يعتمد على الشمال في صناعته وتقنياته واستغلال ثرواته

الانعتاق وحوار الطرشان

لقد شهد عقد الخمسينات والستينات انعتاق معظم دول الجنوب من نير الاستعمار الغربي وانضمامها الى هيئة الامم المتحدة ، بحيث قفز عدد اعضاء المنظمة الدولية من ٥٥ دولة عام ١٩٤٦ الى ١٥٢ دولة عام ١٩٧٩ ـ وقد تضامن الاعضاء الجدد مع من سبقهم دول المحور الجنوبي عند عقد اول مؤتمر دولي للتج والتنمية في عام ١٩٦٤ ، وتمكنوا من تشكيل ما عر حينئذ بلجنة السبعة والسبعين التي ما زالت تحمل نفس الاسم حتى يومنا هذا على الرغم من ان عدد اعضائها قد اصبح ١١٧ دولة .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الحوار احيانا والمشادة احيانا اخرى بين الشمال والجنوب اي بين اغنياء العالم وفقرائه وكعادة العلاقة بين الغني والفقير فقد كانت معظم المداولات اشبه بحوار الطرشان ولكن دول الجنوب لم تيأس فقد اجمعت تلك الدول عندما عقد مؤتمر عدم الانحياز في سبتمبر ١٩٧٣ بمدينة الجزائر على المطالبة بتأسيس نظام اقتصادي عالمي جديد ، واقرت عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة في الربع الاول من عام ١٩٧٤ لمناقشة اسس هذا النظام وكان الرئيس الراحل العقيد هواري بومديين هو المتحدث الرئيسي باسم هذه الدول اثناء انعقاد تلك الدورة في شهر ابريل ١٩٧٤ . وفي نفس الوقت ظهر في اواخر عام ١٩٧٣ لاعب جديد على مسرح الاقتصاد العالمي هو منظمة الاقطار المصدرة للنفط التي اخذت زمام المبادرة في تحديد اسعار هذه المادة ، التي نمت وتطورت اقتصاديات الشمال على اساس اسعارها الزهيدة ، عندما كانت الشركات العالمية هي المسيطرة على هذه السلعة في انتاجها وتسعيرها وتسويقها وتجدر الاشارة هنا الى ان ٨٦٪ من النفط المستخرج في العالم اليوم يتم حرقه في محور الشمال بينما يستهلك محور الجنوب ١٤٪ فقط من بترول العالم

وقد كان للقوة الجديدة التي اكتسبتها الدول المصدرة للنفط اثر فعال في تحريك عجلة الحوار بين الشمال والجنوب فجميع هذه الدول تنتمي الى محور الجنوب وقد تبنت جميعها الدعوة الى ايجاد نظام اقتصادي عالمي جديد ، اما الشمال فقد ادرك لاول مرة ان مجموعة صغيرة من الدول النامية تمسك بمفاتيح تطوره وازدهاره ، وبالتالي فمن الاحرى له ان يبقى باب الحوار مفتوحا ، الا ان مواقف الطرفين ظلت متباينة تباينا كبيرا ولعل ذلك التباين هو الذي حدا بالسيد روبرت مكنامارا رئيس البنك الدولي للانشاء والتعمير ان يقترح في خطابه الذي القاه امام الاجتماع السنوي المشترك للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في سبتمبر ١٩٧٧ تشكيل اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية برئاسة المستشار السابق لجمهورية المانيا الاتحادية ويلي برانت الذي قبل بدوره هذه المهمة وحرص على ان تتكون اللجنة من عدد

مه ..او من ابناء الشمال والجنوب ، ولكن الشمال في هذه ا.. ـة لم يضم مجموعة حلف وارسو كما ان الجنوب لم .. حل الصين الشعبية ❋

مصير واحد للجميع

عقدت اللجنة اول اجتماع لها يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٩ في المانيا الاتحادية وحددت تفاصيل المهمة الموكلة اليها ، وهي دراسة المشاكل الخطيرة التي تهدد مستقبل البشرية معاً والناجمة عن التفاوت الحاد القائم اليوم بين ابناء لمجتمع البشري على ان تتقدم باقتراحات محددة تهدف لى تجاوز اهم العقبات التي تعوق مسيرة لتنمية الاقتصادية في دول العالم الثالث ، وتؤدي اولا قبل كل شيء الى القضاء على حالات الفقر المدقع التي ررح تحتها مئات الملايين من البشر وفي سبيل ذلك أت اللجنة ان تتناول بالتفصيل المواضيع الاساسية لتالية

١ ـ منجزات التنمية في العالم الثالث

٢ ـ مستقبل النظام الاقتصادي العالمي

٣ ـ الطريق الى تأسيس نظام اقتصادي عالمي جديد

يعتبر التقرير الذي اعدته اللجنة ونشرته في اوائل لعام الحالي من اهم واعمق الدراسات التحليلية عن همية التنمية في دول العالم الثالث وارتباطها الوثيق باستمرار تقدم وازدهار الدول الصناعية فلا يكاد يخلو فصل من فصول هذه الوثيقة من التأكيد على ان امام لبشرية بمحوريها الشمالي والجنوبي مستقبل قاتم قد ودي بها ما لم يتفق أبناؤها في الشرق والغرب والشمال الجنوب على اسس ثابتة لنظام اقتصادي عالمي جديد بني على العدل والمساواة والمنافع المتبادلة ، ولا شك ان ده الدراسة تستحق اكثر من بحث لتعريف القارىء لعربي بمحتوياتها وسنكتفي في هذا المقال بتقديم اهم لنتائج والتوصيات التي اجمعت اللجنة على ضرورة لاخذ بها اذا اريد للبشرية ان تعيش بمنأى عن الصراع لسياسي والعسكري ، الذي يجر اليه التنافس لاقتصادي

وترى اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية برئاسة المستشار براندت ان الاسطورة الكامنة وراء مفهوم المساعدات الاقتصادية الى دول العالم الثالث هي ان العالم بمحوريه الشمالي والجنوبي ينظر اليها وكأنها هبة من الأغنياء يتصدقون بها على الفقراء وان الفقير لو استمر في جوعه وعريه وجهله ومرضه فلن يغير العني في شيء من ترفه وبذخه وترى اللجنة ان هذه النظرة السطحية لا تعني ان عجلة الازدهار الاقتصادي في الشمال لن تدور باقصى سرعتها الا اذا صاحبتها حركة اسرع منها في عجلة النمو الاقتصادي لدى دول الجنوب وللبرهنة على صحة هذه الرؤية الجديدة للعلاقة الوثيقة بين اقتصاديات الشمال والجنوب قدمت اللجنة الحقائق التالية

● اولا تعاني الدول الصناعية منذ عام ١٩٧٣ من ازمات اقتصادية متوالية ، ويوجد اليوم في هذه الدول ما لا يقل عن ١٨ مليون شخص متعطل عن العمل ، وذلك على الرغم من وجود فائض في الطاقة الانتاجية غير مستغل وتقدر قيمة الانتاج المتاح من الطاقة الانتاجية المعطلة بحوالي ٢٠٠ الف مليون دولار سنويا ، ولكن السبب في وجود الطاقة الانتاجية المعطلة وما يصاحبها من بطالة مرتفعة ينعكس في ان الطلب الفعلي على السلع والخدمات بين الدول الصناعية لا يكفي لمواجهة ما تنتجه اجمالي الطاقات المتاحة ، وبالتالي فان الحل الامثل للخروج من هذه الورطة هو تدعيم جهود التنمية في دول العالم الثالث ، وزيادة الطلب العالمي لاستغلال تلك الطاقات

● ثانيا لقد ثبت ان المخاوف التي اثيرت حول قدرة الاقتصاد العالمي على امتصاص الفوائض النقدية المتاحة للدول النفطية منذ عام ١٩٧٤ لم تتحقق حتى الآن ويعود الفضل في ذلك الى دول الجنوب التي استوعبت هذه الفوائض لسد متطلباتها الانمائيه وشراء السلع الاستهلاكية والمواد المصنعة من الدول المتقدمة وتقدر اللجنة ان ذلك وفر ٩٠٠ الف فرصة عمل سنويا لابناء الشمال خلال هذه الفترة

---

* اعضاء اللجنة هم عبد اللطيف الحمد (الكويت) رودر يجو بوتيرو منتريا (كولمبيا) انطوان كيسا داكوري (فولتا العليا) ادوارد فري .مونتالفا (تشيلي) كاثرين جراهام (الولايات المتحدة الامريكية) ادوارهيث (المملكة المتحدة ، عامر جمال (تنزانيا) لاكشمي كانت جها (الهند) ، خديجة احمد (ماليزيا) ، ادم مالك (اندونيسيا) ، هاروكي موري (اليابان) ، جو مورس (كندا) ، اولوف بالما (السويد) ، بيترج بيترسون (الولايات المتحدة الامريكية) ، ادجار بيساني (فرنسا) شريدات رامفال (غايانا) ، ياكر العياشي (الجزائر)

● ثالثا . لقد اصبحت دول الجنوب هي السوق الرئيسية لدول الشمال فالولايات المتحدة الامريكية واليابان ودول المجموعة الاقتصادية الاوروبية ترسل حوالي ثلث صادراتها الى دول الجنوب ـ كما اصبح حجم التبادل التجارى بين دول السوق الاوروبية ودول الجنوب ثلاثة اضعاف حجمه بين دول السوق والولايات المتحدة كذلك تبلغ صادرات الولايات المتحدة الى دول الجنوب ضعف صادراتها الى دول السوق الاوروبية المشتركة اما اليابان فان ٥٠٪ من صادراتها تذهب الى الدول النامية

وبعد ان برهنت لجنة المستشار برانت على الترابط الوثيق بين اقتصاديات الشمال والجنوب ، واكدت على ان التفاوت الحاد بين ابناء الشرية ينذر بخطر داهم ، تناولت بالتفصيل مقترحاتها لمواجهة ذلك الخطر على مدى العقدين الحالي والقادم ويأتي في مقدمة هذه الاقتراحات ضرورة القضاء على الفقر في العالم ، واعادة النظر في تنظيم وصلاحيات المؤسسات الدولية واهمها البنك الدولي وصندوق النقد وتصحيح مسار النظام النقدي في العالم وضمان اسعار مجزية وثابتة للمواد الخام التي تنتجها الدول النامية ، ونقل التقنيات الحديثة في الصناعة والزراعة الى دول الجنوب

وفوق ذلك كله فان اهم توصية قدمتها اللجنة هي التأكيد على ضرورة حقن كميات هائلة من الاموال على شكل قروض و مساعدات لتحريك عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول الجنوب حيث قدرت ان المبالغ الاضافية اللازمة يجب ان لا تقل بحلول عام ١٩٨٥ عن ٥٠ الف مليون دولار بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٧٨ التي بلغ حجم القروض الميسرة وغير الم[...] المتاحة للتنمية في العالم الثالث خلالها قرابة ٨٠ [...] مليون دولار وقد اكد التقرير على ان هذه المسئولية على عاتق دول المعسكرين العربي والشرقي ود[...] الاقطار المصدرة للنفط والمنظمات الدولية وال[...] التجارية وبالاضافة الى هذه المصادر فقد اقترح[...] اللجنة فرض ضريبة امانية على التجارة الدولية واس[...] السلاح واستغلال الثروات العامة الكامنة في قا[...] البحار

عن تجربة الماضي

والذى لا شك فيه ان تقرير اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية يعتبر ادق تشخيص لمشاكل الاقتصاد العالمي ، واهم وثيقة برهنت على ان ديمومة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول الجنوب شرط لازم لاستمرار ازدهار وتقدم دول الشمال وان اهم وسيلة لضمان مستقبل امن للبشرية بمحوريها تكمن اساسا في حقن مبالغ هائلة من المال الى الدول النامية لكي تتمكن من القضاء على الفقر والجهل والمرض ومع ان احدا لا يجادل في صواب التشخيص وسلامة العلاج الا اننا نشك في مدى استعداد دول الشمال بمعسكريها الشرقي والغربي لتقبل الراى القائل بان من واجبها تقليص الهوة الهائلة التي تفصل بين الشمال والجنوب ، لان في ذلك مصلحة لها في الامد الطويل ، علما بان تضييق هذه الهوة في الامد القصير لابد ان يكون مشفوعا ببعض التضحيات من قبل دول الشمال

اين هذه المدرسة ؟

نحن نذهب الى المدرسه ، لا من اجل البحث عن المعرفة وحدها ولكن من اجل ان نتعلم من فنون الحياه وآدابها ففي المدرسه نتعلم فن الاتصات والتعبير . فن الدخول بسرعه في أفكار غيرنا من الناس واستيعابها .. فن الاعراب عن تأييدنا او معارضتنا لفكرة أو مبدأ بالمنطق والمناقشه .. فن إنجاز عمل محدد في وقت محدد فن الذوق والسماحة ونبذ الخوف والعنف ولكن أين هي هذه المدرسة ؟ !

« وليام كوري »

واذا كان لنا في الماضي عبرة فان فشل معظم هذه الدول في الالتزام بقرار الامم المتحدة الذى صدر قبل عشر سنوات ، ونص على أن تخصص الدول المتقدمة نسبة محددة من دخلها القومي سبعة من عشرة من واحد في المائة في السنة للمساعدات والقروض الانمائية ، هو اكبر دليل على ذلك ففيما عدا الدول الاسكندنافية وهولندا التي تجاوزت تلك النسبة خلال السنوات العشر الماضية فان المعدل العام لدول اوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان لم يرد على نصف النسبة المحددة اى حوالي ٠,٣٥٪ اما بالنسبة لدول حلف وارسو فانها تتحد موقفا اكثر سلبية بحجة ان الوضع القائم في العالم الثالث هو نتيجة للاستعمار الغربي وانها ليست ملزمة بتصحيح اخطاء الآخرين وبالتالى فلم تزد نسبة مساهمتها في مساعدة الدول النامية عن ٠,٠٤٪ (اربعة من مئة من واحد في المائة)من دخلها القومي سنويا واما الدول المصدرة للنفط التي كان اغلبها تحت السيطرة الغربية فقد نوه التقرير بتفاوت درجات المسئولية بين هذه الدول ، لان العديد منها مثل الجزائر واندونيسيا ونيجيريا لا تفي وارداتها النفطية بحاجاتها الانمائية ومع ذلك فقد بلغ المعدل السنوى لمساهمة هذه الدول في تنمية العالم الثالث حوالى ٣٪ من دخلها القومي اى عشرة اضعاف نسبة الدول الصناعية

ويجدر بنا في ختام هذا العرض الموجز لتقرير اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية ان نشير الى حقيقة ثابتة لم ترد في التقرير وهي ان اربع دول عربية نفطية هي المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة وقطر تقدم اليوم ما يزيد على عشرة اضعاف النسبة التي اقرتها الامم المتحدة ، حيث لا يقل المعدل السنوى لمساهمات هذه الدول في تنمية العالم الثالث عن ١٠٪ من دخلها القومي سنويا

وامل العالم العربي !

لقد تحدثنا في مقال سابق نشرته مجلة العربي (عدد مارس اذار ٢٥٦) عن حتمية التكامل الاقتصادي العربي كشرط اساسي للوصول الى اى شكل من اشكال الوحدة العربية ، وعلى ضوء تقرير اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية ، فان واحدا من الاتجاهات التي قد يمحوها الاقتصاد العالمي هو قيام تكتلات اقتصادية اقليمية تعمل داخل كل منها مجموعة من الدول تسعى لحماية مصالحها وتوسيع نفوذها الاقتصادي وعلى الرغم من ان اللجنة ترى ان ذلك الاتجاه سوف يحد من توسع التجارة العالمية ، الا ان هذا الاتجاه قد اصبح له نموذج علوى هو السوق الاوروبية المشتركة والرابطة الاقتصادية للدول الاشتراكية لذلك نعيد القول هنا بان دول المجموعة العربية ستجد نفسها ان عاجلا او آجلا متنافسة فيما بينها وقابعة في نفس الوقت تحت رحمة غيرها من التكتلات الاقتصادية العالمية ما لم تتجاوز الحواجز السياسية وربما النفسية التي تعوق اليوم وضع اللبنة الاساسية - على الاقل - لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي ولكن لعل الحديث ذو شجون في دكنة الليل الدامس الذي يحجب الرؤية لمستقبل العلاقات العربية ! ■■

د عبد الكريم الارياني

منذ قرن ونصف !

التحذير من التدخين ليس جديدا ففي عام ١٨٤٧ ، اي منذ قرن ونصف من الزمان نشرت التحذيرات التالية في صحيفة « تشامبرز أدنبره جورنال » التدخين يسبب « القرحه المعدية ، والسعال ، والتهاب الحنجرة والقصبه الهوائية وامراض القلب ، والاكتئاب وامراض الجهاز العصبي . »

ومع هذا مضوا يزرعون التبغ ويتاجرون فيه ويدخنونه لقد تضاعف عدد المدخنين اكثر من مائه مرة .. وازداد عدد الوفيات بالامراض الناجمة عن التدخين مائتي مرة !

صفحة مجهولة في حياة الشاعر احمد رامي

صوره تنشر لاول مرة تبدو فيها ا...
اليسار ، على مائده البابا احمدسرى

لقد تكونت في مصر في بداية القرن التاسع عشر ، جالية البانية ، كانت نواتها من الجنود الالبانيين الذين جاءوا وحاربوا مع محمد علي باشا ، والذين انتقلوا فيما بعد الى الحياة المدنية الا ان هذه الجالية نمت مع هجرة الالبانيين ، وخصوصا من البانيا الجنوبية ، في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، وذلك لأسباب اقتصادية وقومية

ولهذه الجالية اهمية كبيرة ، سواء في التاريخ الالباني او في الثقافة الالبانية وبشكل خاص تتميز تلك الجالية بادبها ، الذي يتمتع بقيمة كبيرة في اطار الأدب الالباني ككل فقد مسح ادب هذه الجالية ، تحت تاثير المحيط المصري ، بعدين جديدين للأدب الألباني ويتمثل البعد الاول بروز الواقعية مع الشاعر المشهور تشايوبي (١٨٦٦ ـ ١٩٣٠) ، على حين يتمثل الثاني بالمسرحية مع الكاتبين دوتشي (ت ١٩٣٣) وتشايوبي ايضا وبالاضافة الى هذا ، فقد ساهم بعض افراد هذه الجالية ، الذين اندمجوا اكثر في المحيط المصري ، بالادب العربي من خلال ما كتبوه باللغة العربية ومن هؤلاء يكفي ان نشير الى الشاعر احمد رامي والشاعر محمد عبد المعطي الهمشري الخ

وذلك يقودنا الى صفحة مجهولة من حياة الشاعر المعروف احمد رامي ، الذي ما يزال يصارع المرض منذ فترة بالاضافة الى وطأة الشيخوخة ، حيث انه يبلغ الآن الثامنة والثمانين وهنا نود ان نتعرض فقط لأصالته ولعلاقته بالتكية البكتاشية بالقاهرة

من أصل الباني

ربما نضيف ، او لا نضيف ، شيئا ، اذا قلنا ان احمد رامي الباني الاصل من جزيرة كريت وقد كانت هذه الجزيرة مأوى للمتمردين الالبانيين وللهاربين منهم من ظلم السلطة العثمانية ، حيث ان هذه الجزيرة كانت قريبة من المناطق الالبانية الجنوبية ، وبعيدة في نفس الوقت عن تناول السلطات العثمانية ومن بين هؤلاء نزح حسن عثمان ، جد الشاعر احمد رامي ، الى مصر عام ١٨٧٠ وقد كان من الطبيعي ان ينزح الى مصر ، مع

بقلم : الدكتور محمد موفاكو

غيره من الألبانيين ، حيث ان مصر باستقلالها الداخلي كانت قد اصبحت بعيدة عن قبضة الباب العالي ، بالاضافة الى وجود الجالية الالبانية فيها وقد انتسب هذا الجد ، حسن عثمان ، الى الجيش المصري وأصبح ضابطا فيما بعد الا انه قتل عام ١٨٨٥ ، حينما كان على رأس حملة في السودان وقد خلف هذا محمد رامي ، والد الشاعر ، الذي عمل ايضا في الجيش المصري ، ولكن كطبيب وقد توفي هذا في وقت مبكر ، عن عمر يناهز السابعة والاربعين وقد ولد الشاعر احمد رامي في القاهرة عام ١٨٩٢ ، وقضى فترة من طفولته في جزيرة طاشيوز ، بالقرب من قولة بلدة محمد علي باشا ، حيث عاش والده هناك فترة من الزمن

وقد كان الشاعر واعيا لأصله الالباني ، على ما يذكر لنا معاصروه من الالبانيين والمصريين وقد اتيح لنا ان نزور بيته في القاهرة ، في اول آب اغسطس ١٩٧٩ ، للحديث مع زوجته ، حيث ان حالته الصحية كانت تمنع اي لقاء معه وقد اكدت لنا زوجته ان الشاعر كان يصرح بأصله الالباني ، أي انه لم يكن يخفي ذلك وهذا يجر الى الجانب الثاني ، الى علاقته الخاصة بالتكية البكتاشية في القاهرة وبالبابا احمد سري ، راعي هذه التكية ولا شك ان هذه العلاقة تستحق لأهميتها بحثا اوسع ، ولن يغني عنها بالتالي ما سيرد هنا

فربما ليس من المعروف ان هذه التكية البكتاشية كانت ذات اهمية كبيرة ، سواء بالنسبة للمحيط العربي او الالباني فقد اسسها البابا عبد الله المغاوري سنة ١٤٠٤ في قصر العيني ، الا انها اندثرت واقيم مكانها كورنيش النيل وقد ذكر الرحالة اولياجلبي ، الذي زار مصر ١٦٧١ ، ان هذه التكية كانت تحفها الاشجار والبساتين وتتوسطها قبة عظيمة كانوا يعقدون بها مجالس الشعراء وقد نقلت هذه التكية عام ١٨٦٥ الى جبل المقطم ، وتحولت مع الزمن الى احدى اجمل التكايا البكتاشية في الشرق الا انها نقلت مرة ثانية ، بأمر حكومي ، الى المعادي عام ١٩٥٧ وتحولت هذه التكية في القرن الاخير من عمرها الى تكية ألبانية ، حيث جاء على رأسها الآباء الالبانيون فقط وقد شاركت هذه التكية في النهضة القومية الالبانية وفي الكفاح في سبيل الاستقلال القومي ومن هؤلاء الآباء الذين لعبوا دورا حاسما في حياة هذه التكية كان البابا احمد سري ، الذي ربطت بينه وبين الشاعر احمد رامي علاقة خاصة

وقد جاء هذا البابا على رأس التكية سنة ١٩٤٢ ، وبقي فيها حتى آخر عهدها ، التي انتهت بوفاته سنة ١٩٦٢ وقد عرف عن هذا البابا ثقافته الواسعة وحبه للشعر وقد كان هو نفسه ينظم الشعر من فترة لاخرى ، الا انه اشتهر كمتذوق للشعر اكثر من كونه شاعرا وربما أثر هذا ايضا في تكوين العلاقة الخاصة بينه وبين احمد رامي

رامي في التكية

وقد عرف عن الشاعر احمد رامي كثرة التردد الى هذه التكية بمفرده في اغلب الاحايين ، ومع زوجته في احيان اخرى كما ذكرت لنا ، وخاصة في المناسبات كيوم عاشوراء وفي الحقيقة فان التكية بجمالها وبطبيعتها الخلابة في تلك المنطقة ، كانت تغري فعلا بالزيارة ، وخاصة لمحبي الطبيعة . وقد ذكر لنا احد المترددين

الدائمين لهذه التكية انه كثيراما كان يشاهد الشاعر احمد رامي في ارجاء التكية ، متأملا طبيعتها الخلابة حيث كان يحلو له ان يكتب بعض الاشعار

ومن ناحية اخرى ، فقد ذكرت لنا زوجة الشاعر احمد رامي ان البابا احمد سري كان يحلو له ان يطلب من الشاعر خلال زيارته ان ينشده بعض القصائد التي كان يكتبها . وقد كان الشاعر ينشد قصائده باللغة العربية التي كان يعرفها ايضا البابا احمد سري ـ وربما ان هذا الاعجاب المتبادل هو الذى ادى باحمد رامي ليخص البابا ببعض قصائده ومما كتبه أحمد رامي بقيت لنا فقط الابيات التي توجد اليوم على شاهد قبر البابا احمد سري ، التي هي عبارة عن عامود مربع من الصوان الاسود فعلى أحد وجوهها كتب رامي

رحم الله عبده سري بابا
ودعاه باللطف والاحسان
وسقاه من الشراب طهورا
وحباه بجنة الرضوان
هجر العالم الدني وناجي
ربه واطوى على الايمان

وكتب على وجهها الثاني

ثم قربا بين المطوف الدوابي
عند سفح المطعم الميان
في حمى ساكن المعاوى عبد الله
قطب الهدى وكنز الاماني
انها روضة سقيت نراها
وتعهدت عرسها بالحنان

اما على الوجه الثالث فقد كتب

يا نزيل الخصيب في ارض مصر
بين هذه الربا وتلك المغاني
رضي الله عن صنيعك في
الدنيا فأولاك نعمه الغفران
فاسأل الدار أمنا وتقبل
فضل ربي بالحمد والشكران

ولكن اطرف ما في هذه العلاقة بين البابا احمد سري والشاعر احمد رامي ان الاول عرض على الثاني ان ينخرط في سلك البكتاشية في تكيته الا ان الشاعر ، كما روت لنا زوجته ، اعتذر بلباقة من البابا عن رفضه لذلك ولكن مع هذا يبدو ان الشاعر رامي كان اكثر من مقرب للتكية البكتاشية ولمرشدها البابا احمد سري ففي كتاب البابا « الرسالة الاحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية » ، والذى طبع اكثر من مرة في القاهرة ، نرى ان المؤلف قد ذكر الشاعر احمد رامي ضمن كشف « اعلام مشايخ الطريقة البكتاشية » !

وعلى كل حال ، سواء كان الشاعر احمد رامي مقرب او اكثر من مقربا من التكية البكتاشية ، فقد بقيت هذه العلاقة وطيدة بين الشاعر أحمد رامي وبين البابا احمد سري حتى الايام الاخيرة من حياته فقد بقي الشاعر رامي على صلة بالبابا خلال مرضه الذى امتد لسنتين ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ وكما ذكرت لنا زوجة الشاعر ، فقد زاره عدة مرات على سرير المرض قبل ان يختطفه الموت ■■

بوعسلافيا ـ محمد موفاكو

اعظم دروس الحياة !

خارج نافذة المطبخ قد تجدين عنكبوتا ينسج بيته . لا تتركي هذا المشهد يمر هكذا ، احملي طفلك الصغير ودعيه يتأمل هذا النسيج الغريب الذي يخرج من جسم هذه الحشرة الصغيرة قولي له ان هذه الخيوط الحريرية الناعمة اشد قوة من الصلب ! اذا استطعت ان تحولي فضوله الى اعجاب بهذا المخلوق الصغير ، فقد علمته اعظم دروس الحياة .. وهي أن كل ما فيها عظيم صغيرا كان ام كبيرا .. حقيرا ام عظيما !

« رونالد بيتل »

قراءة في فكر رافض

هذه «الدنيا اللغز»
بين حيرة السلف وعجز الخلف

بقلم : فهمي هويــدي

تظل الدنيا لغزا في حياة مسلم هذا الزمان ، حيّر السلف ، وأعجز الخلف !

ذلك انه الى الآن ومنذ حوالي قرنين من الزمان ، منذ استيقظ عالم الاسلام على عصر ما بعد النهضة يطرق الابواب ويخطف الابصار ، فان حيرة المسلمين في شأن هذه الدنيا الجديدة لم تتوقف . حتى كادت تصبح لغزا صعب الحل ، ومحاطا بالمخاوف والشكوك ، وبدا طريقها مسكونا بالاشباح والعفاريت ، الذاهب اليه مفقود ، والناجي منه مولود !

وفي مواجهة هذه الدنيا اللغز ، تراوحت المواقف وردود الافعال ، بين الاعتزال والخصام والتمرد !

اعرف اسرا كثيرة احتسبت الله في ابناء لها اختفوا منذ سنوات هاجروا الى الجبال والشعاب والمغارات وانقطعت اخبارهم ، او هجروهم بعدما انقلبت حياتهم وهم في بيوتهم فلم يعودوا يكلمون احدا ، ولا يعرفون احدا اغلقوا على انفسهم الطريق بين المسجد والبيت فلا يقرأون صحيفة ، ولا يستمعون الى اذاعة ، ويستعيذون بالله من التلفزيون ، ويلعنون الذاهب الى السينما ، ناهيك عن المسرح !

واعرف شيوخا ـ اكثر تقدما (!) ـ يجيزون الاستماع الى نشرات الاخبار فقط في الاذاعة ويضبطون انفسهم واناملهم بحيث يديرون مفتاح المذياع في اللحظة التي تنتهي فيها المقدمة الموسيقية ، تجنبا للاستماع الى « اصوات الشيطان » في اللحن المميز للنشرة الاخبارية !

وهؤلاء ، حصروا انفسهم في مسائل اللحى واغطية الرؤوس ، والثياب القصيرة والضيقة ، والمستور والمكشوف ، والمسواك والسجائر ، والطيب والحناء . وما الى ذلك

ولو ان الامر بقي مقصورا على مواقف ومخارج اختارها الافراد لأنفسهم ، لما كانت هناك مشكلة كبيرة اذ الاختيار مسئولية كل فرد في النهاية ، له غنمه وعليه غرمه ولكن المسألة اصبحت اكثر تعقيدا واشد خطرا فهذه التيارات ، صارت تصنف الان باعتبارها من مظاهر « المد » ، والصحوة الاسلامية

وأيا كانت التسمية ، فان الخطير في الامر ان هذه الشواهد في مجموعها تحمل في طياتها بذور دورة « الانسحاب الثاني » لمسلمي العصر الحديث ، في مواجهة الحضارة الغربية ، بفكرها ومستحدثاتها

●

لقد كان الانسحاب الأول مقترنا بتلك المرحلة التي استيقظ فيها عالم المسلمين ـ بعد سبات دام خمسة قرون ـ على طلائع الحضارة الغربية ، تدق قلاعهم الناعسة بعنف بلغ ذروته طوال القرن التاسع عشر في ذلك الوقت ، عاش المسلمون حالة من الحيرة والخوف والقلق البالغ

في هذه الفترة ـ يقول عباس العقاد في كتابه « الاسلام في القرن العشرين » ـ كان الاسلام كما يفهمه الجهلاء ، مزيجا من الخرافة والشعوذة والطلاسم والاوهام ، ومن الوثنية وعبادة الموتى كان بعض المتعالين من ادعياء المعرفة يحكم بكفر القائلين بدوران الكرة الارضية ، ولا يتردد في تكفير من يسميها كرة

وفي هذه الفترة ـ يضيف العقاد ـ كان طلاب الفتاوى من مشارق الارض ومغاربها يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه ؟ وهل يجوز قدح النار منه ، وطبخ الطعام على تلك النار ؟ او يأثم من يمس « صنفرته » ـ الجانب الخشن الذى يحك به عود الكبريت لاشعال النار ـ لأنها نجسة تنقض الطهارة !

وعن تلك المرحلة ، كتب الامام محمد عبده مقالا بعنوان الاسلام اليوم والاحتجاج بالمسلمين على الاسلام (الجزء الثالث من الاعمال الكاملة) هل غاب عن الاذهان ما كان ينشر في الجرائد (باقلام بعض علماء الازهر) في استهجان ادخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) ضمن العلوم التى يتلقاها طلبة الازهر على اعتبار أن تدريس الجغرافيا يستهدف « الغض من علوم الدين »

وفي تساؤل آخر كتب الاستاذ الامام الا يتخيل المتأمل انه يسمع من خوف المستقبل صخبا ولغطا ، وضوضاء وجلبة وهيعات متطايرة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الازهر ان يدرسوا طرفا من مبادىء الطبيعة ، او يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ الا تقوم قيامة المتقين ؟ الا يصيحون اجمعين ، اكتعين ابتعين هذا عدوان على الدين ؟

وفي الدراسة التي نشرتها « العربي » في العدد ٢٥٦ (مارس ـ آدار ـ ٨٠) تحت عنوان « العرب والعرب » ، صورة مفصلة للجدل الذى اثير في اواخر القرن الماضي بين علماء الازهر حول ارتداء البنطلون ، وحذاء الفرنجة الاسود ، الذى قال بعضهم انه مخالف للسنة ، التي لم تجز للمسلم ان يتخذ من النعال سوى الحمراء والصفراء وما رواه الشيخ حافظ وهبة في كتابه « جزيرة العرب في القرن العشرين » من ان اول ساعة دقاقة وردت الى نجد في اواخر القرن الماضي حطمت لاعتبارها من عمل الشيطان وكيف اعتبرت آلات البرق ناشئة عن استخدام الجن ثم كيف احتاج استخدام الحاكي الى فتوى ، بل كيف رفض المسلمون فكرة طباعة المصاحف « للاعتقاد بافتقار مواد الطباعة الى الطهارة ، وعدم جواز ضغط آيات الله بالآلات الحديدية » !

بهذه الانطباعات عاش عالم المسلمين صدمة الاستيقاظ من السبات الطويل .

المسلمون الذين كانت كلمة « اقرأ » هي اول ما نزل على النبي (ص) من قرآنهم ، احتاروا في نهاية الامر هل يطبعون المصحف ام لا ؟

والمسلمون الذين افرزت حضارتهم انجازا مثل الاسطرلاب وساعة هارون الرشيد المهداة للأمبراطور شارلمان ، اصيب احفادهم بالذعر عندما رأوا الساعة الدقاقة في القرن التاسع عشر ، لانها من عمل الشيطان ؟!

والمسلمون الذين قدموا للعالم اضافات باهرة في مختلف فروع العلوم ، هؤلاء المسلمون ، حلفوا احيالا احتاجت الى فتاوى شرعية لتدريس الحساب والطبيعيات والجغرافيا !

مفارقات مدهشة ، يكاد لا يصدقها عقل ، ولكنها الحقيقة المحزنة والمفجعة !

●

ويكاد يمضي الآن قرنان على بداية هذه الصدمة ، شهدت ساحة الفكر الاسلامي خلالها مدا وجزرا ، وظهرت دعوات وخبت دعوات نمت افكار الامام محمد بن عبد الوهاب في شمال الجزيرة العربية والشوكاني في جنوبها ، ثم ظهر السنوسي في ليبيا ، والمهدي في السودان ، وظهر جمال الدين الافغاني كعاصفة هزت عالم المسلمين ، وكان محمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي في مصر والشام ، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر ، ثم حسن البنا وسيد قطب في مصر ، وابو الاعلى المودودي في الهند ثم باكستان ، وهو الذي رحل عن الدنيا هذا العام ، طاويا معه آخر صفحة من كتاب رواد الفكر الاسلامي في العصر الحديث

لقد حاول هؤلاء ، وغيرهم بكل تأكيد ، ان يدفعوا مسيرة الاسلام والمسلمين الى مواقع اكثر تقدما ، وان يقيموا ذلك الجسر بين دين المسلم ودنياه ، وحققوا الكثير في مجال اثراء العمل الاسلامي بالفكر والممارسة ، لكن المسيرة لم تكتمل لاسباب كثيرة الامر الذي لم يتح في النهاية فرصة ايجاد تيار قوي وقادر على التأثير في الاتجاه الصحيح ، وبقيت مخاوف المسلم مما حوله مستمرة ، وظلت صورة « الدنيا اللغز » مستقرة في الاذهان

وزاد الامر تعقيدا ان متغيرات الدنيا خلال هذين القرنين حققت قفزات مذهلة في كل ميدان ، وطرحت على جماهير المسلمين وعلمائهم اسئلة لم تتوفر لها الاجابات المناسبة في الوقت المناسب ، حتى بعدت الشقة اكثر واكثر بين مواقع المسلمين وتلك الدنيا الجديدة

والمدهش في الامر ان رقعة « حيرة مسلم هذا الزمان » لم تعد تمتد فقط الى متغيرات العقود الاخيرة ، في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، ولكن تلك الرقعة اتسعت حتى باتت تشمل الكثير من الامور التي كانت مثارة منذ قرنين من الزمان اذ لا يزال بيننا من يشكك في كروية الارض ، ويرفض فكرة نزول الانسان فوق سطح القمر ، ويعتبر الاذاعة والتليفزيون من عمل الشياطين ، ولا يزال بيننا من يتحدث عن شرعية لبس البنطلون ، ويرفض التصوير ، ويحارب الرسم

وهكذا اصبحت عناصر الصورة امامنا على الوجه التالي

ـ تيارات اسلامية لم يتح لها ان تواصل مسيرتها ، لتنضج بقدر يمكنها من اقامة جسر يمكن المسلم من ان يتوافق مع عصره بأمان وفي طاعة الله

ـ علماء اسلاميون لم يتمكنوا من ان يقدموا اجابات تحل للمسلم مشكلته

ـ عصر تتسارع متغيراته يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة

ـ شاب مسلم بت في تلك الظروف ، فلم يملك سلاحا يشق به طريقه ، اذ كانت الاسلحة التي بين يديه عاجزة وغير فعالة وكان المخرج المتاح امامه هو هذا الانسحاب والاعتزال والتمرد

ولنا ان نقرر ان هذا الواقع الماثل امامنا ، ليس نابعا هذه المرة من حيرة ومفاجأة ، فقد مضى وقت كاف للمعايشة وايجاد تلك الصيغة او الجسر الذي يلحق المسلم بركب العصر ، دون عنت او شعور بالذنب ولكن رد الفعل الذي نشهده لدى هؤلاء الشبان نبع في حقيقة الأمر من احساس بالعجز ، وربما اليأس من حل هذه المشكلة

وهكذا صرنا على ابواب مرحلة الانسحاب الثاني ، ولم يمض قرنان على مشهد الانسحاب الاول '

وحتى نكون منصفين ، فينبغي ان نقرر ان القضية ليست وليدة قريبن من الزمان ، وان الصدمة التي مني بها عالم الاسلام لم تحدث فجأة وبغير مقدمات وانما يتراكم وراء هذا الشعور بالصدمة رصيد تراثي هائل ، تكون منذ حدث ذلك الانفصال بين الدنيا والدين في واقع المسلمين واعماقهم وفكرهم

منذ انفصل القرآن عن السلطان وقعت الواقعة في عالم الاسلام '

لم تكن هناك مشكلة عندما كان السلطان موظفا لصالح القران بوعي وبصيرة ، ولكن التحول حدث عندما انقلبت الآية واصبح القرآن موظفا لصالح السلطان '

واستاذنا مالك بن نبي يعتبر معركة « صفين » في العام الثامن والثلاثين بعد الهجرة بداية هذه المرحلة ، التي ادت الى انفصال القران عن السلطان ، او « انفصال الضمير عن العلم » ، على حد قوله

منذ خرج علي بن ابي طالب دفاعا عن القرآن وخرج معاوية بن أبي سفيان طمعا في السلطان ، ثم كان انتصار معاوية انتصارا للسلطان منذ ذلك الحين ، حدث الانقلاب الاول في التاريخ الاسلامي

وقد كان هذا الانقلاب اعمق واخطر مما نتصور ، لان حدود التغيير الذي احدثه امتدت الى رقعة اوسع بكثير مما رصده المؤرخون ذلك ان الانقلاب السياسي ، افرز انقلابا فكريا على نفس المستوى '

فانفصال القرآن عن السلطان ، اقام بمضي الوقت حاجزا ما بين العقيدة والشريعة ، وانتصار السلطان على القرآن ، ادى تلقائيا الى تزايد الاهتمام بفقه العبادات وتعطيل نمو فقه المعاملات

وتلك نتيجة منطقية اذ ان غيبة التطبيق الأمين للشريعة لا بد ان ترتب احدى نتيجتين اما ان يتأخر نمو رصيدها الفكري ، او ان ينمو هذا الرصيد نموا غير طبيعي ، في غير الاتجاه الصحيح

وفي ظل منطق الانصراف الى تثبيت السلطان كان طبيعيا ان تظهر على سطح الحياة الفكرية الاسلامية تيارات تتحرك ـ ربما عن غير قصد ـ نحو الانصراف عن تثبيت القرآن ومن هنا نمت مدارس تفسير النصوص وحفظ المتون ، التي لا ترى جوهر الاسلام وحقائقه الاساسية ، ولكنها تقف جامدة امام الكلمات والحروف ، عاجزة عن النفاذ الى ما هو ابعد من ذلك صار الاسلام نصا وليس فكرة ورسالة ، وغلبت مباحث اللغة على مقاصد الشريعة ، حتى كتب محيي الدين بن عربي ـ مثلا ـ رسالة عنوانها « كتاب الميم والواو والنون » باعتبارها « أسنى الحروف وجودا ، واعظمها شهودا » '

وكان طبيعيا في هذا المناخ ، ان ينصرف كثير من علماء المسلمين الى الاشتغال بفلسفة الكلام ، وعلم

حيد ، وفقه العبادات ، وفقه اللغة ، او اي شيء آخر لا علاقه مباشرة له بحياة الناس او واقعهم

وكان طبيعيا ان يدور محور القضايا المثارة ، والمعارك الفكرية الكبرى ، حول القرآن وهل هو ازلي ام
ث ، وحول التناسخ والحلول ووحدة الوجود ، وحول صفات الله وهل هي حقيقية ام مجازية ثم
سان وهل هو مخير ام مسير (الجبر والاختيار) ، والقرآن ظاهره وباطنه

وكان طبيعيا ان تنمو التيارات الداعية الى الدروشة والتصوف ، والزهد والاعتزال

وكان طبيعيا ان تجد الخوارق والمعجزات وكرامات الاولياء مكانا في الفكر الاسلامي ، حتى تحدثنا
رسالة القشيرية ـ مثلا ـ عن الذين يطيرون في الهواء من المكشوف عنهم الحجاب ، والذين يظهرون
بجائعين خبزا بغير حاجة الى طحن دقيق !

وكان طبيعيا ان تموت بمضي الوقت روح البحث والابتكار حتى لدى بعض اجيال الفقهاء ، وان
تتحول المعرفة الى حفظ ونقل وتقليد حتى جاءت أزمنة لم يعد يحتج فيها الفقهاء لا بقول الله ولا
برسوله ، ولكن بما ردده السلف من اصحاب المذهب وسجلت كتب التراث ان واحدا من شيوخ الحنفية
المتأخرين ـ ابو الحسن الكرخي ـ قال في هذا الصدد كل اية او حديث يخالف ما عليه اصحابنا فهو
مؤول او منسوخ !

واذا كان المسار الرئيسي للفقه والفقهاء لم يمنع من ظهور نماذج فذة في تاريخ الفكر الاسلامي ، لا زلنا
نستضيء الى الآن بثمار علمهم ، الا انهم ظلوا بمثابة ومضات عابرة ، تركت بصماتها على المسيرة بغير
شك ، لكنهم ـ ايضا ـ لم يتمكنوا من تغيير مسارها ، او يحدثوا تحولات ذات قيمة فيها

●

لقد كانت هذه الخلفية هي التي هيأت مجتمع المسلمين لتلقي شعور الصدمة عند اول احتكاك
بالعالم الغربي ، فيما بعد عصر النهضة وهي ذاتها التي اسهمت في السمو غير الصحي للتفكير الاسلامي
حتى اللحظة الراهنة وأعني به ذلك التفكير الذي يقوم اساسا على التفرقة بين الدين والدنيا ، واقامة
علاقة شك وارتياب بين المسلم ودنياه

فنحن امام تراث فكري وبناء نفسي « أخروي » بالدرجة الاولى ، غرست فيه منذ انفصال القرآن عن
السلطان بذرة الغاء الدنيا من اهتمامات وتوجهات المسلم ـ وتحقيرها احيانا ـ بحجة التطلع الى الآخرة
والاعراض عن مصادر الشر والغواية

وكانت نتيجة هذا الغرس اننا عرفنا ـ على المستوى الفردي ـ نموذج المسلم « العابد » ، بالمعنى التقليدي
للعبادة ، لكننا افتقدنا في الوقت ذاته صورة المسلم « العامل » او الفاعل

لقد اصبحت طريق المسلم الى الآخرة سالكة ، في احسن الاحوال ، لكن طريقه الى الدنيا ظلت
بحاجة الى مغامرة الاقتحام والاكتشاف .

وازاء هذه الحقيقة ، فقد ظل نصيب المسلم من الدنيا ، الذي نبهه اليه القرآن الكريم ، مهدورا
ومهضوما ، اذا ما أراد ان يحصل عليه من باب الاسلام وتحت مظلته وبات من الضروري ان تقام من
جديد علاقة صحية بين المسلم ودنياه ، لا تحل اللغز بالضرورة ، ولكنها على الاقل تضع اطارا معقولا
لاحتمالات حله

كيف نزيل ذلك « الحاجز النفسي » ـ بتعبير المرحلة ـ بين المسلم ودنياه ؟ . تلك قضية أخرى ! ■■

خطأ النواة الوراثية

حدٌ فاصل بين الموت والحياة !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

ان خطا القيادات أمر لا يغتفر ، سواء كان ذلك على مستوى الجزيئات أو الخلايا أو البشر !

وطبيعي ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يدرك ـ عن عقل رزين ـ معنى الصواب والخطأ ، أو الخير والشر ، فيحاول أن يسلك الطريق الأول ـ طريق الخير والصواب ، ويتجنب ـ قدر الامكان ـ طريق الشر والخطأ وخطأ الفرد ينعكس عليه وحده ، لكن خطأ القائد او الحاكم في شئون الناس قد يوردهم موارد الهلاك ، وربما يؤثر هذا الخطأ على الجماعات لسنوات طوال ، وهذا ما نعرفه ونعانيه ونكابده في حياتنا المنظورة ، فصلاح الحاكم أو فساده ، لمن الدعامات القوية التي تؤثر على من حوله ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، لكن دعنا من كل هذا ، فأمره معروف ، ولنقدم هنا صورة رائعة من عالم غير منظور عالم الخلية بما حوت من قيادات مثيرة ، وجماهير جزيئية غفيرة ، لنرى كيف أن هذه العوالم الصغيرة قد تخطىء في حالات نادرة ، فتنعكس أخطاؤها على ما حولها ، فيكون المرض الذى لا مفر منه ولا مهرب !

من قديم الزمان ، عرف الانسان بعض الامراض التى لا تنفع معها حكمة الحكماء ، ولا طب الأطباء ، وقالوا عنها أنها قدر مكتوب ، أو هى من فعل قوى أسطورية لا قبل لأحد بالتصدى لها ، أو الاعتراض عليها !

فمن حيث أن هذا النوع من الأمراض « قدر مكتوب » ، فذلك فكر مقبول ، وما عداه فأمر مرفوض . لكن هذا القدر مسطر في الخلية ، رغم أن الأسباب قد تأتيها من داخلها أو من خارجها ، فتؤثر على ما كتب في « لوحها المحفوظ » ـ نعنى نواتها ، اذ هي بمثابة القيادة المشرعة لكل أمر ، والمعبرة عن كل حكم من الأحكام التي تنظم بها حياتها ، وحياة جماه الجزيئية !

هناك مثلا أمراض وراثية معروفة لكن الم عموما ناشىء من خطأ ، وقد يكون هذا الخطأ عضو فسيولوجيا او كيميائيا أو نفسيا أو ما شابة ذلك ، الممكن اصلاح معظم هذه الأخطاء بالعلاج والجر والدواء ، لكن الأمر يختلف مع الخطأ الوراثى ، نابع اساسا من خطأ القيادة الجزيئية في نواة الخل فخطأ حرف واحد في الشفرة الوراثية يعنى حدا فا بين الموت والحياة . ومن المعروف ان عدد حروف رموز الشفرة التى توجد في كل خلية من خلايا الا

الخريطة توضح نسبة توزيع الخطأ الوراثي المؤدي الى الانيميا الوراثية في إفريقيا وآسيا وأوربا

تقع في حدود ثمانية آلاف مليون شفرة !! ثم ان هذه الشفرات مسجلة على أشرطة كيميائية دقيقة .. الشريط الواحد قد يحمل عشرات ومئات الملايين من الشفرات المتراصة في نظام فريد ومع أن الغالبية العظمى من الناس تأتي الى الحياة بدون أمراض وراثية ، الا أن هناك نسبة ضئيلة تأتي بخطأ وحيد أو عدة أخطاء في تنظيم الشفرة ، فينعكس ذلك على مرض له ظواهر معروفة ، ولكي ندرك ماذا يعني هذا الخطأ في « كتاب » الخلية المكتوب ، كان لزاما علينا أن نقدم مثلا ومثلا ، ليتبين لنا كم هي مثيرة وعظيمة تلك الشرائع والسنن الوراثية التي تسيطر على دقة الحياة في الكائنات ، ثم هي توضح لنا بجلاء أننا كمن يفحص مجلدات ضخمة بحثا عن خطأ او أخطاء ربما تكون قد ظهرت في كتاب الكون المفتوح !

مرض وراثي غريب

علينا الآن أن نختار واحدا من أكثر الأمراض الوراثية انتشارا في القارة الافريقية عامة ، وفي بعض الدول العربية خاصة (ليبيا وأجزاء من الجزائر والسودان والمملكة العربية السعودية ودول الخليج ـ انظر الخريطة الدالة على ذلك شكل ١) ـ ومن أجل هذا كانت أهميته في هذه الدراسة

والمرض الوراثي الذي نحن بصدده يصيب كرات الدم الحمراء ، او بالتحديد يصيب فيها الجزيئات البروتينية العملاقة التي نعرفها باسم الهيموجلوبين ، وهي التي تعطي للدم لونه الأحمر المميز صحيح أن هذا المرض الدموي كان ينتشر بين السود في القارة الافريقية منذ آلاف السنين ، ثم انتقل الى الدول المجاورة نتيجة للهجرة واختلاط الأنساب ، وانتقل الى امريكا الشمالية مع تجارة الرقيق ، الا أن أسبابه لم تكن معروفة تماما ، كل ما كان معروفا أن نسبة لا بأس بها من الأطفال والبالغين (من كلا الجنسين) كانت تموت به في سن مبكرة ، بعد ان تمر بأزمة مرضية قد تستمر عدة أيام ، وفيها يكابد الانسان الحمى وآلاما غير محتملة في العظام والبطن والمفاصل ، وقد يلفظ في النهاية أنفاسه

في عام ١٩١٠ بدأت دراسة هذه الحالة الغريبة ، فاتضح انها حالة شاذة من الانيميا (أو فقر الدم) ، وفيها تظهر كرات الدم الحمراء تحت عدسات الميكروسكوب وهي اشبه ما تكون بالمنجل او الهلال ، في حين أن الخلايا العادية تظهر كروية أضف الى ذلك أن عدد كرات الدم في المصابين كانت أقل بكثير من عددها عند الأصحاء

وبعد سنوات أخرى ظهر أن العيب كله يكمن في جزيئات الهيموجلوبين ، اذ من المعروف أن تلك الجزيئات هي المكلفة بحمل الاوكسيجين من الرئتين ، والاحتفاظ به كوديعة ، ثم تتنازل عنه للخلايا التي تحتاجه ، وتعود لتشحن ، ثم تفرغ ، وهكذا لكن الغريب أن كرات الدم في الاشخاص المصابين ، تتحول الى اشكال هلالية ، أو أية اشكال اخرى غير سوية اذا ما نقص تركيز الاوكسيجين ، ثم اذا تشبع الدم بهذا الغاز الحيوى ، اكتسبت نفس شكل الكرات العادية ، وعاودت وظيفتها المعروفة

ولقد ظلت هذه الظاهرة الغريبة بدون تعليل عشرات السنين ، رغم أن لها ضحايا كثيرين وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين تطورت الوسائل العلمية وتشعبت ، ودخلنا بحق الى العصر الذهبي لاكتشاف شفرات الوراثة ، ومعرفة التركيب الدقيق لبعض الجزيئات البروتينية المعقدة ، اذ ان هذه البروتينات تشيد من أحماض أمينية متشابكة على حسب بروجرام محدد ومحفوظ في الاشرطة الوراثية وهذا ما سبق لنا أن تعرضنا له في دراسات سابقة المهم أن العلماء وضعوا جزيئات الهيموجلوبين على « منضدة التشريح » ، وشرحوها الى ٢٦ جزءا ، كل جزء يحتوى على سلسلة من الأحماض الامينية المتشابكة ، وبطرق علمية طويلة ومتقنة وعويصة ، استطاعوا أن « يقرأوا » ما تنطوى عليه كل سلسلة من احماض ، وطبيعي أنهم قارنوا بين الجزيئات العملاقة للهيموجلوبين السليم ، وبين الهيموجلوبين المعزول من الخلايا الدموية الشاذة ، فوجدوا أن ٢٥ سلسلة من ال ٢٦ سلسلة متشابهة المضمون تماما ، عدا سلسلة واحدة قصيرة ، فيها خطأ واحد صغير ، هو الذى جعل الجزيء العملاق غير كفء لرسالته ، وانعكس ذلك على شكل منجلي او هلالي تظهر به كرات الدم ، كلما نقص فيها تركيز الاوكسيجين

الحرف القاتل !

ولكي يتضح لنا المغزى الكامن وراء هذا الخطأ الطفيف ، كان لزاما علينا ان نتعرض سريعا لتكوين هذه البناية البروتينية الدقيقة التي تتوقف عليها حياتنا فجزيء الهيموجلوبين يتكون بالضبط من ٢٨٧ حامضا أمينيا منها ١٤١ حامضا تكون سلسلتين طويلتين تعرفان باسم السلسلتين (أ) ، و ١٤٦ حامضا تكون سلسلتين أطول قليلا وتعرفان باسم السلسلتين (ب) وترتبط هذه السلاسل الأربع في بناية هندسية متناسقة تدل على أن كل شيء فيها قد شيد بحساب ومقدار (شكل ٢) اذ لولا هذا التنظيم العجيب الذى يبدو على هيئة هندسة فراغية ، لما كان هناك من يكتب أو يقرأ .. اضف الى ذلك ان هذه البناية تحتوى على أربع مجموعات من الحديد ، وكل مجموعة منها تعرف باسم الهيم (heme) ، وتحتل مراكز استراتيجية محددة وهي التي تعطي للبروتين لونه الدموى المعروف !

الغريب أن هذا التنظيم المذهل في جزيء البروتين (والذى قد تمر عليه عيوننا مر الكرام) ، لم يجيء هكذا اعتباطا ، بل ان كل ذرة من العشرة آلاف ذرة التي تدخل في تكوينه تعرف موقعها ورسالتها ، كما أن هذا التخطيط الدقيق حدا قد هيأ للجزيء من أمره رشدا ، ليبدو وكأنما هو عضو أو آلة دقيقة متكاملة في تعامله مع الأوكسيجين ، فكما تعلو الرئتان وتهبطان مع كل شهيق وزفير ، كذلك يبدو هذا الجزيء المثير وكأنما هو يفعل الشيء ذاته فلقد اكتشف العلماء ان سلسلتين من سلاسله الأربعة تبتعدان وتقتربان ، او تمرحان وتضيقان كلما غاب الاوكسيجين او حضر ، اى ان هذا التكوين الفذ على مستواه الصغير جدا ، قد جاء لحكمة كبرى ، وما أكثر الحكم التى تغيب فى هذه العوالم الدقيقة عن عيون البشر !

يذكر دكتور م ف بيروتز استاذ ورئيس معمل البيولوجيا الجزيئية بجامعة كمبريدج ، والذى حصل على جائزة نوبل في الكيمياء الحيوية عام ١٩٦٢ بعد أن « قرأ » سلاسل هذا الجزيء كلمة كلمة ـ يذكر أنه اثناء قيامه بتحضير رسالة الدكتوراه في التكوين الدقيق لجزيء الهيموجلوبين عام ١٩٣٧ ، لم يطلب منه أستاذه أن يحل النظام المعقد الذى تتراص به الاحماض الامينية في الجزيء لأن ذلك قد يستنفد من عمره اكثر من ٢٥ عاما طوالا ، بل يكفي أن يقدم فقط الشكل او التصور العام الذى يمكن ان يوجد عليه هذا الجزيء بطرق تحليلية معقدة ، وهذا يوضح لنا مدى المجهودات المضنية التي تجابه العلماء وهم يتعرضون لأدق اسرار الحياة ممثلة جزيئاتها الأساسية

ولكي نوضح ذلك أكثر ، دعنا نتصور أن هناك فقرة من عدة سطور ، كل سطر يتكون من كلمات ، وكل كلمة من حروف ولنفرض ان زيدا من الناس كان في مطبعة ، وأنه قد جمع هذه الفقرة بحروفها وكلماتها وسطورها ـ تماما كما جاءته في النسخة الخطية ، ثم لنفرض أن الطابع قد فك حروف هذه الفقرة ونزعها من لوحتها الكائنة على المطبعة ، ثم وضعها في كوب اوكيس وهزها هزا ، وطلب منك ان تعيد جمعها بنفس الطريقة التى جمعها بها ، ودون أن يطلعك على الأصل في النسخة الخطية ، عندئذ قد تنظر اليه على أنه لاشك

سول ، اذ لايمكن أن تصل الى ذلك الا بعد أن تقوم عمليات تباديل وتوافيق بين الحروف تصل الى بلايين البلايين من المرات ، وقد يكون هناك احتمال في التوصل الى الترتيب الصحيح للحروف في كلمات ـ في سطور في فقرة مكتوبة ، وربما تقضي العمر كله ، دون ان تتوصل الى تنظيم الفقرة الصحيحة !

وكذلك يكون علماء الحياة أمام اللغة التي جاء بها جزيء الهيموجلوبين ، أو غيره من آلاف الأنواع من البروتينات التي تزخربها الخلية الحية . فهم لا يرون الجزيء ، ولا مضمونه ، حتى ولو استعانوا على ذلك بالميكروسكوبات الاليكترونية فكأنما هم هنا كالعميان أمام هذه الأسرار ، لكنهم مع ذلك قد استنبطوا وسائل علمية تحليلية معقدة ، ونحن لا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، فليس ذلك مجالها ، بل يكفي أن نذكر أنهم قد يعملون السنوات الطوال من أجل فك لغز الجزيء المعقد ، وكيفية تراص مئات الأحماض الأمينية بنظام مقدر من البداية ، لأن خطأ وحيدا في وضع حامض مكان حامض آخر ، قد يتمخض عن كارثة يعاني منها الكائن الحي العمر كله ، أو قد يختصر بها الحياة ، فينتقل بسببها الى رحمة مولاه !

ولقد توصل العلماء الى السبب الحقيقي الذي حول الكرة الدموية من شكلها الدائري ، الى شكلها الهلالي الذي يخذلها في أداء رسالتها ، فيأتيى الموت بسببها فالفرق بين الجزيء السليم والجزيء الخاطيء يتركز في حامض أميني وحيد من ال ٢٨٧ حامضا التي تكون جزيء الهيموجلوبين !

من الذى أخطأ ؟ !

وطبيعي أننا قد نخطيء أحيانا في الكتابة او الطبع ، وقد ندرك أخطاءنا ونصححها ، دون ان يؤدي ذلك الى كارثة في حياتنا العامة وقد يخطيء القادة مع شعوبهم ، والخطأ هنا أكبر ، لأن له تأثيرا سيئا على حياة الناس ، وقد تتصدى الشعوب الواعية لأخطاء القادة والحكام ، وقد تصحح ـ في الوقت المناسب ـ اخطاءهم ، وتعيدهم الى صوابهم ، فتسري بهم الحياة من خلال ديموقراطية صحيحة ، لكن هذا الأمر الخاطيء لا يتحقق داخل الخلية الحية ، ولا احد يستطيع اصلاحه ـ الآن على الأقل !

والواقع أن هذا الخطأ الوحيد القاتل في جزيء الهيموجلوبين ، ليس هو المسئول عنه على أية حال ، بل ان المسئولية كلها تقع على التشريع الذى سنته

التجسيد الحقيقي لجزيء الهيموجلوبين وفيه تظهر الهندسة الفراغية المتناسقة وطبيعي ان هذا الشكل مبسط ، وهو يوضح فقط كيف تتراكب السلاسل الامينية الاربعة في بناية حربئية معقدة لتصبح مهيئة لاداء رسالتها فاى خطأ في هذا النظام يؤدي الى مرض وراثي (راجع المقال)

« الحكومة المركزية » . نعني نواة الخلية ، أو بتحديد أكثر نقول ان الخطأ كامن في أحد الأشرطة الدقيقة التي تكمن عليها الشفرة الوراثية وهي ـ كما سبق أن ذكرنا ـ تصل الى حوالى ثمانية آلاف مليون شفرة ، ومن بين هذه البلايين تجيء شفرة واحدة خاطئة ، فتؤدى الى تكوين جزيء بروتيني خاطيء !

أي أن الخطأ هنا هو خطأ القيادة الوراثية في نواة الخلية !

لكن ماذا يعني هذا الخطأ حقا ؟

الواقع أن الحياة تستخدم في لغتها مركبات كيميائية اربعة لاغير ، وهذه نطلق عليها اسم أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين (نختصرها للتبسيط الى أ ، ث ، ج ، س) وهي متراصة في الاشرطة الوراثية ازواجا ازواجا ، بمعنى أن أ ترتبط مع ث في الشريط ، وكذلك

ترتبط ج مع س .. ومن تكرار وتبادل هذه الازواج في الاشرطة بنظام خاص ، تنتسج بلايين فوق بلايين من الشفرات التى لها معنى ، ولكى يخرج الأمر من هذه الاشرطة لبناء بروتين مثل الهيموجلوبين ، فانه يخرج على هيئة شفرة ثلاثية . فمثلا « أ أ ث » لها معنى يختلف عن « أ أ ج » ، أو « أ ث ج » ، أو « أ ج ث » . الخ ، فكل شفرة ثلاثية من هذه الشفرات تتعرف على حامض امينى من الأحماض العشرين التي تستخدمها الحياة في بناء بروتيناتها .. جزيء الهيموجلوبين مثلا يتكون من ٢٨٧ حامضا ، اذن فلابد من صدور الأمر على هيئة شريط مبعوث من القيادة يحمل ٨٦١ رمزا (اى ٢٨٧×٣=٨٦١) ولقد حدد العلماء هذا الخطأ ، وعرفوا ان الشفرة الثلاثية على الشريط الوراثي قد اصبحت س أ ث ، بدلا من ان تكون س ث ث ـ وهي الصحيحة اى ان الخطأ كله قد انصب في حرف « أ » (اى أديسين) بدلا من أن يكون ث (اى ثايمين) (راجع مقالتينا السابقتين على صفحات هذه المجلة بعنوان نحن نحن كتب مكتوبة « » ومطابع الحياة)

وطبيعي أن الجزيء الوراثي المبعوث قد حمل خطأ جزيئه الوراثي الباعث ، وطبيعي أيضا انه لا يستطيع له تحويرا ، ولافيه تغييرا ، وعندما يتوجه الى ساحة الخلية ليطبعه على آلات الطباعة الجزيئية (التي تعرف باسم الريبوسومات) ، فان الشفرة الثلاثية « س ا ث » تجمع الحامض الأمينى فالين ، بدلا من أن تجمع الحامض الأمينى « جلوتاميك » ، وبهذا يخرج جزيء الهيموجلوبين خاطئا في حامض واحد من ٢٨٧ حامضا ، نتيجة لحرف واحد خاطيء من ٨٦١ حرفا مسئولة عن تكوين هذا الجزيء الهام !

لكن .. كيف يؤدي هذا الخطأ البسيط بمعاييرنا نحن الى مثل هذه المأساة الوراثية ؟ لأن احلال حامض محل آخر يؤدي الى تفاعل فريد من نوعه بين جزيئات الهيموجلوبين الموجودة في كرة الدم الحمراء ، خاصة عند نقص تركيز الأوكسيجين فيها ، فينتج عن ذلك تكوين مركبات تشبه الخيوط المتصلة الحلزونية الدقيقة جدا ، وعندما تظهر داخل كرة الدم الحمراء ، تبدو وكأنما هي تشدها ، فتغير شكلها ، ويؤدي ذلك الى اصطيادها في الشعيرات الدموية الضيقة ، وفيها تتحطم ، وينتج عن ذلك هذا النوع من الانيميا او فقر الدم ، وبه تظهر اعراض المرض

هذا المثال الواقعي يوضح لنا بحق أننا نقف امام نظام دقيق مذهل ، ويبين ان هناك قدرا مكتوبا ، او كتابا مسطورا بلغة تؤلف مجلدا مثيرا يحتوى على بلايين المعلومات التي يجب أن تاتي صحيحة مائة بالمائة ، اذ أن الخطأ في رمز واحد يؤدي ـ كما رأينا ـ الى كارثة !

ولقد أمكن الآن السيطرة على هذا المرض ، ولكن في حدود معرفتنا الحالية ، اذ من الممكن مثلا ان يعيش به بعض المرضى ـ ربما لخمسين عاما ، وذلك بوضعهم في ظروف معيشية أحسن ، وتغذية أقوم ، وتجنيبهم الاصابات بالأمراض الميكروبية المعدية * التي قد تخفض ورود الاوكسيجين الى دمائهم الخ ، وطبيعي أننا لا نستطيع أن نغير في هذا القدر المكتوب ، أو نصلح خطأ القيادة في نواة الخلية ، أو أن نحدد موقع الجينة او المورثة التي سجلت فيها خطة تكوين الهيموجلوبين ، فهي تقع في مكان ما بين المائة ألف جينة التي تكون الجهاز الوراثي لكل خلية في الاساس كل هذا وغيره خارج عن قدرة العلماء ـ الآن على الاقل ، فليس معنى أننا نعرف تفاصيل الميكانيكية البيولوجية للأمراض الوراثية ـ ليس معناه اننا قادرون على اصلاح هذه الأخطاء المميتة ، حاصة اذا حدثت في القيادة الجزيئية للخلية !

اخطاء أخرى

ومنذ أن عرف العلماء كيف يقرأون « الف باء » لغة الحياة ، بدأوا في معرفة الأسباب المؤدية الى كثير من الأمراض التي كانت بمثابة لعز عويص في بداية القرن العشرين ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا الضيق المجال ، لكن يكفي ان نقدم مثلا ومثلا ، لندرك المزيد عن معنى الخطأ في هذه العوالم الدقيقة

فبعض ظواهر التخلف العقلي في الأطفال ناتجة عن خطأ واحد في عملية واحدة من سلسلة العمليات الكيميائية التي تشرف عليها الخمائر أو الانزيمات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة بعنوان « مفاتيح الحياة وأقفالها ») فهناك حامض أميني اسمه « فينايل آلانين » وهو واحد من الأحماض الامينية العشرين التي تكون « ألف باء » البروتينات لكن الأمر الوراثي هنا لا شأن له ببناء هذا الحامض مع غيره على هيئة بروتين كما كان الحال في

* عدا ميكروب الملاريا فمن الغريب ان الذين يصابون بهذا النوع من الأنيميا لهم مقاومة أكبر للملاريا عن غير المصابين بها ، وكأنما النقمة تنبع منها الرحمة « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

الـ رجلوبين ، بل يتناوله في سلسلة من التفاعـلات ، ـلـه الى مركبـات اخـرى محـورة نحتاجهـا داخـل ـامنا

والواقع أن لهذا الحامض خط تشغيل مقـدر داخـل الخلايا . فلكي يتحول المركب أ مثلا الى المركب هـ ، كان لابد ان يمر بالمراحل ب ، ج ، د ، ولكل مرحلة انزيمها الخاص بها ، فلو توقف الانزيم الخاص بالعملية ج مثلا ، فان المركب ب سوف يتراكم ، وعنده تتوقف كل العمليات التي تليه في خط التشغيل

وهذا ما يحدث بالضبط للحامض الأميني « فينايل آلانين » فهنك انزيم يحولـه الى مركب أخـر اسمـه « تيروسين » ، وللتيروسين انزيم آخر يحولـه الى مركب ثالـث اسمـــه حامض « هومـوجنتيسيك اسيد » Homogentisic acid ولابـد أن يأتـي انـزيم ثالـث ورابع وخامس الخ ليحوله الى مركبات اخرى على خط التشغيل الخلوي في خطوات مقدرة تقديرا مضبوطا ، وسر ظهور التخلف العقلي عند الأطفال هو توقف اول خطوة في العملية اي تحويل الحامض الأميني فينايل آلانين الى تيروسـين ، وعندئـذ يزيد تركيز الأول عن حدوده المرسومـة ، فيؤثـر على خلايا المخ ، خاصــة في الشهور الأولى بعد الولادة ، ويعتقد بعض العلماء أيضا ان لهذا الحامض « المركون » بعض تحـولات كيميائية جانبية ، وان الناتج منها يوجد بتركيزات جد ضئيلـة ، بحيث تؤثـر على خلايا المخ أيضـا ، وتسبـب التخلف العقلي ومن حسـن الحـظ ان هذا الحـامض ومخلفاتـه الجانبية تظهر في بول الطفل بعد اسابيع او أشهر من ولادته ، وانه يمكن الكشف عليها بسهولة ، فان ظهرت ، دل ذلك على ان الجينة المورثة المسئولة عن انتاج الانزيم المكلف بتحويل الحامض بها عطب ، ومن ثم يمكن تلافي ظاهرة التخلف العقلي منذ البداية بعلاج معروف عنـد الاطباء المعالجين ، ويستمر العلاج حتى العام الخامس او السادس من عمر الوليد ، حيث يكون الجهاز العصبي قد وصل الى اكتمال نموه وتكوينه

وثمة مرض وراثي آخر يظهر في الخطوة الثانية من هذه السلسلة من التفاعلات التي تحكمها الانزيمـات ، اي ان الخطوة الاولى تتم بكفاءة ، وفيها يتحول حامض فينايل آلانين الى تيروسـين ، لكن التيروسـين لا يجـد الأنزيم أو المفتاح الكيميائي الذي « يفتحه » ويحوله الى مادة اسمها ميلانين ، وهذه المادة هي المسئولة عن صبغة البشرة والعينـين والشعـر بالوانهـا المعروفــة ، فاذا لم تتكون ، ظهرت على الانسان ظاهرة « المهق » (او عدو الشمس ـ كما يجري على لسان العامة) وعندئـذ لا يستطيع ان يتحمل أشعة الشمس على بشرته او عينيه ، لان هذه الصبغة هامـة جدا في حمـاية البشرة من اثـر الأشعة التدميري (انظر دراستنا الخاصة بهذا الموضوع على صفحات « العربي » بعنوان « اعداء الشـمس من الحيوان والبشر » ـ سبتمبر ١٩٧٨ ـ العدد ٢٣٨)

والخطأ في هذه العملية واقع على جينة ـ او اكثر ـ من الجهاز الوراثي ، لأن الانزيم او الانزيمات المسئولة عن هذا التحويل الهام هي صنيعة الجينات في المقـام الاول ، فاذا توقفت او اعطت امرا خاطئـا ، لتـكوين انزيم خاطيء ، فلا تنتظر للأمهق خيرا

وهناك مرض خطير قد يظهر في الخطوة الثالثة من هذه العملية اي عند تحويل التيروسـين الى حامض الهوموجنتيسيك الذي سبق اليه الاشارة ، اذ لابـد من وجد انزيم ليقوم بتحويل هذا المركب الى المركب الذي يليه ، فاذا غاب الانزيم ، فغيابه يعني خطأ جديدا في القيادة المركزية للخلية ، ويعني اكثر ان تتجمع نواتج التحويل وتتراكم ، وعندئذ تترسب في أماكن محددة من الجسم ، فتتلون الأدمان مثلا بلون ازرق أسود ، وكذلك بياض العينين ، ومقدمة الأنف ، وكل نسيج غضروفي قريب من البشرة يظهر ايضا بهذا اللون الغريب ، ولو تعرض الانسان المصاب بهـذا الخطـأ الوراثـي لأشعـة الشمس لعدة ساعات ، فان بوله يتحول الى لون أسود أزرق ، وقد يترسـب هذا الحـامض (اى الهومـو) في غضاريف المفاصل ، فيسبب فيها التهابا حادا

والأمثلة بعـد ذلك بالمئـات منهـا مثـلا النـزف الدموى ، وهو نتيجة حتمية لغياب أو خطأ في تكوين انزيم واحد من الانزيمات المسئولة عن تجلط الدم عـند حدوث الجروح ، وقد ينزف المريض حتى الموت

وطبيعـي ان الحياة تحـاول ذاتها ان تتخطـى هذه الأخطاء ـ خاصة اذا كانت خطيرة ، فتعطـى الفرصـة للأصحاء ، ولا تعطيها لذوى الأخطاء فلا تتيح لهـم مثلا فرص الحياة او الانجاب ورغم ان هذا التشريع الطبيعي في ظاهره النقمة ، الا انه ينطوى على الرحمة رحمة بالنوع لا بالفرد ، فالأفراد زائلون ، والنوع باق ما شاء له ربه أن يبقى .

وحمدا لله ان معظمنا قد جاء الى الحياة « بكتـب » كيميائية صحيحة ، وشفرات وراثية سليمة ، وقيادات لا عوج فيها ولا أخطاء وطوبى للأصحاء ، وندعـو بالرحمة لذوى الأخطاء فلا ذنب لهم فيما ورثوا ، انما الذنب ذنب الآباء الذين لم يرجعوا للأطباء قبل الزواج ، لمعرفـة ما خطـه القـدر في « كتبهـم المكتوبــة » من أخطاء !

■■

الاسكندرية ـ د عبد المحسن صالح

ثلاث
لغات

وأنا..
أرى أن..
حجازي

قضايا حيوية

تعقيب من يوجوسلافيا :

نعم.. العقل والدين اثنان !

بقلم : حسين جوزو

تحت عنوان « هل هما اثنان » ناقش الدكتور زكي نجيب محمود ، في العربي (عدد ابريل رقم ٢٥٧) موضوع العلاقة بين العقل والدين ، مستشهدا ببيت من الشعر لابي العلاء المعرى يقول فيه

اثنان اهل الارض ، ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

ومما قاله الكاتب ان لابي العلاء المعرى من التصورات ما أقف إزاءها متسائلا احقا قال المعرى ذلك ؟ ومصدر تساؤلي هو الخطأ الواضح الذى اراه مما يبعد به عن ان يكون من اقوال المعرى صاحب البصيرة النافذة وأمثلة ذلك بيت الشعر المشهور الذى ينسب اليه والذى يضاد فيه بين العقل والدين الى الحد الذى يفصل عنده . بين رجل يحتكم الى عقله وآخر يحتكم الى دينه كأنما هما رجلان لا يلتقيان ؟

انني اوافق كل الموافقة الدكتور زكي نجيب محمود فيما ذهب اليه من انه لا تضاد ولا منافاة بين العقل والدين ، وان حقيقة الامر الواقع ليست قسمة الطرفين - اعني العقل والدين - بين اهل الارض ، بحيث اذا ظفر احدهم بنصيبه من العقل ضاع عليه نصيبه من الدين او العكس ، بل الصواب هو ان هذين الطرفين مهما يكن بينهما من تباين في الجوهر وفي المنهج فهما يلتقيان معا في كل فرد من الناس ، فكل انسان عقل ودين معا وهما في الواقع جانبان يشكلان قوام كل انسان

ان الذى أؤاخذه على الدكتور زكي نجيب محمود هو قوله بان ابا العلاء المعرى اخطأ في البيت المذكور عندما فصل بين العقل والدين ، وقسم اهل الارض الى متدينين لا عقل لهم والى عقليين لا دين لهم

ويقيني ان الخطأ ليس في مضمون البيت المذكور وانما هو في فهمه ان ابا العلاء المعرى لم يقصد من البيت ان يقول ان العقل والدين ضدان لا يجتمعان وان في طبيعتهما التضاد والمنافاة الحقيقة ان المعرى لم يقصد اظهار وابراز ما بين الدين والعلم من التضاد لان هذا التضاد غير موجود وانما كان غرضه الاساسي وغايته الوحيدة تصوير الحالة القائمة في عصره وفي معظم العصور الاخرى وهذه الحالة لم تكن نتيجة حتمية لما بين الدين والعقل من اختلاف وتضاد في جوهرهما ، وانما كانت نتيجة لسلوك الناس وموقفهم ونوع علاقتهم بهما وسوء فهمهم لهما واساءة استعمالهما

دور الدراويش

ولا شك ان المعرى ادرك بثاقب رأيه وببصيرته النافذة ان الناس يخطئون في فهم الدين والعلم ، ومن

هذا الخطأ نشأت فكرة التفرقة بين الدين والعلم ، وبرزت هذه الفكرة الخاطئة بين المسلمين اما جهلا بحقيقة التكاليف الدينية واما انحرافا مقصودا لتشوية دين الله وصرف الناس عن الالتزام ، واما مجاراة وتقليدا لقوم قصروا معنى الدين على ما يريدون ـ على حد قول الاستاذ الشيخ شلتوت

ومن هنا ـ يضيف الشيخ محمود شلتوت ـ قر في تصور كثير من الناس ان الدين باحكامه وارشاداته شيء وان العلم بمقتضياته وشئونه شيء آخر ، وصرنا نسمع في المسئلة الواحدة ان رأى الدين كذا ورأى العلم كذا !!

ومما زاد الامر بلة تغلغل وتسلل الخرافات والخزعبلات خلال عصور الانحطاط والتأخر في معتقدات الناس وعلى وجه الخصوص عن طريق الطرق الصوفية وجهلاء الدراويش ، الذين انشغلوا بالكرامات والامور الخارقة المنسوبة الى الاولياء والصالحين ، وغير ذلك مما ملأ كتب التصوف فنجد مثلا في كتب الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربي انه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام وأتى له بكتابه « فصوص الحكم » وقال له خذ هذا الكتاب وانشره لينتفع الناس به وذكر في كتابه « الفتوحات المكية » ان اباه اخبره عن تاريخ يوم وفاته ، وقد توفي في اليوم المذكور كما اخبر ويقولون ومنهم بعض علماء الازهر ان من كرامات سيدنا احمد البدوى الذى دفن في طنطا بمصر حيث يوجد جامعه المشهور ، احياء الاموات وتحويل الشعير مثلا الى القمح وبالعكس وهناك أمثلة لا تعد ولا تحصى وهي اكثر غرابة وضلالة ومن اراد المزيد فعليه مراجعة كتاب . مجموع فتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية وخصوصا فيما يتعلق بأولياء الرحمن واولياء الشيطان

وللناظر الى هذه الحالة عذر فيما اذا ذهب الى تقسيم الناس الى متدينين لا يعتمدون على العقل والعلم ، والى علمائيين لا يعتمدون على الدين وهذا ـ على ما يبدو لي ـ ما فعله ابو العلاء المعرى وما قرره في البيت المذكور الذى نحن بصدد شرح وبيان معناه

ومن الثابت ان الاسلام لا يعرف هذه التفرقة ولا يقرها ، انه جمع بين الدين والعلم وجعل من اهدافه الرئيسية اقامة التوازن بينهما ، اعني بذلك التوازن بين الفضيلة والمعرفة وبين القلب والعقل وبين الروح والجسم وبين القيم الروحية والقيم المادية وبين الآخرة والدنيا

جاء الاسلام وقد توفرت الظروف لقيام العقل بدور اكثر فعالية ، فحدد القرآن دوره ورفع من شأنه ومكنه بل فرض عليه النظر في آيات الآفاق والأنفس (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ـ فصلت ٥٣) وفي القرآن اكثر من سبعمائة آية تذكر العلم بمناسبات مختلفة وتحث على النظر في الكون لان الكون من آيات الله التي تدل على وجوده وتتجلى فيه صفاته من الخلق والقدرة والعلم والارادة (كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف فخلقت الخلق ـ حديث قدسي وقد فضل الله ادم (الانسان) على الملائكة للعلم وجعله خليفة له في الارض وسخر له كل ما في السماوات والارض وما بينهما (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة البقرة ٣٠)

هل يلتقيان ؟

والمعلوم ان بالاسلام انتهى دور المعجزات والخوارق ، وبدأ دور العقل والعلم ان في اختلاف الليل والنهار وفي خلق السماوات والارض لآيات لاولى الالباب والواقع ان آيات الكون تشكل معجزة اشد تأثيرا واكبر تعقيدا من اية خارقة من الخوارق الميتافيزقية

وان كان الاسلام قد رفع من شأن العقل واطلق له حريته واناط به ادراك آيات الكون وآيات القرآن فانه حدد دوره ودائرة اختصاصاته وامكانياته فيجب علينا ان لا نبالغ في قدرة العقل وان لا نتجاوز امكانياته ودائرة اختصاصاته

ان في كل شيء وفي كل ظاهرة في الكون جانبين ، ظاهر وباطن . فالظاهر هو الذى يمكن ان نلمسه بحواسنا والباطن هو الذى ترشد اليه وتهدى حواسنا ولكن لا تدرك جوهره وحقيقته لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه والانسان يحكم بالظواهر والله يعلم السرائر فلا بد من التوفيق بين هذين الجانبين لانهما ـ لا اقول كما قال الدكتور زكي نجيب محمود قوام كل انسان وانما اقول انهما قوام كل وجود . ففي كل وجود دين وعقل وايمان وعلم ، اعني جانبا يختص به الايمان واخر يختص به العلم .والذى اراه ان انكار احد الجانبين يحول بلا شك دون الوصول الى معرفة الحقيقة . والواقع ان تاريخ البشرية لم يخل من هذا الانكار الذي كان عقبة قوية في سبيل تطور حياة الانسان وتحقيق سعادته وعلى هذا

قضايا حيوية

يمكن ان نقسم التاريخ الى فترة دين بلا علم وفترة علم بلا دين

وقد انقضت فترة الدين بلا علم ونحن الان نعيش فترة العلم بلا دين فهل يا ترى تتجه البشرية الى فترة التوفيق بين العلم والدين ؟ ، وهو ما يرمي اليه ويستهدفه الاسلام ؟

الذي يبدو ان هناك بوادر تدل على ان هذه الفترة اخذت تظهر علاماتها وانها على وشك التحقيق

ولا يسعني هنا الا ان اذكر بهذه المناسبة ان مصير رباعياه عمر الخيام مثل مصير البيت المذكور لأبي العلاء ، لا يعبر بها صاحبها عن آرائه ومعتقداته وانما يصور لنا سلوك وعادات ومعتقدات الناس وهذا الفهم الخاطيء دفع بعض الباحثين الى القول بان هذه الرباعيات موضوعة ومدسوسة لم يقل بها عمر الخيام ■■

من عمان :

الاستهلاك السرطاني استعمار جديد ..

بقلم : ابراهيم السمان *

لا تقتصر تنمية أي مجتمع على الخطط الرامية الى رفع مستواه الحياتي عن طريق زيادة دخل الفرد فهذا جانب من جوانب عديدة يجب على الانسان مراعاتها وتنفيذها فكل مجتمع يضع قدمه على طريق التنمية مطالب بتوجيه خطواته كلها الى الامام فلا يسمح بأي تراجع مهما كانت نسبته كأن يخطو خطوتين الى الأمام ثم يرجع خطوة الى الخلف . والتراجع يتخذ اوضاعا واشكالا عديدة قد لا تنحصر في تعثر العملية التنموية سواء في التخطيط او التنفيذ فنجاح العملية التنموية يعتمد الى حد كبير على الجوانب الذهنية والنفسية والحضارية التي يعيشها المجتمع فالعمل التنموي بحاجة الى الفكر الحضاري ولذلك يجب أن تقوم أي عملية تنموية على قاعدة فكرية تستهدف تنظيم حياة الفرد من الداخل والخارج نريد الانسان ان يفكر بعقلية تنموية كما يفكر بعقلية علمية ، فتدخل فلسفة التنمية في حياته بجميع اجزائها ولعل أقرب مثل أسوقه بهذه المناسبة على المشاكل الخطيرة التي تهدد التنمية في عقر دارها ايما كانت هو الاستهلاك وابادر على الفور فأقول الاستهلاك السرطاني ، اذا جاز هذا التعبير او التشبيه وهو الاستهلاك الذي تتمرد خليته كالخلية السرطانية فلا يعرف الحدود ولا السدود

والاستهلاك ، هو احدث انواع الاستعمار المعاصر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى استعمار الدول المتقدمة الغنية الدول الفقيرة النامية فبعد ان كانت الدول الكبرى تستعمر الدول والشعوب الصغيرة بجيوشها اصبحت في عصر التكنولوجيا تستعمرها

* وكيل وزارة الاعلام المساعد بالحكومة الاردنية

دواتها وآلاتها فتستنزف عن طريق تسويقها
لقد استعبد الاستهلاك السرطاني مواطن
امية فعدا الفرد عبدا لكل ما هو جديد
امي غير المتمي الى فكر تموي راسخ صار
سه بنفسه وكان الدولة المتقدمة قد وضعت
المواطن جهاز استعمار ذاتي تلقائي كالقبلة
المواطن النامي رهن نفسه سفسه عند الدولة
صدرة

هلاك السرطاني الاعمى هو اعظم اسباب
وازن الاقتصادي في الدول النامية وهو
ير الواسع الذي يسيل معه هدرا اي جهد
ل سواء على الصعيد الرسمي او الاهلي في
ن شيء من التمية وسد الهوة السحيقة
يه وبين الدول التي سقته

مشكلة كل شخص

فق العلاء العالمي والمحلي في معظم الدول
هرتان خطيرتان هما اجور اليد العاملة ،
لجون على الاستهلاك واقصد استهلاك
او بالاحرى كماليات الكماليات فقد
خول الكبيرة مصاريف اكبر استوعبتها
صحيح أن المواطن النامي اصبح يعيش في
، مريح في ظاهره ، ولكنه ليس من صنعه
ن هذا المواطن يعيش في الظاهر حياة ممتعة
ور حضارية ، ولكنها حياة محفوفة بالمخاطر
سر والتخلف الاجتماعي المتربصة بالمجتمع
لاضافة الى الهدر الكبير الذي يصيب الاقتصاد
دلك المجتمع النامي دون أي مردود ايجابي
ساك عملية التخريب النفسي التي يزرعها
. في نفس المواطن الذي اصبح هدفه الاول
أن يملأ منزله بما هو ليس ضروريا لحياته من
، الدول المتقدمة هذا في الوقت الذي نجد
ن تلك الدولة محروما وطنيا من التمتع بتلك
ت صارت حياة المواطن النامي معرضا
الاستهلاكية تستنفد قوته وقوته في قطاعات

الحياة كافة . واصبحت نظرته محدودة الهدف لا تتعدى
أنفه ومن المحزن والمفزع في آن واحد أن بعض
المجتمعات النامية وربما معظمها صار يعتمد حتى في
اهم عناصر حياته التي تحفظ بقاءه على غيره خبزه
مثلا واكثر الناس في هذه الدول اهملوا الزراعة
وغادروا الارض ليتسمروا في مكتب بوظيفة اية
وظيفة وحتى اصحاب المهارات من ذوي الايدي
العاملة جعلوا الاستهلاك هو الهدف ولا شك ان
الاستهلاك السرطاني قد لعب دورا كبيرا خطيرا في
زيادة الغلاء وان نظرة موضوعية علاجية سريعة الى
وضع المواطن النامي المستهلك ستعود عليه بفائدة كبيرة
وتعيد اليه رشده الاقتصادي ففي امكان الانسان ان
يستغني عن قدر كبير قد تصل نسبته الى اكثر من
خمسين في المئة مما يعتبره ضروريا مما يأكل او يشرب او
يلبس او يسكن او يتحرك به

على أن الأمر ليس مرتبطا كله بالدول لانها لا
تستطيع ان تقيم مراقبا على كل مواطن فيها وان انجع
وسيلة لاستئصال سرطان الاستهلاك هو التخطيط
السليم الشخصي في ضوء واقع كل انسان وظروف
المجتمع الذي يعيش فيه فمعظم الناس في الدول
النامية يدخلون (السوبرماركت) دون اي تخطيط
مسبق لما يريدون شراءه . اي لما يحتاجونه فعلا انهم
يتركون الأمر لمعروضات السوق ، وغير خافية ، بطبيعة
الحال ، آثار المغريات الموجودة هناك على جيوبهم وبالتالي
على اقتصاد بلدهم ولعل اول وسيلة لمعالجة الاستهلاك
السرطاني قبل استفحاله هي ان يعرف المواطن ما
يريد يشتري ما يحتاج لا ما يرغب وان يقيم ستارا
حديديا بينه وبين التقليد الاعمى المدمر والجري وراء
اوهام وسراب الاستهلاك ولعل شيئا من سوء الظن
بالناس والايام معا مفيد في هذه الحالة فالانسان يجب ان
يفرض اسوأ الاحتمالات في الحياة وانا لا أقصد بدعوتي
هذه الى نشر التشاؤم وعدم الثقة بين الناس وانما اريد
ان ينظر الانسان الى الحياة بحلوها ومرها . ابيضها
واسودها ، نهارها وليلها . أريد النظر الى الأمور بعين
الواقع ووزنها في موازينها الصحيحة المواطن في
الدول النامية مطالب بحسن التمييز بين (حاجته)
و (رغبته) ■■

من دمشق :

هل نحن حقاً شعب لا يقرأ ؟

بقلم : عيسى فتوح *

لماذا عزف الناس عن قراءة الكتب الجادة ، ذات المضمون الفكري والأدبي الرائع ، الى قراءة المجلات الخفيفة والمسلية ، وهي الحافلة بالصور المغرية ، والتعليقات الخاطفة ، بدلا من الجمل الرصينة ، والأسلوب الأدبي الرفيع الذي كان الكتاب قبل نصف قرن يتبارون في تجويده وصقله ، ويتنافسون على تنقيته وتقويمه ، فتأتي أعمالهم في النتيجة غاية في الروعة ، وآية في الابداع

لقد كان شبابنا حتى عهد ليس بعيدا يبحثون بلهفة عارمة عن كتب الزيات والمنفلوطي والرافعي وطه حسين والعقاد والمازني وسلامه موسى وأحمد أمين ومارون عبود وميخائيل نعيمة كنا نقرأها بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع ، نتلذذ بعباراتها المتينة ، ولغتها المصقولة ، وجملها المرصوفة ، يستهوينا بيانها المشرق وفكرها العميق

أما اليوم فقد طغت على الكتابة النثرية موجة الحداثة ، فاجتاحتها كما اجتاحت الشعر من قبل ، وصرنا كثيرا ما نقرأ جملا مفككة ركيكة مهلهلة النسج ، تفتقر في جملة ما تفتقر الى المنطق الصحيح ، والتركيب اللغوي السليم ، ولذلك غمضت واستحال فهمها ، وبدت مضطربة قلقة ، لأن أصحابها يقلدون تقليدا أعمى أسلوب سعيد عقل ، وأنسي الحاج ، وشوقي أبو شقرا وغيرهم ممن ظنوا أنهم يطورون الكتابة العربية ويحدثونها بهذه الأساليب الملتوية العرجاء !

ان قراءة الصحف والمجلات لا يمكن أن تعني بحال من الأحوال عن قراءة الكتب الأدبية ، لأن بعض الكتاب الكبار يحجمون عن الكتابة فيها ، ويؤثرون التعبير عن أفكارهم وخواطرهم في كتب مطبوعة مستقلة ، يمكن حفظها ووضعها في رفوف ، والرجوع إليها في كل وقت ، ولا تستهويهم المجلات بكل أناقتها وألوانها وصورها الجذابة

والمجلة أيضا لا يمكن أن تنافس الكتاب أو تحل محله في المكتبة الخاصة ، فالقارىء الأصيل يظل يفضل الكتاب ، لأنه نبع فياض ، ومائدة فنية لأفكار الكاتب ، يمكن أن نختار منها ما لذ وطاب ، ونعيش معها في شبه نزهة ممتعة لا أجمل ولا أحلى ولذلك نتسابق الى شرائه واقتنائه وتجليده وحفظه ، والحرص عليه كقطعة فنية نفيسة ، نضن بها ولا نعيرها الا لأخلص الأصدقاء ، وأقرب المقربين

---

* أمين سر جمعية النقد العربي في اتحاد الكتاب العرب بدمشق

حدثني صديق عاد من بلغاريا مؤخرا أنه رأى أمام احدى المكتبات صفا طويلا كصف الجند ، يشتري أحد الكتب التي صدرت حديثا ، وكان الثلج يهمي على رؤوسهم ، والبرد يكاد يجمد الدماء في العروق ، ولذلك تنفد طبعة الكتاب عندهم خلال أيام قليلة ، علما بأن الطبعة الواحدة تتراوح بين الخمسين والمئة ألف نسخة ، في حين أن اتحاد الكتاب العرب ووزارة الثقافة لا تزيد مطبوعاتها عن الألفين للشعر والقصة ، والخمسة الاف لكتب الأطفال ، والعشرة آلاف لكتب المختار من التراث ، وهو أعلى رقم قياسي وصلت اليه وزارة الثقافة عشرة آلاف نسخة لثمانية ملايين أو أكثر من الناس (✱) . فلنتصور !

محنة التكوين الثقافي

ونتساءل بعد هذا لماذا لا نقرأ ؟ هل نحن شعب لا يقرأ فعلا ، كما اكد الدكتور عيسى الناعوري في احدى مقالاته التي نشرها في مجلة « الأديب » اللبنانية قبل بضع سنوات ؟ هل تزداد نسبة الأمية ، والأمية الثقافية نوع خاص ، سنة بعد سنة كما أكد الأستاذ سميح عيسى في كتابه « على طريق محو الأمية في سورية » ؟ هل للأحداث والصراعات المؤلمة التي تشهدها المنطقة العربية كلها هذه الأيام علاقة بذلك ، فتجعلنا نلصق آذاننا بأجهزة الراديو ، ونسمر أعيننا بشاشات التلفزيون فقط ؟

ان مشكلة العزوف عن القراءة ترتد في رأيي الى تكويننا الثقافي منذ الطفولة ، فأكثر أطفالنا لا يتعاملون في بيوتهم مع الكتاب أو المجلة أو الجريدة ، وقليلون هم الآباء الذين يصطحبون أطفالهم أو أولادهم الى المكتبات ليختاروا لهم الكتب الجميلة والمفيدة ؟ أو يهدوهم اياها في المناسبات ، كالأعياد أو أثناء التفوق والنجاح الباهر بل كثيرا ما يفضل الطفل دراجة أو لعبة أو أرجوحة على الكتاب ، لأن معلمه لم يخلق بينه وبين الكتاب ألفة ومودة ، ولم يغره به ويبين له محاسن القراءة وأثرها في تكوين فكره ، وبناء شخصيته ، واغناء ثقافته

اذا اعتاد الطفل على القراءة في سن مبكرة ، ظلت هذه العادة ترافقه حتى الشيخوخة ، وصارت جزءا لا يتجزأ منه ، واستحالت أخيرا الى هواية نافعة ممتعة تأسره وترافقه في كل وقت ، قبل النوم ، وبعد الطعام وعند اليقظة في الصباح ، فلكل دقيقة من العمر ثمن ينبغي أن لا نفرط بها أو نضيعها سدى

ليست القراءة ترفا ، بل هي عمل شاق ، وجهد فكري مكثف لا يقل عن الجهد الذي يبذله الانسان في الكتابة ، لذلك لا يجوز أن نقرأ للتسلية وقتل الوقت وملء الفراغ ، بل يجب أن نقرأ بمنتهى الجدية والاهتمام ونعرف كيف نختار الكتاب الشائق المفيد الذي يغني الفكر ويثريه ، وتترك قراءته أثرا عميقا في النفس لا يزول بعد اغلاقه يجب أن نمحص وندقق ونغربل ما قرأناه ، ونطرح على أنفسنا هذا السؤال ما الفائدة التي جنيناها من قراءة هذا الكتاب أو ذاك الذي أنفقنا فيه الساعات الطويلة ؟ هل استطاعت قراءته أن تضيف شيئا جديدا الى ثروتنا الفكرية أو الأدبية أو اللفظية ؟ هل استطاع هذا الكتاب أن يوسع آفاقنا ، ويفتح أعيننا على عوالم جديدة أو مجهولة ؟ هل استطاع أن يحرك أعماقنا ، ويوقظ فيها الشعور بالغبطة والارتياح ، ويهذب طباعنا ، ويعدل من تهورنا ، ويكبح من جماح تطرفنا ، ويرشدنا الى الحق والخير والجمال ؟

من هنا تنبع أهمية القراءة الواعية الهادفة ، فاذا لم تستطع أن ترقى بنا وتسمو ، فلا فائدة من الساعات العديدة التي أمضيناها فيها ، وكانت فعلا اضاعة للوقت وهدرا للجهد ، ومن هنا ايضا تنبع مسؤولية الكاتب الأصيل الذي يجب أن يدرك مدى خطورة ما يخطه قلمه ، وأن الكلمة التي يكتبها لا تبقى له ، بل للجماهير تقدسها وترفعها شعارا لها ، أو تدوسها وتلعن كاتبها لأنها كانت هدامة وغير مسؤولة ■■

✱ مفترض ان الكتاب العربي يوزع محليا فقط !

من حلب :

قبرس بالسين لا بالصاد !

بقلم : الدكتور محمد التونجي

توالى ورود كلمة « قبرس » في كتابات الباحثين والمؤرخين العرب بالصاد « قبرص » ، وصوابها بالسين كما ذكرت وكنت كلما حاولت أن أنوه إلى هذا الخطأ اللفظي شغلتني أمور حتى وقع بصري في العدد (٢٥٢) من مجلة « العربي » على عنوان مقال قيم وهو « فتح قبرص في عصر المماليك » عندئذ عزمت على الشرح الكامل لهذه السين التي تحولت إلى صاد خطأ في القرن الأخير

فالمعروف أن الساميين ، ولا سيما الفينيقيين احتكروا التجارة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وغدت كلمة كنعان ـ بكسر الكاف وسكون النون ـ تعني « التاجر » قبل الميلاد .

وأخذ الفينيقيون ينشئون محطات على طول ساحل البحر الشمالي والجنوبي ، وعلى شواطيء الجزر التي كانت تعترض مسيرتهم البحرية .

وبلغت مراكزهم ذروة النشاط في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد ، عندما أسسوا بعض المستعمرات البحرية مثل قادس في إسبانية ، وأوتيكاو لدة وصبراتة وأوية وقرطاجة على ساحل تونس وليبيا (لوبية آنئذ) وأطلقوا على هذه المحطات أسماء سامية فينيقية ـ

قادس معناها الجدار ، وهي أقصى مدينة في إسبانية على المحيط الأطلسي .

ترسيسيوس بلاد كان الفينيقيون يقصدون إليها في طلب المعادن الثمينة ، وهي في لغتهم بمعنى المنجم أو الزبرجد وتقع على المحيط الأطلسي ، وكانت تدعى « ترشيش » وما زال في لبنان ـ منطقة المتن ـ قرية حتى اليوم تدعى « ترشيش » ، فيها آثار قديمة

برشلونة من كلمة « البرق »

ملاقة معناها الدكان أو المعمل الصغير

ماجو في اليونان بمعنى (المجن) .

ساموس جزيرة في الأرخبيل اليوناني ، مأخوذة من

الشمس لأن الشين فى الفينيقية يقابلها السين بالعربية ، وكذا العكس

كريت . مشتقة من (كارت) أى القطع والقرط وأخذها الفرس من العرب فقالوا للسكين كارد

مالطة كان أكثر أهلها من الفينيقيين - كما يقول المؤرخ تيودوروس - ، وما زالوا كذلك حتى اليوم وقد حط فيها الفينيقيون فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ثم فتحها العرب فى القرن التاسع الميلادى ، وتركوا فيها آثارهم اللغوية حتى اليوم وقد سماها الفينيقيون بمعنى الهرب و Malot بالعبرية بمعنى هرب ونجا ، وهي كذلك فى السريانية ول « ملط » بالعربية معان مجازية تدنو من هذا المعنى

وسبب هذه التسمية أن الفينيقيين ما كانوا يسمحون لأية سفينة أن تلحقهم وتكتشف مراكز تجارتهم ومناجمهم ومقالعهم من الجزر والشواطيء فكانوا إذا أحسوا بأن إحدى السفن الغريبة تتعقبهم هربوا (ملطوا) إلى تلك الجزيرة ويصل الأمر بهم إلى تحطيم السفينة وإغراقها ، ويقبضون من ملكهم كامل قيمتها

أوروبة تحكي الأساطير أن الاله « زيوس » اختطف « أوروبة » الجميلة ابنة الملك الفينيقي « أجينور » من مرج الساحل السورى بعد أن هربت إلى « كريت » ، وتزوجها هناك واستقرا فى البلاد التي سميت « أوروبة » باسمها . ومع أن ما ذكرناه أسطورة فانها تدل دلالة قاطعة على سيطرة الفينيقيين الساميين على البحر المتوسط ومع أن هذا البحر حتى مطلع الاسلام كان يسمى « بحر الروم » فانه كان بحيرة فينيقية عدة قرون من الزمان

قبرص سبب تسميتها بهذا الاسم أن الفينيقيين اكتشفوا فيها مناجم عظيمة للنحاس والنحاس الأصفر فى العربية والفينيقية والعبرية هو الصفر ، وينطق بالعبرية Chivre وبعد أن اشتدت سيطرة اليونان على البحر أبقوا اسم هذه الجزيرة « صفر » ، واضافوا Us فى نهايتها علامة التنوين اليونانية والرومانية ومن عجب أن العرب لفظوا كل الأسماء بالسين حسب النطق اليوناني مثل طرابلس و نابلس و جرابلس و طرطوس وحين وصلوا إلى « قبرص » لفظوها خطأ بالصاد

وهكذا تحول اسم « الصفر » فى اليونانية إلى Cypress ، ثم سماها اللاتين Cypruss ، وعنها أخذ الانكليز فقالوا Cypruss ، أما الفرنسيون فلفظوها Chypre أما كيف تحول الحرف الأول من صاد إلى قاف ، فان العرب بعد أن صدروا كلمة « صفر » إلى الغرب عادوا فاستوردوها - ومثل هذا كثير فى تاريخ الألفاظ - وبما أن الحرف « C » يلفظ كافا حينا وسينا حينا فى اللغات اللاتينية فان العرب حديثا لفظوها بالقاف أخت الكاف ، وقالوا « قبرص »

وقد تنبه العرب قديما إلى أن الكلمة يجب أن تنطق بالسين ، فسجلوها فى كتبهم بالسين فالطبري فى تاريخه ذكرها تسع مرات فى أربع مجلدات بالسين ولم يذكرها بالقاف مطلقا . وابن منظور أوردها فى « لسان العرب » فى مادة « قبرس » وقال . « القبرسي من النحاس أجوده والقزويني فى كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » ذكرها بالسين كذلك أما ياقوت فى « معجم البلدان » فقد حدد تهجئتها فقال . « قبرس . بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء ، وسين مهملة » . ويقول « وافقت من العربية : النحاس الجيد » . ■■

من الولايات المتحدة الامريكية :

بين حضارة غربية وواقع مرفوض ..

بقلم : الدكتور مصطفى شعبان*

كتب كثيرون على صفحات العربي وغيرها عن مشكلة ضياع التراث العربي وقضية التعريب والخوف من الهلاك (عددى ٢٣١ و ٢٣٤) ومما قيل في هذا الصدد انا غارقون في تقليد الغرب وانجاح مخطط غربي لهدم التراث العربي واذا نحن لم نتصد لهؤلاء المغربين هلكنا لا محالة ولا بد لنا من ان نرد بصراحة على عدة اسئلة جوهرية ربما نصل الى اجابات معقولة لمشكلة العربي المحصور بين حضارة غربية لا يستسيغها وحاضر عربي مريض يقض مضجعه من هذه الأسئلة مثلا هل هناك فعلا « هجوم مخطط على تراث الامة العربية » بقصد تغريبها ؟ من المسئول عن هذا التغريب او التخريب ؟ هل ننقل الحضارة ام ننقل الاخلاقيات والقيم وبعض القشور ؟ ثم الى اين المفر ؟

أولا لا اعتقد ان هناك عربيا يعرف عروبته وينكر ان هناك مخططا للقضاء على الحضارة العربية والاسلامية خاصة لخلافات تاريخية وحاجات اقتصادية واستراتيجية وسياسية فلا احد ينسى مذابح محاكم التفتيش الاسبانية ولا الحروب الصليبية ولعل زيارة اللورد اللنبي لقبر صلاح الدين وقوله « لقد رجعنا يا صلاح الدين » كفاية عن سرد التاريخ وحاجة الغرب لتفتيت العرب واضحة وما خلق وتشجيع اسرائيل والخلافات القطرية والانقلابات والاغتيالات الا جزءا منها هذه هي الحرب فهل قاتلنا ؟

ثانيا ان المسئول الاول عن الهزيمة او على الاقل التراجع هم « المثقفون » من اول القيادات « ثورية كانت او رجعية » الى حملة الدرجات العلمية والكتاب والشعراء

ان بعض القيادات حركها مركب النقص الى تقليد الغرب فاذا كان الغرب لا يلبس الجلباب - مثلا - فيجب علينا خلعه ، واذا كان الغرب قد فصل نظام الحكم عن كنيسة جاهلة في عصور الظلمات فلا بد لنا كما فعل كمال اتاتورك ان نحطم شعائر الاسلام ولم يقرأوا التاريخ ولم يعلموا ان الغرب يعاني اليوم من فراغ اخلاقي خطير نتيجة تحطيم القيم الدينية كان

* الاستاذ بمعهد فرجينيا التكنولوجي

يكفي هؤلاء وهؤلاء الاطلاع على بعض الاحصائيات معدل الانتحار في السويد التسمم الكحولي في بولندا ، مليون ونصف طفل غير شرعي للفتيات غير متزوجات في امريكا ، رسالة دكتوراه سنة ١٩٦٣ تقول ان ٥٦٪ من المتزوجات في امريكا يمارسن الجنس مع غير ازواجهن ، ٦٠٪ من بنات الجامعات هنا يعترن المعاشرة دون زواج ليست اثما . وغير هذا كثير

ليس بالدين وحده

القيادات الرجعية رأت في الدين الكتب الصفراء « ومن سي قديمه تاه » دون تحليل او تحديد تشاءب الناس قتلهم الملل ولكنهم مصرون

وحملة الدرجات العلمية تائهون بين مستعرب اعجمي الفكر وبين مستعرب يجهل عروبته الا من عصم الله وقليل ما هم . يترجمون للناس ما حفظوه من الغرب الذي يحسبون انه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو ينقلون اليهم اقاويل الكتب الصفراء

ثالثا ان كثرة كثيرة من مثقفي عالمنا يخلطون بين الحضارة وبين اخلاقيات بعض الشعوب فالهنافس مثلا ليسوا مرحلة او شكلا حضاريا ولكنهم ظهروا كرد فعل معاكس لأخلاقيات المجتمع المحافظة ولسياسة الحكومة في فيتنام وسوء توزيع الدخل والاحتكارات وانقياد الطبقة المتوسطة في خدمة رأس المال دون مبادىء وتقليد العربي للهنفس الامريكي دون فهم لفلسفته السياسية سفه تعلمه من وسائل اعلام جاهلة تنقل له الصورة دون المضمون ويقدمون لنا فتاتا من كلام وطبخات مجة علينا ان نرددها ونفهمها على انها « حضارة » الغرب والواقع ايضا ان كل حضارة تمر بمراحل نمو من الطفولة الى الشيخوخة ثم الموت واذا كانت

هناك حضارة كاليابان واخرى يافعة مثل المانيا وثالثة شاخت مثل انجلترا فلا يجوز لنا ان نستخدم جزءا غير مقبول من اخلاقيات هذه او تلك ونسميه حضارة الغرب وتقول ان نقل حضارة الغرب هلاك

ان مستوى الانتاج الاقتصادي وطريقة توزيع هذا الانتاج بين العمال واصحاب الارض واصحاب رأس المال ثم النظام الاجتماعي الذي ينشأ عن كل ذلك ليس الا وجها من وجوه الحضارة و « التركيب الاقتصادي » بهذا المعني يؤثر تأثيرا واضحا في اخلاقيات المجتمع اللهم الا اذا شذبت هذه النوازع عن طريق الدين او الترابط الاسري

وخلاصة القول هنا ان الدين ليس وحده الذي يصنع اخلاقيات الشعوب انما هناك عناصر البيئة الاسرية خاصة والاجتماعية عامة ثم الضغوط الاقتصادية التي تؤثر في سلوك الافراد ويكفي في هذا الصدد ان اقول ان الرشوة والسرقة ظاهرتان اقتصاديتان وليستا استهتارا بالدين أو ناموس الجماعة ولذلك اوقف عمر بن الخطاب حد السرقة ايام المجاعة

سأل انفسنا ماذا نريد ؟ هل نريد ان نتقدم اقتصاديا واجتماعيا وروحيا بدون جهاد ؟ فريق ينقل لنا ويترجم ما ظنه حضارة الغرب وفريق يكلمنا بمهمهات لا يدري احد كنهها وفريق يرتل على اسماعنا ما فهمه رجال منذ ألف سنة ودسوه لنا في مخطوطات دون ما تخريج او شرح او تعديل ؟

هذه هي خلاصة « ازمة المثقفين » في بلادنا أو « مثقفي الازمة » ان شئت وستظل الازمة قائمة ما دام هناك فريق يخاف « التغريب » وفريق يرهب التعريب وفريق يستمع لكل اولئك وهؤلاء ولا يكاد يفهم ما يقولون ■■

الايـــــام

● الايام خمسة : يوم مفقود وهو امس ، ويوم مشهود وهو يومك الذى انت فيه ، ويوم مورود وهو غدك ويوم موعود وهو آخر ايامك من الدنيا ، ويوم ممدود وهو يوم القيامة.

● حل مسابقة العدد ٢٥٧ ●

أفقياً :

طاهر بن الحسين

رأسياً :

طريف بن مالك

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا) طاهر بن الحسين من كبار قوّاد المأمون عهد اليه بالقضاء على ثورة الخوارج في خراسان ، فأخمدها ، واستقل بأمره بعد ذلك وأغفل ذكر الخليفة في خطبة الجمعة اغتيل ، وخلفه أولاده في حكم خراسان طوال قرن تقريبا

(٨) رأسيا طريف بن مالك قائد عربي بربري الاصل أول من عزا الأندلس بأمر من موسى بن نصير في عهد الوليد وعاد غانما عام ٧١٠ ميلادية

الفائزون بالمسابقة

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها حبيب حسين المرادي ـ المصورية ـ الكويت

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها امين عبده سيف الحزمي ـ تعز / اليمن الشمالي

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها صائب جمال سليم ـ إربد / الاردن

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ ـ اوعزوز الوجدي ـ وجدة / المغرب .
٢ ـ ياسين محمد عبد اللطيف ـ صافيتا / سوريا .
٣ ـ احمد محمد قدورة ـ بيروت / لبنان
٤ ـ لطيف مجيد خورشيد ـ السليمانية / العراق
٥ ـ حسن عبد المطلب العلواني ـ الرياض / السعودية .
٦ ـ مصطفى عبد المجيد عبد الله ـ الخرطوم / السودان
٧ ـ مدحت علي محمد ـ القاهرة / مصر
٨ ـ عبد العزيز علي عبد الرحمن ـ الدوحة / قطر

قصة

بقلم : جمال الغيطاني

قبل اقتراب الظل من شجرة الكافور العتيقة ، قبل اذان الظهر ، افترشوا الارض بجوار الزرع ، جلسة ما بعد نضج المحصول ، يوم او يومان ثم يبدأ الجني بحت السلة من الىداوة التي تخفف الاوراق وتمتص اللون الاخضر ، تجعله كالقش ان عبد الموجود راض ، ينظر الى الولدين جابر الكبير وعبد العال الصغير ، ثم الى فروع النبات ، لم يتبق مجهود كبير قرقر الشاي في البراد . الصوت الوحيد في السكينة التي تتوسط النهار صوت سيارة ، انها سوداء ، تبطيء سرعتها تتوقف على الطريق الذي يعلو قليلا ، نزل ثلاثة ، لم يستطع تمييز ملامحهم . تلفتوا حولهم كأنهم يبحثون عن شيء ما مدوا أيديهم عند نزول المنحدر ، بدأ اولهم غير عابيء بالطين المبلول ، قال عبد الموجود لنفسه ، اللهم اجعله خيرا ، ظنهم من المباحث جاءوا للاستفسار عن شخص ما ، او ضلوا الطريق أولهم شاب في عمر عبد العال ، طويل يبدو انه من مصر السلام عليكم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته صافح بقلب مليء بالترحيب لم يبد وجلا من الاكف الخشنة ، بل انه قال ضاحكا ، ممكن نقعد ؟، قال عبد الموجود ياسلام تشرفونا يا بك ، تشربوا شاي ؟ قال الشاب اه والله ياعم الحاج سأل عن اسماء الكرماء الافاضل ، ثم سأل ، هل انتم اصحاب الارض ؟ ، قال عبد الموجود انهم مستأجرون ، الزرع زرعهم ، وحده هناك عند الساقية القديمة ، اربعة افدنة ، قال انه لا يستطيع تمييز الذرة من القمح ، رجاهم ان يعذروه ، هل هذه خضر ؟ ، قال عبد الموجود ان كل الاراضي في هذا الخط تزرع بالخضر لقربها من مصر ، هنا طماطم ، وبصل وبطاطس وباذنجان وقرب الجبل توجد الفواكه ، اما الارض هنا فكلها بسلة ، نعم سلة ، رشف الافندي الشاي من كوب الصاج الوحيد بنفس مفتوحة ، هذا ما يريده تماما ، هذا اللقاء الذي تم بدون ترتيب ، بدون ميعاد ، سيريحه تماما ، وربنا يعمل ما فيه خير الطرفين ، قال عبد الموجود انه الخير ، ولن يجيء الا الخير باذن الله ، ثم طلب من ابنه عبد العال الصغير ان يقطف بعض السلة للاساتذة . ضحك الافندي ، يبدو ان عم عبد الموجود يعرف ما جاء من اجله تماما ، قال انه موظف باحد الفنادق الحديثة في مصر فندق ضخم سيفتح ابوابه بعد سبعة ايام ، سيقدم الاكل لاكثر من الف شخص يوميا ، وعلى الرغم من ان مديرية واصحابه خواجات الا انهم يعرفون السوق وما يجري في السوق والاعيب المتعهدين ، قالوا ، لماذا اللف والدوران ، صاحب الزرع موجود ، والنقود موجودة وعربات النقل جاهزة ، والرجال الذين سيعبئون وينقلون موجودون في الفندق ، هز عبد الموجود رأسه آه خير ما عملوه ، تفكير سليم وتدبير تمام ، في هذه اللحظة وصل عبد العال الصغير ، مال ليضع البسلة بين يدي الافندية ، تفضلوا ، قال جابر ان هذه الحبات من الدرجة الاولى ، مليئة بالحب ، ومثل هذه لا يعرضها التاجر في السوق ابدا إنما يدخرها لمن يعرفون الاكل واصوله ، وكل شيء له ثمن لم تفت الملاحظة الافندي ، قال ان الفندق لا يهمه السعر بقدر ما تهمه

الجودة . انه فندق عالمي ، صمت عبد الموجود . التفت الى الاثنين الآخرين ، احدهما يمسك حقيبة سوداء مربعة لها يد طويلة من الجلد ، يبدو الثاني ساهيا ، بدا له الا يسترسل في التفاصيل العملية ، من الذوق ان يهتم بضيوفه الذين نزلوا عليه فجأة ، تساءل عما اذا كان الاستاذان يعملان ايضا في الفندق ؟ قال صاحب الحقيبة السوداء ، انه صاحب البنك فقط ولا يفهم في امور الفنادق . قال الثاني انه سائق العربة ، نعم .. في الفندق . اهلا وسهلا ، وهنا سأل جابر مفتتحا حديث البيع والشراء عن الكميات التي سيطلبها الفندق ، قال الافندي انه سيتم شراء المحصول كله ، ليس الآن فقط ، لكن في كل موسم ، الخضر طبعا ، قال عبد الموجود مقطبا عينيه الارض كلها من هذه الناحية لا تزرع الا الخضر . قال ان مصر كلها تأكل من هنا ، ومن اراضي الجهة الاخرى ، قال ان الارض قريبة من النيل ، وقريبة من الصحراء . اشار الى الجهة الشرقية لا يوجد عمار بعد البلدة ، اذا رمح الجمل في الصحراء يتوه فيها ولا يسعى أحد خلفه هز الافندي رأسه ، استحسن السائق مذاق البسلة ، طلب من عبد العال الصغير ان يجني للاسطى . قال الافندي ان هذا لا يمكن بسط عبد الموجود يده فوق صدره ، الهدية لا ترد ... ثم انها حاجة بسيطة ليدخل بها الاسطى على الاولاد ، تساءل الافندي عن سعر الكيلو ـ قال عبد الموجود انهم يبيعون بالجوال . الجوال ثمنه خمسة او ستة جنيهات ، سأل الافندي .. يعني الكيلو بكم نظر عبد العال الصغير الى والده ، قال ان الجوال فيه حوالي ستين او سبعين . صفر الافندي . نظر الى زميليه وكأنه ادرك حقيقة ظلت خفية عليه ، قال ان السعر في السوق ثلاثون قرشا ، والصنف الممتاز الذي يأكلون منه الآن لا يقل عن اربعين قرشا اذا وجد ، قال صاحب الحقيبة السوداء انه لا ينزل السوق ولا يعرف شيئا عن الاسعار ، « المدام » تشتري كل شيء بنفسها ، قال عبد الموجود ان المزارع كلها حولهم ، ليبحث بنفسه ، اذا وجد مثل هذه الحبات في الثمرة الواحدة . عندئذ يكون كلام آخر ، قام الافندي منهيا الجلسة . وقف السائق . وقف الافندي حامل الحقيبة السوداء المربعة ، قال انه لن يبحث ، لن يدور ويلف لانه دار ولف فعلا ، ان السعر هنا مناسب جدا والمحصول جيد جدا ، الاهم من ذلك كله ان قلبه مال الى الحاج ... الحاج .. عبد الموجود ، ان « اللوكاندة » وجدت ما تبحث عنه ، قدم جابر الكبير كيسا به حوالي ثلاثة كيلو جراطات الى السائق ، تساءل عبد العال الصغير بصوت جاد عن عنوان اللوكاندة في مصر ، بسط الافندي يديه مطمئنا ، قال انه سيجيء اليهم بنفسه خلال ايام .

سيحضر معه اكياسا خاصة لتعبئة المحصول ، يمكن اعتبار الاتفاق منتهيا ، سيدفع نقدا . لن يكلفهم الذهاب الى مصر لقبض الثمن . الدخول الى اللوكاندة صعب لانها في مكان بعيد اولا ، ولان الحراسة مفروضة حولها دائما ، كل ما عليهم ان يوقعوا الفواتير وايصالات الاستلام . قال عبد الموجود وفي تساؤله موافقة ، الن تصل النقود الى هنا ؟. اومأ الافندي ، اذن كما تشاء تمضي أنه يرجو من الله ان يعمل ما فيه الخير . لكن اليس من الواجب البقاء الى موعد الغذاء ؟ ابدوا اعتذارا ، ابدوا شكرهم ، تمنوا ان يجعله عامرا ، اقترب عبد العال من الافندى ، الا يمكن معرفة اليوم والميعاد حتى ينتظروهم ، قال الافندى انه لا يمكنه التحديد الآن ، لكنه لن يتأخر عن ثلاثة ايام . حاول عبد الموجود ان يصعد المنحدر وراءهم ، لكن الافندى اقسم ان يبقى كل في مكانه ، احتكت العجلات بالارض ، تضاءل الصوت تدريجيا حتى استقر الصمت ، بدا الامر مفاجئا حتى سأل عبد الموجود نفسه ، اهو حلم ام علم ؟ ما اسم اليوم ؟ الله الاثنين .. الاثنين شرح دائما . لكن عبد العال الصغير بدد سكون الظهيرة المشبع برائحة الزرع . ان قلبه يأكله ، الموضوع فيه ما فيه ، انه غير مطمئن لهؤلاء الافندية ، قال ابوه على العكس ، انه مطمئن تماما ، الافندى في منتهي الاخلاق والذوق ، كلامه واضح ، هل يكره الراحة من التعب والغلب ، تعبئة المحصول في اجولة ، الجرى هنا وهناك للاتفاق مع من يساوى ومن لا يساوي للمشاركة في استئجار عربة نقل ، نزول السوق في الليل والبرد يقص اطرافهم قصا ، ربما باعوا المحصول في ساعة ، ربما خاب السوق فيمضون ليلة او ليلتين ، ثم يبدأ انتظار المعلم ، لم يتحدثوا اليه مباشرة لم يروه الا من مسافة ، يجيء في عربة ويذهب في عربة ، يلف رأسه بشال حريرى ابيض . يمشي الرجال من امامه ومن خلفه ، احدهم يجيء اليهم بالفاتورة ، والنقود ، يأخذ لنفسه ما فيه النصيب ومن قبلة الواقف امام الميزان والرجل الذى اوجد لهم مكانا ليضعوا فيه المحصول ، هذا يأخذ وهذا يأخذ ، ثم يبدأ بحثهم عن طريقة للعودة من مصر ، قال عبد العال الصغير انه يعرف ذلك كله ، لكن قلبه غير مطمئن لهذا الافندى ، لماذا لم يعطه بعنوان اللوكاندة ؟ لن يصدق الا اذا رأى العربات قادمة ، والنقود في ايديهم ، قال جابر ان شكله يشبه ضباط المباحث ، انهم عادة يتظاهرون بالود ، صاح عبد الموجود متسائلا عما يمكن ان تهتم به المباحث هنا ، قال جابر ، ربما يبحثون عن قطعة سلاح .. او يستقصون السر شيء ما ، ضرب عبد الموجود يده

TUVW
JKLMN
efg
vip

بالارض ، يا اولاد . الافندى لم يطلب لنفسه شيئا شرب معهم الشاي بنفس مفتوحة صمتوا تصاعدت رائحة القش المحروق ثقلت الظهيرة ، لم تهتز الفروع والاوراق تحمدت شواشي الذرة مع ان امشير يودع ايامه الاخيرة ، في الليل ردد عبد الموجود انه سيستريح من السوق ، وظلم السوق ، وقرف السوق الذى اكل عمره مقدارا اثر مقدار لن يقترض من القريب والبعيد لينقل المحصول ، ولن يجر السلفيات من هذا وذاك ، انه لا يطمع في المزيد من النقود ، ما يريده الراحة والبعد عن وجع القلب ، في اليوم التالي ، قبل ان يصل ظل الشمس الى شجرة الكافور رفع رأسه متسائلا الم يأت الافندى في مثل هذه الساعة ؟ لم ينتظر ردا ، قام متحاملا على نفسه ، كتفه اليمين مرتفعة قليلا ، في مشيته عرج خفيف ، يصعد المنحدر ، يقف محدقا بالنصر الكليل ، يتدلى فكه الاسفل ، من يدرى ربما اضاعوا طريقهم ، المنطقة كلها متشابهة ، وهؤلاء افندية من مصر في اليوم التالي استعان بعصا من جريد النخيل لان الوقفة طالت بالامس ومفاصله تؤلمه ، فات الزمن الذى كان يرفع فيه « الفأس » ويهوى بها على الارض من طلوع الشمس وحتى غروبها ، في اليوم السابع ازداد تدلي فكه الاسفل قبل طلوعه هل ضرب سعرا مرتفعا ؟ هل بان عليه الطمع ؟ قال عبد العال انه لم يطمع وانه اظهر الكرم لكن ربما اتجه الى غيط اخر ، ربما كانوا يشغلون انفسهم اثناء سفر طويل لقد لمح ضحكة على وجه السائق ، لكن عبد الموجود لم يصغ بعد الفجر مشي في الندى الباكر إلى نقطه المرور أوصى الجاويش أن يدل العربة السوداء على الغيط ربما يتوقف الافندى ويسأل في منتصف الليل قام من نومه فرحا ، قال ان افندى غريبا لم يره من قبل جاءه ، قال انت عبد الموجود ؟ قال نعم يا سيد الكل قال الافندى ان اللوكاندة تأخرت والسبب عدم حضور الزبائن ، لكن الكلام ماش ، لن تتأخر اللوكاندة عنه اكثر مما تأخرت كاد عبد العال يبكي من الضيق وهو يشير الى حصاد الحب ، وفساد المحصول ، عندئذ يضيع ما وراءهم وما امامهم لن يطولوا عنب الشام ، او تين اليمن . عندما جاءت عربة النقل وراح السائق القادم من مصر يتعجل شحن المحصول اقترب منه وسأله عن عربة سوداء يركبها ثلاثة شبان ، ضحك السائق ، ضحك تطلع عبد الموجود الى جوف الليل ، ربما ظهرت عربة اللوكاندة ، يأخذون المحصول في اخر لحظة ، لم يرافق ولديه ، لاول مرة لا يصحبهم ، ربما جاء الافندى وسأل عنه ، لف على اهالي البلدة ، رجاهم باسم النبى ان يدلوا شابا يرتدى قميصا اسود سيجيء في عربة سوداء ومعه صاحبه الذي يمسك حقيبة سوداء حقيبة مربعة بالضبط مربعة ، ورجاهم ان يصفوا له الطريق الى الغيط ، ان يصفوا له شجرة الكافور العجوز ، اقدم شجرة في الخط كله ، الافندى من مصر ولا يعرف الناحية دار على الدكاكين الصغيرة مستفسرا عن عربة سوداء ، توقف امام رجال ، واعترض طريق نساء ، وطارد اطفالا صغارا ظن انهم يعرفون بمجيء الافندى لكنهم يخفون ذلك عنه وصاح زاعقا على كل سيارة تمرق فوق الطريق انه لا يصغي الى نزول الليل ، واخطار الطريق من تصدمه عربة لادية له ، انه يرفع عصا الجريد مهددا جابر الكبير وعبد العال الصغير ، يريدان ان يضيعا فرصة العمر ، الافندى قال انه سيجيء يعني سيجيء ، من يدرى ربما جاء مع الليل من سيقابله ليتفق معه ؟ ؟ ■■

القاهرة ـ جمال الغيطاني

استثمار الوقت

● قال سير سيدني سميث خبير الطب الشرعي المعروف وهو يتحدث عن فترة تقاعده عن العمل

ـ لقد وجدت انك قبل ان تتقاعد ، تتعهد لنفسك بانك ستفعل كل شيء بعد تقاعدك . ولكن جزءا كبيرا من وقتك يضيع في تأجيل هذه الاشياء . وفي النهاية تبتكر طريقة لتأجيل الاشياء تأخذ كل وقتك !

مقالات في كلمات

■ المستحيل يتحقق فيه كثير جدا من الحالات ، فيجعل الحياة اما سعيدة ، واما تعسة !

« وليام فيزر »

■ انني احب دائما ان استمع الى الرجل ، اي رجل ، وهو يتحدث عن نفسه ، بهذا وحده أضمن انني لن اسمع سوى الحلو من الحديث الذي لا يعكر مزاجي .

« ويل روجرز »

■ الدنيا كرة مستديرة . وهي هكذا حتى تتيح الفرصة للصداقة ان تدور معها وحولها !

« بيير تيلاردي شاردان »

■ ولد الانسان ليعيش ، لا من اجل أن يستعد للحياة !

« بوريس باسترناك »

■ الحكمة في ان نؤمن بما تقول به قلوبنا !

« جورج سانتايانا »

■ الكرم هو ان تعطي لغيرك ، ما انت في حاجة اليه فعلا !

« ماريان مور »

■ اي طبيب يمكن ان يصبح اخصائيا في امراض القلب ، كل ما هو مطلوب منه ان يحب الناس ، وان يخص انسانا معينا بحب خاص .

« د . رونالدجيبسون »

■ الانصات الى جانبي القضية ، يجعلك تؤمن بأن هناك اكثر من جانبين لهذه القضية .

« توماس مور »

■ لن تدرك ابدا مدى القوة التي تتمتع بها ذاكرتك الا عندما تحاول ان تنسى شيئا راسخا في ذهنك .

« القاضي هاردنج »

■ ليس هناك حقيقة اخاف ان ابوح بها ، او ان اخفيها عن العالم كله !

« توماس جيفرسون »

■ اكبر مآسي الحياة ان يموت شيء داخل الانسان ، وهو ما زال حيا !

« البرت شفايتزر »

لا تزال القرى البربرية التونسية، تحافظ على ملبسها التقليدي

تونس

دولة "الصمود" في مواجهة الغزو الحضاري

استطلاع يوسف الشهاب تصوير. فهد الكوح

احد سطوح المدينة القديمة في تونس، و (الى اليسار) يبدو مدخل جامع الحجام بالقيروان وهو

اذا حاولنا ان نستعرض دول « الصمود » في مواجهة الغزو الحضاري الغربي ، فلا بد ان تحتل تونس مقدمة هذه القائمة . ذلك انه من الحقائق المدهشة في تونس ، انه رغم ضغوط التغريب الشديدة التي تعرض لها ذلك الجزء من الوطن العربي ، فانه ظل ثابتا على تمسكه بالعديد من القيم الاصيلة ، التي تبدو شديدة الوضوح في العمارة التونسية

لقد اكتسبت تونس شخصيتها الاسلامية منذ دخلها الاسلام على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومنذ ذلك الحين تتابعت عليها عهود وعهود حتى عاشت حياة من الفوضى التي بثها الاعراب في اواخر ايام الدولة الحفصية ، واصبحت هدفا لتوسعات الدولة العثمانية من ناحية والمملكة الاسبانية من جانب آخر

ولم يتوقف هذا الصراع على تونس من جانب القوى الاجنبية التي نهبت البلاد ، بل ارادت القوى الأخرى ان تأخذ نصيبها وتجرب حظها في محاولة للقضاء على الطابع الاسلامي في تونس واحتلالها او تسخيرها لهم على اقل تقدير ـ جاءت فرنسا لتأخذ نصيبها مستخدمة العنف تارة واللين تارة اخرى ، لكنها عادت الى حيث جاءت حينما وجدت ان محاولاتها لم تجد شيئا

كانت مدينة القيروان هي بداية انطلاقتنا ، باعتبارها اول مدينة اسلامية بالمغرب العربي ، اما الذي بناها فهو « عقبة بن نافع الفهري » الذي جاء الى افريقيا عام ٧٦٠ م ، والقيروان لفظ فارسي دخيل في العربية وتعني « محط الجيش ومناخ القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب » ولعل اختيار موقعها البعيد عن الشاطيء يعود الى ان البيزنطيين يومئذ كانوا يحتلون الشواطيء ، وفي امد وجيز صارت القيروان قلعة حصينة كبرى انطلقت منها جيوش الفاتحين الى شمال افريقية تنقل معها الاسلام ولغة العرب التي جاء بها كتاب الله

ولقد عاشت القيروان فترة مد حضاري كبير وواسع وبلغ اوج حضارتها وتطورها في القرن التاسع الميلادي حين حكم الاغالبة وكذا الحال في القرن العاشر حيث الفاطميين لكن هذا الاشعاع الحضاري الذي بدأ بالقيروان لم يدم نوره فانطفأ فجأة عام ١٥٥٧ م وهي السنة التي ارسل الفاطميون جحافل الهلاليين على افريقية فخربوا القيروان انتقاما من ولاتها ذوي النزعة الاستقلالية المتطرفة في نظرهم وفقدت هذه المدينة مكانتها وحضارتها ، لكنها استطاعت ان تعيد شيئا من ماضيها الزاهر العريق

عالم ديني .. وهندسة بناء

وزائر القيروان ، يعود به الفكر الى الماضي الاسلامي وبقايا العصر الذهبي الذي عاشته المدينة في تلك الحقبة وهندسة البناء بالقيروان تبدو جلية واضحة تمترج فيها الظلال بالاضواء وتتجلى في دقة انسجام الأحجام خاصة عند تقابل الالوان البيضاء بالشهباء ، ولعل ثروة القيروان الفنية تبدو من خلال ما تحتويه من اثار قديمة عديدة وفي الجامع الاعظم الذي بناه عقبة بن نافع اول جامع اسلامي في الشمال الافريقي ، لقد كان بناء هذا الجامع في عام ٦٧٠ م واكثر ما يلفت نظر الزائر الى هذا الجامع هيكله العام بروعة ابعاده المحصنة وهي ابعاد تعيد الى اذهاننا تلك القمم الروحية والفنية في العالم ومنها جامع القيروان الذي تنبعث منه ايقاعات الاروقة وصحن الصلاة والمئذنة الشامخة الرائعة التي تعرف منها مواقيت الصلاة في كل المدينة حين يرتفع صوت المؤذن مناديا الله اكبر لتنطلق بعد ذلك اصوات الجوامع الاخرى تنادي مصليها للصلاة ايضا

وتتوسط ساحة جامع القيروان ، ساعة حجرية قديمة بنيت مع بناء الجامع ، والساعة عبارة عن قاعدة حجرية ثبت فوقها « قضيب » صغير يعرف به الوقت من خلال اتجاه ظل هذا القضيب ، كما توجد على سطح قاعدة الساعة الحجرية رسوم تدل على الجهات الاربع ومنها ايضا يعرف الاتجاه اذا ما اراد انسان ان يعرف وجهته ، ولا يزال استعمال هذه الساعة قائما رغم تعاقب السنين وظهور العديد من اصناف الساعات الحديثة التي زودت بها بيوت الله

حافظ البناء التونسي على اصالته القديمة دون ان يتأثر بزحف الحضارة والتطور ، والصورة الزخرفية لاحد الاحياء القديمة صنعتها بقيت صامدة رغم مرور الزمن

مشهد يمثل احد نماذج البناء في مدينة تورر
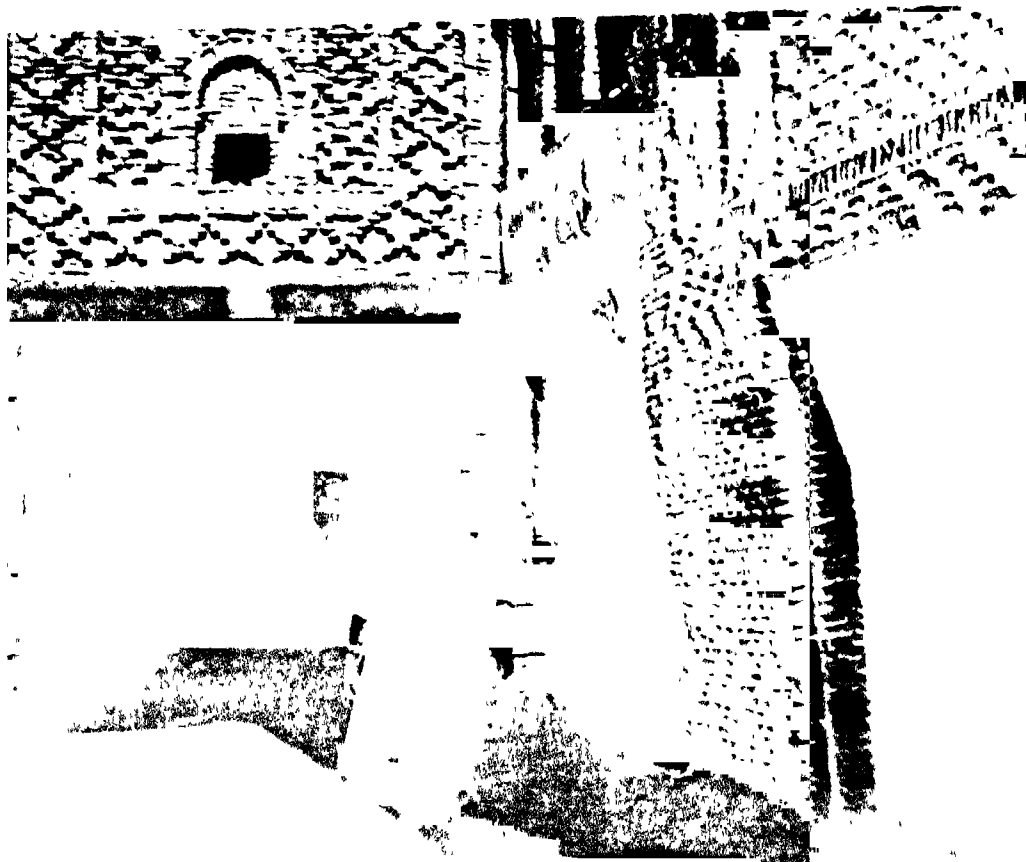
جامع الحمام حيث تبدو الاعمدة
المرمرية والنقوش الاسلامية القديمة

مواطنان في ملبسهم التقليدي بمدينة القيروان
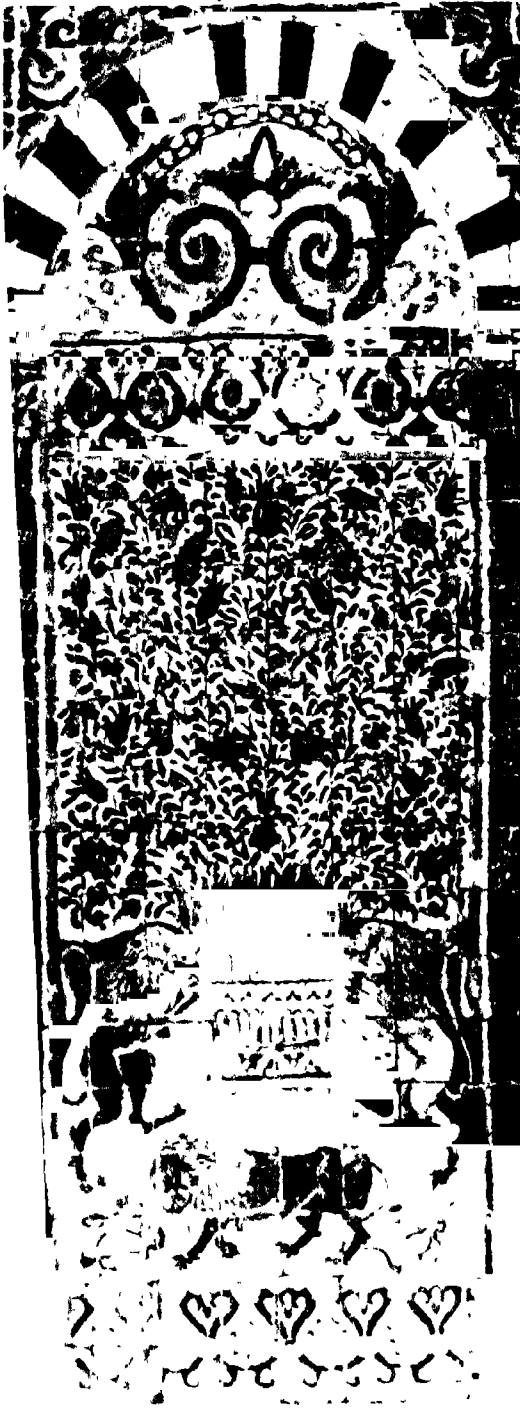
احدى اللوحات الزخرفية القديمة التي لا تزال تونس تحافظ عليها

ونتابع تجوالنا بالقيروان بين الفنون الاسلامية وبهاء رونقها كما اوجدها الفاتحون المسلمون خلال تاريخهم الطويل لنصل الى .. جامع الحجام . الذي دفن فيه الصحابي ابي زمعة البلوى ، احد رفاق رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واحد الذين شهدوا معه صلح الحديبية . ولقد اعيد بناء هذا الجامع في القرن ١٧ ، بشكل ظهر فيه الابداع الاسلامي الهندسي وتناسق الالوان والنقوش . ولمبنى الجامع ثلاثة افنية يختلف كل منها عن الآخر

فالزائر يبدأ جولته بسقيفة جيلة محاطة برواق من الاعمدة المرمرية المغطاة بصفائح من الخزف تعد ثروة من اندر الثروات الفنية الاسلامية

خشوع وسكينة

وسط هذا المناخ الروحاني والصمت الخاشع ، نمضي في تجوالنا الى صحن جامع المعظم حيث يزداد الخشوع ويسود الصمت فلا تسمع غير دعاء الزائرين حول ضريح ابي زمعة البلوى القابع في منتصف الصحن الصغير للجامع ـ والزيارة يومية لكل الزائرين لكن الدخول الى الصحن حيث الضريح ، لا يحق للاجانب زيارته ـ ولعل العناصر الزخرفية العديدة التي يحويها الجامع الاعظم كالمرمر المخرم والخزف والمحفورات والرسوم الخشبية وغيرها ، هي التي تجلب السياح اليها لانها تمثل حقيقة ما وصلت اليه الحضارة العربية الاسلامية بتونس من بهاء ورونق في بداية القرون الوسطى

واهالي القيروان يحرصون على احياء المناسبات الدينية . يساعدهم في ذلك المناخ الديني الذي يسود مدينتهم بوجود الجوامع القديمة التي شيدها الفاتحون في بداية قدومهم اليها ، ويحتل المولد النبوي الشريف مقدمة هده المناسبات بين اعياد المدينة ، اذ تغطي بيوت الله بالكثير من الوان الزينة التي تتلألأ خلال الليل ، كما تغطي الاسواق بالعديد من الزينة اجلالا وتقديرا للمناسبة ويخرج الناس الى الشوارع لاكل المقروض وهو نوع من الحلويات التي تشتهر بها القيروان تكون صناعته من « السميد » الممزوج مع التمر والعسل . وتشهد المدينة خلال هذا الاحتفال مواكب دينية وتجمعات بالمساجد تحيي ذكرى ميلاد خاتم انبياء والمرسلين

وربما تكون مدينة القيروان ، اهم المدن التونسية فيما يتناول جانب التوسع العمراني ، فقد ارادت هذه المدينة لنفسها ان تحافظ على معظم ملامح طابعها القديم فرفضت التوسع والثورة على ماضيها العمراني ، ولذا فان الانسان في القيروان يكتشف للوهلة الأولى هدوء المدينة المعتاد والحياة الزاخرة فيها في آن واحد ـ واكثر ما يلفت النظر بالقيروان تلك المقابر الفسيحة الاحادة حيث التي لا تزال تروى تاريخ المسلمين القديم جدا

رباط .. سوسة

الطريق بين تونس العاصمة ومدينة سوسة ، يتطلب منك السعي أكثر من ساعتين تقطعها السيارة بين اراض خضراء تنوعت فيها الفواكه والاشجار وسوسة ، لاتزال رغم تعاقب السنوات والدهور تحتفظ بطابعها الاسلامي القديم ، طابع الهندسة المعمارية وطريقة تشييد البناء فيها منذ القدم تمشيا لمتطلبات واحتياجات تلك العصور حيث كانت منطلق الفتوحات والغزوات الخارجية ، زرنا رباط سوسة واذا به بلغ من العمر عتيا ، ونسأل مرافقنا عن قصة هذا الرباط ويجيب ، لقد كان رباط سوسة من اقدم واهم البناءات العسكرية العربية في كافة مناطق شمال افريقيا ، واستطعنا ان نحافظ عليه نتيجة الاهتمام والعناية به ليبقى هكذا محافظا على مكانته وعراقة هندسته العمرانية ، اما رباط سوسة فانه يتألف من طابقين يمثل كل منهما غرفة تطل على الفناء الداخلي ، كما يضم قاعة كبرى للصلاة في الطابق العلوى ـ ولايزال ابناء سوسة يتوافدون يوميا على هذا الرباط لتأدية الصلاة فيه ، كما ان الزوار الا جانب يرتادونه يوميا لرؤية تلك الاثار التي خلفها القدماء

ويعود تاريخ مدينة سوسة الى القرن التاسع قبل الميلاد بنزول الفنيقيين الى ارض تونس وانشاء مستوطنات يقيمون فيها مراكزهم التجارية على الشواطىء فكانت سوسة هي واحدة ضمن تلك المراكز ، وشهدت المدينة الكثير من الاقوام الذين توافدوا عليها للدفاع عن انفسهم او للانطلاق منها للحرب ، ولعل ابرز تلك الاقوام الرومان الذين استولوا عليها ثم اعترافهم لها بالاستقلال حتى وصول « الفاندال » الذين احتلوها في النصف الاول من القرن الخامس الميلادى فبقوا فيها حوالى ٩٥ عاماً ـ ثم جاءها العرب بوصول الاغالبة الذين اعادوا بناء سور المدينة والجامع الكبير وقصر الرباط ومن ثم جاء الفاطميون بعد زوال دولة الاغالبة في نهاية القرن الثالث ، وبعدهم جاء « بنوزيرى » الذين دام حكمهم فيها من عام ٣٦٢ هـ الى ٥٥٥ هـ ، وتبعهم الموحدون فالحفصيون الى عام ١٥٣٥م حيث الفتح

في كل صباح تخرج المرأة التونسية في المناطق الريفية الى الحقل لتقف الى جانب الرجل في زراعة الحقول . والصورة لفتاة تونسية تحمل معها الماء في طريقها الى الحقل بزيها التقليدي . والصورة الثانية لامرأتين حملت كل منهما « قلة » الماء في طريقها الى العمل الزراعي

الاساسي لمدينة سوسة لكنهم لم يحققوا املهم لمقاومة اهلها لهم

ونعود مرة اخرى لسؤال مرافقنا عن دور رباط سوسة . ويقول لقد كان هذا الرباط قاعدة لفرق من المجاهدين النساك الذين انعزلوا عن الدنيا ومخالطة الناس وتفرغوا للدين والعبادة في هذا الرباط ويضيف . ولعل دور النساك لايقتصر على العبادة وحدها بل انه وصل الى دفاعهم عن السواحل وحراستها وكذلك في شن غزوات بحرية كانت نتائجها باهرة

وحينما تتجول في سوسة . فان الفن المعماري القديم يروي لك حكايا القدماء الذين توافدوا على المدينة . ولعل احتفاظ اهلها بهذه الهندسة الاسلامية القديمة ينبع من حبهم لها وتمسكهم فيها . فالطابع القديم واضح في هندسة المنازل والاسواق والاماكن العامة التي يرتادها ابناء سوسة

من قرية الى عاصمة

كان لانهيار مدينة قرطاجنة . في القرن الثاني قبل الميلاد اكبر الاثر في فتح الباب امام اهل تونس للحصول على حاجاتهم من المرمر والعمد والتيجان الجاهزة التي شيدوا بها بناء بلادهم على انقاض قرية صغيرة . لقد تحولت هذه القرية التي لم تكن بالحسبان الى عاصمة تعج بالسكان وتفوح منها روائح فنون الهندسة المعمارية القديمة يقول المؤرخ البكري ان دور مدينة تونس تحوي رخاما بديعا . لها لوحان قائمان فالعاصمة التونسية اذن هي استمرار لبقية المدن التاريخية الاخرى كالقيروان وسوسة وغيرها في هندستها الاسلامية وفي عاداتها وتقاليدها الموروثة منذ زمن طويل . طويل

زرنا المدينة القديمة من العاصمة التونسية . فاذا بها

يسيطر الطابع التقليدي على طبيعة المجالس الاجتماعية في تونس ، والصورة (العلوية) لاحداها . اما الصورة (الى اسفل) فتمثل مئذنة جامع الزيتونة ، و (الى اليسار) جانب من جامع رباط مدينة سوسة وتبدو متانة البناء القديم واصالته العريقة
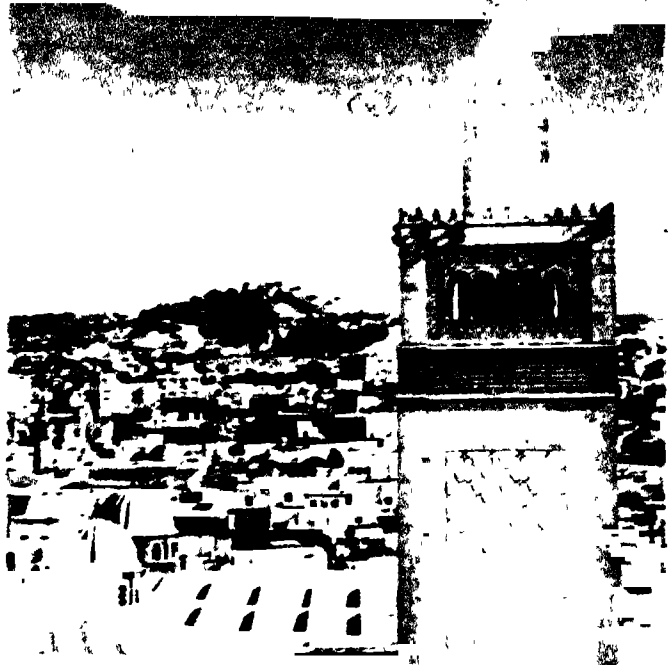
لاتزال حية تنبض فيها عروق الاقدمين بحضاراتهم التي طافوا بها انحاء المغرب العربي ، ان ماتحويه هذه المدينة اليوم يتمثل في معظم الروائع والحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة. لقد مضى على هذه التحف الهندسية الرائعة ردح طويل من الزمن يزيد على اثنى عشر قرنا ، وبرغم هذا العمر الطويل نرى اروقته لاتزال تجلب للحاضر حكايا القدماء وحضاراتهم

ان مدينة تونس القديمة نموذج طريف ومبدع للتخطيط العمراني الاسلامي في عصوره التاريخية الزاهية ، وحينما تتجول بين ربوع هذه المدينة وبين ازقتها يراودك حب البقاء بين تلك التحف الفنية باشكالها الرائعة والوانها البراقة التي جادت بها عبقرية القدماء فأبدعوا فيها واحاطوها برعايتهم وعنايتهم ، بل هي لاتزال تلقي هذه الرعاية من الجهات المسؤولة في بلاد تونس

في الحي القديم من المدينة القديمة ، يقع جامع الزيتونة شاسعا في امتداده رائعا في هندسته

قلنا للمشرف عليه ما قصة هذا الجامع ؟ فأجاب هو جامع وجامعة ويضيف ، ان مؤسسه هو الامير حسان ابن النعمان ثم الوالي عبد الله ابن الحجاب عام ٧٣٢ تقريبا ، ثم اعاد البناء محمد بن الاغلب حوالي عام ٨٤٠ ، وفي عهد الحفصيين ادخل التعليم فيه ليأخذ شكل الجامعة في القرن ١٣ ، ودرست فيه مواد الادب والتاريخ والفلسفة الدينية واللغوية ، ويستطرد محدثنا قائلا ، لقد كانت اول محاولة لاصلاح الجامع بالمرسوم الذى اصدره الباي احمد عام ١٨٤٢ القاضي بانتخاب ثلاثين عالما للتدريس فيه ، وفي عام ١٩٣٣ صدر المرسوم الخاص بتحويل جامع الزيتونة الى جامعة

وتتبع جامع الزيتونة مكتبة كبيرة ، متعددة الـ... والمخطوطات ، ويقال ان هذه المكتبة كانت تحـ... ٤٠,٠٠٠ الف مخطوط ، ثم اضيفت اليها مخطوطات ... ونفيسة لكن هذه النوادر نقلت الى الاماكن الاثـ... بالمدينة لتكون بين ايدى الباحثين وامام اعين الزوار

اكبر جامع

وجامع الزيتونة ، اكبر جوامع تونس ، تحيط به اسواق العطارين التي تفوح منها روائح العطر النادر وحين تتجول داخل هذا الجامع فانك ترى رونق الهندسة وتداخل الاشكال والخطوط اما مئذنته فهي مربعة الشكل رفعت في القرن الماضي ، ويعتبر جامع الزيتونة من اقدم الجوامع في المغرب العربي

ان الانطباع الذى يخرج به كل زائر الى تونس هو هذا الاعجاب الذى يغمر الانسان هناك ، الاعجاب بالجمال فيما تراه امامك من نقوش تغطي اسطح الحجارة وجمال الابواب وزخرفتها وانعكاس الالوان والاضواء على تلك المرافق الاسلامية التي خلفها القدماء في ارجاء تونس ، وهناك الاهتمام بالدين الاسلامي الذى يوليه المواطن التونسي كل اهتمامه ، والمذهب الفقهي السائد هناك هو المذهب المالكي ، كسائر معظم المناطق في الشمال الافريقي

هذه هي تونس بحضارتها الاسلامية ، وجلال جوامعها ، هي تحفة من تحف الاسلام النادرة ، وهي محط انظار السياح بما تحويه من نقوش وزخارف وجمال رائع ■■

يوسف الشهاب

كيف تسعد بالحياة ؟

لا تحاول ان تتجاهل المشاكل التي تصادفك في حياتك اليومية حتى تنعم بالسعادة !! اذا استطعت ان تقنع نفسك بان المتاعب التي تبدو وكأن من المستحيل التغلب عليها اليوم سوف تحل نفسها بنفسها غدا ، فقد نجحت في ان تسعد نفسك وتريح من حولك وتستريح !

« كبير أساقفة وستمنستر »

من ادب المغامرات

بحارة بانج اشجعان

بقلم الدكتور عبد الواحد لؤلؤه

(ريديارد كبلنج) انجليزي ولد في بومبي بالهند عام ١٨٦٥ حيث كان والده يعمل بتدريس الفنون الحرفية هناك ، ايام الوجود البريطاني في الهند عاد الى انجلترا وهو فتى ليلحق بمدرسة تعده للخدمات العامة اسمها (ويستورد هو) لكنه لم يكن سعيدا في تلك المدرسة ولا بابتعاده عن والديه فعاد الى الهند وبدأ يشتغل في الصحافة ، حتى بدأت سمعته تنمو بسبب القصص والحكايات التي كان ينشئها عن خبراته في تلك البلاد العجيبة التي تلهب خيال الاوربي والانجليزي وخاصة كانت كتابات « كبلنج » تعتمد الخبرة المباشرة حيث كان يرى في الهند عالما قائما بذاته يستهوي الصغار والكبار على حد سواء لذلك كانت تقاريره الصحفية وقصصه تنال اعجاب قراء الصحف الانجليزية في الهند وفي انجلترا معا

قضى الفتى الصحفي سبع سنين في الهند بين ١٨٨٢ ـ ١٨٨٩ يكتب عن الالوان الصارخة والوحش والادغال والبحر وعجائب المخلوقات لذلك قامت شهرته على « كتاب الادغال » بجزئيه اكثر مما قامت على ما كان يقرض من شعر اختلفت في قيمته الآراء وأحسب ان الرأي الذي ساد حينا فجعل من (كبلنج) شاعر الامبراطورية البريطانية ان هو الا رأي مبالغ فيه صحيح ان (كبلنج) يمثل الجو الفكري والسياسي الذي ساد في اواخر القرن الماضي وفي ذروة عز الامبراطورية البريطانية حمل من امثاله من الشباب الضعاف المجسوم عشاق قوة وسيطرة ، ودفعته الى الحديث عن (عبء الرجل الابيض) ولكنه في الواقع

كان رجلا افرط في محبة وطنه ، بسبب البعد فتحسم لديه الحس بعظمة منته وأهمية الدور الذي كانت تؤديه بريطانيا في حضارة العالم ولم يكن كبلنج وحيد عصره في ذلك الشعور ولكن الشهرة لا تطلق دائما لاسباب منطقية ولا عقلانية

نشر (كبلنج) كثيرا من القصص والروايات عن خبراته في الهند والبحار الجنوبية ورحلاته الاميركية ، تجمعت في كتب كثيرة نشرت بين ١٨٨٦ ـ ١٩٢٣ وفي عام ١٩٠٧ نال جائزة نوبل في الاداب وبعد الحرب العالمية الاولى تطوع للعمل في البحث عن جثث القتلى والمفقودين من الجيش البريطاني في اوربا وربما كان دافعه الاول في ذلك ان ابنه الوحيد قد قتل في تلك الحرب ، فزادت عليه وطأة المرض والشيخوخة كان (كبلنج) في اوائل القرن موضع تكريم وتقدير في عدد من الجامعات العالمية ، ومن جهات حكومية وادبية شتى كان يساهم كثيرا في الاعمال الخيرية وفي كل فعالية تتعلق بالحرب وما يتعلق بها من خدمات مما زاد على سمعته الادبية والصحفية وقد توفي بعد ان اشتد عليه المرض في عام ١٩٣٦

تعد رواية (البحارة الشجعان) في ادب المغامرات البحرية فقد نشرت عام ١٨٩٧ واشتهرت في الحال بين عشاق المغامرات وهواة قصص البحر التي تتحدث عن البطولات الفردية في اصطياد الاسماك من شواطيء الاطلنطي ، التي تعانق شمال شرق الولايات المتحدة والاطراف الجنوبية الشرقية من كندا ، التي تدعى (الشواطيء العظمى) حول (نيوفلاند) وتدور احداث الرواية في العقد الاخير من القرن الماضي قبل ان تبدأ تجارة صيد الاسماك بالقوارب البخارية والسفن الكبيرة .

الفتى المدلل

نلمس في هذه الرواية محبة (كبلنج) للقوة في شتى اشكالها ، وللمقدرة على ادارة الامور في الاوقات العصيبة ، سواء كان ذلك في تصرفات (ديسكوتروب) صاحب وقائد السفينة المسماة (نحن هنا) او في تصرفات المليونير الاميركي (جيني) وعرفانه بالجميل بعد ان اعاد له البحارة ابنه وكان يحسبه قد غرق في البحر

تدور احداث الرواية حول فتى مدلل ابن مليونير اميركي من كاليفورنيا اسمه (هارفي جيني) كان هذا الفتى على ظهر سفينة ركاب سريعة اقلعت من نيويورك في طريقها الى اوربا ، ولكن (هارفي) ، اصابه دوار البحر بشكل شديد ، ولم يكن يعي ما حدث له اذ دفعت به موجة ضربت السفينة والقت به في عرض البحر وتشاء الصدف ان يكون على مقربة من السفينة المضطربة زورق صيد انتشل الفتى وحمله الى سفينة الصيد الكبرى ذات الاسم العجيب (نحن هنا)

لم يبد السرور على وجه (ديسكوتروب) صاحب السفينة وقائدها ، ولكنه قال للفتى انه سيدفع له عشرة دولارات مع الاقامة على السفينة على ان يساعد في الاعمال طوال الاشهر التي تجرى فيها عمليات الصيد بين اوائل الصيف واوائل الخريف حتى تبلغ السفينة ميناء جلوستر على الطرف الشمالي الشرقي في ولاية (ماساشوستس) الاميركية ولكن الفتى المدلل لم يعجبه ذلك الكرم من بحار خشن لا عهد له بعيش اصحاب الملايين فأصر ان يحمل الى ميناء نيويورك في الحال ، قائلا ان والده المليونير سيدفع لصاحب سفينة الصيد ما يشاء من مال ولما رفض البحار ان يضيع عليه موسم الصيد وما ينتظر من ارباح ، بدأ الفتى يغلظ في القول والاهانة حتى لحمته لكمة على ارنبة انفه لقنته درسا لن ينساه ما عاش

وكان على سفينة الصيد ابن صاحبها ، فتى في عمر هارفي اسمه (دان) ، اسعده ان يجد رفيقا يأنس اليه ، يختلف عن البحارة الجفاة الغلاظ وراح (هارفي) يحدث صديقه الجديد عن نعم الغنى والسيارات الخاصة وحفلات العشاء ولان ابن البحار كان في عمر ابن المليونير فانه كان اكثر تصديقا لما يسمع ، مخالفا بذلك بقية البحارة قائلا ان (هارفي) لا يمكن ان يكون كاذبا في كل ما يروى من تفصيلات عن حياة الاغنياء في كاليفورنيا

واذ بدأ (هارفي) يعتاد حياة البحر ، الفه الرجال الجفاة وراحوا يعلمونه فنون البحر والصيد وكان من بين البحارة واحد يدعي (جاك الطويل) راح يطوف بالفتى (هارفي) في ارجاء السفينة يعلمه اسماء الحبال والقلوع وعدة الصيد وكان الفتى سريع التعلم لانه كان نابها ولانه كان يخشى السوط ينهال به عليه ملاح غليظ اذا هو اعطى الجواب الخاطيء وراح الفتى يتعلم كيف يدير الزوارق الصغيرة حول السفينة وهي تعود بحصيلة النهار من السمك . وعرف كيف ينظف الاسماك ويملحها ويحفظها في المخازن تحت سطح السفينة ، وكيف يمسك نوبة حراسة عند دفة السفينة وهي تدور في منطقة صيد الى اخرى حول (الشواطيء العظيمة)

وحتى (ديسكو تروب) نفسه اعترف بعد فترة ان الفتى (هارفي) سيصبح مساعدا ناجحا في اعمال الصيد قبل ان يبلغوا (جلوستر) في الخريف

الفرنسي والسكين

اصبح البحر والصيد متعة (هارفي) بعد فترة قصيرة وفي ايام هياج البحر كانت ثمة جلسات يستمع فيها الى الثمانية الاخرين وما يعرفونه من قصص وحكايات حول البحر والصيد في تلك الجلسات عرف ان البحارة الثمانية جاءوا من بلاد شتى كان صاحب السفينة وابنه من ميناء (جلوستر) نفسه ، وكان (جاك الطويل) من ايرلندا ، و (مانويل) من البرتغال وسالتر كان فلاحا ، و (بنسلفانيا) كان واعظا في كنيسة ، وقد فقد اهله في فيضان (جونستن) كان هذا الفيضان قد اغرق مدينة (جونستن في ١٨٨٩/٥/٣١ ، وهي مدينة في ولاية بنسلفانيا على مقربة من تنسرح) وتقع على نهر (كونمو) في منطقة صناعة وتعدين ، وقد هلك في الفيضان خلق كثير كان الطباخ زنجيا نشأ في (نوفا سكوشيا) وكان يتشتم بلغة ايرلندا ، كان هذا الجمع من الناس من اطرف ما عرف هارفي في حياته ، والذي اعجب الفتى اكثر من سواه ان البحارة قد قبلوه كأنه واحد منهم ، لا لانه ابن مليونير ولم يكن يصدق حكاياته منهم سوى الطباخ الزنجي ورفيقه و (دان)

وذات يوم مرت بهم سفينة فرنسية ارخت قلوعها وفعلت مثل ذلك سفينة الصيد (نحن هنا) واذ توقفت السفينتان في عرض البحر ذهب (جاك الطويل) مع هارفي لشراء التبغ من السفينة الفرنسية وقد آلم (هارفي) ان البحارة الفرنسيين لم يفهموا لغته الفرنسية التي تعلمها في المدرسة ولكنهم كانوا يفهمون لغة جاك بالاشارات وثمة مقابلة اخرى مع السفينة الفرنسية قام فيها (هارفي) ورفيقه (دان) بمغامرة طريفة ذهب الولدان الى السفينة لشراء سكين كانت تعود الى بحار فرنسي قيل انه غرق في البحر ، فاشترى (دان) تلك السكين واهداها الى رفيقه لان لها قيمة خاصة ، ذلك ان صاحبها الفرنسي قال انه قد قتل بها احد الاشرار ، وبعد ايام كان الولدان قد القيا شباكهما في البحر فاحس هارفي ثقلا غريبا على الحبل الذي كان يجره وما لبث ان وجد جثة الفرنسي معلقة بالصيد فقطع الفتى الحبل والقى بالسكين وراء الجثة حاسبا ان الفرنسي قد عاد ليأخذ سكينه . وهكذا عاش الولدان انواعا من المغامرات البحرية غير ان (دان) كان يفوق رفيقه معرفة بالبحر فقد نشأ في ميناء صيد ومارس حياة البحر اكثر من (هارفي) غير ان الاخير كان يجيد استعمال الات البحر لرصد النجوم ، وكان على معرفة بالحساب اعجبت البحارة جميعا ومنهم (ديسكو) نفسه الذي زاد اهتمامه بالفتى الضيف وراح يعلمه فنون البحر

مفاجأة العودة

وفي اوائل الخريف اقتربت السفينة من موقع صيد وفير وراح البحارة يعملون ليل نهار ليملأوا مخازن السفينة بالسمك وكانت السفينة التي تصل ميناء « جلوستر » قبل غيرها محملة بالسمك تكرم من في السفن الاخرى ، وتحصل على اعلى الاسعار ، وقد فعلت (نحن هنا) ذلك اربع سنوات على التوالي واذ افلحت سفينة (ديسكو) هذه المرة راحت تطوف بالسفن الاخرى وسط مظاهر التكريم ، تتسلم البريد من السفن الأخرى ينقلها البحارة الى الاهل تعطيهم بحارة تلك السفن

واذ القت السفينة قلوعها في ميناء (جلوستر) هرع (هارفي) فأرسل برقية الى والده في كاليفورنيا يعلمه فيها انه بخير وانه ينتظره في (جلوستر) ورد الوالد انه سيهرع اليه بسيارته الخاصة ، وكانت دهشة البحارة عظيمة اذ وجدوا ما يدل على صدق الفتى ولكن الطباخ الزنجي ورفيقه (دان) كانا دائما على ثقة من دعوى (هارفي)

واذ وصل الوالدان كان اعظم ما ادخل السعادة عليهما ان يجدا ولد الامس المدلل قد غدا فتى شديد المراس يعتمد على نفسه ويحسن عددا من الاعمال الصعبة ، ويقدر الناس اقدارهم حسبما يستطيعون فعله لا بقدر ما يملكون من مال وكان لهذه المسألة ابلغ الاثر عند المليونير الاميركي الذي بدأ حياته في فقر ثم بنى ثروة بالجد والكدح ، ولما عرض مكافأة على بحارة السفينة رفض الجميع ، ولكن (دان) قبل ان يصبح ضابطا في سفينة في اسطول يملكه والد (هارفي) والتحق الطباخ الزنجي بصديقه الجديد بعد ان قرر هجر حياة البحر وصار رفيقا يحرس (هارفي) وبعد سنوات تسلم (هارفي) ادارة شؤون والده ، وعاش الثلاثة على ذكرياتهم الطيبة في عرض البحر تحت رحمة الانواء والامل بالصيد الوفير ، ولم تكن تمر مناسبة الا ويقوم الطباخ الزنجي بتذكير (دان) بما كان يقوله دائما انه في يوم من الايام سوف يصبح تحت امرة الفتى (هارفي) وكان الثلاثة يضحكون وينعمون بحاضر سعيد وذكريات جميلة ■■

بغداد ـ د عبد الواحد لؤلؤة

بنيامين فرانكلين ورسومه الاولى لتيار الخليج

● لعل بنيامين فرانكلين هو الرجل الأول في العصور الحديثة كلها من حيث تعدد جوانب شخصيته وتعدد مواهبه فقد كان عالما وصاحب مطبعة ورجل دولة وموظف بريد واشتهر بعدد كبير من المخترعات والاكتشافات نذكر منها على سبيل المثال البرق ، وقد اكتشف فرانكلين انه ضرب من الكهرباء اما في المجال السياسي فقد ساهم في وضع الدستور الامريكي وصياغة اعلان الاستقلال وكان ذا فضل في وضع اول خطة للاتحاد بين الولايات الامريكية التي كانت مستعمرات بريطانية في ايامه ومن اطرف ما يذكر عنه الدور الهام الذي لعبه دون ان يشتهر به ، دور اكتشاف بل مسح تيار الخليج الدافيء فقد كان يشغل منصب نائب مدير دائرة البريد وكان في زيارة للندن ، حينما اكتشفوا ان السفن التجارية كانت تقطع المسافة بين اوربا وامريكا باسرع مما كان يتسنى لسفن البريد الحكومية وان السفن الحكومية التي حملت الطرود والرزم البريدية تأخرت في وصولها الى الجانب الآخر من المحيط الاطلسي بحوالي اسبوعين عن موعد وصول السفن التجارية علما بأن موعد انطلاق هذه السفن وتلك كان واحدا

وقام فرانكلين بابحاثه ودراسته التي ساعده فيها احد اقربائه ، تيموثي فولجر ، وكان بحارا خبيرا في الملاحة في المحيط الاطلسي ويعمل قبطان سفينة وكانت الثمرة اكتشاف تيار الخليج الذي عرفته وانتفعت به السفن التجارية قبل أن تعرف عنه شيئا سفن البريد الحكومية ولما كان فرانكلين ملما بالهندسة والرسم ايضا ، عمد الى مسح مجرى هذا التيار وتحديده في رسوم وخرائط تعرف باسم (فرانكلين فولجر) واعتبرت تلك الرسوم بحكم المفقودة حتى سنة ١٩٧٨ حين عثر عليها احد العلماء الامريكيين فيليب رتشاردسون في المكتبة الوطنية في باريس Nationale Bibliotheque والظاهر ان فرانكلين تعمد اخفاء رسومه في مكان ما لئلا تقع في ايدي الاسطول البريطاني في ذلك الوقت الذي تأججت فيه نار الحرب بين بريطانيا وامريكا وظلت تلك الرسوم طي الكتمان ولعلها انتقلت من مكان الى مكان ، حتى تسنى لرتشاردسون المختص في علوم البحار اكتشافها ووضع مقال مفصل عنها نشرته له مجلة سياينس Science في عددها الصادر في فبراير الماضي

وتجدر الاشارة الى ان بنيامين فرانكلين من ابناء ولاية بنسلفانيا (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) وانه اعتزل السياسة وتفرغ للعلم سنة ١٧٤٩ حين مكنته من ذلك ارباح مطبعته الخاصة اما خرائط تيار الخليج فقد وضعها سنة ١٧٦٩ ـ ١٧٧٠ وعلى خريطة للسير ادمون هالي Halley احد فلكيي ذلك الزمان

العظم .. بدأوا يحولونه الى لحم

● العظام عظام الخراف والبقر التي نقدمها الى الكلاب ، او نلقي بها في أوعية القمامة بعد استعمالها في تحضير شوربة او ما الى ذلك اصبحت ذات قيمة كبيرة نسبيا لا يجوز معها هدرها فقد نجح العلماء في تحويلها الى مواد غذائية وصنع منها البروتينيات والدهنيات ، فضلا عن المواد الفسفاتية ، من مادتها على نطاق واسع وسيأتي اليوم الذي ستطيع التحير فيه بين اللحم الذي نعرف ولحم أحمر مصنوع من عظم وارخص ثمنا هذا ما سيحدث في مستقبل قريب جدا ، في بريطانيا ، على اقل تقدير .

ذلك ان العمــل يمضي على قدم وسـاق في بلـدة فلتــويك Flitwick في انجلتــرا لانشــاء مصنع يحول العظـام الى المواد الغذائية بمنتجاتها الثلاث السـالفة الـذكر وستبلـغ تكاليف هذا المصنع حوالى ١,٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني وسيكتمـل انشاؤه في شهر ايلول/سبتمبر المقبل ليبدأ انتاجه مع بداية السنة القادمة سنة ١٩٨١

وهـذا المصنـع ليس الاول من نوعـه في بريطـانيا ، بل الثاني وهو اكبر من الاول ، وكان مصنعـا تجريبيا - وتبلـغ طاقتـه الانتـاجية ١٠ اضعـاف طاقـة المصنـع الرائـد ولـولا النتائج المشجعة التـي توصلوا اليها عن طريق المصنع الاول لما أقدموا على اقامة المصنـع الثاني الكبيـر الـذي يستـطيع معالجة حوالي ١٪ من مجمـوع عظام الماشية التي يذبحونها في بريطانيا سنويا ، وتحويل تلك العظام الى غذاء

والجدير بالذكر ان الشركتين الشريكتين في المصنع الجديد هما « شركة البحـث والتنمية الـوطنية » ، وكبـرى شركات اللحوم في اوربا قاطبة شركة F M C وستتولى ادارة المصنـع وتصريف انتاجه شركة اخرى ثالثـة هي شركة منتجـات لنسفيلد Lensfield المتفرعة عن FMC والتي اقاموهـا خصيصـا لهذه المهمة ...

مراصد جديدة ، اصغر حجما ، وأقل ثمنا

● اعتمدت التلسكوبات حتى الان على العدسة الواحدة . او ان شئت المرآة المقعرة الواحـدة فهـذه هي التي تجمع الضـوء وتـركزه . وهـي التـي تقـرر مدى قوة التلسـكوب . فكلما كانت المرآة اكبر قطرا كان التلسكوب اقـوى وأبعـد مدى وكذلك اكبـر حجما لذلك كان تلسـكوب مرصد باستوكوف في القفقاس في الاتحاد السوفياتي اقوى تلسكوب في العالم اذ يبلـغ قطر مرآتـه ٢٤٠ بوصـة . وقـد انشيء عام ١٩٦٩ ، وانتـزع بذلك مكان الاولوية من تلسكوب مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا الذى لم يزد قطره على ٢٠٠ بوصة

على ان تلسكوبـا جديدا تم انشاؤه مؤخرا في الولايات المتحدة من شأنه ان يحدث انقلابا كبيرا في صناعة التلسكوبات . لقد جهزوا هذا التلسكوب الذى اقاموه على قمـة جبـل هوبكنـز في ولاية اريزونا ، جهزوه بست مرايا بدلا من مرآة واحدة وجعلوا كلا من هذه المرايا الست بقطـر ٧٢ بوصة . بحيث تصبح قوة هذا التلسكوب معادلة لقوة تلسكوب ضخم كبير من الطراز القديم يبلغ قطر مرآتـه الواحـدة ١٧٢ بوصة وهكذا يصبح تلسكوب اريزونا الجديد التلسكوب الثالث في العالم من حيث القوة

وثمة ميزتان اخريان يتمتع بهما التلسكوب الجديد المتعدد المرايا . فهو اصغر حجما واقل ثمنا من تلسكوب المرآة الواحدة . وذلك لأن المرايا الست صغيرة المساحة ولا تشغل حيزا كبيرا نظرا لانهم يصفونها باحكام بمحاذاة بعضها البعض وبشكل دائرى وكأنها المشط في المدفع الرشاش السريع الطلقات . وقد بلغت تكاليف تلسكوب اريزونا ٧,٥ مليون دولار ولو كان هذا التلسكوب ذا مرآة واحدة (بقطر ١٧٢ بوصة) لبلغت تكاليفه ٤٠ مليون دولار .

« كان الرشيد يقتفي اخلاق المنصور ويعمل بها .. » ـ السيوطي

اخلية الباكي في الميزان

بقلم : عبد الوهاب شكري

من الثابت ان الشهرة كثيرا ما تخني على صاحبها في كل امة وتاريخ لما يحاك حولها من الاخبار والنوادر الى حد الاساطير ، ثم لا تلبث ان تتفشى في الناس كما تتفشى النار في الهشيم تتناقلها الاجيال لتعيش في الوجدان ملصقة بالتاريخ وما هي منه في شيء ، وكأنما على الاجيال المتعاقبة ان يأخذوا ما في الصحائف كما هو ، ولا يهم أصاب ابن خلدون أم اخطأ ابن عبد ربه ، والتاريخ بوصفه علما وفنا ـ او هكذا ـ يجب أن يكون يأبى ان يضاف الى سجله ما ليس يدخل في منهجه حيث يقف منه شهود الحق للتزكية موقف الحذر والحيطة او الرفض البات

ومن حسن حظ التاريخ الاسلامي ان يكون مؤرخوه او جلهم على الاقل من رواة الحديث اشتهروا بدقة الرواية وتحري الصدق فيما يكتبون ، وهي مفخرة من مفاخر الفكر الاسلامي الا ان تكون هناك استثناءات ، والنادر لا يقاس عليه وشتان ما بين مؤرخ نزيه وقاص مغرض ، والخبر مغلوط خير من خطأ مقصود

ولا يخالج احدا شك في ان اى عمل يقبله المنطق ويطابق الواقع ويؤدي الى غاية نبيلة الا وكان معلمة على صانعه وهذا هو النهج الذي سار عليه في الغالب السلف من المؤرخين ، وليس هذا من قبيل المغالاة او التنزيه وانما هو شهادة اعتراف لأولئك الذين كانوا القدوة والمنار على درب الحق ، ولم يسلكوا البنيات التي هي مظنة الزيغ

واذا ما كان فان هذه السطور لن تكون الا محاولة انصاف لواقع تاريخي يمس حياة رجل قبل ان يكون دفاعا عنه وذلك الرجل طالما تعسفت عليه بعض المصادر الادبية وكالت له تهما اخلاقية صيغت في حكايات ماسخة تعبر في محملها عن شهادة بـ (سوء السلوك) لا بحسنه ، مستخرجة من سجل غير عدل لخلوه من دلائل الاثبات ، كي تجعل اداته موضوعية ونحن عندما نستعرض اسماء من التاريخ فان اول ما يتبادر الى الذهن هو هارون الرشيد

ماذا قالوا ؟

وان المنصف ليدهش وهو يرى هذا العدد الجم من الروايات المدسوسة التي ترد في بعض المصادر الادبية

كالعقد الفريد والاغاني والف ليلة وليلة وغيرها ، كلها تصور هارون الرشيد غارقا في اللهو والمجون اناء الليل واطراف النهار. وقد اتخذ التشويه لسيرته اشكالا عديدة وصورا متباينة هي اية في الاحكام والسبك ، حتى ليوشك أن يترسخ في الاذهان ان ما قيل عن الرجل صحيح ولا سبيل الى الشك فيه او رده. فبينما جورجي زيدان يتخذ من قصة « العباسة » المختلقة ذريعة للتشهير ومطعنا على الرشيد في عرضه ، واذا بأبي الفرج الاصبهاني قبله بقرون يرسم له صورة مقذعة يتحدث فيها عن مجالس لهوه وشرابه مع ابي نواس إما صاحب العقد الفريد فيطلعنا على صور للرجل اكثر شناعة وتشويها يبدو فيها مستلقيا بين ايدي الجواري في مختلف الاوضاع ، وكل صورة هو معهن في شأن.

ولا نرى داعيا لذكر ما جاء في الف ليلة وليلة وغيرها ، لانه كتاب معروف. وليس غريبا بعد هذا ان يسهم في حملات التشهير والافتراء على الرشيد مستشرقون معادون للاسلام ولقادته الاعلام.

وهكذا تتوالى الصور واللقطات مكيفة بحسب الاغراض الموضوعة لها. وهي في كل الاحوال لا تخلو من اهداف او نوايا مبيتة ، تتراوح ما بين الصراحة والخفاء ، وادراكها يسير على المؤرخ الحق. هذا فضلا عن ان هؤلاء الذين كتبوا سيرة الرشيد من هذه الوجهة المحرفة كانوا ادباء وليسوا مؤرخين ، لذلك يستحيل التعامل مع رواياتهم بالتسليم والقبول لما فيها من تحامل وتلفيق ولأنها ـ بالتالي ـ كتبت بلغة لا يصح منطقيا ولا عقليا الاخذ بها على الاطلاق.

والحقيقة ان هذا التشويه كان موضوعا بدقة ، وجه للرشيد بالذات لانه يمثل قمة خلفاء بني العباس اعتبارا لما شاده من صروح للتقدم العلمي والحضاري ، ومما حققه من ازدهار شامل تمثل (فيما بلغته بغداد برعايته وحكمته وعقيدته ذروة القوة في كل شيء سياسة وعلوما واقتصادا وتربية) [1]. ولما كانت بغداد في عهد الرشيد الدولة الاقوى في العالم كله قهرت اعداءها شرقا وغربا ، فمن البديهي ان يكثر آنذاك الخصوم والحاقدون وبالتالي اباطيلهم ومفترياتهم عليه تحت غطاء التاريخ ، ولعل الشعوبية اصدق مثال على ذلك مضافا اليها الطامعون والمتربصون من ذوي النزعات السياسية وغيرها. وما احال شعار الرشيد وهو بذمة الله الا قول ابي العلا المعري.

تعد ذنوبي عند قومي كثيرة
ولا ذنب لي الا العلا والفضائل

وكم من المشاهير اودوا في اعراضهم واقدارهم باسم التاريخ وما كان التاريخ يوما ليبعث احدا بسوء وهو بريء وانما المتقولون عليه بالكذب والزور هم الفاعلون

سؤال كبير

ورغم ما يكتب اليوم من ابحاث ودراسات تاريخية منصفة ، الدافع اليها الغيرة على الحق ، الا ان هناك صفحات من التاريخ الاسلامي ما تزال مطمورة تحت ركام من الاساطير والخرافات ، تحتاج الى اقلام امينة نزيهة لتكشف عن حقائقها الناصعة كما هي لا كما ترد في اذهان وصاغين واهمين

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه بالحاح هو ، كيف يسوغ في عقل سليم ويستقيم في ذهن مستنير ان يكون هارون الرشيد متهورا فاجرا وهو من هو ، وفي المجتمع الاسلامي آنذاك من افاضل العلماء والفقهاء الاجلاء من يغضب لله في الصغيرة ناهيك بالكبيرة ، يسكت عن الحق كالشيطان الاخرس ولا يتصدى لحماية منصب الخلافة الاسلامية من العبث والسقوط في حمأة الاقذار اعتبارا لما لهذا المنصب الخطير يومئذ من دلالة ورمز ؟ مع ان الاسلام اوجب النصح لمن ولاهم المسلمون امرهم فان لم ينتهوا فقد اباح خلع طاعتهم ، اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والاسلام اذ يقرر هذه الحقيقة الهامة فانه جعل الى جانبها حقا مشروعا في ايدي المسلمين متمثلا في تغيير المنكر بوسائل سنها لهم والزم كل مكلف طائره في عنقه

ايمكن ان يقع هذا الافتراء امام مرأى ومسمع الامام مالك وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وابن السماك وعبدالله العمري وامثالهم وهم كثيرون من اهل العلم والفضل الذين ازدانت بهم ايام الرشيد الوضاءة وكان له بهم صحبة ؟ وهل يعني هذا ان هؤلاء العلماء والفضلاء تنكروا لدينهم ولمصالح المسلمين ؟

ثم كيف يتفق هذا مع ما كان عليه هارون الرشيد نفسه من الدين والخلق والبكاء لادنى موعظة ؟ وهل يتطابق مع واقع انسان كالرشيد في صميمه وجوهره وهو الذي اقترنت حياته بزوجة كريمة مثالية هي السيدة زبيدة التي مدت قنوات المياه الى بيت الله الحرام وبنت المساجد وانشأت المرافق والاوقاف في المدن والطرقات للسابلة ؟ وهل يعد فاجرا مذنبا من يقف في الحج حاسرا حافيا على الحصباء وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول يارب ، انت ، انت ، وانا ، انا ، انا العواد الى الذنب وانت العواد الى المغفرة اغفر لي ؟

سؤال كبير وعريض تتيح الاجابة عنه الوقوف على طائفة من الحقائق السلوكية والاخلاقية والانسانية الخاصة بالرجل طالما تطلع الكثيرون الى ازاحة ما لابسها من غموض ، وتناقض

الرشيد في الميزان

كان الرشيد خليفة دينا بأوسع ما في هذه الكلمة من شمولية (عاملا بالتكاليف الشرعية) وقد اجمع المؤرخون الثقاة امثال الطبري وغيره على انه كان يصلي في كل يوم مئة ركعة الى ان فارق الدنيا ما لم تعرض له علة ، وكان اذا حج حج معه مئة من الفقهاء وابنائهم واذا لم يحج (بسبب غزو او جهاد) احج عنه ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة [٢] ووصفه الخطيب البغدادي بأنه كان (يحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام ، ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص كان يبكي الى نفسه سيما اذا وعظ) [٣]

ويذكر حسن ابراهيم حسن نقلا عن الفخري : ان ابا معاوية الضرير احد علماء عصره قال اكلت مع الرشيد يوما فصب على يدي الماء رجل ، فقال لي يا ابا معاويه اتدري من صب عليك الماء ؟ فقلت لا يا امير المؤمنين فقال انا ، قلت يا امير المؤمنين ، انت تفعل هذا اجلالا للعلم فقال نعم [٤]

وبلغ من حب الرشيد وتواضعه للعلماء انه كان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ، (وانه لم يكن يقطع امرا من امور المسلمين الا بعد الرجوع الى الصالحين من اهل العلم) ثم ان خليفة كالرشيد يرحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله على ما يذكر القاضي الفاضل في بعض رسائله خليق بأن يؤكد حبه للعلم والعلماء يضاف الى هذا انه روى عن الرسول (ص) بعض الاحاديث وينقل السيوطي عن الصولي (ان الرشيد كان يخطب فقال في خطبته حدثني مبارك بن فضلة عن الحسن عن انس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (اتقوا النار ولو بشق تمرة) وكذلك روى الرشيد في سند مرفوع الى علي بن ابي طالب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (نظفوا افواهكم فانها طريق القرآن) [٥] اما اجتنابه للخمر ، فمعروف عند خاصته ووصفائه وقصته مع ابن بختيشوع الطبيب ترد عنه كل اتهام بها يقول

المسعودي (احضر السمك الى الرشيد في مائدته فجاء عبه ابن بختيشوع ثم امر صاحب المائدة ان يحمله الى منزله ففطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاقعد بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصب على الثانية ماء مثلجا وعلى الثالثة خمرا صرفا وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلطه . وقال في الثالث هذا طعام بختيشوع ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضر للتوبيخ ، احضر ثلاثة الاقداح ، فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدا وتغيرت رائحتهما فكانت له في ذلك معذرة) (٦)

كما ثبت عن الرشيد انه امر بحبس ابي نواس لما بلغه عنه من انهماكه في شرب الخمر حتى تاب واقلع

عظمة الرجل

والى جانب هذه الصفات والمزايا ، كان الرشيد (رقيق القلب سريع الدمعة) يتأثر للموعظة الحسنة ، حتى ليشفق من نفسه التي قد يستبد بها الكبرياء والغرور احيانا ويتضاءل لديها الاحساس بالقمة فكيف لا يبكي وهي تعلمه ان كل شيء صائر الى زوال ؟ وكيف لا يعد لاستقبال آخرته بالعمل الصالح يرضي عنه الله والعباد . والموت للاحياء كالشهاب الراصد لا يخطيء احدا ؟ وبالقطع ما كان الرشيد ليغيب عن ذهنه كل هذا ولا ليقصر فيه . وهو الذي احاط نفسه بوعاظ يوقظون لديه هذه المشاعر ويسهونه كلما نام عنها واطمأن وقد جاء الكثير من النصوص التاريخية التي تتحدث عن اخلاق الرشيد لتعبر في مجملها عن تأثره البالغ بالموعظة تلقى على مسامعه فيفعل لها انفعالا شديدا يتحطم معه شموخ الخلافة وجلال قدرها . وما ذاك الا لرقة من نفس الرجل وتقوى في قلبه يخشع للكلمة الواعظة خشوع التائب المنيب الى ربه يقول الطبري (دخل ابن السماك الواعظ على الرشيد فقال له عظني فقال يا امير المؤمنين ، اتق الله وحده لا شريك له واعلم انك غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف الى احدى منزلتين لا ثالث لهما ، جنة او نار . فبكي هارون الرشيد حتى اخضلت لحيته فاقبل الفضل بن الربيع على ابن السماك فقال

سبحان الله وهل يتخالج احدا شك في ان امير المؤمنين مصروف الى الجنة ان شاء الله لقيامه بحق الله وعدله في عباده وفضله ، فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ولم يلتفت اليه واقبل على الرشيد فقال

يا امير المؤمنين ، ان هذا يعني الفضل بن الربيع ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم . فاتق الله وانظر لنفسك فبكى هارون الرشيد حتى اشفق عليه الحاضرون وافحم الفضل بن الربيع ولم ينطق بحرف) (٧)

ثم يسوق السيوطي بين ايدينا شاهدا آخر فيقول (وروى ان ابن السماك دخل يوما على الرشيد فاستسقى ماء فأتى بكوز فلما اخذه قال ابن السماك على رسلك يا امير المؤمنين . لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها ؟ قال بنصف ملكي قال اشرب هنأك الله تعالى فلما شربها قال اسألك لو منعت خروجها من بدنك فماذا كنت تشتري خروجها ؟ قال بجميع ملكي قال ابن السماك ان ملكا قيمته شربة ماء وبولة لجدير الا ينافس فيه فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا (٨)

وحكى الاصمعي ان الرشيد صنع طعاما وزخرف مجلسه واحضر ابا العتاهية وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فقال ابو العتاهية

عش ما بدا لك سالما
في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد احسنت ، ثم ماذا ؟ فقال

فاذا النفوس تقعقعت
في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا
ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسره فحزنته ، فقال الرشيد دعه فانه رآنا في عمى وكره ان يزيدنا منه

وان خليفة يتواضع لله فينشرح صدره للنصيحة او الموعظة وينقاد لها في خشوع راضيا يتقبلها من اي كان وفي اي صيغة وردت لدليل على عظمة اخلاق الرجل وورعه . وليس بكاء مثله الا تفسيرا لما تنطوي عليه نفسه من رغبة في الخير وتمسك بمبادىء الحق والعدل والسير في خطى الصالحين

على ان للعلامة ابن خلدون كلاما ينفرد بكونه اقوى ما وصف به هارون الرشيد من صفات اخلاقية جامعة واكثر استيعابا لها ، نجتزيء منه هذا النص حيث يقول (واما ما تموه به بعض الحكايات من معاقرة

الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا لله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة وطوافه، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلاة وشهود الصبح لاول وقتها ؟ [٩] سؤال ايضا يطرحه ابن خلدون يعكس مدى الهوة بين الواقع والخيال

بين الجد والهزل

ومع ميل الرشيد الى الفكاهة والغناء، فانه لم يكن مسرفا على نفسه ولم يتحدها غرضا يرمي به كما يفعل المتهالكون على اللذة وطلاب الامتاع والمؤانسة بل اننا لنجده اشد حرصا على تطبيق مبدأ (لكل مقام مقال) ولا ادل على ذلك من هذه الحكاية التي ننقلها عن الطبري بتصرف، حيث انه كان للرشيد سمير مكه يدعى ابن ابي مريم لا يكاد يفارقه، اراد يوما مداعبته حين سمعه يقرأ في صلاته (وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون) فقال ابن ابي مريم، لا ادري والله لما تمالك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليه مغضبا وقال يا ابن ابي مريم، في الصلاة ايضا ؟ اياك، والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما) [١٠]

ان هؤلاء المؤرخين وهم يدلون بشهاداتهم للتاريخ ليقدرون مسئوليتهم حق قدرها، فلم يبيحوا لانفسهم الانسياق وراء العواطف والاهواء او ينقادوا لاحيلتهم في رسم شهادات زور وفق ما يريدون وحرصهم على التدقيق فيما يروون من اخبار وما اشتهروا به من نزاهة واعتدال كل اولئك يعزز ثقتنا فيهم، ولا يسعنا الا ان نصدر عن حكمهم ونحن له مطمئنون بما فيه الكفاية

تلك هي سيرة الرشيد الاخلاقية، عرضنا لها بايجاز، ولا ندعي اننا احطنا بها احاطة السوار بالمعصم وما قلناه في الحقيقة لا يمس الا جوانب قليلة منها ■■

عبد الوهاب شكري
ورزازات ـ المغرب

المراجع

(١) هارون الرشيد لشوقي ابو خليل ص ١٥٣ (٢) الطبري ٣٥٧/٨ . ط دار المعارف (٣) تاريخ بغداد ٥/١٤ الطبري ٣٤/٨ (٤) تاريخ الاسلام السياسي ٦٣/٢ (٥) تاريخ الخلفاء ص ٢٩٧ (٦) مروج الذهب ٣٤٣/٣ (٧) الطبري ٣٥٧/٨ (٨) تاريخ الخلفاء ٢٩٣ الطبري ٣٥٧/٨ (٩) المقدمة ص ١٧ ط مصطفى محمود (١٠) الطبري ٣٤٩/٨

■ أنا أعرف كل شيء لانني أعرف أنني لا أعرف شيئا على الاطلاق !

وليام تل

■ اذا نسيت عدوك، ولم تعد تذكر حتى اسمه، فانت رجل تحب الحياة !

تشارلز ديكنز

■ المرأة الجميلة لا تتطلع الى وجهها في المرآة الا عندما تحس بالتعب !

لانا تيرنر

■ وراء كل امرأة جميلة رجل يقول لها : « لا أعرف ماذا كنت سأصنع بنفسي لولم أتزوجك » !

كليمنتاين تشرشل

لا نبالغ كثيرا اذا قلنا ان في اليمن حربا عتيقا وعريقا ، لم يفرط ولم ينحل ، لا في فترات الامامة ، ولا في ظل الثورة ، ولا في فترات البين بين هو حرب القات ، الذي حقق انتصارات كاسحة خلال السنوات الاخيرة ، تمكنه من ان يبقى في الصدارة الى ما شاء الله

وبنفس القدر ، لا نبالغ كثيرا اذا قلنا ان القات يشكل مفتاحا اساسيا يفسر الكثير من ظواهر الحياة اليمنية ، من العمارة الى الهجرة ، مرورا بالطعام والانجاب الأمر الذي يمهد لقبول فكرة « التفسير القاتي » لتاريخ اليمن وشعوب الجزيرة وهي الفكرة التي طرحها ابو الثوار اليمنيين الاستاذ محمد محمود الزبيري ، في مقاله عن القات في اول اعداد مجلة العربي (ديسمبر ١٩٥٨) ، عندما قال انه اذا كان الماركسيون يعتبرون التاريخ محركا للاقتصاد ، والداروينيون يفسرون التاريخ بالجنس ، فانه في اليمن يفسر التاريخ بالقات !

والقات الظاهرة لا جديد فيه وكما يعرف الناس الذهب الاصفر ، والذهب الاسود ـ النفط ـ فان القات عند اليمنيين بمثابة « الذهب الاخضر » ، مع اختلاف واحد يميزه عن الذهب الاسود والاصفر فمنتجو الاصفر والاسود يقبضون من ذهبهم ، اما هم ـ اليمنيون ـ فيدفعون من أموالهم وأنفسهم لقاء ذهبهم هذا !

ومن الثابت انه انتقل الى اليمن من موطنه الاصلي في الحبشة ، مع غزو الاحباش لبلاد اليمن في القرن السادس الميلادي ولا يزال القات الهرري ـ من هرر الحبشية ـ يزرع في بعض الجبال اليمنية الى الآن وروى بعض قدامى المؤرخين انه كان يستعمل « لتنشيط الذهن وشحذ الذاكرة وابعاد الهم والحزن عن النفس » ، عن طريق حرق الاوراق واستنشاق دخانها بينما اعتبره بعض الرحالة الاجانب « شاي العرب » وقيل ان الاسكندر الاكبر استعمل القات في علاج جنوده من مرض تفشى بهم ومن المرجح ان زراعته باليمن سبقت زراعة البن وان كان موطنه الان موزعا بين دول شرق وجنوب افريقيا في الحبشة والصومال وكينيا ، الى الكونغو واوغندة ونياسلاند وروديسيا ويعتبر اليمن الشمالي الآن هو اكبر منتج له

لكن الجديد في الامر شيئان هما حجم الظاهرة ، ثم انعكاساتها السلبية على حياة الناس واقتصاديات البلاد

حساسية شديدة

ومن الثابت ان هناك حساسية شديدة لليمنيين تجاه موضوع القات ، ربما لان معالجات الموضوع اتجهت منذ البداية الى التركيز على سلبياته ، وصورت الشعب اليمني في النهاية ، كما لو كان مجموعة من البشر المخدرين والكسالى وقد لاحظت ان كثيرين من اليمنيين يحملون بعض العتب على مجلة العربي ، لانها نشرت مقال الاستاذ الزبيري الذي هاجم فيه القات تحت عنوان « شيطان في صورة شجرة » وفوجئت بان منهم من لا يزال يحفظ بعض عبارات المقال ، الذي نشر قبل ٢٠ عاما ! كما لاحظت ان مثقفا يمنيا بارزا مثل الدكتور عبد العزيز المقالح ـ الاستاذ بجامعة صنعاء ـ قد الف كتابين عن شعر العامية ثم شعر الفصحى في اليمن حجم كل منهما يصل الى ٥٠٠ صفحة تقريبا ، عرض خلالها كافة صور الممارسات الشعرية القديمة والحديثة ، لكنه لم يشر الى القات رغم ان جانبا لا يستهان به ـ من الشعر اليمني الحديث على الاقل ـ هو وليد جلسات القات ، فضلا عن الاشعار التي قيلت في القات ذاته ـ والمدح اضعاف اضعاف القدح ـ ما سمعته منها في اليمن خلال ١٥ يوما ، يكاد يكون وحده ديوانا من الحجم المحترم !

والواقع ان معالجة موضوع القات من زاوية تأثيره على صحة الافراد ، او حتى تبديد اوقاتهم ، لا يخلو من تبسيط شديد لان ملايين المدخنين في العالم يدركون كم هو ضار تدخين السجائر ، وفي بلاد كثيرة تحمل كل علبة سجائر تحذيرا من الخطر ، ومع ذلك فان هؤلاء الملايين لم يكفوا عن التدخين ، كما ان اكثر الاطباء الذين ينصحون مرضاهم بالاقلاع عن التدخين ، هم ايضا مدخنون !

ذلك ان القات ليس نباتا يتلذذ به البعض و « يخزنونه » في الجانب الايمن من افواههم ، كما انه ليس كيفا يستريح معه البعض ويدمنه الآخرون ، ولكن القات قصية اكبر من هذا وذاك هو الصيغة

..ناسبة التي يلتقي الناس عليها كل يوم وهو المبر .. ى بعتليه البعض ليقولوا رأيهم في اعظم الاشياء واتفه الاشياء هو - بتعبير الاستاذ الربيري - السيما والمسرح والمتزه والمقهى والمنتدى ، وقاعة المحاضرات ومكتبة المطالعة !

اليس في هده النشاطات ما يتجاوز حتى قدرات الحرب ؟؟

وهو نوع من الذكاء الفطرى عند اليمني الدى عاشت احياله سنوات طويلة محرومة ومعتقدة لهده الاشياء كلها . فقرر - بوعي منه او بغير وعي - ان يختزلها في جلسات القات . وان يعوض هدا الحرمان بالصيغة التي راها اكثر ملاءمة لظروفه الفريدة

وكانت الحاجة ، هي ام هدا « الاختراع » !

واكاد اقول ان اهل القات يشكلون الان تنظيما بالمفهوم المتطور السائد في بعض دول العالم الثالث اعني صيغة « التحالف » التي تلملم شتات الجميع تحت مظلة واحدة ايا كانت اتجاهاتهم اما اذا كان الحزب ينقصه البرنامج فليست هده مشكلة ، لان الاوضاع السائدة في العالم العربي تحتمل ذلك اد يصبح الحزب احيانا هو الهدف والبرنامج لا يهم فضلا عن انه ما اكثر البرامج التي وضعت ثم ظلت حبرا على الورق ، وصار وجودها كعدمها

يضحك احوانا اليمنيون ، ويقولون عظيم ، هده افكار القات !!

ساعة القات

ولانه يقوم بهدا الدور « الشمولي » في الحياة اليمنية ، فان ساعة القات لها ما يشبه القداسة الخاصة وعندما يحين أوانها ، لا يعلو صوت فوق نداء القات الجميع يهرولون الى سوقه ابتداء من الثانية عشرة ظهرا الموظفون والتجار والعمال والمثقفون ، وكل الفئات التي يضمها « التحالف » ، وهو زحف كثيرا ما أدى الى تعطيل حركة المرور في صنعاء ، الامر الذي دفع بلدية العاصمة الى تقرير نقل سوق القات خارج المدينة ، في منطقة مترية مليئة بالحفر والمطبات ، ومع ذلك ورغم كل « العوائق الطبيعية التي تحول دون الوصول الى موقع السوق ، فانه يتحول في ساعة الظهر الى « قبلة » ، يهون في سبيل التوجه اليها كل شيء واذا كنت في صنعاء ، وشهدت على البعد سحابة من الأتربة تتصاعد في الافق ، وتناهت الى اسماعك اصوات ضجيج بشرى هائل ، ولمحت سربا من المركبات يتراوح بين الحمار والمرسيدس ، فانت على مقربة من سوق القات ، والكل على موعد معه !

سألتهم بعدما زرت اسواقه ، وشهدت بعض جلساته ، ما سر هدا الاقبال الشديد على القات ؟

تعددت الردود قال احدهم المال كثير في ايدي الناس ، والبركة في المهاجرين الذين يعملون في الخارج ، ويمولون

وقال آخر ، المناخ الاجتماعي - العادات والتقاليد واضاف ثالث ، والمناخ السياسي ايضا ، ثم تساءل الم ترتبط الماريجوانا بحرب الامريكيين في فيتنام ؟ كم فيتنام شهدناها في اليمن !! وقال رابع ، الفرصة الوحيدة المطروحة امامنا ، لنلتقي ونتحاور ، ونقضي وقتا طيبا وسط الاقارب والاصدقاء ، في زمن لم يعد يعرف فيه الساكن جاره ، ولا الابن أباه

تصنيفات أخرى

وان يصبح اليمنيون فريقين قاتيون ، وغير قاتيين ، فذلك يضيف عنصرا جديدا ، متطورا نسبيا الى قائمة التصنيفات العديدة في اليمن فاذا كانوا جغرافيا قد صاروا شماليين وجنوبيين فانهم - مذهبيا - زيود وشوافع وقلة من الاسماعيلية وعرقيا ، هم ينقسمون قحطانيين او عدنانيين اما طبقيا واجتماعيا ، فحدث ولا حرج ، لان درجات الناس - من هده الزاوية - ثمان السادة الذين ينتمون الى البيت الهاشمي (كانت فيهم الامامة) ، ثم القضاة ، والتجار ، وملاك الاراضي ، وشيوخ القبائل ، والفلاحون وصغار التجار ، واصحاب المهن والحرف التي يترفع عنها الآخرون (الجزارون ، والحلاقون وصانعو الاحذية مثلا) واخيرا ، أتعس الفئات وادناها ، وهم « الاخدام » ويقال انهم بقايا الاحباش الذين استعمروا اليمن قبل الاسلام ، بزعامة « ابرهة » ، الذي حاول هدم الكعبة وقد صاروا يمنيين الآن ، لكنهم معزولون ، ويعيشون في اطراف المدن ، ويعملون خدما في البيوت ، وعمال نظافة في الشوارع

ولكل فريق من هؤلاء معالمه المميزة ، من غطاء الرأس الى شكل ووضع الخنجر الذي يزين « الجنبية » التي تطوق خصره ، وهكذا حتى ان فئة اصحاب الحرف الصغيرة ، لا يتزوج من بناتهم احد من الفئات الاخرى

وثمة تقسيمات اخرى معاصرة ، مثل العسكر والمدنيين ، والعسكر فرق ، المستجبريون (الذين قاموا

بثورة سبتمبر) ، واليونيو يون (انصار حركة التصحيح في ١٣ يونيو ٧٤ التى قام بها المقدم ابراهيم الحمدي) ، وما الى ذلك ؛

ورغم أن هذه التقسيمات تبرز وتختفي حسب مقتضيات الاحوال ومتغيرات المناخ السائد ، الا ان الفريقين اللذين لم يتأثرا بمسار الأحداث ـ وان اختلف حجم كل منهما ـ هما انصار القات واخصامه وكان الحرب المعارض للقات قد نشط بعد ثورة سبتمبر ، خصوصا وان بعض أبناء الثورة تعاهدوا بعد نجاحها على ان يقاطعوا القات ، في محاولة لارساء قيم جديدة ملائمة للمرحلة ، ومن هؤلاء الشهيد محمد محمود الزبيري ، والقاضي عبد الله الايرياني (مقيم في سوريا الان) والاستاذ احمد محمد النعمان (انتهى به المقام في السعودية) وكانت ذروة المواجهة عندما اصدر محسن العيني رئيس الوزراء قرارا في عام ٧٣ يمنع زراعة القات ولكن القرار استخدم ضده ، حتى خرج من الوزارة ؛

وفي ظل الاوضاع التي تلاحقت ، عادت الامور الى « نصابها » ، والغى قرار العيني ، بل ايضا الغيت الضريبة على تجارة القات ؛ (كانت حصيلتها حوالي ٣ ملايين دولار سنويا) ، بعدما رفعت الضرائب عن مختلف السلع التي تنتج محليا ، لتشجيع هذا الانتاج ؛ ورغم ما يقال عن ان الغاء ضريبة القات يرجع الى ان اعباء جباية هذه الضريبة كانت تفوق حصيلتها ، الا انه من المرجح ان القرار كان سياسيا ، هدفه كسب تأييد حزب القات

وكانت هذه الخطوة ـ في النهاية ـ انتصارا لحزب القات وتأكيدا لدوره في الساحة السياسية ؛

في « المقيل » و « التفرطه »

وقد اتيح لي ان اشهد ثلاث جلسات للقات وفي كل مرة كنت افشل في تخزينه ، وابتلعه بعد لحظات من مضغ اوراقه الخضراء الداكنة اذ يحتاج الامر الى مران فيما يبدو ، لكي يتمكن المرء من تخزين تلك الكرة الصغيرة في جانب من الفم ، ويحتملها لمدة ساعة على الاقل ، وينفصل عنها ليمارس نشاطات اخرى عديدة ، من المناقشة الى القراءة والكتابة ، واحيانا الرقص والغناء ؛

وجلسة القات (يسمونها « المقيل » من القيلولة) لها مواعيد ونظام وطقوس

اولا تتم في قاعة مصممه خصيصا لهذا الغرض ، يسمونها « المفرج » ، من الانفراج ربما ، او لان نوافذها الكبيرة ، التي في مستوى الجالسين على الوسائد الارضية ، تمكن الجميع من « الفرجة » على المشهد الخارجي ويسمونه « السمح » (في صنعاء القديمة كان لكل شارع بستان صغير) وكما ان « المقيل » يتم بعد الغداء مباشرة (الثانية او الثالثة ظهرا) في المناطق ذات الطقس المعتدل مثل صنعاء ، وبعد صلاة العشاء في المناطق الحارة مثل الحديدة ، فان المفرج ، والطراز المعماري ، يختلف تصميمه ايضا باختلاف الطقس ، هو في صنعاء وما حولها في قمة البناء المرتفع ، الذي يصمم خصيصا بحيث ، يتمكن الجالسون من الاطلال على « السمح » وفي الوقت ذاته ، لا تتلصص اعينهم على الجيران من سكان البنايات الاخرى اما في ظروف حرارة ورطوبة الحديدة وما حولها فالمفرج بالدور الارضي في جانب من فناء البيت ويطل على حديقة البيت ذاته

واهل كل حارة ـ الاسم المتداول للشارع ـ يجتمعون في بيوتها بالتناوب يتوزعون على بيتين كل يوم وعندما يحين الموعد يتوافد الجمع على المقيل ، وكل منهم متأبط حزمة القات ، ومستلزماته ان شاء ، وهي بالدرجة الاولى ماء بارد في « ترمس » صنعه الذكاء الياباني خصيصا لهذا الغرض ، بحيث الحقت به قطعة خارجية يوضع عليها كوب الماء الصغير تحت طرف فوهته وبضغطة اصبع واحد ، ينساب الماء بالقدر الذي تحتاجه عملية ترطيب جفاف الحلق ، وارواء العطش الذي يسببه القات ومن اراد ان يحضر معه ترمس شاي او قشر القهوة المغلي ، فلا مانع المهم ان يصل كل واحد وهو في حالة اكتفاء ذاتي ، حتى لا يتحمل المضيف عبئا ثقيلا في وجود ١٥ او ٢٠ شخصا دفعة واحدة

يتحلقون حول القات في تلك الجلسات اليومية المنتظمة ، لا فرق بين غني وفقير ، او وزير وخفير ، تتساوى الرؤوس ويرفع التكليف ، وتحفظ الالقاب ، بمجرد ان يخلع القادم نعله ، ويفك جنبيته ، واذا كان من الافندية فانه غالبا ما يتحلل من البنطلون ، ويستبدل به ازارا جاهزا (يسمونه الفوطة) يمكنه من الجلوس على الارض طوال ساعات المقيل ، بغير عنت ولا مشقة

وللنساء جلسة مماثلة ، يسمونها « التفرطه » ، التي ينفرط فيها عقد الوقت ورغم انه يفترض نظريا انها تتم لمناسبة معينة (زواج او ولادة او ختان او وفاة) ، الا انه من الناحية العملية لا تخلو حارة كل يوم من مناسبة كهذه ، خصوصا وان الزواج مناسبة تستحق ـ
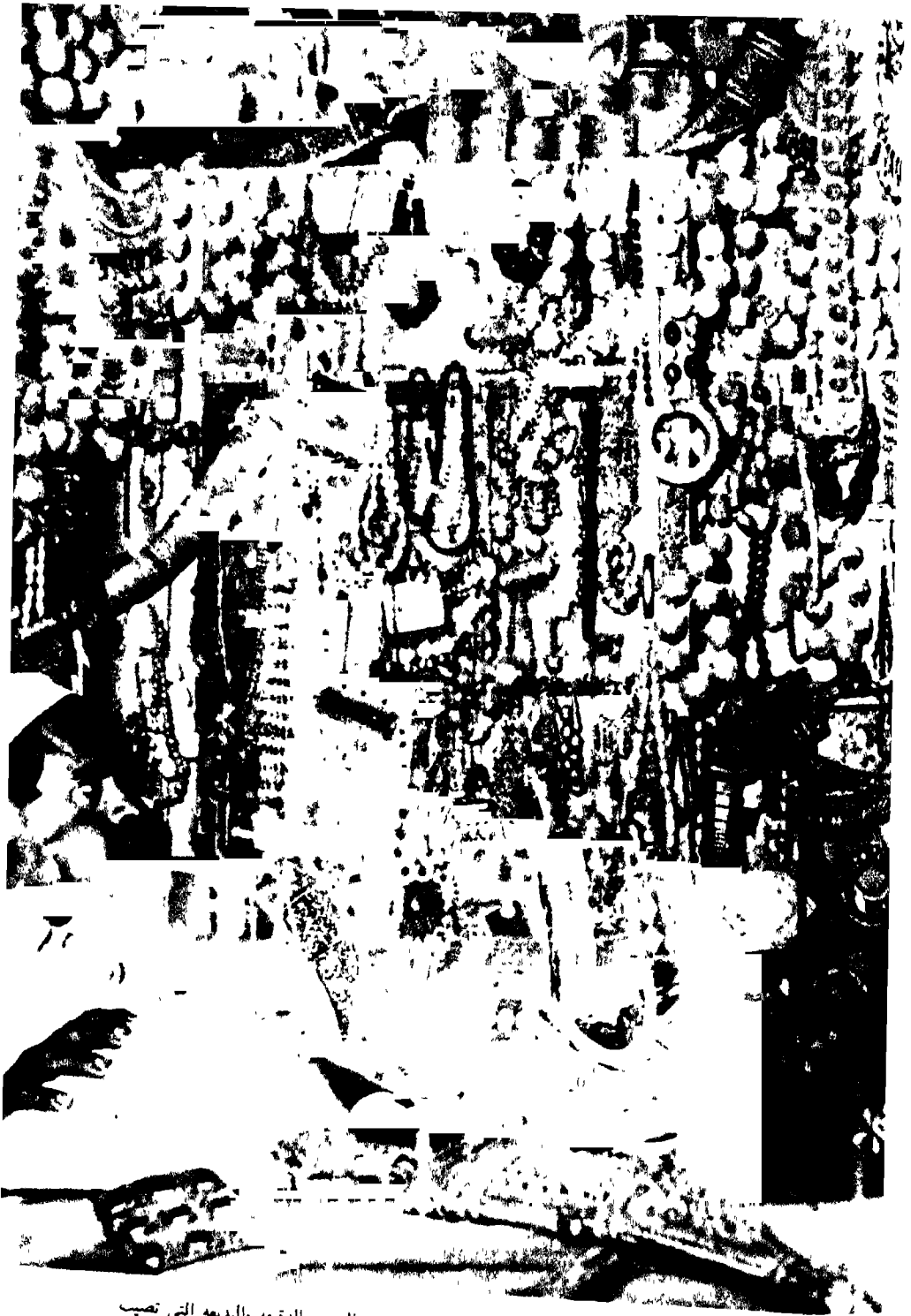
وجهان في الحياة اليمنيه لا ينفصلان ، المشغولات الفضيه الدقيقه والدمغه التي تصيب الاحباب بالهوس ، وتحرس القات الذى نسعى ان نتم يوميا في موعده المقرر بغير تأخير

طبقا للعرف السائد هناك ـ ان يستمر الاحتفال بها ٤٠ يوما والولادة، حدث لا يقل اهمية، وهو يحتاج الى ٤٠ يوما اخرى اما الختان فله اسبوع واحد. واحزان الرحيل ينبغي ان تتكافأ مع فرحة الميلاد، ويسعى ان تستمر ٤ يوما اخرى

والتفرطه لا تعقد في بيت صاحب الشأن بالضرورة، ولكنها تتم في بيوت اخريات لحساب المناسبة وباسمها وهي مقصورة على المتروجات فقط، ومحظورة على غيرهن من البكارى وكما في المقيل، فان كل قادمة تأتي بزادها من الماء او قشر القهوة او البخور. والقات دوره محدود اذ التحريس في التفرطه استثناء وليس قاعدة، واذا كان الرجال في المقيل يتنافسون في شراء الاجود والاعلى من القات، الا ان منافسات التفرطه تدور حول الثياب والحلي والعطور والبخور، فضلا عن ادق أسرار الحارة، والقيل والقال!

درس في التخزين!

لهثنا وتقطعت انفاسنا حتى صعدنا الى المقيل «المتكى» من الاتكاء في روايات اخرى ـ اذ كان المفرج فوق سطوح بيت من سبعة طوابق، والمسافات بين درجات السلم الحلزوني بعيدة الى حد لا يقوى عليه الا متسلقو الجبال الشاهقة تقدمنا مرافقنا مخترقا ستائر الضوء الشاحب، وعند كل منعطف يبينه من يهمه الامر من السكان او النازلين، ويردد بين الحين والآخر الله الله

تقنعك الرحلة في حد ذاتها بانك بحاجة الى مقيل او متكى اذ تصبح في نهايتها بحاجة الى ان تلقي بنفسك على اي مقعد او حشية لتستريح عدة ساعات لكنها كانت مشكلة شخصية فيما يبدو، لان بقية الصاعدين دخلوا من باب المفرج ولله الحمد، وكأنهم قادمون من غرفة مجاورة خارجون لتوهم من حمام منعش وساخن (وهي عادة يتمسك بها البعض قبل حضور جلسات القات في الشتاء)

القاعة فسيحة ومزينة الجدران، والحشايا والمساند ذات الألوان الزاهية، متناثرة بطول القاعة وعرضها، بينما تنتصب في الوسط نرجيلة او اكثر ـ مداعه ـ طويلة العنق لها مستودع نحاسي، «ومسم» واحد في نهاية خرطوم اطول، مكسو بالقماش وربما مطرز، مهمته توصيل مفعول النرجيلة الى اوسع دائرة ممكنة من الجالسين

ولا يخلو المفرج القديم من نافذة صغيرة للتهوية لزم الامر وان كانت المباني الحديثة قد حلت هذه المشكلة بصيغة اكثر تطورا عن طريق الاجهزة الكهربائية التي تتولى سحب الهواء الى الخارج من ذلك النوع الذي يستخدم في المطابخ عادة

ومن باب حسن الظن بي، وربما املا في ضمي الى عصبة الحرب، فقد اعطيت في البداية ما يمكن ان يسمى «ثقافة قاتية». وهي خلفية لازمة للوافدين الجدد، تؤهل للانخراط فيما بعد

وخلال هذه المرحلة الاولى. تكتشف ان القات درجات (٢٥ وفي رواية ٧٠) كما ان الناس درجات وان سعر الحزمة (حوالى ٤٠ عودا) يتراوح بين ٢٥ و ٣٠٠ ريال، بينما كان سعر الحزمة من اجود الانواع ٣٠ ريالا حتى عام ٧٤ (بعد رفع اسعار النفط)، اي ان سعر النوع الجيد تضاعف ١٠ مرات

تكتشف ايضا أن كل منطقة تتميز بانتاج مختلف من القات في صنعاء مثلا، اجود الانواع تحمل اسماء صلاعي ـ وادي ـ قرية ـ رخامي والصوتي هو اردا الانواع وفي تعز اجود الانواع هي الصبري (من جبل صبر) والجعشمي، واردؤها هو الشرعبي واجودها في الحديدة هي الشامي والقسطل والحرامي، واردؤها الحفاشي واهم واجود قات اليمن الجنوبي هو اليافعي والصالعي

وكل الاصناف متوفرة على مدار العام، لان شجرة القات، دائمة الخضرة، وبناسبها تماما طقس المرتفعات والاجواء المفتوحة، وهو اكثر مما يتميز به قلب اليمن، حيث سلاسل الجبال العالية، التي لا تنتهي ومن اسرار هذه الشجرة انها تنمو بغير بذر ولا زهر، ولكن «بالعقلة» في اغلب الاحوال، اذ تؤخذ الفروع الرفيعة وتقطع الى عقل طول كل منها نصف متر، ثم تزرع في بطن التربة، وتروى لمدة ٤٠ يوما فقط، ثم تترك لتعتمد على مياه الامطار، وتعمر مدة تصل الى ٢٥ عاما وكلما قطفت اوراقها نمت من جديد والغريب ان شجرة القات لا تصاب بالآفات الزراعية الا نادرا، وان اشجار البن المزروعة الى جوارها كثيرة الاصابة بهذه الافات

في مرحلة تالية تلقيت درسا في التخزين!

المخضرمون يقولون في البدء لم يكن هناك تخزين، ويحسدون هذا الجيل الذي اتيح له ان يوظف مظاهر التقدم العلمي لصالح تعاطي القات، حتى انه اصبح يتلقاه طازجا حيث وجد وهنا يروون ان اليهود اليمنيين

في سوق القات . التجار لهم اكشاك خاصة لكن ذلك لا يمنع اي مزارع من ان يحمل حتي الصباح ، ويعرضه وسط السوق

الذين هاجروا الى اسرائيل منذ عام ٤٨ زرعوا القات هناك ، وان هذا القات يصدر الآن للجاليات اليمنية في الخارج (انجلترا بوجه خاص) وسمعت من احدهم ان هناك طائرة تنقل القات الى لندن كل يوم ست ، وانه شخصيا جربه في العاصمة البريطانية مساء السبت ، ليس خرقا لقوانين المقاطعة ، ولكن ـ فقط ـ للتثبت من الأمر !

يضيف المخضرمون انه قبل نصف قرن ، عندما كانت الجمال هي وسيلة الانتقال الاولى ، كان متعذرا ان يحصل اصلير القات عليه طازجا فكانت اوراقه تجفف وتنقل من بلد الى آخر ، حيث يشرب الجميع منقوع القات ومن هنا جاء تعبير الرحالة الاجانب الذين زاروا مناطق القات في القرن الماضي ، واسموه « شاي العرب » لان القاتيين كانوا يضعون هذه الاوراق الجافة في الماء لبعض الوقت ، ثم يشربون الماء بعد ذلك

وعندما ظهرت السيارات والقطارات اصبح انتقال القات الطازج ميسورا بين دول شرق افريقيا التي تنتجه ، وادت السيارات هذه الوظيفة في اليمن ، اذ لا توجد هناك سكك حديدية لكن الفرج الاكبر ـ على حد تعبير احدهم ـ جاء مع استخدام الطائرات ، التي كانت احدى وظائفها الاساسية في الماضي هي نقل هذا القات من الحبشة الى اليمن ، ومن صنعاء الى عدن والحديدة وتعز ، وهكذا

وكلما تقدمت وسائل المواصلات والنقل ، تطورت اساليب تعاطي القات ، حتى اختفى تماما شرب منقوع القات ، وسادت طريقة التخزين

الهواة يقطفون اوراق القات الصغيرة من اطراف الفروع ، ويمضغونها ثم يحتفظون بها لبعض الوقت ، وبعد ذلك يتخلصون منها في اناء صغير ، ليواصلوا القطف والتخزين بعد ذلك اما المحترفون فانهم يحتفظون بالاوراق مدة اطول ، وقد لا يتخلصون مما في افواههم الا في نهاية الجلسة ولذلك فانهم يقطفون ويقطفون ، ويضيفون المزيد الى ما في افواههم ، وتظل الكرة تكبر وتكبر ، وينتفخ معها جلد الوجه في الجانب الايمن ، حتى ليبدو كما لو كان هذا الجزء قد صار « مطاطيا » من كثرة الاستعمال

على انهم لم يعودوا الآن بحاجة الى الطائرات ـ في داخل اليمن على الاقل ـ لان القات اصبح يزرع في كل مكان ، باستثناء سهل تهامه الساحلي ، الذي يتلقى احتياجاته عن طريق السيارات ، خصوصا بعد استكمال شبكة الطرق الرئيسية في اليمن

مخدر ام ماذا ؟

سألتهم ، ما هو المفعول الحقيقي للقات ؟ هل هو مخدر ام لا ؟

انصار القات يعددون مزاياه ولا يرون الا النصف المليء من الكوب بينما الخصوم يتهمونه بكل نقيصة ، ويؤكدون انه مخدر ومضيع للوقت والجهد والمال ، اى انهم يركزون على النصف الفارغ من الكوب

ويبدو ان ما يقوله الطرفان صحيح والفرق بينهما ان الانصار يصدرون حكمهم على القات من خلال رصد الموقف في بداية « المقيل » ، بينما الخصوم عليه من نهاية الجلسة !

ولأنني كنت طرفا محايدا ، فقد رويت لهم ما شاهدته ، من خلال تجربة مباشرة ذلك أن احد مرافقينا في الرحلة كان من انصار القات ورغم انه ممثل مسرحي ، وكان شديد الالحاح على ان اناقش معه مشكلة المسرح اليمني ، الا ان سؤاله الاساسي الذي كان يطرحه قبل تجوالنا كل صباح هو اين سنتناول الغداء ؟ وكانت هذه صيغة مهذبة تغلف سؤالا آخر هو اين سيتم التخزين ؟

كان طلال ـ وهذا هو اسمه ـ يعلن الطوارىء قبل الثانية عشرة ظهرا يضيق صدره ولا يحتمل سؤالا فضلا عن ملاحظة كان يبدو حاضرا معنا ولكن عقله غائب عند « المقوت » ـ بائع القات .

ولا يستريح له بال الا بعد ان يشتري حزمة القات كان يدفع ١٠٠ ريال كل يوم ـ بمعدل ٣ الاف ريال كل شهر ـ بينما راتبه الشهري ٨٦٠ ريالا (الفرق يعطيه من بيع اراض وبنايات يملكها) . يعود من عينته بعد ان يطمئن الى ان زاده معه ملفوفا في كيس من النايلون ، صنعته اليابان خصيصا لاهل اليمن وكتبت عليه « بلادي بلاد القات » ، ولكن هذه الاكياس اصبحت تنتج محليا الآن (!) بعد الغداء ينهض طلال ليفض الكيس ويبدأ في التخزين يعتدل في مقعد السيارة ويقول ، وقد عادت اليه حيويته وابتسامته ، الآن انا مستعد للذهاب معكم الى نهاية العالم لا يعود اليه عقله الغائب فقط ، لكنه يتحول الى شخص آخر ، شديد الانتباه والانطلاق تشعر كما لو كان مؤشره في صعود ومعنوياته في السماء يظل على هذه الحال طوال ساعتين او ثلاث على الاكثر اى انه بعد الساعة الخامسة ، ومن السادسة ، يتحول الى شخص ثالث ، يصعب عليه التركيز ، وتتلقى ردوده ببطء ، بينما تصبح حركته اكثر بطئا وتكتشف على الفور ان المؤشر قد عاد الى الهبوط ، وان معنوياته تهبط معه تدريجيا !

وفي كل صباح كان يجيئنا مكتئبا من الارق وقلة النوم ، رغم محاولاته التغلب على الارق بشرب المتوفر من الكحوليات (وهي عادة اكثر مدمني القات ، ويسمون هذه المرحلة الثانية « التفسيح ») خصوصا وان القات يفقده الشهية ، فلا يتمكن من تناول اى طعام في العشاء

فتش عن القات

واكثر الذين ناقشتهم اقروا هذا التوصيف وزادوا عليه قولهم انه بسبب القات فان دوام موظف الحكومة لا يتجاوز ٣ ساعات في اليوم ، لان الموظف الذي يظل مؤرقا في الليل ، يصل الى مكتبه متأخرا ، ولا يحتمل الجلوس على مقعده بعد الثانية عشرة ظهرا ، عندما يحين موعد شراء القات ويبدو ان وزارة الاشغال في صنعاء ارادت ان تحل المشكلة ، فخصصت احدى حجراتها داخل مبنى الوزارة للتخزين ، في محاولة للابقاء على الموظفين اطول فترة ممكنة

اى ان انتاج الموظف ومواعيد حضوره وانصرافه لها علاقه بالقات ، الذي يؤثر ايضا على مواعيد طعام ونوم وكافة ارتباطات اى مواطن آخر اذا اردت موعدا فهو

في المقيل ، والنوم بعد الغداء لا مكان له بسبب موعد المقيل واذا اردت الاحتفال باى مناسبه ـ حتى ولو كانت عيدا ـ فليكن ذلك حول القات ولانه يفترض ان اللقاءات تتم في المقيل ، فليس من اللائق ان تزور يمنيا في بيته بعد السابعة والنصف مساء . وربما كانت مصادفة ان تجيء تعاليم المذهب الزيدي المنتشر في اليمن متوافقة مع متطلبات جلسة القات التي تمتد الى ما بعد صلاة المغرب ذلك ان الزيود يجيزون جمع الصلوات في الظروف العادية ـ خلافا لاهل السنه الذين يبيحون الجمع في حالات السفر والضرورة ـ وعلى ذلك فان الزيدى يستطيع ان يجمع الظهر والعصر قبل ذهابه الى المقيل ، وان يجمع ما بين المغرب والعشاء بعد الجلسه (جمع تاخير) وبذلك يظل في مكانه طول وقت المقيل ، بضمير مستريح للغاية !

بل ان تركيب الطعام اليمني ذاته يكاد يكون محاولة للرد على مفعول القات وتخفيف اضراره الصحية ذلك ان استمرار فقد الشهية الذي يحدثه ، يؤدي طبيعيا الى انتشار امراض سوء التغذية من البلاجرا الى تضخم الكبد وقروح المعدة وكان الرد الغريزى على هذا الخطر هو ما لجأ اليه اليمنيون من اضافة الحلبة المطحونه الى اغلب الاطعمة في وجبتي الافطار والغداء و« المطيط » ـ الطبق الرئيسي والشعبي عند عامة اليمنيين ـ هو خليط الدقيق بالحلبة والبيض مع السعتر والفلفل تقوم الحلبة بهذا الدور الوقائي ، بما تحتويه من قيمة غذائيه كبيرة ، فيتامين ح و د فضلا عن البروتين والفوسفور والكالسيوم وقد قرأت تقريرا لأحد الخبراء يقول فيه « ان الحلبة تقوم بدور هام في المحافظة على البقية الباقية من صحة شعب اليمن فضلا عن انها تعالج حالة القبض الشديد الذي يحدث بالامعاء نتيجة القات »

ويذهب البعض الى ان للقات دورا في تزايد هجرة اليمنيين الى الخارج في السنوات الاخيرة ـ فقد ادى ارتفاع اسعاره الى افلاس الكثيرين ، لانه عمليا ليس بمقدور اليمني ذى الدخل العادي ان يغطي نفقات التخزين اليومي (مرافقنا نموذج لذلك) ، والذين لا يتاح لهم ان يغطوا انفاقهم على القات من مصادر اخرى ، يضطرون الى الهجرة

وليتها الميزانية فقط التي تتأثر ـ هكذا يقولون ـ لكنه حجم الاسرة ايضا لان ادمان القات يؤثر سلبيا على قدرات الرجال الجنسية ، فضلا عن تأثيرات اخرى في ذات الاتجاه ، يشيرون اليها ولا يخوضون في تفاصيلها وربما كان هذا هو السبب في ان عدد سكان اليمن ينمو ببطء شديد ، اذ انهم كانوا ستة ملايين منذ ١٦ عاما ، وحتى العام الماضي لم يزد عددهم على ثمانية ملايين !

واخطر من ذلك تاثيراته على الاقتصاد اليمني ، اذ ان الارتفاع الشديد في اسعاره دفع كثيرين من الزراع الى التوقف عن زراعة المحاصيل الاخرى ، والتحول الى القات لانه اوفر ربحا ورعايته تحتاج الى جهد اقل وذلك أدى الى العجز في الانتاج الزراعي ولان اكثر انواع التربة ملاءمة لزراعته ، هي تلك التي يزرع فيها البن ـ لتعاسة الحظ ـ فإن بعض الزراع لم يترددوا في خلع اشجار البن واستبدال اشجار القات بها !

لكن هناك ايجابية تذكر للقات ، ولا يختلف عليها احد ، انه استطاع خلال السنوات الاخيرة أن يؤثر في توزيع الثروة باليمن ، عن طريق نقل ثروة المدينة الى الريف ذلك ان زيادة الاقبال عليه أدت الى زيادة اسعاره بصورة مدهشة ، وذلك أدى الى مضاعفة دخول المزارعين من سكان الجبال والقرى وكان لهذه النتيجة دور فعال في اقبال الفلاحين على شراء موتورات الاضاءة والسيارات والدراجات البخارية ، فضلا عن ظاهرة التوجه الاستهلاكي العام السائدة هناك

وهم يردون على كل ما يطرح من ملاحظات بقولهم ان القات افضل من المشروبات الكحولية اى أنه أهون الشرين ويسلمون بان سلبياته اكثر من ايجابياته ، ثم يقولون ما هو البديل عنه ، وكيف تحل مشكلته التي استشرت ؟ لقد حرمت اليمن الجنوبية بيعه وتعاطيه الا في يومي الخميس والجمعة من كل اسبوع ، ولاسباب متعلقة بتوقيت الاجراء وطبيعة الاوضاع هناك ، أمكن تطبيق النظام ، وامكن تقليص نفوذ القات

أخيرا ، يرددون ان اتهام اليمنيين بالقات ينطوي على ظلم فادح لهم ، ونحن يبنى على مغالطة كبرى فاليمني عندما يسافر الى خارج البلاد لا يفكر في القات ، بعكس اى مدمن وعندما يعود لا يجد صيغة اخرى تمكنه من ان يشارك في نسيج العلاقات القائمة في المجتمع اليمني وهي مشكلة لا تحل بقرار ، وانما بطرح هذا البديل الذي لا يملك مفتاحه طرف واحد ، ولا يمكن ان يحسم القضية لا في شهر ولا في سنة

اليس غريبا هذا التشابه بين حزب القات واكثر احزابنا العربية ، حيث الغالبية العظمى على استعداد لان تتخلى عنه في لحظة اذا وجدت بديلا مقنعا ، فضلا عن احساس الانصار بان « العضوية » عبء تتمنى لو تحللت منه ، وان الاختيار لا يتم على اساس مفاضلة بين جيد ورديء ، ولكنها بين رديء وارداً !!! ■■

ما هي ضرورة المسرح ، في مجتمع يشح فيه الخبز ؟!

قصة أبومحروس

هى مشكلة المسرح العربي !

بقلم : عبد العزيز مخيون

في كل فلاح يرقد حافز للتعبير وربما في عهود الاستعمار المختلفة اسيء توظيف هذا الحافز ولجأ الفلاح الى اشكال فنية اخرى يفرغ فيها شحنة التعبير ويتنفس ففي القرية التي كانت بعيدة عن تيارات الغزو الحضاري عاشت اشكال التراث بمعزل عن كل المؤثرات الدخيلة ، فقد كانت القرية اقل تهديدا من المدينة

مع هذه الاشكال اردت ان اتعامل ، لأخرج من مرحلة الفروض النظرية الى مجال التطبيق العملي في ارض الواقع ، وحاولت ان اقوم بجهود في احتواء ظواهر الابداع الفني البكر في القرية المصرية

كان العمل اولا على نص مسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم ، وقد اجريت عليه مع الفلاحين تعبيرات شاملة نتجت عن التناقض بين الواقع الحي والنص المكتوب ، وبين صيغة المسرح التقليدية ومخزون التراث الفني الشعبي

ثم دفعت بفكرة الى مجموعة الفلاحين وطلبت من كل واحد منهم ان يتصور نفسه « داخل الموقف » ماذا يكل فلاح يضيف رأيا او يلقي بجملة حوار سرعان ما اخذت تنسج عملا مسرحيا جديدا بالمرة

عملنا في هذه التجربة على انتزاع الظاهرة المسرحية من واقع الريف المصري

ويعتبر هذا المقال كمقدمة للاستنتاجات النظرية المترتبة على تجربة المسرح في قرية زكي افندي في سنوات ٧٥ ـ ٧٦ ـ ١٩٧٧

« ابو محروس هيا يا ام محروس ، اجمعي الاولاد فنحن داهبون الليلة الى المسرح »

هذه عبارة غريبة على الاذن ولا يجرؤ كاتب عربي ان يقولها في مسرحية او رواية او في اي عمل فني ينتمي الى الواقع ، لانه لو قيل مثل هذا الحوار على لسان هذه الشخصية الشعبية سيعني امرين اما كون كاتبه يزيف الواقع بتقديم صور غير حقيقية ، واما كونه كاتبا متفائلا يحلم حلما جميلا بان هذا سوف يحدث في المستقبل

العيد ده العبارة البسيطة تشير الى انعدام ظاهرة النشاط المسرحي بمفهوم عصري بين الجماهير الشعبية ، وحتى على مستوى الطبقات الوسطى التي تتركز في المدن الكبرى . فالمجتمع العربي لا يعرف المسرح كظاهرة حية ضمن مظاهر النشاط الاجتماعي المتعددة ، وسنحاول هنا ان نتأمل المشكلة على ضوء تجربتنا في محاولة احياء الفن المسرحي بقرية « زكي افندي » في شمال دلتا مصر ، معتمدين على اشكال العروض الشعبية المنحدرة من التراث والتي ما زالت تعيش في قرى الريف المصري حتى يومنا هذا ، وتحظى باقبال وتجاوب حار من الفلاحين

جذور المشكلة

ان مأساة اغتراب الانسان في المدينة العربية الحديثة ومن ضمنها مشكلة « اغتراب المسرح وتمزق هويته قديمة وقد جاء ادراك الفكر العربي لها مع بداية زحف انماط الحياة العربية على الشرق العربي منذ زحف الحملة الفرنسية الى مصر »

فهذا هو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، يعطينا اول رد فعل مندهش ازاء اول حدث مسرحي قادم من الغرب ليقع في مصر « احدثوا بغيط النوبي المجاور للازبكية ابنية على هيئة مخصوصة ، متنزهة يجتمع فيها النساء والرجال للهو والخلاعة في اوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليها قدرا مخصوصا يدفعه او يكون مأذونا وبيده ورقة »

وبعد الجبرتي بحوالي اربعين عاما ، يأتي شيخ آخر هو رفاعة الطهطاوي الذي اقام في باريس من الفترة ۱۸۲٦ ـ ۱۸۳۱ م يتأمل حياة المجتمع الباريسي الغريبة على الشرق ، وقد نقل لنا انطباعا عن المسرح لا يخلو من الدهشة وزاد على الشيخ الجبرتي محاولته تفهم وظيفة هذا النشاط ودوره في المجتمع

وهذا مقال في جريدة « الاهرام » بعنوان « مراسحنا » نشر في ١٥ ابريل نيسان سنة ١٩٨ م اي بعد مرور ستين عاما على عرض اول مسرحية معربة عن الفرنسية [1] يستنكر فيه كاتبه مبدأ النقل والتقليد في المسرح المصري فيقول « ان معظم رواياتنا التمثيلية هي روايات منقولة لا موضوعة عربت من الاجانب . » ؟ وبعد ذلك بعقد وبضع سنوات اي في العشرينات من هذا القرن تصدر من القاهرة مجلة « التمثيل » التي اولت هي الاخرى موضوع نشوء

مسرح قومي عناية كبيرة وقد دعت المجلة الى تكوين مسرح مصري خاص يحمل العادات والاخلاق المصرية . المشكلة ادن قديمة وقد بدأت بعملية الاستنبات غير الطبيعي للمسرح الاوروبي في ارض مصر والشام .

لقد دخل المسرح الى الشرق العربي في ركاب غزو استعماري يحمل معه انماطا معيشية غريبة تنتمي لمجتمع آخر ، ويحمل أيضا فكرا جديدا كان مجهولا لاولئك الذين وقفوا يقاومون الغزو باسلحة متخلفة

خلال قرن وثلاثين عاما هي « العصر الرسمي » للمسرح العربي ، كان اغلب الانتاج المسرحي يعتمد على التقليد والنقل المباشر عن المسرح الاوروبي ، وحتى بمقاييس مدارس النقد العربية التي تربي في احضانها هذا المسرح فقد رأينا الكثير من المسوخ المسرحية المقلدة التي تفتقد الأصالة والجودة فالاعمال المسرحية المعبرة التي خرجت من باطن المجتمع العربي التي حاولت التحرر من تأثير المسرح الغربي لتلمس جوهر الاصالة القومية قليلة ، اذا ما قورنت بسيطرة اتجاه التقليد على اتجاه التأصيل ولا يمكن اعتبارها باية حال « ظاهرة » لها وجودها المتفاعل في بيئة المجتمع ، ظلت صيغة المسرح الاوربية تنمو وتنتشر وتفرض نفسها على فن التعبير المسرحي العربي ووجدت من يكيفها ويضع لها الحواشي والفواصل الغنائية [٢] من زاوية المصالحة مع الفنون التقليدية المحلية الدارجة »

توقف تأثير الفنون الشعبية التقليدية عند حد معين لم تتجاوزه ، فقد كانت مهددة في ظل تحول نظم المعيشة واتجاهها القوي نحو الاخذ بنظم الحياة العربية « واسباب المدنية الحديثة

المسرح المفقود

خلال مسيرة المائة والثلاثين عاما لم تنشأ « ظاهرة المسرح » وجودها في المجتمع العربي الحديث ، ظل المسرح كنشاط هامشي على صفحة الحياة الاجتماعية تعرفه تلك الطبقات التي ارتبطت بالثقافات الاور الوافدة مع الغزو الاستعماري في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، تلك الطبقات التي تنحدر من اصول غير شعبية والتي تدفعها مصالحها الاقتصادية الى التمادي في النقل والتقليد والتبعية واحتقار كل ما هو قومي وشعبي

ذلك الغزو الذي جوهره تقابل بين حضارتين ، حضارة ذبلت منذ عدة قرون ، وحضارة فتية في طور النمو والاكتشاف وكان من اوجه هذا التقابل أن دخل مسرح اوروبا القرن الثامن عشر ولم تدخل التيارات الحديثة التي كانت تختمر في قلب المسرح الاوربي في ذلك الوقت والتي ما زالت مؤثرة في مسيرة المسرح الغربي حتى يومنا هذا او بتعبير آخر كان الاتجاه الى المسرح التجاري الاوربي غالبا على الاتجاه الى المسرح الجاد الاوربي

دخل مسرح القرن الثامن عشر على الفنون الشعبية واشكال التعبير الموروثة التي حفظتها ذاكرة الشعب وما زالت تعيش في الوجدان كفنون خيال الظل ، الاراجوز ، الحكاواتية ، شعراء السيرة الشعبية ، المداحون ، المنشدون الدينيون ، حلقات الذكر ، التقليعة ، والعاب الشوارع والاسواق ، وكل هذه أبداعات فنية يتجسد فيها نوع من المسرح القائم على فن العرض ويتجسد في بعض منها عنصر التمثيل والمحاكاة ، وهي تعيش في صلب بيئة الحياة الاجتماعية ولا يمكن للحياة ان تسير بدونها لانها جزء من مكوناتها ، فهي انعكاس لعادات وتقاليد هذه الحياة ، لان فيها يمارس ويعيش جزءا كبيرا من التقاليد الاجتماعية

هذا التعايش بين التعبير الفني المتمثل في الاشكال سابقة الذكر والحياة ، او هذا الفن الذي يعيش في دورة الحياة ، يمثل مصدر طاقة عظيم وقوة دفع حيوية لفن المسرح وفيه تكمن قوة استمرار نابعة من قوة استمرارية الحياة ذاتها ، ومنه ايضا يتولد اتصال حار وعفوي مع الجمهور اتصال كان لا يعرف في المسرح الاوروبي في ذلك الوقت ، وهو يبحث عنه الآن على مشارف نهاية القرن العشرين

---

(١) مسرحيه البخيل لموليير عرضها مارون النقاش بفناء داره في بيروت ١٨٤٧ في حضرة مدعوين من علية القوم وقناصل الدول لم تكن البخيل تمثل المسرح السائد في فرنسا في ذاك الوقت فقد قدمها النقاش بعد مرور قرن وتسعه وسبعين عاما على تقديمها في باريس

(٢) رشدي صالح المسرح العربي مطبوعات الجديد القاهره نوفمبر ٧٢

رفاعة الطهطاوي عبد الله النديم

في الفنون الشعبية العربية يعيش نوع من المسرح له جمالياته وله منطقه الخاص به وهو مسرح يختلف عن المسرح الآخر « مسرح المؤسسة » الغربي المبني على تراث اليونان القديمة ، والذي بدأ انفصاله عن الحياة الاجتماعية ابان عصر النهضة الاوروبي ، حتى صار كيانا مستقلا ومؤسسة من مؤسسات المجتمع التي ازدهرت انذاك ، كالجامعة والمدرسة ودور الصحف بعد اكتشاف الطباعة

الاعيب من نوع آخر

وهنا يمكننا ان نتأمل ملاحظات الشيخ رفاعة الطهطاوي اول عقل عربي تأمل المسرح العربي عن قرب شديد نجده يقول « فمن مجالس اللهو عندهم محال تسمى التياتر والسبكتاكل ، وهي يلعب فيها تقليد سائر ما وقع » ويضيف « فالتياتر عندهم كالمدرسة يتعلم فيها العالم والجاهل »

لا شك ان الشيخ رفاعة كان قد شاهد الاعيب الممثلين الجوالين وسمع شعراء السيرة من شوارع واسواق القاهرة وحول مساجدها وهو هنا يشاهد الاعيب من نوع آخر لكنها تدور في محال مغلقة تعتبر كالمدرسة وتسمى التياتر

من الطبيعي ان يقف الشيخ رفاعه مبهورا بالمسرح الباريسي في اواخر سنوات العشرينات من القرن التاسع عشر ، ولكن بعد مرور قرن ونصف من الاحتكاك والمخالطة . الا يحق لنا ان ننظر بعين حديدة مقرين بان جوهر النشاطين واحد ، والاختلاف في الشكل فقط فما قد شاهده الشيخ رفاعة في مسارح بولفار سان دينيس يلتقي في جوهره مع ملاعيب ومسامرات الشعراء الشعبيين في سوق بين القصرين او في سوق السلاح بالقاهرة في عصر محمد علي

● قصة ابو محروس

المسرح في الغرب مؤسسة تنشأ في كنف الدولة او الهيئة الاجتماعية ، ولها قانون ونظام اداري وعرف مصطلح عليه ـ وليس هذا فقط ـ بل ان « مؤسسة المسرح » اخذت تكسب احترامها مع بداية القرن التاسع عشر حتى احيط بها نوع من القدسية جاءت من كهنوت وغموض الفن المسرحي واسراره التي لا تبدو للمتفرجين سهلة المنال ، فنسمعهم يقولون « المسرح معبد المسرح كنيسة ، ولكي يكتمل الثالوث زادوا فقالوا : « مسجد » !

يعني فرض الصمت والخشوع على جمهور المتفرجين ، وامتنعت لغة الحوار عماد فن المسرح وروحه الحية فهل جاء الجمهور الى المسرح ليصلي او ليسمع موعظة يلقيها ممثل بدلا عن القسيس او الشيخ ؟

كلا اذا كان للمسرح وجود في الشرق العربي فهو لن يكون « مسجدا » ، بل يكون احتفالا حيا ينشأ فيه الاتصال الطليق بين المؤدي والجمهور وتسمح طبيعة الاحتفالات الشعبية السابق ذكرها بهذا اذ يتوفر فيها جو البهجة البهجة التي كبتها المسرح المقلد الذي قولب جو الحفلة الشعبية واعاد صياغته في الاطر والقوالب

عندما نقل الى الشرق مسرح الغرب ، لم يأخذ ناقلوه مناهج الفكر المتقدم من هذا المسرح لتبث في الفنون التمثيلية الدارجة المتوارثة ، وانما هم وللاسف قد اجتهدوا في نقل شكل المؤسسة المسرحية اكثر من اجتهادهم في تأمل مضمونها الفكري والحضاري ونقصد هنا المنطق الذي يعالج الموضوع المطروح والصراع الذي يدور بين الافكار والشخوص والنسق الذي ينتظم كل هذا في عملية تركيبية

لقد كانت فنون التراث ـ وما زالت ـ بحاجة لفكر جديد يعيدها ويمسح عنها تراب الزمن ويدفعها لملاحقة العصر وهذا هو اول طريق النمو الشرعي لفن المسرح في بلادنا

صراع بين المسرحين

يمكننا القول بأنه منذ بداية الاتصال مع الغرب كان هناك مسرحان يتصارعان على ارض العالم العربي المسرح الدخيل او المسرح المقلد ، وذلك المسرح المعاش في دورة الحياة والذي هو جزء من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ويمكن تسميته مسرح « الحفلة » فاطاره هو الاحتفالات الشعبية ، احتفالات العودة من الحج ، الافراح ، ختان الذكور ، الاعياد والموالد الدينية الخ

وتاريخ المسرح في مصر مثلا هو صراع بين المسرحين

بينما كان مارون النقاش يقلد ويترجم عن الغرب ، كان يعقوب صنوع يؤصل ويؤلف ويضع صيغة جديدة للمسرح المصري صيغة جمعت اشكال التراث والروح الشعبية الساخرة والوعي بالفكر المتطور في الحضارة الغربية

وعند منابع الفن الشعبي كان فنان أحر هو عبد الله النديم يصنع هذه الاشكال الدارجة على اولى درجات سلم الحداثة غير ان نشاط النديم السري واختفاءه الطويل وملاحقة السلطات له ، جعل اغلب صياغاته هذه في طي المجهول وفي عصر لاحق على هذا بينما كان جورج ابيض يجلجل بأبيات الشعر الفخيم في بلاط الملوك متقمصا لويس الحادي عشر ، وبينما كان يوسف وهبي لا يمل من ترديد صيحته الشهيرة « ياللهول » كان في قاع المجتمع فناسو الارتجال امثال المسيري وجورج [٣] دخول ومحمد ادريس وسيد ابو النصر وغيرهم ، يكسرون الايهام والحائط الرابع ويحطمون جدران « « المؤسسة » ساخرين بالوقار المزيف في صالات الوجهاء والمحترمين بوسط المدينة من دون اقنعة مستعارة ، او حواجز مصطنعة تدور مسرحياتهم في الاسواق والموالد والافراح من حلقات المسامرة الشعبية وجو السهرة الاليف

المدينة ...... والتشوه

واليوم ، وبعد مرور ما يقرب من قرنين من المواجهة الحضارية والاختلاط الثقافي استقرت انماط معيشية جديدة ، ومع كل هجمة من هجمات الاستعمار الذي يتغير شكله ولونه وتتغير اساليب احتوائه وطرق سيطرته مع كل عصر باتت التقاليد في كل يوم مهددة بخطر التشوه او الاندثار ، واصبحت هذه التقاليد في جزء كبير منها في مأزق عدم القدرة على الاستمرار ومجاراة العصر ، في مجتمع صار لا يستغني عن « السيارة والبندقية والعملية الجراحية »

انها ليست قضية المسرح فقط ، فهي تشمل المسرح من ضمن ما تشمل ، انها قضية المجتمع بأسره

هذه النظم المعيشية الجديدة التي لم يعرفها الانسان العربي من قبل ، ولم تدخل حياته الا منذ عهد ليس بعيدا لا يتجاوز قرنين من الزمان اصبحت هذه النظم مستقرة ، تشكل حياة طبقة متميزة او شريحة ، المجتمع . ويقل تأثيرها كلما نزلنا في درجات السلم الاجتماعي وذهبنا بعيدا عن المدن ولكن لا مفر من التسليم بانها قد غيرت شكل المدينة العربية وجلبت من محاسن التطور ، اخطار التشوه ايضا ومع قدوم « المدنية الحديثة » بدأ يقل الاعتماد على الابتكار المحلي خلاصة تفاعل ذكاء الانسان مع البيئة ، وزاد الاعتماد على المواد المستوردة والمعدات الجاهزة ، واستشرت انماط السلوك غير الاصيلة وهكذا تدور عجلة الاستلاب استنزاف ثروات البلاد ، انتشار السلع المستوردة في مقابل التلاشي التدريجي للحرف اليدوية والصناعات التقليدية الوطنية ، تفاقم تأثير الجانب الضار من الاذاعة والتليفزيون ، تراكم وسائل المواصلات مع اهدار قيمة الوقت ، الاسراف في استعمال مبيدات الحشرات والمواد الكيماوية في معالجة المحاصيل الزراعية كل هذه الوسائط تعوق الابداع الحقيقي للانسان في بيئته ومحيطه الطبيعي وتقدم له حلولا جاهزة تسير حياته وتقطع صلته بتاريخه وتصادر على تفاعل ذكائه مع البيئة

رغم هذا الانتشار الجميل الذي حققته وسائل العصر ، يبقى هذا السؤال يعرض نفسه فرضا ما هي ضرورة المسرح ـ عموما ـ في مجتمع يشح فيه الخبز وينخفض استهلاك الفرد من البروتين الى مستويات دنيا ما هو دور المسرح وشكله من مجتمع يحول الانسان الى كائن ينحني ظهره طيلة يومه وينحصر تفكيره في تدبير واحدة من الضروريات الاساسية الاتية الطعام ـ الكساء ـ المأوى ـ العلاج ؟

ما شكل هذا المسرح الذي تحتاجه قرية طيبية لم يطرأ عليها تقدم ملموس منذ عهد الاسرات ، فلا مياه صحية ولا كهرباء ولا مجاري ولا غذاء صحي قرية يشرب الالف وثمانمائة نسمة سكانها من نفس الصنبور ويعيش اهلها بعقولهم خارج القرن العشرين ، بينما هم مهددون في نفس الوقت بشوشرة اجهزة اعلام القرن العشرين على ضوء ما سبق اعتقد اننا مطالبون بالبحث ـ من جديد ـ عن معنى لكلمة « المسرح » في مجتمعنا

والحقيقة ان مشكلة المسرح في العالم العربي هي بشكل ما مشكلة ابو محروس ، هذا الذي تمر من خلف ظهره رغم انفه كل المتغيرات ، وتسن باسمه القوانين ، وتنقلب نظم وتقوم دول وكلها تنادي اول ما تنادي

---

(٣) يقدم الدكتور علي الراعي في دراساته عن الكوميديا الشعبية في مصر نماذج من ابداع هؤلاء الفنانين الذين اسقطوا من تاريخ المسرح العربي

تحرير ابو محروس وتعليم ابو محروس وتحضير وتدين ابو محروس ، حتى يقدر ان يقول ذات يوم « هيا يا ام محروس اجمعي الاولاد فنحن ذاهبون الليلة الى المسرح . »!

فأي المسرحين مطلوب له مسرح « الحفلة » المعاش في دورة الحياة ، ام المسرح الدخيل المقلد ؟ وما دمنا في معرض الحديث عن ابو محروس فمن وجهة نظره سيكون هناك مسرح واحد لا مسرحين كما نرى نحن المسألة ، لان المسرح موجود في حياته بشكل آخر ، وهو يمارس فنونه في الاطر والاشكال التي اعتادها والفها عبر تاريخه الطويل حيث يجمع في ان يعبر عن آلامه ويحفظ فيها شخصيته القومية ، وان كان لا يطلق على هذه هذا ل تعريف « المسرح » بهذه الدرجة من التحديد

٥ ملاحظات

ان السؤال الاساسي هنا هو كيف ينهض المسرح في مجتمعنا ، وكيف يعيش شاطا حيا في صلب الحياة الاجتماعية ، وكيف يبقى ظاهرة موجودة ومؤثرة في المجتمع ؟ وختاما لهذا الحديث سوق هذه الملاحظات التي ربما تحمل ضوءا للاجابة على السؤال

١ ـ تعرف الجماهير من المسرح وتمارسه في حياتها اليومية . فالاشكال التمثيلية الدارجة المنحدرة من تاريخ الحضارات في المنطقة لم يزل بعضها يعيش في الاوساط الشعبية ولم تزل تمارس في الاحتفالات الدينية والاجتماعية ، وهي جزء اساسي من هذه الاحتفالات فهذا مسرح كامن في قلب الناس يجب ايقاظه وطرح المشاكل والقضايا المعاصرة من خلاله وربطه بالحياة اليومية بشكل مباشر

٢ ـ ان قولبة المسرح في اطار مؤسسة تشرف عليها الدولة او مؤسسة اهلية تدعمها الدولة او ترعاها الهيئة الاجتماعية ، هذه المؤسسة ذات الاسوار ، هي مقتل هذا الفن في بلادنا ففيها يوضع المسرح داخل اطار تحكمه قبضة الحكومة ، ولقد فتحت عينالسلطة مبكرا على خطورة فن المسرح كمكان عام للالتقاء والاحتفال ، وكوسيلة من وسائل الاتصال المباشر والحي بالجماهير فالمسرح هو تفرزه الحياة الاجتماعية وجوهره نشاط جماهيري يأتي كرد فعل في دورة الحياة خارج المؤسسات الرسمية او شبه الرسمية التي تمنع هذه العملية التفاعلية

٣ ـ المواجهة الجماعية هي اهم عناصر عملية الخلق المسرحي فلا يقوم المسرح بدونها وتبدأ المواجهة بين الفنانين اولا ، ثم تنتقل الى حيز اوسع واعرض عندما تواجه جماعة الفنانين جماعة المتفرجين او تجمع الجمهور ، واثناء عملية المواجهة سواء بين مجموعة الفنانين او بينهم وبين الجمهور ، يتولد الحوار وينمو الحديث ومن هنا فان المسرح هو اكثر وسائل التعبير تضررا في غياب الديمقراطية وسيطرة النظم المستبدة

٤ ـ ان الدعوة الى تأصيل المسرح دعوة لازمة وضرورية كضرورة الديمقراطية للمسرح ويجب الحذر من الخلط بين التأصيل والنزعة السلفية او نعرات التعصب للتراث فالتأصيل هو احد الطرق المؤدية الى شعبية المسرح وقوميته في آن واحد . فلا تأصيل دون تبنٍ واعٍ لاشكال التراث والابداعات التي يمارسها الشعب في حياته اليومية

هذه الفنون التي تعيش في الحياة نتمنى طرحها من جديد على الجماهير ولا يتم هذا الا بكسر جدار مؤسسات المسرح الرسمية والسعي الى خلق « مساحة مسرحية جديدة » بين صفوف الجماهير حيث سيبحث المسرح عن هوية وعن لغة اتصال وعن وجوده بين جمهوره الحقيقي

أ ـ لا انفصال بين المسرحية ووسط المتفرجين « الجماعة » فهم جزء اساسي منها لهذا فان محاولات التأصيل داخل اطار مسرح المؤسسة عملية تلفيقية تتلاعب بالاماني والطموحات المنشودة وتقدم بدائل مؤقتة عن الاحتياج الضروري

فلا يكفي ان تلبس الشخصيات عباءات وعمائم وجلاليب فضفاضة وتدور الاحداث في عالم من الف ليلة وليلة حتى يكون هذا تأصيلا وكم شاهدنا من مسرحيات تنتمي لهذا النوع تدعي التأصيل وهي لم تخرج من اطار الدراما الاغريقية

ب ـ ان دراسة اشكال التراث القديمة والتي ما زالت تعيش حتى اليوم ضرورية ولازمة للفنان المسرحي العربي من أجل تحديد الارضية التي يقف عليها وينطلق منها ومن اجل اكتشاف امكانياتها واكتشاف دورها الجديد في المجتمع المعاصر .

٥ ـ تبسيط المسرح وتيسيره وتحطيم كهنوته وتقريبه من الناس وعرض اسراره عليهم ، عمل التدريبات المسرحية في قلب الناس والتجمعات حتى تتمكن الجماهير من امتلاك المسرح كوسيلة تعبير فنية .■

عبد العزيز مخيون

رسالة من مدريد :

نفائس المكتبة العربية الاسبانية فى الاسكوريال

بقلم : محمد عبد الله عنان

تحتفظ مكتبة دير الاسكوريال الملكية بأسبانيا بمجموعة ثمينة من الكتب العربية ، معظمها أندلسية ومغربية ، تبلغ نحو الألفي مخطوط ويقوم بالاشراف على هذه المكتبة التالدة الآباء الأوغسطينيون

ولهذه المجموعة النفيسة من الكتب العربية قصة مشجية ، خلاصتها ان الكتب العربية بدأت تودع في المكتبة الملكية بقصر الاسكوريال ، عقب سقوط آخر القواعد الاندلسية المسلمة في يد اسبانيا النصرانية في اواخر القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) وجمع كميات كبيرة من المخطوطات العربية منها ، وكانت يومئذ تبلغ عدة آلاف ثم وقع بعد ذلك حادث ترتبت عليه ان ضوعف عدد المخطوطات العربية بمكتبة الاسكوريال ، هو استيلاء الاسطول الاسباني على المكتبة الزيدانية المغربية في عرض البحر ، وهى مكتبة السلطان مولاى زيدان ابن الملك أحمد المنصور

وكان مولاى زيدان قد اضطر تحت ضغط الفتن واشتداد ساعد خصومه ، ان يغادر عاصمته مراكش ، وان يحمل معه امواله وذخائره ومكتبته الثمينة ، وكانت تحتوى على نحو ثلاثة او اربعة آلاف من نفائس الكتب المغربية والاندلسية والمشرقية ، في عدة من السفن استأجرها لكى تحمله مع ذخائره شمالا في اتجاه ثغر أغادير ، وقد فاجأها الاسطول الاسباني في عرض البحر ، واستولى عليها ، وكان ذلك في سنة ١٠٢١ هـ - ١٦١٢ م وحملت هذه المكتبة الثمينة غنيمة لتودع في المكتبة الملكية بقصر الاسكوريال ، وارتفع بذلك عدد المخطوطات العربية في المكتبة الملكية الى نحو عشرة آلاف مخطوط وكانت اعظم واثمن مجموعة من نوعها ، اذ كانت تتألف من نخبة قيمة من الكتب المختارة ، سواء ما جمع منها من قواعد الاندلس المفتوحة ، وبالأخص غرناطة ، او ما كانت تحتويه المكتبة الزيدانية ، التي جمع معظمها باختيار السلطان الاديب العالم مولاى زيدان ، وكان من عشاق نفائس الكتب

واستمرت هذه المجموعة النفيسة الضخمة من الكتب العربية بقصر الاسكوريال ، حتى وقع به الحريق الكبير في سنة ١٦٧١ ، وامتد هذا الحريق المدمر الى المكتبة فأتى على معظم الكتب العربية ولم يبق من هذه المجموعة العظيمة ، سوى نحو الفي مخطوط ، هى التي ما زالت تثوى الى اليوم بدير الاسكوريال

وما زالت هذه المجموعة العربية بالرغم مما نزل بها من النكبة الفادحة تجذب أنظار الباحثين في المشرق والمغرب ، وما زالت تضم عددا كبيرا من الكتب النفيسة النادرة ، ومنها نحو مائة مخطوط من كتب المكتبة الزيدانية السابقة

عمل جديد وأصيل

وقد لبثت مجموعة الاسكوريال العربية في أقبية المكتبة الملكية بالاسكوريال عصورا ، محجوبة عن أعين الباحثين حتى رأت الحكومة الاسبانية اخيرا ان تقوم باحصائها والتعريف بها بواسطة فهرس علمى جامع يوضع لها ، فوقع اختيارها للقيام بهذه المهمة على عالم

جمع بين الثقافتين المشرقية والمغربية وهو الحبر الماروني السوري ميخائيل العزيري الذي يعرف في البحوث الغربية باسم Casiri وقد ولد بالغزير من اعمال طرابلس سنة ١٧٠١ ، ودرس العلوم الدينية واللغات الشرقية ثم تابع دراسته برومة حيث كان يحاضر في العربية والسريانية والكلدانية وفي الفلسفة واللاهوت ، ويدرس اللغة اللاتينية في نفس الوقت فاستدعته الحكومة الاسبانية الى مدريد ، في سنة ١٧٤٨ وعينته موظفا في المكتبة الملكية بمدريد ومديرا مساعدا لمكتبة الاسكوريال ، ثم انتخب عضوا في اكاديمية التاريخ ، ومترجما للملك في اللغات الشرقية ثم عين مديرا لمكتبة الاسكوريال وعهدت اليه الحكومة الاسبانية منذ البداية بالمهمة الرئيسية التي دعته الى القيام بها ، وهي دراسة المجموعة العربية بالاسكوريال والتعريف بها ونزل العزيري بقصر الاسكوريال في سنة ١٧٤٩ ولبث مقيما به حتى سنة ١٧٥٣ وفي تلك الفترة التي امتدت زهاء خمسة اعوام ، لبث العزيري عاكفا على اداء مهمته في دراسة المجموعة العربية وقد قام خلالها بفحص المخطوطات المختلفة ، وتقييد الشذور التي رأى ان ينقلها منها ، والملاحظات التي رأى تسجيلها ثم عاد الى مقر اقامته بمدريد في اواخر سنة ١٧٥٣ ، وبدأ في اعداد فهرسه ، معتمدا على نفسه ، وعلى المواد والشذور التي جمعها والمعلومات الفياضة التي قيدها

وكانت قد عملت لمجموعة الاسكوريال العربية قبل العزيري ، في اواخر القرن السادس عشر واواسط القرن السابع عشر قوائم وفهارس موجزة ولكن العزيري لم يعر هذه الفهارس اهتماما لضآلتها وخلوها من اية مميزات علمية او نقدية وعول على ان يقوم بعمل جديد اصيل لم يسبقه اليه احد

وقضى العزيري زهاء عشرة اعوام في دراسة المجموعة الاسكوريالية واتبع في وضع فهرسه قاعدة التركيز وهي تدور حول المواد والتحليلات ، وجرى على اسلوب الاقتباسات الموجزة والمطولة في ابراز قيمة المخطوطات ذات الاهمية الخاصة ، وترجمة هذه الاقتباسات الى اللاتينية

واصدر العزيري في سنة ١٧٦٠ الجزء الاول من فهرسه اللاتيني الشهير بعنوان « المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال » Bibliotheca Arabico Hispana Escurialensis عمل وشرح ميخائيل العزيري Michaelis Casiri السوري الماروني البرستيري مدير المكتبة ، الدكتور في اللاهوت ، وخبير اللغات الشرقية تحت رعاية الملك كارلوس الثالث ، العظيم القادر » .

ويقسم العزيري فهرسه الى فنون عديدة واول اقسام الجزء الاول هو النحو Gramatici واول كتب هذا القسم الذي يحمل رقم ١ من الفهرس هو كتاب « اصول النحو » لابي بشر بن عثمان بن قنبر الشهير سيبويه وهو يقوم بوصف الكتاب ومحتوياته باللغة اللاتينية ويكتب اسمه واسم مؤلفه في اسفل الصفحة باللغة العربية وهو بهذه المناسبة ينقل في ذيل الصفحة نبذة عربية عن نشأة النحو لشمس الدين الانصاري وهو يقسم كل كتاب في قسم بحسب حجمه من الربع او الثمن ويضم فن النحو بمختلف احكامه نحو مائتي مخطوط وينتهي بالرقم cci (١٩٠) ويأتي بعد النحو الفن الثاني وهو فن البلاغة Retorici وينتهي بالرقم cclix (٢٥٩) ثم يليه فن الشعر ويبدأ من الرقم ٢٦٠ وينقل في خلاله نبذا عديدة ، ويتحدث في الشروح ، كما ينقل العديد من المقطوعات الشعرية التي ترد في مختلف المخطوطات

مخطوطات نادرة

ويأتي بعد الشعر قسم الكتب اللغوية على اختلافها Philologici ويحتوي على ٣٠٧ مخطوطات وينتهي بالرقم Dlxv (٥١٥) وينقل العزيري من مخطوطاته نبذا مختلفة ويليه قسم المعاجم Lexicographi ويبدأ من الرقم ٥٦٦ وينتهي بالرقم ٦٠٨ محتويا على اثنين واربعين مخطوطا ويليه قسم الفلسفة ويحتوى على مائة وستة وخمسين مخطوطا وينقل فيه العزيري نبذا بالعربية عن فخر الدين بن الخطيب الرازي ، وعن الفارابي وكتبه ، وعن برفورس الصوري ، ويليه قسم الاخلاق والسياسة محتويا على ثمانية وسبعين مخطوطا ، وبه نبذ عربية وحكم وامثال ويأتي بعده قسم الطب ويحتوي على مائة وستة مخطوطات ، وفيه ينقل الينا العزيري نبذا عديدة عن بقراط وكتبه ، وعن محتويات كتاب جالن ترجمة حنين بن اسحق ، وعن الاسكندر الافروديسي وعلاقته بجالن ، ونبذا طويلة عن جالن وكتبه ، ونبذا مطولة عن أبي بكر الرازي وعن حياته وكتبه ، كما ينقل الينا نبذا كثيرة عن ابن سينا وكتبه ونبذة عن ابن البيطار الاندلسي وكتبه في الادوية ، ثم عن موسى بن ميمون وكتبه وعن افلاطون وتلاميذه ، وعن ارسطاليس وكتبه ويعتبر هذا القسم اغنى الاقسام بالنبذ المنقولة عن كتبه ، وينقل العزيري ترجمة هذه النبذ كلها باللاتينية في اعلى الصفحات فوق النبذ المختارة

ويلي قسم الطب ، قسم التاريخ الطبيعي ، وبه تسعة مخطوطات فقط ويليه قسم الرياضيات محتويا على تسعة وسبعين مخطوطا وفي هذا القسم يتوسع العريري في ايراد الشذور المختارة توسعا كبيرا فينقل الينا شذا كثيرة عن اقليدس ، وعن الرياضيين اليونانيين وشذة عن بطليموس القلودي صاحب كتاب « المجسطي » وعن كتابه وشذا عن ابي معشر البلخي ، وشذة كبيرة في اربع صفحات عن الكندي وكتبه وعن مسلمة المجريطي الفلكي والرياضي الاندلسي المتوفي سنة ٣٩٨ هـ ثم عن ارشميدس الرياضي ومصنفاته ، وعن ثابت بن قرة الحراني ومصنفاته وعن الزرقيالي الاندلسي ، ابراهيم بن يحيى النقاش القرطبي ابرع اهل زمانه في رصد الكواكب وعن كتبه ، وعن ابن وافد الاندلسي استاذ علم الادوية المفردة ، وعن الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري ، نزيل مصر ، المتوفي سنة ٥٣٠ هـ ، وعن عمر بن الكرماني القرطبي الرياضي البارع في علم العدد والهندسة وهو الذي حمل خلال رحلته الى المشرق كتاب « اخوان الصفا » الى الاندلس وعن ابي مسلم الحضرمي الاشبيلي الفلكي والمهندس والطبيب المتوفي سنة ٤٥٨ هـ وعن ابن جلجل ، سليمان ابن حسان الاندلسي استاذ الطب والهندسة ، ثم عن سنان ابن ثابت بن قرة نبذة مطولة ، واخيرا عن شمول بن يهود الاندلسي الحكيم البارع في الرياضة والطب والهندسة ، وقد توفي بالمشرق حوالي سنة سبعين وخمسمائة ويلي هذا القسم قسم الرياضيات الغني بالشذور والبحوث المختارة من كتبه العديدة الهامة ، ثم قسم الفقه ، ويحتوي على مائتين واربعة وستين مخطوطا ويليه علم الكلام (اللاهوت) ويحتوى على مائة وستة وثمانين مخطوطا ، ثم علم العقائد ويحتوي على مائة وتسعة وثلاثين مخطوطا

ثم الكتب النصرانية ويحتوى على ثمانية مخطوطات وبهذا ينتهي المجلد الاول من فهرس العريري

العجائب والغرائب ¹

ومضت بعد ذلك عشرة اعوام اخرى ، قبل ان يستطيع العريري اصدار المجلد الثاني من فهرسه وقد صدر في سنة ١٧٧٠ باللاتينية وبنفس العنوان « المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال » وهو يفتتحه بقسم الجغرافية ، مبتدئا من الرقم MDCXXIX (١٦٢٩) ومحتويا على سبعة مخطوطات فقط وهو بكتاب « العجائب والغرائب » لمؤلفه سراج الدين عمر الوردي ، وينقل منه شذورا في ذكر مدن مصر وبعض مدن المغرب ، وينقل من كتاب اخر فصلا طويلا عن الكعبة ثم يليه قسم التاريخ محتويا على مائة وتسعة وسبعين مخطوطا منتهيا بالرقم MDCCCXV (١٨١٥) واوله تاريخ ابي الفدا وهنا يتقدم العريري بذكر عناوين نحو عشرين كتابا من امهات كتب التاريخ المشرقية والاندلسية ، وينقل منها نبذا عديدة خاصة بتواريخ الامم السالفة من عرب وفرس ويونان وقبط ، ومن الكتب المذكورة تاريخ العواصم والقواصم « لابن العربي الاندلسي الاشبيلي ، وكتاب ابن المنذر البلنسي في الرباط وفضله في الجهاد ، وما خصت به من ذلك جزيرة الاندلس وهو يتوسع في النقل بصفة خاصة من كتاب « اللمحة البدرية في الدولة النصرية » لابن الخطيب السلماني ، فينقل منه فصولا عديدة عن تاريخ مملكة غرناطة في ظل ملوك بني نصر (بني الاحمر) وينقل شذورا من كتاب القاضي عياض « مشارق الانوار على صحيح الآثار » وشذورا عديدة اخرى من مختلف المصادر عن الخلفاء الراشدين وبني امية ثم بني العباس وعن ملوك بني الاغلب والخلفاء العبيديين بافريقية ومصر ، ثم عن بني امية بالاندلس وعن دول الطوائف ، ثم عن الموحدين وعن بني مرين ملوك المغرب ، وعن بني زيان ملوك تلمسان ثم ينقل الينا نبذة عن الرازي مورخ الاندلس وعن كتبه كما ينقل الينا بعض شذور من كتاب « تاريخ غرناطة » او بعبارة اخرى « الاحاطة » لابن الخطيب ويتخلل هذه الفصول المنقولة من مخطوطات قسم التاريخ ، بعض الوثائق التاريخية الهامة مثل كتاب « امان عبد الرحمن » الداخل للبطاركة والرهبان والاعيان النصارى الاندلسيين اهل قشتالة الصادر في صفر سنة ١٤٢ هـ وتؤلف هذه الفصول مرجعا تاريخيا هاما ، يستعين بالافادة منه من لم يسعفه وقته للبحث في المخطوطات الاصلية ، مما يستغرق الوقت الكثير

وبعد قسم التاريخ يستعرض العريري طائفة منوعة من المخطوطات المختلفة المواضيع والصفات مما لم يدخل من قبل في الاقسام التي سبق ذكرها ويصل بتعداد هذه المخطوطات المنوعة الى الرقم MDCCCLI (١٨٥١) ثم يلي ذلك كشف عام بالاعلام والكتب يستغرق نحو نصف المجلد الثاني

وقد كان صدور فهرس المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال فتحا جديدا في ميدان البحوث الاندلسية ،

سهت اليه انظار الباحثين والعوا مما يعرصه من المراجع لوثائق العديدة كنورا من الحقائق والمعلومات التي لم سبق ان ظفروا بها عن تاريخ اسبانيا المسلمة وحضارتها ،علومها وفنونها فقد كان الغرب حتى اواخر القرن لثاني عشر لا يعرف من تاريخ اسبانيا المسلمة سوى ما معرصة الروايات النصرانية من شذور معرصة وكاسب مسات الحقائق تعمرها حجب التعصب والتحامل والكذب ، فجاءت وثائق الاسكوريال تسدد هذه الحجب . وتقدم الادلة القاطعة على عظمة هذه الصفحة من تاريخ اسبانيا ، وتعرض لنا مئات الحقائق عن تفوق الحضارة الاندلسية

وظهرت كتب عديدة جديدة في هذا الموضوع تستقي كثيرا من مادتها من المراجع المخطوطة التي كشف عنها فهرس الغزيري وفي مقدمتها مؤلفات ادريس وماسدي وكوندي ودوزي وغيرهم ولبث معجم الغزيري اكثر من قرن مرجعا فريدا للمجموعة العربية الاسبانية في الاسكوريال ، حتى قام المستشرق الفرنسي هارتفج ديرنبور بتكليف من وزارة المعارف الفرنسية بدراسة جديدة لمحتويات هذه المجموعة ، فأنفق في هذه المهمة اعواما واخرج في ١٨٨٤ اول جزء من معجمه
Les Manuscrits Arabes de L Escurial
(المخطوطات العربية بالاسكوريال) وبالرغم من انه يبدي في مقدمته ريبة في قيمة مجهود سلفه والى تبيان طائفة من اخطائه فانه لم ير مع ذلك بدا من اتباع طريقته في التنظيم والتبويب والترقيم مع تغيير يسير

وقد عثر ديرنبور في زوايا الاسكوريال على نحو مائة مخطوط عربي اخرى لم يذكرها الغزيري ، كما انه لم يعثر على بعض مخطوطات ذكرها وقد اختفى في الواقع كثير من اثار هذه المجموعة خلال الاحقاب المتوالية وانتهى ديرنبور في تعداده الى الرقم ١٩٥٥ والغزيري يقف حسبما اسلفنا عند الرقم ١٨٥١ التي تعادل ١٨٥٦ من ترقيم ديرنبور ، فهو يزيد على الغزيري باكثر من مائة اثر جديد عثر بها واستطاع ديرنبور ان يبحر في فهرسه اقسام اللغة والبلاغة والشعر والادب والاخلاق والسياسة ثم توفي سنة ١٩٠٥ وقام باتمام مهمته الاستاذان ليفي بروفنسال ورينو ، وذلك من واقع المذكرات التي تركها ديرنبور وبذلك اصبح للمجموعة العربية الاسبانية في الاسكوريال فهرسان كاملان ، يرجع اليهما في دراسة محتويات هذه المجموعة النفيسة النادرة ■■

محمد عبد الله عنان

رسالة من بكين

أجمل ما في الصين

بقلم خان حا شيه
الاستاذ بمعهد اللغات في بكين

هذه مجموعة من العلامات البارزة ، التي تشكل في مجموعها نماذج لاجمل الاشياء في الصين التي لم يختلف عليها كاتب او مؤرخ او رحالة

أجمل مدنها

تقع مدينة هانغتشو ذات الحضارة العريقة جنوبي الصين ، وقد اشتهرت هذه المدينة ولا تزال بانتاج الحرير الرائع والشاي الممتاز ، غير ان شهرتها الحقيقية نبعت من انتشار مبانيها البديعة وشوارعها المشجرة على ضفاف « البحيرة الغربية » التي تعتبر أجمل بحيرة في الصين كلها اذ تقدر مساحة هذه البحيرة بـ ٦ و ٥ كم ، وعلى محيط البحيره البالغ طولها ١٥ كيلومترا وفوق صفحة مياهها الصافيه تتناثر الأبراج المجنحة والجسور المعرجة والجواسق العجيبة والحدائق الساحرة والمعابد القديمة والمساجد العظيمة ، ويعتبر مسجدها المسجد الثاني في

الصين قاطبة . كما تمتاز هذه المدينة بطقسها البديع على مدار الفصول الأربعة لقد حبا الله هذه المدينة بكل آيات الجمال فلا يرى السائر في ربوعها الا السحر الأخاذ والطبيعة الخلابة واجتمع فيها الماء والخضرة والوجه الحسن

لذا ليس عجيبا أن يقال « فردوس الله في السماء وعلى الأرض جنة هانغتشو » أما العرب أهل البلاغة والبيان فقد سحرهم جمالها وروعتها فقال أحد شعرائهم يصفها

« في جنة الصين كم يستيقظ القلم
ويحسن النطق من أعياهم الكلم
في وسط هانغتشو تظل النفس سابحة
والعقل يطرب والأفكار والهمم
ما هاجني في ربا هانغتشو سوى شغفي
بجنة كل ما فيها هو النعم »

أجمل مقابرها :

تقع « مقابر الأباطرة الثلاث عشرة » في ضاحية بكين الشمالية الغربية على مسافة ٥٠ كيلومترا من قلب المدينة ، وهي نائمة بين أحضان الجبال الخضر التي تسلب الألباب مرتدية حلة من الديباج الأخضر وتحتل مساحة المقابر ٤٠ كيلومترا مربعا ، دفن فيها ثلاثة عشر أمبراطورا من أسرة مينغ الملكية (عام ١٣٦٨ ـ ١٦٤٤ م) وقد نصبت على جانبي مدخل المقابر الرئيسي ستة وثلاثون تمثالا ضخما منحوتا من الرخام و المرمر ، وتمثل الفيلة والجمال والخيول والأسود الى جانب الامراء والقادة لكي تظهر عظمة الأباطرة وجبروتهم حتى بعد موتهم

وقد تم اكتشاف مقبرة آخر أمبراطور من الأباطرة الثلاثة عشر ودشنت للزوار في أكتوبر عام ١٩٥٩ والمقبرة المفتوحة تضم قاعتي العرض اللتين تعرض فيهما المحفورات الثمينة النادرة مثل تيجان الأمبراطور والأمبراطورة والملابس الأمبراطورية المطرزة الفاخرة والأواني الذهبية والفضية واليشمية . أما المقبرة التي تبلغ مساحتها ١١٩٥ مترا مربعا فقد دفن فيها الأمبراطور وزوجتاه معا

أجمل حدائقها :

يعتبر القصر الصيفي الذي يقع على بعد ١٨ كم شمال غربي العاصمة بكين أجمل حديقة في الصين كلها وتبلغ المساحة الاجمالية لهذه الحديقة ٢٩٠ هكتارا ، منها ٢٢٠ هكتارا مساحة البحيرة الرائعة الجمال وما تبقى مساحة القصور والصروح والسرايات والجواسق والأكشاك والأبراج والأروقة وغير ذلك من المعالم القديمة والآثار النادرة

يرجع تاريخ القصر الصيفي الى أكثر من ٨٠٠ سنة ولما كان هذا القصر مصيفا للأباطرة على مرور العصور لذا فانهم قد أولوه اهتماما فائقا مبذرين مبالغ خيالية في بنائه وتعميره وعلى سبيل المثال فقد أنفقت الأمبراطورة الأرملة يهونالا عام ١٨٨٨ ٩٣٧٥٠٠٠ كيلوغرام من الفضة المخصصة لبناء الأسطول البحري واغاثة المنكوبين ومن الظريف أنها أقامت سفينة من حجر المرمر على شاطيء البحيرة رمزا للأسطول الضائع بغية تهدئة سخط الجيش والشعب

أجمل قصورها :

كان القصر الأمبراطوري قصرا أمبراطوريا للأسرتين الملكيتين الأخيرتين في الصين وهو يقع في قلب مدينة بكين ويعتبر هذا القصر أجمل وأعظم مجموعة من القصور القديمة ذات السقوف المجنحة حتى اليوم . وتاريخه يرجع الى أكثر من ٥٠٠ سنة ، ومساحته كلها تبلغ ٧٢ هكتارا وفيه أكثر من تسعة آلاف غرفة مفروشة لخليلات الأباطرة وجارياتهم الحسناوات ويحيط بالقصر سور كبير ارتفاعه عشرة أمتار وقناة لحماية القصر يبلغ عرضها ٥٢ مترا وقد باشر في هذا القصر أربعة وعشرون أمبراطورا سلطتهم المطلقة لمدة خمسمائة سنة وجدير بالذكر أن القصر الأمبراطوري ما زال يحافظ على صورته الأصلية بصروحهاالفريدة وكنوزه المعروضة

أجمل كهوفها وأنهارها :

يقع كهف المزمار العجيب في منطقة قويلين الواقعة في جنوب الصين الشرقي التي تتمتع بشهرة عظيمة لروعة قممها وصفاء مياهها وغرابة كهوفها وجمال صخورها ويبلغ طول كهف المزمار ٥٠٠ متر ، ودرجة الحرارة فيه معتدلة صيفا وشتاء وهذا الكهف ممتليء بالصخور الغريبة المسترسلة وبراعم البامبو الصخرية والأعمدة المبلورة الحجرية والستائر الشفافة والأزهار الزاهية الصخرية التي تشكل صورا مختلفة ملونة فتانة

عادة ، كأنه قصر فني طبيعي يتكون من أكوام من الأحجار الكريمة والمرمر والمرجان والزمرد

ويجري في هذه المنطقة الدائمة الخضرة « نهر لي » ، وهو أجمل أنهار الصين اذ تنساب مياهه الصافية متعرجة لطيفة مترنمة بين الجبال التي تناطح السحاب والأجرف الغريبة الخطيرة ويصطف على ضفتي النهر عدد لا يحصى من القمم الشامخة الخلابة والسيول المتدفقة الضاحكة والصخور العجيبة النادرة والكهوف الأخاذة الساحرة

أجمل جامعاتها :

جامعة بكين أعرق جامعات الصين وأجملها ، اذ يرجع تاريخها الى عام ١٨٩٨ وهي أقرب الى حديقة منها الى جامعة فأبراجها العالية ومبانيها العريقة التي بنيت على الطراز الصيني التقليدي تتناثر بين الأشجار والأعشاب والأزهار ، ودروبها المشجرة اللطيفة تقودك الى البحيرات الساحرة والتلال الهادئة تبلغ مساحة الجامعة ١٤٥ هكتارا ومبانيها تضم كافة فروع التخصص العلمي وتضم مكتبتها الكبيرة مليونين وثمانمائة ألف نسخة من الكتب القيمة ، ويصل عدد طلابها الى أكثر من عشرة آلاف ، ويدرس فيها أيضا مئات من الطلبة الأجانب الوافدين من القارات الخمس

أجمل نسائها :

تروى السجلات التاريخية الصينية أن أجمل فتاة صينية هي « سي شه » التي عاشت أيام الدويلات المتحاربة قبل الميلاد وهي ابنة حطاب كان يعيش في قرية نائية ، وقد عرفت بجمالها الساحر وحسنها الصارخ وقد وصفها أحد الشعراء الصينيين قائلا انها كانت « اذا أطلت الى الماء أغاصت الأسماك ، واذا نظرت الى السماء أسقطت الأطيار ، واذا بدت في الليل أخجلت البدر ، واذا ظهرت في النهار أذبلت الورود » وفي عام ٤٨٨ قبل الميلاد وقع عليها اختيار أمير الدويلة التي عاشت فيها سي شه ، لارسالها حليلة الى أمير الدويلة المجاورة القوية بغية اغرائه وصرفه عن شؤون الدولة والجيش حتى يتمكن منه ويأخذ ثأره وقد وضعها أميرها قبل ارسالها فوق القصر الأحمر المكشوف لمدة ثلاثة أيام ، فتدفق الناس من كل حدب وصوب لالقاء نظرة عليها بعد دفع قطعة من الذهب ثمنا لهذه النظرة فجمع منهم الأمير مبلغا هائلا لميزانيته العسكرية ثم بعث بها هدية الى الأمير الثاني ، وقد كانت سي شه رائعة الفتنة والدلال ، تعرف كيف تستخدم جمالها الفتاك وسحرها المخدر ، لذا سرعان ما وقع الأمير الثاني في حبائلها ضاربا شؤون دولته وجيشه عرض الحائط ولم يستيقظ من لذة خمر الفتنة والسحر الا في الوقت الذي اقتحم فيه جيش الأمير الأول قصره ! ■■

بكين ـ خان جا شيه

● خرج احد علماء الفلك مع شيخ تقي جليل فافاض هذا في وصف ما يتراءى له عن طريق التلسكوب ، فقال : ان عجائب الفلك تتضح لنا عن طريق هذا المرقب .. وحين انتهى العالم الفلكي من كلامه التفت اليه الشيخ التقي وقال : انتم يا معشر العلماء ترون النجوم قليلة بيد اننا نرى ببصيرتنا ربنا ورب هذه النجوم .

● خرج صبي يتنزه مع ابيه بين الزرع في وقت الحصاد فرأى سنابل القمح منخفضة الرأس بتواضع لا تتحرك لكنه رأى بينها بعض السنابل مرفوعة الرأس بتشامخ وكبرياء ، فسأل اباه قائلا : لماذا هذه السنابل من بين رفيقاتها مرفوعة الرأس ؟

فقال ابوه : ان هذه السنابل المنخفضة الرأس مملوءة حبا فتنحني بثقلها واما هذه السنابل فرؤوسها فارغة ولذلك تراها مرتفعة !!!

صفحة لغوية

الهناءة والهناء والتهنئة

بقلم : محمد خليفة التونسي

مس الآداب الاسلامية تشميت العاطس و « التشميت » ان يقال له « يرحمك اقه » او « يرحمكم اقه » ولو كان واحدا ، كما يقال في تحية الواحد « السلام عليكم » وهو الاشيع ، او « السلام عليك »

ومس اداسا اليوم ان يقال للشارب ـ عقب الشرب عالبا ـ « هيئا » او « هيئا مريئا » وهكدا يقال للآكل ، وقد تقلب الهمزة ياء فتدعم في الياء قبلها فيقال « هنيّا مريًا » ، ونحن اليوم ادنى الى التخفف من الهمزة كما في لهجة قريش وبها كانوا يقراون القران الكريم

« وهيئا مريئا » ، صفتان في الاصل اذ يقال « شراب هنيء مريء » ولكننا في عبارتنا « هيئا مريئا » استعملنا هما مصدرين ، كلاهما مفعول مطلق منصوب على المصدرية ، فكاننا قلنا للشارب « هناك الشرب او الشراب هناءة ، ومرأك مراءة » ، ويجوز ان نقول انهما صفتان على الاصل ، ولكنهما تنوبان عن المصدرين ، فيكون كل منهما منصوبا لنيابته عن مصدر (مفعول مطلق) فكأننا قلنا « اشرب شربا هيئا مريئا » ثم حذفنا المصدر ، فصارت الجملة « اشرب هيئا مريئا » ثم حذفنا الفعل ايضا ، لدلالة الكلمتين « هيئا مريئا » على ما حذف ، وهو الفعل والمصدر ، و « حذف ما يعلم جائز » في الفصيحة وامثلته بالمئات

و « الهنيء » ما يسوغ او يلذ تعاطيه من الماديات ، و « المريء » ما تحمد عاقبته عند تعاطيه ، ولكن كلتا الكلمتين قد تغني وحدها في الدلالة على هذين المعنيين معا ، اى ما يلذ تعاطيه ثم ينحدر في الجوف حتى يجر منه دون تنغيص ولا عناء [1]

وقد تستعمل الكلمتان مجازا في غير الطعام والشرا ومن ذلك ما جاء في القران الكريم بشأن مهر الزوجات وتنازلهن عن بعضه (أو جميعه) لأزواجهن عن رض « فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئ اي سائغا حلالا فلا تبعة عليكم فيه

وهكذا يقال مجازا ايضا « هنأني السمر ، او التم في المتاحف او التنزه عند الشاطيء او الاطلاع ـ الكتب والصور » كما يقال في ذلك « مرأ السمر » ايضا

ولنا ان نعكس فنقول « هنأت السمر ومرأته »

« وهنأ » بتثليث النون (فتحها وضمها وكسره و « مرأ » (بتثليث الراء ايضا)

والمصدر « هناءة » و « مراءة » [2] والهنيء واله كل ما يأتي بغير تعب ولا تبعة ، ومثلها « المهنأ والمه على وزن مفعل وفي بعض الاحاديث ان رجلا سأل ايجوز له تلبية المرابي اذا دعاه الى طعامه ، فاجيب « ا المهنأ وعليه الوزر » اي ان المرابي هو الذي يتحم الذنب ، ولا تبعة على ملبي دعوته ، وفي حديث آخر ـ اكل طعام العمال (الولاة) الظلمة « لك المهنأ وعلي الوزر » والجمع المهانيء والمهاني « وهناه ومساه » ذ

---

(١) المريء ايضا عضو في الجوف هو رأس المعدة حتى الحلقوم

(٢) « مرؤ » يأتي بمعنيين معنى « [illegible] » مرؤ الشراب مرَاءة » على وزن « كرُم كرامة » ومعنى الانسانية في « مرُؤ الرجل مروءة » على وزن « سهُل سهولة » « وصعب صعوبة »

. بهاني والاماني عن صدق او توهم [٣]

و « استهنأ الرجل الشراب » طلبه هينا لنفسه او لغيره من الضيوف او الشيوخ والاطفال مثلا ومصدر « هنا » هو « هناءة » (كرزانة) و « هناء » (كشجرة) و « هنء » (كتفء) و « هنء » (كدفء) واول اربعة اسيعها استعمالا

ومن هذا الجذر « هـ ن ء » تأتي كلمات بمعان أخرى لا تعدم صلة بينها وبين المعنى السابق فقال « هنأ الطفل » اى اكل دون شبع ، فهو « هانىء » ، والاطفال هانى وهانئون ، ويقال « هنأ الرجل صديقه » اي اعطاه . فالعطاء متعة للصديق ، او بمعنى نصره او اعانه او خدمه ، لان في النصر والمساعدة والخدمة متعه لصديق ولهذا تاتي « الهانىء » بمعنى المعطي والناصر والمعين والخادم

وهذه المعاني مختلفة ولكنها متداخله ، وكلها سبب النعمة لمن يتلقاها (وقد تسببها لمن يعدمها) « والتهنئة » خلاف التعزية ، يقال هنأه بالفوز تهنئه وتهنيئا ، دعا له بالنعمه في فوزه . وهكذا يقال في كل مناسبة سارة ، « وعزاه في حزنه تعزية » اذا دعا له بالصبر والتسلي وهكذا يقال في كل مناسبة محزنة ، وجمع التهنئة (مصدرا) هو « التهاني » و « التهنئات » كقول المتنبي لكافور

اما التهنئات للاكفاء
ولمن يدّني من البعداء

ومن الجذر « هنء » ايضا « الهناء » بوزن « وعاء » وهو « القطران » الذي تعالج به الابل من داء الجرب يقال « هنأ الراعي الابل » أي طلاها بالقطران ، فهو « هانىء »

وهذا المعنى يبدو جديدا ، ولكن الصلة بينه وبين المعاني السابقة تبدو واضحة للمتأمل ، فان البعير يشعر بأكال من اثر الجرب في جلده ، فاذا وضع عليه القطران احس براحة ومتعة بل انه يعمد احيانا الى جذوع الاشجار ونحوها ليحك بها مواضع الجرب ، فيشعر باللذة ولو نزف منه الدم ، وهكذا كلّ حي حين يحس بالأكال في جلده فيحك موضعه فيستريح [٤]

وقد قلنا ان « هناءة » من مُصادر « هنأ » ولكننا نستعمل في الدارجة اليوم المصدر « هناء » (بوزن صفاء) ـ اكثر مما نستعمل « هناءة » ونسمي بناتنا احيانا « هناء » وبعض اللغويين المعاصرين يرى ان استعمال هذا المصدر « هناء » خطأ ، بحجة انه لم يأت في « المعاجم الموثوقة »

اما نحن فنتسامح في ذلك لامرين

اولهما ان الكلمه قديمة الاستعمال عند الشعراء منذ قرون ، فان سبط ابن التعاويذي من شعراء القرن السادس يقول مادحا للمستضيء بالله (أحد ملوك العباسيين)

انت اعلى من ان نهنيك قدرا
للّيالي ـ اذا سلمت ـ الهناء

ويقول الشاعر ابن نباتة المصرى من شعراء القرن الثامن (ت ٧٦٨ هـ) معزيا السلطان الافضل في وفاة ابيه السلطان المؤيد ، ومهنئا له باستخلافه في السلطنة بعده

هناء محا ذاك العزاء المقدما
فما عبس المحزون حتى تبسما

والامر الثاني ان المصادر على فعال وفعالة معا من جذر واحد ـ كثيرة في العربية وهي تعد بالعشرات ، مثل بذاء وبذاءة ، براء وبراءة ، جلال وجلالة ، رفاه ورفاهة ، سخاء وسخاوة ، سراء وسراوة (بمعنى السيادة) ، سفاه وسفاهة ، سماح وسماحة ، شقاء وشقاوة ، ضلال وضلالة ، لجاج ولجاجة ، نقاء ونقاوة ،

ولسنا نقول ان هذا مطرد في المصادر من هذا الوزن ولكن كثرة امثلته وقدم استعمال « الهناء » مصدرا كالهناءة يحملان على التسامح فيه ■■

---

(٣) قد يكون الطعام او الشراب وغيرها غير هنيء في ذاته ، ولكن الضرورة او الحاجة تجعله مقبولا كحالة الجوع والعطش او الفقر ، لان الجوع والعطش والفقر قاهر ، ومثله نوازع الشر في الانسان تدفعه الى ارتكاب الجرائم والتعرض للمهالك متلذذا بذلك ومثل ذلك « الساديون » الذي يتلذذون لآفة في نفوسهم بتعذيب الآخرين ومن حكم فيلسوفنا الفارابي في هذا الصدد « لا تطلبوا من الاشياء ما أحسنتموه ، ولكن أحبوا منها ما هي محبوبة في نفسها »

(٤) هناك نوع من الناس ـ لآفة في نفوسهم ـ يتلذذون بأن يعذبهم الآخرون ، وهذا النوع يسمى « الماردكيين »

عندما يرقص !

« طنق حنه ـ طنق ماش » صورة من صور الماضي لا تزال الصغيرات تمارسها حاضرا

الرقص والغناء الشعبي الكويتي من اصيل متوارث عبر الاجيال يحفظه الكبار ويتعلمه الصغار

اطفال الكويت

استطلاع . دينا العيسى

تصوير اوسكار متري

ليس صحيحا ان رقصات الاطفال والعابهم هي مجرد عبث صغار بغير معنى او قيمة وانما الصحيح والمؤكد ان رقصات الاطفال هي لوحات ترسم الواقع وتعبر عنه ، ببراءه وتلقائية تفوقان ـ ربما ـ مختلف فنون الكبار

واذا كانت هناك شبهة الاحتراف والافتعال قائمة في عالم الكبار ، فانها ابعد ما تكون عن عالم الصغار

فهناك جملة من المؤثرات والمتغيرات التي تطبع حياة الناس بطابع معين يميزهم من غيرهم . فالعامل التاريخي له اثر بارز على عادات وتقاليد الناس واحيانا على الازياء الشعبية ، ثم هو يطبع حتى على قسمات الوجه . لما لأثر الاختلاط بالاجناس والهجرة والحروب واوقات السلم والازدهار الاقتصادي من اثر كبير على هيئة السكان

وكذلك العامل البيئي وطبيعة وتضاريس ومناخ اى بقعة في وطننا الكبير تنعكس بشكل مباشر على طبائع الافراد ومسالكهم ، وبشكل غير مباشر على حرفهم ومهنهم . ولعله لا يخطر في بال احد ان الالعاب الشعبية تكون نتاج جملة من المؤثرات من تاريخية وبيئية وجغرافية وحضارية ، تمازج وتتداخل ، لتعطي كل شعب من شعوب الارض صبغة ولونا اجتماعيا مميزا . وتكون تلك الصبغة هي اساس شكل كل مجتمع ومضمونه

ومع تقدم المدنية وتطور الحضارة تدخل عوامل تغير كثيرة لتترك اثرا كبيرا على حياة الشعوب ، فمع تطور الصناعات الاميركية واليابانية والسويدية تغيرت وجوه النشاط بما فيها العاب الاطفال . فقديما كانت العاب الاطفال تعتمد على القوة الجسدية بنسبة كبيرة ، غير اننا نجد اطفالنا اليوم يلعبون ويلهون بلعب عصرية مبتكرة من قطارات وسيارات واجهزة اليكترونية ومعدات تعتمد على البطاريات والكهرباء . وهنا يدخل عامل المخترعات والمبتكرات وعناصر تطور الطاقة عوامل ذات تأثير غير مباشر . فتنعكس على لعب الاطفال

وكل هذه المظاهر تجعلنا نحن دوما للقاء الماضي ومن هنا سندخل في سلسلة من العاب الماضي الشعبية التي عرفها اطفال الكويت

من العاب الأطفال
اولا ـ البروي

(لفظة البروى عندنا تطلق على ادوات الالعاب والزينة ونحوها التي تجمعها البنات ليلعبن بها) هكذا عرف الاستاذ سيف مرزوق الشملان لعبة البروى وهذه اللعبة من العاب البنات الصغيرات فقديما كان مجتمع الكويت يتكون من مجموعة اسر وكانت طبيعة الاسره الكويتية تنعكس على العاب الاطفال فكانت مجموعة البنات يلعبن لعبة البروي فتقوم احداهن بتمثيل دور الام والاخرى تتقمص شخصية الاب وتتخيل الام دورها بانها هي التي تطبخ الطعام وتنظف البيت ويتخيلن انهن يشربن الشاى ويقمن بصنع عرائس (دمى) صغيرة الحجم ويمثلنها على اساس انهن اطفال الاسرة الحقيقية

في الماضي كانت أدوات هذه اللعبة تتكون من أشياء تجمعها الصغيرات مما حولهن في البر والبحر فمن البحر مثلا الفني (مثل العلبن الابيض) ويحفرن عليه العينين والانف والفم وتكون تلك هي العروسة او (الدمية) ويلصق عليها الورق وقصاصات القماش ، ثم مع تطور العصر ظهرت كل ادوات البروي من فناجين الشاي الملونة والعرائس المطاطية وغيرها والملابس الجاهزة ، حتى فرن المطبخ الذي كان عبارة عن اعواد خشبية قديما تجمعها الصغيرات ويتخيلنها نارا حقيقية لطهي الطعام ـ تطورت الى فرن حديث من البلاستيك او الخشب المدهون ، وكن يتخيلن وليمة غداء او عشاء ويضعن المائدة ويستقبلن الضيوف والزوار

ثانيا ـ لعبة « خروف مسلسل هدوه [1]

هذه لعبة من العاب الصبيان ، اد يجتمعون و يقوم حدهم بتمثيل دور الخروف ويمسك أحدهم رحلـه ، ويصيح قائلا

- حروف امسلسل
+ فترد الجماعة عليه هدوه
- تراه ياكم [2]
+ هدوه
- حرب عداكم
+ هدوه
- فى ريلة قراحة [3]
+ هدوه
- كسر الراحة [4]
+ هدوه
- تراه ياكم

وهنا يفلت الصبي الذى يمثل حروفا من يد راعيه ، ويجرى ليمسك باحد من الجماعة ، وعندما ينجح فى الامساك باحدهم تتكرر اللعبة ويقوم الممسوك بدور الخروف وهكذا

ثالثا ـ (لعبة انا الذيب باكلكم انا امكم بحميكم)

هذه لعبة من العاب البنات ـ تقف البنات صفا فى مقدمته الأم وتجلس خلفها العروس ، وتقف بنت اخرى فى مواجهة الام وبناتها وتمثل تلك البنت الواقفة فى مواجهه الام دور الذيب ، وتبدأ اللعبة بحركة من الذيب قائلا ضاعت اسكيكيبي [5] فترد الام يا عـار يا مكار دورها

الذيب لقيتها ، ثم يهجم على الصف رافعا يديه وهو يقول انا الديب باكلكم

الام انا امكم بحميكم

الذيب شاش الديب على الطليان

الام يا ويلكم ، يا العيال

واحيانا تتبعها بجملتين او اكثر وتقـول ملعـون طشطش [6] حرري ليش تبوق [7] ولدى

ثـم تتراكض الصغيرات ، ويلحقهن الذيب ، ليصطاد الواحدة تلو الاخرى بعد كل حوار مثل الذي دار اول مره ، الى ان تبقى العروس وهي الجالسة خلف الام ، ثم تقوم الام باحفائها وتدعي بأنها داهبة لشراء بعض الحاجيات من السوق حينئذ تبدا الاخريات مرحلةالبحث عن العروس الى ان يجدها و يقبض باحضانها وبعد عودة الام من السوق لا تجد عروسها فتسأل البنات

وين العروس ؟

البنات راحت البصرة (مثلا)

تدور الام وهي تبحث البصرة البصرة ما لقيتها

وتعيد السؤال وين العروس ؟

البنات راحت بيروت

الام بيروت ، بيروت ، بيروت

ويستمر البحث من بلد لبلد فى كل سؤال وجواب الى

---

(١) هدوه كلمه عاميه بمعنى اطلعوه

(٢) تراه ياكم اي جاءكم . واهل الكويت ينطقون الجيم ياء فى كثير من الكلمات . وهي لهجه بعض قبائل العرب منذ الجاهلية ، ومن امثلتها قول احد شعرائهم في مخاطبة شجرات

فإن لم تكن فيكن ظل ولا جنى فابعدكن الله مـن شـيرات

وشيرات هي شجرات

(٣) قراحة بمعنى فى رجله دمل او ميكروب . و « ريله » هي « رجله »

(٤) الراحه بمعنى الساحة الترابية الفسيحة وهي كلمة عامية ، وعربيتها « البراح »

(٥) اسكيكيبي : تصغير سكين

(٦) طشطش انتثر وتناثر والمقصود بها تناثر اطفال الام مثل تناثر حبات الجوز

(٧) تبوق كلمة عاميه بمعنى « تسرق » يقال في العاميه « باقه ، يبوقه » أي سرقه ، يسرقه

من العاب الصبيان « حروف مسلسل هدوه » . (الصورة الى اعلا) « اما الذيب باكلكم اما امكم بحميكم » وتظهر العروس جالسة خلف الام محتمية من الذئب . (الى اليسار أعلا .) حكى حكوه وتردد الصغيرات بقية العبارات ويقفزن بكل مرح وبراءة (إلى اسفل) البروي المتحصر على العشب الاخضر والاواني والدمي المصنعة في اكبر المصانع بدلا من الدمي التي كانت تصنعها الصغيرات قديما (الى اليسار اسفل)
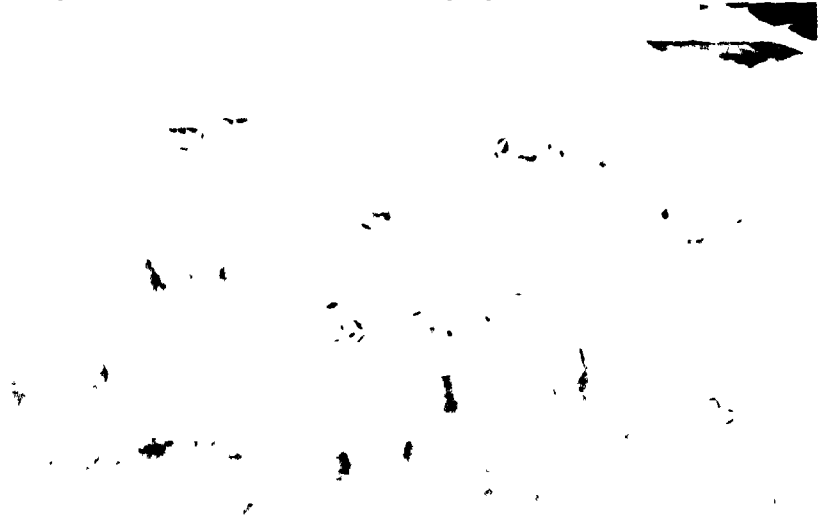
ان تجد العروس وتنتهي اللعبة

رابعا ـ لعبة احنا بنات احمد ، تلاقينا

هذه لعبة قديمة وخفيفة وتعتبر من العاب البنات الصغيرات وتكون على شكل صفين متقابلين من البنات وفي كلا الصفين تقف كل طفلة بمحاذاة الاخرى واضعة كفها على كتف زميلتها ثم تبدأ اللعبة بخطوات للامام وللخلف وحالما يعود الفريق الاول للخلف يتقدم الفريق المقابل للامام وفي البداية يردد الفريقان هذه الابيات

احنا بنات احمد ، تلاقينا [٨]
والشمع والبارود في ايدينا
كلينا حلوه دبق ايدينا [٩]

ويكررن القول ثم يتقدم الفريق الاول بخطو للامام في مقابلة الفريق الثاني ويرددن

حنا جيناكم

ويرجعن بخطوات للوراء ليتقدم الفريق الثاني للامام ويرددن حي من جانا

وبنفس الحركة يردد الفريق الاول

فرشوا الزوالي [١٠]

فيجيب الفريق الثاني ما فرشناهم

الاول حطوا المطارح

الثاني ما حطيناهم

وهكذا حتى تتعب الفتيات الصغيرات وتنتهي اللعبة

خامسا ـ لعبة (تنتني ، طف اسراجك والحقني)

لعبة من العاب الصبيان فعندما يجتمعون يقوم رئيسهم بربط غترهم [١١] كل طرف عترة بالاخرى ويمسك كل واحد منهم الطرف الاخر لعترته ، ويكون الطرف الاخر مربوطا مع عتر البقية ثم يرددون « تنتني ، طف اسراجك والحقني » وبحركة جماعية يحاول كل واحد فك عترته من بين البقية ، والاول هو من يستطيع تخليص عترته ويفكها ، ثم يبدأ بعدها بضرب الاولاد بعترته محاولا تعطيلهم عن فك عترهم ويقوم بمطاردتهم ليصعب عليهم عملية فك العتر ، واخر واحد أو اخر اثنين هما اللذان يتعرضان للسخرية والتهكم ومضايقة الآخرين وهكذا تنتهي اللعبة

سادسا ـ لعبة (خكن خكوه)

من الملاحظ ان كثيرا من الالعاب الشعبية الكويتية تقترن بترديد كلمات او أبيات عامية ، ففي اثناء اللعب يردد الاطفال عبارات موزونة او مسجوعة ومن هذه الالعاب التي تقترن باغنية وتعبيرات عامية هي لعبة « خكن خكوه » وهي لعبة سهلة تلعبها البنات فيجلسن على الارض القرفصاء ، ويقفزن قفزات رشيقة وهن يرددن هذا القول خكن خكوه ، سلط على مكوه ، وبنت عمها عوشوه .

الغناء الشعبي يردده الكبار ويحفظه الصغار ، ويدخل الرقص الشعبي الكويتي ضمن انواع التسلية التي يمارسها الاطفال

● عندما يرقص أطفال الكويت
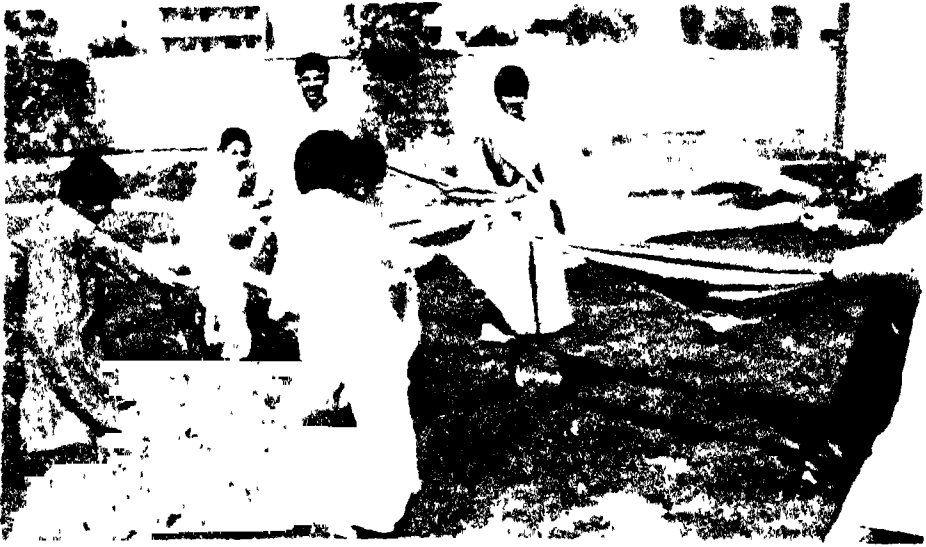
من العاب الصبيان القديمه (تنشي طف امراحـك والحقى) .
لعبة قديمه تحتاج لخفه الحركة والقدره على الجري السريع

وهناك ايضا لعبة من الالعاب السهلة والمعروفة تلعبها البنات او الصبيان احيانا شخصان يتلاصقان بالظهر وكل واحد يمسك بيد الاخر وينحني للامام ليرفع الاخر على ظهره ويرددون طق حبه [12] طق ماش اي ان احدهم يقول طق حبة ويرفع على ظهره رفيقه ، ثم ياتي دور الاخر ويقول طق ماش ويرفع بدوره الاول وهكذا تتكرر اللعبه

سابعا ـ ام الغيث

هناك رقصه شعبية تمارسها البنات الصغيرات من باب التسلية والدعاء لله سبحانه . وهذه الرقصة هي رقصة أم الغيث فيحدث احيانا ان يتأخر نزول المطر فتخرج البنات ويدرن في الشارع وهن يصفقن حاملات ما يشبه خيال الزرع ويكون على شكل عصاة ثبت بها من أعلى صورة كبيرة تسميها البنات « كردية » وهذه هي أم الغيث ثم تردد البنات هذا القول

م الغيث غيثيبا

بلى اشيبت راعيبا
حلى اعشيتنا تبت
برعاها إظليبا

وبتكرار هذا القول يصفقن ويرقصن ويطفن على البيوت وكل بيت يعطيهن اي شيء أرزا ، او دهنا ، أو نقودا

ثامنا ـ الحيلة

اي الحجلة وحجل في اللغة العربية تعني أن يرفع الانسان رجلا ، ويسير وثبا على الاخرى وباللهجة العامية في الكويت تلفظ الجيم ياء ، احيانا و « الحيلة » لعبة قديمة معروفة عالميا يلعبها الاطفال والشباب ، ذكورا واناثا وان كانت في بلادنا تلعبها البنات غالبا ولهذه اللعبة قواعدها الاساسية وان اختلف اشكالها من

(٨) احنا كلمة عامية بمعنى نحن
(٩) اى اكلنا حلوى فصارت ايدينا لزجه
(١٠) الزوالي السجاد . والمفردة زوليه
(١١) عترة الكوفية التي على الراس وجمعها عتر ، على وزن حرمة ، وحرم
(١٢) حبه أي الحباء .

الحجل او (الحيلة) من الالعاب العالمية المعروفة في كل مكان ، وقد اصبح من النادر رؤيتها حاضرا .
(الى اعلا)

لعبة البنات المفضلة للآن (طاق طاق طاقية) .
(الى اليسار اعلا)

« ام الغيث غيثيا » دعاء لله سبحانه بنزول المطر . وقديما كانت البنات الصغيرات يقمن بهذه الحركات ويرددن الدعوات على العموم هذه صورة من صور الماضي المندثر ، فهل نحافظ عليها ؟ ...
(الى اليسار)

لآخر ، وهناك خاصية هامة في هذه اللعبة وهي ان
مكان ان يلعبها اي عدد من اللاعبين سواء كان الرقم
يا ام فرديا ، ابتداء من لاعبين اثنين الى اى عدد
.

في المرحلة الاولى يرسم مستطيل كبير على الارض
سم هذا المستطيل الى ثمانية مربعات وقديما كانت
ت الحي يرسمن هذا المستطيل على التراب مباشرة
لور الحال الى استخدام الفحم في رسم المستطيل على
رض المبلطة وتستخدم « الربازة » [١٣] اما بطريقة
لدز » اي دفع الربازة ، بمقدمة القدم للامام او بطريقة
يل وهنا تحذف الربازة في المربع الاول وتبدأ عملية
جل برفع الربازة من على الارض والحجل من مربع
ر وهكذا تستمر اللعبة كل لاعبة تلعب دورها الى ان
طيء ، ويأتي دور التي بعدها وعندما تنتهي احداهن
، مرحلة الحجل مرورا على كل مربع ابتداء من عملية
ي الربازة في المربع الاول وانتهاء رميها في المربع
امن ، وفي كل رمية لابد من ان تكمل دورة المربعات
هاية وهكذا الى ان تدخل اللاعبة في المرحلة الثانية
، اللعبة وهي مرحلة القل [١٤] وهنا تقف الفتاة معطية
برها للمستطيل وترفع يدها ملقية حصاة صغيرة تكون
يدها ، والمربع الذى تستقر فيه الحصاة يكون ملكا لها
سميه بيتها ، وهذا يحدث اذا كانت الحصاة قد وقعت
احد المربعات الثمانية اما اذا وقعت خارج المستطيل
على « الشيش » [١٥] فتكون قد أخطأت و يأتي دور

التي بعدها وهكذا ايضا تستمر اللعبة و يبقى التنا
بين كل لاعبة على اساس القدرة على امتلاك اكبر عد
من البيوت

ولقد دخلت كثير من الاضافات على هذه اللعبة الا
اننا الان نادرا ما نجد اطفالا يمارسون هذه اللعبة فالمدنـ
قد حولت الساحـات الترابية الى ساحـات خضراء
حديثا

تاسعا - الثعلب فات فات

هذه ايضا لعبة من العاب البنات حيث يجلسن
بشكل دائري وتقوم احداهن وهي ممسكة بشيء متفق
عليه وتلف حول الدائرة ويردد الجميع عبارات موسيقية
مثل « طاق طاقية ، رن رن يا جرس » و« الثعلب فات
فات في ايده سبع لفات ثم ترمي بالشيء المتفق عليه
خلف احـدى الجالسـات ويكررن العبـارات الى ان
تكتشف الاخيرة ما خلفها فتهب وتجري خلف الاولى
التي كانت ممسكة بذلك الشيء وتحاول ان تمسك بها وقد
تنجح الاولى في الافلات منها وتجلس مكانها او ربما
تنجح الاخيرة بالامساك بها وهكذا تتكرر اللعبة

واخيرا هذه مجرد صور من الماضي نكاد نفقدها اليوم
فليتنا نستطيع الحفاظ على تراثنا ■■

دينا العيسى

---

١٣) الربازة كلمه عامية تعني قطعة من الحجر مربعه او مستطيلة الشكل

١٤) القل كلمه عامية تعني رمي حصوة او اى شيء في اي مكان

١٥) كلمه عاميه تعني الخط الفاصل بين كل مربعين

ما الحياة ؟

كل انسان يجب ان يحقق شيئا ما وحده شيئا يعطيه الاحساس بانه قد
اصبح هاما في هذا المجال كأن يكتب ، او يطير ، او يغني ، او يرسم ، او يحفر
رغيفا طينا ، او ينظف شارعا ، او يزرع شجرة ، فهذا الاحساس هو الذي
يملأه بالشعور بأنه حي ، ويجعله يستمتع بالحياة

« اديسون »

جزيرة وايت الانجليزية

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

هي جزء من بريطانيا ، وما هي بجزء ، لانها جزيرة ولانها شبه مستقلة [١] ، وهي اقرب بعاداتها ، وتقاليدها ، ونمط حياتها ، الى القارة الاوربية منها الى انكلترة

أهي زمردة سقطت من السماء فاستقرت على مقربة من الساحل الجنوبي لانكلترة ؟ ام هي جنة الله ؟. هذه الكتلة الجبلية التي لا تربط اطرافها السكك الحديد ، فقد اقتلعت منها اقتلاعا ، وانما سلسلة من الطرق العصرية الممتازة .

(١) عاصمتها نيوبورت Newport وتقع عند مصب نهر « مدينة » Medina
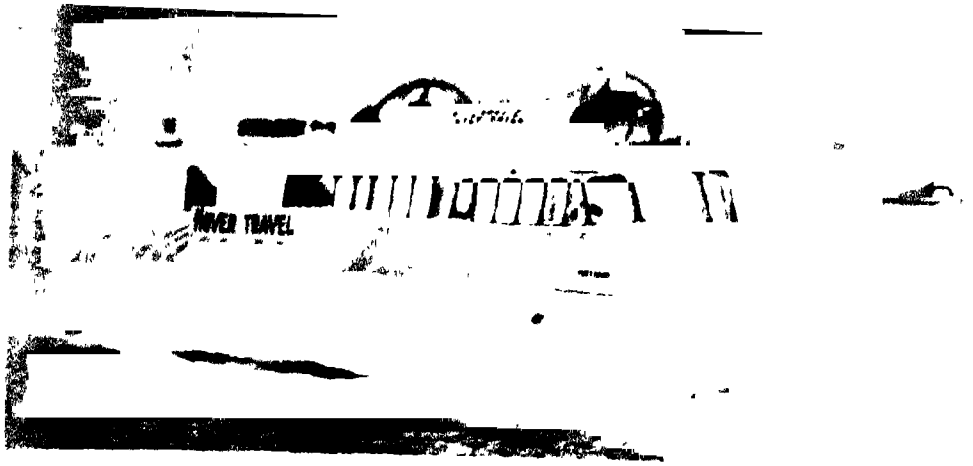
سفينة حوامة تحمل ٥٨ راكبا وبوسعها ان تقطع المسافة بين البر الانكليزى وجزيرة وايت في سبع دقائق ، في حين ان البواخر تقطعها في خمس وعشرين دقيقة ، وتسافر عادة بين ساوث سي south sea وهي مدينة على ساحل انكلترة الجنوبي وبين ميناء رايد ryde قبالتها على جزيرة وايت

في « ربوة الله » gods hill القرية « الالعوبة » وهي قرية مصغرة على غط « ماديورادام » بهولندة ، ولكن على مقياس اصغر وفوق مرتفع من الارض ، وهي اقل تنويعا ودونها تلوينا ، واذا كانت « ماديورادام » قطرا مصغرا فان « سميذى » the smithy كما تسمى قرية نموذجية اشبه بعالم ريفي مصغر ، مع ذلك فهي لاتخلو من جمال خاص وروعة !
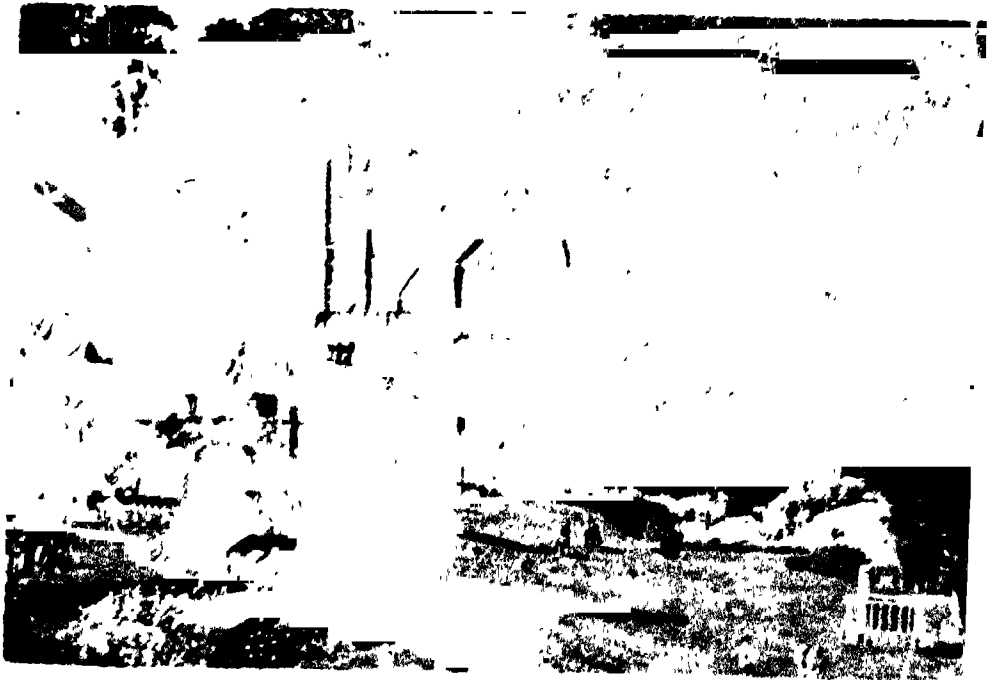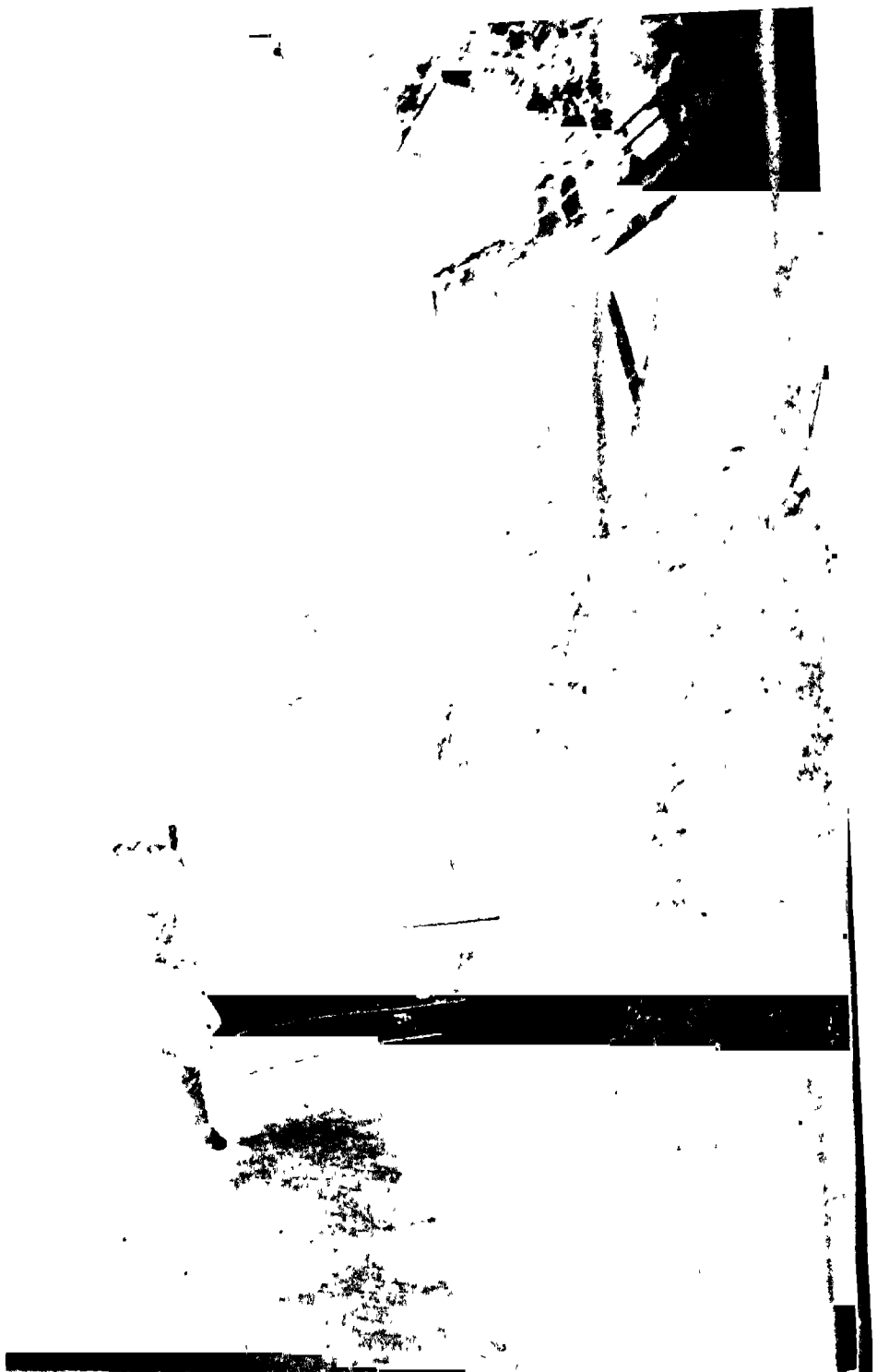
التشابن : واد عميق ذو كهف كان يختبىء فيه المطاردون من قبل السلطات

لم يكن الرحيل من اكسفورد الى الساحل الجنوبي في منتصف السابعة صباحا الا حلما او شبه حلم لان بقايا النوم كانت لا تزال عالقة في اطراف الاجفان

قصدتها وأنا لا اتوقع ان ارى فيها غير ما رأيته في كثير من الجزر التي قيض لي ان اشاهدها ، بل قصدتها وانا اميل الى العدول عنها الى مكان آخر سواها ، ولكن ما العمل وها أنا قد احتجزت مقعدي في سيارة تحمل تقصد الساحل الجنوبي ، لتقوم بجولة في الجزيرة وتعود في المساء

قلت محدثا نفسي يوم واحد من حياتي الى ضياع ، فما أكثر ما اضعت من ايام ! وسأكون على اي حال بعيدا عن اكسفورد هذه المدينة التي لا تتحدث الا عن العلم ، والا عن مستحدثات الدراسات الاكاديمية

في الطريق إلى الجزيرة

كانت المناظر ونحن نخترق مقاطعة همشاير HAMPSHIRE مراحا من مدن صغيرة ، وقرى وحقول وارياف ، على نحو ما تشهد عادة عندما تسافر بالسيارات العامة التي تتعمد اختراق مراكز المدن لتستزيد من الركاب ، لا ان تتحاشاها باتباع الطريق السلطانية خارجها ، توخيا للسرعة ، وتفاديا لعرقلة المواصلات التي تتسم بها ميادين المدن وشوارعها

بعد مضي ساعتين ونصف الساعة ، كنا في ميناء سوثمتون Southampton ، فتركنا الحافلة لنستقل الباخرة ، وكان فيها كل متطلبات الراحة ، رغم أن السفرة كانت قصيرة لم تتجاوز الخمس والعشرين دقيقة ، ولكن الباخرة لا تستطيع بلوغ ساحل الجزيرة تماما ، فتقف على مبعدة منه ، لذلك ابتدعوا وسيلة بارعة بادخال لسان الى البحر ، تنزلق عليه قاطرة تحمل ركاب البواخر القادمة من انكلترة ، فانزلقنا مع المنزلقين لنجد انفسنا في جزيرة « وايت » Wight

وهكذا فالجسر الحديد داخل في البحر ، وفي نهايته محطة قطار يقطع ما تبقي من البحر وان شئت سرت مشيا على الاقدام ، او استقللت سيارتك الخاصة بعد اخذ اذن بالعبور قبل يوم

الساحل مألوف كأكثر السواحل السياحية المعدة للمصطافين ، او بالاحرى « المخرفين » فقد كانت الرحلة في شهر الخريف او اواخر صيف جزيرة وايت ، لان صيفها يختلس من الخريف شطرا فهو اطول من صيف انكلترة المعتاد

انها لا تختلف كثيرا عن برايتون Brighton ، بساحلها الرملي ، لان ساحل برايتون « حصاني » ، فالمطاعم واماكن اللهو والمقاهي وحوانيت التحف والتذكارات هي هي متناثرة هنا وهناك ، ولكن مع هنا شيء جديد لم آلفه من قبل .

الى الحوامة

انه شيء ضخم اشبه بالسلحفاة الصناعية ، في القاعدة الرخوة المطاطية ، رابضة فوق الرمال ، ترى ما تكون ؟ تأملت مليا فأدركت انها « الهوفركرافت » السفينة الرمانية او الحوامة انها مألوفة عندي في مشاهد التلفزيون ، ولكنها المرة الاولى التي اشهدها فيه عيان

« متى تقلع ؟ » ـ سألت مديرة المحطة قالت : دقائق قلت هاتي اذن بطاقة سفر ، ولعل تجربة جديدة تضاف الى العديد من تجارنا ، فلعلنا نضيف بعدا جديدا لابعاد الحياة التي لا تكاد تعد او تحصى

وانتفخت اوداج « الحوامة » بقدرة قادر ، ومرقت كالسهم ، محدثة ضوضاء مرعجة مثيرة المياه على سطح البحر بزبد راع ، انها تطير ولا تطير وتسبح ولا تسبح ، ذلك لانها تسير فوق وسادة هوائية تصنعها بنفسها تلقائيا ، لتتمكن من هذا الضرب من الانحدار المائي ـ الهوائي فتفوق البواخر الاعتيادية سرعة ، كانت مستديرة وكانت غاصة بالركاب قامت بجولة ترويحية لساعة ونصف الساعة ، لتعود بنا الى ميناء « رايد » Ryde فتستقر على الرمال

كانت فترة لا تنسى من العمر احدثني فيها الشوه الشعرية كل مأخذ فتناولت منديل ورق ذهبي اللون كان كل ما تيسر لدي في تلكم اللحظات ، ودونت الابيات التاليه

احسبتها وهي فوق الرمل جاثمة « حوامة » ادهش بالحسن رائيها
حتى اذا انتفخت اوداجها عصبا ارتك من حلمها ما لم يكن فيها
غول اذا ما عدت ، طير اذا ارتفعت حوت اذا مخرت في سيرها تيها
اعجوبة الدهر في لطف وفي عصب حباره حين يدعو الجد داعيها
وسادة تحتها في التو تصنعها من الهواء كعرش عن تنسيها

« قلعة الله » في حزيرة وايت

فليس بـر ولا سـم برادعها
عـن الحـراك . ادا هـت حوامها
والحسـ أجمـع محـوه باطنهـا
مـادة هـا .. قلبـي ساغيها
والـكل يرسـو بشـوق نحـو طلعتها
فتبسـم الشـمس زهـوا من مآقيها
تحـدت البحـر فـي سلطـان زرقته
فـراح معجـل بالارسـاد عمقهـا
تربـح البحـر بالامـواج مربـدة
فأزبـدت اكوس دارت تصـاهيهـا
امضيت فيهـا سويعـات مؤنقـة
يا ليت كف النوى يومـا ترسيها
ورائـع السـاع في صحـو وفي حلم
نحيا بهـا العمـر في دكرى .. سنبقيها

عدنا الى جزيرة « وايت » .. فكان اول ما سألت المسئول عن مواصلاتنا من اكسفورد الى « وايت » . اذا كانت الحوامة بهذه السرعة فلم لم تأتوا بنا الى هنا في ظرف سبع دقائق بدلا من الخمس والعشرين دقيقة التي امضيناها في الباخرة ؟

فأجاب . لانها أبهظ اجرا ، ولان بعض الناس لا يحبونها ، اذ يشعرون كأنهم في سيارة (باص) غريبة الاطوار ، بل ان فريقا منهم يشعر بالدوار فيها ، على حين انهم لا يشعرون بشيء من ذلك في الباخرة المكيفة الذبذبات

فاظهرت شيئا من الاقتناع ، وان لم يك الاقتناع كله ، واخذت سمتي الى السيارة العامة التي ستدور بنا في الجزيرة كلها

جولة في الجزيرة

قد لا يصدق المرء حين اقول له ان في هذه الجزيرة رمالا ذات الوان شتى متعددة ، كالوان القوس قزح ، ولجمالها رتبوها طبقات رقيقة في رأس شفاف لاقلام تذكارية يقتنيها السياح ، ليستعيدوا بها ذكريات هذه الجزيرة وهم يكتبون بطاقاتهم السياحية أو رسائلهم عبر البحار وبوسعك ان تعلم انني اقتنيت اكثر من قلم تذكاري من هذا النوع تحسبا لردود فعل المعجبين به

أكانت الجزيرة صغيرة ، ام ان السائق كان بارعا بحيث سلك بنا اقصر السبل الى امتع بقاعها ، فطواها من ساحل الى ساحل في نصف نهار ؟ لقد كانت هذه الجزيرة في يوم من الايام مغطاة بشبكة من الخطوط الحديد . اما اليوم فليس فيها غير حطام محطة مهملة ، وجزء تذكاري من بقايا خطوطها الحديدية ، تذكر القادمين بتطور الطرق الممتازة في الجزيرة التي اصبحت خير عوض عن السكك الحديدية فيها

دخلنا في اعماق الجزيرة فتبدى لي جليا صريحا أن من اراد الهدوء العصبي والصحة النفسية .

فيا عليه الا ان ينتبذ ناحية قصية منها في بعض فنادقها . فقد كانت ، خلافا لما نجده في انكلترة ، ذات مفارقات وتلاوين ، فلا بقعة تشبه اخرى . والتكرار الممل معدوم ، والتباين هو القاعدة !

ان مشاهد جزيرة « وايت » مزاج من منطقة البحيرات في شمال غربي انكلترة ولبنان ، وبعض بقاع هولندة ، ومع ذلك فكل شيء خاص بجزيرة وايت .. فهي نسيج وحدها ، وبالرغم من انتهاء موسم السياحة ، فقد كانت الاماكن غاصة بالسياح ، لان الكثيرين يحاولون تجنب موسم الازدحام فيحدثون نوعا جديدا من الازدحام في موسم خاص ... هو هذا الموسم الصيفي العجيب الذي يتغلغل في ثنايا الخريف

ربوة الله

واخيرا جيء بنا الى « ربوة الله God,s Hill » ، الى مكان ظنناه لاول وهلة مجرد حديقة عامة قد الحق بها مطعم ، فتناولنا وجبة غذاء ثقيلة ، ممتعين ابصارنا بالمنظر الجبلي المنحدر صوب البحر امام الواجهة الزجاجية ، وخرجنا من المطعم ، وكان لا يزال ثمة متسع من وقت ، وكانت الوجبة الثقيلة بحاجة الى رياضة سير لهضمها ، فيا احرانا بتجوال في هذه الحديقة الفسيحة ، فدخلناها وكان في واجهتها تمثالان غريبان لقرصانين من قراصنة البحر ، يحمل احدهما فانوسا بدائيا وعلى احدى عينيه رقعة سوداء على عادة بعض القراصنة ، ومضينا قدما ، فيا لله ! ما هذه ؟

انها بقعة جبلية مطلة على البحر احيلت الى عالم من الجان والحيتان الاصطناعية والأقزام ، واذا بهذا المكان يعرف بحديقة الاقزام الخرافية الحارسة لكنوز باطن الارض إنهم يسمونها « بالقرية النموذجية » MOdel Village وكان الاحرى ان تسمى « بالدنيا الاسطورية » او « قرى الجن » ويعلم الله انها تجسيد رائع لما ذكره الاستاذ الكبير جعفر الخليلي في قصته الخالدة : « في قرى الجن » قبل نيف وثلاثين عاما ، اكان القاص قد رأى هذه القرية ، فصورها في كتابه ؟ ام ان صانع هذا النموذج كان قد قرأ القصة ولفرط اعجابه بها صاغها مجسمة وكأنها قد قفزت لتوها من كتاب الخليلي ؟

اشك ان يكون الخليلي قد زار جزيرة « وايت » او ان المهندس المثال الذي صنع هذه الاعجوبة كان يحسن العربية ، ولكن خيال الانسان عندما يحلق عاليا لابد ان يلتقي مع سواه في ذروة واحدة ، مهما تباعدت الارجاء ، وتباينت الاجناس ، وليكن التعليل ما يكون .. ففي منتصف « مملكة الجان » هذه منظر فريد ، يعز نظيره في كثير من بقاع العالم ، ذلك هو المنحدر العميق الضيق بين جبلين ، وفي قعره البحر الازرق المائل الى الخضرة ، وقد زان حوافيه الزبد الابيض الناصع .. منظر تباهي به جزيرة « وايت » كثيرا من الجزر وتجده في العديد من الصور الملونة والبطاقات البريدية ، ولا سيما عندما تضاء ليلا ، فتصبح مشهدا اسطوريا خارقا ، وتعرف هذه الهوة الفريدة بالـ « تشاين » Chine [٢] فلا بدع اذا ما وقفت امام هذا المنظر الفريد وانطلق شيطان شعري يرتل على غير وعي مني :

في (شكلين) رأيت كل عجيبة
وسمعت من غور المياه ابيا
أ (تشين) ، يا غارا تحدر مرعا
وسط الخيج ، فكان فيه كميا
الناثرون على اختلاف عصورهم
جاءوا فضمهم اليه سبيا
جل الاله ، وجل فيك صنيعه
اد أبدعت ألواحه تلوينا

مدينة الأقزام

وعدت كرة اخرى الى « مدينة الاقزام » . عن طريق اشبه ما يكون بالمتاهة الاصطناعية ، فهناك حيطان خضراء نباتية ، قصت بأشكال هندسية عجيبة على هيئة دروب ، فمن دخلها احتاج الى دماغ الكتروني « للخروج منها ، وبعد اللتيا والتي ، وارتكاب العديد من الاخطاء استطعت ان اجد المخرج ، ولم يكن حظ سواي بأفضل من حظي ، فكنت كلما سألت عن سواء السبيل من مستطرق مثلي يواجهني بقوله : « لا ادري » .

خرجت وانا امسح العرق المتصبب من جبيني . والقيت نظرة اخيرة على الاقزام في « مدينة الجان »

---

(٢) لفظة Chine في الانكليزية عجيبة فهي ضيقة الاستعمال ضيق مؤداها فهي تعني الوادي الجبلي الصغير الضيق الشديد الانحدار والعميق جدا ، ولا ينطبق هذا التعريف الا على موضعين احدهما في جزيرة « وايت » والآخر في « دورسيت » Dorset بانكلترة ، ولا ثالث لهما !

وقفزت الى ذهني (ما ديورادام) ، اتــذكرون يوم حدثتكم عنها وقلت انها منقطعة النظير ؟ لقد كنت صادقا فيا قلت ، ولكن ههنا شيء آخر ، لا اقول انه شبيه بما ديورادام ، ولكنه لا يقل عنها روعة في معناه الخاص الذي قصدت اليه .

وقبل ان اخرج حانت مني التفاتة الى الممر الـذي يصل « قرية الانس » بقرية الجان فرأيت هيكلا عظميا لحيوان هائل منقرض ، معلقا في السقف ، وتحته كرسي يعرف بكرسي الاماني « تجلس عليه وتضع قطعة نقد في شق بذراعه الايمن وتتمنى في سرك ما تشـاء من أمنيات ... فلما سئلت « ماذا تمنيت ؟ » قلت . « تمنيت ان يعود هذا الوحش الهائـل المعلق فوق رؤوسنا الى الحياة ، لتختم زيارتنا الرائعة لهذا المكان الخرافي ختاما اسطوريا فضحك من كان حولي ، وكانهم خشوا ان تستجاب دعوتي فحثوا الخطى على عجل ، ودلفوا الى سياراتهم من غير ان يلووا على شيء !

وتوغلنا في الجزيرة اكثر . فكان هناك متحف آخر . ما اكثر الاشياء التي يراها الانسان في جزيرة « وايت » مما لا يمكن للذاكرة ان تسقطها يوما في أعماق اللاوعي ، ففي زاوية رأيت مشهدا لن انساه ما حييت : منظر كوبرا وقد التفت حول ابن عرس مختفية ، ولكن هذا لم يشأ وهو في النزع الاخير الا ان يغرز اسنانه في عنق الافعى ، فيقضي عليها فياتا جميعا ، وحنطا على وضعهما هذا .. وهكذا انتقم ابن عرس لنفسه ، اذ ليس هناك من يأخذ بحقه في هذا العالم المحكوم بالقوة الا من ابدى صبرا وجلدا ، ولو في حالة احتضار !

آه ! ما اشد فرحتي امام منظر المظلوم منتقما من ظالمه ، حتى وان كان ذلك في آخر لحظة . هذا مشهد ان تعرض صوره في كل مكان ، ففيه عظة لكل جبار يعتقد ان لن يقدر عليه خصمه المستضعف المخذول !

من زوار الجزيرة

لا عجب اذن بعد كل الذي شهدناه ورأيناه ان تفتن بالجزيرة الملكة فكتوريا وقرينها الامير البرت فيبنيا لها قصرا ، هو قصر أوزبـورن هاوس Osborne House سنة ١٨٤٥ المطل على خليج سولينت Solent الذي يفصل الجزيرة عن البر الانكليزي ، وكانت الجزيرة تذكر الامير البرت بأروع ما في نابولي من مناظر ايطالية خلابة ، وفي هذا القصر توفيت الملكة فكتوريا ، ومما يجدر ذكره ان في القصر « قاعة هندية » صممها والد

الشاعر الانكليزي روديارد كبلنغ Rudyard Kipling .

وقد اصبحت الجزيرة بعد بناء « قصر اوزبورن » الملكي ، محط انظار الساسة والزعماء والكتاب والادباء ، وقد قرن اسمها باسم مشاهير من امثال غاريبالـدي ، وشارلي دكنـز ، ولونجفلو ، وكيتس ، واللـورد الفريد تينيسون Tennyson الذي بنى لنفسه هناك قصرا آوى اليه ثلاثين عاما وكتب فيه قصائده : « اينوخ اردن » و « اناشيد الملك » وقصيدتـه الرمـزية (مـود) التـي اثارت جدلا طويلا بين مادحها وقادحها .

وعلى حين ان قصر الملكة فكتوريا قد اصبح اليوم متحفا للشعب ، فان قصر الشاعر تينيسـون غدا فندقـا عصريا شهيرا .

ولئن رنت في اجواء غربي الجـزيرة اصـداء اشعار تنيسـون ، فان اجواءهـا الشرقية ، وعلى الاخص « شانكلين » ، رددت الحان اعـذب مقطوعـات كيتس Keats .

وفي هذه الجزيرة كتب دكنز القسم الاعظم من كتابه « التوقعـات العظيمـة » Great Expectations وقضى فترات يتأمل جمالها الطبيعي الخلاب .

والسر في ان الكثـيرين من الاقطـاب والمشاهـير جعلوها قبلة انظارهم لا يعود الى جمال الجزيرة وحده ولا الى تشييد الملكة فكتوريا قصرا ملكيا فيها ، بل الى سبب خطير آخر هو : ان الطبيب الشهـير السر جيمس كلارك SirJames Clark زار فينتنـور Vantnor سنـة ١٨٣٠ ، واعلن ان جو الجزيرة خير علاج للعـديد من الامراض ولا سيا السل ، وفي سنـة ١٨٦٨ اقيم فيهـا مصح للمصدورين ، وقد رأيناه ورأينا المقبرة قبالتـه ، وبينهما شارع ، فاشار احد الظرفاء الى المستشفى قائلا : « من لم يجد شفاءه هنا ، وجده هناك » وأومأ بسبابته الى المقبرة وقد انتجع الجزيرة بحثا عن العافية كارل ماركس Karl Marx ونستن شرشل في شبابه سنة ١٨٧٨ بين الكثيرين ممن انتجعوها في العصر الفكتوري .

وعندما خيم الظلام كنت قد عدت الى اكسفـورد وجلست امام مكتبي مترددا في اختيار عنوان لمذكراتـي التي سأدونها عن جزيرة وايت ، توقفت لحظة أمام عنوان « جنة الله .. في بحره » ثم ضربت عليه وكتبت : « زمردة الله في بحره » وطرحت القلم جانبا ، فاذا به يقهقه ضاحكا ويقـول « انهـا كلاهما ... «جنـة » وزمـردة وسـط بحر » .

■■

د . صفاء خلوصي

واسفل الناس لا يكون دون ان يتخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتخذهـا ـ الجاحظ

هواية الحمام عند العرب

بقلم : الدكتور كمال نشأت

حينما استتب الامر للعرب بعد غزوات كثيرة كما هو معروف ، مال بعض شبابهم الى شيء من اللهو البرىء فكان ان اولعوا بتربية الحمام . وهي هواية نجدها عند كثيرين من ابناء الامم الأخرى .

يذكر الدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » انواع الحمام (كما فعل الجاحظ من قبل) فيقول انه البرى والذى يألف البيوت ، ومن انواعه الرواعب والمراعيش ، والعداد ، والسداد) والمضرب ، والقلاب (وهذا الاخير ينقلب اثناء طيرانه ، وهو موجود بكثرة لدى هواة تربية الحمام في الكويت ..) .

وقد انتشرت هذه الهواية ، واصبح لها عشـاق كثيرون من الطبقات المختلفة ... يقول الجاحظ في كتابه « الحيوان » (واسفل الناس لا يكون دون ان يتخذها ، وارفع الناس لا يكون فوق ان يتخذها ، وهي شتى يتخيرها ما بين الحجام الى الرجل الهمام ..) ويقول انه لا يمتنع الرجل الجليل ، ولا الفقيه ، ولا العدل من اتخاذ الحمام ، والمنافسة فيه ، والاخبار عنه والوصف لأثره ، والنعت لمشهوره حتى وجه اهل البصرة الى (بكار بن شيبة البكراني) قاضي مصر ـ وكان في فضله وعقله ودينه وورعه ما لم يكن عليه قاض ـ بحمامات لهم مع ثقات ، وكتبوا اليه يسألونه ان يتولى ارسالها بنفسـه . ويروى ان الله تعالى امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار الذى لجأ اليه الرسـول (ص) وصفيه وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار ، وان ذلك مما صد المشركين عنه (ص) وان حمام الحرم من نسـل تينك الحمامتين

ويروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي (ص) يوم فتحها فدعا لها بالبركة ، وروى ابن قانع والطبراني عن حبيب بن عبد الله بن ابي كبشة عن أبيه عن جده ان النبي (ص) كان يعجبه النظر الى الاترج والحمام الاحمر ، وكان في منزله (صلعم) حمام احمر يقال له « وردان » . ويذكرون ان عليا (رضي) شكا الى النبي « صلعم » الوحشة فقال له : اتخذ زوجا من حمام تؤنسك ، وتصيب من فراخهـا ، وتوقظك للصلاة بتغريدها .

وبعد ان كان اللعب بالحمام مكروها ايام عثمان بن عفان اصبح الخلفاء انفسهم من هواته ، فكان الخليفة المهدى وهارون الرشيد من المولعين به وبتطييره ،

وكذلك ابن المعتز وانتشرت الهواية حتى لعب به اعلام القوم واتقاهم على كبر برج الحمام الذي يربيه أو صغره وكانت هذه البروج تبني بـ (السامان) وتخزن بها انواع الغلات ويخصص لخدمتها عدد من الخدم ، يتولى بعضهم اطعامها وتنظيف بيوتها ويتول آخرون تدريبها ، يقول الجاحظ (ان احد الاغنياء كانت نفقته في الشهر زيادة عن مائة وخمسين دينارا عدا ما يحتاج اليه سطح الطيور وهو عشرون دينارا)

أنساب الحمام

وقد صنفوا الحمام حسب انواعه وحسب المدينة او البلد الذي ينتمي اليه ، وقد سميت الكتب التي سجلت فيها انسابه بـ (دواوين الحمام) ، وقد عرف علماء اهتموا بهذه الناحية ، ووصل الاهتمام بعراقة بعض انواعه ، وتسجيل انسابها ان (الهذيل المازني) وصف (مثنى بن زهير) وحفظه لانساب الحمام فقال . « والله إنه انسب من سعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامة للناس .. » .

وكان الخليفة الناصر لدين الله العباسي يهتم بـ (حمام البطاقة) ويسجل انسابها ، وكانت الحمامة من الانواع الراقية تباع بحوالى الف دينار . ويذكر الجاحظ ان بعض انواع الحمام كانت الواحدة منه تباع بخمسمائة دينار وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا ، وان ذلك كان مألوفا بالنسبة لسوق الطيور ببغداد او البصرة ويبدو أن هواته قديما وحديثا يبذلون في سبيله الاموال الطائلة حسب قدراتهم ، من هنا جاء المثل الشعبي المصري (اللي معاه فلوس بتحيره ... يجيب حمام ويطيره ..) و (الغاوى ينقط بطاقيته)

وقد اثارت المسابقات بين الحمام جدلا بين الفقهاء ، ذلك ان الهواة كانوا يتراهنون فيما بينهم على اطلاق طيورهم من مسافات بعيدة فمن وصلت طيوره قبل طيور غيره فهو الرابح لذلك قال بعضهم ان هذه الهواية ما هي الا نوع من المقامرة يجب استنكارها وتحريمها وقال آخرون وقد بلغوا شوطا بعيدا في كراهيتها ان شهادة الهاوى يجب ان ترد ، الا ان بعض الفقهاء جوزها على اعتبار ان تدريب الطيور يفيد في نقل الاخبار ، وانها يحتاج اليها في الحرب .

وقد فضل اهل بغداد الاناث من الحمام الزاجل على الذكور ، بعكس اهل البصرة الذين فضلوا الذكور على الاناث ، وحجة البغداديين ان الذكر اذا سافر وكان قد بعد عهده باناثه ، ورأى انثى في سفره فانه قد يميل اليها ، ويترك مواصلة السفر ، وحجة البصريين ان الذكر احن الى بيته حيث انثاه ، وانه اشد طيرانا ، ويقول الدميرى ان في مقدور الذكر ان يطير مسافة ثلاثة آلاف فرسخ في اليوم الواحد .

وقد كان الحمام من انفس الهدايا التي تقدم الى الخلفاء وعلية القوم ، كما ان خير هدية كان يقدمها الخليفة الى احد الاعيان هي ان يقدم اليه حمامة بيده ،

ويحكي ان الخليفة المعتصم بالله قدم الى النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن الافساسي حماما بيده تكريما له .

حمام الزاجل

ويقول ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) ان العشاق كانوا يلجأون في مراسلاتهم الى الحمام وان العاشق كان يعقد كتابه الى حبيبته بجناح حمامة ، وفي ذلك يقول :

تخيرهـا نوح فما خاب ظنه لديهـا وجـاءت نحـوه بالبشائر
سأودعهـا كتبـي اليك فهاكها رسائـل تهـدى في قوادم طائر

والمعروف ان هذا النوع من الحمام الذى يحمل الرسائل هو النوع المسمى « الزاجل » ، فهو اقدر من غيره من انواع الحمام على الطيران لمسافات بعيدة ، وكانت الرسالة تكتب على ورق رقيق جدا ، وتوضع في قارورة من رقيق الذهب وتعلق تحت جناح الحمامة او في عنقها

ويذكر الاستاذ (سعيد الديوه جي) في كتابه عن الفتوة ان اول من استعمل الحمام الزاجل هم اليونان ، ويقال ان رجلا من جزيرة (اوجين) كان يذهب الى أثينا ليشارك في الالعاب الأولمبية ، وذلك قبل الميلاد بنحو ثمانية قرون . فكان اذا انتصر في لعبة رياضية اطلق حمامة تحمل جزءا من غصن احمر اللون ليعرف اهله نبأ انتصاره . ولقدرة الحمام الزاجل على قطع المسافات البعيدة دون تعب استعملته الجماعات السرية ، واستعمله القادة والوزراء من احل تدبير المؤامرات بعيدا عن انظار الحكام كما اشار الى ذلك ابن الجوزى في كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » والجاحظ في « الحيوان » ، وممن استخدمه الاتابكيون والفاطميون الذين حكموا مصر فترة من الزمن ، كما استخدمه المعتصم في حروبه .

ومن الطرائف التي تحكي في هذا المجال والتي نقلها الاستاذ سعيد الديوه جي في كتابه السابق الذكر قوله عن الحمام الزاجل (على انه قليلا ما كان يستعمل في نقل الاشياء الصغيرة ليوصلها الى الاماكن الاخرى ، وهذا مالم نعهد له مثيلا عند الأمم المتقدمة غير العرب . فمن ذلك ان (العزيز) ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره (يعقوب بن كلس) انه ما رأى القراصية البعلبكية ، وانه يحب ان يراها . وكان بدمشق حمام من مصر ، وبمصر حمام من دمشق ، فكتب الوزير لوقته بطاقة يأمر فيها من هو تحت أمره بدمشق ان يجمع ما بها من الحمام المصرى ، ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية ويرسلها الى مصر ففعل وبعد ايام حضرت تلك الحمائم بالقراصية فجمعها الوزير وذهب بها الى العزيز .

سباق الغاية

ويتحدث الاستاذ سعيد عما يسمى بـ (سباق الغاية) وهو نفس السباق الدورى الذى يقيمه هواة تربية الحمام بالكويت ... يقول . (ويكون السباق لبلوغ الغاية بين المتراهنين ، وهم اصحاب الحمام المتسابق . فكانوا يرسلون حمامهم مع عدول اكفاء امناء الى احدى المدن ويعينون يوما لاطلاقها من تلك المدينة وكانوا قبل اطلاقها يكتبون ورقة بها تاريخ ووقت اطلاقها واسم صاحبها ويعلقونها في الحمام ، وفي الوقت المعين يخرج الناس الى اسطح دورهم ينتظرون قدوم الحمام ، فقد كان يشهد هذا السباق جمع غفير من الناس يتمتعون بالنظر اليها اذا ما اقبلت ، واذا ما سبقت طيور شخص ما ، فان الناس يهنئونه بهذا ، كما ان الشعراء ينظمون القصائد ، ويثنون على السابق ، وينوهون بذكر الخليفة وكونه الحامي الاكبر لهذه الالعاب

اما الحمام كرمز من الرموز الدالة على اشياء اخرى حينما يراه النائم في احلامه (تؤكد نظريات فرويد ان الاحلام تعتمد على الرموز) ، فقد اشار اليها الدميرى بقوله « الحمام في المنام رسول امين ، او صديق صدوق ، او حبيب انيس ، وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد ، وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغي ببعلها بدلا ، ومن قص جناح حمامة في المنام فقد حلف على زوجته ان لا تخرج من بيته .)

على ان الحمام -وقد اتخذ رمزا عالميا للسلام - ما زال الى الان يجد عشاق تربيته ، فقد رأينا له اسواقا تعقد في حي القلعة بالقاهرة - وفي سوق الغزل في بغداد - وفي « سوق الطيور » بالكويت مثلما كانت تعقد له اسواق في بغداد قديما، تحدث عن احدها ابن الجوزى اما في مصر حاليا فهناك « جمعية هواة الحمام الزاجل » وتقع في شارع من اهم شوارع القاهرة ، منذ سنتين نشرت جريدة (الاهرام) نبأ السباق الذى اقامه هواة تربية الحمام لقطع المسافة الطويلة بين اسوان والقاهرة .. ■■

بغداد - د . كمال نشأت

قصة من موسكو :

ابن الجندي

للكاتب الروسي : جنكيز آيتماتوف

الترجمة : هاشم حمادي

للمرة الاولى رأى والـده في السينما ، لم يكن عمـر الطفل اذ ذاك يزيد على الخامسة . حدث ذلك في الحظيرة البيضاء الكبيرة ، حيث تجز الخراف في كل عام وحتى وقتنا هذا لا تزال تلك الحظيرة البيضاء الكبيرة المغطاة بشرائح الخشب تقوم قرب الطريق ، تحت الهضبة ، وراء المزرعة الحكومية

كان قد جاء الى هنـا مع امـه ، وكانـت والدتـه جينجول ـ عاملة التلفون في مكتب بريد المزرعة ـ قد اعتادت في صيف كل عام ، وعندما يبدأ موسم الجز ، العمل في المركز ، ومن أجل ذلك كانت تستخدم إجازتها السنوية والأيام الاضافية ، التـي استحقتهـا بعملهـا الاضافي ليلا ونهارا امـام لوحـة التلفونـات في موسـم الزراعة وولادة الحملان ، فتعمل هنا حتى آخر يوم الجز

ولما كانـت الاجـور تدفـع لكل قطعـة فقـد كان بالامكان ان تكسب بعض المال ، وكانت ، وهي ارملة الجندي ، بحاجة الى كل كوبيك [١] . صحيح ان أسرتها صغيرة ـ هي وولدها ـ ومع ذلك فهـي اسرة على أي حال . هي بحاجة إلى جمع الأخشـاب لاستخدامهـا في فصل الشتاء وعليها شراء الدقيق قبل أن يرتفع سعره وأن تشتري الثياب والأحذية وغير ذلك من الاشياء

لم يكن ثمة أحد تترك الطفل معه في البيت ، ولذا فقد كانت تصحبه معها إلى العمل ، حيث كان يجـري طوال اليوم ملطخ الثياب وهو في ذروة السعادة وسط عمال الجز والرعاة وكلابهم المشعثة .

كان أول من شاهد عربة عرض الافلام وهي تدخل بهو الحظيرة وأول من انطلـق يزف هذا الخبـر السـعيد للجميع : السينما وصلت ، السينما .

بدأ عرض الفيلم بعد العمل مباشرة وبعد أن حل الظلام . وقبل ذلك كان يشعر بقسوة الانتظار ولكنـه كوفيء على انتظاره القاسي . فقد كان الفلم عن الحرب ؛ وعلى الشاشة البيضاء التي علقت بين عمودين في نهاية الحظـيرة بدأت المعـركة ودوت الطلقـات وانطلقـت الصـواريخ وهـي تصفـر فيتوهـج الظـلام الـدامس . ويلتصق الكشافة بالارض ، وما يكاد وهجها يخبو حتى ينطلق الكشافة نحو الامام . وكانت المدافع تزمجر خلال الليل فيشعر الطفل بالرهبة

كانت تلك هي الحرب .

كان قد جلس مع والدته فوق بالات الصوف وراء الجميع حيث كانت الرؤية أفضـل . صحيح أنـه كان

يرغب في الجلوس في الصفوف الأمامية حيث جلس على الأرض قرب الشاشة أطفال المزرعة الحكومية وقد حاول الاندفاع نحوهم ولكن أمه جذبته وهي تقول :

يكفي : انك تجري منذ الصباح وحتى المساء ابق معي . ثم أجلسته على ركبتيها .

قعقعت آلة العرض ودارت رحى الحرب . كان الناس يراقبونها بتوتر ، وكانت أمه تتنهد بصوت عال وبين الفينة والأخرى كانت ترتعش وتضمه الى صدرها بقوة حينما كانت الدبابات تلقي النار باتجاهها وكانت ثمة امرأة تجلس أمامها على البالات ولا تكف تقرقر وتتمتم

ـ يا إلهي ما هذا الذي يحدث ! يا إلهي

ولكنه لم يكن خائفا حدا على العكس كان يشعر بالمرح إذ يرى الفاشيين يتساقطون وحينما كان يقع الجنود الروس كان يخيل إليه أنهم لن يلبثوا أن ينهضوا من حديد .

إن منظر الناس وهم يقعون في الحرب مسل حقا تماما كما يقعون هم ـ الأطفال ـ حين يلعبون لعبة الحرب وبوسعه هو أن يقع وهو يجري كأن أحدا ما أوقعه في شرك صحيح ان الخدوش قد تسبب له الألم ولكن أي ضير في ذلك ؟ فها هو ذا ينهض ويعود إلى الهجوم وقد نسي كل الرضوض

أما هؤلاء فلا ينهضون . إنهم يستمرون في رقادهم على الأرض كالتلال الداكنة التي لا تريم وكان يجيد السقوط بطريقة أخرى كما يسقط أولئك الذين يصابون برصاصة في بطونهم فهؤلاء لا يسقطون مباشرة بل يقبضون على بطونهم في البداية ثم ينحنون ، وببطء يتكومون على العشب والسلاح يسقط من أيديهم وبعد ذلك كان يعلن أنه لم يقتل ويعود إلى الحرب من جديد ولكن هؤلاء لم يكونوا ينهضون أبدا

كانت الحرب ما تزال تدور وكانت آلة العرض مستمرة في قعقعتها وظهر رجال المدفعية على الشاشة . كانوا يدفعون سلاحهم إلى أعلى التل عبر السفح الطويل والعريض الذي يكاد يصل إلى عنان السماء وعبر هذا السفح الطويل والعريض المليء بحفر القنابل تحركت هذه المجموعة من عناصر المدفعية . وكان ثمة في حركاتهم وملامحهم ما يجعل القلب ينفطر ويمتليء بالفخر والألم وانتظار كل ما هو مخيف وعظيم .

كان عددهم حوالي سبعة رجال وكانت ملابسهم محترقة وكانت ملامح احدهم لا تشبه ملامح الروسي ،

وربما لم يوله الطفل أي اهتمام لولا أن أمه همست في أذنه

ـ انظر إنه أبوك ....

ومنذ تلك اللحظة أصبح هذا الرجل أباه وكانت كل بقية الفيلم عنه ـ عن أبيه ـ كان أبوه شابا مثل بقية شبان المزرعة الحكومية ، لم يكن بالطويل القامة وكان ذا وجه دائري وعينين سريعتين وكانت عيناه تقدحان شرا في وجهه الأسود بتأثير الدخان والوحول وكان حفيفا وسريعا كالطير وها هو ذا يرفع عجلة المدفع بكتفه ثم يلتفت ويصيح مخاطبا أحدهم . هات الطلقات بسرعة ولكن صوته دفن في انفجار قذيفة جديدة

ماما أهذا أبي ؟ سأل أفاليك والدته

ماذا ؟ ـ لم تفهم الأم ـ اجلس بهدوء وتفرج .

لقد قلت لي أنه أبي .

طبعا إنه أبوك ولكن لا تتكلم لا تضايق الآخرين

لماذا قالت له ذلك ؟ قد يكون مصادفة ودون تفكير أو قد تكون أحداث الفيلم أثارت أشجانها وذكرتها بزوجها ، فصدق هو كلامها . ودب السرور إلى نفسه وشعر بالارتباك من هذه السعادة غير المنتظرة التي لم يسبق له أن تذوقها من قبل وشعر بالفخر بوالده الجندي إنه أب حقيقي ؛ إنه هو والده . بينما كان الأولاد يعيرونه أن لا أب له فليروا أباه الآن وليره الرعاة أيضا .

فهؤلاء الرعاة الذين يجوبون الجبال لا يتذكرون أسماء الأطفال أبدا فهو يساعدهم في سوق القطيع إلى حظيرة الجر ، ويطرد كلابهم حين تبدأ في العراك ، أما هم فيمطرونه بوابل من أسئلتهم فكل راع وما أكثرهم في هذه الدنيا ، يطرح عليه هذا السؤال :

ـ ما اسمك ايها الغلام ؟

ـ افاليك .

ـ وابن من تكون ؟

ـ ابن توكتوسون .

وللوهلة الأولى لا يعرف الرعاة ماذا يقصد الطفل فينحنون على السرج وهم يسألون .

ـ توكتوسون ! ومن يكون توكتوسون ؟

ـ ويكرر الطفل من جديد : أنا ابن توكتوسون .

بهذا أمرته أمه أن يجيب . أما حدته العمياء فقد طلبت منه أن لا ينسى اسم أبيه ابدا وقد شدته من أذنيه عقابا على ذلك .

يا لها من شريرة

ـ آه انتظر ، انتظر ، أنت ابن عاملة التلفون التي تعمل في البريد أليس كذلك ؟

ـ كلا أنا ابن توكتوسون . عاد الطفل يكرر جوابه بعناد .

وحينذاك فقط يبدأ الرعاة في إدراك كنه الأمر . حقا إنك ابن توكتوسون عفارم ، لقد أردنا فقط أن نختبرك فلا تغضب أيها الغلام فنحن نقضي العام كله في الجبال بينما أنتم هنا تنمون كما الأعشاب ، ومن الصعب أن نعرف جميع الأطفال

وفيما بعد يتهامس الرعاة طويلا عن أبيه كيف ذهب إلى الحرب وهو بعد في ربيع عمره . وقد نسيه الكثيرون منهم الآن . ومن حسن الحظ أنه ترك وراءه ولدا فكم من الشباب ذهبوا الى الحرب قبل أن يتروحوا فلم يخلفوا من يمكن أن يحمل أسماءهم

والآن . ومنذ الدقيقة التي همست له والدته « انظر هذا هو ابوك » أصبح الجندي على الشاشة أباه وبالفعل فقد كان يشبه إلى حد ما الصورة العسكرية لأبيه ـ الجندي الشاب في اللباس العسكري ، تلك الصورة التي كبروها فيما بعد وعلقوها في إطار وغطوها بلوح من الزجاج .

أما في تلك اللحظات فكان أفاليك ينظر إلى أبيه بعيني الابن واجتاحت روحه موجة حارة من الحب البنوي والرقة والحنان . وعلى الشاشة كان الأب يبدو . وكأنه يعرف أن ابنه يراقبه ، فكان يبدو وكأنه يريد أن يترك لدى ولده انطباعا راسخا يعتز به كجندي خاض غمار الحرب الماضية . ومنذ تلك اللحظة لم تعد الحرب بالنسبة له مسلية ولم يعد ثمة ما يثير الضحك في الطريقة التي يتساقط بها الناس . لقد اصبحت الحرب جدية خطيرة ومخيفة . ولأول مرة شعر بالخوف على شخص يحبه . شخص كان يفتقده أبدا ويشعر بالحنين الجارف اليه .

استمرت آلة العرض في قعقعتها ، واستمرت رحى الحرب في الدوران وفي المقدمة ظهرت الدبابات المهاجمة . كانت تتحرك برهبة ، تدهس الارض بجنازيرها وتدور أبراجها وتطلق النار من مدافعها مع الحركة : أما عناصر المدفعية فكانوا لا يزالون يدفعون المدفع نحو الأعلى وهم يكادون يسقطون من فرط الانهاك . وراح الطفل يستعجل اباه « هيا . هيا . يا أبي الدبابات قادمة ، الدبابات » .

اخيرا وصل المدفع إلى القمة ومن وسط أجمة من أشجار البندق فتح النار باتجاه الدبابات ، وبدورها راحت الدبابات تطلق النيران . كان عددها كبيرا وأصبح الموقف مرعبا .

وخيل للطفل أنه هو هناك ، يقف إلى جانب أبيه وسط نيران الحرب وهزيمها فكان يقفز على ركبتي أمه حينما تشتعل النيران في هذه الدبابة أو تلك ويتصاعد منها الدخان الأسود ، وحين كانت جنازيرها تنفصل عن العجلات فتروح تدور في مكانها بشكل أعمى ، ولكنه كان يجلس هادئا ويتكوم على نفسه عندما يسقط الجنود قرب المدفع . كان عددهم يتناقص شيئا فشيئا ..... أما أمه فكانت تبكي ، وكان وجهها ساخنا مبللا بالدموع .

واصلت آلة العرض قعقعتها ، واستمرت الحرب تدور وازدادت ضراوة المعركة وبدأت الدبابات تقترب شيئا فشيئا . وقرب عربة المدفع انحنى الأب وراح يصيح بحدة في سماعة التلفون الميداني ولكن صياحه ضاع وسط هزيم المعركة وسقط جندي آخر قرب المدفع ، وحاول النهوض ، ولكنه لم يستطع ، فسقط على الارض التي تخضبت بدمه ولم يبق سوى اثنين ـ الأب وجندي آخر اطلقا طلقة ثم اثنتين متتابعتين ، ولكن الدبابات استمرت في تقدمها . ومرة أخرى صفرت قنبلة أخرى ثم انفجرت قرب المدفع واندلعت ألسنة النار . ومن على الأرض نهض شخص واحد فقط ، كان أباه . ومن جديد يندفع باتجاه السلاح فيحشوه بنفسه ويسدد بنفسه ، كانت تلك الطلقة الأخيرة ، ومن جديد تدوي الشاشة بانفجار آخر دمر مدفع الأب وألقى به بعيدا ، ولكنه كان ما يزال حيا ، إنه ينهض عن الارض بتثاقل ، ويسير ببقايا ثيابه المدخنة باتجاه إحدى الدبابات وفي يده قنبلة يدوية . لم يعد يرى ولا يسمع شيئا . كان يحاول جمع كل ما تبقى من قوة .

وصاح وهو يلوح بالقنبلة:

ـ قف ، لن تمر ! ثم يجمد لحظة في هذه الوضعية ، وقد شوه الحقد والألم وجهه . عصرت جنجول يد ابنها بقوة . كان يريد أن يتملص منها ويندفع نحو أبيه ولكن زخة من الطلقات اندفعت من مدفع الدبابة ، فسقط الأب كما تسقط الشجرة المقطوعة . تدحرج على الارض ثم حاول النهوض لكنه عاد فسقط على ظهره حيث ظل راقدا ويداه ممدودتان .

وصمتت آلة العرض وانقطع شريط الحرب كانت تلك نهاية البكرة ، واضاء العامل الفني النور كي يضع بكرة أخرى حينما غمر الضوء الحظيرة أصيبت أجفان الجميع بعدوى الرف السريع وهم يعودون من عالم السينما ، من عالم الحرب إلى حياتهم الفعلية ، وفي هذه اللحظة تدحرج الطفل من على بالات الصوف وهو يصيح .

ـ كان ذلك ابي ! ألم تروه ؟ لقد قتلوا والدي ..

لم يكن أحد ينتظر شيئا من هذا القبيل ،ولم يتمكن أحد من فهم حقيقة ما يجري ، بينما الطفل يجري وهو يصيح صيحة الظفر باتجاه الشاشة حيث يجلس أقرانه الذين كان رأيهم بالنسبة له هو الرأي الفصل ، وخلال لحظات ساد الحظيرة صمت مخيف وغريب . فلأول وهلة لم يدرك الناس سبب سعادة هذا الصغير الذي لم يسبق له أن رأى أباه من قبل . لم يكن أحد يفهم شيئا ، فكانوا يلوذون بالصمت ويهزون اكتافهم بارتباك . وسقطت على الارض بكرة الشريط ولكن أحدا لم يول ذلك أي اهتمام ، حتى العامل الفني نفسه لم ينحن لالتقاطها ، أما هو ، الجندي الصغير ، ابن الجندي الشهيد ، فقد استمر يؤكد .

ـ لقد رأيتم ، إنه أبي !... لقد قتلوه ! كانت حماسته تزداد كلما استمر الناس في صمتهم ولم يفهم لماذا لم يشاطروه سعادته وفخره بأبيه .

وقال احد الكبار موبخا .

ـ هس ـ اسكت ـ لا تتحدث هكذا .

ولكن احدهم اعترض :

ـ وماذا في ذلك ؟ إن أباه قد استشهد في الجبهة أليس كذلك ؟

وحينذاك استجمع احد تلاميذ المدرسة شجاعته وكشف له الحقيقة

ـ إنه ليس أباك ، فلماذا هذا الصياح ؟ إنه ليس أباك ، بل هو ممثل . اذهب واسأل العامل الفني

لم يكن احد من الكبار يريد أن ينتزع من الطفل

هذا الوهم المر والرائع ، ولذا فقد كانوا يأملون في أن يقوم العامل الفني ـ وهو الغريب عن المزرعة ـ بهذه المهمة . والتفت الجميع ناحيته ، ولكنه لاذ بدوره بالصمت . وانكب على آلة العرض متظاهرا بالانشغال .

ـ ولم يستسلم الجندي الصغير

ـ كلا ، إنه أبي ، أبي .

ـ ومن جديد سأله أحد الاولاد

ـ من هو أبوك ، من ؟

ـ إنه هو الذي اندفع باتجاه الدبابة يحمل القنبلة ، ألم تره ؟ لقد سقط هكذا .

وسقط الطفل على الأرض وراح يتدحرج ، تماما كما

سقط أبوه . كان يرقد قرب الشاشة على ظهره وقد مدد يديه .

وبشكل لا إرادي قهقه المتفرجون ، بينما كان هو يرقد كأنه ميت ، دون أن يضحك ، ومن جديد عاد الصمت يلف الجميع .

وقالت امرأة مسنة ـ راعية ـ توبخ أمه

ـ ما هذا ، ماذا فعلت به يا حينجول ؟

شقت الام طريقها وسط الناس حزينة قاسية ، والدموع تترقرق في عينيها .

رفعت ابنها عن الارض .

ـ هيا بنا يا بني ، هيا ، كان هذا والدك . قالت ذلك بهدوء ، ثم قادته خارج الحظيرة

كان القمر يرتفع عاليا ، وفي الافق كانت تتلألأ ذرى المرتفعات بيضاء على خلفية السماء الداكنة وفي الاسفل كان السهل يمتد شاسعا على مدى النظر .

الآن فقط وللمرة الاولى في حياته أحس أنه فقد شيئا عزيزا . وفجأة عصف به الغضب والحزن والالم من أجل أبيه الذي استشهد في المعركة وشعر برغبة ملحة في ان يعانق أمه ويبكي وأن تشاركه البكاء ولكنها كانت صامتة ، فضم قبضتيه وازدرد دموعه في صمت .

لم يعرف أن أباه الذي استشهد في الحرب منذ عهد بعيد قد بدأ يعيش في داخله منذ تلك اللحظة ! ■■

موسكو : هاشم حمادي

المواساة !

● ذهب شاب فرنسي فقير الى مدير شركة لكي يجد له عملا . وروى للمدير بانه بائس وان اولاده يتضورون جوعا ووالده مريض ولا يجد ثمن الدواء وان زوجته مريضة لا تجد ماتأكله بعد الوضع .

وتأثر المدير ولم يتمالك نفسه من البكاء ثم دق الجرس ولما جاء الفراش ، اشار المدير الى طالب الاستخدام قائلا :

ـ لقد قطع هذا الرجل نياط قلبي بظروفه المؤلمة فاخرجه من هنا .

العربي في سجن بئر السبع

● استقبلت مجلتكم انا والمعتقلين في سجن بئر السبع وكأنها نعمة نزلت علينا من السماء .

انني عاجز عن وصف شعور المعتقلين في هذا السجن عند رؤيتهم للعربي انيسا ممتعا لهم في هذا المعتقل البغيض . ويكفي ان اقول بان وصول العربي لنا كل شهر سيساعدنا على تحمل مرارة السجن

محمد ابراهيم رجب حروان
سجن بئر السبع
فلسطين المحتلة

العرب والغرب

● المقال الذي نشره العربي في عدد ٢٥٦ للاستاذ ابراهيم محمد الفحام اثار عندي العديد من التساؤلات .. فاذا كان هدف الكاتب هو الاستخفاف بمن وقفوا ضد تيار الغزو الثقافي الاوروبي دفاعا عن الشخصية العربية المسلمة في الجيل السابق ، فالحقيقة تقول اننا نفتقر كثيرا هذه الايام لأمثال هؤلاء الرجال الشجعان الذين كان دافعهم الاصلي هو الغيرة على الدين والشخصية العربية المسلمة .

واني على يقين ان التقهقر الاسلامي العربي الذي حدث في القرون الماضية سوف لن يطول ، بل ان المؤشرات كلها تؤكد ان استشراء التيار الاوروبي المادي سيكون شحنة للانطلاق العربي الاسلامي في القريب ان شاء الله

محمد عبد المنعم خليل
اسكتلندة

هكذا تعود القدس

● القدس لن تحررها الاجتماعات والبيانات والخطب الرنانة وستظل القدس وكل المحتل من ارضنا العربية يصرخ فينا قائلا اعتمدوا المنطق الصهيوني لتحريري ، والجأوا للقوة قوة هذه الامة بكل طاقاتها وامكاناتها .

ان قرارات الامم المتحدة لن تعيد الينا ذرة تراب اذا لم نستطع وضع هذه القرارات موضع التنفيذ بقوة السلاح والارواح

المنطق الصهيوني يقول على لسان جولدا مائير : بأن دبابة واحدة خير لاسرائيل من مائة قرار لصالحها .

الطريق واضح فاسلكوه ان كنتم صادقين

محمد صالح اسماعيل تاية
القدس

اقترح

● اقترح تخصيص باب في كل عدد يتضمن نبذا عن حياة علماء العرب واسهاماتهم في تقدم البشرية واسعادها بحسبان ان ما نراه اليوم من انجازات هائلة في الميادين العلمية لا يمكن ان يكون منبت الصلة عن الماضي هذا الماضي الذي كان للعلماء العرب فيه باع طويل

ارجو ان يلاقي اقتراحي هذا منكم القبول

عبد الله مبارك المهدي
المكلا

العربي والجزائر

● باسمي وباسم الآلاف من مثقفينا في الجزائر أكتب الى ركن حوار القراء بمجلة « العربي » الغراء ، مستفسرا عن غياب مجلتنا القيمة عن الساحة الثقافية في الجزائر

واؤكد لكم ان غيابها هذا ليمثل فراغا كبيرا في الاوساط الثقافية هنا بالجزائر كما اطلب من الاخوة المسؤولين في ادارة المجلة ، بعض الايضاحات حول هذا الموضوع . واناشد شركتنا الوطنية للنشر والتوزيع ان تفسح المجال لمجلة « العربي » لتستعيد مكانها بين مختلف المجلات في السوق

الجزائرية . وبهذه المناسبة ايضا وعبر ركن حوار القراء لا يسعني الا ان اوجه عميق شكري وتقديري للعاملين بسفارة دولة الكويت بالجزائر الذين مكنوني من اقتناء بعض الاعداد من هذه المجلة النادرة . ولولاهم لم امكنني ذلك فشكرا لهم ولكم « والله لا يضيع اجر المحسنين »

عباس عبد الحميد
جامعة الجزائر

ترجمة القرآن الكريم

● ان تباين ترجمات القرآن الكريم الى الانجليزية توقع من يفهم هذه اللغة في حيرة من امره . لأن تعدد الترجمات يعني تباينا في معنى الكلمة الواحدة من ترجمة الى اخرى ، واقرب مثال على ذلك ترجمة قوله تعالى « إنا انزلناه في ليلة القدر » - فقد ترجمت كلمة « قدر » تارة AL — QADR وتارة POWER ومرة ثالثة DESTINY ولا شك ان هذه الكلمات الانجليزية لا تعطي المعنى الصحيح لكلمة القدر .

ان الترجمة الخاطئة لآيات الله تحمل في طياتها خطورة كبيرة .. ومن الافضل ان تقوم على هذه الترجمة هيئة واحدة من العلماء المتمرسين بمعاني القرآن الكريم واللغة المترجم اليها .

يوسف محمد الكتاني
مصر

صرخة من وراء القضبان

● هذه الصرخة جاءتنا من وراء القضبان والصارخ هنا هو السجين زياد محمد ابو عين الذي القت السلطات الامريكية القبض عليه وسجنته منذ شهر اغسطس الماضي تمهيدا لارساله الى اسرائيل لمحاكمته على تهمة لفقتها له السلطات الصهيونية .

وهي سابقة خطيرة ، اولا لان صيغة التهمة سياسية وثانيا ان امريكا تعلم مدى البطش الذي تنزله تلك السلطات بالفلسطينيين .

الصرخة تقول : انا رجل بلا وطن ومنزلي الان هو زنزانة في سجون شيكاغو. اناشد العالم باسم الانسانية وباسم الدفاع عن حقوق الانسان . ان يسمع صدى صرختي والا فسأباشر الاضراب عن الطعام حتى الموت . فهذا الاضراب هو السبيل الوحيد الذي تركته امامي السلطات الامريكية للدفاع عن نفسي ، خير من الوقوع في قبضة اولئك الصهاينة .

زياد محمد ابو عين
سجن شيكاغو الفدرالي

الوجدان الديني

● قد يتساءل المرء احيانا في حيرة كيف وصل الانسان المعاصر الى ما وصل اليه من حياة تتصف بالقلق وتمتليء بالمشاكل المعقدة التي جعلت وجوده فيها قطعة من العذاب ؟ كيف استطاع هذا الانسان ان يصل الى القمر ويستمتع بمخترعات كهربائية والكترونية كانت الى نصف قرن فقط حلما من الاحلام ، ومع ذلك فلم يستطع ان يحيا في سلام مع اخيه الانسان كأي حيوان مع زميله من الحيوان ؟

لا شك ان غياب الدين عن حياتنا كان - ولا يزال - له اثر كبير فيا وصلنا اليه من فوضى معيشية حولت عالمنا هذا الى غابة بشرية شعارها : البقاء للأقوى ، غابة اصبحت فيها القوانين والقيم والمبادىء والمثل مجرد كلمات في قاموس اللغة

محمد ابو المجد
القاهرة - وزارة الاقتصاد

سفير العروبة المتجول

● ان الجهود التي تبذلونها في اخراج العربي تستحق الشكر - شكرنا نحن القراء الذين نعتبر العربي بحق سفيرا للعروبة متجولا يجوب ارجاء المعمورة حاملا لواء التعريف بالامة العربية ولا استطيع ان اصف لكم مشاعر الفرح التي انتابتني عندما رأيت مجلة العربي تزين مكتبات بعض الاصدقاء في كل من ايطاليا والنمسا والمانيا ان اغلى هدية قدمتها الكويت للعالم العربي هي هذه المجلة

احيدات بلقاسم الحمروي
تونس

أسف .. وتصويب

● في مقالي عن الامثال الشعبية في سوريا المنشور في عدد العربي رقم ٢٥٧ جاء في الهامش رقم (٤) ص ١١٥ الخاص بالآية الكريمة « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ما يلي « هذه الاية الكريمة منسوخة اللفظ باقية المعنى فنحن لا نجدها مكتوبة في القرآن مع ان معناها صحيح » وهذا للأسف - خطأ سافر ، فالآية ثابتة اللفظ ثابتة المعنى نجدها في كتابه تعالى في ، سورة الرحمن ، ورقمها ٢٧

وتصويب ذلك ، ان الهامش يخص آية منسوخة لفظا باقية معنى ، وردت في فقرةاسقطت من المقال - وهي وقولهم « ابن ادم عينو طماعة ما بتشبع غير من كمشة تراب » مأخوذة عن قوله تعالى « لو كان لابن أدم واديان من مال لتمنى لهما ثالثا ، ولا يملأ عين ابن أدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب »

احمد ابراهيم السيد
حلب

الفرزدق وليس الحطيئة

● اورد الدكتور عبد الواحد لؤلؤة في مقالته « نداء الغاب » بيت الشعر التالي .

تعش فان عاهدتني لا تخونني نكن كمن يا ذئب يصطحبان

وذكر انه للحطيئة في حين ان البيت المذكور من قصيدة قالها الفرزدق عندما نزل بالغريين ، فأتاه على ناره ذئب وأقعى جائيا ، وكان مع الفرزدق شاة مسلوخة ، فرمى اليه بيدها فاكلها ، فرمى اليه بقطعة اخرى فتناولها وولى ، فقال

واطلس عسال وما كان صاحبا دعوت بناري موهنا فاتاني
فلما دنا قلت ادن دونك ، انني واياك في زادي لمشتركان
فبت له لما تكشر ضاحكا وقائم سيفي من يدي بمكان
تعش فان واثقتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

هذا ما رغبت في توضيحه ليطلع عليه الاخوة قراء العربي ، عسى ان يكون فيه الفائدة ، وجلاء الغموض

عبد اللطيف السعيد
سوريا

خطأ مطبعي

● ورد في العدد ٢٥٧ خطأ في استطلاع مفاتيح جبل طارق ، اذ ذكر ان الحصار دام اكثر من اربع سنوات كاملة من عام ١٧٧٩ حتى عام ١٩٨٣ . ولا شك ان المقصود ان الحصار دام من عام ١٧٧٩ حتى عام ١٨٨٣

مروان طلحاوي
سوريا

في مؤتمر يالتا ، جلس الرئيس المقعد المريض مع ستالين وتشرشل يبحثون حدود اوروبا بعد الحرب الثانية العالمية

شحنة الرئاسة

للدكتور
جون موزيس
والكاتب الامريكي
ولبير كروس

عرض وتقديم : منير نصيف

الامراض والجروح والآلام عاشت مع رجال جلسوا على اكبر كرسي في احدى اكبر دولتين في العالم .. ولكنها لم تقتل رغبتهم في الاستمرار كما يقول العلم ! فقد وجد هؤلاء الرؤساء مع الألم والمرض ، القوة والعزم والتصميم . هذه جراح بعضهم في كتاب جديد .

.. والانتخابات الامريكية تقترب يبرز التساؤل عن الحالة الصحية للمرشحين لمنصب الرئاسة .. فالصحة ميزة قد ترجح كفة مرشح على آخر .. وهي مسألة تشغل حيزا كبيرا من مناقشات الرأي العام . هل رونالد ريجان شيخ عجوز ؟ ماذا عن الألم الذي يعاني منه كيندي ؟ وكارتر الذي يتغير ويغير مواقفه كثيرا .. هل يصمد أم ينهار ؟

واليوم غير الامس . الحاجز الذي كان يفصل بين حياة هؤلاء الرؤساء وبين الشعب بدأ يتهاوى والناس يعرفون نتائج الفحوص الطبية التي تجري للمرشحين للرئاسة فهي تنشر وتذاع عليهم بكل دقائقها وتفاصيلها صحة الجسم وصحة النفس ،

ومنذ سنوات والدكتور جون موزيس أحد كبار الاخصائيين في الامراض الباطنية بمدينة نيويورك مشغول بالبحث عن بعض الحقائق الطبية التي لا يعرف بها الكثيرون عن الحالة الصحية التي كان عليها رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السابقون . وقد جمع هذه الحقائق في كتاب اسماه « شجاعة الرئاسة » The Presidential Courage واشترك معه في صياغته الكاتب الامريكي ولبير كروس

الجدري ، السل الرئوي ، الجلطة ، الاكتئاب ، السرطان . أمراض القلب هي بعض الوان العذاب التي عانى منها رؤساء امريكا السابقون ، وكانت لها نتائج دراماتيكية على مصير بلادهم السياسي

جروح الرؤساء

كان العديد منهم يحاربون معارك يائسة ضد امراض مستعصية اثناء جلوسهم على مقعد الرئاسة محاولين اخفاء « جروحهم » الخاصة واثارها المدمرة عن الشعب كان توماس جيفرسون يبكي ويئن وهو يمتطي صهوة جواده في الريف ، دون ان يشعر به احد فقد كان مصابا بحالة اكتئاب شديد مصحوبا بصداع نصفي لم يفارقه ابدا وكان جيمس ماديسون يعاني من مرض الصرع الهستيري وشستر أرثر يشكو من التهاب حاد في الكليتين وجروفر كليفلاند تحت العلاج المستمر من السرطان أثناء رئاسته وودرو ويلسون غير قادر على الحركة بسبب جلطة في الدماغ وفرانكلين روزفلت يتحرك على مقعد بعجلات إثر اصابته بشلل الاطفال وباضطراب في الدورة الدموية أدت الى عدم وصول الدم الى المخ ، وربما ايضا سرطان الجلد

عملاقان من الماضي ، جورج واشنطن اول رئيس لامريكا على فراش الموت . واندرو جاكسون الذي عذبه المرض والالم طوال رئاسته

واشنطون العملاق

وبعد ستة اسابيع من حلوسه على كرسي الرئاسة ، احريت له عملية حراحية بدون مخدر ، لاستئصال ورم مليء بالصديد في فخذه وتوالت الالام فقد ضعف بصره ، وعاوده الالتهاب الرئوي وبقي طريح الفراش مدة مائة وتسعة أيام ، لم يستطع خلالها ان يحرر شيئا من مهامه الرسمية ومع هذا فقد نجح الرئيس المريض في أن يعيد تنظيم حكومته الوليدة ، ويزيل اسباب التوتر بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، ويقوم باجراء مفاوضات ناجحة انتهت بتوقيع معاهدات مع الهنود الحمر ، فتحت بموجبها ارض جديدة لاستيطان المهاجرين

ولم يكن واشنطون هو العملاق الوحيد المريض على كرسي الرئاسة في امريكا فربما كان اكثرهم مرضا على الاطلاق اندرو جاكسون ، الرئيس الامريكي السابع ، فقد كان يمشي طول حياته مع شبح الموت وكان هيكلا عظميا فقد كان طويل القامة يزيد طوله على ستة اقدام ، ومع هذا لم يكن يزن اكثر من ٤٧ كيلو جراما ولو أنه عاش اليوم ، لما قبلت اي شركة تأمين على الحياة ان تؤمن على حياته مهما كان تساهلها مع عملائها !

وعندما كان صبيا كان يبصق لعابه الذي يسيل باستمرار ، وخاصة عندما تتوتر اعصابه ، وقد اصيب بالدوسنتاريا المزمنة وظل يعاني منها طول حياته وأصيب بالجدري ونخر السوس كل اسنانه حتى اصبح عاجزا عن تناول اي طعام يحتاج الى مضغ ثم اصيب بالحساسية ، فكان يحك جلده من إصبع قدمه حتى فروة رأسه

لقد اوشك جاكسون ان يموت قتيلا قبل ان يبلغ التاسعة والثلاثين ، فقد جرت بينه وبين خصم له مبارزة بالمسدسات واستقرت رصاصة في صدره بعد ان احطأت القلب بأقل من ثلاثة سنتيمترات وأدت الاصابة الى تكوين دمل في الصدر ، سبب له سعالا مزمنا مصحوبا بصديد ودم طوال ايام حياته

حلم مزعج

واصبحت شهور جاكسون الأخيرة في الرئاسة حلما مزعجا من الآلام المبرحة فقد تورمت قدماه حتى اصبح عاجزا عن المشي ، وظلت نوبات الصداع تلاحقه حتى لم يعد قادرا على التركيز واصابه إسهال مزمن

كيندي . كان مصابا بآلام في الظهر لم تفارقه يوما واحدا ثم داهمه مرض اديسون

الغريب بعد هذا ان هذه الامراض لم تعجزهم ففي ملفات هؤلاء الرؤساء المرضى ، ما يثبت انهم استطاعوا ان يخدموا بلادهم بقدرة وكفاءة

وكان جورج واشنطون ، محرر امريكا ، مصابا بوسواس المرض ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وعندما مات وجدوا اصبع يده اليمنى ضاغطا على رسغ يده اليسرى ، كان يقيس نبضه البطيء ، وقد ظلت الهواجس تستبد به وتلح عليه طوال السنوات التي عاشها حتى مات عن عمر يناهز السابعة والستين

وقد اكل الدرن صدره ، وامتلأ جلده بالحفر الصغيرة التي يتركها الجدري ، وتشوه فكه نتيجة التسوس الذي اصاب اسنانه وكان يجد صعوبة كبيرة في التنفس حتى وهو مسترخ ، لم يكن قادرا على ان يملأ رئتيه بالاوكسجين ، وقد ازدادت صحته ضعفا بسبب إصاباته المتكررة بالالتهاب الرئوي . وقبل ان يصبح اول رئيس للولايات المتحدة الامريكية بعامين داهمه الروماتيزم ، فشل حركته حتى انه كان يجد صعوبة في وضع يديه فوق رأسه .

وعسر هضم ، وضيق شديد في التنفس ونـزيف داخلي وآلام في الصدر ، ثم كان أن فقد البصر لقد آصيبت احدى عينيه بالعمى ، ولم يعد قادرا على تمييز الاشياء بعينه الثانية حتـى الأذنـين لم يسـلما ، فقـد اصيبتـا بالتهاب ، افقده حاسة السمع

لقد قضي ايام رئاسته حبيسـا في البيت الابيض ، وكان يؤجل اجتماعات وزارته ، حتى عندما اراد ان يذهب الى الكونجرس لالقاء خطاب الوداع ، وجد نفسه عاجزا عن الوقوف على قدميه كان قد اصبح حطاما للرجل الذي كان .

ماذا صنعت كل هذه الآلام بالرئيس المريض ؟ كان من اقوى الرؤساء الذين دخلوا البيت الابيض فبدلا من ان يقتل الألم قوته ، شحذ من همته وعزيمته ، وفي مؤتمر باريس الذي عقد في عام ١٨٣١ ، لبحث التعويضات التي كان من المقرر أن تدفعها فرنسا للولايات المتحدة الامريكية ، نتيجة للخسائر التي لحقت بأمريكا بسبب حروب نابليون ، وقف الفرنسيون ينظرون في سخرية الى « تلك العيادة الطبية المتحركة » ، وتوقعوا نصرا سريعا في اول اجتماع لهـم مع جاكسـون واعضـاء الوفـد الامـريكي ، ولـكن « العصـا العجـوز » كما كانـوا يسمونه ، انتصر ، ودفع الفـرنسيون ، كما دفـع معظـم اعدائه السياسيين

لقد كانت رئاسة جاكسون ، نقطة تحول في التاريخ الامريكي فقد قاد شعبا منقسما على نفسه خلال ازمة مالية مدمرة ، ومهد الطريق لاعطاء الشعب صوتا اكبر في اختيار حكومته ومات عن ٧٤ عاما رغم انف كل ما أصابه من امراض وآلام

ولم يعرف الامريكيون او الغالبية العظمى منهم ، الا القليل عن الحالة الصحية التي كان عليها الرئيس جاكسون . فقد كان الرأي ان صحة رئيس الجمهورية لا تعنيهم ثم ما لبث هذالرأي ان اعتبر مناسبا تماما ، وظل سائدا لاعوام طويلة ...

الابواب المغلقة

ففي صيف عام ١٨٩٣ على سبيل المثال ، لم يكن احد يعلم أن شيئا ما يحدث على ظهر اليخت « اونيدا » في مياه (أيست ريفر) ـ بمدينة نيويورك . ولـكن اليخت في الواقع كان يحمل رجلا سمينا له عنق ثور مصابا بالنقـرس ، وكان الجراحـون يجـرون له عملية جراحية لاستئصال ورم سرطاني في الفم . وكان الرجل هو جروفر كليفلاند الرئيس الثاني والعشرين للولايات المتحدة الامريكية ولم يكن الوقت مناسبا ابـدا لمرض الرئيس . فقـد ساد البـلاد في ذلك الوقت موجـة من الكساد ، أدت الى افلاس اكثر من خمسمائة مصرف و ١٥ الف شركة ، وارتفاع نسبة البطالة بين العمال

وخرج كليفلاند من الجراحة بلا فك ، فقـد انتشر السرطـان في فكه العلـوي ، واضطـر الجراحـون الى استئصاله كله تقريبـا ، ولـم يعـد الرئيس قادرا على الحديث . ولكن البيت الابيض لم يجد حرجا بالرغم من خطورة حالته ، من ان يصدر بيانا بعد الجراحة بيومين يعلن فيه ان رئيس الجمهورية بخير وأنه يمارس اعماله كالمعتاد بعد جراحة بسيطة اجريت له لخلع ضرس نخره السوس . !

ومن وراء الابـواب المغلقـة كان أطبـاء الـرئيس يواجهون الازمة . « انه لم يعد قادرا على الـكلام ! » واخيرا استطاع احد جراحي الاسنان ، ان يصنع له فكا من المطاط

ولم يعرف الامريكيون شيئا عن « معـركة رئيس الجمهـورية الخاصـة » مع السرطـان وبقيت هذه

ايزنهاور لم يعد مرض الرئيس في عهده سرا ..

العالمية الثانية . إلى ان كان مؤتمر يالتا في فبراير عام ١٩٤٥ ، الذي رسم فيه الحلفاء شكل المسرح السياسي لأوربا بعد الحرب . في هذا المؤتمر ولأول مرة قال لورد موران طبيب تشرشل الخاص بعد لقائه بروزفلت ان هذا الرجل لن يعيش لاكثر من بضعة شهور اخرى . فقد بدا روزفلت يومها غير قادر على التركيز في محادثاته ومناقشاته اثناء انعقاد المؤتمر

ومع هذا فقد وقف مستشار الرئيس الطبي ، على الجانب الآخر في امريكا نفسها يؤكد ان فرانكلين روزفلت ، لم يكن في يوم من الايام في صحة افضل مما هو عليها اليوم ولكي يؤكد روزفلت هذا الرأي ، وقف يلقي خطابا تحت مياه المطر ، قصد به القضاء على اية شائعات ، يمكن ان تكون قد انتشرت عن اعتلال صحته .

ولكن الكلمة بقيت للورد موران ، فقد مات روزفلت بعد مؤتمر يالتا بشهرين ، إثر اصابته بنزيف في المخ ، واغلقت حدود دول اوربا الحديثة !

الهواجس تلاحق ويلسون

وربما لن نجد في التاريخ الطبي للرؤساء الامريكيين ، شيئا يماثل الاحداث الغريبة التي مرت بالرئيس وودرو ويلسون الذي اصيب بجلطة في الدماغ اعجزته تماما عن الحركة خلال العام الاخير من فترة رئاسته ففي عام ١٩١٩ ، كان ويلسون في قمة مجده السياسي فقد انتهت الحرب التي انهت الحروب بالنصر ، واصبح ويلسون معبود الجماهير في اوروبا وفي امريكا وكان اول رئيس دولة بعد الحرب الأولى العالمية ، يذهب الى مؤتمر الصلح في باريس ليمهد لقيام الديمقراطية في عالم آمن

وفي باريس داهمه المرض . كان العرق يتصبب فوق وجهه الشاحب ، وهو يستلقي على المقاعد الوثيرة في مبنى السفارة الامريكية . واصبح نهبا للهواجس ، فكان يتصور ان هناك قوى شريرة تتآمر عليه ، وان جواسيس فرنسا ينهبون أثاث السفارة ويستبدلون به أثاثا آخر .. وساءت حالته وبلغ مرضه ذروته عندما اصيب ويلسون بجلطة ادت الى شل نصفه الايسر من الرأس الى القدم ومع هذا رفض ان يعترف بانه رجل مريض ، وبقي في مقعد الرئاسة متمتعا بكامل سلطاته الدستورية حتى نهاية مدته .

ولم يقتصر موقف الرفض على إنكار مرضه فقد

وودرو ويلسون ، اصيب بالشلل ، وكانت زوجته الثانية اديث تدير البيت الابيض

الفضيحة الطبية التي تشبه فضيحة ووترجيت السياسية سرا لا يعرفه احد لاكثر من عشرين عاما حتى زوجة الرئيس اخفوا عنها النبأ فلم تكن تعرف مدى خطورة مرض زوجها

وعاش كليفلاند ، واعيد انتخابه لفترة ثانية ، حتى مات في عام ١٩٠٨ إثر اصابته بنوبة قلبية ، وكان قد جاوز الحادية والسبعين .

روزفلت والسرطان

ولقد كان فرانكلين روزفلت ، رجلا مريضا جدا ، ويقال انه كان مصابا بالسرطان عندما رشح نفسه لمنصب الرئاسة للمرة الرابعة في عام ١٩٤٤ وقد اقعده شلل الأطفال قبل ذلك بسنوات . وكان التوتر الشديد يسيطر عليه ، وهبوط القلب يهدد حياته ، ولم يكن الأوكسجين يصل بكميات كافية الى المخ والكليتين

ومع هذا ، وبعد ان كان روزفلت قد أتم ثلاث فترات على كرسي الرئاسة ، ونجح في ان يمر ببلاده عبر أعنف فترة من الركود الاقتصادي في الثلاثينات ، استطاع رغم مرضه وآلامه ان يقود بلاده في الحرب

رفض ايضا ان يدخل اي مستشفى ، او يخضع لاي علاج يمكن ان يحدد معه الاطباء مدى خطورة حالته العقلية ، او موطن الاصابة في المخ .

ولم يعرف الرأي العام الامريكي شيئا عن مدى الخطر الذي يتهدد حياة الرئيس طوال فترة رئاسته التي اقر فيها الكونجرس ٢٨ قانونا ، نفذت كلها دون ان يوقعها رئيس الجمهورية .

ولعل اهم جانب في هذه القصة العجيبة عن « المؤامرة الطبية » ، هو ان ويلسون ، كان رجلا مريضا منذ فترة طويلة قبل ان يصبح رئيسا للولايات المتحدة . فبين الفترة الواقعة من صيف عام ١٨٧٥ عندما كان شابا في الثامنة عشرة ، حتى آخر مرض ألم به في عام ١٩١٩ ، أصيب ويلسون باكثر من اربعة عشر نوعا من انواع الأمراض المختلفة التي لازمته مددا تتراوح بين شهرين وسنة كاملة . بل انه في عام ١٩٠٦ صحا يوما من نومه مصابا بالعمى في عينه اليسرى ، ربما نتيجة لجلطة دموية في المخ حتى ان زوجته الاولى كتبت يومها تقول . « إن زوجي مصاب بتصلب في الشرايين . انه يحتضر . انه يموت ببطء ! »

المذهل ، كيف استطاع هذا الرجل العليل ان يصل الى البيت الابيض

لنكولن الحزين

واذا سألت أبناء امريكا عن اعظم رئيس في تاريخ بلادهم ، اجابك العديد منهم . « ابراهام لنكولن » ، فهو الذي قاد هذه البلاد الشاسعة في أظلم لحظة في حياتها ، عندما كانت الحرب الأهلية تمزق أمريكا من اقصاها الى اقصاها ..

وهو الرجل الذي حرر العبيد ووضع نهاية لاحزان السود .. ولكنه عاش حزينا طول حياته !

كان رجلا ينزع الى الانقباض .. كان وجهه المكتئب الذي يبدو به دائما في صوره ، ونظراته الحزينة تعبر عما كان يعتمل في صدره من انفعالات . كان لنكولن مصابا بالاكتئاب الذي رافقه طوال سنوات رئاسته حتى قبل ان يتولى الرئاسة . وكان يتخيل اشياء لا وجود لها وكان يؤمن بالاحلام ويقال انه رأى موته في احلامه وفي شهر مارس من عام ١٨٦٥ ، اي قبل شهر واحد من حادث اغتياله قال الاطباء ان الرئيس الامريكي مهدد بالاصابة بحالة انهيار عصبي تام .

جروفر كليفلاند .. استأصل الجراحون فكه المصاب بالسرطان . واصبح عاجزا عن الكلام

وكان يضع بجوار مكتبه في البيت الابيض اريكة مريحة يتمدد عليها كلما فاجأته هذه النوبات المتكررة

ويرجع الاطباء هذه الحالة العقلية المضطربة التي عانى منها لنكولن الى ايام طفولته . فقد تعرض الرئيس الى حادث وقع له عندما كان صبيا في العاشرة اصيب برفسة جواد في رأسه وانطلق الجواد يجري ، تاركا الصبي الصغير وراءه فاقد الوعي واكتشف الاطباء ان الصبي أصيب بشرخ في الجمجمة ادى الى ارتجاج في المخ . وكان لهذه الاصابة اثرها في تكوين شخصيته ، وفي الحالة النفسية المضطربة التي لازمته في شبابه وشيخوخته .

وعندما مات « حب » لنكولن الاول ، كاد الحزن يقتله ، حتى ان اصدقاءه خشوا عليه من الاصابة بالجنون . وبعد سنوات قليلة ، انتابته حالة من الاكتئاب الشديد ، دفعته الى الهرب والاختفاء عن الناس في ليلة زواجه الذي لم يتم وعندما عثروا عليه في اليوم التالي وجدوه في حالة نفسية مؤلمة ، حتى انهم اضطروا الى البقاء بجواره وملازمته طوال الأربع وعشرين ساعة ، خشية ان يقدم على محاولة للانتحار والتخلص من الحياة .

وقد اصيب لنكولن بالجدري وهو يلقي خطابه الشهير في جيتسبرج ، وبدأ يشعر باعراض المرض الخطير وقت القاء الخطاب ، مما اضطره الى اختصاره ، عندما وجد الكلمات تتعثر على شفتيه من الالم .

وتهاوى الحاجز !

ولكن الحاجز الذي طالما اخفى وراءه هذه الحقائق عن الشعب ، ما لبث ان تهاوى في السنوات الاخيرة . ولم تعد الحالة الصحية لرؤساء امريكا سرا من اسرار الدولة .. فعندما اصيب ايزنهاور بنوبة قلبية في سبتمبر عام ١٩٥٥ اعجزته عن القيام بمهام منصبه حتى يناير من عام ١٩٥٦ ، عرفت امريكا والعالم الخارجي من حولها بالخبر وانتقلت مهام الرئاسة الى نائبه ريتشارد نيكسون ...

وعندما تعرض ايزنهاور بعد ذلك بستة اشهر لالتهاب في الجزء الأسفل من الامعاء الدقيقة واضطر الجراحون الى اجراء عملية جراحية للرئيس ، ظلت النشرات الطبية تصدر من البيت الابيض الامريكي عدة مرات كل يوم لتطمئن الشعب على صحته .

وكان جون كنيدي يشكو من آلام مبرحة في ظهره ، وهو الرئيس الذي يمثل الشباب والحماس في البيت الابيض فقد كان اصغر الرؤساء الامريكيين سنا عندما جلس على كرسي الرئاسة (٤٣) سنة .

قال شقيقه بوب الذي لقي نفس مصير جون اثناء الحملة الانتخابية . القتل بالرصاص ، قال « ان نصف الايام التي قضاها كنيدي من عمره كانت اياما مليئة بالآلام الجسمانية »

ولقد اصيب كنيدي في اواخر ايامه بمرض اديسون وهو ضمور يصيب الغدد فوق الكليتين / وكان يعالج بالكورتيزون وبالرغم من هذه الامراض والآلام التي نتجت عنها ، لم يتغيب يوما واحدا عن مكتبه في البيت الابيض وكانت اياما قصيرة لم تزد في مجموعها على الالف يوم !

هكذا تشكل تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، بواسطة رجال هدهم المرض والعمى والعجز والجنون وقد يقلل الاعلان عن الحالة الصحية للمرشحين للرئاسة اليوم من خطر دخول رجل مريض الى البيت الابيض ولكن الا يمكن ان يحرم هذا امريكا من بعض الرجال الموهوبين ، امثال ويلسون ولنكولن وغيرهما . حتى لو كانوا مرضى ؟! ■■

منير نصيف

كتب وصلتنا

الاسلام اهدى

عبد الله كنون

دار الطباعة الحديثة ـ الدار البيضاء

● ينبري هذا الكتاب للرد على مقولة شائعة بان عالم الاسلام بدأ ينحط منذ احتجاب الخلافة الرشيدة وقيام الخلافة الاموية ويرى مؤلفه المفكر المغربي عبد الله كنون ، ان الاسلام كدعوة استمر وانتشر في عهد الدولة الاموية ثم برعاية الخلفاء العباسيين ثم في قرطبة « حتى عهد الخلافة العثمانية الذي يعده دعاة التغريب ، عهد انحطاط واستعمار للشعوب العربية هو من العهود الاسلامية التي يحق لنا ان نفتخر بها » .

وينتقل المؤلف بعد هذا الاستهلال ، الى الرد على المقولات الضمنية (غير الصريحة) التي تشيع ان الاسلام قد احتجب في خضم المذاهب والانظمة التي اتت بها حضارة العصر (النهضة الصناعية ، الفكر العلمي مبادىء الثورتين الفرنسية والامريكية ، والاشتراكية) قضايا الملكية الفردية ، الرق ، المرأة ، الاقتصاد ، ونظام الحكم .

يذهب المؤلف الى ان الاسلام ضمن ملكية الافراد والجماعات فلم يطلق يد احد في مال احد ، اذا صحت ملكيته له شرعا ، الا ان الاسلام لم يعتبر اصل التملك مطلقا مما يضر بالمصلحة العامة او الخاصة ولكنه نظر في وجه الملك وحرص ان يكون سليما .

كتب وقراءات

اضافة الى ذلك نظم الاسلام التصرف بالاموال ، عندما فرض ضريبة معيشة على المال بجميع انواعه تؤخذ قسرا من المتمولين وتصرف في وجوه معينة من الضمان الاجتماعي ، وذلك هو نظام الزكاة . وذهب الاسلام خطوة أبعد من ذلك عندما نهى عن الاحتكار واذن للوالي بضرب يد المحتكر وحرم الربا بل اهدر كل ما جمع من الربا . ويشير المؤلف في معرض عرضه لموقف الاسلام من الملكية الفردية الى ان الاصول لا تأبى ان يفرض على الاغنياء ما كانوا يؤدونه عن طيب خاطر بشرط ان يكون اجراء استثنائيا مرهونا بوقت الحاجة .. » .

وهكذا فان الكتاب يعيد التأكيد على المبادىء العامة والاساسية التي نادى بها الاسلام ، في عرض مشرق مميز . واذا كان المؤلف قد اجاب على القائلين والزاعمين باحتجاب الاسلام ، بقوله ان الاسلام (دولة ونظام) قد استمر حتى في عهد الخلافة العثمانية فانه لم يجب عن السؤال الاخر الاكثر الحاحا وهو لماذا انحسرت الانظمة الاسلامية بعد ذلك التاريخ رغم ان الاسلام باق وأصيل في نفوس اكثرية المسلمين ؟ لعل ذلك هو المشروع المقبل للمفكر المغربي الكبير .

قلب الظلام

جوزيف كونراد (رواية)
دار ابن رشد ـ بيروت

● تتمتع هذه الرواية لمؤلفها البولندي الانجليزي جوزيف كونراد بسمعة عالمية ذائعة الصيت وقد استقى منها المخرج الاميركي فرانسيس كوبولا فيلمه « الرؤيا الآن » الذي فاز بجائزة مهرجان كان السينمائي عام ١٩٧٩ .

يذكر مترجم الرواية نوح حزين ان كونراد عندما كان صغيرا في بولندا نظر الى خارطة العالم واشار باصبعه الى الكونغو وسط افريقيا وقال عندما اكبر سأذهب الى هنا » .

وفي عام ١٨٨٩ تولى امرة زورق بحاري في نهر الكونغو التي كانت آنذاك مسرحا للنهب الامبريالي ، وبعد ذلك بعشرة اعوام (١٨٩٩) انتهى كونراد من تسجيل احداث تلك الرحلة في واحدة من اعظم رواياته « قلب الظلمة » . وبعد عودته من الكونغو كان كونراد قد قال : قبل رحلة الكونغو لم اكن اكثر من حيوان ، فقد عانى بعد عودته من ازمة نفسية وروحية عميقة ، كان سببها ما شهده من وحشية ورعب وبشاعة ، وهو يحمل في قلبه المحطم ذكرى القوة التدميرية لعنف ووحشية و « الوهية » الرجل الابيض تجاه الوطنيين السود .

تبدأ الرواية بجمع من الرجال فوق المركب الجوال نيللي ، يجلسون باوضاع مرسومة عند ملتقى نهر التيمز بالبحر ، حيث كان المغامرون وفرسان البحر الانجليز يخرجون الى العالم لينشروا فيه العلم والمعرفة والدين والرعب والذعر والدمار وفي الافق بدا ضباب قاتم كالحداد يتكثف ، لتطغى على المشهد بعد ذلك قتامة مبهمة تمهد لقصة مارلو التي تشكل العصب الاساسي للرواية « وكان هذا ايضا » قال مارلو فجأة ، احد الاماكن المظلمة على الارض ومن ملتقى التيمز بالبحر تبدأ رحلة الرجال مع قصة مارلو نحو قلب افريقيا السوداء ، لتنتهي تحت سماء ملبدة بالغيوم بدت متجهمة نحو قلب ظلمة عظيمة وبين المشهدين القاتمين يروي مارلو اكثر القصص ترويعا وقتامة قصة الوهية كورتز وخراب قلبه وولوغ مارلو في التجربة المشابهة الى ما قبل النهاية بقليل وخروجه منها محطم القلب

ومنذ البداية يضع كونراد قارئه في جوف المأساة وتصبح الظلمة المحيطة رابطا موضوعيا بين مستوى الرواية الرئيسيين ومستوى الجلسة الذي تستغرقه رواية مارلو لقصته ، والمستوى الحقيقي الذي استغرقته الرحلة بالفعل ، وعند النهاية تكون الظلمة الحالكة . تلك هي الاجواء المهيمنة على الرواية التي تترجم لاول مرة في العربية والتي يعرضها لها المترجم ، بصورة وافية في المقدمة حين يحدد موقعها في سياق الادب الانجليزي وتأثيراتها على هذا الادب منذ مطلع القرن .

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٦٠ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول سبتمبر (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم جغرافي عربي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر وأديب عربي .

الكلمات الافقية :

١ ـ دولة أوربية ـ من الآثار العربية بالقدس .
٢ ـ عاصمة نيوزيلندا ـ من سور القرآن الكريم ـ اجابات .
٣ ـ في الجهاز الدوري ـ ابتغى ـ من المذاهب الاسلامية .
٤ ـ بين بين ـ غاز في الهواء ـ أرض مرتفعة .
٥ ـ من مراحل العمر ـ رغب ـ واجهه .
٦ ـ للنداء ـ أديب فرنسي كتب قصة نانا .
٧ ـ صاحب ـ أدرك ـ في الوجه ـ أود
٨ ـ جغرافي عربي .
٩ ـ من الالوان ـ ألعب ـ تتبع .
١٠ ـ يخصني ـ اختلاف ـ شكوك ـ نصف كلمة (عاتي) .
١١ ـ تقدمها بلا مقابل ـ حرف استفهام ـ غير مقيمة .
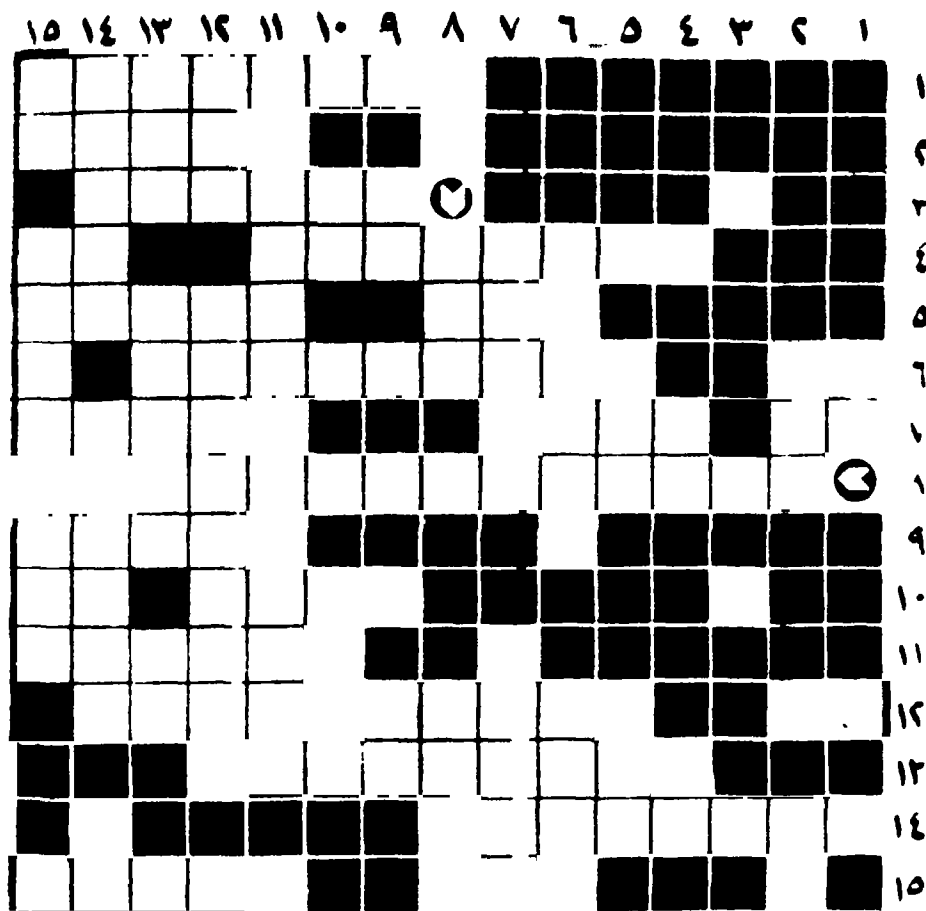
١٢ ـ حرفان متشابهان ـ في المسرح ـ رغب في .
١٣ ـ من الاشجار ـ من دول القارة الامريكية ـ موت
١٤ ـ يبجله ـ من انواع الطائرات
١٥ ـ وحدات تجمع سكاني ـ ضمير ـ مفر

الكلمات الرأسية :

١ ـ ملك من البربر حكم ايطاليا ـ الخاتمة .
٢ ـ يمسه ـ من الفنون التعبيرية ـ نصف كلمة (رحيل) .
٣ ـ عمر ـ ثني ـ حرفان متشابهان ـ اقتربتم
٤ ـ لاذ ـ كاتب فرنسي وضع الحكمة على أفواه الحيوانات ـ أجاب .
٥ ـ ندعه ـ اندحار ـ طمأنينة
٦ ـ يصيب الرأس ـ من أقاربي ـ أسبيه
٧ ـ من العناصر الكيميائية ـ لقب حاكم الجزائر سابقا ـ تقول بلا تفصيل .
٨ ـ شاعر وأديب عربي
٩ ـ دور ـ نصف يوم ـ أنسقه .
١٠ ـ أعقل ـ من الحشرات ـ وحدة لقياس زمن
١١ ـ أسلم ـ يقاسي
١٢ ـ طريق ـ الامتحان ـ كشف .
١٣ ـ بعد ـ عاصمة أوربية ـ قطعة بحرية حربية
١٤ ـ أفسدت صورته ـ غير حاسم .
١٥ ـ قوام ـ في النار ـ من الزواحف ـ يود .
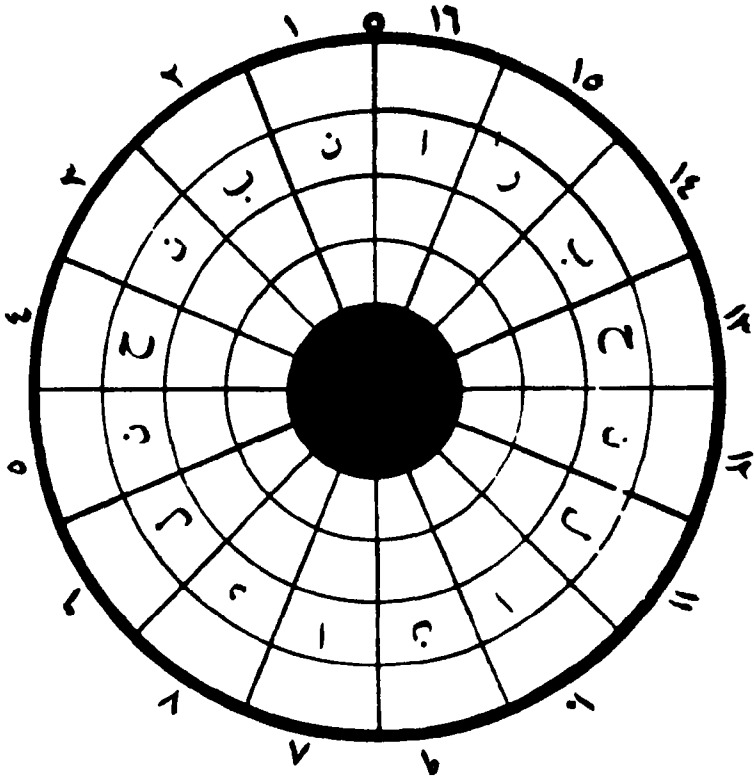
حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الحروف الاربعة ، والتي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للأرقام . يساعدك في هذا وجود الحرف الثاني من كل كلمة على الشكل .

اذا وصلت الى الكلمات الصحيحة ، ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

« حاكم وقائد اسلامي معروف »

الكلمات لها المعاني التالية :

(١) يقل (٢) طريق (٣) أخير (٤) صوت الثعبان (٥) شيد (٦) من مظاهر الطبيعة (٧) للكتابة (٨) ثمين (٩) أبناء (١٠) دولة أفريقية (١١) طائر مغرد (١٢) قناة أمريكية (١٣) يقي (١٤) أختبر (١٥) في الصحراء (١٦) في متناول اليد .
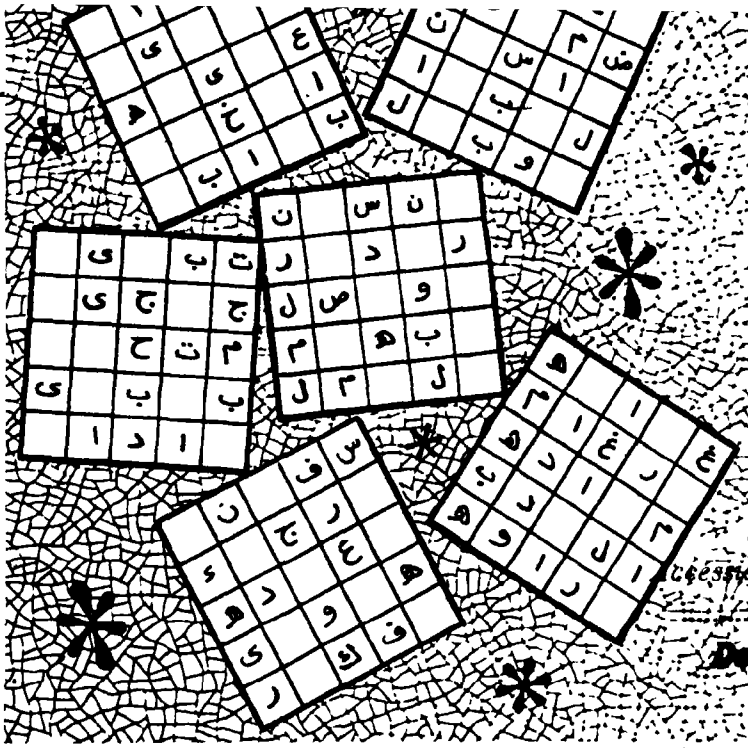
العواصم

أمامك ستة مربعات ذات اطارات ثقيلة خارجية . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات أفقية ، ينقصها جميعا حرف واحد . اجمع هذه الحروف الناقصة من المربعات الستة ، رتبها بحيث تصنع اسم عاصمة من عواصم العالم .
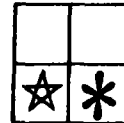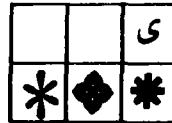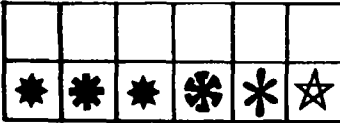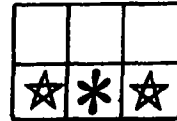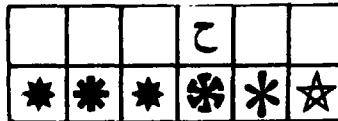
مثل عربي

أمامك مثل عربي معروف ، بدلا من الحروف نضع رموزا ، بحيث يحل كل رمز محل حرف واحد دائما . على سبيل المساعدة أعطيناك بعض حروف كلمات المثل .

هل تستطيع أن تصل الى المثل العربي ، اذا علمت أنه يفيد :
أن مواجهة الامر الشديد ، تقتضي شدة المراس .

حلول

العواصم :	حول الدائرة السوداء :	مثل عربي :
الرياض .	صلاح الدين الأيوبي .	لا يفل الحديد الا الحديد .

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يوليو ١٩٨٠

١٣٠ / ١

من الأعمال المختارة

ايفان سرجيفيتش تورجنيف - ١

• العالة
• خيال مريض

ترجمة وتقديم : د. سمية محمد عفيفي

مراجعة : د. فوزي عطية محمد

أورينت تذكرك بالوقت.. على أنغام الموسيقى
ORIENT QUARTZ
MUSIC ALARM
إليك آخر ماتوصّلت
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط
الإستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة
"ماريليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هنالك نغمات
ملحّة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاّقة لساعة أورينت، أول ساعة
في العالم بمنبّه موسيقي. هنالك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرّد الوقت - بنعومة ورقة.
ORIENT أورينت
Manufacturers ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليه - تموز
١٩٨٠ م

الموشحات الاندلسية

تأليف :
الدكتور محمد زكريا عناني

الكتاب الواحد والثلاثون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت